يوليو (تموز) ١٩٨٩ - ذو الحجّة ١٤٠٩

المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest July '89 N° 128

أوسع المجلات انتشارًا في العالم

لا تبالغوا في الرياضة

(ص ٩٧)

طفلة خلف جدار النار!

(ص ١٢)

التلفزيون لمطاردة المجرمين

(ص ٢٢)



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول ادمون صعب.

امانة التحرير راغدة حداد. الاخراج جورج غالي. الخطوط جبران مطر.

الامتياز شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر شركة "ابيرال" للمنشورات الدولية - بيروت

رئيس مجلس الادارة - المدير العام الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون داني دحداح - باز

التحرير والادارة مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان

الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات فريال علاف، بناية الشرنوبي، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.

الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت

الطباعة المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان

التوزيع الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief. Edmond Saab

Managing Director Dany Dahdah-Baz.

Centre Myrna Chalouhi, Blvd Sin el-Fil, P.O Box 55228,

El-Metn, Lebanon

Tel 492670 -- 491630, Telex MUKTAR 44615 LE



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

July '89 Nº 178 (New Series) Vol 11

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير كين غيلمور. مدير التحرير فرنسيس ج. شيل. المدير العام جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية

لبنان ٣٥٠ل - سورية ١٥ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١٫٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٧ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا واميركا الشمالية ٤٫٥د

المرء في الضيق
يحتاج الى كل سند من الاصدقاء
فكيف نختار الكلام المناسب؟

كلمة عزاء

□ عندما خضعت ماري لجراحة استئصال ورم صدري، أحاطت بها عائلتها. وهي تتحدث عن ذلك فتقول: "اعتنت والدتي بالاطفال، واهتمت شقيقتي بتأمين حاجات المنزل، وكان زوجي في المستشفى كل يوم. ولكن لم يعدني أحد من اصدقائي المقرّبين الذين تغيّبوا كلياً حتى بعد انتهاء الجراحة. وعندما جاؤوا أخيراً لعيادتي تحدثوا في مواضيع كثيرة باستثناء موضوع مرضي، وتصرَّفوا كما لو أن شيئاً لم يكن. فحزَّ الامر كثيراً في نفسي.



□ كانت سيلفيا في التاسعة والخمسين من عمرها عندما توفيت. وعلى رغم مرض القلب وداء السكري الحاد اللذين كانت تعاني منهما حافظت على تألّقها ونشاطها حتى يوم وفاتها. ويستعيد زوجها ذكرياته فيقول: "كنت أتأكّد من تناولها العلاج وأحاول أن أخفّف من غلوائها في العمل. لكنها كانت تحب نمطها في العيش، وغالباً ما كانت تقول إن النوعية أهمّ في نظرها من الكمية. وفي أثناء الجنازة قال لي بعضهم: كانت الحياة لا تزال تليق بسيلفيا، ومن المؤسف أنها لم تُعنَ بنفسها أكثر. وفي ذلك إلماعٌ الى أنه كان في وسعي الحيلولة دون موتها. وما زلت أذكر كيف أنني وجدت قولهم بعيداً كل البعد عن التفكير الصحيح."

عندما يصيب أمر جلل انساناً نعرفه نستجيب غالباً على نحو غير ملائم، فنجرح شعوره بقولنا تماماً ما لا يرغب في سماعه، ونختفي عندما يكون في أمس الحاجة الينا، واذا اتصلنا به تجنّبنا الموضوع الحساس برمّته. ونحن بتصرفنا هذا لا نقصد أن نكون عديمي الذوق والتفكير. فلماذا اذاً نتصرف هكذا بينما نحن حقيقة نقصد تقديم المساعدة؟

يقول الدكتور فيليب د. كاثر طبيب الامراض النفسية ومدير مركز غريتر كايب آن للصحة العقلية بولاية مساتشوستس: "بعد حدوث أمر مأسوي لشخص نحبّه، نشعر بأننا ايضاً معرضون لظروف مشابهة، فيدفعنا قلقنا الى التفوّه بتعليقات غير ملائمة".

ويستطيع معظمنا أن يستعيد مناسبة واحدة على الاقل تفوّه فيها بملاحظة حمقاء وتمنى بعد ذلك لو انه استطاع تداركها. كيف يمكننا اذاً ايجاد الكلام المناسب نقوله لشخص يمر في وضع صعب؟

لئن تكن تعوزنا هنا القواعد النهائية، ففي امكاننا دائماً تقويم الاوضاع واختيار التصرف اللبق والصادق في آن. وفي ما يأتي بعض الاقتراحات:

لا تجعل من نفسك محور الحديث. يقول كاثر: "عندما تكون برفقة انسان كابد مأساة، تذكر انك هناك لتأمين الدعم والعون له، وليكن اهتمامك مركزاً على مشاعره لا على مشاعرك الخاصة."

لا تتخِذْ من مأساة صديق ذريعة لتسرد تجارب مماثلة مررتَ بها. ويضيف كاثر: "لا ضَيْر من قولك: "لقد مررتُ بوضع مماثل، ولذلك أعلم ما تشعر به". ولكن اياك أن تقول: "عندما توفِّيتْ أمي انقطعتُ عن الاكل أسبوعاً". فمكابدة الالم تختلف من شخص الى آخر."

أصغِ. يحتاج المحزونون الى التفجُّع والمرور بالمراحل الطبيعية للحزن، والى التحدُّث عن مشاعرهم وذكرياتهم. وتقول روث روزنفيلد الاختصاصية بمعالجة الامراض النفسية في وايت بلينز بنيويورك: "كلما تحدث شخص كهذا كان ذلك شافياً. دع صديقك يقود الحديث. لا تحاول تسليته، واكتفِ بالاصغاء اليه. تقبَّلْ مشاعر صديق وكنْ متفهِّماً له."

هناك محزونون لا يظهرون ألمهم

بالكلام، فعليك أن تحترم موقفهم كذلك. ويقول رجل خضع لعلاج كيميائي بعد اصابته بالسرطان ان أفضل المكالمات الهاتفية التي تلقّاها كانت من صديقة اعتادت الاتصال به مرة في اليوم ولم يتجاوز حديثها الدقيقة الواحدة، موحية اليه أنها تفكّر فيه من دون الاصرار على سؤاله عن آخر تطوّرات صحته.

كن صادقاً. ترى تيري فلين – ماهوني، الممرضة السويسرية في مستشفى مساتشوستس العمومي التي قدّمت النصائح لمئات مرضى الايدز، ان كثيرين يجدون صعوبة في انتقاء الكلمات الصحيحة التي يجب أن تُقال للشخص المصاب بمرض عضال. فهم يقولون كلاماً مثل: "لا عليك، فكل شيء سيكون على ما يرام"، حتى وإن لم يكن ذلك صحيحاً وكان المريض على علم بالامر.

وتضيف فلين – ماهوني: "عندما تعود انساناً في المستشفى حاول أن تكون واقعياً ولكن ايجابياً في الوقت ذاته. ومن جملة الاسئلة المناسبة يمكنك أن تطرح دائماً هذين السؤالين: كيف حالك؟ هل هناك شيء أستطيع أن أفعله لك؟ أظهر له اهتمامك بوضوح وأنك مستعد للمساعدة إذا احتاج اليك. لا تخف أن تلمسه: فتربيتة على اليد وضمة الى الصدر قد تكونان أكثر عزاء من الكلمات."

أعرض العون. قد يكون الشخص المفجوع عاطفياً متقلا بتفاصيل الحياة اليومية، فاعرض عليه قضاء حاجاته أو انهاء مشروع باشره أو اصطحاب أولاده الى دروسهم في العزف على البيانو.

كن صبوراً. تختلف فواجع الموت من حيث شدّتها ودوامها، وغالباً ما يستمر وقعها سنوات. وتقول احدى الارامل: "بعدما توفّي زوجي ما فتىء أولادي يقولون: "لقد عرفتِ زواجاً موفقاً، لكن أبانا تركنا الآن وعليكِ أن تعيشي حياتك". كان يضيرني أن أُعامَل كما لو أنني سقطت أرضاً وجرحت ركبتي ورفضت أن أنهض. أنا لم يفتني وجوب استمراري في الحياة، وهو ما فعلته في نهاية الامر ولكن بطريقتي الخاصة، فما من أحد يستطيع أن يختصر وقت الحزن.

من ناحية أخرى، اذا بدا حزن الصديق عميقاً وطال أمده على نحو غير طبيعي، دعه يعرف أنك معنيّ بأمره. هذا ما تقوله آن براون الاختصاصية بمعالجة الامراض النفسية في مدينة أسبن بولاية كولورادو. وتضيف: "قد تقول له: إنّ ما تعانيه لا بد أن يكون بالغ الصعوبة، ولا أعتقد أن عليك تحمّله وحيداً، لذا أودّ مساعدتك".

حاول جميع الوسائل التي تنجح، بهذا توصي براون التي تردف: "اتصل بصديقك هاتفياً أو أرسل اليه بطاقات، وحاول دعوته الى الطعام."

لا تتوقعنّ من أحد أن يعرف ماذا يقول أو يفعل في كل الظروف الصعبة. لكنك اذا انطلقت من التفكير الصحيح وأصول الذوق السليم، وركّزت اهتمامك على دعم الآخرين، فسرعان ما تقودك الغريزة الى حسن التصرف في كل الظروف.

ساندي هورفتز ■

المختار
من ريدرز دايجست

يوليو (تموز) ١٩٨٩
ذو الحجة ١٤٠٩

السنة الحادية عشرة
(سلسلة جديدة)

مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

هيردال
جوّابُ البحار القديمة

القاطنون قرية كولا ميشيري في مرتفعات الالب المطلة على الرفييرا الايطالية يعرفون أن النروجي الفضي الشعر الذي يملك رأس الجبل فوقهم هو مستكشف شهير وعلّامة جاب البحار السبعة في قوارب أسماؤها "كونتيكي" و"رع" و"دجلة"، سعياً الى اخراج أسرار الحضارات البائدة الى النور. لكن أكثر ما يوقع في نفوسهم أثراً هو أن ذلك الرجل يحافظ على اخضرار رأس الجبل. وفيما أدت الحرائق المتكررة الى اتلاف معظم المرتفعات المجاورة بقي لدى "السنيور هيردال" حرج بديع من الصنور والسنديان.

وهذا، على غرار أمور اخرى في حياة تور هيردال، نتيجة تخطيط مفرط يعقبه فعل قوي. وقد قرّ رأيه، عندما فرغ من بناء بيته في تلك المنطقة قبل واحد وثلاثين عاماً، على أن أفضل وسيلة لصون الخمائل المحيطة بمسكنه الجديد هي أن يأتي بقطيع من المعزى. أخبره كل من يعرفه أنه مخبول، فالمعزى تزيل الاشجار من الجبال اذ تقضم بشراهة لحاء الشجر والأغصان.

ولما كان هيردال رجلا لا يثنيه شيء فقد دأب على الانطلاق كل مساء لشق درب بمنجله وسط الشجيرات. ثم جاء بالمعزى الى الدرب لتقتات بالشجيرات التي كانت طعاماً للحرائق. وسنة بعد سنة أصبحت شجراته اكثر قوة وخضرة، فيما سرت الحرائق في الشجيرات على السفوح الأخرى. فعمد بعض جيرانه بكتمان الى محاكاته بتربية المعزى.

هذا هو اسلوب تور هيردال الذي درج عليه. لقد نشأ في بلدة لارفيك على شط البحر جنوب أوسلو عاصمة النروج، فتى

Illustration: George Angelini

أغضى الخبراء
لسنين عن نظرياته
حول انتشار الحضارات
لكنه ناضل وأثبت صواب
رأيه مرة تلو أخرى



متحفظاً واسع المعرفة، تراوده أفكار خاصة به لا يبالي إن كان الغير يستهجنها. ساءل نفسه يوماً: أيمكن لشاب قوي أن يعيش على مهاراته في فلاة حيث لا مكتب للبريد ولا صيدلية يلجأ إليهما عند الضرورة؟ وكان جوابه نعم، اذا ما كان ذاك الشاب واسع الحيلة وعثر على رفيقة.

وقد التقى هيردال رفيقته تلك، واسمها ليف تورب، وهي فتاة تدرس الاقتصاد في جامعة أوسلو. كانت في العشرين، وهو في الثانية والعشرين. عزم على أن يقصدا جزيرة فاتو هيفا في بولينيزيا (١) وهي بقعة جبلية صغيرة جنوب المحيط الهادي تزخر بالادغال لكنها خلوّ من البشر. واستلزمه ذلك جهداً لاقناع قسم علم الحيوان في الجامعة بالأمر، لكن المسؤولين محضوه موافقتهم بشرط أن يدرس أنواع الحلزون البري الذي يعيش هناك. وتزوج الاثنان في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٦ وسرعان ما أبحرا على متن سفينة متجهة الى المحيط الهادىء.

نقطة التحوّل. أثناء فترة الأختبار التي استمرت عاماً في فاتو هيفا وردت على ذهن هيردال فكره ثورية ثاقبة. ذات يوم كدح وزوجته في اجتياز الجبال نحو الساحل الشرقي، وجلسا يرمقان أرتال الموج العملاق متكسرة عند الشطّ.

سألته ليف: "لم ليست هناك أمواج عارمة كهذه تتكسر بزبدها على الجانب الآخر للجزيرة؟"

كان تور يعلم الجواب، لكنه أدرك للمرة الاولى مغزاه. ان الامواج العارمة تتكسر باستمرار على الساحل الشرقي لأن الريح في ذلك الجزء من الكرة الأرضية تعصف على مدار السنة آتية من الشرق ومواكبة للتيار عبر ٦٥٠٠ كيلومتر من مياه المحيط الممتدة بلا انقطاع من الساحل الغربي لأمريكا الجنوبية الى فاتو هيفا. فكيف يتواءم ذلك مع الرأي المتعارف عليه دولياً في أن أهالي جزر المحيط الهادىء أتوا أصلا من آسيا، والريح والماء يسفعانهم من الجهة المعاكسة؟

أليس أسهل لموجة المهاجرين أن تفد رأساً من البيرو في اتجاه الغرب؟ لعل في ذلك تعليلا لنمو نباتات من أمريكا الجنوبية في جزر المحيط الهادىء، أمثال البطاطا الحلوة وجوز الهند والقطن. وفيه تعليل أيضاً للتماثيل الضخمة التي عثر عليها هيردال مدفونة وسط أدغال فاتو هيفا، وهي تماثيل ذات عيون كبيرة محدقة وشحمات آذان طويلة تماثل على نحو لافت تلك التماثيل التي خلّفتها الحضارات السابقة للانكا في جبال الانديز. كما أنها تلقي ضوءاً على القصص التي رواها له أحد شيوخ جزيرة تيكي عن الملك الجبار الذي جاء بأجداده الى هنا من أرض كبيرة عبر البحر.

في السنين العشر التي أعقبت مغادرة هيردال منطقة فاتو هيفا، وباستثناء خدمته مظلياً في "قوات النروج الحرة" خلال الحرب العالمية الثانية، أمضى كل دقيقة توافرت له في تمحيص الكتب وروايات المسافرين والدراسات العلمية

(١) بولينيزيا مجموعة أرخبيلات في المحيط الهادىء، بينها جزر هاواي.

عن جزر المحيط الهادىء. وقد بدت البيّنات التي جمعها دعماً لنظريته عن الهجرة من الساحل الامريكي، قاهرة لا ترد حين نسّقها في مئات الصفحات. ولكن ما من أحد يصدقها. واذ عرض نظريته في "نادي المستكشفين" بنيويورك قال له رئيس النادي كلايد فيشر محتداً أن ما يقوله هذر، فهنود أمريكا الجنوبية لا يمكن أن يكونوا أبحروا الى تلك الجزر اذ انهم لم يملكوا مراكب للسفر بحراً. فاجابه هيردال: "لعلهم سافروا على أطواف من خشب الفلّين."

قال فيشر بجفاء: "اذهب وابن طوفاً من فلين وحاول أن تبحر فيه عبر المحيط الهادىء."

كانت تلك نقطة التحول في حياة تور هيردال. فقد طبق كلام فيشر بحرفيته، وبنى طوفاً من جذوع شجر الفلين بمعونة حرفين محليين في البيرو. وقدّر الخبراء أن مركبه "كونتيكي" سيغرق في مدة أقصاها أسبوعان. لكن هيردال أبحر فيه عام ١٩٤٧ مع خمسة بحارة مدة مئة يوم ويوم، وعبروا سبعة آلاف كيلومتر من المحيط المفتوح من كالاو في البيرو الى راروبا وهي حيد مرجاني يبعد ٨٠٠ كيلومتر عن شرق تاهيتي.

الهجرة عبر المحيطات. أقامت رحلة "كونتيكي" البحرية الدليل على امكان إبحار الملاحين البدائيين من أهالي أمريكا الجنوبية الى بولينيزيا. غير أن هيردال لم يزعم قط أن في ذلك برهاناً على أنهم قاموا بذلك فعلا، بل كان، بحسب قول نورمان بايكر الملاح الذي شاركه في ثلاث بعثات لاحقة، "يجرّب المعدات" التي يحتمل أنها استعملت قبل قرون.

وكما أمل هيردال، لم يغرق "كونتيكي" اذ لم يكن ذا تركيب قاس محكم السدّ، فكان ماء البحر يفيض عبر الفسحات بين ألواح الخشب.

ان تمكّن ستة رجال من الحياة على هذا القارب الصغير مكافحين أسماك القرش الكبيرة وهم يجوبون البحر ضد زوابع المناطق الحارة، هو في ذاته قصة تأخذ بمجامع القلوب. وقد طبعت رواية هيردال عن تلك الرحلة البحرية عام ١٩٤٨ بعنوان "بعثة كونتيكي" وترجمت الى أكثر من ٦٠ لغة وبيعت منها ملايين النسخ. كما أن الفيلم الوثائقي الذي تم توليفه من لقطات مصورة عن القارب الغاطس المتمايل حاز جائزة "أوسكار" وذهب بلب الملايين في العالم.

ولم تكن ملحمة "كونتيكي" سوى هامش للمرجع العلمي الثقة الخالد الذي نشره هيردال عام ١٩٥٢. ففي هذا الكتاب المعنون "الهنود الحمر في المحيط الهادىء" بصفحاته الـ ٨٠٠ المزدانة باقتباسات من ألف مصدر بدا هيردال على قناعة بأنه قدم بينات ودلائل كافية لتجعل المتبحرين في العلم يبدلون آراءهم عن الهجرات عبر المحيطات.

لكن علماء الانثروبولوجيا وسواهم من الباحثين أغضوا عنه باعتباره حالماً كانت بعثته حركة بهلوانية بهدف الاشتهار ليس غير. واستشاط الخبراء غضباً من شاب لا يحمل درجة دكتوراه تجاسر على الشك في معتقداتهم الراسخة.

لم ترهب هيردال همسات حطّت من قدره، فهو من سلالة الفايكنغ (٢) الى كونه علّامة. وقد تحدى مزدريه. استغرق الامر ١٣ سنة، لكن علماء الآثار المشاركين في "المؤتمر العلمي العاشر حول المحيط الهادىء" المنعقد في هونولولو عام ١٩٦١ صوتوا بالاجماع على الاقرار بأن أمريكا الجنوبية هي أحد أهم المصادر للشعوب والثقافات في جزر المحيط الهادىء. ويقول هيردال: "كان ذاك أعظم يوم في حياتي."

"رع" و"دجلة". نبهت رحلة "كونتيكي" هيردال الى آفاق جديدة. فإن كان في وسع الأنسان القديم الإبحار من البيرو الى بولينيزيا، فربما أمكنه أيضاً أن يذهب في رحلات رائعة في بحار أخرى. وقد راع هيردال أن اكتشف رسوماً ونقوشاً في قبور مصرية تمثل أبقاراً منقولة في مراكب صنعت من قصب البردي شبيهة بمراكب لا تزال مستعملة في بحيرات بلاد البيرو.

ولاحظ، علاوة على ذلك، أن ثمة سمات مشتركة بين الحضارات المصرية والمكسيكية والامريكية الجنوبية، مثل عبادة الشمس وبناء أهرام هائلة وزراعة القطن. ولاح لهيردال احتمال مثير بأن تكون مراكب القصب جازت المحيط الأطلسي الى المكسيك وأمريكا الجنوبية وهي تقل مهاجرين حملوا معهم مهاراتهم وعاداتهم.

واذ عزم هيردال على استكشاف امكان القيام برحلة مماثلة، اعترض الخبراء كما فعلوا من قبل عندما أبدى نيته الانطلاق برحلة "كونتيكي". فمراكب القصب في نظرهم ينبغي لها الارتحال على نهر راكد، لكن الامواج ستحطمها في عرض البحر إن لم يتأكلها الماء المالح. ورأى هيردال في ذلك احتمالا وارداً، لكنه أشار الى ما ورد في المخطوطات القديمة عن رحلات بحرية بمراكب القصب.

بنى هيردال مركباً من البردي سماه "رع" على اسم رب الشمس القديم في مصر. وانطلق به عام ١٩٦٩ مبحراً من صافي في المغرب ماخراً الأطلسي، وكاد أن يبلغ جزر الهند الغربية شمال البرازيل، لكن القارب غرق بعد امتلائه بالماء اثر هبوب عاصفة. لقد أثبت هيردال وجهة نظره، لكن رجل الفايكنغ القابع داخله أصرّ على متابعة الرحلة. فرجع وأعاد تصميم قاربه مسترشداً بالرسوم الجدارية المصرية. وفي العام ١٩٧٠ أبحر القارب "رع - ٢" عبر الاطلسي ووصل الى باربادوس قاطعاً ٥٤٦٠ كيلومتراً في ٥٧ يوماً.

وفي ما بعد بنى هيردال، بمعونة عرب الاهوار الذين يعتمدون أساليب تقليدية ترقى الى آلاف السنين، سفينة من البردي في جنوب العراق بهدف اثبات أن قدامى السومريين ربما أبحروا من بيوتهم عبر نهري دجلة والفرات للمتاجرة مع حضارات قديمة أخرى في مصر ووادي الهندوس الواقع في باكستان اليوم.

انطلقت السفينة "دجلة" عام ١٩٧٧ مبحرة مسافة ٦٧٠٠ كيلومتر عبر الخليج العربي ومضيق هرمز الى باكستان.

(٢) الفايكنغ قوم من البلدان الاسكندينافية غزوا شواطىء شمال أوروبا وغربها واستقر بعضهم فيها.

وجازت بحر العرب الى مصب البحر الأحمر حيث اضطرتها النزاعات الاقليمية الى التوقف. وأقام هيردال البرهان ثانية على صحة رأيه.

تشابه الحضارات. أحد الاكتشافات الباهرة التي أسفرت عنها تلك الرحلات انتشار تقنيات حرفية مميزة في أرجاء واسعة من الكرة الارضية. ومثال ذلك البناء الحجري الذي عثر عليه هيردال أطلالا في جزر ايستر شمال شرق فاتو هيفا، والمكون من قوالب حجرية ذات أحجام وأشكال متباينة ركبت باتقان محكم بحيث يتعذر دس شفرة سكين بين الحجار. وهو صادف شبيهاً لهذا البناء في البيرو لاحقاً. وعثر هيردال على مثله ايضاً في المرفأ الفينيقي القديم "ليكسوس" في المغرب وفي البحرين وفي جزر المالديف.

لم تتوافر معلومات كثيرة من قبل عن التاريخ القديم للمالديف، غير أن هيردال خلال مكوثه هناك نبش آثاراً لشعب قديم زعم أن اسمه "ريدن". ومما صنعه الريدن، بحسب قوله، نحت تماثيل عثر عليها لملوك تتدلى شحمات آذانهم حتى أكتافهم. أيمكن للريدن أن يكونوا جزءاً من التحرك الكبير الذي انتقلت فيه جموع غفيرة عبر البحار قبل آلاف السنين؟ انه تعليل لا يقنع الجميع، لكنه سؤال يلذّ لهيردال أن يطرحه لاثارة الجدل.

احتفل المستكشف الشهير بعيد مولده الرابع والسبعين في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٨. وهو لم يفقد حيويته البدنية ولا حماسته للرحلات المتطاولة سعياً الى اكتشافات جديدة. وقد رأى في كوبا قبل عهد قريب أحافير أثرية عليها نقوش عدّها برهاناً ساطعاً على الصلات التجارية بين كوبا وأمريكا الوسطى والجنوبية قبل كولومبوس. وعرضت عليه في أذربيجان من جبال القفقاس بالاتحاد السوفييتي رسوم لسفن من القصب منقوشة على حيد مرجاني يرقى الى ما قبل بزوغ الحضارة المصرية.

وبسبب كتبه الرائجة والبرامج التلفزيونية والأفلام السينمائية الكثيرة عن بعثاته الاستكشافية، تستند شهرته الى مغامراته الطريفة أكثر مما تستند الى أستاذيته العلمية. وهو يعلم حق العلم أن الذين يتوافدون الى متحف "كونتيكي" في أوسلو يعنون بانتصاره على الريح والبحر أكثر من اكتراثهم لنظريات وضعها عن الاعراق والاجناس البشرية. لكن مصدر غبطته القصوى على مر السنين هو أن يرى الخبراء الذين هزئوا به يوماً يقرون بصواب رأيه.

لقد أمطر هيردال بالميداليات وعضويات الشرف والشهادات الفخرية. كما أن "نادي المستكشفين" في نيويورك الذي صرفه من دون أي حفاوة قبل ٤١ عاماً يفخر اليوم بأن يضمه في عداد مديريه الفخريين. يقول جون برونو الرئيس الحالي للنادي: "المستكشفون نوعان: منهم من يخوض الغمار حباً بالمغامرة، ومنهم أكاديميون راغبون في زيادة معارف الانسان. وهيردال يندرج بامتياز في عداد الفئتين."

روبرت فرنيك ■



لفح اللهب وجه المنقذ
وتناهت اليه صرخات الطفلة
لكن أين هي؟

لاح ريف جنوب شرق فيرجينيا غبشاً من داخل السيارة المسرعة. انه منتصف ليل العاشر من سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ وناتالي فيغلي (١٩ عاما) مذعورة. تفحصت حزام الامان الذي يوثق حاملة طفلتها ايفا ذات الاشهر السبعة.

وكان ديني والد ايفا جاء وصديقه جيم لأخذ ناتالي في نزهة بالسيارة. وكانت هي



تأمل أن يحسن ذلك علاقتهما المتوترة بعد الانفصال. لكن الوقود نفد من السيارة وها هي ناتالي مشدودة الاعصاب تراقب السيارة اذ تنحرف عند منعطف حاد.

فجأة علا صرير العجلات ورأت ناتالي مرتاعة أنواراً متلونة تومض وأصوات معدن ينهرس وزعيقاً.

بعد هنيهة كانت تحدق بارتباك الى السماء المضاءة بنور النجوم. صرخ ديني بها: "اخرجي، السيارة تحترق!"

أين الصغيرة؟ إد ماركس (٣٣ عاما) رئيس فرقة الحرس الجوال في متنزه نهر نورثوست في تشيسابيك بولاية فيرجينيا، يكبح فرامل شاحنة ويشغّل أنوار الطوارىء. أمامه على جسر اسمنتي

Illustration: Victoria Vebell

ضيق حطام داخن لسيارة "شيفروليه". ناتالي وديني وجيم واقفون في مكان قريب مذهولين وثيابهم ممزقة وملطخة بالدم.

قال ماركس لجاره دانييل ماهر (٣٣ عاما) الذي كان الى جانبه: "ياه، انهم محظوظون، فتلك السيارة ستنفجر."

واذ هرعا صوب مكان الحادث كانت اقماع الدخان الاسود بدأت بالاحمرار يواكبها انقداح شظايا من أسهم اللهب. علامات انزلاق السيارة امتدت من بعد ٤٥ متراً الى حاجز الامان الذي اخترقته السيارة وهشمته، وبرز جزؤها الامامي فوق نهر نورثوست.

بدت ناتالي لوهلة غير موقنة ما حدث. لحقت جيم بغريزتها عبر الشباك الجانبي المفتوح في السيارة. بغتة ادركت ما حدث فصاحت: "اين ايفا؟"

حاولت ناتالي ان تتحرك صوب السيارة، لكن جسدها الناحل برحت به الاوجاع وانتابها الغثيان. لم تر أنوار شاحنة إد ماركس ولا الرجال الراكضين ومضت تردد: "آه، طفلتي، ايفا." وفيما عاد إد ماركس الى الشاحنة الصغيرة لاستدعاء النجدة بواسطة جهازه اللاسلكي، أمسك دانييل ماهر الام الشابة من ذراعها. صرخ بها: "ينبغي ان أعرف تماماً مكان طفلتك في تلك السيارة، فليس هناك متسع من الوقت." لم تقو ناتالي المضطربة الا على الاشارة قبل ان تتداعى.

لحظات ثمينة. حين تخرج دانييل عام ١٩٧٥ في أكاديمية الخدمات التصحيحية بولاية نيويورك بدا مستعداً لمعالجة كل الازمات. ولكن بعد ثلاث سنوات تعرض لحادث اذ ألفى نفسه عالقاً داخل سيارة مشتعلة وقد بترت ساقه جزئياً فيما رجال الاطفاء يجاهدون لاطلاقه. ومنذ ذلك التاريخ وهو يخشى شيئين: الحريق والانحباس.

لكن مخاوفه تلك غلبها القَسَم الذي اطلقه بعيد انقاذه بأن يمد يد العون ما استطاع. وفعلا، منذ انتقاله الى ولاية فيرجينيا وشروعه في عمله الجديد في تأجير المعدات كافح حريقين بمفرده، منقذا بيت أحد الجيران ومخلصا امرأة من الاصابة بحروق خطرة. لكن ذلك لم يهيئه لمواجهة الورطة المرعبة التي القى نفسه فيها.

علم أن محاولة دخول السيارة عبر نافذة جانبية يستغرق وقتا طويلا. فهرع الى الزجاج الخلفي الذي لم يصب بأذى. رفع الرياضي قبضته وضرب الزجاج السميك مرة تلو أخرى، لكن ضرباته ارتدت بلا جدوى.

انقضت لحظات ثمينة، وتعذرت رؤية ما في داخل الزجاج بسبب الدخان الاسود الكثيف، وكان اللهب اللاذع ينفث قرب خزان الوقود، وسُمع صوت فرقعة معدنية. شعر دانييل بالاهتياج يسري في بدنه، فركل الزجاج بجزمته الثقيلة لكن الرفسات ارتدت. ثم سمع صرخة طفل تتردد متلاشية. وتذكر صغاره الثلاثة القابعين في أمان مع زوجته سوزان. وأسرّ في نفسه: علي أن أدلف داخل السيارة.

أخذت السيارة في النشيش وكأنها توشك أن تنفجر. خطا دانييل الى الخلف.

شاهد إذ يهرع لإجلاء الضحايا عن منطقة الانفجار، فحدّث نفسه: الآن! الآن! خفض رأسه وكرّ من بعد ثلاثة أمتار مقتحما السيارة بكتفه، فحطم الزجاج الخلفي منقذفاً الى الداخل ومكسراً لوحة أجهزة القياس.

انطرح شبه مغمى عليه، منحصراً في المقعد الأمامي ورأسه على جهاز الراديو. ألسنة اللهب تنقذف عبر الدخان وتلفح وجهه. تجسدت أمامه كل كوابيس الانحباس والحريق.

تحت السلة. اضطجعت ناتالي مصابة بجرح بالغ وأسندت ظهرها الى حاجز الطريق. كانت تفكر في قسمتها. لقد توفيت أمها وجداها قبل ثلاث سنوات في مسقط رأسها فرنسا. وبعد وصولها الى الولايات المتحدة نُقل أبوها الامريكي الى مركز عمل خارج البلاد، وأبقيت هي في رعاية عائلة صديقة. وما لبثت أن التقت ديني بعد عام.

وسرعان ما ولدت ايفا. وعلى رغم علاقتها التعسة مع ديني الا أن الطفلة الجعدة الشعر منحتها غبطة لم تحلم بها. وكان دأبها أن تحمل ايفا صباح كل يوم وتسير مسافة كيلومتر الى حضانة للاطفال، ثم تمشي كيلومترا آخر للعمل في مطعم. لقد شعرت للمرة الاولى في حياتها أن ثمة حافزا يدفعها الى غاية نبيلة هي تربية طفلتها.

حرك دانييل يديه في الظلام وهو يجس المقعد الامامي وأرض السيارة والشباك الامامي المحطم. بدت صرخات الطفلة



ايفا فيفلي مع دانييل ماهر.

مدفونة في بقعة قاتمة تحوق بها لفحات مخيفة من النار. "أين أنتِ؟" بدأ يفتش في المقعد الخلفي وهو يكاد يختنق.

لامس شيئا مألوفا. إنها حاملة أطفال مدلاة من وسط المقعد الخلفي، لكنها خاوية وقد أخذت جوانبها البلاستيكية تلين. تلوّى الى الخلف جزءا منقبا بين العلب والملابس على غير هدى. الوقت ينفد... الوقت ينفد...

السائل المنساب من أنابيب المشعاع يقطر على رأسه وظهره. جدار النار لا يفصله عنه سوى ٣٠ سنتيمترا. ثم سمع بكاء ضعيفا متقطعا. نبش المكان موغلا وأحس باللحم الطري لذراع صغيرة تحت سلة غسيل.

اختطف الصغيرة بذراع واحدة ثم تدحرج زاحفا الى الزجاج الخلفي. وسمع وسط صرخات الطفلة هديرا. العجلات تنفجر وألسنة اللهب تقترب من خزان الوقود. ثم رأى وجه إد القلق وذراعيه الممدودتين. فدفع بالطفلة عبر الغبش المحمر.

صرخ إد ممسكا بالطفلة: "أخرج يا داني، ستنفجر السيارة!"

الانفجار. وسط أصوات الزجاج المتكسر والنار المفرقعة وصراخ الرجال شعرت ناتالي بأنها تدنو من الموت. فجأة ارتعدت الارض بانفجارين كبيرين وأضاءت السماء بوهج قوي. لا، لا! وبأعجوبة شعرت بذراعي ايفا اللدنتين الرطبتين تطوقان عنقها، وسمعت الصرخة المقرقرة التي تطلقها طفلتها عند اضطرابها. قال إد: "انها بخير."

انهمرت دموع الفرح على وجنتي ناتالي وهي تمطر ايفا بالقبلات. واذ رفعت نظرها لمحت رجلا فارعا يدنو وعلى شفتيه ابتسامة عريضة. قال: "أنا دانييل، انها طفلة جميلة."

وفي انتظار وصول فرق الاسعاف حمل دانييل الطفلة برفق ومشى بها وهو يعرج.

وقع الانفجار الاول بعد أقل من ٣٠ ثانية من تسليم دانييل الطفلة الى إد. أما الآن فإن النار تستعر ولا سبيل الى السيطرة عليها، واللهب يتراقص على ارتفاع ٣٠ مترا.

أرسلت ناتالي على عجل الى مستشفى مجاور حيث باشرت علاجا للصدمة والكسور المتعددة في عظم الحوض والجروح الداخلية. وعولج ديني وصديقه من تمزقات ورضوض. وكانت ايفا الناجية الوحيدة التي لم تصب بأذى.

مزرعة دانييل ماهر تبعد ٣٠ كيلومترا عن فرجينيا بيتش حيث سكنى ناتالي وعملها. وحين أخذت ايفا لزيارة دانييل عام ١٩٨٨ طوّح هذا الطفلة الدارجة بذراعيه وخطا سريعا الى ساحة المتبن حيث الجواد والاوز والبط والدجاج وخاطب حيواناته: "هيا يا رفاق، رحبوا بايفا." وتعالت ضحكة الصغيرة لدى سماعها استجابة الحيوانات بأصوات متنافرة. ثم أخذها دانييل الى ارجوحة المطاط المدلاة من شجرة جوز سامقة.

زقزقت ايفا: "آه يا داني، يا داني!" "جاذبة" شعره وأذنيه وفي عينيها الزرقاوين حب من نوع خاص. ترى أيهما اكثر سعادة، داني أم ايفا؟

شلدون كيلي ■

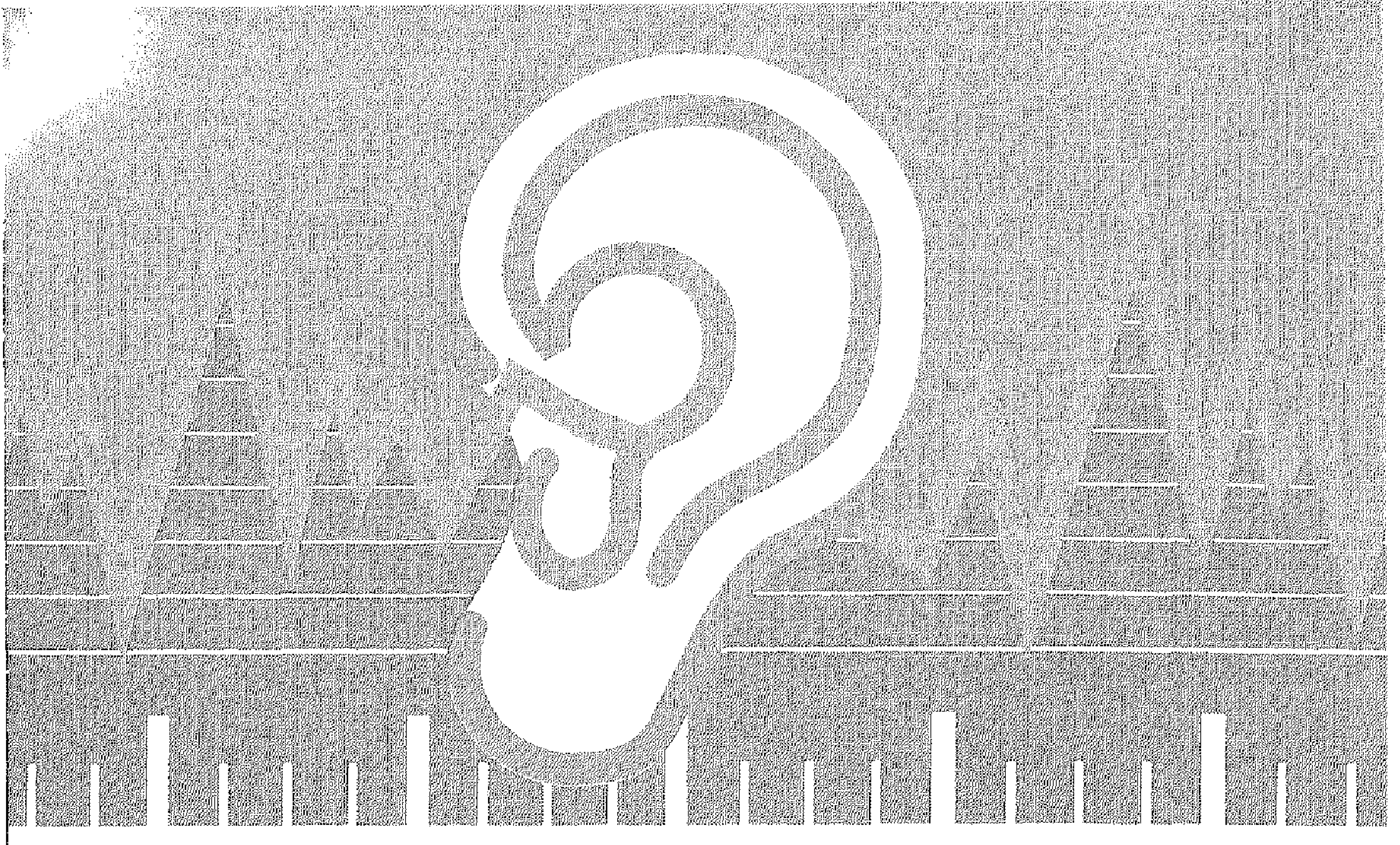


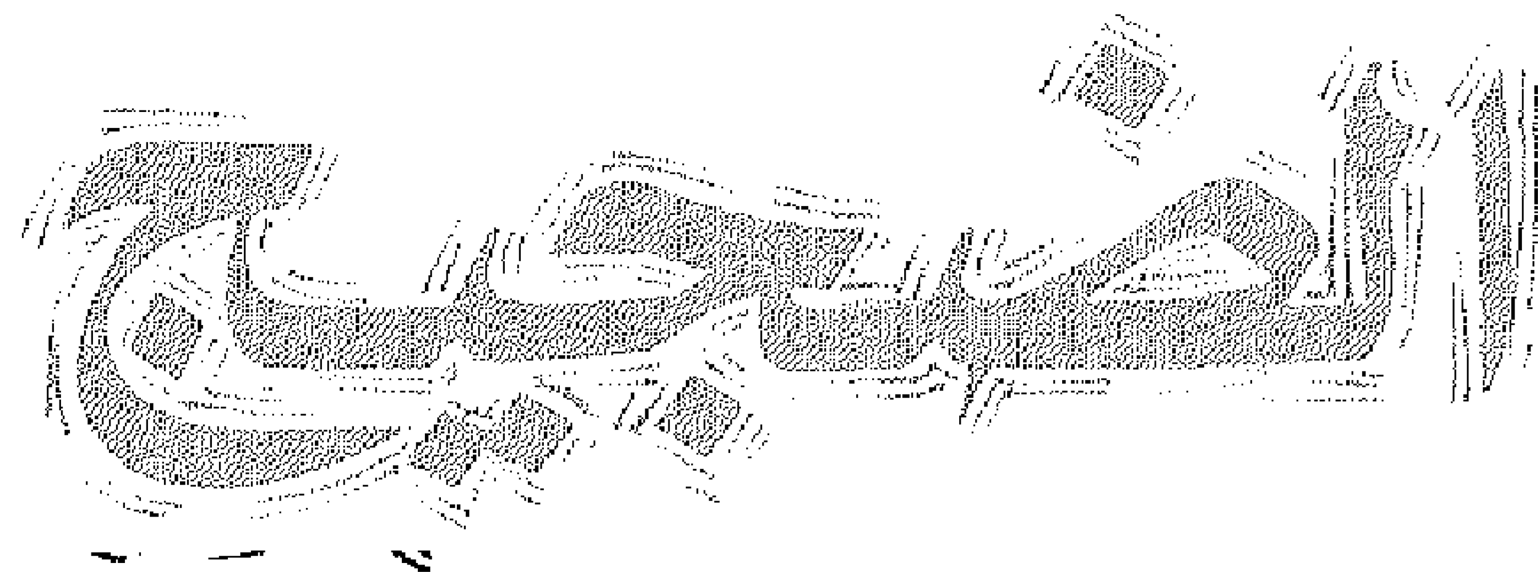
النساء يعمِّرن أطول

بعدما قرأ والدي في الجريدة تحقيقاً يبين أن النساء يعمِّرن أطول من الرجال قال: "أعجب لماذا يذهب الرجل أولا؟"

فردت أمي: "لا بد من أن يبقى أحد لالتقاط ثيابه عن الارض!"

ك. ر.





الضجيج يُضعِفُ السّمعَ ويُرهقُ القلبْ

تعلو هتافات جمهور المشاهدين مدوّية حين ينزل الفريق الى الملعب. ان بعضهم في ذلك النهار سيلحقهم ضرر يلازمهم مدى الحياة. ومن المدهش أن يكون أعضاء الفرقة الموسيقية هم الاكثر تعرضاً للخطر، فهم تمرنوا قبل بدء اللعب في غرفة صغيرة جداً بحيث جلس عازف المزمار ورأسه يكاد يكون داخل فم البوق. يليهم في خطر التعرض للضرر الانصار الذين يهتفون ويصرخون ويحدثون أصواتاً مفرقعة بآلات مبتكرة، في مدرّج يتجاوز صخبه هدير الطائرات النفاثة لدى اقلاعها.

وسيغادر كثيرون الملعب وفي رأسهم طنين وألم في الاذنين. قد تفوتهم ملاحظة ذلك طوال سنوات، لكن اصابتهم قد تتلف قدرتهم على سماع درجات خفيفة من الصوت.

Illustration: Javier Romero

اثارة الاعصاب. يدخل الصوت آذاننا في شكل تموجات طاقة ميكانيكية قوية. ويعيش العلماء قوة الصوت، بوحدة "ديسيبل"، وكل تضاعف طاقة يعادل عشرة ديسيبل. فالتحادث العادي يقاس بنحو ٦٠ ديسيبل، وصراخ الطفل يصل الى نحو ٩٠ ديسيبل. وبموجب هذا المقياس اللوغارتمي قد يكون الصراخ أقوى ألف ضعف.

أعلنت مديرية السلامة المهنية في الولايات المتحدة أن ملايين الناس يتعرضون يومياً في أعمالهم لـ٩٠ ديسيبل، وهذا هو الحد الاقصى للسلامة خلال ٨ ساعات عملا. ويقول وليم كلارك من معهد الصم في جامعة واشنطن في سانت لويس بولاية ميسوري: "ان هذا القياس ليس مثالياً لكون الصوت يؤثر على نحو متفاوت في الافراد. فنظرياً، يجب أن يصون هذا المقياس قوة السمع لدى ٩٠ في المئة من العمال، لكنه يفترض أن أذني العامل تتمتعان بفترة هدوء لمدة ١٦ ساعة كافية للشفاء. وهذا أمر قليل الاحتمال في ما خص معظم الناس."

الصوت يحدث اهتزازاً في ألوف الشعيرات الصغيرة في الاذن الداخلية. وتحفز الاهتزازات دفعات عصبية الى الدماغ تترجم صوتاً كما تعيه حواسنا. والتعرض الطويل لقوة ٨٥ ديسيبل أو اكثر، أو التعرض القصير لمستويات شديدة القوة - كموجات صدامية بقوة ١٤٠ ديسيبل من طلقات بندقية - قد يتلف نهائياً بعضاً من هذه الشعيرات الدقيقة الحساسية في الاذن الداخلية.

ويستعين الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغن بسماعة بسبب تلف دائم اصابه في أيام عهده بالتمثيل السينمائي حين أطلق مسدس من عيار ٠،٣٨ مليمتر رصاصات فارغة بالقرب من أذنه اليمنى. ويتوقع الاختصاصيون بالسمع أنه في العام ٢٠٠٠ سيكون عدد الذين يستخدمون أدوات السمع مساوياً لعدد أولئك الذين يضعون عدسات لاصقة في عيونهم حالياً.

يعتقد كثيرون أن ضعف السمع هو ظاهرة لا بد منها في الشيخوخة. لكن الدراسات تظهر أن أولئك الذين يسكنون في بيئات هادئة معرضون لفقدان القليل جداً من قوة سمعهم في شيخوختهم.

وفي البلدان الصناعية حيث تسود الضجة القوية يصاب حتى الشباب بتلف في السمع. وقد اجرى ديفيد ليبسكومب، وهو استاذ سابق في علم السمع في جامعة تنيسي، فحصاً لأكثر من ألف طالب جامعي في السنة الاولى، ووجد أن ستة من كل عشرة يشكون من انخفاض في قوة السمع كالذي يلازم المتقدمين في العمر. وموسيقى الروك هي أحد الاسباب التي تضعف السمع، فالصوت في قاعة موسيقى الروك يفوق مستوى ١٢٠ ديسيبل الذي يكاد يقارب قوة صفارة انذار. والآلات العالية التقنية، مثل الستيريوهات المجسَّمة النقالة، تشكل تهديداً خطيراً للسمع.

إشارات خطر. مهما يكن الأمر فان الذين يعيشون في بيئة ضاجّة يخاطرون بأكثر من آذانهم.

فقد أظهرت الدراسات انهم قد يعانون ارتفاعاً في مستويات الكولستيرول واصابات بقرحات المعدة والامعاء وارتفاعاً في ضغط الدم وحالات شاذة في نبض القلب اكثر من الذين يعيشون ويعملون في بيئات هادئة.

ان الضجة القوية تحفز الجسم على الاستجابة "بالمقاومة أو بالفرار" ويعني ذلك ارتفاع مستوى الادرينالين يليه ارتفاع ضغط الدم واتساع بؤبؤي العين وتقلص العضلات.

والضجة كانت لأسلافنا دليل خطر غالباً، وهذه الاستجابات ساعدتهم في التغلب على مصاعبهم الطارئة. أما اليوم، اذ تُحرك الضجة التي لا تهدأ ردود الفعل ساعة بعد ساعة، فانها تسبب صعوبة في التنفس وتعباً وارهاقاً وأرقاً وما يتبع كل هذه من ضرر للصحة.

وقد تبين حين عرّضت قرود لضجة متواصلة، أن ضغط دمها ارتفع بمعدل ٣٣ في المئة واستمر على هذا المستوى وقتاً طويلا بعدما خمدت الضجة.

والضجة المصحوبة ببعض المواد الشائعة الاستخدام قد تزيد تلف السمع. فعلى سبيل المثال، ان تناول ١٢ حبة أسبيرين يومياً، وهي كمية قليلة يأخذها كثيرون لتخفيف الم التهاب المفاصل، قد تسبب طنين الاذنين في بيئة شديدة الضجة. حتى ثماني حبات يوميا قد تعظّم الضرر الذي تسببه الضجة القوية. والتعاطي المزمن للاسبيرين قد يؤدي الى تلف دائم في السمع (١) فاذا أصابك طنين في الاذن أثناء تناولك الاسبيرين فعليك أن تستشير طبيبك حول امكان خفض الكمية أو ابدال الاسبيرين بمسكّن آخر للألم.

ان الذين يتعاطون الكحول وسط الضجة قد يصابون بضرر في السمع مدى الحياة. ففي عمق كل أذن تحدث الاصوات العالية ارتكاساً سمعياً شبيهاً باغماض العينين نصفياً حين التحديق. فالعضلات تنكمش بهدف خفض انتقال قوة الصوت عبر العظام الصغيرة في الاذن الوسطى بما يصل الى ٢٠ ديسيبل.

مضادات الضجيج. من حسن حظنا أننا لا نعتمد فقط على قدرة الاذنين لوقاية سمعنا. فالعلم والتكنولوجيا هما في طريقهما الى ربح المعركة في صراعهما ضد التلوث الضجيجي. فسيارات اليوم اكثر هدوءاً من أي وقت سابق. وقد خفضت أصوات الطائرات التجارية بنسبة ٥٠ الى ٧٥ في المئة عما كانت في الستينات وأوائل السبعينات، بعدما بينت الابحاث ارتفاعاً غير عادي في ضغط الدم لدى سكان المناطق القريبة من المطارات.

وبرزت طريقة تكنولوجية أخرى تدعى "مضاد الضجيج" (٢). فقد عرف العلماء منذ عشرات السنين أن في الامكان الغاء الصوت اذا صُدمت موجاته بموجات مقابلة مماثلة لها (٣). فعندما تتصادم الموجات تُحدث منطقة صغيرة من السكون.

انما مشكلة هذه المعالجة كانت في معرفة تطبيق هذه النظرية. اذ كيف نميز

(١) الكمية القليلة التي تساعد في منع النوبات القلبية لا تسبب مشكلة.

(٢) Anti - noise

(٣) Mirror - image sound waves

صوتاً ونحلل نمط موجاته ونبثّ للحال صورة مماثلة لكنها مقابلة؟ وفي الثمانينات تسنّى تطوير رقائق للدماغ الالكتروني تفي سرعتها بتأدية هذا العمل.

ويتوافر في السوق حالياً أول جيل من مضادات الضجيج التكنولوجية. فهناك شركة في كولومبيا بولاية ماريلاند تبيع سماعات رأس تخفض صوت المروحية في أذني الطيار ٢٠ ديسيبل. وقد تقدمت بطلب لتسجيل براءة اختراع كاتم مضاد للضجيج في السيارة.

في العام ١٩٨٦ عندما طار الامريكيان ديك روتان وجينا ييغر حول العالم من دون توقف في الطائرة "فويجر"، عمدا الى وقاية أذنيهما بسماعات رأس مضادة للضجيج من صنع شركة للادوات الالكترونية في مساتشوستس. وفي ويسكونسن شركة تسوّق أجهزة لالغاء الهدير في مجاري الهواء والمداخن في المصانع. وتطوّر تكنولوجيا مضادات الضجيج العسكرية للاستخدام في أجهزة السونار ولجعل الغواصات أكثر هدوءاً.

وللتكنولوجيا الجديدة فوائد: فعمال المصانع يترددون في استخدام سدادات الاذنين خشية عدم سماع أصوات تحذير من زملائهم. أما الادوات المضادة للضجيج فيمكن ضبطها لالغاء صوت معيّن فقط، مثل الغاء ٩٩ في المئة من صوت محرك ديزل، مع السماح لشخصين بالتحادث على بعد بضعة أمتار بصوت طبيعي.

خطوط دفاع. ستصبح تكنولوجيا مضادات الضجيج في بداية القرن المقبل أمراً مألوفاً يحذف كثيراً من الضجيج المتكرر ذي التواتر البطيء. والى ذلك الوقت هناك خطوات عملية يمكنكم استخدامها لجعل عالمكم أكثر سكينة:



. اجعلوا منازلكم عازلة للصوت. الصفحات القاسية، كأرضيات البلاط والجدران العارية والمرايا، تعكس الصوت وتضخمه. استخدموا الستائر والسجاد والاثاث الضخم لامتصاص الصوت. وتركيز الغسّالات والخلاطات والخفاقات وسواها من الادوات الكهربائية التي تصدر أصواتاً عالية على حصر من المطاط يساعد في خفض الضجة والصخب. زينوا الارض حول منزلكم باشجار وارفة وشجيرات تعلو حتى النوافذ فتمتص الاصوات الخارجية، وأحكموا سد الشقوق حول النوافذ والابواب لمنع نفاذها الى الداخل.



. عند سماعكم صوتاً عالياً مفاجئاً لا تخجلوا من وضع أصابعكم على آذانكم. ولدى استخدام معدات كالمنشار الكهربائي أو المكنسة الكهربائية استعملوا سدادات للاذنين أو سماعات رأس مانعة للصوت. ان حشوات القطن لا توفر سوى قليل من الوقاية للاذنين، ولكن يمكن شراء اسطوانات اسفنج - بلاستيك رخيصة تنتفخ فتملأ قناة الاذن وتؤمن حماية أقلّها خفض ٢٠ ديسيبل.



. أدعوا الى التزام السكون والهدوء لأن التخلص من الضجة الشديدة هو حق مدني اجتماعي. وقد يبدو تسجيل محضر مخالفة في حق بائع الجيلاتي في احدى

بلدات بنسلفانيا لمناداته بأصوات عالية في ناقلته، وتغريم الموسيقيين العازفين في شوارع سان فرنسيسكو، ضرباً من المغالاة. لكن سلطات معظم المدن الكبرى في الولايات المتحدة حضّرت مشاريع قوانين ضد الضجيج، وسيتم تطبيقها اذا نادى الشعب بذلك. وللحكومة الامريكية ما يدفعها الى ذلك، اذ انه خلال السنين العشر المنصرمة ناهزت طلبات تعويض العمال والعسكريين من جراء تلف في السمع أثناء الوظيفة ملياري دولار.



• أفسحوا في المجال للهدوء. واجعلوا لكم ملجأ يقيكم صخب العالم حيث يدرك الآخرون انكم لا ترغبون في أي ضجة. وعيّنوا وقتاً منتظماً تتمتعون فيه بواحة من الهدوء، وستكتشفون عاجلا أن أصوات السكون ذهبية حقاً.

لويل بونتي■



المشكلة في...

المشكلة في دقة المواعيد هي أنك تصل فلا تجد من يقدر لك دقتك.

المشكلة في تربية الاولاد هي أن قدمك تظل على الكابح حتى بعد توليهم عجلة القيادة.

المشكلة مع الجهل هي أنه يكتسب ثقة كلما تقدم.

المشكلة مع الصراط المستقيم هي أنه يمر في أرض قفر.

المشكلة مع الخبرة أنها تعلمك أموراً لم تكن ترغب حقاً في معرفتها.

المشكلة في أن تكون قدوة لأولادك هي اضطرارك الى انتزاع كل المرح من منتصف عمرك.

المشكلة في تقديمك اقتراحات ذكية هي أنك عرضة لأن تُنتدب لتنفيذها.

صحيفة "نيوز تايمس"

الحب سر الشعر

الطبيعة، كالشاعر العظيم، تحدث أروع النتائج بأصغر الوسائل. فالطبيعة لا تحوي غير الشمس والاشجار والازهار والماء والحب. ولكن من فرغ قلبه من الحب لا تعني له هذه الاشياء أي قيمة شعرية. فالشمس بالنسبة اليه جرم سماوي يبلغ قطره عددا من الكيلومترات، والاشجار صالحة للاحتطاب والتدفئة، والازهار تقسم فصائل وأنواعا، والماء رطب.

هـ. هـ.

مطاردة المجرمين بـ... التلفزيون

كان مارك غودمان (٢٧ عاما) يمضي آخر أيامه في سجن بالم بيتش في فلوريدا تنفيذاً لحكم قضى بحبسه مدة قصيرة لاشتراكه في جريمة سطو.

مساء ١٥ مايو (أيار) ١٩٨٨ جلس وزملاؤه أمام جهاز التلفزيون في السجن لمشاهدة برنامج "أخطر المطلوبين في أمريكا" (١) وهو أحد أكثر البرامج التلفزيونية شعبية.

فجأة شاهد غودمان وجهه على الشاشة. فهو كان أحد المطلوبين في ولاية "أوكلاهوما" بعد فراره من السجن الاتحادي حيث احتجز في انتظار محاكمته بتهمة سطو مسلح على مصرف. وها هو التلفزيون يعرض وقائع تلك الجريمة وذلك الفرار. حاول غودمان أن يغير القناة، لكن السجناء الآخرين تعرفوا

(١) America's Most Wanted



برنامج تلفزيوني ناجح أدى عرضه الى القبض على عشرات المجرمين الفارين

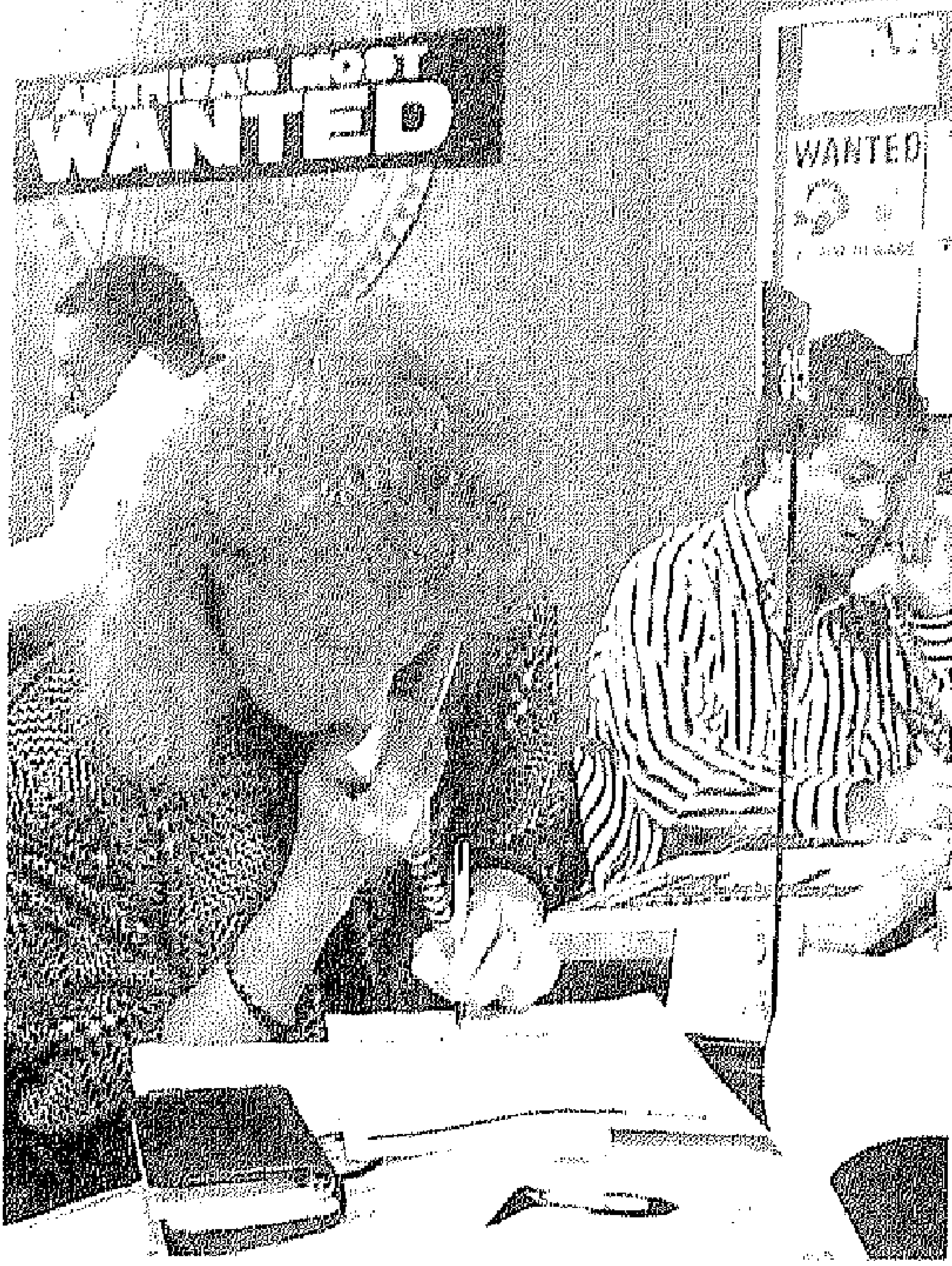
اليه وأخبروا الحراس، فنقله هؤلاء الى جناح آخر حيث الحراسة أكثر تشدداً.

مارك غودمان واحد من ٣٥ مجرماً تم القبض عليهم بناء على معلومات مفيدة تلقتها السلطات من مشاهدي البرنامج التلفزيوني "أخطر المطلوبين في أمريكا" الذي يقدّم عرضاً مسرحياً لأحداث الجرائم التي اقترفوها أو تلك المنسوبة اليهم.

في البدء كان هذا البرنامج، الذي تنتجه شركة "فوكس" في استوديو لها في واشنطن، يبث عبر المحطات السبع التي تملكها الشركة. أما الآن، نظراً الى شعبيته المتزايدة، فهو بات يبث عبر ١٢٥ محطة في أنحاء الولايات المتحدة.

أول فار قبض عليه هكذا كان جايمس روبرتس (٤٤ عاماً) الذي ظهرت صورته في العرض الاول للبرنامج. وكان روبرتس فرّ في العام ١٩٨٦ من سجن في ولاية انديانا حيث كان ينفذ ستة أحكام بالسجن المؤبد بعد تنفيذه سلسلة جرائم قتل طاولت خمسة أشخاص بينهم طفلان. ولقد قبض عليه بعد أربعة أيام من عرض البرنامج، وذلك بفضل أربعة عمال كانوا يعملون معه في مأوى للمشردين في جزيرة ستاتون بنيويورك وهم تعرّفوا اليه بعد مشاهدة البرنامج.

خطوط "ساخنة". في كل حلقة من البرنامج عرض لجريمتين أو ثلاث. وغالباً ما يساهم الضحايا الحقيقيون في التمثيل الى جانب ممثلين محترفين. وتتضمن بعض المقاطع مقابلات مع شهود ورجال شرطة وصوراً للمجرم الفار



وأوصافه وخصائصه النفسية المميزّة. وعلى أثر العرض تنهال على الاستوديو مئات الاتصالات من أنحاء البلاد يجريها مشاهدون عبر خطوط هاتفية مجانية للطوارئ. وهناك ٤٢ موظفاً يتلقون المكالمات ويحولون المهم منها الى رجال الشرطة والتحري المعنيين بالقضايا المعروضة والمرابطين في الاستوديو ذلك المساء.

في شهر ابريل (نيسان) ١٩٨٨ اقتحم ٣٠ شرطياً الطبقة السفلى في مبنى في بروكلين بنيويورك. وبعد عراك وجيز اعتقلوا كارل دنستروم (٣٨ عاماً) المطلوب في ولايتي ميريلاند ونيويورك لتورطه في جريمة قتل متصلة بالمخدرات ذهب ضحيتها خمسة أشخاص، وفي قضية اطلاق نار.

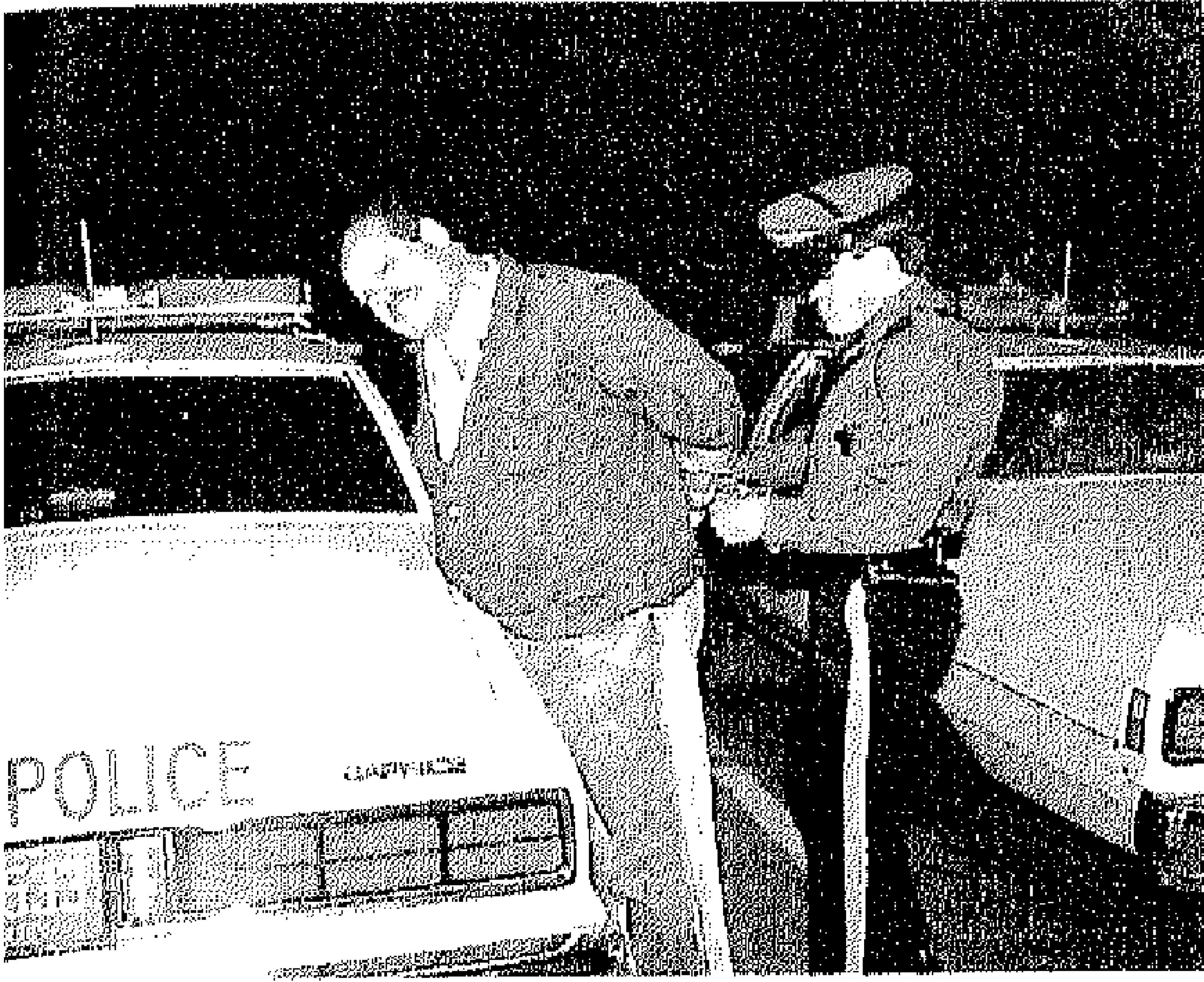
وكان التلفزيون قدم مساء ١٣ مارس (آذار) عرضاً مصوراً لحادث اطلاق النار في ميريلاند. وقد أدت المعلومات التي

قدّمها المشاهدون الى توقيف المجرم.

صباح كل خميس يجتمع منتج البرنامج مايكل ليندر مع مساعديه لاختيار المقاطع المناسبة للحلقات المقبلة. وهم يتحركون بسرعة، ففي شهر مايو (أيار) ١٩٨٨، مثلاً، تلقوا مكالمة هاتفية من الرقيب جيري روغالسكي في ولاية وسكنسن أعلمهم عن جريمة قتل اقترفها عام ١٩٨٣ أربعة أشخاص في عصابة يمتطي أفرادها دراجات نارية وذهبت ضحيتها فتاة في مقتبل العمر. وقد أوقف جميع المشتركين في الجريمة الا واحداً اسمه دنيس ستمبنر.

وللحال اتصل المنتج بمخرج اسمه مايكل سيرني وزوده ملفاً ضخماً ضمّ مذكرات توقيف وقصاصات من صحف محلية وتقرير الطبيب الشرعي الذي عاين جثة الضحية. وبعد مقابلات أجراها المخرج مع عائلة الضحية، وبمعاونة دائرة الشرطة في المدينة، تمكن من تصوير مشاهد من الجريمة التي وقعت عام ١٩٨٣. وعرض الشريط على شاشات التلفزيون في ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٨٨. وبعد عشرة أيام أوقف ستمبنر في مزرعة للجياد في ولاية كولورادو حيث عمل لمدة أربعة أيام.

إشراك الناس. تبدأ جميع حلقات البرنامج باظهار جون والش وهو يسير بخطوات واسعة. ثم يقدم موضوع الحلقة ويعطي أوصاف الشخص المطلوب الذي تظهر صورته على الشاشة. ويخاطب والش الجمهور قائلا: "انني في حاجة الى مساعدتكم. تمعنوا في هذا الوجه، وان



كنتم تعلمون أين سيكون هذا المساء فاتصلوا بنا في الحال، وهكذا تساعدون في القبض على واحد من أخطر المجرمين الفارين من وجه العدالة في أمريكا."

أحد العناصر الرئيسية في نجاح البرنامج هو والش نفسه الذي يبلغ الثالثة والاربعين من العمر وكان في وقت سابق مستشاراً في ادارة الفنادق. وهو تعلّم أمور الجريمة بطريقة قاسية ومؤلمة. ففي العام ١٩٨١ خطف ابنه آدم وهو في السادسة من عمره وقتل. ويقول والش: "كنت أعتقد أنني حققت حلمي، فلدي عمل جيد، وعائلة رائعة ومنزل في فلوريدا المغمورة بأشعة الشمس. وذات صباح ذهبت زوجتي الى الدكان وخطف ابننا. أما القاتل فلم يعثر له على أثر."

منذ ذلك التاريخ كرس والش حياته للمكافحة في سبيل حماية الاطفال. وهو يقول: "لست شرطياً ولا عضواً في لجنة أمن أهلية. لكن هناك ٣١٥ ألف مجرم فار يسرحون ويمرحون. وهذا البرنامج هو فرصتنا لاثبات قدرة المواطنين العاديين على قلب هذا الوضع."

في البدء شكك رجال الامن والشرطة في البرنامج. "أما الآن، يقول المنتج ليندر، فإنهم يمطروننا بوابل من المعلومات وطلبات المساعدة" ولقد عيّن مكتب التحقيقات الاتحادي (FBI) عدداً من عملائه مستشارين في البرنامج. وظهر رئيس المكتب وليم سيشونز في إحدى الحلقات ليعلن إضافة ثلاثة أسماء جديدة الى اللائحة الشهيرة التي وضعها المكتب بأسماء "أخطر عشرة فارّين مطلوبين" والتي استُمدّت منها الحلقات. ولقد تمّ اعتقال أحد المشبوهين الذين سمّاهم المكتب بعد فترة وجيزة وبناء على معلومات من أحد مشاهدي البرنامج.

نقّاد وأنصار. يقول روبرت مورغنتو المدعي العام في مانهاتن في نيويورك: "مطاردة المجرمين باهظة الكلفة. ويعرف رجال التحري ورجال مكتب التحقيقات الاتحادي أشهراً في تعقبّ مجرم واحد. وهذا البرنامج طريقة رائعة توفر مئات ألوف الدولارات."

غير أن هناك فريقاً من الناس غير متحمس للبرنامج باعتباره بالغ الاثارة والعنف، كسواه من البرامج الشبيهة به مثل "قضايا غامضة لم تحلّ" (٢) من انتاج شركة «NBC» و"قضية عالقة" (٣) وهو إنتاج آخر لشركة "فوكس". وبرنامج "أخطر المطلوبين في أمريكا" يصور عادة الجرائم العنيفة حيث تغتصب الضحايا وتضرب حتى الموت أو تطلق عليها النار من مسافة قريبة جداً.

يقول ليندر مدافعا: "يعود منتجونا الميدانيون بمواد فظيعة نحاول دائماً تلطيفها وتخفيف بشاعتها. فنحن لا نبغي تنفير الجمهور أو إثارة اشمئزازه بتعريضه لمشاهد وحشية" وهو يؤكد أن ليست في البرنامج مقاطع مرتجلة، ويضيف بإصرار: "انه ممارسة صحافية جيدة وعمل تأديبي يشجّع الانضباط ويحض عليه."

وفي ملاحظة أبدتها كولين أوكونور مديرة قسم التربية الشعبية في "الاتحاد الامريكي للحريات المدنية" أن البرنامج يصوّر أحياناً كثيرة جرائم منسوبة الى المشتبه بهم. وتساءلت: "كيف لشخص صوره التلفزيون مجرماً قاتلاً أن يحظى بعد ذلك بمحاكمة عادلة؟"

يؤكدّ ليندر أن قضايا الحريات المدنية لا تغيب أبداً عن أذهان المنتجين والمخرجين، وأن البرنامج يصور غالباً مجرمين فارين دانتهم المحكمة وأصدرت عليهم أحكاماً، لا مشبوهين لم تصدر في حقهم أحكام بعد. ولكي تبقى المكالمات الهاتفية محصورة بالمواطنين ذوي الحس العام، امتنع البرنامج عن تقديم أي مكافآت، وحتى عن اعلان المكافآت التي تخصصها هيئات عامة وخاصة لمن يرشد الى الشخص المطلوب.

قصّتا نجاح. قليلون هم الذين ينكرون على البرنامج نجاحه. وذات مرّة تمّ توقيف أحد الفارين قبل عرض الحلقة الخاصة به. ففي نهاية الحلقة التي قدّمت في ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٨٨ ظهرت على الشاشة لمدّة ١٥ ثانية صورة جايمس

(٢) Unsolved Mysteries

(٣) A Current Affair

تشارلز ستارك المحكوم غير مرة بجرائم أخلاقية والمطلوب في كاليفورنيا لتورطه في جريمة قتل. وكان ذلك عرضاً لمشاهد من حلقة الاسبوع التالي.

ما ان انتهت الحلقة حتى تلقى البرنامج بضع مكالمات هاتفية وردت جميعها من ولاية ميشيغن، تعرّف اصحابها الى ستارك وفي صباح اليوم التالي أوقف الفارّ في مكان عمله في مرأب لغسل السيارات في آن آربور.

وهناك فارّ واحد على الأقل شاهد صورته على شاشة التلفزيون ولم ينتظر السلطات لتقبض عليه. إنه ستيفن راندل داي الذي كان مطلوباً لعلاقته بجريمة قتل حصلت عام ١٩٨١ في كليفلاند وذهب ضحيتها راكب دراجة نارية، كما اتهم لاحقاً باطلاق النار على رجل.

ومثل برنامج "أخطر المطلوبين في أمريكا" حادث اطلاق النار في نيوجيرزي. وتخلل الحلقة عرض صور التقطتها الشرطة لستيفن داي ووصف دقيق ومفصّل لوشم يحمله في جسده ومعلومات عن تعاطيه الكحول بكثرة وعن نمط حياته الانعزالية.

لم يستطع داي أن يتحمل ذلك كلّه. وبعد أسبوعين أوقف سيارة شرطة في سان دييغو بكاليفورنيا وسلّم نفسه. انه الان في نيوجيرزي ينتظر محاكمته.

وحسناً فعل داي إذ سلّم نفسه. فبعد عرض الحلقة الخاصة به تلقى البرنامج أكثر من ٣٠٠ مكالمة هاتفية من مشاهدين تعرفوا الى داي وقالوا انهم شاهدوه في جوار سان دييغو.

فرنك بريال ■



نافذة على البحر

اتصلت بفندق مشرف على البحر لاحجز غرفة لنهاية الاسبوع. فصُدمتُ عندما ذكرت لي الموظفة ايجار الغرفة الغالي جداً. فطلبت منها أن تبقى على الخط ريثما أستشير زوجي في الموضوع. وبعدما اخبرته عن السعر أضفت: "هذا لان الغرفة مطلة على البحر."

فهتف: "تباً لهم ولفندقهم! اسأليها هل تقبل بسعر مخفّض اذا لم ننظر من النافذة."

د.غ.

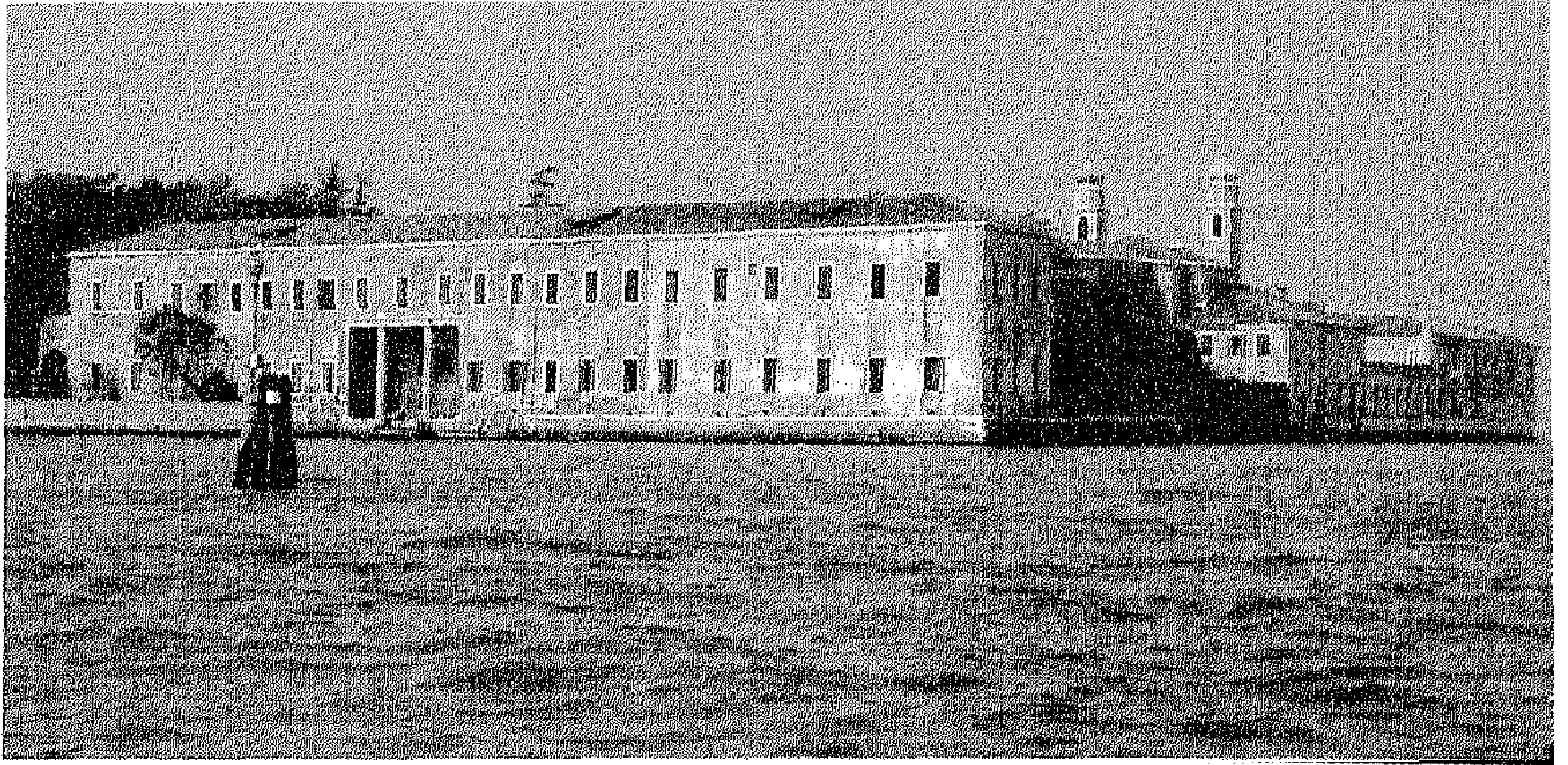
جدة متصابية

عندما بلغت جدتي عمر الـ١٠٣ سنوات زارها صحافي من الجريدة المحلية لاجراء حديث معها حول سر عمرها الطويل. وبعد جلسة طويلة من الاخذ والرد تفرّست جدتي في عيني الصحافي الشاب وقالت بحدة: "أكتب ما شئت، ولكن حذار أن تذكر عمري!"

ف.هـ.

إحياءُ التراث المعَماري

تستيقظ جزيرة سان سرفولو على صراخ طيور النورس وهدير محركات الزوارق وهي تشق طريقها عبر البحيرة. وتقرع الاجراس في قببها المخبأة في الضباب. قبيل الثامنة يصل زورق الخبز، وخلال ساعة تزبد الجزيرة بالحياة. في دكان الحداد يرتدي العمال ثيابهم القطنية ويضربون بمطارقهم قضبان الحديد الحمراء المحماة. وفي دكان البنّاء ينحت التلامذة قطع الرخام في اشراف أستاذهم



مدرسة فريدة في جزيرة قرب البندقية يتعلم فيها الحرفيون مهارات معقدة للمحافظة على كنوز الماضي

الآتي من فيينا. وفي دكان النجارة تتجمع النشارة حول اقدام حفّاري الخشب المنغمسين في عملهم.

هكذا يبدأ نهار آخر مفعم بالنشاط في "المركز الاوروبي لتدريب الحرفيين على صون التراث المعماري" قرب مدينة البندقية. وقد أنشئت هذه المدرسة لتهيئة جيل جديد من الحرفيين المهرة بغية الحفاظ على كنوز الماضي المعمارية. ومنذ العام ١٩٧٧ خرّجت نحو

Photos: ELBERT

٧٠٠ تلميذ من ٣٠ بلداً بما فيها الجزائر والاوروغواي وأوستراليا والنيبال، تعلموا فنون التنظيف والنقش والنحت والزخرفة. وفي كل فصل دراسي يتم تعليم أربعين حرفياً انتاج روائع جمالية ليست ممكنة إلا باليد. ومن بين أيديهم يعود الماضي الى الحياة.

إن الحاجة الى المحافظة على الفن المعماري بيِّنة منذ زمن بعيد. فبعد الدمار الناتج من الحرب العالمية الثانية ركزت أوروبا جهودها على اعادةالبناء. كان لا بد من تشييد أبنية جديدة بأسرع ما أمكن. وطوال عقود أهملت الاساليب القديمة وتضاءلت فئة الحرفيين الذين شيدوا الصروح المجيدة في الماضي الى حد الانقراض.

ولم يتنبه الناس للخطر الا بعد الخراب الوشيك للبندقية. ففي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٦ اجتاحت الامطار والسيول ايطاليا وظلت البندقية مغمورة تحت مترين من المياه لمدة ثلاث عشرة ساعة. فأحدثت الكارثة رد فعل فورياً على مستوى العالم بأسره. وتدفقت الاموال من أجل انقاذ "مدينة القنوات" ومن ثم اعادة بنائها. وحمل المجلس الاوروبي مشعل المحافظة على التراث أبعد من ذلك. ففي أوائل السبعينات استفتى الدول الاعضاء، وكان مجموعها ١٨، سائلا عن المتطلبات التي يقتضيها اطلاق مجهود أوروبي عظيم. فكان الجواب بالاجماع: الحاجة الى حرفيين مهرة.

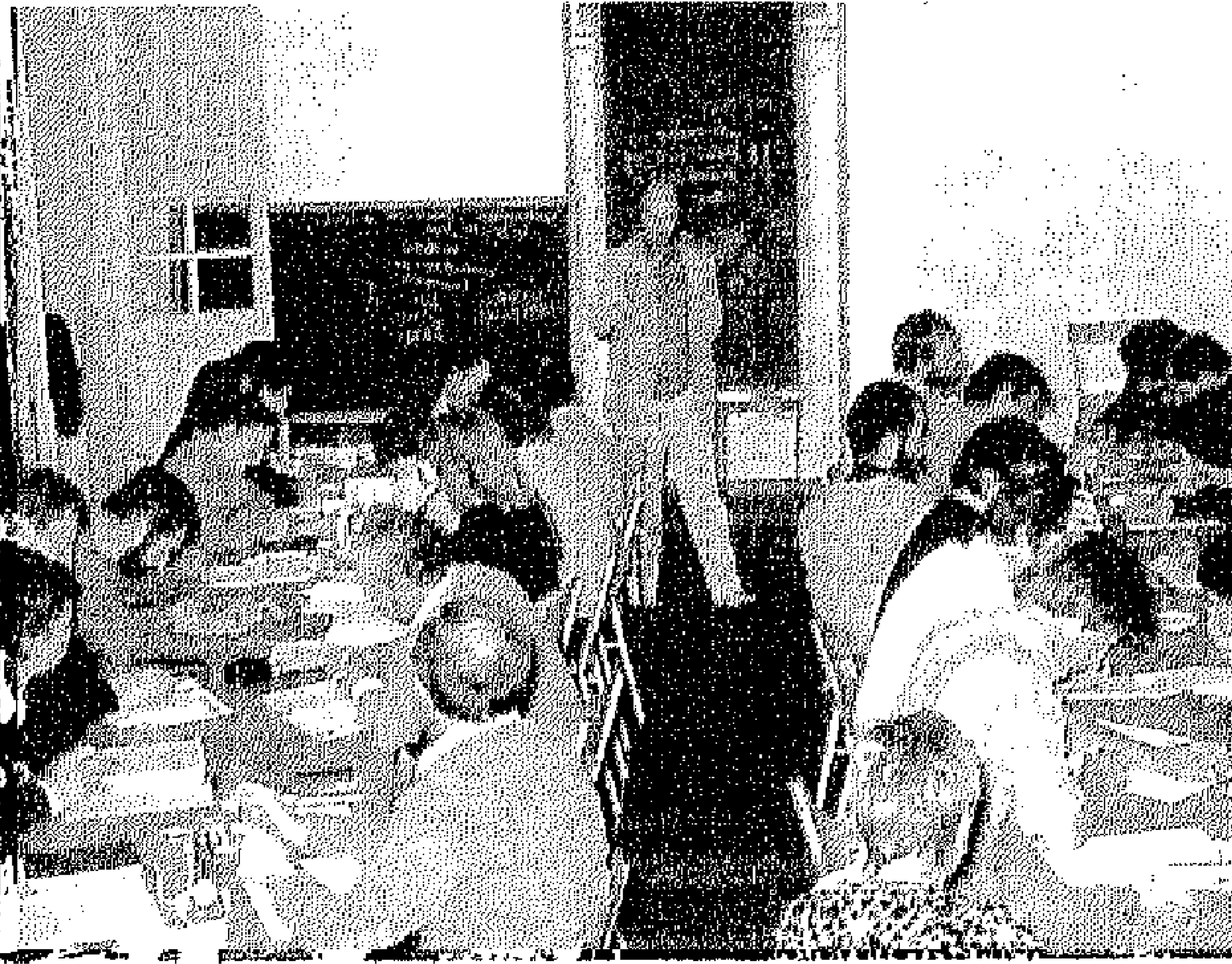
اتصال وتعاون. هكذا ولدت فكرة ايجاد مركز تدريب دولي، وأعلن العام ١٩٧٥ "عام التراث المعماري الاوروبي." وبعد سنتين تمّ افتتاح المدرسة في البندقية برئاسة ولفديتريتش ألبرت وهو المشرف على برنامج التراث المعماري في المجلس الاوروبي. لكن الامتداد اللامركزي للمدرسة على نطاق منطقة كاستيلو أثبت انه غير عملي. وفي العام ١٩٨٠ منحتها السلطات المحلية أبنية على جزيرة سان سرفولو. وهكذا أصبح للمركز مقر ثابت.

أول من استوطن هذه الجزيرة كان الرهبان البنديكتيون في القرن التاسع. بعد ذلك تحول ديرهم مصحاً للأمراض العقلية، وقد تهدم بعد إغلاقه في العام ١٩٧٨. أما اليوم فإن سان سرفولو مكان جميل وبهيج. والعشب في الحدائق مخضوضر، والفجوات المثقوبة في الجدار الذي يمتد على حافة الجزيرة تطل على مياه البندقية الرمادية الضاربة الى الزرقة، بطرقها المبنية على دعائم وجزرها البادية عبر الضباب.

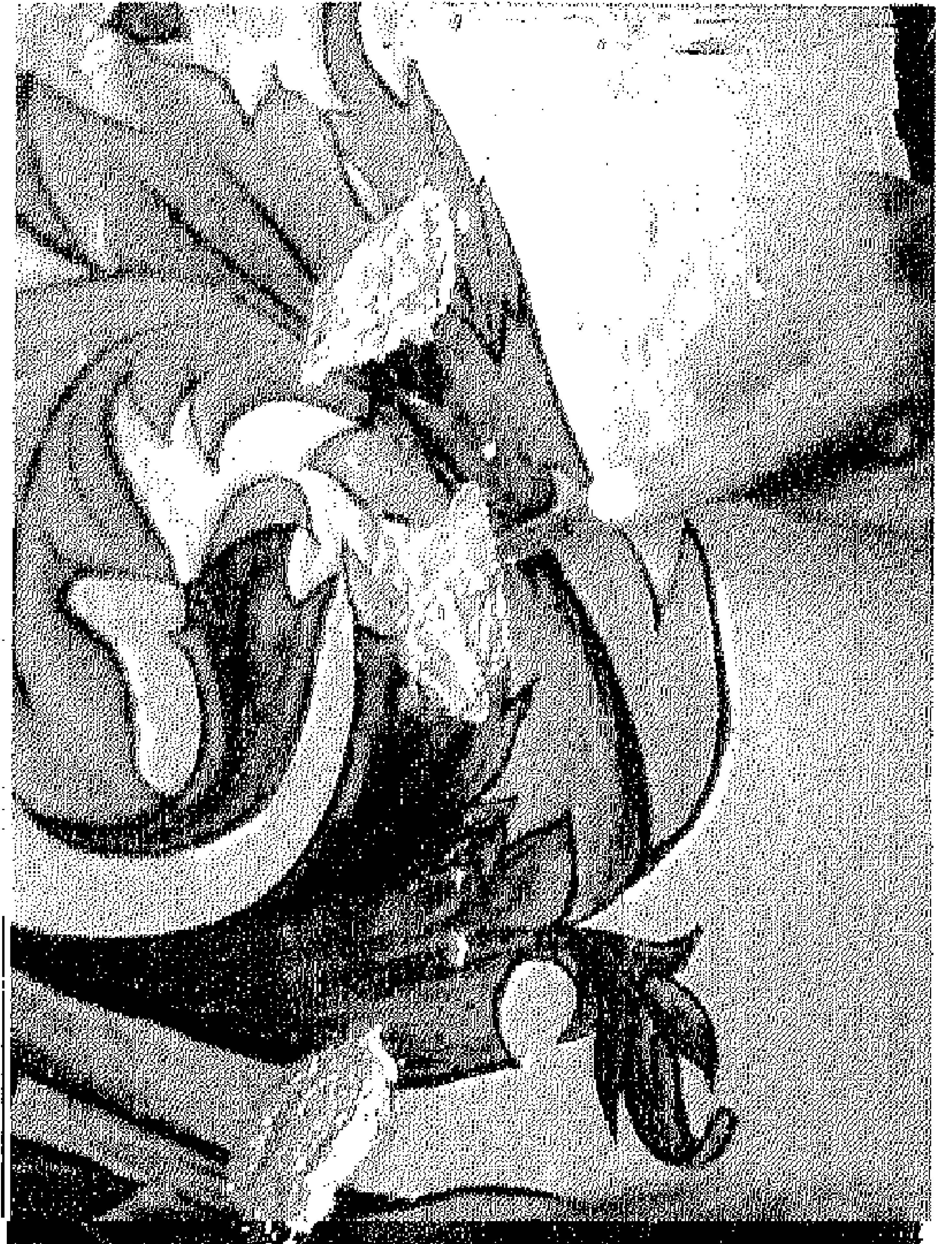
والمدير ألبرت ألماني مرح ذو ضحكة معدية يتكلم اللغات الاربع المعتمدة في المركز، وهي الايطالية والانكليزية والفرنسية والالمانية، متنقلا من لغة الى اخرى وهو يرد على سيل لا ينتهي من المكالمات الهاتفية والزوار. ويعتقد ألبرت، وهو معماري بالخبرة، أن التراث المعماري يجب أن يحفظ على أساس من المعرفة الواسعة الشاملة. يقول: "الابنية أنظمة. فهي ليست مبنية بالحجار وحسب، بل بالحديد والخشب والدهان. على كل من يعمل في صونها أن يفهم هذه المواد والطريقة التي يتبعها الحرفيون الآخرون في العمل."

ان التشديد على الاتصال الدولي والتعاون بين الاختصاصيين بمختلف فروع المعرفة هو من أهم مقوّمات المركز. لهذا السبب، مثلاً، عاد التركي أردال ارن (٣٦ عاماً) لتلقي دورة ثانية في العام ١٩٨٦. وعلى رغم كونه مهندساً معمارياً فهو أتى ليدرس فن البناء. يقول: "كان علي أن أتعلم كيف يعمل الحرفيون وماذا أستطيع أن أطلب منهم. وكنت في حاجة الى أن أتعلم كيف يزاول الناس في البلدان الاخرى شؤون الصيانة لأرى ما اذا كانت لديهم حلول للمشاكل المشتركة."

خليط لغات. لا يقبل في مدرسة سان سرفولو الا الحرفيون الذين يملكون خبرة سنوات في العمل. والى كتب التوصية والصور الفوتوغرافية التي تظهر مهاراتهم، على المتقدمين بطلبات







الدخول أن يظهروا مواهبهم الفنية. يقول ألبرت باصرار: "نحن نعتقد بضرورة وجود الموهبة في ما يختص بأعمال الصيانة. ان حرفيي الماضي كانوا فنانين،" وهو لا يرى سبباً لأن تكون المستويات العصرية أقل صرامة. أما القلة التي تُقبل فتغطى تكاليفها، التي تبلغ سبعة ملايين لير (٤٨٠٠ دولار) للشخص الواحد، بمنح

(فوق) الطلاب في احد الصفوف. (اعلى اليمين) عمل ميداني في مقبرة تاريخية. (تحت) تدريب عملي، هنا طالب يرمم نقشاً جصّياً.

تقدمها "لجنة المجموعة الاوروبية" والحكومات ورابطات الحرفيين وغيرها من المؤسسات العامة والخاصة.

وبما أن الدروس تعطى بلغات أربع فإن الاساتذة، وهم خبراء عاملون، يستعينون بمترجمين تدربوا في سان سرفولو لتغطية جميع التعابير التقنية. لكن الاتصال الحقيقي يحدث في المشاغل فوق السندان والازميل والمنشار. ففي مشغل النجارة تتعلم النروجية هان - كاري بيورك (٣١ عاماً) أسلوب التطعيم الذي كان سائداً في القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر. على اللوحة أمامها فصّلت زهرة رشيقة هيفاء، وعليها تطعيمها بأجزاء صغيرة من الاخشاب الملونة. إنه لعمل دقيق. ويجتمع حولها جمهور من النجارين الزملاء. ويأتي التعليق والتشجيع بخليط من اللغات وما من مترجم لينقل اليها ما يجري.

في كل خريف وربيع تعطى ثلاثة أو أربعة مقرَّرات دراسية. والى ذلك يقدم المركز دورات مكثفة تستغرق كل منها خمسة عشر يوماً في حقول متخصصة مثل اللحام بالنار والرسم اليدوي والتطعيم والصب.

والاكثر رواجاً بين المواضيع التي تعطى على نحو مكثف هو بلا شك الجص الرخامي (*) وهو أسلوب يصنع من الجص شبيهاً مذهلا للرخام، ويتضمن خلائط جصية ملونة افرادياً من الجبس والصمغ والخضاب تخلط معاً وتترك لتشتد ثم تقطع لتظهر طبقات من الألوان. وبعد أن يلصق هذا المزيج الجصي على الجدار يصقل بالخفاف أو بورق الزجاج سبع مرات ويطلى بشمع النحل حتى يكتسب لمعان الرخام.

وبقية الحرف التي تعلم في سان سرفولو لا تقل تعقيداً. على بنائي الحجار أن يعرفوا أي نحت يعتمدون في كل نوع من الحجار. وعلى رسّامي الجص أن يعرفوا تماماً متى يكون الجص على مقدار كاف من الجفاف، وفي الوقت نفسه على مقدار كافٍ من الرطوبة، ليمتزج كيميائياً مع أصباغهم.

حرفي عالم مفكر. على اللوح الاسود في مشغل الحدادة رسم تصميم ذو ثلاث شعب ناتئة في شكل ثنيات تشبه الزهور. وكتبت الى جانب هذا التصميم كلمة "بيزنطي" بأحرف كبيرة. يمسح الاستاذ الالماني الغربي كارل ماير العرق عن جبينه وينحني مرة أخرى فوق السندان مع أحد التلاميذ. يرفعان قضيب الحديد الطويل من النار. طرفا القضيب المفلطحان على طريقة التصميم البيزنطي يتوهجان بلون برتقالي لامع. والهدف قولبة المعدن بدقة على السندان وهو لا يزال على درجة من الحرارة تجعله طيعاً.

يضرب الرجلان قضيب الحديد في ايقاع ثابت. ومع كل ضربة ينحني الحديد ويضيق ويمتد، وبعد دقيقة يجب أن يعاد الى النار. وعندما حان المساء كان قضيب الحديد تحول زهرة منمقة.

إن العمل التطبيقي، كالنحت بالازميل والرسم والتطريق، لا يشكل سوى نصف

(*) Marbled stucco

البرنامج التعليمي، اذ ان اهتماماً مماثلا يولى العمل النظري. يتابع الحرفيون مقرراً دراسياً مكثفاً لتاريخ الفن المعماري ويدرسون الكيمياء والرسم ومواد البناء وأساليبه والمفاهيم الصيانية وحتى اللغة الايطالية. وكل أسبوعين يذهبون في رحلات ميدانية الى أمكنة مثل فلورنسا وكارارا وفيسنزا لمشاهدة بعض أعظم الروائع الايطالية المعمارية. يقول سيمون واراك وهو بناء بريطاني: "علينا أن نكون مزيجاً من الحرفي والعالم والمفكر."

ويطلب من المشتركين أيضاً أن يقدموا ما يسمى "مشروعاً للبندقية"، وهو دراسة حول عنصر معماري اعتُمد تكراراً في البندقية. وقد أنجز المشتركون أكثر من أربعين مشروعاً صيانياً كجزء من عملهم التطبيقي. فساعد بناؤو المركز، مثلا، في صيانة الـ"بونتي ديلا باليا" وهو جسر ضخم يقع قرب قصر الدوج حيث تشاهَد الليدو عبر قناة سان ماركو. وبفضل تدربهم على أساليب النقش الحجري القديمة، أعاد الحرفيون بعض الزخارف التي كانت سقطت عن الجسر. وبطلب من اللجنة الفرنسية لحماية البندقية كان مجصّصو المركز في عداد الفريق الذي ساعد سنتين في صيانة الزخارف الجصية المعقدة في كازينو فانييه، وهو أحد أجمل الامثلة على نقش الركوكو الجصي في البندقية.

ومع ذلك فإن ألبرت لا يزال يشدد على "اننا لسنا هنا لانقاذ البندقية. فعلى الحرفيين الزائرين أن يعودوا الى ديارهم ليضمنوا مضاعفة النتيجة."

وإنهم يقومون بذلك على أتم وجه. إنسي دوراك امرأة تركية في الثالثة والاربعين من عمرها تعمل في صيانة القصور والمنازل الملكية الثمانية في اسطنبول، وهي تلقت دروساً في النقش الجصي والنقش الجصي - الرخامي، والآن تنقل المعرفة التي تلقتها الى الاعضاء الخمسة الباقين في فريق الصيانة الذي تعمل معه. كذلك هيلينا فان در غرينتن (٣١ عاماً) تابعت دراسة النجارة لمدة ثلاثة أشهر في سان سرفولو عام ١٩٨٢ وهي الآن تؤدي دوراً رئيسياً في صيانة متحف ريجكس في أمستردام بهولندا.

أما جان هنري لوبيز، وهو حداد في الحادية والاربعين من عمره من ستراسبور بفرنسا، فيرى أن التجربة في سان سرفولو تعني "انفتاح الروح وتوسيع حبي لعملي."

في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦، احتشد مئتا تلميذ سابق من مدرسة سان سرفولو في آنسي بفرنسا، ملبين دعوة الى المؤتمر الثاني لخريجي المركز. ويظهر التضامن واضحاً بين الخريجين الذين يتبادلون المعلومات ارادياً بهدف انجاز المهمات المطلوبة على أكمل وجه. وهم يشعرون بأن مسؤولية ضخمة ألقيت على عاتقهم، ويكدّون ليكونوا أهلا لها.

وان التراث المعماري في أيديهم، وسيكون مستقبله نيِّراً.

بريسيلا باكلي ■

التحفظ هو فن اخفاء ما لا سبيل الى اصلاحه. مثل اسباني



تقرير خاص

الكلسيُوم يقـوّي العظَـام

في مستهل هذا العقد كانت قلة من الناس تولي مادة الكلسيوم أي اهتمام، باستثناء الحوامل و"مهووسي الصحة". أما اليوم فيعلن وجود الكلسيوم في كل شيء، حتى في المرطبات والعلكة (اللبان). وفي وسع المتسوقين في المخازن الكبرى أن يملأوا عربة كاملة بأصناف الاطعمة المتفاخرة باحتوائها على الكلسيوم، وإن يكن آتيا فقط من الحليب المضاف الى تلك الاصناف.

وعلى رغم الضجة الاعلامية الحاصلة فان الجمهور يبقى جاهلا على نحو خطر

Illustration: Teresa Fasolino

حقيقة هذا المعدن الحيوي والدور الاساسي الذي يؤديه في جسم الانسان.

شعور مفاجئ. عام ١٩٨٤ أعلن الدكتور روبرت هيني، وهو باحث شهير في أمراض العظم في جامعة كريتون في أوماها، نتائج دراسته التي استغرقت ١٥ سنة وشملت ٤٠٠ امرأة في منتصف العمر. قال في مؤتمر صحافي للجمعية الامريكية لابحاث العظم والمعادن: "النساء اللواتي اتبعن نظاما غذائيا قليل الكلسيوم كن يفرزن من الكلسيوم كمية أكبر مما يتناولن يوميا. لذلك استنتجت أنهن يعانين فقراً في كثافة العظم وأنهن في خطر الاصابة بمرض نخر العظام (١) في فترة متقدمة من حياتهن. أما أولئك اللواتي كن يتناولن كميات كبيرة من الكلسيوم فحافظن على عظام سليمة."

وتابع هيني شارحاً أن نخر العظام مرض غير قابل للشفاء ولكن تمكن معالجته، وهو مرض العظام الهشة الذي يصيب ملايين النساء الاميركيات اللواتي تجاوزن الخامسة والاربعين. وبين ليلة وضحاها أصبح هذا المرض حديث كل بيت. فروَّج منتجو الاطعمة اعلانات تصور النساء المتقدمات في السن يعانين التقلص والاحديداب، وغالباً ما كانت الرسالة تفيد أن تناول الكلسيوم يجب أن يكون من الاهتمامات الاولية للنساء المتقدمات في السن، وأن في امكانهن تفادي مرض نخر العظام بمجرد زيادة استهلاك الكلسيوم.

والحقيقة أن الكلسيوم لا يمكنه شفاء مرض نخر العظام، بل ليس من شيء يمكنه ذلك. والحل الوحيد هو اتقاء حدوث المرض، وهذا يتضمن تناول كمية كافية من الكلسيوم طوال الحياة. لكن غالبية الناس لا يحمون أنفسهم لانهم لا يملكون الحقائق الكافية.

"بنك العظام". ان كمية الكلسيوم في الجسم تفوق كمية أي معدن آخر. والشابة البالغة تحوي في جسدها نحو ١٠٠٠ غرام من الكلسيوم، أما الشاب البالغ فيحوي جسده قرابة ١٥٠٠ غرام. وان ٩٩ في المئة من هذه الكمية موجودة في العظام والاسنان، أما البقية فهي ضرورية لمساعدة كل خلية في الجسم على تأدية وظيفتها.

يرى الدكتور روس أدي، عالم البيولوجيا العصبية ورئيس قسم الابحاث في مركز لوما ليندا الطبي في كاليفورنيا، أن "الكلسيوم ضروري لكل العمليات الحياتية". فدقات القلب والجهاز الهورموني وانقباض العضلات ووظائف الدماغ والعيون والآذان جميعها تعتمد على الكلسيوم. وله أيضاً دور فاعل في عملية تخثر الدم وانقسام الخلايا.

يكسب الكلسيوم هذه التأثيرات الواسعة بفعل عملية معقدة. هناك دائماً نسبة عالية من الكلسيوم في السائل الموجود بين الخلايا والمحيط بها. ولكن داخل كل خلية نسبة ضئيلة جداً من الكلسيوم تساوي جزءاً من عشرة آلاف من النسبة المتوافرة خارج الخلية. لذلك عندما تدخل الخلية كمية ضئيلة جداً من

(١) Ostéoporosis أي تخلخل العظام أو ترققها.

الكلسيوم فانها تتحكم بالنشاطات الحيوية كالايض والنمو والتقلص. ومن دون شحنة الكلسيوم هذه يتوقف الجسم عن العمل.

لا يستطيع الجسم انتاج الكلسيوم. ولكن بما أن وجود مقدار ضئيل منه هو مسألة حياة أو موت، فان الجسم والدماغ لا يتكلان فقط على عادات الشخص الغذائية لتعويض الكلسيوم الضائع من جراء الافرازات والاستهلاكات الطبيعية.

ان "ميزان الكلسيوم" هو في الغدد الجنبدرقية (٤) التي تفرز هورمونات تنظم مستوى المعدن الذي يدور مع الدم وفي السوائل بين الخلايا. وان لم تكن هناك كمية كافية منه فان "الميزان" يعمل على سحب كميات كافية من "بنك العظام."

ان الفترة الممتدة بين الطفولة ومستهل الشباب هي الوقت الملائم لايداع الكلسيوم في "بنك العظام". وقد اظهرت دراسة أجراها الدكتور فيليمير ماتكوفيتش عام ١٩٨٥ في كلية الطب بجامعة واشنطن، أن للعظام اليافعة قدرة على اكتساب قوة وكثافة. وهو اكتشف أن الفتيات المراهقات اللواتي يستهلكن كمية أكبر من الكلسيوم يخترنّ كمية أكبر، وهذا أمر يستحيل حدوثه في سن متقدمة. وفي نحو الخامسة والثلاثين من عمرنا نبدأ جميعنا خسارة كمية من المادة العظمية أكبر مما تستطيع أجسادنا انتاجه، وإذا لم نكن حصلنا على كمية قصوى من العظام الى ذلك الوقت فان انحدارنا سيكون أسرع عندما نبدأ استهلاك الكلسيوم بفاعلية أقل.

ويحدد خبراء "معاهد الصحة الامريكية" كمية الكلسيوم اليومية التي ينصح بها ضمن النظام الغذائي بـ ٨٠٠ مليغرام للذين تراوح أعمارهم بين سنة وعشر سنين و ١٢٠٠ مليغرام للذين تراوح أعمارهم بين ١١ و١٨ عاماً و ١٠٠٠ مليغرام للبالغين و ١٥٠٠ مليغرام للنساء اللواتي قطعن سن اليأس ولا يعالجن بالاستروجين وللمتقدمين في السن. والحقيقة المرعبة هي أن كمية الكلسيوم التي تتناولها غالبية الامريكيين هي أقل كثيراً من الكمية التي يجب تناولها. ويقول الخبراء ان بين كل ست فتيات مراهقات هنالك أقل من واحدة تتناول نصف كمية الكلسيوم المطلوبة.

لماذا هذا النقص؟ في جيل مضى كان الاولاد يتقبلون كلام أمهاتهم: "اشربوا الحليب، انه مفيد لعظامكم."

ان منتجات الحليب الغنية بالمواد الغذائية تؤمن المصدر الافضل للكلسيوم. ويحتوي كوب من الحليب الكامل الدسم على نحو ٢٩٠ مليغراماً من الكلسيوم. أما الحليب القليل الدسم والحليب المقشود فيحتوي الكوب منهما على كمية أكثر من ذلك قليلا. ويحتوي الحليب أيضاً على عدة مواد مغذية ضرورية لامتصاص الكلسيوم، وعلى الفيتامين "د" وكميات عالية من البروتيين. وبناء عليه فان ثلاثة أكواب من الحليب يومياً، اضافة الى وجبات خفيفة من اللبن والجبن، تسد حاجة الولد الى الكلسيوم وتؤمن له عناصر أساسية أخرى.

---

(٤) Parathyroid glands وهي أربع غدد صم صغيرة مجاورة للغدة الدرقية في العنق.

أما المشكلة فهي أن الحليب ومشتقاته أصبحت أغذية غير مستحبة لدى المراهقين هذه الايام. وجزء من السبب يعود الى أن عدداً كبيراً من الفتيات دائمات القلق على الزيادة التي تطرأ على وزنهن. والى ذلك فإن ترويج المرطبات أوصلها حتى الى مائدة الفطور، وبات الاعتقاد السائد أن "الحليب للأطفال والمرطبات للكبار العصريين."

عظام مكسورة. تظهر دراسة أجراها طبيب الاطفال غاري تشان من المركز الطبي في جامعة يوتاه، الاثر المحزن الذي يتركه نقص استهلاك الكلسيوم في العظام الفتية. لقد أدرك تشان أن للكلسيوم علاقة بالحوادث المتكررة لكسور العظام. وأجرى فحوصاً على ١٧ ولداً راوحت أعمارهم بين الثالثة والثانية عشرة كانوا مصابين بكسور شديدة. دوّن تشان سجلات أنظمتهم الغذائية وقاس كثافة عظامهم وقارن بينهم وبين أولاد أصحاء من العمر والجنس ذاتهما. فتبين له أن الاولاد الذين يعانون الكسور العظمية كانوا يستهلكون كميات من الكلسيوم تنقص عن تلك التي يستهلكها أترابهم الاصحاء.

والدراسة الاولى التي أجريت على مجموعة كبيرة من الناس لاثبات أن الكلسيوم المتوافر في الطعام يقلل من مخاطر كسور الورك، نشرت في المجلة الطبية البريطانية "لانسيت" في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨. عمل الباحثون في قسم الطب العائلي والبيئي بجامعة كاليفورنيا في سان دييغو على مراقبة ٩٥٧ رجلا وامرأة راوحت أعمارهم بين ٥٩ و٧٩ عاماً على مدى ١٤ سنة. وتبين بعد ذلك أن الفريق الذي تناول أفراده أعلى نسبة من الكلسيوم انخفضت نسبة تكسر العظام لديه ٦٠ في المئة بالمقارنة مع فريقين آخرين تناول أفرادهما كميات أقل من الكلسيوم.

وكسور الورك هي أخطر نتائج مرض نخر العظام. وفي كل عام يتعرض نحو ٢٥٠ ألف أمريكي فوق السن الخامسة والاربعين لكسور في الورك تؤدي الى وفاة ٣٠ في المئة منهم قبل مضي عام على اصابتهم.

إن مرض نخر العظام أقل تفشياً بين الرجال نظراً الى كثافة عظامهم. والى ذلك يستهلك الرجال من الكلسيوم نصف الكمية التي تستهلكها النساء. لكن احتياط امرأة ما من الكلسيوم يجف أكثر بسبب الحمل والولادة والنظام الغذائي الصارم المترتب عنهما. والنساء بعد السن الخامسة والاربعين يتعرضن لكسور في الورك بنسبة ضعفي ما يتعرض له رجال في مثل سنهن. لكن الرجال أيضاً يمكن أن يصابوا بمرض نخر العظام، واذا حدث ذلك فإن مشاكلهم غالباً ما تكون مدمرة. فالرجال المتقدمون في السن والذين يعانون كسوراً في الورك معرضون للموت أكثر بمرتين من النساء المصابات بالمرض نفسه. أما الموت فلا يأتي من الكسر ذاته بل من التعقيدات الطبية المرافقة له مثل الجلطات الدموية وذات الرئة. وهناك عوامل عدة مثل التدخين وتناول المشروبات الكحولية والوزن دون

الطبيعي واتباع نمط حياة يعتمد كثرة الجلوس وقلة الحركة، يمكنها أن تزيد من خطر الاصابة بمرض نخر العظام عند الرجال والنساء.

معالجات جديدة. النساء في مرحلة سن اليأس معرضات للخطر على نحو خاص. خلال هذه الفترة يتوقف المبيضان عن افراز هورمون الاستروجين فينتج من ذلك ضعف قوي وسريع في العظام. فالاستروجين لا يساعد فقط على امتصاص الجسم للكلسيوم، بل يخفف أيضاً من خسارته في البول.

ويبدو أن العلاج بالاستروجين هو ما تحتاج اليه المرأة في مرحلة سن اليأس. لكن الاستروجين بمفرده ينطوي على مخاطرعدة. وعلى النساء اللواتي يتحدرن من عائلات ذات ماضٍ بالنسبة الى سرطان الثدي تجنب المعالجة بالاستروجين لأنها تزيد خطر الاصابة بسرطان الثدي. وان تناول هورمون الاستروجين بمعزل عن هورمون البروجسترون يزيد من خطر الاصابة بسرطان بطانة الرحم أيضاً.

هناك دراسة جديدة استغرقت سنتين في المركز الطبي بجامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو، قد تقدم حلا. فان مزيجاً من ١٥٠٠ مليغرام من الكلسيوم مع ٠،٣ مليغرام من هورمون الاستروجين أظهر فاعلية تعادل فاعلية ٠،٦٢٥ مليغرام من هورمون الاستروجين، وهي الجرعة التقليدية، من دون أي تأثيرات جانبية. يقول جون بلوك وهو أستاذ في علم الاشعة وأحد الباحثين: "إن هذا الاكتشاف مهم، إذ من المعروف جيداً أن المرأة اذا واظبت على تعاطي الاستروجين مدة تراوح بين خمس وسبع سنوات بعد سن اليأس، أمكنها التقليل من خطر الوقوع في مرض نخر العظام بنسبة ٥٠ في المئة."

ماذا عن حبوب الكلسيوم؟

هناك دراسات جديدة تشكك في نوعية عدة أصناف تجارية من حبوب كربونات الكلسيوم. عام ١٩٧٧ أعلن رالف شانغرو، رئيس دائرة العقاقير في كلية الصيدلة بجامعة ميريلاند، نتائج دراسته التي أجراها على ٨٠ صنفاً من مشتقات الكلسيوم. وقد تبين له ان حبوب نصف هذه الاصناف لا تنحل وأن الكلسيوم لا يصل الى العظام.

هل الاطعمة المضاف اليها الكلسيوم أفضل؟

إن الكلسيوم المضاف الى عدد متزايد من الاطعمة قد يكون مفيداً للذين لا يتبعون نظاماً غذائياً متزناً. ويبقى الحليب المصدر الافضل للكلسيوم. أما الذين لا يستطيعون شرب الحليب فقد تفيدهم المنتجات المضاف اليها الكلسيوم.

ويلمح بحث أجري حديثاً الى أن مادة البورون يمكن أن تكون مفتاح الحل في تقوية العظام. وفي دراسة عام ١٩٧٨ في مركز خدمات الابحاث الزراعية في غراند فوركس في داكوتا الشمالية، أجراها فوريست نيلسن الاختصاصي بالتغذية وكورتيس هانت الاختصاصي بعلم التشريح، أخضع فريق من النساء تراوحت أعمارهن بين ٤٨ و٨٢ سنة لنظام غذائي فقير بالبورون لمدة ١٧ أسبوعاً، فخسرت

النساء كمية كبيرة من الكلسيوم من طريق البول. وفي الاسابيع السبعة التالية أعطيت النساء يومياً عقاقير تحوي ٣ مليغرامات من البورون، وهي كمية تعادل ما يوفره نظام غذائي متوازن. فازدادت كمية الكلسيوم لديهن بمعدل ٥٨ مليغراماً يومياً.

وبما أن الاكثار من تناول البورون قد يؤدي الى التسمم، وبما أن كمية الجرعة الآمنة لم تعرف بعد، لا ينصح نيلسن باستعمال هذه العقاقير. وفي امكان الناس الحصول على البورون الوافر بتناولهم الكثير من الفاكهة، وخصوصاً التفاح والاجاص والعنب، والكثير من الجوز والخضر والبقول.

هناك هورمون جديد يدعى كلسيتونين ثبتت فاعليته في معالجة نخر العظام، باعتراف ادارة الغذاء والدواء الامريكية. ولكن يجب حقن المريض بهذا الهورمون عدة مرات في الاسبوع. أما العلاجات الاخرى بواسطة الفلورايد والديفوسفانات فلا تزال قيد الدرس. وجميع هذه العلاجات يجب أن تطبق بمعية تناول كميات كافية من الكلسيوم في الطعام. وأفضل سبيل الى ذلك مشتقات الحليب ونظام غذائي متوازن يعتمد الاطعمة الغنية بالكلسيوم.

هناك أسباب متشابكة لنخر العظام، المرض المؤلم المقعد الذي يجعل العظام عرضة للتكسر ويصيب الملايين. أما الخبر السعيد فهو أن أبسط وسيلة غذائية واقية وأنجعها هي تناول كمية كافية من الكلسيوم مدى الحياة.

بيغي مان ■



أستاذ بخيل

قبل الامتحانات الجامعية ببضعة أيام دعانا أحد الاساتذة الى جلسة مراجعة. ولعلمه أن قلة منا ستأتي قال: "كل من يحضر الجلسة يحصل على جواب عن واحد من الاسئلة."

في اليوم التالي كانت مجموعة صغيرة منا تنتظر بلهفة فيما المدرس يتحدث عن نوعية الاسئلة المئة التي علينا أن نجيب عنها بـ"صح" أو "خطأ."

وأخيراً انتهى الى المعلومة التي جئنا من أجلها. قال: "حسناً، كما وعدتكم، هذا واحد من الاجوبة: صح! أراكم غداً."

ش.ك.

دعوا الاطفال يحكمون!

نتعلّم الشيء الكثير من الاطفال. فالمفاوضات التي لا حد لها والتسليات والاقتراحات مع ابن أربع سنوات تجعل حكم القوي بأهتاً في تفاهته.

صحيفة "تايمس" اللندنية



صان سره المذلّ معظم حياته وأخيراً قرر الكف عن التظاهر

أبجديَّة الشَجاعَة

الفسق يقترب والرجل جالس في غرفة طعام السيدة باتريسيا لورد في مدينة سيسرو في ولاية ايلينوي، منحنياً فوق لائحة كلمات.

قالت السيدة لورد: "الآن حاول أن تقرأ هذه العبارة."

نظر الرجل الى أعلى كلمة في اللائحة، وقال: "خروف."

فقالت السيدة لورد: "نعم."

الكلمة التالية كانت "أبيض." تفرّس الرجل فيها لحظة قبل أن يلفظها وتؤكد له السيدة لورد أنه حسناً فعل.

يلي ذلك كلمة "نام." يتردد الرجل. تمر ثوان. هذه الكلمة مصدر ازعاج له. أخيراً قرأها متسائلا: "لعب؟"

فجاءه الجواب: "لا."

فحدّق الرجل وقال: "لست أدري ماذا تكون."

قالت السيدة لورد بنعومة: "لا بأس، عُد اليها لاحقاً."

Condensed from «Cheeseburgers: The Best of Bob Greene,» copyright © 1985 by John Deadline Enterprises, Inc., published by Atheneum, New York. Illustration: George Angelini

هذا الرجل العريض المنكبين، الاصلع، هو في منتصف عقده السادس. انه في ثياب العمل الزرقاء، ويداه لا تزالان متسختين، فقد أتى الى هنا رأساً من ورشة البناء حيث يعمل سمكرياً.

الكلمة التالية في اللائحة كانت "تحت." قالها الرجل بصوت كلّه ثقة. فقالت السيدة لورد: "صح، جيد جداً."

سر دفين. عندما كان الرجل طفلا لم يتعلم القراءة. كانت أمه عليلة وأبوه متهتكاً، لذا لم يستفد شيئاً من المدرسة، وفي ربيعه الثاني عشر غادرها وبدأ العمل. وكانت أمه تحاول أحياناً أن تعلمه، فينهرها أبوه: تبّاً لك! لماذا تتعبين نفسك بتعليمه؟ انه لا يفهم شيئاً."

عانى الرجل معظم حياته عبء إخفاء سره. تعلم صنعة السمكرة، ثمّ تزوج وأنشأ عائلة وهو يخفي أميّته حتى عن زوجته وأولاده. وكانت زوجته تدفع كل الفواتير وتقرأ البريد وتتولى الرد على الرسائل.

ثم فقد الرجل عمله لانه أمّي. فلقد فرضت الشركة على كل موظفيها أن يجروا امتحاناً خطياً حول اجراءات الأمان. وكان الرجل يعرف القواعد كلها لكنه لم يستطع قراءة الاسئلة.

تولاه الذعر وهو عاطلٍ عن العمل. فتسجل في صف ليلي لتعلم اللغة، لكنه سرعان ما تيقّن أن البرنامج مُعدٌّ لاناس لديهم معرفة اولية على الاقل.

ابتاع كتاباً اسمه "القراءة الظريفة"، مخصّصاً لاطفال صفوف الروضة، ونظر الى صور سيارات الاسعاف والاجرة والشحن، وتحت كل منها الكلمة الدالة عليها، محاولا أن يعلّم نفسه بنفسه. فلم يفلح.

أخيراً جلس مع زوجته وقال: "أتتذكرين عندما فقدت عملي؟" ثم أخبرها أنه لم يستطع قراءة الاسئلة. كان دائماً يتساءل عما سيكون رد فعلها عندما يطلعها على سره. فجاءه ردّها: "سأساعدك بكل ما أوتيت."

وبعد عدة أشهر سمع على التلفزيون عن دروس خصوصية يقدمها متطوعو محو الامية في شيكاغو. فاتصل بهم.

"اقرأ لي يا جدي." تتذكر باتريسيا لورد (٥٩ عاماً) المرة الاولى التي حضر فيها الرجل الى باب منزلها: "كان لطيفاً الى حد ما. ولكن لم يطل الامر حتى تبين لي أنه يجهل الابجدية."

أكبّا على الدرس مرتين في الاسبوع. وتقول السيدة لورد: "إنه كان شديد الامتنان." علّمته حروف الهجاء ودرّبته على كتابتها. لقنته كيف يقرأ ويكتب أولى الكلمات التي تعلمها في حياته.

بعد ذلك وجد الرجل عملا. وكان يحتفظ بكرّاسات القراءة في شاحنته ويدرس فيها خلال أوقات الراحة. ولم يعرف مستخدموه أنه لا يستطيع القراءة، فاعتراه ذعر من أن يُكتشف سره فيُطرد من عمله مجدّداً.

بَيْدَ أن فقدانه عمله للمرة الثانية هو ما أقنعه بوجوب تعلّم القراءة. ليس لهذا فحسب، بل كما يقول: "لانه وُلدت لنا حفيدة، ولا أريدها ابداً أن تأتي اليّ وتقول "اقرأ لي هذا يا جدي" فلا أستطيع ذلك.

لقد امضيت حياتي حتى الآن عاجزاً عن القراءة لأطفالي، وأريد ان أكون قادراً على القراءة لحفيدتي."

انه فخور بما أنجزه في حياته، ويقول: "أستطيع أن آخذ تصميم أيّ عمارة وأفهم منه كيف تسير الامور فيها. ولقد بنيت بيتي الخاص وأعتقد أن هذا انجاز حسن بالنسبة الى رجل أمّي.

"لكني كثيراً ما كنت أضطر الى التظاهر بالقراءة. ففي المطاعم كنت أتفرس في لائحة الاطعمة فلا أفهم منها شيئاً. فأسأل النادلة عما يتفرّد فيه المطعم من مآكل وأطلب أحدها. كنت ابذل جهدي لصون السر.

"ما كتبت رسالة بخط يدي قط. وفي الاعياد كنت أجد صعوبة كبيرة في اختيار بطاقة معايدة لزوجتي. وعبثاً كنت أتفرس في عبارات المعايدة المطبوعة من دون أن أفقه شيئاً. لذا كنت أستعيض عنها بالزهور."

والآن يحلم الرجل بأنه لن يمر وقت طويل حتى يستطيع أن يقرأ فعلا.

ويقول: "يجب ألاّ يستغرق ذلك وقتاً طويلا. فالسيدة لورد قالت لي ان الصعوبة في البداية فقط، وكلما تقدَّمتُ في القراءة هانت الامور."

ويضيف: "أكره نفسي عندما أقضي يوماً سيئاً أغفل فيه عن قراءة كثير من الكلمات. لكني أشعر بالسعادة عندما يمر يوم استفيد فيه، فأتوق الى العودة الى المنزل لاخبار زوجتي أنني "تعلّمت هذه الكلمة" أو أنّ "المعلمة تقول ان خطي جميل." وحينئذ أكبّ معها على قراءة بطاقات التهجئة."

بدأ الظلام يعم في الخارج، وما زال الرجل صاحياً منذ استيقظ قبيل بزوغ الفجر. كان جالساً الى مائدة الطعام والسيدة لورد تساعده على كتابة جملة فتقول: "لنحاول كتابة: خروف أبيض. الكلمة الاولى: خروف."

يتفحّص الرجل لائحة الكلمات ثم يكتب: "خروف."

فتقول السيدة لورد: "حسناً. الكلمة التالية هي: "أبيض."

يفكّر لحظة ثم يكتب "أبيض." وتقول السيدة لورد: "صح! انتهت الجملة!" يرفع الرجل بصره، فيبدو في عينيه ما يشبه الفخر.

يقول: "يصعب علي الانتظار حتى أتمكن من كتابة رسالة. وأول رسالة سأوجهها الى زوجتي، وأعبر لها فيها عن مقدار حبي لها."

بوب غرين ■



اقتصاد عجيب

قرر جدي أن يبتاع كمية من القرميد ليزيّن باحة المنزل. وعندما سأل البائع عن السعر أجابه: "كلما ارتفع العدد انخفض السعر."

فقال جدي: "حسناً، ضع في شاحنتي الكمية التي تُخفض السعر الى الصفر."

ب.ر.

الضحك خير دواء

كل مجان طيب

النادل: "ماذا تطلب كحلوى بعد الطعام؟"
الزبون: "لا أريد شيئاً، فأنا متخمَ ولا يتسع بطني للقمة واحدة."
النادل: "لكن الحلوى متضمّنة في ثمن الوجبة."
الزبون: "بوظة (جيلاتي)، حلاوة الجبن، كعك بالشوكولاتة."

ب.م.

الأرنب والبغل

انتقل صديقان من سكان المدينة الى الريف وقررا اقتناء بغل لمزرعتهما الجديدة. فذهبا الى المدينة ليتبضّعا ويسألا عن بغل، فوقعا على بعض النصابين الذين أكدوا لهما أنهم يعرضون للبيع بعض بيوض البغال الممتازة. فاشتراها المغفّلان وعادا بها في شاحنتهما الصغيرة. ولسوء الحظ كانت الطريق وعرة فوقعت احدى البيضات في حفرة. وعندما ركض الصديقان لينظرا ما حصل، وثب أرنب ضخم من الحفرة.
صرخ احدهما: "ها بغلنا يهرب!" وتعقب الحيوان مسافة كيلومترين. ثم عاد وقد أنهكه التعب ليخبر شريكه: "لم أستطع اللحاق به. ولكن لا بأس، فأنا لن استطيع الحراثة بهذه السرعة في أي حال."

ر.و.

وافق شنّ طبقة!

عندما سألت الشقراء الفارعة الطول البائعة في محل الاحذية ان تساعدها على انتقاء بعض الاحذية المنخفضة الكعب، سألتها هذه "مع اي شيء يجب ان تتلاءم"، فاجابت: "مع رجل قصير وغني جداً."

أ.س.

حساب سفسطائي

طُلب الى أمين الصندوق الجديد في المصرف ان يحصي رزمة أوراق مالية تحوي مئة دولار من فئة الدولار الواحد. فعدّ حتى ٥٨ ثم رمى الرزمة على المنضدة.
سأله المدير: "لماذا توقفتَ عن العدّ؟"
فشرح السبب: "اذا كان العدد صحيحاً الى هنا، فالأرجح أن بقيته صحيحة أيضاً."

ك.م.

قبل أن تشتري سيّارة مستعملة...

كل سنة تتلقى مراكز حماية المستهلكين ألوف الشكاوى من مشتري السيارات المستعملة. وأكثرهم أخذوا بعذوبة كلام البائعين واغراءاتهم ولم يكلفوا أنفسهم عناء التدقيق في أوضح الامور الرئيسية قبل الشراء.

مثل هؤلاء المشترين لا يملكون سوى فرصة ضئيلة لاستعادة الثمن الذي دفعوه اذ يصعب عليهم اثبات عدم صلاح السيارة وقت شرائها.

قبل شراء سيارة مستعملة أجر التدقيقات الآتية، ويفضل ذلك في نهار وطقس جيدين يسمحان لك باجراء فحص كامل. واذا حاول البائع استعجالك، تروَّ وأعد النظر. ان في امكان شخص عادي غير ذي خبرة اجراء كل التدقيقات الضرورية.

١. دقق في درجة الصدأ. مرر مغنطيسا على بدن السيارة، فحيث لا يلتصق المغنطيس في بقع واسعة يكون المعدن متأكلا (أو متلفاً بسبب حادث اصطدام) وقد حشي بمعجونة. واحذر كثرة بقع الصدأ، فاذا كان انتشارها واسعاً فقد تكون بنية السيارة كلها ضعيفة.

ارفع السيارة بالرافعة اذا أمكن وتفحص تحتيتها بدقة، فاذا كان هناك اهتراء واسع حيث يلتقي جسم السيارة هيكلها التحتي فمعنى ذلك أن عمرها شارف الانتهاء.

٢. فيما السيارة على الرافعة فتش عن أماكن تسرب الزيت. البقع الكثيرة تدل على الحاجة الى تغيير الحشية (الجوانات). وتحقق من مواقع اللحام، لأن اللحام المتشقق الذي يلتقط الرطوبة أسوأ من انعدام اللحام.

٣. بعد انزال السيارة الى الارض تفحص الاطارات بما فيها اطار الاحتياط، وتأكد من كونها من نوع واحد (شعاعي أو متقاطع الليات) ومن أن سماكة المطاط على مدار الاطار متساوية والاطار في حال مقبولة.

٤. ادفع بقوة نزولا كل زاوية من السيارة، من الطبيعي أن تعود فتستقر في وضعها السابق، أما اذا ظلت تترجح فهذا يعني أن جهاز التعلق المحتوي (سسبنسيون) على النوابض وممتصات الصدمات يحتاج الى اصلاح.

٥. تفحص النوافذ والابواب وغطاء المحرك وغطاء الصندوق وتأكد من أنها تفتح وتغلق جيداً وأن المفاتيح مطابقة وصالحة للفتح والاقفال.

٦. تفحص التمزق في المقاعد، وارفع السجادات. فاذا كان هناك بعض الصدأ على الارضية فهذا يعني أن الماء ينزّ أو أنه سيتسرب قريباً.

٧. دقق في الكهرباء. المصابيح والاشارات والبوق والمسّاحات ورشاشات الماء. وليؤكد لك البائع أن الثمن يتضمن جهاز الراديو وكل الزوائد الاخرى.

٨. انظر الى الكيلومتراج. هل عدد الكيلومترات المسجلة متطابق مع مظهر السيارة؟ ان السائق العادي قد يقطع ١٢ ألف كيلومتر في السنة، لكن سيارة في خدمة شركة قد تسير ٤٠ ألف كيلومتر سنوياً. والبائع الذي يتلاعب بالكيلومتراج هو بائع غير شريف.

٩. تفحص المحرك لتتبين أي علامة اصلاح تمّ على اثر حادث، كالدهان الجديد واللحام. وقد تكون النظافة غير العادية تحت غطاء المحرك دليلاً على تركيب محرك مرمم.

١٠. دقق في أماكن تسرب الماء من المحرك. ان ابدال خرطوم مياه المشعاع (الرادياتور) أمر بسيط، انما تسرب الماء من المشعاع قد يستوجب ابداله بآخر جديد بكلفة باهظة.

أدر المحرك. دعه يدور على مهل، فقد عرف عن الوكلاء المحتالين أنهم يضعون زيتاً كثيفاً في المحرك وعلبة التروس لتمويه تلف المحرك. وتريث الى أن يحمى المحرك وتنصت لسماع أي أصوات شاذة.

١١. تفحص قضيب فحص الزيت. فاذا وجدت عليه رغوة مائلة الى اللون الرمادي أو نقط ماء فذلك قد يكون دليلا على تشقق في كتلة الاسطوانات.

١٢. انزع غطاء الفتحة حيث يملأ الزيت، فوجود أبخرة أو دخان دليل على تلف واسع قد يستلزم ابدال المحرك.

١٣. بعد أن تترك المحرك دائراً لمدة خمس دقائق سرّعه، فاذا خرج دخان أسود من العادم (اشبمان) فذلك يدل على عطل في المكربن (كاربوراتور) أما اذا كان الدخان أزرق فذلك مؤشر خطر يقضي بوجوب اصلاح المحرك التالف بتكاليف مرتفعة.

١٤. أوقف المحرك، وبعد أن يبرد

قليلاً لفّ يدك بقطعة قماش وانزع غطاء المشعاع بلطف. فاذا وجدت أثراً للزيت أو فقاقيع في الماء، فقد يكون هناك تلف في أحد الجوانات، أو، في أسوأ الاحوال، تشقق في كتلة الاسطوانات أو في قسمها الاعلى. أما في السيارات حيث لا غطاء للمشعاع، فتفحص خزان الماء الفائض للغاية ذاتها.

١٥. إفحص البطارية باشعال الاضواء لبضع دقائق لترى اذا كان المحرك يدور بعدها بسهولة. ثم اختبر قيادة السيارة في طريق تتضمن طلعة شديدة الانحدار، ومسافة وعرة لتلاحظ أي صرير أو قعقعة، وامتداداً سهلاً يجيز لك السير بسرعة تفوق ٨٠ كيلومتراً في الساعة.

١٦. تأكد من عدم وجود تلف كبير في أحزمة المقاعد ومن أنها تعمل جيداً.

١٧. اختبر الكابح. فاذا كان عليك أن تضغط بعمق، أو اذا شردت السيارة جانبا حين تدوس الكابح، أو اذا أحدث الكابح صريراً عالياً، فانه يستدعي الاهتمام الفوري.

١٨. أصغ الى أصوات شاذة أخرى. فاذا صدر عن الاطارين الاماميين صرير قوي حين تلف منعطفاً فذلك قد يكون ناتجاً من مشاكل في جهازي التعلق والتوجيه.

١٩. اذا سمعت صوت احتكاك مكتوما حين تغيير التروس، وكان ذراع التروس (فيتاس) يقفز من مكانه حين ترفع قدمك عن دواسة الوقود، فذلك يدل على عطل في علبة التروس.

٢٠. سرِّع المحرك في كل مراتب السرعة. فاذا سمعت طرقاً منتظماً من المحرك أثناء الاسراع فذلك يعني الحاجة الى ابدال رأس الذراع الذي يصل المكابس (البستونات) بالمرفق وما يتطلبه ذلك من كلفة عالية.

٢١. سرِّع المحرك الى ٦٥ كيلومتراً في الساعة وأنت واضع الترس الاسرع. فاذا انبعث أنين من محور العجلتين الخلفيتين أو من ناقل الحركة (ترانسمسيون) الامامي في السيارات ذات الاندفاع الامامي، فذلك يدل على تلف شديد في ناقل الحركة أو في السرعة الاخيرة.

٢٢. أنتقل الى الدوران في الفراغ (النقطة الميتة أو بوان ـ مور) وأنت تسير بسرعة ٥٠ كيلومتراً في الساعة، وأصغِ. فاذا تناهت اليك دمدمة خفيضة فذلك يدل على تلف في محامل العجلات.

٢٣. أرخِ قبضتك عن عجلة القيادة وأنت تسير بسرعة ٥٠ كيلومتراً في الساعة في طريق مستقيمة لا نتوءات فيها. فاذا ترجحت السيارة أو اهتزت أو مالت عن الخط المستقيم فذلك يدل

على أن العجلات تحتاج الى ميزان أو أن جهاز المقود يحتاج الى اصلاحات.

٢٤. أوقف السيارة في طلعة وشدّ الكابح اليدوي مبقياً المحرك دائراً والتروس معشقة. فاذا أرخيت دواسة القابض (دبرياج) على مهل فيجب أن يتوقف المحرك حالاً. أما اذا توقف تدريجاً فذلك يدل على تلف القابض.

قبل أن تعقد العزم نهائياً على شراء سيارة مستعملة، من المفيد تكليف خبير اجراء فحص دقيق كامل لها كزيادة في الحيطة.

واذا ساورك أدنى شك في ما خصّ سيارة معينة، فالافضل أن تنساها. وفتش عن سيارة أفضل فتوفر على نفسك العذاب والكلفة لاحقاً.

جاكي كينغ ■



لكل جديد رونق!

بعدما اشترى جيراننا منزلا جديداً كان عليهم أن يبتاعوا سيارة جديدة. وكانت العطلة الصيفية تقترب، فسألت جارتنا زوجها أين سيقضون أيام العطلة، فأجاب: "سنمضيها هذه السنة على نحوٍ مختلف: نجلس في بيتنا الجديد ونشاهد سيارتنا الجديدة، وعندما نتعب من الفُرجة نجلس في سيارتنا الجديدة وننظر الى بيتنا الجديد."

ج.و.

ملح الرجال

انتقل زوجي للعمل في مؤسسة كبيرة. وانتابني الفضول لمعرفة تصرفاته في المكتب. فسألته: "يا عزيزي، ماذا تفعل اذا تحرشت بك موظفة فاتنة؟"

فأجاب: "لقد حدث ذلك فعلا."

أحسست بقلبي يتهاوى فصرخت: "وماذا فعلت؟"

قال: "تزوجتها."

ر. ح.

معادلة أب

قال رجل لصاحبه: "أتصوَّر أن ابني سيكون من اللامعين اذا كان مقدار المعرفة التي ينهلها من الجامعة مساوياً لمقدار المال الذي تأخذه الجامعة مني."

هـ.ت.

يقول المثل: "إعرف عدوك"
لكن عدوي كان من نوع فريد

ظربانة في القبو

التقيته عند أسفل السلّم فلم يتوقف إلّا برهة. وألقى عليّ نظرة ازدراء متعجرفة ثم انصرف متهادياً. كانت السلم تتألّف من إحدى عشرة درجة، لكنني لم أطأ الا ثلاثاً منها أو أربعاً وأنا أرتقيها مسعوراً.

وصرخت: "في القبو ظربان!"

فقالت زوجتي ببرود: "ولِمَ الصراخ؟" من الواضح أنها لم تقدر خطورة الموقف.

وللحال اتصلت بمكتب جمعية الرفق بالحيوان. فردت علي امرأة شابة: "فعلا، إن الظرابين تختبىء في الأقبية خلال فصل الشتاء متوخية الدفء. لا، لا نستطيع أن نساعدكم. حاول ان تضع لوحاً خشبياً تحت النافذة ليتمكّن الظربان من التسلّق ثم الخروج."

بعدما أقفلت السمّاعة ارتديت اعتق ملابس لديّ وتلوت دعاء ثم حملت لوحاً خشبياً طويلا ونزلت السلم. بلغت القبو وفتحت أبعد نافذة عن الظربان فوضعت اللوح كما قيل لي، ثم وقفت في أعلى السلم كي أراقب ما يجري.

وإذا بالظربان يدنو من اللوح الخشبي ويتسلّق حوالى مترين. وما إن عصفت ريح الخريف عبر النافذة حتى تراجع ومشى متخايلا يهزّ رأسه (أقول "رأسه" مع أنني



Illustrations: Ray Cruz

لم أعرف جنس الظربان ولم يكن في نيّتي أبداً اكتشاف هذا الأمر.)

اعتقدت أن الظربان قد يعيد النظر في هذه الفرصة المتاحة. فتركت اللوح في مكانه والنافذة مفتوحة. لكنني ما لبثت أن أدركت بعد ساعات أنني انما أتيح فرصة لقطيع من الظرابين كي تدخل منزلي. فهرعت أغلق النافذة... من الجهة الخارجية.

بعد ذلك قصدت المكتبة العامة منقاداً بمبدأ "إعرف عدوك". قرأت هناك أن الظرابين تعيش في أنحاء البلاد من أقصاها الى أقصاها، وأن النوع الذي يُرجّح العثور عليه في قبو هو الظربان المخطّط "مفيتس مفيتس" (★). وبما أن "مفيتس" كلمة لاتينية تعني "زفيراً بغيضاً" فان اسمه حتماً يعني نتناً مضاعفاً.

اعرف عدوك. يكمن جهاز الدفاع لدى الظربان في غدتين تحت ذيله كفيلتين بإطلاق رائحته الكريهة فتفوح لشدتها على بعد حوالى ثلاثة أمتار. (المدى الدقيق لرائحة الظربان لم يحدد بعد إذ لم يتطوّع أحد لقياسه.)

وفي حين تحمي معظم الحيوانات أنفسها بأضراسها أو مخالبها، فالظربان لا يحتاج الى دفاع من هذا النوع. كما أنه لا يحتاج الى تمويه. فهو، خلافاً لبقية الحيوانات الليلية التي يدكن لون صوف ظهرها أكثر من صوف بطنها، له غُرّة بيضاء على أنفه وخط أبيض على امتداد ظهره يُبرزان جلياً أنه حيوان لا يُعبث معه.

ولرائحة الظربان الكريهة مفعول واضح في "شخصيتـه". وإذ تعتمد معظم الحيوانات على قدرة الانسلال فتهرب من المخاطر، الا أن الظربان يتابع سيره باعتزاز غير آبه للحيوانات المفترسة ولا للصيّادين.

ويؤكد بعض الخبراء أن الظربان لا يطلق سلاحه البغيض إذا لقي معاملة لطيفة. وقد روت فتاة تدعى آرا زيستل تحب الحيوانات أنها أنقذت ظرباناً مرةً وعالجته الى أن استعاد عافيته. فكان يسمح لها بادخال حبات الدواء في حلقه. وما لبث أن تكيّف بسرور مع قطط الفتاة وبات يتمتع بالنوم في سرير مَنْ أحسنت إليه، فكان يدندن لها بعض النغمات كي تنام. وكان يرعب الجيران وهو يلحق بهم علّ أحدهم يحمله ويدلله.

لكن ظربان زيستل المحب والأليف كان قليل الشبه بزائري. فكنت كلّما نزلت سلم القبو خائفاً أراه متكوّماً في زاوية. فألقي عليه نظرة لطيفة، لكنه يحدقّ الي بعينين مدوّرتين يملأهما الغيظ ثم لا يلبث أن يتابع قيلولته.

زائر مميز. كنت على يقين أن سياسة هذا الظربان هي الضرب أولا ثم التشاور. وكنت قد خطّطت والعائلة لتأجير المنزل والسفر في اجازة لمدة شهرين. فكيف نؤجر المنزل وفي القبو ظربان؟ اننا لا نستطيع طرده بالقوة. والخيار الوحيد أمامنا هو الاحتيال عليه، وهذا أمر اعتبرته زوجتي صراعاً غير متكافىء في "الشطارة."

(★) Mephitis mephitis

جاء في الكتب أن الظربان عندما يشعر بالخطر المحدق يطلق هسيساً حاداً، وفي بعض الأحيان يلبط الأرض بقوائمه أو يرفع ذيله مهدّداً. فإن لم يتراجع الدخيل يضرب الظربان الأرض بذيله ويلتف على ذاته حتى يصير كالسهم المستعدّ للانطلاق. هذا هو التهديد الأخير، وإلّا طيَّر الظربان سائلا زيتياً صفراوياً لا يلبث أن يتحوّل غمامة غامرة كريهة الرائحة. ويحاول الظربان أن يعمي خصمه مغلفاً إياه برائحة فاسدة تحرق العيون. مع أن الطلقة الاولى هي الأفتك ففي وسع الظربان إطلاق السائل ست مرات بلا توقف مع الاحتفاظ بمزيد من الذخيرة في غدّتيه.

ولقد حذّرتني الكتب من بعض الأمور، إلّا أنها لم تسدِ الي أي نصيحة حول طرق التخلّص من هذا الخصم المقيم في قبو منزلي.

مع انقضاء الخريف وحلول الشتاء بدأت أوسع ميدان بحثي. فاستعلمت من بعض أصدقائي وهم هواة في علم الحيوان. أخبرني أحدهم أن ظرباناً اختبأ مرة في مرأبه، وبعدما عرف أن الظرابين تكره رائحة النفتالين رمى في المرأب بعض كرات منه. فما كان من الظربان إلا أن رماها إليه. وأشارت علي جارة بأول فكرة حسنة. قالت "سمعت مرة أن الظرابين مولعة بسمك التن المعلّب."

ها هي فرصة كي أبرهن عن تفوق ذكاء الأنسان. ولما كان الظربان ازدراني سابقاً فامتنع عن ارتقاء اللوح الخشبي، صففت بحذر شديد كمية من علب التنّ على كل درجة من سلّم القبو ثم فتحت الباب الخلفي موزعاً علب التنّ في خط طويل حتى مدخل البيت. واقترحتْ عليّ زوجتي أن أرشّ قليلا من الطحين أمام الباب.

وهكذا لم يبقَ عليّ إلّا انتظار آثار قوائم الظربان على الطحين ثم إقفال الباب.

مضت ساعة ووجدت آثار قوائم صغيرة على الطحين. أقفلت الباب بعنف، ولم ألبث أن وجدت هرّ جاري في أسفل السلم يأكل محتوى آخر علبة من سمك التن.

لقد نام الظربان خلال العملية بكاملها.

أين هو؟ بعد مدة أخذ الظربان المبادرة... واختفى. وتشير الكتب الى أن الظربان المخطط هو في حجم هر المنزل، لكنه يستطيع بفضل فروه الكثيف أن يقحم جسمه في ثقب صغير. فاستنتجت لدى اختفائه أنه عثر على فتحة صغيرة فهرب منها.

والآن بدأ هم جديد يشغل بالي: ماذا لو عاد الظربان ودخل القبو كما خرج؟

قضيت الاسبوع التالي أتفحّص القبو كل مساء بعد عودتي من العمل، فلم أقع على أي أثر للظربان. ربما استنتج أنه لن ينام هنا بهناء لكثرة تدخلاتي، فذهب يبحث عن جحر أكثر سكوناً.

وجاء قرار الظربان في الوقت المناسب، إذ وجدنا زبوناً قد يستأجر منزلنا. وبعدما قام بجولة في المنزل قدته الى القبو. وضحكت وأنا أتذكر مغامرتي الأخيرة فقلت له: "في الشهر الماضي دخل ظربان... آه، لا، لقد عاد!"

وما كان من الزبون العتيد إلا أن قفز الى الجهة الأخرى من القبو فيما راح

الظربان يتهادى أمامنا فيتوقف للحظات ويرمقنا بنظرته المزدرية.

وباتت زيارات الظربان لغزاً. فلم يكن يظهر ثم يختفي فحسب، بل لاحظت أيضاً أن خطّه الأبيض المميّز تحوّل ندباً أزرق وأسود. وكنت خلال الأيام التالية أقف على أعلى درجة من السلم وأحاول أن أتبيّن ما يحصل في القبو.

وأخيراً وجدت مفتاح اللغز. ففيما كنت أهمّ بمغادرة المنزل ذات صباح سمعت صوت الجهاز الغازي لتسخين المياه ينطفىء فيتبعه عَدْو سريع. وفجأة برز الظربان من تحت صهريج الجهاز. لقد اكتشف زائرنا راحة في الجهاز وقرر التنعّم بدفء شعلته الملطف. كان المكان بمنأى عن تطفلاتي المزعجة باستمرار. وكان الشعّال أحرق صوفه الأبيض.

اذاً هناك كان صاحبي متوارياً طوال هذه المدة وأنا أفتّش عليه في زوايا القبو.

معركة حاسمة. برزت حاجة ماسة الى اتخاذ تدابير جديدة. استعنت بابني، وهو صبي في غاية التفاؤل، فطوّع صديقاً له نشيطاً، بل طائشاً، لمواجهة التحدّي. وتذمّرت زوجتي: "لا تدعهما يعملان في ثياب المدرسة."

فتح الصبيان نافذة القبو ووضعا اللوح الخشبي تحتها من جديـد. وتسلحا بالمقالي ومضارب الكرة ومرشّات مبيدات العثّ، إذ أفادت الكتب أن الظرابين تكره مرشات مبيدات العث. وهكذا اتجه الصبيان بخفة نحو الظربان محدثين ضجة قوية.

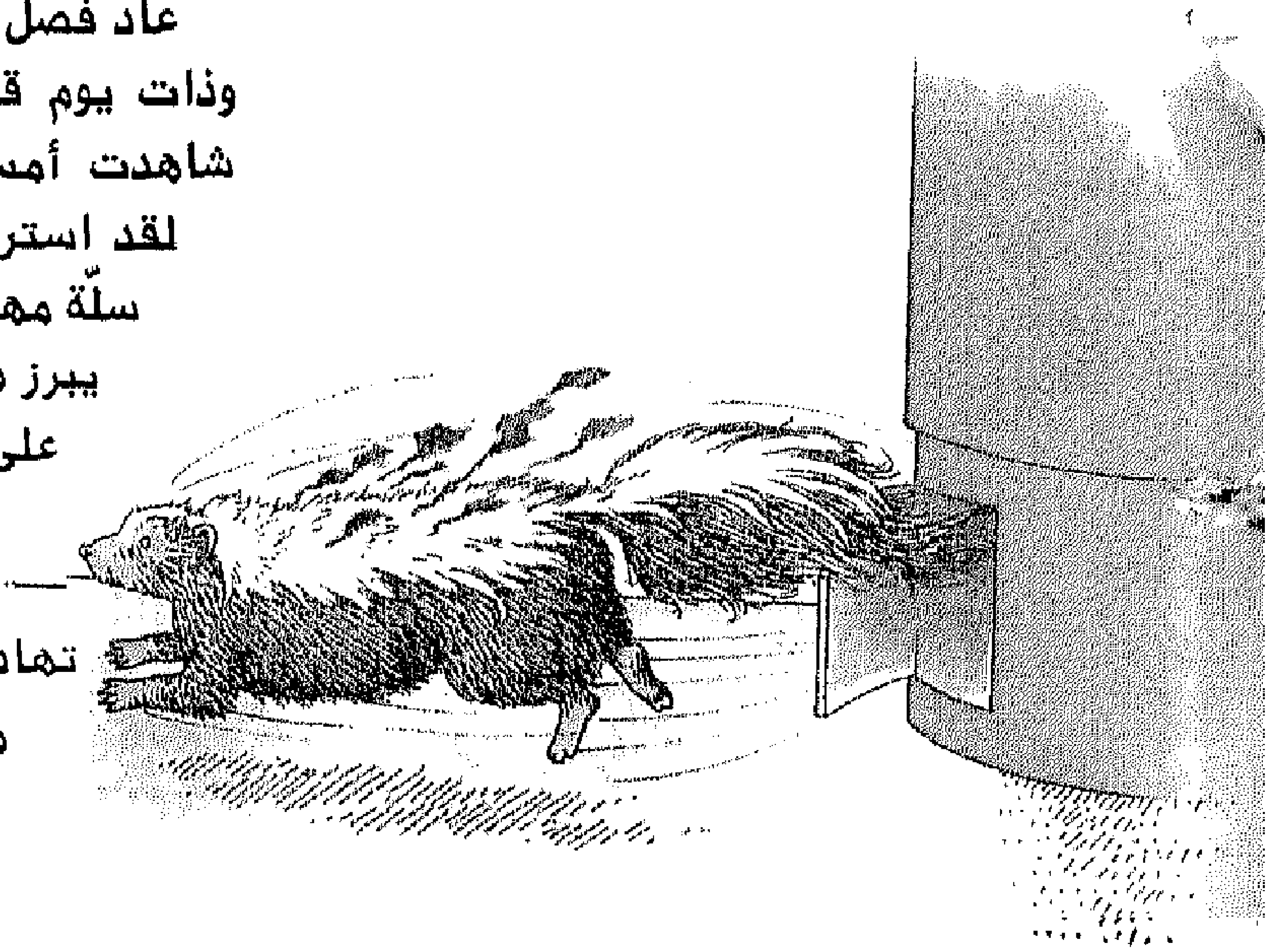
تفحصهما الظربان متعجباً وتطلّع الى اللوح الخشبي، فالنافذة المفتوحة، ثم من جديد الى الغريبين الصاخبين. وأخيراً تمشى على اللوح الخشبي. وللحال أقفل الصبيان النافذة وأطلقا هتاف النصر. ومن النافذة رأيت خصمي يبتعد هازاً رأسه بقرف.

بعد مرور أسبوع هبّت عاصفة ثلجية عنيفة. فرحت أتساءل: هل نجا ظرباننا من العاصفة؟ هل وقع ضحية معتدٍ.

عاد فصل الربيع، لكن ظرباننا لم يعد. وذات يوم قال صديق ابني: "احزروا من شاهدت أمس في الحديقة العامة."

لقد استرعت انتباهه جلبة صادرة من سلّة مهملات مقلوبة. واذا بحيوان يبرز من فضلات الطعام، وبان على ظهره ندب أزرق وأسود. وميَّز صديق ابني تعبير الازدراء المتعجرف عندما تهادى ظرباننا نحو سلة مهملات مجاورة مكملا وجبة عشائه.

أ.ب. ويبل ■



الطيرانُ الشِراعيّ

رياضة تستوعب طاقات المرء كلها وتبعث فيه نشوة تبلغ حد الادمان

حلّقت طائرتي الشراعية عالياً وتوازن جناحاها النحيلان فوق الرياح القوية المتاخمة للجبال السود. كان الهواء لطيفاً جداً، فشعرنا كأننا نرفرف في الفضاء فوق منظر خلّاب لبلاد الويلز امتدّ أمامنا حتى الافق البعيد. وعلى علو ٤٣٠٠ متر لفحتني أشعة الشمس فيما كانت الاضواء تثقب الغسق المتجمّع فوق سطح الارض. فتحتُ على مضض الكوابح الهوائية وبدأت الانحدار الطويل في اتجاه المهبِط الذي غادرناه قبل ساعتين.

اتجهت بسيارتي نحو المنزل والبهجة لا تزال تغمرني، أفكر في التحول السحري الذي يحدثه الطيران الشراعي من عالم الهموم اليومية الى حرية الفضاء. ولم يكن أحد أصدقائي يبالغ عندما وصفه بأنه "مغامرة تبعد خطوات فقط عن عتبة دارك."

أكثر من ١٠ آلاف طيار من مختلف المشارب يمارسون الطيران الشراعي في بريطانيا انطلاقاً من ٩٨ نادياً. فأينما كنت مقيماً تجد نادياً ليس بعيداً منك. واذا رغبت في المراقبة فقط استُقبلتَ على الرحب والسعة. أما اذا رغبت في محاولة الطيران بنفسك فان معظم النوادي يقدّم دروساً تجريبية في مقابل ٢٠ جنيهاً استرلينياً (٣٢ دولاراً) للدرس الواحد. وكثيرون يتلقون دروساً لخمسة أيام مع اقامة في النادي بمبلغ يقارب ٢٥٠ جنيهاً (٤٠٠ دولار).

وتتنوع النوادي، فمنها ما يتألف من مجموعة صغيرة من الطيارين الذين يمارسون هوايتهم في نهاية الاسبوع منطلقين بالطائرة الوحيدة التي يملكونها من حقل في مزرعة مَا. وثمة نوادٍ أكبر، وصولا الى المنظمات الضخمة التي تعمل على مدار السنة انطلاقاً من

مهابط لا تتوقف فيها حركة الطيران. وغالباً ما تحتل هذه النوادي مناطق تتصف بجمال الطبيعة. مثل نادي "ميدلاند" الجاثم في أعلى سلسلة تلال لونغ ميند على حافة تمتد حوالى ستة كيلومترات في "شروبشاير"، ونادي "ساوثداون" في سفح ساسكس داونز، واتحاد الطيران الشراعي الاسكوتلندي على شاطىء بحيرة لوش ليفن.

قليل من هذه النوادي يستخدم موظفين دائمين. وفي غالب الاحيان يقوم الاعضاء أنفسهم بكل الاعمال، بدءاً بتثبيت الادوات الصحية في بناء النادي وانتهاءً بالتدريب. والطيران الشراعي رياضة وديّة: إنتمِ الى ناد فيصبح في وسعك أن تطير من معظم النوادي الاخرى في بريطانيا والخارج.

كنت أطوف عبر وادٍ سحيق في محاذاة منحدر جبلي، عندما رنوتُ الى نسر رائع ذي عينين وحشيتين كان يطير في تشكيل يكاد يبلغ حدّ الكمال وهو يتأملني. أحياناً تهاجم النسور الطائرات الشراعية، لذا تحولت عن مساري لكي أتخلص منه. لكنه تابع طيرانه فترة وجيزة على بعد نصف متر من طرف جناح طائرتي، قبل أن يحلق فوقي ويستدير عائداً ليرى هل في وسعي أن أضاهي سيطرته على الجو. ثم غاص عائداً الى واديه علّه يصادف خصماً اكثر جدارة.

يوم لا ينسى. على رغم غلاء كل أنواع الطيران، فإن تكاليف الطيران الشراعي عموماً تقلّ عن نصف تكاليف الطيران بطائرات ذات محرّك. وتراوح كلفة العضوية في النوادي بين ١٠٠ جنيه و١٥٠ جنيهاً (بين ١٦٠ و٢٤٠ دولاراً) في ذلك التدريب. اما وقت الطيران فكلفته نحو ١٥ جنيهاً (٢٤ دولاراً) في الساعة، يضاف اليه أجر الانطلاق الذي يتراوح بين ٣ و١٠ جنيهات (بين ٥ دولارات و١٦ دولاراً).

اذا كنت تستطيع ان تقود سيارة ففي امكانك قيادة طائرة شراعية. والواقع ان اجهزة القيادة في هذه أقل تعقيداً: تحرك عصا القيادة بيد واحدة، وتوجه دوّاستي الدفّة بقدميك. أما المكابح الهوائية التي تنزلق دخولا وخروجاً من الجناحين، فتضبطها رافعة مما يتيح لك أن تحط في البقعة المختارة. أنت تحتاج فقط الى أجهزة ثلاثة: مؤشّر سرعة الهواء، ومقياس الارتفاع عن سطح الارض، ومقارن متغيّر (١) يخبرك أنك فوق طبقة هواء صاعدة أو هابطة، علماً أن الطيار الخبير يتدبر أمره من دون أي جهاز.

يجب أن تكون الطائرة التي يقودها المبتدىء قوية وذات مقعدين: يحتل المدرِّب الركن الخلفي والمبتدىء الركن الامامي حيث تتاح له رؤية شاملة واضحة من خلال الغطاء البلاستيكي الشفّاف. والطبقة التي تُطلق بها الطائرة هي رهن بموارد النادي. فبعض النوادي يستعمل ونشاً أو سيارة قوية لسحب الطائرة الشراعية بحبل فولاذي طويل حتى تطير وبعضها يسحبها بطائرة خفيفة. أما

(١) Variometer

النوادي الكبرى فتستخدم طائرات شراعية مزودة محركاً تديره مع مدرّبك ثم تطفئه بعد الاقلاع.

لا تدوم فترات الطيران الاولى أكثر من بضع دقائق. لكنك تستطيع أن تتوقع الطيران بمفردك - اذا كنت أكملت ربيعك السادس عشر - بعد أن يصبح مجموع ساعات طيرانك خمساً أو ستاً. وليس من طيار ينسى أبداً اليوم الذي ينسحب مدربه من ركنه ويقول بلامبالاة: "تولَّ قيادة الطائرة بمفردك". لكن تعلّم الطيران ليس سوى البداية. فالهدف الرئيسي من الطيران الشراعي هو التحليق عالياً واستثمار طاقة الجو المجانية، وهذا فن في ذاته.

في يد مارد. عندما كنت صبياً كنت أمضي ساعات أراقب طيور النورس تمتطي تيارات الريح الصاعدة (٢) المنحرفة عند تلال دورست. والآن صرت طياراً شراعياً قادراً على مضاهاتها. فاذا طرت من نادٍ قريب من التلال المواجهة للريح السائدة، فأنت تستطيع استغلالها لتبقى في الاجواء ساعات بلا انقطاع. والافضل من ذلك وضع يندر وجوده، ففي بعض الحالات الجوية تنساب الريح فوق أحد الجبال فترتد عند سفحه المحجوب في سلسلة من "الموجات" الجبارة. فاذا تعلمت قراءة أمارات السماء فان موجة كهذه قد تحملك الى ارتفاع شاهق. ويهاجر الطيارون الشراعيون كل ربيع وخريف الى اسكوتلندا بحثاً عن أمواج يولدها جبلا غرامبيان وكايرنغورم. وفي هذه المنطقة سجل الطيارون الشراعيون البريطانيون في العام ١٩٨٠ رقماً قياسياً بالارتفاع الى ١٢ ألف متر.

الريح أداة مفيدة لو لم تكن غالباً متقلبة. وأفضل حليف لنا هو الشمس التي إذ تدفّىء الارض تولّد حراريّات (٣) وهي فقاقيع كبيرة من الهواء الساخن تندفع صاعدة وتنتشر حتى تبرد وتتكثف مكوّنة النغّاض (٤) اي السحاب المؤلف من أكداس مدوَّرة ذات قاعدة مسطحة. فاذا اخترت الموضع الصحيح تحت سحابة متنامية فانك تشعر باندفاع الطائرة الى أعلى. طِر دائرياً تبقَ في نطاق الارتفاع. أما اذ اخترت غيمة تكاد تتلاشى فانك تندفع نزولا بسرعة وقد تخسر مئات الامتار من الارتفاع الثمين قبل أن تستطيع الطيران بهدوء.

لا يخلو الطيران الشراعي من الاضطراب كما يبدو من الارض، على رغم أن احصاءات الحوادث تدل بوضوح على أنه أسلم من الطيران بمحرك. فبعض التيارات الدافئة ضيّق وهائج.

والطيران الاكثر إثارة تحدثه الفقاقيع الحرارية الشديدة القوة التي تتدفّق من الدخان الصاعد من حرق بقايا الحصاد في الحقول. ادخلْ بحذر، فلسوف تثب كالكرة، لكن حزام الامان سيشدك الى مقعدك. وفي ارتفاعك الاستثنائي هذا تشعر كما لو ان يد مارد تدفعك نحو الاعالي.

إدمان الأجواء. كنت وحدي أحوّم بكسل على ارتفع ٧٠٠ متر في تيار حراري

---

(٢) Upcurrents
(٣) Thermals
(٤) Cumulus

لطيف طالع من مقلع شوط الشمس صخوره. وإذا بي ألمح وميض جناحين أبيضين لطائرة شراعية أخرى تدور تحتي. فملت بالطائرة محاولا الارتفاع والتفوق على الطيار الآخر، لكن هذا وجد وضعاً أفضل رفعه الى مستواي. فرُحنا نرسم دوائر في رقصة باليه هوائية، وكل منا يناور في سبيل وضع أفضل.

فجأة انتشر ظل فوق ركني، وكنّا ارتفعنا الى ١٠٠٠ متر وبلغنا أسفلِ الغيوم. فنظرت الى خصمي وقد عدّلت طيراني لأتجنب الانغمار في السديم البارد، لكنه كان اختفى وغدت السماء لي وحدي.

ما إنْ يكسب الطيارون خبرة مبكرة حتى يبدو لهم تافهاً الاكتفاء بالتطواف داخل نطاق الامان المتاخم للنادي. وفي المرة الاولى حين تندفع خارج هذا النطاق نحو أرض مجهولة، لا بد من أن يعتريك خوف غريب. لكنك لا تلبث أن تدمن الطيران في الريف. وفي الطقس البديع، عندما تنشط الفقاقيع الحرارية خلال سبع ساعات أو ثمان، يستطيع الطيار الكفي أن يطير مئات الكيلومترات.

ليس في بريطانيا اجازة للطيران الشراعي، ومع ذلك ينبغي للطيارين أن يحصلوا على الشهادة "البرونزية" من الجمعية البريطانية للطيران الشراعي قبل أن يُسمح لهم بالطيران فوق الارياف خارج نطاق النوادي. والمطلوب للحصول على الشهادة انجاز ٥٠ ساعة من الطيران المنفرد، مع برهان عن القدرة على التحليق والحط في الحقول، اضافة الى امتحان خطي وآخر ميداني.

ويزداد الطلب على الطائرات ذات المقعد الواحد التي تملكها النوادي ويبلغ عددها ٤٤٩ طائرة، بحيث أن معظم الطيارين المجازين بالتحليق فوق الارياف ينضمون الى نقابة تخولهم ملكية حصة في واحدة من ١٣٠٠ طائرة شراعية بريطانية خاصة تباع غالباً في السوق المزدهرة للطائرات المستعملة. وبمبلغ ٣٠٠٠ جنيه (٤٨٠٠ دولار) يمكنك الحصول على طائرة شراعية قديمة ولكن متينة يبلغ باع جناحيها ١٧ متراً ومصنوعة في معظمها من الخشب، وهي ذات أداء متواضع إذ يبلغ الحد الاقصى لزاوية انحدارها ٢٧ - ١ (٥) أي انك اذا انطلقت بها من علو كيلومتر واحد في الهواء الساكن اجتزت ٢٧ كيلومتراً قبل أن تحط بك.

من جهة أخرى، تكلف الطائرة الشراعية الحديثة المصنوعة من الزجاج الليفي والمخصصة للسباق نحو ٢٠ ألف جنيه (٣٢ ألف دولار) ويبلغ باعها ٢٢ متراً وزاوية انحدارها ٥٠ - ١ بسرعة تفوق ٤٤ كيلومتراً في الساعة. وللطيران الشراعي سعوده ونحوسه على أكثر من صعيد: هناك الشعور بالنشاط والخفة عندما تكون في الاعالي، والكآبة عندما تجد نفسك تبحث بقلق عن حقل تحط فيه خالٍ من الحيوانات وقنوات الري وأسلاك الهاتف وأغمار الحنطة. ويفيدك ان تحتفظ في ركنك بكتاب جيد تقضي برفقته الساعات الطويلة بين اتصالك الهاتفي بالنادي ووصول الطاقم المسؤول عن استرجاع الطائرة.

(٥) Maximum glide angle of 27-1

يفكك الطاقم الطائرة الشـراعية ويوضب قطعها في عربة مقطورة طويلة ناحلة طالما أثارت فضول المتفرجين.

لكلٍّ حظه. ساد طقس بديع مناسب للانطلاق في مسابقة جائزة "الالماسات الثلاث" الدولية التي يحملها في الوقت الحاضر ٢٤٧ طياراً بريطانياً فقط. فهي تتطلب تحليقاً الى ارتفاع ٥٠٠٠ متر، ومسافة طيران تبلغ ٥٠٠ كيلومتر، وطيراناً ٣٠٠ كيلومتر الى وجهة محددة. وقد عزمت على المحاولة ثانية.

انتشرت الغيوم المنتفخة كنقط في عمق السماء الزرقاء. وعلى غير عادة بدت كل غيمة كأنها تتوّج تياراً ضخماً من الفقاقيع الحرارية وانطلقت طائرتي الشراعية لعدة ساعات منتقلة من غيمة الى اخرى بسرعة ٥٠ كيلومتراً في الساعة. في أحوال كهذه لا حاجة الى الدوران ضمن التيّار، اذ يكفي جذب عصا القيادة الى الخلف للانطلاق كالصاروخ صعداً في الهواء، ومن ثم الاسراع الى التيار التالي. ولكن فجأة بدت السماء أمامي خالية من الغيوم. ذلك بأن كتلة من هواء البحر كانت آخذة في الانتشار من الشاطيء، كاسحة في طريقها التيارات الدافئة.

بعد عشر دقائق كانت الطائرة تحط في مرج على بعد ٣٠ كيلومتراً من القاعدة. وظهر أول صبي صغير جاء يسألني مستوضحاً: "هل عطبت طائرتك يا سيدي؟ هل خانتك الريح؟"

بعض الطيارين يتمتّع بموهبة الهبوط في المكان الصحيح. اختار احدهم مرة الجادة المؤدّية الى منزل فخم، فرحب به رئيس الخدم ودعاه الى شرب الشاي مع العائلة. وآخر نزل في دير، فاستقبله الاخوة بترحاب وأطعموه لحماً وسقوه عصير التفاح. أما البقية فأقل حظّاً. فهناك زميل لي في عضوية النادي هبط في مستشفى للامراض العقلية ووجد صعوبة بالغة في اقناع الممرضين بأنه وصل فعلا في طائرة شراعية.

لكن جائزة الحظ التعيس يجب أن تعود الى الطيار الذي، في يوم مغرٍ بالتحليق، لفّق عذراً للتغيب عن المكتب وأقلع تحدوه آمال كبار. وسرعان ما سقط على أراضي المنزل الريفي لرئيسة الوزراء البريطانية حيث انقض عليه رجال الامن. وقد كلّفه نشرُ الخبر فقدان عمله.

يجـذب الطيران الشـراعي الناس الشغوفين بالتنافس. وغالباً ما يتطلب قدرة خارقة على الاحتمال. في العام ١٩٨٧ انتصر في بطولة العالم للطيران الشراعي في أوستراليا بريتون بريان سبركلي (٣٨ عاماً) قاهراً طيارين من ٢٤ بلداً بعدما طار ٧٠ ساعة خلال أيام المباراة الاثني عشر واجتاز اكثر من ٥٠٠٠ كيلومتر.

وفي العام ١٩٨٦ أقلع رجل الاعمال اللندني جوستن ويلز (٣٩ عاماً) من يورك في صبيحة يوم من مايو (أيار) وتوجّه جنوباً عبر بحر المانش. وبعد ثماني ساعات في الجو قطع خلالها ٨٥٠ كيلومترا وصل الى قرب مدينة ديجون في وسط فرنسا، مسجلا رقما قياسيا بريطانيا جديدا في طول المسافة. ويبقى الرقم القياسي العالمي، ذهاباً واياباً، هو

الذي سُجل في العام ١٩٨٣ في الولايات المتحدة ويتجاوز ١٦٠٠ كيلومتر.

بيد أن معظمنا يكتفي من الطيران بسحر التحويم في الجوّ. واحياناً، في عصر يوم صيفي هادىء، قد تسمع ما يشبه صوت ناي ضعيف فوق رأسك، وتلمح ومضة جناحين في أثناء طيران لولبي داخل تيار دافىء، صعوداً نحو الشمس.

هناك، في علُ، طيار يجد متعة بالغة في التحدي الشخصي الذي هو قوام رياضة تستوعب طاقات المرء كلها. وقد وصفها أحد المتحمسين بقوله: "يمكنك أن تتعلم منها شيئاً مفيداً، وأن تشعر بلذة المستكشفين، وأن ترضي غرورك، وأن تنتشي الى أبعد الحدود."

بيتر براون ■



"رفيقة" عمر

انه يوم عطلة، ومباراة كرة القدم تكاد تبدأ، والتلفاز معطل! وخابت كل محاولاتي المسعورة في تشغيله.

قالت لي زوجتي بلطف: "لا حيلة لنا اليوم يا عزيزي. سأعد طعاماً ثم ننطلق بالسيارة في نزهة الى الجبال."

كان نهاراً رومنطيقياً جميلاً، وهنّأتُ نفسي على اختياري رفيقة عمر توليني هذا الاهتمام الشديد. ولما عدنا الى البيت سألتني زوجتي: "قل لي: ألم تكن نزهتنا أمتع من أي مباراة كرة قدم؟"

واتجهت الى المطبخ وأدارت مفتاح التيار الكهربائي!

د.ك.

أخطاء الكومبيوتر

كانت سيدة تزور ابنتها في مدينة لوس أنجلس، فعرّجت على فرع لشركة التأمين التي تتعامل معها لتدفع قسطاً من بوليصتها. وبعد عودتها الى نيويورك فوجئت بان حسابها تحول الى عنوان ابنتها في لوس أنجلس. فذهبت الى مكتب ادارة الشركة وشرحت المسألة وسألت المدير: "ما هي أيسر طريقة لتصحيح هذا الخطأ في الكومبيوتر؟"

فرد المدير: "انتقلي الى لوس أنجلس!"

ج.ف.

كتب في لافتة متجر: "أفضل كثيرا للمرء أن يحب ويخيب من أن يشتري أحذية لثمانية أولاد!"

و.ه.

رقعة سوداء وبيضاء
فيها حروف متداخلة. ما هي؟

ق	ص	ة		ا	ل	ك	ل	م	ا	ت

ا ل م ت ق ا ط ع ة

كل يوم يهرب ملايين الناس الى عالم عجيب من المربعات السوداء والبيضاء حيث لكل مشكلة حل. انه عالم الكلمات المتقاطعة.

جاء في "دليل أكسفورد للألعاب العالمية" أن الكلمات المتقاطعة هي اللعبة الأكثر شعبية وشيوعا في العالم، وهي معروفة في جميع اللغات تقريباً. وفي مايو (أيار) ١٩٨٨ كشف روجيه بوكير، وهو حارس سجن في بلجيكا، إحدى كبرى شبكات الكلمات المتقاطعة في العالم، وقد بلغ طول رقعتها ٣٠ مترا وعدد كلماتها ٥٠ الفا. وقال بوكير انه أمضى في تركيبها خمس ساعات يوميا خلال أربع سنين.

كانت أولى شبكات الكلمات المتقاطعة هدية لعيد الميلاد. فقد كان آرثر واين المحرر في مجلة "وورلد" النيويوركية يبحث عن بدعة تضفي رونقا خاصا على عدد الميلاد. فرسم شبكة في شكل ألماسة، ثم صمم أحجية من ٣٢ كلمة متشابكة ظهرت للمرة الأولى في ٢١ ديسمبر (كانون الأول) ١٩١٣.

أصبحت الكلمات المتقاطعة ظاهرة تطلع بها المجلة كل يوم أحد. لكن انطلاق اللعبة لم يتم فعلاً إلا عام ١٩٢٤ حين أصدرت دار "سيمون وشوستر" للنشر أول كتاب لشبكات الكلمات المتقاطعة، فلقي إقبالا عارما. وغرق مكتب الشركة الصغير بسيل من الطلبات البريدية. ولم تأت نهاية السنة حتى كانت الدار نشرت ثلاثة كتب للأحجيات فاقت مبيعاتها ٤٠٠ ألف نسخة.

وعمّ هوس الكلمات المتقاطعة. وأصبح توافر كتب الأحاجي والقواميس والمراجع قاعدة في البواخر عابرات الاطلسي. وطبعت شركة بنسلفانيا للسكك الحديد كلمات متقاطعة على قفا لائحة الطعام في حافلاتها. وارتدت النساء ملابس مصممة بمربعات بيضاء وسوداء متقاطعة. وبيعت أساور ذهبية متقاطعة. وشاع إقتناء قواميس صغيرة تلبس كالساعة في المعصم. وقدمت مسرحية

في برودواي (*) بعنوان "احاجي ١٩٢٥" تضمنت مشهدا في مصح للذين فقدوا عقولهم هوسا بالكلمات المتقاطعة.

وتجاوزت حمى اللعبة المحيط الاطلسي. ولم يلبث المسؤولون المنهكون في حديقة الحيوان بلندن ان اعلنوا توقفهم التام عن الاجابة عن الاسئلة المنهمرة عليهم لمعرفة أسماء حيوانات غريبة، من ثلاثة أحرف أو أربعة.

محررو الشبكات. في الأربعينات هبط مستوى اللعبة الى حد يسهل حلها دونما خيال واسع. ولحسن الحظ برزت مجموعة جديدة من واضعي الاحاجي، مثل جاك لوزاتو الذي صاغ للنحلة صفة "طالبة رحيق" بدلا من "حشرة لاسعة". واستعمل مجدد آخر عبارة "دار نقار الخشب" بدلا من "بيت العصفور" للدلالة على "العش".

ومن المفارقات أن صحيفة "نيويورك تايمس"، التي كانت من أقوى الصحف الرئيسية مقاومة للصرعة، هي التي قادت عملية إحياء اللعبة وتجديدها. ففي العام ١٩٤٢ بعدما لينت موقفها بدأت تنشر شبكة كلمات متقاطعة في عدد يوم الاحد. وساعدت محررة الشبكة مرغريت فرار في إرساء كثير من القواعد والقوانين المتبعة حاليا: جميع الكلمات متشابكة، لا كلمات ذات حرفين، وتقليل عدد الكلمات ما أمكن. وهي استخدمت في شبكاتها معاني مستترة ومواضيع غامضة وأسماء علم وتعابير اجنبية.

لم تبدأ صحيفة "نيويورك تايمس" نشر كلماتها المتقاطعة يوميا إلا في العام ١٩٥٠. وما لبثت شبكاتها أن أصبحت مقياس الامتياز الأمريكي. وأصبحت وظيفة محرر الكلمات المتقاطعة في هذه الصحيفة هي الاعظم اعتبارا في عالم الأحاجي. وعلى مدى نصف قرن تعاقب على هذا المركز ثلاثة فقط هم مرغريت فرار التي خلفها ويل ونغ عام ١٩٦٩ ثم المحرر الحالي يوجين ماليسكا منذ ١٩٧٧. وقراء ماليسكا لا يرحمون، فحين كان يعالج في المستشفى قبل سنوات أيقظه أحد الأطباء المتمرنين في السادسة صباحا ليوقع له على أحجية.

ويتعاقد محررو الكلمات المتقاطعة عادة مع واضعي شبكات مستقلين يطلقون على أنفسهم لقب "صائغي الالفاظ". فصوغ الأحاجي هواية. وهناك، على سبيل المثال، معلم بيانو ومتعهد بناء وموسيقي يساهمون في صوغ شبكات الكلمات المتقاطعة لصحيفة "واشنطن بوست". وتستقي صحيفة "نيويورك تايمس" مواد شبكاتها من متعهد بناء وسجين وممثل وقاض.

وعمل المحرر عادة هو صوغ الكلمات ـ المفاتيح التي تؤدي إلى تعريف الكلمة المطلوبة.

والمحررون يضعون أيضا شبكات يصوغونها بأنفسهم. ويعتبر وليم لوتوينياك في صحيفة "واشنطن بوست صنداي ماغازين" أغزر محرري الكلمات المتقاطعة إنتاجا على الاطلاق. وهو وضع أكثر من ٧٦٠٠ شبكة. وكان لوتوينياك إختصاصيا بفك رموز الشيفرة في وكالة الأمن الوطني بالولايات المتحدة. وهو أدهش الجميع في "الدورة المفتوحة في

(*) برودواي هو شارع المسارح في نيويورك.

الكلمات المتقاطعة" عام ١٩٨٧ في بلتيمور بولاية مريلاند اذ صاغ كلمات شبكة من ١٥ مربعا أفقيا و١٥ مربعا عموديا في ١٣ دقيقة و٩ ثوان، واستغرق ٣ دقائق أخرى لصوغ مفاتيح الكلمات.

موجة جديدة. محررو الأحاجي لا يلتزمون مجموعة قواعد عملية فحسب، بل يتبعون ايضا مبادىء اخلاقية. فمن سوء الصياغة ان تكون هناك كلمتان متقاطعتان غامضتا المعنى. وعلى واضع الأحجية ان يتفادى ما أمكن الكلمات التي لا يعثر عليها الا في زوايا القواميس الخفية وان يكن شاع استخدامها في شبكات الكلمات المتقاطعة.

وتدور حاليا حرب "اهلية" عنيفة داخل مملكة الكلمات المتقاطعة. فهذا الفن الذي يمارسه ماليسكا وأتباعه يشهد موجة جديدة. وإحدى نقط الخلاف هي أي الكلمات مسموح استخدامها. ويدّعي المجددون أن جميع الكلمات المتقاطعة مقبولة بما فيها التعابير التي لا يتضمنها القاموس، والأسماء التجارية.

ففيما يستخدم التقليديون كلمة «Dial» بمعنى قرص الهاتف، فقد يستخدمها المجددون للدلالة على الماركة التجارية لصابون معروف.

ستانلي نيومن هو أحد قادة المجددين ورئيس "الإتحاد الأمريكي للكلمات المتقاطعة" ومحرر الشبكات في صحيفة "نيوزداي" في لونغ ايلاند، وكان نيومن سابقا محلل سندات في وول ستريت، شارع المال في مدينة نيويورك.

يقول نيومن: "يجب أن تتطور أحاجي الكلمات المتقاطعة باستمرار. ولكن هناك أناس لا تتعدى ثقافتهم الشعبية كليشيهات الحرب العالمية الثانية يسيطرون في هذا المجال".

وسواء رجحت كفة التقليديين أو كفة المجددين فان الملايين من هواة الكلمات المتقاطعة سيستمرون في محاولاتهم العنيدة لحل ألغاز الشبكات. وستأتي ألعاب أخرى كثيرة وتروح، لكن الكلمات المتقاطعة ستبقى معنا ما دامت هناك كلمات.

وليم اسنبرغر ■

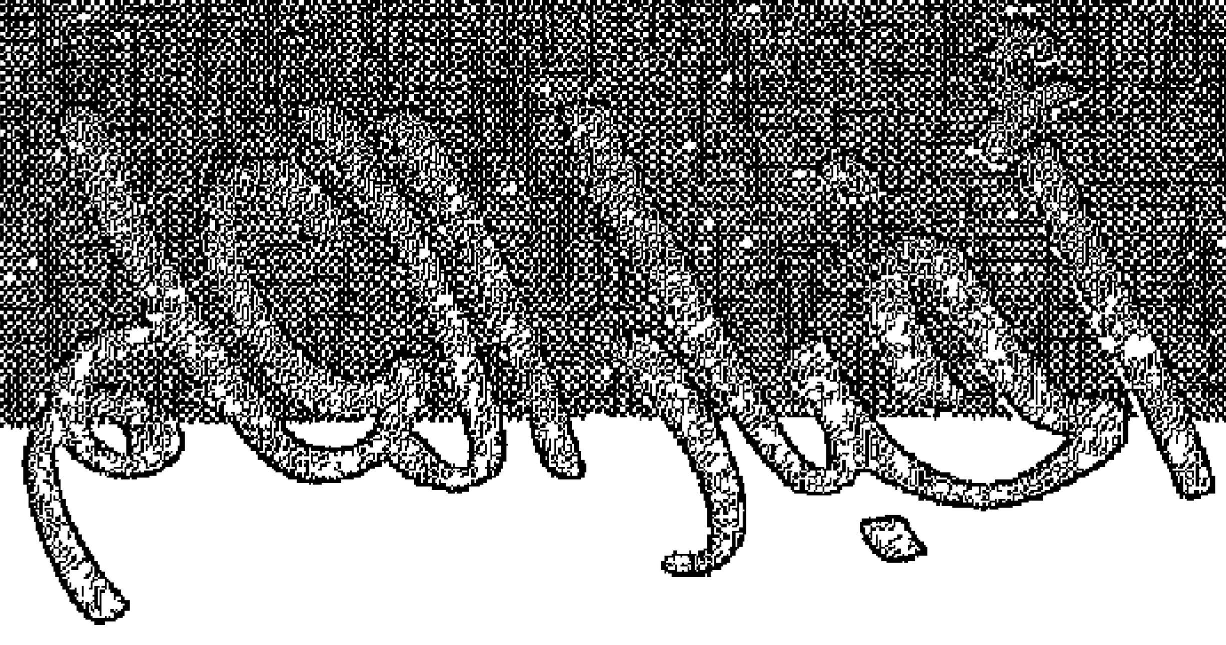


صغير على الساعة

لتسهيل العمل في ساعات الزحام وضع متجرنا الصغير قاعدة لاعادة زجاجات المرطبات الفارغة: لا تقبل الزجاجات بعد الخامسة عصرا. وذات يوم قدم أربعة صبيان صغار بزجاجاتهم قرابة السادسة والنصف. ولرغبتي في ايقاف هذه العادة سألت كلا منهم بلهجة صارمة ما اذا كان مطلعا على القاعدة. فهز ثلاثة منهم رؤوسهم أن لا، لكن أصغرهم قال انه مطلع. فسألته: "لماذا، اذاً، أتيت بهذه الزجاجات الآن؟"

فأجاب: "ما زلت أجهل قراءة الوقت يا سيدتي."

ج. ك.



ورود وشتول من مياه القاذورات

استنبط مهندسون في جامعة كورنيل في مدينة ايتاكا بولاية نيويورك نظاماً لمعالجة مياه البواليع يستطيع ان يولّد طاقة ويجعل المياه صالحة للاستعمال بأكلاف اقلّ من المألوف.

وباستخدام هذا النظام جراثيم لتصفية الاجسام الملوّثة الثقيلة، علاوة على إنماء نباتات في المياه المطهرة جزئياً، فانه يُنتج غازاً طبيعياً وشتولا زراعية قيمة فيما هو يطهر المياه.

واذا برهنت الدراسات ان هذه الطريقة عملية، على نطاق واسع، فقد تتمكن البلديات من الافادة من معالجة المياه المبتذلة. وفي ذلك يقول رئيس الباحثين وليم ج. جبويل: "بقطع النظر عن الارباح الناجمة عن نمو النباتات التزيينية او عن العلف الحيواني، يمكن مجاري منطقة تضم عشرة آلاف نسمة ان تولد سنوياً طاقة بقيمة اربعمئة الف دولار."

وعلى غرار الانظمة الاختبارية الاخرى، يُنبت نظام جامعة كورنيل نباتات في محلول من المياه المبتذلة الغنية بالمواد المغذية. لكنه لا يولّد رواسب طينية او فضلات مادية اخرى لان اقذار البواليع تنظّف قبلا بجراثيم قادرة على الحياة من غير حاجة الى اوكسيجين بدلا من الجراثيم الهوائية المستخدمة في الانظمة الاخرى. فالمياه الاكثر نظافة تتيح نمو نباتات اكثر نفعاً.

يقول جبويل: "كل انواع النباتات تقريباً تفضل نظامنا." ويمكن المحاصيل الغذائية ايضا ان تنمو بفضل هذه المياه شرط تعقيمها احترازاً من نشر جراثيم مضرّة."

كذلك يُنتج نظام كورنيل مقادير كبيرة من الغاز المستعمل تجارياً - الامر الذي لا تفعله الانظمة الاخرى - ومن الدّبال الذي يمكن تحويله ترباً او تسميد التربة الزراعية به. ويضيف جبويل ان هذا النظام لا يزال في حاجة الى اختبارات إضافية، وإن يكن المختبر "انتج" مياهاً قريبة الشبه، من حيث جودتها، بمياه الشفة.

ج.إ.ب.

جنين مدرّع

المدرّع (أرماديلّو) حيوان ثديي بارع في التخطيط العائلي: اذا عانت الانثى الحامل وطأة البيئة القاسية فانها تستطيع ايقاف نمو جنينها سنة أو أكثر ثم تدعه يعاود نموه عندما تتحسّن الظروف. هذه القدرة الخارقة المكتشفة حديثاً غير معروفة في أي من الحيوانات الثديية الاخرى.

صحيفة "واشنطن بوست"

حصان يطير!

منذ فجر العصر الفضائي ظلت الصواريخ الغالية الثمن والمجمّعات الارضية الضخمة مطلوبة لاطلاق الاقمار الاصطناعية. وحديثاً أعلنت شركتان أمريكيتان، هما شركة "العلوم المدارية" وشركة "هركوليس الفضائية"، مشروعا لاطلاق أقمار اصطناعية في مدارها من طائرة نفّاثة على علو شاهق. الامر الذي يجعل من كل مطار حسن الموقع مرفقاً فضائياً محتملا.

يقضي المخطط بأن تحمل طائرة "ب – ٥٢" أو طائرة مدنية معدّلة، الى ارتفاع ١٢ ألف متر، صاروخاً طوله ١٥ متراً مزوداً جناحين قصيرين وقد دعي "بيغاسوس" تيمّناً بالحصان الاسطوري الطائر. وخلال ١٢ دقيقة تتولى محركات الصاروخ العاملة بالوقود الصلب دفع حمولة الصاروخ البالغ وزنها ٣٨٥ كيلوغراماً الى مدار يرتفع حوالى ٤٠٠ كيلومتر عن الارض.

يستطيع "بيغاسوس" أن يعمل للفضاء ما عمله "آبل ٢" في حقل الادمغة الالكترونية: فتح المجال لعدد كبير من التطبيقات التجارية والعلمية التي لا يتصورها اليوم أحد. ويكلف "بيغاسوس" أقل من ١٠ ملايين دولار ثمناً له مع كلفة اطلاقه، وهذا المبلغ هو جزء بسيط من كلفة اطلاق صاروخ من منصة أرضية.

أول زبون لـ"بيغاسوس"، الذي يُتوقع أن يطير في منتصف العام ١٩٨٩، هو "وكالة مشاريع الابحاث المتطورة للدفاع" التابعة لوزارة الدفاع الامريكية. وتأمل الوكالة اثبات أن الصواريخ الرخيصة والسريعة الاطلاق يمكنها أن توجه الاقمار الاصطناعية التي ستنقل اشارات لاسلكية بين الطائرات المتباعدة أو الوحدات الارضية وتؤمن معلومات دفاعية مهمة.

تقرير "يو. إس. نيوز أند وورلد ريبورت"

من سمع فاغنر أولا؟

خلال استماعي الى اذاعة "متروبوليتان أوبرا" في نيويورك بعد ظهر يوم سبت، سمعت المذيع يسهب في عرض سؤال طرحه أحد المستمعين من شيكاغو. فقد أراد أن يعرف "مَن يسمع أولا الالحان الافتتاحية لمعزوفة "تانهاوزر" رائعة ريتشارد فاغنر (١٨٤٥): الناس الجالسون في شرفة الـ"متروبوليتان أوبرا" أم هو الجالس في بيته في شيكاغو؟"

أحيل السؤال على الخبراء فجاء جوابهم على الفور: نظراً الى أن سرعة الصوت هي ٣٤٤ متراً في الثانية، وهي تكاد لا تذكر بالنسبة الى سرعة موجات الراديو البالغة ٢٩٩٧٤٤ كيلومتراً في الثانية، فان النوطات الاولى للمعزوفة بلغت أذني الشاب الجالس في شيكاغو قبل أن يسمعها الجالسون على شرفة دار الاوبرا.

لكن ذلك كان صحيحاً قبل سنوات عندما كانت اذاعة الصوت تتم براً بواسطة الاسلاك. أما في هذه الايام، فنظراً الى رحلة الموجات الصوتية الى قمر اصطناعي ومنه الى الارض ثانية، والبالغة ٧٢ ألف كيلومتر، فان الجالسين على شرفة دار الاوبرا هم الرابحون.

و.ف.



علّموا أولادكُمْ أصُول التدبير المالي

كل سنة ينفق الاولاد في العالم مليارات الدولارات من مخصصاتهم. وينفق ذووهم مليارات اخرى بتأثير منهم. وكالراشدين تماماً، يعاني الاولاد مشاكل مالية تتصل بعمليات الإدخار والموازنة والصرف والهدر.

من المؤسف أن التدبير المالي قلما يعلّم في المدارس. وقليلون هم الاهل الذين يبحثون مع أولادهم في الأمور المالية.

تقول لويس اوكونور وهي مستشارة مالية مرموقة: "عدد كبير من الناس يبلغون سن الرشد من دون أن يكون لديهم اي إلمام بتدبر أموالهم الشخصية. وهكذا يتعلمون التدبير المالي من طريق التجربة والخطأ، وخصوصا الخطأ."

والاولاد الذين يتعلمون الاصول المالية باكراً في الحياة يكسبون أفضلية على

Illustrations: Lisa Henderling

سواهم. ومن ناحية أخرى فإن إتقان التعامل بالمال يعزز الانضباط وعادات العمل الحسنة واحترام الذات.

هنا سبع طرق تساعد أولادكم على فهم أصول التعامل بالمال.

١. إبدأوا بتخصيص مبلغ معين كمصروف جيب للولد. فالمخصصات وسيلة حيوية لتعليم الاولاد وضع الموازنة والادخار واتخاذ القرارات. فعندما يخسر الأولاد مالهم أو ينفقونه بطريقة حمقاء، يتذكرون أخطاءهم ويتعلمون منها.

ربما سأل بعضكم ما هو المبلغ المناسب لهذه المخصصات. وجواب الخبراء أن ليس من مبلغ "ملائم" أو "صحيح."

لتخصيص مبلغ مناسب لولدكم، أقيموا له موازنة أسبوعية. الحظوا فيها مبلغاً للترفيه، مثل حضور السينما وتناول بعض الحلوى والشكولاته، وآخر للمصروف الضروري اليومي مثل طعام الغداء والتنقلات ولوازم المدرسة. وتقول جوزفين سوانسون الاختصاصية بشؤون المستهلك في جامعة كورنيل في ايتاكا بنيويورك: "إذا جعلتم الولد مسؤولا عن تسديد هذه "الفواتير"، فإن ذلك يعلمه موازنة مصاريفه الضرورية."

أخيراً، أضيفوا الى المخصص مبلغاً إضافياً كي يتمكن ولدكم من الادخار. واحرصوا، إذا أمكن، على أن تجعلوا مخصص ولدكم متكافئاً ومخصصات أصدقائه. فالولد الذي لا يستطيع أن يجاري اقرانه في الانفاق قد يشعر بأنه منبوذ أو مهمل. كما أن الولد الذي يتفوق على أقرانه في مقدرته على الشراء قد يدفعه غروره الى التباهي أو الى شراء الصداقات.

تجنبوا ما أمكن تقديم أي عون مالي لولدكم لاخراجه من مأزق وقع فيه لخطأ ارتكبه. قد يصعب عليكم ذلك، لكنه أمر حاسم. عندما كانت بروك ستيفنز في العاشرة من عمرها في جاكسونفيل بولاية فلوريدا، كانت أمها تعطيها خمسة دولارات أسبوعياً، وكان عليها أن تدفع منها ١،٧٥ دولار ثمن وجبات الغداء وأجرة الحافلة. وكانت أمها تقول لها: "إذا ضيعْتِ مالك فسوف تعودين الى البيت على قدميك."

ذات أسبوع أنفقت الفتاة كل مالها في دكان للحلوى ثم اتصلت بوالدتها كي تنقلها بالسيارة. وتتذكر بروك ستيفنز ذلك اليوم: "رفضت والدتي طلبي وجعلتني أعود الى البيت سيراً. في البدء تميزت غيظاً. لكنني أدركت في النهاية أنها تحاول أن تعلمني درساً مهماً."

ينصح الخبراء بعدم ربط المخصص مباشرة بالاعمال التي يؤديها الولد. فالاولاد يجب أن يساعدوا في أعمال البيت، ليس لانهم يتقاضون أجراً على ذلك بل لأنهم أفراد في أسرة واحدة وعليهم أن يشاطروا ذويهم المسؤولية. ولكن إذا أدى الولد أعمالاً إضافية فلا بأس من إعطائه مالاً مكافأة لعمله، فذلك يساعد في تنمية روح المبادرة لديه.

٢. دعوا الاولاد يعملون بعض الوقت. يقول البروفسور مارك شاغ أستاذ التربية في جامعة ميلووكي في

وسكونسن: "غالباً يعزز العمل ثقة الولد بنفسه. فعندما ينمو الولد وتتسع خيارات العمل أمامه يدرك أنه أصبح ذا قيمة أكبر في ما يساهم به تجاه المجتمع."

والأعمال التي يستطيع المراهقون تأديتها متوافرة في مطاعم الوجبات السريعة والمخازن الكبرى والمؤسسات الرياضية والترفيهية والمراكز التجارية ومحطات الوقود، حيث يستكشف ذوو الحس التجاري امكانات الربح وفرص العمل. ففي هيلزديل بولاية وسكونسن بدأت تانيا همفري وهي في الثالثة عشرة من عمرها تجارة صغيرة لشراء الخيول وبيعها. وبعد بضعة أشهر وظفت أختها تامي (١٦ عاماً) مالاً ادخرته من عملها في مشروع نفذته المنظمة الريفية للشباب برعاية وزارة الزراعة الاميركية، فافتتحت دكاناً للوازم الفروسية من سروج وألجمة وخوذ وسواها.

ولكن لا تدعوا الاولاد يبالغون في هذه الاعمال، إذ ربما عاق العمل لساعات طويلة التحصيل الدراسي او الواجبات العائلية أو النشاطات الاجتماعية. هناك قاعدة مبنية على التجربة العملية مفادها أن الحد الاقصى لساعات العمل ايام المدرسة هو بين ١٠ ساعات و١٥ ساعة في الاسبوع.



. علموا أولادكم الادخار. هذا الطبع أسهل قولا مما هو فعلاً. فأولاد اليوم معروفون بسعيهم الفوري الى المتعة. لذلك ينبغي أن نقدم اليهم أسباباً وجيهة للادخار.

يمكنكم البدء بالحد من التقدمات الخاصة التي تهبونها لأولادكم، مثل الدراجات الفخمة والثياب الفاخرة الباهظة الثمن. اشرحوا لهم أنهم إذا رغبوا في أشياء أغلى ثمناً وأعلى قيمة في المستقبل، فعليهم في الوقت الحاضر أن يضحوا بأشياء أقل أهمية.

ولكن يجب ألا يغيب عن بالكم أن الادخار للمستقبل، بالنسبة الى ولد في الثامنة أو التاسعة من عمره، قد يعني الادخار لشراء شيء ما في الشهر المقبل وليس في السنة المقبلة.

والافضل اعتماد حساب توفير للادخار الطويل الامد من أجل شراء أشياء غالية مثل دراجة أو آلة تسجيل. وعادة الادخار تجعل الاولاد في النهاية يقدرون الاشياء التي جهدوا للحصول عليها.



. علموهم كيف ينفقون بحكمة. اصطحبت ليندا باربانيل، وهي طبيبة نفسانية في مدينة نيويورك، ابنها اريك (٦ سنوات) الى ثلاثة مخازن مختلفة تفتيشاً عن "كنز ضائع". وكان الهدف أن يجدا جهاز راديو معيناً لتقديمه هدية الى والد اريك، وبأفضل سعر. ومكافأة للطفل على الجهد الذي بذله كسب ١٠ دولارات هي الفرق بين أعلى سعر وجداه، وأدنى سعر. ذلك المبلغ كان الدليل الحسي للربح الذي يجنيه الفرد من التفتيش عن صفقة رابحة.



. امنحوا أولادكم فكرة عن النفقات المتوجبة على الراشدين. ان عدداً كبيراً من المراهقين يعيشون في عالم مالي غير واقعي. فهم يعيشون في

البيت مع ذويهم، لذلك تظل نفقاتهم المعيشية محدودة. وهذه "البحبوحة قبل الاوان"، كما يدعوها جيرالد باكمان أستاذ علم النفس الاجتماعي في جامعة ميشيغن في آن آربور، تعرضهم لصدمة لاحقة عندما يصبح متوجباً عليهم دفع بدل ايجار وثمن ما يستهلكون من ماء وغاز وكهرباء وطعام وملابس ورسوم نقل.

الاولاد الذين لا يطلعون على حقائق الموازنة المنزلية في سن مبكرة يضطرون في وقت لاحق الى التخلص من عادات إنفاق سيئة اكتسبوها. ولمساعدة أولادكم الشباب على مواجهة المستقبل اجعلوهم مسؤولين عن اتصالاتهم الهاتفية الخاصة وعن فواتير تصليح سياراتهم وثمن وقودها وعن جزء من نفقات المنزل. وافتحوا لهم دفاتركم ودعوهم يرون أين يذهب مالكم. وهكذا تساعدونهم على فهم الامور التي ينطوي عليها التدبير المنزلي.

٦. اشرحوا لاولادكم الطريقة الصحيحة لاستخدام تسهيلات التسليف. تأكدوا من أنهم يدركون جيداً أن الدَّين، مهما يكن نوعه، يكلف مالا وانه ليس طريقة لتعزيز الدخل او بديلا من التخطيط الصحيح، بل انه يستخدم فقط في الحالات الطارئة او للافادة من ظروف استثنائية كشراء شيء نافع وثمين يحتفظ بقيمته على المدى الطويل.

يمكنكم أن تمرنوا ولدكم على الاساليب المعتمدة في التسليف مستغلين رغبته في شراء شيء غال كدراجة أو دماغ الكتروني لاستعماله الشخصي، باعطائه قرضاً يسدد أقساطاً مع اعداد الاوراق اللازمة لذلك.

عندما أراد كريس ليف (١٦ عاما) شراء مركب شراعي ثمنه ٧٥٠ دولاراً، اعطاه والداه قرضاً بموجب عقد وقعه وحددا فيه نسبة الفائدة وتواريخ ايفاء الاقساط الشهرية وما يتوجب عليه في حال تأخره في تسديد المبلغ. وذات شهر تأخر كريس يوما واحداً، فاستوفت منه والدته الغرامة المحددة. وعندما احتج على ذلك قالت له: "لست والدتك الان، بل مصرفك."

٧. أعطوا أولادكم المثل الصالح. الاولاد، حتى في سن الطفولة، يتعلمون بالمراقبة. فاذا كانت الفواتير موضوع نقاش عائلي مستديم، او إذا أهمل الادخار من أجل الظهور ببحبوحة أمام الجيران، فالاحتمال كبير أن يحذو الاولاد حذو الأهل. ومنكم ايضاً يتعلمون كيف ينظرون الى الاحسان، أتراه مهماً أم غير مهم.

تراجعوا قليلا وتأملوا مواقفكم حيال المال. هل تستخدمونه مثلاً كبديل من الحب؟ بعض الآباء يغدقون الهدايا على أولادهم لتعويض غيابهم عنهم. وهذا درس سيىء، فالهدايا بدل الحب تزرع بذور التعلق بالمادة، والانشغال بها عن الشؤون الروحية والفكرية.

ضمة، ابتسامة، قبلة، لقاء حميم، هذه أمور لا تشترى بالمال. وربما كان ذلك أهم درس مالي.

ماري هودج ■

الطبيعة الشافية



في تلال سردينيا النائية
وجد مريض القلب طمأنينة كانت له أفضل دواء

بدت الطريق مقفرة. وفي المدى عبر الضباب الرقيق انتصبت قمم سوبرامونتي المثلمة. كنت متوجهاً نحو بارباغيا، وهي منطقة قليلة السكان في سردينيا، فانعطفت نحو طريق تتعرج بين التلال السامقة، ثم انحدرت متمهلا عبر طريق ترابية ضيقة أوصلتني في النهاية الى ملتجأ على منحدر احدى التلال. تساءلت كيف يمكن شخصاً تعرض لسكتة قلبية أن يستعيد صحته بالمجيء الى هذا المكان ليعيش في عزلة تامة.

كان الرجل الذي استقبلني ناحلا حسن المظهر وقد لوحت الشمس وجهه. انه برونو بيريدا، عجوز في السادسة والسبعين يعيش في كوخ بسيط مؤلف من طبقتين، لكنه بدا كأنه لورد من النبلاء عندما اقتادني الى الحديقة والبستان اللذين زرعهما في مملكته الصغيرة. قال لي: "كانت هذه الارض بكراً عندما أتيت لاسكنها عام ١٩٧٤. ولم تكن ثمة طريق

Photos: Vincenzo Frigo, Cagliari

للوصول اليها. في البدء كنت أنام في ملتجأ بنيته في شجرة فلين. إلا ان هذا الجانب من التلة كان لي بمثابة مستشفى، وكان الهدوء المخيم هنا أفضل دواء لي."

توسط مائدة غدائنا طبق من السلطة المعدة من الاعشاب البرية والخس المقتلع من حديقته والعسل المجني من نحله. ثم جاءني بشراب فاخر صنعه من العسل.

لم يكن يبدو عليه شيء من علائم المرض القاتل.

لجوء الى الريف. ولد بيريدا في نورو بسردينيا، في ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩١٣ في عائلة عاشت أجيالا طويلة ولا تزال تعيش ملتصقة بالارض. درس الطبيعة حوله بشغف طوال حياته. عندما كان صبياً قرأ كتباً عن الحشرات، وجمع أنواعها المختلفة من نحل ونمل وزنابير وفراشات حتى عج بها منزل والديه. تسلق قمم الجبال كالماعز. وفي سن المراهقة كان يمضي الليالي خارجاً ومعه مرقاب (تلسكوب) يرصد به النجوم.

خلال الحرب العالمية الثانية أسر في افريقيا وسجن في الولايات المتحدة لمدة سنتين. وبعد الحرب عاد الى نورو. وفي العام ١٩٤٧ تزوج مادلينا سابا التي انجبت له خمسة صبيان. وفي ١٩٥١ التحق بمكتب السياحة في نورو حيث عمل حتى ربيع ١٩٧٤.

في أوقات فراغه كان ينجذب دائماً الى مغاور سردينيا محاولا اكتشافها "وادخال النور حيث لم يسبق للنور أن دخل يوماً." أصبح محترفاً في دراسة الكهوف والمغاور على هذه الجزيرة الكبيرة ذات الترسبات الكلسية الصخرية القديمة. أسس عام ١٩٥٦ "غروبو غروتي نوريسي" وهي منظمة متطوعين معروفة عالمياً ببعثاتها الاستكشافية الخطرة تحت الارض، وهو لا يزال يرئسها. وقد اكتشف فريقه مصادر للمياه ومواد مهمة في حقول الجيولوجيا وعلم الاحاثة وعلم الاثار وسواها.

وذات عصر حار من شهر أغسطس (آب) ١٩٧٤ كان بيريدا (٦٠ عاماً آنذاك) يعمل على تجهيز آثار مستخرجة من كهف بغية عرضها في المتحف. فجأة انتابه ألم شديد في كتفه وصدره تبعه "احساس بالموت."

بقي بيريدا في قسم العناية الفائقة مدة أربعة أيام. وألحقت النوبة بقلبه ضرراً كبيراً. أمره الاطباء بالحد من نشاطاته وتجنب الارهاق، ونصحوه بالبقاء في قسم العناية الفائقة لمزيد من المعالجة والمراقبة. لكنه فضل أن يترك المستشفى حاملا معه كمية كبيرة من الادوية.

وهكذا بدأت حياته الجديدة. أخبرني بيريدا: "علمت أنني لن أعيش طويلا وعائلتي القلقة تحوم حولي وأصدقائي يؤاسونني. ولتأمين الحياة غير القلقة التي وصفها لي الاطباء وجب علي أن أكون وحدي، وهذا أمر أستطيعه على أفضل وجه في الريف."

"إعرف نفسك." عام ١٩٧٣ قبل أشهر قليلة من تقاعده في مكتب السياحة،

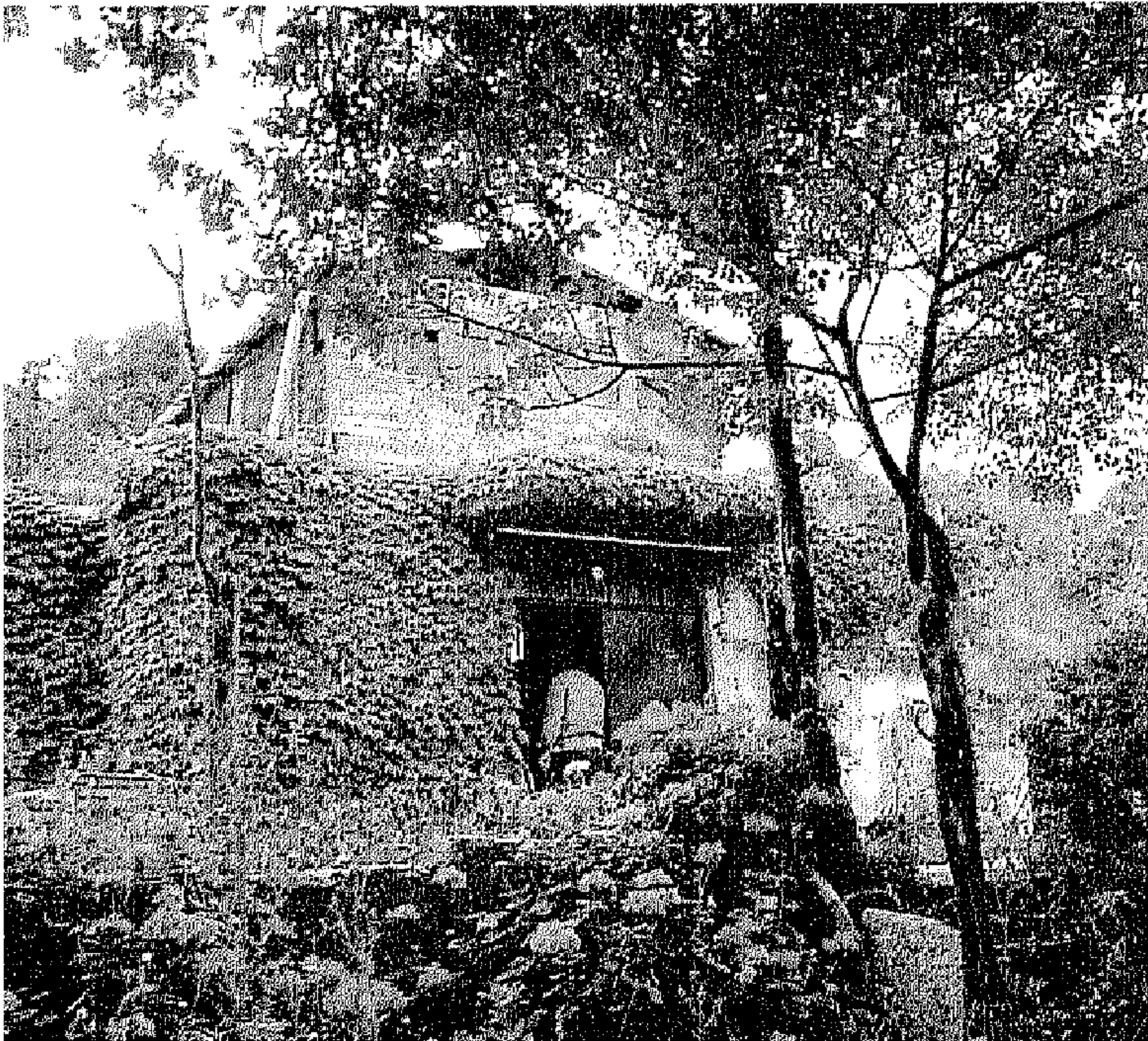


اشترى بيريدا قطعة أرض في مونتريكوس، في القفر الذي يقع على سفح جبل أورتوبيني على بعد حوالى ١٦ كيلومتراً من نورو. فالتجأ في محنته الى تلك القطعة من الارض.

العيش بعيداً عن زوجته وولديه الاصغرين والتخلي عن عالم الكهوف سببا له ألما شديداً. وهو شرح لي الامر جازماً: "لكن حياتي كانت على المحك." كانت عائلته مؤمّنة بالحصول على معظم معاش تقاعده. وعلى رغم صعوبة الموقف بالنسبة الى أفرادها فقد تقبلوا هذا التدبير الغريب لاجل صحة بيريدا.

عندما بدأ بيريدا حياته على أرضه كان في حال صحية سيئة. كان كئيباً متوعكاً يتناول تسع حبات دواء في اليوم. وكان الوقت يمضي ببطء في البداية، فأخذ يقلق على ما ستكون حياته من دون سجائر ولا هاتف. كان معظم الوقت يركز على ضربات قلبه: "انه احساس بشع وكأن شوكة تغرز عميقاً في لحمك. مرت علي ليال كان قلبي أثناءها يخفق ببطء وبلا انتظام الى درجة جعلتني أتساءل ان كان الفجر سيطل علي من جديد." كان يشعر دائماً باللامبالاة والحيرة. وكانت الادوية تزعج عملية هضم الطعام وتجعل منه انساناً ناعساً بليد الحس.

ساعده العمل الجسدي.



(فوق) ملتجأ بيريدا الاول في شجرة الفلين. (تحت) مسكنه الحالي.

بنى ملتجأه في شجرة الفلين ليكون في مأمن ليلا من الذئاب والدببة والهرر البرية. وعلى رغم أنه استخدم رجلا مع جرافة لشق طريق الى أرضه، فقد بقي عليه القيام بعمل مضنٍ في تنظيف درب ترابي على جانب التلة الشديد الانحدار المليء بالصخور والمكسو بشجر الآس والزيتون البري. وعلى رغم ضعفه الجسدي فقد رحب بالمشهد الجديد. فها هو الرجل الذي أحب الطبيعة طوال حياته يصل الى أرض أحلامه.

قال لي: "يمكنك أن تدعوها الرياضة الارضية البطيئة. كانت أرضي في حاجة الى تنظيف، وكنت انا في حاجة الى الحركة من أجل دورتي الدموية. تصورت أنني اذا استطعت المحافظة على حيوية جسدي بالرياضة الخفيفة وتمكنت من العيش بهدوء، فسيكون قلبي أيضاً أكثر حيوية وهدوءاً. كانت مواجهة هذه الحياة المنقوصة تتطلب شجاعة مختلفة عن تلك التي يتطلبها استكشاف المغاور الخطرة. وقد كانت لليونانيين القدماء حكمة تقول: اعرف نفسك. هذا ما تعلمته في المدرسة، لكني هنا أدركت معناه."

ان اكتشاف الذات أتى بطرق جسدية أولا عندما أصبح بيريدا طبيب نفسه. اكتشف أن قلبه يعمل أفضل عندما يتناول وجبات خفيفة من الحشائش البرية والجبنة الخفيفة وثمار العليق وغيرها من الفواكه البرية وسمك الجدول في بعض الاحيان. كما أنه شعر بالتحسن بعد تخليه عن نصف كوب من النبيذ مع وجبات الطعام كان سمح به طبيبه في المدينة. وتعلم تجنب التيارات الهوائية ونور الشمس الساطع والنوم عندما يشعر بالدوار لتجنب الاغماء. قال بيريدا: "ثم بدأت أكتشف سراً عجيباً وهو أن أكون موجوداً ولا أفكر في وجودي. على المرء ألا يكون عبداً للصيغ الموضوعة. تعلمت تدريجاً أن أفعل ما أريد عندما أريد وأن أفكر في ما يمكنني أن أفعل وليس في ما لا استطيعه. وذات يوم أدركت أن قلبي عاد يدق بانتظام ومن غير أن أشعر به."

الفلاح العالم. تحسنت صحة بيريدا الى حد أنه قلل من تناول الادوية. وفي وقت وجيز استغنى عنها كلياً. قال: "ان الطبيعة في تغير دائم. وبمجرد مراقبة هذه التغيرات عن كثب يشارك المرء في تحولاتها الكبيرة."

كانت عمليات حراثة الارض وشق الاثلام والممرات والزراعة نشاطات مثمرة وشافية ووسيلة لبناء سلامة الجسم والعقل. قال بيريدا: "ان زراعة زهرة والامل في رؤيتها تبرعم أمر يتطلب البقاء ويعجل عملية شفاء المريض. والى ذلك فانني لم أكن وحيداً."

خلال الليل، في الصيف الاول، سمع بيريدا أصوات العنادل وراقب طيور البوم "التي كانت تحت أشعة البدر تطوف بين الاشجار وكأنها ترقص خفيفة كالمناديل." وعندما عقب الشتاء فصل الخريف الاول لاحظ عصافير الحناء الجائعة، فكان يحفر الارض لاستخراج الديدان واطعامها حتى صارت تثق به وتأتي لتقتات من يديه.

عام ١٩٧٦ سمح بيريدا لنفسه باستقبال أفراد عائلته وأصحابه

المقربين، ومع خمود عوارض مرضه خمد خوفه من الاصابة بأزمة قلبية ثانية. لقد توصل الى حالٍ طبيعية مستقرة هادئة.

ورويداً كبر بستانه على منحدر التل فحوى الخضر والحشائش وكرم عنب صغيراً وبستان فاكهة. ويتذكر بيريدا: "في سنتي الثالثة هناك عندما تذوقت خوخة، وكانت أولى الثمار، قلت لنفسي مندهشاً: لقد عشت! وبصراحة، لم أكن اتوقع أن ابقى حياً طوال تلك المدة."

وكانت أوقات شعر فيها بيريدا بالملل. قال: "ليس هنالك شيء قاتل للصحة مثل الضجر." أما الحل بالنسبة اليه فكان اكتشاف النباتات البرية التي يعتبرها علماء النبات مفيدة في محاربة أمراض جمة وشفائها. كان يسهر الليالي مكباً على مراجع علمية، كما كان يطوف الارض جامعاً النباتات. وهو اكتشف عشرات الاعشاب المفيدة، بينها واحدة مفيدة له معروفة بالفراسيون تستعمل احياناً لتنظيم تقلصات القلب.

ميراث ومعرفة. جهز بيريدا مختبراً صغيراً داخل كوخه لتحضير أدوية نباتية. وهو يقدِّر أن النباتات التي تنمو حوله، البرية والمزروعة، يمكنها أن تحارب أكثر من مئة مرض عندما تتحد ميزاتها.

لقد كان شفاء برونو بيريدا مذهلاً. يقول الدكتور ماركو بيتاليس رئيس قسم الامراض القلبية في مستشفى سان فرنسيسكو في نورو: "كان اختياره العودة الى الطبيعة فاعلا الى حد لا يمكن انكاره." وتضيف ماريزا كوالبو رئيسة وحدة التخدير والتنشيط: "ان نظامه الغذائي النباتي وحياته الهادئة في الطبيعة جاءا بالعجائب."

ويعتبره أبناء نورو اليوم مرجعاً في أعشاب سردينيا ونباتاتها الطبية. أما هو فقد علَّم هذا الموضوع في المدارس المحلية وفي حلقة دراسية أقامها لمرشدي السياح في الجزيرة. وهو يعمل أيضاً على تمرير معلوماته الى ابنه البكر ميشال وزوجة ابنه لوتشيانا. وقد أقيمت مزرعة للعائلة على جانب التلة حيث تباع الادوية. قال لي بيريدا: "جميل أن أعلم أنني سأترك ورائي ليس فقط ميراث هذه الارض بل أيضاً معرفة مفيدة لصحة الانسان."

ويقصد بيريدا زوار كثيرون في هذه الايام. وهو قال لي: "ما زلت أعتبر هذا المكان منسكاً، لكني أحب دائماً أن أرحب فيه بالاصدقاء."

زحف الظلام على مونتريكوس فقمت على مضض أستعد للرحيل. قال بيريدا: "شعرت بالموت يلاصقني عندما أتيت الى هنا عاجزاً. لكنني سرعان ما أدركت أنني سأعيش. وها أنا اليوم أكبر بأربع عشرة سنة وأشعر بأن الموت بعيد جداً عني."

وسكت لحظة ونحن نراقب التلال البعيدة ثم تابع: "اكتشفت أن الحياة الهادئة والمنتجة هي دواء قوي يشفي."

وفكرت: ان أكثر ما يلفت في انتصار بيريدا على الموت هو أنه حصل تدريجاً وتلقائياً، "بل طبيعياً" كما يقول.

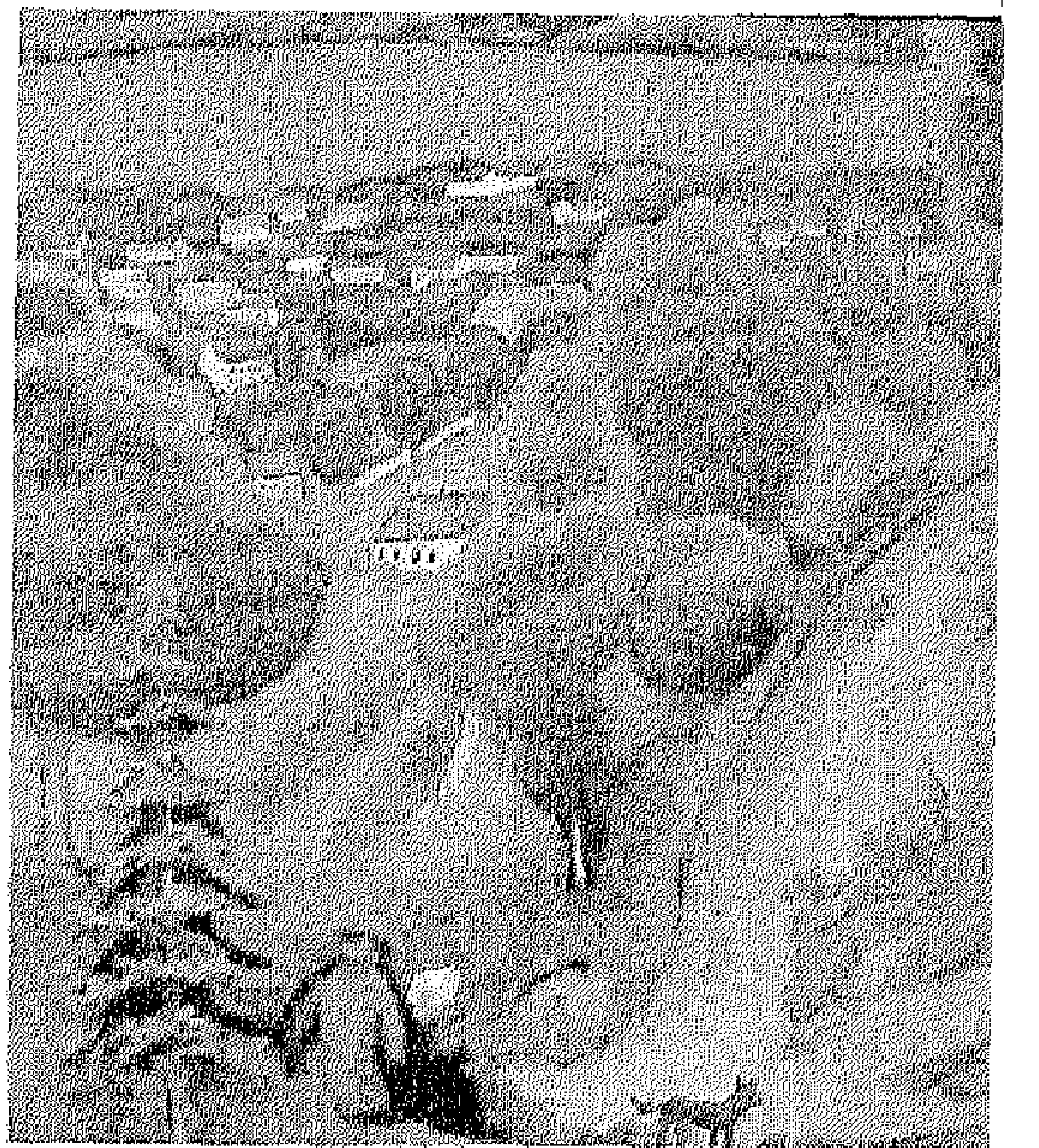
جان بونر شلنوف ■

عاش الكاتب ١٧ سنة في ايطاليا وكتب عدة مقالات عن تلك البلاد.

ألوان الفرح

رحلة في سندس يغتسل بنور الشمس

Archiv Fur Kunst und Geschichte, Berlin



Archiv Fur Kunst und Geschichte, Berlin



من اليمين:

"رجل وكلبه على ضفة بحيرة تغرنسي" احدى لوحات ماكي الصافية.

"الباليه الروسي"، ١٩١٢.

لوحة "متجر الازياء" معروضه في "متحف ولاية وستفاليا للفن والترات" في مونستر.



Archiv Fur Kunst und Geschichte, Berlin

كتب الرسام التعبيري فرانتز مارك في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٤ عن صديقه أوغست ماكي: "هو، أكثر من أي شخص آخر، أعطى اللون إشراقه ومظهره الانقى. كما أعطاه وضوحاً ولمعاناً عكسا ما كان يختلج في أعماقه. لم تعرف المانيا بعد كم هي مدينة لهذا الرسام الشاب."

واليوم، بعد مرور ٧٥ عاماً، تكتشف المانيا رسامها التعبيري ماكي الذي توفي عن ٢٧ عاماً. وأعماله معروضة على الدوام في متاحف عدة في وطنه وفي الخارج. وقد نظم له معرض خاص قبل فترة وجيزة اعتبر واحداً من أنجح

Bruckman Bildarchiv Munchen

المعارض الفردية التي شهدتها المانيا الغربية.

يقول كلاوس شرنك نائب مدير متحف الفن في العاصمة بون: "واجه الناس في السبعينات موجة قوية من الفن المتطلب فكراً وثقافة. والآن تجدهم في مرحلة استرخاء في دفء اللوحات الجميلة ببساطتها."

وفي هذه الأثناء حلّقت أسعار لوحات ماكي، وبينها نحو ٨٠٠ زيتية ومائية وأكثر من ٨٠٠٠ رسم أبدعها في أقل من عقد، ووصل ثمن بعضها الى مليوني مارك (نحو مليون دولار). وقد كتب ماكي مرة الى رفيق الدراسة الرسام هانس توار: "ان عملي، بالنسبة الي، هو مشاركة مبهجة للطبيعة ولوهج الشمس وللاشجار وللناس."

ولد أوغست ماكي في الثالث من يناير (كانون الثاني) ١٨٨٧ في بلدة ميشيد من أعمال وستفاليا. وبعيد مولده انتقلت عائلته الى مدينة كولونيا ومن ثم الى بون. وفي كلتا المدينتين كان الاخفاق نصيب أبيه، وهو مهندس ومتعهد بناء.

وفي المرحلة الثانوية من دراسته لم يبرع أوغست الا في الرسم. وكان شديد الاعجاب بالرسام السويسري أرنولد بوكلين الذي بدت لوحاته الكئيبة كأنها تعكس خيبة أوغست في تلك الحقبة من حياته.

في السن السادسة عشرة التقى أوغست اليزابيت غرهارت التي كانت دونه بصف دراسي واحد. وكانت عائلتها من الطبقة الوسطى الميسورة في الراين المتسمة بالانفتاح وتشجيع الثقافة. فما لبث أوغست أن وجد في هذه العائلة بيتاً ثانياً. وأصبحت اليزابيت نموذجه للرسم.

وكتب بفرح عارم الى توار: "أنا محظوظ الى حد يفوق الوصف."

عام ١٩٠٤ دخل ماكي الاكاديمية الملكية للفنون في دوسلدورف ليدرس الرسم. وبعد عام واحد التحق بمدرسة ليلية للفنون والحرف. والى ذلك صمم مشاهد وأزياء لمسرح دوسلدورف الوطني.

وفي العشرين من عمره ذهب في رحلته الاولى الى باريس بتمويل من أحد أعمام اليزابيت، الذي أصبح منذ ذلك الوقت راعياً سخياً للفنان الناشىء. واكتشف ماكي في لوحات ادوار مانيه وادغار دوغا النور المرسوم، كما اكتشف أحد المواضيع المحببة لديه في المستقبل: النزهات في الريف. لقد ولى عهد اللوحات المظلمة الكئيبة.

وقال أوغست متحدثاً عن تحوله: "أشعر كأنني خرجت من فوهة بركان الى نور الشمس." وفي العام ١٩٠٩ تزوج اليزابيت وانتقل معها الى منزل على ضفاف بحيرة تغرنسي في بافاريا. وتمكن في ١٢ شهراً فقط من رسم عشرات اللوحات المائية وما يزيد على ١٥٠ لوحة زيتية.

وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩١١ دعاه فرانتز مارك الى مشاركته هو وفاسيلي كاندينسكي في اصدار تقويم(★) "سيصبح مركبة لنقل كل الافكار الجديدة والأصلية في أيامنا." وأطلق الثلاثة على مشروعهم الطموح اسم "الفارس الازرق" المستوحى من عنوان

(★) Almanac

Museum Ludwig, Köln





الى اليمين: رحلة ماكي الى تونس أوحت اليه أعمالا كثيرة ومنها "مشهد في زقاق."
فوق: "الوداع"، لوحة حال الموت الباكر دون انجازها.
تحت: "مشهد في حديقة"، رسمت في بون.

Westdeutsche Landesbank Girozentrale Dusseldorf


أوغست واليزابيت ماكي وابناهما في ميلاد ١٩١٣.

احدى لوحات كاندينسكي. ولم ينقض شهران حتى أقاموا أول معرض من سلسلة معارض "الفارس الأزرق" في ميونيخ.

وتبعت ذلك عروض ناجحة في ربيع ١٩١٢ في موسكو وبيينا (ألمانيا الشرقية) وفي معرض سوندربوند في مدينة كولونيا، وهو يُعتبر من أهم الأحداث الثقافية في ألمانيا ما قبل الحرب العالمية الأولى. وكنت تجد الى جانب لوحات فنسنت فان غوغ وبول غوغان وبابلو بيكاسو وغيرهم لوحة ماكي الشهيرة "متسكعون على ضفاف البحيرة" التي سرعان ما جذبت من يشتريها.

وفي شهر سبتمبر (أيلول) ١٩١٣ انتقل ماكي مع زوجته وولديه الى قرية هلترفنغن السويسرية على بحيرة تون. وكان دائماً يأخذ أعماله أينما ذهب، الا أنه هذه المرة تركها كلها وراءه. فهو أراد أن يبدأ من الصفر.

وأصبح "بيت حديقة الورد" القريب من البحيرة منزل العائلة الجديد. وقد روت اليزابيت في كتابها "ذكريات عن أوغست ماكي": "سرعان ما غدا أوغست مشغولا بلوحاته. وعند الظهر كان يأخذ رسومه الى الحديقة المغمورة بنور شمس الخريف. كان يضعها هناك وسط تلك الروعة المتوهجة، ثم ينظر الي ويسألني: ماذا تعتقدين، أتساوي شيئاً حقاً؟"

وتلك كانت اللوحات التي أطلقت اسمه في عالم الرسم، وبينها "الطريق المشمسة" و"متجر الأزياء" و"ناس على ضفاف البحيرة الزرقاء."

ويعود نجاح ماكي هنا الى أنه لم يعد يتناول النور على حدة، بل ضمَّنه لوحاته كجزء لا يتجزأ من تفاعل الالوان.

وبعد ستة أشهر، سافر مع زميليه الرسامين بول كلي ولوي مواليه الى تونس. وكان للضوء في أفريقيا وللمشاهد الملونة أثر بالغ في خبرة الرسامين الثلاثة. فشعر ماكي كأنه في وطنه. وكتب الى زوجته: "اننا نمضي أيامنا كلها في

الشمس. كل ما عليك أن تفعليه هنا هو أن تتلفتي حولك فتجدي ألف مشهد يدفعك الى الرسم. لقد رسمت اليوم ما لا يقل عن ٥٠ مخططاً. ينتابني شعور بهيج غامض. أنا أسير سحر يشدني الى العمل وسط جو من الفرح لم أختبره من قبل."

وكان ماكي في ذلك الوقت يرسم بعضاً من أروع أعماله، وبينها عدد من المائيات الـ٣٨ التي أنجزها في تونس.

ولدى عودته الى هلترفنغن في نهاية شهر ابريل (نيسان) من العام ١٩١٤ كانت عناوين الصحف تنذر باندلاع الحرب العالمية الاولى. فعادت العائلة الى بون حيث أتم ماكي ٣٦ لوحة أخرى خلال بضعة أسابيع. وقالت اليزابيت في ما بعد:

"كأنما حمى انتابته لانجاز أكثر ما يمكن انجازه."

وفي الثامن من أغسطس (آب) ١٩١٤ التحق ماكي بفوج الراين التاسع للمشاة للهجوم على فرنسا، موطن مانيه وماتيس ودولوناي. وفي أكتوبر (تشرين الاول) وصل نبأ وفاته الى اليزابيت: "لقد أصيب زوجك في ساقه، وبينما كان رفيقان يقدمان اليه الاسعافات الأولية أصيب برصاصة أخرى، في رأسه ربما."

على مسند الرسم في محترف ماكي كانت لوحة غير منجزة تصوّر جماعة من المتشردين بألوان داكنة. وقد سمّتها اليزابيت "الوداع."

فرانك نيكولاوس ■



قرية مضيافة

احتفلت قريتي بالعيد المئوي لتأسيسها، فعدت اليها بلهفة لاحضر الاحتفالات، وكلي يقين بأني سألتقي بعضاً من معارفي هناك.

ذات صباح تجمّع أبناء القرية أمام دكان الحلواني ورحنا نعانق بعضنا بعضاً ونستعيد ذكرياتنا. وإذ برجل يتجه الى الدكان. فتقدّمت منه وأحطته بذراعي وقلت: "لا أستطيع تذكر اسمك، لكني أعرف أني أعرفك!"

فرد وهو يعانقني بدوره: "أشك في ذلك، فأنا مارّ من هنا في طريقي الى المدينة. لكن هذه القرية مضيافة بالتأكيد."

س.و.

زوجة المحامي

كان أحد المحامين زبوناً دائماً لمصنع مواد البناء حيث أعمل. وذات يوم دخلت زوجته قاعة العرض لتنظر الى بعض السلع. وبعدما سألت عن الاسعار قالت انها باهظة.

واتفق أن محاسباً سمع المحادثة فبادرها: "انني أدفع هذا المبلغ لأقول صباح الخير لزوجك."

أ.ج.

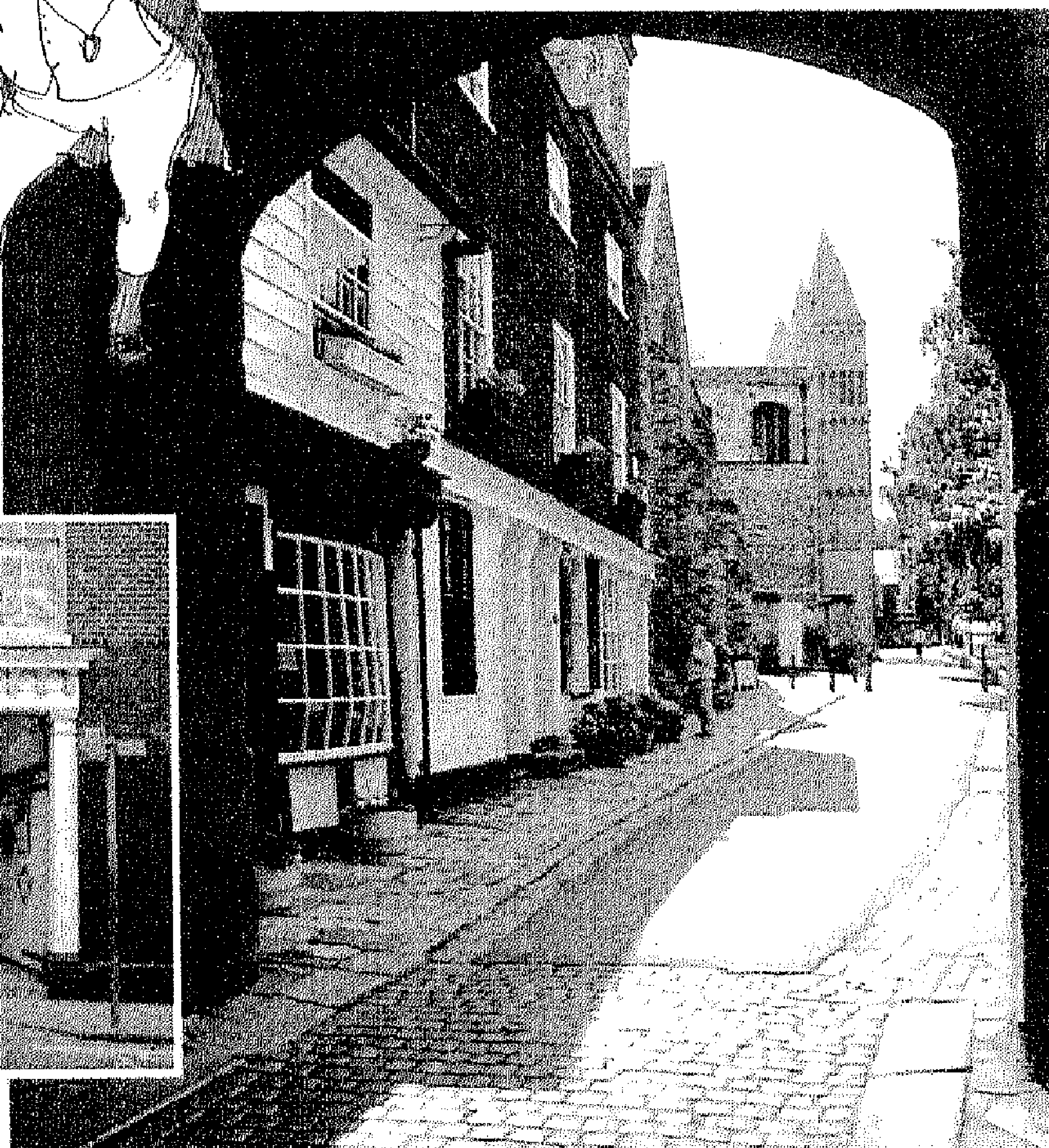
روشستر

مَدينَة

ديْكنز

هنا عاش الروائي الاكثر شعبية في بريطانيا وربما في العالم. وهنا استوحى كثيراً من أحداث رواياته





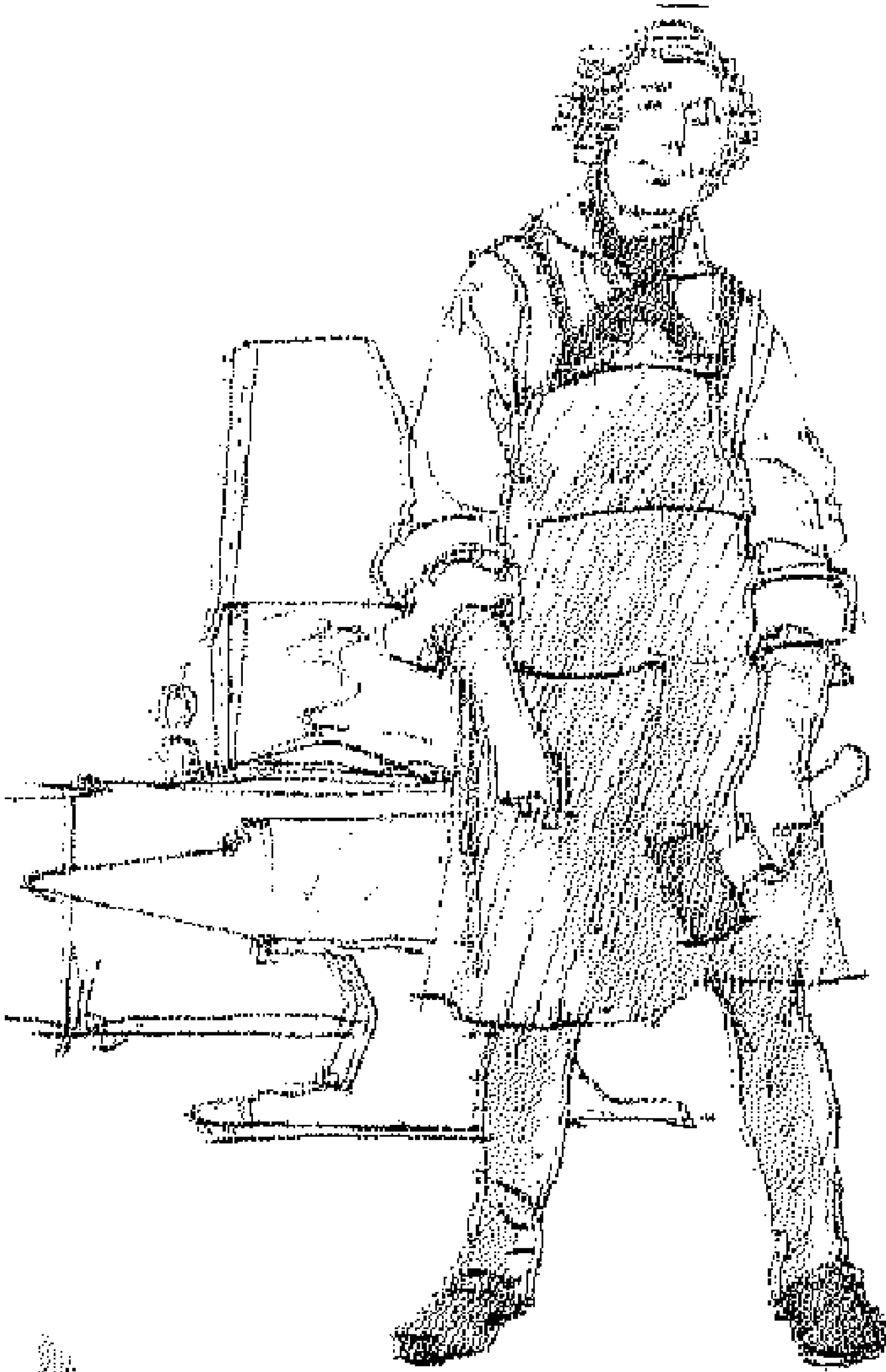


طوال أربعة أيام متتالية في شهر يونيو (حزيران) ظل سيريل بولدوين (٥٧ سنة) يلف أحزمة مسمّنة "حول خصره ويرتدي سروالاً ضيقاً من جلد الغزال وسترة فضيّة الأزرار ويعتمر قبعة ذات حافة عريضة ويركّز فوق أنفه نظارتين بإطار مذهّب، ثم يخرج وقد تجسدّت فيه شخصية "صامويل بيكويك" الأكثر شعبية في روايات الكاتب البريطاني تشارلز ديكنز. والى جانبه، في ثوب عرس مبهرج قديم، تقف "الآنسة هافيشام" العجوز التي تخلىّ عنها خطيبها (١) وفاغن الشرير (٢) ولا يلبث الثلاثة ان ينضمّوا الى نحو ألف رجل وامرأة وطفل يرتدون الزيّ الفيكتوري. ويسير الجميع في عرض ضخم: رجال يعتمرون قبعات حريرية عالية ونساء يرتدين تنانير القرينول المنتفخة وألعبانيّون يقذفون الكرات في الهواء وراقصون وعازفون. ويجتازون شوارع روشستر في مقاطعة كنت. إنها النقطة الأوج في "مهرجان ديكنز" السنوي الذي تحييه المدينة من ١ الى ٤ يونيو (حزيران) احتفالاً بمرور ١٧٧ سنة على ولادة الاديب البريطاني العبقري.

واجتذب المهرجان أكثر من ٢٠٠ ألف

(١) في رواية "آمال كبيرة."
(٢) في رواية "أوليفر تويست."

Illustrations: Eric Stemp. Photos: Timothy Little. Derek Forss, c STA









من اليمين: "بوابة جاسبر" التي خلدتها رواية "لغز إدوين درود"؛ فندق "رويال فيكتوريا أند بول" الذي اشتهر بعد رواية "أوراق بيكويك"؛ "بيت غاد على التلة" وهو منزل ديكنز"؛ كوخ الحداد الذي يرجح أنه كوخ "جو غارجري" في رواية "آمال كبيرة."

شخص. وتخللته ألعاب نارية ورقص موريسي (٣) وقراءات وتمثيليات من أعمال ديكنز.

قبل العرض تناول سيريل بولدوين فطوراً "بيكويكياً" يتألف من ألوان شهيّة مثل اللحم المفروم المتبل والفطائر وشراب الـ"تودي" المحلّى الحار.

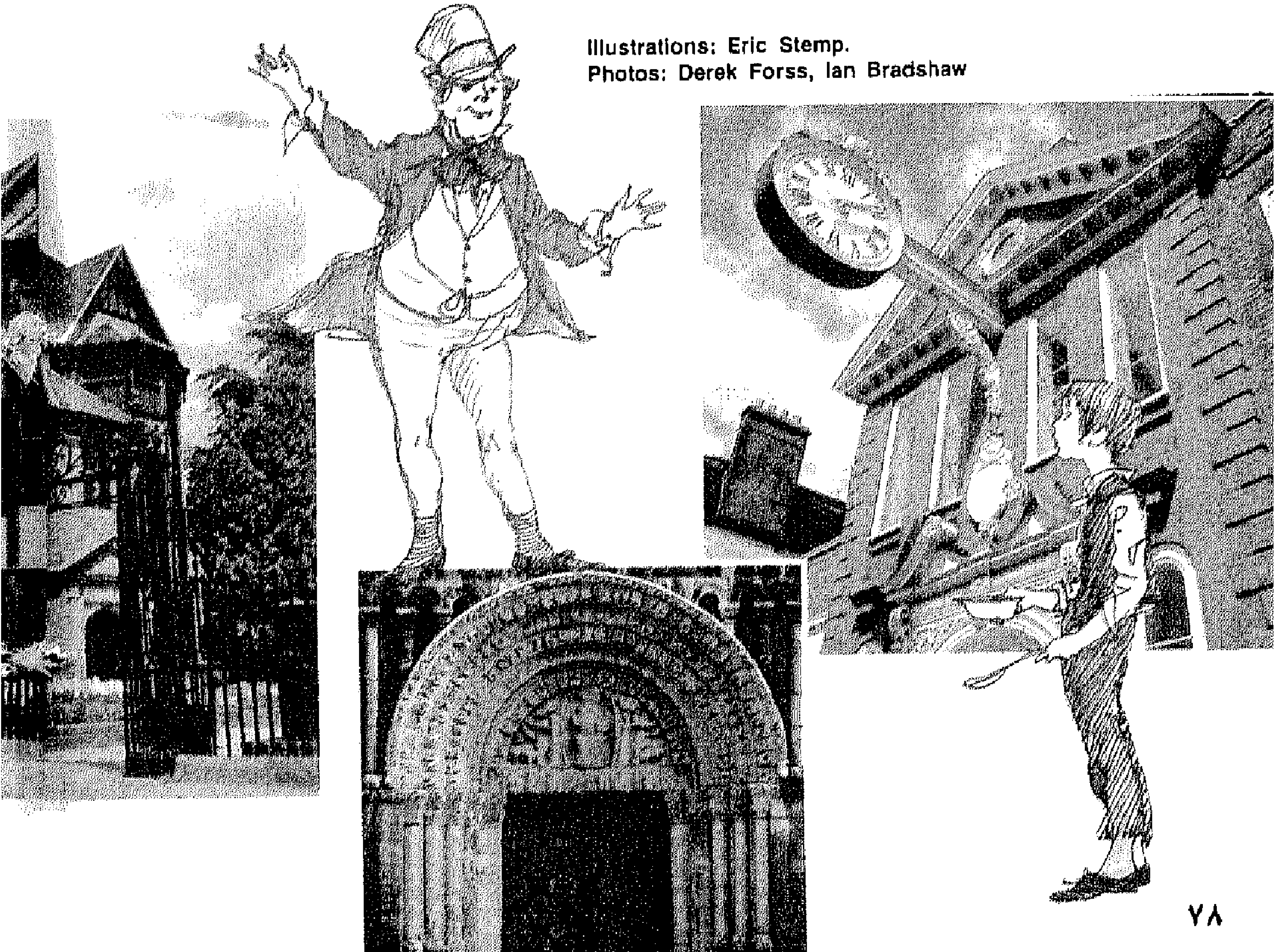
في العام ١٨٣٦ أنزل ديكنز شخصياته في فندق "رويال فيكتوريا أند بول" القائم في الشارع الرئيسي منذ ٤٠٠ سنة. وهناك سجّل مغامراتها المرحة في رواية "أوراق بيكويك" التي وضعته في الطريق ليصبح الروائي الاكثر شعبيّة في العالم.

مواقع وأحداث. مرّة تلو أخرى أتى ديكنز على ذكر روشستر في رواياته (وله ١٥ رواية كبرى) واصفاً أياها كـ"مدينة من زمن آخر ولى." وهو أمضى منذ سنّه الخامسة ست سنوات في كاثام القريبة التي دمجت اليوم مع روشستر وسترود في مدينة "روشستر على نهر ميدواي." احب الفتى المدينة واحب تراثها الروماني الصريح وكاتدرائيتها التي تعود الى العام ٦٠٤ وقصرها النورماندي الرائع بالقرب من نهر ميدواي.

كانت الحياة في كاثام مثيرة للصبي.

(٣) morris dancing وهو رقص يؤديه رجال يرتدون ملابس طريفة ويحملون أجراساً.

Illustrations: Eric Stemp.
Photos: Derek Forss, Ian Bradshaw



وكان أحياناً يرافق والده الذي كان معتمداً لدفع الرواتب في الاسطول الملكي، في رحلات على متن يخت أميرالي في النهر ذاته حيث تعلم القبطان دريك فنّ الملاحة وحيث ركب القائد نلسون سفينة حربية للمرة الاولى.

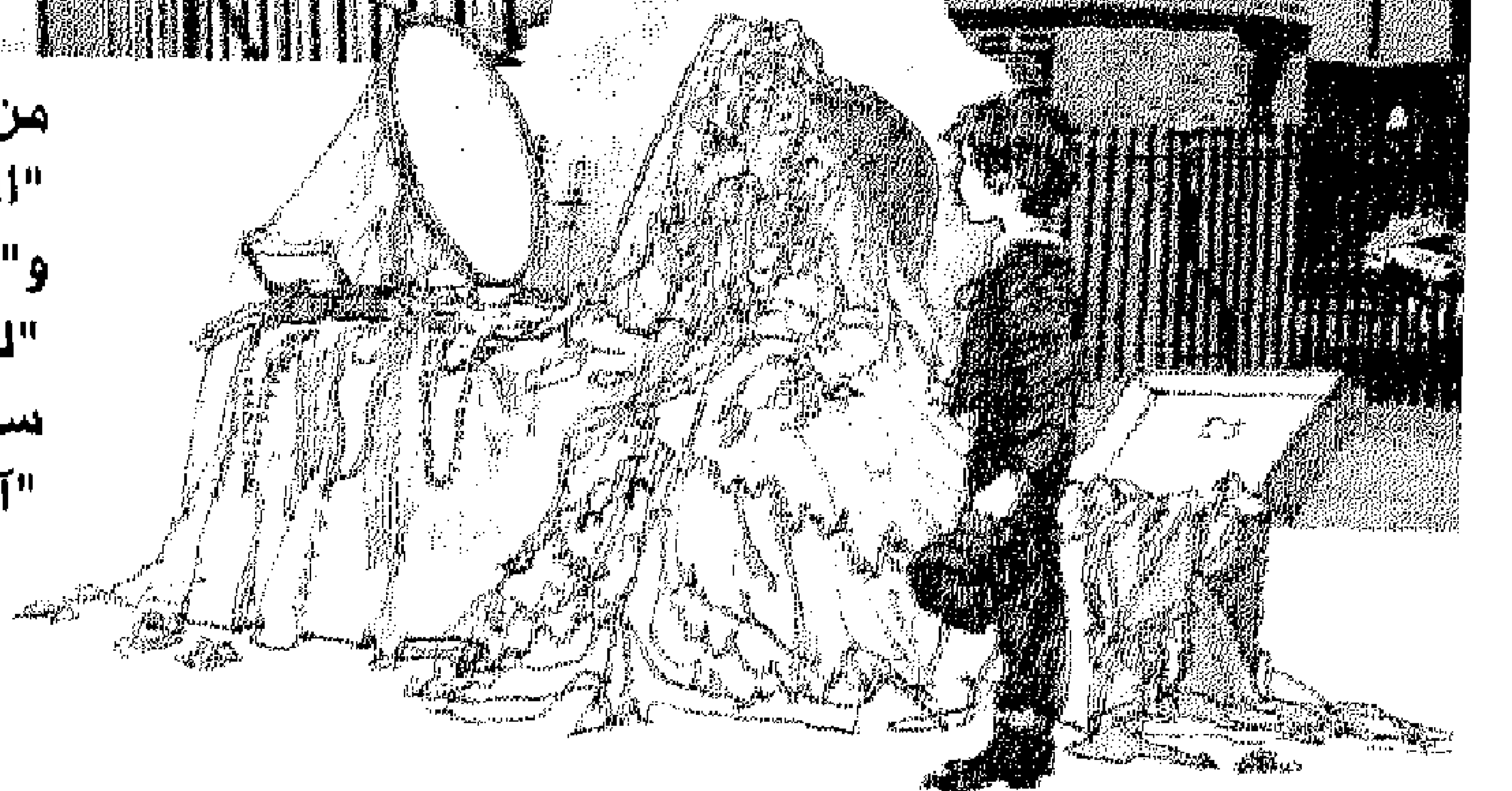
وفي المسرح الملكي (المعروف الآن باسم "نادي روشستر المحافظ") اكتشف سحر التمثيل المسرحي. أما في البيت فكانت مجموعة الكتب التي احتفظ بها والده في خزنته مصدر متعة كبيرة.

لكن ذلك كله انتهى عندما انتقلت العائلة الى لندن حيث عرفت شظف العيش. لكن ديكنز تمكّن بعزمه الصلب وارادته من شق طريقه في مهنة الصحافة. وفي السن الرابعة والعشرين اطلق "أوراق بيكويك" وتزوج كيت هوغارت وهي ابنة زميل صحافي، وعادا الى كنت لقضاء شهر العسل في بلدة تشوك التي تبعد بضعة كيلومترات عن روشستر.

وكان في أحد الازقة دكّان حداد وكوخه، والاثنان يمكن التعرّف اليهما في بيت "جو غارجري" و"بيب" في رواية "آمال كبيرة." أما الشاهدات الخمس على قبور أشقاء "بيب" في الرواية فمصدرها مقبرة كولينغ عند المستنقع القريب حيث يرقد في الحقيقة رفات ١٣ طفلا لعائلتين ابتلاهما المرض.

وفي روشستر نفسها قاعة المحكمة التي مثل فيها "بيب" أمام القاضي لتوقيع عقد للتدرب على مهنة الحدادة لدى "جو"، وهي الآن قاعة المجلس البلدي التي تفخر بمجموعة صور





من اليمين: ساعة مخزن الحبوب الواردة في رواية "المسافرين السبعة الفقراء"، البوابة الغربية و"دارة ايستفيت" وكلتاهما استوحيتا في رواية "لغز إدوين درود"، "بيت الترميم" هو "دارة ساتيس" التي تسكنها "الآنسة هافيشام" في "آمال كبيرة."

لمواطنين بارزين بسقف جصّي رائع الزخرفة. أما ما تبقى من مبنى البلدية الانيق الذي يعود الى القرن السابع عشر فأصبح اليوم متحف المدينة.

و"بَيْت ساتيس" حيث زار "بيب" "الآنسة هافيشام" الغريبة الاطوار هو في الواقع الدار الملكية في زقاق كراو حيث أقام الملك تشارلز الثاني عام ١٦٦٠ في طريقه لاسترداد عرشه. وغريب أن ديكنز استعار الإسم من "بيت ساتيس" الحقيقي الذي يقع قرب القلعة وهو الآن جزء من مدرسة الملك.

أما منزل "العم بامبلشوك" فما زال قائماً في الشارع الرئيسي حيث مخزن الحبوب بواجهته المزخرفة التي تحمل "تلك الساعة الغريبة القديمة الناتئة فوق الرصيف... وكأن الزمن فتح متجراً له هناك وعلّق لافتته كما وصفها ديكنز في قصة "المسافرين السبعة الفقراء" من مجموعة قصص الميلاد التي كتبها ومُثِّلت في مهرجان ١٩٨٧.

تمثيل حتى الاغماء. في العام ١٨٥٦ حقق ديكنز حلماً راوده منذ الطفولة. فهو اعتاد في صباه أن يجوب روشستر مستكشفاً برفقة والده. ولطالما مرّ الاثنان في طريقهما بـ"بيت غاد على التلة" العالي في هيغام الذي اعتبره تشارلز "أروع منزل يمكن أن تقع عليه عين." وذات مرّة قال له والده المبذّر الذي أوحى اليه شخصية "السيد ميكوبر" المتفائل دائماً: "إن أنت اجتهدت كثيراً فقد تسكن فيه ذات يوم."

وعلى طريقة المصادفات السعيدة التي تزخر بها كتبه، علم ديكنز أن "بيت غاد على التلة" معروض للبيع، فاشتراه بـ١٧٩٠ جنيهاً استرلينياً.

وكعربون صداقة وامتنان للتشجيع الذي لقيه الممثل الفرنسي شارل فشتر من ديكنز في عمله في المسرح البريطاني، أرسل فشتر الى ديكنز شاليهاً سويسرياً من طبقتين موضباً في ٥٨ صندوقاً. فجمع ديكنز الاجزاء في حديقة مشجّرة قبالة منزله. وكان يقصد الشاليه عبر نفق تحت الطريق كلما أراد أن يختلي بنفسه ليكتب.

أما اليوم فلقد نقل الشاليه من "بيت غاد" (الذي تحوّل مدرسة للبنات) وأقيم في الأرض المحيطة بدارة إيستغيت في روشستر حيث "مركز تشارلز ديكنز" الذي حاز جوائز كثيرة. وهنا مجموعة "الرؤوس الناطقة" التي تبلغ قيمتها نحو ٧٠ ألف جنيه استرليني (١١٠ آلاف دولار) وهي رؤوس منحوتة لممثلين مثبتة على أجساد ترتدي ملابس تاريخية، مقرونة ببراعة في التسجيل السينمائي والصوتي حتى ليخال الناظر أنها شخصيات حية. وهي تصور ديكنز والعصر الذي عاش فيه.

أحد "الرؤوس الناطقة" يمثّل ديكنز وهو يتلو قراءات من "بيكويك" ومن "ديفيد كوبرفيلد" الذي اعتبره طفله المفضّل، وربما كانت "ديفيد كوبرفيلد" أروع رواياته وهي الى حد بعيد سيرة الكاتب الذاتية. ولقد لاقت هذه القراءات نجاحاً هائلا. وديكنز، الذي كان هو نفسه ممثلا لامعاً، أبدع شخصيات مسرحية استحوذت على اعجاب المتفرجين وخلفتهم مسحورين مبهوري الانفاس.

ولقد كان أداؤه لذلك المقطع من رواية "أوليفر تويست" حيث يصف مقتل "نانسي" على يد "بيل سايكس" مشحوناً بالاثارة الى حد أن موجة من الاغماء سرت بين المتفرجين.

رواية بلا خاتمة. كان ديكنز في ذلك الحين ضعيفاً سريع الانجراح والتأثر. فهو انفصل عن كيت، أم اولاده العشرة. وفُتن بممثلة شابة تدعى ايلين تيرمان. وفي طريق عودته واياها ذات مرة الى لندن من باريس عام ١٨٦٥، تعرّض القطار الذي كانا يركبانه لحادث اصطدام في كنت. ومع أن أياً منهما لم يُصب بأذى إلا أن ديكنز الذي أمضى ساعات طويلة وهو يساعد المجروحين والمحتضرين وينتشل الضحايا لم يشف قط من آثار هذا الحادث.

وفي ٩ يونيو (حزيران) ١٨٧٠ بعد انقضاء خمس سنوات ويوم واحد على الحادث توفي ديكنز عن ثمانية وخمسين عاماً. وهو انهار بعد يوم أمضاه في الشاليه يكتب روايته "لغز إدوين درود" التي بقيت بلا خاتمة.

وعلى رغم المحاولات الكثيرة لايجاد حل مقنع فما زال لغز الرواية مغلقاً. وما يضاعف التحدي هو أن كلويسترهام، المكان الذي اختاره ديكنز لأحداث الرواية، هو روشستر. وفي استطاعة المرء أن يتتبع تماماً أين يجري كل حدث.

في الكتاب تتحوّل دارة إيستغيت "معهد الآنسة توينكلتون" للشابات وإحداهن "روزبد" اللذيذة المخطوبة لادوين درود والتي ترتاب بعمه جون غاسبر قائد جوقة المنشدين والمدمن سرّاً الافيون.

أما "دارة البوابة" (غيت هاوس) حيث عاش جون غاسبر حياته الغريبة، فتقع في الشارع الرئيسي فوق قنطرة من حجر. وما زالت البوابة وسط القنطرة تعرف باسم "بوابة غاسبر" وهي تؤدي الى كولدج وتفضي الى البوابة الغربية للكاتدرائية. وهذه بوابة رائعة نورماندية الطراز، أوحى منظرها مشرّعة الى ديكنز أن يجعل الوصي على روزبد يقول متأملا: "يشعر الناظر الى هذه البوابة كمن ينظر في حنجرة الزمن العتيق."

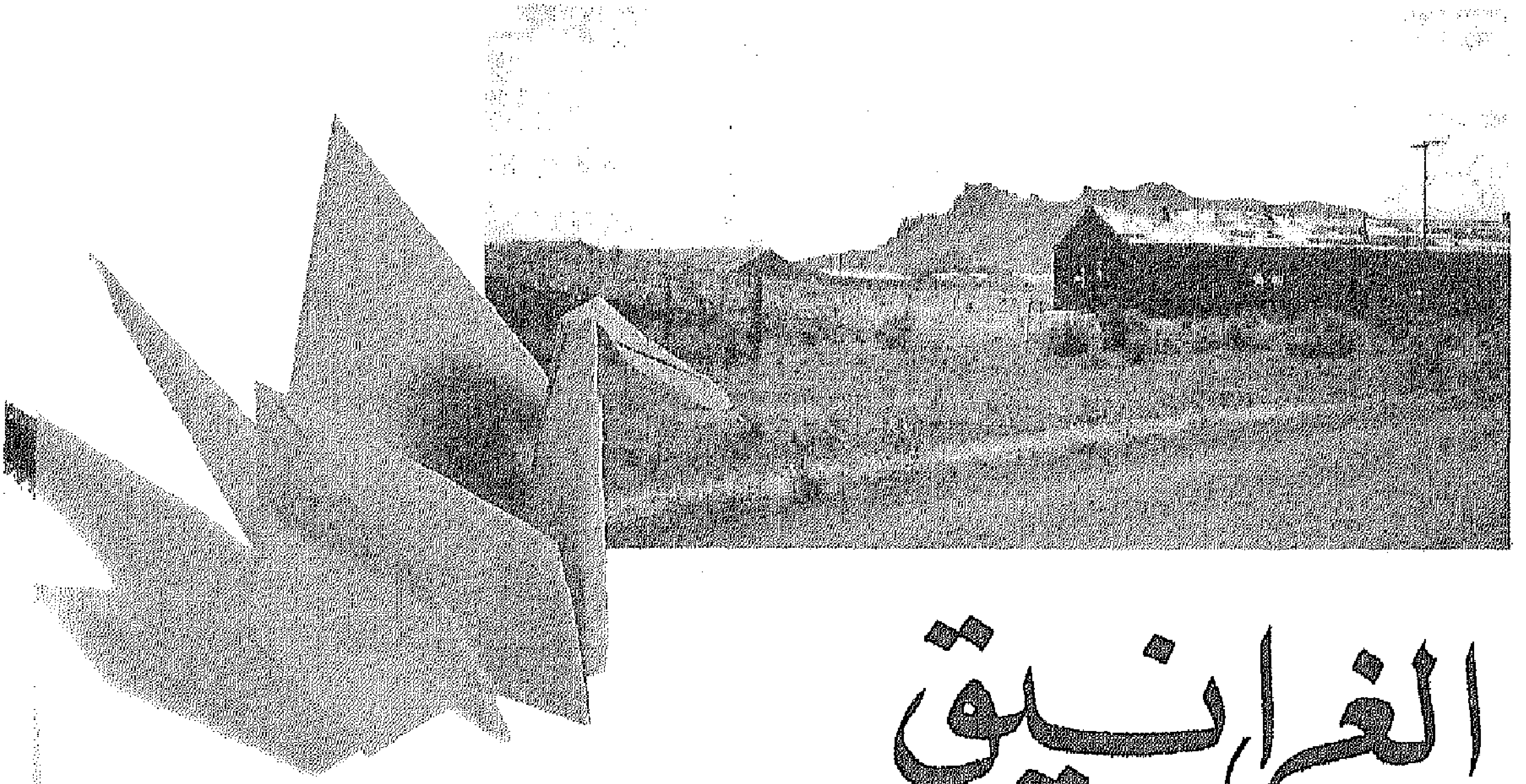
صعوداً الى اليسار في "مينور كانون رو" يقطن الأب سبتيموس كريسباركل الذي "على رغم إقامته في هذا المكان الهادىء" تورط في قضية اختفاء درود.

الممثلة "مدام سيبيل ثورندايك" عاشت طفولتها في "ماينور كانون رو". وهي تقول: "ما زلت أذكر والدي عندما كان يصطحبنا أنا وشقيقي للتفرّج على "بيت غاد" وكيف حاول أن يطبع في ذهنينا أننا سعداء الحظ لأننا نعيش في المكان ذاته حيث عاش أحد عظماء العالم."

ويشمل حسن الحظ ذاك أهل روشستر الذين يحيون مهرجان ديكنز. وتقول السيدة ثلما غروب رئيسة "مؤسسة ديكنز" في روشستر: "يتوافد على المهرجان أناس من أنحاء الدنيا. ولو كان ديكنز حياً لأعجبه ذلك كثيراً، فهو لم يكن يحب شيئاً أكثر من رؤية الناس يمتعون أنفسهم."

جورج بولوك ■

أُرسل الفتى الياباني - الامريكي
الى معسكر اعتقال ابان الحرب العالمية الثانية
أتراه يصفح عن بلده يوماً؟



الغرانيق تهزم القنابل المنطاديّة

انها صبيحة متوهجة من مايو (أيار) تشرق على جماعة الحطابين في بلدة بلاي جنوب ولاية أوريغون الامريكية. هو العام ١٩٤٥، والحرب في أوروبا يخبو أوارها. لكن الربيع سكن أفكار آرشي ميتشل وزوجته الحامل إلسي والاولاد الخمسة الذين رافقوهما من البلدة.

انطلقوا ذلك السبت في سيارة متجهة صوب جبل غيرهارت، بالقرب من الجدول حيث اصطاد ديك بازك (١٤ عاما) أحد الفتية الخمسة سمكة سلمون رائعة في اليوم السابق.

على مسافة ستة كيلو مترات من بلاي انعطف آرشي الى طريق في الغابة زلقة ونديّة بفعل الثلج الذائب. واذ أوقف السيارة تمشت إلسي في الطريق مع الأولاد.

وبلغه صوتها: "أنظر ما وجدت يا عزيزي." ورأى فريقا من عمال الطرق يراقبون الأولاد المتجمعين حول شيء

Photos: Courtesy of Yuzuru J. Takeshita

مطمور جزئيا في الثلج. فصاح آرشي: "سآتي بعد لحظة."

بغتة دوى انفجار مزلزل هز الجبل. وسرعان ما عمد الشريف(*) الى قطع الطرق المؤدية الى المنطقة. وحوّمت طائرة عسكرية في السماء. وأوصلت عاملة الهاتف في البلدة مكالمات ملغزة. أمر ما وقع في الغابة، فما عساه يكون؟

تلك الليلة زار عدد من ضباط الشرطة والعسكر بيوت العائلات التي مسّها الانفجار وأبلغوها الخبر الفظيع: كل من ذهب في رحلة الصيد تلك، باستثناء آرشي ميتشل، قُتل في انفجار قنبلة منطادية يابانية. والقتلى هم الامريكيون الوحيدون الذين قضوا في عمليات للعدو على بر الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية.

وحذّر الضباط ذوي الضحايا: "لا تفضوا بهذا الخبر الى أحد في أي حال من الاحوال. فاذا ما عرف اليابانيون أن المناطيد بلغت غايتها فسيتشجعون ويطلقون المزيد."

وورد في رواية احدى الجرائد بعد يومين أن أفراد مجموعة الصيد من بلدة بلاي قضوا "بانفجار لم تعلن أسبابه."

معسكر الاعتقال

خلال سنوات احتجاز الفتى يوزورو تاكيشيتا في "مركز اعادة التوطين" في منطقة تول ليك بولاية كاليفورنيا، اعتاد أن يقف خارج الثكنة المسقوفة بورق القطران، باحثا في السماء عن مناطيد القنابل اليابانية التي تلغط بها الاشاعات. لكنه لم ير أياً منها.

كان يوزورو وأخوه الاكبر من الـ"كيبيس" أي الاميركيين المولودين لآباء يابانين مهاجرين لكنهم تلقوا تعليمهم في اليابان. وقد بنى يوزورو أثناء سكناه في اليابان مع جده نماذج لطائرات "زيرو" المقاتلة بمعونة أقرب أصدقائه تسوغيو اينوي، وكان يعلل نفسه بأن يغدو ضابطاً في البحرية اليابانية على غرار خاله يويشي.

ولذّ له دور القائد الذي لبسه في مدرسته التي تشدد على الطاعة العمياء. وكان يفكر: أنّى لنظام ديموقراطي كالمتبع في أمريكا بأصواته المتنافسة أن ينجز أي شيء. كان يرتبك حين يدعوه بعض زملاء صفه "الامريكي". وبعد أوبته الى كاليفورنيا شرع يتساءل عما اذا كان يحط من قيمة الولايات المتحدة.

وتبدلت الامور في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤١، اذ أعلنت الولايات المتحدة دخولها الحرب ووقّع رئيسها فرنكلين روزفلت أمراً تنفيذياً قضى بنقل اليابانيين الامريكيين من الساحل الغربي الى عشرة معسكرات اعتقال معزولة.

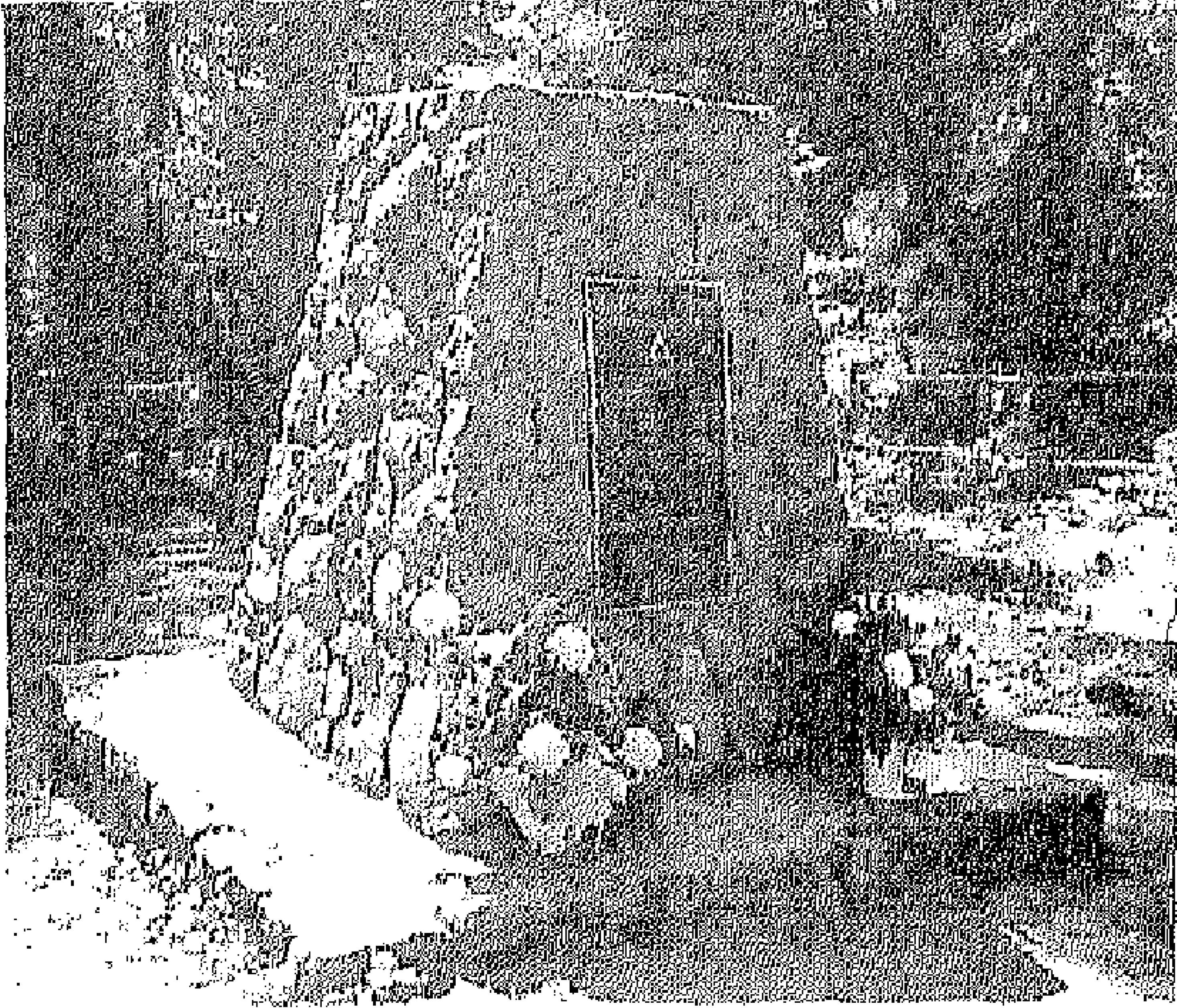
غمر يوزورو شعور متفاقم بالهوان وهو يوضب ملابسه في حقيبة واحدة. وارتدى جميع الثياب التي لم تسَعْها الحقيبة، واعتلى مع أسرته شاحنة غير مغطاة للجيش انطلقت بهم الى حياة جديدة.

ألفى آل تاكيشيتا أنفسهم يعيشون في حوض بحيرة جافة في تول ليك التي تبعد ٨٠ كيلو متراً عن جنوب بلاي. وقد أحاطت بالمعسكر سياجات بسلاسل

(*) الشريف (sheriff) هو المسؤول عن الأمن في البلدات الامريكية.



(الى اليمين) يوشيكو ميساغا وتلميذاتها السابقات يصنعن الفرانيق الورقية لضحايا انفجار جبل غيرهارت.



(تحت) النصب التذكاري في جبل غيرهارت للضحايا الست التي قضت في مايو (أيار) ١٩٤٥.

وأسلاك شائكة مكهربة وأبراج فيها حراس، اضافة الى المدافع الرشاشة المصوبة من كل جانب، وذلك بغية ابعاد خطر المهاجمين الناقمين كما قيل للمحتجزين. غير أن رؤوس الاسلاك المجدولة كانت ناتئة داخل المعسكر لا خارجه كما رأى يوزورو، كذلك المدافع. فاستحال الخزي الذي شعر به نقمة.

في مدرسة المعسكر التقى يوزورو تاكيشيتا الشخص الذي بدل مسار حياته. ففي أول أيام الدراسة في الصف الثانوي قبل النهائي ظهرت أمام الطلاب امرأة فارعة كستنائية الشعر ذات صوت هويد وابتسامة محببة وسلوك قوي.

قالت بسرعة: "صباح الخير. أنا مارغريت غاندرسن معلمة الانكليزية والتاريخ. وأريد أن تعلموا أمراً: اني لا أرى كيف تطيقون البقاء محتجزين طوال الوقت. ذلك ما لا أحتمله أنا نفسي." كان صوتها يغلي.

وثب قلب يوزورو الفتي. كيف للسيدة غاندرسن الشجاعة أن تتكلم جهاراً من دون تحفظ؟

أدرك شيئاً فشيئاً أنها مجروحة النفس مثله. أخبرت السيدة غاندرسن صفها: "الامريكيون ليسوا مطلقي الكمال. يشهد على ذلك وجودنا انا وأباكم في تول ليك. أليس كذلك؟ ولكن لا ينبغي لنا أن ننسى أن الديموقراطية رحلة عسيرة، وليست هدفاً بلغناه."

في فترة لاحقة من ذلك العام فهم يوزورو الحكمة التي انطوت عليها كلمات معلمته حين وفد إلى المدرسة زائر طارىء. خاطبت السيدة غاندرسن الطلبة: "أقدم اليكم السيد ديلون ماير مدير هيئة

اعادة التوطين. وسيشاركنا في الصف اليوم."

شعر يوزورو بتوتر في معدته. كان عليه أن يتلو تقريراً وضعه عن الرئيس الامريكي الاسبق توماس جيفرسون، ولم يكن موقناً أن المدير سيعجب بما سيقول. وماذا سيحدث إن أربك تقريره السيدة غاندرسن؟

قرر يوزورو أخيراً أن السيدة غاندرسن تريده أن يبقى مخلصاً لقناعاته. كان مدركاً بكل جوارحه أن مهندس "بيان الاستقلال" الامريكي كان على حق. وعندما نادته المعلمة للتحدث عن جيفرسون ردد كلام الرجل الرئيس: القانون أداة في يد الشعب، وليس سيداً عليه. والرجال لا يعدون أحراراً حقاً إلا اذا ملكوا حقوقاً ضد الاستبداد السياسي والقهر الشخصي.

ولدى فراغ يوزورو من القاء كلمته أقبل عليه المدير والدموع تترقرق في عينيه. قال له: "يا فتى، أود أن أخبرك كم أشجاني سماع تعبيرك عن الايمان بالنظام الامريكي، أنت الذي تخولك ظروفك أن تشعر بخلاف ذلك."

تلاشى يأس يوزورو وعادت إليه الثقة بالنفس تدريجاً. وقد سطرت السيدة غاندرسن في دفتر تواقيعه: "لو كنت ابني لزهوت فخاراً بك ولاستطارني الفرح."

عقب احتفال الصف بعيد الميلاد تلك السنة توانى يوزورو لسؤال السيدة غاندرسن عن أمر حيّره. انه العام ١٩٤٥ وقد وضعت الحرب أوزارها. قال لها: "سنغادر هذا المكان عما قريب. واني أود أن أحمل اسماً أمريكياً. أتمنحينني اسماً؟"

ومضت عيناها وأجابته: "أعطني بعض الوقت لأفكر."

بعد أسبوع أتته باسمه الجديد. قالت له: "اسمك جون، وهو اسم أبي."

تورد يوزورو مغتبطاً وقال بصوت مرتجف: "لكم يشرفني ذلك!"

جرح عميق

عام ١٩٨٥ كان الدكتور يوزورو جون تاكيشيتا، الاستاذ في جامعة ميشيغن والمستشار في التخطيط السكاني في بلدان الشرق الاقصى، يعرِّج على قرية جده في اليابان. ذكريات الحرب في كل مكان. وقد بلغ جون أن رفيق صباه تسوغيو اينوي قضى عام ١٩٤٥ طياراً انتحارياً من الـ"كاميكاز". ولم يقوَ على مغالبته فكرة راودته: كان يمكن أن يكون ذلك مصيري.

وذكرت زوجة أحد أصدقائه أنها ساعدت في تركيب قنابل منطادية أثناء الحرب، فصاح جون متعجباً: "كانت حقيقة اذاً؟" واضافت السيدة أن ثمة نموذجاً عن تلك القنابل في متحف مؤسسة "سميثسونيان" للملاحة الجوية والفضاء في واشنطن.

في الصيف التالي زار جون المتحف. وهناك تمثلت أمامه محاولة اليابان مهاجمة البر الامريكي بما يزيد على ٦٠٠٠ منطاد محملة بالقذائف، بقيت محلقة في الاعالي بواسطة ميازين متقنة للضغط الجوي، عابرة سماء الاطلسي مع تيار الرياح. وكان اليابانيون يرتقبون

سماع أنباء نجاح تلك الهجمات، لكن الامريكيين أبقوا الأمر طي الكتمان. ويوم الانفجار في جبل غيرهارت كانت اليابان اعتبرت برنامجها الهجومي ذاك مخفقاً.

وفي المتحف نُمي إلى جون أن ثمة نصباً لجماعة صيد السمك السيئة الحظ، وعلم أن الضحايا قضت على بعد أقل من ٨٠ كيلومتراً من تول ليك. وصعق لذلك. وصدم ثانية لدى قراءة أسماء القتلى، اذ اكتشف أن الاولاد لم يكونوا أكبر سناً من ابنته جانكو. فدوّن أسماءهم.

بعد عام من عودة جون الى اليابان برفقة زوجته صن المولودة في كوريا وابنته، أشعل جهاز التلفاز يوماً فطالعه وجه عجوز يابانية واهنة على الشاشة. انها معلمة اسمها يوشيكو هيساغا، تروي كيف صنعت تلميذاتها في المدرسة الثانوية مناطيد تحمل قنابل لالقائها على الولايات المتحدة أثناء الحرب.

كانت تلميذاتها اللواتي عاركن الحرب يقاسين البرد والارهاق والجوع. قالت المعلمة: "لو أظفرتنا تلك المناطيد بالنصر لتعيّن على تلميذاتي أن يواصلن صنعها على رغم بؤسهن. وقد سرّي عنا اذ علمنا بعد الحرب أنها تسببت في مقتل ستة أمريكيين فقط."

شعر جون برغبة في الصراخ: "لكن خمسة بينهم أولاد صغار." ثم أخذت فكرة بتلابيبه ووقعت منه موقعاً مؤثراً: هل أنا مختلف عنهم؟ لو أني مكثت في اليابان كما كنت أرغب لحذوت حذوهم.

بعد بضعة أشهر قابل جون السيدة يوشيكو هيساغا في اجتماع عام. عرفها بنفسه شارحاً اهتمامه بما روت. وبعد زمن يسير كاتبها: "هاكِ أسماء الضحايا الست. ان أتيت في المستقبل على ذكر قنابل المناطيد، هلّا تفضلت بالدعاء لأولئك الأبرياء؟"

وفيما كان جون على أهبة الرجوع الى الولايات المتحدة كالمته يوشيكو هيساغا هاتفياً. لقد تأثرت وكوكبة من تلميذاتها السابقات بموت الاولاد. فعمدن إلى صنع ألف طائر غرنوق من الورق الملون لا يتجاوز حجم كل منها راحة الكف، وهذا الطائر رمز ياباني للشفاء والتكفير عن الذنب والصفح والسلام. وخطّت النسوة اللواتي بلغن الستين رسائل ندم الى أقارب الضحايا في بلاي. أيوصلها جون إليهم؟ انه ليفعل أكثر من ذلك.

لدى وصول طائرة جون إلى لوس انجلس نظر في لائحة الاسماء التي دوّنها في المتحف ثم سأل عاملة الهاتف في أوريغون عن آل بازك في بلاي. اتصلت العاملة بإدوارد بازك، فردت زوجته أوبل بالايجاب عن سؤال جون، وقالت إن ديك وجوان بازك كانا شقيقي ادوارد الاصغرين. ورحبت بزيارة جون وأسرته، وزودته ايضا رقم هاتف دوتي شقيقة ادوارد التي تسكن في كلاماث فالز.

بعد أيام زار آل تاكيشيتا السيدة دوتي، وهي امرأة صريحة عطوف في الستين من عمرها، وأوصلوها بالسيارة إلى بلاي. وفي طريقهم استرجعت دوتي ذكريات الحرب وقنابل المنطاد التي غيرت حياة أسرتها. قالت: "لطالما نقبنا عن معنى لهذه الميتات فلم نجده."

فهم جون مرادها. فموت رفيق صباه انتحاراً كان عبثياً هو أيضاً.

في منزل آل بازك بدا جون باديء الأمر معتذراً عما جرى. غير أن ادوارد وضع يده على ذراعه وأفضى إليه بصوت أجش: "اننا لا نلوم أحداً على ما حدث."

في تلك اللحظة أحس جون بثقل عظيم ينزاح عن منكبيه، ثقل نقمته هو في تول ليك، ذاك الجرح المطمور المتقرح منذ زمن طويل. اذا لم ينح آل بازل بالملامة على أحد، أفلا يصفح هو عن بلده لاحتجاز أسرته زمن الحرب؟ أما قالت السيدة غاندرسن: "الامريكيون ليسوا معصومين عن الخطأ؟"

انطلق آل بازك وتاكيشيتا في السيارة صعوداً الى جبل غيرهارت حيث وضعت ابنة جون الفرانيق الملونة عند أسفل النصب بين الأشجار الموسومة الى الأبد بآثار القنابل الانشطارية. ثم تلا أبوها ما ترجمه عن اليابانية. بعد ذلك خاطبت دوتي جون: "إني أبتهل إلى ربي لكي يأتي يوم تختفي فيه الحروب."

شعر جون تاكيشيتا بسكينة غير عادية. الفجوة بين الشعبين الامريكي والياباني، وكلاهما جزء من طبيعته وأعماقه، تم تجسيرها. الحرب المضطرمة داخله خبت أخيراً. لقد عاد الى أمريكا، موطنه وموطن السيدة غاندرسن، محمولا على أجنحة الفرانيق.

جاك فنشر ■



صانعو التقدم

ثمة من يضع الوطن قبل العائلة، وآخرون يبذلون الحاضر فداء للمستقبل، وغيرهم يقايضون الحاضر بالماضي. أولئك هم، على التوالي، الابطال والحكماء والعلماء. وهم صانعو التقدم، لان الحضارة تبنى بذرات المحبة المسروقة من الانانية الشخصية والعائلية.

س. ك.

املأ حياتك حباً

عندما يحل الفراغ في حياتك املأه بالحب. أحبب بأفضل ما استطعت، أحبب كل من استطعت، أحبب كل ما استطعت. ولكن أحبب دائماً. لا تتساءل لماذا تحب. فالحب غاية في ذاته. لا تعتبر نفسك ناقصاً لأن حنانك لا يقابل بمثله. فالحب هو أجر ذاته.

أ. ن.

قال الحلاق لزبونه معتذرا: "آسف لتأخري عليك. فقد جاء أقربائي لزيارتي في وقت غير مناسب، اذ كنت في البيت."

ر. و.

سر الإقدام

بضع كلمات تنطوي على قوة كافية لتغيير مجرى حياتك

كان عليَّ مرة أن أتخذ قراراً ينطوي على مخاطر جمَّة، فتوجهتُ الى صديق يكبرني سناً ويفوقني حكمة وقلت له بحزن: "لو كنت متأكداً من قدرتي على هذا الامر لما توانيت. ولكن..."

فنظر إلي هنيهة ثم كتب بضع كلمات على ورقة صغيرة ودفعها إليَّ. وكانت تلك الجملة الصغيرة أفضل نصيحة تلقيتها في حياتي: "كنْ مقداماً، تؤازرك قوى عظيمة."

واكتشفت في ما بعد أن هذه الكلمات التي كتبها صديقي مستقاة من كتاب "قهر الخوف" للمؤلف الكندي باسيل كينغ (١٨٥٩ - ١٩٢٨). وهي مكّنتني من أن أرى بوضوح أنني عندما كنت أعجز عن أمر ما في الماضي فنادراً ما كان السبب أنني حاولت وأخفقت. بل كان خوفي من الاخفاق في معظم الاحيان هو الذي منعني من المحاولة. فالخوف هو أقوى مشاعرنا قدرة على شل حركتنا. انه يشنج العضلات ويبهر العقل والارادة.

ومن جهة أخرى، عندما كنتُ أغطس في مياه عميقة مدفوعاً بومضة خاطفة من الاقدام، أو مجبراً بفعل ظرف خارج عن ارادتي، كنت دائماً قادراً على السباحة حتى أصل الى الشاطىء.

كن مقداماً. انها ليست دعوة الى الطيش أو التهور. فالاقدام هو أن تأخذ قراراً بملء ارادتك بحمل أكثر مما تظن في امكانك حمله. وليس هناك من سر يكتنف القوى الجبارة التي تكلمنا عنها آنفاً. فهي القوى الخفية التي يملكها كل واحد منا، كالطاقة والمهارة والقرار الحكيم والأفكار المبدعة وحتى القوة الجسدية وقدرة الاحتمال اللتين قد تفوقان كل توقعاتنا.

وبعبارة أخرى، يُحدث الإقدام حالة طارئة يستجيب لها جسمنا. وقد سمعت مرة من أحد متسلقي الجبال أن المتسلق يجد نفسه من وقت الى آخر في وضع يتعذر عليه النزول، فلا يبقى أمامه إلا الصعود. وأضاف إنه في بعض الأحيان يضع نفسه في موقف كهذا عمداً: "عندما لا يبقى أمامك الا الصعود، فأنت تصعد على نحو رائع."

ويمكن اعتماد هذا المبدأ في مواقف

أخرى، كقبول رئاسة لجنة أو السعي الى وظيفة تنطوي على مسؤولية أكبر. وفي الحالين تعلم أن عليك النجاح وإلا...

وستنجح قطعاً ما لم تكن غير مؤهل للعمل على الاطلاق. فمن شأن كبريائك وغريزة التنافس لديك والشعور بالواجب أن توصلك الى النجاح.

ولا أحد ينكر أن هذه القوى الجبارة الخاصة هي قوى روحية، إلا أنها تفوق القوى الجسدية أهمية.

ومن المثير للاهتمام كيف أن للقوى الروحية غالباً متممات في العالم المادي: كان لي صديق في الجامعة برع في لعبة كرة القدم، وكان معروفاً باعتراضه الخشن للاعبين الآخرين مع أنه يزن أقل كثيراً من الوزن المطلوب للاعبي منتخب الجامعة. وعبَّر له أحدهم عن دهشته من أنه لا يُصاب بأذى، فأجابه صديقي: "هذا عائد الى ما اكتشفته عندما كنت لا ازال ولداً ألعب في ساحة البلدة. ففي إحدى المباريات وجدت نفسي وجهاً لوجه أمام الظهير الخصم، فكنت الوحيد الذي يحول بينه وبين خط المرمى. وكان يبدو عملاقاً. وكنت خائفاً الى درجة اني أغمضت عيني واندفعت في اتجاهه كرصاصة مذعورة. ونجحت في اعتراضه. فتعلمت أنه كلما قوي اعتراضك لخصم كبير قلَّ احتمال اصابتك بسوء. والسبب معادلة فيزيائية بسيطة: القوة الدافعة = الوزن × السرعة.

فإذا كنتَ مقداماً كفاية، فحتى قوانين السرعة تساعدك.

وهذه الميزة، اي الارادة أن تبذل قصاراك، لا تُكتَسَب بين ليلة وضحاها. ولكن يمكن تلقينها الأولاد وتنميتها لدى الأحداث. فالثقة هي نتيجة خبرة تتراكم مع الزمن.

ولا بد من قيام عوائق وحدوث نكسات وخيبات في أي مشروع أو نمط عيش. فالإقدام في ذاته ليس ضماناً لاحراز النجاح. إلا أن من يحاول القيام بعمل ما ويخفق هو أفضل كثيراً من الذي لا يحاول شيئاً وينجح.

وغالباً ما تكون الثقة الكبيرة بالنفس والقدرة على أخذ القرارات سمة كبار رجال الأعمال. وأفضل مدير عملت لديه كان رجلا يأخذ قرارات شبه فورية. وكان يردد مازحاً: "انني أرتكب أخطائي بسرعة." ومرة سأله أحدهم هل يؤمن بالمثل القائل: "أنظر قبل أن تقفز." فأجاب بفرح: "لا، لا. فالمشكلة في هذا القول البديهي أنك اذا ما أطلت النظر فلن تقفز البتة."

ويدعي بعضهم أن خوفنا على أنفسنا يضعف ارادتنا في ركوب الأخطار. والمبادرة هي رد الفعل الغريزي على نقص الراحة المادية.

وإنني لا أشاطرهم الرأي. فأنا أعتقد أن الناس سيسعون دائماً الى عوالم جديدة تكتنفها التحديات لكي يقهروها. عندما كنت صغيراً زار صفنا رجل ودُعي الى القاء كلمة. لا أذكر من هو، إلا أنني لا أنسى ما قاله: "أحبوا الحياة. كونوا شاكرين لها دائماً. وأظهروا امتنانكم بعدم تهربكم من مواجهة تحدياتها. حاولوا دائماً أن تعيشوا أبعد قليلا من نطاق امكاناتكم، وستجدون أن امكاناتكم هي أكبر كثيراً مما تتوقعون."

آرثر غوردون ■

تفاصيل رحلة بحرية
على متن سفينة أبحاث فريدة



(فوق) العلماء يستخدمون مثقاباً خاصاً لأخذ عينات من الجليد الأزلي.
(تحت) سفينة الأبحاث وسط الجليد الطافي.



انه منتصف الصيف في سبتزبرغن، والحرارة خمس درجات مئوية. تحط الطائرة التي تقلنا في مطار لونغيربيين الصغير. وتضم مجموعة الركاب سياحاً في طريقهم الى الشمال وعدداً من عمّال المناجم النروجيين و٢٩ عالماً وثلاثة صحافيين. نتوجه أنا وزميلاي الصحافيان والباحثون الى الميناء حيث ترسو الـ"بولارسترن" (أي النجم القطبي) وهي كسارة جليد بحري في ادارة معهد ألفرد ويغنر للأبحاث البحرية والقطبية في بريمرهافن. أما ثمنها فيقدّر بنحو ٢٠٠ مليون مارك (١٠٠ مليون دولار). وتبلغ سماكة الفولاذ الصلب الذي يصفح بدنها خمسة سنتيمترات. وهي مزودة محركات ديزل تبلغ طاقتها ٢٠ ألف حصان.

حقول جليد. نتابع صعودنا الى "عش الغراب" وهو محطة لمراقبة الجليد مثبتة على سارية ثلاثية القوائم ترتفع ٣٠ متراً عن الظهر العلوي للسفينة، وتحتوي على هوائيات اللاسلكي والرادار وعلى أجهزة قياس ومرقاب يتلقى رسائل من قمر اصطناعي وفي مركز الرصد الجوي في أسفل السفينة دماغ الكتروني يتولى تحويل جميع المعلومات والبيانات العائدة الى الطقس والتي تلتقطها محطة المراقبة، خرائط ورسوماً بيانية حول منطقة القطب الشمالي. وهكذا يصبح في الامكان تنسيق مسار السفينة وأعمال المراقبة على متنها مع حالة الطقس. والى ذلك هناك طوافتان على السفينة تزودانها معلومات إستطلاعية

كبحار سابق، ألقي نظرة سريعة حولي ثم أتوجه رأساً الى منصة الربان التي تبدو، بادمغتها الالكترونية وآلاتها، المتطورة، كجهاز القيادة والتحكم في منصة لاطلاق الصواريخ. والآلات والادوات التي اراني اياها فرانز فيز، الميكانيكي المسؤول عن تشغيل أجهزة الاستقبال والارسال، هي على الأرجح الاحدث في العالم في مجال الاتصالات اللاسلكية البحرية.

دقيقة وترشدانها بواسطة الرادار لتشق طريقها عبر الجليد المتماسك الصلب والجليد المتكسر الطافي.

أستغرق في التأمل وأتساءل بخيبة طفيفة: أين روح المغامرة وسط كل هذه التكنولوجيا وأجهزة الامان؟

نغادر الميناء فأقصد بركة السفينة وأسبح في مياهها الدافئة. المياه حولي تتعكر فجأة وتتكسر أمواجاً وأسمع اصوات قعقعة متقطعة.

أصل الى ظهر السفينة، فأرى البحر حولنا مكسواً بكسر من الجليد الطافي. ومع أن "بولارسترن" خففت من سرعتها، الا أنها تهتزّ وتترجح بفعل لطمات متكررة. وتتجمّع كسر الجليد الطافي تدريجاً وتتماسك محوّلة البحر حولنا حقولا جليدية لا تلبث أن تتكتّل جليداً صلباً متماسكاً. ببطء وحذر يخترق مقدّم السفينة العريض الكتلة الصلبة محدثاً قناة في الجليد الذي تبلغ سماكته نحو مترين، فيروح يتكسر تحت ثقل ما يزيد على ١٦ ألف طن من الفولاذ الصلب. السفينة تهتزّ وتترجح وكأنها في عرض بحرٍ هائج.

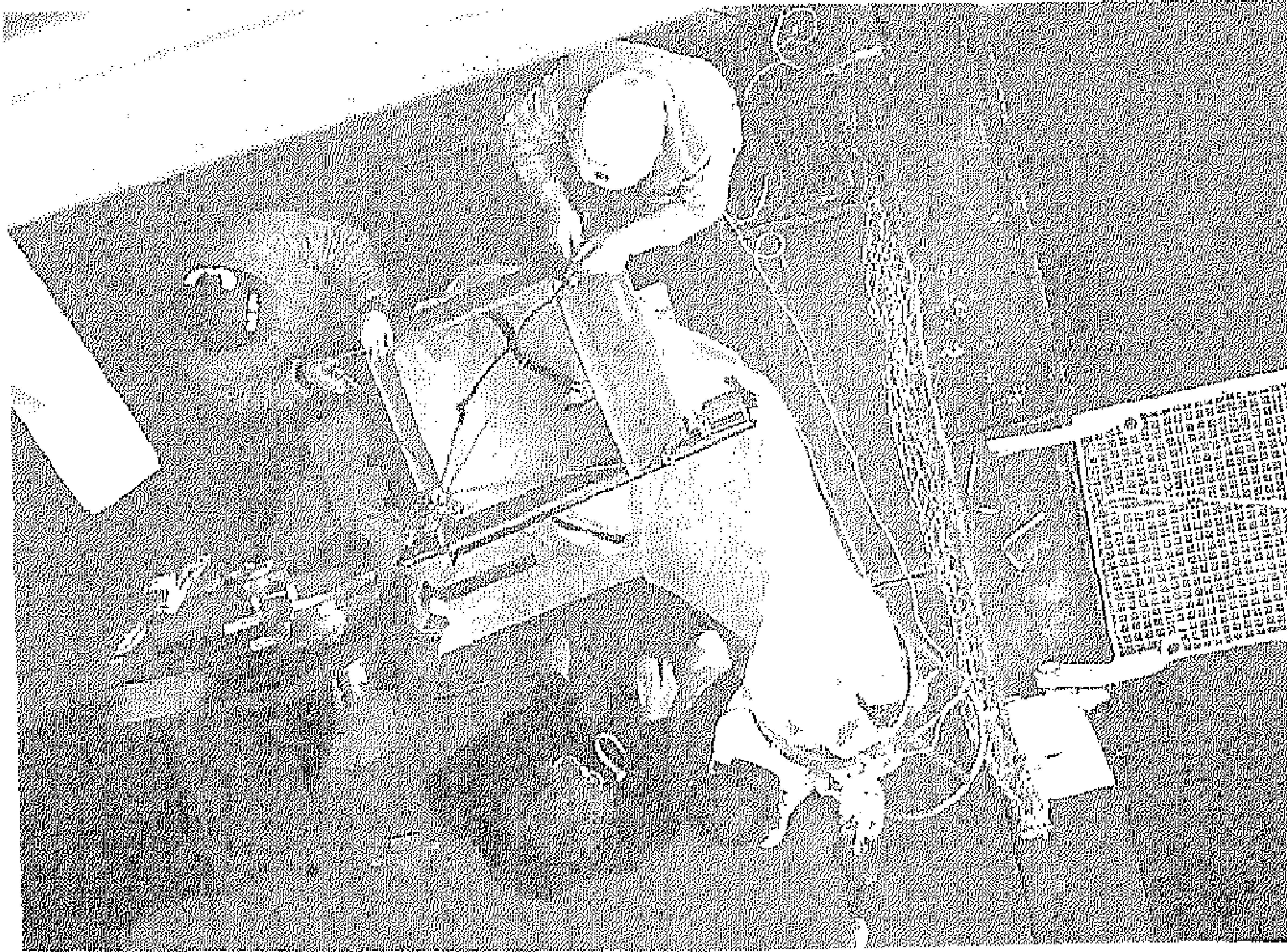
تسمع أصوات كشط وصرير كأنما كسر الجليد سكاكين تطعن بدن السفينة. وحين تتحطم الحواجز تنبثق من البحر نوافير من المياه والجليد ترتفع عالياً في الجو. ويصبح النوم شبه مستحيل. ومع تراكم الجليد يصبح الضجيج حولنا كهزيم الرعد. يغوص مقدم السفينة في الماء ثم يعلو. إنها تميل، ترتّج، تقعقع كأنها تحرث أرضاً صلبة لا تتزحزح.

مرمى نفايات ذرية؟ صباح اليوم التالي، تبقى الموسيقى ذاتها مصاحبة المناقشة الطويلة أثناء الاجتماع الذي دعا اليه العلماء في قاعة المحاضرات. فريق الباحثين معنا خليط دولي من جميع الامم ومن كل فروع المعرفة. وهو يضّم علماء احياء المانا وعلماء ذرة اسوجيين (سويديين) وعلماء جليد نروجيين وعلماء محيطات أمريكيين وألمانا وعلماء حيوان أيسلنديين وعلماء بيئة دنماركيين. أما مشروعا البحث الرئيسيان في الرحلة فهما "الكيمياء والهيدروغرافيا في القطب الشمالي"(*) و"البيولوجيا في القطب الشمالي". يرئس البعثة البروفسور غوتيلف همبل من معهد ألفرد ويغنر. ومقصدنا المنطقة القطبية الشمالية في محاذاة الطرف الشمالي الشرقي لغرينلاند.

في هذه الرحلة سيحاول علماء الأرصاد الجوية تحديد دور المنطقة القطبية الشمالية في صنع الطقس. فهنا تنشأ حقول صقيع لا تلبث أن تنجرف نزولا الى خطوط العرض الاوروبية مسببة مواسم صيف باردة. ويأمل علماء الاحياء أن يجمعوا معلومات حول ظروف الحياة في ذلك الجليد الأزلي وفي المنطقة المتوسطة حيث تمتزج مياه البحر المالحة بالمياه العذبة من الجليد الذائب. وسيفحصون كذلك مدى التلوّث الصناعي. ويعتزم علماء الجيولوجيا (علم طبقات الارض) أن يفحصوا الترسبات ويرسموا، مستعينين بدماغ الكتروني، صوراً لما تحت البحر. وسيحاولون أن يحلّوا لغز تحرّك قاع الاوقيانوس في القطب الشمالي.

أنظار علماء المحيط مصوّبة الى مضيق فرام بين شمال سبتزبرغن وشمال شرق غرينلاند. فهناك، فوق منبسط من الصخر البركاني، يتم تبادل المياه بين المحيط المتجمّد الشمالي وشمال المحيط الاطلسي. ولقد شرح لي البروفسور همبل الامر في وقت لاحق قائلا: "ساد اعتقاد

(١) الهيدروغرافيا علم وصف المياه كمياه البحار والمحيطات والبحيرات.



اختبار على متن السفينة: يستعد علماء الاحياء لنشر شبكة لالتقاط الكائنات الحيوانية والنباتية الدقيقة.

لفترة طويلة أن مياه المحيط المتجمد الشمالي معزولة عن عمليات التبادل البحرية المنتظمة. وكان يؤمل استخدام المنطقة الواقعة شمال مضيق فرام كمرمى للنفايات الذرّية. إلا أن النتائج التي توصلت اليها بعثتنا أظهرت أن تبادل المياه بين السطح والاعماق يتم على نحو أسرع كثيراً مما كان مفترضاً."

هل نصل؟" يوماً بعد يوم تشقّ "بولارسترن" الجليد الطافي وتصطدم بالجليد الصلب وعلى رغم قوة محركاتها فانها تعلق أحياناً في الجليد المتكدّس أمتاراً. اذّاك يغتنم علماء المحيطات الفرصة ليحفروا ثقوباً في الجليد، كما يبحث علماء الاحياء عن آثار حياة.

أرتدي بذلة النجاة البرتقالية ذات البطانة المزدوجة وأراقب العلماء في عملهم. ومن بعيد أنظر باعجاب الى حصننا العائم الذي يبلغ طوله ١١٨ متراً. ويحرسنا ميكانيكي الطوافة مزّوداً بندقية ليحمينا من الدببة القطبية الفضولية.

الضباب مشكلة. فهنا، حيث تلتقي مياه القطب الشمالي والمحيط الاطلسي وكتلهما الهوائية، تحوم في الجو ستائر من الغيوم المنخفضة. أما الرطوبة في الجو فتتجمد وتتحول جليداً، يلتصق بالجبال والاجزاء المرتفعة من السفينة وبالهوائيات وبالدعائم.

طوال عشرة أيام، سلكنا طريقاً متعرجة في اتجاه الشمال الغربي. نقترب الآن من القطب الشمالي ببطء وحذر. القبطان لوثر سورمير ما فتىء يتمتم: "هل نصل يا ترى أم لا؟ ذاك هو السؤال: تخطيّنا أقصى موقع شمالي سبق أن بلغته سفينة في منزلة سفينتنا. وما زالت "بولارسترن" تشق طريقها في عمق القطب المصفّح بالدروع الجليدية، ببدن يتحمّل ضغطاً يصل الى ٩٣٢ طناً في المتر المربع. ينطلق صوت عبر المذياع: "سيداتي، سادتي، لقد بلغت "بولارسترن" اليوم موقعاً في أقصى

الشمال لم يسبق لأي سفينة أبحاث ألمانية أن بلغته: ٨٣ درجة شمالا و١٠ درجات و٣٧ دقيقة غرباً." لم يعد يفصلنا عن تلك النقطة السحرية التي تدور الارض حولها سوى ٧٤٠ كيلومترا (٢).

"ما زال." صباح اليوم التالي استُغِلّ النجاح الذي تحقق استغلالا محموماً كاد يؤدي الى خسارة فادحة. فعلماء المحيطات أنزلوا جهازاً لجمع العينات المائية يبلغ ثمنه ٣٠٠ ألف مارك (١٥٠ ألف دولار) الى عمق كيلومترين. فعلق في الجليد وكادت الحبال السلكية تنقطع. إلا أن الرجال تمكنوا في النهاية من استرجاع الآلة بعد محاولات مضنية ومناورات معقدّة.

في غضون ذلك راح الدماغ الالكتروني يسجّل معلومات لا تحصى أدت بعد سنوات من الدراسة الى رسم صورة كاملة للمنطقة الحدودية في القطب الشمالي. أعداد الحيوانات ضئيلة في المنطقة الشمالية، والسبب الى حد بعيد هو قلّة الطعام. وفي طريق العودة جنوباً، في خطوط العرض المتقدمة، تعود الحيوانات الى الظهور كالفقمة وطيور الغلموت والنورس والنوء، ويعاود علماء الحيوان عملهم. يغادر فريق علماء المحيطات السفينة في نزهة قصيرة، لكنهم يواجهون دباً قطبياً يزن نحو ٨٠٠ كيلوغرام وينجون منه بأعجوبة. أتوجه الى أحدهم وأسأله: "كم بقي من جبابرة القطب هؤلاء؟"

فيجيبني: "ما زال هناك نحو ٢٠ ألفاً في منطقة القطب الشمالي كلها." تتردد كثيراً أثناء الحديث عبارة "ما زال." ففي القطب الشمالي ما زال الاشعاع الذري تحت نقطة الخطر، وما زال تلوث المياه دون الدرجات المرعبة، وما زال صيد الحيتان لم يقضِ بعد على فرص انقاذها من الانقراض.

العلماء على متن سفينتنا ليسوا من دعاة تحسين العالم الرومنسيين. الا أن علمهم كفريق يضمّ اختصاصيين بمختلف فروع المعرفة يظهر ان إتلاف البيئة يحمل صفة تراكمية وتصاعدية إذا لم يأخذ السياسيون والمسؤولون اجراءات سريعة.

بعد ثلاثة أسابيع من إبحارنا من سبتزبرغن نصل الى بلدة ترومسو النروجية حيث نغادر السفينة. وقد بلغت تكاليف الرحلة البحرية ٨٠ ألف مارك (٤٠ ألف دولار) في اليوم، أمّنتها الوزارة الاتحادية وبلدية برمن.

يقول البروفسور همبل: "هذه الرحلة استثمار جدير بالعناء. فما من سفينة غير "بولارسترن" تسمح باجراء أبحاث في منطقة تبعد أكثر من ٨٠ درجة شمالا. والحياة المشتركة على متنها تعززّ التعاون بين الاختصاصيين بجميع أنواع المعرفة، كما أن في الامكان تحليل بعض النتائج مباشرة. وأهم من ذلك كله أنها تتيح للعلماء الذين اعتادوا العمل منفصلين ألوف الكيلومترات بعضهم عن بعض، فرصة للنقاش المباشر وتبادل وجهات النظر."

بير شميت - ولتر ■

(٢) وصلت "بولارسترن" في رحلة لاحقة الى نقطه تقع على ٨٦ درجة و١١ دقيقة شمالا.

دائرة المعارف

لا تخلو مقالة في "المختار" من كلمة ندر ورودها في مقالات سابقة. هنا كلمات منتقاة من الاعداد الستة الاخيرة. وقد وُضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. لَجاجة: تلعثُم - عناد والحاح - جرأة - دجاجة برية.
٢. حيطة: مخزون - جِوار - محاذرة - زاد المسافر.
٣. ضَبِر: ضرر - بيت الثعلب - ألم - جوع شديد.
٤. نكث: قَلَبَ - فقأ - وخز - نقض ونبذ.
٥. امتُقِع: حُمِل على الظهر - تغير لونه - نسي - وُضع في الماء.
٦. حرِّيف: ماهر - واسع الحيلة - لاذع - مائل.
٧. فِلْع: ولد - غصن - سن مكسورة - شق.
٨. ركيك: ضعيف - عجوز - رقيق - سريع العدو.
٩. خبا: خمد - توارى - مُني بخيبة - تعثّر.
١٠. تقاعس: تذمّر - قوّس ظهره - تأخر - جَبُن.
١١. استشرى: فسد - تفاقم وعظم - مرض - باع.
١٢. مُنافٍ: متفوق - مشرف - معاند - مباين ومخالف.
١٣. وجار: جحر الضبع - مأوى - حجاب - جدل عنيف.
١٤. أرومة: غاية - رائحة عطرة - غزالة - أصل.
١٥. تخضّب: اغتسل - تلوّن - احمرّ خجلا - أثخن بالجروح.
١٦. استوفى: أمات - أخذ - خان وغدر - اختار.
١٧. نَزِق: قذر - زلق - طائش عَجول - كثير الهزل.
١٨. راهِن: دائم ثابت - بغيض - مقيَّد - مقبل.
١٩. حُمَيّا: مروءة - ريح حارة - حمّى - شدة الغضب.
٢٠. اصطلى: لمع - استدفأ - احتجب - طلب حماية.
٢١. واجف: يابس - نازف - خافق مضطرب - ساكن.
٢٢. عويص: أعْوَج - دائم العصيان - صعب - مسدود.
٢٣. ازدان: طلع ثمره - تبختر - ثقل - تزيّن.
٢٤. انبجس: انفجر - ارتبك - فُضح - نطق بعد صمت.
٢٥. حصافة: حُسْن - جودة الرأي - شجاعة - لطف.

الأجوبة الصحيحة

١. اللَّجاجة: العناد والالحاح. يقال: "في فؤاده لجاجة" أي خفقان من الجوع.
٢. الحيطة: المحاذرة والمحافظة على النفس. التحويطة: بيوت مصطفة كالدائرة.
٣. الضير: الضرر. الضَّوْر: الجوع الشديد.
٤. نكث العهد أو البيع: نقضه ونبذه. النكيثة: النفْس.
٥. امتُقِع: تغير لونه من حزن أو فزع كأنه ضُرب بشيء حتى يتغير. مَقَعَهُ بشرّ: رماه به.
٦. الحرِّيف: اللاذع اللسان بحرارته. يقال "هذا بصل حرّيف."
٧. الفلْع: الشق في القدم وغيرها. الفالعة: الداهية.
٨. الركيك: الضعيف في عقله أو رأيه والقليل الهمة. كلام ركيك: سخيف الالفاظ والمعاني.
٩. خَبَتِ النار: خمدت. يقال "خبا لهبه" أي سكن فوراُ غضبه.
١٠. تقاعس عن الأمر: تأخر.
١١. استشـرت الامـور: تفـاقمت وعظمت. أشرى البرق: لمع واشتد لمعانه.
١٢. مُنافٍ: مباين ومخالف. يقال "هذا ينافي ذاك" أي يباينه ويخالفه.
١٣. الوجار: جحر الضبع وغيرها. الوَجْر: شبه كهف في الجبل.
١٤. الارومة: اصل الشيء. ايضـاً: الحَسَب. يقال "هُو شريف الارومة."
١٥. تخضّبت بالحناء: تلونت به. اخضوضب الشجر: اخضرّ.
١٦. استوفى حقه: أخذه تاماً وافياً. أوفى على المئة: زاد.
١٧. النَزِق: الطائش والخفيف عند الغضب والعَجُول في جهل وحمق.
١٨. الراهِن: الدائم والثابت والمتين. أيضاً: المُعَدّ. حجة راهنة: قوية.
١٩. الحُمَيّا: شدة الغضب وأوله. يقال: "لا تكلمه في حُمَيّا غضبه."
٢٠. اصطلى بالنار: استدفأ. يقال: "فلان لا يُصطلى بناره" أي انه شجاع لا يطاق.
٢١. القلب الـواجـف: الخـافـق، المضطرب.
٢٢. العويص: الصعب. كلام عويص: يصعب فهمه.
٢٣. ازدان: تزيَّن. أمراض الزينة: ما يكون منها في الشعر والجلد والاظفار.
٢٤. انبجس الماء: انفجر. عين بجيس: غزيرة.
٢٥. الحَصافة: جودة الرأي وأحكام العقل. يقال "فلان حَصِف وحصيف."

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٦ - ٢٠: جيد جداً
١١ - ١٥: مقبول

ان السعي الى اللياقة البدنية من طريق القول المأثور "لا كسب من غير ألم" قد يؤدي الى عواقب وخيمة

لا تبالغوا في الرياضة!

قبل خمس سنوات بدأت بكثير من الحماسة برنامجاً للتمارين الحيهوائية (★). ومثل كثير من الناس كنت مقتنعاً بالفوائد الصحية المتعددة الجوانب التي توفرها التمارين البدنية، مثل انخفاض الوزن والكولسترول وضغط الدم وتقوية جهاز المناعة في الجسم. ولكوني أتحدر من عائلة ذات ماضٍ طبي مع ضغط الدم المرتفع والامراض القلبية، كنت أعرف أن التمارين الرياضية المنتظمة، مع نمط حياة يتصف بالاتزان في التدخين وتناول الاطعمة الفقيرة بالدهنيات والكولسترول، هي أمور لا بد منها لتأمين حياة طويلة وصحية.

لذلك مارست التمارين الرياضية المنهكة في النادي المحلي، ركضاً على سجادة متحركة و"قيادة" لدراجة ثابتة، ثلاث مرات في الاسبوع بمعدل ثلاثين دقيقة كل مرة. وبعد مضي شهرين أصبحت أكثر لياقة ونشاطاً وانخفض ضغط الدم لدي عشر نقاط.

استنتجت من ذلك أنه اذا كان في مقدوري أن أنجز كل ذلك في ثلاث مرات أسبوعياً فإن المزيد من التمارين سيعود عليّ بفوائد أكبر كثيراً.

خلال الاشهر الستة التي تلت زدت تماريني ساعة أو أكثر ركضاً خمس مرات

(★) Aerobic exercises



أو ستاً في الاسبوع. في البدء بدت هذه الرياضات كأنها تحسن لياقتي، ولكن مع استمرار التمارين الثقيلة سرعان ما شعرت بألم في عضلاتي وركبي. وغالباً ما كنت أشعر بالارهاق بدل الانتعاش بعد كل تمرين. والاسوأ من ذلك أنني وجدت نفسي أكثر عرضة للزكام. ألم يكن مفترضاً أن تحميني التمارين الرياضية من كل ذلك؟

فورة عصرية. إن التمارين الرياضية تعزز نظام المناعة، ولكن الى حد معين. يقول الدكتور توماس توماسي رئيس دائرة الطب الجزيئي والمناعة ومدير معهد روزويل بارك التذكاري في بافلو بنيويورك: "إن التمارين الرياضية المفرطة قد تؤدي الى اضعاف نظام المناعة."

والى ذلك هنالك دلائل تؤكد أن التمارين الرياضية المفرطة تزيد من امكان التعرض للاذى. وتظهر الدراسات التي أجراها الدكتور كينيث كوبر مدير مركز الابحاث الحيهوائية في دالاس وغيره من الباحثين أن معظم الناس يمكنهم الوصول الى النتيجة المتوخاة من التمرين، أي المرحلة التي تصل فيها أوفر كمية من الاوكسيجين الى جميع أنحاء الجسم، بممارسة التمارين الحيهوائية بين ٣٠ و ٤٥ دقيقة ثلاث أو أربع مرات في الاسبوع. وبعد ذلك لا يؤدي أي جهد اضافي الى أي نتيجة إيجابية. بل ان النتائج قد تأتي عكسية.

لنأخذ مثالا على ذلك رالف لويس الذي تقاعد في كرافتس كومون في فيرمونت. كان في الفترة التي سبقت ذلك يحافظ على لياقته البدنية بممارسة السباحة غير مرة في الاسبوع. أما في فيرمونت فهو انتقل الى ممارسة التزلج. وبسرعة فائقة وصل الى التزلج ٢٥ كيلومتراً في اليوم. وأثرت هذه التمرينات اليومية في نفسيته فارتفعت معنوياته. ويقول متذكراً: "حتى عندما بدأ وركي يؤلمني أنحيت باللائمة على الجو الرطب."

ولكن في النهاية لم يعد في استطاعة لويس حتى الانحناء لربط شريط حذائه. وكشف الفحص الطبي المشكلة: التهاب



المفاصل العظمية الذي زاده الافراط في التمارين وسبب في النهاية تآكلا في الورك. واليوم، بعد جراحتي ابدال مفاصل وأشهر من العلاج، يفيد لويس من التمارين الحيهوائية التي يمارسها ثلاث مرات في الاسبوع سيراً بطيئاً لا يخلو من العرج في مروج القرية.

وراء هذه الاصابات الطويلة الامد تكمن فورة التمارين الحيهوائية. إن ملايين الناس اليوم يمارسون تمارينهم بانتظام. كثير منهم يمارسون الجري، بينما يحصل غيرهم على المنافع الحيهوائية بواسطة المشي أو السباحة أو ركوب الدراجات الهوائية أو ممارسة الألعاب الجمبازية أو الرقص العنيف أو التزلج أو الوثب أمام جهاز التلفزيون على ايقاع برنامج للتمرين.

قاعدة خاطئة. كثيرون من الذين يمارسون الرياضة يبالغون فيها الى حد أنهم يتأذون بدل أن يصبحوا أكثر لياقة. ولقد حقق علماء الاوبئة في "مراكز الحد من الامراض" في أتلنتا بولاية جورجيا مع ٢٥٠٠ رجل وامرأة بعذ مرور سنة على اشتراكهم في مسابقة ركض لمسافة عشرة كيلومترات. فتبين أن أكثر من ثلثهم أجبروا على تقليص تمارينهم أو الغائها بسبب اصابة عضلاتهم، وأن سُبعهم خضعوا للمعالجة الطبية بسبب هذه الاصابات.

وهذه الظواهر ماثلة أيضاً في أنواع أخرى من التمارين الحيهوائية. ويقول الخبراء ان عدداً قليلا من الذين يبدأون برنامجاً للتمارين الحيهوائية يستمرون فترة كافية لإدراك فوائده. وفي الوقت الحاضر يقرّ اختصاصيو التجبير والتقويم ان عملهم مزدهر في معالجة تمزق العضلات والتهاب الأوتار والتواء المفاصل والكسور العظمية وسوى ذلك من المشاكل التي يسببها التمرين المفرط.

لكن هذه أمور يمكن تداركها. يقول طبيب القلب جايمس ريب مدير مختبر التمارين الفيزيولوجية في كلية الطب بجامعة مساتشوستس: "إن النصح الطبي بالتمارين الرياضية لا يعني الركض حتى العرج أو السباحة حتى تشنج الذراعين



والساقين." هنالك تأثيرات مفيدة صحياً حتى في أقل درجات التمارين الرياضية الصحيحة. فالسير بسرعة تزيد ٣٥ في المئة على سيرك المعتاد يمكن أن يوصل جهاز الاوعية الدموية لديك الى المستوى الرياضي في أقل من عشرين دقيقة.

إذاً يجب اجتناب قاعدة "لا كسب من غير ألم." وينصح الدكتور ريب: "إن مفتاح الوصول الى أعلى الفوائد في التمارين الرياضية هو في اتباع برنامج منطقي وغير مؤذ."

هنا نصائح يقدمها خبراء:

□ ابدأ بمعرفة وضعك الصحي العام. وهذه المعرفة يجب أن تبنى، مبدئياً، على فحص طبي يأخذ في الاعتبار عمرك ووزنك ونمط حياتك ووضعك الصحي الحالي ونتائج اختبار صحة أوعيتك الدموية. وينبه الدكتور كوبر: "اذا كنت تنوي ممارسة رياضة أكثر نشاطاً من المشي فسيكون ضرورياً الخضوع لفحص طبي شامل، مع التشديد على اختبار الإجهاد، اذا كنت تجاوزت الاربعين أو كنت مدخناً أو بديناً أو من عائلة ذات ماضٍ طبي في ما يختص بأمراض القلب أو ارتفاع ضغط الدم أو ارتفاع نسبة الكولسترول."

أما اذا لم تخضع لفحص طبي شامل فإن رهانك الاسلم هو في افتراضك أن وضعك الصحي رديء وعليك أن تبدأ ببطء. يقول الدكتور روبرت ليوي في "الدليل الطبي الكامل" الصادر عن كلية الاطباء والجراحين في جامعة كولومبيا: "إن البرنامج الامثل لتمارين القلب والاوعية الدموية هو المرن والمتدرج." فاذا كنت تنوي ممارسة الرقص الحيهوائي، مثلاً، فعليك أن تسجل في صف المبتدئين. بعد ذلك يمكنك أن تتدرج الى تمارين أكثر تقدماً واجهاداً عندما يصبح جسدك مهيأ لها.

□ توجه نحو نطاق هدفك المحدد. ان الغاية من اتباع برنامج منطقي وغير ضار هي زيادة فاعلية عمل الرئتين والقلب حتى يتمكنا من توزيع أكبر كمية من الاوكسيجين من دون إلحاق أذى بالجهاز العضلي والهيكل العظمي. ومن البديهي أن الجهد المطلوب لزيادة نبضات القلب يختلف بين شخص وآخر. إن رجلا متوسط العمر يعاني بعض الوزن الزائد ويقضي معظم وقته جالساً لا يحتاج الى أكثر من بضع دقائق من السير السريع ليحصل على زيادة في نبضات قلبه.

يمكنك أن تحدد نطاق هدفك من خلال معادلة بسيطة: أولا، حدّد الحد الاعلى لضربات قلبك في الدقيقة بطرح عمرك من ٢٢٠. ان الحد الاعلى لشخص في الخامسة والثلاثين من عمره، مثلا، هو ١٨٥ ضربة في الدقيقة. ثانياً، احتسب ٦٠ في المئة و٨٥ في المئة من الحد الاعلى لديك، فيكون النطاق الواقع بين الرقمين هو نطاق هدفك (أي بين ١١١ و١٥٧ نبضة في الدقيقة بالنسبة الى شخص في الخامسة والثلاثين من عمره.

الآن، راقب معدل نبضات قلبك خلال التمرين وبعده مباشرة. ضع اصبعين أو ثلاث أصابع على الشريان النابض داخل معصمك، أو على أحد الشريانين السباتيين في العنق. عدّ الضربات لمدة عشر ثوانٍ ثم اضرب الرقم في ستة

لاحتساب عدد الضربات في الدقيقة الواحدة: اذا وجدت أن قلبك يعمل أدنى من نطاق هدفك أثناء التمرين، عجِّل حركاتك التمرينية. أما اذا كان معدل نبضات قلبك أعلى من نطاق هدفك فتمهلّ أو توقف موقتاً عن التمرين.

وأعلم أن بعض الادوية، كالتي توصف في حالات ارتفاع ضغط الدم، يمكن أن تؤثر في سرعة نبضات قلبك. اذا كنت تتناول أي ادوية بانتظام، استشر طبيبك قبل أن تبدأ برنامجاً للتمارين الرياضية.

□ اختر التمرين الذي يضع سرعة نبضات قلبك في نطاق هدفك والذي يكون ممتعاً وغير مؤذ في آن. هناك كثير من النشاطات التي تزيد فاعلية وصول الاوكسيجين الى أجهزتك، وبينها المشي السريع والهرولة والركض وركوب الدراجة الهوائية والسباحة والرقص النشيط والقفز فوق الحبل. لكن بعض هذه التمارين يتميز بالجهد القوي فيشكل ضغطاً فائقاً على العضلات والمفاصل، من ذلك الركض والرقص الحيهوائي والقفز فوق الحبل.

واعلم أن ليس من الضروري أن تكون في منتصف عمرك لتجد أن التمارين الحيهوائية المجهدة شاقة جداً. حتى ابن الخامسة والعشرين قد يتعرض للأذى اذا بدأ التمارين المجهدة بحماسة كلية ولم يكن مهيأ لها.

ما هو البديل؟

ينصح الدكتور ريب وغيره من أطباء القلب بالمشي. في دراسة حديثة تبين أن ٩٠ في المئة من النساء اللواتي تراوح أعمارهن بين العشرين والتاسعة والسبعين استطعن الحصول على معدل النبض المطلوب خلال كيلومتر ونصف كيلومتر من السير السريع، كما أن ٨٠ في المئة من الرجال الذين تخطوا الستين استطاعوا الحصول على الفوائد الكاملة من جراء هذا التمرين. كذلك تبين أن ثلثي الرجال تمكنوا من الوصول الى نطاق هدفهم خلال كيلومتر ونصف كيلومتر.

قبل مدة وجيزة أخضعت ثلاث نسوة من أعمار متفاوتة لاختبارات تناولت قوة القلب والاوعية الدموية، في مركز النشاطات الحيهوائية في دالاس. كانت احداهن بطلة في الكمال الجسماني، من كاليفورنيا، وفي الثامنة والعشرين من عمرها. وكانت الثانية من نيويورك، في الاربعين من عمرها، تعمل بائعة ولا تمارس الرياضة بانتظام بل تسير عدة كيلومترات يومياً بداعي عملها في بيع الادوات واللوازم المكتبية. وكانت الثالثة جدة من تكساس في الرابعة والستين من عمرها، مارست التمارين الرياضية على نحو متقطع خلال حياتها. ماذا كانت النتيجة؟ البائعة المتجولة أتت في الطليعة مع فارق شاسع في النتيجة. وحلت الجدة في المرتبة الثانية. أما بطلة كمال الاجسام فحلت في المرتبة الثالثة.

يشدد الدكتور ريب: "إن مفتاح الوصول الى أوعية دموية سليمة وقلب سليم يكمن في الثبات وليس في السرعة. وبمقدار ما يسرع الناس في تجسيد هذه الفكرة في أنظمتهم الرياضية، يكونون أوفر صحة وأكثر لياقة."

ستانلي انغلبارت ■

«أطلب أمنية»

مؤسسة خيرية تحقق أحلام أولاد مرضى لم تبق لهم من الحياة سوى أيام

قد لا يلاحظ الزائر شيئاً غير عادي لدى إلقائه نظرة أولية خاطفة على أحد الاضرحة في مدافن كيواني في إيلينوي. يقرأ هذه الكلمات المحفورة في الرخام المصقول: "كريستوفر جايمس غريشس، شرطي درّاج في ولاية أريزونا." لكن أمارات الدهشة تعلو وجه الزائر عندما يتمعن في التاريخ المحفور: "٧٢/٨/٨ – ٨٠/٣/٥." عندئذ يتساءل: كيف يمكن ذلك؟ هل يعقل أن يحصل هذا الصبي على وظيفة شرطي درّاج في الولاية وهو لم يتعدّ السابعة من عمره؟

الجواب هو نعم، وذلك بفضل مؤسسة "أطلب أمنية،" وهي منظمة أمريكية وطنية لا تتوخى الربح، هدفها تحقيق أغلى الرغبات لدى الاطفال الذين يعانون أمراضاً مميتة. وقد عمل أكثر من ٦٠٠٠ متطوع في "أطلب أمنية" على تحقيق أماني ألوف الاولاد، فوقفت فتاة في السابعة من عمرها الى جانب رئيس الولايات المتحدة وأضاءت شجرة الميلاد الوطنية، ورمى صبي في التاسعة الكرة الافتتاحية في مباراة لفريقه المفضل، وقابل شاب في السادسة عشرة الاميرة ديانا زوجة ولي العهد البريطاني.

في يونيو (حزيران) ١٩٧٧ في مدينة فينيكس بولاية أريزونا التقى الطفل كريس غريشس الشرطي تومي أوستن. فذات يوم عاد أوستن من عمله الى البيت ليجد صبياً غريباً ممدداً على كنبة في غرفة الجلوس. استدار الولد وصوب مسدس أطفال نحو رجل القانون محذراً: "اجمد في مكانك، إنني شرطي."

ولم يبعد الصبي ذو السنوات الاربع مسدسه عن أوستن الا بعدما فتشه بدقة. وعندئذ قال له: "مرحباً، اسمي كريس."

كان كريستوفر غريشس ابن احدى صديقات زوجة أوستن. واذ كان يعاني من مرض السرطان فقد تركته امه ممدداً على الكنبة أثناء زيارتها لصديقتها. كانت حاله مدعاة الى الحزن، لكنه كان يملك هالة لا تقاوم أسرت أوستن، وخصوصاً أن طموحه الاعظم كان أن يصبح شرطياً. ويتذكر اوستن: "منذ وقع نظري على كريس صارت أوتار قلبي في يديه."

بعد ثلاث سنوات ساءت حال كريس، فصممّ أوستن مع شرطيين من زملائه في دائرة الامن العام في أريزونا على رفع معنوياته. وفي السابع والعشرين من شهر ابريل (نيسان) عام ١٩٨٠ حلقت طوافة تابعة للشرطة فوق أنحاء مدينة فينيكس وكريس داخلها. ثم حطت في المقر الرئيسي للدائرة حيث كان في انتظاره



أربع دراجات نارية وثلاث سيارات تابعة للشرطة. وهناك أدى القسم كشرطي فخري، ثم أجلس الى مقود سيارة للشرطة وهو قاعد في حضن شرطي. وفي اليوم التالي ألبس الصبي خوذة ونظارتين وشارة الشرطة وزياً رسمياً خيط خصيصاً له. وهو كان يطير فرحاً.

وبعد يومين من مراسم تقليده منصبه في الشرطة أدخل كريس المستشفى. وكان طلبه الوحيد أن توضع خوذته ولباسه الرسمي حيث يراهما دائماً. وبعد ثلاثة أيام توفي كريس. ودفن الشرطي الصغير وهو في لباسه الرسمي، وأجريت له مراسم دفن رسمية مع كامل التشريفات..

أحلام بلا حدود. أدرك أوستن وآخرون ما كان يعنيه حلم كريس في أن يكون شرطياً دراجاً. ويقول أوستن: "تبين لنا أن مئات الاطفال في العالم يملكون أحلاماً كبيرة ووقتاً قليلا. هناك أطفال نستطيع أن نفرحهم ولو لدقيقة واحدة. فقررنا أن نفعل شيئاً لهؤلاء."

وهكذا ولدت مؤسسة "أطلب أمنية" في خريف ١٩٨٠. في البداية عملت المؤسسة ضمن نطاق محلي. ومع ذيوع صيتها انهمرت عليها طلبات المساعدة من أرجاء البلاد. وفي أوائل ١٩٨٣ توسعت المنظمة لتصبح "مؤسسة اطلب امنية الامريكية،" وهي اليوم توجه أكثر من مئة فرع في الولايات المتحدة، اضافة الى مؤسسات فرعية في كندا وأوستراليا ونيوزيلنده وبريطانيا.

أما مواصفات الولد "صاحب الامنية" فهي: أن يراوح عمره بين سنتين ونصف سنة و١٨ سنة، وأن يثبت أنه مصاب بمرض مميت. ويجب أن تكون الامنية نابعة حقاً من قلبه، وأن يوافق اهله وطبيبه الخاص على صواب الفكرة. أما الوضع المادي فليس بالعامل المهم، كذلك تكاليف تحقيق الامنية. ففي العام ١٩٨٧ وحده استطاع المتطوعون أن يجمعوا ٦،٨ ملايين دولار، وكان هذا كافياً لتحقيق ٢٠٠٠ أمنية بمعدل ٣٤٠٠ دولار للامنية الواحدة. يقول مايك لويس الرئيس السابق لمؤسسة "أطلب أمنية": "لا يحد حلم الطفل إلا مخيلته."

إن أحلام بعض الصغار بسيطة. كانت فتاة تعاني مرضاً موهناً في العظام، فتمنت فقط أن تتلقى رسائل يومية تفضها بيدها. فأمنت المؤسسة أشخاصاً يراسلونها. ولكن ثمة أمنيات أخرى أكثر تعقيداً. احدى المراهقات، مثلاً، طلبت أن تزور الاراضي المقدسة في فلسطين، فكان لها ما أرادت. تقول جاين مارتنز مؤسسة فرع واشنطن: "لا نستطيع أن نعد هؤلاء الاطفال بالسلام على الارض أو بأنهم سيتحسنون صحياً، لكننا نستطيع أن نجعل الطفل يشعر لفترة وجيزة بأنه الشخص الاكثر أهمية في العالم."

ولشدة تعاطف المؤسسة مع حاجات الاولاد، طوّرت مقدرة خارقة في تحقيق الامنيات. فقبل مدة قريبة علم فرع لوس انجلس أن بريان، وهو صبي في السادسة من العمر مصاب بورم في الدماغ يستحيل استئصاله، مفتون بالملاحة الجوية وأنه يرغب في اقتناء نموذج مصغر لطائرة. لكنه يتجه نحو العمى وبراعته اليدوية تتدنى بسرعة.

فرأى مايك لويس، وهو طيار خاص، أن بريان قد يرغب في سماع هدير الطائرات. وهو يقول: "لقد حصل بريان على طائرته المصغرة. لكننا زودناه أيضاً جهاز راديو فيه موجة لالتقاط ذبذبات الطيران التجاري. بعد ذلك طلبنا من القبطان جيري ستامبس أن يقدم الى الصبي خوذة طيار وأشرطته كنا صنعناها لهذا الغرض." وجد ستامبس نفسه مذعناً لهذه الامنية. فطلب بدوره من زملائه الطيارين أن يتصلوا ببريان لاسلياً ويتمنوا له الشفاء العاجل كلما حلقوا فوق منطقة أورانج في ولاية كاليفورنيا. ولم يمض وقت وجيز حتى بات جميع الطيارين المحلقين فوق جنوب كاليفورنيا يتصلون ببريان.

يقول لويس: "لا أستطيع التفكير في شيء آخر قد يعني لبريان ولعائلته أكثر مما عناه تحقيق هذه الامنية التي أدخلت البهجة الى حياته. ولقد أبقى بريان الجهاز اللاسلكي يعمل مدة ٢٤ ساعة في اليوم حتى يوم وفاته.

رقصت بقلبها. ان النشوة الناجمة عن ادخال الفرح الى قلوب الصغار تنتقل كالعدوى غير مقتصرة على متطوعي المؤسسة. حلمت ماليندا ذات السنوات العشر من مدينة واشنطن طوال حياتها بأن تصبح راقصة، لكنها كانت تعاني نقصاً في تغذية العضلات جعلها مقعدة في كرسي متحرك. وباتت أمنيتها القلبية أن تشاهد عرضاً حياً للباليه. أمنت لها مؤسسة "أطلب أمنية" أمسية راقصة في "باليه بنسلفانيا" بدأت بجولة خلف الكواليس وقدمت لها بعدها الراقصة الشهيرة تامارا هادلي خفّيها وتنورتها التي رقصت بها الليلة السابقة. ثم أرشدت الفتاة المنبهرة وأفراد عائلتها الى مقصورتهم في المسرح.

لقد تحققت الامنية، او هكذا بدا. إلا أن الراقصين أعدوا للفتاة مفاجأة بدورهم. فقبل انزال الستارة في نهاية العرض تقدم الراقصون جميعهم أمام مقصورة مالیندا وانحنوا بانسجام. وفيما الاضواء مسلطة على وجه مالیندا قذفت الراقصة هادلي نحوها باقة زهور.

تلك الليلة رقصت ماليندا بقلبها.

تدرك مؤسسة "أطلبِ أمنية" أن الطفل عندما يعاني مرضاً مميتاً تتألم العائلة بأسرها. تقول ليندا جينسن التي فقدت ابنها وهو في السابعة من العمر نتيجة اصابته بالسرطان: "أثناء مرض يان خصصنا له الكثير من وقتنا حتى شعر شقيقاه بأنهما مهملان."

ولما علمت المؤسسة أن يان يرغب في زيارة مركز جون كندي الفضائي في فلوريدا دعت جميع أفراد العائلة الى المشاركة في الرحلة، وهكذا لم يعد شقيقا يان يشعران بأنهما مهملان. تقول ليندا جينسن: "لبعض الوقت عدنا عائلة طبيعية. لقد أتاحت لنا الرحلة اجتياز أوقات عصيبة وتركت لنا جميعاً ذكرى نستعيدها الى الابد."

مدمنو المساعدة. تسرف المؤسسة في السخاء عند تحقيق أمنية ما. وحين يكون الولد مع عائلته في طور تحقيق الامنية، تؤمّن جميع المصاريف المتعلقة ببطاقات السفر والتنقلات والامتعة ووجبات الطعام وحتى المصروف الشخصي، إما من المؤسسة واما من هبات فاعلي الخير. ولا يتوجب على العائلة أي مصاريف. ويشرح لويس هذا الامر: "الهدف هو إحداث فترة زمنية خالية كلياً من الهموم بمقدار ما تسمح به ظروف الحياة الانسانية. نحن نحقق الامنية ونَنسحب فاسحين في المجال للعائلة لكي تتمتع بها."

وتعوّل المنظمة كلياً على الهبات من أموال وهدايا وخدمات. ولما كانت تعتمد الى حد بعيد على المتطوعين، فإن أقل من ١٦ في المئة من أموال التبرعات تذهب الى الاعمال الادارية.

يجب على المتطوعين أن يكونوا جاهزين عند أول اشارة لترك كل شيء والسعي الى تلبية أمنية معقدة. تقول جاين مارتنز: "نحن نعمل حسب مواعيد الطبيعة وليس حسب مواعيدنا. لذلك نضطر غالباً الى التحرك بسرعة."

هكذا كانت الحال مع جون ابن السادسة عشرة الذي حلم بأن يحتفل بعيد ميلاد أبيض. كانت المشكلة أن الوقت هو منتصف شهر يوليو (تموز) وجون يقطن في فينيكس ويعلم أنه لن يعيش حتى الميلاد في ديسمبر (كانون الاول).

باشرت المؤسسة العمل. نقل جون ووالدته وجدته وشقيقاه وشقيقتاه الى كوخ في منطقة بحيرة تاهو في نيفادا المحاطة بجبال سامقة مكللة بالثلوج. وأضرمت النار في المدفأة وتلألأت شجرة ميلاد وحولها علب هدايا. ووضع ديك ريمي في الثلاجة جاهزاً لادخاله الفرن. ولم يغفل فريق المؤسسة أي شيء. وعندما قرع جرس الباب في ليلة باردة قام جون لفتحه، فإذا به أمام جوقة غنت له أغنيات ميلادية.

وتوفي جون بعد ذلك بأسبوع، ولكن بقيت للعائلة ذكرى عيد ميلاد لن تنساه.

نقطة تحول. ليس مستغرباً أن تدفع الامنية الولد المريض الى جمع قواه فجأة، كما حصل في حال أندريه وهو صبي في السابعة من العمر من ليفيتاون في

نيويورك كان يعاني داء استسقاء الرأس، وهي حالة يضغط فيها السائل الزائد في الجمجمة على الدماغ فيؤدي الى انتفاخ الرأس. وبعد الخضوع لـ٢٢ جراحة لادخال الانابيب البلاستيكية التي تجفف السائل عن الدماغ، فقد أندريه ارادته في الحياة. انخفض وزنه الى ١٥ كيلوغراماً وضعف الامل بنجاته.

ثم علمت المؤسسة برغبة أندريه في احياء حفلة كبيرة في ذكرى مولده. فنظم محققو الاماني حفلة لا مثيل لها، دعي اليها سبعون صديقاً وضمّت مأكولات شهية وقالب حلوى ضخماً ومهرجين.

"اما الشيء البارز،" تقول والدة أندريه، "فكان الفرقة الموسيقية الكبيرة المؤلفة من ٥٥ عازفاً والتي وقفت أمام منزلنا وعزفت أغنية العيد."

كان ذلك بالنسبة الى اندريه نقطة تحول في حياته. فجأة تحسنت حاله الصحية.

وتقول والدته: "انه اليوم ولد مختلف كلياً. لقد زاد وزنه ١٨ كيلوغراماً وهو يذهب الى المدرسة ويملك ارادة قوية للحياة."

بعد الحفلة تبرع أندريه بمدخراته، وهي ٣٧ دولاراً أمريكياً من فئة السنتات، الى الفرع المحلي لمنظمة "أطلب أمنية." وهو قال آنذاك: "أريد أن أهب هذا المال طفلا آخر كي تتحقق أمنيته."

بير أولا وإميلي دولير ■



بسمة الجدة

كانت الجدة في الحمام تنظف أسنانها الاصطناعية. فلحقت بها حفيدتها ابنة الاربع السنوات وراحت تراقبها بصمت وهي تنهي غسل الاسنان ثم تضعها في فمها. بعد ذلك توجهت البنت الى أمها وسألتها: "هل تستطيعين نزع أسنانك يا ماما؟"

فاجابت الام الشابة: "لا، وحق السماء!"

فأخذ العجب البنت وقالت: "تستطيع جدتي أن تضع بسمتها في يدها!"

ا. م. غ.

عندما يضيّع الزوج عقله

لي زوج لا يضع شيئا في مكانه ويعتمد على ترتيبي ومساعدتي اياه في تحديد المكان الذي نسي فيه ما أضاعه، إذ أسأله: "متى استخدمته آخر مرة؟"

وذات يوم عطلة عمدت الى هذا الاسلوب مرارا فيما كان ينجز أعمالا صغيرة متنوعة في البيت. وفي آخر السهرة كان يعمل على "مشروع" كبير فصرخ: "أعتقد أني أضعت عقلي!"

فسألته بصوت عذب: "حسناً، متى استخدمته آخر مرة؟"

ر. ج.

أن تحبّ...

أحبَّ أي شيء فيُعتصر قلبك وربما ينكسر. ولكي تتأكد من أنك ستحتفظ به سليماً عليك ألا تمنحه أحداً، ولا حتى حيواناً. أحِطْه بالهوايات ووسائل الترف التافهة، وجنّبه أي ارتباط. احبسه في تابوت انانيتك. لكنه في هذا التابوت الآمن المظلم الساكن الخانق سوف يتغير. لن ينكسر، بل سيغدو متحجراً، غير قابل للكسر. ولا سبيل الى اصلاحه. أن تحب يعني أن تكون قابلا للانجراح.

سيسيل داي لويس

كاتب وروائي بريطاني

نزهة داخل الذات

لا ريب في أن الاندفاع الى إسقاط كل شيء وبدء حياة جديدة برمتها هو من علامات التغيير الاكثر وروداً والاكثر رفضاً.

غير أني، على مر السنين، بتّ مفرطاً في الشك في قيمة اقتلاع المرء نفسه من محيط ليتجذر في محيط آخر. وإذ أنظر خلفي الى التنقلات الكبرى التي فكرت فيها ولم أقدم عليها، لا أجد في حافظتي الآن ما أتمنى حقاً لو أني فعلته. قد يكون انتقالي الى القطب الحدث الذي كان سيفتح أمامي آفاقاً واسعة، بيد أنني، لو انتقلت الى هناك، فربما انتهيت طعاماً للدببة. ولربما فوّت بعض المناسبات العظيمة لتحسين أحوالي. ولكن اذا كان يساورني أي ندم – واني لنادم حقاً – فلأني لم أعمل كفاية على تعديل جغرافيتي الداخلية الخاصة، ولم أكن أكثر اقداماً على المغامرة في الرحلات التي قمت بها داخل ذاتي.

لودن وينرايت، كاتب امريكي

فن المحادثة

يكاد فن المحادثة ينقرض. ولكن وفقاً لكل المقاييس ليست هناك فعلا سُبُل للاحتكاك بذهن انسان آخر الا بالكلام. تحتاج المحادثة الجيدة، مثل كل مأثرة اخرى، الى التمرين. وفي أيامنا من الصعب اكتسابها. هناك النقاش المنفعل. وهناك الرجل الذي يملأ وقت الحاضرين باخباره الطريفة. وهناك الاختصاصي الذي يبدي رأياً في موضوع اختصاصه. لكن ذلك كله ليس محادثة. فالكر والفر، وبراعة قولبة الجملة، وتوقيت الكلام، والاخذ والعطاء الذكيان – هذه الصفات جميعها في المحادثة الجيدة – تحتاج الى أناس لامعين يلعبون كرة مضرب كلامية.

وإنها لتسلية تفوق التلفاز.

ف.غ.



طرائف أمّ

تمسكت بإيمانها أن الشخص الهازل لا يهاب العالم

يُعتبر إلقاء النكات أرقى الفنون في عائلتنا. وقد برع والداي في الخدع اللاهية. وطالما أصغينا بحماسة ونحن أطفال الى "مقالبهما" الاسطورية مثلما يصغي الآخرون الى بطولات أجدادهم في الحرب.

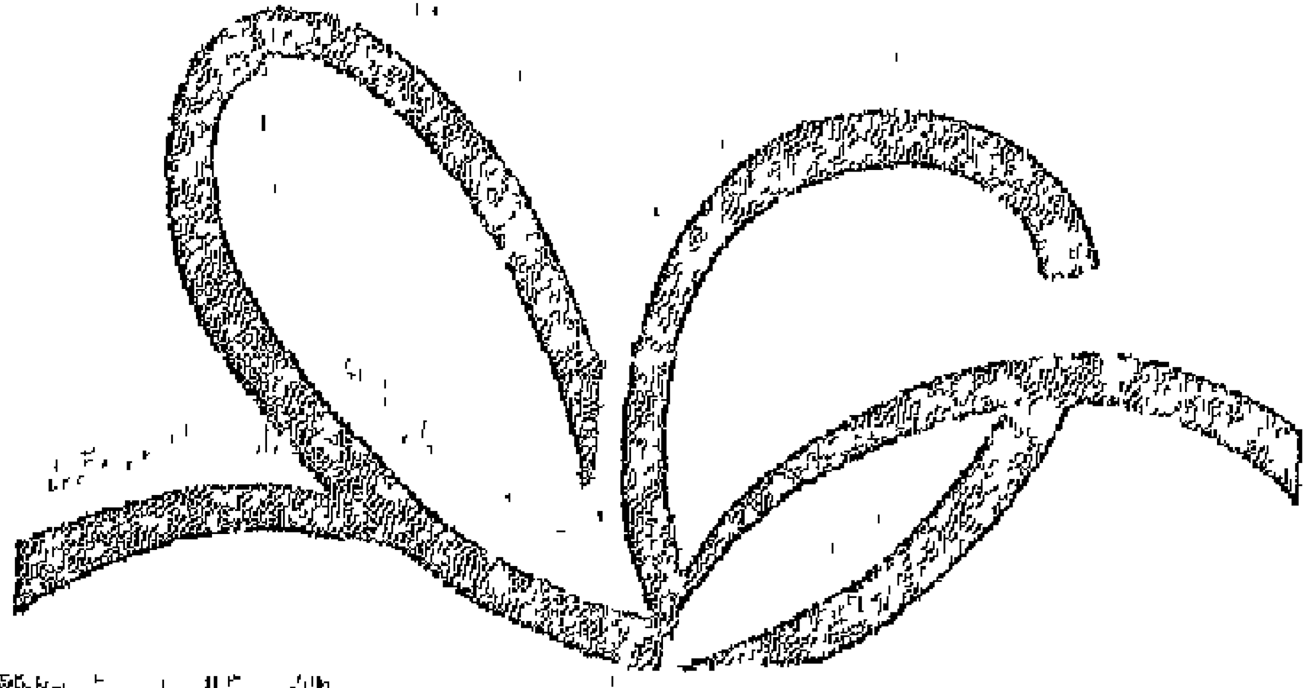
ذات مرة أمضى والداي أسابيع في بناء وحش بحري يبلغ طوله ثلاثة أمتار، من اطارات شاحنات وحجار اسمنت وقضبان مكانس وأخشاب ووسائد، وألقياه ليطفو في بركة أحد الاصدقاء. ومرة أخرى أربكا هواة جمع الاصداف إذ غليا مئات من الاصداف الجيدة مع صبغة خضراء ونثراها على الشاطىء قبل الشروق. وصباح عيد الميلاد وجدت في جوربي المعلق فوق المدخنة رِجلا. لقد أقنعت والدتي صاحب أحد المخازن بإعارتها رجل إحدى العارضات.

قد يهمل والداي احتفالنا بالعيد، لكنهما لا ينسيان إخبارنا نكتة. يفسران النكتة وهما لا يزالان يضحكان لها. عندما كنت في التاسعة وأختي ايمي في السابعة، كنا نمضي معظم اجازاتنا في منزلنا المريح الواسع نصغي الى والدينا يتباحثان في كل نقطة نظرية أو تطبيقية في فن إلقاء النكات: فكر دائماً في المستمعين. إن لم تلقَ الضحك المتوقع فعليك تنميق الكلام لتكون أفضل في المرة التالية.

كان والدي مولعاً بسرد قصص مثيرة في المقاهي أبطالها من الحيوانات أو الحشرات. وقد شاعت أخبار هذه

Condensed from «An American Childhood,» copyright © 1987 by Annie Dillard, published by Harper & Row, Publishers, Inc., New York, N.Y.
Illustration: David Womersley

فاجئوا من تحبون بهدية لا تنسى



تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او التخرج او عيد الحب...
فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟
فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٨٩/٦/١ و ١٩٩٠/٥/٣٠ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٢٥ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين الآتيين:

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت لبنان
BANK ALMASHREK S.A.L.
P.O.BOX 1524
BEIRUT-LEBANON

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ____________

____

عنوانه ____________

____

المناسبة وتاريخها ____________

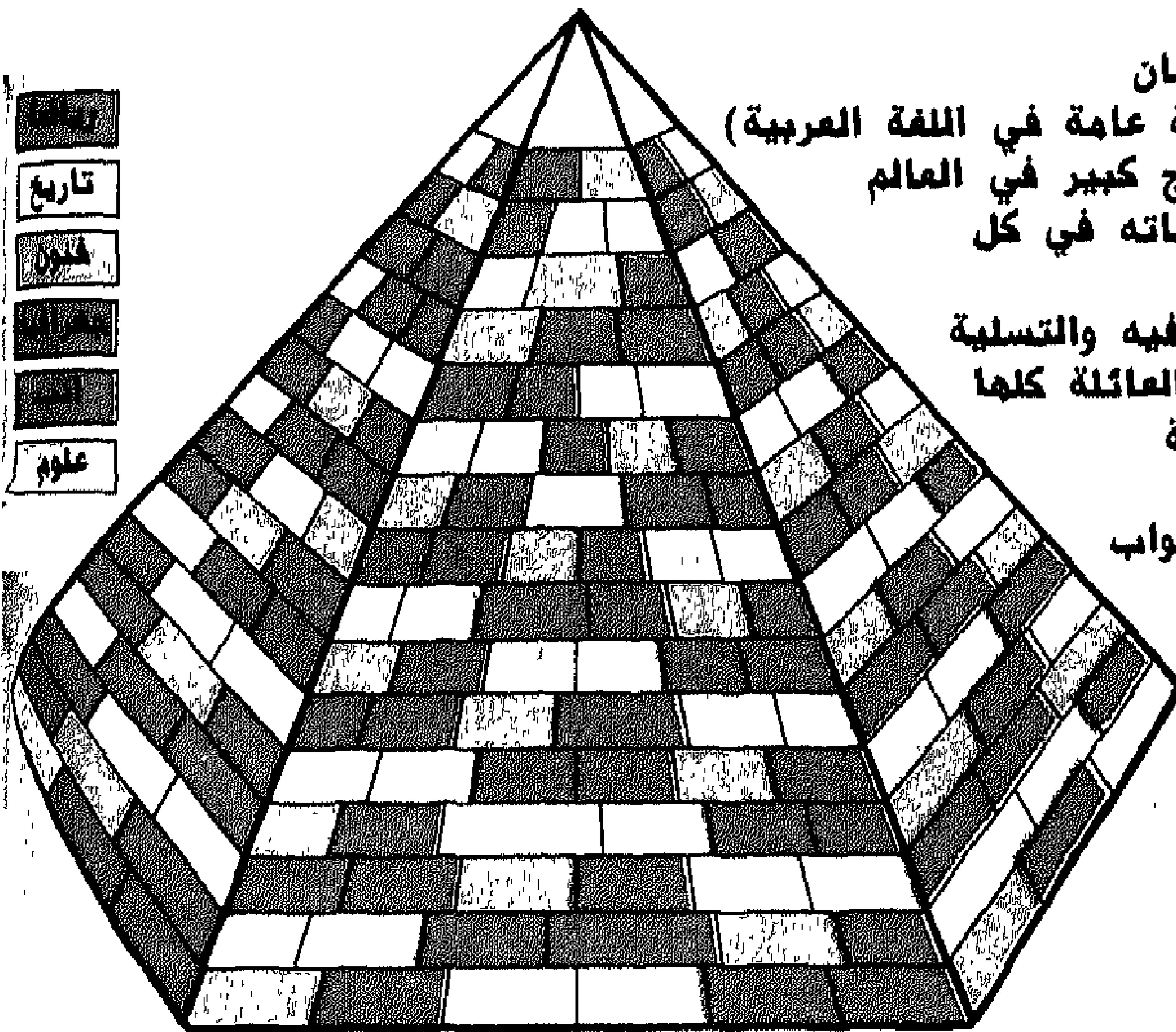
توقيع المهدي ____________

مع أخلص تمنياتنا

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مشوقة



- هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

الحيوانات الخرافية في معظم المقاهي، ومنها الكلاب الناطقة والقرود المجنونة.

الكلب والسيجار – إتبعت والدتي الاسلوب الحواري في الكوميديا المسرحية: ذهب شاب الى طبيب نفساني، فقال له هذا: "انك مجنون."

– أريد رأياً آخر.

"أنت قبيح."

أو هذه: كيف تخرج فيلا من المسرح؟ لن تستطيع ذلك، فالمسرح في دمه.

نشأنا مع النكات الكلاسيكية. أخبرنا والدانا جميع النكات التقليدية القديمة. كانت خاتماتها أقوى التعابير التي عرفناها في صغرنا.

خصصت بعض النكات المختارة لمناسبات استثنائية. وقد كانت إحداها في غاية التعقيد واستغرقت تأديتها طوال عطلة نهاية الاسبوع مع الاصدقاء المتسامحين. في البداية سردت أمي قصة طويلة تافهة عن بنّاء أوقع قطعة قرميد. ما من شيء مضحك في ذلك.

في اليوم التالي روت أمي للاصدقاء طرفة عن راكبين غاضبين في قطار. تسحب السيدة السيجار المشتعل ذا الرائحة الكريهة من فم الرجل وترميه من نافذة القطار. يمسك الرجل بالكلب الاسود الصغير في حضنها ويقذفه من النافذة ذاتها.

أخيراً، حين ينزل المسافران بصمت في المحطة، ماذا يشاهدان على الرصيف؟ الكلب الاسود. وماذا يحمل في فمه؟ فأجاب الاصدقاء بصوت واحد: "السيجار!"

فقالت أمي بانتصار: "لا، حجر القرميد."

برعت أمي في هذا الصنف من النكات. أثارتها روح المجازفة فيها. وتوسطت الملاحظات الحادة الذكية حياتها اليومية. ونحن تعلمنا في وقت مبكر التجاوب مع أخبارها لنراقبها تسرع متحمسة الى الخاتمة.

عادات غريبة – عشقت أمي كل من تحدى مبارزاتها الكلامية. أخضعت لجراحة في إحدى عينيها. وعلى طاولة الجراحة قبل أن تستسلم للتخدير استغاثت بالجرّاح طارحة عليه سؤالا خططت له قبل أسابيع: "هل سأتمكن من العزف على البيانو بعد الآن؟"

أجاب الجراح: "لن تنطلي علي هذه الخدعة القديمة."

وهي فعلا نكتة قديمة. كان على الجراح أن يجيب: "أجل أيتها السيدة الجريئة." فترد والدتي بدورها "حسناً، لطالما أردت أن أتعلم العزف." لكن الجراح كان حذقاً، وقد أحبت أمي من يحزر الامور.

رعتنا في طفولتنا بحنان واهتمام، وبعدما كبرنا أشركتنا في دعاباتها. إن ردت على مكالمة هاتفية خاطئة قالت: "دقيقة من فضلك." ثم حملت الهاتف إلي أو إلى أختي ايمي قائلة: "أجيبي، اسمك جينا." أو أسوأ من ذلك: "انها لك."

إنها طاقة لا تتوقف ولا تنسى أمراً. عندما انتقلنا الى حي آخر في المدينة أقنعت مكتب البريد بابقاء عنوانها القديم لأنها طبعت أوراقاً وظروفاً وفقه.

لا أدري كيف فعلت ذلك. لعشرات السنين تعيّن على كلٍ موزع بريد جديد أن يتعلم أنه على رغم وضع ذلك العنوان على الرسائل الموجهة الى عائلتنا فإنه يسلمها هنا.

لم يطب لها مذاق الطوابع، لذا لم تكن تلعقها بل كانت تلعق زاوية الظرف. كانت تلصق ورق الزجاج على جوانب أدراج المطبخ وتحت الخزائن لتحظى بمكان قريب لاشعال عود ثقاب.

كانت تعتبر الامتثال البليد خطيئة، إنه الغباء عينه والجدول الهائل الذي لا تتهاون والدتي في مواجهته. اذ كانت لا تملك آراء تستهجنها غالبية الناس، ولا تنتصر لها يومياً، فالعالم أفضل من دونك.

كثيراً ما سمعت صوت أمي العاطفي يسألني وايمي وأختنا الصغرى مولي السؤال نفسه: هل هذه فكرتك أم فكرة غيرك؟ كما انها اتخذت مواقف مستهجنة وغريبة. كانت المعارضة شعارها، وهي كانت مستعدة لتحدي أي شخص في أي شأن.

إن أعلنت رأياً مقبولا لدى الناس رمقتني قائلة: "حقاً! كيف تدرين؟" فأقع في الشرك. فمن الخطأ أن أجيب: "الجميع موافق على ذلك." ففي هذه الحال كنا جميعاً ندرك ما سيحدث، اذ انها ستسألني: "هل استشرت الجميع قبل اتخاذ قرارك؟ ماذا لو قرر الجميع اعادة الهنود الى أرضهم؟"

لم تقصد أمي اخافتنا أو إرباكنا بسخريتها ودعاباتها. انها وسيلتها الوحيدة لايقاظنا. فروح الدعابة هي تمرين على الاستقلالية والحق.

لقد كان واضحاً لي ولشقيقتيَّ أن الشرَّ اذا طغا على أصحابنا يوماً أو أصيبت الجيرة بالجنون، فعلى كل منا اتخاذ موقف خاص.

آني ديلار ■



فوضى جامعية

كنت أرشد الزوار في جولة داخل حرم الجامعة وفتحت باب غرفة عُرف صاحبها بترتيبه، ففوجئت بأنها تعج بالفوضى. فالسرير غير مرتب والمجلات مبعثرة على الارض والاكواب الوسخة تغطي المناضد. وإذ حاولت جاهداً أن أبرر الموقف أمام الطلاب الجدد وأهلهم خلّصني من ورطتي أحد الآباء الذي قال: "لقد شاهدت عدداً كبيراً من غرف المنامة في جولات منظمة داخل الاحرام الجامعية، لكنَّ هذه هي أول غرفة أراها تتسم بالواقعية!"

ج.ل.

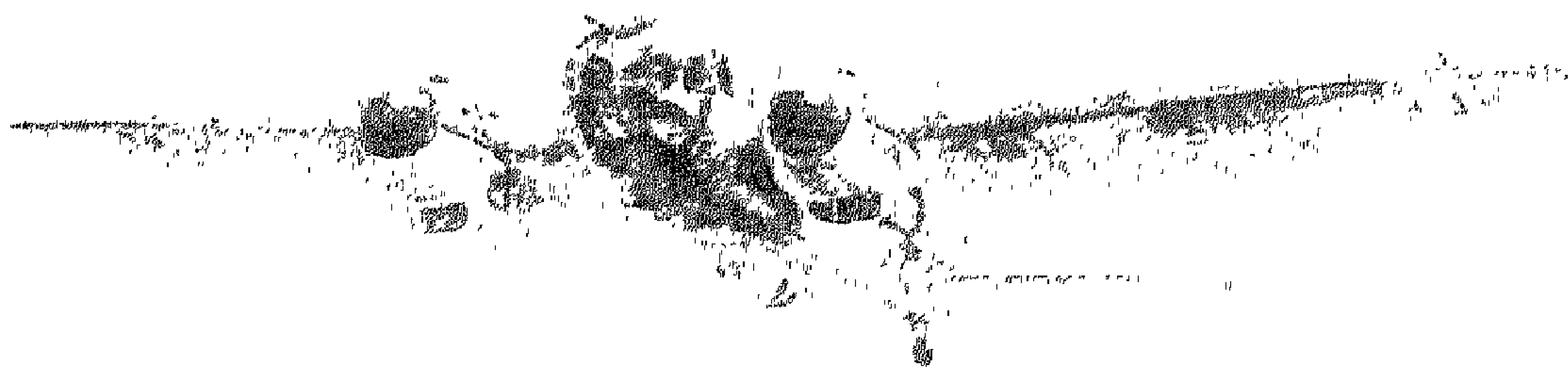
قال موظف عن مديره الإنتهازي: "هو من النوع الذي يصنع جبالاً من أتربة النمل ثم يبيع الناس أجهزة لتسلق الجبال."

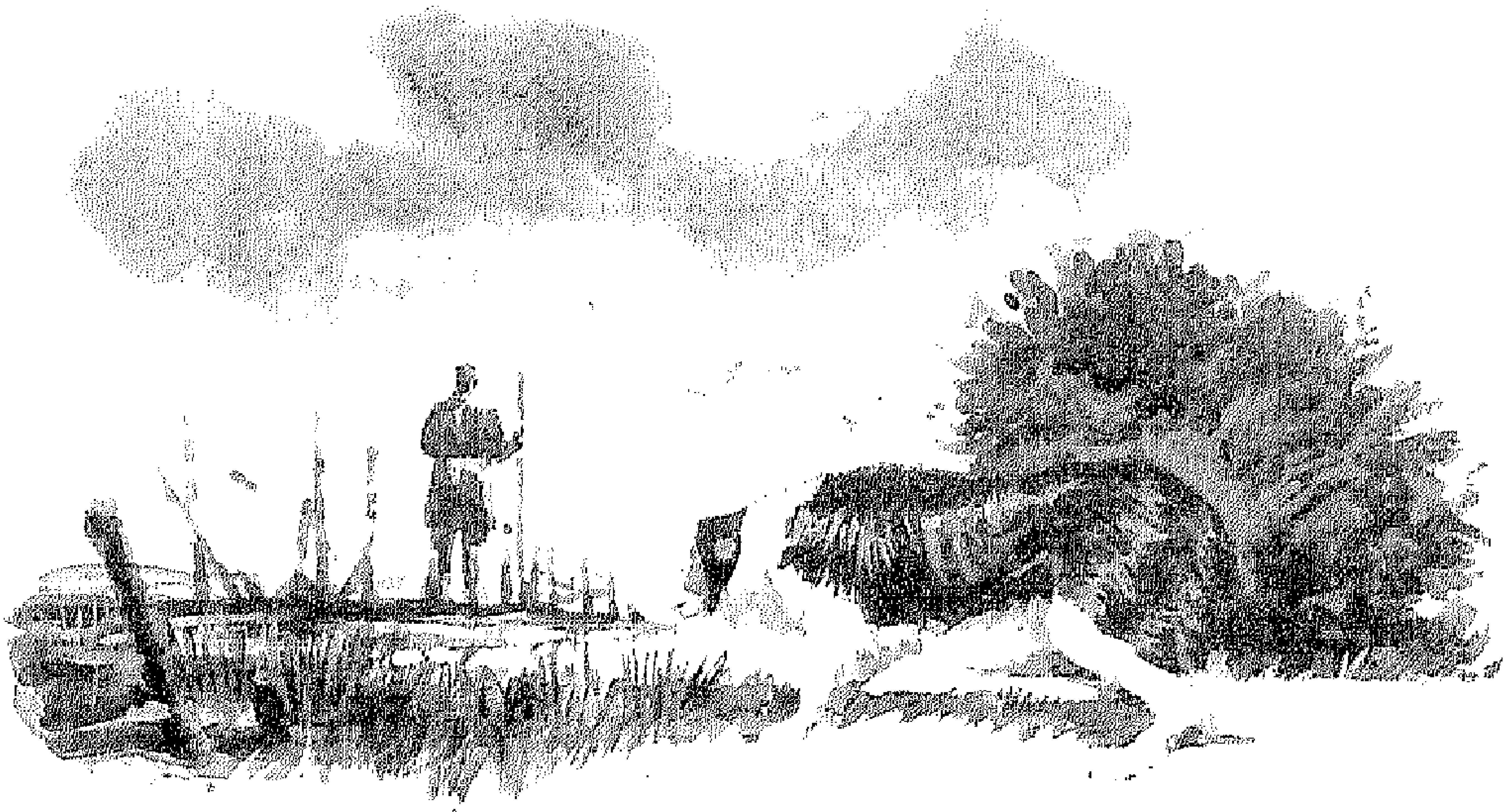
أ.ب.

كلبُ الحَربُ

ملخص من كتاب

بقلم آلسن لويد





كلبُ الحَربْ

كان سراً غامضاً ومخلوقاً محيّراً.
وبدا أنه لم يأت من مكانٍ ما، وظلّ يبتعد... ويبتعد!
يقولون: "من ضلّ مرة ضلّ أبداً."
ان الكلب الهجين ذا العينين المتوسلتين جلب الفرح والضحك لاسرة مزارعة آوته.
فرد ضيافتها بشجاعة لا تجارى.
جعل آلن لويد ريف همشاير، جنوب انكلترا، مسرحاً لقصته الاخيرة، فجاءت رائعة كلاسيكية غنية بالايحاء.
تبدأ القصة في العام ١٩٤٠ زمن ما يسمى "الحرب المزيفة."

Condensed from «The Farm Dog,» (C) 1986 A.R.LLoyd,
published by Century Hutchinson Ltd., London. Illustrations: Pat Owen

هبت الريح عاصفة من الشمال، واندفعت السحب الباردة أمامها فيما الكلب يرتجف في السياج. كان نحيف الجسم ذا عينين مترقرقتين تراقبان عناء المزارع.

أمسك المزارع بجعبته، فاذا بالكلب يتلوى مقترباً شيئاً فشيئاً، ولعابه يسيل. ثم راح يشم القارورة الحافظة الحرارة وما معها من طعام. وما لبثت نظرات ولف تك أن التقت عيني الكلب. وتساءل الرجل: "أي مخلوق أرى أمامي؟ فانت متسوّل فقير قلّما يناسب جزاراً."

قطع تك بعنف كسرة خبز ونقفها باصبعه، ثم أتبعها بقطعة جبن. أما الكلب وهو هجين خشن فتشمم الفضلات. قال تك: "لن تسمن على الفتات، فعد الى منزلك، اذا كان لك منزل، لأن لدي حقلا أريد أن أسيجه."

توانى الكلب بعناد وقد شدته غريزته الى الرجل. وعندما حل الظلام تبعه الى بيته في المزرعة. حك الباب بمخالبه وهو يعوي. الى حين، لم يحدث شيء، ثم ارتفع مزلاج وفتحت فجوة في أسفل الباب فدخل وقد أذهله الضوء والدفء.

صاحت المرأة بصوت أجش: "ما هذا يا تك، قل لي، بحق السماء."

الحطب يلتهب في الموقد، والسراج يبعث في الجو نوراً ضعيفاً. خزانة ترتفع حتى السقف وعليها فواتير وبضائع.

ربض الكلب في زاوية. انه ضعيف يفتش عن ملجأ ولا يبدو أنه يريد اكثر من ذلك. ان مصيره بين ايدي المزارع وزوجته، يستطيعان أن يفعلا به ما يشاءان.

قال تك: "اسم "زاك" محفور على طوقه، ولا أثر لاي عنوان."

فردت المرأة والاستياء باد عليها: "لن نحتفظ به."

- يا روز، اذهبي واملأي له طاسا من الطعام."

أجلست المرأة الكلب على مقعد قرميدي في المطبخ قرب الموقد. فأكل ككلب بحر، وكانت شفتاه مقلوبتين وأسنانه تنهش الطعام. قالت روز بتململ: "الحيوان يتضور جوعاً."

صعد المزارع وزوجته الى الطبقة العليا تاركين زاك في الظلمة. قالت روز لزوجها: "انه ليس جرواً."

فرد: "لقد أمضى شبابه... مثلنا."

- لا بد أنه سيغادرنا غداً.

الليل ساكن، والجليد يزنر النوافذ، فيما طيور البوم تنعب.

استرخى زاك الى جانب الموقد. كان متألماً من تعب المرج والغابة، ومن قضاء النهار والليل شارداً.

لا بد أنه نام. وفجأة امتلأت الغرفة دخاناً كثيفاً كضباب. وفي الضباب يستوطن الرعب. ذعر زاك، فهرع نحو السلالم وراح يعوي عواء لجوجاً كأنه يحض على عمل معجل. كاد تك أن يختنق من الدخان، فأخذ يترنح وهو يهبط الى الطبقة السفلى مرتديا ثياب النوم. قال: "انه البساط."

وتناهى اليه صوت زوجته متهماً: "اهمالك للنار كاد أن يقضي علينا."
– حسناً، الآن نحن في أمان، ولو تأخرنا دقيقتين لشوينا.
"انه الكلب، نذير شر." – لماذا تلعنينه يا امرأة، ألأنه أيقظنا؟
"انت على حق لقد فعل ذلك من أجلنا ويجب ان نكافئه."
جرى الكلب صباحاً يستمتع بالجليد وقد امتلأ جوفه طعاماً جيداً. عند ذاك لانت المرأة وقالت: "أنت تحتاج الى أن تسمن، ولكن تذكر انك لا تزال قيد التجربة."

حيوان بارع

ادار تك محرك شاحنة المزرعة، ثم فتح باب مقعده لزاك قائلا: "أدخل ولا تضع الوقت." قاد تك سيارته القديمة بسرعة فائقة مندفعاً ومتمايلا بين السياجات. وكان يكلم نفسه أكثر مما يكلم زاك الذي جلس مستقيماً. وما لبث أن تمتم: "اللعنة على الغجر وأمهارهم!"

تنشق الكلب الهواء وأذناه مرخيتان.صاح تك:"تلك هي الكائنات المتسولة."خمسة أمهار صغيرة ترعى بين زرع الشتاء. شد تك كابح الشاحنة وترجل منها ملوحاً بيديه: "تخلص منها أيها الكلب. سنرى الآن أي نوع من الكلاب أنت!" وشرع تك يركض صارخاً، فيما أسرع زاك الى الامام طبقاً لمزاجه. في لونه احمرار قاتم، واسمرار ضارب الى الاصفرار، وبياض قليل. لكن السواد كان غالباً. أما الامهار الصغيرة فجرت عالية الرؤوس مفتحة المناخر، مسرعة نحو المرج، عائدة الى حيث مجمّع أكواخ الغجر قرب حدود الغابة.

عوى زاك. انه كان مزهواً.

قال تك لروز: "يحمل زاك ملامح كلب قطيع."

وأظهر زاك براعته ثانية عندما حلقت طائرات حربية في تمرينات فوق أرض تك. ففرت خرافه من الحظيرة طارحة الحواجز المشبكة أرضاً وهي في رعب أعمى. وثارت متدافعة صاخبة عبر الممر الضيق. فتح تك باب الحظيرة وقال لزاك: "أرجعها." فرمى الكلب بنفسه نحو الخرفان الامامية مزمجراً، مفرقعاً. وعندما وصل راع معمر وكلباه – ذكر وانثى – كانت الخراف منقادة نحو الحظيرة.

أصبح زاك حديث قرية مورتون. وقال عنه البيطار: "ما دام في هذه البراعة فسيأتي من يطالب به."

أما ستيف سائق جرار تك الذي أتى بالفدان لبيطرته فقال: "ربما،" ورمى الى زاك قشرة حافر ليلوكها.

ولاحظ البيطار أن "كلباً شارداً يقطع مسافات، وقد يكون مطروداً من مكان ما."

فرد على ستيف: "لن يتخلى تك عن الكلب بسهولة."

أكب البيطار على مطرقته وقال:"انه متشبث برأيه، جميع أفراد أسرة تك عنيدون. روي رحل للالتحاق بالجيش، وشقيقته داي تعمل في لندن."

أزهر الزعرور البري فذهب زاك مع ستيف في الشاحنة لاستقبال داي في محطة السكة الحديد. بدت الفتاة بقبعتها وقفازيها وحذائها المديني أنيقة جداً. أما في البيت فأبدلت بثيابها ثياب مزرعة. فاستحسن زاك ذلك لانه يعني بالنسبة اليه انها باتت تنتمي الى الاسرة.

تذمر تك من رحيل روي قائلا: "كان يجب أن يبقى في المزرعة."

فقالت داي: "ان المزرعة هي كل ما تفكر فيه!"

فاضاف تك: "الاعشاب تحتاج الى عزق، والبطاطا الى قلع. يجب أن يكون هنا من يساعد في الكفاح."

جلست داي الى طاولة غرفة الجلوس، ووضع زاك رأسه في حضنها، فقالت: "أستطيع ان اعزق الاعشاب وان أقلع غلة البطاطا المبكرة."

– لكنك ستعودين قريباً الى المدينة."

دللت الفتاة الكلب الهجين وتمتمت: "ما هي أجرة العمل يا والدي؟ اعتقد أنه ما دام زاك استطاع أن يبقى هنا، أستطيع أنا كذلك."

جمع شمل العائلة

عاد روي الى البيت في اجازة بعد موقعة دنكرك. كان طويل القامة مثل تك ولكن أنحف منه. شم زاك رائحة الطبخ الذي صنع خصيصاً للعريف وهو قالب من شرائح اللحم المطبوخ. أما روي، ذو الوجه النحيف المتعب، فكان ينقد الوجبة نقداً. سمَّر زاك عينيه على الجندي وتقدم نحوه، فأطعمه روي فضلاته سائلا: "من أين جئتم بصندوق القمامة العتيق هذا؟"

قالت داي: "زاك سرّ المزرعة الغامض. انه لغز."

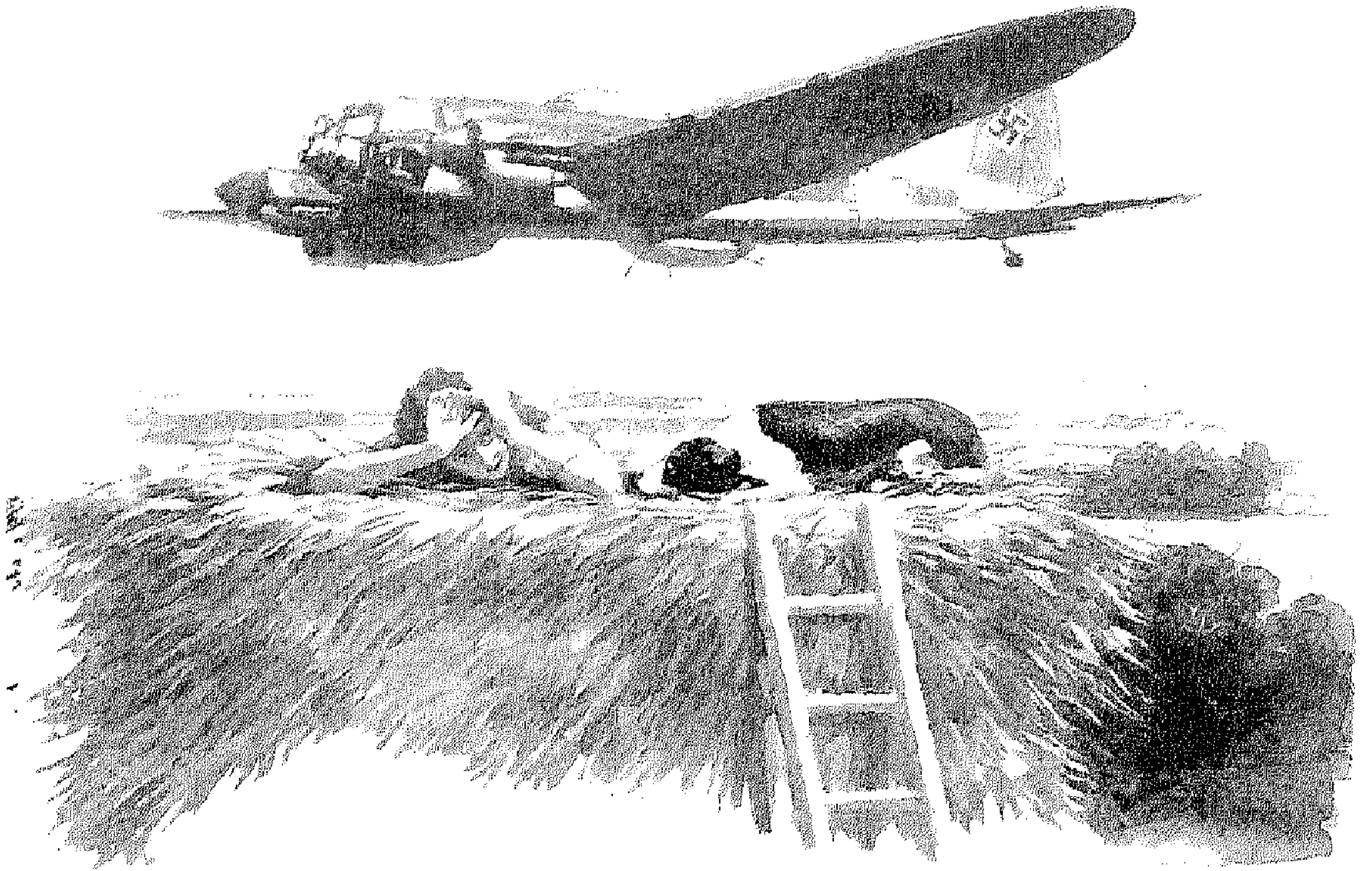
فعلق تك مفتخراً:" انه مفيد جداً يا بني."

من مهارات زاك في المزرعة تسلق السلالم. وذات يوم صعد السلم مع داي الى سطح كدسة التبن حيث جلست هي تراقب نبات الذرة المتماوج وتمتع عينيها بالمناظر الجميلة. فجأة هدرت محركات من بعيد، ثم اقترب الصوت فاجفل زاك. وحينما ارتفع الهدير انبطحت داي، ثم تصاعد الضجيج واندفعت قاذفة القنابل "هنكل" بعنف فوق كومة التبن.

وتوارى زاك من غير أن يأكل طعامه. فطمأن تك روز قائلا: "لا بدّ أن يعود."

بحث تك وروي حول المزرعة عن زاك. وتناهى الى مسامعهما هديل الحمام من الغابة واضحاً في سكون المساء. قال تك لروي: "عندما تنتهي الحرب ستتولى أنت شؤون المزرعة." لكن الجندي فكر ملياً في زملائه في السرية. فبعضهم مات وبعضهم الاخر ما زال مفقوداً. وكان التطويع بدأ في فرقة مغاوير جديدة، ففكر في تقديم طلب للتطوع.

بلغ زاك الغابة. وما ان توّغل فيها حتى حلّت العتمة. ثم وصل الى أرض زراعية حيث كان حطابان يقطعان شجرة. رآها زاك تتداعى فوقه وأغصانها تتقصف.



قال أحدهما: "يا للهول! هناك كلب تحت الشجرة!" هرب زاك مسرعاً. وبدأت الاغصان تتكسر وتتساقط حوله، فجرى راكضاً بين الحطام.

وأضاف الرجل: "لقد أخطأته الشجرة، وهذا سيلقنه درساً في الشرود. ففي هذه المستنقعات عظام حيوانات نافقة تفوق ما في سمك القدّ من عظام."

حرب في الجو

عاد تك الى بيته في المزرعة، وواصل روي البحث. كانت الخفافيش تحوم فوق الزريبة عندما وصل روي الى مدخل الفناء منادياً: "مرحبا ، أنظروا ما وجدت." واذا زاك يبرز من الظلمة وهو يهز ذنبه.

كان الهجين متعباً، لكنه لاقى أصحابه بحرارة، فاستجابوا له وقد ارتاحوا للقياه.

أشرق وجه تك وصرخت داي مغمومة: "ان جلده مملوء شوكاً، ساعدنا يا أبي على نزعه."

سر زاك اهتمام الجميع به. وأطعمته روز برفق.

غادر روي المزرعة في الاثنين التالي. وقاد ستيف الجرّار لاقتلاع البطاطا بينما العمال يتصببون عرقاً في شمس يوليو (تموز) اللافحة. وكان معظم عمّال القطاف نساء قويات ألِفن احوال الطقس القاسية والعمل في الحقل، وليس في قرية مورتون أي مجال آخر للعمل. فجلبن معهن أطفالهن الذين أخذوا يتشاجرون.

اضطجع زاك بجانب تك وهو يزن المحصول. وكانت أصوات الصفار عالية، لكن صوتاً

عميقاً يشبه طنين النحل في شجرة ليمون وصل الى مسامع الهجين من دون غيره. وازداد الهدير فاذا بالآخرين يتطلعون الى فوق.

فتمتمت داي: "انها طائرات!"

رأى تلك المقاتلات، لكن نور الشمس بهره فأضاعها. ولمعت مجموعة أخرى جاءت بأعداد كبيرة على نحو تشكيلات. وسرعان ما انصب وابل من الرصاص المستهلك الفارغ، فقال تك بلهجة الآمر: "أنزلوا الصغار الى القنوات." وأخذ يركض مع داي ممسكين بالاطفال. وانضم زاك الى الجموع المتشتتة. واذا بصبي يستغيث وقد تعثر، فوقف زاك الى جانبه، وجلس الاثنان وسط جذور النبات والصغير ممسك بالكلب. صرخت داي: "جيء به الى هنا." فأمسك زاك بثياب الطفل وجره بلطف الى الامام بينما امتدت الايادي لمساعدته.

رسمت البقع الفضية دوائر من ذيول البخار وهي تسرع منعطفة بعنف في الفضاء. واذا باحداها تزداد حجماً وتضاعف دوران محركها الهادر وهي تتجه نزولا نحو الارض نافثة لهباً.

تنفس تك الصعداء وهو يقول: "لقد قفز من الطائرة." ولكن ليس ثمة من مظلة فتحت. وسقطت الطائرة في الغابة وراء المرج. فصمت الجميع ثم سمع صوت انفجار تبعه تصاعد دخان أسود خانق. فأسف تك: "مسكين، من سيعثر عليه في المستنقع؟"

قالت داي لستيف وهو يصعد الى الجرار: "الآن بدأت الحرب جدياً. الله أعلم بما سيحدث."

فأجابها ستيف: "أنا أعلم شيئاً واحداً فقط، وهو انني لن أبقى هنا طويلا بينما الآخرون يموتون."

أفاد ستيف من أسبوع عطلته في أكتوبر (تشرين الاول) للذهاب الى لندن بغية الاتصال بمجلس انتقاء طواقم الطيران. وذهب زاك وداي لتوديعه في المحطة، وكان يبدو فتياً في سترته المنظفة حديثاً وشعره المقصوص.

قالت داي: "لاطف الكلب، فهو سيجلب لك حظاً سعيداً."

فربّت ستيف الهجين.

(ارتفع الصوت الهادر واندفعت الطائرة نزولا وقد تأججت النار فيها.) أخذ الكلب يلهث لهاثاً حاداً. ثم استيقظ وصدره يعلو ويهبط. كانت غرفة الجلوس هادئة والموقد دافئاً. فقالت روز: "حسناً، ابتعد عن الموقد، فأنت حار جداً، ولا بد أنك كنت تحلم."

وذات مساء توجهت قاذفات القنابل الى ميدلاندز، وسمعت روز هدير محركاتها بينما كانت تعمل في توضيب غلة اليوم من البيض. ثم دخلت داي لتبلغها الخبر: "أمي، ستيف سيلتحق بسلاح الجو، وهو يخبر والدي بذلك الآن."

اتجهت روز بنظرها الى الموقد، فرمقت صورة روي الموضوعة على الرف فوقه، ثم فكرت ملياً وقالت: "الكل يرحل. وستيف كان ملزماً بالرحيل، لكنه بقي حتى الآن من أجلك. هل ستشتاقين اليه؟"

تفادت الفتاة الجواب، فهي لم تكن متأكدة من شعورها، ثم قالت: "ألن نفتقده كلنا؟ مسكين والدي، فالأمر سيكون صعباً عليه."
قالت روز متجهمة: "اذا كان هذا أسوأ ما سيحدث لنا قبل انتهاء الحرب فسنكون محظوظين." ثم مسدت تنورتها واضافت: "حرّكي النار يا بنية، فهي خامدة لا ترضي والدك. أما أنت يا زاك فلا تنتقل من مكانك ولا تفكر في مغادرتنا الا بعد مرور بعض الوقت."

البحث

الموسم موسم حصاد. وستيف، وهو الآن في سلاح المدفعية الجوية، أتى في أجازة أسبوع. اقترب من المزرعة عبر الطريق المألوفة فالتقى بديله الضخم جيم ابن شقيق الحدّاد. فأخبره جيم: "معلمّي طريح الفراش، والكلب رحل."
كان ترحيب روز ودياً، لكن الاجهاد كان بادياً عليها. فقالت: "انهار تك كعجل مذبوح. وقد قال الطبيب انه مصاب بالتهاب الرئة. يمكنك أن تصعد لرؤيته لاحقاً فهو نائم الآن." تفحّص ستيف غرفة الجلوس وكان يفوح منها أريج الازهار ورائحة التشميع. شتّان ما بينها وبين السريّة العسكرية ورائحة طائرات "بلنهايم" الحربية. وعلى رف المدفأة وضعت صورة مغاوير في جزائر لوفوتن شمال النروج يظهر فيها روي بينهم. في هذه المرحلة من الحرب بدت هجمات المغاوير كوخز الإبر إذ كانت البواخر البريطانية تتعرض لضرب عنيف في شمال الاطلسي، لكن تلك الهجومات شكلت قوة داعمة.
قال ستيف: "ليتني عرفت، لكنت جلبت له شيئاً ما."



فردت روز: "كل ما يحتاج اليه هو ذلك الكلب الهائم دائماً والله يعلم الى أين يصل في تجواله."

قال ستيف وداي معاً: "نحن سنبحث عنه."

في محلة الغجر في المرج قالت لهما غجرّية ان زاك في الغابة وانها سمعت عواء في الليل. فمشيا نحو الغابة. وكان الجو يزداد برودة والاشجار كثافة. ناديا زاك، فاخترق صراخهما الاشجار. وكانت ارض الغابة المقطوعة ساكنة وقد غطتها طبقة من الاعشاب التي نمت حديثاً. توغلت داي في الغابة وهي تتقدم ستيف، فاعترضهما ضباب مشبع بالبخار يزحف حول جذور الاشجار. كان عمق الغابة مليئاً بالاخطار. هنا اختفت أمهار برية وابتلعتها المستنقعات.

توقفت داي وهتفت: "انها الطائرة الحربية! " فقد ظهر مؤخرها في المستنقع. وأضافت: "أتتذكر ذلك اليوم عندما كنا في حقل البطاطا؟" قال ستيف منذهلاً: لا بد من أن الطيار في قاع المستنقع."

قالت داي: "زاك ليس هنا، لنعد الى البيت."

هناك وجدا تك مستيقظاً مستنداً الى وسادات. عبر ستائر روز ظهرت الابقار وهي تسير متثاقلة بضروع ملأى الى الملبنة. استدار تك بوهن مصغياً. ثم تنفس بجهد قائلاً: "لقد تأخرَتْ، كان على الكلب أن يقودها. أين زاك؟ أريده."

أصبح الرجل الضخم ناحلاً كظل وعيناه تحدقان من تجويفين رماديين. قال ستيف: "استرح، أنا سأساعد في العمل يا معلّم."

- لقد نفق الكلب، لدي شعورَ بذلك.

في نهاية يوم مضن من تجميع الحزم وتكديسها في الحقل خبأت داي في راحة يدها حبوب ذرة. كانت الحبوب قاسية وذهبية اللون، فقالت داي: "ستكون الغلة جيدة، وهذا ما سيبهجه ويبعد فكره عن الهجين. شكراً لك يا ستيف على مساعدتك ."

نظر اليها ستيف بحب وقال: "أمك تدعونا." وكانت روز عند بوابة الحقل تنادي: "الطعام جاهز." والتقت عيناها عيني ستيف، فأضافت: "قد تفتقد رفقاء مائدتك الرقباء، ولكن عندي طعام وافر."

لفت انتباه داي باب البيت وقد ترك مفتوحاً. كان ثمة وحل على الدرج الصواني ممتد الى عتبة الباب وعبر أرض الطبقة الاولى الى السلالم، وهي آثار واضحة للبد أقدام حيوان. سبقت داي امها وستيف الى اعلى السلالم وهي تلهث. وتطلع الثلاثة الى غرفة تك فرأوا الفراش مبعثراً وقد غطاه الوحل، وذيل زاك يهتز بهياج. التقاهم بسرور وقد نحل جسمه وتبلل وتلوث. حدقت روز الى تك منذهلة، فقد كان جالساً مستقيماً مفترّ الاسارير.

قال ضاحكاً: "يمكنك أن تصرفي الطبيب. فانني أشعر بتحسن. لا تتذمري، وأطعمي هذا المتنسول، فهو كلب مسكين فارغ البطن." أجابت روز وقد أفاقت من ذهولها: "كلب مسكين؟ أنظر الى غطاء السريرا"

نظر ستيف الى المرأتين. كانتا دامعتي العيون بين ضحك وبكاء. فرفت عيناه وقد سرت اليه العدوى.

عرض سينمائي

لازم زاك تك وهو يتماثل الى الشفاء. وبين حين وآخر كان يقود البقر ويتدبر امور الفئران ويراقب الأبنية. تأكد لتك أن المزرعة غذت أمينة برجوع الكلب. وقال لروز: "لقد ترتبت أمور المزرعة، انها مكان مختلف الآن."

وذات مساء تعقّب زاك الدرّاجين وهم في طريقهم الى السينما. وكان ركوب الدراجة يبعث في داي النشاط خلال أوقات فراغها النادرة. فشعرت بارتياح اذ انطلقت وستيف على دراجتيهما. وكانت عظام ستيف ترتجّ فوق دراجة روز فيتمايل كمهرج ويمازح داي قائلا: "طائرات بلنهايم اللعينة أكثر أماناً من دراجة أمك." نظرت موظفة شباك التذاكر بفضول الى ستيف وسألت ببرودة: "مقعدان خلفيان؟" ثم أضافت: "لا يمكنكما ادخال الكلب."

"الكلب؟" التفت الاثنان فوجدا الهجين وراءهما. هممت داي منزعجة: "لقد تركته في البيت." فغمزها ستيف بعينه وقال: "جدي المقعدين." ثم اخذ زاك خارجاً الى الجهة الخلفية وأومأ اليه بأن ينتظر عند الباب. عاد ستيف الى ردهة السينما. وعندما اطفئت الانوار في الداخل، فتح باب المخرج فانسل زاك الى الداخل وهو يهزّ ذنبه."

حذرت داي ستيف: "سوف يشخر!" وما لبث شخير زاك أن ارتفع وبلغ أعلاه خلال مشهد عاطفي. ذرفت داي الدمع من شدّة الضحك، وعندما انتهى الفيلم نبح الكلب، وصاحت داي: "أراهن أنه يكون هنا في السينما عندما يختفي."

في الطريق الى المنزل بدا زاك رمادي اللون في ضوء النجوم. وكان يتقدمهما مسرعاً وهو يهرّ. فقال ستيف: "لا بدّ أن هناك ثعلباً أو غريراً." ترجلت داي حينما أصبحت الطريق شديدة الانحدار، وتوسلت الى ستيف قائلة: "كن حذراً، سأشتاق اليك."

قال لها ستيف: "تستطيعين ان تتزوجيني."

فأجابت بصوت أجش: "أطلب مني ذلك ثانية، في مابعد. فأنت ستعود." فطمأنها قائلا: "مثل الكلب."

هبت ريح شرقية. فحملت داي المخالي الى الحقل حيث كان جيم يقود فرس المزرعة ممهداً التربة. وخيل اليها أنها سمعت صوتاً بعيداً، فقال جيم: "انها طائرة وأظن انها ستنخفض."

جثم الكلب مرتعداً، فانحنت داي تمسد شعر رقبته وقالت: "زاك لا يتحمل الطائرات، خصوصاً المنخفضة منها." واذا بنقطة سوداء تتسع وتجنح تحت الغيوم وهي تكاد تلتطم بالغابات. شرق جيم بريقه قائلا: "ها هي آتية، تثلم السماء مقتربة منا."

فرّ الهجين مسرعاً. فوصل الى عربة واختبأ تحتها. انه يعرف هدير تلك المحركات جيداً، فهو ما زال يرى ذلك الكابوس في المنام.



(في ذلك اليوم البعيد كانت الطائرة تجرّ ألسنة النار وراءها، وانفصلت عنها أجزاء انطلقت مدوّمة تخرق عباب الظلام. اهتزت الطائرة الهالكة هادرة وانثنت بقوة ثم عبرت مسرعة وقد تحطم جناحاها.)

صرخ جيم: "انها طائرة بلنهايم!"

واذ عبرت الطائرة فوق أبنية المزرعة قفز قلب داي من مكانه ثم ما لبثت الطائرة أن مالت محلّقة برشاقة ونظرات داي ترافقها في تحليقها. فتجرّأ جيم وقال لها: "آنسة داي، يبدو أنك تجمدت من البرد، فأنت وزاك ترتجفان."

البرقية

قال روي انه سيكون في البيت يوم عيد الميلاد، لكن اجازته الغيت. وقد سلب المقعد الفارغ لذّة العشاء وأفسد على الآخرين متعتهم. زاك وحده كان مسروراً، فقد سُمح له بوجبات اضافية.

أبحرت فرقة المغاوير التي ينتمي اليها روي أول الاسبوع الذي تلا عيد الميلاد، للاغارة على فاغسو، وهي جزيرة صغيرة مقابلة للشاطىء النروجي كانت آنذاك قاعدة للعدو. وبعد أيام قلائل عرج موزع البريد تحت المطر الشديد على منزل تك في المزرعة.

المياه تسيل على زجاج النوافذ. مشت روز الى غرفة الجلوس وهي تفكر في المرّات التي عاشت فيها تلك اللحظة بذهنها. تركت الظرف مختوماً، لكنها فتحته في فكرها وقرأت بلاغ وزارة الحربية. لم تكن في حاجة الى مراجعة الكلمات، فأنزلت الصورة وضمت وجه روي اليها.

بعد لحظة أنَّ زاك شاكياً. كانت نظرته تعكس حزنها، وعندما جثمت على المتكأ القى برأسه على وزرتها. فتنهدت المرأة وقالت: "بلى، أنت تعلم."

واظب زاك على مرافقة تك وهو يحرث الارض، حارساً قارورة مشروبه الحافظة للحرارة. وكان تك يواظب على عمله بحكم العادة معتمراً قبعته المائلة المتسخة وعيناه مركزتان على الحقل أمامه، قائلا في نفسه: "هذا هو المستقبل، هذا ما كان روي يعوّل عليه."

موت ولده ملأ حياته ظلاماً.

ذات مساء كانت داي تمشط زاك واذا بالهاتف يرن، فهرعت اليه وبعد لحظة بلغ صوتها غرفة الجلوس وهي تقول: "ستيف!" نظر تك الى روز في ضوء القنديل. لم ينبس أحد بكلمة، لكنه عرف ما يدور في فكرها: لماذا لا يكون روي؟

لخصت داي لوالديها ما قاله ستيف: "انه عُيّن في فرقة جديدة. لا عمليات حربية في الوقت الحاضر. يقول ان عمله الجديد ممل ويتطلب مزيداً من التدرب، لكنه آمن على الاقل. يبدو أن قطر الطائرات الشراعية ينطوي على مخاطر أقل."

دليل حيوي

في أعالي ساوث داونز تحررت الطائرة من الحبل القاطر. وراقب ستيف من مؤخر طائرة الـ"هاليفاكس" طائرة الـ"هورسا" وهي تبتعد منحدرة. فقال في نفسه: "تعال يا يوم الجمعة!" اذ تنتهي دورته التدريبية ويحصل على خمسة أيام اجازة يقضيها في مورتون مع داي وزاك.

توجهت قاذفة القنابل الى موطنها. واذا بصوت على الجهاز اللاسلكي الداخلي يقول: "الوقود يتدفق. واحد، اثنان. الضغط يهبط." تأوه ستيف. انها طلعته الجوية الاخيرة قبل الاجازة. لقد خسروا قبل أيام رفقاء في حوادث احتراق المحركات. وشعر بتسارع نبضه.

زحف المدفعي الآخر الى ستيف وهو يبتسم وصرخ: "نسيت أن أجلب طعاماً." فناوله ستيف شطيرة فقال له: "شكراً يا رفيقي، فأنا أشعر بالجوع." تلمس الاوسترالي جيبه وأخرج فأرة صغيرة بيضاء قائلا باشراقة: "ماتيلدا جائعة أيضاً." قضمت الفأرة فتات الخبز. ثم قال: "قرقعة المحركات الباقية تدل على أنها بالية."

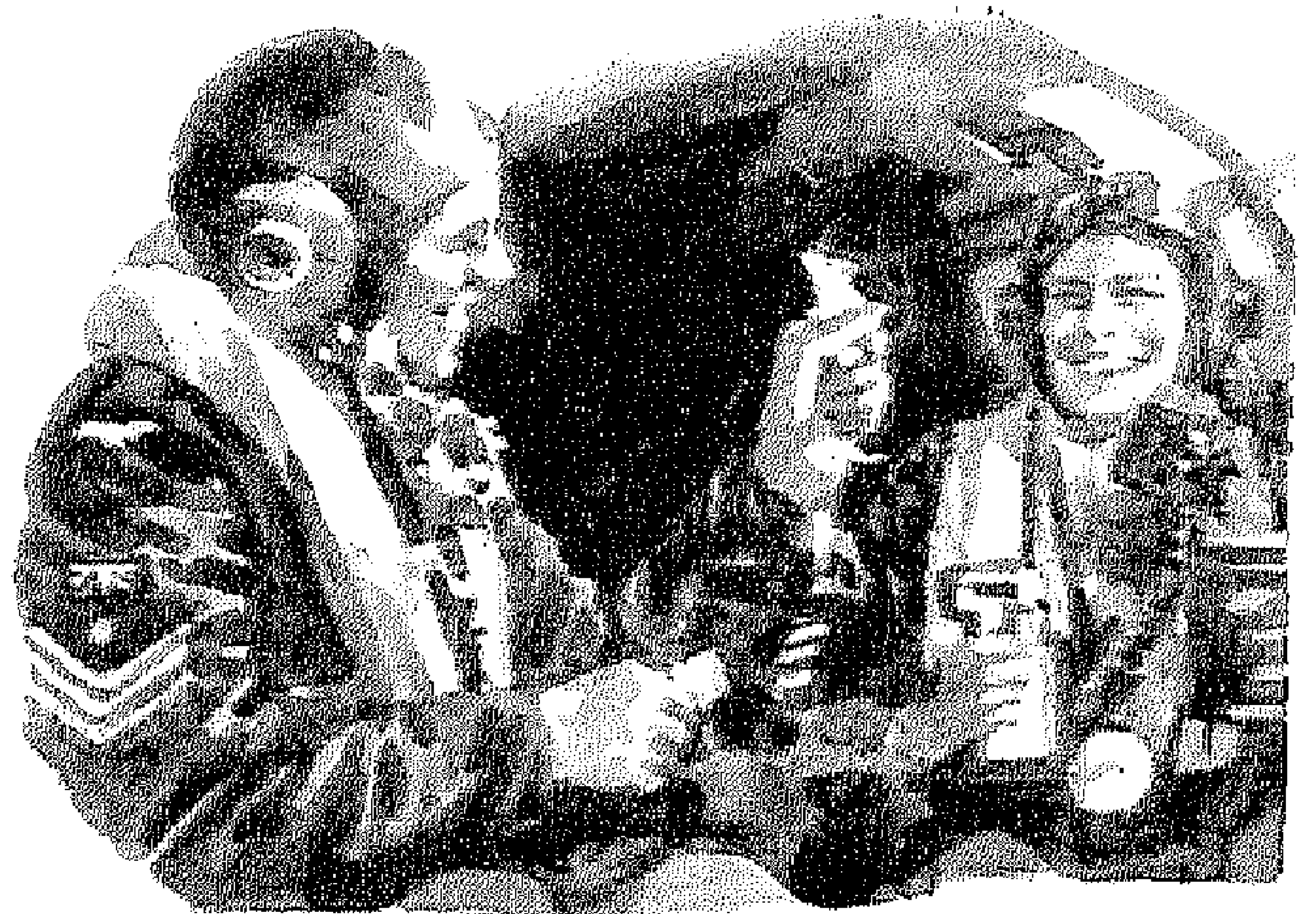
وعندما هبطا أخيراً هرعت سيارتا اطفاء واسعاف لنجدتهما. وقهقه الاوسترالي قائلا: "ماتيلدا جالبة حظ، أنا لا أطير من دونها."

التقى ستيف داي عند محطة السكة الحديد، فعانقها وقال: "اكتشفت سر زاك." فسألته: "وهل أخبرك به عصفور صغير؟" فأجاب مازحاً: "لا، بل فأرة صغيرة، اعتقد أن الكلب أتى الينا من طريق الجو."

في بيت المزرعة جلس الجميع لشرب الشاي، فسألت روز ستيف: "أحقاً يصطحبون الكلاب في الجو؟"

فنهرها تك: "طبعاً لا!" لقد كان دائما سريع الغضب في غياب زاك.

تدخلت داي قائلة: "أبي، لقد أتى زاك في بداية الحرب عندما كانت الامور أسهل وأكثر حرية. يا لها من حرب زائفة حقاً."



أومأ ستيف برأسه موافقاً وقال: "لقد كان اصطحاب الحيوانات الجالبة للحظ في الطلعات الاستكشافية رائجاً في تلك الايام."

قالت روز متأملة: "أذكر الطائرة الاولى في الغابة، لا أحد يعرف أين تحطمت. اضطرمت فيها النيران ثم توارت كالنجم المذنّب."

كان ستيف يصلح محرّك الجرار في ساحة المزرعة عندما جاءت داي ولمست ذراعه قائلة بحماسة: "شوهد زاك في الغابة. نستطيع أن نقتفي أثره بمساعدة كلب آخر. كلبة الراعي الاسكوتلندية تستطيع مساعدتنا، فهي في شوق عارم الى زاك."

تحرك زاك بحذر كثعلب وكأن توحش الغابة انتقل اليه. نشطت تيارات الهواء ودندنت الريح المتغلغلة في الاغصان لحناً رتيباً. عرف زاك الطريق من زياراته السابقة. كانت تتصدرها اشجار الخنشار والبتولا وجذوع ضخمة مكسوة بالأشنة.

(في ذلك اليوم البعيد ضحك الرجل قائلا: "لا ينبغي أن نأخذ الكلب معنا، فهو لن يحب ذلك." لكن الطيار الآخر رفع الهجين قائلا: "انه يؤثر ألا يترك هنا. هيا اصعد يا زاك.")

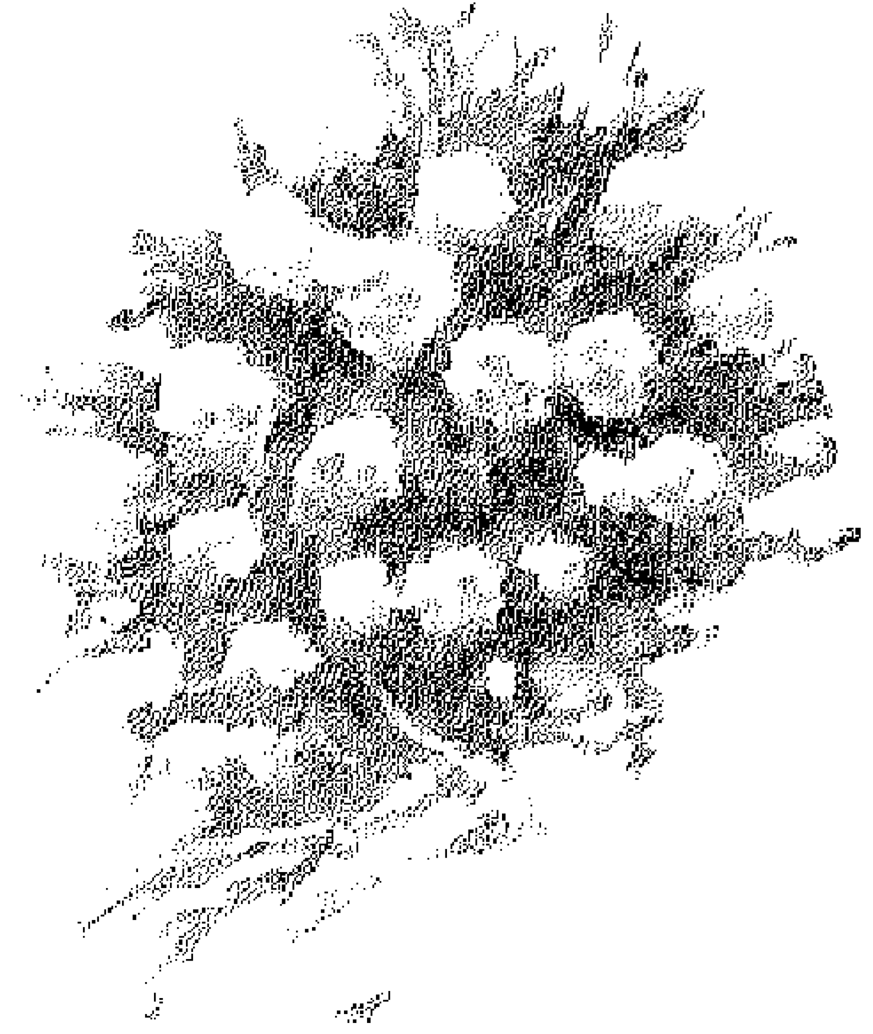
سألت داي: كم علينا أن نسير بعد؟" نبحت كلبة الراعي عندما شمت رائحة زاك عند حدود الغابة. نظر ستيف الى ساعة يده فوجد أن ساعة مضت منذ بدأوا تعقب زاك. اسودت سماء الغابة ودوّم فيها بخار ابيض. كانت المستنقعات قريبة.

(في ذلك اليوم البعيد مالت الطائرة ثم وثبت بعد اصطدامها بالأرض. ولبضع لحظات لم يدر الكلب المندسّ في ركن الطيار ماذا حصل.

رشح الوقود واختفى نصف ركن الطيار فقفز زاك من الركن ليستقر في الوحل. رأى الوقود يشتعل بعنف. صاحباه ما زالا في الطائرة. حاول ان يقترب، لكن الحرارة اللافحة صدته.)

نبحت الكلبة باهتياج، فقال ستيف لداي بصوت أجش: "أظنّ أننا اقتربنا. أول ما وجداه كان محرّكاً غطى العليق جزءاً منه. عندئذ توقفت داي خائفة. العثور على الطائرة الحربية في المرة السابقة جمّد الدم في عروقها، فكيف اذاً وهذه الطائرة أكبر بكثير.





كان جناحها الضخم المقطوع يرتفع عالياً حاملا علم ألمانيا الأسود.

قال ستيف: "انها طائرة هنكل."

طغا رعب داي على شفقتها عندما رأت مقعد الطيار. ما تبقى من قائد الطائرة الذي كان ما يزال معتمراً الخوذة الجلدية، مال نحوها.

ثمة ظل انسلّ وهو يهرّ. تنفست داي الصعداء قائلة: "انه الهجين." فحذرها ستيف: "حذار، انه غاضب."

قالت داي: "أنا حذرة." وصرخت: "زاك!" وخطت نحوه. واذ شم الكلب رائحتها مشى منحرفاً وذيله يرتعش، وأخذ يتمرغ بينما كانت داي تبدي اهتمامها الزائد به وتضمه الى صدرها وهي تنهره قائلة: "لا بدّ انك جائع. أنت عائد الى البيت، فأنت تعيش معنا الآن."

زاك الشجاع

عندما أخبر ستيف تك أنه سأل داي الزواج منه قال له المزارع: سألتها؟ مع داي، لن تحصل على شيء بالسؤال. حدد موعداً يا ولدي، وأبلغها به."

نجحت الخطة، وتزوجا في فصل الشتاء.

قال تك: "أظن أن الواحد منهما يليق بالآخر." فأجابت روز: "انهما مغرمان." وقال تك: "انها بداية حسنة يا روزي."

ارتعشت شفة روز وقالت: "تقول حسنة؟ وماذا عن التقنين والقنابل وتشتت العائلات؟"

أجاب تك: "ستكون لهما المزرعة."

عندما عادوا الى البيت كان زاك في الانتظار. لقد بان عمره أو كاد. وفكرت داي: "أربع سنوات في انكلترا، ربما هي ثلث عمره."

ما فتيء الكلب يغيب أحياناً وإن قصرت فترات غيابه. وقال جيم متأملا: "زاك كلب غريب، فهو وفيّ للطرفين."

فأجابته داي: "انه كلب، لا أكثر ولا أقل."

أما "الكلب اللاأكثر واللاأقل" فسدد دينه لاسرة تك يوم أفلت الثور.

انطلق تك الى الملبنة بسيارته، فوجد راعي البقر منطرحاً على حافة الطريق والثور مطرق الرأس ونظره مسمر في ضحيته. وكان جيم يصرخ ملوحاً بيديه ويرشق الثور بالحصى محاولا الهاءه.

كانت زوجة تك تكره الثور. قالت لزوجها: "ذات يوم سيقتل احدهم."

صرخ تك: "لا تتحرك." ترجل من الشاحنة ومعه عصا واقترب متوتراً. قال بصوت

يشبه نعيب الغراب: "أهدأ، استقر." فاضطرب الثور ودار طارحاً تك على ظهره كأنه لعبة من خشب. دنا الحيوان الضخم من المزارع ببطء. رأى تك الرأس العظيم فوقه. وفكر جيم: "لا حظ له في النجاة."

ثم جاء زاك، فربض في الطريق وكشر عن أنيابه. أما الثور فنفخ بمنخريه. رأى تك الثور يهجم على الهجين، والكلب العجوز عاجز عن التخلص منه. كان له مكان أمين واحد: تحت عنق الثور.

تعلق زاك بعنق الثور وعضه بفكيه المحكمين.

أخذ الثور يرجّحه وقد ثارت ثائرته. اما هو فاستمر ممسكاً بالعنق. وقف تك على قدميه بحذر بينما ذهب جيم لمساعدة الراعي. في هذه الاثناء كان زاك ما زال ممسكاً بالثور الذي جرّه نحو باب زريبة البقر حيث حاول أن يسحقه.

تلمّس تك طريقه الى سيارته. أدار المحرك واندفع نحو خاصرة الثور. أحس تك بصدمة. وتمنى أن يخرج الكلب سليماً

خار الثور إذ أجبر على دخول الزريبة بالقوة.

ترجل تك قائلا: "هل أصابك مكروه ايها الراعي؟"

- أنا صحيح معافى. أين الهجين؟

كان زاك تحت الشاحنة. توسل اليه تك: "أخرج أيها الكلب"، وجثا قرب اللوحة الخلفية فبان له زاك.

أمسكه المزارع وقال: "انك أفضل كلب حصلت عليه."

وصلت روز. حدقت الى ما حولها وصرخت: "هل قتل أحد؟" فأجابها جيم برصانة: "زاك كان هنا."



نظرت روز بحزن وحنو الى أنف الكلب وفمه الرماديين والى عينيه الراشحتين، وقالت: "زاك المسكين يموت. ماذا سيفعل تك من دونه؟"

ليلة طويلة

كانت الشمس غاربة عندما افتقد تك زاك. قد يكون منتظراً في سياج الاشجار. وقالت داي: "ربما هو في البيت." لكن روز لم تره.

في ذلك الصباح بدا زاك ضعيفاً، وقلما تحرك وقت الفطور. وبعد الغداء كان لا يزال هناك. جاء الى روز مرة واحدة ينشج على نحو مؤثر، فاوقفت تنظيف البيض لتواسيه. وفكرت بأسى: كان عليها أن تعطيه مزيداً من الوقت.

قالت: "لقد ذهب نهائياً يا تك."

فأجاب تك وهو مضطرب الوجه: "نعم."

ذرفت داي الدمع قائلة: "لقد عوّدنا أن يتيه بعيداً. أنا سأجده؟"

أمسكها أبوها بمرفقها وقال: "لا، ليس ليلا في الغابة. دعيه يذهب فهو مصمم على ذلك."

اما الكلب فقد تعثر وسط الاجمة التي لفّها الظلام، وخدشت الاشواك جانبيه وتثاقلت خطواته اذ خانته قواه. وكان الظلام يزداد.

انحسرت موجة الحياة، لكنه استجمع قواه المتلاشية بعناد. كان القمر مرتفعاً عندما وصل الكلب الى الحطام زاحفاً المتر الأخير بالسنتيمترات. وارتمى الى جانب ركن الطيار. لقد أتمّ رحلته.

نعم زاك بالسلام لفترة وجيزة قبل أن يلفظ أنفاسه الاخيرة.

لم يغمض لتك جفن. كان الليل غائماً في معظمه. تطلع من النافذة، وفكر في الغابة، في عمقها، وأحس بفراغ.

نهض تك وانتعل حذاء مطاطياً ثم تناول معطفه. في الخارج أنعشه الهواء. وكان الظلام ما زال مخيماً، لكن الهواء كان جافاً. حرك مصباحه في كل اتجاه ولكن لم يرَ اي شيء يتحرك. كان يعلم أنه يبحث عبثاً، الا انه تابع البحث. انه يحتاج الى برهان.

الفجر يقترب، وعصفور واحد يزقزق. واذا بهدير كبير يسكت العصفور المفرد ويرعب تك. ارتفع الصوت. بدا كأنه يرتفع من الظلمة ويصعد من الغابة. ثم رأى سرب الطائرات في الفضاء.

اندفع نحو المنزل ونادى: "روز،



تعالي وانظري."تعثرت روز الى الخارج بثوب المنامة، ورافقتها داي مشعثة الشعر. كانت الطائرات تملأ السماء. جاءت أسراباً وفي كل مكان هدير يدوي.

هرع تك الى الخراف وكانت خائفة سريعة الاضطراب. وباندفاع مفاجيء هدرت طائرة فوق رأسه. صرخ الراعي في القطيع الفار، وأرسل كلبه ليوقفه.

سأله تك: "أين الكلبة؟" "أومأ الى كوخه قائلا: "أنظر في الداخل."

كان الكوخ مظلماً. حدق تك في الزاوية فاذا بكلبة الراعي مضطجعة هناك تراقبه والجراء التي ترضعها تتلوى مستكنّة. صاح تك: "أهي من زاك؟"

– ماذا تظن؟

قال تك بنعومة: "نعم، انها من زاك."

آلن لويد ■

ترجمة السفير هنري أبو فاضل

أمضى الكاتب البريطاني حياته في الريف. وفي صغره قاد الجرارات. وبعدما خدم في احدى فرق الفرسان القليلة في الجيش تحوّل الى الصحافة. والآن يعيش في مزرعة في جنوب غرب مقاطعة كنت. ومن رواياته الرائجة التي تدور أحداثها في الريف: "ثعلب الماء الأخير" و"كاين" وهي قصة ابن عرس يتم تحويلها حالياً فيلماً طويلا للرسوم المتحركة.



الكتابة نوع لا كم

كتب إرنستو ساباتو، الروائي والصحافي وكاتب المقالات الارجنتيني:

«لا حاجة الى الاكثار من الكتابة. فان أنت عرضت مشاكل الحياة والموت والمصير والامل ومغزى العيش، فحري ان تضعها في كتابين أو ثلاثة كتب. اذ لا فائدة من تدبيج ١٠٠ كتاب، والا كانت أغاثا كريستي أعظم من شكسبير."

أ. س.

علماء الاقتصاد

علماء الاقتصاد أناس يكسبون رزقهم بالتكهن بأن اغسطس (آب) سيكون لهاباً ويناير (كانون الثاني) سيكون بارداً – ولكن ليس حتماً.

ك. ك.

عندما نعجز عن ايجاد الرضى داخل نفوسنا فلا جدوى من البحث عنه في مكان آخر.

لاروشفوكو، كاتب فرنسي

خاص - ٢

غريق البئر المهجورة

بقلم يانيس تيرويت

حين انتشل الطفل بيلي بليك من بئر مهجورة في فناء منزل والديه في منطقة نائية بمقاطعة كولومبيا البريطانية في كندا، كان متراخياً ممتقع اللون وقد مضت ٤٨ دقيقة على بقائه في الماء. فاتصل سائق سيارة الاسعاف لاسلكياً بمركز هيوستن الصحي قائلا: "نحن قادمون ومعنا ولد غريق."

كان من المفترض أن يموت بيلي بليك لان جميع العوامل كانت ضده. انما بفضل جهود رجال الطوارئ تجاوز المحنة الاولى وبقي حياً. ومنذ ذلك الحين تولت أمه رعايته بمحبتها وبارادة لا تقهر.

ظهر الثلثاء في ٢٣ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٤ كانت دون بليك (٢٤ عاماً) في فناء منزلها في بلدة بيرو النائية في كولومبيا البريطانية تطعم فرسها. وبالقرب منها كان ابنها الاكبر بيلي يلتقط باقات من البرسيم ويقحم رأسه في سياج الزريبة ويقدمها الى الفرس الكستنائية. وكان بيلي، وعمره ٣٠ شهراً، طفلا طويل القامة قوي البنية، بني الشعر والعينين كأمه. وكان يلازمها كظلها. ولكن حين استدارت لتملأ الدلو

Illustrations: Earl Norem



ماء كان بيلي اختفى من ورائها. فارتاعت وأخذت تدور متفقدة اياه في كل مكان.
نادت ملهوفة: "بيلي!" فلم تلق جواباً. فتعاظم قلقها وراحت تتفحص الزريبة والفناء. لقد اختفى بيلي في أقل من دقيقة. وكانت ساعتها تشير الى الثانية عشرة والدقيقة الثالثة. فهتفت في داخلها: لا يمكن أن يختفي. انه لا يفارقني أبداً. ثم هرعت الى جدول صغير وراء السياج الغربي وكان جافاً، فلم تحظ بابنها. فاندفعت راجعة الى المنزل حيث كان ابنها براندون، وعمره خمسة أسابيع، ينام نوماً عميقاً. وأخذت تذرع البيت والفناء وتنادي بيلي وفكرت: انني في حاجة الى من يساعدني!

كان زوجها بيل في عمله ينقل الوقود الى قاطعي الاشجار في الغابات. وكانت شقيقتها إيلين بايكر في مكتبها في شركة الوقود في هيوستن على بعد ٢٠ كيلومتراً. فاتصلت دون بابن خالها وين هولز وأخته كارين المقيمين على بعد كيلومتر واحد، فأجابها وين: "أنا قادم للحال."

ومن ثم نادت أقرب جيرانها، المقاول جورج كلوريك. وما لبث وين أن وصل، وانضم اليهم ١٥ شخصاً أخذوا يمشطون الطرق والغابة والجدول. واوضحت لهم دون أن بيلي يرتدي سترة زرقاء زاهية تمكن رؤيتها عن بعد بوضوح.

وفي الساعة ١٢،٣٥ تأكد لهم أنهم تجاوزوا أبعد نقطة يمكن أن يصل اليها بيلي الصغير ماشياً. فاتصل وين هولز بفرسان الشرطة الكندية في هيوستن وأبلغهم نبأ اختفاء بيلي.

وخطرت للجار كلوريك فكرة: اذا لم يكن بيلي في فناء المنزل، فلعله تحت الارض. فقال لدون: "دلّيني أين كان بالضبط حين اختفى."

في الفناء، على بعد نصف متر من المعلف الملاصق لسياج الزريبة، كانت هناك سقيفة خشبية ذات سطح مائل. وكان بيلي يقف على العشب في فسحة ضيقة تعلوها سقيفة. فتذكر كلوريك: يا الهي، هذه السقيفة هي غطاء البئر القديمة! وحين حدّق الى الفسحة الضيقة بان له ثقب قطره ٣٠ سنتيمتراً، فأحس قلبه يهبط. وصرخت دون: "ان هذا الثقب لم يكن موجوداً! اذا كان بيلي سقط في البئر فلا شك في انه مات!" واخذت ترتجف، فقادها الجيران الى منزلها.

قال كلوريك لزوجته فيرنا: "يبدو أن التراب حول أعلى البئر سقط داخلها، فانزلق بيلي معه."

اتصلت فيرنا بمركز الاسعاف في برنس جورج، ثم بالشركة حيث يعمل زوج دون وشقيقتها. وسألت دون بمن يمكنها أن تتصل أيضاً. فقالت لها: "أطلبي والدي وندل هولز في هيوستن." ولدى مكالمته قالت له دون مذعورة: "قد اختفى بيلي، أرجوك ساعدني يا أبي!"

وفي الخارج عمد كلوريك وهولز والجار فانر بايمان الى هدم السقيفة، فلم يروا سوى كومة من النفايات وألواح خشب تحجب الماء. وكان هولز أصغر الثلاثة، وهو سائق شاحنة في السابعة والثلاثين من العمر قوي البنية يعمل بالمعدات الثقيلة. فدلّى

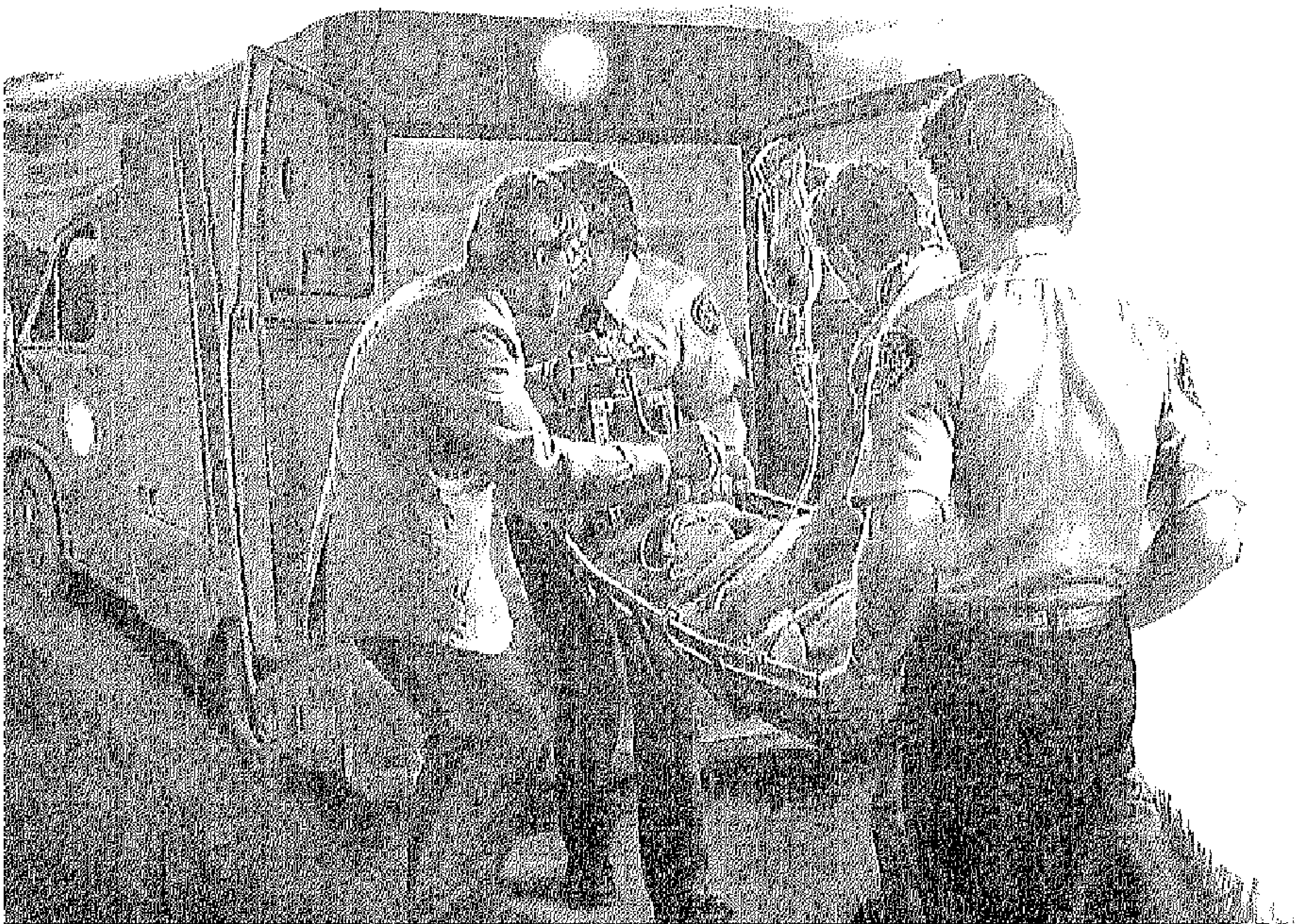
نفسه في البئر وأخذ يتحسس بحذر موطئاً جانبياً لقدميه. واستقر على رف خشبي متداع على عمق مترين من سطح الارض. وهرع كلوريك فجلب سلّم درج يستخدمها في عمله ويبلغ طولها خمسة أمتار، وناولها لهولز. فحرك بها هولز الحطام على عمق أكثر من متر تحته وأزاح قطعة من الخشب، فظهر بيلي عائماً ووجهه الى أعلى طافياً بسترته المحشوة. فشهق هولز: "يا الهي، انه هنا!"

نبض خافت

عقد هولز قدميه وتطاول متدلياً الى أبعد ما أمكنه. واستطاع بجهد الامساك بطرف سترة بيلي. ثم استوى ورفع الولد الى أعلى. فانحنى كلوريك وأخذ بذراع بيلي وانتشله خارج البئر.

في تلك اللحظة وصل والد دون من هيوستن وخرجت هي من البيت فيما كان كلوريك ينتشل بيلي. وما ان رأته حتى صرخت متفجعة: "لا، لا!" وارتمت بين ذراعي والدها.

كان بيلي شاحب اللون مطبق العينين متهدلا ينضح بالماء، وبدا شبه ميت. وكانت الساعة ١٢،٥١ وقد مضت ٤٨ دقيقة وهو في البئر. ألقاه كلوريك على الارض وأخذ ينعشه بالتنفس من الفم الى الفم، ثم ضغط صدره بقوة فخرج الماء من فمه. وفيما تابع كلوريك ضغط صدره تولى بايمان عملية التنفس. وبعد خروج هولز من البئر شارك في عملية ضغط الصدر الى أن وصل المسعفان توم ليونارد وجايمس ستيلز قبيل الاولى بعد الظهر. وهما أيقنا أن بيلي مات، لكن ستيلز فكر: انه طفل صغير، علينا أن نحاول شيئاً. وبدأ ستيلز يضغط صدر بيلي مرة في الثانية، وبعد كل خمس ضغطات كان ليونارد يزفر مرتين في فمه.



وبعد ثلاث دقائق وصلت سيارة اسعاف وصفارتها تدوي عالياً وفيها المتطوعان لويس آركي مدير مركز هيوستن التجاري وبارم بريهار المسؤول عن الاسعافات الاولية في منشرة خشب. وفيما حمل آركي الصغير الى سيارة الاسعاف على لوح نقّال، عمل بريهار على انعاشه بالتنفس من الفم الى الفم، وتابع ليونارد ضغط صدره. وفي الطريق ركع بريهار وهو يتنفس في فم بيلي كل خمس ثوان، وجلس ليونارد متابعاً ضغط صدره. واتصل آركي بمركز هيوستن الصحي قائلا: "نحن قادمون ومعنا ولد غريق."

وصلت سيارة الاسعاف في الساعة ١٤،١ بعد الظهر الى عيادة المركز حيث كان ينتظرها ثلاثة أطباء في غرفة الطوارىء. فهرع الدكتور وليم دوران بكمامة وجه للتنفس، وتسلم الدكتور بريان فينيمور عملية ضغط الصدر، ونزعت الدكتورة دافني هارت ملابس بيلي. ولم يظهر الفحص السريع ما يدل على نسمة حياة في الطفل: لا تنفس ولا نبض ولا ارتكاس في العينين الجامدتين اللتين اتسعت حدقتاهما. وكانت حرارته ٢٤ درجة مئوية أي أدنى ١٣ درجة من الحرارة الطبيعية. وأظهر جهاز تخطيط القلب أن هذا ما زال يولّد نشاطاً كهربائياً خفيفاً، وهو أمر يستمر لفترة وجيزة بعد الوفاة.

قرر دوران، رئيس الفريق، أن يجرب انعاشه، اذ عرف أن الاطفال ينتعشون أحياناً لدى تغطيسهم في الماء البارد، ذلك بأن أجسادهم الصغيرة تبرد بسرعة الى الحد الذي يستجيب القلب ويضخ الاوكسيجين والمغذيات الى الدماغ في مجرى دم بارد يحدث هبوطاً واقياً في الحرارة. فاذا أمكن بعث الحرارة في بيلي بسرعة فهناك أمل ضئيل في انعاشه.

تولى فينيمور عملية التهوئة فيما أولج دوران أنبوباً داخل الرغامى (القصبة الهوائية) ليبقي مجرى الهواء مفتوحاً. ثم أولج أنبوباً وريدياً في عرق صغير في الجانب الايمن من رقبة بيلي ينقل محلولا محلياً وجرعات صغيرة من منبه للقلب. وأولج هارت أنبوباً في بطن بيلي ليدفىء داخل جسمه بجريان محلول ملحي فاتر. وبقي بريهار وليونارد وآركي يعملون بتوجيهات دوران. فتناوب بريهار وليونارد ضغط صدر بيلي فيما كان آركي يساعد الممرضات في تسخين الحرامات وملء قوارير الماء الفاتر لوضعها خلف رجلي بيلي.

تفحص دوران ميزان حرارة المعي المستقيم وشاشة جهاز تخطيط القلب وضغط الدم والشرايين السّباتي والفخذي (١) في رقبة بيلي وفخذه، فأنبأه غياب النبض أن القلب ما زال هامدا. وفيما ارتفعت حرارة بيلي تدريجاً الى ٢٨ درجة مئوية كان يقترب من نقطة مصيرية حيث قد يتعرض القلب، وان كان متوقفاً، لانبعاث نشاط كهربائي متقلب يعرّض الانتعاش للخطر. قال دوران لمساعديه: "تفاءلوا، ستظهر النتيجة قريباً."

لكن جهاز تخطيط القلب لم يظهر نتائج شاذة فيما كانت حرارة بيلي آخذة في

(١) Carotid and femoral arteries

الارتفاع. وحين بلغت الحرارة ٣٠ درجة مئوية في الثانية والنصف بعد الظهر كان تغلّب على الازمة الاولى. وبعد ١٥ دقيقة أحسّ دوران نبضاً في الشريان السباتي، وأثبت ميزان ضغط الدم أن القلب بدأ الضخ تلقائياً. فجسّ آركي معصم بيلي وهتف مغالباً دموعه حين لمس نبضاً خافتاً: "لقد ظفرت بالنبض! انني أحسُّه!"

في هذا الوقت بدا بيلي يتنفس ذاتياً، تقطع تنفسه بين الحين والآخر شهقات يرتج لها صدره الصغير. فأوقف دوران عملية ضغط الصدر، لكنه طلب من فينيمور أن يواصل ضخ الاوكسيجين الى رئتي بيلي. كانت حاله لا تزال خطيرة، لكنه كان على قيد الحياة.

ارتياح ممزوج بقلق

في منزلها في بيرو كانت دون تحت تأثير صدمة قاسية، فريسة للهستيريا ونوبات الاغماء. فما ان تصحو حتى تجد نفسها في دوامة مأسوية فتغرق في لجة من الحزن والتفجع وتعود الى الاغماء. ولم يتصل أحد بزوجها. وكان أخوها مارشال وصهرها ديل بيكر عائدين من هيوستن غافلين عما حدث. واذا بزوجة ديل تتجاوزهما بسرعة خاطفة في شاحنتها. فقال ديل: "ان ايلين لا تقود سيارتها أبداً بسرعة كهذه. أسرع، فلا بد من أن يكون قد حدث أمر خطير."

كانت إيلين بيكر هرعت خارج مكتبها حالما اتصلت بها زوجة كلوريك، وها قد انضمّت الى شقيقتها. ولما كان جميع الذين شاهدوا بيلي اعتقدوا أنه ميت، فما من أحد رأى أن يأخذ دون الى العيادة حيث نُقل، خوفاً من إطالة عذابها. وحين بدأت تصرخ: "أريد أن أموت معه، انه حياتي، لا أستطيع أن أحيا من دونه" ضمتها إيلين اليها.

قالت لها بحزم: "لن تموتي يا دون." والتقطت براندون الذي كان نائماً والقته بين ذراعيها مضيفة: ان هذا الطفل في حاجة اليك." فاحتضنت دون براندون وشعرت بدفق عظيم من الحياة يغمر كيانها وقالت في نفسها: لا استطيع ان أستسلم لليأس. وسألت شقيقتها: "هل كلّمت المستشفى؟" فطلبت إيلين المستشفى وناولتها سماعة الهاتف، فقيل لها: "قبل دقيقتين نجحنا في حمل القلب على النبض."

فقالت دون وهي ترتجف: هل أقدر ان آتي؟"

فقيل لها: "متى تشائين."

فقالت في نفسها: حين احتضنت براندون وشعرت بالحياة تدب فيه، شعرت بالحياة تدب في بيلي أيضاً.

كان بيل بليك في احدى طرق الغابة حين أبلغه رئيسه النبأ. وكان بليك (٣٦ سنة) سائق شاحنة طويل القامة لا يدع العواطف تجرفه، لكن زوجته وولديه كانوا كل شيء في حياته. فما ان عرف بالحادث حتى اندفع هادراً بشاحنته في الطرق المتعرجة الوعرة الى هيوستن.

في العيادة أخبره دوران: "لقد نجحنا في اعادة الحياة الى قلبه." فتنفّس بيل عميقاً. وحين وصلت دون ضمها اليه وكلاهما يبكيان.

قال لهما دوران: "لا ترتعبا لدى رؤيته، فهو منتفخ وهذا أمر طبيعي، وفي رجليه بقع حمراء إذ حتى زجاجات الماء الفاتر تسبّب حروقاً حين تكون الحرارة ٢٤ درجة مئوية. لكنه حي يرزق وفي حال حسنة."

وفيما دخلا غرفة الطوارىء أمسكت دون بيد بيل. وكانت عينا الطفل مضمدتين بالشاش وشفتاه زرقاوين متورمتين ورجلاه حمراوين. وكان جسمه استعاد لونه الطبيعي. أخذت دون بيده فصدمت ببرودتها الشديدة. لكن ارتياح الطبيب كان ممزوجاً بالقلق على القلب والرئتين، اذ حين تبدأ بالعمل يحتمل حدوث صدمة وضغط داخلي قد يؤديان الى ارتكاسات مدمرة في الاعضاء والجهاز العصبي المركزي. فالطفل يحتاج الى معالجة طارئة اكثر تعقيداً مما يستطيعه أي طبيب عائلي.

اتصل دوران بمستشفى الاطفال في فانكوفر وطلب إرشادات وارسال طائرة اسعاف. فأشار عليه الدكتور روبرت أدلي المناوب في وحدة العناية الفائقة بأن يعطي بيلي عقار "بنكورونيوم" لشلّ عضلات التنفس وغيرها، لان هذا يجعل التهوئة الاصطناعية اكثر سهولة ويخفض التقلصات غير الطبيعية. وتعين على فريق دوران مواصلة تزويده الاوكسيجين وتدفئته حتى تصل طائرة الاسعاف.

طلب دوران من فرسان الشرطة الكندية أن يجلبوا له عقار بنكورونيوم من سيمنزر التي تبعد ٦٠ كيلومتراً. وفيما واصل فينيمور الضخ بجهاز التنفس اليدوي حافظ هارت على جريان السائل الدافىء عبر بطن بيلي. وكان دوران يتفحص باستمرار علامات الحياة لدى بيلي، وقلبه يخفق خشية كلما تقلب ضغط الدم. وقرابة الثالثة بعد الظهر تقلّص البؤبؤان في عيني بيلي الى حجمهما الطبيعي، مؤكدين وجود الحياة في قاعدة الدماغ التي تضبط الوظائف الآلية كالتنفس ومعدل نبض القلب وحركة العين. لكن بيلي بقي في غيبوبة. وكان هدف دوران ابقاء الولد في حال مستقرة كي لا يحدث طارىء يتلف أجزاء أخرى من الدماغ يتعذر شفاؤها.

في الرابعة الا ربعاً أخذ بيلي يضرب الهواء من وقت الى آخر بذراعه أو برجله بحركات لاإرادية توقفت حين أعطاه دوران جرعات من البنكورونيوم ضمن الوريد في فترات متقطعة. وكانت كل اشارات بيلي الحياتية طبيعية حين وصل فريق الاسعاف الطائر في الساعة ٦،٣٥. وشمل الفريق مساعدين طبيين وطبيب أطفال من وحدة العناية الفائقة في مستشفى الاطفال هو الدكتور تشارلز كولدويل واختصاصياً بمعالجة التنفس هو جيف فايكون.

لدى فحص الصبي قال كولدويل لدوران: "انني معجب جداً بعمل فريقك." وأمضى ٩٠ دقيقة يحضّر بيلي للرحلة مع فايكون، اذ ان استقراره كان أهم من سرعة نقله. فأبدل كولدويل أنبوب الرغامى في فم بيلي بآخر في أنفه بحيث لا يتعرض للازاحة خلال الطيران. وفي سبيل وقاية الحقن الوريدي أحدث شقاً في رسغ قدمه وأولج أنبوباً في عرق هناك كبديل من الذي في رقبته. وأجرى الفريق تدقيقاً تاماً لكي لا ينفصل شيء من مكانه أثناء نقل بيلي، لان بيلي في مصاف المرضى الاشد خطورة.

قبل مغادرة الفريق الطائر تكلم كولدويل الى بيل ودون: "ان حالة بيلي مستقرة لكنه لا يزال مريضاً جداً. فبعض الاولاد لا يبقون أحياء بعد الغرق، واذا نجوا فقد يصابون بتلف في الدماغ. لذا رأيت من واجبي أن أنبهكما."

فسألته دون: "هل يمكنني الذهاب معكم؟"

فأجابها: "انني آسف لان لا مكان لك معنا."

غادر فريق الاسعاف الطائر الى فانكوفر في الساعة ٨،٠٥ مساء. وخلال الرحلة التي استغرقت ٦٠ دقيقة كان أعضاؤه يراقبون تنفس بيلي ومعدل نبض قلبه وحرارته. وابقاه كولديول في حالة شلل باعطائه بنكورونيوم. وباستخدام جهاز تنفس نقّال كان فاكون يكثّف تهوئته لخفض معدل ثاني أوكسيد الكربون في دمه. وقد وصلوا الى مستشفى كولومبيا البريطانية للاطفال في الساعة ١١،٤٥ مساء ونقلوا بيلي مباشرة الى قسم العناية الفائقة في أدرلي.

"انه جزء من روحي"

حالما علمت دون أن بيلي سينقل بالطائرة الى الجنوب اتصلت بوالدتها إليانور هولمز وهي عاملة صحية في مصح للمعاقين عقلياً في كاملوبس. فبادرت هذه الى حجز مقعد في طائرة الى فانكوفر، ووصلت الى هناك في التاسعة مساء وراحت تذرع غرفة الانتظار في المستشفى حتى منتصف الليل حين أفيدت: "ان حفيدك في غرفة العناية الفائقة." فاسترقت النظر وشاهدت بيلي مربوطاً الى شبكة من الانابيب يحيط به ستة أطباء. وجاءها أحدهم قائلا: "انه مستقر، لكننا لا نعلم ان كان سيعيش."

اتصلت الجدة بابنتها التي قالت: "سأركب أول طائرة متوجهة الى هناك." فتعهدت الجدة بالبقاء في المستشفى طوال الليل. وأعطيت غرفة قرب وحدة العناية الفائقة، وكانت تنهض كل ساعة وتسترق النظر الى بيلي فتجده بلا حراك مغمض العينين شبه نائم – أو قد يكون ميتاً. لكن الجدة قالت في نفسها: لو لم يكن هناك أمل لما كانوا يبذلون أقصى جهدهم.

لم تستطع دون النوم في بيتها. فأخذت تحشو حقيبتها بلعب بيلي وحرامه وبدمية كلب أهداها اليه أبوه عند ولادة براندون. ثم حزمت ملابسها وأخذت تذرع أرض المنزل حتى الصباح.

وفي الصباح اصطحبتها ايلين الى برنس جورج على بعد ٢٥٠ كيلومتراً شرقاً حيث ركبت طائرة الى فانكوفر في الساعة ١٠،١٠. وفي الطائرة تكوّمت في مقعدها وفي يدها حرام بيلي تحجب به وجهها ودموعها عن عيون الفضوليين.

وفي فانكوفر ركبت سيارة أجرة اوصلتها الى وحدة العناية الفائقة حيث كانت والدتها في انتظارها، وقد انهارت بين ذراعي والدتها التي قالت لها: "اعلمي يا ابنتي انه مريض جداً، لكنه مقاتل مثلك." واقتادتها احدى الممرضات الى بيلي وقالت لها: "تقدرين أن تمكثي معه ما شئت من الوقت."

كان بيلي لا يزال مشلولا ويتنفس اصطناعياً لمنع تورّم الدماغ. وكان مسجّى عاريا على بطانية تبريد للحفاظ على حرارته بدرجة ٣٦،٤ مئوية. وكان جهاز التنفس ينقل اليه ٨٠ في المئة أوكسيجيناً من منخر، وفي المنخر الآخر أنبوب امتد الى المعدة أولج فيه دواء مضاد للحموضة في معدته. ووضع على صدره جهاز لمراقبة القلب، وفي معصمه الايمن أنبوب شرياني، وفي رقبته وذراعه اليسرى ورسغه الايسر أنابيب وريدية تحمل اليه التغذية والمورفين وعقار "ديازيبام". وكانت زجاجات الماء الفاتر في هيوستن سببت له حروقاً شديدة في ربلتي ساقيه. لكن امه ذكرت نفسها ان هذه كانت ثمناً زهيداً لاحيائه.

أمسكت دون بيد بيلي وهمست: "اني أحبك يا بيلي، لا تخف، سيكون كل شيء على ما يرام." وقالت في نفسها: أنا أعرف أنه لا يقدر أن يسمعني، ولكن ربما أدرك أنني هنا معه.

في صباح اليوم التالي قال لها أدرلي: "يتوقف شفاء بيلي على ما حدث له في البئر وكيف كانت استجابة جسمه، فتلك أمور تفوتنا معرفتها. إنما لا بد من أن يكون دماغه برد قبل أن يتوقف قلبه، فلولا ذلك لما كان حياً. لقد كان حظه كبيراً الى الآن، ونرجو أن يبقى كذلك."

استمعت دون الى طمأنة أدرلي بامتنان، لكنها أحسّت بدهشته لكون ولدها بقي حياً. فتمتمت: "يا الهي، لا تدع بيلي يعود الى أحضان الموت."

كانت دون لا تزال بجانب ولدها في العاشرة ليلا. فقالت لها أمها: "إنك في حاجة الى الغذاء والنوم يا دون." وكان أحد العاملين الاجتماعيين هيأ لهما غرفة في النزل التابع للمستشفى. وفيما خرجت بها والدتها من الغرفة احتجت قائلة: "لكني لا أستطيع مفارقته يا أمي."

جلست دون طوال النهار التالي الى جانب بيلي تكلمه برفق: "أمك هنا يا بيلي، كذلك جدتك ووالدك وبراندون. جميعنا نحبك ونريدك أن تعود الى البيت." وراحت تكرر أسماء أنسباء كثيرين يفتقدونه وذكريات حلوة وأغنيات وتهويدات طفولية سعيدة.

وفيما كان أدرلي يدقق بصورة منتظمة في مؤشرات الحياة لدى بيلي دهش اذ وجد خطوط مرسمة موجات الدماغ (٢) أكثر انتظاماً مما كان يتوقع. فقال في نفسه: لعل عجيبة حدثت عندنا.

صباح الجمعة في الساعة ٨،٠٠ (١)، بعد مرور ثلاثة أيام على الحادث، أوقف أدرلي حقن عقار بنكورونيوم. وبدأ بيلي يفيق تدريجاً وفتح عينيه، فخفق قلب دون. انما نظراً الى الحد الادنى من الاستجابة لديه عرف أدرلي أن العجيبة لم تتم، فقال لأمه: "بعد كل الذي تعرّض له تبدو حاله حسنة، لكن تلف الدماغ قد يكون شديداً. فعلينا الآن أن نفكر في نوعية حياته."

أجابته: "يكفيني أنه بقي حياً." لكن ارتياحها كان مشوباً بالخيبة، لأنها مع ادراكها

(٢) Electroencephalograms

أن بيلي قد لا يشفى كلياً فانها كانت في قرارتها تصلي لكي تحصل أعجوبة.

كانت دون صغيرة القامة، نحيفة، ووجدت صعوبة خلال حمل طفليها، فقد ولدا بجراحة قيصرية. وهي حين رأت بيلي بعد ولادته وحملته تملكتها نشوة وقالت في نفسها: انه جزء من روحي. والآن صممت على أن تكون حياته سعيدة وان تكن مختلفة.

لم يكن ذلك تصميماً فارغاً، فقد خبرت تأثير تلف الدماغ اذ انها وهي في الرابعة عشرة من عمرها عملت كمتطوعة في كاملوبس. وبعد تخرجها في المدرسة الثانوية تابعت مقرراً مدته عشرة أشهر وتأهلت كعاملة للعناية بالاولاد. وعملت في كاملوبس الى حين ولادة بيلي في ٨ فبراير (شباط) ١٩٨٣. ثم وجد زوجها بيل عملا في الشمال فانتقل والعائلة الى بيرو.

بسمة على شفتيه

مساء أول يوم جمعة بعد الحادث طار بيل الى فانكوفر مع براندون. وخيل اليه أن بيلي عرف صوته. ومع أن دون كانت مفعمة بالآمال فقد قالت لزوجها: "إنك غير واقعي."

أجابها: "انني مثقل بالالم أيضاً."

وقالت لها أمها بعد ذلك: "كوني شاكرة لأن زوجك متفائل، فبعض الازواج قد يقولون لك ان بيلي عاجز عن سماع صوتك، فهلمّي الى البيت واعتني بي وببراندون. إنما بيل يقدّر ما تفعلينه."

في عطلة نهاية الاسبوع تلك بقي بيل مع بيلي ليتسنى لدون قضاء الوقت مع براندون.

وحالما شفي بيلي من الشلل بدأ يتحرك على نحو تشنّجي مثلما توقّع أدرلي. أخذت أطرافه تضرب الهواء، ثم تهدأ متوترة استجابة لرسائل غير طبيعية من الدماغ المعطوب. وحين نزع عنه جهاز التنفس وحملته دون بين ذراعيها أخيراً، أخذ جسمه ينتفض وبدت عيناه زجاجيتين وكان يئن انينا متواصلا كالبكاء انما غير مصحوب بدموع.

بعدما نجا بيلي من خطر الموت نقل في ٣٠ أكتوبر (تشرين الاول)، بعد سبعة ايام من الحادث، الى جناح الحالات العصبية. وأزيلت من جسمه كل الاجهزة والادوات المساندة باستثناء الانبوب الممتد من الانف الى المعدة والذي يزوده الغذاء والفيتامينات والمضادات الحيوية لمنع العدوى والادوية المسكّنة لتخفيف آلامه. كانت رجله اليسرى لا تزال ممدودة جامدة واليمنى مطويّة بشدة على بطنه. وكان ظهره مقوّساً وساعداه متصالبتين فوق صدره وقبضتاه مطبقتين. وتوقفت تشنجاته وأنينه أثناء نومه. عندذاك كان يبدو هادئاً وكأنه في أتم حال، ما أيقظ في دون أملا بشفائه وأمدها بالقوة للبقاء الى جانبه ١٢ ساعة يومياً وهي تغني له وتتكلم اليه ممنّية اياه بالشفاء والعودة الى البيت.

حين رجع بيل الى فانكوفر يوم الجمعة التالي حدّق اليه بيلي لبضع ثوان. فقال لدون التي غلب عليها البكاء: "هل رأيت ذلك؟ لقد تبسّم!" وتساءلا لاحقا عما رأيا من بيلي، أكان حقيقياً أم من نسج خيالهما؟ لكنهما كانا متيقنين من رؤيتهما في عيني بيلي الجامدتي النظرات ومضة ابتسامة.

هذه المرة تركت دون براندون في عهدة إيلين لكي يتسنى لها أن تخرج قليلا. إنما كان عليها طوال نهاية الاسبوع تحاشي مراسلي الصحف ومصوري التلفزيون. كانت تتضايق من الحاح فرق التلفزيون في متابعة أخبار بيلي ومن عناوين الصحف التي جاء فيها: الطفل الميت قد يسعده الحظ فيعيش. واقترحت ادارة المستشفى عقد مؤتمر صحافي. وفي هذا المؤتمر واجهت دون المراسلين برباطة جأش وقد بذلت أقصى جهد لضبط مشاعرها، وقالت لهم: "كل رجائي هو أن يعود بيلي قادراً على أن ينعم بالحياة، وكل تحسن آخر نعمة فائضة."

قلة من الذين شاهدوا دون وهي تتكلم في التلفزيون رأوها على وشك الانهيار. كانت تشدد عزيمتها بالعناية بشؤون بيلي. وبيّن لها أحد الاختصاصيين بالمعالجة الفيزيائية كيف تغير وضعه لتخفيف شدة تشنجاته. وكان لا يزال يغذى بواسطة الانابيب، لكنها أقنعت الممرضات بالسماح لها باعطائه نقطاً قليلة من الماء والعصير بواسطة محقنة ورشفات من اللبن تعلّم أن يمتصها.

وجاء بيل في نهاية الاسبوع التالي ومعه براندون، فأصرت دون على أن يبقيه معها قائلة: "انني في حاجة الى بعض الحياة الطبيعية."

فقال لها بيل: "لديك ما يكفيك من العمل والهم، واذا بقي براندون معك فذلك يزيد قلقي على ثلاثتكم." ولكن كان لها ما أرادت، وقدمت المستشفى عربة وسجادة وضعتا الى جانب سرير بيلي ليتسنى لبراندون اللعب والنوم. وعادت أم دون الى عملها في كاملوبس، وكانت دون مغتبطة لوجود طفلها معها ليؤنسها ببهجته ومرحه.

كان بيلي لا يزال معرضاً للتشنجات، يئن ويظهر استجابات أساسية فقط. وكانت دون ترهب عملية كشط الجلد المحروق عن ربلتي ساقيه حتى ينكشف لحمه الاحمر الحيّ. وفي ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) بعد عملية كشط تامة وبعدما أصبح قادراً على تحمل المخدر، طعّم أحد جرّاحي التجميل ربلتيه بجلد نزع من فخذه الايمن، وغلّف رجليه بقالبي جصّ من أعلى الفخذ حتى أصابع القدمين.

بعد ستة أيام أزيل القالبان، وكان صوت المنشار وهو يقطع الجص يروّع دون. لكن الاطباء طمأنوها الى أن صراخ بيلي وتوثبه بسبب صوت المنشار كانا استجابة طبيعية ما يؤكد أن عملية التطعيم نجحت.

بعد ذلك أصبح بيلي مهيأ للانتقال الى مستشفى سوني هيل، وهو مركز لتأهيل الاولاد المصابين بتلف شديد في الدماغ. وكانت دون متيقنة من أن اقامة بيلي هناك ستكون قصيرة، لكن أدرلي حذرها: "انه لا يتحسّن بمقدار ما كنا نتوقع، فعليك وزوجك ألا تبالغا في التفاؤل."

كانت السيدة هولز تعضد ابنتها في تصميمها، وهي قالت لها: "لا أنت ولا بيل ولا أنا يمكن أن نستسلم. انت مع بيلي كل يوم، وستشاهدين اولى علامات الشفاء."

وحين نقل بيلي الى مستشفى سوني هيل في ٥ ديسمبر (كانون الاول) عزز أطباء الاطفال هذه الكلمات. فعلى رغم تشنجاته وبكائه الغامض من دون دموع، وكون ذلك دليلا على تلف شديد في الدماغ، فقد رأوا أن بقاء دون مع بيلي قد يساعد في تحسّن حاله. فاتخذت دون مقراً لاقامتها في نزل للوالدين في جوار المستشفى.

أثناء تجوال بيلي في أرجاء المستشفى في كرسي خاص صمم لسند ظهره، لاحظت دون ومضات خافتة تدل على تيقّظ عقله. ففي غرفة اللعب بدا كأنه يسمع ثرثرة ببغاء. وذات يوم فيما كانت تدور حوله راح يتبعها بعينيه، وذلك يدل على تقدم حقيقي. فهتفت دون: "بيلي، إنك تتطلع الى أمك!"

دموع حقيقية

أظهرت استجابات بيلي أن قسماً من دماغه على الاقل كان في حال تمكنه من التعلّم. وحين التقت دون الفريق الطبي في ١٩ ديسمبر (كانون الاول) للتباحث في شأن تقدم بيلي، أفادت الاختصاصية بالمعالجة الفيزيائية كريستا نلسون أنه كان يتعقبها بعينيه وكان يلاحظ الالوان الزاهية. ولاحظ طبيب الاطفال ملفن دو ليفي أن بيلي يغار حين تحمل دون براندون، وذلك أمر طبيعي. وكان جسم بيلي يزداد رخاوة وخفت تشنجاته، واقترح على دون أن تمرّنه في بركة المستشفى لتنشيط عضلاته.

بعد أسبوعين كوفئت دون بمفاجأة أخرى اذ تبسّم لها بيلي عندما انحنت فوقه وهي تدفع كرسيّه في المستشفى. فكادت لا تصدق ما رأت، وسألت امرأة مسنّة كانت الى جانبها: "أحقيقة تبسّم ولدي أم انني واهمة؟"

فأجابتها المرأة وقد أخذتها الدهشة: "بكل تأكيد، أنا رأيته يتبسم."

وحين تكلم أحدهم من ورائهما رفع بيلي رأسه ومال بجسمه متابعاً مصدر الصوت.

في اليوم التالي بعد تمرين السباحة غنّت له دون احدى أغنياته المفضّلة. ولدى سماعها انفجر بيلي باكياً، وتلك كانت أولى دموع يذرفها منذ وقوع الحادث. فانتزعته دون من الكرسي وركضت به في المستشفى هاتفة: "لقد ذرف دموعاً حقيقية!"

ومنذ ذلك اليوم بات بيلي يسكب دموعه بحرّية. انما في نهاية يناير (كانون الثاني) كان زاد ابتسامه وقلّ بكاؤه وباتت دموعه تنسكب في الاوقات المناسبة. وفي ٥ فبراير (شباط) قهقه حين دغدغت دون كتفه، ثم شهق متعجباً من ذاته. وبدأت دون تسلّيه بألعاب طفولته، واستطاعت بذلك أن تجعله يضحك ويبتسم.

في أوائل مارس (آذار) أخبرت دون الفريق الطبي أنها ترغب في أخذ بيلي الى البيت في نهاية الشهر. لكن أعضاء الفريق رأوا أنه سيكون من الصعب على دون معالجة بيلي لوحدها في بلدتها الصغيرة النائية. الا انهم احتراماً لارادتها قبلوا بقرارها، وعلمتها الاختصاصية بالمعالجة الفيزيائية بعض التمارين والالعاب. وفيما

دون وزوجها يحزمان أمتعتهما للرحلة، خشخشت مفاتيح الشاحنة أمام بيلي فامسكها بيده اليسرى.

كانت دون مرتاحة لانهم لم يكونوا عائدين الى منزلهم السابق المليء بالذكريات المؤلمة، بل نقلوا الى مسكن مجاور لايلين وديل. وكانت دون تحمل بيلي في أرجاء البيت من غرفة الى غرفة وهي تقوم بأعمال الطهو والتنظيف، وتسنده بالوسادات لانه كان لا يزال عاجزاً عن الجلوس. ومرة في الاسبوع كان يأتي مستشار في شؤون تنمية الاطفال فيساعد دون في تمرين عضلات بيلي ويحضر ألعاباً لتقوية حركاته ورؤيته. وقد تعلّم بيلي وبراندون الزحف معاً. فكان براندون، وعمره ثمانية أشهر، يزحف على يديه ورجليه فيما كان بيلي يرمي بيديه الى الامام ويجر رجليه. وحين استعاد قوته بات يقف عندما يمسك يد أبيه أو أمه. ولما رجع الى فانكوفر في يونيو (حزيران) سر الفريق الطبي لتقدمه. وقال آدرلي لزملائه وهو يحتضنه جذِلا: "أنظروا الى بيلي بليك!"

مساعدة الأخ الصغير

كانت يد بيلي اليمنى تأثرت بالتلف الذي أصاب الدماغ، الا أنه تعلم استخدام يده اليسرى بحركات تشنجية. وفي أغسطس (آب) أصبح براندون قادراً على الوقوف بمفرده ومساعدة بيلي على الوقوف بعد ذلك بشهر. وهو علّم بيلي أن يصعد الدرج زحفاً.

لكن بيلي ظل عاجزاً عن الكلام، وكان تشنجياً. وبدأت دون تعي أنه سيبقى مصاباً ببعض العوائق. وهي أمضت معه أكثر من خمسة أشهر مترجحة بين اليأس والامل، تستمد القوة من محبتها لولديها ولزوجها. لكن ما عانته استنزف قواها عقلياً وجسدياً حتى باتت عاجزة عن مقاومة اليأس الذي اعتصر قلبها وكيانها.

وفيما اقتربت الذكرى السنوية الاولى للفاجعة طغت على العائلة ذكريات مؤلمة. ولم يكن بيل قادراً على التحدث عنها.

وقالت دون: "انني لا أستطيع البقاء هنا." واصطحبت ولديها جنوباً الى إندربي على بعد ألف كيلومتر لتقيم مع صديقة قديمة كانت تعلم ما قاسته دون من حزن وكبت وعذاب حين كان بيلي في المستشفى.

مساء ٢٣ أكتوبر (تشرين الاول) ليلة الذكرى السنوية الاولى للحادث اتصلت دون بزوجها لتقول له: "لست مهيأة بعد لاعود الى البيت." فنزلت عليه كلماتها نزول الزلزال المدمّر، فقاد سيارته طوال الليل الى إندربي وفي الصباح عاد مع زوجته وولديه الى البيت.

تعلم بيلي أن يزحف على أطرافه الاربعة ويمشي بضع خطوات ويمسك كوباً ويأكل بالملعقة. وكان فهمه جاوز قوة تحركه فبات يشعر بالخيبة لعجزه عن الكلام. لكن أفكاره كانت تشعّ في عينيه البنيتين، وكان فمه يلتوي وهو يجاهد لنطق كلمة، وأخيراً يرتفع صوته فيلفظ المقطع الاول منها. وكانت أمه تنتظر صابرة الى أن يتمكّن من لفظ كلمة مثل "حليب" أو "عصير" أو "كعك" قبل أن تعطيه ما يريد. وجعلت التعليم جزءاً من


بيلي مع أمه في صورة حديثة.

حياتها. وفيما كانت تغسل الصحون كان بيلي يتعلم عدّها على لوح التجفيف. وكل نشاط حولته لعباً، مشجعة بيلي على تعيين أسماء الاشياء والالوان وتمرين طاقات تحركه.

عندما بلغ بيلي الثالثة من عمره أُدخل حضانة خاصة في سيمذرز. وكانت دون تقود سيارتها مسافة مئة كيلومتر الى الحضانة مرتين في الاسبوع لكي يمضي بيلي خمس ساعات في برنامج للاولاد المعاقين. وقد تأثرت المديرة بوليت ماكفيليفراي بطبيعة بيلي المشرقة وتصميمه. وكان تنسيقه لا يزال ضعيفاً، ومع ذلك كان يثابر نصف ساعة ليتعلم التحكّم بلعبة عصت عليه. وبعد كل نجاح كان وجهه يشع بابتسامة كمن يقول: ها اني نجحت.

وكل بضعة أشهر كانت دون تأخذ بيلي الى مستشفى سوني هيل في فانكوفر لفحصه. وقد أفاد أطباؤه أنه يتقدم باطراد. وهو تمكن من أن يتعلم أشغالا ماهرة وأفكاراً فاقت تلك التي كان يعرفها قبل ٢٠ شهراً. وكانت قدرته على الاستيعاب والفهم أكبر من قدرته على التعبير. وسر الدكتور دو ليفي لرؤيته مبتهجاً وقادرا على الاتصال بواسطة عينيه ونطق بضع كلمات.

نعمة الحياة

الرجال الذين أنقذوا بيلي يتعجبون لشفائه. قال وين هولز: "لم يكن لدي أي أمل في انقاذه، ولكن كان علي أن أحاول. ولا أصدّق أنه بلغ هذا الحد في الشفاء، وأرجو أن ينعم عليه بالشفاء التام."

وعندما وقع الحادث كان بارم بريهار ينتظر عودة زوجته من الهند. وحال وصولها كان أول ما قالته: "أريد أن أرى بيلي بليك."

ليلة نقل بيلي في الطائرة الى فانكوفر لم يتمكن لويس آركي من الاكل أو النوم. وقال: "خلال سبع سنوات في عملي كمتطوع كانت نجاة بيلي أعظم مكافأة لي. قد تنقضي سنوات، لكني أعتقد أنه سيتغلب على عوائقه ويعيش حياة طبيعية كاملة."

وتعيش العائلة حالياً في مدينة فيكتوريا حيث يتردد بيلي على مركز ج.ر. بيركس للاولاد. هناك يتلقى علاجاً فيزيائياً وعملياً وكلامياً.

Photo: Gerry Kahrmann / Vancouver Province

تقول والدته دون: "سيظل يجد بعض الصعوبة في الكلام والمشي كمن أصيب بشلل خفيف في الدماغ، ولكن في استطاعته الآن رصف جملة متكاملة، وهو يقدر أن يمشي مستعيناً بعربة أطفال ويخطو بعض الخطوات بمفرده. يودّ أن يعامل كولد طبيعي. وهو عنيد ومثابر وطويل الأناة فلا يكف عن المحاولة. ان الناس يترقبون حدوث عجائب، لكن بيلي أسبغت عليه نعمة الحياة مرتين."

يقول الدكتور أدرلي: "ان بيلي بليك حي اليوم بفضل جهود الاشخاص الذين شهدوا الحادث: المنقذين ورجال الشرطة ورجال الاسعاف والفريق الطبي في مستشفى هيوستن، كلهم قاموا بعمل رائع."

وبيلي الان في حال أفضل كثيراً مما كان يرجى له بفضل تفاني أمه ولهفتها في العناية به. وكأن حنان الامومة وتضحيتها شعلة ايمان تحقق من آيات الشفاء ما يعجز عنه الطب.

يانيس تيرويت ■

ترجمة الياس عقل



خطوط الاطباء

خلال دراستي في كلية التمريض رحت أفك ذات يوم "رموز" طلب لاجراء فحص بالموجات فوق الصوتية. كان خط الطبيب كاتب الطلب مروّعاً، ولم أتمكن من تحديد العضو المطلوب فحصه بسبب رداءة الخط. عرضت معضلتي على مدرّستي التي راحت تقلب الرأي في هذه الكتابة "الهيروغليفية" ثم قالت: "مفتاح السر هنا، على الهامش، حيث رسمت كبد."

ولحسن الحظ سمعت احدى الممرضات هذه الملاحظة فتدخلت قائلة: "هذا امضاؤه!"

ج. ت.

شمس الريف

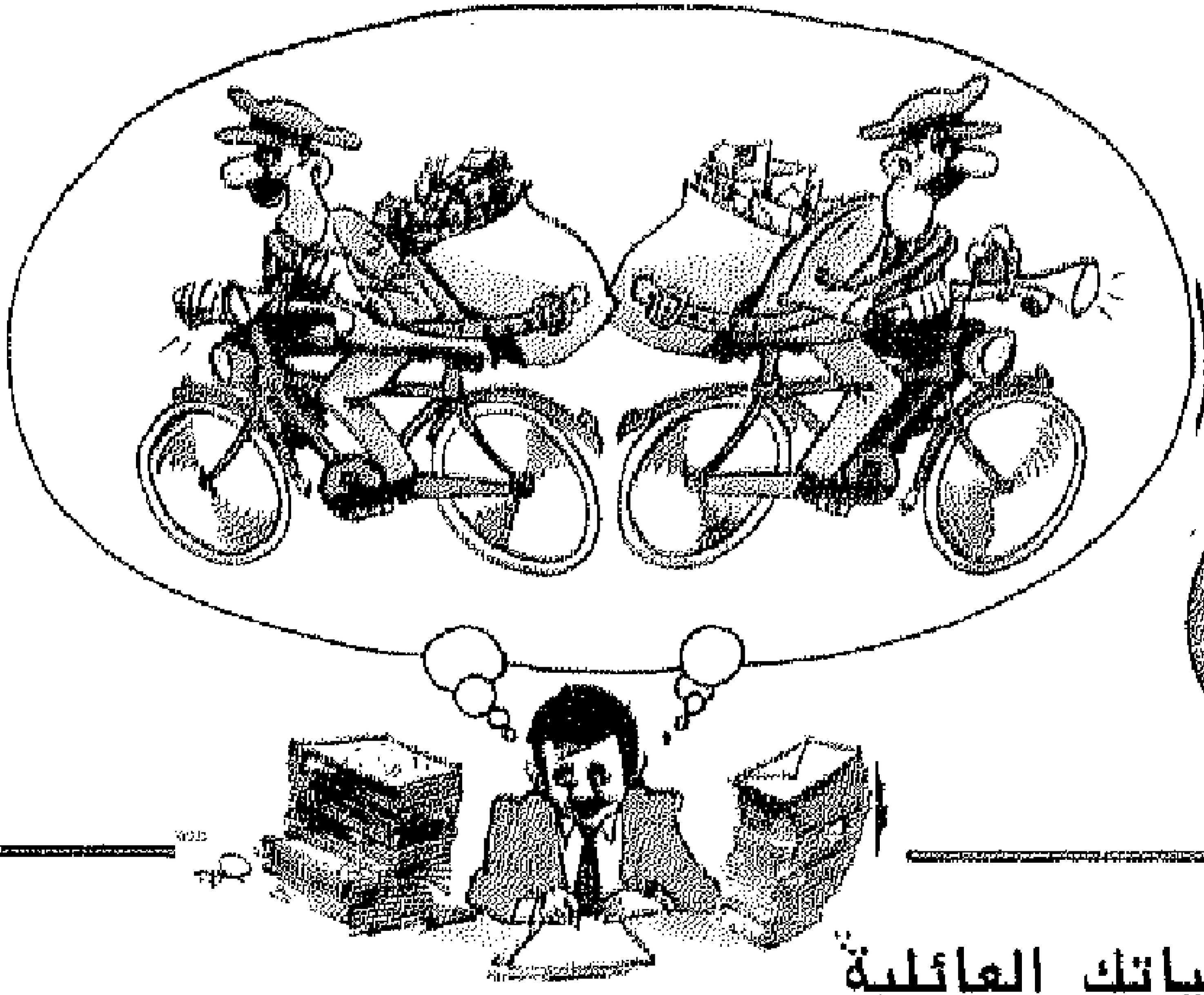
نشأ زوجي في الريف. لذلك كنت أعجب لماذا لا يثيره شروق الشمس البديع، مثلي. فجاء الشرح من صديق نشأ هو أيضاً في الريف: "لعله يتذكر شروقات كثيرة من فوق ظهر بغل."

أ. هـ.

سبحان مقسّم العقول الذي أرضى كل انسان بحصته.

مثل اسباني

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي،



"سيدة المظلة" للرسام الامريكي كارل ألبرت بوير

أغسطس (آب) ١٩٨٩ - محرَّم ١٤١٠

المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest August '89 N° 129

أوسع المجلات انتشارًا في العالم -
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا



عملاق في مهب الريح

(ص ١١٧)

الحب وحده لا يكفي

(ص ١٠٤)

كيف تبيع سيارتك القديمة

(ص ١٦)



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١– ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

August '89 N° 129 (New Series) Vol. 11

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى انتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

لبنان ٣٥٠٠ل – سورية ١٥ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف –
السعودية ١٠ر – مصر ١٠٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٧ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب –

أسلوب للحياة...

الق نظرة الى المستقبل.
مجموعة فاروس.
تصميمات ديناميكية.
أنيقة تعمل بالكوارتز.
رقيقة للغاية.
ومقاومة للماء.
مجموعة فاروس - من سيتيزن
أناقة وروتق المستقبل ...
باتت متاحة لك اليوم.

فاروس
اسلوب للحياة من سيتيزن ...

أسلوب للحياة...



سيتيزن

غنوة مرحة ورائحة ياسمين وكلام من القلب

نزهة تحت النجوم

كم حسدت أولئك الآباء والامهات الذين يعودون الى بيوتهم بعد يوم عمل طويل وهم ما زالوا نشطين قادرين على قراءة قصة لاولادهم أو مساعدتهم في دروسهم أو محادثتهم من دون الانشغال بأمور أخرى.

كنت قبل عشر سنين احسب نفسي سعيدة اذا تمكنت من تنظيف الصحون بعد العشاء واقفال الباب قبل أن يتملكني الوهن وأنهار. كان زوجي توفي حديثا بداء السرطان مخلفا لي ولدين، ابنا عمره ثلاث سنوات وابنة عمرها ست سنوات. وكانت حاضنة تعتني بهما أثناء النهار، لكنهما في الليل كانا يحتاجان الى أم ترعاهما بحنانها. غير أنني لدى عودتي من العمل كنت في عجلة لارتداء ثياب النوم كي يتسنى لي الارتخاء والخلود الى الراحة.

وذات ليلة حدثت كارثة المعكرونة التي غيرت نمط حياتي المسائي اذ أرغمتني على ابتكار ما أصبح نظاما عائليا. ففيما كنت مستلقية في ذلك المساء "أستريح" على الاريكة، كان الولدان يتناولان العشاء. فاذا بأصوات ضربات مكتومة مصحوبة بصخب ومرح صادرة من المطبخ توقظني وتقطع راحتي. وتبيّن لي أن ولديّ يخوضان معركة يتبادلان فيها الضرب بالمعكرونة. وكانت تلك الحبال ملتصقة بالجدران وتتدلى من الرفوف ومن منضدة المطبخ. وكانت



صلصة البندورة (الطماطم) تصبغ وجهي ولديّ وملابسهما بلون وردي.

جذبت المذنبين من كرسييهما وأدخلت سواعدهما المضرجة بالصلصة في سترتيهما وسقتهما الى الخارج. وقلت بلهجة صارمة: "سنقوم بنزهة."

قالت الكبرى: "أفي هذا الوقت؟ انه ليل."

وقال الصغير: "لكن الطقس بارد."

فلم يسعني، لشدة حنقي، الا أن أجيبهما بكلمة "نعم."

مشينا مسافة قصيرة وهما الى جانبيّ ويد لزجة لكل منهما في يدي. وأخذت أشعر بتحسّن. وما ان تابعنا السير حتى أفلتا يديّ وبدأ يستكشفان ما حولهما. ولما عدنا الى البيت بعد نصف ساعة كنا نغني فرحين.

قمنا بنزهة في الليلة التالية وبأخرى بعد بضع ليال. ودهشت لحماسة ولديّ لهذه المشاوير الليلية. فقد كانا يتقاعسان في الخروج نهاراً، لكنهما كانا يثبان جذلين ويطفران مرحين في الشوارع بعد هبوط الظلام.

وربما طاب لهما كونهما يتشاقيان خارج المنزل في وقت يتهيأ أكثر الاولاد للذهاب الى الفراش، أو انهما فتنا بغموض الهوية في الظلام بحيث بدونا ثلاثة رفقاء متساوين في الطول والحجم وقد غابت الوجوه واحتجبت المشاعر.

وسرّ الولدان بأن يكونا في الخارج في الطقس الرديء. وكانا يهتفان لرؤيتهما سقوط المطر بغزارة ويلوّحان بالمظلات الى العلاء كأنهما يبارزان السحاب ويخوضان بجزماتهما برك الماء الصغيرة الموحلة التي انعكست فيها أنوار الشارع.

أتاحت لنا نزهات المشي فرصاً لاستكشاف أشياء كثيرة: رائحة الياسمين المتفتح في ليالي الصيف، وتشكيلات الغيوم بعد غروب الشمس، وأولى النجوم الطالعة، وغرابة أشكال الاشجار في الظلام. لكن الاستكشاف الليلي ما لبث أن حل في المرتبة الثانية حين بدأنا استكشاف بعضنا بعضاً. فالجهد الذي بذلناه في الصعود مسافة كيلومتر ونصف كيلومتر للوصول الى منزلنا على التلة، حرر عقولنا وأطلق ألسنتنا. وكانت محادثاتنا تنتقل من موضوع الى آخر ومن نقطة الى أخرى بسهولة وعفوية لم نألفهما داخل المنزل. وبات سهلا علينا أن نلوذ بالصمت ثم نتطرق الى موضوع جديد شائق.

رافقني الولدان طوال سنوات في كل النزهات. انما في هذه الايام اصطحب واحداً منهما في كل نزهة، اذ ان ذلك يتيح محادثات حميمة أكثر عمقاً. فقد كانت ابنتي المراهقة تمتنع دائماً عن افشاء مشاعرها الداخلية. لكنها خلال نزهاتنا الليلية أخبرتني عن خصامها مع صديقتها المفضلة وعن آرائها في الحب والزواج وعن تفوقها في مادة الادب في المدرسة.

أما ابني فهو الآخر يرغب في احتجازي له وحده. وهو يحب الكلام والثرثرة، فيحدثني كيف يقود دراجته الهوائية ويتحكم بناقل السرعة، ويشرح لي رأيه في سبب امتناع تلاميذ الصف المتوسط الثاني عن اقامة حفلات، خلافاً لتلاميذ

الصف الاول، ويفضّل لي التصميم الذي وضعه لبناء منزله في المستقبل.

واذ يكبر ولداي أشركهما في أفكاري وهمومي وأبوح لهما بمكنونات نفسي. وهما يتحينان الفرص ليسديا الي النصح ويمنحاني عضداً معنويا. ويسرّهما سماع قصص حياتي حين كنت في عمرهما.

وأسفرت تلك التجارب عن فائدة جانبية لي. فقد كان المشي هو السبيل الى تحريك دمي وتنقية ذهني وتنشيط جسمي. ففي سنوات المشي الاولى كان الولدان يسيران مسافة ثلاثة كيلومترات من دون تذمر، خصوصاً اذا توقفنا في منتصف الطريق لتناول الجيلاتي. والآن يمكننا السير بنشاط أكثر من ستة كيلومترات في ظرف ساعة واحدة ومن دون توقف لتناول الجيلاتي.

قبل أربع سنوات تزوجت ثانية. وأنا أمشي مع زوجي أحياناً في نزهات ليلية، فنتمتع بالرفقة ونقوّم نشاطاتنا النهارية.

وخلال النزهة يمشي طفلنا الصغير ثلاثة أرباع كيلومتر، فأحمله بعدها أو يحمله أبوه. وهو يستطيب النزهة. وذات ليلة شدني من كميّ ونطق جملته الأولى التامة: "ماما، نمشي؟"

جوي امبودن أوفرستريت ■



الوان الحمام

كنتُ أعيد زخرفة بيت اشتريته حديثاً. فواجهت صعوبات جمّة عندما وصلت الى حمّام غرفة النوم الرئيسية. ولذا توجهت الى متجر مختصّ بأدوات الحمام للحصول على مشورة مهنية.

سألني بائع بدا ملماً بالامر: "أي خدمة يا سيدي؟"

فقلت يائساً: بلاط حمامي زهري، ومحتوياته زرقاء، وهو يظهر بوضوح من غرفة النوم الرئيسية الحمراء. فماذا عليّ أن أفعل؟"

فأتاني ردّه القاطع: "أغلق الباب."

د.ك.ب.

قيادة عمياء

في أثناء عطلة أمضيتها في التزلج في أحد المنتجعات الجبلية ضعت وفقدت الرجاء في العثور على الفندق. ثم التقيت زوجين من النزلاء، لكني اندفعت بسرعة بالغة إذ منعتني عزة نفسي من الاستدلال. كانت الشمس منخفضة خلف الجبال وأخذ الرعب يستبد بي. لكني تمكنتُ أخيراً من ايجاد طريق العودة.

جلست ذلك المساء أستمتع بدفء النار في الردهة. فجأة أقبل الزوجان اياهما نحوي وقالت لي المرأة: "ندين لك بشكر عميق. لقد أضعنا طريقنا، ولكن لما رأيناك تتقدّمين بكل ثقة اقتفينا اثرك عائدين الى الفندق."

ل.غ.

صَبَاح الخيْر!







نسكافه

كوبٌ من نسكافه مع الحليب ، في الصباح
وفي أي وقت ، يجعل نهارك أكثر بهجة وإشراقاً.
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة ، تملأك حيوية ونشاطاً.
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية ، سريعة التحضير.

PI 2959

نسكافه قهوة الشباب العصريّ الناجح.

يذرفون الدمع، في وصف أوهام تدغدغ خيالهم عن زوج سابق يعود إليهم، أو باحوا بالذنب لهجر زوج مخلص. كانوا يتحدثون عن اقتلاعهم من ديارهم وتقاسم الأملاك، وعن تحول الأولاد الابرياء كبش فداء. وكانوا يتفجعون لفقدان جزء من حياتهم لن يتمكنوا من استعادته وهو وحدة العائلة التي تفككت أواصرها.

ودرجت على سؤالهم: "لو عدتم بالذاكرة إلى ما فات، فهل تظنون أنه كان في وسعكم انقاذ زواجكم؟"

كانت أجوبة النسوة من قبيل: "لم يكن رومنطيقياً. لم يكن يفكر الا في نفسه ومستقبل عمله."

أما أجوبة الرجال فكانت من نوع: "كانت تستولي على مالي كله، ولا تثق بي إن غبت عن البيت ليلا."

لكن كلا من الطرفين كان يختم مستنتجاً: "لو عرفتُ ما أدركه الآن، لكان زواجنا ناجحاً."

الطلاق وبال على الجسد والعقل والروح، وفي الكثرة الكاثرة من الحالات يكون العلاج اسوأ من المرض. ثمة استثناءات بالطبع، اذ يكون الطلاق الملاذ الوحيد في حالات ادمان المخدرات والمسكرات أو الايذاء البدني أو القسوة الوجدانية البالغة أو الهجر الدائم. ولكن، عموماً، في وسع الناس أن يجنبوا أنفسهم شقاء كبيراً اذا ما تخلوا عن قبولهم المتساهل للطلاق ونظروا إلى الزواج التزاماً مدى العمر لا ينبغي ولوجه أو التملص منه بخفة.

معروف أن عدداً لا يستهان به من الزيجات المعقودة اليوم معرض للاخفاق. ومعروف أيضاً مبلغ الصعوبات المالية التي يواجهها المطلقون، والمطلقات على نحو أخص. ولكن ما ليس معروفاً كفاية هو الاثر الباقي للوحدة والكآبة في حياة المطلقين.

في بعض المجتمعات، ولاسيما الاستهلاكية منها، أصبح الزواج شبه سلعة تُطرح بعد الاستعمال. ومن سوء الحظ أن ذوي الخبرة في الطلاق، مثل مارلين، سرعان ما يدركون اغترارهم بخرافة أن الطلاق يفتح آفاقاً جديدة، وأن المواعدة بين الرجل والمرأة حافلة بالإثارة، وأن ذوي الفطنة والجاذبية يلتقون دوماً عشيراً أو خليلا.

وقد آن الأوان لنبذ هذه الخرافات والنظر إلى واقع الطلاق عارياً. اننا نتصرّف مراراً وكأن الزواج المتقلقل يستحق الاجهاز عليه. ونتعاطف مع صديق ماض الى الطلاق فيما ينبغي أن نحذره من أنه يقترف خطأ شنيعاً.

كثيرون يفكرون: لو اني أستطيع التخلص من زواجي هذا... ويتمّون عبارتهم بأعاجيب يصطنعونها. الذنب ليس ذنبهم، فهم ضحايا الحملات الدعائية التي تطلقها المجلات البرّاقة الضحلة المحتوى والأطباء النفسانيون الساعون الى الكسب. لكنهم عقب طلاقهم يبقون هم أنفسهم، بمهارتهم في حل المعضلات، وقيمهم، وأساليب ارتباطهم بالغير. وبذا يقولبون علاقات جديدة تماثل القديمة. أنّى لهم أن يروا أن الطلاق، الا في حالات معينة، هو أسلوب خاطىء لتحسين معيشتهم؟

الطلاق جحيم. والمطلقون، حيثما

وجدوا، يندبون سوء حالهم. والصحف حافلة بأقاصيص عن أولاد الشوارع والآباء المخلين بواجباتهم والأمهات اللواتي يـربين أولادهن بلا معين والاطفـال القابعين في المآوي. وعلى رغم هذه الانباء المفزعة ما زالت نسبة الطلاق مرتفعة.

اذاً، ما الذي يضرم هذيان الطلاق؟ أحسَبُ أنه تحول في القيم التي نعتنقها. فلأقابل بين أربعة مبادىء كنا نؤمن بها في الماضي ومبادىء غدت مقبولة اليوم. وسترون كيف أن تفكيرنا الحالي يحط من قدر الزواج ويحض على الطلاق:

١. "الزواج رباط أبدي" في مقابل "الزواج حتى تخبو العاطفة."

لا شك في أن كل خاتم خطبة يحمل أملا بالارتباط إلى الابد. لكن كل زوج يدرك وجود خيار انهاء الزواج. وثمة أزواج يخططون جهاراً لاحتمال الطلاق. انهم يتعهدون البقاء معاً طوال العمر، لكنهم يلحون على التصرف "بحكمة" لحماية أملاكهم اذا لم يدم الزواج. وبعضهم لا يتزوج الا متى تأكد له أن في امكانه فسخ الارتباط الزوجي.

غير أن هذا السلوك يزيد اتساع الحلقة المفرغة. فإذ يزداد عدد الذين يقبلون امكان الافلات من إسار الزواج، يزيد المفلتون فعلا. ويستتبع ذلك زيادة أعداد السائرين عقبهم.

أنا أبذل وسعي لأطبع في نفوس قاصديَّ أن العاطفة تذبل. ويحمل كثيرون قولي ذاك على أن الحب ذاته يتلاشى. تنقلب توقعاتهم فيفقدون شيئاً غالياً. انهم لا يمكثون وقتاً كافياً ليروا أن حبهم يشتد وإن خمدت نار الرغبة الجسدية.

٢. "الطلاق إخفاق مخزٍ" في مقابل "الطلاق ليس بالغ الاهمية."

لم يعد كل من يقترف الطلاق يعتبر شخصاً سيىء الطباع. وقد سهّلت مكاتب المحاماة أعمال الزبائن المطلقين.

والطلاق لم يعد اخفاقاً في الميدان الاجتماعي. قبل بضع سنوات أنزلت الى الاسواق بطاقة جديدة عليها الفقرة الآتية: "أنت حبيبي... أنت فاتن... أنت طالق." انه لأمر تتقزز له نفسي، فلئن تكن المواقف القديمة من الطلاق متشددة حقاً، فهو ليس حدثاً يحتفى به.

٣. "إعمل على تأسيس مستقبل" في مقابل "عش في الهُنا والآن."

في مجتمعنا العجول ينزع كثيرون الى رؤية المزايا القصيرة الامد لأفعالهم، اذ ان طول الأمد يكتنفه المجهول مما يعيق التزام الزواج. وما الداعي إلى مناقشة الزوج أو القلق على رد فعل الاولاد على المشاحنة بينكما، فيما يستطيع كل منكما أن يجتاز عتبة الباب فيصبح، على الفور، أحسن حالا؟

الاشخاص الراسخون في الهُنا والآن يكشفون عن نقص في الثقة بالمستقبل. وينتابهم شعور بأنهم مكرهون على التلذذ ملء طاقتهم في هذه الآونة. ومما يثير العجب أن كثيراً منهم ينظرون نظرة طويلة الاجل إلى أشغالهم واستثماراتهم، ويستنكفون عن هذه النظرة في علاقاتهم الزوجية.

٤. "العلاقات الجانبية باطلة وينبغي كتمانها" في مقابل "العلاقات الجانبية لا ضير منها، والصراحة أفضل سبيل لجبهها."

كان عقدا الستينات والسبعينات من هذا العصر زمن الانانية عند الكثيرين. وأي تعبير أفضل عن ذلك من الجمع بين حسنات الزواج والعزوبة في آن؟ لقد رفع كثيرون لواء المجاهرة "النبيلة" وان آلمت آخرين، وأشهروا باعتزاز علاقاتهم الخارجة عن نطاق الزواج.

وقد أشارت الدراسات الاستطلاعية الى الاعداد المتكاثرة من الازواج الذين يخونون شركاءهم. وبذا تنشأ ذهنية جديدة لبها أن الاقتصار على الزوجة أو الزوج أمر عفا عليه الزمن.

هذا غير صحيح، فالزنا يؤدي شرعاً إلى الطلاق. وقد كشف استطلاع أجرته مجلة كبرى وشمل ٣٥٠ ألفاً من قرائها أن نحو ٨٤ في المئة من الزوجات الخائنات يطلقن.

إن اتخاذ العشاق خطيئة يحرمها الشرع لا يغضي عنها حتى الازواج الاكثر تسامحاً.

اني لا أقترح العودة الى المراءاة في العلاقات الزوجية كما كان سائداً في الخمسينات، حين كان المطلّق منبوذاً في المجتمع. لكن المعرفة التي نجمت عن "الانفتاح" الشخصي والاجتماعي في الستينات والسبعينات أثبتت صواب عدة مبادىء كنا طرحناها جانباً.

هناك محاسن مضمونة للفضائل العتيقة التي تحضّ على الاخلاص في الزواج وانشاء أسرة مستقرة. وهذه الفضائل تسترد اليوم شعبيتها.

فلنحاول ألا نضرب صفحاً عن أمثولاتها.

ديان مدفيد ■



عصير وعسل

عندما ذهبت مع زوجي في رحلة شهر العسل وصلنا الى المطار متأخرين فلم نستطع الحصول على مقعدَيْن متقاربَيْن. وخلال الرحلة كتبت الى عريسي رسالة الغزل هذه: "الى الرجل الجالس في المقعد ١٦ - ب. أجدك جذاباً جداً. ما رأيك في قضاء سهرة معي لا تنسى؟ السيدة في المقعد ٤ - ث."

وسلّمته الرسالة مضيفة الطائرة التي عادت بعد دقائق قليلة وفي يدها كأس عصير وأخبرتني أن الرجل في المقعد ١٦ - ب فرح للاطراء لكنه مضطر الى رفض طلبي لانه في شهر العسل.

وعندما هبطت الطائرة كنت لا أزال أضحك وقلت لعريسي: "شكراً على العصير." فاستغرب قائلاً: "لكنني لم أرسل اليك عصيراً!" وهو كان يحتل المقعد ١٤ - ب.

س.ج.ب.

كل مَن يُسرع في الحياة إنّما يسرع نحو موته.

خ.ن.

جراحة الماء الأزرق
علاج أم شعوذة؟

تحقيق خاص بالـ"ريدرز دايجست"
كشف خفايا تجارة دنست مهنة شريفة

التقدم الذي احرزته جراحة العين، خلال السنوات الاخيرة، اتاح للاطباء ازالة العدسة التالفة من العين وزرع عدسة بلاستيكية صغيرة في مكانها. وهذه الجراحة الثورية التي يمكن اتمامها في أقل من ساعة أنقذت نظر ملايين المصابين بالسَدّ (١). لكنها أدّت أيضاً الى اساءة استعمال واستغلال فاضحين.

وحين علم الصحافي دونالد روبنسن بهذه الاساءات، باشر تحقيقاً لمجلة "ريدرز دايجست" شمل الولايات المتحدة ودام أربعة أشهر. والاكتشافات المذهلة التي توصل اليها تظهر مدى الاخطار التي تنجم عن التعامل مع المستغلّين الجشعين الذين دنسوا مهنة انسانية شريفة.

ستيلا غيلمان سيدة في السبعين من ألفوناك بولاية ميشيغن. عام ١٩٨٣ نصحها طبيبها باجراء فحص لعينيها لانه أعطاها دواء قد يسبب لها سُدّاً.

لدى معاينتها قال لها طبيب العيون: "انك مصابة بسد لَعين. وأنصحك بالاسراع الى اجراء جراحة لازالته." فقالت له غيلمان انها تحتاج الى وقت للتفكير في الامر. وما لبثت ممرضة في عيادة طبيب العيون أن اتصلت بها تدعوها الى تحديد موعد للجراحة. فأحست غيلمان أن ضغطاً يمارس عليها، وأستشارت طبيباً آخر هو تشارلز سلايتر الذي اكّد لها أنها ليست في حاجة الى جراحة وأن علّتها هي سُدّ ضئيل لا يؤثر اطلاقاً في نظرها.

(١) cataract أي اعتام عدسة العين أو "الماء الازرق."

وقال لي الدكتور سلايتر باشمئزاز: "في إمكاني تسمية أطباء عيون كثيرين في جنوب ميشيغن يمارسون هذا الاستغلال لجني الارباح."

أخبرني الدكتور كينيث جوكتر رئيس قسم طب العيون في "مركز الرحمة الطبي" بمدينة نيويورك، عن طبيب عيون محلّي يرسل ممرضة الى دور العجزة في المدينة لزيادة عدد مرضاه. فتقدم الممرضة للمسنين معلومات عامة عن العناية بالعينين، ثم تعرض فحص العينين من دون مقابل.

وفي إحدى الدور وافقت امرأة، هي نسيبة للدكتور جوكتر، على فحص عينيها، فطلبت منها الممرضة قراءة لائحة أحرف من خلال آلة. وحين أقرت المرأة بانها تجد صعوبة في قراءة الاحرف بوضوح، نصحتها الممرضة بزيارة الطبيب الذي تعمل لديه لمتابعة فحصها، وعرضت عليها نقلها بسيارة فخمة الى عيادته في نيويورك واعادتها مجاناً.

ولم تكن المرأة شكت سابقاً من تلك العلة في عينيها. فرأت من الحكمة أن تستشير نسيبها الدكتور جوكتر الذي قال: "لم تكن هناك أي علة في عينيها. وبنظارتين تمكنها الرؤية طبيعياً كأي شخص صحيح البصر."

أطباء جشعون. من خلال تحقيقي الواسع حول جراحة العينين لمجلة "ريدرز دايجست"، علمت أن غالبية أطباء العيون يعملون بضمير واتقان. ولكن، لسوء الحظ، ابتلي هذا الحقل بأطباء عيون جشعين، همهم الاول جمع المال لا سلامة مرضاهم. وكثيرون منهم يجرون جراحات لا حاجة لمرضاهم اليها.

السُدّ غشاوة ضبابية في عدسة العين. وهو يظهر عادة مع التقدم في العمر. وقد تكون له أسباب أخرى كجرح في العين أو مادة سامة او خلل أيضي (٢). وعندما تتعاظم كثافة الغشاوة في العدسة تؤدي الى العمى. ويأتي السد في المرتبة الثالثة في قائمة مسببات العمى في الولايات المتحدة.

قبل عقد كانت ازالة السد عملية خطرة تستغرق وقتاً طويلاً. وفي أواخر السبعينات، استكملت طريقة جديدة أتاحت لاطباء العيون ازالة العدسة التالفة من العين بواسطة ابرة وابدالها بعدسة اصطناعية من البلاستيك الخاص المسحوق تسمى طبياً "عدسة داخل المقلة" (٣).

وتجرى الجراحة في المستشفى أو المستوصف أو في عيادة طبيب، ويستخدم فيها تخدير موضعي. ويعود معظم المرضى الى بيوتهم في اليوم ذاته. ويتجاوز معدل نجاح الجراحة ٩٥ في المئة.

جراحات بالجملة. معظم الناس يصابون بسُدّ اذا طال عمرهم الى حد معيّن. ويقدر أنه يتم اجراء ١،٣ مليون جراحة سد سنوياً في الولايات المتحدة وحدها، وهي الجراحة الاكثر شيوعاً التي تعنى بها سلطات الضمان الطبي. وهذا الواقع يجعل منها هدفاً للاستغلال.

(٢) Metabolic defect

(٣) Intraocular lens «IOL»

ان جشع بعض جراحي العيون يكاد لا يصدّق. في لوس انجلس بكاليفورنيا، جمع طبيب العيون هوزيه مينايا ألوف الدولارات من طريق تقديم بيانات تعويض مزورة عن نفقات جراحات سد. ودين مينايا بالسرقة والابتزاز من الدرجة الاولى وحكم عليه بالسجن ٤ سنوات وغرّم ٧٠ ألف دولار. وهناك ١٧ مريضاً في أقل تقدير فقدوا بصر عين واحدة أو عينين على يدي مينايا وأقاموا ضده دعاوى قضائية. ولكن تمت تسوية كل تلك القضايا خارج المحكمة بواسطة شركة تأمين.

في بورتسموث بأوهايو أجرى طبيب العيون دويل كامبل علاجات لا قيمة لها بأشعة ليزر، واحتال على الحكومة بأكثر من ١٠٠ ألف دولار بتقديمه طلبات زائفة لمساعدات طبية. وقد دين بـ٣٥ تهمة احتيال على سلطات الضمان الطبي بجراحات زائفة او غير ضرورية. وحكم عليه بالسجن ١٤ شهراً وغرم مبلغ ٧٥ ألف دولار.

بموجب قوانين سلطات الضمان الطبي، في امكان جراحي العيون أن يجروا العدد الذي يشاؤون من جراحات السد يومياً. ويبلغ معدل أجر الجراحة ٢٠٠٠ دولار. وبعض الاطباء أقاموا نظام "تجميع عمليات." وأحد هؤلاء الكبار في فلوريدا يستخدم ثلاثة معاونين يبضعون عيون المرضى ويخيطونها. ويتنقل هو مهرولاً من غرفة عمليات الى أخرى في عيادته ينتزع العدسات التالفة ويزرع مكانها العدسات الجديدة. ويترك أمر الاعتناء بالمرضى بعد الجراحة الى تقنيين غير مدربين يفتقرون الى الخبرة الجراحية. وفي العام ١٩٨٤ قدم بياناً الى سلطات الضمان الطبي بأكثر من ٥٠٠٠ جراحة عيون وقبض مبلغاً ضخماً بلغ ٦،٤ ملايين دولار.

لكنه ليس منفرداً في هذا المجال. ففي كارولينا الشمالية يفاخر أحد جراحي العيون بأنه أجرى ٥٤ جراحة سد في يوم واحد. ويقول الدكتور سكوت باورز، وهو طبيب عيون مرموق ورئيس سابق لجمعية طب العيون في شرق كارولينا: "اكره أن يكون رقمي ٥٤ في ترتيب العمليات."

متاجرة بالجراحة. في سبيل اجتذاب المرضى، يعمد بعض الاطباء الجشعين الى توزيع كراريس واعلانات تعد بتوفير "فحوص مجانية وجراحات مجانية وعناية مجانية بعد الجراحة."

في احدى مقالات المجلة الطبية "نيو إنغلند جورنال أوف ميديسين" تساءل الدكتور كورتيس مارغو من كلية الطب بجامعة جنوب فلوريدا: "هل في امكان أولئك الاطباء الذين ينفقون المبالغ الطائلة في محاولة للمتاجرة بالجراحة، الحكم بتجرّد من هو المريض الذي يحتاج الى جراحة؟"

وقد وجد محققو لجنة شكلها مجلس النواب أن كثيرين من جراحي السد يقبضون مكافآت من صانعي العدسات لكي يزرعوا في عيون مرضاهم عدسات من انتاجهم. وشملت الرشاوى مبالغ نقدية تودع مصارف جزر الكاريبي ورحلات مجانية الى أوروبا ومنازل فخمة.

وبعض منتجي العدسات يقيدون

قبل أن توافق على جراحة السد

ماذا تعمل لوقاية نفسك من أطباء العيون الفاقدي الضمير والعديمي الكفاية؟ اليك رأي الخبراء في هذا الشأن.

● فتش عن طبيب عيون بارز. لا تهتم للاعلانات لان الجراحين ذوي الضمير الحيّ لا يلجأون الى مثل هذه الوسائل.

● قبل أن توافق على ازالة السد استمع الى رأي ثان. وتذكر دائماً أن لا داعي الى العجلة. يقول الدكتور سكوت بويرز: "في أي حال، يمكنك أن تنتظر سنة من دون خطر على عينيك."

● اسأل جرّاحك كم جراحة يجري في اليوم. سوف تأبى أن تكون قطعة في نظام تجميع. استعلم عن العناية المتوافرة بعد الجراحة. ان أطباء العيون الشرفاء ذوي السمعة الحسنة يؤمنون لك هذه الخدمة.

● استشر طبيب عائلتك. فاذا كنت تشكو، مثلا، من علة في القلب أو الرئتين أو الكليتين أو من السكّري، فقد يرغب طبيبك في اجراء الجراحة في المستشفى.

للاطباء والمستشفيات ٥٠٠ دولار ثمناً لعدسة لا تكلف أكثر من ٥٠ دولاراً، أي بربح نحو ألف في المئة. وبعض المستشفيات تضخّم الاسعار فوق ذلك ايضاً. وقد عمد أحدها الى قيد سعر عدسات لسلطات الضمان الطبي بـ٩٤٦ دولاراً، في حين كان اشتراها بـ٣٣٢ دولاراً. وتدفع السلطات غالباً هذه الاسعار المضخمة من دون تردد. ويقدر محققو الكونغرس ان سلطات الضمان الطبي تخسر ١٠٠ مليون دولار سنوياً نتيجة الزيادات الضخمة على ثمن العدسات.

عام ١٩٨٤ حددت الادارة الحكومية كل حالة تستدعي دخول المستشفى. ولكن بقيت ثغرة في القانون الجديد، فقد ظلت معالجة المرضى في العيادات خارجة عن المراقبة.

فنتجت من ذلك حالات شاذة، اذ ان سلطات الضمان الطبي قد تدفع للمستشفى ٦٥٠٠ دولار على جراحة سد يلزم فيها المريض المستشفى ثلاثة ايام، ولكن يتسنى للمستشفى ان يقبض هذا المبلغ ذاته على جراحة تجرى في عيادة خارجية تابعة له.

قال ريتشارد كوسيروف المفتش العام في وزارة الصحة والخدمات الانسانية بالولايات المتحدة: "من الصعب أن نصدّق ذلك، فكلنا يعلم أن كلفة اجراء هذه الجراحة في عيادة خارجية هي أدنى كثيراً من كلفتها ضمن المستشفى."

وجد الدكتور كوسيروف حليفاً قوياً في الجمعية الاميركية لاطباء العيون التي شنت حملة خاصة ضد الجراحات غير الضرورية والاعلانات المضلّلة والرشاوى. وأقرّت الجمعية ميثاقاً اخلاقياً صارماً وأرسلت ١٥٠ تحذيراً الى الاعضاء الذين تبين أنهم ينتهكون هذا الميثاق.

ولكن هناك هيئات طبية كثيرة في

الولايات تأبى معاقبة الاطباء بقساوة. ومن الواضح أن ثمة حاجة الى قوانين أكثر تشدداً في شأن جراحة السد. وقد خفض الكونغرس الامريكي البدلات التي تدفعها سلطات الضمان الطبي لزرع العدسات نحو ١٢ في المئة، وأمر بتنظيم جدول بدلات ثابت لجميع خدمات الاطباء، بما فيها جراحة السد، وانجازه قبل شهر يوليو (تموز) ١٩٨٩.

وفي سبيل كبح الجراحات التي لا لزوم لها وضع برنامج جديد يقضي باخضاع المريض بالسد لكشف جراحي رسمي للتأكد من حاجته الفعلية الى الجراحة.

يقول السناتور أورين هاتش عضو لجنة مجلس الشيوخ لشؤون العمل والطاقات البشرية: "ان النظر ثمين الى حد يفوق التعبير بالنسبة الى المسنين. فعلى سلطات الضمان الطبي أن تعمل كل ما تقدر عليه لمساعدتهم وحمايتهم."

دونالد روبنسون ■



فنّ النجاح

قال توماس ج. واتسون الابن، الرئيس التنفيذي السابق لمؤسسة «IBM»:

"أهم مساهمة قدمتها الى المؤسسة هي قدرتي على انتقاء الرجال الاقوياء والاذكياء ورصّ صفوفهم بالاقناع، والاعتذار، والحوافز المالية، والتحادث غير المتكلّف مع أفراد عائلاتهم، والاهتمام بهم عندما يمرضون أو يتعرّضون لحادث، وعمل ما في وسعي لجعل هذا الفريق يعتقد أني شخص لائق. كنت أعرف أني لا أستطيع مضاهاتهم كلهم على الصعيد الفكري، لكنني اعتبرت اني اذا استخدمت كل الامكانات المتاحة لي، استطعت مجاراتهم.

"ما ترددت قط في ترقية من لا يعجبني. فالمساعد اللطيف الذي تروقك رفقته في رحلة صيد هو شَرَك خطير. وبدلا منه جعلت نظري على أولئك الاشخاص اليقظين غير المتملّقين الذين لا يروقك منظرهم لكنهم يقولون لك كيف تسير الامور على حقيقتها. فاذا استطعت أن تجمع ما يكفي منهم حولك، وتحلّيت بالصبر لتستمع الى آرائهم، فلا حدود لما يسعك بلوغه من نجاح."

ف.ت.

المثابرة أمّ الاختراع

يقول ويلسون غريتباتش مخترع ناظمة نبض القلب القابلة للزرع: "أهم ما يميزني عن غيري من الناس هو المثابرة، وأعتقد أن هذه الميزة تنطبق ايضا على كثيرين من المخترعين والمكتشفين.

"ان العامل الاكثر أهمية هو أن تنظر الى الشيء متسائلا عما يجعله يعمل، وهل يمكن تحسينه. فالاختراع يتطلب فضولا وحوافز وعجزاً عن اليأس. والمخترع هو ذلك الذي لا يبدأ اهتمامه الفعلي بمشكلة ما الا حين تبدو مستحيلة."

ك.ب.



ان بيع سيارتك القديمة بسعر تستحقه قد يكون أسهل مما تظن

الطريقة الفضلى لبيع سيّارتك المستعمَلة

لدى شرائك سيارة جديدة قد ترغب في بيع سيارتك المستعملة. وللحصول على أعلى ثمن ممكن اليك ما يجدر بك أن تفعله:

التحضير. يعتقد معظم الراغبين في الشراء أن مظهر السيارة يدل على جودتها. خطوتك الاولى هي غسل السيارة وصقلها. بعد ذلك نظف الداخل واستعمل الشامبو لتنظيف السجاد والمقاعد. وتخلّص من المحتويات القبيحة أو التالفة أو المقعقعة.

وسواء أكانت السيارة عصرية أم كلاسيكية، فعليك انجاز عمل يحتاج الى خبرة: تنظيف الثقوب الصغيرة والشقوق بالقطن، وطلاء المساحات حيث تلف الدهان، وتلميع الاطارات والصفحات البلاستيكية. ان مئة دولار تنفقها في

التحسين ستزيد الرغبة في شراء سيارتك. فتش عن زبائن في الاعلانات المبوبة في الصحف، او اسأل مالك مرأب لتصليح السيارات أو محطة للغسل أو وكيل بيع سيارات جديدة.

لا تنسَ غيار الزيت وفحص السوائل والتشحيم وضبط المحرّك، لانها تعكس العناية الجيدة بالسيارة. ومن الضروري إصلاح اطار مثقوب أو قفل مكسور، ولكن يُنصح بتفادي الاصلاحات الكبرى لأنها لا تأتي بربح يذكر. واحرص على اصلاح القطع التي تشكل خطراً على السلامة، كالكوابح التالفة. واذا لم تصلحها فعليك أن تنبه الشاري الى الاخطار المحتملة من جرائها.

لدى بيع سيارة يقل عمرها عن ثلاث سنوات أو لم تتجاوز قيادتها ٤٠ ألف كيلومتر نتفادى غالبا إبدال القطع التالفة كالاطارات والكوابح. وحين يصل عمر السيارة الى ست سنوات او تقطع ٧٠ ألف كيلومتر ترتفع نفقات اصلاحها.

التثمين. لتحديد ثمن سيارتك اطّلع أولا على المنشورات التي تعلن أسعار السيارات القديمة.

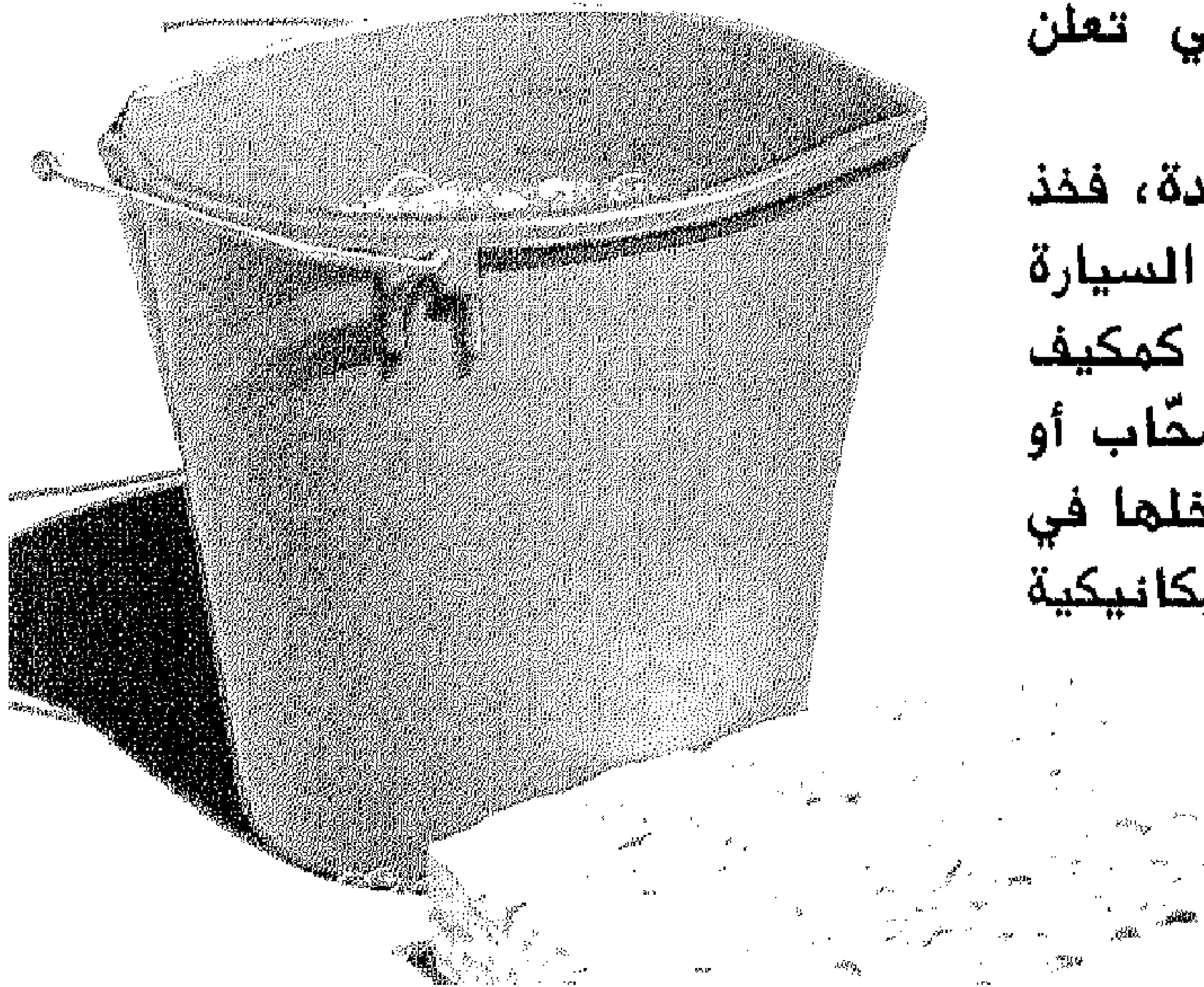
ان لكل سيارة ميزاتها الفريدة، فخذ في الاعتبار عوامل أخرى. ان ثمن السيارة يزداد اذا كانت مجهزة بزوائد، كمكيف هواء أو آلة تسجيل أو سقف سحّاب أو نوافذ آلية، واذا كان طلاؤها وداخلها في حال ممتازة وكانت الاجزاء الميكانيكية تحظى بصيانة جيدة.

ويحدد ثمن السيارة تبعاً لاحوال السوق المحلية. اسأل اثنين أو ثلاثة من وكلاء بيع السيارات الجديدة كم يدفعون ثمناً لسيارتك المستعملة في حال ابدالها بأخرى جديدة. وأضف نحو ١٥٠٠ دولار (لسيارة من الطراز الحديث) فتحدد الثمن الذي يجدر بك أن تطلبه.

وهناك وسيلة ثانية لمعرفة أسعار البيع، هي الاطلاع على الاعلانات المبوّبة في الصحف. فباعتماد السعر الوسط بين أعلى الاسعار وأدناها تكوّن فكرة صائبة عن الثمن المعقول الذي يجب أن تطلبه.

ان بعض الذين يعرضون سياراتهم للبيع يحددون سعراً معقولا ويتشبثون به من دون مساومة. ولكن من المستحسن فسح المجال لاحتمال خفض الثمن وإن قليلا، فترفع السعر الذي تريده نحو ٥ في المئة كهامش احتياط للمساومة.

الاعلان. حين تنشر اعلاناً في الصحف ضمِّنه المعلومات الاساسية الكاملة: نوع السيارة وطرازها وتاريخ صنعها وعدد أبوابها ونوع ناقل الحركة



(أوتوماتيكي أم يدوي) وعدد الكيلومترات المقطوعة وحال السيارة والثمن المطلوب ورقم الهاتف.

ويعمد البعض الى اخفاء عدد الكيلومترات التي قطعتها السيارة أو تجاوز الاشارة اليها أملا باقناع الزبون. لكن إغفال المعلومات الاساسية يثني الزبائن المحتملين عن الاستعلام عن السيارة.

أذكر في الاعلان أوصافاً جذابة مثل "سيارة ذات لونين ناعمين متناسقين." وقد يكون لعبارات مثل "محفوظة في مرأب" و"مالك واحد" أثر مرغّب في الشاري. تجنب تعابير مثل "نظيفة فوق العادة" وذكر ثمن "ذكي" مثل "٥٧٩٩ دولاراً" لان ذلك يظهرك كوكيل بيع.

الاتصالات. سجّل أرقام هاتف الراغبين في الشراء الذين يتصلون بك لكي تسهل عليك مراجعتهم.

كن صادقاً واذكر للزبون أي علة في السيارة، لان معرفتها السابقة تهوّن وقعها عليه. فما من أحد يرتجي أن تكون السيارة المستعملة في حال كاملة، لكن اكثر الناس يأملون أن يجري التعامل معهم بصدق وأمانة.

لا تخجل من لفت الانتباه الى مزايا سيارتك، ولكن لا تظهر شديد الرغبة في البيع. فاذا كانت عنايتك بالسيارة ممتازة أطلع الشاري على ذلك، فسجلات الصيانة تترك انطباعاً واقعياً مقنعاً. لا تُخفِ عن الشاري ذكر الاصلاحات الرئيسية التي أجريتها في السيارة.

اذا رغب الزبون في قيادة السيارة لاختبارها فاطلب أن ترى رخصة السوق، واذهب معه أو احتفظ بمفاتيح سيارته. اذا تعرضت السيارة لحادث عندما يقودها غيرك فأنت المسؤول قانوناً.

قد يطلب الشاري أن يفحص السيارة لدى أحد الميكانيكيين. يمكنك رفض طلبه في حال اعتقادك أنك قادر أن تبيعها من غير فحص. أما اذا قررت السماح بفحصها فاطلب مبلغاً من المال كتأمين يستعاد اذا لم تكن حالها مرضية. وفي جميع الحالات رافق الشاري خلال فحصها.

البيع. في حال الاتفاق على الثمن أطلب عربوناً غير قابل للرد كضمان للبيع بحدود ٥٠ دولاراً أو ما تراه مناسباً، ولبضعة أيام. واذا طلب الشاري مهلة أطول فاطلب عربوناً أكبر.

أطلب من الشاري أن يدفع الرصيد نقداً أو حوالة. وقبل اتمام الصفقة نظم سند بيع يفيد أنك بعت السيارة "كما هي ومن دون أي ضمانات حاضراً أو لاحقاً." واحتفظ بنسخة منه موقعة من الشاري.

وقد يغيّر رقم لوحة السيارة أو يبقى كما هو في دائرة تسجيل السيارات لدى نقل الملكية. واذا لزم الامر فيجب إعلام الدائرة أن السيارة بيعت، فتعفي نفسك من المسؤولية منذ تاريخ بيعها.

اذا أحسنت التهيئة فقد تجد أن بيع سيارتك اختبار سارّ. فما عليك الا أن تبرزها بحلّة لامعة بهجة، وتطلب الثمن المعقول، وترى المالك الجديد يمضي بها مغتبطاً مطمئناً.

رون جانوس ■

حديقة أفكار

- تكلّم ببطء وبصوت منخفض ولا تُسهب.

جون وين، ممثل أمريكي

- لعل أكثر ما يرضي الانسان أن يرى لاولاده أولاداً مراهقين.

د.ل.

- لا ينجح أحد بالموهبة فقط. الله يعطي الموهبة، والعمل يحوِّلها عبقرية.

آنا بافلوفا، راقصة روسية

- لا تنتظر النجاح اذا بقيت محتمياً تحت شجرة العائلة.

ك.م.

- اذا تعذر عليك الفوز، إجعل من يسبقك يكسر الرقم القياسي.

ج.م.

- ليست الاشاعات الكاذبة وحدها مؤذية، فهناك حقائق كثيرة لا يجوز تناقلها.

ف.ك.

- يمكنك الاعتراض على السلطة، ولكن إرفع اصبعك أولا.

ب.ت.

- في الطقس امثولة لنا، فهو لا يعير النقد انتباهاً.

ن.د.ك.

- أعظم الفنون فن العيش المشترك

وليم ليون فليس، مربٍّ وناقد أدبي

- وافِق دائماً على ما يُطلب منك قبوله، ثم حوِّله لمصلحتك.

روبرت فروست، شاعر غنائي

الألماس
نار في جليد



"ما دام الحب يجمع الرجال والنساء
فلا خوف على مستقبل الالماس"
سيسيل رودس

في الثاني من ابريل (نيسان) ١٩٨٧ كانت النجمة السينمائية اليزابت تايلور تذرع أرض بيتها في بيل اير بكاليفورنيا وسماعة الهاتف في يدها. وفي اللحظة ذاتها في مدينة جنيف بسويسرا كان دلال يفتتح مزاداً علنياً على مجموعة رائعة من المجوهرات ندر عرض مثلها للبيع. وكانت هذه المجوهرات تخص دوقة وندسور الراحلة، وقد صيغ معظمها بطلب شخصي من الدوق الذي تخلى عن عرش بريطانيا من أجلها.

أما القطعة التي انجذبت اليها اليزابت تايلور فكانت مشبكاً للشعر من الذهب الخالص مرصعاً بالالماس في شكل شعار أمير ويلز وتاجه. كان المزاد يجري بحماسة الى ان رفعت تايلور عرضها الى

٥٦٠ ألف دولار، فانسحب المزايدون ورسا عليها المزاد. وقد صرحت تايلور أخيراً بأنها كانت على استعداد لدفع مبلغ ٧٠٠ ألف دولار ثمناً للمشبك.

إن سر هذا الحب التاريخي، اضافة الى ثبات قيمة المجوهرات العظيمة، ولد تأثيراً غريباً في جنيف تلك الليلة أدهش محترفي تجارة المجوهرات. وقد أسفرت عملية المزاد عن مبلغ صافٍ بلغ ٢٧٠ مليون فرنك(١) لمصلحة معهد باستور الباريسي وهو المستفيد الرئيسي من وصية الدوقة.

وبعد المزاد بأقل من شهر اجتمع شراة محترفون في مدينة نيويورك في احدى غرف "كريستي" التجارية وهو مركز عالمي آخر للمزاد، للمزايدة على ألماسة لا تتجاوز حجم ألماسة خاتم خطبة، أي ٠،٩٥ قيراط. أما قيمتها فتعود الى لونها الاحمر القاتم النادر الوجود. وقد اشتراها تاجر سويسري بمبلغ ٨٨٠ الف دولار أي ما يعادل ٩٢٦ الف دولار للقيراط الواحد، وهذا اكبر مبلغ دفع للقيراط في تاريخ المزادات على الجواهر.

يعتقد جوزف شلوسيل من "مكتب تسجيل الالماس" في نيويورك أن الالماس سجل عودة بارزة الى الواجهة مع مطلع الثمانينات عندما دفع التضخم المالي الاسعار الى ارتفاع خيالي فبلغ سعر القيراط الواحد من الالماس الجيد نحو ٦٠ ألف دولار. بعد ذلك عرف العالم فترة ركود في مبيعات الجواهر، فانخفضت الأسعار بنسبة ٨٠ في المئة. أما اليوم فقد عادت الاسعار الى الارتفاع وعاد الالماس الصديق المفضل للقادرين، الى كونه رمزاً لعصر رومانسي جديد.

في السنة الماضية (١٩٨٧) عمد ٧٥ في المئة من العرسان في الولايات المتحدة الى شراء خواتم خطبة الماسية لزوجات المستقبل، والنسبة ذاتها من العرائس اليابانيات يتلألأن بالالماس على رغم عدم وجود كلمة "ألماس" في اللغة اليابانية حتى مطلع هذا القرن. وعلى صعيد عالمي سجلت تجارة الجواهر الالماسية رقماً قياسياً جديداً عام ١٩٨٦ هو ٤٤،٦ مليار دولار لتسعة وأربعين مليون قطعة بيعت بالتجزئة (القطاعي). وكما قال سيسيل رودس مؤسس شركة "اتحاد مناجم دي بيرز" وأحد عمالقة المناجم والموزع الاول لمادة الالماس الخام: "ما دام الحب يجمع الرجال والنساء فلا خوف على مستقبل الالماس."

لقيات مثيرة. يشع الالماس على اصبعك بنار الطبيعة الاولية. منذ ثلاثة مليارات سنة والالماس يتكون عميقاً في طيات الارض من مادة الكربون النقي بفعل حرارة البراكين وضغطها. وهو أصلب مواد الطبيعة. جميع الالماسات تتكون داخل أنابيب عمودية في الصخر تدعى "كمبرليت" أو "لامبرويت"(٢) ثم تدفع الى أعلى مع كر الدهور.

بدأت أولى عمليات استخراج الالماس في الهند في حقبة ما قبل الميلاد. وفي أواسط القرن السابع عشر ذهب جان باتيست تافرنييه، وهو صائغ فرنسي

(١) الدولار الامريكي يعادل اليوم نحو ٦،٥ فرنكات فرنسية.

(٢) Kimberlite or lamproite

تابع للقصر الملكي، في رحلة على ظهور الجمال الى بلاد فارس والهند بحثاً عن الالماس الذي عاد به وقدمه الى سيده الملك لويس الرابع عشر. وقد ساهم تافرنييه في تكريس الالماس رمزاً للاناقة والترف في أوساط العائلات الاوروبية النبيلة.

وعندما أوشكت المناجم الهندية على النضوب اكتشف رحالة برتغاليون ألماساً في البرازيل عام ١٧٢٥. وطوال مئة وخمسين سنة استخرجوا معظم ألماس العالم الجديد من ترسبات نهرية. وفي العام ١٨٦٦ وجد اراسموس جاكوبس، وهو مزارع شاب، حصاة لماعة قرب نهر أورانج في جنوب افريقيا. وتبين أن هذه الحصاة هي ألماسة خام تزن نحو ٢١،٢٥ قيراطاً(٣). بعدئذ بدأت هجمة كبيرة على المناجم. ونبش المنقبون أكبر حفرةٍ من صنع الانسان قرب كمبرلي. وأخيراً ضُمت الملكيات الصغيرة المحفورة لتؤلف شركة "مناجم دي بيرز المتحدة." حدث ذلك قبل مئة عام.

قدمت مناجم جنوب افريقيا معظم جواهر العالم الخلابة. وفي العام ١٩٠٥ استخرجت الألماسة "كالينان" التي تزن ٣١٠٦ قراريط وتعتبر أكبر ألماسة خام وجدت الى الآن. استخرجت هذه الالماسة من أحد جدران "المنجم الرئيسي" في جنوب افريقيا وقدمت هدية الى الملك ادوارد السابع لمناسبة عيد ميلاده السادس والستين عام ١٩٠٧. وقد صنعت من هذه الالماسة تسع جواهر كبرى و٩٦ جوهرة صغيرة. وأكبر جوهرتين في هذه المجموعة، وهما "نجمة افريقيا" و"نجمة افريقيا الثانية"، هما اليوم بين معروضات جواهر التاج التي تبهر الزائرين وتشدهم الى برج لندن.

طلع مع النمل. ان انجذاب العالم بوهج الالماس وبريقه وسره يؤمن وظائف لاكثر من مليوني شخص في العالم. ويستخرج الالماس تجارياً في نحو عشرين بلداً. ويقص ويصقل في نحو ثلاثين بلداً آخر. إن بوتسوانا في افريقيا الجنوبية هي رائدة في انتاج الالماس الصالح للجواهر، ويدر عليها بيع الالماس الخام اكثر من ٧٥ في المئة من عملاتها الاجنبية. ولقد اكتشفت حقول الألماس



من مجوهرات التاج البريطاني: التاج الامبراطوري ورأس الصولجان.

(٣) الاونصة تعادل ١٤٢ قيراطاً والغرام يعادل خمسة قراريط.

فيها عام ١٩٦٧ عندما لاحظ المنقبون في صحراء كالاهاري فتات ألماس في كثبان النمل، إذ ان النمل نبش هذا الفتات من عمق ثلاثين متراً خلال بحثه عن الماء.

وفي العام ١٩٧٩ غطى هذا الاكتشاف اكتشاف آخر في اوستراليا الغربية حيث وجد عمال المناجم أنبوباً صخرياً دعي "أرجيل" واعتبر على الفور أكبر مخزن للالماس في العالم على الاطلاق. وفي ١٩٨٦ و١٩٨٧ انتجت أوستراليا نحو ٣٠ مليون قيراط من الالماس، أي ما يعادل ثلث انتاج العالم.

وقد اكتشفت شركة "بريدج أويل" الاوسترالية ألماسات في مستعمرة غينيا الفرنسية في غرب افريقيا يزيد وزن الواحدة منها على مئة قيراط. وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧ بيعت في مدينة أنفير ببلجيكا ألماسة غينية رائعة تزن ١٤٣ قيراطاً، بمبلغ ضخم بلغ ثلاثة ملايين و٦٥٤ الف دولار.

ان قرابة ٨٥ في المئة من الالماس المستخرج حديثاً في العالم تتجمع في لندن لدى المكاتب الرئيسية لمؤسسة "دي بيرز." وداخل غرف منورة بنوافذ شمالية توفر افضل نور ممكن، في مبنى محصن في شارع تشارترهوس، يجلس نحو ٦٠٠ مصنف للالماس الخام، فيتفحصون الحجار من خلال عدسات مكبرة ويصنفون كل حجر بحسب لونه وشكله ونقاوته. وتتراوح ألوان معظم ألماس الجواهر بين بياض ثلجي ناصع وصفار شاحب. ويعتمد صانعو الجواهر طريقة الحروف الأبجدية في التعريف بألوان الالماس، مبتدئين بالحرف «D» الذي يرمز الى البياض الناصع ومنتهين بالحرف «Z» . ويعتمدون الطريقة نفسها في تصنيف الحجار الملونة: الزهرية والحمراء والزرقاء والصفراء والخضراء والبنية.

أما النقاوة فتعود الى علامات "خِلقية" أو ضمنية طبيعية تتمتع بها جميع الالماسات تقريباً. وكلما قلّت هذه العلامات وصغرت ارتفعت قيمة الالماس. فعبارة "لا تصدع" تعني ان الالماسة خالية من أي شق مرئي تحت عدسة مكبّرة عشر مرات. وبالفعل فان ألماسة واحدة من أصل خمس تتحول جواهر، أما الالماسات الاربع الاخرى فتستعمل لاغراض صناعية.

نور ونار . يعمل موظفو المركز الرئيسي لشركة "دي بيرز" على توضيب تشكيلة من الحجار الخام في أكياس ورقية بغية بيعها من زبائن خبراء في الالماس. معظم هؤلاء الزبائن يأتون من مراكز رئيسية في العالم تختص بقص الالماس وصقله، أهمها بومباي وأنفير ونيويورك. وفي الايام المخصصة للمشاهدة - وهي عشرة في السنة - يدخل الزبون غرفة خاصة حيث يلقي نظرة اولى على الالماسات الموضبة. أما أسعارها فتكون عادة بملايين الدولارات وتصل احياناً الى ٢٥ مليوناً.

يشرح كارلوس دومابر، المدير الاداري لمصانع "لانس" للالماس في مدينة بيرلار في بلجيكا، الخطوة الاولى في عملية تصنيع الالماس، فيقول: "ان معظم الالماسات الخام يجب أن تنشر أو تشق

لتصبح حجاراً هندسية الشكل جاهزة لعملية الصقل الاخيرة. أما المنشار فهو أسطوانة رقيقة غير مسننة من البرونز الفوسفوري مطلية بزيت الزيتون وغبار الالماس، وهي بدورانها السريع الذي يبلغ ١٥ الف دورة في الدقيقة تقطع الحجار المثبتة على الآلات.

وعملية شق الالماس أسرع من نشره لكنها أشد خطورة. يستعمل الاختصاصي ألماسة أخرى أو أشعة لايزر ليحفر ثلماً صغيراً في الالماسة الخام، ثم يضع سكيناً تشبه الازميل فوق الثلم وينقر نقرة واحدة، فإن حالفه الحظ انشقت الالماسة عند الثلم من دون أي خسارة، والا انكسرت وتبعثرت شظايا صغيرة.

وفي مصانع "الاخوة تراو" في أنفير يعمل ليو دي فوس، أحد صاقلي الالماس، بتأن على طلي أسطوانة الصقل بغبار الالماس الممزوج بالزيت واللعاب لصقل ألماسة خام تزن ٨،٢ قراريط. فيبدأ بقطع سطحها ٥٨ "وجهاً" مصممة بدقة وفقاً لمعادلة رياضية بحيث تعكس أكبر مقدار من النور، أو "النار". وفي النهاية، بفضل مهارته وابتسام الحظ له، ينهي ليو عمله منقذاً نحو ٤٥ في المئة من الالماسة الخام في شكل جوهرة جميلة.

على رغم أن الحجار الكريمة ذات النوعية الجيدة تحتفظ بقيمتها المادية على مر السنين، فإن قلة من الاختصاصيين بالالماس ينصحون بشراء هذه الجواهر استثماراً أو توظيفاً للاموال. وفي العام ١٩٨٧ بيّنت مؤسسة "الاخوة سالومون" التي تتعاطى السمسرة والاعمال المصرفية في نيويورك أنه، خلال مدة خمسة عشر عاماً، ارتفع سعر الالماس بمعدل ٤،١ في المئة سنوياً فقط.

استعمالات شتى. ليس بالمال وحده تقاس قيمة الجواهر الجيدة. وقد نقل عن هاري ونستون وهو صانع جواهر شهير في مدينة نيويورك، أنه اشترى ألماسة خاماً تزن ١٠٠ قيراط فصنع منها جوهرة فاتنة على شكل إجاصة وباعها من احد الاثرياء العرب. وفي السنة التالية أعاد الشاري الجوهرة مطالباً بقيمتها المادية. فسأله ونستون مندهشاً: "لماذا تعيدها يا سيدي؟ انها ألماسة جميلة." فأجابه الثري: "لدي أربع زوجات. فان أهديت هذه الجوهرة الى احداهن فلن أنعم بالسلام مدى الحياة، إلا إذا كانت لديك ثلاث جواهر أخرى تشبهها." فهز ونستون رأسه واستعاد الجوهرة طائعاً.

والى قيمته كجوهر يتميز الالماس بمواصفات صناعية لا تحصى. فالإبر ذات الرؤوس الالماسية تحسّن صوت الفونوغراف. والمناشير ذات الحد الالماسي تقطع الصلب والرخام. والحفارات الالماسية تخترق الصخر وتصل الى ترسبات النفط. وجراحو العيون يستعملون شفرات ذات حد ألماسي في الجراحات الدقيقة. أما علماء وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) الذين صمموا المركبة الفضائية "بيونير" لتخترق أجواء كوكب الزهرة، فقصّوا ألماسة طبيعية تزن ٢٠٥،٤ قراريط لصنع سبع نوافذ للمركبة لم يتجاوز عرض الواحدة منها ٢،٥ سنتيمتر لكنها قوية بحيث تتحمل جو

كوكب الزهرة الحار الخانق وتكون في الوقت ذاته شفافة جداً تسمح بعمل معدات الابحاث.

وقد استخدم الالماس الاصطناعي، ولا يزال يستخدم، في مجالات عدة. واليوم طور العلماء طريقة ترسيب غشاء من الالماس الاصطناعي على مواد كالسيليكون والمعادن. ويعتقد كارل سبير من جامعة بنسلفانيا أنه يمكن استعمال هذا الغشاء لصنع رقاقات(٤) للدماغ الالكتروني أكثر فاعلية، وأدوات صلبة تحسّن الاتصالات السلكية في الفضاء وفي ظروف اشعاعية مكثفة.

وعلى رغم انتشار صناعة الالماس الاصطناعي فإن الاقبال على الالماس الطبيعي يظل أكبر. ويتكهن بيتر ميلر، وهو محلل لمؤسسة "شيرسون لاهمان" في لندن، بأن مبيعات المجوهرات الالماسية ستزداد. وكتب عام ١٩٨٧: "واضح جداً أن سوق الالماس هي اليوم في المراحل الاولى لطور تصاعدي."

الالماس عجيبة من عجائب الطبيعة، ولا يزال يمتلك القدرة على تأدية دور مفيد، وسيبقى رمزاً للحب والثروة.

روبرت باركر ■

(٤) Chips



الممرضة مرتاحة!

أنا ممرضة، وأسهر دائماً على ابقاء جسم المريض في وضع سليم على شراشف ممهَّدة. وقد لاحظت ذات يومٍ مريضة منزلقة حتى منتصف سريرها وقد تبعثرت الملاءات تحتها، فعرضت عليها ان أنهضها وأسوّي شراشفها، لكنها احتجت قائلة إنها على ما يرام. غير أني أصررت على تسوية وضعها.

وبعد إنهائي المهمة شعرت بالفخر لمعالجتي الامر بجزم. حينئذ سألتني المريضة: "هل أنا مرتاحة الآن؟"

د.ب.

"ثقة" بالنفس

كنتُ أتحدث مع رفيقتي في الصف حول الرسالة التي سيقدمها كل طالب في نهاية الفصل. فاشتكت قائلة: "لا أعرف كيف أعالج موضوع رسالتي. ليتني أكثر ذكاء. انه موضوع صعب فعلا، ولا أظنني قادرة عليه."

فسألتها أي موضوع اختارت، فأجابت: "الثقة بالنفس."

ك.أ.

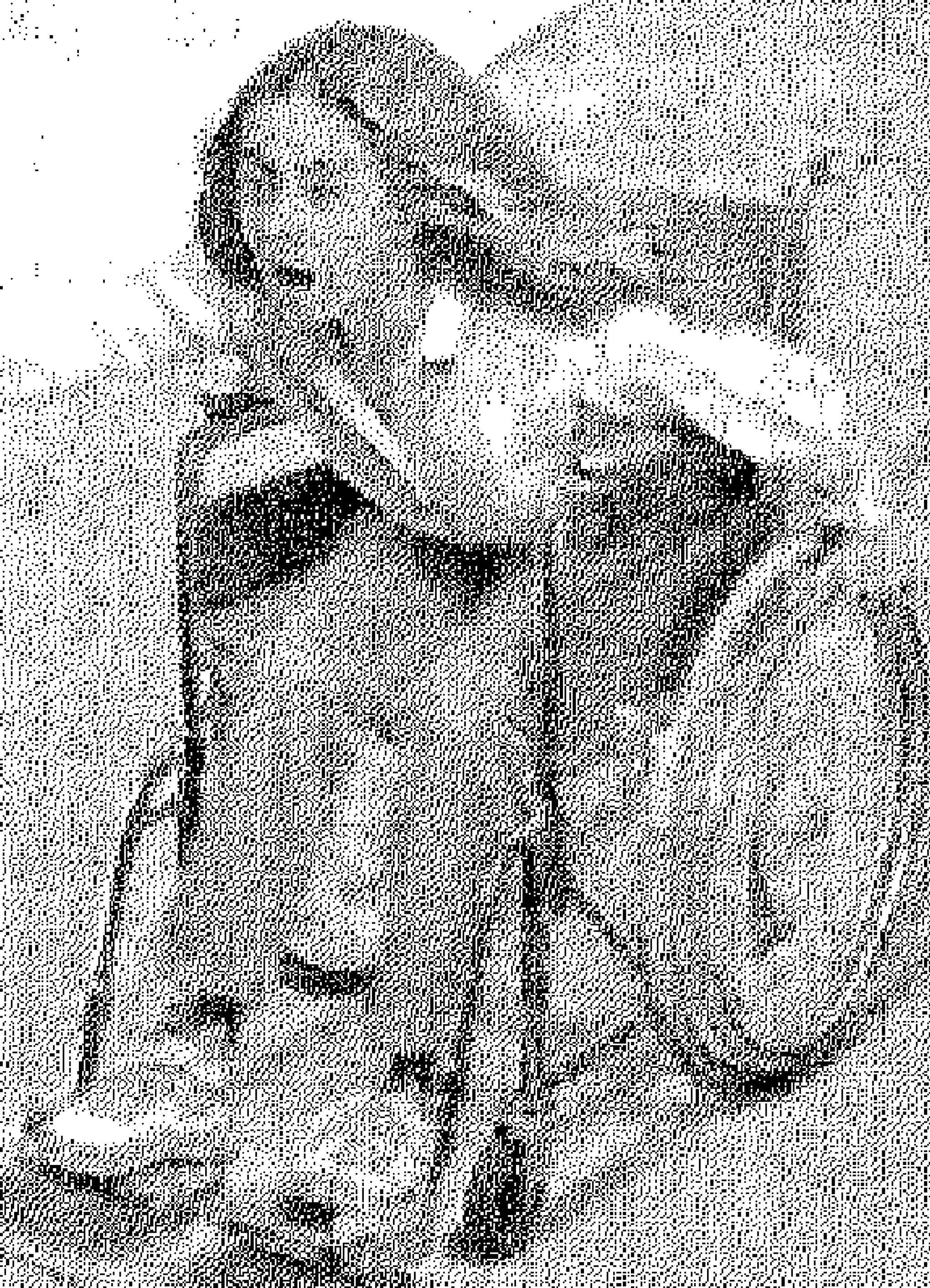
سيئة الحسنات أن لها نهاية، وحسنة السيئات أنها تنتهي أيضاً.

أ.ث.

مأساة واقعية

رأت الأم المقعدة طفلتها طافية في حوض السباحة ووجهها الى أسفل. فأدركت أن انقاذها في يدها هي وحدها

أمّ مقعدة وطفلة غريقة



بدأت شمس الصباح تدفىء هواء صحراء "إل ميراج" التي تبعد ١٤٠ كيلومتراً عن لوس انجلس. وجلست سندي دنلوب تراقب طفلتها كيلا البالغة من العمر سبعة عشر شهراً وهي تمرح مع "كروزر" كلب العائلة الوثّاب. كان ذلك في أحد أيام أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦، والمياه في مسبح العائلة باتت قارسة البرودة.

قطع جرس الهاتف على سندي (٢٩ عاماً) صفاء جلستها، وهي كانت مشلولة من صدرها حتى قدميها اثر تعرضها لحادث سيارة قبل اثنتي عشرة سنة. فأدارت كرسيها المتحرك متجهة الى أقرب هاتف في المرأب خلف الفناء. وكان المتكلم جارتها التي رغبت في الدردشة.

سمعت سندي فجأة صوت رشاش ماء، ففكرت: لا بدّ أنه كروزر ثانية. وكان الكلب يقفز الى المسبح تكراراً في اليوم الواحد. لكن سندي احست أن شيئاً ما لم يكن على ما يرام، اذ ان سكينة تامة عمّت المكان. قطعت المكالمة وأدارت دواليب كرسيها متجهة الى الفناء، حيث ارتعبت اذ رأت كيلا عائمة في حوض السباحة ووجهها الى أسفل، وكروزر المسعور يركض رواحاً وجيئة عند حافة المسبح وهو يحاول الامساك بالطفلة.

كادت سندي أن تفقد صوابها. فزوجها رون غادر المنزل قبل ساعات الى العمل، ومحله الخاص ببيع لوازم السيارات يبعد تسعين دقيقة في السيارة. وهي تعرف أن أقرب وحدة اسعاف طبي تبعد أربعين كيلومتراً، وأن أقرب جار يبعد قرابة ٨٠٠



متر. فقررت أخيراً وهي تدفع كرسيها عبر الممر المؤدي الى المسبح أن لا وقت لديها للاتصال بأحد. وقالت في نفسها: يجب أن أنقذ طفلتي بنفسي.

كانت سندي قادرة على السباحة، فقد اعتادتها في أيام الصيف كجزء من العلاج الطبيعي الذي اتبعته، لكن رون كان دائماً يساعدها في النزول الى الماء والخروج منه، اذ كانت تعوزها القوة لتحريك الجزء الاسفل المشلول من جسمها. كانت كيلا عائمة بعيداً في المسبح، فقالت سندي في نفسها: "كيف أستطيع أن أخرجها من الماء وأنا نفسي عاجزة عن الخروج؟

فكرت سندي في رون الذي أحب كيلا كثيراً وطالما أعرب عن ثقته بأن سندي تستطيع الاعتناء بطفلتهما في بيتهما المنفرد. وصدمها الوضع الصعب: هي وحدها تستطيع أن تنقذ كيلا، تلك الطفلة الاعجوبة التي قال بعض الاطباء ان عليها ألا تلدها أو انها قد لا تلدها أبداً.

لم يكن ثمة من وقت لايقاف الكرسي والنزول منه، ولا سبيل للوصول الى كيلا من حافة المسبح. وهكذا تابعت سندي طريقها واندفعت بكرسيها المتحرك الى الماء.

مزرعة الجدول الكسيح. ولدت سندي في مدينة سان بول بولاية منيابوليس. وفي السادسة من عمرها انتقل والداها الى بلدة سان برناردينو قرب بحيرة أروهيد في كاليفورنيا. وهناك ترعرعت حتى اصبحت فتاة هادئة متحفظة.

صباح التاسع عشر من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤، بينما كانت سندي تقود سيارة والدها "الجيب" الى المدرسة، اصطدمت بنتوء عند منعطف حاد. فقدت سندي السيطرة على السيارة وارتمت منها خارجاً. تحطمت أضلاعها الا واحدة، وتحطم مشطا كتفيها، وانهارت احدى رئتيها وثقبت الأخرى. أما أخطر ما في الامر فكان انكسار ظهرها وانقطاع حبلها الشوكي.

لم يكن المستشفى المحلي مهيأ لمعالجة اصابات بهذه الخطورة، فنقلت سندي جواً الى المركز الطبي في جامعة لوما لندا. وخلال الدقائق العشر التي استغرقها طيران المروحية، ومن ثم في لوما لندا، عمل الاطباء وعائلتها على ابقائها واعية. وظلت والدتها تحضها قائلة: "ابقي يقظة يا بنية." فهي أدركت أن جهاز التنفس المعطوب والمتلاشي في صدر ابنتها سيتوقف ان لم تحافظ على وعيها لكي تتنفس.

وفي دوّامة عالمها الرمادي شعرت سندي بأنها ملزمة أخذ قرار. كانت كأنها جالسة على سياج يخيّم الهدوء والظلام على جانب منه والحركة والضوء على الجانب الآخر، فاختارت بكل قواها الضجة والبهاء والحياة.

تلك الليلة وضع الاطباء على وجه سندي، وهي في شبه غيبوبة، كمامة تنفس، وأبلغوا والديها انهم قد يخفقون في انقاذها ان استمرت حالتها في التدهور. ابتهلت الام الى الله قائلة في نفسها: لقد كافحت ابنتي طوال النهار لتبقى حية، انها تستحق كل فرصة تمكنها من المواظبة على المحاولة.

أفاقت سندي فجأة في يومها الثالث في المستشفى وهي تلهث طلباً للهواء. شعرت كأنها تغرق، ونزعت كمامة التنفس عن وجهها. أما رئتاها الممزقتان فلم تتجاوبا. وكان أخوها الاكبر جف الى جانب سريرها فصرخ مستنجداً. واذ شرع فريق طبي في شق الرغامى (القصبة الهوائية) أخذت سندي تتخبط في فراشها.

تقدّم جف أمام الممرضات والاطباء محدقاً الى وجه سندي وهو يقول: "استريحي يا سندي، ودعيهم يعملون."

سمّرت سندي عينيها في عيني أخيها، ومرة ثانية اختارت الحياة. أرخت ذراعيها وأبقت رأسها هادئاً فيما الفريق الطبي يعمل على وضع كمامة تنفس جديدة. وأخيراً، تدفق الاوكسيجين الى رئتيها من جديد.

بعد سبعة أشهر أُخرجت سندي من المستشفى وبدأت كفاحاً طويلا مع الحياة، اذ كان الجزء السفلي من جسدها قد شُلّ تماماً. تطوعت للعمل في مكتبة مدرسة ابتدائية، وكموظفة بدوام جزئي في مؤسسة والدها للمقاولات الكهربائية. وكانت تقود سيارة ذات ضوابط يدوية.

أخيراً استغلّت مبلغاً من المال استوفته من شركة تأمين لشراء منزل بعيد في الصحراء. وهناك قررت أن تتقبل اعاقتها وتحيا من دون خوف. وأطلقت على مقامها اسماً غريبا هو "مزرعة الجدول الكسيح." وعاشت هناك طوال خمس سنوات وحيدة مستقلة. أما الذين قلقوا عليها فقالت لهم جازمة: "أريد أن أحيا حتى أموت."

عندما التقت سندي رون دنلوب خلال حفلة في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣ لم يخلّف أحدهما لدى الآخر انطباعاً قويا. حينذاك كان رون (٣٨ عاماً) يعاني آثار طلاق حديث، وكلاهما كان حذراً من اقامة علاقات. ومع ذلك وجد كل منهما مزيداً من الاعذار ليتصل بالآخر. وفي ربيع ١٩٨٤ أدركا أنهما مغرمان وتزوجا في وقت قريب. وعلى غرار سندي، وجد رون سلاماً في المزرعة، وعن طيب خاطر تقبّل الرحلة اليومية الطويلة الى مكان عمله.

بحث الزوجان في مسألة انجاب أولاد، لكن أطباء سندي أبلغوها أن الحَبَل يعرض صحتها للخطر، وربما حياتها أيضاً. وقال رون: "أنت تعرفين أني أريدك أن تلدي لي طفلا، لكنني لا استطيع أن أتخذ القرار بنفسي، فأنت من سيتعرّض للخطر."

فردت سندي: "أنا لها."

وفي السابع عشر من ابريل (نيسان) ١٩٨٥ ولدت كيلا، طفلتهما الاعجوبة.

انها حية! عندما سقط كرسي سندي المتحرك في حوض السباحة غرق للحال. وللحظة بهر الماء البارد نَفَسها. لكنها ألزمت فكرها التركيز على كيلا التي كانت تبعد عنها ثمانية أمتار. سبحت سندي في اتجاه كيلا وأمسكتها بذراع واحدة ثم جذبت نفسها نحو حافة بركة السباحة. وإذ قلبت كيلا في الماء، رأت أن شفتيها زرقاوان وعينيها مغمضتان وأنها لم تكن تتنفس.

ناورت سندي حتى أوصلت كيلا قريباً من حافة المسبح، وحاولت أن ترفعها

وتخرجها منه. واذ لم تكن قادرة على أن تضرب برجليها وجدت نفسها تنزلق تحت سطح الماء وتعوم مبتعدة عن ابنتها. لكنها عادت تجذّف بيديها متجهة نحوها، وأخذت نَفَسا عميقاً ثم غطست مادة ذراعيها تحت جسم كيلا وقابضة على حافة المسبح بأطراف أصابعها. دست رأسها تحت جسم الطفلة محاولة استعمال كتفيها لرفع الطفلة فأصبحت كيلا خارج المسبح حتى وسطها. ولكن اذ تعبت سندي من احناء رأسها انقلبت ابنتها فوقها وسقطت ثانية في الماء.

كررت سندي المحاولة لكنها أخفقت. وفي المرة الثالثة أبقت رأسها منتصباً وكتفها اليمنى مشدودة الى أعلى. واذ دفعت بكل قواها شعرت بكيلا تنقلب الى اعلى يديها. وفجأة انطرحت الطفلة على وجهها متراخية فوق الارض الاسمنتية خارج المسبح.

قلبت سندي كيلا على ظهرها وهي لا تزال في الماء. فوجدت انها لا تتنفس، فانحنت فوق حافة البركة ملقية بثقلها على مرفقيها، ونفخت في فم طفلتها. لم يحدث أي تغيير، وعادت الى ذهنها ذكريات نضالها على شفير الموت قبل سنوات. ونفخت ثانية بيأس، فتمايل جسم كيلا وبصقت ماء. ثم بدأت تبكي وتسعل وتلهث، فهتفت سندي في نفسها: انها حية!"

"لا بأس يا كيلا، ماما هنا." كانت شفتا الطفلة لا تزالان زرقاوين وعيناها مغشّاتين. عرفت سندي أن كيلا قد تكون في حالة صدمة أو هبوط غير عادي في حرارة الجسم أو عطل دماغي نتيجة نقص الاوكسيجين. كان عليها الوصول بسرعة الى هاتف. ولكن كيف تخرج من الماء؟

دارت غريزياً على ذاتها وسبحت الى الزاوية المقابلة من الحوض الذي يبلغ طوله تسعة أمتار وعرضه أربعة، الى أن بلغت النقطة التي كان رون دائماً يرفعها منها الى الخارج. تشبثت بكل ما في ذراعيها وصدرها من قوة وتلوّت رافعة بنفسها الى الحافة حيث انحنت ورفعت ساقيها. وعندئذ أدركت أن كيلا التي تصرخ باكية كانت في الجانب الآخر من الحوض. وبدلا من ان تعود الى الماء، شرعت تزحف على الارض الاسمنتية المحيطة بالحوض متوجهة نحو ابنتها. وحين وصلت اليها أخيراً ضمتها وقد أرهقها التعب وأعجزها عن الحراك. أما الكلب كروزر فظل يلحس وجه كيلا.

زحفت سندي خلفياً، والطفلة في حضنها، نحو العشب قرب الفناء. وفجأة لاحظت أثر دماء. تفحصت كيلا فلم تجد فيها جراحاً. كان الدم يسيل من عقبي قدميها هي وقد مزّق الاسمنت لحمهما، ثم لاحظت أن جلد يديها أيضاً كان مجلوطاً.

قوة الحب. وضعت سندي طفلتها على العشب. كان الهاتف الوحيد الذي تستطيع الوصول اليه من دون كرسيها المتحرك في غرفة النوم. هناك أمسكت قبضة الباب ودفعته فانفتح، وجرّت نفسها داخل الغرفة. أمسكت سماعة الهاتف الموضوع على الطاولة قرب السرير وطلبت رقم الطوارىء.

قالت سندي: "لقد سقطت طفلتي في

حوض السباحة! جعلتها تتنفس، وهي تبكي الآن."

- أين تسكنين؟

"في مزرعة الجدول الكسيح."

- حسناً، سنرسل فريقاً.

بعد ذلك اتصلت سندي بزوجها قائلة بصوت متشنج: "وقع حادث، كيلا سقطت في حوض السباحة ولم تكن تتنفس."

استطاع رون أن يسمع كيلا تصرخ: "ماما! ماما!" فاتصل بجارة تدعى سو براون وصلت الى المكان في أقل من خمس دقائق.

كانت كيلا وسندي ترتجفان بعصبية. اسرعت سو فنزعت ثياب كيلا المبللة وجففت الطفلة ودستها تحت غطاء سرير والديها، ثم عملت بجهد لرفع سندي الى السرير.

خشيت سو أن تكون كيلا وسندي في حالة صدمة، ولم يكن فريق الاسعاف الطبي وصل بعد. اتصلت برقم الطوارىء وعلمت أن سيارة الاسعاف وعربة الاطفاء تواجهان صعوبة في العثور على المكان. وما لبثت السيارتان أن هدرتا على الطريق الترابية المؤدية الى مزرعة الجدول الكسيح بعد ارشادهما.

في سيارة الاسعاف على الطريق الى المستشفى الذي يبعد قرابة أربعين كيلومتراً، بدأت سندي تشعر ببعض الالم من جلد يديها الممزق. أما كيلا التي أقلق سكونها فريق الاسعاف فأصبحت أكثر نشاطاً.

وفي المستشفى تم تضميد يدي سندي وقدميها، وأعلن الاطباء ان حالة كيلا جيدة، ولم يظهر عليها أي تأثر متأخر بنقص الاوكسيجين. ولكن على رغم تطمينات الاطباء وإثناءهم على سندي لما قامت به من أجل انقاذ كيلا، فقد شعرت بالأسى. أتراها خذلت كيلا ورون؟

في تلك اللحظة دخل رون على عجل، وحمل ابنته وحضنها بين ذراعيه القويتين. ثم سأل سندي: "هل كيلا بخير؟" فأومأت سندي برأسها ايجاباً.

"هل انتِ بخير؟" أومأت سندي ثانية برأسها.

جثا رون قرب الكرسي المتحرك وضم زوجته الى صدره قائلا: "يا سندي، لقد فعلت حسناً. وأنا كنت دائماً واثقاً بقدرتك."

حينذاك انفجرت سندي بالبكاء ذارفة دموع الفرج والفرح. فعلى رغم اعاقتها، فعلت ما تفعله أي أم لانقاذ طفلتها، وعند الحاجة القصوى وجدت داخلها قوة غير عادية، قوة وقودها الحب.

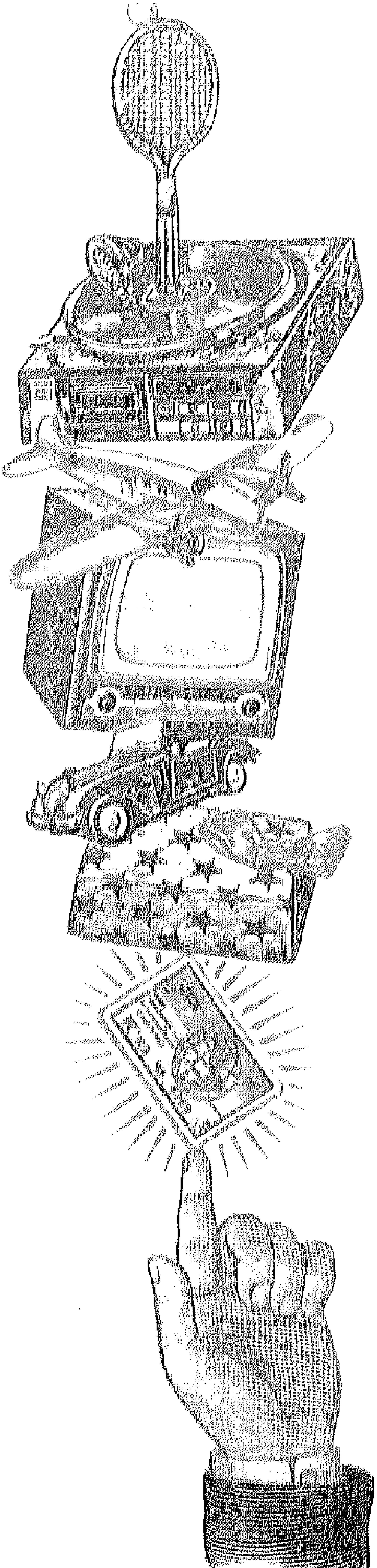
جاي ستولر ■



ذم في معرض المدح

بعدما اهتمت والدتي، الموظفةُ في محل تجاري، باختين توأمين، سمعتْ احداهما تطري الاخرى وتبالغ في مدح قبعتها بقولها: "كم اود لو استطيع ارتداء مثيلتها، لكنها ستبدو رهيبة عليّ!"

م.م.ف



المال "يحكي"
كذلك بطاقة الاعتماد. الا أن هذه
لا تعرف الا كلمة واحدة: "اصرف!"

بطاقات الاعتماد: وداعًا أيهَا التوفير!

في أقل من أربعين عاماً أصبحت بطاقة الاعتماد (١) جزءاً لا يتجزأ من محفظة المواطن في عدد كبير من الدول، لا بل أصبحت توازي بأهميتها رخصة القيادة وتؤثر في كل شكل من أشكال الحياة. في الماضي كان شراء الطعام بواسطة بطاقة الاعتماد امراً مستغرباً، أما اليوم فأضحَت هذه الطريقة الوسيلة العادية لدفع ثمن وجبة طعام فاخرة. وتقبل المستشفيات ببطاقة الاعتماد كوسيلة لدفع أجرة جراحة، كما تقبل بها مكاتب تأجير السيارات، وتُدفع بها الضرائب الحكومية.

ان في حوزة الامريكيين عدداً كبيراً جداً من البطاقات البلاستيكية. وفي وسع أي بالغ "مستحق" أن يحصل على بطاقة اعتماد. ويحمل المواطن العادي سبع

(١) Credit card

بطاقات أو ثماني. واستناداً الى "جمعية المصرفيين الامريكيين"، يحمل ما يزيد على مئة مليون أمريكي ما يراوح بين ٧٠٠ و٨٠٠ مليون بطاقة.

وقد جعلت بطاقات الاعتماد من الدَّيْن جزءاً أساسياً من طريقة العيش الامريكية. فلماذا الإدّخار لشراء جهاز ستيريو أو لإمضاء عطلة عندما يمكنك الحصول الآن على ما تطلب بمجرد ملء خانة «X» في بطاقة خاصة. وكان أن نتج من هذا الوضع ارتفاع معدل الديون الفردية المقسّطة من ٢٣٩ دولاراً عام ١٩٦٠ إلى ٢٧٠٣ عام ١٩٨٨. فتوقف الدفع في الوقت المحدد وبدأ الشراء في الوقت المحدد.

ومن المفارقات أن يكون الفقراء والمجرمون هم الوحيدون الذين يحملون معظم أموالهم نقداً في الولايات المتحدة مهد النظام الرأسمالي. فأصبحت الأوراق النقدية كأنها بضاعة فاسدة لأنها تؤدي دور الوسيط في عمليات مهربي المخدرات والخاطفين.

بزغ عصر البطاقات البلاستيكية في الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الاولى، وأصدرت شركات النفط بطاقات لئلا يضطر السائقون الى حمل مبالغ نقدية كبيرة. وطوّرت شركة "فارينغتون" للتصنيع عام ١٩٢٧ بطاقة معدنية شبيهة بتلك التي تُعلّق بطوق كلب. ويقال إن مخازن "فيلين" في بوسطن هي أول من استعملها. وبدأت شركات السكك الحديد والطيران اصدار بطاقات مماثلة إثر الحرب العالمية الثانية.

الا أن "بطاقة الحساب" أبصرت النور حقيقة عام ١٩٤٩، عندما وجد فرنك ماكنمارا الذي كان يدير شركة صغيرة للتسليف التجاري في مدينة نيويورك، أن ليس معه ما يكفي من المال في أحد المطاعم، وتعين على زوجته أن تأتي من الضاحية المجاورة لدفع فاتورته. وفي اليوم التالي روى ما حصل معه لشريكه رالف شنايدر، فخطرت لهما الفكرة الآتية: قد يقبل الناس بدفع خمسة دولارات سنوياً للانضمام إلى ناد يُمكّنهم من دفع وجباتهم "على الحساب" في المطاعم المحلية.

فكان أن تأسس نادي "داينرز كلوب" (٢) في ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٥٠. في البدء قبل فندق واحد واثنان وعشرون مطعماً بطاقة هذا النادي. ولم تمضِ عشر سنين إلا وكان ١،١ مليون شخص في أنحاء العالم يمتلكون بطاقات "داينرز كلوب" وتمكنهم من أن يتذوقوا وجبات فاخرة في مطاعم "مكسيم" الفرنسية أو يذهبوا في رحلة صيد الى افريقيا أو يشتروا إحدى لوحات بيكاسو بمجرد ابراز بطاقاتهم.

وحفزت حسابات الصرف شيوع "بطاقة السفر والترفيه." وفي العام ١٩٥٨ تبنّت "مصلحة الدخل" في الولايات المتحدة نظاماً يقضي باقتطاع مبلغ معفى من الرسوم للزبائن الذين يتناولون وجبات العشاء في المطاعم. ولتثبيت هذه التكاليف وتجنب حفظ سجلات اضافية كثيرة بدأت الشركات إصدار بطاقات لموظفيها. فعمدت الـ"أميريكان اكسبرس"، وهي شركة عمرها مئة عام

(٢) Diner's Club

Condensed from Philadelphia Inquirer Magazine, © 1988 by William Ecenbarger, Philadelphia Inquirer Magazine (January 24, '88), Philadelphia, Pa. Illustration: John Craig

كانت تُعنى بالشيكات السياحية، الى اصدار بطاقاتها الجديدة التي تفي بكل الحاجات. وأفادت وكالة أبحاث في ذلك الوقت أن بطاقة الاعتماد أصبحت بالنسبة الى المستهلك الامريكي "شعاراً لقدرة لا تنضب."

بطاقات للكلاب! اذا ما أردنا اعطاء تحديد دقيق لبطاقات "داينرز كلوب" و"أميريكان اكسبرس" و"كارت بلانش" لاعتبرناها "بطاقات حساب" لا بطاقات اعتماد لأن الحساب يجب أن يُسَدَّد شهرياً، أما بطاقات الاعتماد الحقيقية فهي وليدة المصارف، وتُعتبر أعظم اختراع مصرفي بعد الفائدة.

عـرض بعض المصـارف الصغيـرة بطاقات اعتماد في الخمسينات، الا أنها سجلت نجاحاً محدوداً، إذ لم يقبل بهذه البطاقات الا عدد ضئيل من التجار لأن قلة من الناس كانت تملكها. والحقيقة أن قلة من الناس كانت تملكها لأن قلة من التجار كانت تقبل تداولها. ولم تُكسَر هذه الحلقة المفرغة إلا عام ١٩٦٦ عندما بدأ "بنك اوف امريكا" في سان فرنسيسكو ترخيص بطاقات "بنك أميريكارد" (التي تُعرف اليوم باسم ڤيزا) ونشرها في المصارف الاخرى في أنحاء الولايات المتحدة. وفي هذه الاثناء تعاونت مصارف الساحل الشرقي في اطار شركة مماثلة أصبحت تُعـرف في ما بعـد باسم "ماستركارد."

وتجاوبت المصارف المحلية مع هذا الوضع الجديد على نحو أدى الى أوسع انتشار لبطاقات المستهلك في التاريخ.

وقد أرسل بعض مصارف شيكاغو الملايين من بطاقات الاعتماد بالبريد في العام ١٩٦٦. ولم يتكلف سوى عدد قليل من هذه المصارف عناء التحقق من امكانات الاشخاص الذين أرسلت اليهم. وهكذا وُزعت البطاقات على العاطلين عن العمل وعلى الأطفال وعلى المتوفين. حتى ان بعضها أُرسل الى كلاب وهررة! الا ان الكونغرس الامريكي منع عام ١٩٧٠ ارسال بطاقات كهذه بواسطة البريد. ولكن في العام ١٩٧٣ كان الشبان الذين بلغوا الثامنة عشرة من عمرهم عرضة لوابل من العروض الصادرة عن شركات توزع مثل هذه البطاقات.

الورقة الرابحة. أصبح دفع ثمن المشتـريات عمـلا سهلا لكثيـر من الامريكيين وغيرهم، اذ زال العائق القديم، أي نقص المال. فأصبح ملايين الناس غارقين في دَيْن بطاقات الاعتماد. وأظهرت أبحاث أجرتها كليـة علوم المستهلك في جامعة بيردو أن حيازة بطاقة اعتماد تزيد الحافز على الشراء. وتأتي هذه الحوافز على نحو مفاجيء ومغر، حتى بات مجرد النظر في واجهات المتاجر حدثاً محفوفاً بالمخاطر.

هايدي شولز اختصاصية بالتجميل في هيوستن، وقد بلغ مجموع ديونها عشرة ملايين دولار بواسطة ثلاث بطاقات "ماستركارد" وبطاقة "ڤيزا".

ويقول جوزف موفي، وهو محام مختص بقضايا الافلاس في بوسطن، ان سهولة الحصول على بطاقات الاعتماد هي أحد الاسباب الرئيسة التي أدت الى ارتفاع

حالات الافلاس الفردي بنسبة ٣٥ في المئة منذ ١٩٨٥.

والورقة الرابحة في لعبة بطاقات الاعتماد هي الفائدة المرتفعة. فلسنوات عدة راوحت معدلات فائدة بطاقات المصارف ما بين ١٨ و١٩ في المئة. ولكن بحلول خريف ١٩٨٨ عاد معظمها الى الارتفاع ليراوح ما بين ١٦ و١٧ في المئة.

ويعمد أدهى المفيدين من البطاقات الى شراء حوائجهم بُعَيْدَ إرسال الفواتير الشهرية اليهم، ثم يسددون كل ما عليهم قبيل انتهاء المدة المحددة. وتكون النتيجة أنهم حصلوا على قرض معفى من رسم الفائدة لنحو شهرين. ويسدد نحو ثلث المفيدين من البطاقات ديونهم كل شهر من دون أن يتحملوا رسوم فائدة. ومن الغرابة الا يعلم أكثر من نصف حاملي البطاقات أن معدلات الفائدة والرسوم على بطاقات "فيزا" و"ماستركارد" تختلف من مصرف الى آخر.

البطاقات الذكية. نما الغش بالبطاقات بالسرعة نفسها التي نمت بها ديون المستهلك. وتُرتكب يومياً ألوف الجرائم المتعلقة ببطاقات الاعتماد في الولايات المتحدة. والى وقت قريب ظل حجم عمليات تزوير البطاقات ينافس عمليات تزوير الاوراق النقدية. وآخر العمليات كانت سرقة البطاقات من البريد واستعمالها قبل أن يعلم صاحبها بما حدث. وقد تمت معالجة هذا الاسلوب باعتماد خطوط للدماغ الالكتروني تصدّق التفويض ووضع لوائح بالبطاقات "الساخنة" موزعة على نطاق واسع. ونجد اليوم طرقاً أكثر تطوراً للسرقة، بما فيها استخدام الادمغة الالكترونية للوصول الى البيانات المصرفية التي تختزن أرقام بطاقات الاعتماد.

ويحصل الغشاشون على المعلومات من مالكي البطاقات مباشرة عبر عدد من عمليات الاحتيال. فقد ينشرون إعلاناً في صحيفة يدّعون فيه أنهم "نادٍ ينظم رحلات بسعر مغر،" أو يرسلون بطاقة بريدية يدّعون فيها أن الذي تلقاها ربح رحلة مجانية. وعندما يتصل بهم المرء يطلبون منه اعطاء رقم بطاقة اعتماده وتاريخ انتهاء صلاحيتها.

اما بالنسبة الى مكافحة الاحتيال، فالشركات في سعي دائم الى طرق جديدة لاكتشاف أي حركة غير عادية في الحساب، ولصنع بطاقات يصعب تزويرها. وتلجأ كل من "فيزا" و"ماستركارد" الى خط اليد المكتوب بأشعة ليزر لكشف أي تزوير. وقد اختبرت كل من الشركتين "البطاقة الذكية" التي تحوي رقاقة كومبيوتر مبرمجة برموز أمان لا يعرفها الا صاحب البطاقة.

ولأن رقاقة "البطاقة الذكية" قادرة على خزن كل ما يتعلق بحسابات عدة ومعالجتها، فقد تصبح هذه البطاقة هي الآلية التي تراقب مدفوعات المستهلك. فهي قد تقوم مقام مدقق الحساب، وحساب التوفير، وبطاقة الاعتماد، وبطاقة التحويل التي تحول الاموال فوراً من حسابك الى حساب آخر.

حروب البطاقات. ان مجال عمل بطاقات الاعتماد واسع جداً ويشهد

منافسة محمومة. وتقدم مشاريع البطاقات تسهيلات مغرية، كتوفير الاوراق النقدية في حالات طارئة، والمساعدات الطبية والقانونية. وتتنافس "ڤيزا" و"ماستركارد" على الزبائن في أنحاء العالم. ويبدو أن "ڤيزا" تحتل المركز الاول. وفي هذه الأثناء كشفت الـ"أميريكان اكسبرس" عن بطاقة جديدة تدعى "أوپتيما" ووظيفتها كبطاقة مصرف، الا أنها تمتاز بمعدل فائدتها الادنى والمتغير. وفي المقابل تتيح "ماستركارد" لمالكي البطاقات الممتازة السفر والإقامة واستئجار سيارات بسعر منخفض. أما "ڤيزا" فتطلق حملة اعلانات واسعة النطاق توحي أنها مقبولة أكثر من "أميريكان اكسبرس."

مع الانتقال من تداول الذهب الى تداول البطاقات البلاستيكية، يبدو لنا أن هذه البطاقات تستطيع شراء كل شيء.

أبرز بطاقتك لدفع ثمن نعشك أو دروس الكاراتيه أو سيارة مستعملة. واذا وقعت في إفلاس كلف محامياً بارعاً الدفاع عنك. ويمكنك أيضاً أن تبرز بطاقتك لدفع أجرة أتعابه.

وليم اسنبارغر ■

القول الفصل

خلال دراسة أخي في الجامعة ظل أبي يحضه على الاهتمام بدرسه بدل الحفلات وضروب التسلية. وكثيراً ما رأيت أبي يبعد سبابته عن إبهامه بضعة سنتيمترات قائلا انه بات على تلك المسافة من اخراجه من الجامعة اذا لم تتحسن علاماته.

وعندما وصل التقرير الجامعي التالي بعلاماته قال أبي راضياً إن تهديده الاخير فعل فعله. فسلم أخي بتغيّر سلوكه، لكنه نسبه الى أمي التي قالت له انها باتت على تلك المسافة من السماح لوالده بذلك.

ك.ل.

محطة الهدايا

كنت أتردد على محطة الوقود التي يملكها والدي، حيث كنّا نقدم الى الزبائن كوباً مجانياً كلما ملأوا خزان سيارة. وذات يوم، إذ همّ أحد الزبائن بالانصراف، تذكّرتُ اني لم أعطِه هديته. فأسرعت الى المحطة وعدت مادّاً الكوب بيدي. فرمى السائق فيه بضعة دراهم وقال وهو ينطلق بسيارته: "أحسنت صنيعاً يا بنيّ."

ر.م.

الشك زهرة لا ينفك المرء ينزع تويجاتها متسائلا: نعم... لا... نعم... لا...

م.ل.



بعد ٤٤ سنة من الحياة الزوجية
و٢٩ انتقالا سكنياً وفقدان ولد
وتحمل ضغوط ثلاث حملات رئاسية
لا تزال هذه السيدة
تقول ما تؤمن به بصراحة ولباقة

بَربَارة بُوش سَيّدة البَيْتِ الأبيَضْ

من يجتمع بالامريكية الأولى برباره بوش يجد أنها صادقة بالنسبة الى مقاس ثيابها (١٤) وعمرها (٦٤) ولآلئها (مزيفة). ترتدي ثياباً رياضية خلال عطلة نهاية الاسبوع من دون أن يكون في نيتها ممارسة الهرولة. تصفف شعرها بنفسها وتحب تناول الطعام المكسيكي في مطاعم الوجبات السريعة. تقرأ الروايات البوليسية بشغف وتعاكس زوجها وتقول كل ما يجول في خاطرها. وتأخذ الكلبة في نزهة وهي في ثوب النوم.

تعترف بأنها عندما كانت زوجة نائب الرئيس لم تكن تحاسَب كما اليوم على كل ما تقول أو تفعل. وهي اقترحت مرة أن يخلع زوجها ملابسه ليدحض إشاعات تقول انه جرح خلال احد المواعيد. تقول: "أنا اليوم أكثر حرصاً، قليلاً، على ما أقول." وتتوقف هنيهة ثم تضيف: "قليلا فقط."

للوهلة الاولى تبدو حياة زوجة الرئيس الامريكي سهلة. فهي تسكن في منزل كبير وتسافر كثيراً وتقيم المآدب وهي تعلم أن أحداً غيرها سيتولى أعمال التنظيف. لكن لهذا المركز عثراته. ان من يتقرب من الرئاسة يتحمل آراء الناس المتضاربة حول النساء كزوجات وأمهات وزميلات وصديقات. على السيدة الاولى أن تكون لبقة ولكن من غير خضوع، وقوية ولكن من غير أن تشارك في الحكم. عليها أن تدافع عن زوجها وتبتسم بشجاعة عندما يقول كلاماً تافهاً. عليها أن تبدو عظيمة، كما عليها أن تكون أمّاً لاولاد كاملي الاوصاف (على رغم أن كائنات كهذه ليست موجودة في الطبيعة) وأن تتسكع حول الكرة الارضية في وقت تفضل أن تكون في بيتها بمعية كتاب شائق. والاقسى من ذلك أن عليها أن تظهر أنها تحب كل لحظة من لحظات حياتها هذه.

الثعلب الفضي. قد يثبت التاريخ أن برباره بوش هي المرأة المناسبة في المكان المناسب. لديها مشاريع، كمحو الامية وتعزيز الابحاث السرطانية وتحسين نظام التعليم، تسبق زمنياً حب زوجها للسياسة. وبينما هي تتقدم في عقدها السابع تاركة وراءها سنوات من الاعمال الصالحة وغير نادمة على صب كل طاقاتها داخل عائلتها، تبدو كأنها تجسد العالم الألطف الذي صوره زوجها خلال حملته الانتخابية.

وكغيرها من زوجات السياسيين كرست برباره حياتها لزوجها، الذي كابدت معه وطأة البعد أثناء الحرب وأربعاً وأربعين سنة من الحياة الزوجية و٢٩ انتقالا سكنياً وفقدان أحد أولادها ثم الضغط الناجم عن ثلاث حملات انتخابية رئاسية. لكنها خلال كل ذلك بقيت متشبثة باستقلاليتها. إن اسمها الحركي في لغة الاستخبارات هو "الهدوء" (١) الذي يناقض حقيقة امتلاكها عدة أساليب للاستفزاز. الانتقاد يغضبها، خصوصاً اذا طاول زوجها. وفي امكانها أن تنهي مقابلة بحركة من يدها، اذ انها طالما تألمت من هؤلاء الذين يتكلمون بلطف ويجرون المقابلات بخشونة (كما حدث عندما قالت لها المعلقة التلفزيونية الامريكية جاين بولي: "ان زوجك رجل من الثمانينات، وأنت امرأة من الاربعينات، فما قولك في ذلك؟")

وعلى رغم أنها قضت شوطاً طويلا من حياتها في تكساس فان هذه المرأة الآتية من راي في ولاية نيويورك لا تزال تحتفظ بطابع من النبالة يجعل الآخرين يتخلون أمامها عن عنجهيتهم. يقول عنها زوجها انها أكثر صراحة منه. ويقول عنها رئيس الحزب الجمهوري لي أتووتر: "لها القدرة على تمييز شخص غير مخلص من بعد كيلومتر." وأولادها يدعونها تحبباً "الثعلب الفضي."

روح مرحة. تمازح برباره زوجها حول ثيابه، فتتهمه بانتقاء الملابس الضيقة التي لا تناسب مقاسه، كما تنتقد حذاء رعاة البقر الذي ينتعله. تقول عن هذا الحذاء: "على الجوانب هنالك الاحرف الاولى من اسمه بلون ذهبي ونجمة

(١) Tranquillity

تكساس الرسمية بالالوان." وهو بدوره يمازحها حول كلبتها الانكليزية "ميلي".

والاولاد يوافقون على أن والدتهم كانت مسؤولة عن تطبيق النظام اليومي في المنزل، اذ ان جورج كان دائم السفر لتلبية متطلبات مركزه، ولا يتدخل إلا في الامور الكبيرة. وكانت بربارة شديدة التنظيم. ونادراً ما كانت تفوت مشاهدة المباريات التي يشارك فيها الاولاد، وكانت تنظم حفلات أعياد ميلادهم وتتطوع للاشراف على اجتماعات الحركات الكشفية. ويقول عنها أحد الاصدقاء انها كانت تستطيع ادارة شركة "جنرال موتورز" بما تبقى لديها من وقت فائض. وتكتب بربارة رسائل الشكر فور وصولها الى المنزل. وفي حين يلقي الناس الاخرون المدونات التذكارية عن رحلاتهم في صندوق منسي، تحفظ بربارة مدوناتها التذكارية في ٦٠ مجلداً ضخماً للقصاصات. يقول ابنها مارفن: "إنها من النوع الذي يصرّ على أن نصل الى المطار قبل الاقلاع بساعة، بينما يحب والدي أن نصل قبل الاقلاع بخمس دقائق."

إن الحفاظ على أولادها الخمسة مقربين بعضهم من بعض جعل بربارة أكثر من مديرة موفقة. أعطاها ذلك روح النكتة وطبعاً مرحاً ناقداً (وهذا سر الزواج المتين بحسب رأيها) وموقفاً غير مبالٍ بالنسبة الى عدد الاشخاص الذين سيتناولون طعام الغداء الى مائدتها. يقول مارفن: "كان الجميع يحبون المجيء الى منزلنا دائماً."

وهي تحب أن يجتمع حولها أولادها الخمسة وأحفادها الأحد عشر. إنها لا تتأفف من أصدقاء جورج الخمسة آلاف الذين يزورونهم من غير موعد سابق.

بعدما ابيض شعرها في مستهل عقدها الرابع بدأت تصبغه باللون "البني الدافىء" على رغم أن ذلك مصدر ازعاج بالنسبة الى شخص يسبح باستمرار ويغسل شعره كل يوم. أخيراً توقفت عن صبغه. تقول: "كان ذلك مهزلة."

وثياب بربارة جذابة، لكنها لن تعرف يوماً بانتسابها الى مصمم معين. أما بالنسبة الى وزنها، فإنها تتمتع بالاكل ولن تعود رشيقة كما كانت في الماضي.

وعلى رغم أن انتقاد الناس لشعرها ووزنها وتجاعيدها يؤذي، فإنها استطاعت أن تجيّر هذه الملاحظات لمصلحتها مستعملة روح النكتة التي أعانتها في السياسة أيضاً. خلال العطلة التي قضتها مع زوجها في فلوريدا بعيد انتخابه رئيساً، ظهرت لها صور وهي تسبح مرتدية ثوب سباحة محتشماً. وفي وقت لاحق مازحت المصورين طالبة منهم ان يغطوا عدساتهم: "إن اولادي يتذمرون في أنحاء البلاد."

"فاي تشي!" بربارة هي ثالثة أربعة أولاد، كدّ والدهم ليصل الى رئاسة مجلس ادارة شركة "ماكول" (التي ملكت مجلة "ماكول" من ضمن مؤسسات أخرى). وكانت والدتهم سعيدة بتربيتهم وباستقبال الضيوف والاعتناء بالحديقة. التحقت بربارة بمدارس خاصة ورسمية. وفي حفلة عيد الميلاد في غرينتش بولاية كونيتيكت، خلال سنتها الاخيرة في المدرسة الثانوية، التقت جورج بوش

الذي كان تخرج حديثاً من أكاديمية فيليبس في اندوفر بولاية مساتشوستس. وكان جورج غير متحمس للرقص، فطلب منها التوقف عن رقصة فالس والخروج معه الى الهواء الطلق. فخرجا ووقعا في الحب.

بعدما أُسقطت طائرة بوش فوق المحيط الهادىء في يونيو (حزيران) ١٩٤٤ تركت بربارة جامعة سميث، وكانت في سنتها الجامعية الثانية، لتتزوج الرجل الوحيد الذي أحبته. تقول: "عندما أخبر أولادي يسخرون مني."

وبعد تخرّج بوش من جامعة ييل عام ١٩٤٨ حزم الزوجان حقائبهما وتوجها غرباً في سيارتهما، مصطحبين ابنهما جورج، ليحققا نجاحاً في حقول النفط في تكساس. كانت محطتهما الاولى أوديسا في شقة ذات غرفة نوم واحدة. بعد ذلك انتقلا الى ميدلاند ثم هيوستن، حيث جمع بوش ثروة صغيرة بمقاييس تكساس (باع حصته في آبار زاباتا البحرية عام ١٩٦٦ بمليون دولار).

أثناء اقامتهما في تكساس تعرضت بربارة لاعظم خساراتها. عام ١٩٤٩ قتلت والدتها بحادث سيارة. ثم في أحد أيام ربيع ١٩٥٣ استيقظت روبن، الثانية بين الاولاد وكانت في الثالثة من عمرها، وهي تشعر بتوعك. شخّص الاطباء المرض على أنه اللوكيميا (سرطان الدم) وتوقعوا الا تعيش الصغيرة أكثر من أسبوعين. بقيت روبن تكابد المرض ثمانية أشهر ظلت خلالها بربارة، التي بدأ شعرها يبيضّ، جالسة قرب سريرها في "مركز سلون - كيترنغ التذكاري" للامراض السرطانية بمدينة نيويورك وكان زوجها يحضر الى المركز في نهاية كل اسبوع.

يقول الاصدقاء ان جورج وبربارة استطاعا التغلب على مصيبتهما بتشجيع واحدهما للآخر. فاذا طغى الحزن الشديد على أحدهما سارع الآخر الى دعمه وتشجيعه. وتقول بربارة: "لقد عضدني جورج ولم يدعني أنهار. جميعنا يعلم أن غالبية الناس الذين يفقدون أولاداً ينتهون بالطلاق لأن أحدهما يتوقف عن التحدث الى الآخر. لم يسمح جورج بأن يحدث ذلك."

في تلك الفترة كان لديهما الصبيان جورج المولود عام ١٩٤٦ وجيب المولود عام ١٩٥٣.

بعد ذلك أنجبت بربارة، بتتابع سريع أدى الى تخفيف وطأة الألم، نيل (٣٤ عاماً) ومارفن (٣٢) ودوروثي (٣٠). وتؤكد بربارة أنها أنجبت جميع أولادها بتصميم سابق.

دخل بوش الكونغرس الامريكي لدورتين من ١٩٦٧ الى ١٩٧١. وخسر مرة في انتخابات مجلس الشيوخ، كما أخفق في الحصول على منصب في الامم المتحدة عام ١٩٧١. حدث كل ذلك قبل أن تكوّن بربارة شخصيتها العامة. فالى ذلك الحين كانت شديدة الخجل، حتى أنها بكت مرة لاضطرارها الى الخطابة في نادي "غاردن" في هيوستن. وكانت انغمست في الاعمال المنزلية بين الحفاضات والصحون حتى فقدت ثقتها بنفسها.

عندما عيّن بوش مبعوثاً لبلاده في الصين عام ١٩٧٤ أصبحت بربارة جزءاً مهماً في العملية. ولأول مرة في حياتها

تحررت من اللقاءات اليومية واجتماعات الاهل والمعلمين، وأصبح في مقدورها أن تتفرغ كلياً للمنصب. كانت تحب التحدي، فتخرج من المقاطعة المخصصة للاجانب في بيكين الى "المدينة المحرمة" حيث كانت تركب الدراجة الهوائية وتمارس رياضة "تاي تشي " الدفاعية وتتعلم الصينية وتلعب كرة المضرب مع المسؤولين الاجانب.

بعد الصين كانت عودة بوش الى واشنطن نوعاً من خيبة الامل. فقد رأس وكالة الاستخبارات المركزية، وأصبحت بربارة بعيدة عن كل شيء بعدما كانت جزءاً من كل شيء. وهي تتساءل مازحة: "لماذا يخبرني أي أسرار؟ فهو يقول عني إنني أبدأ كل عبارة أنطقها بقولي: لا تخبروا جورج انني أخبرتكم بهذا..."

تعليمات الرئيس. ان سكنى جورج وبربارة في البيت الابيض كرئيس وزوجة رئيس أعطاهما فرصة جديدة ليقضيا كثيراً من الوقت معاً. ولبربارة عدة قضايا خاصة تهتم بها. فابنها نيل مصاب بعلّة عسر القراءة (٢) مما يدفعها الى الاهتمام بمكافحة الامية. وفي العام ١٩٨٤ ألفت كتاب "قصة س. فريد" (٣) الذي يتضمن نظرة ساخرة الى حياة واشنطن على لسان كلبها. وهي فعلت ذلك بعدما أكد لها الناشر نلسون دوبلداي أن الكتاب سيكون وسيلة جيدة لدعم مجهودها في مكافحة الامية. وقد بيعت منه ١٥ ألف نسخة فتبرعت بربارة بحصتها من الارباح للجمعيات الخيرية التي تهتم بمحو الامية.

ومرض ابنتها روبن باللوكيميا جعلها تشترك في عدة نشاطات طبية. وهي لا تزال عضواً في مجلس أمناء كلية مورهاوس للطب في أتلنتا بولاية جورجيا منذ العام ١٩٨٣، كما أنها قادت حملة جمع تبرعات هناك بلغ ايرادها ١٥ مليون دولار. وقبل سنوات صادقت امرأة في مأوى للفقراء في واشنطن وظلت تزورها كل أسبوع على مدى سنوات الى أن توفيت. ولفترة تزيد على ثلاثين سنة كانت بربارة، ولا تزال، تزور الاجنحة المخصصة للأمراض السرطانية في فترة عيد الميلاد لتلعب مع الاولاد.

قد لا تشترك بربارة يوماً في اجتماعات مجلس الوزراء كما كانت تفعل روزالين كارتر زوجة الرئيس السابق جيمي كارتر، لكن حاجبها المرفوع يستطيع تحدي كدسة من الاوراق الرسمية. فقبل أن يبدأ الرئيس بوش عمله اليومي الرسمي مع مساعديه ومستشاري الأمن القومي، يكون تلقى تعليماته الاولى لذلك اليوم. يقول مارفن ان والديه يستيقظان بعيد الخامسة كل صباح على أنغام الموسيقى الريفية. فيحتسيان القهوة والعصير ويطالعان الصحف في السرير أثناء مشاهدتهما الاخبار على التلفزيون. يتحدثان ويتناقشان حول أحداث النهار، فتبدي هي رأيها في كل شيء، من السياسة الى شؤون الموظفين. ويقول أحد معاوني بوش: "إن الرئيس يستنير بآراء السيدة الاولى. وهذا يساعده."

(٢) Dyslexia
(٣) C. Fred's Story

ويبدو تأثير بربارة خصوصاً في المواضيع التي تهمها بعمق، مثل مرض الأيدز وقضية المتشردين الذين لا يملكون مساكن والحقوق المدنية والتعليم. وهي كانت فاعلة جداً في ترشيحها شخصاً أسود هو الدكتور لويس سوليفان لمنصب وزير الخدمات الصحية والانسانية، علماً أنه الوزير الاسود الوحيد في حكومة زوجها وكانت تعرفت اليه أثناء عملها في مورهاوس. كما أن اهتمامها بشؤون الاطفال والامية ساعد بوش على التعهد أن يكون "رئيس التربية والتعليم."

لا يمكن سيدة أولى أن تهرب من التفحص الناقد الدقيق. والنتيجة أن بربارة بوش قد تغيظ البعض بسبب عدم رسميتها أو بسبب التزامها التصرف بلطف مع الآخرين. لكن السيدات الاول أكبر من مجموع أعمالهن الجيدة. فهن يلقين بعض الضوء على قلب الرئيس (اذا كانت تحبه فلا يمكنه أن يكون شريراً). وغالباً ما يعكسن ثقافة زمانهن.

قد تكون رسالة بربارة بوش المخفية مهمة كأي عمل ستنجزه: هنالك شرف في الامومة؛ لا بأس في أن يكون المقاس ٤١؛ تجاعيد الوجه هي ثمن العمر؛ ليس في الكهولة شيء يرعب.

وهذه، لعمري، انجازات كبرى.

مرغريت كارلسون ■



بالشكر تدوم النعم

كانت زميلتي المناوبة في دار العجزة تردد دائماً أنها سعيدة وشاكرة لكل شيء. وذات ليلة، هبّت عاصفة ثلجية رهيبة، لكن زميلتي حضرت الى العمل باكراً صبيحة اليوم التالي. دُهشت لرؤيتها وسألتها كيف استطاعت الوصول. فأجابت: "أقيم على مسافة قريبة، ولذا دببت على يدي وركبتي، وها قد وصلت! كم أنا سعيدة وشاكرة لذلك!"

فسألتها عمّا يسعدها ويستحق شكرها في دَبِّها على يديها وركبتيها فوق الجليد والثلج عند السادسة صباحاً. فأجابتني وهي تنفض معطفها: "كان الظلام مخيماً فلم يرني أحد."

ل.ب.غ.

ما أبخس الكلام!

انتقى زبون في مكتبتنا بطاقة معايدة رائعة ووضعها على منضدة الدفع، ومد يده الى جيبه ليُخرج حافظة نقوده. ففتحت الصندوق وقلت له: "خمسة دولارات، من فضلك."

فصاح متعجباً: "خمسة دولارات؟ لن آخذها!" ثم دسّ محفظته في جيبه وخرج غاضباً.

عندما أعدت البطاقة الى الرف قرأت الكلمات الآتية مطبوعة عليها: "الى زوجتي التي تعني لي الكثير."

ش.ب.

بوتسوانا واحة أفريقيا السوداء

مساحة من السكون والدعة وسط افريقيا الجنوبية المضطربة يعيش فيها السود والبيض في وئام

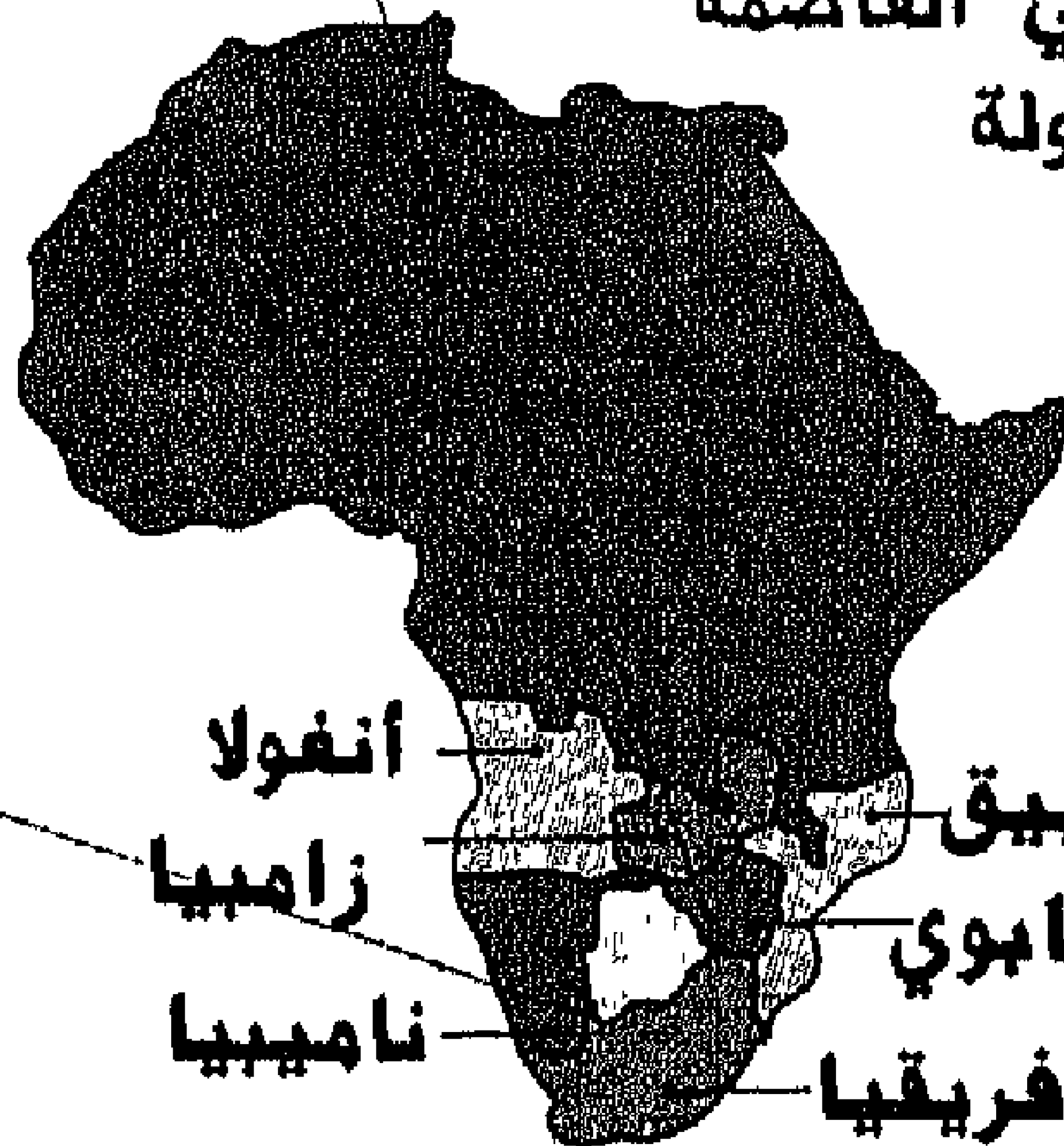
يقول المؤرخ جيف رامساي: "ما انفكت افريقيا الجنوبية تثبت للعالم ان ليس ثمة مجتمع ديموقراطي غير عنصري. لكن مجتمعاً كهذا قائم في بوتسوانا، وعلى حدود دولة جنوب افريقيا نفسها."

التقيت رامساي الأبيض الامريكي المولد، وزوجته سيجابو المولودة في بوتسوانا، في نادي غابورون وهو مركز شعبي للنشاطات الاجتماعية والرياضية، حيث يجتمع السود والبيض فيتناولون الغداء معاً أو يمارسون لعبة كرة المضرب أو يتبادلون النكات في المقهى.

والنادي بموقعه في العاصمة غابورون، مصغّر لدولة بوتسوانا.

وبوتسوانا، البلاد التي تماثل مساحتها مساحة فرنسا ولا يتعدى عدد سكانها مليون نسمة، أثبتت بعد انقضاء ٢٤ عاماً على استقلالها عن بريطانيا أن في وسع السود والبيض العيش بتناغم.





وقد برز هذا البلد أيضاً كأحد الانظمة الديموقراطية الناجحة في العالم النامي. ويتمسك الشعب بحقه في الاقتراع في انتخابات حرة تجرى كل خمس سنوات. ووفقاً لقول السفير الامريكي ناتال بيلوتشي: "يتسم هذا البلد باستقرار سياسي نادر في افريقيا."

هذه الدولة واحة وسط منطقة قلاقل. ففي غربها تطحن الحرب أنغولا، ويقاتل الثوار لانتزاع ناميبيا من قبضة جنوب افريقيا. وفي الشرق تزخر زيمبابوي بالنزاعات القبلية، فيما تتصف موزامبيق بكثرة الفتن. وفي الجنوب دولة جنوب افريقيا التي يحكمها البيض.

لم يقع في بوتسوانا انقلاب عسكري أو غير عسكري. ويشغّل جيشها الصغير في مراقبة حركة المرور عبر الحدود. وليس لديها سجناء سياسيون. كما يندر الفساد في الادارة الحكومية، والنزاع القبلي هو في ادنى معدلاته. وتوحّد القبائل الثماني الكبرى لغة مشتركة هي "السيتسوانا"، ويمثلها مجلس شيوخ من ١٥ عضواً على غرار مجلس اللوردات في بريطانيا. ويقول احد الموظفين الحكوميين في ذلك: "ان القبائل تعي أن في وسعها ايصال المظالم التي تشكو منها عبر صندوق الاقتراع."

أسود وأبيض. شعب بوتسوانا لطيف المعشر، واثق من نفسه، مطمئن، وهو سهل الاضحاك ويحيي الغرباء بابتسامة ومصافحة. ويتحلى البوتسوانيون بالصبر، فهم "شعب يرعى الماشية التي تعلم الانسان الصبر،" بحسب قول لويس نشيندو خريج جامعة أكسفورد البريطانية ومدير "الشركة الانغلو - أمريكية للخدمات" في بوتسوانا.

غير أن أكثر ما يستوقف الزائر هو غياب التوتر العنصري. فالسود يعيشون ويعملون في وئام مع نحو ٢٠ ألفاً من البيض بمن فيهم خمسة آلاف موظف انكليزي من عهد الاستعمار، وألوف من جنوب افريقيا وزيمبابوي غدوا من أهل البلاد، اضافة الى أجانب يعملون في برامج الاعانات وهم في غالبيتهم أساتذة من أوروبا الغربية وكندا والولايات المتحدة.

والرجل الابيض الوحيد في الحكومة هو كولن بلاك بيرد وزير الاشغال والمواصلات، وهو أحد الذين بقوا في البلاد بعد استقلالها. وتخبر عنه غير ترود فيري أمينة السر السابقة في وزارة التربية: "انه محبوب جداً ويتكلم السيتسوانا بطلاقة ويكثر من ذكر عبارة "نحن، أهل بوتسوانا" وكأنه فرد منا."

أما القضية ذات الشأن لدى أي شعب بعد استقلاله فهي إحلال العنصر المحلي محل الاجنبي الابيض. واذ يتحرق كثير من شباب بوتسوانا الى تولي الوظائف التي يشغلها الاجانب، الا أنهم يدركون مخاطر التبديل السريع. وفي العام ١٩٨١ أسند منصب نائب عميد جامعة بوتسوانا الى أستاذ انكليزي اسمه جون ترنر من جامعة مانشستر الذي أدى مهمته ثلاث سنوات بنجاح. وخلفه في يونيو (حزيران) ١٩٨٤ توماس تلو أستاذ التاريخ في جامعة بوتسوانا وسفير بوتسوانا الى الامم المتحدة.

مدارس في الصحراء. قست الجغرافية على بوتسوانا، اذ تغطي الصحارى ٧٠ في المئة من أراضيها التي يكتنفها البر من جميع جهاتها، ولذا أركنت الى دولة جنوب افريقيا لتيسير منفذ لها الى البحر. ولم يكن التاريخ أقل قسوة، اذ عندما منحت بريطانيا بوتسوانا الاستقلال عام ١٩٦٦ كانت أحد أفقر الاقطار في العالم. ولم يكن فيها سوى ٩٠ كيلومتراً من الطرق المعبدة ومدرسة ثانوية رسمية واحدة و٤٠ خريجاً جامعياً. ولم تكتشف فيها ثروات طبيعية، وكان النشاط الاقتصادي المرتكز على تربية المواشي يدرّ دخلا فردياً سنوياً يعادل ٥٥ دولاراً.

أما اليوم، بفضل حصافة الادارة المالية وسياسة المشاريع الخاصة الحرة واكتشاف الالماس تحت قشرة الارض الجافة، فقد حدثت في بوتسوانا أعجوبة اقتصادية. شقت الدولة ألف كيلومتر من الطرق وقدمت خدمات صحية أدت الى خفض نسبة وفيات الاطفال الى أدناها في افريقيا السوداء، وأتاحت التعليم الابتدائي لـ٨٣ في المئة من الاولاد. ووفقاً لوجهة نظر تانزي ماسيتارا الرئيس السابق لمكتب "اللجنة الوحدوية للخدمات"، وهي وكالة غوث كندية: "لم يتوجب علينا الكفاح لنيل الاستقلال أو لانشاء جيش كبير. فركزنا طاقاتنا في تنمية التعليم والصحة. وباتت هناك عيادات وصفوف مدرسية حيث يتسنى للاولاد تعلم القراءة في قلب الصحراء."

وتتسع جامعة بوتسوانا في العاصمة لنحو الفي طالب بدوام كامل من ١٦ جنسية، ومنهم وافدون من أقطار بعيدة كأثيوبيا والسودان.

لقد سعت بوتسوانا في تاريخها المعاصر الى البقاء على الحياد. ففي العام ١٨٨٥ حين لاح بصيص انشاء أول جمهورية أفريقانية(١) للبيض جنوباً، اختار زعماء القبائل في البقاع المسماة آنذاك "بتشوانالند" ان يكونوا محمية تابعة للتاج البريطاني، خشية الحاقهم بالجمهورية الجديدة. غير أن البريطانيين لم ينفقوا مالا لاستغلال ما رأوه صحراء مترامية الاطراف.

اكتشاف الالماس. وجاء رجل بدّل ذلك كله. انه سيريتس خاما زعيم الحزب الديموقراطي في بتشوانالند ومؤسس الحزب الحاكم حالياً. وهو فاز في انتخابات ١٩٦٥ وأصبح في السنة التالية أول رئيس لدولة بوتسوانا حين منحتها بريطانيا الاستقلال.

خاما، المتزوج انكليزية، نذر نفسه لتكوين مجتمع غير عنصري. وبصفته وطنياً مخلصاً أقنع القبائل بالتنازل للدولة عن حقوق التنقيب عن المعادن حائلا بذلك دون المزاحمة والنزاع الاهلي. وعقب وفاته عام ١٩٨٠ خلفه نائبه كويت مسير وهو أستاذ وصحافي ومزارع سابق. ويؤمن مسير بجدوى المشاريع الحرة، وهو يوازن بين الاستثمار الخاص وسلطة الدولة الضابطة. وقد أفلحت سياسته، اذ ان بوتسوانا، باقتصادها القائم على الموارد المعدنية من نحاس ونيكل وفحم

(١) نسبة الى "أفريقاني" وهو شخص من اصل هولندي، أو اوروبي عموماً، يعيش في افريقيا الجنوبية.



تلاميذ يلعبون في غابورون.

وألماس، أضافة الى لحم الابقار، تفخر بعملتها التي تعتبر من الاكثر استقراراً بين عملات البلدان النامية.

وقد أدى اكتشاف أحد أكبر احتياطات الالماس في العالم أواخر الستينات الى تكريس بوتسوانا بين كبار منتجي الالماس في العالم، والمصدر الاول للحجار الكريمة. ونجم عن هذه الثروة أحداث ٤٦٠٠ وظيفة يشغل أهل بوتسوانا ٤٠٠٠ منها. وبلغ المردود السنوي ٧٥٠ مليون دولار.

وثمة ١٧ في المئة من الارض مخصصة لتشييد ثلاثة متنزهات وطنية وست محميات للحيوانات والنباتات البرية، ومنطقة دلتا أوكافانغو الشمالية الغربية الواسعة، وهي أرض قفر ذات أنهار ومستنقعات وبحيرات وغدران. وقد أم بوتسوانا عام ١٩٨٤ نحو ٥٦ ألف سائح للصيد أو لمشاهدة البراري.

وعلى رغم غنى هذه البلاد بالموارد المعدنية والطبيعية فقد منيت بحظ تعس. اذ تضررت صناعة اللحوم من وباء الحمى القلاعية الذي أصاب الابقار في السبعينات، وأتى الجدب المستمر أكثر من ست سنوات على الغلال وقضى على ثلث الماشية.

اتكالية خطرة. أيستمر النجاح الاقتصادي في البلاد؟ ثمة مصاعب تعترضه، اذ انخفض انتاج الغذاء الى أدنى مستوى له فبلغ سبعة آلاف طن عام ١٩٨٤، مما جعل بوتسوانا تعوّل على المساعدات الخارجية الطارئة.

لكن أحداً لم يمت من الجوع بفضل

جهود مكافحة الجفاف. وساهم مشروع للري شرق البلاد في زيادة انتاج الذرة الصفراء والسرغوم الى ٣٠ ألف طن عام ١٩٨٦. والواقع أن معظم ثروات بوتسوانا تتداولها طبقة محدثة من رجال الاعمال في المدن وأصحاب المواشي في الارياف، فيما الكثرة من سكان القرى معوزون.

واللاجئون أيضاً مشكلة عويصة. اذ تؤوي بوتسوانا قرابة ٤٠٠٠ لاجىء معظمهم من زيمبابوي، شرط الا يستخدموا البلد معقلا لمهاجمة الدول المجاورة. وقد طردت السلطات نحو ٣٠٠ ثائر من زيمبابوي ومن مناصري "المجلس القومي الافريقي" وهو الجماعة المسلحة التي تكافح التمييز العنصري في افريقيا. وقد خوّل "قانون الامن الوطني" الصادر عام ١٩٨٤ الشرطة القبض على كل من يحمل سلاحاً.

ومع ذلك فقد شنت دولة جنوب افريقيا بضع غارات حدودية على بوتسوانا عامي ١٩٨٥ و١٩٨٦، زاعمة أنها تقصف عصاة تابعين للمجلس القومي الافريقي. وفي ذلك يقول عالم الاجتماع الكندي هربرت آدم الاستاذ في جامعة كيب تاون بجنوب افريقيا: "هذه الاعمال تذكر بأن بوتسوانا هي تحت رحمة دولة جنوب افريقيا."

فاعتماد بوتسوانا على تلك الدولة كبير. اذ ان ما بين ٧٠ و٨٠ في المئة من صادراتها ووارداتها تنتقل عبر موانىء جنوب افريقيا، ويربطها بهذه الجارة اتفاق تجاري هو "الاتحاد الجمركي في افريقيا الجنوبية" الذي يؤمن ١٤ في المئة من عائداتها السنوية. والى ذلك يعمل نحو ٣٠ ألف بوتسواني في مناجم الذهب بجنوب افريقيا، ويحوّلون قرابة ٤،٩ ملايين دولار الى بلادهم.

وبغية التخفيف من هذه الاتكالية انضمت بوتسوانا الى "مجلس افريقيا الجنوبية للتعاون الانمائي" الذي يشكو أعضاؤه التسعة المتباينون(٣) من المشاكل ذاتها. وقد خفضت بوتسوانا وارداتها من دولة جنوب افريقيا من ٨٧ في المئة عام ١٩٨٣ الى ٧٦ في المئة وذلك باقامة علاقات تجارية جديدة مع الدول الاخرى في مجلس التعاون الانمائي.

وتثني وزيرة الخارجية غاوستوي شيبي، المرأة الوحيدة في الحكومة، على روح التعاون التي سادت مجلس التعاون الانمائي منذ تأسيسه عام ١٩٧٩: "اذا ما ثابرنا على تركيز مواردنا كشراكة، فسننمو اقتصادياً على نحو أفضل مما لو كنا فرادى." وهي تأمل، "حين يقضى على التمييز العنصري ذات يوم، أن ينضم الينا شعب جنوب افريقيا بأسره. فنعمل انذاك معاً في سلام."

بوتسوانا تنير السبيل. وهي، بكلمات رئيسها مسير "قدمت الدليل على أن في وسع افريقيا، بسودها وبيضها، أن تحيا في وئام وبحبوحة. ونرجو الآن أن تشاركنا دولة جنوب افريقيا في هذا النجاح."

ديبورا كاولي ■

(٣) بوتسوانا وموزامبيق وانغولا وزيمبابوي وليسوتو وسوازيلند وزامبيا وتنزانيا وملاوي.

تبدأ الحياة عندما تقرر ماذا تريد منها.

ساعدوا أولادكم على النجاح في الامتحانات

الخوف والارق وعدم تفهّم الاهل أمور تساهم في رسوب الاولاد في الامتحانات
هنا نصائح تساعد الاهل على تحسين علامات أولادهم

قد يمثّل هذا المشهد يوماً في منزلك:

ابنك الذكي المجتهد، التلميذ في الصف الابتدائي الثالث، يواجه امتحاناً لم يألف مثله. تذكّر المعلمة بأهمية هذا الامتحان وتمرّر كرّاسة الاسئلة وأوراق الأجوبة وأقلاماً خاصة على التلاميذ. وبدل معاملتهم برفق ولين تظهر المعلمة برودة، فلا تجيب عن أسئلة التلاميذ وتتابع تذكيرهم بالوقت المتبقي لديهم. ينهي ابنك الامتحان بهلع واضطراب ويعود الى البيت دامعاً مقتنعاً بأنه أساء الاجابة. وفعلا، تأتي نتيجة هذا الامتحان أدنى كثيراً من علاماته السابقة.

ليست هذه بنكسة عابرة. ان المدارس تعتمد أكثر فأكثر الامتحانات القياسية المصححة بواسطة الدماغ الالكتروني (★)

(★) Standardized computer-scored tests. وفيها يضع التلميذ علامة أمام الجواب الصحيح.



لتقويم مستوى التلاميذ. لذا فإن نتائج تلك الامتحانات تساهم، جزئياً على الاقل، في بناء مستقبل ولدك التربوي أو احباطه. وهي تقرر من سيدخل الجامعات المرموقة، ومن المؤهل للمقررات الدراسية التي تشهد اقبالا، ومن سيعيد سنته الدراسية. ومتى صُنف التلميذ فاشلا اذ يسجل علامات متدنية، فهو قد يقع في دوامة "الانجاز العاجز."

هل توفر علامات الامتحانات القياسية تقويماً دقيقاً لقدرات التلميذ بدقة؟

جزئياً، يجيب الخبراء. بعض الاولاد تنشطهم الامتحانات والبعض الآخر ترهبهم. ويرى الاستاذ كينيدي هيل من جامعة ايلينوي الذي أجرى أبحاثاً حول "قلق الامتحان" لدى الاولاد على مدى ٢٥ سنة، ان ربع التلاميذ في جميع المدارس الابتدائية تجهدهم الامتحانات الى درجة أنهم ينجزونها بنتائج دون مستوى قدراتهم الطبيعية.

ومع ذلك يمكن التغلب على قلق الامتحان، وتعليم التلاميذ إنجاز الامتحانات على نحو أفضل. هنا اقتراحات خبراء تخولك مساعدة ولدك على تسجيل نتيجة أفضل في امتحاناته المدرسية.



تحقق من مواعيد الامتحانات.

إسأل مدير المدرسة أن يعلن موعد الامتحانات القياسية في وقت سابق، اما بواسطة المجلة المدرسية واما بتوجيه رسالة الى الاهل. استعلم بدقة عن نوعية الامتحان وعن طريقة احتساب نتيجته. إن المدارس المحترمة تجري الامتحانات لتكتشف نقاط الضعف لدى التلاميذ بغية مساعدتهم وليس بغية تصنيفهم "أذكياء" و"أغبياء". يجب على الأهل الاصرار على أن تستعمل هذه الامتحانات لهذه الاهداف التشخيصية.



اعرف كيف يجرى الامتحان.

تختلف الامتحانات القياسية عن معظم المسابقات التي تعطى في الصفوف من ناحية وجوب استعمال التلميذ ذكاءه أكثر من ذاكرته. مثالا على ذلك، في امتحان تحليل للنصوص في المرحلة الابتدائية قد يواجه التلميذ وصفاً لمشهد سقوط أوراق الشجر، يليه سؤال مثل "في أي فصل من السنة تجري أحداث هذه القصة؟" ينتظر من التلميذ الاجابة عن هذا السؤال من خلال فهمه النص، وإن تكن كلمة "الخريف" غير مذكورة فيه.

ان جزءاً من امتحانات القبول في الجامعات، في مادة الرياضيات، مكرس لمقارنة الكميات. يطلب من المتقدم الى الامتحان المقارنة بين كميتين واختيار جواب من أربعة. مثال حديث على ذلك: "هناك ١٠٠ طالب في السنة الجامعية الاولى. ٣٠ منهم يدرسون مادة التاريخ ولا يدرسون مادة الرياضيات، و٥٠ منهم يدرسون الرياضيات ولا يدرسون التاريخ. فما هو عدد الطلاب الذين يدرسون المادتين معاً؟

الاجوبة:

أ - ١٥. ب - ١٩. ج - ٢٠. د - العدد غير محدد.

والجواب الصحيح هو "د"، إذ ان عدد

الطلاب الذين يدرسون المادتين معاً لا يمكن تحديده استناداً الى ما ذكر. قد يكون اي رقم من صفر الى عشرين.

٢١ في المئة فقط من الطلاب اختاروا الجواب الصحيح.

يقول أحد المرشدين: "إن الطلاب لم يعتادوا مواجهة هذا النوع من المسائل التي تربكهم حقاً".



علّم ولدك كيف يكون حاذقاً في الامتحان.

إن معرفة طريقة التصرف في الامتحان حاسمة ومصيرية، إليك ما تقوله لولدك قبل الامتحان:

□ للوقت أهمية كبرى. احرص على أن تحمل ساعة يد. إن كنت لا تستطيع الاجابة عن سؤال ما بسرعة، فلا تهدر الوقت. اتركه ولا تعد اليه إلا بعد أن تكون أجبت عن الاسئلة السهلة.

□ اذا تخطيت سؤالاً، احرص على تخطي جوابه أيضاً. يقول ريتشارد نوث مدير دائرة التسجيل والارشاد في مركز الاختبارات التربوية في برينستون بولاية نيوجرزي: "ستفاجأ اذا عرفت. عدد الطلاب الذين يجيبون عن السؤال الرقم ٤١ في خانة السؤال الرقم ٤٠، وبعد ذلك يهدرون الوقت في محو الاغلاط وتصحيحها."

□ ان كنت غير متأكد من اجابتك، اعمد الى التخمين، فهو قد يساعدك. واحذر الاجوبة السهلة. يقول واضعو الامتحانات انهم لا يعتمدون الاسئلة "الماكرة" المضللة، لكنهم احياناً يدخلون عليها جواباً محيّراً يبدو صحيحاً للوهلة الاولى لكنه خطأ في الحقيقة. والهدف حض المتقدم الى الامتحان على التفكير في كل اجابة.

□ اعمد الى الراحة والاسترخاء في الليلة التي تسبق يوم الامتحان. ان تكثيف الدرس في اللحظة الاخيرة لا يجدي، فنوم ليلة هادئة هو أفضل لك. طالع أو شاهد التلفاز أو تحدث مع الأهل والاصدقاء. تأكد من جهوز كل شيء لليوم التالي قبل ذهابك الى الفراش. ويوم الامتحان احرص على ارتداء الثياب الملائمة كي لا يلهيك الشعور بالحر أو بالبرد.



تمرّن ثم تمرّن ثم تمرّن.

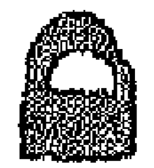
يصرف الاهل القلقون أموالا طائلة على دروس تجارية لتحضير أولادهم للامتحانات القياسية. وتتباين الآراء حول جدوى الدروس التحضيرية في رفع علامات الامتحانات. لكن الكل يتفق على أن هذا النوع من الدروس التحضيرية ضروري، اذ ان اعتياد الامتحان يخفف وطأته. ومجرد قراءة تعليمات الامتحان في وقت سابق يوفر دقائق غالية خلاله.

ان أكبر فائدة يجنيها الطلاب من الدروس التحضيرية تكمن في ممارستهم الامتحانات تكراراً حتى يصبحوا قادرين على اجرائها بسهولة.

وفي استطاعة الاهل أن يمرنوا أولادهم في المنزل باستعمالهم نماذج امتحانات قديمة. ان معظم المدارس تزود الطلاب كراريس تحتوي على اجابات الامتحان - النموذج كي يتعلموا ملء الفراغات المخصصة للاجوبة الصحيحة.

وفي المنزل عليك التقيد التام بالانظمة المتبعة. حدد الوقت، ولا تسمح بطرح الاسئلة، وامنع الاكل والشرب والرد على الاتصالات الهاتفية.

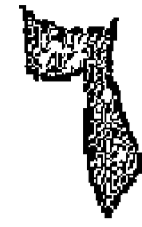
يقول ريتشارد نوث: "ان التمرن على تطبيق الامتحانات ضمن الشروط الحقيقية يساعد التلميذ على تعلم تنظيم نفسه، فيكتشف نقاط ضعفه وقوته على حد سواء. وفي يوم الامتحان سيفهم التعليمات وسيعلم كيف يعمل بسرعة على مواضيع يعرفها جيداً قبل الرجوع الى تلك التي قد يصيب فيها نجاحاً أقل."



تحدَّ تفكير ولدك.

يعتقد ستانلي كبلن، مؤسس "مركز ستانلي كبلن التربوي"، أن المؤثر الاكبر والوحيد على التأدية العقلية هو كمية المطالعة التي يقوم بها الطالب. ويضيف: "دلني على قارىء نهم فأدلك على شخص يستطيع الحصول على علامات عالية." ابدأ برنامج المطالعة في وقت مبكر عندما يصبح في امكان ولدك تصفح كتاب. ومتى بدأ يقرأ بنفسه اشترِ له قاموساً وشجعه على اكتشاف معاني المفردات. ليس عليه البدء بقراءة الروائع العالمية. يمكنه الافادة حتى من المجلات الهزلية. والهدف من ذلك تعزيز عادة القراءة لديه لتدوم مدى الحياة.

شجع ولدك على مطالعة جيدة ومفيدة، وادفعه الى التطرق الى المواضيع الصعبة كالعلوم والرياضيات واللغات الاجنبية التي توسع آفاق تفكيره وتشحذ عقله وتنمي منطقه.



اعطِ الامتحان الاهمية التي يستحقها فقط.

يقول أحد الخبراء المختصين بالقلق الناجم عن الامتحانات، ان ضغط الولي على ولده بغية انجاز الامتحانات على نحو جيد قد يؤدي الى نتائج عكسية. ويضيف: "ان أفكاراً مثل: ان لم أنجح في هذا الامتحان فسوف يغضب أهلي مني؛ تصرف التلميذ عن التركيز وتخفض مستوى علاماته."

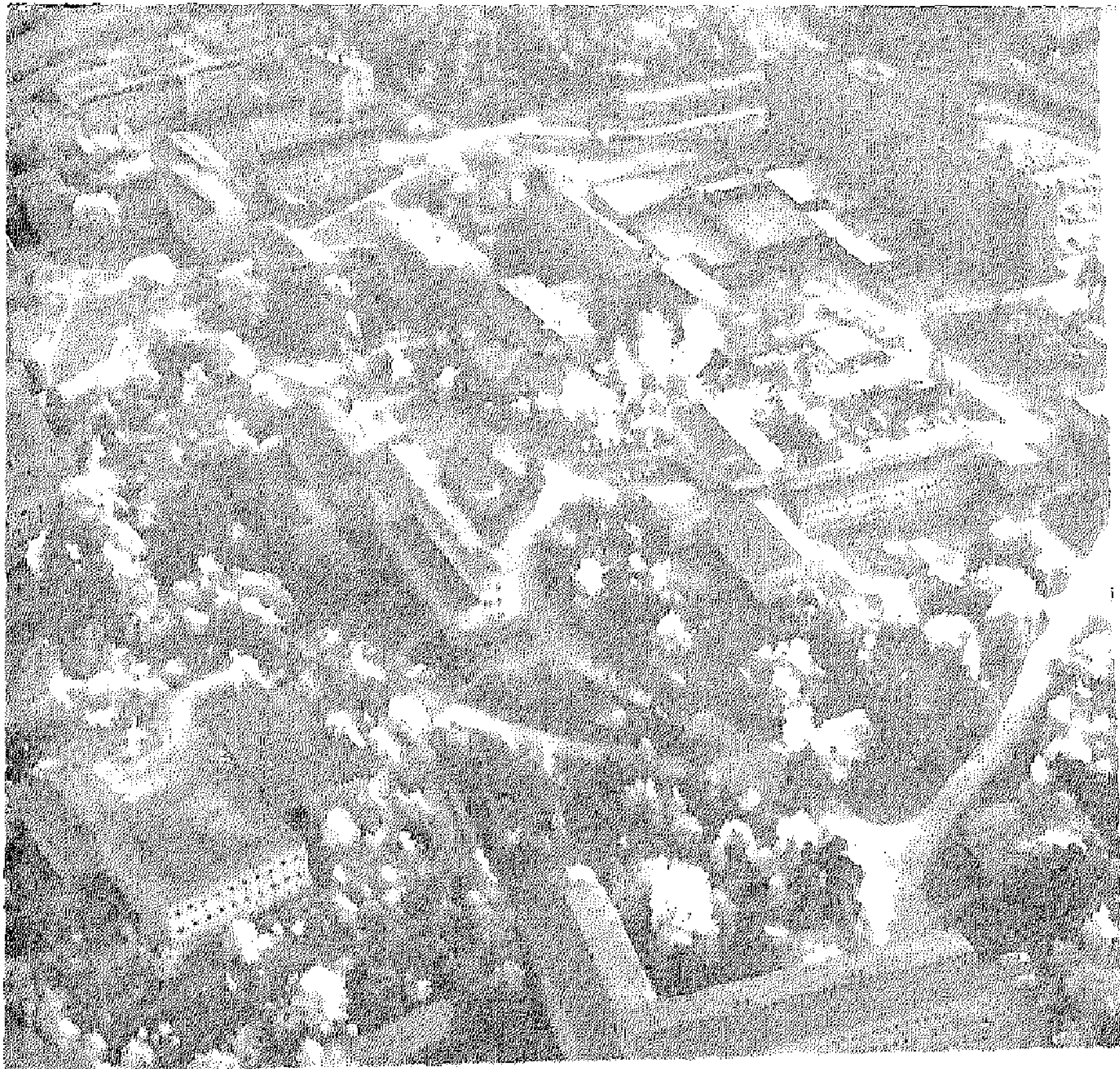
أما التلاميذ الذين يحسنون تقديم امتحاناتهم على افضل وجه فلديهم أهل متفهمون يدعمونهم. هؤلاء الاهل يدركون أهمية الامتحان، لكنهم لا يجعلون منه قضية حياة أو موت. ان في وسع الولد المحاولة مجدداً.

ويرى كينيدي هيل أن أعلى علامةٍ يحصِّلها التلميذ تعتبر العلامة الحقيقية لأنها تظهر مقدرته الفعلية.

حتى واضعو الامتحانات يشددونَ على أن علامة واحدة أو مجموعة علامات لا تنبىء بالنجاح أو الفشل الاكيد. وليس من امتحان يقيس على نحو شامل ابداع الولد وارادته وتصميمه على النجاح. وعلى المدى الطويل، تثبت هذه الميزات جدارتها أكثر من أي علامة امتحان.

ولكن على رغمٍ جميع سلبيات الامتحانات، فلنتذكّر أنها ستبقى حقيقة مهمة في حياة الاولاد، ومثلما نطلب منهم أن يتعلموا السباحة، علينا مساعدتهم على اتقان هذه المقدرة التي تقويهم على الاستمرار.

ادوين كيستر
وسالي فالنتي كيستر ■



منظر جوي لمعهد كارولنسكا الذي يقع خارج حدود العاصمة استوكهولم.

حقق الباحثون في هذا المعهد الاسوجي اكتشافات في حقل الطب الأحيائي تعود بنفع عظيم على الجنس البشري

كارولنسكا رائد الطبّ الأحيائي

في احدى غرف العمليات في معهد كارولنسكا في أسوج (السويد) سُجّي على طاولة الجراحة رجل مصاب بداء باركنسون (الشلل الرعاشي) وهو في حال تخدير عمومي. كان رأسه مشبوكاً بحاضن مكعب من الالومينيوم. وقبل ذلك كانت الاشعة السينية (إكس) عيّنت في عمق الدماغ هدفاً في حجم حبة زيتون، وحدد الدماغ الالكتروني موقعه. وكان ثقب قطره سنتيمتر أحدث في مقدم جمجمة الرجل عند حد شعره، وسُدّد في اتجاه الثقب جهاز تصويب مثبت في الحاضن.

في هذه الأثناء تناول جرّاح الأعصاب قُصيبة رفيعة تشبه إبرة محقنة عملاقة ولقمها حزمة من خلايا الانسجة قطرها سنتيمتر وربع سنتيمتر، ثم راح يدفعها

Photo: Per Bergström

داخل جهاز التصويب حتى ثقب رأسُها مركز مجموعة خلايا الهدف. وضغط مكبساً داخل القصيبة زارعا حزمة الانسجة في المركز المذكور، ثم سحب الآلة.

استغرقت عملية الزرع أقل من ٦٠ ثانية لكنّها دخلت تاريخ الطب. فللمرة الاولى تزرع خلايا حيّة في دماغ بشري.

هذا الزرع الثوري الذي تمّ في العام ١٩٨٢ هو مثل حيّ على الابحاث الرائدة التي يجريها العلماء في معهد كارولنسكا، أرقى مراكز الابحاث الطبية الأحيائية في أسوج، الذي تموله الدولة ويؤلف خمسون من أساتذته مجمع جائزة نوبل في الطب او في علم وظائف الأعضاء (الفيزيولوجيا)، وهي الجائزة التي ربحها علماء من معهد كارولنسكا خمس مرات. ويُذكر أن سبعة من العلماء الاسوجيين الاثني عشر الاعضاء في "الاكاديمية الوطنية للعلوم" في الولايات المتحدة هم من المعهد.

كارولنسكا هو اسم التحبب الذي يطلق على المعهد الذي يعتبر أكبر مراكز التدريب على الرعاية الصحية في أسوج، ويضمّ أكثر من ٨٠٠ أستاذ ومدرّس وباحث و٣٨٠٠ طالب، ويستقبل كل سنة نحو ٢٧٠ عالماً زائراً من ٤٠ بلداً. ويدرّب المعهد نصف أطباء الاسنان في أسوج وثلث الاطباء الآخرين وخبراء المعالجة الفيزيائية. وتحتوي مكتبته الطبيّة على اكثر من نصف مليون مجلّد، وهي الأضخم في كل البلاد الاسكندينافية، وكانت الأولى بين ١٦ مركزاً دولياً للتنسيق انضمت الى نظام "مدلار"(١) وهو أكبر فهرس للمعلومات الطبيّة في العالم الذي يعمل بوساطة الدماغ الالكتروني ومركزه واشنطن في الولايات المتحدة.

يقع المعهد في طرف العاصمة استوكهولم ويتألف من ٣٤ بناء مشيدة بالآجر الأحمر، يحوطها ٢٥ هكتاراً من الحدائق الخضراء اليانعة. ويخيّم على الحرم المشجّر جو جامعي هادئ. أما المختبرات فتضجّ بالابداع والعمل الخلاق. وفي مختبر "برزيليوس" يجري علماء الاحياء المتخصصون بالاعصاب تجارب مخبريّة على الفئران بغية اختبار التحسينات المدخلة على طريقة الزرع الدماغي المتبعة في معالجة مرضى داء باركنسون.

سكين غاما. يبدأ المصاب بداء باركنسون يفقد السيطرة على عضلاته عندما تتوقف الخلايا الدماغية عن انتاج الـ"دوبامين"، المادّة الكيميائية التي تنقل الرسائل الضابطة للاعصاب. ويأمل البروفسور لارس أولسن من دائرة علم الانسجة أن يبدل تلك الخلايا الدماغية ببعض خلايا الغدتين الكظريتين(٢) الموجودتين في شحم كليتي المريض نفسه. وهذه الخلايا أيضاً تفرز الدوبامين. فاذا نمت وراحت تنتج هذه المادة، استعاد المريض السيطرة على عضلاته. لكن أولسن يحذر: "لا أريد أن أزرع في النفوس آمالاً خادعة. هناك بعض التقدّم لكنّنا لا نملك علاجاً بعد."

وقد نجح العلماء في معهد كارولنسكا، بالاشتراك مع علماء أسوجيين آخرين، في

(١) Medical Literature and Analysis Retrieval System «MEDLAR»

(٢) Adrenal glands

زرع خلايا في أربعة من المصابين بداء باركنسون. وأظهر هؤلاء تحسّناً دام بين يومين وستّة أسابيع. ويسعى أولسن إلى إطالة فترة التحسن في المستقبل بأن يضيف الى الخلايا المزروعة مادّة تشبه الهورمون وتدعى "العامل المنمّي للأعصاب"(٣). وهذا الاجراء يعد أيضاً بنتائج جيّدة لضحايا داء ألزهايمر(٤) وإصابات الدماغ والحبل الشوكي.

وأولسن ليس سوى عالم بين عدد كبير من علماء معهد كارولنسكا الذين حققوا أعمالاً رائدة في تطوير الانجازات والمعدّات التي فتحت الابواب واسعة أمام أبحاث الطب الأحيائي. وفي أواخر الاربعينات طوّر عالم البيئة الجرثومية بنغت غوستافسن عازلاً بسيطاً خفيف الوزن تعيش الحيوانات المخبرية داخله بمنأى عن الجراثيم. وكنتيجة لهذا الاختراع يملك معهد كارولنسكا اليوم أحد أكبر المختبرات الخالية من الجراثيم في العالم. وفي أوائل الخمسينات طوّر عالما الانسجة هانز انفستروم ويان فرسال تقنية لتحضير عيّنات الانسجة للمجهر الالكتروني، أتاحت لهما التقاط أولى الصور الفوتوغرافيّة للبنية الدقيقة في أجهزة السمع والتوازن في الأذن الداخلية.

وفي العام ١٩٦٨ أنجز جرّاح الاعصاب لارس ليكسل اختراع "سكّين غاما" المستخدمة في الجراحات غير المصحوبة بإراقة دم والتي تجرى في عمق الدماغ. ويشرح رئيس دائرة جراحة الاعصاب الدكتور لارس غرانهولم أن تلك الآلة "تشبه كرة كبيرة في وسطها فتحة تتسع لرأس المريض."

يمدد المريض على طاولة بحيث تُسلط أشعة "غاما (٢٠١" المنبعثة من الآلة على المكان المستهدف. وفي وسع الاشعّة المركّزة أن تدمّر الاورام الصغيرة في الأذن الداخلية وفي الغدّة النخامية في الدماغ، وان تختم الأوعية الدموية المشوهة التي قد يقضي نزفها على المريض. وفي العام ١٩٨٦ وفد الى استوكهولم ١٥٠ مريضاً من ١٧ بلداً ينشدون هذه المعالجة الخاصة.

في دائرة الاشعّة التشخيصيّة يعالج البروفسور بيورن نوردنستروم أورام الصدر والرئة بوساطة الكهرباء. وهو يُدخل في جسم المريض قطبين كهربائيين بحجم الابرة، أحدهما ايجابي والثاني سلبي، واضعا واحداً في وسط الورم والثاني على مسافة ٢٥ سنتيمتراً منه، ثم يُمرر بينهما تياراً كهربائياً قليل الفلطيّة. ويشرح نوردنستروم أن "التيار الكهربائي يحدث تغيّرات في بيئة الورم من شأنها أن تحاربه وتعزّز عملية الشفاء." ومع أن المعالجة ما زالت في طور الاختبار فان ١٢ من أصل ٢٦ ورماً عولجت به إما انكفأت وإما اختفت تماماً.

اكتشافات وجوائز. تعود فكرة هذه الابحاث الى العام ١٨١٠ عندما أنشأ البرلمان الاسوجي معهد كارولنسكا بغية توفير عناية طبيّة فضلى للجيش. وكان جونز جاكوب برزيليوس بين العلماء الأول الذين عُيّنوا فيه، وما لبث أن اكتشف عنصري السيلنيوم والثوريوم.

---

(٣) Nerve — growth factor

(٤) داء الزهايمر هو فقدان الذاكرة الشبيه بالخرف.



اختصاصيتان منهمكتان في العمل في دائرة الفيزيولوجيا .

ومنذ البدء شدد برزيليوس على الجراحة والبحث العلمي، وهو تقليد ما زال سارياً إذ ان عدداً كبيراً من بين ألف مشروع ونيّف قيد البحث في كارولنسكا يهدف بالتحديد الى كشف الآليات الاساسية للجسم البشري. وفي دائرة علم العقاقير، مثلا، اكتشف الباحثون كيف يؤثر النيكوتين في الدماغ ليولد شعوراً بالنشاط والغبطة والتنبه، مما يعزز حجة القائلين بمعالجة التدخين كحالة إدمان وليس كعادة نفسيّة.

ولقد أدّت الابحاث الاساسيّة الجارية في دائرة الكيمياء الطبيّة في العام ١٩٨٢ الى فوز اثنين من علماء الكيمياء الحياتية شراكة بجائزة نوبل، هما البروفسور سون برغستروم الرئيس السابق لمعهد كارولنسكا، والبرفسور بنغت صمويلسون وهو عالم في الكيمياء الحياتية والرئيس الحالي للمعهد. فالاول نجح في عزل مواد تشبه الهورمونات تدعى "بروستاغلاندين" وتوصل الى تحديد بنيتها. أما الثاني وأعضاء فريقه فاكتشفوا عائلتين متصلتين من المركّبات هما "ثرومبوكسان" و"ليكوترين." علماً أن أحد أعضاء عائلة ثرومبوكسان يسبّب الجلطات الدمويّة التي تؤدّي بدورها الى نوبات القلب والسكتات الدماغية. اما عائلة الليكوترين فهي التي تسبّب أعراض الربو والالتهاب في حالات مثل الروماتيزم. ولقد أفضى فهم الدور الذي تؤديه تلك المركّبات الى تحسن كبير في طريقة معالجة هذه الامراض.

إلهام في الطريق. العلماء في معهد كارولنسكا هم، عموماً، أحرار في تقصّي أي مشكلة تثير فضولهم. ومناخ الحرّية هذا غالباً ما يثمر اكتشافات غير متوقّعة. وبهذه الطريقة توصل الباحثون في دائرة بيولوجيا الأورام الى اكتشاف طور مهم في نمو نوع من السرطان يدعى ورم "بيركيت" اللمفاوي. وأول من توصّل الى هذا الاكتشاف زوجان بلغاريان أضافهما المعهد كباحثين زائرين لدراسة الكروموزومات في الخلايا السرطانية. ويقول رئيس الدائرة البروفسور جورج كلاين: "مع أننا عملنا في هذا المشروع بمشاركة وثيقة، فان كلّا منّا كان حرّاً في تقصي أي من مظاهر البحث التي تروقه."

عثر البلغاريان جورج ويانكا مانولوفي على خلية تحوي كروموزوماً (صبغية) واحداً أطول من سواه، وما لبثا أن اكتشفا الظاهرة نفسها في غالبية الخلايا في الورم اللمفاوي. وبعد ست سنوات لحظ العالم الهنغاري (المجري) فرنسيس فينر التغيرات ذاتها في أبحاثه حول كروموزومات الاورام في الفئران. وعندما جمع البروفسور جورج كلاين الاكتشافين غير المرتبطين ظاهراً، استنتج أن الخلايا تحولت سرطانية بعد انقسام الكروموزومات وتبادل أنصافها، الامر الذي يضع جينتين (مورثتين) جنباً الى جنب فتنشطان وتطلقان النمو السرطاني. وقد شكّل هذا الاكتشاف خطوة مهمة في اتجاه فهم الورم اللمفاوي المعروف بورم "بيركيت"، ومهد السبيل لحقل واعد جديد من البحث في أمراض السرطان.

وذات يوم تمّ حلّ إحدى الاحجيات المحيّرة في الطب في الطريق العامة بين استوكهولم وأبسالا. فبينما كان البروفسور رولف لوفت وزميل له إختصاصي بالغدد الصمّ هو الدكتور إرول سيرازي، عائدين في السيارة الى منزليهما، راحا يتباحثان حول اللغز الذي طالما حيّر العلماء: لماذا يظهر مرض السكّري الذي يسببه عادة نقص في مادة الانسولين، لدى الراشدين الذين تنتج أجسامهم، ظاهرياً، كميات كافية من الانسولين؟ فوقعا فجأة على الجواب. وللحال أوقفا السيارة وأكبا على وضع الخطوط العريضة للنظرية القائلة بأن الناس يرثون حداً أعلى لكمية الانسولين التي تستطيع أجسامهم انتاجها، وربما كانت هذه الكميّة غير كافية في ظروف يشتدّ فيها الطلب على الانسولين مثل الحمل والسمنة المفرطة.

وفي السنوات التالية طوّر لوفت وسيرازي اختباراً لقياس قدرة جسم الفرد على إنتاج الانسولين. وهذا الاختبار لم يثبت نظريتهما فحسب بل أظهر أيضاً أن جسم لوفت نفسه ذو قدرة منخفضة على انتاج الانسولين وأنه بالتالي معرض لأن يصاب بمرض السكري في وقت لاحق من حياته.

دراسات ريادّية. على أن الابحاث التي يجريها المعهد لا تقتصر على الانابيب والمجاهر. فدائرة الدراسات السريرية حول الكحول والمخدرات استنبطت علاجاً للمشكلة التي تواجهها اسوج والمتمثلة في الارتفاع الحادّ في عدد الاناث المدمنات. وفي حين أفادت برامج العلاجات السابقة ٣٠ في المئة من متلقيها سجّل برنامج المعالجة الجديد نجاحاً بلغ ٦٦ في المئة عام ١٩٨٥.

موضوع الصحّة العامة قضيّة أخرى تشغل الباحثين في دائرة علم الصحّة البيئية في المعهد. وتستخدم الدائرة سجلات المعهد، وهي من الأضخم في العالم وتضم ٢٥ ألف زوج من التوائم، لدراسة أنواع شتى من المشاكل، من سرطان الثدي والربو الى مشاكل التدخين والشيخوخة.

وكانت المعلومات والبيانات المجموعة لـ ٣٥٠ زوجاً من التوائم الذين فصلوا عند الولادة، أساساً لدراسة التأثير النسبي

للوراثة والبيئة في بعض العوامل المتصلة بالشيخوخة مثل الصحة الجسدية والعقليّة والمقدرة الفكرية واستهلاك الكحول. فوجد الباحثون أن البيئة تشكّل ٦٠ الى ٦٥ في المئة من شخصيّة الفرد بينما تؤدي الخلفيّة الموروثة دوراً أقوى في تحديد الصحة الجسدية.

يهتم المعهد أيضاً بمشاكل طبية أحيائية ذات امتدادات دولية. وعندما نشر علماء كارولنسكا وسواهم من العلماء الاسوجيين عام ١٩٧٠ أول دراسة جدّية عن خطر الزئبق المثيلي على السمك، دفع التقرير الذي وضعوه منظمة الصحّة العالمية وجماعات أخرى الى وضع معايير لسلامة البيئة الصحية. ويدأب الباحثون في دائرة علم الصحّة البيئية في المعهد على تقويم الخطر الناجم عن الزئبق والكادميوم والزرنيخ والرصاص في البيئة.

فيما يقف المعهد على عتبة التسعينات، يأمل توسيع دوره قائداً رائداً في البحث الطبي الأحيائي في العالم. وهو ما زال يستقطب تبرعات لتمويل الابحاث التي يجريها علماؤه. والى ذلك ضاعف حملته لاجتذاب المتدربين الاجانب، وراح يقبل أعداداً أكبر من العلماء الأجانب الذين يشكلون الآن بين ٥ و١٠ في المئة من مجموع خريجيه. وسيبدأ المعهد، بدعم من الحكومة، وضع برنامج دولي تدريبي لمساعدة الجامعات في العالم النامي على تطوير مقدراتها البحثيّة.

ويقول رئيس المعهد صمويلسون: "سوف نكرّس الكثير من قدراتنا ووقتنا لتقديم الارشاد وايصال أفضل ما حققه علم الطبّ الى الذين هم في أمسّ الحاجة اليه. ولن نتوقف عن البحث الرائد." تلك هي مساهمة المعهد الاسوجي وفق التقليد الذي درج عليهِ والذي جعل اسمه مرادفاً للبحث والتعليم المتفوقين في عالم الطب الأحيائي.

هيو ماكنتوش ■



محاضر ممتع!

قال محاضر لزوجته: "لم أفهم قط لماذا، عندما أنهي محاضراتي، يواجهني الجمهور بموجتين اثنتين من التصفيق!"

فشرحت له: "لان تصفيق الصاحين يوقظ النائمين فيسرعون بدورهم الى التصفيق."

س.هـ.و.

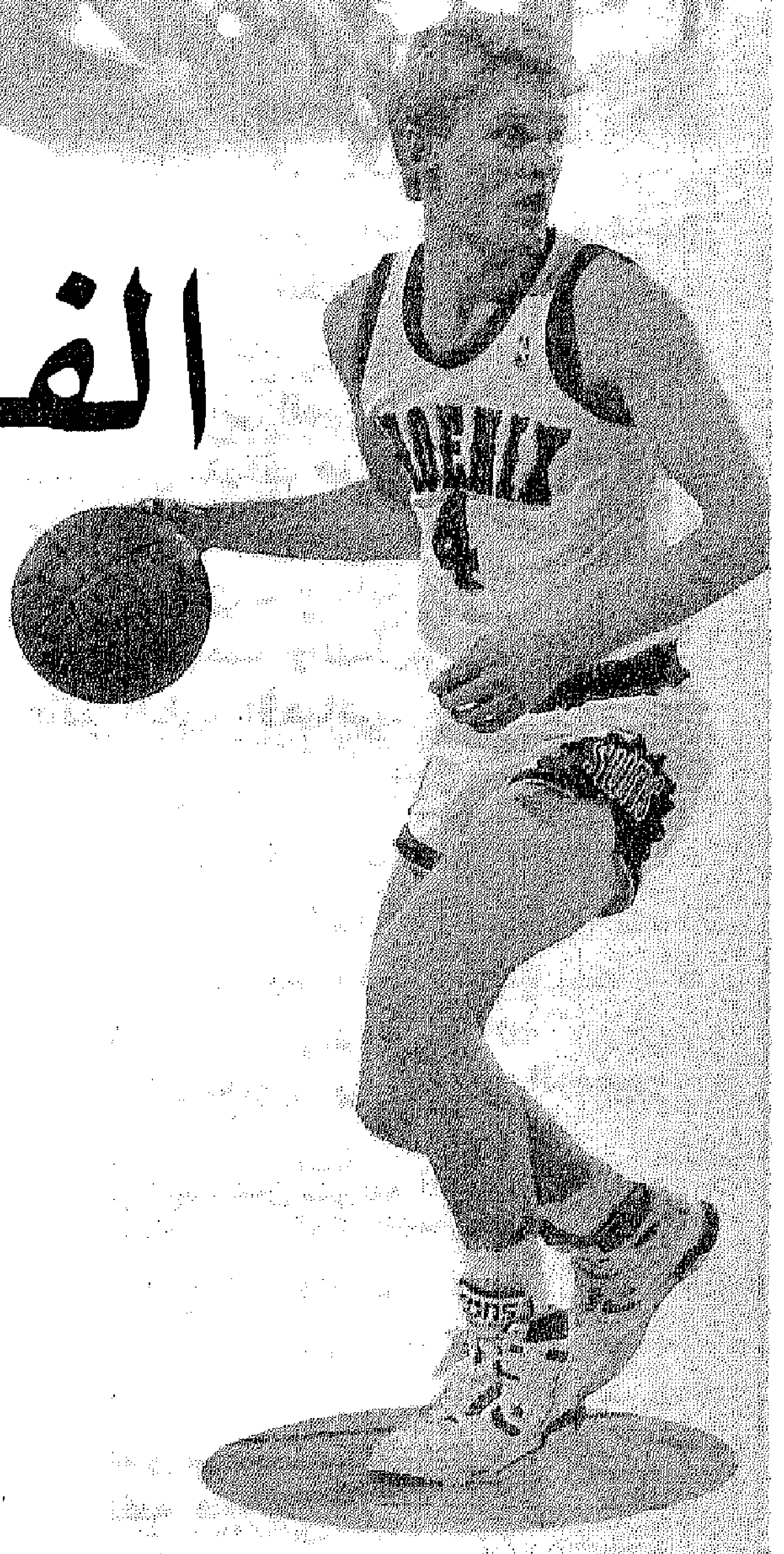
لوحة متشرد

وقفت امرأة أمام لوحة متشرد رث الثياب في احدى صالات المتحف وهتفت: "تأملوا هذا، انه لا يملك ما يشتري به ثياباً لائقة، لكنه قادر على دفع ثمن رسمه!"

م.ك.

قُتل أبوه وتمزقت ركبته
وقال الاطباء
انه قد لا يركض ثانية
لكن شجاعته
حطمت كل القيود

الفتى العائِدُ



كان ستيف كير في سني فتوّته يشعر بأن هناك درعاً واقية تحرسه وعائلته. ولازمه هذا الشعور الى أن كان يوم رن فيه جرس الهاتف في الثالثة صباحاً. وكان ستيف شاباً أشقر يبلغ طوله ١٩٠ سنتيمتراً، في سنته الأولى بجامعة أريزونا في توسون. وقد حظي لتوه بفرصة طالما تمنّاها: أصبح لاعباً في فريق الجامعة لكرة السلة. انه يحب هذه اللعبة أكثر من أي شيء آخر.

كان أفراد عائلته منتشرين في أنحاء العالم. فوالداه وأخوه الأصغر أندرو يعيشون في لبنان حيث يشغل والده منصب رئيس الجامعة الأمريكية في بيروت. وتعيش أخته سوزان مع زوجها في تايوان. أما أخوه جون فيعمل في مصر. لكن عائلة كير بقيت مترابطة ومتعاضدة

Photos: (top) © Steven McCurry / Magnum; (bottom) courtesy of Phoenix Suns

وحافظت على جوها الحميم مما وفّر لستيف شعوراً بالطمأنينة.

فجأة، صباح الأربعاء ١٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤، أيقظه جرس الهاتف في توسون. وكلّمه صديق للعائلة فأخبره أن والده قتل بالرصاص في بيروت.

جلس ستيف منذهلا على حافة سريره محاولا أن يستوعب الخبر. هل مات والده؟ ذلك الرجل الممشوق القامة المميز الذي لا بديل منه؟ كانا يقضيان الساعات معاً يرميان الكرة في السلة. هل مات الرجل الذي طالما اعتمد عليه ستيف والذي أسعده يومياً وجعله يفتخر بأنه ابن مالكوم كير؟ هل مات حقاً؟

كانت عائلة كير أدركت خطر العيش في لبنان. فالجنود اللبنانيون يحرسون مداخل الجامعة بعدما خطف رئيسها السابق واحتجز لمدة سنة. لكن العائلة أدركت أيضاً رغبة الأب في إعادة الجامعة التي علّم فيها هو ووالداه، الى تفوقها السابق. وكان ستيف قال لمراسل صحافي قبل أيام: "يريحني جداً أن يعيش والداي في مكان آخر. لكن أبي قطع عهداً على نفسه بالبقاء."

اتصل ستيف بأمه في بيروت وأجهشا بالبكاء. وبعدما وضع السماعة جلس وحده يحاول من جديد استيعاب الخبر.

مَنْ هو ستيف؟ ولد ستيفن دوغلاس كير عام ١٩٦٥ في مستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت حيث كان والده يدرّس مادة العلوم السياسية. فهو أستاذ دراسات الشرق الاوسط في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس، وكان دائم السفر الى بلدان مختلفة للتعليم كأستاذ زائر. وهو اصطحب عائلته الى كل بلد قصده. وعندما بلغ ستيف الرابعة عشرة من عمره كان عاش في لبنان وفرنسا ومصر وتونس.

درس ستيف ثلاث سنوات في مدرسة باليسادس الثانوية في كاليفورنيا. وفي فناء المنزل المطل على مدينة لوس انجلس صارت لعبة كرة السلة بين أفراد العائلة عادة مكرسة بعد ظهر كل يوم أحد.

ونما حب ستيف لهذه الرياضة في باليسادس، وعوّض بطأه بالرميات الدقيقة الصائبة في السلة وهو واقف على بعد ستة أمتار. وبرزت مهاراته في التحكم بالكرة وتميز ببرود أعصابه وثقته الهادئة بنفسه مما كرّسه هدافاً وقائداً.

لفت ستيف أنظار المسؤولين في الجامعات لقدرته على تصويب الكرة من مسافة بعيدة، لكن هذا الأمر لم يوفر له منحة جامعية. وهكذا تخرّج في مدرسته الثانوية خائب الأمل لا يعرف أي جامعة سيدخل.

في ذلك الصيف اعتمد ستيف مرة أخرى على والده العائد من بيروت. أمضيا معاً ساعات طويلة يشاهدان مباريات البايسبول ويلعبان كرة السلة أمام المنزل ويتحدثان مطوّلا. وكان ستيف يلعب آنذاك في فريق غير معروف، وقد ذهب مالكوم لمشاهدة مبارياته كلما أمكنه ذلك.

في أواخر يوليو (تموز) حضر الى لوس انجلس رجل يدعى لوت أولسن وهو المدرب الجديد لفريق كرة السلة في

جامعة أريزونا. كان يبحث عن لاعب يصوّب الكرة الى السلة من مسافة بعيدة. وذهب ذات ليلة الى لونغ بيتش (كاليفورنيا) لحضور مباراة غير رسمية كان ستيف كير يلعب فيها. وقد تذكر لوت أولسن تلك الليلة لاحقاً فقال: "رأيت ذاك الفتى الأشقر يقطع الملعب من أقصاه الى أقصاه وهو يضرب الكرة أرضاً ثم يرميها في السلة من مسافة بعيدة."

في عطلة الاسبوع التالية عاد لوت أولسن بصحبة زوجته الى ذلك الملعب في باليسادس. وتعجبت زوجته عندما رأت فتى ناحلا لا حول له على الركض أو تسجيل الاهداف. فسألته:

"هل أنت جادّ يا لوت؟"

غير أن ما رآه لوت كان لاعباً يعرف كيف يتحكم بالكرة، وصاحب خبرة في الملعب، وقائداً، وهدافاً.

وبعد بضع مكالمات هاتفية انتظر ستيف كير النتيجة على أحر من الجمر. وأخيراً جاءه الخبر: إن جامعة أريزونا، احدى أهمّ الجامعات في غرب البلاد، تعرض على ستيف كير منحة دراسية كاملة على أن يلعب في فريقها لكرة السلة. فوافق ستيف والفرحة تغمره.

حتى يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ كان فريق "وايلد كاتس" في جامعة أريزونا ربح ثلاث مباريات وخسر ثماني أخرى. وغمرت الفريق غبطة حافزة. وكان ستيف يلعب نحو عشرين دقيقة في كل مباراة، وهو وقت لا بأس فيه بالنسبة الى مبتدىء. وكان يصيب في نصف رمياته. فأحبّ الجامعة والفريق.

وإذا بالخبر المفجع يأتيه من بيروت.

صدمة فانتصار. التفّ طلّاب الجامعة، بل سكان توسون كلهم، حول ستيف يشاركونه في حزنه. وكانت مباراة ضد فريق ولاية أريزونا، وهو الخصم اللدود، قد عُينت ليوم الجمعة الواقع بعد يومين من مقتل والد ستيف. فقال له لوت أولسن ان الجميع سيتفهمون غيابه عن المباراة، إلا أن ستيف أصر على الاشتراك، فللأمر أهمية خاصة.

في تلك الليلة احتشد نحو عشرة آلاف متفرج في ملعب الجامعة. كان عدد كبير منهم يفكّر في الحادث الذي حصل في النصف الآخر من العالم. وألقى المذيع كلمة عن مالكوم كير وطلب من الحضور الوقوف دقيقة صمت حداداً عليه.

عندما ساد الهدوء حاول ستيف أن يبعد مقتل والده عن ذهنه. وحوّل الانصار أنظارهم متجنبّين التحديق الى اللاعب الرقم ٢٥ الذي وقف مع فريقه مطأطىء الرأس وهو يبكي بهدوء.

بعد سبع دقائق على بدء المباراة أرسل المدرّب ستيف الى الملعب. ووسط التوتر الحاد لم يسمع إلا وقع الكرة على أرض الملعب. فجأة التقط ستيف الكرة وهو بعيد عن السلة مسافة سبعة أمتار، وخدع خصمه بتمريرة وهمية ثم قفز ورمى الكرة في السلة. فسقطت الكرة وسط السلة وهي تكاد لا تلامس شبكتها.

ان رمية تحسم بطولة الولايات المتحدة كلها لم تكن لتثير حماسة أشد من تلك الرمية. راح المشاهدون يقفزون ويعانق بعضهم بعضاً. لقد ولدت أسطورة.

سجّل ستيف أهدافاً كثيرة أخرى. وسرت عدوى حماسته في فريقه فأحرز

انتصاراً سهلا مسجلا ٧١ نقطة في مقابل ٤٩. وهكذا حقق فريق جامعة اريزونا أول انتصار له على فريق ولاية أريزونا منذ خمس سنوات.

وفي السنة الثانية التي أمضاها ستيف كير في جامعة أريزونا تمتع فريقه بأول موسم رابح منذ ست سنوات. وفي العام التالي عيّنه أولسن قائداً للهجوم.

أحبّت مدينة توسون ستيف لأنه رمز اندفاع فريق "وايلد كاتس." وعلى رغم الفاجعة التي هدّته واصل اللعب من دون أن يبدي شعوراً بالشفقة على الذات. لم يكن أكثر اللاعبين موهبة في الملعب، لكنه كان أكثرهم عدوانية، يندفع بتهوّر وراء كرة طليقة ويلتقطها من أيدي خصوم أطول منه وأقوى. وكان بمثابة الغراء الذي يلحم أعضاء الفريق.

في ذلك الموسم انتزعت جامعة أريزونا أول بطولة لها في الدائرة العاشرة من منطقة المحيط الهادىء رابحة ٢٣ مباراة وخاسرة تسعاً. وأعلن ستيف اللاعب الأثمن في فريق "وايلد كاتس"، وتم اختياره كأفضل لاعب في الدائرة. وخلال فصل الربيع، بعد منافسة خمسين من أبرز اللاعبين في جامعات البلاد، اختير عضواً من ١٢ في المنتخب الأمريكي الذي سافر الى اسبانيا للمشاركة في بطولة العالم عام ١٩٨٦.

وهكـذا استعـاد ستيف ايمـانـه بالمستقبل وأحسّ بالمطأنينة من جديد. ولم يدرك أن الايام خبأت مصيبة أخرى.

الحادث. بلغ الفريق الأمريكي المرحلة النصف النهائية، وقبل أربع دقائق من انتهاء المباراة ضد البرازيل كان يتصدر اللعبة متقدماً بخمس عشرة نقطة. وحاول ستيف تسجيل هدف بيد واحدة. كانت قدمه اليمنى مثبتة على الأرض عندما واجه لاعبي الفريق الآخر المزدحمين تحت السلة. فحاول تغيير طريقه، لكن ساقه التوت بفعل اندفاعه، واصطكّت ركبته فوقع وهو يصرخ من شدة الألم.

وربح الأمريكيون المباراة والبطولة، لكن الضياع عمَّ الفريق. قال الجراح التقويمي ان الرباطات الأساسية في ركبة ستيف تمزقت وانه قد لا يتمكن من اللعب مجدداً. وعاد الشاب الى بلاده بجبيرة تكسوه من الورك حتى أخمص القدم، آملا بجراحة تشفيه. فأخبره الأطبـاء أنهم إذا تمكنوا من رأب الرباطات في ركبته فان مدى شفائه يتوقف عليه.

كان ذلك كل ما أراد ستيف سماعه. فهو لم يفقد الأمل مع أنه رجع من اسبانيا تحت وطأة الصدمة والانهيار. كان يُسأل مراراً هل سيلعب كرة السلة ثانية، فيجيب: "طبعاً، لا شك في الأمر!".

خلال الجراحة انتزع الطبيب الجراح وتراً من الرضفة(١) ليصنع منه رباطاً جديداً، كما رمم رباطاً ثانياً ممزقاً. ونجحت الجراحة، لكن الطبيب لم يؤكد لستيف أنه يستطيع الركض في الملعب. وقد سأل صحافي ستيف إن كان يعتبر حظه نحساً، فأجابه ان العكس صحيح، وأنه يدرك مدى حظه كلما عبر رواق المستشفى على عكّازيه ورأى مصائب الناس.

(١) الرضفة هي العظم المتحرّك في راس الركبة.

لمّا نزع الطبيب الجبيرة بعد أسبوع كانت ساق ستيف نَحُلت الى حدّ أنه حوّل نظره عنها. ولكن ما إن بدأ يمرّنها في البركة وشعر ببدء الشفاء حتى بذل جهداً صادقاً ليعيد تأهيل ركبته.

بعد الجبيرة كان ستيف يضع مشبكاً حول ساقه ويتمرّن على الدراجة ويحمل الاثقال. أخبره الاطباء أنه سيمرّ بأيام حسنة وأخرى عصيبة. لكن مدرب فريق "وايلد كاتس" قال: "ربما مرّ ستيف بأيام عصيبة، لكننا لم نلمح فيه أياً من آثارها."

جائزة شجاعة. بعد انقضاء خمسة أشهر خلع ستيف المشبك وعاود الركض في الملعب. في بادىء الأمر كان يركض الى الامام، ثم جانبياً، ثم على نحو متعرج. لما لعب ستيف كرة السلة للمرة الاولى في مباراة ضد خصم واحد، حصل أفضل ما يمكن حسبانه: لا شيء. ورأى المدرّب أولسن ابتسامة ترتسم على وجه ستيف، فأيقن انه سيستعيد عافيته.

في المباراة الثانية من موسم ١٩٨٧ – ١٩٨٨ لعب ستيف كير ضد غاري غرانت، وهو لاعب من ميشيغن مرشح للانتساب الى الفريق الوطني الفخري(٢) لكرة السلة. رمى ستيف الكرة في السلة فأصابها خمس مرات من أصل ست لتسجيل ١٤ نقطة، بينما لم يسجّل غرانت الا سبع نقاط. وهكذا ربح فريق "وايلد كاتس" المباراة بـ٧٩ نقطة في مقابل ٦٤. وفي نهاية شهر يناير (كانون الثاني) كان رصيد فريق أريزونا ١٧ – ١ (٣) فاحتل المرتبة الاولى بين فرق الولايات المتحدة. وكان الانصار يرنمون في الملاعب: "ستيييف كيرا ستيييف كيرا" وهي أنشودة باتت على كل لسان في أوساط هواة كرة السلة.

انتهى موسم الأحلام لفريق "وايلد كاتس" عندما خسر أمام فريق أوكلاهوما في المباريات النصف النهائية في دورة الاتحاد الرياضي للجامعات الأمريكية. وفي اليوم التالي مُنح ستيف كير جائزة "الرياضي الاكثر شجاعة" التي تقدمها "جمعية كتّاب كرة السلة". وليست هذه الجائزة الا واحدة من سلسلة تكريمات لقيها عندما قاد فريقه لتحقيق رصيد بلغ ٣٥ – ٣. وصنّفت وكالة "أسوشييتد برس" فريق أريزونا "الفريق الامريكي الثاني." وفي شهر يونيو (حزيران) اختير الفتى، الذي اعتبر يوماً لاعباً بطيئاً لا يعد بخير، للّعب كعضو في فريق "فينكس سانز" المنتسب الى الاتحاد الوطني لكرة السلة.

ان الفتى العائد أصبح لاعباً محترفاً.

لورنس إليوت ■

(٢) All - American candidate
(٣) أي ١٧ فوزاً في مقابل خسارة واحدة.



من مقال في جريدة: "فلان ليس أستاذاً في الاقتصاد السياسي فحسب، بل يحتل أيضاً مراكز مهمة في الحياة الواقعية."

خبير في مشاكل الذاكرة
يقدم نصائح
تساعد في تذكر الأسماء والوجوه

كيف نتذكر الوجوه والأسماء

ثمة شكوى سمعتها مرات لا تحصى في حياتي: "لدي أسوأ ذاكرة في الدنيا. فأنا ألقى شخصاً ما وبعد دقيقة أنسى اسمه."

حسناً، عندي أخبار أزفها إليك: ليس الأمر كذلك دوماً. فأنت بعض الأحيان لا تنسى الاسم، بل انك لا تسمعه أولا.

حاول أن تستذكر آخر مرة قابلت غريباً. إن التعارف على الأرجح حصل على هذا النحو: "سيد صادق، أعرفك الى السيد قصرملّي." (★).

ان ما سمعت ما هو إلا تمتمة. وينبغي حينئذ أن تقول: "آسف، لم أنتبه إلى اسمك."

غالبية الناس تعتقد أن طلب سماع الاسم ثانية مربك. ولا أدري لماذا. إن أعز ما يملك المرء هو اسمه. وان ابديت أدنى اهتمام به فسيحبك السامع، أكان ذكراً أم أنثى.

هاك خمس قواعد بسيطة تعينك في تذكر الأسماء:

١. تأكد من سماعك الاسم.

٢. استفسر عن طريقة تهجئته. وهذا يجبرك على بذل الانتباه.

٣. قدم تعليقاً ما على الاسم، أي تعليق. مثلا: "آه، لقد قابلت أمس شخصاً بالاسم نفسه" أو "مم اشتق هذا الاسم؟" قل أي شيء.

٤. استعمل الاسم في موضع ملائم اثناء الحديث.

٥. ألفظ الاسم من جديد عند الوداع.

وتذكر: كل ما تستطيع تصوره، كل ما هو ملموس وذو مغزى، هو نصف محفوظ. فالأسماء نحو حدّاد ونجّار وفارس

(★) ملاحظة من التحرير: ابدلت الاسماء الاجنبية باسماء عربية وذلك تقريباً للموضوع من اذهان القراء العرب.

ومعماري وجمّال هي ذوات معان ويمكن تخيلها لأنها تحدث صوراً في الذهن.

لكن كيف تتخيل أسماء مثل النشاشيبي أو خزندار؟

حين التقيت السيد النشاشيبي فكرت في صحفة نشاء تندلق على شيبتي. وهكذا أضحت تلك اللفظة ذات مدلول خاص بالنسبة الي.

ولدى سماعك اسم السيد خزندار تأمل داراً خزنت فيها الاموال. فجأة يكتسب الاسم معنى.

وفي وسعك تذكر الاسماء الاولى كما تتذكر الكنى. فاذا صادفت شخصاً يدعى نخلة، تخيل شجرة نخيل، ولاسم عيد تذكر عطلة العيد، ولاسم عادل تذكر عديلك زوج أخت امرأتك.

كلنا يتعرف الى الوجوه، غير أن الأسماء هي المشكلة. وما دمنا نتعرف إلى الوجوه، فلم لا نجعل الوجه يشي باسم صاحبه؟

وما دمنا نتكلم على النشاشيبي، لنفرض أنك فكرت في صحفة نشاء مندلقة على شعرك الشائب. الخطوة التالية هي النظر إلى وجهه وانتقاء ملمح بارز من ملامحه. فاذا كان النشاشيبي ذا أنف كبير، تخيل أنفه يتحرك متشمماً النشاء على شعرك. في المرة المقبلة حين تقابل السيد النشاشيبي، صافحه بيدك، تفرس في وجهه، وانظر ذلك الأنف، وتصوره مهتزاً يتشمم النشاء على شيبتك، ثم بادره: "مرحباً يا سيد نشاشيبي!"

والاسلوب عينه يمكن اتباعه حين تلقى السيد خزندار. ان تجاعيد اجهاد وتفكير قد ارتسمت على جبينه. تأمل همومه وتحيُّره في السبل الممكنة لصرف الاموال المخزنة في داره.

أما إذا التقيت السيدة بشعلاني فتخيل عبارتها غير المكملة اذ تقول: "أنا بشعة لأني..." ولا تعرف منها السبب أبداً.

واني أقدم اليك كفالة: بعد اختبارك القواعد المذكورة أعلاه للمرة الثالثة أو الرابعة ستتحسن ذاكرتك فتستحضر الأسماء والوجوه بدقة لم تحلم بها قط.

هاري لورين ■



سبيل النجاح

يقول السناتور الامريكي فيل غرام: "عندما أؤمن بأن ما أفعله مهم وصحيح لا أنثني عنه بسهولة. لا أخشى أن أتفرد في الدفاع عن قضية، ولا أحب أن أخسر. فعندما أخوض معركة أناضل بقوة فلا تهن عزيمتي ولا أستسلم.

"تعلمت منذ نعومة أظفاري أن سبيل النجاح هو البدء باكراً والعمل بكدّ وبز الغير في المعرفة. وأنا أحاول أن أتبع هذا السبيل. الخسارة عادة تكتسب، كذلك الربح. وأنا لا أقبل الهزيمة كنتيجة نهائية، فوحده الموت نهائي."

م.ن.

الحيتان أضخم الكائنات
وهي رفيقة وذكية
وطروب

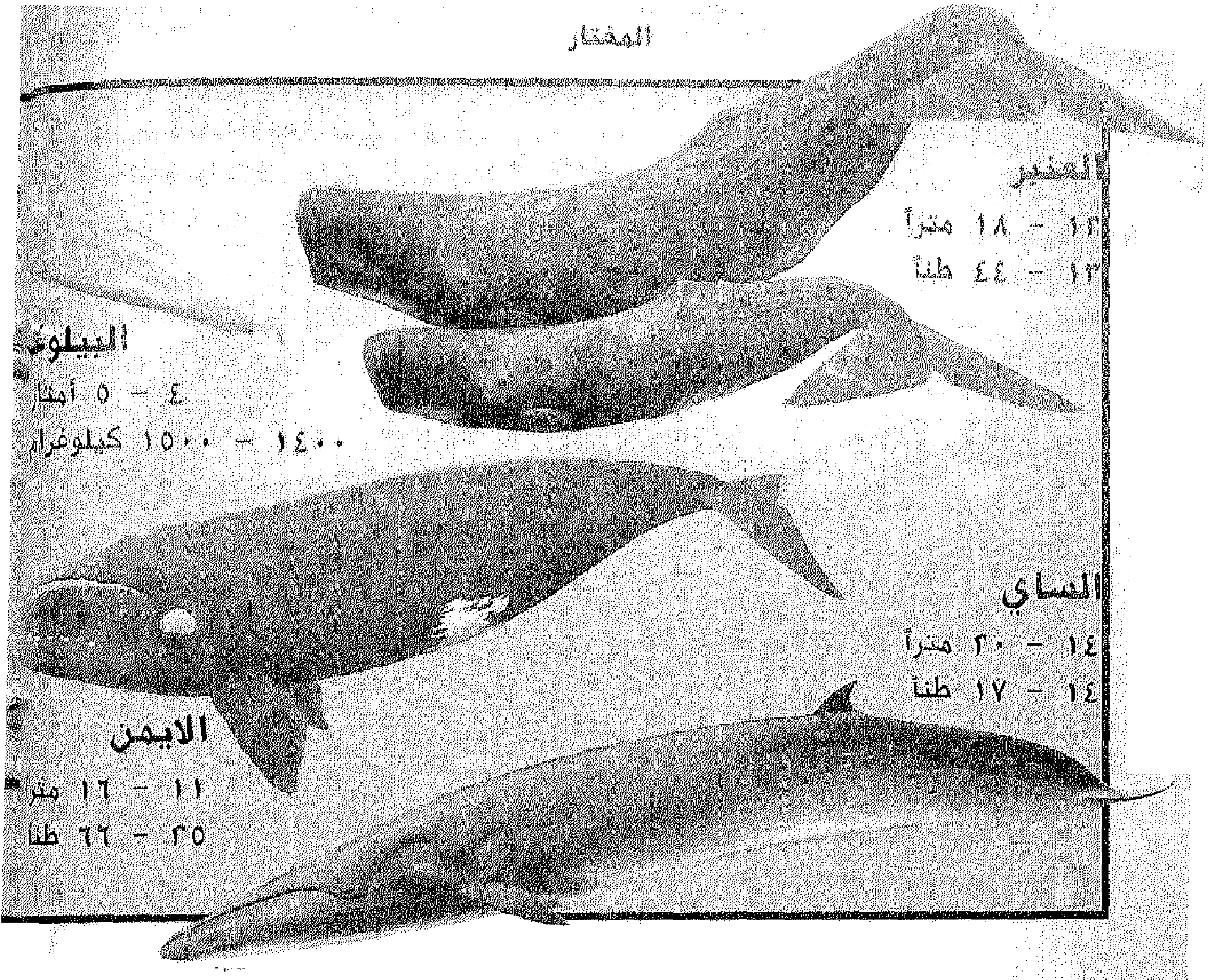
عمالقة البحار

خريف ١٩٨٨ علقت ثلاثة حيتان صغيرة في رضّة من الجليد الطافي في آلاسكا قرب قمة العالم. كان ينبغي أن تقطع شوطاً كبيراً في طريقها الى كاليفورنيا، لكنها، لحداثة سنها، تلكأت لتناول طعام سريع. ودقّ الاسكيمو ناقوس الانذار، وسرعان ما رقّت قلوب الملايين لمرأى المشاهد المتلفزة عن الرؤوس الضخمة المرضوضة تتجرع الهواء من ثقب صغير في الجليد. وهرع المتطوعون لحفر خط من ثقوب التنفس التي تفضي بالحيوانات الواهنة إلى عرض البحر وانضمت كاسحتا جليد سوفييتيتان الى عملية الاسعاف. بعد ثمانية أيام غرق أصغر الحيتان، ولكن في اليوم الخامس عشر سبح الحوتان الناجيان الى الحرية، فتنفس متابعو الاخبار في أرجاء العالم الصعداء.

ان تعاطف البشر مع الحيتان طبيعي. فمن بين كل كائنات البحر، هذه اللبونات ذوات الدم الحار هي الاقرب الينا واستيطانها البحر قصة مذهلة عن الأجناس.

يعتقد معظم المراجع العلمية أن أسلاف الحيتان المعاصرة كانت قبل ٦٠ مليون سنة ذوات أربع، وفي حجم الذئب، تحيا على شطوط مصبات الانهر والغدران، حيث جذبتها وفرة السمك والقريدس

Illustrations: Larry Foster/ Earthviews



(الجمبري) الى خوض الماء. وآثرت الطبيعة الحيتان المؤهلة للسباحة. ومنذ ما ينيف على عشرة ملايين أو خمسة عشر مليون عام كبرت منها الابدان، وتقلصت قوائمها الامامية الى زعانف تستعمل لحفظ التوازن وتوجيه الحركة، فيما اختفت القوائم الخلفية. وبغية دفع اجسامها الى الماء نشأت لها أذيال مستدقّة ذات نهايات مفلطحة كالمجاذيف، وانتقل الخيشوم في غالبية أجناسها إلى أعلى الرأس، وغدا منفصلا عن الفم، وبذا تمكنت الحيتان من أن تقتات من دون ملء رئاتها بمياه البحر، والتنفس من دون رفع رؤوسها. وتغير ترتيب جوفها أيضاً لتقوى على الحركة والاكل والاتصال تحت الماء. ونتيجة هذه التبدلات المدهشة أصبحت الحيتان بلا حول على اليابسة. واذا ما جنحت الى الشط فانها تكاد تعجز عن التنفس.

والحيتان لا تخضع لقانون الجاذبية، وهي تلتهم كميات كبيرة من الأغذية، ولذا غدت أضخم الكائنات اطلاقاً وفاقت الدينوصور حجماً. إن العظاءة الضخمة تبدو الى جانب الحوت الأزرق مثل خروف بالقياس إلى فرس نهر. وقد يبلغ طول الحوت الأزرق ٣٠ متراً، ووزنه أكثر من وزن ٢٥٠٠ رجل، ولسانه أثقل من فيل وطول اللسان ثلاثة أمتار. ويبلغ من اتساع

الطول والوزن عند البلوغ لثمانية أنواع معروفة من الحيتان

الازرق
٢٣ - ٢٥ متراً
١١٠ - ١٦٠ طناً

الرمادي
١٤ - ١٥ متراً
٣٠ - ٤٠ طناً

الاحدب
١٢ - ١٥ متراً
٢٥ - ٤٠ طناً

المنك
٨ - ١٠ أمتار
٧ - ١٠ أطنان

بعض شرايينه أن ولداً يمكنه أن يسبح عبرها. وللقلب الذي يزن نصف طن جدران بسماكة نصف متر، وهو يضخ ثمانية أطنان من الدم. وللحوت ذَكَر يبلغ طوله ثلاثة أمتار، وتزن خصيتاه نحو ٤٥ كيلوغراماً.

أسرار هندسية. حجم الحوت يمنحه قوة مهولة. فالحوت الازرق الذي يسبح بسرعة ٣٨ كيلومتراً في الساعة، يولد طاقة مقدارها ألف حصان. وفي استطاعة الحيتان الحُدب انتشال أبدانها البالغة ٤٠ طناً بكاملها من الماء.

وتبقى الحيتان دافئة بفضل دهن في أجسامها يشابه تركيبه اللدائن المستخدمة في صنع أكواب القهوة الورقية، فلا تنفذ الحرارة عبره الا بصعوبة. وحتى إن كانت الحيتان في مياه جليدية فانها تبقى معرضة لخطر الحرارة المفرطة.

ودهن الحوت مخزون نقال أيضاً. فالحيتان الرمادية، مثلا، تغادر القطب الشمالي خريفاً، وتهاجر مسافة ٨٠٠٠ كيلومتر الى بقعة تتوالد فيها على مبعدة من باها كاليفورنيا ثم تعود الى آلاسكا. وهي في غضون الاشهر الستة من رحلتها تقتات بالنزر من الغذاء، لكنها تستهلك نحو ثلث وزنها.



نيبّر عن ١١ عاماً في ١٨٩٥، عزم بارّو على رسمه في مشهد اصغائه المحبّب الى القلب وسمى اللوحة "صوت سيده."

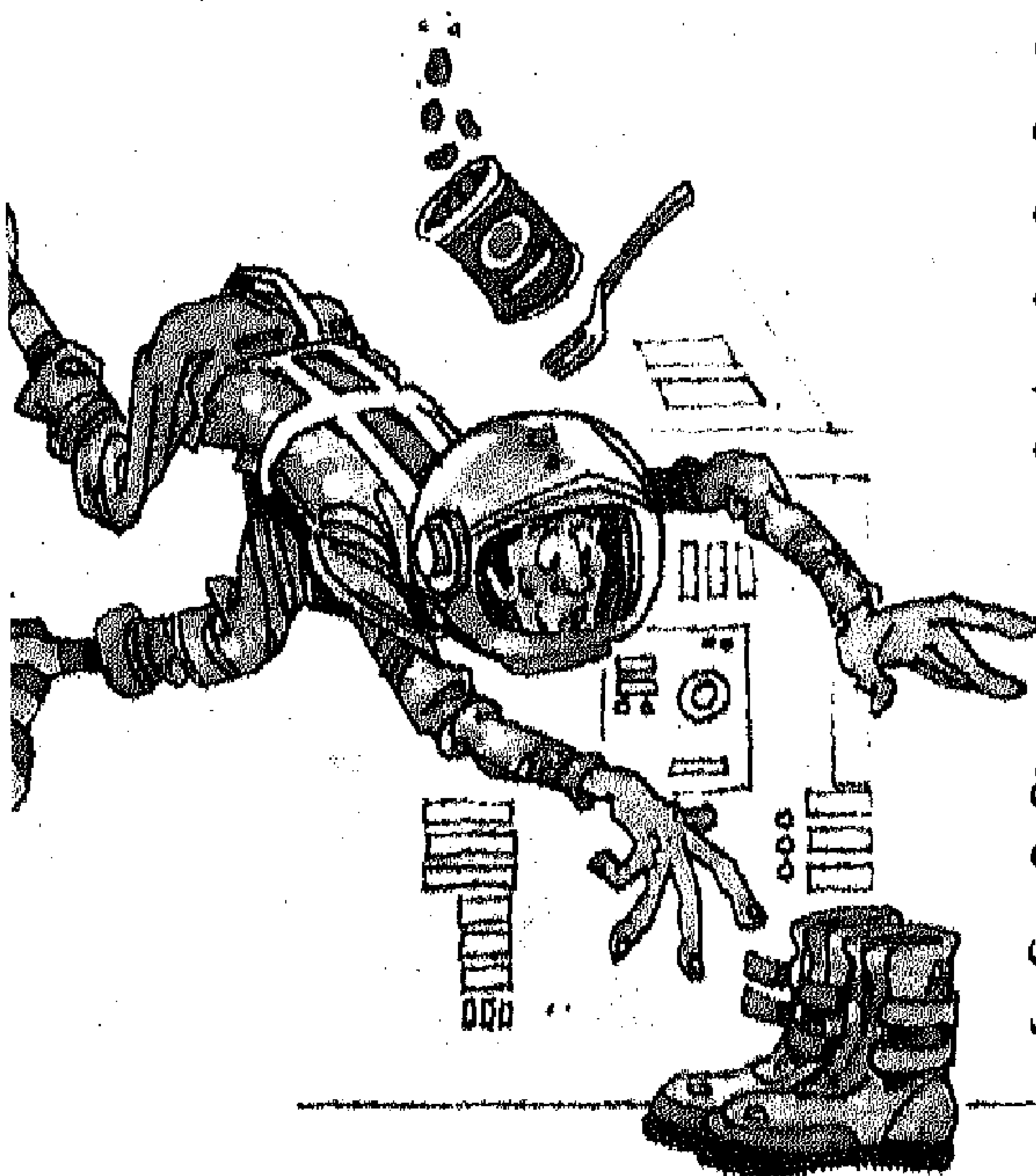
اشترت شركة "غراموفون" اللوحة الزيتية ومعها حقوق النشر والتسجيل بمبلغ ١٠٠ جنيه استرليني. وحرصت كثيراً على اللوحة وخوّلت رجال الاطفاء، في حال نشوب حريق، انزالها عن الجدار حيث كانت معلقة في غرفة المدير واخراجها سالمة.

ومنذ ذلك الحين وشبه نيبّر يُنسخ ليس على الاسطوانات المسجلة فحسب ولكن كذلك على اقلام الرصاص ومنافض السجائر والقمصان وربطات العنق والملصقات الاعلانية. ولا يزال نيبّر العلامة التجارية الرسمية لشركة غراموفون.

"فيلكرو"

ذات يوم في العام ١٩٤٨ خرج المخترع السويسري جورج دو ميسترال للصيد ومعه كلبه. فاحتك كلاهما بنبات الارقطيون الشائك فعلق من شوكه في جلد الكلب وفي سروال دو ميسترال الصوفي.

ولدى عودته الى البيت تساءل دو ميسترال عن السبب الذي يجعل الشوك يلتصق بهذه الشدّة. ففحص المادة اللاصقة بالمجهر ولاحظ ان مئات من الكلابات عالقة بطبقة الصوف والفرو المسطحة، فتبادر الى ذهنه ان الشوك يشكل مادة لاصقة لا تضاهى. فتبلورت في رأسه فكرة عن مجموعة من الكلابات تعلّق بمجموعة من الانشوطات (الحلقات)، تجسدت في "فيلكرو" (VELCRO)، مربطة النيلون الخفيفة غير القابلة للتعقيد والصدأ والتي يمكن غسلها. وهي تستخدم الآن للملابس والستائر والمفروشات والادوات الطبية (اطراف آلة فحص ضغط الدم، اطواق للعنق، قلوب اصطناعية) وفي الطائرات والسيارات. ويستخدم رواد الفضاء فيلكرو للصق رزم الطعام الى جدران المراكب الفضائية وللاحتفاظ باحذيتهم ملتصقة بارض العربة.



أمضى هال وايتهيد من جامعة دلهاوسي في نوفاسكوشيا بكندا عدة سنوات عاكفاً على دراسة حيتان العنبر (★). ودوَّن ما يأتي: "اذا طفا حوتان تفصل بينهما مسافة ٣٠٠ متر فانهما ينسلّان متقاربين خلال الدقائق المعدودة التي يمكثانها على سطح الماء."

وغريزة الامومة لدى الحيتان بالغة التطور. وبما ان الحوت يولد تحت سطح الماء، فان على أمه أن تحمله الى السطح قبل أن يغرق. وفي العادة، يعينها على ذلك حوت آخر. وتدفع الام صغيرها برفق حتى يطمئن الى مقدرته على السباحة بعد نحو ٣٠ دقيقة. واذا ما ولد الحوت الصغير نافقاً فقد تحمله أمه على ظهرها حتى يتعفن.

وتتغذى صغار الحيتان، شأن كل الحيوانات اللبونة، بحليب الأم. ولدى الحيتان نظام مبتكر لايصال الحليب الى الحوت الصغير الذي لا يمكنه أن يمكث تحت الماء أمداً طويلا، فهي تبخّ الحليب مباشرة الى فم الحوت الصغير – بمعدل ٥٠٠ ليتر يومياً لصغار الحيتان الزرق.

ويتألف حليب الحيتان من نحو ٣٠ في المئة من الدسم و١٠ في المئة من البروتيين. وتنمو الصغار بسرعة فائقة، اذ يزيد طول الحوت الازرق الصغير خمسة سنتيمترات يومياً ويزداد وزنه ثلاثة كيلوغرامات كل ساعة.

وتدلل الامهات صغارها. وتستعمل زعانفها كأيدٍ تقبض على الصغير او تلاطفه أو تؤدبه. ويصف المستكشف جاك كوستو في كتابه "الحوت، سلطان البحر" واقعة تعقبت فيها أم صغيرها ودفعته بعيداً عن إحدى السفن ثم ضربته تكراراً بزعانفها. ويضيف: "لقد بدت الضربات كصفعات، وكان المقصود منها تعليم الصغير ألا يخلط بين هيكل السفينة وبطن أمه."

غناء الفرح. اعتبرت الحيتان لقرون مسوخاً. وكلمة (Cetacea)، وهي اسمها العلمي المشتق من اللاتينية، تعني "مسخ البحر." وذكور الحيتان تهاجم بعضها بعضاً في فترة النتاج. وقد لقب الصيادون الحوت الرمادي "سمكة الشيطان" اذ انه يدافع عن صغاره بوحشية واستماتة.

ولا ريب في أن حوتاً كبيراً كان يستطيع تدمير أحدى السفن الخشبية القديمة المستعملة في صيد الحيتان اذا ما أحس بخطر داهم.

لكننا نعرف اليوم أن الحيتان، عموماً، حيوانات رفيقة لا تفقد رباطة جأشها. وقد شهد جاك كوستو للحوت بمقدرته على ضبط نفسه: "خلال السنوات الطويلة التي أمضيتها غطّاساً لم يصب أي من رفقائنا بأذى في المواجهات المحفوفة بالخطر مع الحيتان. بل ان هذه الحيوانات تظهر أمارات رغبتها في تحاشي أذى الانسان."

وعلى رغم اساءة فهم بين البشر للحيتان بعض الاحيان، فإنها تتواصل في ما بينها بسهولة. وهي تستعمل شخيرها وهمهماتها وطقطقتها لتمييز الجنس وابقاء أسرابها على اتصال. وإن الاسرة الواحدة المنتشرة على مساحة كيلومتر

(★) Sperm whales

مربع تعرف موقع كل فرد من أفرادها.

وللحيتان أصوات مرتفعة، ويجأر الحوت الأزرق بصوت عال كالفيل. ويتردد صوت الحوت ذو الجهارة العادية مسافة خمسة كيلومترات. وثمة بيّنات على أن طبقات الماء البارد العميق تحبس أصوات الحيتان وتنقلها كي تتواصل هذه في ما بينها عبر آلاف الكيلومترات.

والحيتان الثرثارة هي الحُدب. فهذه العفاريت اللعوبة تنشد أغاني جميلة طوال ٢٢ ساعة، للتمتع بالأمر ظاهراً ولجذب الإلف على الارجح. وجميع الحيتان في المنطقة الواحدة تغني الأغنية ذاتها، ويتبدل النغم كل بضع سنوات. وتتناقل الحيتان آخر أغنية "شعبية" مترنمة بها عبر المحيط بأسره.

قبل أربع سنوات استخدم السوفييت الصوت لانقاذ قرابة ثلاثة الآف حوت أبيض من نوع "بيلوغا" احتجزت في مضيق على مبعدة من بحر بيرنغ. وكانت كاسحات الجليد مهدت السبيل أمام الحيتان. لكن هذه الحيوانات المرتبكة أخافتها ضوضاء المحركات فلم تبارح مكانها. ثم عمدت سفن الانقاذ الى اطلاق موسيقى منسابة عبر مكبرات الصوت وبأنغام مختلفة منها العسكري والشعبي والجاز والروك. ولكن حين تناهت ألحان بيتهوفن الى أسماع الحيوانات شرعت تتحرك وسبحت مجتازة القناة الضيقة الى البحر الطليق حيث الحرية. ويذكر أن فكرة انقاذ الحيتان كانت تبدو الى عهد قريب عبثاً لا طائل فيه.

في العام ١٩٦٢ أقدمت ١٧ دولة على اهلاك ٧٠ ألف حوت. أما اليوم فقد تلاشت صناعة الحيتان، وبقيت دول معدودة هي اليابان وأيسلندا والنروج تقتل الحيتان بحجة اجراء البحوث، وبذا تم القضاء على أقل من ٦٠٠ حوت عام ١٩٨٨. والمتاجرة العالمية بمنتجات الحيتان محظورة اليوم، وقد بات للحيتان معجبون وأنصار في كل مكان.

يقول هال وايتهيد: "إن مستقبل الحيتان يعتمد على حسن الاشراف على المحيطات،" قاصداً بذلك خطر التلوث الذي يهدد مواردها الغذائية.

لطالما وجدت علاقة غامضة عميقة بين البشر والحيتان. ان حقبة ذبح الحيتان ولّت، فلنبذل قصارانا في نصرة إحدى أنبل الكائنات.

نويل فيتماير ■

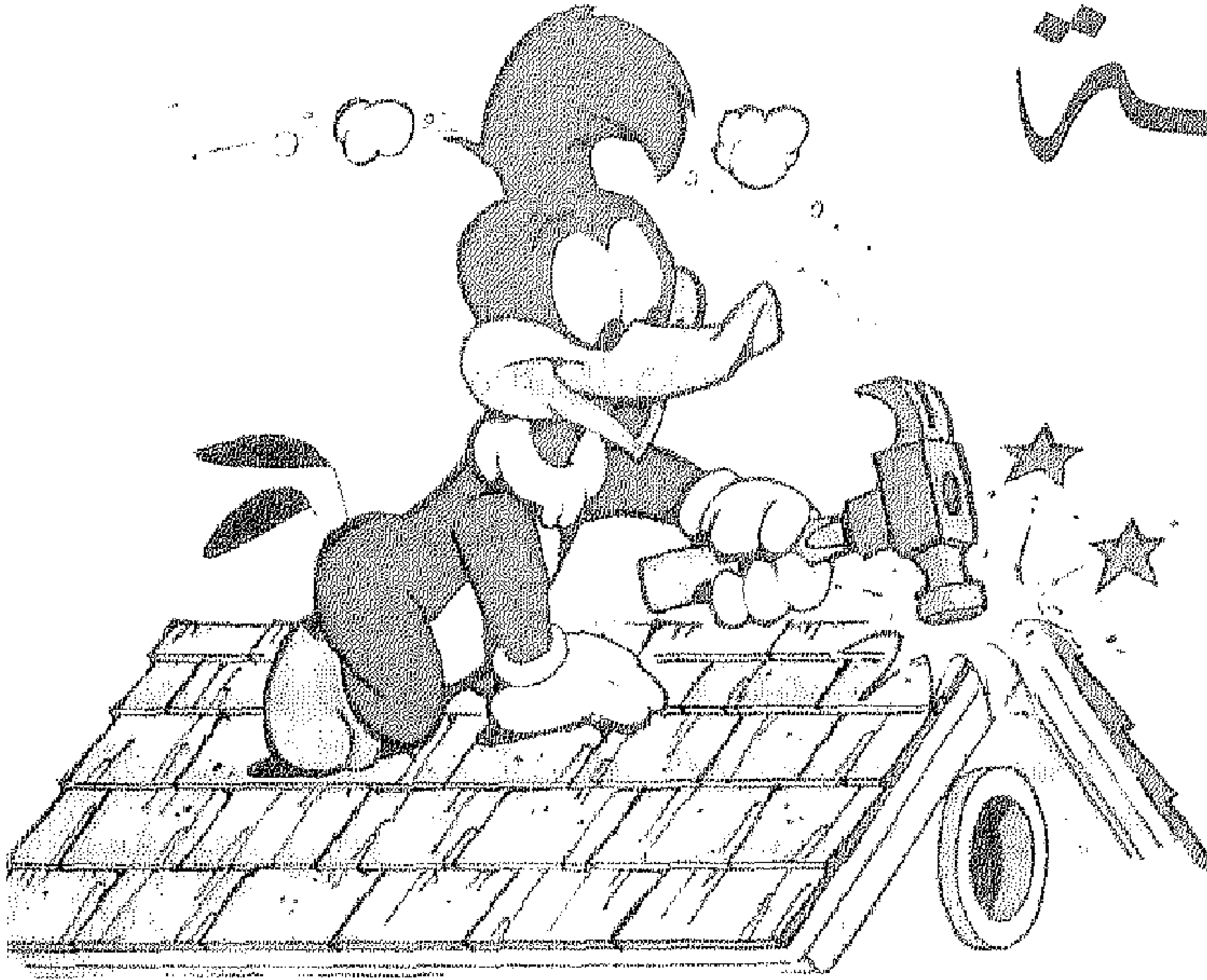


لحن الخلود

عندما تتحدث عازفة الـ"فلوت" الامريكية باولا روبيسون عن آلتها الموسيقية المحببة، تتكلم عن السحر والروعة "... والعصافير طبعا. فقد قال المؤلف الموسيقي الفرنسي أوليفييه مسيان ان زقزقة العصافير عند طلوع الفجر هي إلماع الى تآلف الالحان العلوية. لقد كنت أشكو من عزفي الذي يشبه صوت العصافير. لكنني الآن أدرك أن في ذلك امتيازاً لعازف الفلوت."

ج.ت.

لحظات إبْداع صَاعقَـة



من اين اتت فكرة بناء القصر البلوري؟ كيف طوّر الفازلين؟ ما الذي الهم روبرت لويس ستيفنسون كتابة "جزيرة الكنز"؟

القصر البلوري

في العام ١٨٤٩ حصل البستاني جوزف باكستون على نبتة زنبق ماء صغيرة من الحدائق الملكية النباتية بكيو في بريطانيا. فوضعها في حوض وطفق يغطّسها باستمرار في ماء ساخن جار.

فمرّت ستة اشهر واذا بباكستون يجد انه اصبحت لديه نبتة ضخمة مخيفة لها احدى عشرة ورقة يبلغ عرض الواحدة منها ١،٨ متر. وفي امكان الاوراق، وهي عائمة، ان تحمل ثقل ابنة عمرها سبع سنوات.

وما لبثت الزنبقة ان انبتت عدداً كبيراً من الاوراق ضاق بها الحوض. فبنى باكستون لغرسته بيتا زجاجيا فخماً صممه بنفسه، واعتمد اساساً له بنية ورق الزنبق التحتية المدهشة.

في السنة التالية طُلب من المهندسين المعماريين ان يقدموا تصاميم لقاعة كبيرة تكون المركز الرئيسي لـ"المعرض الكبير" في هايد بارك بلندن. فقدم باكستون تصميما جريئاً مبتكراً لبناء مدرّج الطبقات، اتخذ قاعدة له نموذج البناء الضخم الذي اقامه لزنبقته مع بعض التفاوت، فاوقد به خيال المصممين في لندن وكان الفائز.

اكمل بناء "القصر البلوري" خلال ستة اشهر وكان اضخم بناء جاهز شيّد بموجب

Condensed from «Brainstorms and Thunderbolts: How Creative Genius Works,» © 1984 by Carol Orsag Madigan & Ann Elwood, reprinted by permission of Jane Jordan Browne Multimedia Product Development Inc., Chicago, Ill. Illustrations: Danielle Jones

وحدات قياسية جرى جمعها وصوملتها طابقاً بعد طابق.

ومن خصائص البناء انه كان تخريمياً طلق الهواء.

القبة الجيوديسية

في روضة الاطفال كان ر. بوكمنستر فولر احول، بعيد مرمى النظر. ويتذكر المخترع الامريكي ذلك النهار: "زودتنا معلمتنا بعض المساوك (عيدان الاسنان) وحبوب البازيلاء الطرية وطلبت منا ان نصنع بها ابنية. كان الاولاد الآخرون ذوو البصر السوي ملمّين بطريقة بناء المساكن والمخازن، اما انا، وبسبب ضعف بصري، لم اكن ارى سوى احجام ولا إلمام لدي باشكال البناء. وقد صنع رفاقي ابنية مستطيلة الشكل متماسكة بواسطة حبوب البازيلاء. ولكوني ضعيف النظر كان علي الاتكال على حواسّي.

فمن خلال الدفع والسحب اكتشفت ان المثلث الزوايا حافظ على شكله متماسكا بخلاف الاشكال الاخرى. فدعت المعلمة رفاقي ليشاهدوا ما صنعت. واتذكر اني دهشت لرؤيتي اياهم مدهوشين"..

بعد سنين عدة تمثل اعتقاده ان الشكل المثلث الزوايا هو الاكثر ثباتا في بناء القبة الجيوديسية التي هي اليوم العلامة التجارية المسجلة لفولر. اما اروع قبّاب فولر الجيوديسية فكان بناء الجناح الامريكي في معرض مونريال العالمي عام ١٩٦٧. فقد بنيت "الفقاعة الجبارة" بآلاف الدعامات المسدسة الاضلاع والزوايا فبلغ عرضها ٧٦ متراً وعادل علوها علو بناية من ٢٠ طبقة.

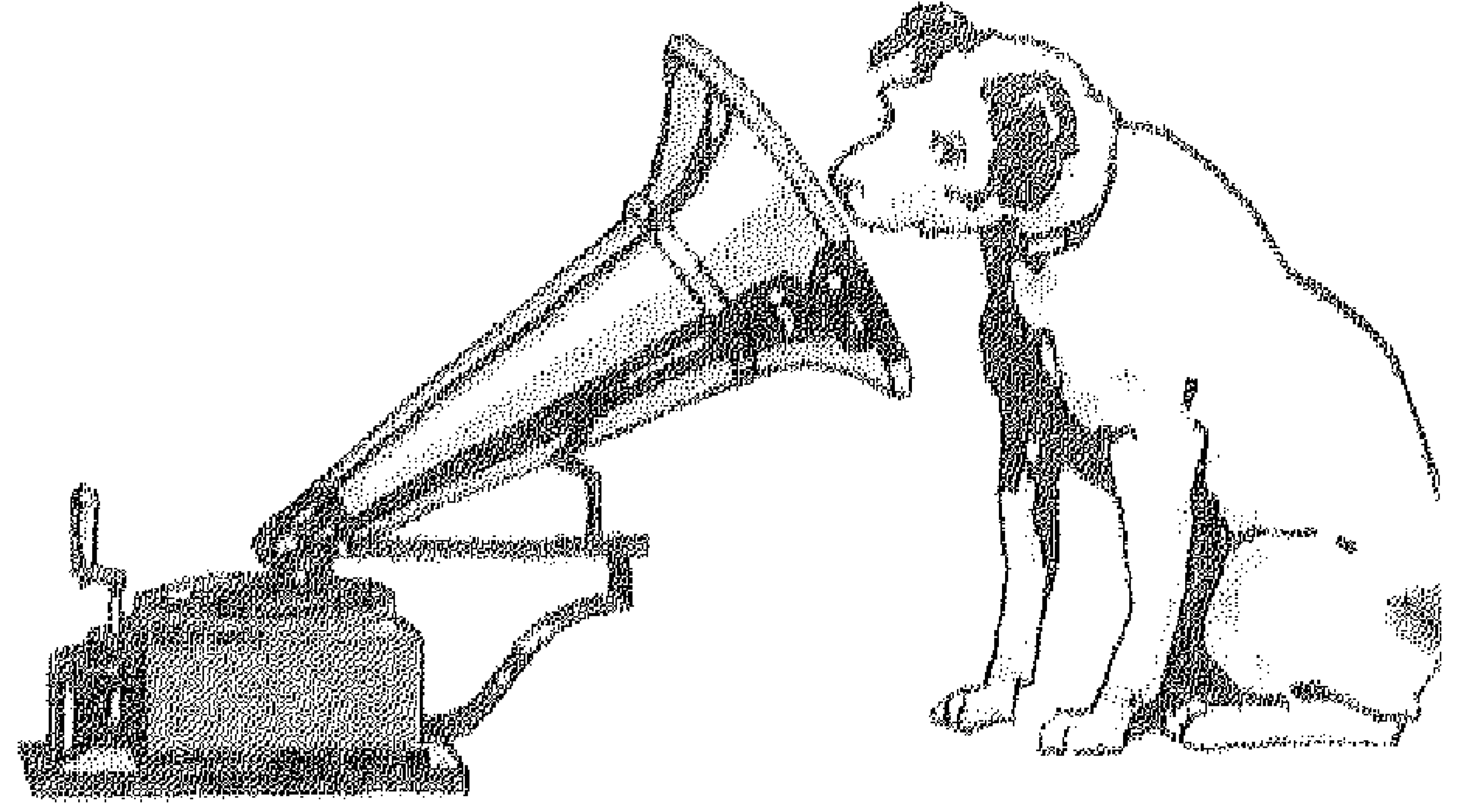
انتبه للعصفور

في ٢٩ اغسطس (آب) ١٩٤٠ لم يكد رسام الحكايات المصورة والتر لانتز وعروسه يستقران في كوخهما الريفي الهادىء في شيروود لايك، بكاليفورنيا، لقضاء شهر العسل، حتى فوجئا بطائر نقار يثير ضجة وهو ينقر السقف محاولا اختراقه. ولم يكن هناك من سبيل الى طرده.

لقّب العروسان الطائر النقّار المتطفل العنيد "وودي وودبيكير" وحاولا ان يقنعا المديرين التنفيذيين في استوديوهات شركة يونيفرسال في هوليوود بان نجما جديدا قد ولد. ويتذكر والتر ما حدث آنذاك: "قالوا لي ان عليك ان تجري فحصاً لعقلك وان الطائر عربيد، أجش الصوت، بغيض ولن يكون نجماً ابداً." غير أن والتر ربح الرهان في النهاية. فقد بدأ يرسم بطله، وما لبث ان ظهر وودي على الشاشة الكبيرة. وقد عرضت اشرطة "وودي وودبيكير" في قرابة ٨٣ بلداً. ان نسخاً من وودي تنقل الى كل اللغات ولكن ضحكته المميزة بخمس نوتات التي تؤديها غرايس لانتز - وقد مضى عليها تقريبا ٣٥ سنة - بقيت من دون تغيير.

"صوت سيده"

ذات يوم في لندن، اواسط السنوات الثمانين من القرن الماضي، وضع الفنان فرنسيس بارّو اسطوانة على "آلته الحاكية." وفيما انسابت الموسيقى من البوق الذي يشبه اوراق زهرة "مجد الصباح" ادار كلبه "نيبّر" رأسه ونصب اذنيه كمن ينصت الى الصوت. وبعد وفاة



نيبّر عن ١١ عاماً في ١٨٩٥، عزم بارّو على رسمه في مشهد اصغائه المحبّب الى القلب وسمى اللوحة "صوت سيده."

اشترت شركة "غراموفون" اللوحة الزيتية ومعها حقوق النشر والتسجيل بمبلغ ١٠٠ جنيه استرليني. وحرصت كثيراً على اللوحة وخوّلت رجال الاطفاء، في حال نشوب حريق، انزالها عن الجدار حيث كانت معلقة في غرفة المدير واخراجها سالمة.

ومنذ ذلك الحين وشبه نيبّر يُنسخ ليس على الاسطوانات المسجلة فحسب ولكن كذلك على اقلام الرصاص ومنافض السجائر والقمصان وربطات العنق والملصقات الاعلانية. ولا يزال نيبّر العلامة التجارية الرسمية لشركة غراموفون.

"فيلكرو"

ذات يوم في العام ١٩٤٨ خرج المخترع السويسري جورج دو ميسترال للصيد ومعه كلبه. فاحتك كلاهما بنبات الارقطيون الشائك فعلق من شوكه في جلد الكلب وفي سروال دو مِيسترال الصوفي.

ولدى عودته الى البيت تساءل دو ميسترال عن السبب الذي يجعل الشوك يلتصق بهذه الشدّة. ففحص المادة اللاصقة بالمجهر ولاحظ ان مئات من الكلابات عالقة بطبقة الصوف والفرو المسطحة، فتبادر الى ذهنه ان الشوك يشكل مادة لاصقة لا تضاهى. فتبلورت في رأسه فكرة عن مجموعة من الكلابات تعلّق بمجموعة من الانشوطات (الحلقات)، تجسدت في "فيلكرو" (VELCRO)، مِربطة النيلون الخفيفة غير القابلة للتعقيد والصدأ والتي يمكن غسلها. وهي تستخدم الآن للملابس والستائر والمفروشات والادوات الطبية (اطراف آلة فحص ضغط الدم، اطواق للعنق، قلوب اصطناعية) وفي الطائرات والسيارات. ويستخدم رواد الفضاء فيلكرو للصق رزم الطعام الى جدران المراكب الفضائية وللاحتفاظ باحذيتهم ملتصقة بارض العربة.



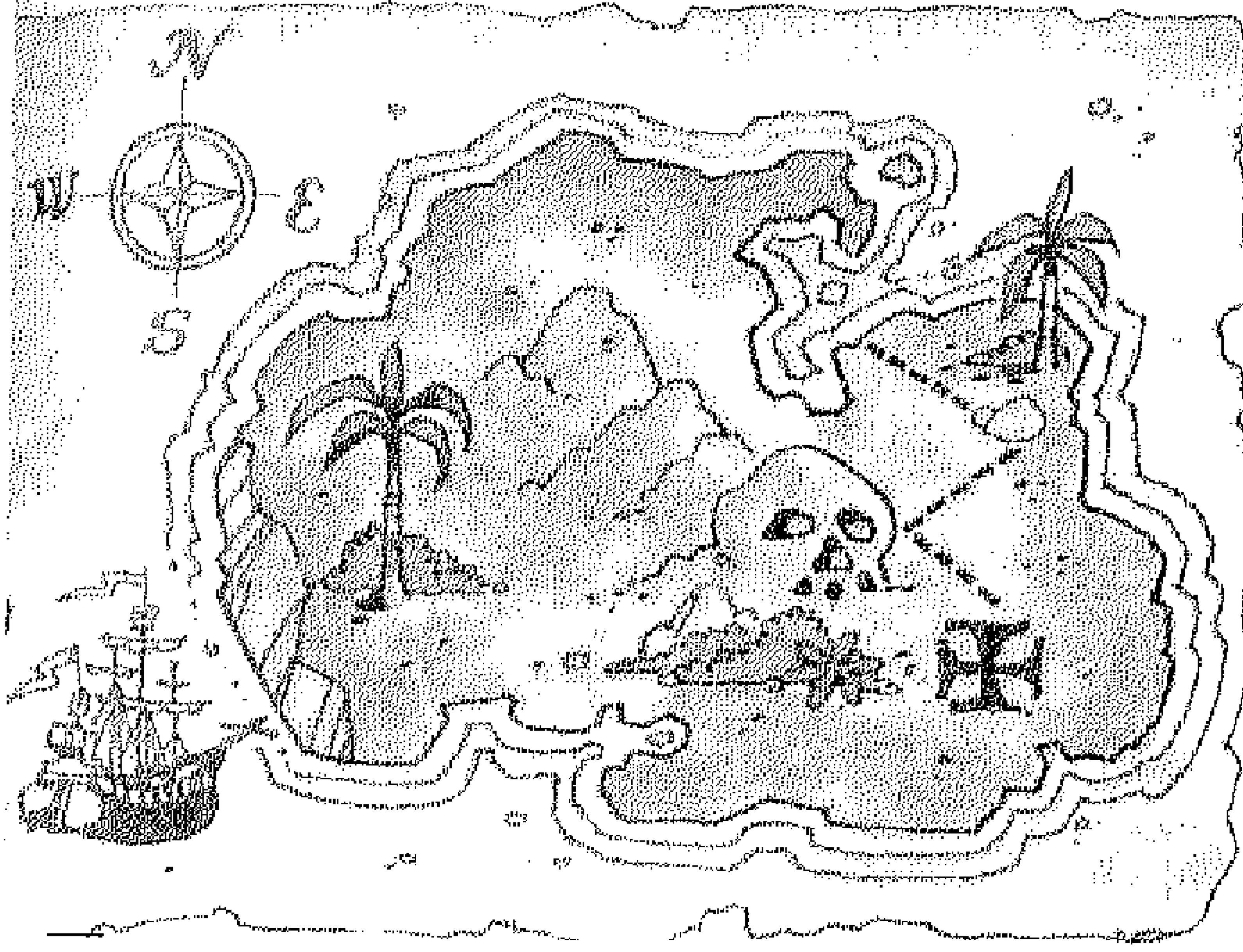
"الفازلين"

عام ١٨٥٩ سافر روبرت تشيزيبرو، وهو كيميائي من بروكلين في الثانية والعشرين من العمر، الى بنسلفانيا لمشاهدة حقول النفط المكتشفة حديثا. فسمع هناك عمال النفط يشتكون من شمع شبيه بترسب البارافين سمي "شمع القضبان"، يضطرون الى ازالته في الغالب عن قضبان المضخات الفولاذية. الا ان هؤلاء وجدوا في تلك المادة المزعجة مرهما مسكنا وشافيا للحروق والجروح. فاثار ذلك اهتمام تشيزيبرو فجمع عينات من شمع القضبان وحملها الى منزله وباشر فحصها.

مرت ١١ سنة وهو يعمل في تصفية الراسب وتنقيته. وكانت اكثرية المراهم تصنع آنذاك من الشحوم الحيوانية والزيوت النباتية، وتتعرض للتلف اذا حفظت لمدة طويلة. ففكر تشيزيبرو بأن هذه المادة النفطية المنشأ والخالية من الزَنخ والرائحة الكريهة قد تصبح مرهما يكثر طلبه. ولكي يختبر فاعليته احدث جروحاً وخدوشاً وحروقاً في جلده وعالجها بشمع القضبان. ولما تأكدت له فاعلية هذا المرهم، انشأ تشيزيبرو في العام ١٨٧٠ المعمل الاول لصنع البلسم الجديد الذي سماه "فازلين."

واليوم يباع فازلين النفط الهلامي المميز بملصقه الازرق والابيض في ١٤٠ بلداً. وقد وجد المستهلكون الوف الطرق لاستخدامه. فصيادو الاسماك يستخدمونه طعماً في سنانيرهم، وتعتمده النساء لازالة مواد الماكياج عن عيونهن. ويطلي السباحون اجسادهم به قبل الغطس في الماء الجليدية، كذلك يطلي به مالكو السيارات اطراف كابلات البطارية منعاً للتأكل.

توفي روبرت تشيزيبرو في ١٩٣٣ عن ٩٦ عاما. وحين كان مريضاً طلى نفسه، من رأسه الى قدميه، بالبلسم. وقال ان حياته الطويلة تعود الى الفازلين.



"جزيرة الكنز"

في يوم ماطر من العام ١٨٨١ رسم روبرت لويس ستيفنسن خريطة مائية لجزيرة خيالية، في محاولة منه لتسلية ربيبه (ابنه من زوجته) البالغ الثالثة عشرة من عمره. وكانت تلك الخريطة مصدر الهام لاحد اشهر كتب ستيفنسن. وهو يتذكر لاحقاً ذلك الحدث "لقد استولى شكل الجزيرة على خيالي الى درجة تفوق الوصف. وفيما كنت منصبا على خريطتي بدأت شخصيات قصة "جزيرة الكنز" تظهر في الغابات الخيالية، تتقاتل وتسعى الى اكتشاف الكنز. ولم ادر الا والورق بين يدي اسطّر القصة التي اشتملت على فصول عدة."

كارول اورساغ ماديفان
وآن الوود ■

صور من الحياة

تجاذب النقيضين!

راح زوجان يتناقشان حول ورق الجدران بعد الانتهاء من لصقه. فكان الزوج منزعجاً من لامبالاة زوجته حيال احساسه برداءة هذا العمل. واخيرا قال لها: "تكمن المشكلة في كوني متطلبا للكمال، على نقيضك تماما."
فردت له فوراً الكيل اثنين: "هذا عين الصواب، وهو ما يفسّر لماذا تزوجت مني وتزوجت منك!"

ب.ن.م.

سؤال وجيه

كنا نصطحب ابننا الى جامعة شهيرة ليجري مقابلة تقرّر قبوله أو رفضه. وفي الطريق درّبه زوجي على طريقة التصرف في اثناء المقابلة وأطلعه على أهمية قبوله في معهد ممتاز للهندسة.
وعند وصولنا تردد ابننا المراهق لحظة قبل دخوله المبنى وسأل أباه: "بابا، لماذا أريد أن أكون مهندساً؟"

ف.غ.

ملف الكلام التافه

في اول يوم قضيته في عملي الجديد اخذني العجب من الملفات المنظمة. فحتى ملف المتنوّعات كان مقسماً: "ادارة متنوعة" و"اشكال متنوعة" وما الى ذلك. ثم اكتشفت حافظة للاوراق الصقت عليها بوضوح شريطة حملت هذه العبارة: "كلام تافه متنوّع قد لا يجدي، ولكن من يعلم؟"

د.ك.

الفرق واضح!

قررتُ ان ارتّب فناء البيت حتى اوفر لاحفادي مكاناً يلعبون فيه. وعرّج عليّ ابني في زيارة عاجلة فكلفته اتمام المشروع. ولما ابدى تذمُّراً، على رغم طيبته الخلقية، قلتُ له: "عندما اخترت ان تصبح اباً قبلت ان تلتزم جميع انواع الاعمال."
فرد بالقول: "ليس هذا العمل ناجماً عن كوني اباً، وانما اقوم به لاني ابن لجدة."

م.س.إ.

الصغار يجهلون

بعدما سمعني ابنيَ الصغير أتحدث عن عملي تطلّع بلهفة الى قضاء يوم معي في المكتب. وعلى رغم طبعه الخجول بدا توّاقاً الى لقاء كل زملائي الذين قدمته اليهم. غير أنه كان متجهم الوجه في طريق العودة الى البيت. ولم أستطع تبين سبب خيبته الى أن اشتكى قائلا: "لم تعرّفني يا أبي الى أي من المجانين والمهرجين الذين تقول انك تعمل معهم."

م.م.د.

غابات المطر صيدلية العصر

Condensed from Smithsonian
(February' 89), Washington, D.C.



عالم نبات
يتعلم من شعب قديم
أسرار النباتات الشافية

كانت طائرتنا الـ"سيسنا" ذات الستة المقاعد تحلق مدندنة فوق قطعة من الغابات. وعلى علو ١٢٠٠ متر شعرت بالحرارة الخانقة المنبعثة من المملكة الخضراء المترامية تحتنا، من غابات الخطر (★) في جنوب سورينام.

انحنى مارك بلوتكن الى الامام محدّقاً الى ثلاثة ذيول من الدخان في الافق. وما هي الا بضع ثوان حتى ظهرت انفراجة قاتمة صغيرة. واذا بي أرى كوامالا ساموتو وهي قرية من ٨٠ كوخاً من القش متكومة على ضفة نهر موحل المياه. حطت الطائرة. وكان هناك مئة من هنود التيريو ذوي البشرة النحاسية ينتظرون. اندفعوا نحونا، فتبسم لنا بلوتكن قائلاً: "أهلا بكم الى هذه الجنة الارضية."

(★) Rain forests

تدافع الهنود اليه حين نزل من الطائرة. وراح الصبية يشدون ذراعيه ويتمسكون بحقائبه. كان بلوتكن على معرفة بلغة "سرانانغ تونغو" لغة سورينام التجارية، وخص كلا منهم بنكتة أو ابتسامة. قال له احد الصبية: "كنا نبكي لاعتقادنا أنك نسيتنا." وكانت مضت سنتان على غياب بلوتكن.

في هذه المستوطنة الصغيرة في أمازونيا كان بلوتكن كمن يرجع الى بيته. والرجل هو مدير برنامج النبات في "الصندوق الدولي للحياة البرية" في واشنطن حيث مركزه الرئيسي. وقد تلقى تدريباً في جامعة هارفرد في كامبردج كعالم نباتي يعنى بدراسة طرق القبائل في استخدام النباتات كأدوية. وقد أخذ على عاتقه مهمة جمع نباتات هنود التيريو وتوثيقها قبل أن تأتي الحضارة على أطباء القبائل وحكمتهم.

سار بلوتكن على رأس موكب فوق جسر متداع، مروراً بأكواخ من أغصان النخيل حيث كانت النساء يخبزن على نار مكشوفة وكان الرجال مستلقين في الاراجيح. وكانت الاكواخ ذوات الغرفة الواحدة والارضية الترابية متباعدة بضعة أمتار دونما أي نظام.

يُنظر الى غابة المطر حالياً على أنها منقذ محتمل للحياة. فالمواد الكيميائية المستخلصة من النباتات التي يستخدمها أطباء القبيلة قد تكون أسساً لعقاقير أو معالجات جديدة لكوارث وأوبئة كمرض السرطان والآيدز. وهذا الامل يعطي مهمة علماء النبات صفة العمل الملحّ. ويُرجع علماء النبات أصول بعض الادوية الى مركّبات كيميائية في تلك النباتات، ومن هذه الادوية الكينين الذي يستخدم ضد الملاريا ومادة الكورار التي تستعمل للارخاء العضلي في الجراحة.

لكن هذه الخزانة من المستحضرات الصيدلية آخذة في التضاؤل بسبب اتلاف غابات المطر وانحسار الحضارات القبلية. يقوله مايكل باليك من معهد علم النبات الاقتصادي في نيويورك: "ان هذا هو آخر جيل من العلماء الذين تتاح لهم الفرصة لدراسة غابة المطر والشعب الذي يعيش هناك وسط هذه الوفرة وهذا التنوع."

نبتات شافية. كانت الشمس ارتفعت فوق الاشجار التي تحف بنهر سيباليوميني الأدكن حين انطلقنا في الصباح التالي لجمع النباتات. وكان بلوتكن يسعى خصوصاً الى العثور على نوعين، هما فطر يستعمله التيريو لمعالجة أوجاع الاذن ونبتة تسبب هذياناً لم يسبق أن حُللت.

وأراد أيضاً ان يقيم صداقة مع أطباء الهنود التيريو الثلاثة الذين كانوا يرشدوننا. وكان هؤلاء "الشامان" الذين راوحت أعمارهم بين الخامسة والخمسين والخامسة والستين، يمارسون فناً يعتبره أولادهم قديماً وغريباً. ولم يكن لديهم تلاميذ. فكان أحد أهداف بلوتكن اقناع زعماء القبائل بتعيين تلميذ شاب من التيريو لتدوين معارف الاطباء الشافين قبل أن تضيع.

سار موكبنا، يتقدمه شامان يلبس مئزراً واثنان من الشبان الهنود يحملان مدى للحماية. ومشينا في ممرّ ضيق

عرضه نصف متر يخترق دغلاً كثيفاً بحيث لم نستطع تبين أكثر من مترين الى كل من الجانبين.

التقط بلوتكن ورقة من النبات الذي يحاذي الممرّ وقال: "انهم يستخدمون هذا في شفاء اللسعات. فقد وخزتني الدبابير مرة، فسحق الشامان ورقة منها وفرك بها مكان الوخز، وبعد خمس دقائق اختفى كل أثر للوخز."

لم ينقطع بلوتكن عن الحديث. وأثار فينا غير مرة عاصفة من الضحك والاستحسان. فاتكاله على الظرف والفكاهة، كوسيلة تساعد في البحث، كان فكرة خاصة به. وهو يقول: "أنني اعتقد أن ابتسامة أو نكتة تزيد المعلومات التي نريد جمعها. وأنا أقول لهؤلاء الاصدقاء ان ما عندهم من المعرفة والحكمة مهم جداً وانهم يفوقوننا ذكاء في أمور كثيرة. ان الهندي في الغابة له معرفة بكل شيء."

ومضى بلوتكن يجمع معارف هنود التيريو الطبية بمعدل نبتة كل ١٠ دقائق: النسغ الاحمر في هذه النبتة يشفي الحروق. والأوراق الذرورية لتلك النبتة تشفي فطر الجلد. ولكي تخفض وزنك اشرب عصارة تلك النبتة العطرة. ويقول: "إنهم اطلقوا اسماً على كل نبتة في الغابة. وهم يستخدمون نحو ٣٠٠ منها في علاجاتهم الطبية."

وما لبث بلوتكن أن وجد أول نبتة في قائمة مطلوباته، وهي فطر يستخدم لأوجاع الاذن. فجمع عينات منها وصوّرها وأسقطها في حقيبته قائلاً: "بقي على تقنيي المختبر أن يتقصوا طريقة عملها."

علت الشمس وانعكست أشعتها على أوراق الاغصان الكثيفة فوقنا. وهتف بلوتكن فجأة وقد لمعت عيناه اذ أمسك بنبتة ناوله اياها أحد الشامان الثلاثة: "لقد مضت ست سنوات وأنا أبحث عن هذه النبتة!" وأضاف: "انها تستخدم في أنحاء أخرى من الأمازون كعلاج للدغ الافاعي. أما هنا فانها دواء للحمى."

وفي طريق رجوعنا الى القرية ونحن نجرّ الخطى متثاقلين كان بلوتكن يمازح الهنود. فاذا به يرى النبتة التي تسبب الهذيان فهتف: "هذا يوم آخر في جنّتنا."

النمر الصديق. حين طار بلوتكن للمرة الاولى عام ١٩٨٢ الى كوامالاساموتو ومعه كيس نوم ونباتات مكبوسة، استقبله هنود التيريو بحذر ولقّبوه "بنانا كيري" أي الغريب. قال: "كان الرجال جميعهم مطليين بصباغ أزرق لدى وصولي لأن التقليد قضى بذلك خلال موسم احدى الفواكه. فقلت لهم أنني جئت لكي اتعلّم. وما لبثت أن ولجت الغابة."

وقد رأى بعض الهنود في الغريب الملتحي صورة مضحكة خارجة على المألوف. ففيما كان يجتاز جدولاً مع رجال القبائل الرشيقين في زيارته الاولى زل عن صخرة وسقط في الماء في غطسة غير مشرّفة. قال: "أخبروني لاحقاً أن ذلك كان مضحكاً أكثر من أي شيء رأوه في حياتهم. ومذّاك يدعوني أحد الشامان الرجل الابيض الذي سقط على قفاه."

وحين يُسأل بلوتكن عن مخاطر عمله يجيب أن الهم الاكبر هو عندما يضطر الى شرب جعة المنيهوت الحارة الحامضة

التي يخمّرها رجال التيريو بلعابهم. وقد تعشى لحم أفعى الأناكنده ولحم الباكا وهي من القوارض الضخمة.

عرف بلوتكن أنه تشرّب بعضاً من حضارة التيريو ليلة حلم أن نمراً كان يحملق في أرجوحته. فاستيقظ والعرق البارد يتصبب منه وقصّ الحلم على شامان كان يدعي القدرة على تحويل نفسه نمراً. فقال له الشامان: "كان ذلك النمر أنا." ولم يمضِ على تلك الحادثة وقت طويل حتى توقف التيريو عن تسمية بلوتكن "الغريب" وباتوا يدعونه تحبباً "جاكو" أي "الأخ."

أصبح العمل هاجس بلوتكن الذي نذر له نفسه. وهو يقول: "أذهب الى النوم وأنا افكر في أشجار النخيل الممدّدة، واستيقظ مفكراً في طرق جمع المال لقبائل الهنود. انه عمل يطول مدى العمر. لدينا معلومات مفيدة عن نحو ١٠ في المئة من نباتات الامازون النافعة، وفي حياتي قد نرفع هذا الرقم الى ٤٠ في المئة. وحين أصل الى تنقيح مذكراتي، سيكون هنود التيريو مرتدين معاطف وربطات عنق."

والمديح الذي يسعده يأتي من أصدقائه الهنود. يقول كويتا وهو تيريو صغير عمل معه وتعلم بعض الكلمات الانكليزية: "مارك يصغي."

تلميذ الشامان. اجتمعنا على شرفة عند حلول الظلام. وكان النهر ينساب تحتنا مترقرقاً هادئاً. فجلس بلوتكن على مقعد ضيق ومفكرته في حضنه، يحوطه ثلاثة شامان مع كويتا وبضعة أولاد.

بدأت المحادثة مداورة كالمعتاد. وسرعان ما انتقلت الى الموضوع الرئيسي: النبتة التي تسبب الهذيان. تكلم أحد الشامان بلغة التيريو وتولى آخر الترجمة الى لغة سرانانغ تونغو كي يفهم بلوتكن التفاصيل.

قيل لبلوتكن: "ان الشامان يشرب من عصارة النبتة حتى يرى الشيطان لابساً مئزراً وحاملاً هراوة حرب." فسجل ذلك في مفكرته. وذُكر له أيضاً أن الشامان ينقع الجذور في الماء البارد ويجرع الشراب الناجم عنه.

سأل بلوتكن الى متى تدوم فاعلية هذه الجرعة من الدواء. فبانت الجدية والكآبة على وجه الشامان اذ قال: "يتعذر أن تنام مع زوجتك لمدة ثلاثة أيام. لا تشرب هذا الدواء الا متى كان المرض شديداً الى حد يعجز أي شيء آخر عن شفائه."

بعد مغادرة الشامان تكلم كويتا بخجل. قال ان رؤساء القبائل عينوه منذ ذلك اليوم لترجمة قائمة بلوتكن لنباتات التيريو الطبية الى لغة التيريو، وهو سيكون التلميذ المتمرن للاطباء فانفرجت أسارير بلوتكن وعلت وجهه ابتسامة عريضة مشرقة.

كان اليوم التالي آخر يوم لنا في القرية. فوهب بلوتكن أبناء القبيلة ما بقي من طعامنا ومواد الزينة والصابون والاحذية وولّاعات سجائر، وقال: "عندهم اعتقاد يسمّونه "ايباوانا"، أي الصداقة المستمرة. والصديق يعطي صديقه أشياء."

حملنا أدواتنا وعدّتنا الى المدرج الضيق وانتظرنا الطائرة في بقعة ظليلة.

كان ذلك يوم سبت، وغالبية رجال التيريو في الصيد. قال بلوتكن: لا أنفكّ عن التفكير في أن رجال هذه القرية كانوا قبل ٢٥ سنة يشعلون النار بحكّ العيدان بعضها على بعض. وها هم الان يلبسون ساعات يد ونظارات. علينا مساعدتهم لحفظ حضارتهم. فبعض الاشياء القديمة يستحق البقاء، لاجلهم ولأجلنا."

سألته عن الاستنتاجات التي توصل اليها من خلال عمله هنا مدة ست سنوات، فأجاب: "الامر الاهم هو أن هناك حقائق متباينة. وليس من الضرورة أن تكون احداها أصدق من غيرها. فلا يعني حملك شهادة دكتوراه أنك تعرف في علم النبات أكثر منْ شخص آخر يجهل القراءة."

وأضاف: "لست سوى ولد من المدينة كان أبوه يبيع الاحذية. والآن يعانقني الهنود في الأدغال. ان هذا حلم كل فتى يرغب في أن يكون مستكشفاً للغابات. والآن أصبح كويتا تلميذ طبيب. نحن نمد الجسور بين حضارة العلم وحضارة الامية."

ظهرت طائرة "سيسنا" في الشمال الشرقي وهبطت على المدرج. وكان تلميذ الطبيب تخلى عن رحلة الصيد ليودّعنا. فصافحنا بوقار. وما هي الا بضع دقائق حتى ارتفعت بنا الطائرة. وظلت كوامالاساموتو تصغر كلما ابتعدنا الى أن توارت كلّياً. ثم لم نعد نرى سوى غابات الامطار الخضراء، الزاخرة بالحياة، السرمدية المترامية الى ما لا نهاية.

دونالد ديل جاكسون ■



نصيحة بجمل!

اتصلت سيدة بشركة الكهرباء واشتكت من أن التيار مقطوع عندها، فما عساها تفعل؟

فجاءها الصوت من الطرف الآخر ينصحها: "افتحي الثلاجة وكُلي الآيس - كريم."

ف.و.

"تعالَ معي يا أخي"

قالت الممرضة: "هل لاحظت، يا دكتور، ارتفاع نسبة التوائم المولودة أخيراً؟"

فرد الطبيب: "في هذه الايام الرديئة، ربما خاف كل منهم أن يأتي بمفرده الى هذا العالم!"

أ.ك.

قالت امرأة لرفيقها بعد انتظار طويل في مطعم للاسماك: "لم أكن أتصور أن صيد اليوم سيكون نادل المطعم."

ر. د.

سجناء سابقون يؤهلون مدمنين وسجناء في برنامج اصلاح فريد



مدرسة السّجناء والمدمنين

ميمي سيلبرت ذات العينين المتألقتين هي الصورة الحقيقية للزهو. تصبح: "أليس رائعاً؟" وتنفرج ذراعاها كأنهما تعانقان المجمّع المبني على الواجهة المائية لسان فرنسيسكو في مساحة ١٣ ألف متر مربع.

ويوافق جون. لسنوات خمس خلت أوقِف جون بتهمة ترويج المخدرات. والآن هو المتعهد المسؤول عن مشروع انشائي بقيمة ٣٠ مليون دولار، يضم ١٧٧ مسكناً وموقفاً لـ١٥٠ سيارة و٥٦٠٠ متر مربع من محلات البيع بالتجزئة (القطاعي) ومسرحاً ومطعماً.

وفيما المطارق تدق بغير انقطاع لا يني الفريق المالي في المشروع يشغّل أجهزة الهاتف. هذا فريدي، اللص السابق ابن السابعة والعشرين وتاجر المخدرات ومدمنها، يستجدي هبات

Photo: © George Steinmetz

لنافورة ماء وبركة. وهذا ستيف، المدمن السابق، يحاول تدبير روافد فولاذية للسقف. وهذه ديان، سارقة المجوهرات سابقاً، تتزلف الى صاحب ورشة نجارة لعله يهبها نوافذ خشبية.

أفراد هذا الفريق العامل الذي لا شبيه له هم في سبيل ملاحقة مهمة حب: تشييد مركز اضافي للبرنامج الذي أنقذ حياتهم: مؤسسة شارع دلانسي (★).

في العام ١٩٧٢ فاتح جون ماهر، مدمن الهيرويين السابق، ميمي سيلبرت من جامعة كاليفورنيا في بركلي، حول تطوير برنامج اعادة تأهيل "يديره سجناء سابقون لمصلحة سجناء سابقين." فالبرامج التقليدية لاعادة تأهيل المجرمين لا تعمل كما يجب، على حد زعمه. وهناك حاجة الى مدمن سابق لفهم الالم المقطع للنياط والناجم عن ترك الهيرويين فجأة وكلياً، ولادراك تعاسة الارتعاش في زقاق في ليلة شتائية، ولوعي الساعات المبددة جزافا خلف جدران السجن. والسجين القديم هو المؤهّل لادراك مغازي القصص الحزينة وكنه الاعذار التي تبرر الاعمال السيئة.

ناقش سيلبرت وماهر إمكان أن يعيش السجناء والمدمنون السابقون والحاليون معاً يساعد بعضهم بعضاً على التخلص من الادمان، وأن يعلم بعضهم بعضاً كيف ينال شهادة ثانوية أو درجة جامعية، وكيف يقيم تجارة شرعية أو يتولى وظيفة، وأهم من ذلك كيف ينمّي احترام الذات. وستدار المنظمة مثل عائلة. فالمقيمون الذين تابعوا البرنامج أطول مدة ينبغي أن يرشدوا الواصلين الجدد الذين، بدورهم، يفعلون الامر نفسه للنزلاء المقبلين. وبدلا من الاعتماد على مساعدات الحكومة سيكسب المشتركون رزقهم بالعمل الدؤوب كسائر المواطنين.

وهكذا ولد مركز لمعالجة مدمني المخدرات والكحول ولإعادة تأهيل المجرمين وللتدريب المهني. وتولت ميمي سيلبرت مع جون ماهر الرئاسة بالمشاركة، ثم بمفردها بعد ١٩٨٤. واليوم أصبح عدد المقيمين في "شوارع دلانسي" في سان فرنسيسكو ولوس أنجلس وسان هوان بويبلو (نيومكسيكو) وبروستر (نيويورك) وغرينسبورو (كارولينا الشمالية) ٨٠٠ نسمة.

"أنتَ تبدِّد وقتنا". أخذت المؤسسة اسمها من شارع دلانسي في الجانب الشرقي السفلي بمدينة نيويورك، الذي كان في بداية هذا القرن الموطن الاول في امريكا لكثير من المهاجرين الاوروبيين. وقد دُعي الوافدون الجدد على مؤسسة شارع دلانسي "مهاجرين"، لأن هؤلاء وأولئك كان يتعيّن عليهم أن يتعلموا التكيُّف مع المجتمع الجديد. تقول سيلبرت: "نحن نأخذ الناس الذين لا يعرفون كيف يحيون في أمريكا، أكانوا مثقلين بالمخدرات أم خارجين من سجن أمضوا فيه معظم حياتهم."

اعتاد مدمن المخدرات ديفيد السطو على المنازل لتأمين ثمن الحقن والجرعات. وذات يوم وجد نفسه قابعاً في السجن. وهو يتذكر: "كنت يائساً، وكثيراً ما تمنيت الموت."

(★) Delancey Street Foundation

تعلّق ديفيد بحبل الرجاء وهو نزيل سجن في كاليفورنيا، وكان عمره ٤٨ عاماً. فكتب رسالة الى مؤسسة شارع دلانسي متوسّلا ان يُقبل فيها كبديل من عقوبة السجن.

بعد عدة أسابيع وصل في سروال جينز ليجري مقابلة مع أربعة مقيمين في شارع دلانسي. سألوه: "لماذا أتيتَ الى هنا؟" فرفع ديفيد نظره متفرّساً في الرجال الواثقين من نفوسهم في لباسهم الرسمي، وفكّر في كل التغييرات التي عليه أن يحدثها في نفسه ليصبح مثلهم. واذ تملكه الخوف أفشى اليهم من دون تفكير: "في الحقيقة، لست راغباً في أن اكون هنا."

فاكمدّت وجوه الرجال وقالوا: "أنت تضيع وقتنا." ثم أرسلوه خارجاً ليراجع تفكيره.

عندما وقف ديفيد على الرصيف خشي أن يكون فوت الفرصة الاخيرة لتخليص حياته. وبعد دقائق دُعي مجدداً الى الدخول، فعرف أنه راغب في البقاء.

بعض الطامحين الى أن يؤويهم شارع دلانسي يقطعون عهداً بألا يحاولوا الهرب. ويرسل آخرون الى هناك بعد تعليق عقوبتهم مع الاستمرار في مراقبتهم، أو بدلا من السجن. ويتعين على كل منهم أن يلتمس قبوله شخصياً. فلا أحد - حتى القاضي - يستطيع أن يضمن لهم القبول.

مشية البطة. يبقى النزلاء في شارع دلانسي أربع سنوات كمعدل وسط. ويتحمّلون "تربية" تشمل تدريباً مهنياً وثقافياً واجتماعياً. و"المعلمون" في مدرسة شارع دلانسي هم المدمنون وبائعو المخدرات المصلَحون وبعض المتطوعين من الخارج. والى البرنامج الاكاديمي، هنالك ثلاث "جلسات بوح" أسبوعية غير رسمية وأعمال يومية ولقاءات وندوات.

تقول سيلبرت: "الناس الذين يُعتبرون مرضى في مكان آخر هم المسؤولون هنا." يتعلمون كيف يساعد الواحد الآخر، ويسهرون طوال الليل مع صديق يصارع الحاجاً يحفزه على العودة الى المخدرات، ويشجّعون مقيماً متحفّظاً كي يبوح بمشاعره، ويشدّدون على عامل جديد لم يعهد في حياته دواماً منتظماً كي يحضر الى عمله في الوقت المحدد.

وفي انتظار استكمال سكان شارع دلانسي سنتهم النهائية وانطلاقهم الى سوق العمل، يعملون في مؤسسات المنظمة منجزين مهمات في نطاقات البيع والشغل اليدوي والعمل المكتبي. ونتيجة لذلك يطوّرون مهارات متنوعة مما يفسح أمامهم خيارات التوظيف.

مثل كل القادمين الجدد بدأ ديفيد من أسفل السلم، منظّفاً الارض والمراحيض. ثم تدرّج الى أعمال أفضل ودرس في الجامعة وغدا عضواً في اتحاد النجارين. كذلك تعلّم بعض الاساسيات كالنظافة والاناقة وحسن الكلام وآداب المائدة. ففي فلسفة شارع دلانسي أن المرء اذا بدا لائقاً فسيعامله الآخرون بلياقة فيتحسن شعوره حيال نفسه. أو، كما تقول ميمي سيلبرت: "من خطر كالبطة غدا بطة في نهاية المطاف."

اليوم أصبح ديفيد نجاراً وزوجاً سعيداً.

ويقول: "لولا شارع دلانسي لكنتُ في السجن أو في الازقة أتعاطى المخدرات... أو ميتاً."

بناء الثقة. يقول النزلاء إن اتمام برنامج شارع دلانسي هو أصعب حتى من تمضية عقوبة بالسجن. وتضيف سيلبرت: "في السجن أنت لست مسؤولا عن شيء، أما في شارع دلانسي فأنت مسؤول عن كل ما تفعله. لا يهمّ لماذا كنت مدمناً أو لصاً، ما يهم هو ايمانك بقدرتك على تغيير كل ذلك."

بدأ سوني منذ السن الحادية عشرة يسرق السلع المعروضة في المتاجر. وفي الرابعة عشرة كان يدخّن الماريوانا ويروج حبوباً تولّد الادمان. واكتشف في ربيعه الثامن عشر المخدرات القوية مثل الهيرويين والكوكايين. وأخيراً طُرِد من الكلية لسرقة كبيرة ومحاولة قتل، وأرسل الى سجن حيث أخبره زميل نزيل عن شارع دلانسي. فكتب سوني الى القيمين على البرنامج: "أحتاج الى المساعدة."

مكث في شارع دلانسي عشر سنين عاملا في عدة مشاريع تدريب، بما فيها مركز السيارات، ويتصرف بأموال مؤسسات شارع دلانسي. يقول وهو لا يزال منشدهاً: "لقد وثقوا بي مع اني لم أتسلم عملا من قبل ولم أستحق بطاقة اعتماد." واليوم أصبح سوني عامل بناء في سان فرنسيسكو.

عائلة حقيقية. على امتداد ١٧ سنة تخرَّج أكثر من ٥٠٠٠ مدمن ومجرم سابق في مشاريع دلانسي. اشتروا بيوتاً وربّوا عائلات. أصبحوا اطفائيين وكهربائيين وميكانيكيين وعمال بناء ومدرِّسين ومحامين ورجال شرطة وأرباب اعمال. بل أصبح بعضهم مستشارين قانونيين وباحثين في علم الجريمة.

معظم متتبعي البرنامج لم يمارسوا عملا يتطلب مهارة أكثر من بضعة أشهر. ونحو ٨٥ في المئة منهم تعاطوا الهيرويين أكثر من عشر سنين. ربعهم من النساء، ونصفهم ينتمي الى الاقليات كالزنوج والاسبان والهنود الحمر، ومعظمهم أمي. كلهم كانوا مجرمين عتاة: لصوصاً يسطون ليلا على المنازل، وسارقي سيارات، وسالبين بقوة السلاح، ومروّجي مخدرات، وبغايا، وقتلة.

لا يتحوّل المدمنون السابقون تحولا كاملا بين عشية وضحاها، كما تقول سيلبرت، وربعهم يعاودون سيرتهم الاولى. لكن القرار هو قرارهم. وتنبّه سيلبرت الى "أنَّ هناك عشرة أشخاص ينتظرون شغور أحد الامكنة." أما الذين يصمدون فيصبح شارع دلانسي عائلة حاضنة لهم.

جيران طيبون. في الايام الباكرة لشارع دلانسي احتشد أول جمع من المدمنين السابقين في شقة واحدة. وما أقبل ١٩٧٤ حتى صارت المنظمة تحتاج الى نحو ١٠٠ حجرة. فسيلبرت أرادت الحفاظ على المقيمين بعيداً عن "العالم السفلي" الذي يعجّ بمروّجي المخدرات. وفيما الفريق يقتّر على نفسه لتوفير المال جاءت مع ماهر بلقيا: مبنى القنصلية السوفييتية القديم الرائع في

مرتفعات سان فرنسيسكو الانيقة المشرفة على المحيط الهادىء. اشترت منظمة شارع دلانسي المبنى بمبلغ ١٦٠ ألف دولار دفعت منه قسطاً صغيراً في البداية.

أصبح تجديد "روسيا"، كما لقب المقيمون البناية، سمة مميّزة للحياة في شارع دلانسي. فالمدمنون السابقون الذين لم يكونوا يفقهون شيئاً عن تشييد البيوت أدوا المهمة بأنفسهم، فاشطين الاخشاب، مسمّرين القوالب، مرمّمين الجصّ. واليوم يثمن البناء المجدد بأربعة ملايين دولار.

عزّز التأنق المضفى على المنزل حسن السمعة في الجوار، ولكن ليس بالمقدار الكافي. ولكي يلقى نزلاء شارع دلانسي قبولا أفضل أمّنوا في الحي خدمة كانوا وحدهم المؤهلين لتأديتها: حراسة جماعية يتولاها خفراء يذرعون شوارع المنطقة الكثيرة التلال للحؤول دون تسلل من تسوّل له نفسه السرقة والسطو المسلح وغير ذلك من الاعمال الكريهة.

في تلك الاثناء كان عليهم أن يجدوا طريقة للقيام بأود عديدهم المتنامي. وجاء سيلبرت الجواب ذات يوم عندما كان فريق شارع دلانسي ينقل أثاثاً الى أحد بيوت الجيران بقصد اقامة حفلة خيرية. فاذ راحت تراقب مجرميها ذوي العضلات المفتولة وهم يعملون، ابتسمت فجأة وهتفت: "وجدتها! سوف نبدأ شركة نقل أثاث."

واليوم، بعد ١٥ عاماً، يملك ناقلو شارع دلانسي أسطولا من ٣٥ شاحنة ضخمة، وتفرّعت المؤسسة الى عدة مشاريع تجارية مثل تأمين لوازم المآدب وتصميم الاثاث وخدمات نقل المواطنين الكهول والمعاقين. وهذه الاعمال التي يديرها المحكومون ومروّجو المخدرات السابقون تدر ربحاً سنوياً صافياً يبلغ ١،٩ مليون دولار.

تحدّيات جديدة. كل هذه الخدمات تؤمّن التمويل لمشاريع دلانسي وتوفّر مبلغاً كبيراً. تقول سيلبرت: "يكلّفنا ايواء شخص واطعامه في شارع دلانسي مدة سنة كاملة أقل من ١٠ آلاف دولار، وهذا هو نصف المبلغ الذي تصرفه الدولة على السجين."

ويشدّد سكان شارع دلانسي أيضا على افتخارهم بنشاط جماعتهم. وينظم المحكومون السابقون نزهات الى الحدائق العامة وأخرى يُطهى خلالها الطعام ويُقدّم في الهواء الطلق الى اولاد يشكون اضطرابات. وهم يلتقطون عن الارض نثار الاوراق والاغصان اليابسة في حملات تنظيف محلية. والى ذلك يديرون هيئة لتوزيع الطعام وشراء اللوازم لمصلحة ٦٠ منظمة خيرية في منطقة سان فرنسيسكو.

فلا عجب اذا أشاد المسؤولون بأفضال شارع دلانسي. يقول رئيس دائرة شرطة سان فرنسيسكو فرانك جوردان: "شارع دلانسي هو أروع برنامج عرفته لاعادة بناء الحياة." وتضيف رئيسة بلدية سان فرنسيسكو ديان فاينستاين: "انا أعتبر شارع دلانسي أفضل برنامج متاح لايقاف مساوىء المخدرات وتعليم شبابنا كيف يعيشون حياة ناجحة."

تستطيع المؤسسة أن تنام على أمجادها بعدما بلغت شأواً من النجاح. لكنها في قيادة ميمي سيلبرت تبحث عن تحديات جديدة. ففي ولاية نيومكسيكو عُمِل ما لا يعمل عندما تولّت المؤسسة تعهُّد الجانحين الاحداث وتدريبهم جنباً الى جنب مع السجناء السابقين الراشدين. وتدعو كارول كيزيا، مستشارة وكالة العدالة الجنائية، مشروع نيومكسيكو "نموذجاً لبرامج العدالة من أجل الاحداث." وهذه الارادة الطيبة لتجربة أشياء جديدة هي وراء تشييد المجمّع المؤلف من ثماني بنايات على الواجهة البحرية في سان فرنسيسكو. وهو عندما يكتمل بناؤه في خريف ١٩٨٩ سيمكن المؤسسة من استقبال مئات المقيمين الجدد. أما سيلبرت فتعتبر اعطاء مزيد من "المهاجرين" فرصة لمباشرة حياة جديدة هو الهدف الاهم.

تقول سيلبرت: "لا نحتاج الى مبالغ ضخمة لنجعل التغيير ممكناً. كل ما نحتاج اليه احساس بالقيم، ورؤيا، وأناس يؤمن واحدهم بالآخر."

كارولين مايلز وجولي راسكين ■



الفندق الضائع

أعمل بائعاً في متجر قرب تقاطع بضع طرق عامة. وكثيراً ما يدخل علي عابرون يسألونني عن أمكنة في الجوار. وذات مساء دخلت امرأة وسألت عن الطريق الى أحد الفنادق. فأشرت الى الفندق باصبعي وقلت: "اذا نظرت في هذا الاتجاه فانك تستطيعين مشاهدته."

فقالت وقد عيل صبرها: "يا سيدي، لقد رأيته من كل الجهات. قل لي فقط كيف أصل اليه."

ل.م.

عرض عملي

طرق شاب بابي سائلا عما إذا كنت أودّ تجديد اشتراكي في الصحيفة اليومية. فأجبته بالنفي شارحاً أني نادراً ما أجد الوقت لقراءة الجريدة، وأني في المدة الاخيرة كنت أتناولها من أمام الباب لارميها في سلة المهملات.

ففكّر ملياً ثم قال بحماسة: "أنا مستعد لطرحها رأساً في سلة المهملات."

ب.ب.

قال المحامي للمتهم الجالس في منصة الشهود: "والآن أريدك يا سيد أنور أن تخبر المحكمة، بكلماتي أنا، ما حصل بالضبط."

ف.و.



اتبع في حياته مبدأ واحداً:
ما تريد أن تفعله
افعله بلا تردد

لوكوربوزييه
مهندس القرن ٢١

حين زرت رائعة لو كوربوزييه الشهيرة في رونشان في سفح جبال فوج الفرنسية، تملكتني الدهشة. كنت شابة مهتمة بفن الهندسة المعمارية الحديثة، ففتنت بالسقف المقوس والجدران المبيّضة المستديرة والطريقة الفذة التي ابتكرها الباني لادخال نور الشمس من خلال فتحات في الجدران غير منتظمة في تباعدها تقوم مقام النوافذ. وسحرتني بساطة القديم ونقاء الداخل. وبعد مرور ثلاثة عقود أجدني لا أزال في قبضة ذلك السحر.

في صيف ١٩٥٧، لدى رجوعي الى زوريخ، عرض متحف الفن في المدينة تصاميم لو كوربوزييه الهندسية ورسومه ولوحاته ومنحوتاته. لم أكن أعلم أن هذا المهندس المعماري العظيم هو رسام أيضاً، وأي رسّام! ألوان لوحاته سببت لي صدمة كهربائية: حمراء صارخة وزرقاء خارقة وبرتقالية وخضراء وصفراء متوهجة. كل هذه الرسوم المعبّرة الرائعة تكاد تتفجر قوة وحيوية.

كان لا بد لي من أن أحظى باحدى تلك البدائع. وذات يوم عاطر من أيام الربيع خرجت مع صديق في نزهة الى الريف أخبرته أثناءها عن الهاجس الذي استحوذ علي. فقال لي عرضاً: "أنا أملك ملصّقة(١) من أعمال لو كوربوزييه." بدأ قلبي يخفق

(١) الملصّقة (collage) رسم تجريدي مؤلف من قصاصات مختلفة ملصقة على سطح صورة.

بشدة فيما هو يتكلم. وتابع: "غير أني أتوق جداً الى امتلاك سيارة. ولكن، واأسفاه، لا مال لدي لشراء واحدة." أوقفت سيارتي الـ"توبولينو" الصغيرة وسلمته مفاتيحها قائلة: "السيارة ملكك اذا أعطيتني الملصّقة." وهكذا تمّت الصفقة للحال.

لم يمض وقت طويل حتى رأيتني مزهوة بامتلاك احدى عشرة لوحة مائية(٢) للفنان، تغمرني السعادة حين أراها محيطة بي. وأضفت الى مجموعتي تجريديات(٣) مثل "الزائرة تذهب" التي تظهر فيها امرأتان في تركيبة من اللونين الزهري والابيض، و"الحرب" المأسوية التي يظهر فيها رجل يائس في ثياب رمادية ممزقة وهو يحمل طفلا باكياً ويتطلع عالياً ملتمساً العون من السماء.

"لا أحد يريدها". اشتد شوقي الى الاجتماع بالسويسري الذي قدم الى باريس عام ١٩١٧ وهو في الثلاثين من عمره وغيّر اسمه من شارل ادوار جانريه الى لو كوربوزييه. كان يعيش في عزلة واشتهر عنه أنه يرفض مقابلة الزائرين.

عقدت العزم على مقابلته لكي أعرض عليه فكرة ربما نالت استحسانه. استقبلني في أغسطس (آب) ١٩٥٨ في "مخبأه" الصيفي، وهو كوخ خشبي في "كاب مارتان" على الريفييرا الفرنسية. كان لو كوربوزييه حينذاك في الحادية والسبعين من عمره، لطيفاً، مسترخياً على سجيته، وشعرت بأنني أعرفه منذ زمن بعيد. دعاني الى العشاء وأصغى بانتباه لدى ذكري اعجابي بلوحاته وبكرسيه الطويل(٤) وبالكراسي التي وضع تصاميمها عام ١٩٢٧. لقد فتنتني أشكالها المبتكرة وصعب علي أن أصدق أن أحداً لم يفكر في صنعها من قبل.

ان تصاميم لو كوربوزييه المعمارية ومشاريعه لتخطيط المدن حجبت رسومه البديعة. وشملت عبقريته الخارقة ابتكارات ريادية كثيرة: استخدام الاسمنت المسلّح على نطاق واسع في البناء، انشاء مكاتب فسيحة وحدائق معلّقة على سطوح البنايات للتنزه والتسلية، وفصل ممرات المشاة عن ممرات السيارات.

"الوحدة السكنية" التي صممها بناية تستوعب ١٦٠٠ شخص، وهي مثال رائع عما يمكن تحقيقه كمشروع سكني تموله الدولة. ضمّ المشروع ٣٣٧ شقة "دوبليكس"، وسوقاً تجارية، وقاعة رياضية على السطح مع حوض للسباحة، ودار حضانة للاطفال، وأقماعاً منحوتة بشكل أنيق تتوج أعالي المداخن. قال ولتر غروبيوس وهو مهندس معماري شهير: "ان أي مهندس معماري لا يرى هذا البناء جميلا يجب أن يتخلى عن أدوات الرسم."

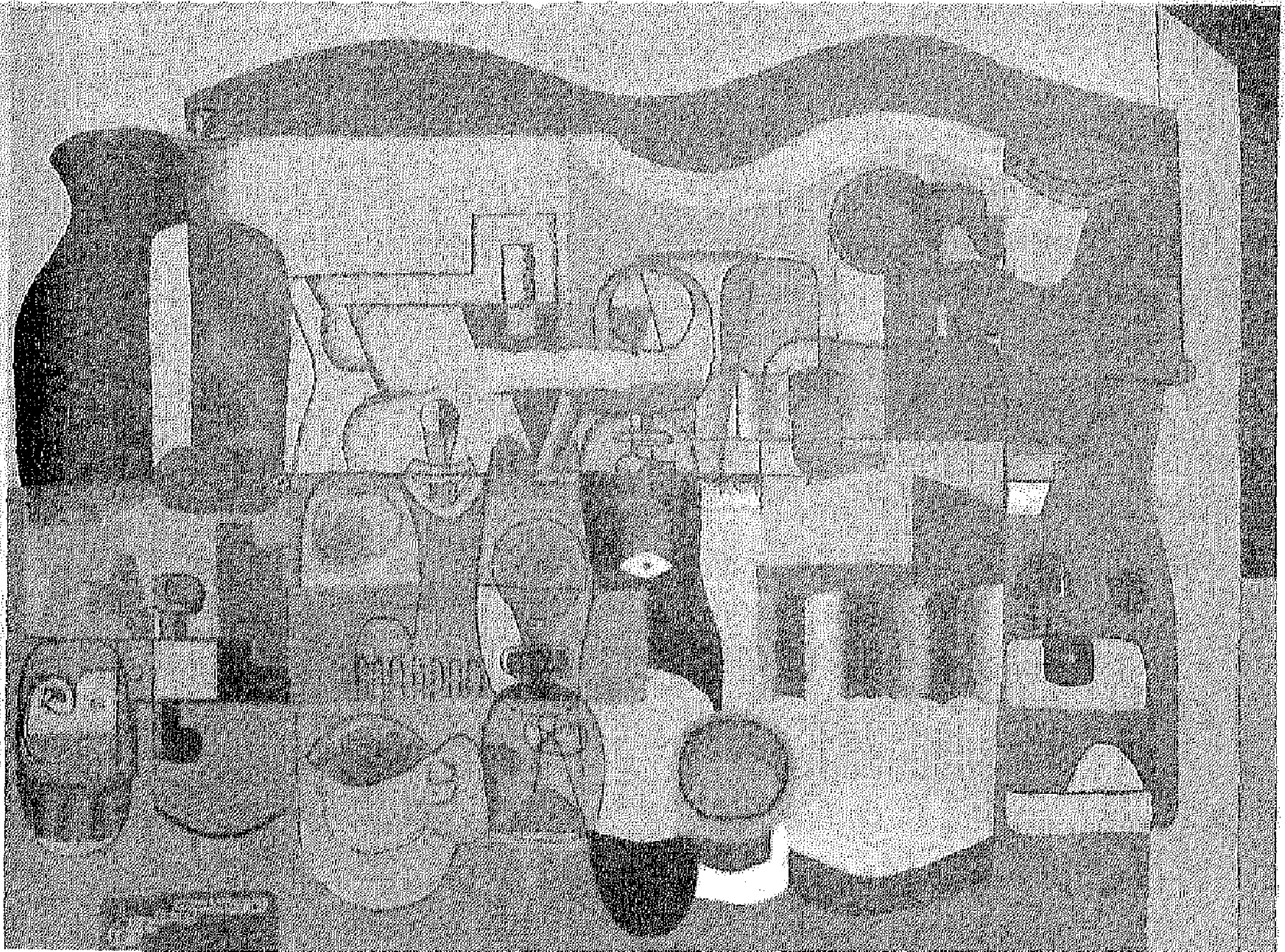
لكن ما خلب العالم كان شانديغار، العاصمة الجديدة التي بناها لو كوربوزييه لمقاطعة البنجاب في الهند، بأبنيتها الحكومية المدهشة ومنازلها المبتكرة التي توفر السكن لنحو ٥٠٠ ألف نسمة. وهذه الانجازات الخلاقة ظلت تحتل

---

(٢) Aquarelles

(٣) Abstractions

(٤) chaise — longue



"زيتية ساكنة باشكال مختلفة"، ١٩٢٣ - ١٩٥٣.

العناوين الرئيسية في الصحف وقتا طويلا. ومشاريعه الهندسية الكبيرة في البرازيل واليابان وفرنسا وبلدان كثيرة أخرى حفظت له شهرته في العالم.

كان أصحابه ينادونه "كوربو" تحبباً. وعندما طلبت منه أن يسمح لي بنسخ تصاميمه للمفروشات قبل بسرور. لكنه ازداد سروراً حين أبديت افتتاني برسومه. وابتسم حين قلت له ان أهميته كرسام تعادل أهميته كمهندس معماري. فرد موافقاً: "هذا ما أشعر به تماما!" وحين أخبرته أني أنوي شراء احدى لوحاته الزيتية ذات يوم قال: "لم أبع واحدة منها. لا أحد يريدها."

أراني لوحة رسمها عام ١٩٢٨ بعنوان "كؤوس وزجاجات قرمزية" وسألني: "كم تدفعين ثمناً لهذه اللوحة؟" أجبت متلعثمة: "انها لا تقدر بثمن، لكنني أقدر أن أدفع عشرة آلاف فرنك." فقال مندهشاً: "أتساوي هذا المبلغ حقاً؟"

نجاح وخيبة. مكثت في كاب مارتان خمسة أيام ناقشت خلالها مع لو كوربوزييه أفكاري المستقبلية: معارض لأعماله، وخططي لانتاج المفروشات. في مراحل صداقتنا الاولى قال لي كوربو ما كرره مراراً في ما بعد: "ما تريدين عمله اعمليه بلا تردد." وهو عاش فعلا بهذا المبدأ.

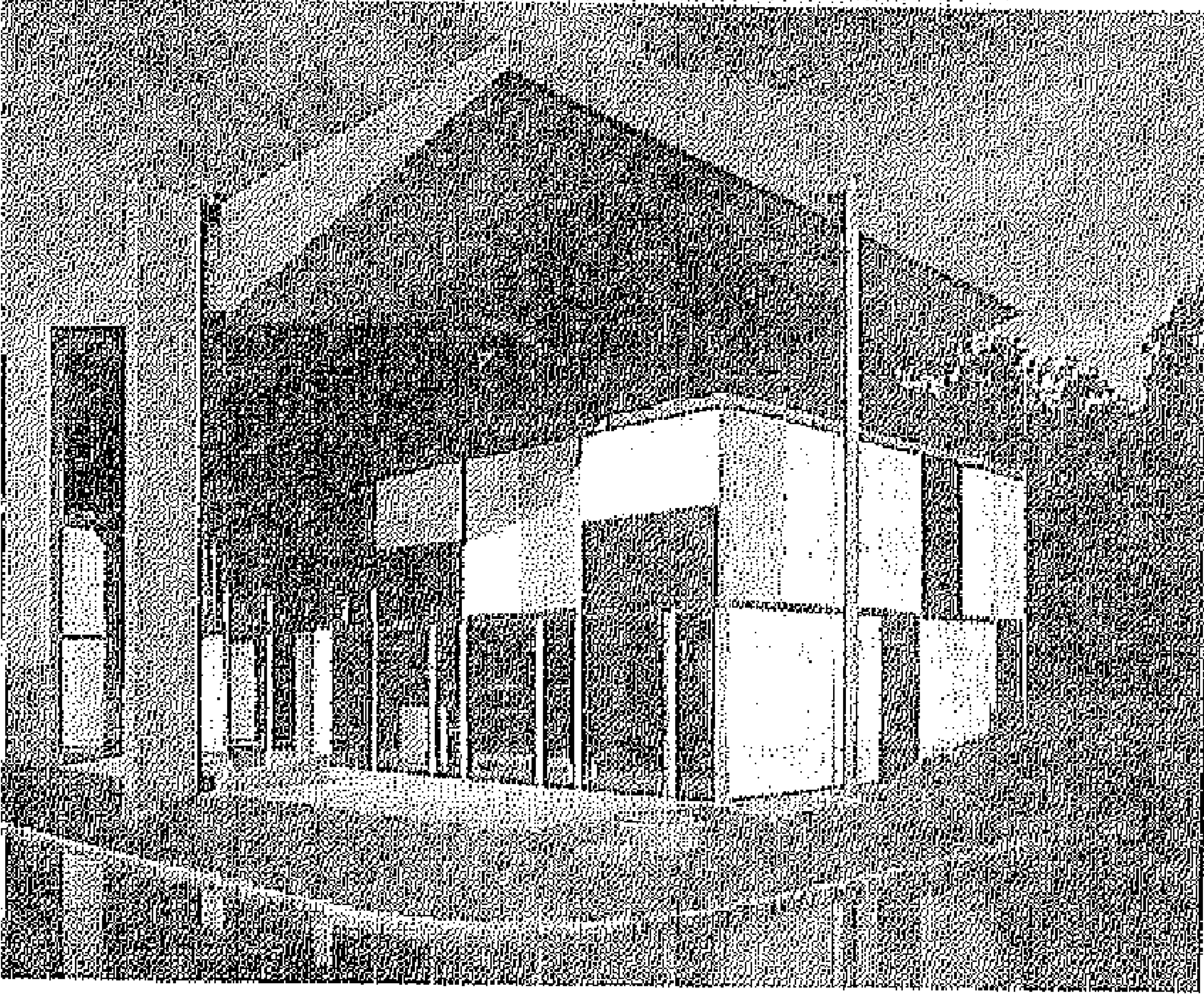
وخلال السبع السنوات التالية، أي الى

حين وفاته، كنت أزوره في باريس مرة كل أسبوعين. كان في مكتبه الهندسي طلاب كثيرون، مهندسون ناشئون جاؤوا من أطراف العالم ليتعلموا من مثالهم الاعلى.

على أثر زيارتي كاب مارتان بدأت انتاج الكراسي، والكراسي الطويلة خصوصاً. فلقيت رواجاً كبيراً لم أستطع معه تلبية الطلب عليها.

ومنحني لو كوربوزييه حقوق بيع لوحاته وطبع رسومه الحجرية(٥)، ولكن لم يهتم لها أحد. وعندما اتصل بي مستفسراً بعد انتهاء معرضي أجبته انني نجحت في بيع جميع معروضاته، ولم أذكر له أنني أنا اشتريتها. لم يسعني أن أخبره الحقيقة اذ تذكرت سروره حين باعني أولى لوحاته.

على رغم شهرته، مُني لو كوربوزييه بالخيبة مراراً. أهمل كثير من مخططاته باعتبارها مثالية غير قابلة التطبيق، وتضافر الخداع والتآمر على نسف أحد أهم مشاريع حياته، اذ اشترك في مسابقة كبرى أجريت عام ١٩٢٧ لبناء قصر "جامعة الامم" في جنيف. كان في الطليعة متفوقا على منافسيه الـ٣٦٠ بفارق كبير. وبعد ستة أسابيع من المداولات رُبط مشروعه بثماني خطط أخرى. لكن أحد اعضاء اللجنة الدولية المحكّمة اعترض على تقديم لو كوربوزييه خرائط مطبوعة بدلا من خرائط الحبر الأساسية. وعلا الضجيج والاحتجاج، ومنح لو كوربوزييه اسمياً الجائزة الاولى، لكن مشروعه أهمل في الدورة الثانية. فحز هذا الاخفاق في نفسه، لكنه اندفع في مشاريع جديدة.



آخر بناء صممه لو كوربوزييه. أكمل هذا المتحف الخاص عام ١٩٦٧ وهو يحوي معرضاً دائماً لأعمال لو كوربوزييه في مجموعة هايدي ويبر.

التصميم الاخير. كانت هندسة البناء بالنسبة الى كوربو منحى روحياً لا مجرد مهنة، لأنه رأى ان من واجب المهندس في هذا العصر العملي ان يؤمن مساكن تتوافر فيها البهجة والراحة. وكانت مشاريعه تهدف الى بناء مساكن فسيحة مغمورة بأشعة الشمس، لاولئك الذين يعيشون في أحياء حقيرة وظروف لا تطاق.

عرف عنه أنه متعجرف ويحب الابتعاد عن الناس. لكنه، خلافاً لذلك، كان متواضعاً جداً ويردد أحياناً: "لقد حققت شيئاً في حياتي، أليس كذلك؟" وكان شهماً يحترم عمل الآخرين. قدّمت اليه ذات يوم حوالة بقيمة ٥٠ ألف فرنك فرنسي(٦) هي نصيبه من مبيعاتي، فناولها لسكرتيرته التي عملت له بأمانة واخلاص حتى حين لم يكن قادراً على أن يدفع لها أجرها.

---

(٥) Lithographs

(٦) الدولار الامريكي، حالياً، يعادل نحو ٥ر٦ فرنكات فرنسية.

مات كوربو، لكن كلماته لا تزال حية في ذاكرتي. كان يقول: "العمل ليس عقاباً. اذا عملت فانك تتنفس." وسئل كيف أمكنه انتاج ٣٢ ألف تصميم معماري جمعت في ٣٢ كتاباً، و٥٠ منشورة حول هندسة العمارة والتخطيط المديني والرسم والشعر، اضافة الى ٦٥٠٠ قطعة فنية من لوحات ومطرزات ومنحوتات. فأجاب: "هناك ٢٤ ساعة في كل يوم من السنة، وفي كل ساعة ستون دقيقة."

خلال احدى زياراتي أخبرته أن لدي مالا كافياً لبناء بيت، وأضفت: "لكنني لن أطلب منك أن تضع تصميماً له." فقال متجهماً: "ألا تطلبين مني ذلك؟ أتظنين أن فني الهندسي ليس مؤهلا لهذا العمل؟" فشرحت له أن مسكناً يصممه لو كوربوزييه سيصبح محجة للعموم وليس ملكاً لصاحبه. وهكذا خطرت لي عام ١٩٦٠ فكرة تصميم لو كوربوزييه معرضاً يضم لوحاته ومنحوتاته.

بعد مفاوضات عسيرة مع سلطات مدينة زوريخ أبرمنا عقداً يخولنا بناء المنزل على قطعة أرض جميلة على شاطىء بحيرة زوريخ. أعجب كوربو بالموقع وقال: "انه سيكون بيت الانسان(٧). وبما أنه صالح للسكن فسيكون موطناً مثالياً لرسومي ومنحوتاتي." ولم يدر في خلده أنه سيكون آخر مسكن يصممه بعنايته اللامتناهية.

نصب تذكاري. عام ١٩٦٤ انتهى كوربو من تصميم المبنى بحسب مبتغاه. وأهم ما فيه السقف المنفصل عن البيت مرفوعاً على تسعة أعمدة فولاذية. يبنى السقف أولا، ثم يعمّر المنزل ذو الطبقتين بمكعّبات فولاذية محدّدة تجمّع في الموقع وتثبّت على قاعدة من الاسمنت. أما الجدران المطلية بالمينا والنوافذ والسقف والارضية، فتوصل بالهيكل الفولاذي بما يزيد على ٢٠ ألف برغي.

كان المهندسون على اقتناع بأن هذا التصميم لا يمكن تحقيقه. فطلبوا من لو كوربوزييه اجراء بعض التعديلات. وفي يوليو (تموز) ١٩٦٥ ظل يجادلهم على مدى يومين الى أن أقنعهم بصواب خططه. كان آنذاك في الثامنة والسبعين، لكنه ظل يتمتع بحيوية وقوة اقناع لا تقاومان.

بعد لقائنا غادر في عطلة وهو مرتاح الى انشاء البناء بحسب خطته. وفي ٢٧ أغسطس (آب) فاجأته نوبة قلبية وهو يسبح في البحر في كاب مارتن التي أحبها. وهكذا انتهت حياته الحافلة بالجهد المتواصل والانجازات. كان يردد: "انك تغني حياتك بالمقدار الذي يتيح لك تحقيق أحلامك ورغباتك وطموحاتك."

كانت وفاته خسارة شخصية كبيرة لي، خصوصاً لأنه لم يعش ليرى تحقيق البناء المبتكر، هذا البناء الاعجوبة المكون من فولاذ وزجاج، بجدرانه المطلية بالمينا الاحمر والاخضر والاصفر والاسود والابيض وبسقفه المعلّق وجوانبه البهيجة المتوهجة بأشعة الشمس. انه نصب تذكاري لعبقرية لو كوربوزييه ورمز للصداقة الرائعة التي غيرت حياتي.

هايدي ويبر ■

كما روتها لليلي فولدز

(٧) Maison d'Homme

حكايات من العالم

دجاج للايجار

يستطيع محبو الحيوانات في هولندا ان يستأجروا الآن دجاجتين مع خُمّ لموسم البيض من آذار (مارس) حتى اكتوبر (تشرين الاول)، في مقابل ٣٠ غيلدراً. وقد اطلقت هذا البرنامج مؤسسة خيرية هولندية بقصد جمع اموال لمزرعة اطفال. فاقتناء الدجاج ليس اقتصاديا فحسب، لانه يأكل فضلات الطعام، بل مجزيا لان الدجاجة تعطي بيضة تقريبا كل يوم.

يأتي الدجاج المؤجّر من مزرعة لتربية الدواجن فيما يجمع المتطوّعون الخِمَمة. وخلال العُطل يستطيع المستأجرون ايداع دجاجاتهم مثوى دجاج تديره المؤسسة. وعندما ينتهي موسم البيض يمكن إرجاع الدجاج الى المؤسسة حيث يتولى متطوّعون الاهتمام به حتى الربيع المقبل.

هـ.ل.

نقد من بلاستيك

دخلت جزيرة "مان" في بريطانيا تاريخ النقد باطلاقها جنيهاً مصنوعاً من مادة بلاستيكية متينة جداً يؤمل ان تدوم في التداول خمس سنوات على الاقل، فيما اوراق البنكنوت العادية لا يزيد معدل حياتها على تسعة اشهر. والعملة الجديدة مصنوعة من "تايفك ٩١٩"، وهو نوع من البلاستيك له ملمس الورق وثنيته، ولا تبدو عليه علامات التحات حتى بعد نصف مليون تجعُّد، في حين ان الاوراق النقدية تتآكل بعد خمسة آلاف طية. والجنيه البلاستيكي لا يبهت لونه ولا يتسخ. وكلفة طباعته منخفضة. ويرى كريستوفر توفل المسؤول عن المحاسبة في الجزيرة، ان معظم الناس يكرهون حمل قطع معدنية في جيوبهم، وان الحل المثالي هو في النقد البلاستيكي.

أ.ب.

ثياب تقتل الألم

أحدث ثورة في الازياء في الصين تتمثل في الثياب القاتلة للألم. وبحسب صحيفة "تشاينا دايلي" تُحشى الثياب بأعشاب طبية لتفادي أوجاع الزكام والرطوبة والاجهاد. وتخاط هذه الادوية في مناطق الكتفين والمعدة والخاصرتين والصدر والركبتين.

صحيفة "فايننشال تايمس"، لندن

تقرير خاص بـ"المختار"

سرطان الثدي: العلاج الباكر يشفي ١٠٠ في المئة

خلال استراحة الغداء عبرت فرنسين تشين الشارع من مكتبها الى حافلة متنقلة مجهزة لتصوير الثدي بالاشعة، تخصّ جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو. وخلال ١٥ دقيقة سجل الفنيون تاريخها الطبي وصوروها بالاشعة السينية (اكس) ذات القوة المنخفضة. وظهرت الصور وحللت في جامعة كاليفورنيا، وأرسلت نتائج الفحص الى طبيب فرنسين الخاص.

كشفت صور الاشعة بقعة غير عادية في ثديها الايمن، قطرها حوالى نصف سنتيمتر، وخشي الاطباء أن تكون بقعة خبيثة. وبعد بضعة أيام فحص نسيج استؤصل من البقعة، وأكد تحليل المختبر أن فرنسين مصابة بسرطان الثدي.

تقول: "كان هذا الاكتشاف مفاجأة لي، ففي الفحص اليدوي الذي أجراه لي الطبيب النسائي قبل ستة أسابيع فقط كانت نتيجته سلبية." وحتى الفحص الذاتي (باليد) الذي أجريته بعد التقرير لم يكشف وجود شيء غير عادي.

ونظراً الى الاكتشاف المبكّر لم يتمدد السرطان الى أجزاء أخرى من الجسم، مما اتاح اجراء جراحة لازالة الكتلة الخبيثة. فاستئصال السرطان الموضعي بهذه الطريقة السهلة، متبعة بالمعالجة بالاشعة، تعادل فاعليته جراحة استئصال الثدي بكامله. وهذه الطريقة هي أقل تشويها. وتقول فرنسين عن تصوير الثدي بالاشعة: "انها لصفقة رابحة، اذ لا تتعدى الكلفة ٤٠ دولاراً."

وبحسب "جمعية السرطان الامريكية" يمكن شفاء نحو مئة في المئة من حالات سرطان الثدي اذا اكتشفت وعولجت قبل الاستشراء.

اذاً لماذا يموت هذا العدد الكبير من النساء بسرطان الثدي حين تكون هناك طرق آمنة وسهلة وفاعلة جداً في الكشف المبكر للسرطان؟

يقول الدكتور ديفيد كين، رئيس قسم الصدر في مركز "سلون – كيترنغ"

لو اتبع عدد أكبر من النساء هذه الطرق السهلة لامكن انقاذ الالوف من سرطان الثدي الوبيل

التذكاري للسرطان في مدينة نيويورك: "أحد الاسباب هو القلق المفرط من تأثير الاشعة. في السبعينات رأى بعض الاطباء والعلماء أن التعرض للأشعة أثناء تصوير الثدي قد يسبب السرطان. لكن هذه المخاوف مبالغ فيها. والى ذلك فان آلات التصوير بالاشعة المنخفضة القوة، والافلام الفائقة السرعة، خفضت الى أقل من النصف كمية الاشعاع المطلوبة للحصول على صورة مفصلة للثدي.

ويضيف الدكتور كين: "بدلا من زيادة خطر الاصابة، يمثل تصوير الاشعة تقدماً رئيسياً في تخفيف هذا الخطر." وهو في حالات كثيرة يكشف سرطان الثدي قبل أن يبين للمرأة المعنية أو لطبيبها بوقت طويل.

وسبب آخر لارتفاع نسبة الوفيات هو ما يشبه دفن الرأس في الرمل كما تفعل النعامة. فكثيرات من النساء يبلغ بهنّ الخوف من فقدان ثدي حداً يدفعهن الى تجنب اجراء فحص ذاتي والتصوير بالأشعة والمعاينات الطبية، الى أن تتشكل الكتلة ولا يعود من الحكمة تجاهلها. فمثل هذا التأخر في التشخيص قد يتيح لخلايا السرطان فرصة ولوج الاجهزة الدموية واللمفية فيقتضي لذلك، ليس فقط استئصال الثدي، بل أيضاً ازالة قسم كبير من العقد اللمفية وما تحتها من العضل، أي عملية استئصال جذرية للثدي.

على النساء أن يزدن عنايتهن بصحتهن. وفي سبيل مساعدتهن نورد بعض الاسئلة والاجوبة المتعلقة بسرطان الثدي:

من هي المرأة الاشد تعرضاً للاصابة بسرطان الثدي؟

كل النساء معرضات للخطر. لكن بعضهن "مرشحات" احصائياً أكثر من سواهنّ للاصابة بسرطان الثدي، اذ يبدو انه يسري وراثياً في العائلات. فالمرأة التي أصيبت والدتها أو شقيقتها

بالسرطان معرضة للاصابة به أكثر بضعفين أو ثلاثة أضعاف من امرأة أخرى. ويبدو أيضاً أنه يصيب غالباً النساء البدينات، واللواتي لم ينجبن، واللواتي أنجبن للمرة الاولى بعد السن الثلاثين. ويغلب حدوثه لدى النساء اللواتي سبق أن عانين مرضاً غير خطير في الصدر، أو أصبن بالسرطان في الثدي الآخر.

ماذا يشمل الفحص الذاتي؟

تنصح "جمعية السرطان الامريكية" النساء اللواتي تجاوزن العشرين من عمرهن بأن يتبعن شهرياً طريقة تعتمد ثلاث خطوات: أولا، فيما أنت تستحمّين، مرري رؤوس اصابع يديك برفق مستكشفة ثدييك وابطيك. ثانياً، ارفعي ذراعيك أمام المرآة لتتفحصي أي تغيرات في استدارة ثدييك أو حلمتيهما أو جلدهما. ثالثاً، استلقي، فيما ذراعك مثنية تحت رأسك، وتفحصي باليد الثانية الثدي المقابل لتستكشفي أي ورم أو تكثف أو تغيرات أخرى. حركي أصابعك دائراً على القسم الاعلى من الثدي، ثم القسم الادنى، ثم الجانبين، وأخيراً إبطك.

ماذا عن التصوير بالأشعة؟

ان الاصابة بسرطان الثدي تزداد بتقدم السن. وهناك هيئات صحية تنصح النساء ما بين الخامسة والثلاثين والاربعين بأن يحتفظن بصورة "أولية" بالاشعة للثديين للرجوع اليها في السنوات التالية للمقارنة. وكل المراجع الثقات تتفق على أن النساء ما بين الاربعين والتاسعة والاربعين يجب ان يُفحصن كل سنة أو سنتين، واللواتي في السن الخمسين وما فوق عليهن أن يتصورن بالاشعة كل سنة، لان هذه هي الوسيلة الاكثر فاعلية في الكشف المبكر.

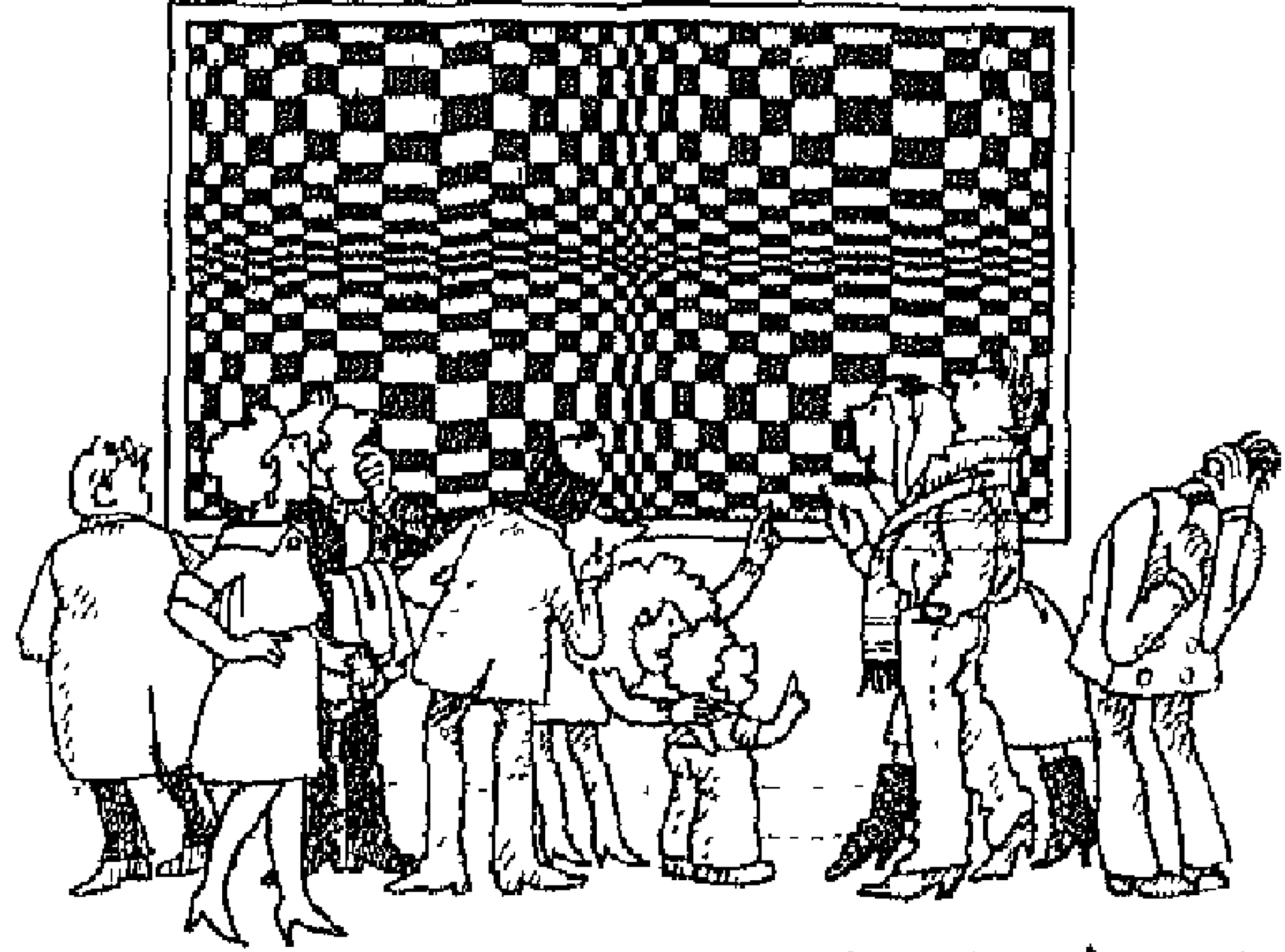
ما مبلغ أهمية الفحص الطبي؟

اذا كنت تمارسين الفحص الذاتي وتعتمدين التصوير بالاشعة بانتظام، فلماذا تزعجين نفسك بالخضوع لمعاينة طبيب؟ ان الجواب عن ذلك يتعلق بالخبرة والموضوعية. فالاطباء، بحكم تعاطيهم مع مريضات كثيرات، في وسعهم أن يكتشفوا أي شيء غير طبيعي قد يغفله الفحص الذاتي أو فحص الاشعة.

ان برامج الفحص بالاشعة في عربات متنقلة، مثل الذي ترعاه جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو، يزداد عددها في الولايات المتحدة. ومركز "سلون - كيترنغ" التذكاري يخيِّر النساء في المؤسسات وفي الاحياء السكنية بين الذهاب الى المركز ذاته او التصور بالاشعة بواسطة جهاز متنقل أو في حافلة مجهزة لتلك المهمة. يقول أحد المسؤولين في المركز: "إن المرأة التي يكتشف سرطان في ثديها في وقت مبكر ليست محظوظة فحسب، انها ذكية. فهي أجرت فحصاً بالاشعة!"

ستانلي إنغلبارت ■

اعرف لغتك



ترد في لغتنا المحكية ألفاظ نظنها عامية لكنها في الحقيقة عربية فصحى، يستعملها العامة إما بمعناها الصحيح وإما تحريفاً. هنا كلمات من هذه، وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره سليماً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. حُلوان: حلوى - ما يعطى لمستخدَم لحاجة عرضت - جمال - عربس.

٢. صوص: لئيم - لص - صغير - فرخ دجاج.

٣. عديل: زوج الاخت - ابن العم - مثل ونظير - خرْج.

٤. خمشَ: لدغ - أهان وقهر - عاكس - خدش.

٥. هرمَ: قطّع - بنى - سقطت أسنانه - تقوس ظهره تعباً.

٦. فَحِم: عطش - غصّ - بكى حتى انقطع صوته - مات.

٧. ناطور: سجّان - حارس الكرم - فلاح - كبير القوم.

٨. غُرّة: بسمة - شعر خفيف - غرور - بياض في جبهة الفرس.

٩. زغلطة: عويل - كلام مختلط - زغردة - زحمة.

١٠. لعسَ: عضّ - لاك الطعام - لعق - داس بقوة.

١١. خَرَطَ: قتل - جمع - كذب - مشى متعثراً.

١٢. فقسَ: أغضب - تكلم بعد صمت - كبر - كسر.

١٣. زاغَ: ضاع - أغفى - اختفى - انحرف واضطرب.

١٤. هُجنة: أمر عجب - جنون - قبح الكلام - مهرة.

١٥. خاسَ: أخلف - نقص - خبا نوره - اختلس.

١٦. لزّ: أزاح - شد وألصق - هزّ - باعد بين رجليه.

١٧. طشة: عاجز - حوض - صغير من الصبيان - رائحة كريهة.

١٨. عربون: امتنان - مهر العروس - هودج - بعض الثمن.

١٩. فطمَ: طلّق - فصل عن الرضاع - صمت - قطف الثمر.

٢٠. عِرزال: كوخ في الشجر - قصب - جسر - نهر في واد.

١ . الحُلوان: ما يعطى لدلال أو مستخدَم لحاجة عرضت. ويستعمله العامة لما يعطى لمن ينقل خبراً ساراً، وفصيح هذا "الفرْحة".

٢ . الصُوص: اللئيم، والبخيل يأكل في الخفية لئلا يراه الضيف. وهو عند العامة فرخ الدجاج سمّوه بحكاية صوته، وفصيحه "القوْب".

٣ . العَديل: المِثل والنظير. وهو عند العامة واحد العديلين وهما الرجلان اللذان يتزوجان أختين فيكون كل منهما عديل الآخر، والفصيح هنا "السِلف" و"الظأم" و"الظأب".

٤ . خمش الوجه: خدشه ولطمه. الخَمْش: الخدش. الخَمُوش: البعوض.

٥ . هرم اللحم: قطعه قطعاً صغاراً. هَبَر اللحم: قطعه قطعاً كباراً.

٦ . فحِم الصبي: بكى حتى انقطع صوته. ويقول العامة "فحّم من العطش" أي اشتد ظمأه حتى يبست عروقه وجف لسانه.

٧ . نطرَ الكرم أو الزرع: حفظه وسهر عليه. والناطور حارس الكرم أو الزرع.

٨ . الغرّة: بياض في جبهة الفرس، والأول من كل شيء ومعظمه. ويستعملها العامة لما ترخيه المرأة من شعرها على جبهتها، وفصيح هذا "النُصّة".

٩ . الزغلطة: الزغردة. ويقول العامة "زلغطة". جاء في "شفاء الغليل": زغلط اذا صوّت بلسانه بغير حروف كما تفعل نساء العرب. وفي "لسان العرب" أن الأصل زغردة النساء، وهو مأخوذ من زغردة البعير أي هديره الذي يردده في حلقه.

١٠ . لعسه: عضّه. اللَعْوَس: الخفيف في الاكل، وبه يدعى الذئب لشراهته. والعامة يقولون "لَعْوَس الطعام" أي لاكه.

١١ . خَرَط الرجل: كذب. الخرّاط: الكذّاب.

١٢ . فقس البيضة وفقشها وفقصها: كسرها وأخرج ما فيها . ومن اصطلاحات العامة "انفقس الرجل" أي انكمش بعد انبساطه.

١٣ . زاغ البصر: انحرف واضطرب.

١٤ . الهُجنة: العيب والقبح من الكلام. أيضاً: اضاعة العلم. ويستعملها العامة بمعنى الامر العجب أو الشيء الحسن أو الفائق يُضنّ به.

١٥ . خاس: كذب، وبالوعد: أخلف. والعامة يستعملونها بمعنى نقص، وهذا تحريف "خاصّ" أي قلّ. وخوّس الشيء: نقصه.

١٦ . لزّ الشيء: شده وألصقه. لزّ القومُ: اجتمعوا وتضايقوا. لزّه بالرمح: طعنه.

١٧ . الطِشة: الصغير من الصبيان. ويقول العامة "طش" بمعنى الاخير. وربما كان هذا محرّفاً عن "طَشأة" وهو الغلام العيي الاحمق العاجز.

١٨ . العربون: بعض الثمن. والعامة يقولون "رعبون".

١٩ . فطمت الأم ولدها: فصلته عن الرضاع، فهو فَطيم. فطمَ الحبل: قطعه.

٢٠ . العِرزال: كوخ يتخذه الناطور في أغصان الشجر خوفاً من الوحوش.

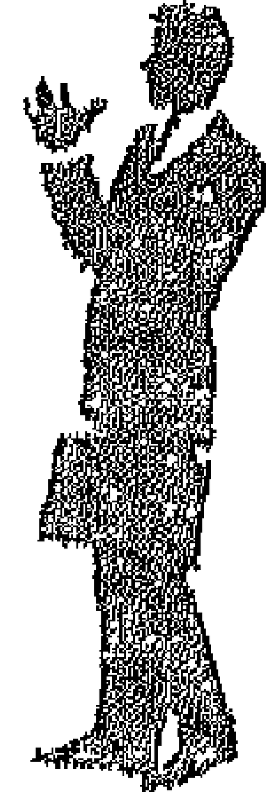
المستوى

١٧ – ٢٠: ممتاز

١٣ – ١٦: جيد جداً

٩ – ١٢: مقبول

أمسِكوا زمامَ أموركم!



١- التلاعُب بالعواطف

انتبه الى الثغرات في درعك الوجدانية الواقية ولا تدع النقد يتحول منغصاً لحياة الآخرين

في المتجر يلمح سام (٥ أعوام) دمية في شكل شاحنة. وتسمع أمه "المعزوفة" المعهودة حين يسألها: "هل لي بتلك الشاحنة؟" فتجيبه: "ليس الآن." فينفجر سام باكياً ويزعق: "أنت لا تدعينني أحصل على أي شيء. لقد اشترت خالتي شاحنة مثلها لصغيرها."

تقول له أمه: "حسناً ساشتريها لك هذه المرة فقط."

اعتاد سام نيل مبتغاه على هذا النحو. وهو تعلم أن يستعمل الالحاح للتلاعب بعواطف والدته. وبما أن مناوراته ناجحة جداً، فإن سلوكه التلاعبي يتعزز، فيستعمله ثانية وثالثة.

ان كان في وسع طفل في الخامسة أن يتلاعب بالناس عبر اكتشاف سرعة تأثرهم، فكيف براشد حاذق؟ وهاك أسلوبه الناجح: يحدد المتلاعب موطن ضعف وجداني في الآخرين عبر لعبة التجربة والخطأ. ويستغل معرفته في استثارة مشاعرنا وإحداث ضغط في نفوسنا. فنفقد تجردنا ونأخذ قرارات نطيّب بها خاطر الشخص الذي أحدث الضغط، بدلا من أن نفعل ما هو صواب. ثم نشعر بأننا ألعوبة مستغلّة.

ولكن اذا ما تعرفنا على مواطن ضعفنا وتمكنا منها، فسنشعر بأننا ممسكون بالزمام وتتحسن علاقاتنا بالآخرين.

وبغية سدّ الشقوق في درعك الوجدانية الواقية، ندعوك الى التفكير ملياً في هذه القائمة من مواطن الضعف:

١ ◦ **أنت تشعر بالذنب.** استدراج الشعور بالذنب هو النمط الاشيع للتلاعب. ان اللابسين لبوس المضحين بأنفسهم هم أسياد هذا الضرب من الابتزاز الوجداني.

٢ ◦ **أنت تخشى الخلاف أو الغضب.** كثيرون من الرجال والنسوة من غير أهل الجزم يوافقون على أي أمر لاجتناب الشجار. وقد تكون حياة المرء في طفولته ملأى بالنزاعات بين أبويه فيلجأ الى

العزوف عن الخلافات من أي نوع. وثمة آباء يوارون نزاعاتهم باعتناء فيشبّ أولادهم وفي أذهانهم فكرة غير واقعية عن العلاقة الحسنة.

٣ • **أنت تقع دوماً في شراك قصة صاحب "حظ تعس."** بعض الناس يتقنون لعبة "المحزون المبتلي." فيوقعون الغير في شراك الاهتمام بهم. فإذا ما وقعت بين يدي متلاعب من هذا النوع، اسأل نفسك: هل يتلاعب هذا الشخص بمشاعري؟ كيف أتصرف فأساعده كي يسعف نفسه بنفسه؟

والدموع المنهمرات والمترقرقات ذريعة مفضلة أيضاً. في وسع الاولاد أن يدمعوا ويمسكوا دمعهم، كصنبور الماء، شاهرين ذلك على الاب أو الأم الاكثر تأثراً.

٤ • **المدح والمداهنة يوقعان بك.** اذ يكون جوني الصغير على وشك نيل عقاب، يبوح بحبه المشتعل أبداً لابويه بعناق وضم وقبلات مفرطة. يلين له ابواه فيفلت من العقاب. وثمة ضروب مماثلة من الحيل يستعملها الكبار في علاقاتهم. ان المداهنة تحرّف شعورك وتجعلك تهفو الى نيل رضى الآخر.

٥ • **أنت تخشى الاستنكار.** نفاجأ بالعدد الكبير من النابهين الاذكياء الذين لا يطيقون فكرة كره احد اياهم، فيرضخون له. هؤلاء الراشدون من غير أهل الواقع لا يعلمون أن ثمن حيازتهم رضى الغير هو احترامهم الذاتي واحترام الآخرين.

٦ • **أنت لا تشعر بالامان في تأدية دورك.** قد أُعطيت مسؤوليات وصلاحيات وحدوداً في دور تؤديه، أباً أو مديراً أو مراقباً. وثمة شخص آخر يطلب أمراً متعسفاً لا موجب له، مطلقاً اتهامات من نوع "أنت لا تحبني" أو وعيداً مثل: "سأبلغ الناظر عنك." فيغدو من تنصب عليه التهديدات قلقاً في الدور المحدد الموكول اليه، ويرضخ صاغراً.

٧ • **أنت لا تطيق الصمت.** هنا تكون ردود فعل المتلاعب رسمية وأجوبته قصيرة من كلمة واحدة.

وبمرور الوقت تنمو مشاعر الرفض داخلك. تعامل مع هذه الوسيلة بتحاشي المشاركة. واضغط على الشخص المستاء لكي ينهي لعبته بأن تعكف على مزاولة عملك كالمعتاد.

٨ • **أنت تخشى أن تكون مختلفاً.** يسود شعور بأن المختلف مخطىء على نحو ما. لا مناص من اعتبار حقيقتين: الاولى، أن ليس كل ما يفعله الآخرون صواباً حتما. والثانية، أن اتخاذك الآخرين مرجعاً يسلبك القدرة على تحديد قيمك الخاصة والعيش على هداها.

كيف تقوي مواطن تأثرك؟ ابدأ بالتفكر في المناسبات التي أسلمت فيها قيادك للغير أو شعرت بأنهم يستغلونك. ما المشاعر التي طغت عليك آنذاك؟ ما الذي فعله الآخرون أو قالوه لاثارة أحاسيسك؟ من هو الشخص الذي أثار تلك المشاعر؟

حالما تتمكن من تحديد الظروف والأحوال والاشخاص والمشاعر التي تؤثر في قرارك، يغدو في مقدورك اتباع طريقتين لتفادي التلاعب بك. وأفضلهما أن تحل المسألة الضمنية التي تجعلك هشاً. يمكنك مثلا أن تحدد دورك في حال معينة كي لا يسهل على احد أن يشعرك بعدم الامان، أو أن تقرر ما تدين به لنفسك فلا يشعرك الآخرون بأنك "اناني."

وحتى ان لم تتمكن من تقييد الهشاشة فيك ففي امكانك مقاومة التلاعب. حدد المشاعر التي تنتابك فتفضي الى استغلالك، ثم استعن بها اشارات تجعلك حذراً. فان كنت سريع التأثر بالذنب، مثلا، فتيقظ لأي شعور بالذنب يراودك. وافعل ما تحسبه صواباً لتفادي التلاعب بك على رغم مشاعرك.

واذ تتغلب على المتلاعب بك بالمناورة، تستعيد السيطرة على الوضع وتظهر قراراتك ما يصلح لك. ويغمرك شعور بالرضى فيحترمك الآخرون. ومن اللافت أن أولئك الذين يسهل التلاعب بهم محبوبون، لكنهم غير محترمين. ان اجتهادك في ازالة مواطن الضعف في مشاعرك يرسي حظوتك بالاحترام.

بروس بالدوين ■



٢ - وَخز النقد

اسأل عشرة أشخاص رأيهم في النقد، وسيجيبك تسعة بأنه مخيف هدّام، وبأنهم لا يدخرون وسعاً لتفاديه. وقد يرى العاشر وحده الجانب الايجابي فيه وهو تنمية الشخصية.

في وسعك أن تنتفع من النقد فعلا. وهاك السبيل الى الاستجابة للنقد من دون أن تفقد رباطة جأشك وتتعس نفسك والآخرين.

إن تعرضت للانتقاد حدّد ما اذا كان النقد صحيحاً، بذا تنصح مارغريت فيربل المستشارة في سبل الاتصال في ليكسنغتون. واعزم على التفكير ملياً في مصدر النقد. تقول فيربل: "لقد نصحت الامهات بذلك على مر الاجيال. وعجيب كيف أن دراساتنا تبرهن غالباً صحة أقوالهن." ان كان النقد صادراً عن خبير أو عن شخص نافذ، كرئيسك مثلا، فمن الحكمة الاصغاء اليه. ولكن لا يجوز اطلاق الاحكام على كل الامور، بحسب رأي العالمة النفسانية مارشا لينهان من جامعة واشنطن. فالتخلف عن موعد

يستحق الانتقاد، ولكن لا مبرر لانتقاد اللون الذي اخترته لجدران بيتك، فهو مسألة ذوق.

بعدئذ سائل نفسك ان كنت سمعت بهذا النقد قبلا. تقول فيربل: "ان وُجِّه إليك نقد لأمر ما مراراً فعليك أن تتنبه له." ولكن انظر في باعث الناقد وابذل وسعك لسبر شعوره. واذا ما اضطرب ناقدك على نحو بادٍ فيكون هو من وقع في ورطة وليس أنت.

ان ما لا تقوله استجابة للنقد مساو في الاهمية لما تقوله. فالاجابات الهدّامة توقف النقد، فيفوتك مرماه، اذ ان النقد في أوله قلما يصيب هدفه. وهاك بعض ردود الفعل التي يستحسن تحاشيها:

لا تفرط في التعميم. ان اشار عليك أحدهم بأن حذاءك لا ينسجم مع ملابسك، أجبه عن هذا الامر فقط ولا تتجاوزه. قاوم عبارة قد توسوس بها الى نفسك: معنى ذلك أن ذوقي فاسد في كل الامور، وأني غبي وشنيع. وعندما يطلب منك رئيسك ان تحضر في الموعد المحدد للاشتراك في جلسة صباحية، لا يعني ذلك أنه على وشك فصلك من العمل. لا تجاوز النقد المحدد.

لا تشنّ هجوماً معاكساً. هذا الاسلوب لا يضمر سوى مشاعر السوء. وتشرح فيربل ذلك: "ان وصلت الى داري متأخرة ولاقاني زوجي قائلا: "لقد تأخرت ثانية،" لا يجديني أن أعاكسه بقولي: "وأنت، لم تصل باكراً في حياتك." قد يشق على المرء أن يقاوم هذا الرد، لكن الامر يستأهل بذل الجهد."

لا تقدم أعذاراً أو تلذ بالصمت. المواقف الدفاعية لا تفضي الى مكان، والصمت في هذا المقام لا يعني الاذعان. هذان الموقفان يقطعان النقاش.

لا توافق "شكلياً". اذا ما بدوت موافقاً على الانتقاد وكنت ترفضه قلباً، فسيبحث منتقدك عن دلائل على تبدل سلوكك. واذ لا يقع على تبدل يستنتج أنك كذاب.

في رأي خبراء السلوك أنه ينبغي تحاشي ردود الافعال الهدامة كالتي ذكرنا، وعلينا أيضاً أن نساعد منتقدينا بالسبل الآتية:

١. أسكت وانصت. اكبح جماح عواطفك وحاول أن تصغي الى ناقدك.

٢. أطلب مزيداً من المعلومات ان دعت الحاجة الى ذلك. فعبارة "هل يمكنك أن تحدد أكثر" تشكل بداية حسنة.

٣. اسأل ناقدك حلا، أو اعانتك على الوصول الى حل. ان عبارة "ما الذي تشير به علي تحديداً" ترطب الاجواء.

وإذ تقع على نقد صائب فلديك خيار من ثلاثة:

القبول الصريح. "أنت على حق. اني أدرك ما ترمي إليه. لن أفعل ذلك ثانية."

التأجيل. لقد أثار ناقدك هذه المواجهة وهي لمصلحته. ولكن قلما يتطلب منك الامر جواباً فورياً. ثمة اجابة

معقولة نحو: "يلزمني وقت للتفكير في قولك. لنبحث فيه ثانية عند الصباح." وهي تمنحك قسطاً من السيطرة على الوضع.

الخلاف. اذ تخالف منتقدك، كن لبقاً: "اني متفهم لما تشعر به، لكني آسف لأني أشعر على نحو مغاير." أو احصر مخالفتك قابلا جزءاً من النقد. وتعلل فيربل ذلك: "ان قال زوجي: لقد تأخرت هذه الليلة، كعادتك دوماً، يمكنني الاقرار بالجملة الأولى الصحيحة رافضة الثانية فهي غير صحيحة. هذه الاجابة تعين الطرفين على حصر مجال النقد."

قد تتطلب مدافعتك عن نفسك أن تكون أنت الناقد. والقاعدة الذهبية في توجيه الانتقاد هي الا تنتقد علانية. افعل ذلك في السر، واعط من تنتقد فرصة لحفظ كبريائه. وانتقد حين ترى أن النقد يحقق معظم غايته. ولا تدع الامتعاضات تتراكم.

تقول مارشا لينهان: "بما أن تنمية الشجاعة على توجيه النقد تستلزم وقتاً طويلا، فان معظم الناس يطابقون بين النقد والشجاعة، فيطلقون اتهامات شاملة تحتضن أحكاماً قاطعة بدلا من الانتقاد الموضعي الناجع."

أفصل الفعل عن صاحبه وتثبت من أنك تعرف الفعل حق المعرفة. لا يكفي أن تقول: "انه يفقدني صوابي." عيّن بدقة التصرف الذي تبغي اصلاحه. فان كل ذلك التصرف هو، مثلا، القطع الدائم للكلام، ثابر على انتقاده. ولما كان الناس يبدلون نمطاً واحداً من سلوكهم كل حين، فمن الأفضل أن تقصر انتقادك على نقطة واحدة.

ما الذي يسببه هذا السلوك على وجه التخصيص؟ العداوة؟ اهدار الوقت؟ تيقن من أنك تعرف ذلك الضرر تماماً، اذ انه الداعي إلى توجيهك النقد. واحرص على بيان طريقتك في العون.

تعاطف مع من تنتقد. واستعمل ضمير المتكلم. وتنصح لينهان بالآتي: "من المفيد أن تصوغ انتقادك في عبارة مثل: حين تفعل كذا أشعر بكذا."

اختر وقتاً ومكاناً مناسبين. فالنقد الحاد المسدد إلى الزوج لحظة دخوله الدار عائداً من عمله، أو ذاك الموجه إلى موظف قبل أن ينصرف لتمضية عطلته، لن يقابلا بالترحاب طبعا.

أتبع نقدك بتقدير المزايا الحسنة. وان انتقدت أحداً لقطعه عليك الكلام تكراراً، احرص على أن تؤكد له حاجتك إلى آرائه.

وتوصي فيربل بألا يجاوز النقد ثلاث جُمل أو أربعاً، مستهَلّة بعبارة تشي بالرغبة: "ليتك تتصل بي هاتفياً حين تعلم أنك ستتأخر (الرغبة). فحين لا تتصل ينتابني القلق من أن يكون أصابك مكروه (المفعول). ولو اتصلت لتخبرني أنك ستتأخر لأرجأت اعداد العشاء (الحافز وطريقة الآخر في المساعدة)."

ان الذين يتقنون هذه الاساليب الجوهرية لتحسين طريقة انتقادهم وتقبلهم للنقد يستغنون عن المنغصات التي يبتلى بها كثيرون. فالنقد، في اعتقادهم، وسيلة ايجابية وعون على الحياة.

ريتشارد غرابر ■

ليس بالحب وحده يستمر الزواج

... وأنت أيضاً في حاجة الى اعادة النظر في "الافكار التلقائية" التي تمر في ذهنك فتعبث بزواجك

□ كانت نانسي تزرع آخر ثلم في حديقتها عندما عرج عليها خطيبها تشارلز: فأخذ يراقب عملها، ثمَّ علّق قائلا: "ولكن، يا نانسي، غرست الفجل في ظل نباتات أعلى منه."

نظرت اليه نانسي ملياً وفكرت في نفسها: لم تكن لديه يوماً ثقة بي. ثم قالت: "في الحقيقة، انني لست في حاجة الى نصائحك، فهلّا تركت لي امر الاعتناء بحديقتي؟"

أجاب تشارلز وقد أربكه جوابها الجاف: "حسناً، كنت أقصد المساعدة لا غير."

لقد اتى تعليق تشارلز، عن غير قصد منه، شبيها بتعليقات والد نانسي التي طالما أزعجتها في طفولتها عندما كان يتحكّم في تصرفاتها. لكنّها أساءت فهم دوافع خطيبها. فوالدها كان رجلا عسكرياً، وهي بالتالي تعتبر كل الرجال متسلطين، ولذلك اعتبرت اقتراح تشارلز أمراً مباشراً.

□ حملت دينا الى المنزل بضعة كراريس سياحية ليطلع عليها زوجها رونالد، علّها تساعدهما في التخطيط لعطلتهما. فقال رونالد أخيراً: "قرري ما تريدين، فأنت أدرى بهذه الامور."

أخذت دينا كلام زوجها على محمل الجد، ولم تدرك أنه يخشى التعبير عن رأيه كي لا تسخر منه كما كانت تفعل شقيقاته اللواتي يكبرنه سناً وهو فتى.

وعندما وصلا الى الجزيرة التي قصداها في البحر الكاريبي بان الانزعاج على رونالد ولم ينقطع عن التذمر: "المسابح كلها مزدحمة. لا مجال لمزاولة رياضة الغولف. هذه جزيرة أولاد. الموسيقى تصمّ الآذان."

شعرت دينا بالخيبة، فقد فعلت ما طلبه منها زوجها ومع ذلك لم ينقطع عن الانتقاد!

اما رونالد، المتأثر بماضيه، فقد أحس أن دينا تحاول التحكّم فيه بتغاضيها عن رغباته التي افترض انها تعرفها. وعندما حجزت مقعدين لهما في الرحلة قال في نفسه: "ها هي تتجاهل رغباتي مجدّداً كما تفعل كل مرة."

هاتان القصتان مثلان واضحان على "الافكار التلقائية،" وهي غالباً محرّفة في التفكير، نعتادها فتقوّض علاقاتنا. قد لا نعي تأثير هذه الافكار في مشاعرنا، فمعظم الناس يظنون أن انفعالاتهم ناشئة مما يجري حولهم مباشرة ولا يكترثون للافكار العابرة التي تربط أوضاعهم بما يبدونه من انفعال.

أكثر الافكار التلقائية شيوعاً هي المبالغة في التعميم. فاذا كان الشريك سريع الغضب استنتجت أنه لم يعد يحبّك. وتنفعل غاضباً لدى مقاطعته اياك ظناً منك أنه "دائماً" يقاطعك. اما اذا تجاهلك الشريك، فتشعر بأنك "لم تحظ يوماً" بالاحترام.

قد تكون احدى هذه الافكار التلقائية مألوفة لديك: "لا رجاء منها." "انه دائم الانشغال بنفسه." "انها لا تتركني وشأني أبداً." "لماذا لا يفي يوماً بوعده؟" "انه كسول." "انه عديم الشعور بالمسؤولية." مثل هذه الاحكام المطلقة تضعف العلاقات الزوجية المتينة. ولا شك في أن مجرد التنبه للافكار التلقائية لا يخلي الطريق الى السعادة الزوجية من كل الشوائب، لكنه اداة ضرورية تساعدك في السيطرة على عواطفك، وهذه مهارة يمكن اتقانها.

ان أسلوب "العلاج الادراكي" الذي أتبعه يأخذ بالرأي القائل بان طريقة التفكير تحدد، الى مدى بعيد، نجاحنا في الحياة واستمتاعنا بها. وكثيرون من الازواج الذين أسديت اليهم النصح ساعدهم المبدأ الادراكي الاساسي الآتي: اننا عادة غير دقيقين في الحكم على دوافع الشخص الآخر وأفكاره ومشاعره.

جميعنا نعتمد الايماء ونغمة الصوت وتعابير الوجه لاستنتاج مواقف الآخرين، وهذه اشارات غالباً ما تكون غامضة. لكن هذا أمر خطير، اذ ان أموراً كثيرة – بما فيها حالتنا الذهنية – قد تجعلنا نخطىء في ترجمة تصرف الشخص الآخر.

عندما يقع الازواج المكروبون فرائس هذه المصائد العقلية، فقد تساعدهم الخطوات الآتية:

الخطوة الاولى: اعثروا على الحلقة المفقودة.

ان الطريقة التي يُترجَم بها الوضع هي غالباً المحرك الواضح للخصام، وهي

الحلقة الخفية التي تثير أفكارنا التلقائية. وكمثل على ذلك، اتصل هال ليقول انه سيتأخر في العودة من العمل، فانزعجت زوجته وندي ورفضت أن تجهز طعام العشاء.

كان غضب وندي رد فعلها العاطفي المباشر. أما الحلقة المفقودة - أي تفسيرها للوضع - فكانت تفكيرها التلقائي الآتي: انه لا يريد أن يأتي الى المنزل. وتفكيرها هذا، لا الوضع في ذاته، هو الذي أغضبها. وفي ما بعد، عندما رأى هال أن وندي لم تجهز طعام العشاء فكّر تلقائياً في الآتي: انها لا تهتم بي. مما جعله مضطرباً.

لم تكن أفكار وندي وهال التلقائية سوى تخمينات لتفكير الشريك، لا تستند الى دلائل أخرى في حياتهما الزوجية.

ولكي تحدّد ما اذا كان رد فعلك قائماً على هذا النوع من التفكير المحرّف عليك بامتحان مشاعرك. اسأل نفسك: أي تفسير للوضع هو الذي أزعجني؟ ما هي الدلائل الداعمة لتفسيري هذا؟ وهل ثمة دلائل تدحضه؟

الخطوة الثانية: تحقّق من الافكار التلقائية.

اذا ما راقبت تفكيرك بدقة، استطعت تحديد أفكارك التلقائية اذ تومض عابرة في ذهنك. هذه الرسائل الداخلية تحرك ردود فعل عاطفية مثل الغضب والفرح والحزن والحنق. وفيما الافكار تتلاشى بسرعة يبقى الانفعال. ان تعلّم قراءة الافكار التي تكتسح ذهنك يمنحك القدرة على التغلب على الانفعال الذي تثيره.

الخطوة الثالثة: اعتمد الاستجابة المنطقية.

عندما أسديت النصح الى هال ووندي عملنا معاً على ايجاد آلية منطقية لاعادة بناء أفكارهما التلقائية. فعندما تأخر هال كان تفكير وندي التلقائي كالآتي: ليس هذا عدلا، أنا أعمل أيضاً لكنني أعود دائماً الى البيت في الموعد المحدد. لكنها عندما اعادت النظر في الامر وجدت الجواب المنطقي الآتي: عمله مختلف، وكثيرون من زبائنه يأتون متأخرين.

وكانت فكرتها التلقائية الأخرى: انه في الحقيقة لا يهتم بي. أما البديل المنطقي فهو: لقد كان لطيفا اذ اتصل ليقول انه متأخر. وهو في معظم الاوقات يبرهن عن اهتمامه وحبه.

الخطوة الرابعة: امتحن توقعاتك.

كانت وندي أيضاً منزعجة من اتصالات والدة هال المتكررة. فقد شعرت بأن حماتها تريد التحقّق من انها تعتني بزوجها على نحو مرضٍ. وقد أحجمت عن البحث في هذه المشكلة مع هال خوفاً من حصول خصام بينهما. فارتأيت أن نكتشف صحة تفكيرها التلقائي.

وكما توقعت، اضطرب هال لدى طرحها الموضوع عليه وقال: "أشعر كأنني واقع بين شرين." لكنه وافق على أن شعور وندي يجب أن يُحترم، وعرض أن يحدّث والدته عن اتصالاتها المفرطة. قدّرت وندي هذا الموقف المساند وشعرت بأنها أقرب الى هال من ذي قبل. وهذا التحوّل أشعرها بأنها أكثر حرية للبحث معه في المواضيع الحساسة.

الخطوة الخامسة: أعد تنظيم مفاهيمك.

أن الصفات عينها التي تجذب زوجين قبل الزواج، قد ينظر اليها بعد الزواج على انها صفات سلبية. ان فكرة أولية مثل "انه واثق بنفسه" قد تصبح "انه اناني ومتحكّم." وعبارة "انها مرحة الطبع" تصبح "انها غير مسؤولة." مثل هذه النعوت السلبية تحدد الطريقة التي تنظر بها الى شريكك.

تكمن "اعادة التنظيم" في النظر الى هذه النعوت السلبية من زاوية مختلفة. فالمزايا التي أحببتها يوماً في شريكك ما زالت موجودة على الارجح، لكن المشكلة هي أن الاطر السلبية لفكرك تسمح لك فقط برؤية الجانب المظلم لهذه المزايا.

وعلى سبيل المثال، انجذبت شارن الى بول لانه كان سهل الطباع قنوعاً مرحاً. كان بول كاتباً يقف دائماً على شفا النجاح المالي، وانجذب الى شارن لانها واثقة بنفسها ومحامية ماهرة لا تسمح للزملاء ولا الزبائن بالهيمنة عليها. وبعد سنوات قليلة من زواجهما تغيرت نظرة كل منهما الى الآخر. فباتت شارن ترى بول "كسولا غير مسؤول ومستسلماً." واعتبرها هو "لجوجة انتقادية ومتحكمة."

وحين أخفق بول في السلوك وفق توقعات شارن، بالنسبة الى نجاحه في عمله، بدأت هي تلحّ عليه كي يعمل بكدّ أكثر. وفهم بول نصائح شارن على انها تذمّر، فأصبح أكثر بلادة وكسلا.

عندما قابلتهما اكتشفت أن أطرهما السلبية الحالية كانت الوجه الآخر لمفاهيمهما الاصلية. وباعادة النظر في الجانب الايجابي استطاع بول وشارن استرداد قسط من الشعور الجيد الذي كان الواحد منهما يكنّه للآخر.

ليس ضروريا أن تغيّر، أنت وشريكك، شخصيتيكما لانشاء علاقة أكثر تناغماً. اذ يكفي تحوّل صغير في التصرف لعكس مسار علاقة متدهورة. ذلك بان جوهر المسألة يكمن في التنبّه الى الافكار السلبية وتغييرها. فحين أصبح بول أكثر نشاطاً في تحمل المسؤولية، خففت شارن ضغطها عليه. وعندما أصبحت نظرة شارن الى بول أقل سلبية بدأت نظرته اليها تتغير أيضاً وأخذ يشعر بالامتنان لقدرتها على تعويض ضعفه. وعندما توقفت عن مضايقته نزع الى العمل بأسلوب تلقائي.

إن هذه التغييرات لا تحدث بين ليلة وضحاها، ويكون حدوثها أكثر سهولة في جو من الصداقة والرضى.

باعادة تنظيم أفكارك السلبية حول شريكك تستعيد الكثير من المشاعر الايجابية التي جمعتكما في البدء.

الدكتور هارون بيك ■



اذا ارتكب رجل خطأ قال الناس: "يا له من أحمق!" ولكن اذا اقترفت امرأة خطأ فانهم يقولون: "يا للنساء الحمقاوات!"

أ.ك.

أدوية وكحول تقودك إلى الموت!



ملايين السائقين يقودون سياراتهم وهم تحت تأثير الادوية والعقاقير المختلفة. وكثيرون منهم لا يصلون الى حيث يقصدون

بعد تناول كأس شراب وقليل من المقبلات في حفلة في المكتب شعرت دانا باسترخاء وبرغبة في العودة الى البيت. فودعت زميلاتها وتوجهت الى سيارتها. وفيما هي تنطلق لم تشاهد سيارة الـ"فولكسفاغن" الموقفة أمامها. تقول دانا (٤٨ سنة) التي تعمل في مستشفى دالاس بولاية تكساس: "صدمتها قبل أن أعي ما يحدث. وكل ما أذكره بعد ذلك أنني أصبحت في مركز الشرطة بتهمة التسبب في الحادث."

شعرت دانا بالحيرة والمهانة. لكنها لحسن حظها لم تُصب بأذى، وأمضت ليلتها في السجن وعلمت في ما بعد أنها حطمت سيارة الـ"فولكسفاغن" وسببت أضراراً لسيارتها تقدر بألف دولار. وهي تقول: "لم تكن لدي أي فكرة عما سبب الحادث. وخشيت أن أكون أصبت بسكتة قلبية خفيفة."

ولكن تبيّن أن الحادث لم يكن بسبب سكتة قلبية وانما بما يعادلها طاقة قاتلة: مزيج خطر من العقاقير المشروعة وكمية قليلة من الكحول في مجرى دمها. فطبيب دانا لم يحذرها من أن حبة "فاليوم" المسكنة التي أخذتها قبل الحفلة قد تضعف قدرتها على القيادة على نحو خطر اذا ترافقت مع قليل من الكحول.

في كل سنة يموت ألوف الناس بحوادث السيارات نتيجة تناولهم أدوية موصوفة، لوحدها أو مصحوبة بالكحول. وخلافاً للقول المتداول، ليس كل مسببي

حوادث السيارات شباناً مراهقين متهورين أو أرامل ثريات متبرّمات يملأن حقائبهن بالادوية. فكثيرون منهم رجال ونساء محترسون يتناولون أدوية طبية لأسباب صحية قاهرة.

ومع ذلك فقد تكون العواقب مأسوية. كانت امرأة من نيوجرزي تتناول دواء مضاداً للكآبة والانحطاط مع دواء آخر بموجب وصفة طبية، فصدمت بسيارتها ولداً كان راكباً دراجته الهوائية في وضح النهار. فدخل الولد غيبوبة طويلة دامت سنتين ونصف سنة مات على اثرها.

ان كل أنواع الادوية قد دينت كمسببات محتملة للحوادث. فعلى سبيل المثال، هناك كثير من المهدئات ومضادات الكآبة والانحطاط ودوار البحر وأدوية الزكام والسعال التي قد تسبب النعاس وتفقد المرء ملكة الحكم والتمييز بدقة وتبطيء الانتباه وردود الفعل. وبعض مسكّنات الوجع قد تشعر المرء بالنشوة والنشاط وتؤدي به الى سلوك طائش كتجاهل حدود السرعة القانونية والقيادة على نحو متمعّج ومتلوّ بين السيارات. وبعض الادوية المضادة لارتفاع ضغط الدم ومرخيات العضل قد تصيب المرء بالدوار وتشعره بالخفة.

والى ذلك يستحيل التكهن كم من الوقت تبقى هذه الادوية في الجسم. تقول باتريشيا فيلد رئيسة قسم علم السموم في مختبر ولاية وسكونسن للنظافة الصحية في ماديسون: "بعض الحالات تقتضي ساعات وحتى أياماً للتخلص من جرعة واحدة."

في لوس انجلس بكاليفورنيا وجد رجال الشرطة رجلا في أواخر العقد السابع من عمره منهاراً على مقود سيارته وغافلا عن تحول اشارة المرور الى الاخضر. ويتذكر الشرطي طوم بيج: "بدا كلام الرجل مشوشاً غير واضح ينقصه الاتزان والترابط، وتلك هي الدلائل التقليدية على السكر. انما تبيّن لاحقاً أنه كان يتناول دواء مضاداً لارتفاع ضغط الدم ومهدئاً للاعصاب في وقت واحد."

وما يبعث الذعر في النفس أن أبحاثاً قليلة أجريت حول قيادة السيارات تحت تأثير الادوية المشروعة، لان قوانين كثيرة تنص فقط على قياس مستوى الكحول فقط من طريق الفحص. ولزيادة الأمور سوءاً، غالباً ما يهمل الاطباء والصيادلة تنبيه المرضى الى الاخطار المحتملة الناجمة عن تناول عقار ما. ويلاحظ روبرت جاكوفينو مدير الخدمات الصيدلية في مستشفى سانت رافايل في نيو هافن بولاية كونيتيكت: "ينزع الاطباء الى القول: تناول هذا الدواء لأسبوع واحد ثم اتصل بي. لكنهم لا يقولون: "لا تقد سيارتك فيما أنت تتناول هذا الدواء." والصيادلة المنهمكون في أعمالهم قد لا يحذرونك كذلك."

فمزيج أدوية قد يسبب كارثة. وعلى رغم ذلك فان مزج الادوية أمر شائع، خصوصاً لدى المتقدمين في العمر. وتدل الدراسات فعلا على أن الفرد العادي الذي تجاوز الخامسة والستين يتناول ثلاثة أدوية موصوفة أو اكثر في الوقت ذاته. وكثيرون قد يرفقونها بمستحضرات طبية غير مشمولة بوصفة الطبيب.

وفضلا عن ذلك فان الادوية الشائعة الاستعمال، كالمهدئات ومضادات الانحطاط والحبوب المنوّمة ومضادات الهستامين - وجميعها تبطىء نشاط الجهاز العصبي - قد يكون لها تأثير مضاعف. ويحكي الضابط رينتشارد ستودارد من دائرة شرطة لوس انجلس: "يذهب أحدهم الى الطبيب مشتكياً أنه يعاني الاجهاد، ويحصل على وصفة للمهدئات. ثم يأخذ حبة منومة تريحه من الارق. وفي الغد يعطيه طبيب الأسنان دواء بعد شقّ لثته. وحين يقود سيارته يكون تناول ثلاثة أصناف من الدواء ويشكل خطراً في الطريق كمن يحتسي الكحول طوال النهار."

والظاهرة الاكثر شيوعاً وقدرة على القتل هي مزيج الدواء والكحول.

واذ يفوت الاطباء والصيادلة تحذير المرضى من الادوية، فان المسؤولية تعود الى المريض. فاليك كيف تحمي نفسك وتؤمن سلامتك:

● اسأل طبيبك عن الاعراض الجانبية لاي دواء يصفه لك، وأطلعه على الأدوية الأخرى التي تأخذها.

يقول الدكتور نورمان سوسمان وهو باحث في المركز الطبي بجامعة نيويورك: "في الماضي كان طبيب واحد يعنى بجميع حاجات المرء الصحية. أما في هذه الايام فقد يشرف أربعة أطباء على معالجتك في وقت واحد، وكل منهم قد يصف لك أدوية." لكن الاطباء غالباً لا يشرحون تفاعلات الادوية لانهم لا يعرفون الادوية الاخرى التي يأخذها مرضاهم.

● اذا لم يعطِ الدواء النتيجة المرجوة فاستشر طبيبك قبل تغيير كمية الجرعات أو عددها. وأطلعه للحال على أي رد فعل للدواء لا تجد له تفسيراً.

● لا تمزج الدواء مع الكحول. ولا تقد سيارتك وأنت تحت تأثير الشراب.

● اذا كان عليك أن تقود سيارتك أثناء تعاطيك الدواء، فاطلب من طبيبك أن يصف لك أحد الادوية الجديدة الأخف تشويشاً للسائقين. فمثلا، دواء "بوسبيرون" المضاد للقلق لا يسبب النعاس بالمقدار الذي يسببه الـ"فاليوم" والـ"زاناكس". ودواء "سلداين" المضاد للهستامين لا يبلّد مثل "بينادريل" و"ديمتاب."

ولكن تذكر أن لكل شخص كيمياء جسدية مختلفة، وبعض الاعراض الجانبية لا سبيل الى تفاديها، انما في الامكان تفادي القيادة تحت تأثير الكحول والأدوية.

كاثرين باريت وريتشارد غرين ■



الحسد والاعجاب

الحسد والاعجاب وجهان لعملة واحدة، مع فارق أن الاعجاب يولد في أقوياء القلوب والحسد هو حصة التافهين والأتباع. فالحسد اذاً طريقة منحرفة لتقدير التفوق.

خ. ا.

كنز مطمور في حفرة في باطن الأرض سعى أليه، ومات من اجله، كثيرون منذ العام ١٧٩٥...

جزيرة الكنز

هاأنذا تحوطني شواهد على الكنز الكبير: مكبس هواء، رؤوس مضخات هائلة، آلات شيطانية ضخمة، وقنوات لامعة من الألمنيوم تتلوى داخل الارض.

الفجر يبزغ رذاذاً على جزيرة أوك في نوڤاسكوشيا. وطاقم العمال منهمك، متحلقاً حول اداة حفر تدّك الأرض لتبلغ باطن الجزيرة.

هنا، في خليج ماهون، على بعد نحو ٧٠ كيلومتراً جنوب غرب العاصمة هاليفاكس، أقف عند موضع البحث الأصعب عن... الكنوز. انه تنقيب استمر ١٩٣ عاماً وبلغت تكاليفه ملايين الدولارات، ونجم عنه مقتل ستة أشخاص.

حتى أغسطس (آب) ١٩٨٨ لم تكن استرجعت الخناجر المطعمة بالجواهر والمسكوكات الذهبية القديمة وقطع النقود المطوية في جوف الأرض. ولا يدري أحد ما المطمور هنا ومن طمره ولماذا.

بدأت حكاية السر الغامض صيف ١٧٩٥، فيما مراهق اسمه دانييل ماك غينيس يجذف على بعد خمسة كيلومترات من البر صوب جزيرة اوك، بغية استكشافها. وعند طرف الجزيرة من قِبَل البحر، اذا بدغل سنديان ملتف يفضي بغتة الى أرض براح لا أشجار فيها. وفي وسطها تنتصب سنديانة قديمة ذات جذع منشور، فيه آثار تدل على حبل محروق. وتقول بعض الروايات ان حبال أشرعة وصوار كانت تتدلى من ذلك الجذع. ومن تحتها مباشرة، تنخفض الأرض الى وهدة قليلة الغور. ومن هذه القرائن استنتج الفتى امراً واحداً: ثمة كنز قرصان مدفون في ذلك المكان.

عاود ماك غينيس زيارة الموضع بصحبة صديقين وشرعوا في الحفر فكشفوا عن جِراب بئر قديم. وكلما حفروا ثلاثة أمتار اصطدموا بدكة من جذوع الاشجار العفنة. واذ بلغوا تسعة أمتار عمقاً ولم تلح لهم نهاية، توقف الثلاثة عن البحث.

واذ سمع رجل يدعى سيمون ليندز بالحكاية، استعان بعدد من العمال، من ضمنهم الفتية الثلاثة، منطلقاً في حملة استكشاف جديدة. أخذ الرجال في حفرهم يرتطمون بدّكات من سنديان في فترات

الارتفاع عام ١٧٩٥

سنديان
سنديان
سنديان

الارتفاع الحالي

فحم نباتي
سنديان

منسوب
الماء

طين
سنديان
ليف جوز الهند
سنديان
سنديان
سنديان
سنديان

حجر منقوش

سنديان
سنديان

علبة

قناة السيل
الى جون سميث

قضيب جديد مقترح

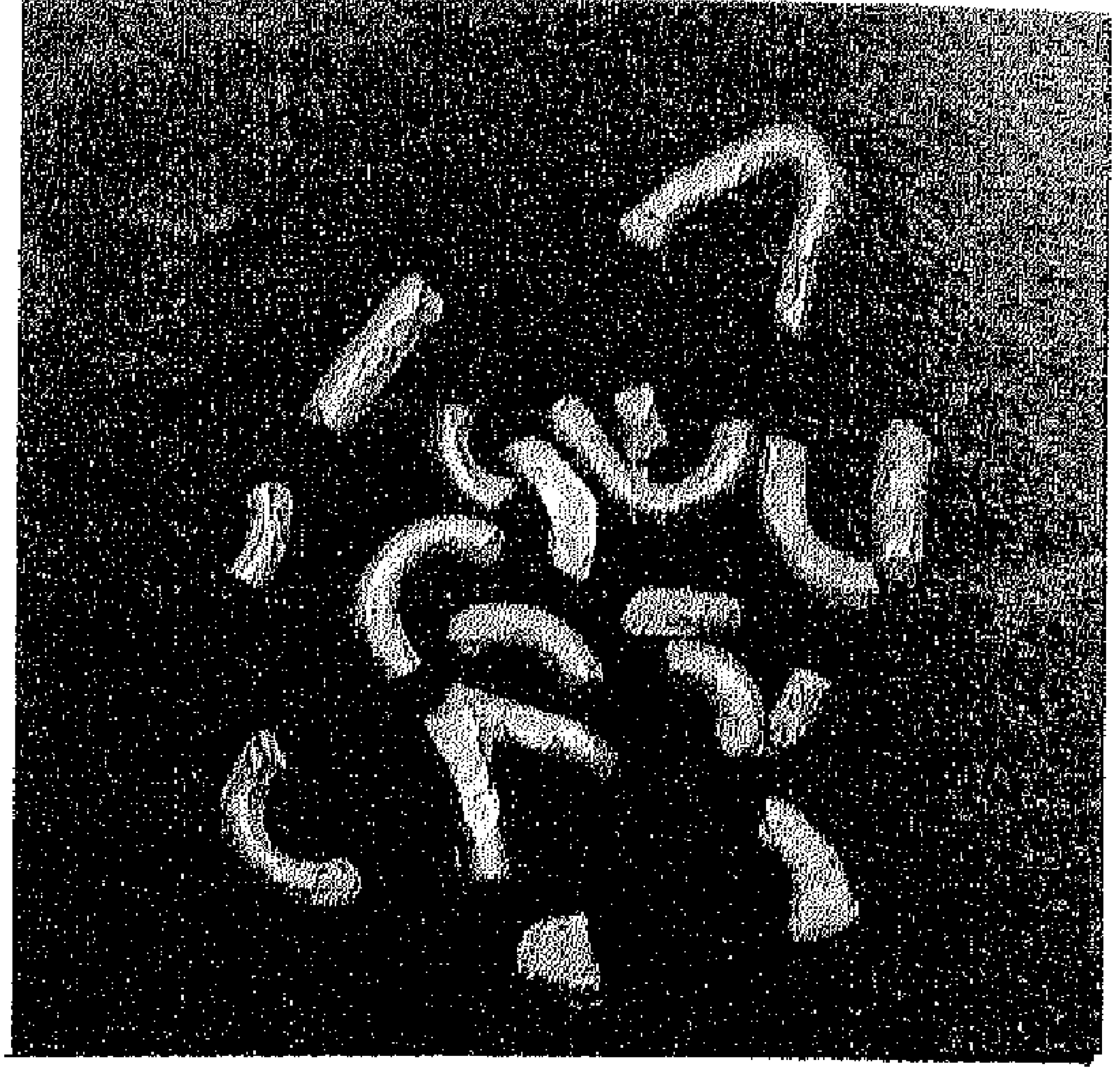
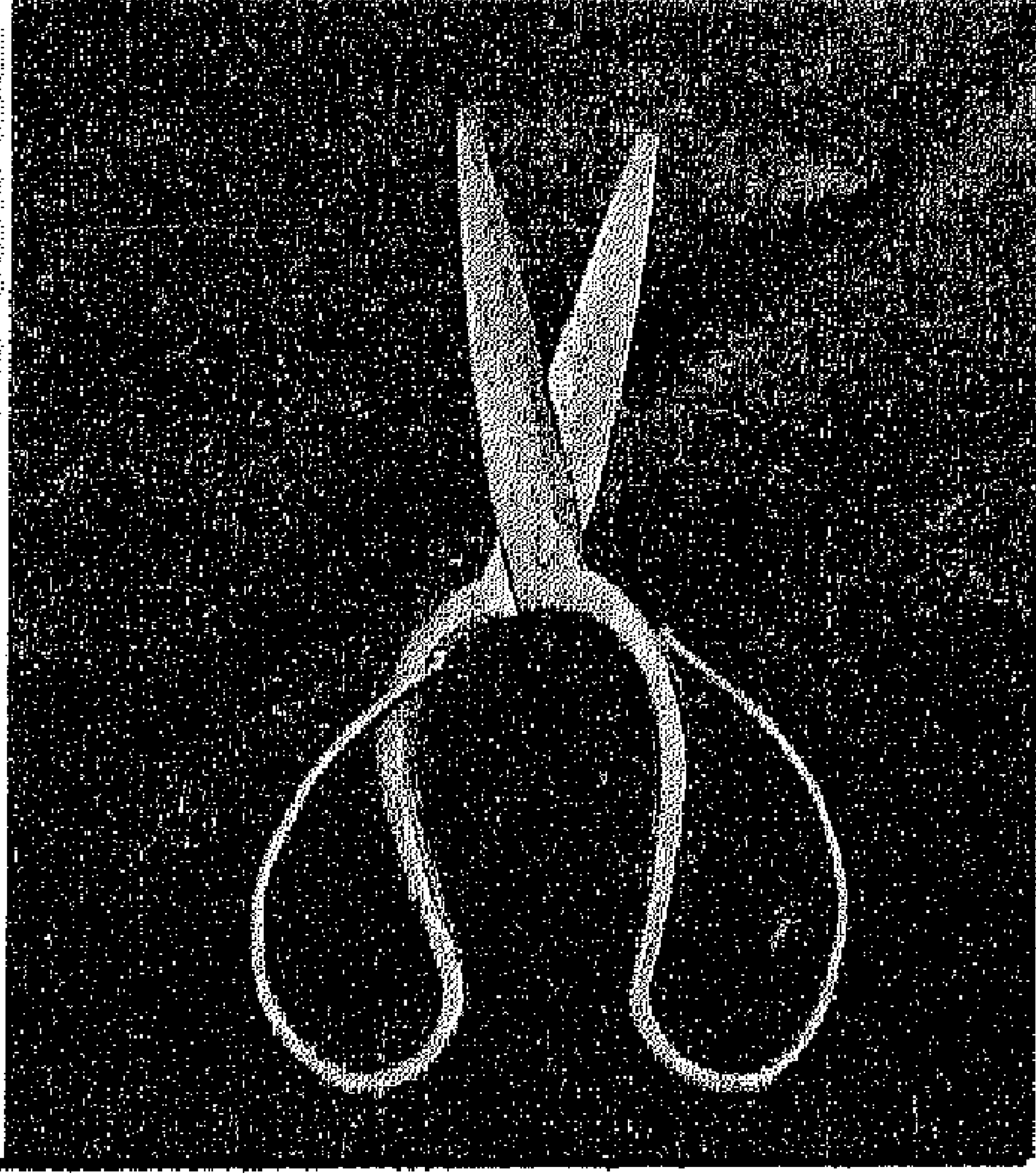
رق

قناة السيل

صخر الاديم

ـر الاديم

رسم "حفرة المال" يظهر العوائق المبلّغ عنها عبر السنين،

كسر من سلسلة تعود الى ما قبل العام ١٧٩٠، عثر عليها على عمق قرابة ٥٠ متراً بالقرب من "حفرة المال"، ومقص من صنع يدوي استخرج من قناة السيل في جون سميث.

منتظمة. ووجدوا طبقة من الفحم النباتي وأخرى من الطين وثالثة من مادة ليفية.

وعلى عمق ٢٧ متراً عثر الحفّارون على شيء مثير: انه حجر مستوٍ نقشت عليه رسوم واشكال مبهمة. وعلى رغم ارتياب الخبراء في صحة النقش، إلا ان رموزه حُلّت فكان المكتوب عليها: "على عمق ١٢ متراً الى الأسفل، مليون جنيه مطمورة في التراب."

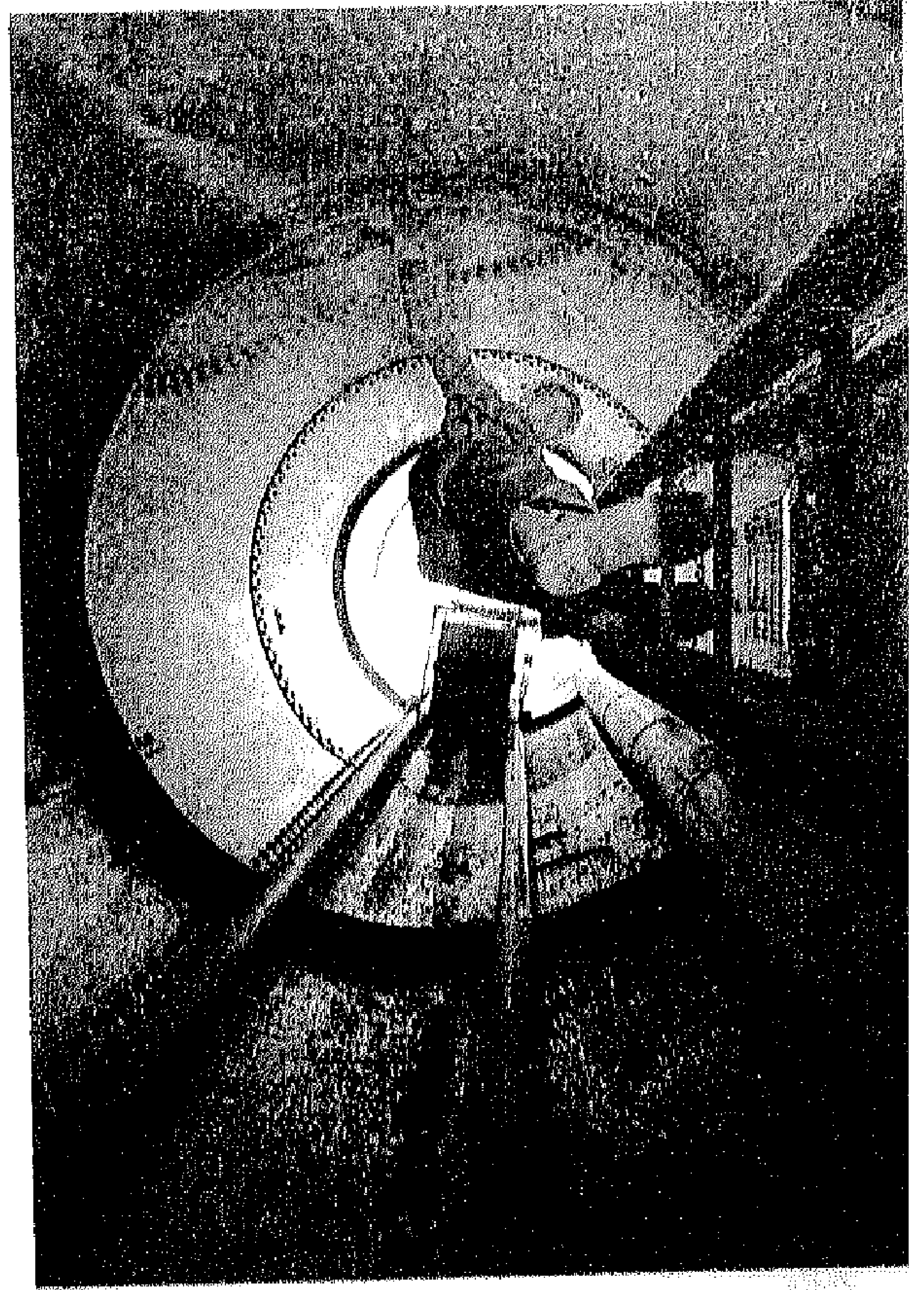
ولكن سرعان ما أخذت المياه تتسرب الى الحفرة، وألفى الرجال أنفسهم يغترفون الماء وهم يحفرون. وعندما هبط الليل، سبروا بقضيب حديد كبير الوحل في اسفل الحفرة، فاصطدم بشيء صلب على عمق ٣٠ متراً. لعله صندوق. هكذا ظنوه، فأمضوا العشية يتناقشون حول نصيب كل منهم من الكنز.

ولكن تبين ان ما من غنيمة ولا من يتقاسمها. اذ نهض الحفارون في اليوم التالي فوجدوا الحفرة ملأى بملح البحر على علو ١٨ متراً. كان اغتراف الماء، اذاً، عديم الجدوى.

وكانت هذه البداية، فكرت السبحة من بعدها. اذ توالت مجموعات اثر أخرى للحفر والضخ والنسف في الجزيرة، محيلة طرفها الشرقي الى أرض قفر ذات وهاد. وفي وقت ما من مطلع القرنْ التاسع عشر اطلق على الحفرة اسم "حفرة المال" على رغم ان اتجاه المال كان يصب في الحفرة ولا يخرج منها.

امر غريب. عام ١٨٥٠ اكتشف الباحثون عن الكنز امراً غريباً. ففي جون سميث الذي يبعد ٥٠ متراً شرق "حفرة المال" وعند انحسار المدّ، يدفع الشاطىء المرصوف بالحصى، الماء كاسفنجة معصورة.

شرع طاقم الرجال في الحفر تواً. فدهشوا لما كشفوا عن طبقات من العشب الشريطي بالاضافة الى مادة



ليفية بنية اللون تحت الحجار. انه سدّ مانع للماء شيد للحؤول دون وصول الماء الى تلك البقعة. وما لبثوا ان اكتشفوا نظاماً متقناً من المجاري على شكل صناديق تفضي الى "حفرة المال". وكانت المجاري تشكل، في الظاهر، محبساً للغمر صمم ليبقي الحفرة ملأى بالماء.

ترى كيف كان الحفارون الأصليون، واضعو الكنز، يأملون في استعادته من شرك الموت هذا؟ احدى النظريات المتداولة تقدم جواباً بسيطاً مقنعاً: ما إن فرغ القراصنة من حفر "حفرة المال" على عمق كاف، حتى نصبوا جرابات جانبية تنحدر برفق مؤدية الى سطح الارض.

قد تكون الكنوز حبيسة في أطراف هذه القنوات الجانبية، بعيدة مئات الامتار عن الحفرة، لكنها لا تنخفض اكثر من ٩ امتار عن سطح الارض. ولعل القراصنة كانوا يعرفون اتجاه الكنوز والمسافة التي تفصلها عن "حفرة المال" فيغدو الحفر لاستخراجها سهلاً.

في العام ١٨٩٧ جاء الحفارون بإشارات ملؤها العجب. فعلى عمق ٤٧ متراً، علقت بالمقدح قطعة بالغة الصغر من رقّ كتب عليه حرفان بريشة قلم. وفي حفرة أخرى اصطدمت الحفّارة بآنية حديد.

كان في حسبان الجميع ان من تكبّد هذا العناء كله قد دفن كنزاً عظيماً من دون ريب. وعند منقلب هذا القرن قدّر صائدو الثروات الكنز بـ١٠ ملايين دولار، وبحلول الثلاثينات تضاعفت قيمة المبلغ، وفي الستينات شرع البعض يتحدث عن رقم يعادل ١٠٠ مليون دولار أو أكثر.

نظريات وظنون. هل تخفي "حفرة المال" كنزاً فيه نفائس القراصنة؟ هذا ما يظنه كثيرون، اذ كان القراصنة يكثرون من التردد الى هذه البقعة من الارض في القرن السابع عشر.

ومن الذين حامت حولهم الشكوك القبطان وليم كيد. فقبيل تنفيذ حكم الإعدام به في لندن عام (١٧٠١)، عرض كيد اقتراحاً بان يرشد اسطولا بحرياً الى البقعة التي خبأ فيها كنزه المجلوب من الهند الشرقية شرط ان تلغي السلطات الانكليزية حكم الاعدام. لكن طلبه رفض، وبقي كنزه في غياهب المجهول.

وثمة قول تلفظ به "ذو اللحية السوداء"، كما يشاع، قبل ان يقتله مطاردوه من البحرية الملكية في جزيرة اوكراكوك بولاية نورث كارولاينا عام ١٧١٨. اذ تبجح قائلا: "لقد دفنت كنزي حيث لا أحد سوى الشيطان وسواي يمكنه العثور عليه". وهذا وصف دقيق ينطبق تماماً على "حفرة المال."

وهناك نظرية أخرى يستبعدها مؤرخو القرصنة، وهي تجزم بان جزيرة أوك كانت بمثابة مصرف سويسري للقراصنة وأشيع عن مطمورات مماثلة اكتشفت في هاييتي ومدغشقر. والأسلوب دائماً هو عينه. اذ يجتمع عدد من الربابنة القراصنة، كما يبدو، فيدخلون جراباً مركزياً الى العمق. ثم يحفرون عدداً من القنوات الجانبية لمواراة غنيمة كل منهم، ثم يخرقون الأرض مشكلين قنوات للغمر بغية نصب اشراك لإخفاء الجراب المركزي.

وهناك من ينكر هذه الآراء حول جزيرة اوك، اذ أوحى بعضهم ان "حفرة المال" ليست سوى حفرة يغور فيها ماء جار. وتتساءل ميلدرد ريستال التي تعيش في الشاطىء الغربي رائية جزيرة اوك: "من اين خطر لهم ان ثمة شيئاً ما مدفوناً هناك؟ لم لا يدعوه وشأنه؟" لا شك في ان لديها سبباً وجيهاً لطرح هذه الأسئلة، فإذا ما ترك بعض صائدي الكنوز أعمالهم وخسروا جنى العمر بحثاً عن الكنز، فقد وهبت ميلدرد حياة زوجها وابنها البكر في سبيل ذلك.

وقع الحادث في ١٧ أغسطس (آب) ١٩٦٥. كانت ميلدرد تعيش آنذاك في الجزيرة مع زوجها بوب الذي ذهب باحثاً عن الكنز. وفيما هو يتفحص احدى الحفر، انقلب ساقطاً فيها. هبّ ابنه بوبي لنجدته، ولكن حين جاء العمال الآخرون وجدوا الأب وابنه طافيين في المياه السوداء عند القاع. هبطوا الحفرة وسرعان ما فاحت رائحة دخان حادّ. ووجدوا ريستال الأب والابن مع اثنين من المنقذين، وقد فارقوا الحياة وورد في التقرير حول تشريح الجثث ان سبب الوفاة هو "غاز الميثان السام أو الغرق."

اضخم جراب. ما استطاع انسان قطان يبلغ صخر الأديم عند قعر "حفرة المال" بسبب قنوات الغمر. وفي وسعك انت ان تحفر جراباً الى اي عمق تشاء، ولكن ما ان توجهه صوب الحفرة، حتى ينبجس الماء، فيسعى كل الى النجاة من الغرق.

غير ان لغز جزيرة اوك قد يحلّ عما قريب. اذ تقوم شركة "تريتون"، وهي مجموعة من المستثمرين الكنديين والامريكيين بأكبر حملة استكشاف لـ"حفرة المال"، وسينفقون ١٠ ملايين دولار لحفر جراب هائل الحجم على انخفاض ٣٠ طبقة الى باطن الجزيرة.

وقد حفرت الشركة أكثر من ٣٠٠ ثقب في الارض، بعضها اعمق مما سبقها، فبلغت صخر القعر على عمق ٥٠ متراً.

ومن اسفل "حفرة المال" اعادت قضبان آلات الحفر كِسَراً من النحاس والخشب والخزف الصيني والاسمنت.

وقد عثرت مجموعة تريتون، على انخفاض متر أو نحوه تحت شاطىء جون سميث، واسفل مكتشفات القرن التاسع

عشر، على المزيد من المواد الليفية وبقايا السد الخشبي الأصلي المانع للماء، وشوكات معدنية، ومقص حديد ومصنوعات يدوية اخرى.

وقد أراني دايفيد توبياس رجل الأعمال القادم من مونريال ورئيس شركة تريتون، في مكتبه تقارير مخبرية عن الموضوع. وكانت كل قطعة مصنوعة عثر عليها محللة باستيفاء. وتمكن رئيس علماء النبات في "المتحف الوطني للعلوم الطبيعية" في اوتاوا باونتاريو – كندا من تحديد نوع المادة الليفية. وحللت الشركة الكندية للفولاذ الشوكات المعدنية المصنوعة قبل العام ١٧٩٠. أما الخشب فتبين انه يرقى الى سنة ١٥٧٥، بفارق ٨٥ عاماً، زيادة أو نقصاناً.

ان هذه القطع، اذا ما اخذت كلا على حدة، لا تنبىء بشيء. لكنها مجموعة، تومىء بأدلة ان شيئاً ما جرى في جزيرة اوك على عمق كبير قبل العام ١٧٩٥.

ولكن كيف ستنجح شركة تريتون فيما اخفق كل من سبقها؟

يجيب توبياس: "بالمال ننفقه وبالتخطيط المدروس".

وتشتمل الخطط على حفر اكبر نفق في جزيرة اوك يبلغ قطره ٢٤ متراً ويمتد نحو ٦٠ متراً في التربة، كما يستلزم تفريغ زهاء ٢٧ الفاً و٣٠٠ متر مكعب من التربة التي تزن قرابة ٥٠ الف طن.

اما عند الماء فيقول بيل كوكس، رئيس المهندسين: "كل الدلائل تشير الى ان الماء يتدفق بمعدل يبلغ ٣٨٠٠ ليتر في الدقيقة حداً ادنى. وسيجهز الموقع بطاقة ضخ ما بين ٢٣ الف ليتر و٣٠ الفاً في الدقيقة ونحن جاهزون للعمل فوراً."

والمهم ان الجراب سيكون ضخماً إلى حد كاف لاحتواء اعمال الحفر السابقة، وذلك من اجل وضع الجدران التي ستركب في ارض قاسية بكر. واذ تدخل الجدران في التربة يتم فحصها بحثاً عن علامات تشير الى وجود قنوات جانبية تفضي الى الكنز.

ان توبياس لا يرغب في اطلاق اسم "صيد الكنوز" على مشروع شركة تريتون. وحسب قوله: "يقيناً إني لمعني بالعثور على شيء ثمين. لكن الجوانب الاثرية ذات أهمية أيضاً."

وهو لا يرغب في تخمين قيمة الكنوز الموجودة، لكني التقطت إحدى تلميحاته حين قال: "بعضهم يزعم انها تبلغ بضعة مليارات."

اجبته بان ذلك يعني، اذا ما صح، ان الاكتشاف يماثل من حيث ضخامته، اكتشاف قبر توت عنخ آمون في مصر عام ١٩٢٢.

رد توبياس: "لا أود الخوض مطولا في هذه الامور، لكنه قد يكون بالفعل اكتشافاً موازياً في الضخامة لما ذكرت".

ام تراها حفرة أخرى تدخل في غيابتها ١٠ مليارات دولار ولا يخرج منها شيء؟!

دوغلاس برستون ■

الرجل المسالم يحسن عملا أكثر من الرجل المتعلم. ب. ي.

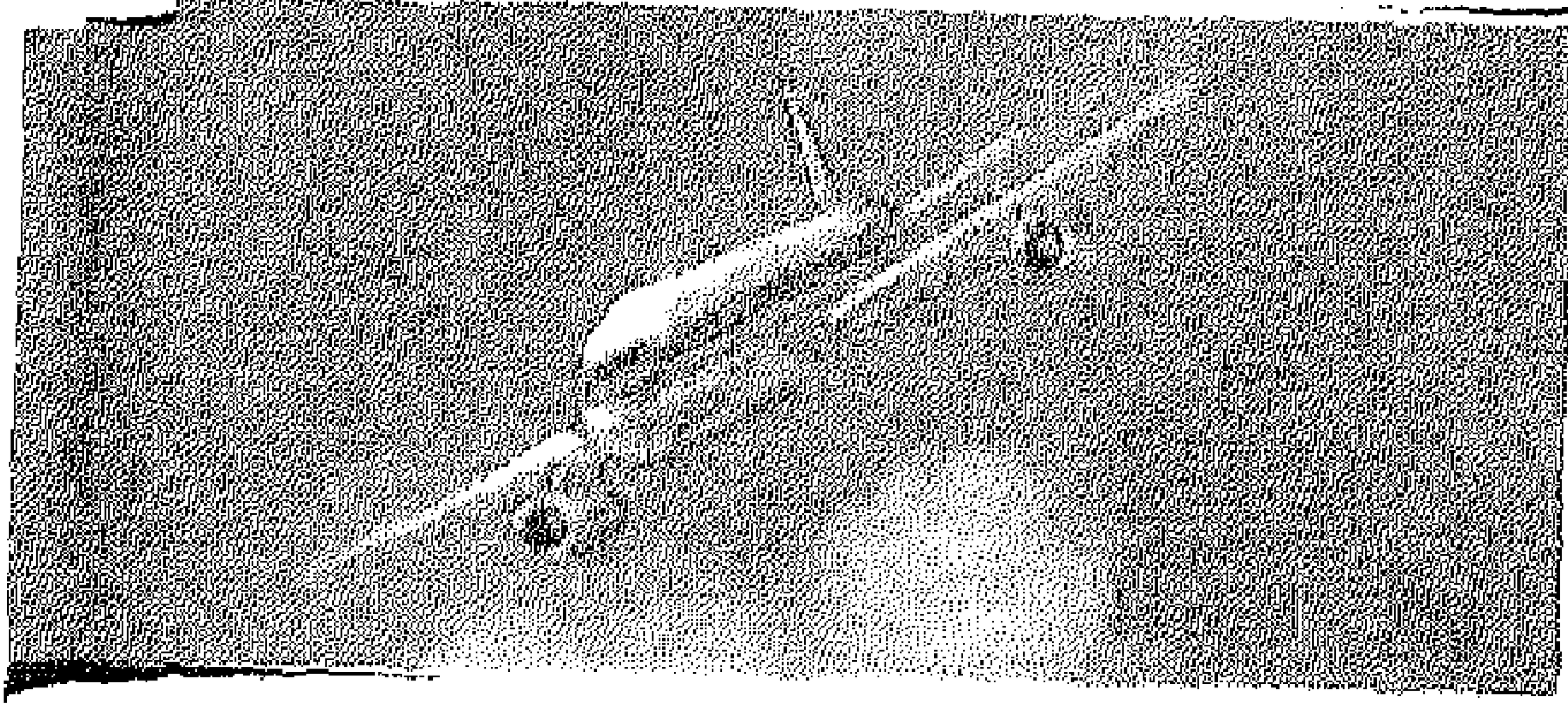
كتاب الشهر

٧ في مهب الرّيح

ملخص من كتاب

بقلم وليم هوفر و مارلين منى هوفر

لم يشعر مايك لورد بالارتياح يوماً وهو على متن طائرة محلقة في الجو. وها هو الآن يشعر بحزام المقعد يشدّ على حضنه، ويعقب ذلك احساس بالسقوط المريع كالذي يخالج المرء في مدينة للملاهي عندما يسقط قطار أفعواني فائق السرعة من قمة سكة شبه عمودية.



وتلاشت سرعة الطائرة فيما مايكل لورد وستون راكباً آخرون يراقبونها بهلع من النوافذ الصغيرة وهي تشرع في هبوط مفاجىء غير محسوب. كانت الطائرة تسقط من الجو.

بوينغ ٧٦٧ في مهب الريح

ابتلع القبطان روبرت بيرسن آخر لقمة من عشائه واسترخى في مقعده. كانت طائرته التابعة للخطوط الجوية الكندية تشق الجو على ارتفاع ١٢٥٠٠ متر فوق ريد ليك في أونتاريو بسرعة ٨٦٠ كيلومتراً في الساعة في طريقها من مونتريال وأوتاوا الى ادمونتن.

بالنسبة الى بيرسن، وبضعة ربابنة آخرين في العالم مؤهلين وحدهم لقيادة طائرات "بوينغ ٧٦٧"، كانت قيادة تلك الطائرة متعة. فقوة دفع محركها الذي يديره دماغ الكتروني، وجناحاها المتطوران، تجعل إقلاعها قصيراً وسهلا وسرعة ارتفاعها مثيرة. واليوم، فيما البوينغ ٧٦٧ تهدر في الجو، أبقاها الربان الآلي في المسار الصحيح من دون ارتجاج. أما بيرسن، الربان العريق الذي أمضى ٣٦ سنة في خدمة الخطوط الكندية، ومساعده موريس كينتال، فأجريا اتصالا بمقرّ الشركة في وينيبيغ في مانيتوبا.

زودهما ضابط عمليات معلومات عن تقلبات الجو خلال الرحلة التي تستغرق أربع ساعات. أبلغهما أن الطقس ممتاز، فالجو متلألىء والرؤية تمتد ٢٤ كيلومتراً. افترّ ثغر بيرسن عن ابتسامة عريضة وقال مازحاً: "سأجلس هنا وأراقب السمك في البحيرة."

Condensed from «Freefall,» copyright © 1989 by William and Marilyn Hoffer, published by St. Martin's Press, Inc., New York, N.Y. Illustrations: Rick McCollum

وتولى كنتال نقل هذه المعلومات المطمئنة بالانكليزية عبر مكبّر الصوت الى الركاب الواحد والستين والمضيفين الستة على متنها. ثم كررها على مسامعهم بالفرنسية، لغته الاصلية.

ودخل زائر مقصورة القيادة، فاستدار القبطان ومعاونه لاستقباله. كان ريك ديون رباناً يقود طائرة خاصة. وكان حلمه أن يشغل مقعد القبطان في طائرة تجارية، لكنه عوض ذلك شغل منصباً عالياً في دائرة الصيانة في شركة الخطوط الجوية الكندية.

ذلك اليوم، ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٨٣، كان ديون وزوجته بيرل وابنهما كريس (ثلاث سنوات) في طريقهم لزيارة والد بيرل في ألبرتا. وفي مطار مونريال، قبل أن يبدأ الركاب الصعود الى الطائرة، لمح بيرسن ديون، وكانت تجمعهما معرفة سابقة، فدعاه الى مقصورة القبطان بعد العشاء. وهي دعوة مغرية قبلها ديون من دون تردد، إذ كانت تلك واحدة من أربع طائرات "بوينغ ٧٦٧" تسلمتها شركة الخطوط الكندية حديثاً ودفعت ٤٠ مليون دولار ثمناً لكل منها.

اتسعت عينا ديون وهو يشاهد الميزات البارزة في مقصورة القيادة التي بدت أشبه بمركز لألعاب الفيديو، خصوصاً حيث أنبوب أشعة "كاثود" الذي ينير الشاشة بألوان ثمانية. وفي الاسفل حملت الرفوف المخصصة للأدوات الالكترونية ١٤٠ جهازاً، بينها أدمغة الكترونية، مهمتها رصد أدنى حركة تصدر عن الطائرة. والواقع أن هذه المعدات كانت من التطور والتعقيد بحيث ان الربابنة بدوا كأن لا حاجة اليهم.

استغرق بيرسن وديون في حديث عن العمل، وراح كنتال يدون على عجل آخر المعلومات عن مقياس الوقود. كانوا متقدمين سبع دقائق على البرنامج المحدد، وهو أمر مرضٍ بعدما كانت الطائرة تأخرت ٢٤ دقيقة عن موعد إقلاعها من مونريال بسبب صعوبات بدت بسيطة في مقياس الوقود. أما الآن، بعد توقف اقصر من المعتاد في أوتاوا وتحليق على ارتفاع ١٢٥٠٠ متر بدلا من ١٢ ألفاً كما كان مخططاً، فقد كانت الطائرة تعوّض الوقت الضائع. وقال كنتال في نفسه: انه لحدث عظيم أن يعمل كل شيء على ما يرام.

ولكن ما ان أنهى تدوين ملاحظاته حتى انطلق من أحد أجهزة الانذار صفير حاد تردد أربع مرات.

"ما الامر؟" تساءل كنتال بصوت مرتفع. اما بيرسن الذي لم تعوزه الكلمات فأطلق شتيمة ساخطة. وما لبث سبب العلة أن ظهر مفصّلا على إحدى الشاشات.

كان كل من خزانات الوقود الثلاثة يُعبأ بواسطة مضختين. أما الآن فكانت المضخة الامامية في الجناح الايسر تجهد تحت ضغط متدن على نحو غير طبيعي. فتح بيرسن صماماً عرضياً كي يسمح للخزان في الجناح الأيمن بتغذية الخزان الايسر ثم قلّب "دليل الارشادات السريعة" الذي يقدم شرحاً موجزاً للاجراءات المتخذة في الحالات الطارئة.

أفاده الدليل ان لا داعي الى الهلع ما دام العطل لم يصب سوى واحدة من المضختين اليسريين. وقرأ: "تابع العمليات العادية."

أقفل بيرسن صمام التغذية. ونعمت مقصورة القيادة بالهدوء.

كان ثابتاً من تجارب سابقة أن الأعطال التي تطرأ على طائرة حديثة كهذه تكون غالباً ناجمة عن خلل في الدماغ الالكتروني لا في الجهاز الميكانيكي. إلا أن قلق بيرسن الخفيف تحوّل مع الوقت خوفاً حقيقياً.

مرة ثانية انطلق في مقصورة القيادة، التي خيّم عليها جو مشحون، صفير حاد تردد أيضاً أربع مرات. وسرعان ما ظهرت على الشاشة رسالة جديدة تحمل نذير شؤم آخر: المضخة الثانية للخزان الايسر على وشك التوقف هي ايضاً.

على الفور اتخذ بيرسن قراراً ثانياً: "لنتوجه الى وينيبيغ. الآن!"

كان العطل الثاني لافتاً بحيث استبعد إمكان ردّه الى خلل في الدماغ الالكتروني. وأصبح واضحاً للعيان أن المحرّك الايسر يعاني مشكلة كبرى. فصل بيرسن القبطان الآلي وتولى القيادة بنفسه، عازماً على إكمال المسافة المتبقية بقيادة الطائرة يدوياً والهبوط بها في أقرب مطار.

تشبّث كنتال بالمذياع. وما ان نجح في الاتصال ببرج المراقبة حتى قال: "وينيبيغ. هنا الرحلة ١٤٣ للخطوط الجوية الكندية. اننا نواجه مشكلة."

للمرة الأولى في حياته تمنى موريس كنتال لو أنه في أي مكان آخر غير الجو.

سقوط مفاجىء

في مؤخر الطائرة على بعد ٤٥ متراً من مقصورة القيادة كانت المضيفة سوزان جويت تتقدم في الممشى الأيمن في طريقها من مطبخ الطائرة، دافعة أمامها عربة ترفع عليها أطباق فضلات الطعام وتسجل طلبات الركاب من قهوة وشاي وتتبادل واياهم الاحاديث الخفيفة من غير كلفة.

حتى تلك اللحظة كان انطباع الراكب مايك لورد عن الرحلة مختلطاً. فالسمك الذي تناوله عشاء كان ممتازاً، لكن الفيلم السينمائي الذي عرض على شاشة الطائرة جاء مخيّباً. والحقيقة أن لورد لم يشعر يوماً بالارتياح التام وهو في الجو. وتأكدت مشكلته تلك عندما اشترى تذكرة السفر قبل ستة أسابيع. ويبدو أن الموظفة المسؤولة شعرت بارتباكه لانها انطلقت في حديث دعائي عن تلك الطائرة – المعجزة التي اختار لورد ان يأتمنها على حياته. وراحت تمجد صفاتها قائلة انها تحفة فنية متطورة ومؤكدة أن مزاياها البارزة مستمدة من برنامج المكوك الفضائي الذي ترعاه حكومة الولايات المتحدة. وأضافت أن البوينغ ٧٦٧ هي من الحداثة بحيث أنها، خلافاً لجميع الطائرات التي يضمها أسطول الخطوط الجوية الكندية، تحتسب الوقود بالنظام المتري العشري وليس بالمقاييس البريطانية الرسمية القديمة. وختمت حديثها قائلة: انها تكاد تطير بلا طيّار. هذا يوم سعدك!"

لكن مايك لورد لم يشعر بالسعد على الاطلاق يوم ٢٣ يوليو (تموز). وما ان صعد الى الطائرة وجلس في مقعده حتى أوثق حزام الامان مذكّراً نفسه بأنه لن يجدي إذا

تحطّمت الطائرة. وعندما أعلن القبطان أن هناك تأخيراً بسيطاً بسبب مشاكل متعلقة بقياس كمية الوقود، أحكم مايك شد الحزام.

تابعت سوزان جويت تقدمها في الممشى. ولمحت بين الركاب رجل أعمال رأته في رحلة سابقة، فتوقفت لتتبادل معه حديثاً ودياً. وكان الرجل طياراً، فخطر لسوزان أن تدبر له جولة في مقصورة القيادة. وهذه فرصة نادرة على متن طائرة أمريكية نظراً الى أن قوانين مديرية الطيران الاتحادية في الولايات المتحدة تحظر على الزوار دخول المقصورة، أما في كندا حيث المشاكل الأمنية أقل فالقوانين أكثر ليونة. والى ذلك كانت سوزان تعلم أن ليس من طيار أكثر كياسة من القبطان بيرسن. وما ان تهيأت لمفاتحته في الموضوع حتى شعرت بهبوط مفاجىء.

أحس مايك لورد حزام المقعد يضيق على حضنه. وتطلّع حوله بقلق وهو يشعر كمن يهوي من عل. انه الإحساس ذاته الذي ينتاب المرء في مدينة للملاهي عندما يسقط قطار أفعواني فائق السرعة من قمة سكة شبه عمودية.

حاولت سوزان جويت إقناع نفسها بأن لا داعي الى القلق وبأن عوامل كثيرة قد تسبب تغيراً في ارتفاع الطائرة، كتصحيح مسارها ورداءة الطقس وتحليق طائرات أخرى وتغير اتجاه الريح. ومع ذلك وجدت نفسها ترصد تحركات القبطان وتسترق النظر من النافذة علّها تستشفّ رسالة ما في حجب الغيوم الرقيقة تحتها.

عندما وصل نداء كنتال الى مركز مراقبة الطيران الكندي، كان في الخدمة موظف قدير يدعى رونالد هويت أمضى في عمله ٢٢ عاماً. وهو سمع كنتال يقول بلهجته الفرنسية - الكندية انهم يواجهون مشكلة ويطلبون الهبوط في وينيبيغ.

وكان في تصرف هويت نوعان من أجهزة الرادار. ففي العام ١٩٨٣ كان الرادار المباشر الذي يلتقط أي إشارة في مجاله ويردّها في شكل صورة على شاشة يُستخدم في قلة من قطاعات الرادار في كندا. وكان هويت يراقب ست محطات رادار، والرادار المباشر الوحيد متوافر في وينيبيغ.

في تلك اللحظة التقط هويت الاشارة من محطة بالقرب من ثندر باي في أونتاريو، حيث يستخدم نظام ثانوي للرادار أكثر تطوراً ويعتمد معدات موجودة في الطائرة المراد اقتفاؤها. وفي طائرة "الرحلة ١٤٣" كما في جميع الطائرات النفّاثة جهاز استقبال يلتقط الاشارة التي يطلقها الرادار ويرسل إشارة جوابية تتم معالجتها بواسطة دماغ الكتروني يعيّن مصدرها وارتفاعها وسرعتها، ثم يعرض هذه البيانات في مثلّث على شاشة الرادار.

بهذه الطريقة، ومن بين جميع الصور المعروضة على الشاشة أمامه، تمكن هويت من التعرّف الى طائرة "الرحلة ١٤٣" وتحديد ارتفاعها وسرعتها بالنسبة الى الطائرات الأخرى في الجو، وإصدار إذن يجيز لها الهبوط في وينيبيغ.

بعد أربع ثوان من التقاطه نداء كنتال أجاب هويت: "الرحلة ١٤٣، الخطوط الجوية

الكندية. الطريق سالكة أمامك. توجّه الى وينيبيغ من موقعك الحالي. استخدم المدرج ٣١. يمكنك الهبوط من ارتفاع ١٨٠٠ متر أو حسبما ترى مناسباً."

كانت الطائرة على مسافة ٢٠٥ كيلومترات الى الشمال الشرقي من وينيبيغ. وفي الساعة ٨،١٤ مساء بتوقيت وينيبيغ باشر بيرسن الهبوط. وتعيّن عليه أن ينحدر بطائرته من ارتفاع ١٢٥٠٠ متر الى ١٨٠٠ دفعة واحدة. أرجع ذراع مخنق المحرّك الى الوراء فاستجابت الطائرة للحال وكأن أحداً كبحها. ومع انخفاض سرعة تقدمها اندفعت نزولا منجزة المرحلة الأولية من أسلوب في الهبوط ليس في الحقيقة الا سقوطاً من الجو مسيطَراً عليه.

عمل بيرسن وكنتال بسرعة. برمجا مؤشر الموقع الافقي، وهو مرقاب مستقبل بين عدة مراقيب يشغّلها الدماغ الالكتروني، ووظيفته اظهار صورة جانبية لعملية الهبوط.

أحداث مقلقة

جلس ريك ديون خلف القبطان ومعاونه وراح يبحث في عقله عن سبب يفسر ما جرى، فيما انصرف بيرسن وكنتال الى مراجعة جميع الاحداث التي شاهداها أو سمعاها بعد ظهر ذلك اليوم في مونريال اثناء خضوع الطائرة للفحص. والحقيقة أنها كانت أحداثاً مقلقة.

في البدء برزت مشكلة في الاجهزة الثلاثة الخاصة بقياس كمية الوقود. وعند التدقيق وجد أحد التقنيين عطلا في إحدى قناتي ميزان الوقود، وهو جهاز الكتروني يراقب تدفق الوقود ويضبطه. ولتعاسة الحظ لم تكن قطعة الغيار المطلوبة لاصلاح العطل متوافرة في الطائرة. واعتقاداً من التقني ان الطائرة تحتوي على جهاز بديل يسيّره الدماغ الالكتروني ويقوم تلقائياً مقام الجهاز المعطل، اعتبر أن المشكلة محلولة. ولكن عندما صعد بيرسن الى الطائرة في مونريال وجد أجهزة القياس خالية من أي إشارة.

ومع ان التقنيين فشلوا في تشغيلها، إلا ان بيرسن تلقى تصريحاً بالإقلاع بعد إخضاع خزانات الوقود لعملية تقطير يدوي عملا بالقواعد المفروضة التي تقضي بتحديد كمية الوقود بدّقة قبل ملء الخزانات وبعده. ومرة ثالثة طبّق هذا الإجراء الذي يشبه عملية قياس كمية الوقود في السيارة بواسطة قضيب مدرّج، بعد إضافة كمية من الوقود تصحيحاً لاختلال توازن في خزان الجناح الايسر وبناء على إلحاح بيرسن.

والحقيقة أن بيرسن لم يكن يفهم كيف تعمل هذه الاجهزة. وفي أي حال لم يكن ذلك مطلوباً منه، إذ لم يكن أحد يتوقع أن يهتم الطيارون بأمور من إختصاص قسم الصيانة، خصوصاً عندما تكون الطائرة على تلك الدرجة من التطور والتعقيد. فقد كانت القاعدة غير المدونة: الطيارون يطيّرونها والميكانيكيون يصلحونها.

إلا أن كنتال لاحظ أن موظفي الصيانة يلاقون صعوبة في تطبيق المعادلة الحسابية البسيطة لتحديد كمية الوقود، مما خلّف في نفسه شعوراً مبهماً بالقلق.

ومع ذلك تساءل بيرسن: "أي شيء أبسط وأكثر دقة من التقطير اليدوي؟" ولنفترض أن قراءة مؤشر الزيت في لوحة أجهزة القياس في سيارتك مختلفة عن القراءة الظاهرة في قضيب القياس، أفلن تعتمد الثاني على أنه أكثر دقة؟" ثم أراح نفسه في مقعده وحوّل تفكيره الى مشاكل أخرى.

الامر الذي كان بيرسن يجهله هو أن فريق الصيانة وقع في حال من الارتباك كتلك التي ما زال يعانيها عدد كبير من الكنديين بسبب التحوّل من نظام المقاييس البريطاني الى النظام المتري العشري. والواقع أنه بعد انقضاء سبع سنوات على اعتماد النظام المتري بقي عدد كبير من الكنديين يتذمرون من أنه فُرض عليهم فرضاً.

واستجابة للضغوط الحكومية أوصت شركة الخطوط الجوية الكندية ببناء ١٢ طائرة جديدة من طراز "بوينغ ٧٦٧" على أساس مواصفات النظام المتري.

وأثار ذلك موجة نقد في أوساط المعارضة التي أنذرت بالمتاعب. وحذر نيل فريزر الذي كان يطمح الى رئاسة الحزب التقدمي المحافظ وشن حملة قاسية على تطبيق النظام المتري: "اذا كانت شركة الخطوط الجوية الكندية راغبة في تجربة حساب وقود الطائرات بالنظام المتري، فأنا أقترح اجراء ذلك في الطائرات التي يسافر فيها الوزراء."

طالع عمال الصيانة الذين تولوا خدمة الطائرة ٧٦٧ في مونريال، مزيج محيّر من النظامين المتري والبريطاني في مقاييس الوقود. وفي وقت ما تجمع في مقصورة القيادة القبطان ومعاونه وستة أشخاص آخرون راحوا جميعهم يراجعون أعمدة الارقام في كتيِّب خاص بالتقطير في محاولة لاجراء تحويلات لم يألفوها.

كان بيرسن متململا حتى قبل إجراء عملية التقطير الثالثة. وقال بصوت أجشّ: "أروني أرقامكم." وراح يدقق في الحسابات التي ملأت قصاصة ورقة حملها أحد التقنيين. وهو استعان بمسطرة حاسبة دائرية أخرجها من حقيبته. لكنه، من دون قصد، وقع في الخطأ نفسه الذي وقع فيه الآخرون، إذ استخدم رقماً مضروباً فيه يعيّن الوزن بالأرطال الانكليزية (الباوند) وليس بالكيلوغرام. وهكذا زُوِّدت الخزانات نصف كمية الوقود من نوع «A — 1» اللازمة لايصال الطائرة الى إدمونتن. ولأن المقاييس كانت معطلة لم يتنبه أحد الى الخطأ الحاصل.

فيما طائرة "الرحلة ١٤٣" تهمّ بالاقلاع طرح أحد المضيفين سؤالا أخيراً مستفسراً عن كمية الوقود، مما أثار التقني الذي أجابه بانزعاج: "لديكم أكثر مما تحتاجون اليه، وفي وسعكم الطيران الى فانكوفر."

كانت الطائرة على علو ٩٨٠٠ متر في الجو. وخيّم على المقصورة جو مشحون فيما هي تهبط صوب حجاب الغيوم تحتها ولما يمضِ على الانذار الأول سوى خمس دقائق.

فجأة انطلقت في المقصورة أربعة أصوات انذار تلتها أربعة اخرى معززة بأضواء كهرمائية متوهجة أضاءت لوحة جهاز القيادة. لم تعد المشكلة مقتصرة على خزّان الوقود الايسر، بل تعدّته الى المضخات الست التي تغذي الخزانات الثلاثة. وأيقن

الطيارون عندئذ أن المشكلة تكمن في تدفق الوقود وليس في المضخات. ومع هذا اليقين سرت قشعريرة في أجساد الرجال الثلاثة.

رهاب الاحتجاز

وجد المضيف الأول روبرت ديجاردان صعوبة في تهدئة الركاب أثناء عرض الفيلم. وهو كان طلب من الركاب في مؤخر الطائرة الذين يشاؤون مشاهدة الفيلم أن ينتقلوا الى المقاعد الامامية بسبب عطل في العارضة السينمائية في مؤخر الطائرة. وفيما استجاب عدد منهم لطلبه بقي كثيرون في مقاعدهم وهم يتذمرون.

أخيراً وجد ديجاردان وقتاً للراحة. فسخّن عشاءه وحمله الى الجانب الايسر من مقصورة الدرجة الأولى.

وما ان بدأ تناوله حتى شاهد ريك ديون يفتّش بعينيه عن أحد ما. وهو قال له: "القبطان يطلب حضورك للحال الى مقصورة القيادة."

لم يكن ديجاردان ليجزع بسهولة. وكان هو نفسه طياراً متمرساً. فدعوة القبطان قد تعني امراً من جملة أمور، مثل عطل في المذياع العمومي أو شكوى من وجبة العشاء أو أي شيء آخر من هذا القبيل. ومهما تكن المشكلة فسوف يحلّها. أزاح طبق الطعام، وهو من اعتاد الوجبات المقطوعة، وسار خلف ديون الى مقصورة القيادة حيث بادر القبطان: "نعم يا كابتن."

جاءه الجواب من كنتال: "إننا متوجهون الى وينيبيغ. ونعتقد أننا نعاني مشكلة في جهاز الوقود. نحن الآن على بعد ١٩٣ كيلومتراً منها، وسوف يستغرقنا الوصول اليها نحو ٢٠ دقيقة."

عندئذ تدخل بيرسن قائلا: "إجمع المضيفين وأعطهم تعليمات الهبوط الاضطراري." لكنه اكدّ عليه ضرورة وضع أفراد الطاقم في حال تأهب من دون إرعاب الركاب.

غادر ديجاردان مقصورة القيادة وفي رأسه شبه دوامة. فالمشكلة أكبر مما تصور. وهو شاهد من اشارات الإنذار المتوهجة ما يكفي للاستنتاج أن الاعطال ممتدة الى أكثر من جزء من الطائرة. بدا له أن الممشى الضيّق الممتد من مقصورة القيادة يطبق عليه ويحتجزه باعثاً فيه شعوراً برهاب خانق. أمَر نفسه بالهدوء وباتخاذ جميع الاحتياطات الممكنة لحماية الركاب. أمرٌ واحد كان يقيناً: اذا كان مكتوباً له أن يعلق في طائرة منكوبة فإن الطيار الوحيد الذي يتمنى أن يقودها هو روبرت بيرسن.

تناول ديجاردان كتيّب التعليمات من حقيبته في مقصورة الدرجة الأولى وانتزع منه البطاقة التي تفصّل الاجراءات المتخذة في حال الهبوط الاضطراري. ثم حاول أن يتظاهر برباطة الجأش وبرودة الاعصاب اللتين أظهرهما القبطان ومعاونه.

في مؤخر الطائرة، في الصف الاوسط من مقاعد الركاب، جلست المضيفة آن سويفت وفي حضنها مفكرة صغيرة. رفعت بصرها الى ديجاردان المتوجه نحوها ولاحظت التعبير الجدي الذي ارتسم على وجهه.



نهضت سويفت من مكانها، فأمسكها ديجاردان من ذراعها قائلا: "لنذهب الى المطبخ."

التقطت المضيفة دانييل ريندو نبرة الالحاح في صوته، وهي كانت على بضع خطوات منهما. فتصلّب جسدها فجأة واغرورقت عيناها. ربّت ديجاردان كتفها مطمئناً وقد أدرك أن صوته خانه، وقال: "لا تقلقي يا دانييل، لعلّ الامر ليس خطيراً."

وصلت الرسالة الى أفراد الطاقم جميعهم، فتحلقوا حول ديجاردان الذي راح يتفحص كتيب الطوارىء مردداً بصوت خافت: "لا تقلقوا."

انهيار محرك

ترددت الاصوات الاربعة المشؤومة مرة أخرى في مقصورة القيادة. واستمرت الانذارات تتوالى على الشاشة معلنة انهيار كل من مضخات الوقود الست. تمتم بيرسن: "آمل أن تكون هذه انذارات مضلّلة." ثم سأل ديون: "هل يسعك أن تفكر في أي شيء لم نفعله بعد؟"

فأجابه: "كلا يا بوب."

سمعت أربعة أصوات أخرى أعقبتها بضع دقائق من الصمت المطبق ما لبث أن

قطعته الأصوات الاربعة إياها. وللمرة الاولى في حياته وجد بيرسن نفسه في وضع يصعب توقع نتائجه. لقد اتضح أن المحركات كانت عطشى الى الوقود. ولم يملك الرجال سبيلا لتقدير الوقت المتبقي قبل أن تتوقف المضخات نهائياً عن التغذية... فتتوقف المحركات.

راح بيرسن يوجه الطائرة برفق وحذر خشية تحميل المحركات عبئاً يفوق طاقتها. تباحث مع ريك ديون حول الطريقة الفضلى للمحافظة على الوقود أطول فترة ممكنة. واتفق الإثنان على حفظ الطائرة في وضع أفقي بدل أن يكون مقدمها منحدراً، كي تفيد المحركات من الوقود المتبقي في الانابيب.

أربعة أصوات ملحاحة أخرى قطعت عليهما الحديث، وأغارت على مقصورة القيادة أصوات غريبة وأضواء مخيفة تنذر بالشر وتنبّه الى سلسلة من المشاكل بلغت أوجها عندما تبيّن أن ضغط المحرّك الايسر منخفض، كذلك حرارته.

مضت على بدء المحنة تسع دقائق بدت دهراً، حينما علا في المقصورة رنين حاد روّع الرجال الثلاثة.

قال بيرسن مؤكداً الإنذار: "حسناً، لقد خسرنا المحرك الايسر."

بدأ الطياران عملية مدروسة جيداً:

قال كنتال بنبرة حادة: "الطاقة المحرّكة والتروس كما ينبغي."

"تأكد،" أجابه بيرسن.

- المخنق مقفل، حلّ المخنق الآلي.

"حسناً."

أربعة أصوات منذرة جديدة قطعت كلامهما معلنة انخفاض ضغط الزيت في المحرّك الأيمن وانخفاض حرارته ايضاً.

رمق كنتال بيرسن الذي بدا هادئاً وهو يمسك جهاز القيادة. فذكّر نفسه بواجباته كضابط أول: لن يسعني أن أسدي أي مساعدة الى هذا الرجل إذا فقدت اعصابي. أمَرّ يديه بالتوقف عن الارتجاف وفكّر في أن يتكلم. فاذا نجح في التحكم بصوته فسيكون كل شيء على ما يرام.

شعر بانفراج وهو يشرح وضع الطائرة لبرج المراقبة في وينيبيغ، فهو لمس في صوته نبرة أوحت ببرودة أعصاب واحترافاً. قال: "لقد فقدنا محرّكنا الأول. سوف نحتاج الى جميع الشاحنات في الخارج."

وجاءه الإشعار بتلقي الرسالة من رون هويت الذي قال: "الرحلة ١٤٣، أخذنا علماً، سوف نلبي."

ما ان سمع لين دازكو، الضابط المسؤول عن تنظيم عملية هبوط الطائرات، رسالة كنتال عبر المذياع بصوته الذي أغرق القاعة، حتى تناول هاتفاً للطوارىء موصولا مباشرة ببرج المراقبة في المطار، وأعلم المسؤولين هناك بقضية الطائرة المنكوبة طالباً تجهيز معدات الطوارىء في المدرج.

كان واضحاً أن الطائرة تتدهور بسرعة، بدليل ما سمعه المراقبون من كنتال عندما طلب ابدال المدرج الذي عينوه له بآخر.

كان المدرج ٣١ الذي عُيّن في البدء لهبوط الطائرة يمتد من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي. ويتعيّن على بيرسن للوصول اليه أن يدور جنوباً مستهلكاً مزيداً من الوقت والوقود، وكلاهما ثمين، خلافاً للمدرج ١٨ الذي طلب بيرسن الهبوط فيه، فهو يمتد من الشمال الى الجنوب في خط مستقيم ويقع في طريق الطائرة تماماً.

أدرك بيرسن أن عليه الهبوط من دون أن يضيّع دقيقة واحدة.

خوف ملموس

مع اقتراب الطائرة من وينيبيغ انحدرت فجأة الى ارتفاع ٨٠٠٠ متر. وفي الساعة ٨،٢١ مساء بالتوقيت المحلّي غرقت مقصورة القيادة في ظلام دامس.

واختفت جميع البيانات والارقام التي تُبثّ على الشاشة وتظهر سرعة الريح وارتفاع الطائرة واتجاه ابرة البوصلة ومؤشرات الضغط والحرارة ومجموعة الادوات والمعدات الالكترونية، في مقصورة قيادة إحدى أكثر الطائرات تطوراً وتعقيداً في العالم.

تساءل بيرسن غير مصدّق: "كيف حصل هذا؟"

كان الجواب بسيطاً بمقدار ما كان مرعباً. فالمحرّك الايمن انهار هو أيضاً. ومع انهياره توقفت المولدات الكهربائية عن العمل وانقطع التيار الكهربائي. وبدت المقصورة لعيني بيرسن المكان الأحلك ظلاماً في العالم.

مستحيل، قال في نفسه. فهذه الامور لا تحصل.

لكنها حصلت. وألفى القبطان روبرت بيرسن والضابط الأول موريس كنتال طائرتهما محلقة في الجو فوق كندا الوسطى على مسافة ١٤٠ كيلومتراً من وينيبيغ، وفي حوزتهما أجهزة وضوابط عاملة هي أقل مما يتوافر في طائرة خاصة صغيرة.

لقد نفد الوقود من خزانات الطائرة. أدار كنتال مجموعة المولدات الكهربائية للحصول على بعض الطاقة، ثم راح يقلّب صفحات كتيّب الارشادات السريعة بحثاً عن التعليمات التي تمكنه من تحرير المحرّك الذي يدار بقوة الهواء وانزاله من موضعه بالقرب من "بئر" الدولاب الايمن. وهذا المحرّك ذو الغطاء المستقل يستخدم قوّة الريح متيحاً للطيار مجالا – وإن محدوداً – للسيطرة على الطائرة. فالهواء الذي يغرفه عبر خطمه، يدير داسراً (مروحة) يوفر مقداراً من الطاقة يتيح لبيرسن، بكثيرمن الجهد والمداراة، السيطرة على الاجزاء المتحركة من جناحي الطائرة وعلى المصاعد والدفّة الموجّهة. وهو تذكر حادثاً حصل له عندما تعطّل محرك سيارته محولاً المقود الهيدروليكي أداة عديمة النفع، ولكي يبقى مسيطراً على السيارة اضطر الى ادارة المقود بقوة يديه. إنه الآن في وضع مماثل، والمهمّ أن يبقى مسيطراً على الطائرة.

اتصل كنتال بمحطة وينيبيغ معلناً تعطّل المحركين.

أنعم هويت النظر الى شاشة الرادار أمامه. فوجد أنه، مع توقف أجهزة الارسال

والاستقبال في الطائرة المنكوبة، اختفت الإشارة التي تبين موقعها، كذلك البيانات المفيدة الأخرى التي يبثها الدماغ الالكتروني في شكل مثلّث من الارقام.

بدا كأن طائرة "الرحلة ١٤٣" اختفت من الجو.

ما ان خرجت عبارة "لا تقلقوا" من فم روبرت ديجاردان الذي أراد طمأنة زملائه حتى تناهى اليهم صوت القبطان بيرسن عبر مكبّر الصوت يطلب من ديجاردان بكثير من الجديّة التوجه للحال الى مقصورة القيادة.

كانت تلك الرسالة بالنسبة الى الركاب أول نذير حقيقي بالخطر.

في حديث مع ديجاردان طرق القبطان الموضوع مباشرة. قال: "لقد نفد منّا الوقود. ونحن مضطرون الى الهبوط في وينيبيغ. أعط الركاب وأفراد الطاقم التعليمات الخاصة بالهبوط الاضطراري."

عاد ديجاردان الى مؤخر الطائرة عبر الممشى الذي سلكه الى مقصورة القيادة. ولاحظ نظرات التساؤل في عيون الركاب، وأحس جو الخوف الذي ساد صفوفهم.

عندما بلغ المطبخ قال بحدة لزملائه المضيفين: "أخرجوا بطاقاتكم الزهرية. يجب أن نقدّم شرحاً حيّاً."

إختاروا شخصاً قوياً

تمركز أفراد الطاقم في أماكن مختلفة من الطائرة. وتناول ديجاردان المذياع وبدأ يخاطب الركاب. لكنه فوجىء برعشة في صوته، فتوقف عن الكلام وتنفّس بعمق قبل أن يتابع. وفيما هو يشرح التعليمات قدم أفراد الطاقم عرضاً حيّاً أمام الركاب.

وممّا قاله ديجاردان: "أصغوا الى هذه التعليمات جيداً. انزعوا أحذيتكم ونظاراتكم وأسنانكم الاصطناعية وأي شيء حاد في جيوبكم. تأكدوا من أن أحزمتكم مثبتة باحكام حول أدنى نقطة من أوراككم. كتفوا أذرعكم وتمسكوا بأعلى المقعد الذي أمامكم. واسندوا رؤوسكم الى أذرعكم."

وفيما ديجاردان يكرر التعليمات ويسهب في شرحها، راح أفراد الطاقم يتنقلون بين الركاب طالبين من كل فرد أن يؤدي الحركات المطلوبة في حال الهبوط الاضطراري.

أما ردّ فعل الركاب فكان مزيجاً من الخوف المكبوت واليأس. فهم، لدقائق خلت، فرغوا من تناول العشاء واسترخوا في مقاعدهم يتابعون الفيلم المعروض أو يقرأون أو يحتسون شراباً أو يتبادلون الاحاديث أو يرسمون الخطط للايام المقبلة. أما الآن فحياتهم في خطر، ولا أحد يدري ما السبب. وتملّك بعضهم شعور كئيب بالعجز، فيما راح آخرون يبكون بصمت.

إكتشفت المضيفة آن سويفت أن في عقلها زاوية تختزن قوة كامنة مكنتها من تأدية وظيفتها على رغم الخوف الذي غزا كيانها. كانت اللحظات المقبلة تنذر برعب يجهل الجميع مداه. وضجّت أسئلة في رأسها: الى متى سيظل القبطان بيرسن مسيطراً



على الطائرة؟ هل ستهبط الطائرة بسرعة فائقة بحيث يتعرض ركابها لفقدان الضغط؟

على رغم خوفها الشديد لم يغب عن بالها أن الركاب يعتمدون عليها. يجب أن تتحقق من أن كل غرض في مكانه بحيث لا يبقى شيء فالتاً ويتحول قذيفة تلحق الاذى بالركاب في حال الاصطدام العنيف. وهي شاهدت إحدى المضيفات ترتب معدات المطبخ بدقة وعناية واضعة كل غرض في المكان المخصص له. فقالت لها: "تخلصي منها فقط." وراحت تقذف كل ما وصلت اليه يداها من غلايات قهوة وشاي وزجاجات صغيرة في سلة كبيرة للنفايات.

فجأة سمعت رنيناً متواصلا لا يُخطأ. نظرت الى أعلى فرأت ضوء الطوارىء متوهجاً. وأوصلتها معرفتها الضئيلة بعمليات الطيران الى استنتاج رهيب: لقد شغّلوا بطاريات الطوارىء لان المحركات توقفت عن مد المولدات، أي انهم فقدوا المحركين الاثنين في الطائرة.

لم تنبس سويفت بكلمة خشية أن ترعب الركاب وتفقد هي نفسها أعصابها إن عبّرت عن مخاوفها بالكلام.

شعرت دانييل ريندو بخدر يسري في جسدها، وأدركت أنها تعاني أعراض صدمة، لكنها استمرت تنتقل بين الركاب وتشرح لهم التدابير المتبعة في الحالات الطارئة. بدت أصواتهم مكبوتة كأنها آتية من بعيد. ولاحظت دانييل ان تنفسها أصبح سطحياً وسريعاً وشعرت ببرد شديد.

بعد شرح التعليمات الخاصة بالهبوط الاضطراري والتحقق من أن كل فرد من الركاب بات يعي ما هو مطلوب وتحرير مقصورات الركاب من أي عائق أو عقبة قد تعترض

طريقهم، انتقل افراد الطاقم الى المهمة التالية المدوّنة في بطاقاتهم الزهرية والتي قضت بأنْ يختار كل منهم راكباً قوي البنية – ومن الأفضل أن يكون ذكراً في مقتبل العمر – ويجلسه قرب أحد مخارج الطوارىء ويجعله مسؤولا عنه وعن إجلاء الركاب في حال إصابة الموظف المسؤول أو وفاته.

سَمع روبرت ديجاردان يقول للراكب نيجيل فيلد: "تبدو لي رجلا رابط الجأش. هل تسمح بتغيير مقعدك؟ نودك أن تجلس قرب مخرج الطوارىء في محاذاة جناح الطائرة."

أجابه فيلد بامتنان إذ اتاح له عملا يؤديه بدل الاستسلام لما هو آت: "يسرّني أن ألبي طلبك." ثم نهض وسار خلف ديجاردان الى مخرج للطوارىء في الجهة اليمنى.

وبعدما استقرّ في مكانه الجديد وأحكم حزام المقعد حوله، علّمه ديجاردان كيف يُفتح الباب وشرح له نوعين من الاجراءات. النوع الاول يطبّقه في حال وجد القبطان سطحاً مناسباً للهبوط وتمكن من انزال العجلات. عندئذ، بناء على إشارة من ديجاردان، يفتح فيلد الباب وينشر منزلقات الطوارىء كي ينزلق عليها الركاب خارجاً. أما إذا اضطر القبطان الى الهبوط على الماء من دون انزال العجلات – وإن حصل ذلك فسوف يكون على الأرجح في مياه بحيرة وينيبيغ غير المضيافة – فيتعين على فيلد عندئذ أن يستخدم مخلا مختلفاً يؤمن فتح الباب من غير انزال المنزلقات. وأنهى ديجاردان كلامه قائلا: "إياك أن تفتح الباب قبل أن أعطيك الاشارة."

حاول فيلد التركيز وراح يسترجع التعليمات في ذهنه. ومع ذلك لم يستطع كبح نفسه عن مراقبة المنظر من النافذة الصغيرة المربّعة. بحيرة وينيبيغ ما زالت بعيدة، لكنها تقترب مع كل ثانية تمر.

طغا على آن سويفت إحساس شاركها فيه كثيرون حولها. شعرت كأنها تراقب نفسها من مسافة بعيدة. للناظر اليها من الخارج بدت تؤدي وظيفتها. أما من الداخل فلم تكن تملك السيطرة على الغليان.

عليّ أن أجد شخصاً قوي البنية، هذا ما رددته سويفت في نفسها وهي تجول بعينيها في الجانب الايسر من مقصورة الركاب حيث جلس بضعة رجال تتوافر فيهم الصفات المطلوبة لكنهم جميعهم في صحبة عائلاتهم، وهي لم ترغب في فصلهم. لا بدّ من أن تجد شخصاً مسافراً بمفرده، ولكن مَن؟ وأين؟ انتقلت الى الجانب الايمن، وهناك لمحت شاباً قوي البنية ممتلىء الجسم يجلس وحده قرب الحاجز الذي يقسم الطائرة حجيرات.

تقدمت منه سويفت وركعت قربه في الممشى واستهلت حديثها معه قائلة: "إننا في حاجة الى مساعدة."

أدرك مايك لورد فجأة أنها تخاطبه. وتابعت: "هل أنت بمفردك؟"

– نعم.

"ما اسمك؟"

- مايك لورد.

"إسمي آني واحتاج الى مساعدتك. أود أن تتولى عني فتح باب الطوارىء وتثبيت المزلقة إذا حصل لي أي مكروه. أتظن أن في وسعك أن تفعل."

- آمل ذلك، أعتقد ذلك.

"تفضل معي إذاً."

سار لورد خلفها الى الجهة اليسرى من مؤخر الطائرة حيث أرته موقع باب الطوارىء، وقالت وهي تشير الى مقعد في الصف الاخير قرب الممشى الايسر: "إجلس هنا."

جلس لورد حيث اشارت وأوثق الحزام حوله ثم سألها: "ماذا تريدينني أن أفعل؟"

قالت: "عندما تحطّ الطائرة، احتاج الى خمس ثوان أو نحوها ريثما يفتح الباب وتنتفخ المزلقة. كل ما أطلبه منك هو أن تسد الممشى ولا تدع أحداً يمرّ. أعطني بين خمس وسبع ثوان فقط، وما ان تسمعني أقول "الآن" إستدر صوب الباب وانزلق الى الخارج وقف في أسفل المزلقة لمساعدة الآخرين وهم يهبطون. هل يمكنك أن تفعل ذلك؟"

هز مايك لورد رأسه ايجاباً.

تغيير في الخطط

واصل دون هويت، ضابط حركة الهبوط، تفتيشه عن إشارة ما على الشاشة التي ظلت خالية. إتصل بالطائرة وقال بنبرة يائسة: "لقد فقدنا إشاراتكم." ثم راح يدير الأقراص أمامه بارتباك ظاهر لتحويل الاتصال الى وينيبيغ، الوحيدة التي تملك جهاز رادار مباشر. أنعم نظره في الشاشة، فظهرت عليها صورة مضيئة في المنطقة التي افترض ان الطائرة المنكوبة فيها. ولم يلبث أن نجح في اعادة الاتصال بها. وكان ذلك أول تحوّل حسن في حظ الطائرة.

في مقصورة القيادة راح بيرسن يفكر بصوت مرتفع: "حسناً، ما هي أفضل سرعة للهبوط؟" لم يجد في دليل الطيارين أي تطرق أو إلماع الى موضوع الانزلاق الهوائي كطائرة شراعية، والهبوط بطائرة "بوينغ ٧٦٧" توقف محرّكها. لكن بيرسن كان يجمع، الى خبرته في الطيران، معرفة بالانزلاق الهوائي بحكم عمله سنوات طويلة مدرباً على الطيران الشراعي.

كان بيرسن يعلم، استناداً الى خبرته الشخصية، أن هناك سرعة مُثلى لابقاء الطائرة في الجو أطول فترة ممكنة. فالهبوط الفائق السرعة والهبوط المفرط في البطء كلاهما خطأ مميت.

قدّر بيرسن ان سرعة ٤٠٠ كيلومتر في الساعة تتيح للطائرة بلوغ المدى الأقصى، لكن الطريقة الوحيدة لمعرفة سرعتها في الهبوط كانت التخمين. إنه أسلوب في الهبوط لم يسبق أن جرّبه أحد. لم يكن أحد يدري مقدرة الـ"بوينغ ٧٦٧" على الانزلاق.

في تلك الاثناء ورد تقرير من ضابط حركة الهبوط هويت يقول فيه: "تشير أجهزتنا الى انكم على مسافة ١٠٥ كيلومترات من وينيبيغ وحوالى ٧٢ كيلومترا من جيملي."

قال كنتال وهو يرمق بيرسن: "جيملي، إنه مدرج طويل." فذلك المطار العسكري كان ذات يوم يضج بالحركة، لكنه مقفل منذ العام ١٩٧١.

عرض بيرسن البدائل المتاحة ثم سأل: "هل هناك معدات للطوارىء في جيملي؟"

فأجابه هويت بالنفي، وأضاف: "ليس فيها سوى مدرج واحد، على ما أعتقد، ولا نملك أي معلومات عنه، وليست فيه أجهزة مراقبة." بعد تردد قصير قال بيرسن "إننا نفضّل وينيبيغ إذاً."

لكسب مجال أوسع للمناورة أراد بيرسن أن يصل بطائرته الى المطار وهي على علو كيلومتر ونصف كيلومتر. وكان موريس كنتال رسم صورة سريعة لخطة الهبوط مسجلا ارتفاع الطائرة وبُعدها عن وينيبيغ معتمداً المعلومات الواردة من المراقبين والتي أفادت أن أمامهم مسافة ٩٠ كيلومتراً فيما الارتفاع المتبقي لا يتعدى ٣٠٠٠ متر. ومعلوم أنه مع اقتراب الطائرة من الأرض حيث الهواء أكثر كثافة تخفّ سرعة هبوطها. ولكن أتراها ستخف بالمقدار المطلوب؟

نظر كنتال الى بيرسن وقرأ في إطباقة فكيّه تصميماً، فهو بدا أشبه براعي بقر (كاوبوي) متشبث بجواد يشب مهتاجاً في مباراة لعرض البراعة. قال كنتال: "لن ننجح. سنكون على ١٩ كيلومتراً دون الهدف."

وما لبث لين دازكو في وينيبيغ أن أكد هذا الامر على أساس الدوائر التي ارتسمت على شاشة الرادار أمامه. وهو قدّر أن الزاوية التي اعتمدتها الطائرة للانزلاق الهوائي ستوصلها الى الأرض في نقطة تبعد ١٦ كيلومتراً عن المدرج.

سأله بيرسن عن المسافة التي تفصل الطائرة عن جيملي، فأجاب: "حوالى ١٩ كيلومتراً."

- استفسر بيرسن: "الى اليمين؟"

– نعم، الى يمينك.

اتخذ بيرسن قراراً نهائياً. كانت الحكمة تقضي بأن يتوجه بالطائرة الى بقعة من الأرض معبدة بالاسفلت. وكان على يقين أنه سوف يجدها. وخامره شك بالنسبة الى وينيبيغ، لكنه كان واثقاً بقدرته على الوصول بالطائرة الى جيملي. فسأل: "هل لك ان ترشدنا اليها؟"

أعطاه دازكو تعليمات كي يستدير بالطائرة ٣٤٥ درجة الى اليمين. وهكذا، بعد ٢٤ دقيقة من سماعه الانذار الأول، وجد بيرسن نفسه "يكدح" بآلاته منجزاً انعطافاً حاداً الى اليمين أتبعه بانزلاق صامت الى ما تحت حجاب الغيم. ثم أكمل تحليقه متجهاً من الشمال الى الشمال الغربي في محاذاة الضفّة الغربية لبحيرة وينيبيغ، مفضلا المجهول الذي ينتظره في قاعدة عسكرية مهجورة خارج بلدة جيملي الريفية على الامن المتوافر في مطار من أعظم المطارات وأكبرها، فهذا الآن أمن مشكوك فيه.

83. Staatliche Nordwestdeutsche Klassenlotterie

دورة اليانصيب الوطني رقم ٨٣ لشمال ـ غرب ألمانيا
خاضع لرقابة الدولة

"إليك عرضنا الخاص: كيف تصبح مليونيرا!"



وربح مضمون لكل ثالث ورقة تشتريها
خلال الستة أشهر لمدة سريان اليانصيب.
٢٦ فرصة للربح!



إن طريقة الاشتراك سهلة:

- إرسل إلينا قسيمة الاشتراك في أسفل الصفحة ـ أو رسالة إذا فقدت القسيمة.
- إرفق بها قيمة أوراق اليانصيب التي تريد أن تشتريها إما نقداً بالبريد الجوي المسجل أو بواسطة حوالة بريدية دولية، أو شيك عادي، أو شيك مسحوب بواسطة بنك أو شيك سياحي. ويمكنك أيضا دفع قيمة ورقتك بعد إستلام الفاتورة.
- فورا نبعث لك أوراق اليانصيب والمعلومات الإضافية وجدول السحب الرسمي. ثم بعد كل عملية سحب نرسل إليك القائمة الرسمية للأرقام الرابحة وكذلك ورقتك للسحب التالي
- في كل مرة تربح فيها، سوف نخطرك بذلك في غضون أيام. وستحوّل إليك الجائزة بواسطة شيك إلى أي مكان أو عنوان تريده. إن الجائزة معفاة من الضريبة الألمانية وتدفع بكامل قيمتها بدون أي خصم، كما أن إسم الرابح يبقى سريا تماما.
- إننا نضمن لك خدمة سريعة موثوقة وسرية في كافة أنحاء العالم.

والآن: كل يوم جمعة جائزة بقيمة مليون مارك ألماني ...

يقدم لكم اليانصيب الوطني لشمال ـ غرب ألمانيا، الخاضع لرقابة الدولة، هذه الفرصة الفريدة وجوائزاً أخرى عديدة إنه مدهش حقا! فأكثر من كل ثالث رقم يربح مضمونا خلال مدة السحب. ويبلغ مجموع الأرباح التي ستوزع خلال دورة اليانصيب رقم ٨٣ حوالي ٢٤١ مليون مارك ألماني أو ١٣٧,٩ مليون دولار أمريكي، حيث تبلغ قيمة الجوائز الكبرى وحدها ٣٢ مليون مارك ألماني.

هذا السبب فانه أمر مشوق لكم بالاشتراك في هذا اليانصيب:
جوائز مالية بقيمة ٢٤١ مليون مارك ألماني
٢ × ٣ مليون مارك ألماني الجائزة الكبرى
٢ × ٢ مليون مارك ألماني
٢٢ × ١ مليون مارك ألماني
وإضافة إلى ذلك:
٢٧٩ ٩٩٩ جائزة أخرى تصل إلى ٥٠٠ ٠٠٠ مارك ألماني

قيمة الجائزة الكبرى وحدها تبلغ ٢ × ٣ مليون مارك ألماني.

تطرح ٧٠٠ ٠٠٠ ورقة يانصيب فقط للبيع من هذه السبعمائة ألف ورقة يربح ٢٨٠ ٠٢٥ رقم في دورة السحب. وبهذا فإننا نضمن ربحا لكل ثالث رقم!

تدفع الجوائز بإحدى أقوى العملات في العالم "المارك الألماني". تسري دورة اليانصيب لمدة ٢٦ أسبوعا. ويجرى سحب كل أسبوع كما يجرى سحبان إضافيان في الأسبوعين الأخيرين. وهذا يعني إجمالا ٢٦ سحبا وبالتالي ٢٦ فرصة لكي تصبح مليونيراً! وتتزايد قيمة الجوائز المالية من سحب لآخر. يشرف على كل عمليات السحب مراقبون حكوميون.

إرسل إلى: Walter Ruge · Heidenkampsweg 32 · D-2000 Hamburg 1 · West Germany

✂ ------------------ **قسيمة الاشتراك** ------------------

83. Staatliche Nordwestdeutsche Klassenlotterie

دورة اليانصيب الوطني رقم ٨٣ لشمال ـ غرب ألمانيا ... السحب ... من ٢٨ سبتمبر ١٩٨٩ لغاية ٢٣ مارس ١٩٩٠

إضمن لنفسك الآن فرصة الربح! إرسل القسيمة اليوم!

إرسل إلى Walter Ruge Heidenkampsweg 32 D-2000 Hamburg 1 West Germany

الرجاء الكتابة باللغة الألمانية ○ الإنجليزية ○ سيد ○ سيدة ○ آنسة ○
إملأ القسيمة من فضلك بحروف واضحة

First name		الإسم
Surname		اللقب
Street		الشارع
P.O.B.		ص. ب
City		المدينة
Country		الدولة

Charge my ☐ DINERS CLUB ☐ AMERICAN EXPRESS ☐ EUROCARD ☐ VISA

Handling charges for payment by credit card 6% رسوم الخدمة للدفع بطاقة الائتمان ٦٪

Name of Card Holder ____________________

Acc. No. ____________________

Expiration Date ____________________

Signature ____________________



إربح ١٠٠ ٪ بشراء ورقة كاملة، أو ٥٠ ٪ بشراء ٢/١ ورقة أو ٢٥ ٪ بشراء ٤/١ ورقة. ولا تنسى: على أي حال، كل ثالث رقم يربح مضمونا! جرب حظك!

الرجاء ذكر عدد الأوراق التي تريد طلبها بهذه القسيمة

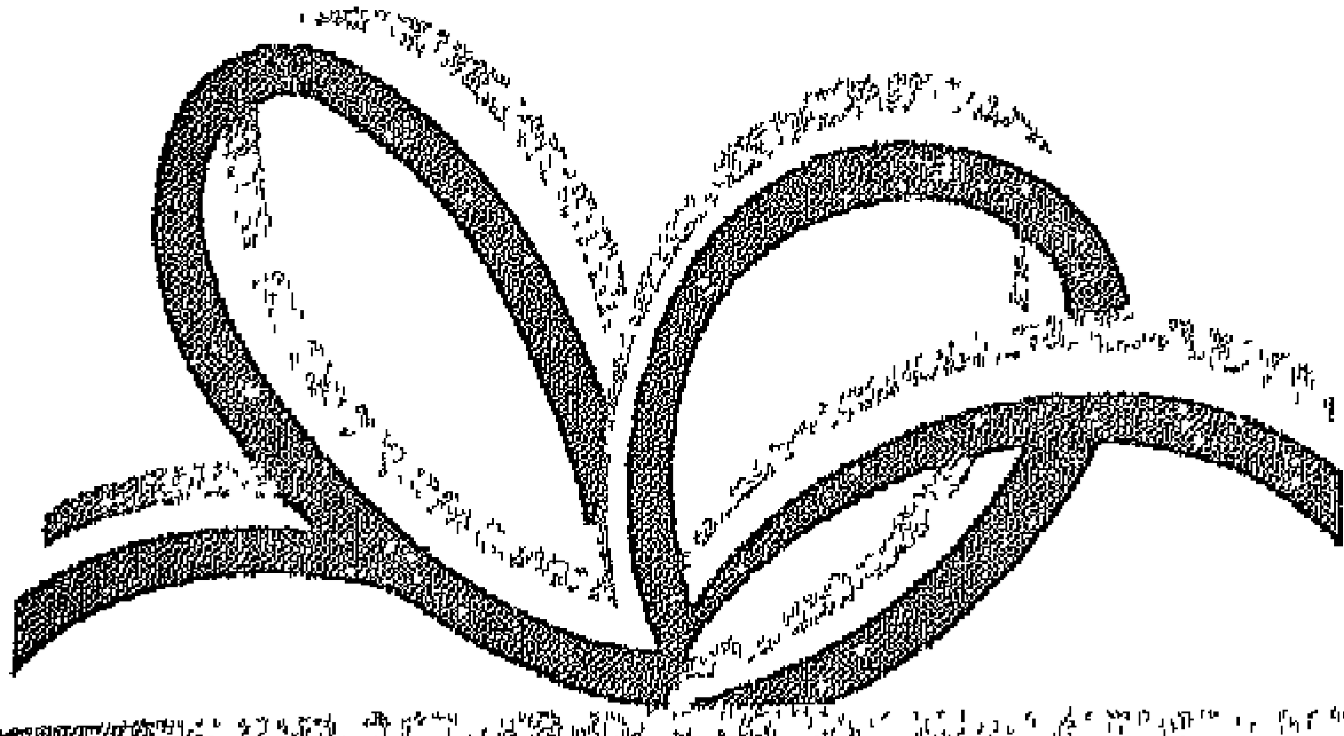
	* أسعار الصرف للدولار الأمريكي أو الجنيه الإسترليني تقديرية فقط، للإطلاع على الأسعار بالتحديد الرجا الإتصال بمركز المصرف.	
	١/١ ورقة	٧٤٦ مارك ألماني (حوالي ٣٩٥ دولار أمريكي أو ٢٤٧ جنيه إسترليني)*
	٢/١ ورقة	٣٨٦ مارك ألماني (حوالي ٢٠٥ دولار أمريكي أو ١٢٨ جنيه إسترليني)*
	٤/١ ورقة	٢٠٦ مارك ألماني (حوالي ١١٣ دولار أمريكي أو ٧٠ جنيه إسترليني)*

* سوف تحوّل إليك الجائزة سريا بواسطة شيك إلى أي عنوان أو بنك في أي بقعة من أنحاء العالم.

* يقبل دفع قيمة الورقة بواسطة شيكات عادية بالمارك الألماني أو الجنيه الإسترليني أو الدولار الأمريكي، أو بواسطة حوالة مصرفية، أو بطاقة أمريكان إكسبريس، داينرز كارد، يوروكارد، أكسس، ماستركارد أو فيزا.

تدفع جميع الجوائز لكل عمليات السحب متضمنة رسوم البريد الجوي ومرفق بها قائمة الأرقام الرابحة بعد كل سحب. ولا تستوجب أية تكاليف إضافية! تعد الورقة صالحة فقط إذا كانت قانونية!

فاجئوا من تحبون بهدية لا تنسى



تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٣ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او التخرج او عيد الحب...
فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟
فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٨٩/٦/١ و ١٩٩٠/٥/٣٠ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٤٥ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ______

______

عنوانه ______

______

المناسبة وتاريخها ______

توقيع المهدي ______



مع أخلص تمنياتنا

كان المدرج الشرقي في مطار جيملي مفتوحاً أمام الطائرات الخفيفة، أما المدرج الغربي فتحوّل ميداناً لسباق السيارات تستخدمه النوادي الرياضية في المنطقة. وكان نادي السيارات هناك شق حلبة للسباق طولها كيلومتران، وشكل فيها المدرج القديم الخط المستقيم النهائي.

ذلك السبت نظّم الهواة سباقاً للسيارات في الطرق الخلفية لبلدية جيملي. وعند انتهائه عادوا الى مقطوراتهم وخيمهم المنصوبة في القاعدة العسكرية السابقة وفي بقعة متاخمة للمدرج الغربي الذي توقف استخدامه. واستعدوا للاستمتاع بوجبة شواء وأمسية هادئة من أمسيات الصيف في كندا حيث يتأخر غياب الشمس، والاستراحة تحضيراً لسباقات الاحد.

مناورة لا تصدّق

بعدما أضحت الطائرة تحت الغيم تحقق بيرسن وكنتال بأم العين من أنها تتجه شمالا في موازاة ضفة بحيرة وينيبيغ. جعل بيرسن مقدم الطائرة مصوباً على امتداد طريق عامة ممتدة في محاذاة الماء. ورأى الطياران تحتهما أرضاً زراعية تتخللها مجموعات من البيوت الصغيرة والمنازل المتواضعة. وما لبث ان ظهر أمامهما قرب الشاطىء المنظر المألوف لمدرج مستقيم.

انساب صوت لين دازكو عبر مكبّر الصوت في مقصورة القيادة: "يبدو أنكم متوجهون نحو المدرج. أظن أمامكم ١٦ كيلومتراً طيراناً."

من دون الجنيحين المتحركين لتخفيف حدة الاندفاع راحت الطائرة تقترب من المدرج بسرعة. وهذان الجنيحان يعملان، في الاحوال الطبيعية، على تخفيف سرعة الطائرة الى ٢٤٠ كيلومتراً في الساعة، أما في غيابهما فسوف يتعين عليها أن تحط بسرعة ٣٣٠ كيلومتراً. ومعنى هذا ان الطائرة ستحاول الهبوط بكوابح تعمل جزئياً، ومن دون محركات تسمح بالمناورة. ومعناه أيضاً أن تلك كانت فرصتها الوحيدة.

أجاب بيرسن: "حسناً، إننا في الطريق اليه. هل هناك معدات... أي معدات للطوارئ يسعكم احضارها من البلدة؟"

- نعم. سوف نحضر كل ما يمكننا احضاره.

لم يعد لدى ريك ديون ما يفعله في مقصورة القيادة. جالت في ذهنه فكرة صامتة وهي أن ايقاف الطائرة في الوقت المناسب سيشغل بيرسن الى أبعد حد ويستحوذ على كل اهتمامه. ففضّل ان ينضم الى زوجته بيرل وابنهما كريس. فقال لبيرسن: "انني عائد الى مقعدي يا بوب."

نظر ديون من النافذة وهو يجتاز الممشى الايسر ورأى حقول العشب تقترب. اما في الداخل فطالعه مشهد يوحي الانذهال والهلع. عدد كبير من الركاب أقاموا حولهم دعائم من الوسادات والحرامات، فيما جثم عدد آخر متخذين الوضع الملائم للهبوط الاضطراري. امرأة واحدة فقط جلست في مقعدها مستقيمة الظهر وراحت تنشج.

قال ديون لزوجته متكتماً: "سوف تهبط الطائرة في جيملي لتتزود الوقود."
فسألته: "هل فيها ما يكفي من الوقود لتهبط بسلام؟"
أدرك ديون أن جميع من كانوا في مرمى السمع منه ينصتون، فأجابها كاذباً: "نعم." وتمنى لو تتوقف عن التكلم في الموضوع.

تابعت الطائرة انحدارها السريع فيما سمّر كين موهر نظره على المشهد من النافذة قرب كريستال. شاهد طريقاً عامة وعدداً من السيارات. ولم يرغب في رؤية المزيد فأسدل ستار النافذة وقال: "سيكون كل شيء على ما يرام يا حلوتي." ثم انتظر متوقعاً أن يسمع صوت تحطم الطائرة التي باتت على ارتفاع منخفض جداً.

الا ان بيرسن وكنتال كانا مقتنعين بخلاف ذلك. فارتفاع الطائرة ما زال في نظرهما اكثر مما يجب، وإذا هما لم يتصرفا بسرعة فسوف تتجاوز الطائرة المدرج لتستقر في الحقول وراءه أو، في حال أسوأ، فوق إحدى مجموعات البيوت شمال المطار.

فكّر بيرسن في لحظة أن ينعطف بالطائرة ٣٦٠ درجة، لكنه خشي أن تنخفض أكثر من اللزوم فتقصّر عن بلوغ الهدف. من جهة أخرى، إنزال جهاز الهبوط يساعد في تخفيف السرعة. فقال: "حسناً يا موريس، إخفض جهاز الهبوط."

جذب كنتال الرافعة الى أسفل، وانتظر الاثنان الصوت الانفجاري المطمئن الذي يعلن استجابة الجهاز. لكن شيئاً من هذا لم يحدث. وبدل الدوي المألوف، خيّم على المقصورة صمت ثقيل.

كانت الطائرة تفتقر الى الضغط الهيدروليكي الكافي لتحريك الجهاز في الاتجاه المطلوب. مدّ كنتال يده الى محوّل بديل موصول بالجهاز الاصلي يستخدم لسحب المسامير المعدنية التي تبقي أبواب الجهاز موصدة أثناء الطيران وبالتالي تبقي العجلات مرفوعة. وكم كان سرور الرجلين بالغاً عندما سمعا صوت تحرر العجلات وشعرا بالاهتزاز الناشىء من المقاومة الهوائية المتزايدة. عندئذ فقط تضاعفت سرعة انحدار الطائرة.

على لوحة جهاز القيادة أمام كنتال ظهر ضوءان أخضران اشارة الى أن جهازي الهبوط الاساسيين اللذين يضعان العجلات الكبيرة تدليا وثبتا في مكانيهما، وظهر ضوء ثالث كهرماني متوهج أنبأهما أن الجهاز الامامي نزل جزئياً من مكانه لكنه لم يثبت. وهو، بخلاف الجهازين الاساسيين اللذين تدليا جانبياً ما ان هبطا من محاجرهما، كان يجب أن يندفع الى الامام، لكنه قصّر امام مقاومة الريح.

لكن انشغال بيرسن الفائق بمشكلة أخرى حال دون ملاحظته ما حصل. فهو شعر للحال، استناداً الى خبرته السابقة وحدسه المرهف، بأن المقاومة التي نشأت كانت دون المطلوب وهي بالتالي لن تمنع الطائرة من الهبوط في نقطة متقدمة ومن مواصلة اندفاعها خارج المدرج. كان عليه أن ينحدر بالطائرة اكثر وأسرع.

أدار بيرسن المقرن (yoke) الى يساره وضغط بقدمه دوّاسة الدفة اليمنى منتزعاً استجابة فورية من الجنيحين المتحركين في الخارج، اذ ترجّح الجنيح الايسر صعوداً

فيما هبط الايمن، وهذا من شأنه، في ظروف طبيعية، أن يعطف الطائرة الى اليسار. لكن بيرسن أبقى قدمه على الدواسة دافعاً الدّفة الخلفية الى اليمين ومتصدياً لقوة الجنيحين.

القوتان المتقابلتان اللتان انبثقتا من الاجهزة المتعارضة، جعلتا الطائرة تميل بحدة الى جانبها الايسر وعرّضتاها لضغط كبير، لكنهما في الوقت ذاته ولدتا مقاومة شديدة أحدثت هبوطاً مفاجئاً وسريعاً في سرعة الهواء وفي الارتفاع.

وفي مناورة جديدة لم يسمع بها في عالم الطائرات النفاثة، جعل بيرسن الـ"بوينغ ٧٦٧" العملاقة تنزلق جانبياً.

شعر ريك ديون بالطائرة تميل فجأة على نحو خطر. وأعقب ذلك شعور متسارع بالسقوط. ثم بدأت الطائرة تترجح وتهتز وتثب وترتد وتقعقع، وكانت اقتربت من الارض كثيراً فراحت تمسح رؤوس الاشجار.

فكر ديون: إنه يفقد السيطرة عليها، وسوف تكون نهايتنا إذا ضرب طرف الجناح بأي شيء.

والحقيقة ان امكان إقدام بيرسن على تنفيذ انزلاق جانبي لم يخطر في باله قط، ولا هو اعتقد أنه يملك القوة لابقاء أجهزة القيادة في وضع متعارض.

قرار موجع

نظر كنتال من النافذة. كانت الطائرة اقتربت من المهبط كثيراً بحيث رأى، ليس فقط علامات الحروق السوداء التي تخلفها إطارات المطاط، بل شيئاً آخر أيضاً. رأى أشخاصاً يقفون وسط المدرج غير منتبهين للطائرة المقتربة منهم بصمت. كانت الطائرة متجهة صوب المدرج المهجور. فالاسفلت الاسود الذي غطى المدرج المستعمل كان قاتماً جداً بحيث تعززت رؤيته من الجو.

ركّز بيرسن انتباهه على حدّ المدرج حيث الامل الوحيد. من دون معدات، كان عليه أن يقدر سرعة الطائرة. وهو لم يجرؤ أن يحوّل نظره لحظة عن نقطة الهدف. فكل ذرة من طاقته استنزفها الجهد الذي تطلبه الانزلاق الجانبي. وتصبب العرق من جبينه بغزارة.

بتصميم وعناد أبقى بيرسن الطائرة في وضع الانزلاق الجانبي مدة طويلة حتى أن كنتال نفسه خشي أن يضرب طرف الجناح الايسر بالأرض. وعندما أرخى بيرسن قبضته عن جهاز القيادة كانت الطائرة على ارتفاع ١٢ متراً فقط.

جال في ذهن كنتال أن بيرسن لم يكن متنبهاً الى وجود اشخاص يتحركون على المدرج. هل أنبهه يا ترى؟ لا، فالاوان لذلك قد فات.

اتخذت الطائرة وضعاً أفقياً. وما لبثت، في الوقت المحدد تماماً، أن بلغت الهدف. ومن مكان ما في مقدّم المقصورة انطلقت صرخة: "استعدوا!"

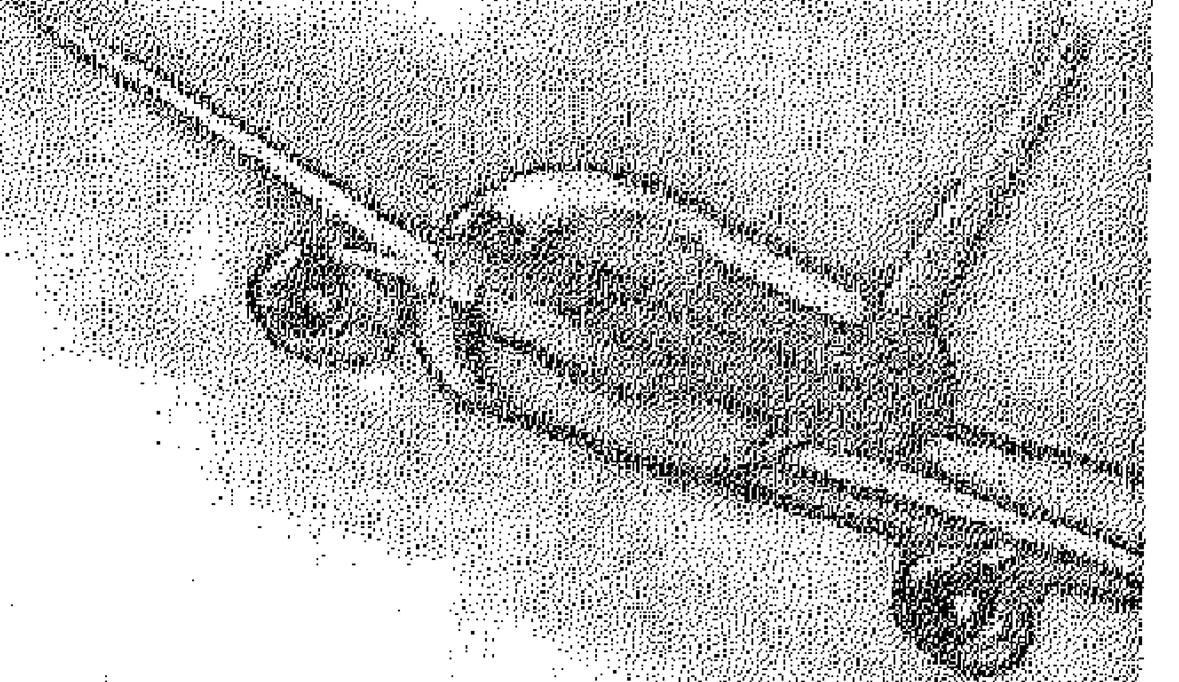
كان كام بيرغلند، وهو فتى في الثالثة عشرة من عمره، يقود دراجته الهوائية بنشاط محاولا سبق أقرانه. فساعات المساء الأولى في جيملي كانت دائماً مهمة بالنسبة الى

الصبية. وهم اعتادوا أن يغتنموا خلو الحلبة من السيارات بعد السباق ليحولوها ملعباً لانواع المباريات والالعاب. وذلك اليوم ركبوا دراجاتهم وانطلقوا بها جنوبا صوب ما كان يوماً المدرج الايسر الرقم ٣٢، مبتعدين عن جماعة المخيمات والعربات والشاحنات المتوقفة قرب الجزء المستقيم من المدرج.

كان كام يقود دراجته بحماسة حين رفع بصره مصادفة، فشاهد الشبح الصامت لطائرة ضخمة وقد هبط جناحها الايسر ومالت على نحو غريب. راحت الطائرة تهبط بسرعة. جمد الفتى في مكانه كمن مسَّه تيار كهربائي. ثم رأى الطائرة تستوي وتوجه مقدمها نحوه مباشرة.

على الفور دار الصبية على أعقابهم وانطلقوا على دراجاتهم مبتعدين. وكانت ساقا كام ترتفعان وتنخفضان باهتياج على دواستيه، وهو صرخ في الناس المتجمعين عند حافة المدرج: "هناك طائرة تسقط."

في الساعة ٨،٣٨ مساء مالت الطائرة بثقلها فوق المدرج ونجح بيرسن في اصابة



١٩٨٩ بوينغ في مهب الريح



الهدف بإحكام شبه تام محققاً عملا بطولياً لافتاً. فهو تمكن من الهبوط بطائرة نفّاثة توقفت محركاتها متجاوزاً الحدود بـ٢٤٥ متراً فقط. (تجاوز الحدود بـ٣٠٠ متر يعتبر طبيعياً في الهبوط). انه نجاح باهر لم يتسن له أن يستمتع به لحظة.

فبعد انفجار عجلتين في جهاز الهبوط الرئيسي الايمن اندفعت الطائرة بسرعة ٣٣٠ كيلومتراً في الساعة، وهي تفوق السرعة الطبيعية كثيراً. أدرك بيرسن أن عليه ايقافها قبل أن تصطدم بشيء.

ضغط دواسة الدفة بعقبي حذائه، وشد الكوابح ما تبقى له من قوة. انخفض مقدّم الطائرة قليلا. وانتظر بيرسن أن يسمع صوت العجلة الامامية وهي تضرب الأرض. ولكن بدل ذلك الصوت المكتوم والمألوف سمع صوتاً انفجارياً قريباً أشبه بصوت طلقات نارية. كانت الطائرة تنزلق على مقدمها فوق المدرج وحولها سحابة من الدخان الابيض.

رفع بيرسن نظره الى المدرج فلمح بطرف عينه فتى يمتطي دراجة. تلك كانت أصعب لحظة واجهها في مهنته. إذ تحتم عليه أن يتوصل الى قرار سريع... القرار الاشد إيلاماً في حياته.

لا، لن أصدم أحداً، وإن اضطرني ذلك الى الانحراف بالطائرة عن المدرج. ذلك كان العهد الذي قطعه على نفسه وأقسم أن يلتزمه.

من دون عجلة أمامية توجّه الطائرة لجأ بيرسن الى الكبح التفاضلي، فراح يضغط بقدميه دواستي الكوابح اليمنى واليسرى مناوبة في محاولة لإبقاء الطائرة وسط المدرج. رأى الآن أناساً كثيرين يتبعثرون يميناً ويساراً مندفعين خارج المدرج.

اصمد! اصمد! أمر نفسه وهو يعدّ الثواني قبل أن يضطر، ربما، الى الكبح في أقصى اليمين بعيداً عن السلامة النسبية التي توفرها الطريق المعبدة.

وما لبث أن برز خطر آخر، يعيد الاحتمال انما محيّر. فعلى طول المدرج في الوسط، كتدبير احترازي، أقيم سياج معدني للحماية. ضاعف بيرسن ضغطه الكابح الايمن مما جعل غطاء المحرّك الايمن يكشط الأرض محدثاً شلالا من الشرر. انحرفت الطائرة قليلا وتابعت انزلاقها فيما صدم الجانب الايسر من مقدمها السياج المعدني الواطىء مقتلعاً الاعمدة الخشبية.

ترددت في الغسق أصداء تكسّر حاد فيما تابعت الطائرة اندفاعها والناس حولها يتراكضون طلباً للامان. بعضهم جمدوا في أماكنهم عاجزين عن أي حركة، مسمرين قرب خيمهم ومشاويهم. ومع تكسّر مزيد من الاعمدة خف صوت صرير المعدن على المدرج وخفت سرعة الطائرة الى أن توقفت تماماً، وكانت لا تزال على المدرج.

كان بدن الطائرة سليماً غير مخدوش. وهي على الأرض! رفع الركاب رؤوسهم وتطلعوا حولهم بذهول. وعندما أدركوا أنهم ما زالوا أحياء يرزقون غمرتهم موجة من الابتهاج العارم ودوّت في الطائرة أصوات التصفيق وصرخات الفرح.

هبّ المضيفون الى العمل. صحيح أن الطائرة أصبحت على الأرض، الا أن خطر الحريق ما زال داهماً وما زالت صورة المأساة التي حلّت بشركة الخطوط الجوية الكندية

حية في أذهانهم. فقبل شهر شبّ حريق في حجرة المغاسل في طائرة من طراز "دوغلاس دي سي ٩" وهي في الجو. ومع أن الطيارين تمكنوا من الهبوط بها الا أن ٢٣ راكباً قضوا اختناقاً بالدخان قبل أن يتم إجلاؤهم.

والآن بدأ الدخان يتصاعد مالئاً المقصورة. راح الموظفون يصرخون بالركاب: "هيا، أسرعوا! علينا أن نخرج من هنا."

إخلاء الطائرة

لحظة توقفت الطائرة فك مايك لورد حزام مقعده وقفز الى الممشى الأيسر في المؤخر. سدّ المخرج عملا بتعليمات سويفت في انتظار أن تفتح الباب وتحرر المزلقة. الا أن الركاب راحوا يتراكضون صوب الباب وقد استبد بهم الخوف.

ما ان سمع لورد سويفت تصرخ: "حسناً، الآن يا مايك،" حتى استدار صوب الباب المفتوح. لكنه فوجىء بالمنظر وبدا عليه الانشداه. فالمسافة بينه وبين الأرض بدت بعيدة، والقفز من فوق كان كالقفز عن سطح منزل.

لم يكن هناك وقت للجدل، فالطائرة قد تنفجر في أي لحظة.

بقفزة استقر مايك على المزلقة جالساً وراح ينزلق عليها بسرعة، فأمسك حافتيها غريزياً بيديه الاثنتين اللتين مزّق الاحتكاك جلدهما.

بسبب انهيار جهاز الهبوط الامامي استقرت الطائرة في وضع مائل، فانخفض مقدمها وارتفع ذنبها في الهواء مما جعل المزلقة تقصر متراً عن بلوغ الأرض. سقط لورد على الارض بعنف. دفعته قوة الصدمة الى الامام وظلّ يتقلب حتى استقر على بعد ثلاثة أمتار من المزلقة. نهض من سقطته وعاد الى أسفل المزلقة غير آبه بما أصابه.

أخذ صوت سوزان جويت يعلو حتى تحوّل صراخاً: "هيا! هيا! تحركوا جميعكم!" يا للحظا قالت في نفسها. فبسبب انحناء مقدم الطائرة باتت المزلقة في المؤخر شبه عمودية وقصرت بضعة أمتار عن بلوغ الارض. صعب عليها أن تصدق أن هؤلاء الركاب الذين نجوا من الموت المحتم وهم في الجو يواجهون اجراء للاخلاء ربما كان سبب هلاكهم على الارض.

حمل ريك ديون ابنه كريس بين ذراعيه وقاد زوجته بيرل في اتجاه باب الخروج بالقرب من الجناح الايسر.

وصلوا الى الباب تتقدمهم بيرل، فقال لها ريك: "هيا! هيا!" وكان عدد من الركاب بدأوا اخلاء الطائرة. لكن بيرل صُعقت عندما رأت الهوة أمامها والتي تجاوزت ثمانية أمتار فصرخت "لا أستطيع!"

لفّ ريك ابنه بذراعيه وقال: "سوف أنزل مع كريس. أنظري، إنه أمر بسيط." وقفز الى المزلقة وراح يتزحلق بسرعة. ضربت قدماه بالارض أولا، فراح "يتشقلب" ممتصاً الصدمة بجسده الذي شكّل لابنه الدرع الواقية. ظلت بيرل حارنة حتى دفعها أحدهم فجأة فانزلقت الى الامان.

أول النازلين اندفعوا الى الاسفل بسرعة كبيرة عجز معها مايك لورد عن صدّهم والحؤول دون اصطدامهم بالارض كما حلّ به قبلهم. لكنه الآن وقف جانباً وراح يحاول أن يمسك بهم من تحت آباطهم آملا أن يخفف ذلك من سرعة اندفاعهم. وسمع صراخ امرأة آتياً من فوق. وعندما رفع بصره رأى راكبة في حال من الاهتياج وقد تعلقت بطفل ووقف الاثنان في الباب.

وعدها لورد: "إقفزي وسوف أتلقى الطفل."

انزلق الاثنان صوبه: المرأة بجسم متصلب مشدود والطفل بين ذراعيها الأمينتين. ارتمى لورد الى الامام ونجح في تخفيف سرعة اندفاعهما. وعندما بلغا الأرض سمع لورد اصطكاك أسنان المرأة التي نجحت في ايصال الطفل سالماً.

واصل مايك لورد عمله عند أسفل المزلقة ممتصاً لطمات الركاب الهابطين. وداخل الطائرة كان نيغل فيلد يساعد الركاب على اخلاء المقصورة التي امتلأت بالدخان. أخيراً لم يبق في الطائرة سوى مضيفة وقفت في الباب.

وما ان قفزت الى المزلقة حتى ارتمى لورد في طريقها وتلقاها بذراعين مفتوحتين ما لبثتا أن أطبقتا حولها وتدحرج الاثنان الى الارض.

طائرة شراعية

على رغم الدخان الكثيف الذي ملأ قمرة القيادة راح بيرسن وكنتال يعملان وفق التعليمات المتبعة لاخلاء الطائرات في الحالات الطارئة. قطع كنتال التيار الكهربائي معطلا مفاتيح الوقود. لكنه سرعان ما تذكر أن الطائرة خالية من الوقود. يا للسخافة! قال في نفسه وتابعا العمل، فانتزعا محوّلات الزيت والكهرباء والطاقة الهيدروليكية ثم عطلا بطارية الطوارىء وأسرعا بالخروج من القمرة وهما يسعلان.

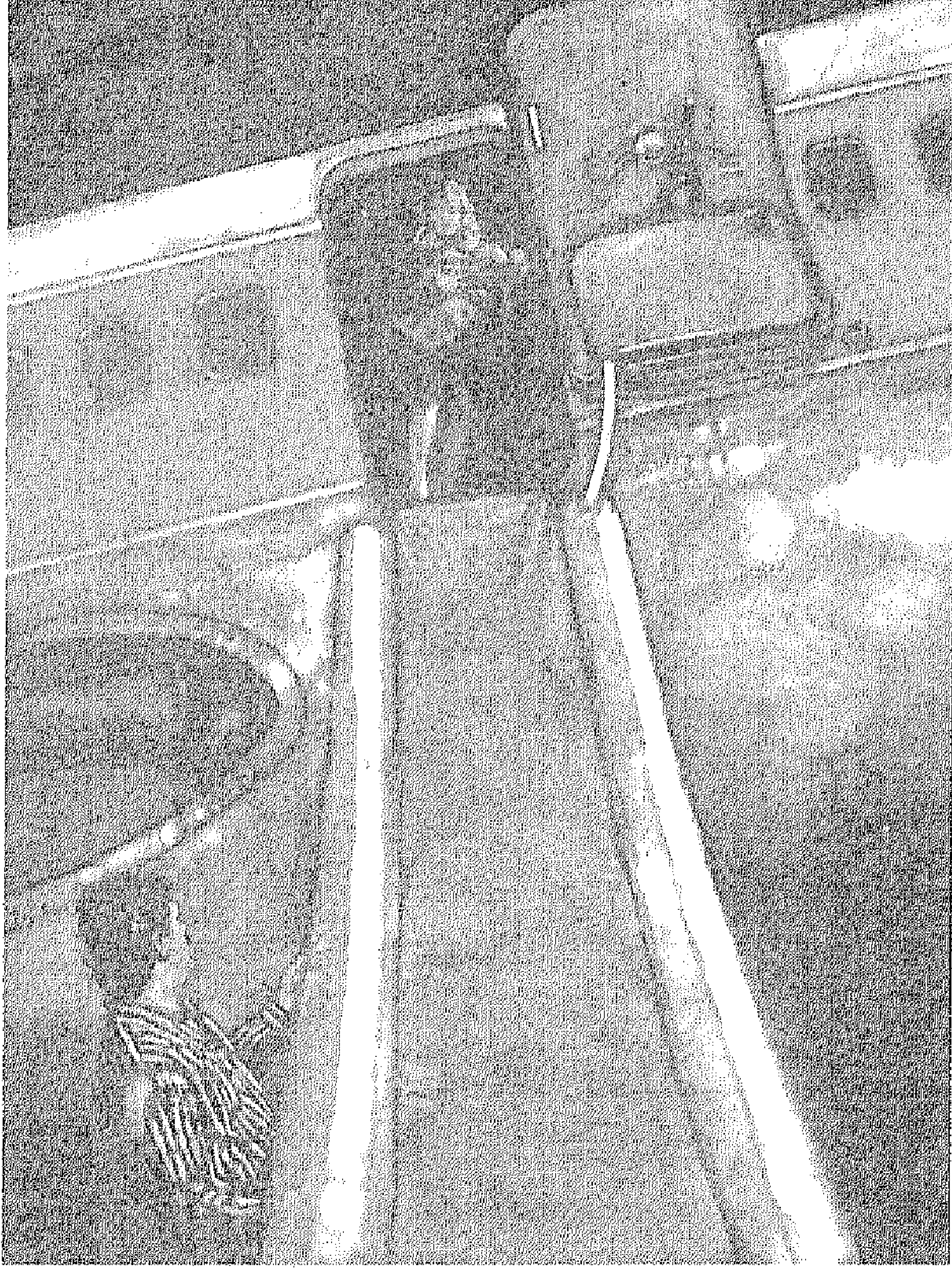
حمل كل من بيرسن وديجاردان مشعلا كهربائياً وجالا في الطائرة. وبعدما اطمأنا الى خلوها من الركاب حول القبطان انتباهه الى الطائرة ذاتها. أراد أن يعرف مصدر الدخان وان يطفىء النار قبل أن يستفحل ضررها.

في غضون ذلك أودع ريك ديون عائلته مكاناً آمناً وعاد الى الطائرة. التقى بيرسن في الخارج قرب المقدم وهو يقلّب بين يديه مطفئة للحريق.

قال له بيرسن: "لقد قطعنا بها كل تلك المسافة ولن أدعها تحترق الآن!"

دخل بيرسن وديون الطائرة من الجهة الامامية حيث المخرج شبه مستو مع الارض. شاهدا دخانا بنياً مدوماً في قمرة القيادة وفي الجزء الامامي من مقصورة الركاب. رفعا بعض السجاد، وما ان فتحا الباب الصغير المؤدي الى مركز الخدمات الالكتروني في مقدم الطائرة حتى طالعتهما كتل من الدخان السام دفعتهما الى الوراء.

ظهر فجأة اطفائي من جيملي وقد غطى وجهه بقناع واق. أرشده ديون داخل الطائرة على نور المشعل الكهربائي. كانت المادة العازلة تحت "بطن" الطائرة تحترق ببطء



وقد اشتعلت فيها النار بسبب الاحتكاك الذي تولد عندما هبطت الطائرة على مقدمها. أخمد الاطفائي النار وفصل البطارية.

هتف أحد الركاب: "هذه ليست وينيبيغ! أين نحن؟" وراح الآخرون يتمتمون بدهشة. ولكن ماذا يهم؟ وسرعان ما تحوّل الارتباك ابتهاجاً، فهم أحياء يرزقون، وماذا يهمّ أين حطت الطائرة. وكما قالت سوزان جويت: "لقد شهدنا معجزة!"

على الفور باشرت سلطات المواصلات في كندا تحقيقاً في الحادث. وبعدما نزع المحللون عداد الوقود تبين أن الخلل في حلقة الوصل الأولى. ومع ذلك، بعد تحقيق داخلي اجرته شركة الخطوط الجوية الكندية، ألقي اللوم على القبطان بيرسن والضابط الأول كنتال وثلاثة من عمال الصيانة الذين زودوا الطائرة وقوداً. وأصدرت في حقهم تدابير تأديبية. وما لبثت الصحافة أن التقطت الخبر وتناولته في وسائلها آخذة جانب الموظفين.

الدعاية التي رافقت الحادث دفعت الحكومة الكندية الى تعيين مجلس تحقيق مستقل. وبعد الاستماع الى ١٤١ شاهداً أصدر المجلس تقريره في ١٩٩ صفحة وخلص

فيه الى أن مسؤولية ما حدث تقع على عاتق ادارة شركة الخطوط الجوية الكندية وموظفي الصيانة والطاقم العامل على الطائرة. واشار التقرير الى "خلل في الاتصال داخل المنظمة."

ومن أسباب القصور الواقع على الشركة والمتصل بسياستها وأساليب العمل والاجراءات المعتمدة فيها، أنها اتخذت قراراً بانتاج طائرة جديدة تعتمد الكيلوغرام وحدة لقياس الوقود، في وقت واصلت بقية الطائرات التي يتألف منها الأسطول استخدام نظام القياس البريطاني القديم الذي يعتمد الباوند وحدة للقياس. وكانت الشركة اقدمت على اتخاذ هذا القرار، جزئياً على الاقل، نزولا عند رغبة الحكومة في تعزيز الحملة الداعية الى اعتماد النظام المتري.

وفي التقرير أيضاً إشارة الى قصور من جانب الشركة في تعيين مسؤول عن حساب الوقود وفي تدريب الموظفين على إجراء مثل تلك الحسابات، وأخيراً في توفير قطع للغيار على الطائرة.

وخلص القاضي جورج هـ. لوكوود، الذي رأس المجلس، الى أن من السهل جداً انحاء اللوم على بعض الافراد، لكنه أضاف: "لولا مهارة القبطان بيرسن ومقدرته في الطيران، والمساعدة القيّمة من الضابط الأول كنتال، لكانت العواقب وخيمة. ومن المصادفات العجيبة ان المام القبطان بيرسن بالطيران الشراعي هو الذي حال دون وقوع الكارثة. وهو طبق معرفته تلك بمهارة ونجح في التحليق والهبوط باحدى اكثر الطائرات التجارية تطوراً وتعقيداً في العالم.

وبفضل احتراف طاقم العاملين على الطائرة ومهارتهم وتفاني المضيفين والمضيفات، تم التغلب على نواحي النقص في الادارة وفي المعدات، وأمكن تجنب كارثة كبرى."

أما بيرسن وكنتال فحظيا باستحسانِ زملائهم وتصفيقهم على المستويين الوطني والعالمي. ومن أسباب التكريم التي أسبغت عليهما شهادة استحقاق من رابطة الطيارين الكنديين وشهادة تنويه بمهارتهما الفذة في قيادة الطائرات من الاتحاد الدولي للطيران.

وحتى اليوم ما زال بيرسن وكنتال يعملان طيارين في شركة الخطوط الكندية.

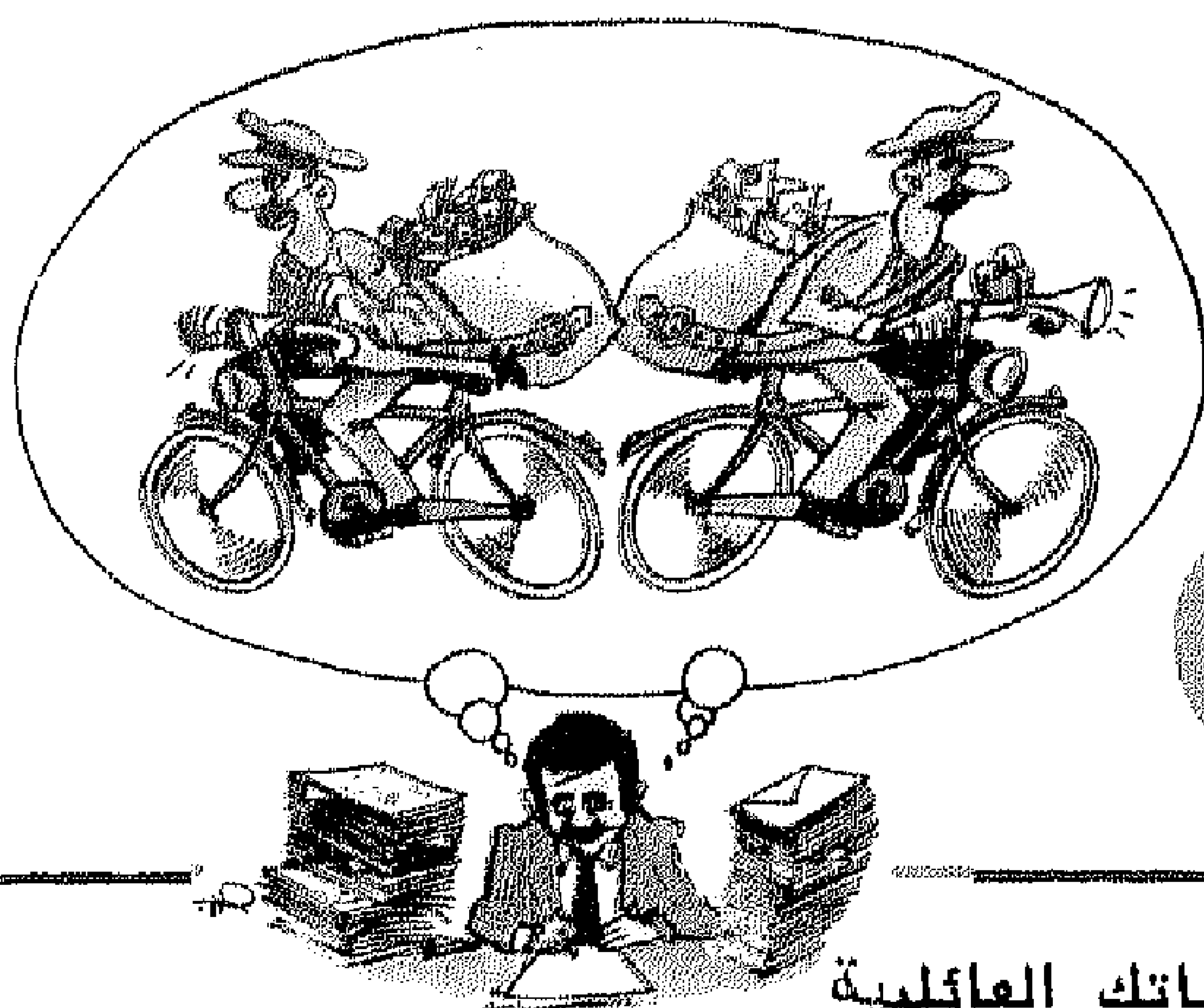
أما الـ"بوينغ ٧٦٧" فنجت هي أيضاً. وبعدما أجريت لها بعض الاصلاحات الاولية تمكنت من الطيران الى وينيبيغ حيث عمل الفنيون أسابيع على اصلاحها. وما زالت هذه الطائرة الرقم ٦٠٤ التي باتت تدعى "طائرة جيملي الشراعية" في الخدمة الى اليوم.

وليم هوفر ومارلين منى هوفر ■

ترجمة د. باسمة سكرية عيد

الاسرع في الاستياء هو عادة الاكثر عدوانية. ل.ب.

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٤٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

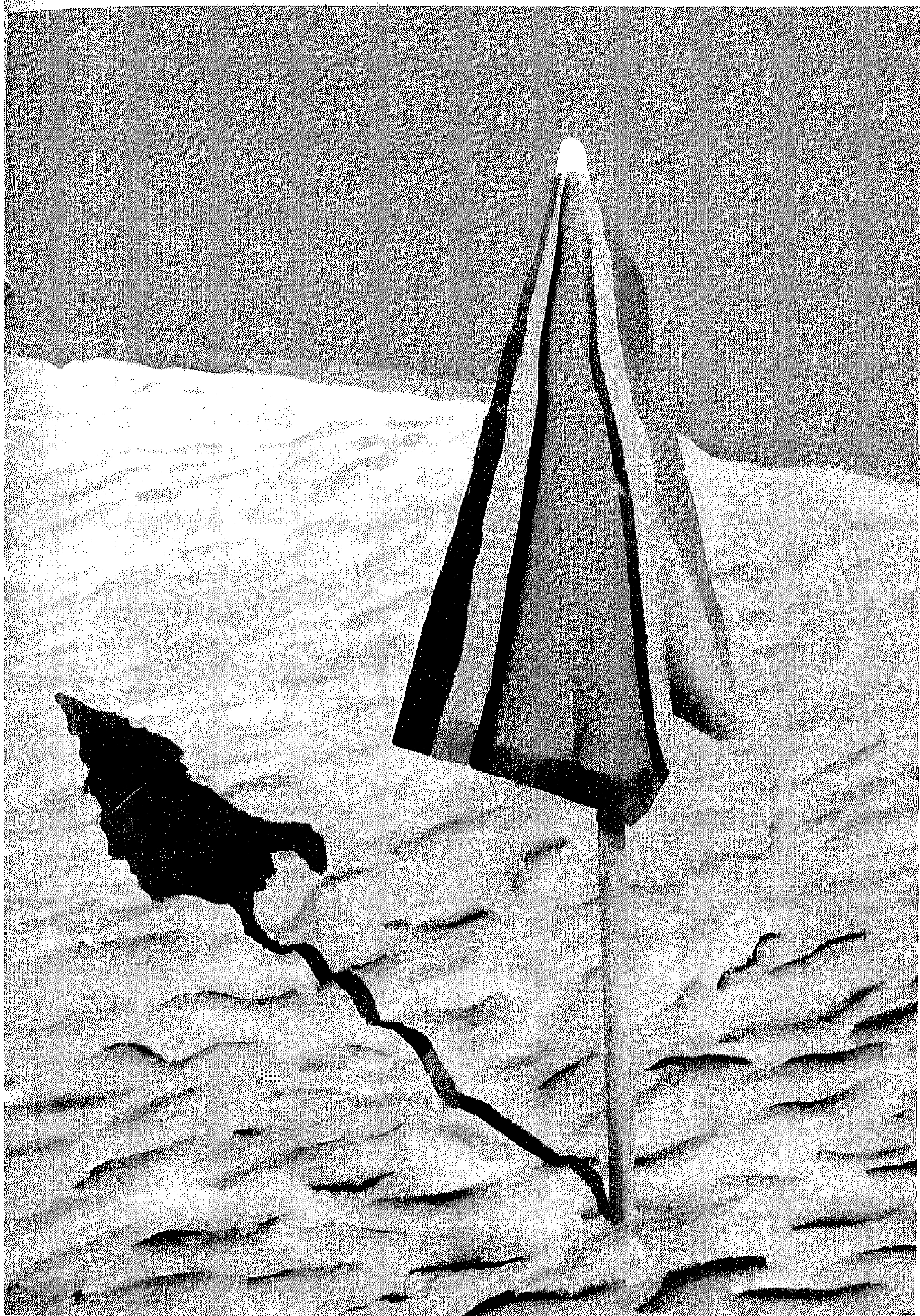
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٤٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- ★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- ★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- ★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- ★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي،



"شمسية بحر" للرسام البريطاني ديفيد هوكني

سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩ - صَفر ١٤١٠

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest September '89 N°130

أوسع المجلات انتشارا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

الكبت الجنسي عقدة أم وهم؟

(ص ٩)

حمية السوائل للوزن الزائد ٣٠٪

(ص ١٣)

المخدرات: سقوط نجم

(ص ١١٧)



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

September '89 N° 130 (New Series) Vol. 11

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

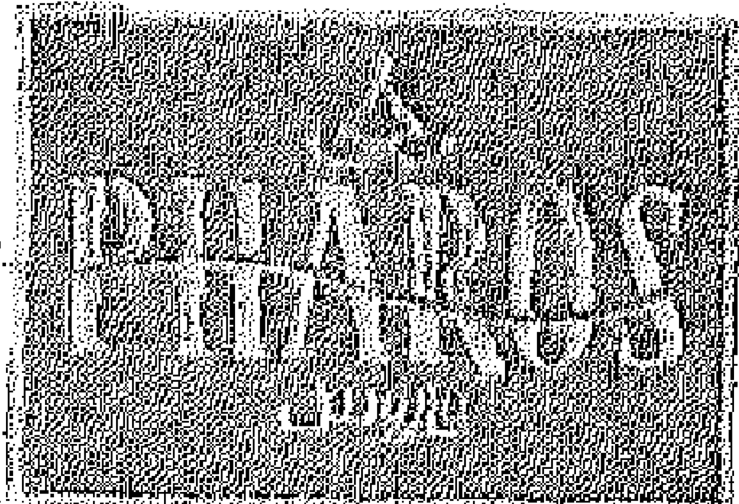
تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والاسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

لبنان ٥٠٠ل - سورية ٤٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١،٢٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٧ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

الق نظرة الى المستقبل.
مجموعة فاروس.
تصميمات ديناميكية.
أنيقة تعمل بالكوارتز.
رقيقة للغاية.
ومقاومة للماء.
مجموعة فاروس - من سيتيزن
أناقة ورونق المستقبل ...
باتت متاحة لك اليوم.

فاروس
اسلوب للحياة من سيتيزن ...

أسلوب للحياة ...



سيتيزن
CITIZEN

حديقة أفكار

- من احلى اشياء الحياة حتمية توقفنا المنتظم عما نفعله، مهما كان، لنكرّس انتباهنا لتناوُل الطعام.

ل.ب

- الاماكن النائية تبقى نائية فقط اذا لم تذهب اليها.

أ.ف.

- الصديق يسمع الأغنية في قلبي وينشدها لي عندما تخونني الذاكرة.

ب.غ

- احدى سيئات الانقطاع عن العمل انك لا تستطيع ان تتوقف لترتاح.

ف.ج.

- لا احد يعرف ما فيه الكفاية لكي يكون متشائماً.

ن.ك.

- الكلمات الجميلة كالجياد البرية وهي مثلها تصعب السيطرة عليها أحياناً.

ت.ب.

- ما نفعله خلال ساعات عملنا يحدد ما لدينا، وما نقوم به في اوقات فراغنا يحدِّد ما نكون.

جورج ايستمان، صناعي امريكي (١٨٥٤ - ١٩٣٢)

- السبب الذي يجعل الناس يلقون اللوم على الاجيال السابقة هو انه ليس لديهم سوى خيار واحد آخر.

د.ل.

تلتهم العناكب يومياً مقادير هائلة من الحشرات تفوق في وزنها مجموع سكان العالم!

لو كنت في حقول الرز والقطن في الصين خريف ١٩٨٨ لشاهدت منظراً غريباً: مزارعين يبنون خياماً صغيرة من قش. تلك الاكواخ الغريبة المخروطية المنتشرة على مدى ألوف الهكتارات والتي لا يتعدى ارتفاعها خصر الانسان. بنيت لهدف مهم هو ايواء العناكب في سباتها الشتوي.

ينفق معظم العناكب في فصل الشتاء. وتلزم هذه الكائنات

Photo: © Robert P. Carr / Bruce Coleman, Inc.

شهور لتعويض أعدادها. لكن نزيلات "الفنادق" إستيقظت هذا الربيع من سباتها وهي تنضح صحة وحيوية. فهرعت الى الحقول جماعات متهيئة لمهاجمة الحشرات التي تحاول امتصاص الحياة من نباتات الرز والقطن الطرية.

وهكذا، نتيجة حماية العناكب واعطائها دفعاً مبكراً، زاد الصينيون محصولهم وتجنبوا استعمال المبيدات الكيميائية.

ولئن يكن الصينيون أول من وظّف قوة العناكب على نطاق واسع، فان خبراء الزراعة في بلدان أخرى ساروا مع الركب وبدأوا يدللون هذه الكائنات المفيدة.

غالباً ما تصنف العناكب بين الحشرات، لكنها في الحقيقة تنتمي الى فئة أخرى من المخلوقات تسمى العنكبوتيات. وهي ألدّ أعداء الحشرات، اذ تقضي على أعداد منها تفوق تلك التي تقضي عليها المبيدات الكيميائية. ويقدّر أن الحشرات التي تلتهمها العناكب في يوم واحد تفوق بوزنها وزن مجموع سكان العالم.

"الرجل العنكبوت." ان القضاء على الحشرات هو واحدة من منافع العناكب. ويُدرس حالياً امكان استخراج ادوية من العناكب لمعالجة اختلالات الدماغ. وقبل مضي وقت طويل قد تستخدم العناكب تطبيقياً في مجالات مختلفة تراوح بين جراحات زرع الاعضاء وصناعة الصدرات الواقية من الرصاص.

ويلارد ويتكوم أستاذ فخري لمادة علم الحشرات في جامعة فلوريدا، وهو لا يزال يمتدح منافع العناكب منذ عشرات السنين. ويلقبه زملاؤه المعجبون "الرجل العنكبوت." وهو أثبت بجدية كثيراً من خصائص العناكب المفيدة.

عنكبوت الموز، مثلاً، كائن رمادي أو بني، غير مؤذٍ للانسان يعيش في المناخات الدافئة. وهو يحب الصراصير ويمكنه ابقاء المنزل نظيفاً من هذه الحشرات البغيضة. يقول ويتكوم: "هذا النوع من العناكب يعتبر في أمريكا الوسطى ضيفاً مكرّماً، فهو يأكل الحشرات والسحالي الصغيرة التي تزحف على الجدران وأي شيء تكرهه ربات البيوت."

ودرس ويتكوم نوعاً آخر هو العنكبوت الذئبي الذي يعيش في الحقول ويبلغ متوسط قطره ٣٥ مليمتراً. ووجد ويتكوم أن ترك "أحزمة" من الاراضي المعشبة حول حقول القطن وفول الصويا يعزز نمو النباتات التي تفضلها العناكب، فاذا بها بعد ذلكً تمشط الحقول مجاناً.

في جامعة كاليفورنيا في بيركلي يزرع البروفسور ميغيل ألتييري كساء عشبياً بين الاشجار في بساتين التفاح المهملة. وينجم عن ذلك ازدياد مذهل في أعداد العناكب التي تقضي على الفراشات الصغيرة التي تتحول يرقاناتها "ديداناً" في التفاحات الفاسدة. ويقدر ألتييري أن محصوله الذي يمكن تسويقه زاد بنسبة ٣٢ في المئة.

في تكساس وجد مارفن هاريس، وهو استاذ في جامعة "آي أند إم"، أن العناكب تستطيع الحد من انتشار المنّ في بساتين الجوز. يقول: "ان العناكب

تختلف عن الخنافس الصغيرة والزنابير (الدبابير) وبقية الاعداء الطبيعيين التي ترحل بعيداً اذا أتى موسم صيدها فقيراً. اذ تنتظر العناكب عدة أسابيع وهي تتضور جوعاً مترقبة طعامها الآتي." ونتيجة ذلك تحل كثيراً من مشكلات الحشرات قبل أن يلاحظها المزارع.

وفي مين عمد دانيال جانينغز، من مصلحة الغابات الامريكية، الى تجنيد العناكب في حرب ضد دودة الصنوبر، أفتك أعداء غابات الصنوبر والتنوب في شمال شرق البلاد. ولأن العنكبوت الواحد يستطيع التهام خمس أو ست دودات في اليوم، فإن حشداً من العناكب يؤدي دوراً بارزاً في منع انتشار الآفة. كذلك تهاجم العناكب نوعاً مؤذياً من الحشرات يدعى "فراشة الغجر."

شباك العنكبوت. على رغم أن قلة من أنواع العناكب تحمل خطراً، مثل العنكبوت الاسود والعنكبوت البني، فإن الغالبية الساحقة غير مؤذية للبشر. والتقارير حول لدغات العناكب مبالغ فيها كثيرا. ففي تحقيق أجري في كاليفورنيا على ٦٠٠ اصابة تبين أن ٨٠ في المئة لسع حشرات.

من ناحية أخرى، يحق للحشرات على أنواعها أن ترهب العناكب، لأن هذه طورت وسائل حاذقة للصيد لا تصدق. من ذلك اطلاق البصاق. إن العناكب الباصقة كسولة جداً بحيث توحي أنها لا تستطيع اصطياد شيء. ولكن حين يزحف الواحد منها مقترباً من ذبابة – صيده المعتاد – يهتز جسده ويطلق كتلة من البصاق بسرعة فائقة لا تدع للذبابة مجالا للهرب. فجأة تجد الفريسة نفسها مسمرة تحت طبقة من الغراء. عندئذ يتهادى العنكبوت نحو الذبابة وينهي المهمة بواسطة السم المخدّر في أنيابه.

وسموم العناكب تؤثر في عمل الجهاز العصبي لدى الحشرات. فهي تغيّر المادة الكيميائية التي تربط بين أطراف أعصاب الضحية وعضلاتها. وعلى أثر "عضة" العنكبوت يستمر دماغ الحشرة في إرسال الأوامر الى الاعصاب، لكن هذه الاوامر لا تصل الى العضلات. وتصبح الحشرة عاجزة عن الحركة فيما يلتهمها العنكبوت وهي حية.

هذه فكرة تقشعر لها الابدان حقاً، ولكن ليس بالنسبة الينا. والحقيقة أن بعض العناصر المكونة لسم العنكبوت قد تفيد صحة الانسان. وهنالك مجموعة من الباحثين تختبر مواد كيميائية في العناكب بادخالها في أدوية الصرع وفقدان الذاكرة.

أما العناكب التي تحوك الشباك فهي أيضاً صيادة قاتلة. العنكبوت المثلث، مثلا، ينسج شبكة مثلثة ويبقيها مشدودة، كما يفعل الصبي عندما يشد مطاط مقلاع (نقافة). وعندما تصطدم حشرة بالشرك يرخي العنكبوت شبكته فترتدّ ملتفة حول الضحية. وهنالك "العنكبوت الجزداني" الذي يغزل أنبوباً حريرياً يشبه اصبع قفاز معوجة نائتة من الارض. ثم يكمن متحفزاً داخل الشاشة الحريرية الكثيفة. وعندما تزحف حشرة على الغطاء الخارجي، يعضها العنكبوت فتعلق فجأة بأنياب ملتصقة بقوائمها.

أقوى من الفولاذ! ما يثير اهتمام العلماء بالعناكب الحائكة هي الاسلاك الحريرية التي تشكل الشباك. تبدو الشبكة واهية لأن السلك الحريري دقيق جداً. لكن الحقيقة أن بعض أنواع هذه الاسلاك أقوى من الفولاذ. وأقوى هذه الانواع ذاك المسمى "حرير السَّحْب" الذي يتعلق به العنكبوت متدلياً أمام وجهك أو يتنقل به مع الريح بحثاً عن مراعٍ أكثر اخضراراً.

هنالك ثلاثة أنواع من العناكب على الأقل تصنع هذا النوع من الاسلاك التي، اذا ما غزلت لتصبح أغلظ، تضاهي بقوتها ألياف النايلون أو الكربون المستعملة في صناعة الطائرات المتطورة. والى ذلك فإن هذه "الحرائر" مرنة خلافاً لألياف كثيرة من صنع الانسان.

وتعمل شركة "تكنولوجيا البوليمر البروتييني" في سان دييغو بكاليفورنيا، على اختبار أسلاك العنكبوت. ويعتقد المسؤولون في الشركة أن هذه المادة ستستعمل يوماً في صناعة صمامات القلب، والشرايين الاصطناعية وسواها من الأجزاء المزروعة.

وانضم الجيش الامريكي الى الركب أيضاً. ففي المركز العسكري للابحاث والتطوير والهندسة في ناتيك بولاية مساتشوستس، يأمل عالم البيوكيمياء ديفيد كابلان وزملاؤه تقليد سلك العنكبوت لصنع صدرات واقية من الرصاص تكون أخف وزناً وأكثر راحة من صدرات "كفلار" المتيبسة التي يستعملها رجال الشرطة والجنود.

إن تربية العناكب قد لا تضاهي تربية الماشية يوماً. ولكن هنالك نوع من العناكب على الاقل يمكنه أن يزودنا الطعام. يعيش هذا النوع (*) في غابات غينيا الجديدة.

يقول مايكل روبنسون مدير حديقة الحيوانات الوطنية في العاصمة واشنطن: "تجمع العناكب الاناث السمان في قضيب أخضر مجوف من الخيزران. ثم يسد طرفا القضيب ويوضع في الجمر الحامي لمدة خمس عشرة دقيقة حتى يسود لونه. ولدى اخراج العناكب المشوية تكون جلودها الصلبة تفسخت وأصبحت العناكب جاهزة للاكل، بقوائمها أو من دونها."

قد لا نرى العناكب يوماً تقدم طعاماً على موائدنا. ولكن اذا وظف مزارعونا جيوشاً من العناكب في حماية حقولنا، فستهبط أسعار المنتجات الزراعية وتنقى تربتنا ومياهنا ومأكولاتنا من رواسب المبيدات.

نويل فيتماير ■

(*) Nephila maculata



حصر ارث

أصر ابن جيراننا البالغ السادسة من عمره على أنه يريد أن يرث مرآب البيت وكل ما يحويه بما في ذلك سيارة العائلة وأدوات والده وآلة جزّ العشب. فسألته امه: "وماذا تترك لاختك المراهقة؟" فأجابها من دون تردد: "يكفيها الهاتف."

م.س.

Reader's Digest

المختار

سبتمبر (ايلول) ١٩٨٩
صفر ١٤١٠

السنة الحادية عشرة
(سلسلة جديدة)

مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم باسلوب ممتع

الرومانسية وراء الكبت الجنسي؟

ان خمود الرغبة الجنسية في الحياة الزوجية ظاهرة شائعة. لكن الاسباب قد تكمن خارج غرفة النوم

آن مديرة مصرف في الحادية والثلاثين من العمر، وزوجها بوب مدير شركة في السابعة والثلاثين. ويعتقد أصدقاؤهما أنهما يعيشان حياة سعيدة. لكن آن وبوب وحدهما يعرفان الحقيقة. فخلال ثماني سنوات من حياتهما الزوجية تمتعا بسنة واحدة فقط بما تسميه آن "شبه حياة جنسية طبيعية." أما ما تبقى من هذه المرحلة فكان "زواج تجنب،" وهذا يحزن أكثر لأن كلا منهما يكنّ للآخر حباً جماً. هل يواجه آخرون مثل هذه المشكلة؟

يقول الاطباء النفسيون ان فقدان الرغبة الجنسية أي ما يسمّى "الرغبة الجنسية المكبوتة" – اصبح أكثر المشاكل الجنسية شيوعاً. ويقدر الخبراء أن واحداً من كل خمسة أشخاص يواجه مشكلة ما تتراوح بين الاعتدال والخطورة في ما يختص برغبته الجنسية في مرحلة ما من حياته. في هذا العصر المادي يجد كثيرون صعوبة في فهم المشكلة، بمن فيهم بعض من يلجأون الى المساعدة المتخصصة.

Condensed from Newsweek (October 26, '87), © 1987 by Newsweek, Inc., New York, N.Y. Photo: Ernest Coppolino

في بعض الاحيان يكون تشخيص الرغبة الجنسية المكبوتة ومعالجتها أصعب من مقاربة سواها من المشاكل الجنسية. ولا سبب وطيداً لذلك. قد تنجم هذه الحالة عن الكآبة أو الضغط أو الخلافات الزوجية أو علة جسدية كنقص في الهورمونات، لكنها تأتي غالباً من مصدر أكثر غموضاً: الخوف من العلاقة الحميمة.

قد تنجم الرغبة المكبوتة عن المخاوف التي تولدها "البطولات" الجنسية التي تُعرض في السينما أو على شاشة التلفزيون. فهي تثير لدى الرجال والنساء قلقاً من العجز عن بلوغ ذلك المستوى المضخم. والعبء يبدو كبيراً على نحو خاص لدى الرجال الذين قد يتجنبون الجنس لخوفهم من العجز عن التصرف الصحيح. وتتفاقم هذه المخاوف بسبب ما تتوقعه النساء من جراء هذه الافلام.

ولا تزال الابحاث الجارية على الرغبة الجنسية المكبوتة ضئيلة، اذ لم تعطَ هذه المشكلة هويتها الطبية السريرية إلا في العقد الماضي. لكن الازواج الذين يمارسون وظيفتين في آن يشكلان العدد الاكبر بين مرضى الكبت الجنسي. وهم يتذمرون عادة من التعب أو من ضجر الرتابة. تقول جنيفر كنوف المديرة المشاركة لبرنامج التثقيف الجنسي والمعالجة الجنسية في جامعة نورث وسترن بولاية ايلينوي واحدى مؤلفي كتاب عن الرغبة الجنسية المكبوتة: "يكتشف الزوجان أنهما لا يستطيعان وضع الاولاد في أسرتهم وكبس زر سحري للوصول الى الاثارة الكاملة."

يقول المعالجون المختصون أن ليست كل حالات الرغبة الجنسية المكبوتة سبباً للقلق. ففقدان الاهتمام لفترة قصيرة يعدّ حالة طبيعية. وأحياناً لا يحتاج المصاب الا الى الاطمئنان الى أن تواتر ممارسته للجنس ليس أدنى من المعدل الطبيعي.

ومع ذلك فهناك تفاوت كبير بين الناس في ما يختص بتواتر الممارسة الجنسية ويعتمد هذا التفاوت على عدة عوامل، بما فيها السن وعمر الزواج والوضع الصحي العام.

أما التواتر المقبول فيعتمد على ما يسعد الشريكين. ويرى العالم النفساني ريتشارد هانيش أن ليست هنالك مشكلة الا "عندما يتزوج شخص يتطلب الجنس مرة في الشهر، شريكاً يتطلب الجنس يومياً."

والاختلاف حول تكرر الممارسة الجنسية هو أحد أكبر أسباب الزواج غير السعيد. والعكس صحيح أيضاً: إن الزواج غير السعيد هو أقوى أسباب الرغبة الجنسية المكبوتة. والحقيقة أن الذين يعانون هذه العلة قد يكونون ذوي دوافع جنسية طبيعية ولكن يقيدها الغضب أو القلق المكبوت.

وهذه هي بالتأكيد حال آن وبوب. تقول آن ان بوب يبقي غيظه مكبوتاً ويجد صعوبة في التصريح عن حاجاته. وهي، من الناحية الاخرى، حساسة تجاه الازدراء والتجاهل، لذلك فإن نقد بوب اللاذع لها يشعرها بأنها "غير مشبعة." وبعد سنة من ممارستهما الجنس مرة أو مرتين في الاسبوع فترت رغبتهما، بل تلاشت. وآن

مقتنعة بأن مشاجراتهما كانت السبب الرئيسي في ذلك. تقول: "انها الامور الصغيرة التي تتراكم فتصل الى حد يجعلني خائفة من ممارسة الجنس لأن لا شيء في حياتي يجري على ما يرام."

إن الازواج الذين يواجهون هذه الخلافات يفيدون عادة من طلب المشورة المتخصصة. وعندما تعمق جذور الرغبة الجنسية المكبوتة يعالج المرضى بمزيج من الجلسات الكلامية (للوصول الى مصدر مشاكلهم) والتمارين السلوكية (التي تساعدهم في تعلم الشعور بالرغبة من جديد). وكثير من الاختصاصيين يشجعون المرضى على احياء مزاج رومانسي قبل بدء الممارسة الجنسية - باطلاق العنان للخيال أو بقراءة كتاب مثير أو أي شيء آخر يقلل من القلق الذي هو نقيض الرغبة.

وقد نجح الارشاد المتخصص في تحسين وضع بوب وآن، اذ تمت معالجتهما لدى الدكتورة دومينا رنشو من جامعة لويولا في شيكاغو.

عندما أتى بيل وماري لمقابلة الدكتور رون بوديل مدير مركز العلوم الجنسية في لوس انجلس، كانا منقطعين عن ممارسة الجنس منذ عدة أشهر. يقول بوديل: "كانا يكبتان غضبهما ويعجزان عن الافصاح عن مشاعرهما. لم يكونا قادرين حتى على المعانقة."

تبين أخيراً أن والد ماري كان عدائياً وعنيفاً، وأن ماري كانت تضرب بقسوة في طفولتها. أما والد بيل فترك المنزل الى غير رجعة، وكانت أمه امرأة متسلطة لم يستطع ارضاءها يوماً. يقول بوديل: "كانا يعانيان خوفاً واضحاً من النبذ بحيث أن العلاقة الحميمة كانت تخيفهما."

أعطاهما بوديل "فرضاً" منزلياً في شكل جلسات ملامسة غير جنسية. في البدء كانا خجولين كغريبين، لكنهما تعلما تدريجاً كيف يحتضن أحدهما الآخر ويتحدثان عن شعورهما. تقول ماري: "أحياناً كنا نتضامّ في غرفة الجلوس خمس دقائق. كنت في حاجة الى التأكد من أن بيل يهتم بي."

بعد سنة ونصف سنة عاود بيل وماري ممارستهما الجنسية. تقول ماري: "نشعر بالتقارب الشديد الآن، وهنالك رومانسية في زواجنا أكثر من السابق على حد بعيد."

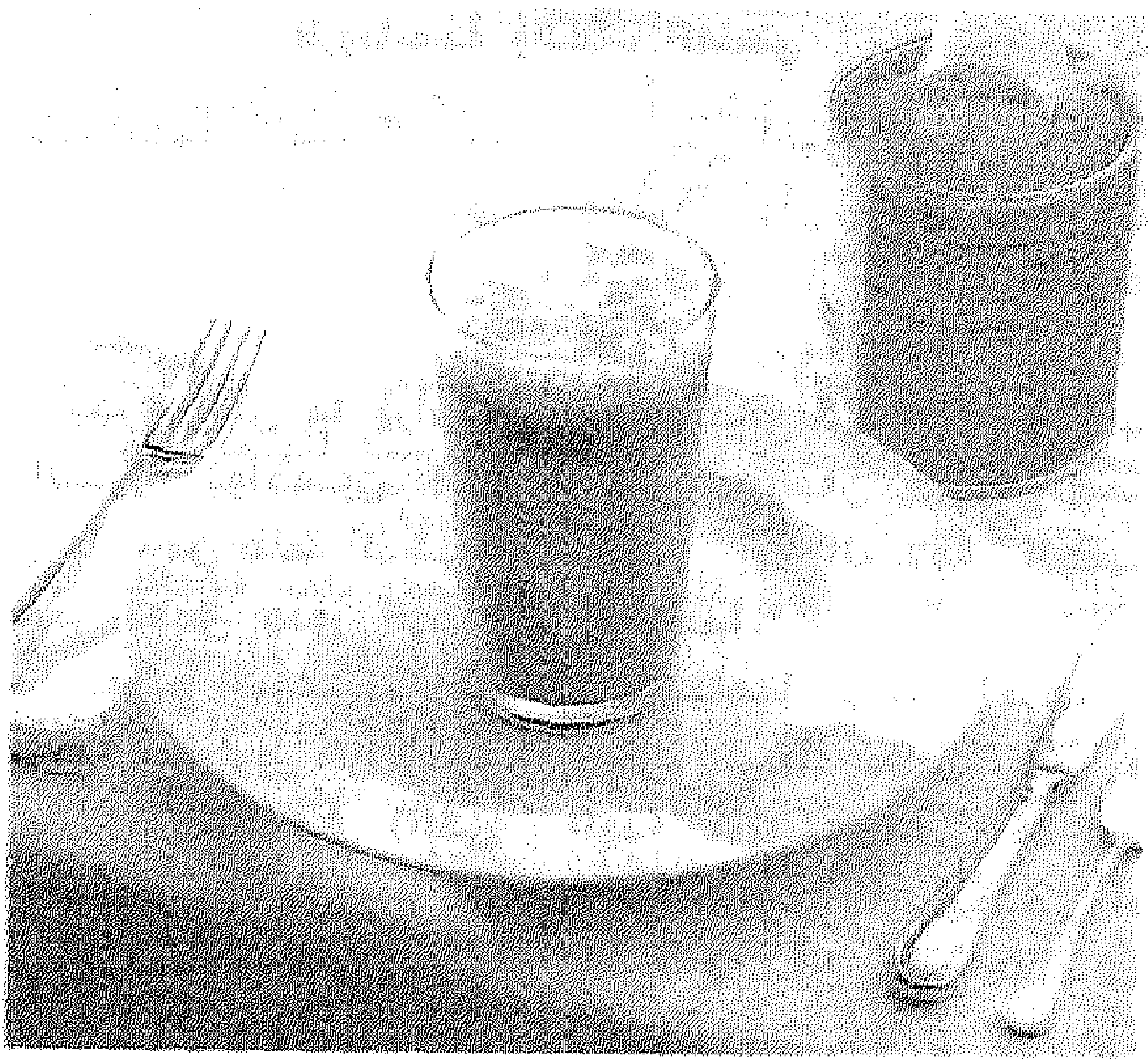
لقد طرأ تحسن كبير على فهم المشاكل الجنسية ومعالجتها، ولكن ما زال أمام الباحثين كثير يتعلمونه عن الرغبة الجنسية المكبوتة. لكن الأكيد بالنسبة الى كثير من الازواج أن الرغبة الجنسية ليست تلك النزوة السهلة التي لا تنضب، كما تصورها الثقافة الشعبية.

ديفيد غلمان ■



يبدأ الحب الحقيقي عندما لا نتوقع شيئاً في المقابل.

انطوان دي سانت اكزوبري،
كاتب فرنسي (١٩٠٠ - ١٩٤٤)



حمية السوائل للوزن الزائد ٣٠٪

... ولكن هل نجاحها مضمون ومأمون العواقب؟

أنظمة الحمية السائلة الغنية بالبروتيين (١) هي "صرعة" الموسم. ويشار اليها سريرياً بعبارة "صيام"، وهي ساعدت مئات الالوف من الناس على انقاص ما يراوح بين ٢٥ و٣٥ كيلوغراماً من وزنهم في مدة لا تتجاوز ١٦ أسبوعاً. وهذه ادعاءات مفرحة ذات رنّة حسنة، ولكن هل الامتناع عن تناول الاطعمة الجامدة أشهراً طويلة مأمون العواقب؟

وهل يظلّ الوزن منخفضاً أم ان "الصيام" حل سريع موقت لا يلبث مفعوله أن يزول على المدى الطويل؟

تعرف أنظمة الحمية السائلة أيضاً بأنظمة "الحمية ذات الوحدات الحرارية المنخفضة جداً" (٢). ومن يتبعها يمتنع عن تناول الطعام الجامد لمدّة تصل الى

---

(١) Liquid protein diets

(٢) Very low calorie diets «VLCDs»

١٦ أسبوعاً (وربما أكثر) يقتصر ما يتناوله خلالها على بضعة اكواب يومياً من الشراب المنكَّه الغني بالبروتيين، يراوح مجموع محتواها الحراري بين ٤٠٠ و٨٠٠ وحدة.

في الاسبوع الأول يفقد الفرد بين كيلوغرامين وأربعة كيلوغرامات من وزنه. وفي الاسابيع التالية يخسر بين كيلوغرامين وكيلوغرامين ونصف كيلوغرام أسبوعياً.

صيغ قديمة وجديدة. يدعي أنصار هذه الصرعة أن هناك فرقاً كبيراً بين أنظمة الحمية السائلة الرائجة اليوم وشبيهاتها التي راجت قبل عشر سنين وانطوت على مخاطر كبيرة. وتقول الدكتورة فاليري بيل أستاذة الطب السريري في المركز الطبي بجامعة نيويورك ومديرة برنامج الحمية السائلة هناك المعروف بـ"أوبتيفاست": "الصيغ الجديدة كاملة الغذاء."

وكانت الصيغ القديمة تفتقر كلياً الى المقدمات الاساسية التي يحتاج اليها الجسم للمحافظة على الحياة، أو توفرها بكميات غير كافية. ولقد أرتبطت تلك الصيغ بستين وفاة على الأقل، ربما كان سببها عدم انتظام في النبض ناتج من سوء تغذية حاد.

وتشتمل أنظمة الحمية السائلة الجديدة على المواد المغذية الاساسية. فهي توفر للجسم ما يحتاج اليه من بروتيين رفيع النوعية وكربوهيدرات (٣) وأحماض دهنية وفيتامينات ومعادن وسواها من المواد المغذية. وهكذا تتقلص الأخطار التي ارتبطت بالصيغ القديمة.

وفي حين كانت الصيغ القديمة تُباع من دون وصفة طبية ومن دون استشارة طبيب، فإن الصيغ الجديدة تستلزم اشرافاً طبياً. ويتوافر بعض هذا الاشراف في برامج صحيّة ترعاها المستشفيات للتحقق من أن ضغط دم المريض ونبض قلبه طبيعيان، ولاجراء تحليل للدم تجنباً لأي مضاعفات قد تنشأ. ويجتمع متبعو هذه الحمية الجديدة في لقاءات أسبوعية لرفع معنوياتهم. وبعد انتهاء فترة "الصوم" يعودون الى تناول الطعام الطبيعي في اشراف اختصاصي، ويُشجَّعون على الانضمام الى جماعات متابعة داعمة تقدم اليهم معلومات اضافية عن أصول التغذية والرياضة البدنية وتعديل بعض أنماط السلوك.

مقاومة الاغراء. على رغم أن فكرة "عدم الاكل" طوال أشهر كفيلة بتثبيط عزيمة أي انسان، فان التخلي عن الطعام سهل الى حد مدهش كما يؤكد كثيرون ممّن خبروه. جين فرانك، مثلا، مديرة مكتب في الاربعين من عمرها، طول قامتها ١٥٠ سنتيمتراً، وكان وزنها ٩٣ كيلوغراماً، وهي تقول: "أن يجد المرء نفسه غير مضطر الى أي اختيار بين أصناف الطعام أمر أسهل من اتباع حمية عادية." وبعد ستة أشهر نقص وزنها ٣٠ كيلوغراماً.

ولاحظ الدكتور جورج بلاكبيرن مدير المختبر الغذائي في مستشفى ديكونيس

(٣) الكربوهيدرات هي المواد النشوية والسكرية.

في بوسطن، أن الناس الذين يثابرون على برامج المتابعة لمدة سنة على الأقل ينزعون الى المحافظة على ما خسروه من وزن. ووجد، بعد سنة من انتهاء برنامج "أوبتيفاست"، أن الافراد الذين أهملوا التردد على برامج المحافظة على نقص الوزن المكتسب استعادوا ضعفي الوزن الذي استعاده أولئك الذين ثابروا على المشاركة في برامج المتابعة.

والصائمون الناجحون هم، إجمالا، أناس لم يجرّبوا أنظمة حمية كثيرة في الماضي. أما ذوو الوزن الذي يترجح صعوداً وهبوطاً فيواجهون صعوبة في خفض وزنهم بسبب مشاكل نفسية، غالباً بسبب اتجاه وراثي الى السمنة المفرطة. وهم سرعان ما يعودون الى عاداتهم السابقة في الاكل التي كانت السبب الرئيسي لسمنتهم المفرطة.

رون بلوك في الثانية والاربعين ونائب رئيس شركة لبرامج الادمغة الالكترونية. خلال ١٦ أسبوعاً من الصوم فقد ٤٤ كيلوغراماً من وزنه، وكانت تلك المرة الأولى يلتزم نظام حمية حقيقياً. وخلال برنامج المحافظة على الوزن الناقص خسر سبعة كيلوغرامات أخرى وحافظ على وزنه الجديد أربعة أشهر. وهو يقول: "ما زال الطعام يغريني، ولكن بات في امكاني أن أحارب ذلك الدافع الملّح الى الافراط في الاكل."

تأثيرات جانبية. أنظمة الحمية ذات الوحدات الحرارية المنخفضة جداً قد تبدو جذّابة، لكنها تنطوي على بعض المعوقات المهمة، ومنها مسألة الكلفة. ففي الولايات المتحدة يتعين أولا دفع ٣٠٠ دولار هي رسم الفحص الطبي والتشخيص الغذائي والنفسي وبعض الفحوص المخبرية. يلي ذلك مبلغ ١٠٠ دولار على الاقل يدفع كل أسبوع على امتداد ١٦ أسبوعاً، وهو يغطي تكاليف المراقبة والاجتماعات وثمن المنتجات الغذائية الغنية بالبروتيين. وبرامج الحمية هذه تدر على المستشفيات أرباحاً طائلة، وهذا من أسباب قيام حملات دعائية واسعة لترويجها.

ومن التأثيرات الجانبية لانظمة الحمية السائلة شعور بالتعب وجفاف الجلد وتساقط الشعر والغثيان والدوار والاكتئاب. وتختفي هذه الاعراض في الاسابيع القليلة الاولى وتبطل جميعها حالما يعود الفرد الى تناول الطعام. ونادراً ما تحصل مضاعفات خطرة، كنوبة قلبية.

ما يجهله معظم الناس هو أن أنظمة الحمية السائلة تلك مخصصة للاشخاص الذين يفوق وزنهم الوزن الطبيعي ٣٠ في المئة على الأقل. وفي المتوسط، يتعين على الفرد الملتزم أن يخسر بين ٢٥ و٣٥ كيلوغراماً من وزنه وأن يتغلب على مشاكل صحيّة أخرى متصلة بالسمنة المفرطة، مثل ضغط الدم العالي وارتفاع مستوى الدهن في الدم وداء السكري. وبما أن معظم الساعين الى خفض وزنهم لا يلزمهم سوى انقاص خمسة كيلوغرامات أو سبعة، فعليهم أن يختاروا برامج اكثر اعتدالا.

يقول الدكتور ثيودور فان إتكي مؤسس "مركز أبحاث السمنة المفرطة" في

مستشفى سان لوك – روزفلت في مدينة نيويورك: "كلما قلّ ما عليك أن تخسره من وزن، ارتفعت نسبة التأثيرات الجانبية لانظمة الحمية ذات الوحدات الحرارية المنخفضة." وعندما يتخلص الناس المفرطو السمنة من الوزن الفائض فانهم غالباً يخسرون شحماً لا عضلا. أما الاقل سمنة فيخسرون عضلاً إذا لم يحصلوا على وحدات حرارية كافية.

أما الدكتور بلاكبيرن فيؤكد: "سواء اعتمد المرء حمية سائلة أو سواها، تبقى ارادة التغيير هي السر الجوهري لخفض الوزن نهائياً. وإن كنت تبحث عن نظام أو عن طبيب يتولى هذا الامر عنك فإن فشلك محتوم. فعندما تتولى أنت مسؤولية خفض وزنك تستطيع تحويل أي نقص في الوزن نجاحاً نهائياً ثابتاً."

كارلا رولفنغ ■



قوة الاعلان

قد يعيش المرء حياة ملأى بالبطولة والسقطات والابوة والشجاعة والألم فلا يلاحظ ذلك أحد خارج نطاق عائلته واصدقائه. لكن صوّر اعلاناً تلفزيونياً جذّاباً عن المرء ذاته فيغدو رجلا شهيراً.

لم يحتج أحدهم الى اكثر من ٣٠ ثانية من الاعلان التجاري لكي ينال الشهرة. ويقول الاعلان: "عندما كان بيل دمبي في فيتنام حلم بالعودة الى الوطن وبممارسة لعبة كرة السلة. لكن حلمه هذا مات عندما فقد ساقيه من جرّاء صاروخ اطلقه الفيتكونغ. ثم اكتشف الباحثون ان مواد دوبون البلاستيكية في وسعها تأمين اطراف اصطناعية أشبه ما يكون بالاطراف الطبيعية. واليوم عاد بيل الى ممارسة لعبة كرة السلة، والبعض يقول إنه ما زال يتمتع بالمهارة ذاتها.

لا يحب دمبي دائماً اهتمام الآخرين به. انما في بعض الأحيان يؤثر فيه تقدير الناس له. ومما يتذكر: "جاءني رجل يوما يشرح لي مشاكله واخبرني انه كان فقد الأمل من كل شيء. ولكن مشاهدته لي في الدعاية قلبت حياته رأساً على عقب. ثم شكرني لاني غيّرت مجرى حياته. أمّا أنا، فابتعدت عنه لكي لا يشاهد الدموع تنفر من عيني."

ب.غ.

شرف المهنة

بول بوكوز، أحد مؤسسي "المطبخ الحديث" الذي يعتمد الاطباق الخفيفة والبسيطة، لم يتردد في خرق التقليد. ففي العام ١٩٧٥، عندما قلّده الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان وسام الشرف، طبع بوكوز هذه المناسبة المهمة بطابعه الخاص. فأي انسان غير بوكوز كان سيحضر الحفلة باللباس الرسمي، اما هذا فقد اصر على ارتداء البرنس والقبعة الابيضين اللذين يلبسهما رئيس الطهاة فكأنه كان يقول لكل رؤساء طهاة فرنسا "اني فخور بان اكون طاهيا وان عليكم ان تحذوا حذوي!"

ك.و.

لم يفصل الفارس
عن الموت
إلّا شجاعة ابنته
الصغيرة

«لن أدع أبي يموت»

كولين كوك فتاة مرحة في التاسعة من عمرها. وكانت تنتظر على أحر من الجمر النزهات الاسبوعية على متون الخيل مع والدها كيم، شريف مقاطعة تيتون(★) وكان منزلهما في فيكتور بولاية إيداهو لا يبعد كثيراً عن جبال غراند تيتون الخلابة. وفي الغرب انتصبت جبال بيغ هول الوعرة موطن الدببة والقنادس والايائل.

ومتعة كيم بركوب الخيل تضاهي متعة ابنته. فزوجته جنيفر حامل، لكن كولين ظلت مدة طويلة فتاة وحيدة مما وطّد العلاقة بين الأب والإبنة.

كان كيم في الثالثة والثلاثين من العمر، وقد عاش في فيكتور منذ سنوات المراهقة عاملا في مزرعة العائلة. وهو رجل ناحل ذو عينين بنيتين وشاربين متدليين، يحترمه الناس لصدقه وكدّه في العمل. وقد علّم ابنته ألّا تقبل بأقل من الافضل في كل شيء.

(★) الشريف هو المسؤول الامني في بلدة امريكية.

Illustrations: Dan Brown

صباح ٣٠ مايو (أيار) ١٩٨٧ ركب الاب وابنته جواديهما متجهين نحو بقعة في جبال بيغ هول لم يكن أي منهما بلغها سابقاً. وكانت كولين مرتاحة على فرسها السهلة القياد، أما والدها فركب فرساً صغيرة في الثالثة من عمرها جديدة وجفولا.

سلك الاثنان طريقاً في الغابة، ثم قادا الفرسَيْن بين أشجار الحور والصنوبر. لم تعد هناك درب واضحة، بل واد صخري شديد الانحدار خطّه نهر جليدي.

استغرق بلوغ احدى القمم ساعة ونصف ساعة إذ انها تعلو السهل ٣٠٠ متر وتبعد ستة كيلومترات عن المنزل. كان العرق يتصبب من الفرسين، فترجّل كيم وكولين لاراحتهما. وبعد دقائق قال كيم انه سيذهب لاحضار بعض المرطبات من عِدْل الخرج فيشربانها خلال الاستراحة.

وفيما كولين جالسة على صخرة سمعت صوتاً خلفها يشبه حفيف ذيل فرس. استدارت، وإذا بها ترى والدها يتدحرج على الارض ثم يجثو ويمسك وجهه بين كفّيه. كان الدم يسيل بين أصابعه، فأسرعت اليه كولين وهي تتساءل: هل زلّت قدمه فهوى؟ هل ضرب رأسه بصخرة؟

في سيل الدم شعر كيم بفجوة مفتوحة فوق عينه اليمنى التي لم يعد يرى بها فأدرك أن المهرة رفسته، لكنه لم يتذكّر كيف أو لماذا. كان متأكداً من امساكه عنان الفرس وهو يمدّ يده الى الخرج، مما يبقيه في مأمن من الرفسات. أتراه أوقع شيئاً فانحنى ليلتقطه.

باختصار، لم يعد يذكر شيئاً.

أدركت كولين أن جرح والدها خطير، إذ ان الرفسة فتحت فجوة في أعلى خده الايمن كاشفة الدماغ. وخطر للفتاة أن والدها يحتضر، لكنها ما لبثت أن أبعدت الفكرة عن بالها وقالت له بعزم: "سأطلب نجدة،" محاولة إخفاء نبرة الرعب في صوتها.

يد مرشدة. شعرت كولين بخفقان قلبها، فركبت فرسها وهبطت المنحدر. لكنها احتارت في أي طريق تسلك. وتصارع في فكرها خياران: أتكمل السير أم تعود الى والدها؟ لكن صوتاً داخلها ظل يهمس: لا تتركي أباك!

أيقنت كولين ان عليها إنقاذ والدها بنفسها. فتسلّقت المنحدر ثانية. وفيما هي تحاول تمالك أعصابها تذكّرت ما قالته معلمتها الأسبوع الماضي في الصف: "إذا وقعتم في مصيبة، إدعوا لربّكم."

علمت كولين أن الوضع الآن مصيبة بلا شك. ولمّا اقتربت من والدها ترجّلت وألصقت جبينها بجنب الفرس وأغمضت عينيها مبتهلة: أرجوك يا ربي، ساعدنا للخروج من هنا. لا تدع أبي يموت!

راحت كولين تتذكّر دروس الاسعاف الأولي التي تعلّمتها في المدرسة: التأكد من أن المصاب لا يزال يتنفس، ثم ايقاف النزف. فتناولت بعض الثلج النظيف عن الارض وضغطته بعناية على وجه والدها لتمسح عنه الدم. ثم قالت له مطمئنة: "سنحاول العودة الى البيت. سنصل بالطبع، أنا أكيدة من ذلك لأنني صلّيت."

كان كيم يترجح بين الوعي والاغماء.

لكن صوت ابنته أيقظه تماماً، وفرح عندما رآها قد عادت. فهو سلّم بموته في الجبل، لكنه قلق لاحتمال ضياع ابنته أو إصابتها بمكروه وهي تحاول بلوغ المنزل وحدها. لذا أدرك أن عليه استجماع قواه لكي يرشدها الى مكان أليف.

وكانت فرس كيم بعيدة ترعى في بقعة مشجرة، لكنه لم يكن يقوى على ركوبها في أي حال. وبدأ الوالد وابنته رحلتهما على الأقدام. فكانت كولين تسنده بيد وتقود فرسها بالأخرى. وأوشك كيم على الاغماء ثانية لشدة الألم.

بعد اجتياز ثلاثين متراً شعر كيم بغثيان قوي. فجلس على الأرض ليرتاح قليلا، إلاّ أن كولين حضته على الوقوف مدركة أن الوقت من ذهب. وكان تقدمهما بطيئاً، فتقيأ كيم غير مرة، وكانت كل حركة تثير في رأسه ألماً حاداً.

راح كيم يشجع نفسه على متابعة السير، فيختار موقعاً على بعد ستة أمتار مثلا ويحاول بلوغه. وما إن يصل اليه حتى يختار هدفاً جديداً. لقد قرر بلوغ درب الغابة لأن كولين لن تستطيع الخروج وحدها من هذه المتاهة إن هو قضى.

مرت الساعات وبدأ الماء ينضب من جسم كيم بفعل التقيؤ. أدركت كولين أن والدها فقد كل حس بالوقت. وانتبهت الى أن التباطؤ قد يكون قاتلا، فمضت تحضه على متابعة السير. لكنها في قرارتها خشيت أن يكون أبوها على شفير الموت.

فارس بلا فرس. كان جرح كيم يهد طاقته، لكنه فهم أن ابنته لن تتركه يستسلم. فتعجب من عزمها وأسلوبها إذ لم تفقد السيطرة على الأمور لحظة.

بعد خمس ساعات من مغادرة القمة دنا الاثنان من السفح. وتنبّهت كولين الى درب الغابة. لقد بلغتها في الوقت المناسب، إذ جلس والدها عند جذع شجرة خائر القوى.

فهمت كولين من ارتسامات وجهه أنها لن تستطيع حضه أكثر، فقالت له: "عدني بأن تنتظر هنا. سأذهب وآتي بالنجدة."



امتطت كولين فرسها وتوجّهت نحو البيت غير أكيدة من أنها سترى والدها ثانية على قيد الحياة. وابتهلت: "يا رب، لا تدع الأوان يفوت." وكانت فرس ابيها تتبعها، وحين شعرت بالقرب من البيت تجاوزتها نحو الإسطبل.

كانت جنيفر كوك تعمل في حديقتها وقد بدأت الشكوك تساورها، إذ ليس من عادة زوجها وابنتها الغياب طويلا. وإذ بها تسمع في الخامسة والنصف وقع حوافر وصهيل فرس. فأسرعت نحو البوابة للترحيب بالفارسين، الا أنها ذهلت لرؤية فرس كيم تخبّ في اتجاهها، وحدها.

وكان كيسي (١٤ عاماً) شقيق كيم الاصغر يقود شاحنة المزرعة، فنادته جنيفر وقلبها يطرق بسرعة: "أسلك طريق الوادي وتبيّن ما حدث لكيم وكولين."



وللحال انطلق كيسي.

كانت فرس كولين مسرعة نحو المنزل عندما سمعت الفتاة هدير سيارة. وما لبث كيسي أن تمهّل قربها فصرخت: "إنه أبي! تركته قرب سدّ القنادس." فتابع كيسي طريقه وبعد لحظات لمح أخاه مستنداً الى جذع الشجرة والدم يكسو وجهه.

طمأن كيسي أخاه بثقة لم يكن هو أكيداً منها. قال: "سآخذك الى البيت." ثم رفعه برفق وأجلسه على المقعد الخلفي. عندئذ أمسك كيم كتف أخيه ونبهه لكي يقود الشاحنة على مهل، ثم أضاف: "إن لم تفعل، فسأقودها أنا."

فرصة ثانية. كان كيم واعياً عندما نقلته سيارة اسعاف من منزله الى عيادة وادي تيتون على بعد عشرين كيلومتراً. وكان جرحه مليئاً بالتراب والحصى فصار باباً مفتوحاً لالتهاب جرثومي في الدماغ.

حقنه الطبيب لورنس كورتيس مضادات حيوية عبر الأوردة. وقد أخذه العجب كيف أن فتاة في التاسعة تمكنت من إنقاذ مصاب بهذا الجرح البالغ في أعالي الجبل. فهي من دون شك أنقذت حياة والدها.

أدرك كورتيس أن انقاذ بصر العين اليمنى أمر بعيد الاحتمال بسبب خطورة الجرح. كما خشي حصول تلف في الدماغ، فاتصل بأطباء جرّاحين في المركز الطبي الذي يبعد ساعة في السيارة، حيث تتوافر تسهيلات كبرى.

في ليلة الأحد تلك نُقل كيم الى غرفة الطوارىء في المركز الطبي حيث انتظره جرّاح العين بيتر زيمرمان وجرّاح عصب العين ستيفن مارانو. وأظهر تخطيط بالدماغ الالكتروني أن أياً من عظام الجهة اليمنى من وجه كيم لم تسلم من الاصابة.

عمل زيمرمان ومارانو الى ساعة باكرة من الفجر التالي. ففتح مارانو جبين كيم، ونزع كسر العظم والانسجة التالفة من مقدم الدماغ. ثم استعمل نسيجاً موهوباً لرتق الغشاء الوقائي الذي يغلّف الدماغ.

وحاول زيمرمان انقاذ العين اليمنى، لكن الأمل كان ضئيلا. وبعد مرور عشرة أيام من دون أن يبصر كيم بعينه اليمنى تعين على الجرّاح اقتلاعها. وخلال هذه الجراحة الثانية، جبر الجرّاحون عظام الوجنة المحطمة والعظمة المكسورة خلف العين.

وبقي اكتمال الشفاء رهناً بروح كيم المناضلة.

تقدير الشجاعة. شاع الخبر في منطقة الوادي وخارجها عن انقاذ كولين حياة والدها. وذات يوم، فيما كانت جالسة على سرير والدها في المستشفى، دخل مسؤول من دائرة الاطفاء في مقاطعة تيتون ومعه شهادة تقدير لـ"الشجاعة في مواجهة المصاعب." كما منحها "مجلس العدالة الجزائية" في ايداهو جائزة "العمل البطولي لانقاذ حياة إنسان."

والمدهش أن كيم لم يصب بأي ضرر فعلي في الدماغ. وبحلول أغسطس (آب) عاد الى عمله بدوام جزئي. لقد أعطاه لقاء الموت ذهنية جديدة إذ قال: "نادراً ما يحظى المرء بفرصة ثانية. لكن كولين

منحتني هذه الفرصة، وسأشرك فيها الآخرين." فتطوّع للتعليم في مدرسة خيرية وللتحدث مع مجموعات من الاحداث فيفسّر لهم أهمية تمالك الاعصاب لدى حدوث مشكلة.

ثم جاء النبأ السعيد: لقد اختيرت كولين واحدة من عشرة "أبطال صغار" في الولايات المتحدة، وستكرّم في العاصمة واشنطن.

وفي احتفال منح الجوائز قال السناتور ستيفن سيمز ممثل ولاية ايداهو ان شجاعة كولين هي من الصنف الذي جعل الولايات المتحدة دولة عظمى.

وفي اليوم التالي صُوِّرت كولين مع الرئيس الامريكي آنذاك رونالد ريغن. وأرسلت إليها الصورة لاحقاً بالبريد موقّعة من الرئيس: "الى كولين كوك، البطلة الحقيقية."

في صيف ١٩٨٩ استعاد كيم كوك عافيته وعمله في حماية القانون والنظام في مقاطعة تيتون. وهو لا يزال حريصاً على نزهاته الاسبوعية مع كولين على متون الخيل في الريف. ويقول: "توطدت علاقتنا كثيراً منذ الحادث."

أما كولين فلا تعير أذناً لكل ما يقال ويكتب عن شجاعتها، وتؤكد: "عندما كنا هناك في الجبل، لم تكن تلك مسألة شجاعة أو جبن. لقد أدركت ببساطة أنني لن أدع أبي يموت."

بير أولا وإميلي دولير ■



ما كلّ مرة تسلم الجرّة

اعمل سكرتيرة لمديرة لطيفة، ولكن متطلّبة. وذات يوم ارسلتني لشراء آلة تسجيل نقّالة. وإذ كانت المجموعة المعروضة في المتجر محدودة، اقترح علي المسؤول هناك الانتظار وتقديم طلب للحصول على آلة تسجيل أفضل. فأجبته بسخرية: "لدي مديرة لجوجة تريد الحصول على ما تطلب في اللحظة ذاتها اذ انها كثيرة الاشغال." ثمَّ اشتريت الآلة المعروضة.

وفي اليوم التالي، استقبلتني مديرتي بجفاف قائلة: "اذا أردت الكلام علي، تأكدي من ايقاف آلة التسجيل اولا."

وعجباً انني احتفظت بوظيفتي.

د.ن

زلّة قلم

أضافت سكرتيرة مالية العبارة الآتية الى تقريرها السنوي النهائي: "أولاد أن اعبّر عن تقديري للفرصة التي سنحت لي كي اعمل سكرتيرة مالية طوال السنوات الخمس الماضية. فالحقيقة ان ما حصلت عليه يفوق بكثير ما اعطيته."

م.و.ر.

مهما حاولت اخفاء شعورك فان طرفة عينك تفشي سرّك

ماذا تعني طرفة العين؟

العين أكثر أعضاء الاحساس رهافة، ومع ذلك فانها معرّضة للانجراح والتأثر على نحو يدعو الى الدهشة. القسم الاكبر منها تحميه الجمجمة. فمحجر العين المؤلف من تجويف مبطّن بالشحم، يمتص جميع اللطمات الا الكبيرة جداً غير أن عشر السطح الكلّي للعين، ذلك الجزء اللوزي الشكل الذي ينظر الى الدنيا ويجمع الضوء، ليس بينه وبين الجو شيء عند فتح العين.

يحمي الجسم هذا العضو الحيوي بفعل الطّرف، أي الاغماض القصير الذي قد لا يستغرق أكثر من عشر ثانية. خلال الطرف ينغلق "مصراع" من الجلد الرقيق جداً والمقوّى بألياف متينة تشبه الغضروف. وعلى الاثر ينكمش الجفنان فيغلفان العين بطبقة من الدمع تمسح الغبار وتنظّف سطح العين وترطّبه.

يتخذ الطّرف أشكالا عدة. فالى الطرف الذي يغسل العين، هناك الطرف الذي يرافق ظروفاً طارئة (مثل الاصوات المرتفعة) والطرف الإرادي الذي يعبّر عن الغضب أو الشك. وهناك نوع آخر هو الطرف التلقائي العفوي، وهو ليس إرادياً ولا انعكاسياً. ومعظم الطرفات هي من هذا النوع.

لا يتطلب شطف العين أكثر من طرفة واحدة في الدقيقة. ومع ذلك يطرف معظم الناس بأعينهم نحو ١٥ مرّة في الدقيقة الواحدة.

Condensed from The Sciences (November / December '88), © 1988 by

لماذا نطرف بهذه الكثرة؟

الظاهر أن هناك صلة مباشرة بين الطرف العفوي والعقل. ويستخدم العلماء اليوم آلات التصوير والاشعة دون الحمراء والاقطاب الكهربائية لقياس "الهبّات" الكهربائية الصادرة عن الاعصاب والعضلات المحيطة بالعين، لكي يتبينوا كيف يختلف تواتر الطرفات والمدّة التي تستغرقها كل طرفة باختلاف الامزجة بين التيقّظ والضجر والضيق والتركيز.

تظهر الدراسات أن الانسان يطرف مرّات أقل عندما يكون متنبهاً. فأثناء قراءة رواية، يطرف المرء نحو ست مرات في الدقيقة. أما أثناء الانهماك في الحديث فيتضاعف هذا العدد. وفي الشوارع الداخلية المربكة يطرف السائقون أقل مما يفعلون وهم يقودون سياراتهم في الطرق العامة. ولدى تجاوز سيارة أخرى تنقص طرفات العين إذ يروح السائق ينقل بصره من الطريق الى عدّاد السرعة فالى المرآة الخلفية وهكذا.

والظاهر أن للضجر تأثيراً بالغ الدقّة في طرْف العيون. ففي احدى التجارب كان على الافراد ان يصغوا الى سلسلة من النغمات تستغرق ٣٢ دقيقة، فتبيّن أن ذلك الجزء من الثانية الذي تستغرقه طرفة العين طال أكثر من ٣٠ في المئة. ويبدو أن العقل عندما يتوقع ورود معلومات مضجرة يسمح لنفسه بفترة من الراحة، وعندئذ تدوم طرفة العين أطول.

ولقد اكتشف الباحثون أن معدّل طرفات العين وأمدها يختلفان باختلاف الاعمال التي يؤديها الافراد. فالذين ينهمكون في أعمال بصرية، كالرسم مثلاً، يطرفون مرّات أقل. والذين يشعرون بالاعياء يطرفون أكثر من الذين يشعرون بالراحة. ويزداد طرف العين مع ازدياد الاضطراب.

القلق أيضاً يزيد عدد طرفات العين. فطيارو الطوافات المبتدئون يطرفون أكثر من المدرَّبين. والشاهد عند الاستجواب يطرف أكثر من الشاهد الذي يردّ على محام ودود. والردّ الذي يتطلب استجابة وجاهية في حضور شخص آخر يستدرّ عدداً أكبر من الطرفات. أما إذا كانت الاسئلة من النوع المحرج الذي يتطلب اجابة نعم أو لا، فإن الطرف يزداد.

هذه العلاقة بين الخشية من أمر مرتقب وطرف العين تفسّر لماذا يُدرَّب مذيعو الاخبار على الطرف "الطبيعي" لكي يبدوا أمام عدسات التصوير هادئين ومتمالكين أعصابهم. وهذا ينطبق على السياسيين أيضاً. ولقد أظهرت الدراسات التي أجراها طبيب الامراض العصبية والنفسية جو تيسي أن القلق والتوتر يزيدان الطرف. ولا يملك علماء النفس تفسيراً لهذه العلاقة.

أما العلاقة بين الاستظهار (الحفظ) والطرف فهي أكثر وضوحاً. فالافراد الذين يطلب منهم حفظ سلسلة من الاحرف يبدأون بالطرف ما ان يتلقوا جميع الاحرف المطلوب خزنها في الذاكرة. وكلما ازداد عدد الاحرف طال الوقت قبل بدء الطرف، فالدماغ يحتاج الى وقت أطول لخزن ستة رموز مما يحتاج اليه لخزن رمزين. فمن المحتمل إذاً أن الطرفة تشير الى لحظة تشكّل الذاكرة وتوقف الدماغ عن ترقّب مادة إضافية.

ويتكرر نمط شبيه بذلك أثناء القراءة، فيطرف الناس عيونهم عندما يصلون الى آخر السطر أو عندما يعجزون عن الفهم مما يضطرهم الى إعادة قراءة الكلمات الثلاث أو الاربع الاخيرة، ويبدو أن الدماغ يحتاج الى توقف قصير يفصل بين الاحداث الحسيّة المهمة، وما طرفة العين هذه سوى إشارة الى ذلك التوقف.

الطرف إذاً هو بمثابة ترقيم عقلي (★). فالظاهر أن طرفة العين تتم لحظة يتوقف الفرد عن استقبال المعلومات الواردة ليبدأ تقليبها في عقله. والطرفات القليلة العدد والقصيرة الأمد التي تصدر عن السائقين في الشوارع الداخلية تؤدي عمل الفواصل (،) وتقسم الصور المتسارعة أمامهم وحدات قابلة للاستيعاب. اما الطرفات التي تدوم مدّة أطول وتتكرر أكثر أثناء تكوين الذاكرة أو اتخاذ القرارات، فإنها كالنقط (.) تتيح للعقل توقفاً قصيراً لخزن المعلومات والتفكير فيها ملياً.

ربما فسّر ذلك حقيقة غريبة هي أن نسبة الطرف تختلف بين أشخاص يؤدون عملا واحداً. ففي حين أن الاحاجي الحسابية، مثلا، تزيد الطرف عند معظم الناس، نراها تنقصه عند سواهم. فمعظم الاشخاص الذين يحلّون هذه المسائل "بصرياً" متخيلين الارقام في أذهانهم، نادراً ما يرفّ لهم جفن في محاولة منهم لتجميد "الصورة". لكن بعضهم يزداد طرف عينيه لان عقله يصدر أمراً بالطرف كلما أنهى حلّ مرحلة من المسألة. بكلام آخر، إن نمط الطرف لدى الفرد قد يعكس نمط تفكيره.

(★) الترقيم هو استخدام نقط وفواصل في الكتابة.

جون ستيرن ■



جواب مطمئن!

يمتاز صديقي بمظهره الفتي الذي لا يعكس عمره الفعلي وخبرته الطويلة في قيادة الطائرات المستأجرة في ولاية فلوريدا. وطُلب اليه يوماً ان ينقل سيدة كهلة فوق المستنقعات الى احدى المدن الصغيرة. وبينما كان يساعدها في تثبيت حزام الأمان تفحصته بنظرها. واذ حلقت الطائرة فوق مياه المستنقعات تنحنحت وقالت متوجّسة: "تبدو فتياً الى حد بعيد، كم مضى عليك في قيادة الطائرات؟"

فأجابها بابتسامته العريضة الفاتنة قائلا: "هل ندخل في الحساب طيران اليوم؟"

ب.و.

سر لا يخفى

"البصل النيء سر الصحة الجيدة" كان عنوان محاضرة علّق على لوح البلاغات في ناد نسائي. وتحت العنوان كتبت احداهن: "كيف تحفظين سرك؟"

صحيفة "الدايلي تلغراف"، لندن

صور من الحياة

"بيب! بيب!"

حين بدأتُ العمل في شركة عقارية أُعطيت للمرة الاولى جهاز اتصال لاسلكياً صغيراً. ولشدة لهفتي الى التباهي به ذهبت لزيارة والدتي، فخلّف الجهاز في نفسها انطباعاً قوياً ودونت على عجل الرقم الذي يمكّنها من طلبي بوساطته اذا ما احتاجت الي، ثم دعتني الى العشاء.

وفي انتظار اعداد الطعام ذهبت أتبضع. وفيما أنا أنتظر دوري أمام صندوق الدفع جاءتني المكالمة الاولى: "بيب! بيب!" فشعرت بأهميتي إذ رنت الي الانظار. وضغطت الزر لأتلقى المكالمة، فاذا صوت أمي يرتفع بوضوح: "العشاء جاهز!"

أ.ب.

الالفة تخفي العيوب

في احتفالي بعيد مولدي الخمسين شعرت بالصدمة لبلوغي هذا الفاصل في حياتي. وحين اردت تجديد رخصة قيادة السيارة كانت هناك سيدة ملأت كل المعلومات المطلوبة واختبرت نظري والتقطت لي صورة سريعة وناولتني بطاقة الصقت عليها صورتي.

فقلت لها مازحاً: "اتعنين ان عليّ ان انظر الى هذه الصورة للاربع السنوات المقبلة؟"

فاجابت: "لا تقلق، سوف تحب أن تنظر اليها بعد اربع سنوات."

ن.ف.

زوجة محظوظة

لم يكن والديّ خرجا للسهرة معاً لفترة ما، سوى ان والدي دخل المطبخ فيما كانت امي منهمكة في تنظيف الاطباق مديرة له ظهرها وسألها: "اترغبين في الذهاب الى السهرة يا فتاتي المسنّة؟"

فاجابته امي على الفور: "اوه، احب ذلك من كل قلبي."

وبعد رجوعهما الى البيت، وكانا قد قضيا سهرة ممتعة، اعترف والدي بان دعوته كانت موجهة اصلا الى كلبتنا التي كانت جاثمة على ارض المطبخ قريباً من قدمي والدتي!

م.م.ت.

هدية مثالية

كان ماثيو وعروسه يفتحان علب الهدايا ويهتفان، كلما بانت هدية، ويعينان طريقة استخدامها او التمتع بها كالمناشف والاطباق والكؤوس. الى ان فتحت العروس علبة كبيرة في داخلها مكنسة كهربائية فهتفت جذلة: "انظر يا ماثيو، هذه الهدية هي لك."

ل.س.

اللوكسمبور
جَنة صَغيرة

تحوّل الغزاة سياحاً في آخر غراندوقية مستقلة عرفها التاريخ

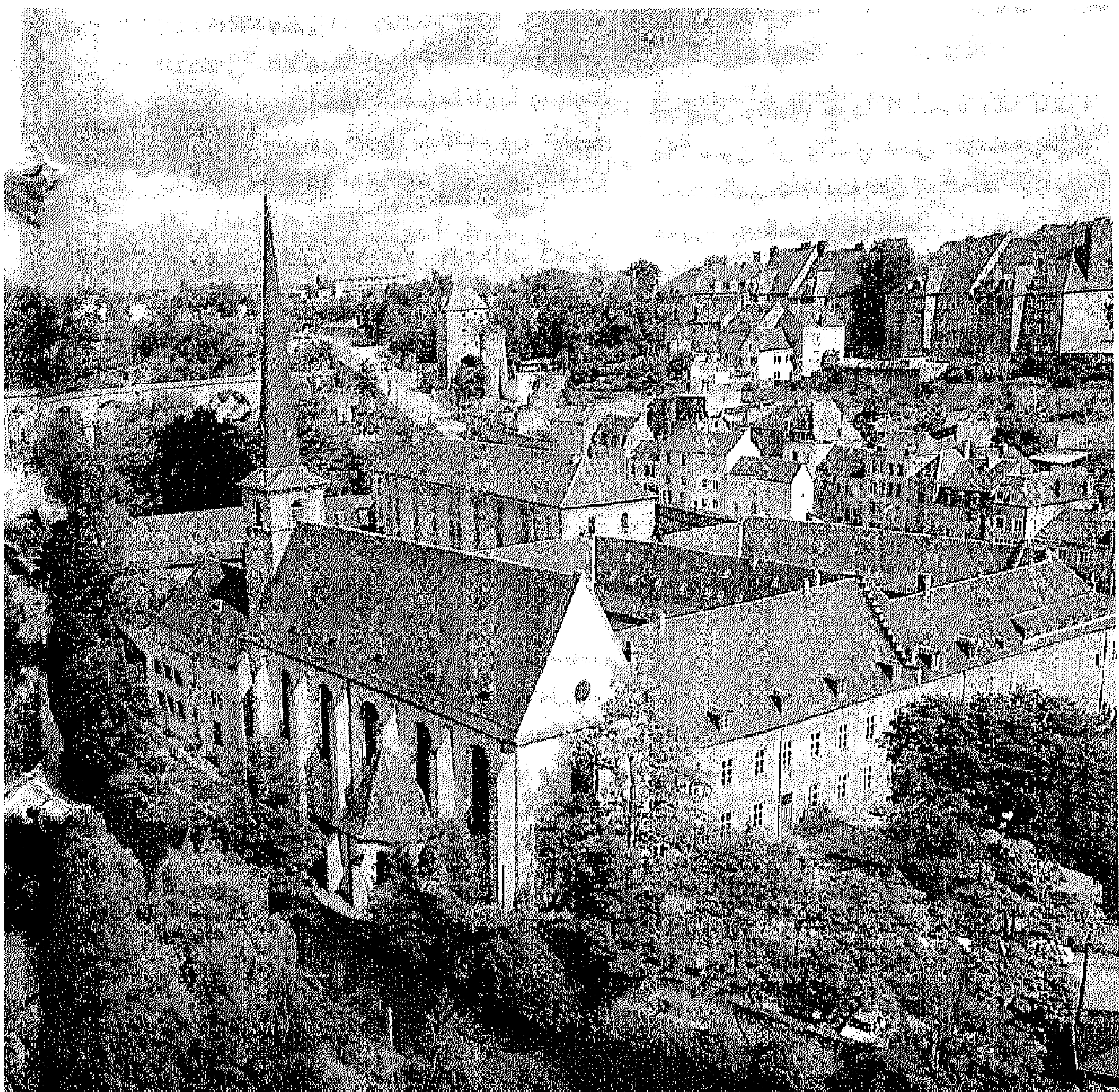
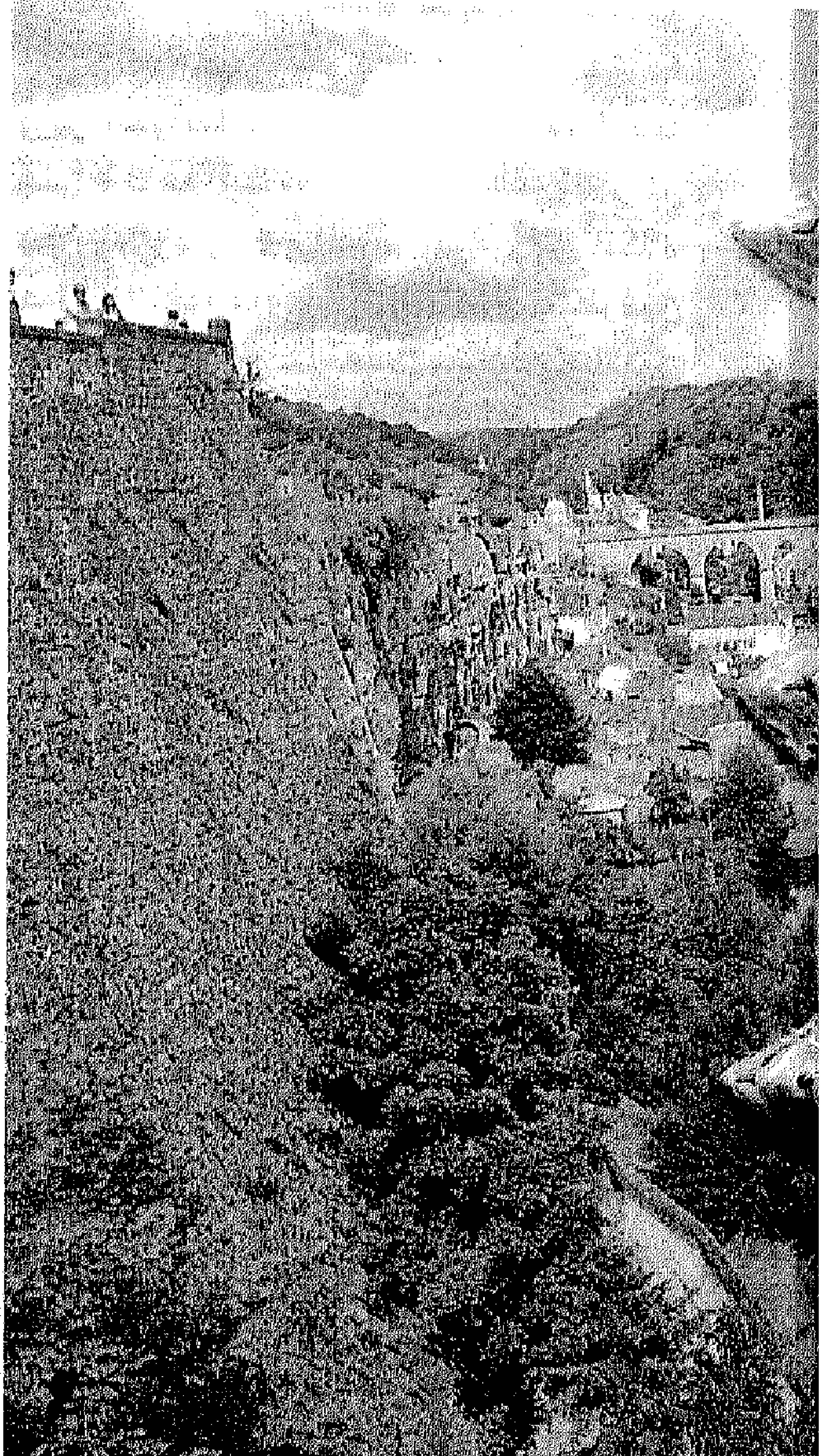


Photo: © Porterfield / Chickering / Photo Researchers, Inc.

عام ١٩٢٥ انتقل ماسح للاراضي يدعى بروسبر كايسر من بلدة في ريف اللوكسمبور الى العاصمة التي لا يختلف هدوؤها عن الريف بشيء. وبنى لعائلته منزلا مؤلفاً من ثلاث طبقات في جادة غليوم، يبعد مسافة عشر دقائق عن قلب مدينة اللوكسمبور. وقد بقي هذا البيت للسنوات الخمس التالية الوحيد الذي يتوسط مساحات مقفرة من الاراضي التي يكسوها الغبار.



وتغيرت الايام وأصبحت جادة غليوم واجهة اللوكسمبور المزخرفة، وباتت جدرانها المتلاصقة ومنازلها الجميلة وابنيتها السكنية رمزاً للتغير المدهش الذي شهدته البلاد التي يبلغ عمرها ألف سنة. وتحيط باللوكسمبور فرنسا وبلجيكا والمانيا الغربية فتبدو مثل نقطة في بحر.

عاش بروسبر كايسر عمراً طويلا سمح له بأن يلقي نظرة خاطفة على مستقبل اللوكسمبور. وقد توفي عام ١٩٥٩ عن ٩٣ سنة. والمستقبل "خلف الباب" بالنسبة الى ماري مارغريت كايسر صغرى أولاده الاربعة (وهي خالة زوجتي) التي ما زالت تعيش في ذاك المنزل في جادة غليوم. وهي اخبرتني ان اناساً من ثماني جنسيات مختلفة على الاقل يعيشون في الشارع الذي تسكن فيه. وعرفتني اليهم، فهم مصرفيون باكستانيون وايطاليون ودنمركيون ومتقاعد من المانيا الغربية ومدرس فرنسي ومترجم بريطاني وديبلوماسي امريكي وسمسار يوناني. واللوكسمبور بالنسبة الى غالبيتهم هي الوطن، وليسوا أبداً في وارد الرحيل.

"ولم الرحيل؟" تتساءل ماري مارغريت، "وأي مكان أفضل من هذا المكان؟"

حقاً، اي مكان أفضل منها! فاللوكسمبور المزدهرة الهادئة تبدو مثل مدينة فاضلة بالنسبة الى أوروبي عاش زحمات السير واضرابات القطاعات الصناعية، في حين لم تشهد اللوكسمبور أي اضراب رئيسي منذ العام ١٩٤٢ عندما تظاهر الشعب بأسره أثناء

الاحتلال النازي احتجاجاً على تجنيد عشرة آلاف شاب في جيش هتلر. ولا تلاحظ حالة فقر ذات بال، كما لا تلاحظ أحياء سكنية بائسة. ولا ترزح البلاد تحت ديون خارجية، وتسجل فيها أدنى نسبة بطالة وأعلى دخل فردي بين الدول الاثنتي عشرة الاعضاء في المجموعة الاوروبية. وموازنة اللوكسمبور تكاد تكون دوماً مستقرة، والتضخم شبه معدوم. واذا أحصيت كلفة المعيشة في المدن الرئيسية الاثنتين والخمسين في العالم لحلت العاصمة اللوكسمبور في المرتبة السادسة والاربعين.

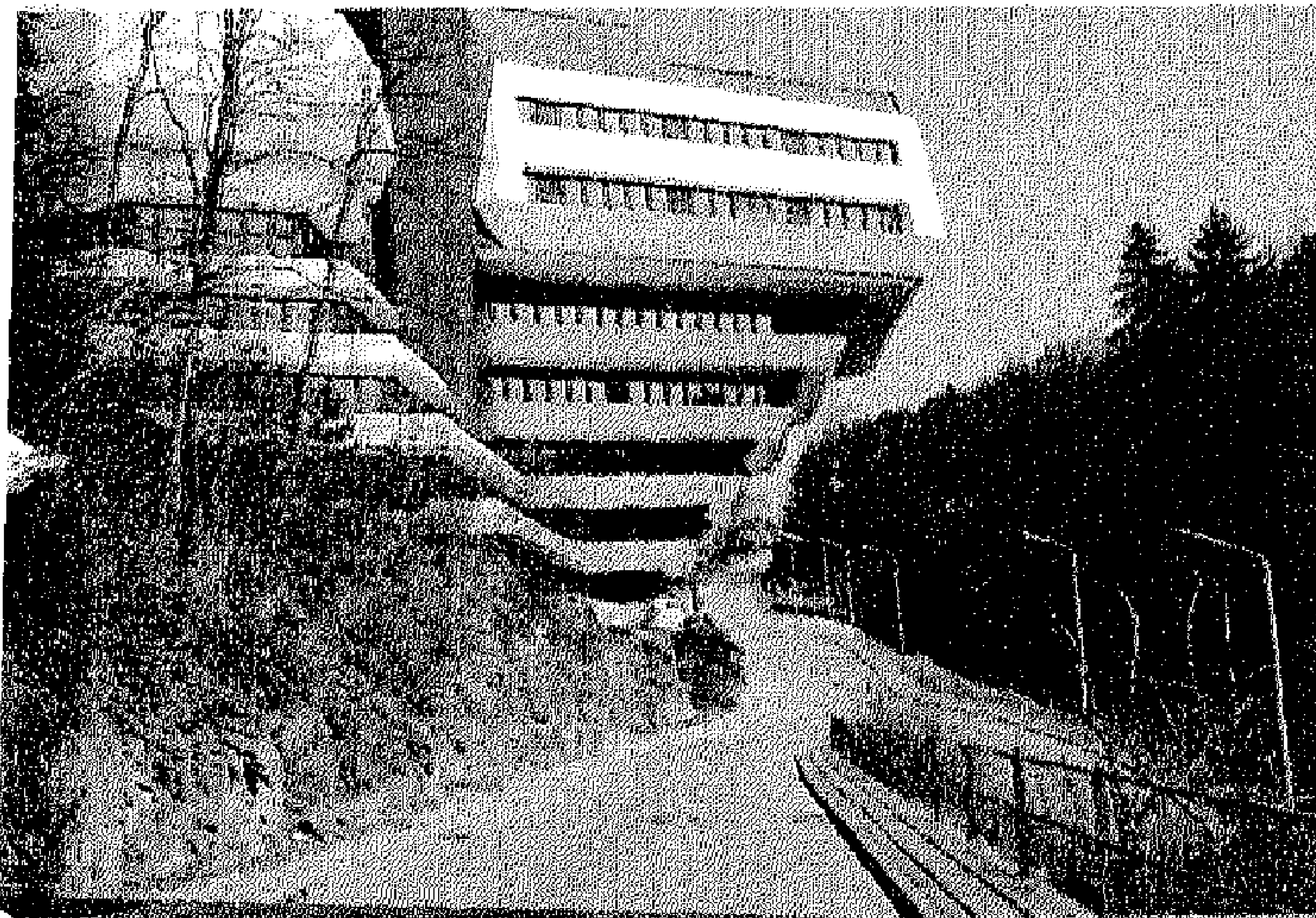
شعب يحب الحياة. كثيرون هم الاجانب الذين أفادوا من مزايا اللوكسمبور النادرة. وهناك منهم الآن ١١٠ آلاف نسمة اي نسبة ٢٩ في المئة من مجموع السكان، وهي أكبر نسبة للاجانب في أي من بلدان العالم. فقد قدم البرتغاليون والايطاليون للعمل في صناعة الحديد والفولاذ التي ترقى الى مئة سنة، وللمساهمة في النهضة العمرانية. ووظفت الدول الاعضاء في المجموعة الاوروبية، واحدى عواصمها مدينة اللوكسمبور (١)، ٨٠٠٠ من مواطنيها لتسيير اشغالها. وأتى مصرفيون من اصقاع العالم وحولوا اللوكسمبور مركزاً مالياً عالمياً يحتل المرتبة الرابعة بعد نيويورك ولندن وزوريخ.

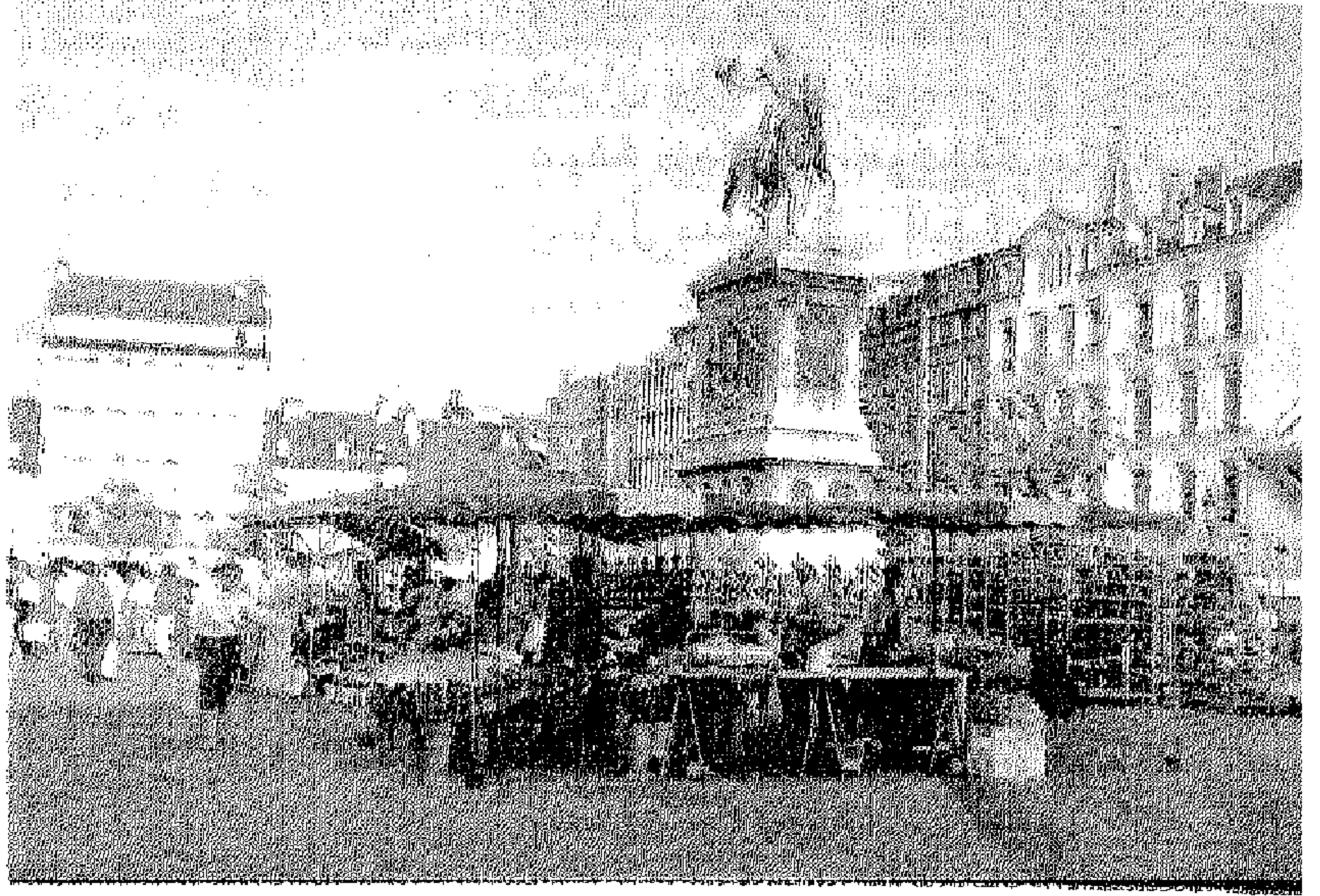
ونظراً الى أن غالبية سكان اللوكسمبور تتكلم الفرنسية والالمانية والانكليزية بالطلاقة التي تتكلم بها لغتها المحلية، فان من السهل أن يوهموا الاجانب بأنهم من سكان دولة اخرى مجاورة. لكن سكان اللوكسمبور لا يفكرون اطلاقا في هذا الامر، فميزتهم القروية تجعلهم أناساً محافظين مطبوعين بالاجتهاد والعناد. الا أنهم ودودون ومحبون للحياة، واكثر ما يظهرون ذلك في سوق القرية وفي الاحتفالات.

ذات يوم في سوق السبت الصباحية التقى مواطن يتذمر من أخدود في شارعه وزير المواصلات. وصادف انهما كانا معاً على مقاعد الدراسة، الا أنّ هذا الامر لم يكن بذي بال، لأن الوزير أصغى الى الكلام حول الاخدود، ودار حوار بين الطرفين تبعته مصافحة سريعة. وبعد ظهر اثنين حضرت فرقة عمل لاصلاح الاخدود.

قال لي رئيس الوزراء جاك سانتيه: "نحن على اي حال شعب ينتمي الى الطبقة الوسطى."

(١) العاصمتان الاخريان هما بروكسل (بلجيكا) وستراسبور (فرنسا).





واللوكسبور التي يسكنها ٣٧٠ ألف نسمة هي آخر غراندوقية مستقلة عرفها التاريخ. ويمكن اجتياز اراضيها، بسلوك أطول الطرق، في ساعة من القيادة المتروية. ومساحتها البالغة ٢٦٠٠ كيلومتر مربع من التلال والمروج الخضر والغابات الكثيفة هي من آثار القرون الوسطى حينما كان الجزء الاكبر من أوروبا منقسماً اقطاعيات وامارات. أما "شهادة ميلادها" التي ما زالت محفوظة، فهي عبارة عن صك مقايضة وقّع عام ٩٦٣ وتملك بموجبه الكونت سيغفريد، من سلالة الآردين، مرتفعاً صخرياً وأرضاً تحوطه حيث شيّد قلعة على الصخر. ومع الوقت أصبح عالمه الصغير مدينة ثم دوقية عرفت باللوكسمبور. واكتسب أسياد اللوكسمبور لقب "دوق." ومكنهم نمو دوقيتهم وازدهارها من اداء دور كبير في أوروبا. وتوج أربعة منهم أباطرة على روما، وكان لها أنذاك أقوى عرش على الارض. واصبحت اللوكسمبور عام ١٨١٥ غراندوقية (٢) الا أن قلعة سيغفريد ظلت محط أطماع كثيرين. وحتى العام ١٨٣٩، عندما نالت اللوكسمبور استقلالها التام، كانت برغنديا واسبانيا وفرنسا والنمسا وبروسيا طالبت بملكيتها أكثر من ٢٠ مرة.



(فوق) يوم السوق في ساحة غليوم.
تحت: مبنى البرلمان الاوروبي في كيركبرغ، المركز الاوروبي. (الى اليمين): البرلمان الاوروبي.

(٢) grand duchy أي دوقية كبرى.

Photos: Lawrence Elliott



أما اليوم فان الغزاة يأتون في شكل سياح. والسياحة هي المرفق الاساسي في اللوكسمبور اذ يؤمها نحو مليون زائر في السنة لمشاهدة كنوزها من مدينة اشترناك التي ترقى الى العصور الوسطى، الى قلعة فياندن التي بنيت في القرن العاشر في عمق غابة الاردين بعدما رممت وعادت اليها عظمتها وشموخها، فوادي موزيل بكرومه الممتدة على مسافة ٤٠ كيلومتراً.

وهناك دائماً حافلة للسيّاح تقف على المرتفع حيث كانت قلعة سيغفريد التي لم يعد شاهداً عليها سوى حجار حزينة غطاها العشب. الا أن المنظر لا يزال محافظاً على روعته.

ها هي المدينة القديمة وقد زاد عدد سكانها فبلغ ٧٧ ألفاً، تتوسط نهرين وتقطعها وهاد عميقة وخليط من جدران الاسوار والابراج وطرق ضيقة وملتوية مرصوفة بالحصى ومنازل مبنية على الطراز القوطي. ويمتد في الجانب الآخر للوادي سهل كيركبرغ حيث تقتلع البطاطا من الحقول وتساق الى "المركز الاوروبي" الدائم الاتساع لأن المدينة أصبحت مركزاً للمصرف الاوروبي للاستثمار ومحكمة العدل الاوروبية ومبنى الامانة العامة للبرلمان الاوروبي بطبقاته الاثنتين والعشرين.

وتقف في الناحية الثانية للشارع جماعة من السياح يسكنها الامل، قبالة مدخل القصر الغراندوقي حيث يقوم جندي بالحراسة. انه بلا شك يوم سعدها، فها هي الابواب الخشبية الثقيلة تُفتح لتخرج منها سيارة "رولز رويس" وداخلها الغراندوق جان (٦٨ عاما) والغراندوقة جوزفين شارلوت، حاكما اللوكسمبور بالوراثة. واذ هما يحييان الجموع تلتقط لهما الصور فيبتسمان ثم تنطلق بهما السيارة. قالت ماري مارغريت بفخر: "انهما لطيفان جدا." وكانت لكزتني في ضلوعي لتتأكد من ألا يفوتني المشهد.

وهم الحياد. عام ١٨٦٧، بلغ النزاع بين فرنسا وبروسيا بسبب اللوكسمبور حد التهديد بالحرب. فتدخلت دول عدة لفض الخلاف بينهما. ويعتبر الحادي عشر من مايو (أيار)، أحد أهم الايام في تاريخ الامة، اذ وقّعت فيه ثماني دول

أوروبية معاهدة دائمة تضمن حياد اللوكسمبور وبقاءها دولة مستقلة.

وخلال نصف القرن التالي صنعت هذه الامة الصغيرة لنفسها مكانة في العالم اعتمدت الى حد بعيد على ازدهار صناعة الحديد والفولاذ. وفي العامين ١٩١٤ و١٩٤٠ أنكرت ألمانيا ضمان احترام حياد الدولة المجاورة لها، وأرسلت جنودا عبر وادي موزيل لاحتلال البلد غير المحمي. فقاوم سكان اللوكسمبور الجنود الالمان بضراوة، وأعدم منهم مئات خلال الحرب العالمية الثانية بتهمة تحدي الالمان.

وبعدما استعادت اللوكسمبور عافيتها كما من مرض فتاك، افاقت من الوهم الذي صور لها الحياد ملاذاً من الاعتداءات. وعندما قام حلف شمال الاطلسي على اساس الدفاع المشترك بين اعضائه كانت اللوكسمبور بين الدول الاولى التي وقعته.

أصبح سكان اللوكسمبور، في الواقع، اصحاب التفكير الاكثر شمولية بين الحلفاء الغربيين. فقد كانوا اعضاء مؤسسين للامم المتحدة ومشاركين في مشروع "مارشال" الذي أحيا الاقتصاد الاوروبي المنهار بعد الحرب بواسطة أموال ومعدات من الولايات المتحدة وجهد شاق في الداخل. وفي العام ١٩٤٨ شكلت اللوكسمبور مع هولندا وبلجيكا اتحاد "البينيلوكس" (٣) القائم على الوحدة الجمركية، فكان بمثابة مثال ومختبر للمجموعة الاوروبية. وقد قدمت اللوكسمبور في أوائل الخمسينات مقراً لمجموعة الفحم والفولاذ الاوروبية في حين لم يكن احد واثقاً من نجاح مغامرة الاتحاد الاوروبي هذه. اما اليوم فإن اللوكسمبور تشارك في اكثر من ستين منظمة دولية تفوق حجمها بكثير.

ويقول رئيس الوزراء سانترز: "ليس في وسع دولة صغيرة ان تتيح لنفسها ترف العيش وهي مقوقعة." واضاف: "علينا ان ننفتح على الخارج، وفي اعتقادنا ان كل ما هو لمصلحة اوروبا هو ايضا لمصلحتنا."

وشعار اللوكسمبور هو: "نريد ان نبقى على ما نحن فيه." ولكن ما هم فيه الآن مغاير تماماً لما كانوه قبلا. فأكثر من ثلث المقاعد الدراسية في الابتدائيات يشغله أولاد الاجانب لأن نسبة الوفيات ظلت، خلال عقدين، تفوق نسبة الولادات. وتشكل نسبة الولادات التي تبلغ ١١ في الالف، كارثة في ذاتها وهي احدى النسب الاكثر انخفاضاً في العالم. ويرى غاستون تورن الذي كان سابقا رئيساً للوزراء ورئيساً للجنة الاوروبية ان "هذا الميل الى الانتحار الجماعي" هو مشكلة شعبه الاكثر خطورة لأن من شأنه ان يرجح امكان تحول سكان اللوكسمبور اقلية في بلادهم.

وعلى رغم ذلك، فقد ارست روح الوفاق التي تجلت على الصعيد الاجتماعي وفي علاقات العمل وفي السياسات، بنية اجتماعية صلبة.

حكمت اللوكسمبور، منذ الحرب، ائتلافات حزبية ولم يسجل اي نزاع حول التوجهات السياسية. ويطلق البعض على هذه الائتلافات عبارة "المثال اللوكسمبورجي." ويضيف وزير الخارجية

(٣) Benelux. والكلمة دمج للحروف الاولى من الأسماء الاجنبية للدول الثلاث.

جاك بور: "اعتدنا، كبلد صغير، العمل الجماعي وانجاح الحلول كما ان المصلحة الوطنية تأتي في طليعة اولوياتنا تليها المصالح السياسية."

عندما بدأت صناعة الفولاذ بالتراجع مرت روح الوفاق بامتحان صعب ولكنها نجحت في رد التحدي بفضل التعاون الذي تم بين ادارة شركة "اربيد"، وهي اكبر مصنع للفولاذ في اللوكسمبور وممثلين عن القوة العاملة في المصنع اضافة الى مندوبي الحكومة. وكان العمال اعلنوا الاضراب لكن غياب الاتحادات النقابية مكّن ادارة المعمل والحكومة من منح الموظفين تقاعداً مبكراً ومن استخدام آخرين في مشاريع اعمار ضمن الشركة وخارجها، وبذلك تم تفادي صرف العمال او الاتكال على اعانات الدولة. ويعمل في صناعة الفولاذ اليوم اقل من نصف الذين عملوا في المصانع قبل ١٥ سنة وكان عددهم ٢٧ الفا، الا ان شركات في قطاع الخدمات عوضت هذا النقص.

ويظل العمل المصرفي النشاط الاهم في اللوكسمبور، فتشكل مصارفها المئة والاربعون مجتمعة والتي استقر عدد كبير منها في أبنية فضية انيقة اصطفت على طول البولفار رويال، اكبر مستخدم (قرابة ٨٪ من القوة العاملة) واكبر دافع للضرائب. ويصل مجموع موجوداتها الى ٢٥٠ مليار دولار، اربعة اخماسها مصدرها الخارج. ويظهر التأثير المتفاوت لحركتها الناشطة في قطاع الفنادق الجديدة والوظائف والنهضة العمرانية.

كيف استقطبت اللوكسمبور هذه الثروات؟

عام ١٩٦٧ قرر مصرف درسدنر الالماني الغربي اللحاق بزبائنه المصدرين الى الخارج. وتبين له ان هناك اسباباً وجيهة تقضي بافتتاح فرع له في اللوكسمبور حيث لا تشكل اللغة اي عائق وحيث الحكومة مستقرة وقادرة والقوانين المصرفية مرنة. وقد لاقى هذا التفكير صدى ايجابياً فحذت حذوه مصارف اجنبية اخرى.

والاعمال المصرفية الخاصة ليست سوى جزء من المهنة. فهنالك الاستثمارات والقروض الدولية والودائع المشتركة والسندات المالية. وقد امنت الحكومة الاجواء الملائمة للعمل المصرفي: قوانين صارمة حول السرية المصرفية وعدم فرض احتياطات نقدية خانقة على المصارف وعدم سن ضرائب مرتفعة فضلا عن اعفاء ارباح الاستثمارات من الضرائب. انها اللوكسمبور، الجنة الصغيرة.

لورنس اليوت ■



قال أحدهم لصديقه:
"ان كتاب عمر الاخير رائع حقاً."
– ولكنك قلت لي أنه لم يعجبك!
"لأنني لم اكن قرأت آراء النقاد بعد."

ا.ل.

قصة قصيرة

الدبّ الهلالي

حازت هذه القصة جائزة "حكايات الطبيعة" وهي مهداة الى حيوان مهدد بالانقراض في ايطاليا

عاش مينيكو وهو طفل مع والديه في كوخ محجوب بالاشجار عند سفح جبل ميبيلا. هناك تمتع بحياة حرة سعيدة مع الحيوانات البرية كأصدقاء ومع الطبيعة البكر كساحة خلفية للكوخ. علمه أبوه، حارس الصيد، أن ليس ثمة حيوان "شرير": بعض الحيوانات يهاجم الناس، ولكن اذا ما كان جائعاً فحسب. لذلك لم يخف مينيكو عندما لمح ذات يوم مجموعة من الدببة في قيلولة عند حافة جدول على بعد خطوات منه. الدبان الصغيران كانا يتقلبان على العشب في عراك مجوني أمام عيني أمهما المتغاضيتين. اختبأ مينيكو وراء عليقة لانه كان يعلم أن الام سريعة الانفعال لدى رؤية شيء غير مألوف.

عندما همّت الدببة أخيراً بالرحيل تبعها مينيكو متخفياً واكتشف وجرها. وكثيراً مًا عاد الى هناك ليراقبها. عرف كيف تقود الام جرويها الى مكان وجدت



ليلة في الغابة

فيه طعاماً وفيراً: قرص شهد بعسل بري أو شجيرة ريانة البراعم أو حجراً تتجمع تحته ديدان كبيرة.

أحب مينيكو، أكثر ما أحب، الجرو ذا الرقعة الهلالية على صدره. هذا الجرو كان الاكثر مجوناً، يسره أن يركب ظهر امه حين تكون ممددة مستكنة. وعندما تتأهب أمه لقصاصه على ذنب اقترفه يميل برأسه الى احدى كتفيه .ويغطي عينيه بكفه مسترئفاً.

في هذا الوضع كان هزلياً الى حد أن مينيكو كاد يعجز عن كبت ضحكه.

في مدرسة القرية تعلّم مينيكو أشياء كثيرة. ميز على الخريطة الجبل حيث يسكن، واكتشف ان بلاده ايطاليا يحكمها ملك. وهكذا تملكه الانفعال عندما أعلن ابوه أن ابن الملك سيتسلق الجبل في اليوم التالي. لكنه عندما عرف أن سبب الزيارة صيد دببة ورأى والده يجلو بنادقه أحسّ غصة في حلقه. سأل والده: "لماذا يريد الامير قتل الدببة، فأنت تخبرني دائماً أنها لا تؤذي احداً وان الحيوانات جديرة بالاحترام."

أما أبوه فكان عاكفاً على التحضير للزيارة، ولا وقت عنده له.

تلك الليلة ظل مينيكو أرقاً وقلقاً، همه كيف ينقذ الدببة من بندقية الامير. وفي الصباح التالي بينما كان يغادر المنزل الى المدرسة حذره أبوه: "عندما تعود لا تسلك طريق الغابة، فالصيادون قد يخطئون فيصطادونك. خذ الطريق الطويلة وانتظر في متجر روزولينو. سآتي واصطحبك عندما ينتهي الصيد."

اذ توارى مينيكو انحرف عن الطريق وتوجه نحو وجار الدببة. كان يخبىء في محفظة كتبه كرة مطاطية واناءين من العسل. اضطجع قرب الوجر ينتظر. حان وقت الاكل وتحركت الدببة متثاقلة نحو الطريق الرئيسية التي سيسلكها الامير وصحبه. وفي صعودها مرت بمينيكو صفاً واحداً. وكالعادة، كان الدب الصغير الهلالي الماكر في مؤخر الصف.

عندما مر الجرو قذف مينيكو الكرة بين قوائمه. وقف الهلالي وشم هذا الشيء غير المألوف. واذ تدحرجت الكرة على المنحدر تبعها مسروراً باللعبة الجديدة. تبعه مينيكو مغتبطاً لانه فصل الهلالي عن البقية. فجأة اختفت الكرة في وهدة. حينذاك رأى الهلالي مينيكو.

وقف الصبي والدب الصغير لحظة يحدق كلاهما الى الآخر، ثم أخرج مينيكو اناء العسل بحذر من محفظة كتبه وفتحه وقدمه الى الهلالي. التهم الدب العسل فيما مينيكو يكلمه بصوت ناعم. وعندما انتهى رفع خطمه كأنما يريد مزيداً. لكن مينيكو لوّح بالاناء الباقي ليقود الدب بعيداً عن الصيادين. توجه نحو قمة الجبل آملا ألا يجازف الامير الى ذلك الحد.

لم تمض على تسلقهما ساعة حتى سُمع وابل من الطلقات النارية. وقف مينيكو مغموماً، وأكل الدب العسل في الاناء الثاني غير دار أنه بات يتيماً. ركض مينيكو صعوداً في الجبل وهو على شفير البكاء. وتبعه الدب الهلالي آملا المزيد من العسل. بدأت الاشجار تخف

Condensed from «Menico e L'orso Mezzaluna» by Armanda Capeder from NATURE TALES by Armanda Capeder and Marisa Rusconi, copyright © 1987 by Gruppo La Giraffa, published by Gruppo La Giraffa, Milan. Illustrations: Remo Berselli

تدريجاً، فوقف مينيكو متحاشياً أن يدرك في العراء. اضطجع على صخرة كبيرة دافئة بنور الشمس وغفا.

حين استيقظ مينيكو كانت الشمس تغيب والظلال تتطاول على الطحلب الناعم. تملكه الخوف عندما فكر في والديه المغمومين اللذين اذا لم يجداه في متجر روزولينو راودتهما كل الافكار المخيفة. لم يشأ أن ينطلق وسط الغابات في الظلام ويتعرض للسقوط في الوهاد. فتش عن الهلالي، لكن الدب كان اختفى.

اكتشف مينيكو أن الصخرة كانت طنفاً فوق كهف صغير. أسرع الى الداخل لانه كان خدراً من البرد. والشعور بفراغ معدته زاد كربه.

وغلبه النعاس. فحلم أن عائلة الدببة واقعة في بركة كبيرة من الدم وأعينها تحدق اليه وملؤها اللوم لانه أخفق في انقاذها. لكن كابوسه تحول بعدئذ شعوراً حاراً بالخير اذ حلم أخيراً أنه في فراشه تحت لحاف ناعم وأمه تدلله وتبتسم.

ولما فتح عينيه رأى نور الصباح الذهبي. ثم أحس شيئاً ناعماً دافئاً مضطجعاً الى جانبه. انه اليتيم الهلالي. تملك الصبي شعور بالحنو العميق ممزوج بالفخر لانقاذه صديقه وبالشفقة على مصيره.

نظر الصبي والدب كل الى الاخر، ومينيكو موقن أن الدب كان يبتسم. زحفا من الملجأ الموقت ونزلا على المنحدر معاً. وفي منتصف الطريق حرن الدب رافضاً الذهاب الى أبعد. أما مينيكو فتابع نزوله الى أسفل الجبل وحده.

قرص عسل

مرت سنوات. وكبر مينيكو وأصبح حطاباً. ثم تزوج وأدار منشرة ورثتها زوجته. ورزقا ثلاثة أولاد توجهوا عندما كبروا الى المدينة. ثم توفيت زوجة مينيكو فبات وحيداً.

احتاج الى مبلغ من المال ليساعد بنيه، فباع المنشرة وتقاعد في الكوخ الصغير في الغابة حيث ترعرع. وبين الفينة والفينة كان بنوه يأتون لزيارته. وكان حارس صيد جديد يعيش في جواره، وقد اهتم بتأمين حاجات مينيكو.

بعد صدور قرار رسمي، لم تعد ثمة حفلات صيد في الغابة. ولكن ظل هناك لصوص ينتهكون حرمة الارض، لكن حارس الغابة كان لهم بالمرصاد.

وذات يوم من أيام الشتاء الباردة تطلّع مينيكو من نافذة المطبخ فشاهد دباً ضخماً يبحث عن شيء يأكله. حينذاك استدار الدب فعرفه مينيكو من الرقعة البيضاء على صدره البني. واذ لم يستطع ضبط عواطفه فتح النافذة ونادى بنعومة: "أيها الهلالي، أهذا أنت حقاً؟ لامر مدهش أن أراك ثانية!"

دار الدب مهمهماً وخطا بضع خطوات نحو مينيكو ثم وقف ساكناً. وفجأة أدى تلك الحركة الهزلية التي يتذكرها مينيكو جيداً: حنى رأسه وستر عينيه كمن يفتش في ذهنه عن ذكريات منسية.

التقط الرجل العجوز قصعة وسكب فيها حساء البطاطا الذي كان هيأه لنفسه. أترى الهلالي عرفه حقاً بعد كل هذه السنين؟

كان مينيكو موقناً أنه عرفه، لانه قبل

أن يغطس خطمه في القصعة نظر اليه وفي عينيه بريق.

منذ ذلك اليوم كان الدب يرجع ليقتات في المنطقة المحيطة بكوخ مينيكو. وكان دائماً يجد بعض الطعام في انتظاره. لكن مينيكو احتفظ بسره. أما حارس الصيد فدهش اذ لاحظ أن شهية مينيكو ازدادت، خصوصاً في الشتاء عندما كان يطلب ضعفي الطعام الذي اعتاد أن يأكله أو ثلاثة أضعافه.

بعد سنتين حل شتاء مخيف طمر كل شيء تحت ثلج عميق. ولبضعة أيام لم يتمكن حارس الصيد من الحضور الى كوخ مينيكو، لكنه كان يعلم أن حجرة المؤونة لدى الرجل العجوز كانت مجهزة جيداً.

وأثناء موجة البرد الطويلة مرض مينيكو. وأصيب بحمى وبسعال حاد رافقه ألم عظيم في صدره وظهره. في الايام القليلة الاولى تدبر أن يصنع بنفسه طعاماً قليلا. لكنه بعد ذلك وجد صعوبة في الخروج من الفراش. وبعد ظهر ذات يوم غفا بعض الوقت ثم استيقظ على ضجيج عند الباب. فاستجمع ما تبقى من قوة لديه وتوجه نحو الباب فاذا بالهلالي أمامه. أومأ اليه مينيكو بالدخول، ثم عاد الى فراشه مضنى ونام.

استيقظ مينيكو وقد شعر بثقل على الغطاء. واذ فتح عينيه لمح الهلالي منتصباً عند قائمة السرير. ثم خفض نظره فرأى قرص شهد مملوءاً عسلا في متناوله. فأدرك فجأة أن الهلالي جلبه. أما كيف عثر على هذا الكنز تحت البساط الثلجي، وكيف قاوم الاغراء فلم يزدرده، فذلك ظل سراً غامضاً.

ساير مينيكو صديقه فغمس اصبعه في قرص الشهد ولعقها. ولكن حتى هذا العمل البسيط كان مضنياً، فخارت قوته وعاد الى سابق حاله من السبات.

في اليوم التالي توقف سقوط الثلج، وطلعت الشمس تنير الغابة. وعند هبوط الظلام ذهب حارس الصيد الى كوخ مينيكو حاملا بعض الطعام. ولما وصل لاحظ أن لا دخان يخرج من المدخنة، وان أمام الباب المفتوح على مصراعيه آثار أكفّ دب بلغت داخل الكوخ.

ارتعب حارس الصيد وتطلع حوله فرأى مشهداً غريباً:

في الاشعة البراقة للشمس الغاربة لمح جسمين يسيران نحو الافق، أحدهما يشبه مينيكو العجوز والآخر يشبه دباً ضخماً يتحرك متثاقلا. نظر حارس الصيد شزراً: هل ما يراه حقيقة أم خداع بصر؟ أما الجسمان البعيدان فصارا شفافين كأنما هما مغلفان ببخار لماع، ثم تواريا معاً يكتنفهما شعاع من نور.

أرماندا كابدير ■



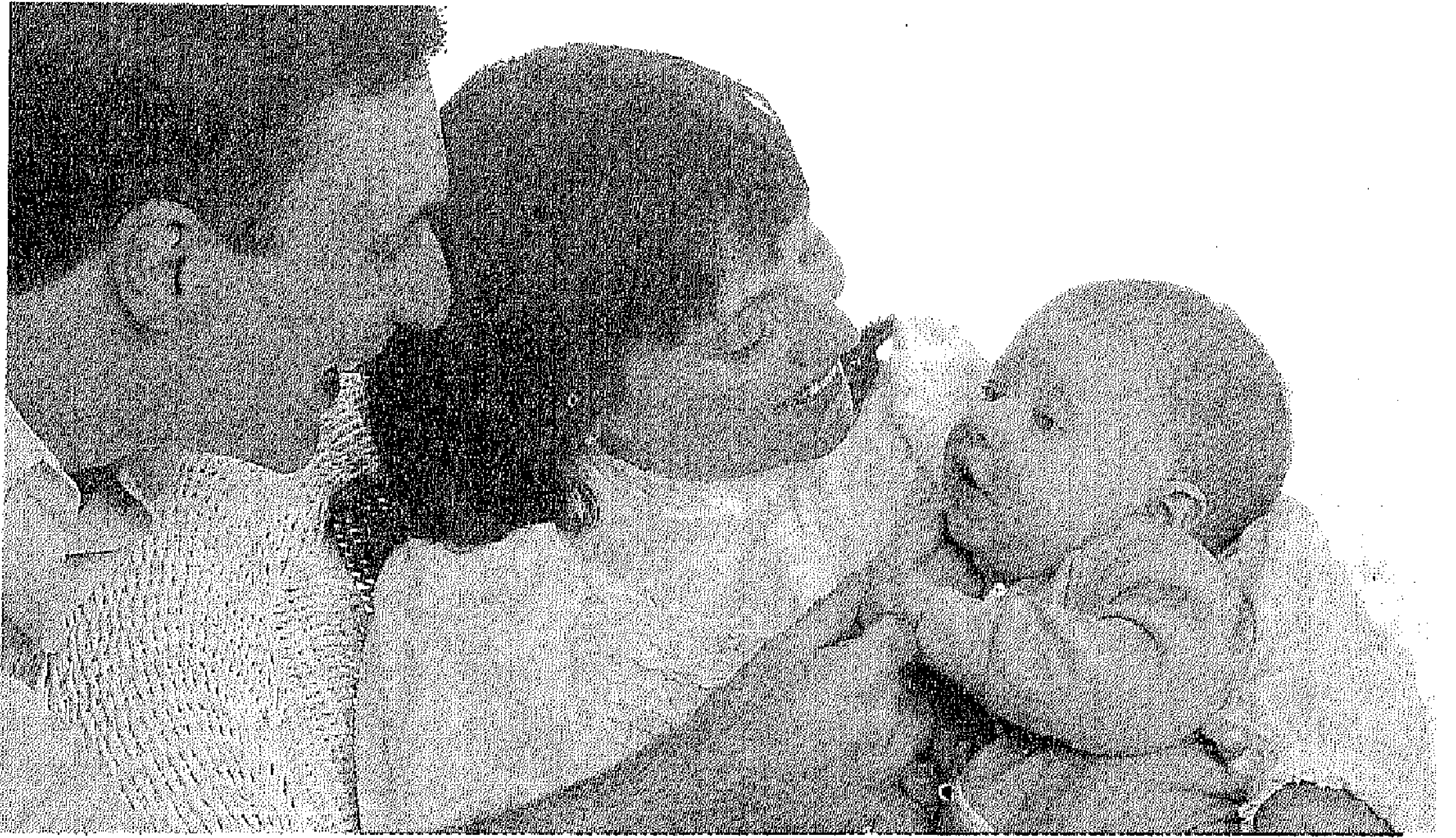
والد "متفوق"

قال طفل لابيه وهو يراجع معه كتاب التاريخ: "بالطبع كنت متفوقاً في "التاريخ" فقد عايشت معظمه."

هـ.ي.

من أجل إنجاب أطفال أصحّاء

نصائح مفيدة وحاسمة لكل زوجين يخططان للانجاب
تقدمها عيادة خاصة بشؤون الابوة والامومة



كانت جين في الثامنة والثلاثين من عمرها عندما تزوجت ريتشارد الذي كان في الاربعين. وكانت تتوق الى أنجاب طفلٍ لكنها خشيت أن تنجب في سنّها طفلاً مصاباً بداء "داون" (١).

والاطفال المصابون بهذا الداء متخلفون عقلياً بدرجات متفاوتة. ويمكن تشخيص حالهم عند الولادة استناداً الى علامات مميزّة: عينين مائلتين وقصبة أنف عريضة وأطراف رخوة مترهلة. ويرافق هذه الاعراض احياناً اختلال في القلب والامعاء. أما السبب فهوَ خلل في الكروموزوم (٢) ومن العناصر المؤثرة فيه سنّ الأم. من هنا كانت خشية جين وقلقها.

---

(١) Down's syndrome

(٢) الكروموزوم أو الصبغي جزء من كتلة في نواة الخلية تحمل الخصائص الوراثية.

Photo: Westlight/ lee White

وهو قلق يشاطرها فيه عدد كبير من النساء اللواتي يخططن للامومة بعد السن الرابعة والثلاثين. وهن غالباً نسوة توانين عن الانجاب ريثما تستتب أعمالهن وتتوطد أوضاعهن المهنية. ولكن كلما طال التأخير ارتفع احتمال انجابهن أطفالاً مصابين بداء "داون." فالخطر بالنسبة الى امرأة جاوزت الاربعين هو واحد في المئة، ويرتفع الى واحد في الخمسة والستين عندما تكون المرأة في الخامسة والاربعين من عمرها.

اختيار الوقت. بالنسبة الى جين، لم يتعدَّ الخطر الواحد في الثلاثمئة، وهو احتمال جعلها وزوجها ريتشارد يمضيان قدماً في فكرة الانجاب. وهي علمت أنها ستخضع في الاسبوع السادس عشر من الحمل لفحص نخطي (٣) تؤخذ فيه عيّنة من السائل الذي يملأ السلى ويحيط بالجنين. ومن الخلايا التي يطرحها الجنين في هذا السائل يمكن تعيين نمط الكروموزوم. وكم كانت فرحة جين عظيمة عندما جاءت نتيجة الفحص طبيعية. وهي انجبت في الأوان الطبيعي صبياً سليماً معافى.

تؤكد تجربة جين الحاجة الملحّة الى نصائح متصلة بالحمل. ومن شأن تلك النصائح إما طمأنة النساء الساعيات الى الامومة وإما تحذيرهن من عواقب محتملة. وبحسب العرف المتبع، لا تبدأ العناية الطبيّة بالنساء المقبلات على الامومة إلا عندما تبدأ الحامل التردد على عيادة التوليد، وهي لا تفعل ذلك إلا بعد عشرة أسابيع أو ١٢ أسبوعاً من بدء الحمل. وهو وقت متأخر جداً، إذ يكون الشذوذ الخلقي ترسّخ وقضي الأمر.

ما يهمني هو درس الخطوات التي يمكن اتخاذها قبل الحمل للحدّ من مصادر الخطر الفعلي في الولادة.

في العام ١٩٧٨ أنشأتُ احدى أولى عيادات الحمل داخل المستشفيات في العالم، وكانت في البدء في "مستشفى الملكة شارلوت" في غرب لندن وهي حالياً في "مستشفى سانت جورج" في جنوب لندن. والهدف منها تهيئة الوالدين، نفسياً وجسدياً، للانجاب. وتشمل خدماتها تربية صحية وخدمات طبيّة لمعالجة المشكلات المحددة.

عزمتُ منذ البدء على استقبال الزوجين مجتمعين، لأن وجودهما معاً يساعد في الحؤول دون بعض الالتباسات ولا يترك مجالاً لاحدهما ليلقي باللوم على الآخر.

صحّة الزوجة مصدر قلق شائع بين الازواج. فهي قد تشكو من مرض في القلب أو الكليتين أو من صرع أو من داء السكري. كانت ماري، مثلاً، مصابة بتقرح في القولون (٤) وتعالج بالكورتيزون ومشتقاته وعقاقير قامعة أخرى. وكما جرت العادة عندما يتضمن العلاج أدوية ربما أثّرت في الجنين، عمدنا الى استشارة الطبيب الاختصاصي الذي وافق على خفض كميّة الكورتيزون وإلغاء جميع العقاقير الأخرى في فترة محاولة الحمل التي لم تطل أكثر من شهرين.

إلا أن حال ماري ساءت بعد أربعة

---

(٣) Amniocentesis
(٤) Ulcerative colitis

أشهر من الحمل. واضطرت الى معاودة تناول العقاقير، ولكن بعدما كانت جميع أجهزة الجنين وأعضاؤه اكتملت وأصبحت في منأى من التشوه الذي قد تحدثه العقاقير. وبعد حمل طبيعي أنجبت صبياً.

قد تظهر الفحوص التي تطلبها العيادة حالات في الدم تستدعي علاجا خاصاً. فمشكلة اختلاف فئتي الدم، مثلاً، قد تعترض أي زوجين فيما داء الخلايا المنجليّة (٥) متفشٍ بكثرة بين الجماعات العرقية الآتية من افريقيا وجزر الكاريبي. وإذا حمل كلا الزوجين هذا الخلل في كريات الدم الحمراء فإن احتمال انجابهما طفلاً يعاني اختلالاً خطيراً في الدم هو واحد من أربعة.

عنصر خطر تكتسب الاستشارات في موضوع الوراثة أهمية متنامية في العناية بالمرأة الحامل. ففي ضوء معلومات يجمعها الاختصاصي بعلم الوراثة حول التاريخ الطبي لعائلتي الزوجين وصولاً الى أجدادهما، يصبح في الإمكان تنبيه الأزواج المعرّضين لانجاب أطفال معتلين الى الاخطار المحتملة التي قد يواجهونها، مثل الشق الخلقي في سقف الحلق والتليّف الكيبيسي (٦).

والخطر الذي يواجهه بعض الأزواج كبير الى حد أنهم يؤثرون عدم الانجاب ويلجأون الى وسائل حاسمة لمنع الحمل قد تصل الى التعقيم. ولا شك في أن ذلك قرار مفجع، لكن الزوجين في هذه الحال أعطيا على الاقل فرصة لدرس الاحتمالات وأخذ القرار المناسب. ولو اختارا المضي في الحمل، لعلما لاحقاً من فحص ما قبل الولادة أن الجنين مشوّه جداً ولكان خيارهما إما انجاب طفل معاق جداً واما اسقاط الجنين، وهذا حلّ غير مقبول لدى فئات كبيرة من الناس.

تفكير متقدم العاهة الاشدّ إيلاماً هي تلك التي يمكن تجنبّها. وهذا ما حصل مع دينا وهي مدرّسة شابة في روضة أطفال. وكانت بحكم عملها تحتك دائماً بأطفال مصابين بالحصبة الالمانية، لذلك نصحت بأن تأخذ لقاحاً يكسبها مناعة ضد هذا المرض قبل أن تفكّر في الانجاب. لكنها لم تأخذ بالنصيحة. وحملت في سنة دراسية أصيب خلالها معظم تلاميذها بالحصبة الالمانية. وكان أن أنجبت طفلاً أصمّ.

ان السن المثالية للانجاب هي بين العشرين والخامسة والثلاثين. واستعداداً للحدث وللمحافظة على اللياقة البدنية، على الأزواج المقبلين على الانجاب أن يمارسوا تمارين رياضية منتظمة مثل المشي والركض والسباحة وكرة المضرب.

وقبل كل شيء آخر عليهم أن يختاروا طعامهم بعناية، وليس كما فعلت هيلين التي راحت تتناول ليتراً من الحليب يومياً لأنه "يحتوي على الكلسيوم وكثير من الفيتامين." وتساءلت بعد ذلك لماذا ازداد وزنها ثلاثة كيلوغرامات. وفي عيادة الحمل قيل لها ان قطعة من الجبنة تمدّها بكل ما تحتاج اليه من الكلسيوم. فتوقفت عن تناول الحليب وعاد وزنها طبيعياً قبل أن تحمل.

---

(٥) Sickle cell disease

(٦) Cleft palate; cystic fibrosis

ويجب أن تتضمن الحمية المغذية، قبل الحمل وخلاله، مقداراً كافياً من البروتيين الذي توفره شرحة لحم أو سمك تتناولها الحامل يومياً، اضافة الى الطعام الخشن (٧) والفيتامينات المتوافرة في الفاكهة والخضر. وعليها أن تقلل من تناول الطعام الدسم والغني بالنشاء لأنه لا يساعد في نمو الطفل بل يكسو جسد الام بالشحم.

اهتمام واجب. هناك أدلة واضحة على أن التدخين يقلل من خصب المرأة والرجل. ولقد تبيّن أن نسبة الاصابة بخلل في السائل المنوي هي أعلى بين الرجال المدخنين. واحتمال ولادة أطفال دون الوزن الطبيعي أعلى بين النساء المدخنات. وقد لا يسترد هؤلاء المواليد ما خسروه جسدياً وعقلياً، كما أظهرت إحدى الدراسات الحديثة.

وتبيّن من مقارنة عشرة آلاف طفل في السن السابعة والسن الحادية عشرة، أن المولودين لامهات مدخّنات هم دون أترابهم مهارة عامة وقدرة حسابية وفهماً للقراءة. كما أنهم أقصر قامة.

وتعاطي الكحول بكثرة في فترة الحمل الباكرة يترك أثراً ضاراً جداً في طول قامة الطفل ووزنه، وقد ينتج منه خلل في القلب أو شلل دماغي او تخلف عقلي. وتكون الحالة مأسوية أكثر عندما تسترسل المرأة في حياة من السهر والشرب غير عالمة أنها حامل، ولا يتأكد حملها إلا بعد فوات الاوان حين يكون الضرر حصل ولا يمكن إصلاحه.

ولقد أظهرت دراسة حديثة تناولت ٣٢ ألف حامل أن نسبة الاسقاط بين الشهرين الثالث والسادس تتضاعف لدى النساء اللواتي يتناولن كأسين من الشراب الكحولي يومياً، وتصبح ثلاثة أضعاف لدى من يتجاوزن هذا المقدار. ان التدبير المأمون في الفترة الباكرة من الحمل هو عدم تناول الكحول على الاطلاق.

وتناول الكحول، مثل التدخين، قد يلحق بالسائل المنوي أذى بالغاً يمكن الحدّ منه إذا امتنع الرجل عن التدخين والشرب. فان "البذرة" السليمة غير المتأثرة بالنيكوتين والكحول تتمتع بحظ أفضل في الاخصاب المثمر.

المرأة العاملة. شهد العقد الماضي تغيراً كبيراً في الموقف من الامومة. فعدد كبير من النساء الحوامل اليوم يعملن خارج المنزل ويتابعن عملهنّ الى آخر الحمل، الى الاسبوع الثامن والثلاثين أحياناً.

على المرأة العاملة المقبلة على الامومة أن تدرس الطرق الفضلى للتخفيف من الاجهاد، لان ذلك يؤثر في تدفق الدم الى المشيمة ويقلل كمية المغذيات والاوكسيجين التي يتلقاها الجنين. فاذا كان عليها، مثلاً، أن تركب قطاراً مكتظاً كوسيلة للانتقال الى مكان عملها، فيجدر بها أن تعيد تنظيم أوقات عملها على نحو يجنبّها ساعات الازدحام الخانق. بعض النساء يحققن ذلك بالانتقال الى أعمال تتسم أوقاتها

(٧) Roughage. وهو طعام يثير بخشونته التمعج اللاإرادي في جدران الامعاء، مثل النخالة وقشور الفواكه الغنية بالسلولوز.

بالمرونة. واحدى معارفي ضحّت بجزء من دخلها السنوي لتنتقل الى وظيفة قريبة من منزلها.

ان في وسع أي زوجين يسعيان الى الانجاب الحصول على مشورة في كل المستويات. وإذا رغب الزوجان في معرفة تأثير الحمل في مشكلة طبّية موجودة، أو تأثير المشكلة نفسها في الجنين، فيمكن تحويلهما الى إختصاصي بطب التوليد لأخذ رأيه في الموضوع.

مثالياً، يبدأ التحضير للابوة والامومة في المدرسة كجزء من الدراسة لتعليم أصول الحياة الصحيّة. وانني على يقين أنه عندما تصبح العناية بالحامل ذات قيمة معترف بها عالمياً، فإن تأثيرها في خفض الخسارة الناجمة عن الاسقاط والوفاة الباكرة سيضاهي التأثير الايجابي الذي أحدثته في الماضي فورة العناية بالطفل وبالأم بعد الولادة.

ومعنى ذلك أبوة وأمومة أسعد وأطفال أفضل وأقوى.

البروفسور جيفري شامبرلين■



التحدي محك الرجال

يعتبر الممثل الهزلي دايفد برنر الحياة مغامرة كبرى. ويتذكر: عندما خدمت في الجيش كنت اسافر الى كل بلدان اوروبا من مركزي في شتوتغارت بالمانيا الغربية. وذات صباح، بعد ان ابتعت تذكرة سفر بالقطار الى روما، شاهدت القطار ينطلق من الطرف الآخر للمحطة فعدوت خلفه. وكان يقف على منصة الحافلة الاخيرة فيه رجل أومأ الي أن اناوله حقيبتي، ففعلت.

لكن القطار اخذ يتسارع فيما الارهاق أخذ مني كل مأخذ. فنظرت الى الرجل وشاهدت على وجهه بسمة متكلّفة. فلسوف يحصل على مقتنيات جديدة في حال عجزي عن اللحاق بالقطار. لذا بذلت قصارى جهدي حتى امسكت بالدرابزون ورفعت جسمي فوق الدرجة السفلى. آه، لقد فزت!

احيانا يكون عدم ايمان الغير بك حافزاً لك على بلوغ هدفك.

أ.هـ.

اغراء منعش

كنت اتدرب على الادارة في مخزن لبيع السمانة وكان عملي ينطوي جزئيا على مراقبة ثلاجات الاطعمة المجلدة والبحث فيها عن سلع يتركها الزبائن خلفهم. ومرة شاهدت امرأة تروح وتجيء منحنية فوق برّاد البوظة (الجيلاتي)، ثم تسترق النظر يساراً ويميناً فترمي بشيء ما داخل البراد ثم تسحب منه علبتين كبيرتين من البوظة وتغادر المكان بسرعة. فقصدت لاخرج ما رمته، فوجدت مكان العلبتين ظرفين من الهُلام (الجيلاتين) المنخفض الوحدات الحرارية ومجلة متخصصة في الحميات الغذائية.

ب.ث.م.



لقية قيِّمة جمعت رجلين نبيلين

الحقيبة المسروقة

ناداتوبو ياماموتو نائب رئيس الفرع الياباني لشركة "ايتون"، ومركزه طوكيو. لكنه، من وقت الى آخر، يزور الولايات المتحدة.

في رحلة الى شيكاغو حجز في فندق "دريك". وبينما هو في ردهة الاستقبال ينتظر في الصف لتسجيل اسمه وضع حقيبته على الارض. واذ تحرك الصف الى الامام مد يده لأخذ الحقيبة، فلم يجدها. كان داخلها ١٢٠ ألف ين وجواز سفره وبطاقات اعتماد وتذكرة سفر للعودة وصور لعائلته.

ارتعب ياماموتو وأبلغ الامر الى رجال أمن الفندق، ففتشوا عن الحقيبة لكنهم لم يعثروا على أثر لها. واستنتج ياماموتو على مضض أن أحداً سرقها. وبمساعدة شركته والقنصلية اليابانية في شيكاغو تمكن من العودة الى طوكيو.

بعد ثلاثة أسابيع من عودة ياماموتو الى اليابان جاءه البريد بظرف ضم بطاقات الاعتماد وتذكرة السفر وسواها من الاغراض الشخصية. وأظهر العنوان أن المرسل هو السيد جوزف لوفيراس من شيكاغو. ولم يكن ضمن الغلاف أي رسالة.

بعد وقت غير طويل تلقى ياماموتو غلافاً آخر من جوزف لوفيراس مرسلاً في

Illustrations: Lynn Cutler

البريد العاجل، وداخله حوالة مالية بقيمة ٩٠٠ دولار أمريكي. وهذه المرة تضمّن الغلاف رسالة خطية هذا نصها:

عزيزي السيد تاداتويو ياماموتو،

آمل أن تعيد هذه الحوالة المالية والاغراض المرسلة على حدة ثقتك بشعب شيكاغو.

جوزف ج. لوفيراس

وقع ياماموتو في حيرة. ماذا حدث لحقيبته؟ من هو جوزف لوفيراس؟

كتب الرسالة الجوابية الاتية:

عزيزي السيد لوفيراس،

تسلمت الحوالة المالية التي بعثت بها. أشكر لك مروءتك، واني لتواق جداً لاعرف من أنت. هل لك علاقة بدائرة الشرطة أم انك محب للخير؟

في المرة التالية حين سافر فيها ياماموتو الى الولايات المتحدة اتصل بجوزف لوفيراس هاتفياً. علم أنه جندي متقاعد في السادسة والستين من عمره يسكن غرفة واحدة في فندق متواضع.

شرح له لوفيراس أنه كان يتمشى في موقف للسيارات يتفحص صناديق النفايات حين وجد الحقيبة. أما المال وتذكرة السفر فكانا في مكان ما من الحقيبة لم يكتشفه اللصوص لسبب من الاسباب.

أخذ لوفيراس الحقيبة الى غرفته. كان اسم ياماموتو وعنوانه ظاهرين على البطاقة الملصقة عليها. أما الحقيبة ذاتها فكانت مهشمة جداً بحيث تعذر ارسالها الى اليابان. وأعاد لوفيراس في البريد تذكرة السفر والاغراض الشخصية الاخرى، ثم ذهب الى المصرف طالباً ابدال الينّات بحوالة مالية، ودفع من ماله الخاص رسوم الصرف وأجرة البريد ليرسل الحوالة الى ياماموتو.

أدرك ياماموتو أن المبلغ الذي قارب ألف دولار بدا ضخماً بالنسبة الى لوفيراس. لكن هذا أخبره أنه رجل متديّن وأن ضميره لا يسمح له بالاحتفاظ بمال لا يخصه.

كان ياماموتو مقيماً في فندق "دريك" فدعا لوفيراس الى طعام غداء. وعندما بدا لوفيراس متضايقاً من الدعوة أدرك ياماموتو أنه قد لا يشعر بالراحة في مكان فاخر كهذا. التقيا في مقهى وتحدثا نحو ساعة. حاول ياماموتو أن يعطيه مكافأة، فتردد لوفيراس، لكنه قبلها أخيراً. وأخبرني ياماموتو لاحقا: "لا أذكر أني التقيت في حياتي شخصا نقياً مثله."

اتصلت بجوزف لوفيراس والتقينا على طعام الفطور في مطعم شعبي. كان خجولاً هادئاً ثقيل السمع، وكان علي أن أتكلم بصوت مرتفع ليتمكن من فهمي. قال ان الفكرة الاولى التي راودته عندما فتح الحقيبة ووجد المال كانت: "هذا لا يخصني." عرف أن ليس من الحكمة ارسال المال في البريد، فتوجه الى مصرف "فيرست نشونال بنك أوف شيكاغو" الذي يبعُد قرابة خمسة كيلومترات عن فندقه.

قال لوفيراس: "لم أكن أعرف كيف أحصل على حوالة مالية، لكن موظفي المصرف ساعدوني." الصرف والحوالة كلفاه ستة عشر دولاراً، ثم دفع ثمانية عشر دولاراً أجرة البريد العاجل الى اليابان.

دخل جوزف لوفيراس الشهري ٥٠٦ دولارات: ٢٣٥ دولاراً من ادارة الجنود المتقاعدين و٢٧١ دولاراً من صندوق ضمان الشيخوخة. ايجار غرفته الشهري ٢٦٥ دولاراً. وهو أوضح: "أنا لا آكل في مطعم، أطبخ غالباً معكرونة في غرفتي."

أخبرني لوفيراس أنه ولد في بورتوريكو وأن والدته قضت في حادث سيارة عندما كان هو طفلاً. وقد ربي في ميتم، بل في خمسة مياتم. وفي السن العشرين التحق بالجيش. وبعد الحرب العالمية الثانية مر بأوقات عصيبة. تزوج، لكنه ما لبث أن طلق. له ابن يجب أن يكون الآن في الثامنة والثلاثين من عمره، لكنه قال انه أضاع أثره.

اتهمه بعض معارفه بالغباء لأنه رد المال. أما هو فيقول: "لا أظن أنني كنت غبيا، المال يخص ذلك الرجل ولا يخصني."

ولما سألته عن دعوة ياماموتو اياه الى الغداء في فندق "دريك" أجاب: "شعرت بأنني سأكون في غير محلي في مكان ظريف كهذا." ثم اضاف: "أنا لا أملك بذلة."

سألته لماذا كان يفتش في صناديق النفايات. أجاب انه كان يبحث عن علب من الالمنيوم يبيع كل واحدة منها بنصف سنت ويقدم المبلغ الى "صندوق الاطفال."

قال: "أتعلم أنك بسبعين سنتاً تستطيع اغاثة طفل محتاج؟"

في رحلة ياماموتو التالية الى الولايات المتحدة قصد فندق لوفيراس. وكان هذا خارجه فترك له ياماموتو رسالة. تلك الليلة اتصل به لوفيراس.

قال ياماموتو: "تحدثنا قرابة عشرين دقيقة، وأخبرته أنني كل مرة آتي الى الولايات المتحدة أود أن أتفقده.

"وسألته ثانية لماذا تحمّل كل ذاك الازعاج ليعيد الي كل شيء؟ فأبلغني أنه لو لم يفعل ذلك لشعر بالندم طوال بقية حياته."

وقد أخبرني لوفيراس لاحقاً أنه سمع بعض الناس يقولون ان هناك حقداً مضمراً بين الامريكان واليابانيين بسبب الاحوال الاقتصادية العالمية. وأضاف أنه لم يكن خبيراً جداً بمثل هذه الامور العالمية.

قال: "انني حقاً أشعر بأنني وجدت في السيد ياماموتو صديقاً. انه متزوج وله ولدان. يا له من رجل نبيل!"

بوب غرين ■



زوجة من الريف

اتحدّر من عائلة كبيرة ومتينة الوشائج، تعيش في احدى المناطق الريفية لولاية ماريلاند منذ ٢٠٠ عام. ولأن زوجي وحيد لوالديه وقليل الاقارب، كان يجد صعوبة في التمييز بين اعمامي وعماتي وابنائهم. وفي احد الاجتماعات العائلية علّقت بالقول: "لعلي بحاجة الى رسم شجرة العائلة لمساعدتك."

فأجاب على الفور: "تقصدين غابة العائلة!"

أ.ج.ب.

أضواء من عالم الطب

"قلم" إنسولين

تحرر اداة جديدة كثيرين من مرضى السكري المعتمدين على الانسولين من حاجتهم الى حمل الكثير من الحقن والابر وقوارير الانسولين.
وتشبه هذه الاداة قلم حبر له خراطيش وابر قابلة للاستبدال. ويمكن التحكم بالمقادير على نحو دقيق بواسطة قرص في القلم، يتيح للمريض ان يختار من وحدتين الى ٣٦ وحدة. فيدير المرضى القرص الى المقدار المطلوب ويحقنون عضلهم مثلما يفعلون بالحقنة العادية.
يتسع القلم لـ١٤٠ غراما من الانسولين ويمكن وضعه بلا حرج في محفظة النقود او محفظة الاوراق. ويقول الدكتور روبرت رود المدير الطبي الاعلى للمركز الامريكي لعلاج السكري في تارزانا بولاية كاليفورنيا: "قد تكون تتناول طعامك خارج المنزل فتقوم بحقن نفسك من دون ان يدري احد بذلك."
يعتقد كثير من الاطباء ان تسهيل عملية الحقن يحسن قدرة المرضى المعتمدين على الانسولين في التعامل مع المرض. فالسكري يصيب ملايين الناس، وهو اذا لم يخضع للمراقبة يستطيع ان يؤدي الى العمى ومرض الكلية والقلب.
كلفة القلم نحو ٤٠ دولارا ويتوافر لدى الاطباء الاختصاصيين بالغدد او السكري او العناية الاولية كما يباع في الصيدليات. وهناك اداة اخرى في حجم القلم لقياس مستوى السكر في دم المرضى. كلفتها قرابة ٢٠٠ دولار، وهي سهلة الاستعمال وتعطي النتائج خلال ٣٠ ثانية.

صحيفة "لوس انجلس ديلي نيوز"

بالون يزيل العقم

قد يكون القثتر المطاطي الذي يستعمل لفتح انسداد انابيب فالوب هو الحل لبعض مشاكل العقم عند النساء.
تتضمن الطريقة الجديدة والتي تدعى "عملية توسيع الانابيب عبر عنق الرحم بواسطة بالون،" ادخال قثتر بلاستيكي في رأسه بالون عبر المهبل والرحم الى داخل احد انبوبي فالوب، ونفخ البالون في مكان الانسداد في محاولة لفتح الانبوب. ويمكن انجاز هذه العملية في خلال ٣٠ دقيقة، وهي تفيد فقط في حالات الانسداد عند نقطة التقاء الانبوب بالرحم.
يختبر هذا القثتر حاليا في تجارب سريرية. ووفقا لما يقوله منسق الدراسة الدكتور نوربرت غلايشر من مستشفى جبل سيناء في شيكاغو، فان اكثر من ٣٠ امرأة خضعن لهذه العملية في الاشهر الخمسة الاولى، فنجحت عملية اعادة فتح الانابيب لدى معظمهن، وكثيرات منهم حملن.

صحيفة "واشنطن بوست"

رحلة «بسمارك» الأخيرة

قصة حب بين صياد هاوٍ وطوفه

قابلية الطفو على الماء ميزة طالما أثارت اعجابي، وإن من بعد. وفي رحلات صيد السمك يصبح افتقاري اليها أمراً حقيقياً ملموساً. فأنا لا أشعر بالراحة عندما أنتعل جزمة التخويض الطويلة المانعة للماء. وإذا ما غامرت وخضت ماء يعلو فوق الخصر فانني أشعر بالجزمة تكبّلني كالاصفاد. وذات صباح قبل سنوات طويلة، وكنت في بحيرة فرنكلين مغموراً بمياهها الجليدية الى الكتفين، تسلل حل وجيه الى دماغي المثقل.

Condensed from «Last Voyage of the Bismarck» by W.D. Wetherell, taken from «Seasons of the Angler,»

Illustration: Bruce Johnson



زورق. طوف. أي شيء يطفو بي الى حيث يعيش سمك السلمون. وجدتها! كان في دكان اللوازم الرياضية في حينا ثلاثة نماذج من الاطواف القابلة للنفخ مصفوفة كما يُصف الاشقاء بالترتيب التسلسلي بحسب الطول والعرض. لم تكن مصنوعة من مادة متينة وغالية، بل من البلاستيك الذي تصنع منه الكرات الرخيصة التي يلعب بها رواد الشاطىء. تفحصت الاطواف بعناية، وأدهشتني كثرة الكتابة المطبوعة على جانبي شيء في تلك البساطة. وعلى رغم التناقض الواضح بين الاصرار المتكرر على أهمية ارتداء سترة النجاة وما ادعته الكتابة من قدرة الاطواف على تحمّل الأثقال، فقد وجدت السعر معقولا.

وقع اختياري أخيراً على النموذج الذي يتسع لأثنين، لي ولزوجتي سيلست، وتبقى فيه مساحة فائضة. ومع أن المجال الفعلي "الحميم" للجلوس بدا مزعجاً (قدّرته بحوالى متر × متر ونصف متر) إلا أنني سمحت للصورة المرسومة على العلبة التي وُضِّب فيها الطوف أن تبدد شكوكي. فلقد ظهر الطوف في الصورة وعلى متنه أربع عارضات أزياء يرتدين أثواب سباحة وعلى سيمائهن أمارات الراحة والابتهاج التام.

عندما وصلت الى البيت لففت الطوف برفق كما يقمّط الطفل خشية أن يثقبه دبوس أو كسرة زجاج ضلّت طريقها. وعندما نشرته على الأرض بدا أبيض رقيقاً. وكان بطيء الانتفاخ ولم تكتمل استدارته المبهجة الا بعد جهد. وعندما ناديت سيلست الى الغرفة لتشهد المعجزة التي صنعها الهواء كان الطوف يحمل اسم "بسمارك" الذي لازمه طوال حياته.

كانت رحلة "بسمارك" الأولى في ذلك المساء في بحيرة خلف منزلنا. ونظراً الى قلّة زوار البحيرة وندرة الصيد فيها كانت مأهولة بمجموعة من سمك الفرخ والفاروس السريع الاهتياج. وكانت الطريق المؤدية اليها وعرة تصلح لسيارات الجيب. ولم تكن مجهزة بمنصّة أو منحدر يسهل انزلاق الزوارق، بل أن نقل الزوارق اليها يتطلب عملا قاسياً جداً. انها، باختصار، المكان المثالي لإظهار مقدرة "بسمارك" واهليته.

بدا "بسمارك" جذّاباً في الماء. حتى ان سيلست لاحظت ذلك.

قالت: "انه جميل جداً." ورفعت سروالها الجينز استعداداً للتخويض اليه. ثم توقفت فجأة مترددّة وسألتني: "كيف نصعد اليه؟"

إنعصار وانحشار. كعادتها، طرقت سيلست لبّ الموضوع. فعلى رغم جمال "بسمارك" كان الصعود اليه مستحيلا. فقابلية الطفو التي طالما أعجبتني جعلته يقفز مبتعداً عند أدنى تموّج، حتى أن مجرّد الاقتراب منه تطلّب كل الخلسة والحذر الضروريين لامتطاء مهر غير مروَّض. تمسكت بحافة الطوف وسندت قدمي ببعض الصخور وتمكنت أخيراً من دفع سيلست الى مؤخر الطوف، واتبعتها على عجل بقصبات الصيد وبطعام العشاء الذي حضّرناه لنتناوله في الهواء الطلق. وبعدما إستقرّ كل شيء في موضعه، لم

يعد الحيز المتبقي يتسع لي. فقلت لزوجتي: "ألا يمكنك أن تعصري نفسك قليلا؟" فانكمشت ما أمكنها ذلك، وتدبّرت أنا أمر حشر جسدي في الطوف.

ما ان تناولت المجذافين حتى ضربا ذقن سيلست. ومدّت هي نحوي ساقها اليمنى لتريحها فكادت تلامس حنجرتي وتطير القبعة عن رأسي. وفي تلك الاثناء هبّ نسيم جرف "بسمارك" بعيداً عن الشاطىء.

سألتني سيلست: "أمتأكد أنت من أنه يتسّع لاثنين؟"

أجبتها مشيراً بابهامي الى الكتابة: "إقرأي بنفسك: شخصان حميمان."

وأضفت بنبرة مسرحية: "وهناك سمك القاروس في انتظارنا."

وفعلا، قرب الشاطىء البعيد، لاح لنا سرب من أسماك القاروس يخترق الاوراق الطافية على وجه الماء. غير أن "بسمارك" لم يكن في أحسن حالاته، إذ كادت حمولته تفيض على حافته. أقعدني العياء فتولّت سيلست العمل. وعندما اصبحنا في مجال إلقاء الصنانير كان العرق المتصبب من جسدينا رفع المياه المتجمعة في جوف الطوف بضعة سنتيمترات.

ولكن عندما بلغنا "المرعى" تصيّدنا سمكاً كثيراً. وأظهر الطوف ما يتحلّى به من مزايا عظيمة: اقتراب صامت، مستوى منخفض يسمح برؤية السمك في عقر داره، ثبات، جوانب ملساء ينزلق السمك فوقها بسهولة.

وما ان حان وقت العودة حتى كان "بسمارك" قدّم أكثر من مبرّر لوجوده. وبنيته البلاستيكية لم تحل دون نشوء ذلك الانجذاب العاطفي بيني وبينه – وهو الانجذاب الذي يحوّل الزورق واحداً من اثمن ممتلكات الانسان وأقربها الى قلبه.

زورق قطر. لم يظهر "بسمارك" على حقيقته ويثبت وجوده إلا كطوف يقوده شخص بمفرده. وحدي، كنت أستكين في قعره كمن يستلقي على فراش مائي، وألقي الصنارة وأنا في وضع أفقي مريح، وحجرة الهواء الصغيرة في مؤخره كوسادة تحت عنقي. وحدي، كنت أجد في تسييره متعة، وكانت خفته مصدر دهشة مستديمة.

أما متانته فخلفت في نفسي انطباعاً مؤثراً، إذ ما أكثر رحلات الصيد التي خرجت فيها تلك الايام. ولكي أختبره أكثر بدأت أقصد المياه الاكثر عنفاً. فركبته في نهر عريض متلاطم الامواج حيث راح يتواثب كزورق قطر، وفي بحيرة كبيرة حيث هدّدت الزوارق الآلية باغراقنا في ما خلفته من تموجات، وفي برك بعيدة حيث يعيش سمك السلمون وحيث انشب الورد البري أغصانه الشائكة في بدنه لكنه عجز عن اختراقه وثقبه. وكان صيدنا دائماً أوفر من صيد الآخرين. ونجح "بسمارك" في جبه أي تحدّ بكبر وثقة.

وظلت شركتنا سليمة طوال ثلاثة مواسم كاملة. في البداية لم أعتبر "بسمارك" أكثر من زورق رخيص يطرح بعد استعماله من غير خسارة تذكر. أما الآن، بعدما ثبتت متانته، فرحت أنظر اليه كشيء دائم. وهكذا وقعت في الخطأ النقيض. وإن راودتني افكار عن نهايته

فلقد كانت دائماً من نوع الحدث المزلزل المفاجئ، كاصطدام مثير بصخرة مروّسة كالرمح تنتزع أحشاءنا نحن الاثنين وترسلنا الى الهاوية.

والحقيقة أن "بسمارك" كان يحتضر بفعل الإهمال. فمع حلول فصل الربيع الرابع تخلّيت عن تيمّني به وآثرت زورقاً خشبياً ثابتاً. وطوال ثلاثة أشهر ظلّ "بسمارك" مطوياً فتصلّبت طياته. ومع أنني كنت أحياناً اعقد العزم على إخراجه، فانني لم أخرجه مرة، تارة بسبب ألم في ظهري وطوراً بسبب الريح وغيرها من أعذار لا يجدي تعدادها الآن. ففي موضوع الزوارق، كما في الحب، الأعذار لا تجدي. كان "بسمارك" نور عيني.

ومع ذلك قُدِّر لنا أن نمضي معاً يوماً أخيراً. كان ذلك بعد الظهر في شهر مايو (أيار) وقد شعرت بعياء ثقيل. بدأت أسحب الزورق الخشبي من الحظيرة. ثم، كأنما بفعل غريزة لا تقاوم، أخذت العلبة التي تحوي الطوف.

سرت في الطريق الوعرة المؤدية الى بحيرة فرنكلين والطوف على كتفي كطفل يتوق الى استكشاف خفايا الأرض، وتوارت شمس الصباح خلف غيوم متوعدة، فأسرعت الخطى لأبعث الدفء في جسدي.

مددت "بسمارك" على الارض. وكالعادة، أتممت جميع الفروض التي تجعله يطفو على سطح الماء، من ضغط متأنٍ على المنفخ الذي يشبه آلة الاكورديون، الى إغلاق الصمامات باحكام، الى الصعود الى متنه المتقلقل، الى جمع المجذافين على عجل.

جميلة هي العودة الى أمور مألوفة لم يطرأ عليها أي تغيير. اللهم الا تغييراً واحداً لا غير، لكنه مهّم. ففيما أنا أجذف في اتجاه الشاطئ البعيد متمتعاً باستجابة الطوف الطيّعة السمحاء أدركت بشعور غائر أن "بسمارك" - طوفي المهمل المسكين - يغرق.

كانت المياه تتسرّب اليه من عشرات الشقوق الصغيرة. وشعرت بخدر في ظهري بسبب المياه الجليدية التي تجمعت في المؤخر.

أما حجرتا الهواء اللتان يتألف منهما بدن الطوف فقد فرغتا من الهواء تماماً. ولكن تبين لي بنتيجة الفحص السريع الذي اجريته أن الحجيرة الكبرى ما زالت منتفخة قليلا. وإذا خدمني الحظ وأحسنت التصرف فسيظل "بسمارك" طافياً نحو ساعة.

وبدافع داخلي لم أستطع تجاهله استنكفت من العودة فوراً الى الشاطئ. فذبابات نوّار بدأت تفقس، وبدأ السمك يعلو في الماء، وكأن الظاهرتين استجابة لإلماع خفي. ألقيت الصنارة، وللحال التقطت أربع سمكات. وكان الجزء الاسفل من "بسمارك" مغموراً بالمياه مما سهّل انزلاق السمك على حافته، ولم يعد سهلا معرفة الحدّ الذي ينتهي عنده الطوف وتبدأ مياه البحيرة. وعندما نزعت الطعم من الصنارة راحت أسماك السلمون تقفز حولي باطمئنان تام.

عائم أخيراً! لم أعد أذكر كم سمكة اصطدت ذلك اليوم. وكان ذباب نوار يفقس على سطح الماء بسرعة مدهشة

فبدت البحيرة تغلي. ومن صوب الجبل حطّت سنونو جائعة ثم تبعتها ثانية فثالثة حتى أصبحت طيور السنونو في كل مكان. ورأيت جحافل منها تحط وتطير وتكّر وتفر وتهاجم سطح الماء ثم تنطلق مبتعدة. كانت الطيور تعذبني وقد أسكرها جو المرح السائد مثلما أسكر الذبابات والسمكات من قبلها.

ثم بدأ الثلج يسقط. رقاقات بيضاء كبيرة راحت تتساقط بسرعة واختلاط حتى غطّت كل شيء: الطيور والسمك والذباب، فأصبحت جميعها واحدة في عالم أبيض. ولم أعد أعرف ما الذي ابتغيت صيده: أطيور السنونو أم سمك السلمون أم ذبابات نوار؟

بدأت أجذف عائداً إلى الشاطىء. ليس من قبيل النجاة بنفسي بل لانني كنت محتاجاً الى ثقل المجذافين لأمنع روحي من الانطلاق بعيداً. ومع اقترابي من الشاطىء انزلق تحت الطوف قندس في دفق من الفرو السلس. وللمرة الاولى في حياتي أدركت ما قصده كتّاب القرن التاسع عشر من كلمة "الانتشاء."

لم أغب عن الوعي. وأهم من ذلك أنني لم أغرق. معاً، أنا و"بسمارك"، الى الشاطىء مع أن كل ما تبقّى منه لم يتعدّ ضغط رقيقة من البلاستيك شعرت بها تحتي. وتلك كانت آخر مرة ضمّني فيها الطوف قبل أن يرفعني الى صخرة مسطحة لا تفصلها عن اليابسة سوى خطوة. وما ان أودعني الصخرة حتى "تنهد" بعمق ولفظ أنفاسه وغرق في دوامة من الفقاقيع. وعندما سحبته الى الشاطىء ظهرت درزاته مفتقة من مقدّمه الى مؤخره.

طويته بعناية فاقت كل عناية أوليته إياها وهو سليم. وعدت من حيث أتيت. قطعت الطريق سيراً في خط متعرّج اتقاء للثلج المتساقط. مشيت بخطى حثيثة كأنني ورثت عن "بسمارك" ذاك المظهر المرح الذي تميّز به.

كنت – نعم، ليس هناك من خطأ – كنت عائماً. أخيراً!

و.د. ويذريل ■



الحقيقي والمزيّف

كنت في متجر للالعاب عندما دخل ولد يحمل اوراقاً نقدية غير حقيقية تستعمل فقط للّعب وطلب شراء طائرة صغيرة. وعندما قال له البائع أن المال الذي يحمله غير حقيقي، أجابه الصبي: "وهل هذه الطائرة حقيقية؟"

ب.ر.م.

ان الطريقة الوحيدة لتسلية البعض هي الاصغاء اليهم.

ك.هـ.

يطيب للمرء أن يتعرف الى أناس ذوي صفات مميزة

قصص عطاء

شجاعة نادرة

قرابة العاشرة مساء في ٩ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥، كان فرانك بورتو عائداً الى منزله مشياً. وهو مهندس ميكانيكي في الحادية والاربعين من عمره يقطن في أوكلند بولاية كاليفورنيا. واذ مر بسيارة "ستيشن" جلس فيها رجلان وامرأة، ترجّل الرجلان واستوقفاه وطلبا منه مالاً. فأجابهما انه لا يحمل نقوداً وتابع سيره. لكن الرجلين لحقا به.

وفي مكان قريب كان كارنيل جونسون جالساً في شاحنته الصغيرة، وهو جامع نفايات في التاسعة والعشرين من عمره. رأى فرانك يتعارك مع مطارديه صامداً أمامهما نظراً الى ضخامة جثته. ولكن ما ان نزل الى الشارع حتى انطلقت المرأة بالسيارة صوبه وصدمته. لم يسبق للشاب أن رأى فرانك بورتو في حياته. وتجمع في الشارع نحو ثلاثين متفرجاً لكن أحداً لم يحرّك ساكناً. عندئذ نزل كارنيل من شاحنته ولكم أحد اللصين ثم لكم الآخر. بعد ذلك ركض الى طرف الشارع وطلب من سائق حافلة أن يستدعي الشرطة.

عندما استدار كارنيل رأى سيارة الستيشن تندفع صوبه مباشرة. حاول أن يقفز الى غطاء المحرّك لكن السيارة قذفته تحتها وجرّته مسافة ٦٠٠ متر قبل أن يتمكن من الافلات.

نقل كارنيل الى المستشفى حيث أبقي في قسم العناية الفائقة أسبوعاً كاملاً.

هناك أناس كثيرون يخوضون تجارب


Bayphoto

كارنيل جونسون وفرانك بورتو.

مماثلة ويمضون بعدها في سبيلهم. لكن تجربة فرانك بورتو وكارنيل جونسون كانت مختلفة.

يقول فرانك: "كنت دائماً أؤمن بأن الشخصية الحقة والاخلاق الاصيلة تتجلى عندما يقول انسان مثل كارنيل في نفسه: "عليّ أن أساعد هذا الشخص، وإن عرّضه ذلك للخطر. يطيب للمرء أن يتعرف الى أناس بهذه الصفات."

استغرق شفاء كارنيل ثلاثة أشهر، وهو ما زال يشعر بألم عند الوقوف بسبب ما لحق بقدميه من أذى. ومع ذلك لم يعرف الندم. وهو يقول: "عندما تربح صديقاً مثل فرانك، لا يهم ما تدفعه من ثمن."

جاك شيفرز

في "أوكلند تريبيون"

عاشقة الأنهر

كان نهر ناشوا في أوائل الستينات ملوثاً جداً الى حد أن سكان المنطقة كانوا يتندرون بأن مياهه "أكثف من أن تُسكب وأرق من أن تُحرث." واذ يمر هذا النهر متمعجاً في مساتشوستس ونيو هامشير تتبدل ألوانه يومياً بحسب ما يلقى فيه من نفايات. وكان الناس يتذمرون من أن الرائحة الكريهة المنبعثة منه تمنعهم من النوم ليلا.

ثم جاءت "عاشقة الانهر" ماريون ستودارت الى غروتون في مساتشوستس. وهي انتقلت للسكن هناك مع زوجها وأولادهما الثلاثة الصغار. وما لبثت أن أطلقت حملة لانقاذ النهر المهمل وإقامة "ممر أخضر" واقٍ على ضفافه.

واليوم تتهادى الزوارق على المياه الرقراقة الآهلة بأنواع السمك النهري بعدما كان تقرير حكومي صنَّف النهر بأنه غير صالح لأن تعيش فيه الاسماك. وأكثر من ٣٤٠٠ هكتار من الارض حوله هي الآن محمية تسرح فيها الحيوانات البرية بأمان. كيف نجحت ماريون ستودارت في تنقية ذلك النهر الذي يبلغ طوله ٩٠ كيلومتراً؟

تجيب: "بتحديد الاشخاص ذوي النفوذ والحس بالمسؤولية في المنطقة." وهي أنشأت مع عدد منهم "رابطة مجمَّع نهر ناشوا." واستخدم أعضاء الرابطة أساليب إعلامية ودعائية بارعة. من ذلك أنهم أهدوا زجاجة من مياه النهر القذرة الى حاكم الولاية آنذاك جون فولب الذي وعد بالاحتفاظ بها على مكتبه الى أن تصبح مياه النهر صافية نظيفة. وأقنعت ستودارت اتحادات العمال ورجال الاعمال والسياسيين بأن الجميع سيفيدون من



ماريون ستودارت

نهر "يعيش فيه السمك وتحلو فيه السباحة."

وقصة إحياء نهر ناشوا نموذج تستنير به دائرة "المسامك والحياة البرّية" في مساتشوستس لاعادة تأهيل ٣١ نهراً آخر في الولاية. ولقد حظيت جهود ماريون ستودارت بتقدير دولي. وفي صيف ١٩٨٧ نوّه برنامج البيئة التابع للامم المتحدة بجهود هذه السيدة واعتبرها شخصية مثالية بين العاملين من أجل سلامة البيئة في العالم.

تقول ماريون ستودارت: "لقد تعلّمت أمراً واحداً في سياق عملي: ليس مطلوباً أن تكون ذكياً. ما عليك إلا أن تكون ملتزماً ومثابراً ومخلصاً."

كاثرين فوستر

في "ذي كريستشان ساينس مونيتور"

لمسة شافية

تلقيت قبل مدة مكالمة هاتفية من ميغيل أنجيل كورتيس الذي نشأ في شمال فيلادلفيا ونجح في حياته. قال انه طبيب في الاربعين ويود أن يردّ بعض الجميل. أعرب عن رغبته في إنشاء عيادة للطب العائلي في الحي الذي نشأ فيه، ليس فقط لان الحي في حاجة الى مثل تلك العيادة، بل لكي يتطلع اليه الفتيان علّهم يحذون حذوه ويعقدون العزم على النجاح مثله.

عندما تسنّت لي زيارة كورتيس وجدت عيادته تشع كأنها منارة. انه يعمل في عيادة المدينة من التاسعة صباحاً حتى الخامسة بعد الظهر. ثم يهرع شمالا ليعمل من الخامسة والنصف حتى التاسعة مساء. وهو يفحص مرضى كثيرين من دون أجر، وفي الحالات الطارئة يقوم بزيارات منزلية.

وتحضر كورتيس ارقام احصائية بسهولة بالغة. يقول لك، مثلا، ان متوسط الراتب الذي تتلقاه عائلة تقطن شمال فيلادلفيا هو ١٠٣٠٠ دولار سنوياً، وان ربع السكان السود والاسبان في المدينة لا ينعمون بأي ضمان صحي لان دخلهم أعلى من أن يخوّلهم تلقي مساعدات من الدولة وأدنى من أن يؤمّن لهم المعالجة على نفقتهم. وفي فيلادلفيا عموماً طبيب واحد لكل ١٧٠٠ نسمة، أما في شمال المدينة فالنسبة طبيب واحد لكل ٣٠٠٠ نسمة.

كورتيس ليس فقيراً ولا هو يتضور جوعاً، فعمله يدّر عليه ما يكفيه لدفع ايجار المنزل ويسدّ حاجات مادية أخرى. لكن العمل الذي يؤديه هنا يشبع حاجة أعمق في نفسه وفي نفس زوجته ايزابيل، وهي ممرّضة تلازم المنزل لترعى أولادهما وتساعد زوجها.

ستيف لوبيز

في "فيلادلفيا إنكوايرر"



لئن تكن الحرب عصارة كل الشرور، فالاستبداد خلاصة كل الحروب.

سيمون بوليفار، زعيم فنزويلي حرر بلاده من الاستعمار الاسباني (١٧٨٣ - ١٨٣٠)

الفرسان الملكيّون

مدرِّس عطوف ورقعة شطرنج غيَّرا حياة طلاب مشاغبين في أفقر أحياء نيويورك

هبّة من اللهب أجفلت المدرس بيل هول أثناء دخوله غرفة الصف. استدار بسرعة ليرى هوزيه تافاريز، وهو فتى في الخامسة عشرة من بورتوريكو، ممسكاً بولاعة مشتعلة قرب ثقب قارورة مزيل للروائح (ديودوران) ويشرح لأحد رفقائه: "إنها موقد جيد للحام."

بعد مصادرة القارورة والولاعة تدخل هول لانهاء مباراة "كباش" بين باكستاني واكوادوري. ثم أشار الى تسي واي تشن، وهو طالب وصل حديثاً من هونغ كونغ، ليضع صحيفته الصينية جانباً.

تطلع تسي واي، ابن الثالثة عشرة الى المدرّس هول وأشار الى رقعة الشطرنج التي يحملها سائلا: "ما اسمها بالانكليزية؟"

فسأله هول بدوره: "هل تلعب؟"

بهزة من رأسه أجاب سي واي انه لا يجيد اللعب. فتساءل هول عما اذا كان الصيني فهم السؤال.

وكان هول نُقل حديثاً الى هذه المدرسة التكميلية الكائنة في حي هارلم الشرقي بمدينة نيويورك، وهو يدرس الانكليزية كلغة ثانية، لكنه لم يتوصل الى درجة كافية من النجاح مع هؤلاء الاولاد. كانوا كلهم مشاغبين، ذنب بعضهم الكسل المزمن أو التخريب المتعمد أو السرقة. ومعظمهم لم يكن يعير انتباها لأكثر من بضعة أعشار الثانية.

كان اهتمام تسي واي بلعبة الشطرنج أول بصيص لحب الاستطلاع لدى أحد منهم. وانطلاقاً من أمل الوصول الى عمق هؤلاء الفتيان، جلس هول، وهو الاستاذ المتمرس الذي أمضى ٢٤ سنة في التعليم، وفتح رقعة الشطرنج وصفّ

Photo: Bob Milazzo

البيادق عليها، ثم بدأ شارحاً: "الشطرنج لعبة حرب. إنها مواجهة بين شخصين، تماماً مثل المصارعة أو الملاكمة." وكان كلما التقط أحد البيادق كتب اسمه بالانكليزية على اللوح. ولم يلبث الصف أن هدأ، فقال هول: "اذا أراد أحد منكم أن يتعلم هذه اللعبة، فليأتِ اليّ بعد الدوام المدرسي اليوم."

في الثالثة عصراً، عندما دخل عليه المشاغبان الرئيسيان توني باغان وهوزيه تافاريز، اجتاحته موجة من الخوف. حدّث نفسه: اذا هاجمني هذان الشابان معاً، فانهما يستطيعان التغلب علي. لكن المراهقين لم يرفعا نظرهما عن رقعة الشطرنج فيما هول يشرح لهما الاهمية الاستراتيجية للسيطرة على الوسط. وفي نهاية الحلقة تمتم باغان: "إنها لعبة عظيمة." وأضاف تافاريز: "إنها حقاً كذلك. نحن الآن لاعبا شطرنج."

فتدخل هول مصححاً: "لا، أنتما الآن تعرفان كيف تتحرك البيادق."

دهش هول عندما عاد الفتيان بعد ظهر اليوم التالي ومعهما هوزيه لويس اورتيز وهافيير مونتانو. لعب تافاريز ضد باغان وتحرك بسرعة ليسيطر على الوسط. فقال هول في نفسه: لقد أخطأت ادارة المدرسة في تصنيفه بليد الذهن.

ولم يلبث أن انضم الى المجموعة تسي واي تشن وأخوان باكستانيان هما بشرت وزيا تشودهري. وكلما زاد عدد أعضاء المجموعة ضحّى هول بساعات غدائه وبالفترات الصباحية من أيام السبوت بغية تعليمهم مبادىء اللعبة والاشراف على اللعب.

التعلم في الكتب. أجمع زملاء هول على نعته بالخبل. وقال له احدهم: "إنك تضيع وقتك. ليس لهؤلاء الفتيان العقل الكافي حتى لاتقاء المطر."

فتحداه هول: "لماذا لا تجرب اللعب ضدهم؟" ولمّا لعب المدرس ضد باغان لم يجد هذا صعوبة في التغلب عليه. فقال هول: "قد تكمن مشكلة تعليم هؤلاء الفتيان في سوء تقديرنا لامكاناتهم."

ويوم تغلب باغان على هول نفسه أرجع هذا ظهره الى الوراء وصفّر قائلا: "إنكم تتحسنون أيها الفتيان." فبان الفخر والاعتزاز على باغان. عندئذ سأل أحدهم هول باهتمام: "هل ستعلمنا المزيد؟ هل ستعلمنا المكائد؟"

أجاب: "اذا اردتم ان تتعلموا المزيد، فعليكم قراءة كتب الشطرنج."

سأله أحدهم متذمراً: "بالانكليزية؟"

فتدخل باغان بحزم قائلا: "اذا كان ما نريد أن نتعلمه مكتوباً بالانكليزية، فسنقرأ بالانكليزية."

تحسنت مفردات الفتيان وقدرتهم على فهم النصوص. وذات يوم نوّه أستاذ العلوم بتركيز تافاريز العالي فشرح له تافاريز حقيقة هذا التبدل: "كنت أتجنب ما لا أفهمه. لكنني لا أهرب مما يواجهني الآن، فاذا فعلت ذلك أمام رقعة الشطرنج فالهزيمة مصيري."

ذات ليلة سبت حشر هول مجموعة من الفتيان في سيارته الـ"فولكسفاغن" وأخذهم الى نادٍ للشطرنج، فنهره لاعب مسنّ بغضب: "خذ هؤلاء المشاغبين من هنا."

فتقدم منه مونتانو قائلا: "سيدي،



"الفرسان الملكيون" في النادي المركزي للشطرنج في موسكو.

نكون ممتنين اذا لعبت معنا. نحن في حاجة الى المنافسة."

وافق الرجل على مضض. وعندما قام مونتانو بحركة كشفت ملكته، اشار الرجل بيده قائلا: "لم تكن تريد أن تفعل ذلك يا بني. أعد اللعب." فهزّ مونتانو رأسه قائلا: "يقول الاستاذ هول ان على المرء أن يتحمل العواقب اذا اخطأ." وبعدما خسر الفتى ملكته نفذ حركتين وأمات شاه خصمه.

فقال مونتانو للعجوز: "لقد وقعت في فخ عمره ٤٠٠ سنة. يمكنك القراءة عنه في كتاب "فن إماتة الشاه."

مصافحة الرجال. فكّر هول في اشراك الفتيان في دورة الربيع التي أقامتها رابطة الشطرنج بين المدارس في مدينة نيويورك عام ١٩٨٦. وكانوا تعلموا اللعبة قبل ذلك بأربعة أشهر فقط، نصحه مدير المدرسة ادوارد رودريغز بألا يفعل، وأضاف: "سينهزمون أمام أحدى المدارس الخاصة فتدمر كل الثقة بالنفس التي اكتسبوها من الشطرنج."

لكن الفتيان لم يكونوا قلقين. صاح أورتيز: "من قال إننا سنخسر؟ سنشترك في الدورة."

فكّر هول: "كيف آخذ هؤلاء الاولاد الى

مباراة وهم يرتدون هذه الملابس الرثة؟ انهم يحتاجون الى زي موحد والى اسم لفريقهم. وبما أن الشطرنج يعرف بـ"اللعبة الملكية،" والفرسان يمثلون المحاربين النبلاء، طلب هول دزينة قمصان حمراء طبع عليها: "الفرسان الملكيون – التكميلية ٩٩."

تساءل هول عما إذا كان الفتيان سيرفضون ارتداء تلك الملابس. وهو لاحظ خلال بضعة ايام أن تصرفاتهم الشارعية بدأت تضمحل. وهم طلبوا من هول أن يعلمهم الطريقة الصحيحة في المصافحة. قالوا له: "سوف نفوز، ولكن في حال الخسارة علينا أن نتعلم كيف نظل مهذبين."

فاز أورتيز بالمرتبة الاولى في المباريات الفردية. وحل مونتانو في المرتبة الثانية بين طلاب الصف المتوسط الثاني. حتى الفتيان الذين خسروا كانوا مبتهجين. إنهم "الفرسان الملكيون" الآن، وانتصار أحدهم هو انتصار لهم جميعاً.

تحركات الشارع. في تلك الاثناء لاحقت صحف نيويورك أخبار الفتيان وقد أبهجها ايجاد قصة عن هارلم الشرقية لا تتعلق بالمخدرات والعنف. فتبرع فانوي آدامز، وهو مدير متقاعد في شركة "موبيل اويل"، بمصاريف رحلة الفريق الى سيراكوز للمشاركة في دورة ولاية نيويورك للعام ١٩٨٦. لكن الفتيان رفضوا الذهاب.

صعق هول. وأخيراً أدرك أن "الفرسان" كانوا خائفين، ليس من المنافسة بل من جهلهم أصول التصرف في الفنادق والقطارات والمطاعم.

فقال لهم: "لا بأس. دعكم من سيراكوز، ولكن سنحتفل بانتصاركم هذا. انني أدعو الفريق الى تناول الغداء."

في المطعم بدأ هول يتفحص لائحة الطعام. وراح يتمتم بصوت مسموع: "يمكننا أن نختار أولا بين الحساء والسلطة. لا أريد أن آكل كثيراً الآن، لأن الوجبة الرئيسية ستتبع."

أما الفتيان، الذين كانوا منشغلين بمراقبة أستاذهم ليتعلموا أي شوكة يستعمل وكيف يقطع اللحم في صحنه، فتركوا له معظم الحديث. أخبرهم عن الاماكن التي زارها والقطارات التي ركبها والفنادق التي نزل فيها. وبعد أيام أعلن باغان أن الفريق قرر المشاركة في الدورة.

في المحطة حملوا حاجاتهم في أكياس وعلب كرتون مربوطة بحبال. كان أحدهم يرتدي سروالا ممزقاً عند الركبة، وانتعل آخر حذاء رياضياً ممزقاً. رافقهما هول الى أحد المتاجر واشترى لهما البدائل المناسبة.

وفي القطار فتح "الفرسان" رقع الشطرنج وبدأوا يتمرنون. وسرعان ما تحلق الركاب لمشاهدتهم. وهمس رجل في أذن آخر: "إنهم من هارلم الشرقية. لا شك في أنهم يتعاطون المخدرات."

سمعه باغان فقال: "ليس من أحد منا يتعاطى المخدرات. نحن نتعاطى الشطرنج."

في الدورة فاز أليكسيس أورتيغا بالمرتبة الثالثة وبدأ ادواردو سانتانا

اللعب على المرتبة الرابعة، كانت مباراة صعبة. فجأة نفذ سانتانا حركة جنونية. فتجمد هول، ولكن سرعان ما غمزه تافاريز مطمئناً: "إنها لعبة شارع. هدىء من روعك."

تردد خصم سانتانا، ثم التقط بيدقاً، ثم تراجع. وأخيراً لعب. فما كان من سانتانا إلا أن حرك بيدقه في لعبة جميلة أماتت شاه خصمه.

الشكر الجزيل. بعد أسابيع دعي هول الى مكتب مدير المدرسة فتساءل: ترى، أي واحد من أعضاء الفريق هو في مأزق؟ فالفتيان أصبحوا يعرفون بأبنائه، وكان يستدعى كلما واجه أحدهم مشكلة.

عندما دخل هول مكتب المدير وجد "الفرسان" مصطفين أمام رودريغز. فهتف: "يا إلهي، هل كل أعضاء الفريق في مأزق؟"

تقدم ادواردو سانتانا نحوه وبدأ الخطاب الذي حفظه. لكنه غص بعبراته عندما قدم الى هول لوحة معدنية تذكارية كتبت عليها هذه العبارات: "الى الاستاذ هول. نأمل أن تظهر هذه اللوحة قليلا من امتناننا العميق لما فعلته من أجلنا. الفرسان الملكيون في هارلم الشرقية."

بعد سنة ونصف سنة من بدء "الفرسان" لعب الشطرنج سافروا جواً الى كاليفورنيا للاشتراك في الدورة الوطنية للمدارس التكميلية في الشطرنج للعام ١٩٨٧، ومرة اخرى ساهم فانوي آدامز في المصاريف. وأتى "الفرسان الملكيون" في المرتبة السابعة عشرة بين ١٠٩ فرق تمثل ٣٥ ولاية. ولكن أهم من ذلك أنهم بدأوا يتصرفون كمسافرين ذوي خبرة.

رحلة موسكو. دعي اثنان من "الفرسان"، هما هوزيه لاو وتسي واي تشن، الى نادي مانهاتن للشطرنج ليلعبا ضد مايا تشيبوردانيدزه بطلة العالم في الشطرنج للنساء والقادمة من الاتحاد السوفييتي. كان الاثنان من أبرز الذين استطاعوا الصمود طويلا في وجه البطلة السوفييتية. وفي ما بعد شاهد هول الثلاثة يتحدثون معاً.

أخبر تسي واي أستاذه عن الحديث الذي جرى بينهم: "تقول مايا ان علينا الذهاب الى الاتحاد السوفييتي للعب ضد الفتيان هناك."

لم ينبس هول بكلمة. اذا حدث ذلك فسيكون "الفرسان" أول فريق مدرسي للشطرنج من أمريكا يزور الاتحاد السوفييتي. ولكن هول تخيل الناس يقولون: "أنكم مجانين. لا يمكن القيام بهذه الرحلة. إنها مكلفة." والى ذلك كان هول مقتنعاً بأن ادارة المدرسة سترفض الفكرة قطعاً.

لكنه كان مخطئاً. وهكذا تابع جمع التبرعات واجراء الترتيبات اللازمة مع المسؤولين السوفييت. وتبرع بوب مور، وهو مدير مصرف في نيويورك بشراء الامتعة اللازمة للفتيان. كما تبرع أحد المتاجر بملابس الفريق.

في تلك الاثناء طلب "الفرسان" من هول أن يفرض عليهم نظاماً شبه عسكري. وعندما تغيب أحدهم عن جلسة تمرين طرد من الفريق. وقال له هول

مذكراً: "لكل عمل نتيجة. تعلمت ذلك في الشطرنج، وهو صحيح في الحياة أيضاً." وقد أعيد قبول الفتى، ولكن بعدما أخذ اذناً بالعودة من كل أعضاء الفريق.

عندما وصل أعضاء الفريق الى موسكو استقبلهم أعضاء من اللجنة الرياضية السوفييتية ورافقوهم الى فندقهم حيث انتظرتهم مأدبة تكريمية. وفي اليوم التالي، في النادي المركزي للشطرنج، دهش أعضاء الفريق لحداثة سن خصومهم الذين كانوا في العاشرة والحادية عشرة من العمر، كما صعقوا عندما هزمهم هؤلاء بسرعة.

في الفندق جلسوا في صمت كئيب. قال لهم هول: "لقد بدأ تعليم أولئك الاولاد وهم في الخامسة من عمرهم، بالطبع إنهم ماهرون."

السيطرة على الوسط. صبيحة اليوم التالي، في مباراة ودية ضد الاستاذ الدولي سفيشنيكوف، ربح باغان المباراة بسهولة مما رفع معنويات الفريق. وبعد الظهر لعب "الفرسان" ضد الفتيان السوفييت وجاءت النتيجة متعادلة.

بعد ذلك، في أحد مراكز الشبيبة في موسكو، نبّه الفريق الى أن المنافسة ستكون على أشدها. ولكن دهش هول عندما خرج تافاريز من قاعة اللعب بعد ١٥ دقيقة من بدء المباراة. قال له هول: "هذه خسارة سريعة!"

فسأله تافاريز بحماسة: "من خسر؟ لقد ربحت!"

تلك الليلة فاز بشرت تشودهري على بطل سوفياتي شاب، واحتفل أعضاء الفريق جميعاً. لقد أثبتوا للسوفييت، الذين يعتبرون من أقوى لاعبي الشطرنج المدرسي في العالم، أن فتيان الشوارع الاذكياء يستطيعون السيطرة على الوسط.

شرح تافاريز لاستاذه: "ليس الفوز بذي أهمية، بل هو اثبات أنك تستطيع أن تفوز. لا أريد أن أترك رقعة الشطرنج قبل أن أثبت أن الشخص الذي هزمني يمكن هزمه."

أثناء رحلة العودة راح هول يذرع ممر الطائرة .وهو يفكر: كم تغيروا! لقد أصبحوا شباناً يفكرون ويتقبلون المسؤولية. لقد أصبحوا قادرين على التخطيط. ذلك الصباح أبدى له بشرت تشودهري نيّته أن يصبح محامياً. قال: "الحياة لا تختلف عن الشطرنج. اذا لم تكن لديك خطة فأنت تهزم."

جلس هول في مقعد خال الى جانب باغان الذي كان يكتب في دفتر لازمه خلال الرحلة. قال له هول: "قد تكتب يوماً رواية عن الاولاد الذين يترعرعون في هارلم الشرقية."

فرد باغان: "تماماً. هل تذكر كم كنت شقياً في ما مضى؟"

قال هول: "وها أنت الآن تتكلم عن الالتحاق بالجامعة. عظيم ما فعله لكم الشطرنج."

فوافقه باغان: "نعم، كان الشطرنج مفيداً لنا. ولكن اذا كتبت ذلك الكتاب يوماً فلن أهديه الى الشطرنج، بل الى الاستاذ الذي علمنا اهمية السيطرة على الوسط، وأن الوسط هو نحن أنفسنا."

جو كودير ■

التكنولوجيا المتطورة تعد بانجازات مذهلة في هذا الحقل القديم

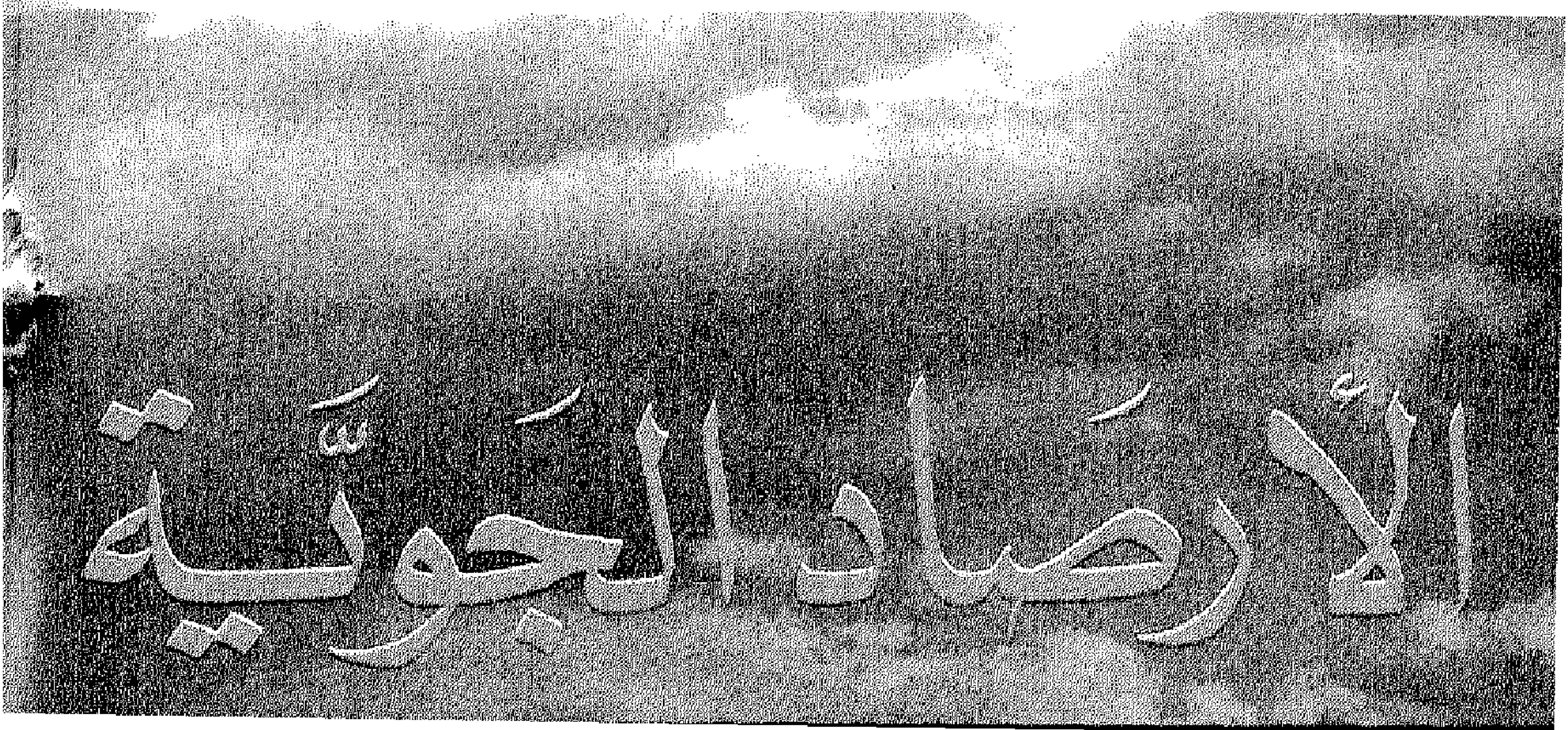
بعد ظهر يوم أحد عام ١٩٥٩ كان المقدم وليم رانكن يقود طائرته المقاتلة من مساتشوستس الى كارولينا الجنوبية. فجأة، على ارتفاع ١٤ ألف متر، توقف محرك الطائرة تماماً فوق عاصفة رعدية. لم يكن أمام المقدم الطيار أي خيار غير الهبوط بالمظلة. وأثناء هبوطه العمودي بسرعة ٣٠٠٠ متر في الدقيقة عبر الهواء المتجلد الرقيق الذي تبلغ حرارته ٥٧ درجة مئوية تحت الصفر، لاحظ أن ساعته تشير الى السادسة والدقيقة الخامسة مساء.

عندما انفتحت المظلة على ارتفاع ٣٠٠٠ متر تنفس رانكن الصعداء. وهو يتذكر في كتابه "الرجل الذي ركب الرعد": "فجأة لفحتني كتلة هوائية ضخمة من قمة رأسي الى أخمص قدمي. فأخذت ارتفع عالياً ثم هبطت مجدداً لاجد نفسي داخل محيط هائج من الغيوم الفائرة بألوانها البيضاء والسوداء والرمادية. غدوت مثل ذرة ضعيفة تتقاذفها العوامل في كل الاتجاهات.

"وفي احدى اللحظات، بعدما رُميت كقذيفة مدفعية، وجدتني أنظر داخل نفق أسود طويل. أثناء ذلك كله كان المطر يتدفق كالسيول حتى خلت نفسي أغرق في الجو."

أخيراً تمكن رانكن من اجتياز العاصفة والهبوط على الارض. وكانت الساعة تشير الى السابعة الا ثلثاً.

جاءت رحلة رانكن الخطرة قبل أشهر من اطلاق أول قمر اصطناعي أمريكي لرصد الاحوال الجوية، وهو "تيروس ١"، في ابريل (نيسان) ١٩٦٠. وقد شكل ذلك نقطة تحول لمفهوم الارصاد الجوية، من مجرد فن الى علم متكامل. ولا تزال أمثال تلك التقارير الاولية النادرة مفيدة جداً للعلماء الجادين لمعرفة القوى الفاعلة



في العواصف أثناء تشكلها. وشهدت العقود الثلاثة الماضية ازدهاراً غير عادي في حقل اختراع أدوات لاستشعار الاحوال الجوية تفتح آفاقاً جديدة على دراسة الطقس. وسيتبع ذلك مزيد من التقدم المرتقب.

زفاف الاعاصير، في فصل الشتاء، عندما تكون شمس الظهيرة جنوب خط الاستواء، تتجمع الرياح القطبية الباردة فوق كندا ثم تتجه نحو الولايات المتحدة الامريكية. وقد تضرب الرياح الجافة بعض المناطق فتحولها جليداً، فيما الهواء الذي يجتاز المياه الاكثر دفئاً قد يلتقط كمية من الرطوبة كافية لدفن منطقة بالثلج. وكما يقول علماء الارصاد الجوية: "الرياح تصنع الطقس."

في الحادي والعشرين من شهر مارس (آذار) عندما تشع الشمس فوق خط الاستواء يتراجع الهواء القطبي ببطء ويبدأ الهواء الدافىء التوجه نحو الشمال. فينجم عن هذا التحول اضطراب فوق الغرب الاوسط في الولايات المتحدة. وعند المساء تأتي الرعود بالامطار الى المزروعات. لكنها تأتي بالبروق والاعاصير والسيول والبرد أيضاً. "وهذه هي بنات العاصفة،" كما يقول العالم دون برغس من "المختبر الوطني للعواصف العاتية" التابع لمديرية البحار والاجواء في نورمان بولاية أوكلاهوما.

كل عام يقعقع أكثر من ١٦ مليون عاصفة رعدية في سماء العالم أجمع، ناسفة الصخور والاشجار بالكهرباء، ومبللة التراب بالماء، وراشقة الكائنات بقطع الجليد. وفي أي لحظة تتكون في الاجواء ٢٠٠٠ عاصفة مثل هذه، مطلقة في الفضاء كمية من الطاقة تعادل بضعة انفجارات نووية.

في العصر الذهبي

ان أكبر عدد من العواصف الرعدية يحدث في المناطق المدارية. ففي جافا، مثلا، تهب هذه العواصف خلال ٢٢٣ يوماً من السنة. أما الولايات المتحدة التي يضربها أكثر من مئة ألف عاصفة سنوياً، فهي موطن أخطر العواصف الرعدية على الارض.

تعتبر "السهول الكبرى" في أمريكا محضنة عواصف نموذجية، إذ ان خليج المكسيك يدفع الهواء الدافئ الرطب شمالا، بينما تهب الرياح الجافة الباردة نحو الجنوب آتية من كندا. تصطدم الكتلتان الهوائيتان في ممر يعرف باسم "زقاق الاعاصير" ويمتد من تكساس الى أيوا.

حين يلتقي الهواء الدافئ الهواء البارد ترتفع في الجو "فقاقيع" من الرطوبة الدافئة على امتداد كيلومتر وتولد تياراً هوائياً صاعداً يشكل الجزء الحاسم من عاصفة عاتية. ومع الوقت تصل هذه الفقاقيع الى طبقات الجو الاكثر برودة في التروبوسفير(١) على ارتفاع ١١ أو ١٦ كيلومتراً، حيث تبرد فيتكثف فيها بخار الماء ويهطل المطر، فينتج من ذلك تيار هابط. هذه الدورة بين التيار البارد الهابط والتيار الدافئ الصاعد تولد "خلية" عاصفة قد يبلغ عرضها خمسة كيلومترات.

وسرعان ما تأخذ هذه "الخلايا" في التكتل لتشكل عاصفة رعدية كبيرة مظلمة. وعلى امتداد أعلاها تدفع الرياح الشديدة السرعة منبسطاً جليدياً طويلا أمام العاصفة المتقدمة يمتد مسافة ٨٠ كيلومتراً أو أكثر. والى يمينها تتشكل خلايا أخرى. وبعد أن تعمّر كل خلية فترتها تمر عبر قلب العاصفة لتصب أمطارها ثم تذوي.

عندما تكون مجموعة من الخلايا تعمل بنظام مستقل مكتف ذاتياً، قد تظهر فجأة "خلية خارقة" يبلغ قطرها ١٦ كيلومتراً تنتج رياحاً وحشية ووابلا من البَرد الكبير. وفي أعماق هذه الخلية الخارقة قد يأخذ "القلب" في الدوران، الأمر الذي يسبق دائماً نشوء إعصار عنيف. وقد يظهر من الاسفل "جدار غيم" ينذر بالسوء.

تشرع هذه العاصفة المتميزة في لفظ صواعق البرق والبَرَد التي تلحق أذى يفوق ذلك الذي تلحقه الاعاصير.

بعض الحوادث يبدو عجيباً، إذ تستطيع الصواعق لحم حلقات سلسلة حديد وتحويلها قضيباً من حديد، كذلك يمكنها احداث فجوات في أجراس القبب وشواء البطاطا في السهول المكشوفة.

داخل العاصفة. قبل وقت قريب توصل العلماء الى أن الخلايا الخارقة التي تولد هذا الطقس القاسي تشكل في بعض الاحيان جزءاً من مجموعات أضخم. وخلال السبعينات اكتشف روبرت مادوكس، وهو اليوم مدير مختبر العواصف العاتية، شيئاً لم يلحظه أحد من قبل. لقد أظهرت صور قمر اصطناعي بالاشعة دون الحمراء مجموعات مستديرة ضخمة من العواصف الرعدية تتكوم ليلا على نحو مبعثر في أجواء ولايات الغرب الاوسط. ويذكر

(١) التروبوسفير «troposphere» هي الطبقة السفلى من الغلاف الجوي.

مادوكس أنها بدت كأنها تعمل معاً على احداث دوران جوي أكبر وأكثر ديمومة من الذي تحدثه عاصفة رعدية واحدة.

ان هذه الانظمة الضخمة التي تعرف بالمركبات الحملية المتوسطة(٢) قد تدوم ٣٤ ساعة، وقد تتمخض عن زوابع عنيفة وعواصف برَد شديدة، ويمكنها أن تصب أمطاراً بمقدار ما يصب اعصار متوسط الحجم. والعلماء في مختبر العواصف العاتية يستعملون الآن رسوماً بيانية للدماغ الالكتروني تجسّم المركبات الحملية المتوسطة الثلاثية الابعاد.

وفي الاطار ذاته، يستعمل العالم جوزف كليمب في المركز الوطني للابحاث الجوية في بولدر بولاية كولورادو، دماغاً الكترونياً ضخماً لتشكيل نماذج ثلاثية الابعاد عن عواصف رعدية إعصارية عاتية في جو شبيه بالجو الفعلي، غنيّ بالعناصر المعروفة بتنشيطها للعواصف. وهو يجري الاختبارات في عالمه الاصطناعي بغية اكتشاف منهاج العمل في الجزء الداخلي للعاصفة: لماذا تنزع "الخلايا" الفردية نحو الانقسام والتباعد؟ لماذا تدور يميناً ببعض الشروط ويساراً بشروط أخرى؟ لماذا تتحرك خلال عشر دقائق لتولد إعصاراً بعد أن تظل هادئة بضع ساعات؟

يقول كليمب: "هذه العواصف تولد أخطر الأعاصير وأكثرها ايذاء. واذا تمكنا من "فهمها" أكثر فقد نتمكن من ترقب حدوثها في وقت أبكر فنخلص عدداً أكبر من الناس."

رادارات متطورة. يعتقد كثير من العلماء أن العقد المقبل سيكون حقبة مميزة بالنسبة الى علم الارصاد الجوية. ومصلحة الارصاد الجوية في الولايات المتحدة على وشك نشر أجهزة رصد حديثة ستمكن الراصدين من العمل بدرجة من الدقة لم تكن ممكنة قبلا بالنسبة الى العواصف الاصغر والاكثر خطورة ضمن المركبات الحملية المتوسطة.

وسيكون التطور الاول البارز ارساء نظام رادار متطور لرصد الاحوال الجوية يدعى "نيكسراد". وسيعتمد هذا النظام رادارات خاصة من طراز "دوبلر" ستمكن الراصدين من "مشاهدة" الجزء الداخلي لعاصفة ما مما يتيح مراقبة الاعاصير في أطوارها البدائية وتحسين الانذارات الباكرة في ما يختص بالاعاصير الكبرى.

بالنسبة الى كن كروفورد، وهو مدير منطقة في مصلحة الارصاد الجوية حيث يتم اختبار المعدات الاصلية لنظام "نيكسراد"، فإن جهاز الموظفين لديه طالما تمكن من "اصدار انذارات قبل ٢٠ او ٣٠ دقيقة من انطلاق اعصار كبير." ويتوقع ان يبدأ نشر هذه الرادارات مع بداية ١٩٩٠.

واحدة من كبرى نقاط الضعف في أجهزة الارصاد الجوية المستعملة حالياً هي أن علماء الارصاد الجوية يتلقون المعلومات عن الرياح العليا مرتين فقط في اليوم. ولرأب هذا الخلل تخطط مصلحة الارصاد الجوية لشبكة مراقبة تدعى "بروفايلر"(٣) وتشمل البلاد بأسرها. وتقوم الفكرة على نشر ٣١ جهاز مراقبة تعطي معلومات مختصرة عن الرياح في

(٢) Mesoscale Convective Complexes

(٣) Profiler network

وسط الولايات المتحدة لمراقبتها باستمرار حتى مسافة ١٦ كيلومتراً في الجو. مبدئياً، سيقيس نظام المراقبة هذا سرعة الرياح واتجاهها، علماً انه في يوم ما سيقيس درجات الحرارة والرطوبة والضغط الجوي.

هذان النظامان، "نيكسراد" و"بروفايلر"، سيكونان عنصرين في مشروع ضخم مقترح للتسعينات هو "البرنامج الوطني للرياح" وهدفه الوصول الى فهم أفضل للعلاقة بين الانماط الطقسية الكبيرة والانماط الطقسية المتوسطة. يقول دون بيران مدير برنامج "بروفايلر" في مختبرات الابحاث البيئية في بولدر: "نحن نعلم بوجود علاقة مهمة بين هذين النمطين من الطقس. العاصفة الرعدية لا تحدث من تلقائها، فهي توجّه من تيارات اكبر. لذا علينا أن نعرف المزيد عنها."

ويضيف وليم هوك مدير مكتب برنامج الرياح: "إن الولايات المتحدة تشارك في مجازفة غير عادية. وأجهزة الرادار الحديثة ستزيد دقة تكهناتنا الى حد بعيد. واذا استشففنا المستقبل، لنقل مئة سنة من الآن، فسينظر المؤرخون الى هذه الفترة على أنها المدخل الى العصر الذهبي لعلم الارصاد الجوية.

ريتشارد ليبكن ■



دواء ناجع

شَكَت امرأة الى جارتها الخدمة السيئة التي تلقتها في صيدلية محلية، وهي متأكدة ان شكواها ستُنقل إلى الصيدلي. وعندما ذهبت الى الصيدلية للمرة الثانية، رحب بها الصيدلي بحرارة وركّب دواء وصفتها حالا. واضاف انه على استعداد للقيام باي شيء لمساعدة عائلتها مؤكداً ترحيبه باتصالها به حتى خارج اوقات الدوام.

وذكرت المرأة هذا التحسن في المعاملة لجارتها وقالت: "لا ريب في ان ابلاغك اليه استيائي منه قد فعل فعله."

– في الحقيقة لم تجرِ الامور هكذا. فقد اخبرته انك مندهشة من الطريقة التي بنى بها مؤسسته وانك شعرتِ أن صيدليته واحدة من أفضل الصيدليات التي تعاملت معها.

ج.ب.

ابهام الطبيعة الخضراء

استمتعُ بالشتول المنزلية غير اني اتجشم عناء الاحتفاظ بها سليمة. وذات يوم وضعت نبتة بدت لي سقيمة في باحة الدار الخارجية على امل ان تنتعش في نور الشمس. ونسيت ان ادخلها المنزل في أثناء الليل فلم اجد لها أثراً في الصباح.

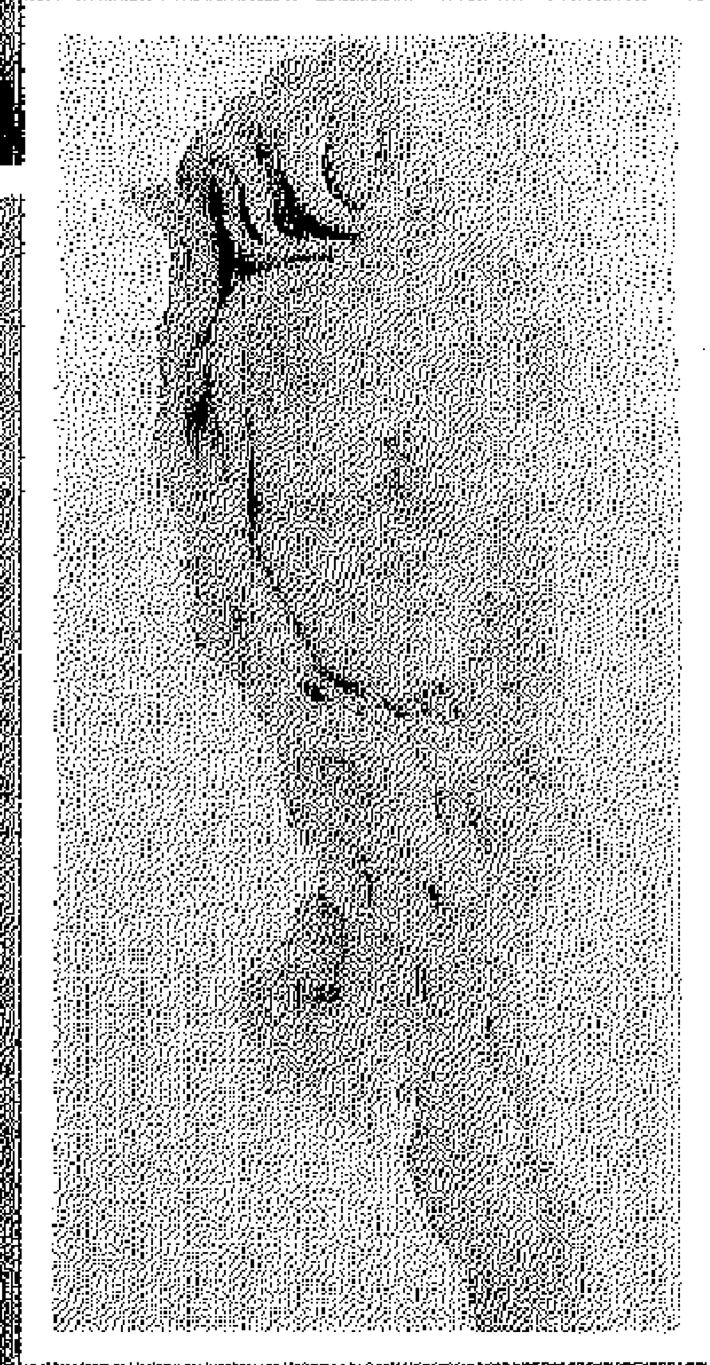
وبعد ثلاثة اسابيع القيت نظرة على الباحة فوجدت النبتة هناك تزهو صحة ورونقاً، مع بطاقة تحوي تعليمات مفصّلة للعناية بها، وفي اسفلها بصمة إبهام خضراء مكان التوقيع.

ل.س.



نيدو الحليب الأفضل
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
Full cream powdered milk
حليب مجفف كامل الدسم
نيدو الأفضل طعماً، الأسرع ذوباناً، الأضمن نتيجة والأوسع إنتشاراً.
نيدو السريع الذوبان: ضمانة أكيدة لنموّ أولادكم.
Nestlé
تضمنه نستله





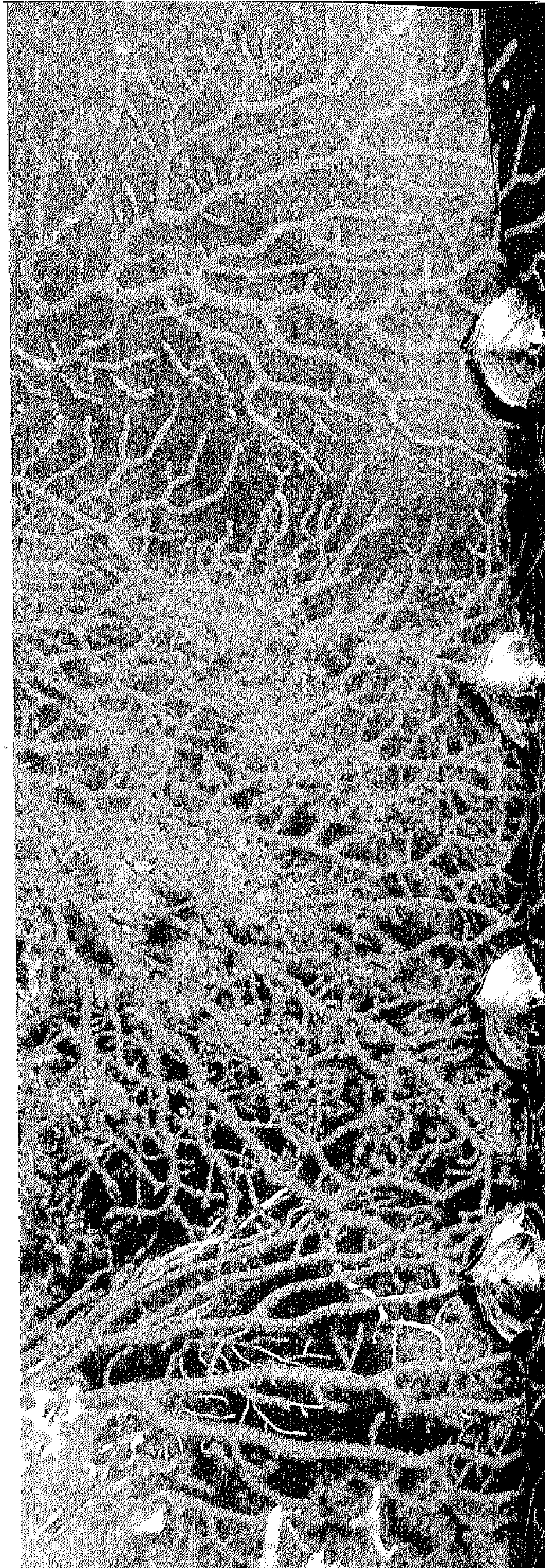
البواسل يخوضون غمار الاعماق سعياً
الى هذا الكنز

صيد المرجان: الطريقة العربية

ابحرت فجر يوم من أيام الصيف من مرفأ سانتا تيريزا دي غلورافي سردينيا، على متن مركب آلي طوله عشرة أمتار. ربان المركب غطاس محنك اسمه جيوفاني آسيوني وعمره ٦١ عاماً. وللمركب محركان قوة كل منهما ١٧٥ حصاناً، وهما يهدران بصوت أجش فيما يتجه الربان الى عرض البحر.

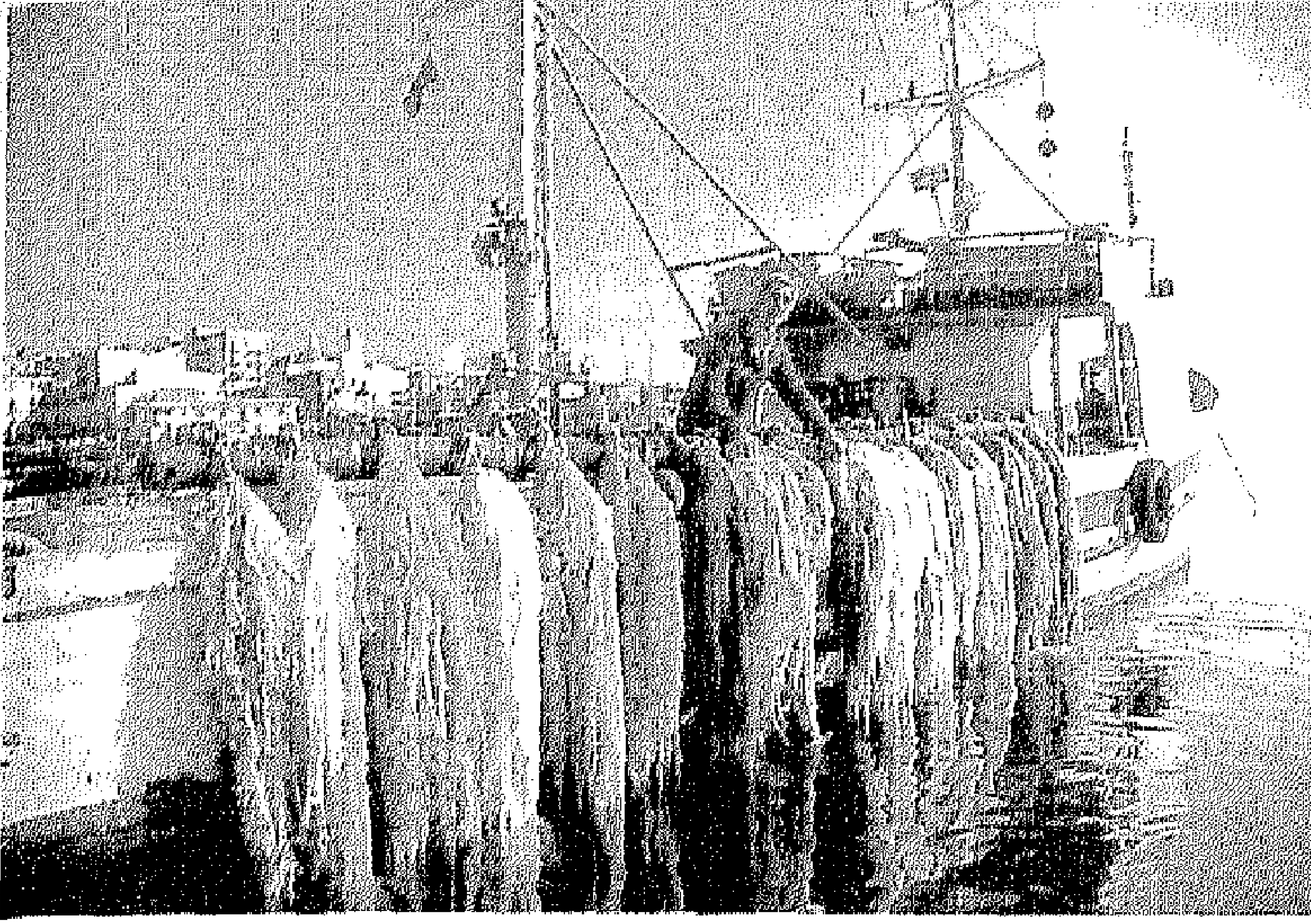
وفيما الملاح يتفحص جهاز الغطس أشار الربان الى طائر رمادي رفرف فوقنا وقال لي: "انه طائر الغاق. وهو يجيد الغوص على نحو عجيب. ويقع أحياناً في شباك الصيادين على عمق ستين متراً".

لكن آسيوني سيغوص الى عمق لم يبلغه أي طائر غاق، مجازفاً بحياته بحثاً



"شجيرة" مرجان تنمو كشعلة في قاع البحر. (فوق) اللمسات الاخيرة على رأس مرجاني. (الى اليمين) منمنمة من المرجان لفنان مجهول.

Photos: E. Franco / Fornass SAG 54 / Fornass



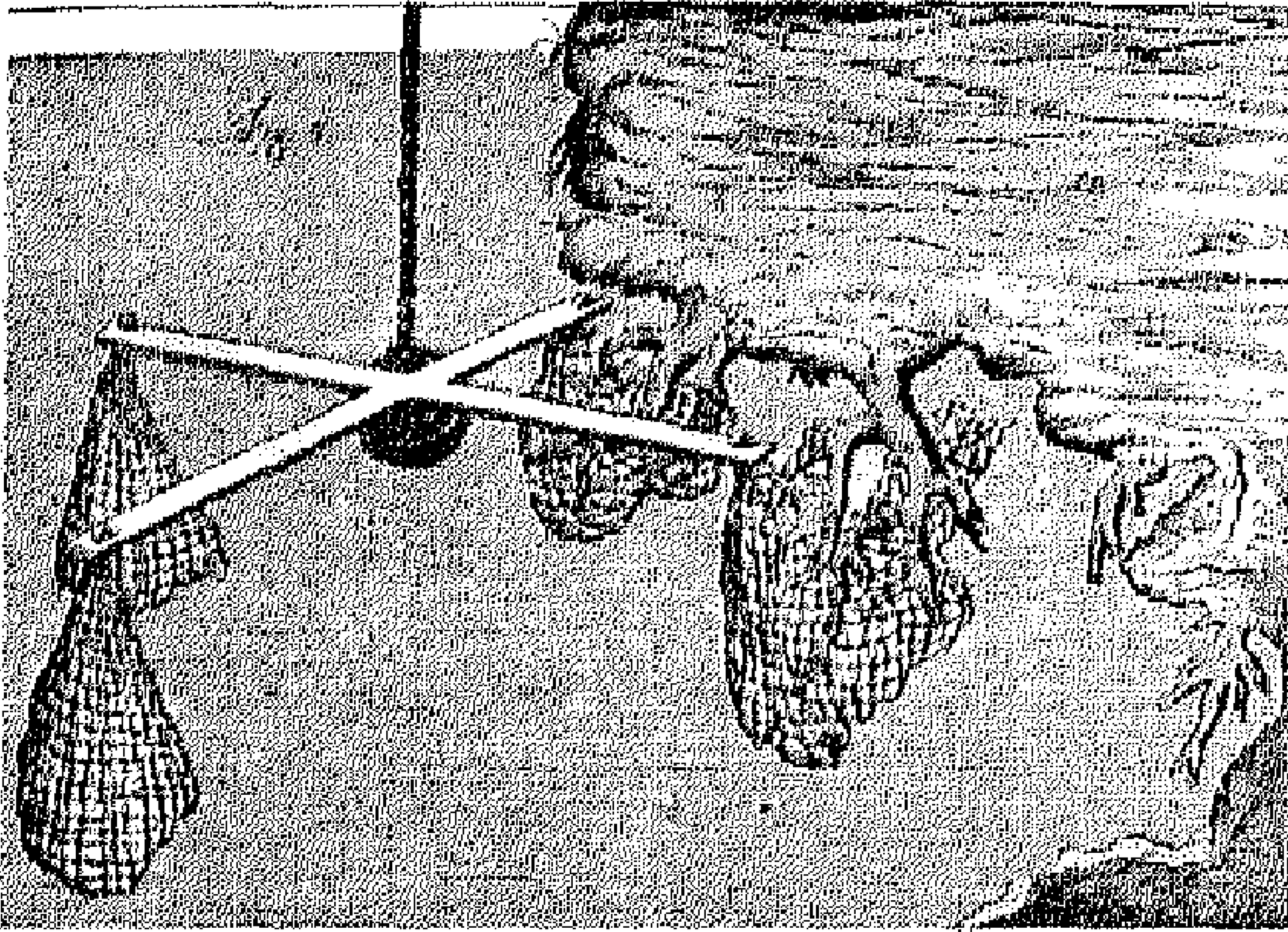
(اقصى اليسار) غواص عند صيد مرجاني.
(تحت) أداة صيد المرجان تعمل تحت سطح الماء، كما تصورها لوحة ترقى الى القرن الثامن عشر.
(فوق) آخر قارب لجمع المرجان في توري دل غريكو وعلى ظهره اداة الصيد.

عن المرجان (١) أحد أنفس كنوز البحر.

على مر عشرات آلاف السنين أولى الانسان قيمة عظيمة لهذا الذهب الاحمر الثمين، لا لجماله فحسب بل لأنه مصدر للصحة والسلطة والحظ. وقد قرن البدائيون المرجان بالدم أي بالحياة ذاتها. وفي اعتقاد أهالي كاليدونيا الجديدة أن المرجان يأتي بالمطر وتقلّد المرجان يرمز الى اكتساب مزيد من الحيوية. والى تحصين المرء ضد سوء الحظ.

شكل المرجان مماثل لشجيرة. ولطالما حسبه الناس نباتاً أو معدناً. ولكن في العام ١٧٢٣ كشف عالم الطبيعة الفرنسي أندريه بيسونيل أن المرجان "هيكل عظمي" جماعي لمستعمرة من الحيوانات المائية الصغيرة التي تستخرج كربونات الكلسيوم من البحر وتحيلها قشرة واقية من حجر الكلس الصلد.

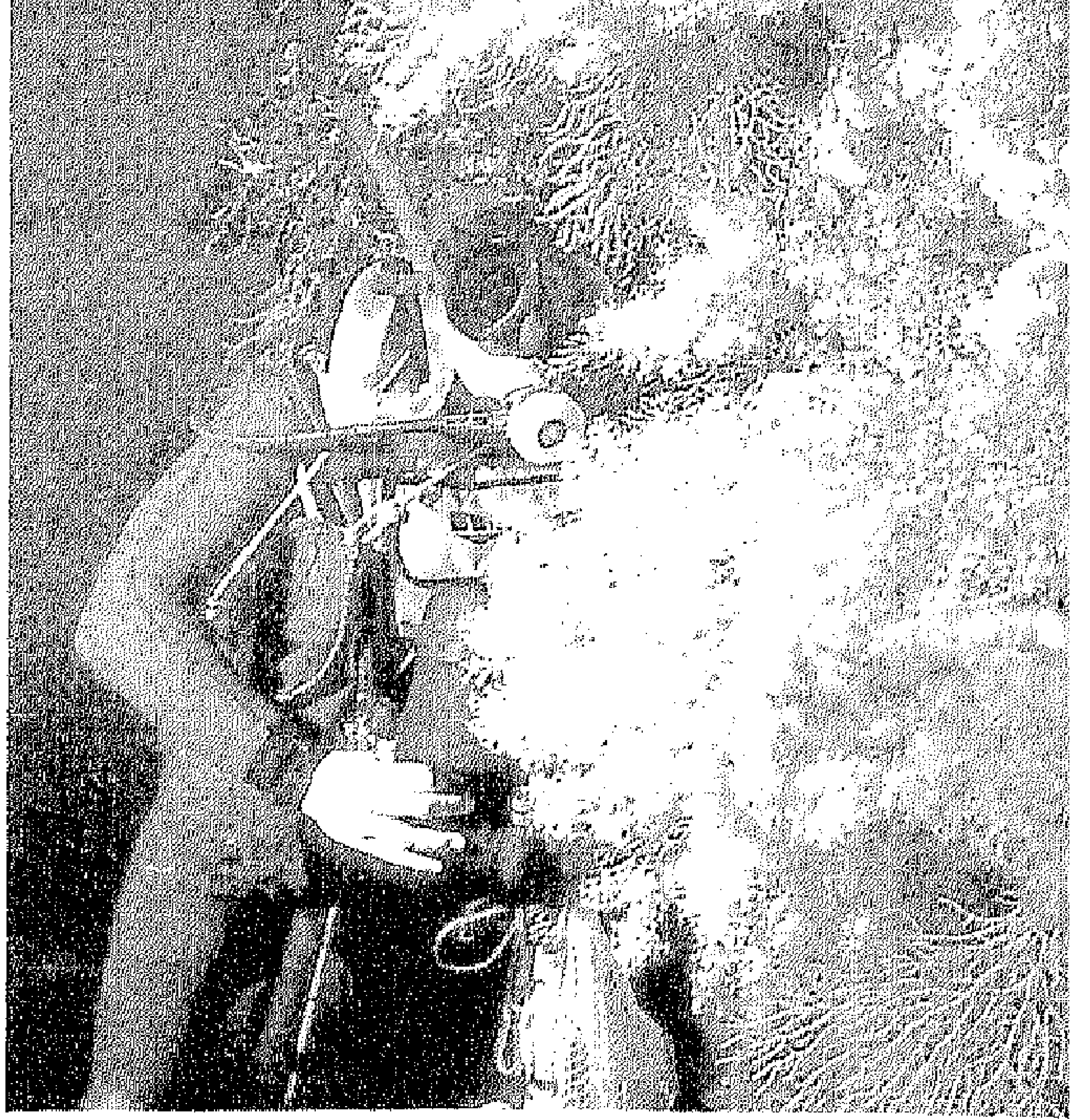
وثمة ٣٧ نوعاً معروفاً من المرجان، سبعة منها تتخذ لصناعة المجوهرات. وتتفاوت ألوانها من الابيض الى الزهري الخفيف فالأحمر القاتم. والمرجان ينشأ فقط على الحيود (النتوءات) الصخرية المغمورة بالماء، مراوحاً بين عمق متر وألفي متر تحت سطح الماء. واذا استنزف بنو البشر كل المصادر السهلة البلوغ، فإنهم الآن يوغلون في الغوص عميقاً سعياً اليه.



سلالة خاصة. قطب صناعة المرجان بلدة ايطالية تدعى "توري دل غريكو"

(١) Coral

Photo from "Nuovo Dizionario Scientifico e curioso sacro-profano" by G. Pivati, Venezia 1746



وتبعد قرابة عشرة كيلومترات جنوبا من نابولي. واهلوها يصيدون المرجان منذ القرن الخامس عشر على اقرب تقدير. وفيها افتتح أول معمل لتصنيع المرجان عام ١٨٠٥. ويبلغ تعداد سكانها ١٠٤ آلاف، وعدد العاملين في مصانع المرجان ومشاغله يناهز ثلاثة آلاف. ويقدر حجم تجارتها بنحو ١٦٣ مليون دولار سنوياً، وهي تصنّع المرجان المنقول بحراً من اليابان والصين وهاواي.

وحتى زمن قريب كانت توري دل غريكو تحتكر سوق المرجان في العالم. لكن تايوان أخذت تزاحمها في السنوت الأخيرة. غير أن الايطاليين ما زالوا قابضين على مقدّرات ضربي المرجان اللذين يشتد الطلب عليهما، وهما المرجان المتوسطي الأحمر القاني والمرجان الآسيوي الزهري الباهت المعروف باسم "بوكيه" أو "بشرة الملائكة" (٢).

وتسنى لي في معمل باسيليو ليفيرينو الحديث لتصنيع المرجان ببلدة توري دل غريكو أن أراقب الحرفيين الحاذقين يستعملون مناشير دائرية صغيرة يقطعون بها خصلات المرجان أجزاء طول الواحد منها سنتيمتران. ثم يستخدم اختصاصي آخر جَبَلة الغزل في مرملة كهربائية صاقلة لتحويل قطع المرجان خرزاً. ويجلوها ثالث. وأثناء هذه العمليات يستحيل تسعون في المئة من المرجان غباراً، وفي ذلك سبب لارتفاع ثمنه.

عقب تشكيل الخرز وصقله يثقب ويفرز طبقاً للحجم والجودة، وينظم في خيوط قطن قبل شحنه. ويصدّر معظم انتاج مصنع ليفيرينو الى أوروبا وأمريكا الشمالية واليابان. والاشكال التقليدية للمرجان كرات وأسطوانات أو "كابوشون" وهذا شكل بيضي يوضع في الخواتم وأقراط الأذن. وفي ايطاليا يتقلد الناس المرجان في اعناقهم في شكل قرن فلفل لصرف عين الحسود.

وعرب افريقيا الشمالية هم الذين ابتكروا صيد المرجان على النحو الجاري حالياً. وقد ورد في رواية تاريخية عربية من القرن العاشر الميلادي وصف الأداة التي ما زال الصيادون الى يومنا يقتلعون بها المرجان من أعماق البحار. وتتألف هذه الأداة من عارضتين متصالبتين تمتدان أربعة أمتار أو خمسة. وكانت تثقّل بالحجار لاغراقها وتعلّق بها

---

(٢) خق ضةلثم سنهة

Photo: E. Franco / Fornass

عشرات الشباك الصغيرة. وتجرّ على قاع البحر خلف القوارب بحبال غليظة يبلغ طول الواحد منها ٣٥٠ متراً. واذ تكشط الأداة المرجان عن الحيود تحت الماء، تلتقط الشباك الذهب الأحمر. أما الأداة الحديثة التي تعمل بالرافعات الكهربائية، عوض الجهد البشري الشاق، فمصنوعة من فولاذ وتتباعد دعامتاها ثلاثة أمتار فقط لتخفيف الضرر عن مغارس المرجان. لكن طريقة عملها تماثل الأداة القديمة.

وقد واكب نشاط الغطس لجلب المرجان رواج رئة الماء (٣) في أواسط الخمسينات. والغواصون سلالة خاصة من بين البشر، وحق لهم ذلك، فعملهم يضاهي قفزا من عل من دون شبكة أمان.

مهنة خطرة. كنا على بعد تسعة كيلومترات من كابو تيستا حين عاين جيوفاني آسيوني بمسبار الصدى في مركبه شيئاً جديراً بالاهتمام. أظهر المسبار مخططاً لنتوء على عمق ٩٠ متراً هو أشبه بالحدب. دار آسيوني بالمركب حتى اصبح فوق الحدب تماماً ورمى بعوّامة. ثم اعتلى المتن لابساً بذلة الغوص السوداء. شدّ مقياس العمق حول ساعده الايسر وربط مدية الى ربلة ساقه اليمنى. بعد ذلك دسّ مشعلا صاداً للماء في الفتحة المخيطة بقلنسوته، وارتدى قفازات وزعانف مطاطية.

تفحص الملاح سدادات قوارير الهواء الثلاث على ظهر آسيوني، واثنتان منها تحويان ستين ليتراً من مزيج الهواء وغاز الهيليوم للتنفس. اذ ان الهواء المضغوط صرفاً يغدو في الاعماق مسبباً للهلوسة أو الهذيان. وتشتمل القارورة الثالثة على هواء صرف لاسعاف الغواص في رجوعه الى سطح الماء. وسيكون في وسعه أن يمكث نصف ساعة في الماء على عمق ٩٠ متراً.

جاء آسيوني الى سردينيا قبل ٣٠ عاماً حين ذاع الخبر أن في مستطاع الرجل القوي القلب أن يجني ثروة طائلة من المرجان. وكانت تلك أياماً رائدة، اذ كان الغوص الى عمق ٥٠ متراً كالسباحة في الفضاء. وتعرف صيادو المرجان الى مخاطر الغطس بالتجربة، وكانت الأخطاء مهلكة أحياناً. فتحت الضغط يستحيل النيتروجين في الهواء سائلا وينساب في مجرى الدم، ثم يتفشى في البدن كله، في اللحم والعضل والغضروف ومخ العظم. وما لم يعطِ النيتروجين وقتاً كافياً ليخرج من الرئتين، فانه سيشكل، عندما يطفو الغواص الى سطح الماء، فقاعات غاز داخل الجسم تتسبب في أزمة تدعى "شلل الغواص" (٤) ينجم عنها ألم مبرّح أو شلل أو وفاة.

وفضلا عن هذا الشلل فإن السباحة في الشباك التي تخلفها سفن الصيد هي أهم معضلة يواجهها الغطاس. وقد علق آسيوني في عدد من الشباك مصادفة. فكان يقطعها بأناة بمديته، ثم ينسل خارجها مكرها نفسها على البقاء رابط

(٣) رئة الماء جهاز للتنفس تحت الماء.

(٤) هو انثناء الجسم مع الم الاطراف بسبب انخفاض مفاجيء في الضغط الجوي.

الجأش، اذ ان فقدان زمام النفس يورد المرء التهلكة.

قعد آسيوني في مؤخر القارب وقدماه المزعنفتان مدلاتان في المياه. سوّى قناع الوجه، ثم سلمه الملاح آخر الادوات التي لا غنى له عنها: شبكة في شكل قمع تحوي حجاراً تزيد من سرعة هبوطها، وصفيحة بلاستيكية فارغة وفأسا صغيرة.

اندفع آسيوني الى الماء. وبعد قليل كانت الاشارة الوحيدة الى وجوده فقاعات الهواء المتصاعدة. وكانت مهمة الملاح خلال الدقائق العشرين التالية ألا تغيب تلك الفقاعات عن أنظاره.

جبل الاحلام. غاص آسيوني بمعونة الحجار في شبكته متراً كل ثانية. وعلى عمق ٤٠ متراً انخفضت حرارة الماء فجأة ثماني درجات فيما ابتعد آسيوني عن أشعة الشمس الدافئة. مدى الرؤية عشرون متراً، واللون رمادي على نسق واحد.

وحين دنا آسيوني من القاع، حدد موقع الحيد تحته. انه مغطى بطبقة كثيفة من الفرغون، وهو كائن بحري أسود من فصيلة المرجان. ألقى الحجار من شبكته وسبح هابطاً المسافة الباقية. الإبرة المغناطيسية في مقياس العمق الذي يحمله تشير الى ٨٧ متراً. كل ذرة من جسده متنبهة. وما لبث أن رآها: بقعة من الأحمر الزاهي عند قاعدة الحيد. سرت فيه فورة من الغبطة، فتحديد موضع المرجان لحظة آسرة.

أكب بتؤدة على الاغصان الحمر حازاً اياها عن الصخر. كانت مرجانة صغيرة من نوعية جيدة تباع في توري دل غريكو بـ٣٩٥ دولاراً للكيلوغرام الواحد. كان ذلك عملا مضنياً، فأدنى حركة على هذا العمق جهد شاق، كرقص المرء في مستنقع منتعلا حذاءً رصاصياً. شبكة آسيوني تمتلىء شيئاً فشيئاً بغصون المرجان البرّاق. ألقى نظرة عجلى على ساعة يده. لقد انقضت خمس عشرة دقيقة ولم يبق له سوى خمس.

وفي الدقيقة العشرين كانت الشبكة ملأى بنحو كيلوغرامين. ثمة مرجان آخر يجنى، ولكن عليه أن يكون صارماً مع نفسه، وفي وسعه أن يعود إليها في يوم آخر. لقد آن أوان العودة الى فوق. ربط الشبكة المملوءة مرجاناً الى حزامه وملأ الصفيحة البلاستيكية هواء نقياً من القارورة الثالثة التي يحملها. واذ قلبها تحولت منطاداً رفعه بلا عناء الى قعر المركب.

على السطح كان الملاح يترصّد ساعته مراقباً. وفي الدقيقة العشرين تناول حبلا طوله ٥٠ متراً موصولا الى مثقال حديد يزن: ٣٠ كيلوغراماً الى بركة الفقاعات المتفجرة.

كان التيار ضعيفا، فوجد آسيوني المثقال والحبل على مسافة قريبة منه وهو في مصعده الخاص على عمق ٥٠ متراً. أفرج عن الهواء من الصفيحة وشرع يرتقي الحبل واضعاً كفاً فوق كف. عليه أن يتحرك ببطء منذ الآن.

واذ شعر الملاح بثقل جسد آسيوني على الحبل قذف بمثقال آخر أخفّ موصول

بحبل طوله ٣٠ متراً. واذا وصل الغواص الى الحبل الجديد اوثقه الى شبكة المرجان التي نزعها عن حزامه. وسحب الملاح الشبكة. وكانت لحظة ذات وقع في نفوسنا اذ طفت الشبكة على السطح فرأينا محتواها.

وأنزل الملاحون على حبل آخر من ٣٠ متراً قارورتي هواء نقي آبدلهما آسيوني بالقارورتين المحمولتين على ظهره، واكمل صعوده. ثم توقف على عمق ١٥ متراً. انها محطة الاستراحة الاولى، وهناك خمس مثلها لتعديل الضغط واعادته بأمان الى المستوى الطبيعي.

بعد خمس عشرة دقيقة صعد آسيوني عمق ١٢ متراً عن سطح الماء حيث لبث ٣٠ دقيقة. ثم ارتفع الى عمق ٩ امتار حيث مكث ساعة كاملة.

لبست الزعانف والقناع وهبطت كي أزوره. فألفيته بين السلاسل والأنابيب والحبال معلّقاً كعنكبوت ضخم. لوّح لي بكفه ذات القفاز.

ان خفض الضغط من عمق مئة متر يستغرق اربع ساعات، اثنتين تحت سطح الماء واثنتين فوقه. لبث آسيوني فترات وجيزة على عمق ٦ أمتار و٣ أمتار قبل ان يطفو على السطح ظهراً. وتسلق منهكاً الى حجرة تعديل الضغط في المركب. انطلقنا ببطء متوجهين صوب البر.

خرج آسيوني من الحجرة في الثانية بعد الظهر وقد انشرح صدره لما أنجزه في الصّباح. ووددت أن أعرف ما الذي يدفعه الى المجازفة بحياته كل يوم في سن يركن فيها معظم الرجال الى التقاعد.

قال لي: "اني ما زلت آمل أن أعثر على مرجانة كبيرة ذات حجم وجمال نادرين. لعلها تنتظرني في اليونان أو ألبانيا او الجزائر. سأعثر يوماً على جبل المرجان الذي يراودني. وعندئذ سأتوقف عن البحث".

كريستوفر ماثيوز ■

مؤسف أن جيوفاني آسيوني تعرّض لحادث أثناء حملة لصيد المرجان فغدا مشلولا. وهذا المقال تنويه بشجاعته الاسطورية واقرار بفضل زملائه الذين يعرضون انفسهم للأذى والموت في بحثهم بلا هوادة عن المرجان.



سيارة ضد السرقة

كانت سيارة زوج امي البيضاء المفضلة ذات الغطاء القابل للطي في حالة مزرية لكنه كان يرفض التخلص منها. وعندما سُرقت من موقف السيارات أمام مكتبه ابتهجت العائلة ومع ذلك اتصلنا بالشرطة.

لم تدم بهجتنا طويلا فبعد ساعة اتصل بنا احد رجال الشرطة قائلا: "وجدنا السيارة على مسافة كيلومتر تقريباً"، واضاف محاولا إخفاء مرحه: "لقد وجدنا فيها بطاقة تقول: "شكراً على كل حال، فنحن نفضل السير على الاقدام."

ش.ف.ك.

لا ترتبكوا لدى لقاء غرباء. حلّوا عقدة لسانكم وشجعوهم على الكلام وسوف يغنون حياتكم

كان نهاراً دافئاً في نوفاسكوشيا في كندا، لكنني وقفت مرتجفة على رصيف المحطة أنتظر القطار الذي يقل كاتباً مميزاً. وكنت أرسلت لاستقباله بصفتي محرراً في نشرة الجامعة حيث أدرس.

أخيراً وصل الرجل العظيم. واذ انحلّت عقدة لساني بعد جهد، تمتمت: "أنا أيضاً أتعاطى الكتابة."

فرد بلطف: "إذاً ستكون لدينا أمور كثيرة نتبادل فيها الحديث." لكنني اذّاك أصبت بنوبة بُكم اذ ظننت أنني أخطأت في ما قلت.

هذا الخوف من الغرباء يحدث لكثيرين منا: في الحفلات حيث لا نستطيع التفكير في شيء ظريف أو مهم نقوله، وفي مقابلات العمل حيث نجاهد لنؤثر في الآخرين، وفي أي مكان آخر حيث نواجه أناساً يثيرون اهتمامنا لكننا نفتقر الى الجرأة لبدء حديث معهم.

وعلى رغم ذلك فإن معرفتنا كيف نلقى الناس بارتياح تمكننا من توسيع دائرة معارفنا واغناء نسيج حياتنا.

خلال سنوات تجوالي في العالم كصحافي، كانت المقابلات التي أجريتها

غربـــاء حَتى نَـلتقي...



مع الغرباء من أبرز حوادث حياتي. فهي مثل فتح علب الهدايا التي تجهل ما داخلها. فعلا، ان السحر الذي يلف الغريب يكمن تماماً في حقيقة جهلنا اياه.

قابلت سيدة من نيو اورلينز بدت لطيفة وبعيدة كلياً عن العالم القاسي، لكنني اكتشفت أنها كانت مسؤولة عن اعادة تأهيل المجرمين الشباب بعد خروجهم من السجن. وهناك أيضاً تلك العجوز الانيقة التي التقيتها في قطار كندي، فأخبرتني أنها متوجهة الى قرية في المنطقة القطبية الشمالية بغية مشاهدة الدببة التي قيل انها تسير في الشوارع هناك.

نادراً ما تكلمت مع غريب لم يترك أثراً في مخزون ثقافتي.

التقيت بستانياً في احدى الحدائق العامة، فأخبرني أموراً كثيرة عن نمو المزروعات لم اكن أعرفها من قبل. ودعاني سائق في "وادي الملوك" في مصر الى تناول كوب من الشاي في منزله ذي الارضية الترابية، وعرّفني الى نمط من الحياة يختلف كثيراً عن نمط حياتي. وفي أوسلو في النروج اقتادني رجل كان من أنصار المقاومة خلال الحرب العالمية الثانية الى سهل مرتفع حيث تتنهد الرياح الآتية من البحر بين الاعشاب، وأطلعني على أمر الرهائن التي أعدمت هناك على أيدي النازيين رداً على هجمات المقاومة.

ان شخصاً لم يسبق أن التقيناه قد يعلّمنا أموراً عن أنفسنا. قد نفضي الى غريب بأمور طالما أردنا الافصاح عنها لكننا لم نجرؤ على ذكرها لافراد عائلاتنا.

وقد تنجم عن لقاء عارض مع غريب صداقة تدوم مدى الحياة. لقد تلقيت قبل مدة رسالة من شخص أعرفه منذ ٣٠ سنة، وكانت علاقتنا بدأت على مقعد في محطة بنسلفانيا بمدينة نيويورك عندما كنا ننتظر القطار. تعالوا نفكر: ألم يكن معظم أصحابنا غرباء عنا في يوم ما؟ مرة قرأت لافتة في حديقة زرتها جاء فيها: "لا غرباء في العالم، بل أصدقاء ينتظرون ساعة اللقاء."

إذاً كيف نتعلم الافادة الى أقصى حد من لقاء غريب؟

لا قاعدة سحرية لذلك، ولكن هنا بعض اقتراحات تؤدي الى فتح باب أوسع:

١. عبّر عن شعورك.

خلال حفلة عشاء، قد تراودك أفكار مثل: أنا لا أصلح للقاءات كهذه بسبب خجلي الشديد. أو على العكس: انني أحب هذه الحفلات مع أن كثيرين يعتبرونها مملة.

مهما يكن شعورك، انقله الى أول شخص يبدو مستعداً للاستماع اليك، فتجد أن أحاسيسك تلقى صدى محبباً. ان أفضل المحدثين هو الذي يملك الحذاقة والجرأة على قول الحقيقة. وإذا كنا صادقين في ما نقوله عن أنفسنا فان الشخص الآخر سيشعر بالحرية في قول ما يجول في خاطره.

٢. تحدث عما حولك.

إذا كنت تملك حب المعرفة فسترى بالتأكيد شيئاً تعلق عليه. ذات مرة نظر

أحد الغرباء حوله باعجاب و"كسر الجليد" قائلا لي: "كم تبدو لي الحفلات معرضاً حياً للجنس البشري!" كان ذلك مقدمة جميلة لبدء محادثة.

٣. قل شيئاً عن رفيقك.

سمعت مرة امرأة تقول لأحد الغرباء: "وجهك محبب جداً جداً." قد لا يملك معظمنا الجرأة لقول ذلك، ولكن يمكننا أن نقول كلاماً آخر مثل: "رأيتك تدخل، وفكرت..." أو: "أنت تقرأ كتابي المفضل."

٤. إطرح أسئلة.

ان كثيراً من المحادثات التي لا تنسى تبدأ بسؤال. وأنا غالباً ما أسأل أحدهم: "هل لك أن تروي لي أحداث يوم في حياتك المهنية؟" عادة يتجاوب الناس مع سؤالي بحماسة.

٥. أصغ الى الاجوبة.

ان نصف المحادثة الجيدة يكمن في الاستماع، ولا حوار حقيقياً من دونه. لكن الاصغاء فن في ذاته. أنظر الى سيدة تعرفت اليها حديثاً، عندما تتكلم. تجاوب على نحو يشجعها على متابعة الكلام. عندئذ يصبح الاصغاء ايجابياً لا سلبياً، يصبح كرحلة لمستكشف. ان الغرض من المحادثة الجيدة، بالمقارنة مع الحديث العابر، هو أن تكتشف محدثك وتفهمه.

فماذا يمكنك أن تضيف الى المحادثة؟

تذكّر هذه الحقيقة: الناس يشعرون بالفضول تجاهك، تماماً كما تشعر أنت تجاههم. ويمكنك اضفاء الكثير على حياتهم كما يضفون هم الكثير على حياتك. ان حديثاً يبادرك به الشخص الآخر ليس أفضل من حديث تبادره به أنت.

المشكلة تكمن في أن قلة من الناس تدرك ماذا تعطي. يتوهم بعضهم أنهم بليدون أو خجلون ويقولون لي: "حياتي خالية من الاحداث المهمة."انهم غالباً على خطأ. فالحقيقة أن معظم الناس يثيرون الاهتمام.

في كتاب "الكلام يغير حياتك" ذكرت



دوروثي سارنوف: "هنالك شيء مدهش في كل انسان ناقص مشوش حائر." عندما أتكلم معك أواجه أحجية مدهشة. أي نوع من الاشخاص أنت؟

كثيرون منا يحاولون قول ما يتوقع قوله ويقلقون اذ يرون أنفسهم مختلفين عن الآخرين. ولكن في نقطة الاختلاف هذه تكمن التجربة العميقة. وحين نكشف ذواتنا للآخرين بأمانة، من غير غرض بل من أجل أن نَفهَم ونُفهَم، فإن لقاء مؤثراً يكون في طور النمو.

اننا نحتاج الى حافز من غريب، من شخص لا يشبهنا يكون لفترة قصيرة مصدر غموض. والى ذلك فإن اللقاء مع غريب لا يتركنا أبداً كما كنا. وهو في أفضل حالاته لقاء بين قلبين وعقلين، لقاء سيكون دائماً جزءاً من مادة حياتنا.

واللقاءات مع الغرباء قد تقنعنا بألا نفكر في سائر البشر على أنهم غرباء، بل أناس يحبون ويعانون ويكتشفون ويتمتعون، تماماً كما نفعل نحن.

هذا العالم مليء بالناس فافتح قلبك وتمتع. مدَّ يدك والتق صديقاً.

أرديس ويتمان ■



الفضل للثلج

بعد مرور اسبوع على اقامتي في المدينة هبّت عاصفة ثلجية. فتركت العمل وقدتُ السيارة وسط ثلج يعمي البصر الى ان بلغت البيت الذي كنت استأجرته قبل اسبوع. وفي اول الطريق المؤدي اليه رأيت كتلة ثلج ضخمة فاجتزت خلالها مسرعاً قبل ان اتوقف نهائياً.

وإذ هنأت نفسي على وصولي بالسلامة اخرجتُ رفشاً من صندوق السيارة وجرفت الثلج عن باقي الطريق المؤدي الى المرآب، ثم بدأت بازالته من الممشى المؤدي الى البيت. وعندما بلغت العتبة، فتح رجل كهل الباب وقال:

"شكراً، يا بني، لكنك تقيم في المنزل المجاور."

غ.ن.

خيال رومانسي

ذهبت لحضور مؤتمر لكتّاب القصة الرومانسية في احد الفنادق. وكان المصعد المؤدي الى طبقة الاجتماعات مليئاً بمؤلفين مغمورين ولكن متفائلين. فتوقف عند الطبقة الرابعة وفُتح بابه وحاولت امرأتان الدخول اليه.

فقال احد ركابه: "آسفون، ليس هناك مكان لشخص آخر." وعندما أُغلق الباب وتابعنا صعودنا ران سكوت مفاجئ على الموجودين فقال احدهم في رهبة: "انهما رئيستا تحرير."

فتضاحك آخر وقال: "نعم، ونحن رفضناهما!"

إ.هـ.

حاول المزارعون الهولنديون طوال قرون انتاج هذه الحسناء الاسطورية. وها هي الخرافة تحققت

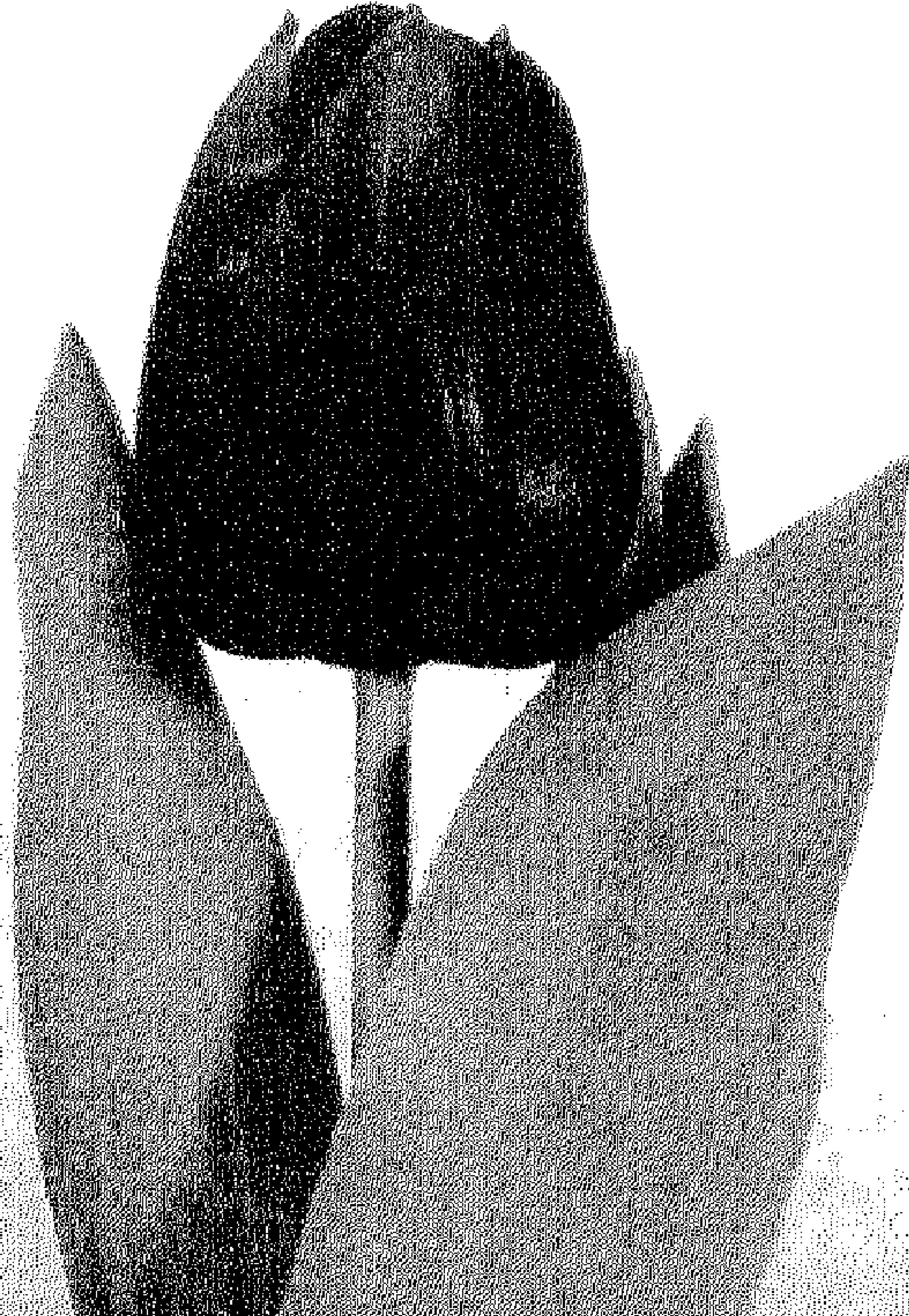
قبيل منتصف ليل ١٨ فبراير (شباط) ١٩٨٦ كان غيرت هاغمان، منتج زنابق التوليب(١) وابن التاسعة والعشرين آنذاك، يقوم بجولته الاخيرة داخل مستنبتاته(٢) في قرية أود نيدورب التي تضمّ ٥٠٠ نسمة وتبعد ٣٠ كيلومتراً شمالا من أمستردام عاصمة هولندا. لقد مضت أيام وهو ينتظر بقلق تفتّح اكمام زنابق هي نتاج إخصاب تهجينيّ واعد جداً. وكان جليد خفيف يعمّ الخارج، لكنّ الدفء "الربيعي" الذي تنشره حرارة ٢٠ درجة مئوية داخل البيت الزجاجي سرعان ما سيفتح الاكمام الخضر ليُظهر لون تويجاتها.

وفيما هاغمان يجول ببصره على النبتات المزروعة في أصص متفرّقة، راح يفكر في محاولاته خلال السنوات السابقة

(١) التوليب نوع من الزنابق يدعوه بعضهم "خُزامى."

(٢) المستنبت أو الدفيئة «greenhouse» بيت زجاجي أو بلاستيكي لزراعة النباتات في غير مواسمها.

الزنبقة السوداء



انتاج زنبقة داكنة حقاً. لقد عرف كم هو ضئيل احتمالُ أن ينتج من اختباره الاخير ضرب من التويجات شبه السود. فتهجينه نوعين من الزهر، الارجواني الفاتح مع الارجواني الداكن، كان يعطي دائماً أزهاراً أرجوانية أخرى. ولكن ربما هذه المرة... استغرق غيرت في أفكاره ماشياً بين غرساته المرهفة.

حلم الصبا. تنتج هولندا ٨٠ في المئة من بصل زنبق التوليب وزهره في أسواق العالم. وفي ١٩٨٨ زرع الهولنديون هذه الزنابق في ٧١١٠ هكتارات من الاراضي. وفي خريف ١٩٨٨ بيعت مئة مليون بصلة في السوق المحلية بقيمة ١٤،٥ مليون دولارٍ بسعر التجزئة (المفرق أو القطّاعي). وصُدِّر نحو ١،٨ مليار بصلة الى الخارج بـ٤٥٠ مليون دولار. ومن أصل ٨٥٠ مليون زهرة بيعت بالمزاد العلني في هولندا عامِ ١٩٨٨، صُدِّر نحو ٧٠ في المئة. وخُمِّنت قيمتها بـ١٤٥ مليون دولار.

موطن بصل التوليب الاصلي آسيا الوسطى. وهو ظهر في هولندا للمرة الاولى في القرن السادس عشر، وسرعان ما غدت زهرته رمزاً وطنياً. واستأثر البحث عن انواع خاصة باهتمام المزارعين والمتاجرين والجمهور على الدوام. وعلى سبيل المثال، عَمَّت في مطلع القرن السابعِ عشر موجة مسعورة سعياً الى أنواح تُستنبت اصطناعياً لتعطي زهوراً مضطرمة الالوان مثل "فايسروي" و"سمبر أغسطس" (٣). وفي ذروة هذا الجنون توصّل المضاربون الى دفع ٦٠٠٠ غيلدر (٤) ثمن بصلة واحدة، في منطقة حيث كان المنزل يباع بـ٩٠٠ غيلدرا لكن حلماً لم يتحقق: انتاج زنبقة توليب سوداء. وبدا لفترة أن زهرة كهذه هي، مثل ذهب الخيميائيين القدامى، خرافة في بطن الغيب.

أحرزت هذه الخرافة شهرة عالمية بفضل رواية الكسندر دوما الابن "الزنبقة السوداء" الصادرة في العام ١٨٥٠، التي تصوِّر هولندا المضطربة في العام ١٦٧٢. بطل القصة كورنيليوس فان بيرل شاب في الثامنة والعشرين مهووس بانتاج التوليب حتى كاد ينسل زهرة سوداء، لكنه اقتيد الى السجن ظلماً في قلعة لوفستاين. ويقع في حب ابنة السجّان، روزا غريفوس، وهي تتبع تعليماته حتى تتوصل الى إزهار زنبقة سوداء.

من الاحداث الشهيرة في الرواية مشهد روزا وهي تُري كورنيليوس الزهرة من خلال قضبان زنزانته. "مسَّت شفتا كورنيليوس الزهرة برفق. كانت رائعة الجمال، لها سويقة مستقيمة كنصل السيف يبلغ طولها حوالى نصف متر وتعلو من بين أربع أوراق خُضْر مُلْس. وكانت الزهرة نفسها سوداء تماماً، تلمع كالهرمان." وفي ما بعد أُطلق كورنيليوس فتزوج ماري، وتيمُّناً باسميهما سميت الزهرة التي أثارت ضجّة كبرى "توليبا نيغرا روزا بيرلانسيس."

هل نترك الخيال جانباً؟

يقول غيرت هاغمان اليوم: "قرأت كتاب دوما عندما كنتُ صبياً فسحرني.

(٣) Viceroy and Semper Augustus

(٤) الغيلدر الهولندي اليوم يساوي نحو نصف دولار.



غيرت هاغمان يعرض بفخر زنبقته السوداء.

وأجمل ما استطعت تصوُّره كان زرع التوليب وابتكار نوع كهرماني السواد."

ولد هاغمان عام ١٩٥٦ لطبيب في أود نيدورب. وهو اليوم رجل قوي البنية، أشقر، يرنو بنظرة واثقة نافذة. وهو متزوج تينيكي التي تصغره بأربع سنوات.

دعوة حقيقية. ترعرع غيرت في أود نيدورب. وكانت الحقول حول القرية مزروعة بالتوليب. وكان من جملة زارعيها هنك فان دام. بدأ غيرت في سنه العاشرة يساعد فان دام على اقتلاع البصل وتنظيفه. ويتذكر فان دام (٤٨ سنة) مبتسماً: "كان الصبي أقصر من ركبة جرادة عندما بدأ يعمل معي، لكنه كان منظّماً جيداً. وما ان بلغ السن الرابعة عشرة حتى كان يُشرف على فريق كامل يعمل في امرته. وعندما كانت عائلته تسافر لقضاء العطلة كان هو يفضل البقاء مع الزنابق."

بعد سنة تنقصها الحماسة في كلية التكنولوجيا المتقدّمة في هارلم تخلى غيرت عن الدراسة ليلبي دعوته الحقيقية، زرع التوليب. والتحق وهو في العشرين بشركة "تريفلور فان دام". وخلال خبرته الميدانية ودراسته في معهد

Photos: Fotoburo Lex Salverda

التركيب الوراثي للنبات في فاجننجن امتاز بسرعة في تهجين النباتات، مع اهتمام خاص بالتوليب.

في وقت مبكر من العام ١٩٧٩ أنشأت ست شركات بستنة، من ضمنها "تريفلور فان دام"، اتحاد منظمات تحسين التوليب بهدف انتاج أنواع جديدة. وعين هاغمان مديراً للاتحاد. فتبعت ذلك تجارب تهجينية في مشتل هنك فان دام الممتد على مساحة ٤٠ هكتاراً. ويقول هاغمان: "كانت أمامنا لائحة طويلة من المشاريع لتحسين أنواع التوليب القائمة، لكن التحدي الاكثر اثارة كان انتاج زنبقة سوداء."

الطريق الى الضالة المنشودة طويل وصعب. وسابقاً، في العام ١٨٩١، أنتج البستاني الالماني الشهير إ. هـ. كريلاج "الزنبقة السوداء" لكنها كانت أرجوانية دكناء أكثر منها سوداء حقيقية. كذلك كانت عدة انواع أخرى تلت، مثل "الببغاء السوداء" و"الحسناء السوداء" و"اللؤلؤة السوداء". أما "ملكة الليل" الباذنجانية اللون التي سجلها ج.ج. غرولمانز من ليس في ١٩٥٥، فقد أصبحت معروفة في الاوساط الشعبية باسم "التوليب السوداء" من دون أن تكون فعلا كذلك. ومع ذلك اقتنع كثيرون بأن ليس في الامكان انتاج نوع أكثر سواداً منها.

"أمهات" و"بنات". في ١٩٧٩ بدأ هاغمان تهجين زنبقة كريلاج "السوداء" و"الببغاء السوداء" و"الحسناء السوداء" و"يوكوهاما"، و"الغلّة الذهبية" في كل التركيبات الممكنة. وهو اختار النوعين الاخيرين، وكلاهما أصفر، ليس من اجل لونهما بل لما يتمتعان به من سمات كالطول وشكل البتلة. ويشرح قائلا: "التوليب نبتة هجينة، ويعني ذلك أن الخلايا التناسلية الذكرية والانثوية تحمل جينات مختلفة. فكل زهرة متحدرة من عدد هائل من الاصول، ولكل من هذه الاصول سمات مختلفة قد تظهر في نتاجها. وهذا ما يجعل التهجين مثيراً الى هذا الحد. فأنت تنتظر لسنين تفتّح الزهرات الاولى، ولا تستطيع أن تتكهن كيف ستبدو. وبعض تهجيناتي أنتج زنابق صفراً وحمراً دُكناً وأرجوانية وأرجوانية دكناً. ولكن لم تكن بينها أي زنبقة سوداء."

في مايو (أيار) ١٩٧٩ زاوج هاغمان زنبقة توليب من نوع "فينرفالد" وهي أرجوانية ذات تويجات بيض الاطراف مع أخرى من فصيلة "ملكة الليل." استعان بملقطين صغيرين لاستخراج الطلع (اللقاح) من مآبر عدة "آباء" من فصيلة "فينرفالد" ووزّعه بواسطة فرشاة ناعمة على مباسم عشرين زهرة من فصيلة "ملكة الليل." وفي نهاية يوليو (تموز) قص أزهار التوليب وعلّقها مقلوبة في غرفة التجفيف، ليتسنى له بعد عدة أيام هز البزور وحفظها في علب.

انتجت "الامهات" العشرون نحو ألف من البزور التي نُثرت في ديسمبر (كانون الاول) في صندوق إنبات مرموزة. وضع الصندوق في عنبر مكيّف، وفي بداية ربيع ١٩٨٠ نقل الى المستنبت غير المدفأ. هناك كوّنت البزور بصيلات بالغة الصغر في حجم رأس عود ثقاب. ومن هذه نبتت

سويقات صغيرة خضر. وبعدما همد نمو السويقات اقتلعت البصيلات في مطلع الصيف وخزنت الى أن يحين موعد غرسها مجدداً. وتكررت هذه الدورة الزراعية مدة خمس سنوات، وكل ربيع وصيف كانت البصلات تنمو فيزداد حجمها قليلا. ويتذكر هاغمان: "في نهاية ١٩٨٥ كانت نمت تماماً، فزرعناها في أصص فردية. وانتظرنا ظهور الازهار الاولى في مستهل ١٩٨٦."

نجمة المعرض. في تلك الليلة من فبراير (شباط) جال هاغمان ببصره على زنابقه مرة اخرى. وفجأة تسمّر في مكانه. هناك، وسط كل تلك الشتول الخضر، شاهد برعماً صغيراً صقيلا شديد القتامة. وقفزت فكرة الى ذهنه: انه أسود!

يقول: "عندما شاهدت تلك الزهرة الصغيرة في ذلك البحر من الاخضرار عرفت أن أمراً جللا حصل. شعرت كأني ملك. وكانت الاوراق دقيقة ومستقيمة كما في رواية دوما. الزنبقة السوداء التي أنتجها كورنيليوس فان بيرل كان طول سويقتها نصف متر، اما زهرتي فسويقتها أقصر قليلا."

بكّر غيرت صبيحة اليوم التالي بالاتصال هاتفياً بهنك فان دام الذي أثاره النبأ.

في تلك الاثناء أقيم معرض "وست فريزين" في بلدة بوفنكارسبل، وهو أكبر معرض مغلق للزهور في العالم ويجتذب نحو مئة ألف زائر سنوياً. ويروي فان دام: "غرسنا الزنبقة السوداء بعناية في وعاء أكبر وغلّفناها بقطن ونقلناها الى المعرض في مقعد سيارتي الخلفي."

أزال هاغمان وفان دام مآبر الزهرة كي تستحيل سرقة المادة الوراثية من غبار الطلع، ووضعا زنبقتهما على حدة تحت ساتر زجاجي على مسطبة من الحصى الابيض. وانطلقت الآلة الدعائية. اتصل فان دام بالسيدة هاغمان لكي تجلب لزوجها بذلة أنيقة وقميصاً بيضاء نظيفة. وتتذكر تينيكي: "عرفت أنه مقبل على عرض زنبقة جديدة، لكن غيرت كان أخفى عني النوع الجديد. وطلب مني هنك أن أسجل "عرض الاربعاء" على شريط الفيديو ذلك المساء. وعندما أدرت التلفزيون شاهدت غيرت مع الزنبقة السوداء!"

١٤ سنة أخرى! كما هو متوقع، أبرزت الصحافة الهولندية خبر الزهرة الجديدة. لكنَّ صحافيين من أماكن مترامية في العالم أخذوا أيضاً طريقهم الى قرية أود نيدورب الصغيرة، وبدأت تظهر في الصحافة العالمية مقالات عن زنبقة التوليب السوداء تحت عناوين مثل: "بعد بحث طال قروناً غدت الزنبقة السوداء حقيقة" ("الغازيت"، تورونتو، كندا)، "في عالم الازهار حدث شبيه بأول نزول على القمر" ("الديلي ميل"، لندن)، "الحسناء السوداء" ("نيو زيلند هيرالد"). وأخذ فان دام الزهرة الى مدينة كولونيا لتظهر في برنامج تلفزيوني مباشر، وظهر هاغمان على الشاشات الصغيرة في اليابان والبرازيل والولايات المتحدة.

وانهمرت التهانيء، ومعها سيل من

الاسماء المقترحة. لكن هاغمان يقول: "في الوقت الحاضر تحمل الخزامى رقم نبتتها فقط. فمن غير الممكن تسجيلها رسمياً قبل موافقة "الجمعية الملكية الهولندية لمنتجي الازاهير البصلية" في هيلفوم. لذلك عليّ أن أسلّم الجمعية كيلوغرامين من البصل لتزرعه في حقولها الاختبارية." وهو لن يفعل ذلك الا بعد أن يُنتج مخزوناً من ٤٠ كيلوغراماً. ويضاعف المخزون ليس انطلاقاً من البزور بل من البصل، بحيث تظل السّمات الوراثية للبصل الجديد مماثلة لسمات الاصلي. وفي هذا الضرب من التناسل تقطع الزهرة رأساً بعد تفتحها كي يتسنى للبصلة أن تستغلّ كل طاقتها من أجل نموّها الذاتي. وخلال الاشهر التالية قد يتطوّر داخل البصلة برعم جديد أو اثنان الى جانب البرعم الاصلي فتتكوّن بصلة جديدة أو اثنتان. تقشر "البصيلة" باليد وتزرع، فتنمو لتكوّن بصلة كاملة، وهذه بدورها تنتج بعد سنة بصيلات جديدة. بهذه الطريقة سيحصل هاغمان على ٤٠ كيلوغراماً من البصل بعد ١٤ سنة.

بعد ذلك يجب ان تمرّ ست سنوات قبل أن تطرح الزنابق السوداء في السوق.

واتحاد منظمات تحسين التوليب شهير في عالم تجارة الازهار بأنه محسّن للانواع. ويحوز هاغمان شهرة نامية في حقل الهجائن الجديدة التي تدوم زهورها طويلا في الآنية قبل أن تذبل.

ويعتبر الاتحاد زنبقة التوليب السوداء أحد أروع انجازاته. فتوقعات نجاحها التجاري كبيرة، ليس فقط بسبب لونها غير العادي، فوفقاً لاقوال هاغمان، يُعتبر طول السويقة (٤٠ سنتيمتراً) مثالياً، كذلك صلابتها وصلابة أوراقها، اضافة الى ما تعد به صفاتها المميزة من حيث قابليتها للازهار المبكّر في بيت زجاجي أو بلاستيكي مدفأ. يقول بودفين ريب من "المركز الدولي للازاهير البصلية" في هيلفوم: "بعدما ذاعت الاخبار انهالت الطلبات الضخمة للحصول على الزنابق السوداء الجديدة. لكننا لا نستطيع الآن تلبية أي طلب. وسيكون لهذه الزنابق بالتأكيد مستقبل تجاري كبير."

أما فيم دي مونك، العالم البيولوجي الملحق بمختبر الابحاث البصلية في ليس، فيرى "ان بصلة التوليب هي وعد بأشياء مقبلة."

ويضيف غيرت هاغمان: "الوعد هو أنها ستنتج في السنة المقبلة زهرة جميلة. وأي وعد أجمل من زهرة توليب سوداء حلم بها الناس مئات السنين؟ هنا في هولندا حالفنا الحظ السعيد فحوّلنا الاسطورة واقعاً."

يوس فرستيفن ■



سكان الراديو

عندما وصل أول جهاز راديو الى احدى المناطق النائية قال صاحبه لأولاده ظهراً "والآن، يا أولاد، أطفئوا الراديو. فهؤلاء القوم يريدون أن يأكلوا هم أيضاً."

ل.ب.

ضمانة السعادة

اللهو شيء والسعادة شيء آخر
وما أكثر اللاهين غير السعداء!

أنا أحيا في دنيا أحلام حيث الشمس على مدار السنة. قد يظن المرء أن الناس في مكان زاهٍ لاهٍ كهذا هم أسعد من غيرهم. فان كان هذا ظنك فإن لديك أفكاراً مغلوطة عن السعادة.

كثير من الاذكياء يساوون السعادة باللهو. والحقيقة أن لا قاسم مشتركاً بين اللهو والسعادة. فاللهو هو ما نمر به خلال فعل ما، أما السعادة فنشعر بها بعد انقضاء الفعل، وهي احساس أعمق وأكثر ديمومة.

الذهاب الى متنزه للتسلية أو الى مباراة في الكرة أو مشاهدة فيلم سينمائي أو برنامج تلفزيوني، كلها نشاطات لاهية تعيننا على الاسترخاء الى حين، ونسيان مشاكلنا. وقد تجلعنا نضج بالضحك. لكنها لا تأتينا بالسعادة لأن آثارها الايجابية تتلاشى اذ يتوقف اللهو.

طالما راودتني فكرة أن الدور الذي يجدر بنجوم هوليوود أن يؤدوه هو تعليمنا أن السعادة لا شأن لها باللهو. هؤلاء الاشخاص ذوو الثروة والجمال يجدون على الدوام سبيلهم الى حضور حفلات رائعة واقتناء سيارات فارهة وبيوت باهظة الثمن وكل ما يشي بالسعادة. لكن المشاهير في سردهم سير حياتهم يميطون اللثام عن التعاسة المتوارية خلف لهوهم وعبثهم، فتبرز الكآبة وإدمان المسكرات والمخدرات والزيجات الفاشلة والاولاد القلقون والوحشة القاتلة.

إن تشبث الناس بوهم أن الحياة المترعة باللهو والخالية من الألم تساوي السعادة يقلل فرص بلوغهم السعادة الحقة. فموازنة اللهو والمسرّة بالسعادة هي مثل موازنة الألم بسوء الحظ. لكن الحقيقة أن خلاف ذلك صحيح: فالامور المفضية الى السعادة تشتمل في غالب الاحيان على مقدار من الآلام.

ويترتب عن ذلك أن أناساً كثيرين يتحاشون المساعي التي تتضمن ينبوع السعادة الفعلية. انهم يرتعدون خوفاً من الألم الذي تحمله أمور كالزواج وتنشئة

الصغار والنجاح المهني والالتزام الديني وعمل الخير والتحسين الذاتي.

اسأل رجلا أعزب عن سبب عزوفه عن الزواج، على رغم أن مواعدة الفتيات لم تعد ترضيه، فسيخبرك بأنه يخشى الارتباط. فالارتباط في الواقع موجع. وحياة الاعزب ملأى باللهو والمغامرات والاثارة من كل لون. وفي الزواج لحظات من ذلك كله، لكنها قطعاً ليست سمته الغالبة.

وعلى نحو مماثل، الازواج الذين يستنكفون من الانجاب يأخذون قراراً باللهو المريح على حساب السعادة التي تحمل الألم. هكذا يمكنهم أن يتناولوا العشاء خارج المنزل كلما أرادوا، وأن يسافروا اينما شاؤوا وأن ينعموا بالرقاد الى الظهر.

أما الازواج آباء الرضع وأمهاتهم، فيندر أن يناموا ليلة كاملة أو أن ينعموا بقضاء عطلة. واني لا اعرف أباً واحداً يصف تربية الاولاد باللهو.

لكن الازواج الذين يقررون عدم الانجاب محرومون من لذة ضم الاولاد الى الصدور ومعانقتهم، أو دسهم في الفُرُش ولفّهم بالاغطية ليلا. وتفوتهم متع مشاهدة الولد يكبر كما تفوتهم متعة ملاعبة الأحفاد.

اني أستمتع باللهو من دون ريب. فأنا أهوى لعب كرة المضرب وممازحة الصغار والكبار، ولدي هوايات شتى. لكن ضروب اللهو هاته لا تزيد من سعادتي. فالأمور الاكثر صعوبة، مثل الكتابة وتربية الاطفال وحفظ رابط حميم مع زوجتي وعمل الخير في هذه الدنيا، تمنحني سعادة لا ألقاها في شؤون اللهو، أقل الأمور ديمومة.

ان فهم انفصال السعادة الحقّة عن اللهو وقبول هذه الحقيقة انجاز عظيم محرِّر. انه يحررنا من إسار الوقت، فنقوى على تكريس ساعات أكثر لنشاطات تزيدنا شعوراً بالسعادة. وهو يحررنا من غلّ المال، اذ ان شراء تلك السيارة الجديدة أو هذه الملابس المبهرجة لن يمنحنا احساساً بالسعادة وهو لذلك ضرب من العبث. وهو يحررنا من الحسد، فندرك أن جميع هؤلاء الاثرياء الاخاذين الذين كنا نوقن أنهم سعداء لأنهم يلهون كثيراً ويمرحون، ليسوا سعداء بتاتاً.

وما ان نعي أن اللهو لا يجيئنا بالسعادة حتى نسارع الى تسيير حياتنا في اتجاه مغاير. وتكون النتيجة أحياناً انقلاباً حقيقياً.

دنيس براغر ■



الوقت هو الحياة

اذا حكمنا على الانسان من طريقته في التعامل مع الوقت، خيِّل الينا أنه يعيش طويلا. فهو توّاق أبداً الى رؤية الايام تنقضي. ومن تعابيره الشائعة عبارة "قتل الوقت." وما الوقت إن لم يكن الحياة نفسها؟

ك.ف.



مايكل كاين: التمثيل حياتي

نجم محبوب فاتن له مع السينما قصة عشق عمرها ٤٠ عاماً

توترت أعصاب العاملين في فيلم مليء بالمغامرات عنوانه "لا دليل" (١) خلال تصويره في لندن. اذ ان أحد الممثلين لم يستطع تأدية دوره على النحو المطلوب. وانقضت ساعة والممثل يعيد أداءه مرة تلو أخرى.

أمر المنتج والمخرج بوقف التصوير فترة وجيزة ليتداولا الأمر. فتقدم مايكل كاين، صاحب الدور الرئيسي في الفيلم، من الممثل المسكين وانتحى به جانبا وأعاد معه تمثيل الدور بروية. يقول

(١) Without a Clue

المنتج مارك ستيرديفانت معقباً: "لم يطلب أحد من مايكل أن يفعل ما فعل. لكنه أحس أن زميلا له في ورطة فأخذ على عاتقه أن يعينه. وجاءت النتيجة ممتازة، اذ عدنا الى التصوير بعد دقائق وجاء الاداء مرضياً."

يطلق الممثلون البريطانيون على مايكل كاين لقب "الحاكم" تحبباً. وهو اختير "ممثل العام" في فبراير (شباط) ١٩٨٨ لدى توزيع جوائز نادي "ڤارايتي"، وقد تحدثت الممثلة آنجيلا دوغلاس بلسان ألوف العاملين في السينما والتلفزيون مسمية اياه "الممثل المحبوب الفاتن."

كاين لندني أشقر يبلغ طول قامته ١٨٨ سنتيمتراً. وهو يحتفظ من صباه بآثار واضحة من لكنة سكان الأحياء الفقيرة في لندن، ويعدّها مكرمة له. انه أحد اللندنيين القلائل الذين تبوأوا مرتبة عالمية كنجمٍ سينمائي. وخلال ٢٥ عاماً ظلٍ اسمه على رأس ملصقات الاعلان ومثل شخصيات الأبطال والأشرار وأدى أدواراً كوميدية صعبة في نحو ٧١ فيلماً.

وهو رُشح لجائزة أوسكار غير مرة عن أدواره التي لا تنسى في أفلام "آلفي" (١٩٦٦) و"الشرطي السري" (١٩٧٢) و"تربية ريتا" (١٩٨٣) (٢). وحصل أخيراً على الجائزة المشتهاة عن دوره الثانوي في فيلم وودي ألن "حنة وأختيها" (٣) عام ١٩٨٥. كما أنالته شخصية المحاضر في فيلم "تربية ريتا" جائزة أفضل ممثل من الاكاديمية البريطانية لفنون السينما والتلفزيون.

أسلوب كاين المحترف الهادىء غدا أحدوثة صناع الافلام السينمائية. فهو حاضر دوماً في الموعد المضروب، حافظاً سطور النصوص ومستعداً للتمثيل. يقول عنه نايجل هافرز الذي مثل دور ابنه في الفيلم الجاسوسي المثير "نافخ الصفارة" (٤): "ريقه لا يجف مهما طال الحديث. وأداؤه جيد جداً من اللقطة التصويرية الأولى. فلا داعي الى تصوير لقطة أخرى إلا لماماً. ان العمل معه يبعث السرور في النفس."

خلال الايام الطويلة المضنية في موقع التصوير يمكث كاين مع فريق العمل باثاً فيه روح الفكاهة. وهو يعضد الممثلين الآخرين بوقوفه خلف الكاميرا أثناء تصوير اللقطات المأخوذة من قرب، لكي يرى هؤلاء وجهاً انسانياً يتوجهون اليه فتدب الحياة في نصوصهم الجامدة. وفي ذلك يقول ستيرديفانت: "العمل السينمائي في نظره عمل جماعي ينبغي أن يتمتع به كل من حوله كما يتمتع هو."

ويعض كاين شفته قائلا: "اني أفضل الفيلم الذي يدر مالا على ذاك الذي يحوز أوسكاراً. فبهذا النجاح يطلب منك التمثيل في فيلم آخر."

وتمثيل كاين يأتي على السجيّة غير مكره، فيبدو سهلا ممتنعاً. وهو أخبرني في هدأة استراحة لدى تصوير فيلم "لا دليل": "يقول لي أحدهم: لا أدري لماذا يدفعون لك كل هذا المال، فلو تلقيت بضعة دروس لمثلت كما تمثل أنت."

ولقد أثبت كاين خطأ هذا القول عام ١٩٨٧ حين درب ممثلين شباباً في صف

(٢) Alfie; Sleuth; Educating Rita
(٣) Hannah and Her Sisters
(٤) The Whistle Blower

متقدم لتعليم التمثيل ترعاه شبكة التلفزيون البريطانية «BBC»، اذ قدم عرضاً للتمثيل السينمائي أخذ بألباب الحضور. وفي لقطة مأخوذة عن قرب أبرز الطاقة الوجدانية في الحركات الدقيقة، وبيّن بوضوح مقدرة الممثل على حصر فكره بالانصات والاستجابة أثناء حديث ممثل آخر. يقول كاشفاً مراده: "التمثيل المسرحي يشبه جراحة بالمشرط، فيما التمثيل السينمائي يشبه جراحة بأشعة ليزر."

والنقاد التلفزيونيون يصفون المقرر التعليمي الذي يعطيه كاين بأنه "حابس للأنفاس يستحوذ على العقل." وقد فوجيء كاين بموقفهم هذا، اذ يقول: "لم أعتبر نفسي أستاذاً قط. ولكن بعد ثلاثين عاماً ونيف من التمثيل السينمائي ألفيت نفسي أعرف أكثر مما ظننت."

لقد تعلّم كاين النجومية السينمائية بالأذن. ولد عام ١٩٣٣ باسم موريس ميكلوايت، وهو الابن الاكبر لحمّال من بيلنغزغيت. انزلق الى التمثيل متعثراً عندما كان تلميذاً في السادسة عشرة من مدرسة ولسون في بيكهام. فهو كان يسترق النظر الى صف للتمثيل المسرحي حيث كانت فتاة أعجبته، فتعثر مكباً على الباب الدوّار. وأدخله أستاذ تلك المادة في عداد تلاميذه لافتقاره الى الصبيان. لكن تردده الليلي الى دور السينما هو الذي أقنعه بأن حياة النجم السينمائي هي ما يصبو اليه.

لم تخبُ أحلامه أبداً، بل رافقته في مهن شتى مارسها، جابلا الاسمنت وحافراً الآبار وخابزاً الفطائر وخافقاً الزبدة. وهي شدت عزيمته أثناء خدمته في الحرب الكورية. وتعززّت أحلامه ابان عمله ساعياً لدى أحد مخرجي الأفلام، عندما أعطي دور صبي يقدم الشاي في فيلم قيد الاخراج.

استعار كاين كتباً عن التمثيل السينمائي من المكتبة العامة. وعلّمه كتاب ألّفه ممثل ومخرج روسي أن طرفة عين قد تفسد لقطة قريبة. وكانت أمه تسأله بالحاح اذ تراه يكره نفسه على الا يطرف بعينيه: "بم تحملق؟" وهو يتذكر ذلك: "كانت عيناي محوقتين بالاحمر وقد هيجهما الغبار والدخان، اذ ان طَرْف العين ينظفها." أما اليوم ففي وسع كاين أن يديم النظر متفرساً في عدسة الكاميرا في أطول لقطة تصويرية.

منتسب خام. لم يتلق كاين تدريباً مدرسياً في التمثيل، فعمد الى التقاط اشارات المنتجين وتوجيهاتهم. وأولهم آلوين فوكس الذي استخدمه عام ١٩٥٣ مساعداً في شركة الانتاج المسرحي التي يملكها. وأول دور مثله كاين متكلماً كان دور شرطي يلفظ سطراً وحيداً: "هلمّ يا سيدي." وسرعان ما رقّاه فوكس فأدّى أدواراً ذات شأن. واستقى مايكل اسمه الفني "كاين" من فيلم عرض آنذاك بعنوان "عصيان كاين."

عام ١٩٥٥ تكهنت المخرجة المسرحية الشهيرة جون ليتلوود بمستقبل كاين حين خطا الشاب المعدم ابن الثانية والعشرين على خشبة مسرحها. فهي زجرته آنذاك: "أعد تمثيل الدور يا مايكل، فإني لا أريد سخافة نجم في مسرحي."

ويقسم كاين أنه حتى اليوم لا يدرك مرمى قولها ذاك. لكنه تلقن درساً قيّماً من الوقت الذي أمضاه في اشرافها: قالت ذات يوم: "التمرين هو العمل، وما الاداء سوى استرخاء. وانها نصيحة لا تقدر بثمن لممثلي السينما. وكل الاهوال التي واجهتها في اشراف جون تهون أمام عظمة تلك الجملة التي قالتها."

على مدى عشر سنين مثّل كاين في مدن لويستوفت وليفربول ولندن، وظهر في تمثيليات تلفزيونية وأدى أدواراً صغيرة في عدد من الأفلام. وكان في الثلاثين حين سطع نجمه إثر تأديته دور الملازم الاريستوقراطي غونفيل بروممهيد في فيلم "زولو" (٥). وأفضى به ذلك الى دوره الشهير صائد الجواسيس هاري بالمر في فيلم "ملف ايبكرس" (٦) فحاز شارة النجومية اذ وضع اسمه فوق عنوان الفيلم في الملصقات الاعلانية.

ويعتقد كاين أن الفيلم الوحيد الذي سيخلده بعد وفاته هو "الرجل الذي غدا

(٥) Zulu
(٦) The Ipcress File





Photographers International / Outline Press

83. Staatliche
Nordwestdeutsche
Klassenlotterie

دورة اليانصيب الوطني رقم ٨٣ لشمال ـ غرب المانيـــا
خاضـــع لرقـــابة الدولـة

„إليـــك عرضنـا الخـاص: كيـــف تصـــبح مليونـــيرا!"

ربـــح مضمون لكل ثالث ورقة تشتريها
خلال الستة أشهر لمدة سريان اليانصيب.
٢٦ فرصة للربح!





والآن: كل يـــوم جـــمعة جـــائـــزة بقيمـــة مليـــون مـــارك ألمـــانـــي ...

يقدم لكم اليانصيب الوطني لشمال ـ غرب ألمانيـــا، الخاضع لرقابة الدولة، هذه الفرصة الفريدة وجوائزاً أخرى عديدة. إنه مدهش حقاً! تأمل من كل ثالث رقم يربح مضموناً خلال مدة السحب. ويبلغ مجموع الأرباح التي ستوزع خلال دورة اليانصيب رقم ٨٣ حوالي ٢٤١ مليون مارك ألماني أو ١٣٧,٩ مليون دولار امريكي، حيث تبلغ قيمة الجوائز الكبرى وحدها ٣٢ مليون مارك ألماني

قيـــمة الجـــائـــزة الكـــبرى وحـــدها تبـــلغ ٢ × ٣ مليـــون مـــارك ألمـــانـــي.

تدفع الجوائز بإحدى أقوى العملات في العالم "المارك الألماني". تجري دورة اليانصيب لمدة ٢٦ أســـبوعاً. ويجرى سحب كل أسبوع كما يجرى سحبان إضافيان في الأسبوعين الأخيرين. وهذا يعني إجمالا ٢٦ ســحبا وبالتالي ٢٦ فرصـــة لكي تصبح مليونـــيراً! وتـــتزايد قيمة الجـــوائز المالية من سحب لآخر يشـــرف على كل عمليات السحب مراقبون حكوميون.

إن طريقة الاشـــتراك سهـــلة:

- إرسل إلينا قسيمة الاشتراك في أسفل الصفحة ـ أو رسالة إذا فقدت القسيمة.
- إرفق بها قيمة أوراق اليانصيب التي تريد أن تشتريها إما نقداً بالبريد الجوي المسجل، أو بواسطة حوالة بريدية دولية، أو شيك عادي، أو شيك مسحوب بواسطة بنك أو شيك سياحي. ويمكنك أيضا دفع قيمة ورقتك بعد إستلام الفاتورة.
- ندورنا بعث لك أوراق اليانصيب والمعلومات الإضافية وجدول السحب الرسمي، ثم بعد كل عملية سحب نرسل إليك القائمة الرسمية للأرقام الرابحة وكذلك ورقتك للسحب التالي.
- في كل مرة تربح فيها، سوف نخطرك بذلك في غضون أيام وستحوّل إليك الجائزة بواسطة شيك إلى أي مكان أو عنوان تريده. إن الجائزة معفاة من الضريبة الألمانية وتدفع بكامل قيمتها بدون أي خصم كما أن إسم الرابح يبقى سريا تماما
- إننا نضمن لك خدمة سريعة موثوقة وسرية في كافة أنحاء العالم

لهذا السبب فانه أمر مشوق لكم بالاشتراك في هذا اليانصيب:
جوائز مالية بقيمة ٢٤١ مليون مارك الماني
٢ × ٣ مليون مارك الماني الجائزة الكبرى
٢ × ٢ مليون مارك الماني
٢٢ × ١ مليون مارك الماني
واضافة الى ذلك:
٢٧٩٩٩٩ جائزة اخرى تصل الى ٥٠٠٠٠٠ مارك الماني

تطـــرح ٧٠٠٠٠٠ ورقة يانصيب فقط للبيع. من هذه السبعمائة ألف ورقة يربح ٢٨٠٠٢٥ رقم في دورة السحب، وهكذا فإننا نضمن ربحا لكل ثالث رقم!

إرسل إلى: Walter Ruge · Heidenkampsweg 32 · D-2000 Hamburg 1 · West Germany

✂---------------- قســـيمة الاشـــتراك ----------------

83. Staatliche Nordwestdeutsche Klassenlotterie

دورة اليانصيب الوطني رقم ٨٣ لشمال ـ غرب المانيا: تجري السحب ابتداء من ٢٩ سبتمبر ١٩٨٩ لغاية ٢٣ مارس ١٩٩٠

إضمن لنفسك الآن فرصة الربح ! إرسل القسيمة اليوم !

إرسل الى Walter Ruge Heidenkampsweg 32 D 2000 Hamburg 1 West Germany

الرجاء الكتابة باللغة الألمانية ○ الإنجليزية ○ سيد ○ سيدة ○ آنسة ○
إملأ القسيمة من فضلك بحروف واضحة

First name ______ الإسم
Surname ______ اللقب
Street ______ الشارع
P.O.B. ______ ص ـ ب
City ______ المدينة
Country ______ الدولة

Charge my ☐ DINERS CLUB ☐ AMERICAN EXPRESS ☐ EUROCARD ☐ VISA

Handling charges for payment by credit card 6% رسوم الدفع لدى بطاقة الإئتمان ٦٪

Name of Card Holder ______

Acc. No. ______

Expiration Date ______

Signature ______

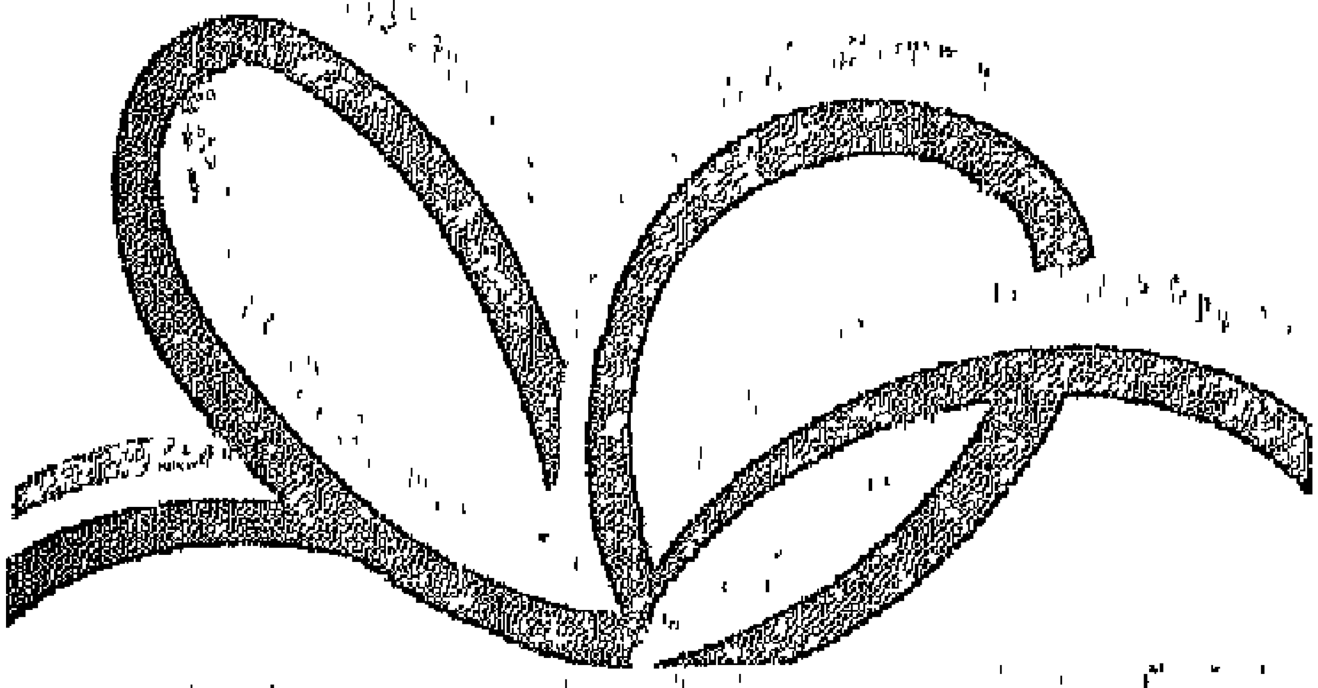
إربح ١٠٠ ٪ بشراء ورقة كاملة، أو ٥٠ ٪ بشراء ١/٢ ورقة أو ٢٥ ٪ بشراء ١/٤ ورقة ولا تنسى: على أي حال، كل ثالث رقم يربح مضمونا! حظ سعيد!

الرجاء ذكر عدد الأوراق التي تريد طلبها بهذه القسيمة		
	* أسعار الصرف للدولار الأمريكي أو الجنيه الإسترليني تقديرية فقط للاطلاع على الأسعار بالتحديد الرجاء الاتصال لمصرفكم المعتمد	
	١/١ ورقة	٧٤١ مارك ألماني (حوالي ٣٩٥ دولار أمريكي أو ٢٤٧ جنيه إسترليني)*
	١/٢ ورقة	٣٨١ مارك ألماني (حوالي ٢٠٥ دولار أمريكي أو ١٢٨ جنيه إسترليني)*
	١/٤ ورقة	٢٠١ مارك ألماني (حوالي ١١٣ دولار أمريكي أو ٧٠ جنيه إسترليني)*

* سوف تحوّل إليك الجائزة سريا بواسطة شيك إلى أي عنوان أو بنك في أي بقعة من أنحاء العالم.

* يقبل دفع قيمة الورقة بواسطة شيكات عادية بالمارك الألماني أو الجنيه الإسترليني أو الدولار الأمريكي، أو بواسطة حوالة مصرفية، أو بطاقة أمريكان إكسبريس، داينرز كارد، يوروكارد، أكسس، ماستر كارد أو فيزا.

تدفع جميع الجوائز لكل عمليات السحب متضمنة رسوم البريد الجوي ومرفق بها قائمة الأرقام الرابحة بعد كل سحب. ولا تستوجب أية تكاليف إضافية! تعد الورقة صالحة فقط إذا كانت قانونية!



فاجئوا من تحبون بهدية لا تنسى

تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او التخرج او عيد الحب...
فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟
فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٨٩/٦/١ و١٩٩٠/٥/٣٠ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٢٥ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ____________

____

عنوانه ____________

____

المناسبة وتاريخها ____________

توقيع المهدي ____________



مع أخلص تمنياتنا

ملكاً" (٧) حيث مثل مع شون كونري دور جنديين سابقين يسعيان الى الثروة في جبال حملايا، كما صورهما المؤلف رديارد كيبلنغ في روايته. لكن الدور الماثل في أذهان العامة هو أحد أدواره الباكرة في "آلفي" قصة المؤلف المسرحي بيل نوتون عن فتى من سكان الاحياء الفقيرة في لندن لا تقوى النساء على مقاومة سحره.

بعد "آلفي" مثل كاين في فيلم "شمس المغيب" (٨) من اخراج أوتو بريمنغر المعروف بقسوته. وقد واجهه كاين بنظرة صارمة من وراء نظارتيه قائلا: "سمعت أنك تزعق في وجوه الناس. لا تصرخنَّ في وجهي أبداً!" فابتسم بريمنغر قائلا: "لن أصرخ في وجه آلفي ما حييت."

وقد لاحظ الممثل الراحل بيتر سيلرز أن كاين يدأب على القول: "قليلون يعرفون ذلك" بعد أن يتلفظ بأمر غامض غير مفهوم. ويقرّ كاين بأنه مفتون بدقائق الأمور في الحياة، غير أنه ينكر استخدامه هذا التعبير. في أي حال، رد كاين المزاح بظرافة: ففي غضون خمس سنوات حشا أربعة كتب بوقائع وطرائف غريبة من خبرته، متبرعاً بريعها الى الجمعية الوطنية للتمثيل.

وذاكرة كاين القوية تربط حياته الحاضرة بماضيه. فلم ينس أبداً الضرب المبرح الذي أوسعته اياه امرأة وضع في عهدتها بعد إجلائه في السادسة من عمره في بداية الحرب. وعرفاناً بفضل "الجمعية الوطنية لحماية الاطفال" التي أنقذته، أعطى من وقته بسخاء لإعداد أشرطة فيديو حول ايذاء الاطفال تعرض على رجال الشرطة والعاملين الاجتماعيين.

موهبة ادارية. يوظف كاين أمواله في الأملاك والمطاعم. وهو مدير شركة "ماي بوكس" التي تسعى الى تعزيز ارتياد السينما بافتتاح دور على النمط الحديث تضم نحو ١٦ شاشة ومقاعد "حميمة" في كل صف خلفي.

عام ١٩٨٥، في هوليوود، شعرت زوجته الهندية "شاكرة" بحنينه الى بريطانيا، موطنه الاصلي، فقالت له: "لنعد الى هناك." وهكذا، بعد عقد من السنين أمضاه كاين في الولايات المتحدة حيث عمله، باع بيته في بيفرلي هيلز واشترى شقة سكنية في تشيلسي ومزرعة في أوكسفورد شاير على ضفة نهر التايمس.

ولكي لا يحرم ابنته ناتاشا (١٦ عاماً) الامسيات العائلية الدافئة التي عاشها في صباه، أرسلها الى مدرسة لندنية نهارية. وهو قال مرة للكاتب السينمائي ديفيد ليوين: "اني أبذل وسعي لأجعل ابنة مليونير تحيا كفرد من الطبقة الكادحة."

وبيته الريفي قرب والنغفورد يبعد نحو ساعة بالسيارة من بيت دومينيك (٣٢ عاماً) وهي ابنته من زواج سابق. وبيته قريب أيضاً من منزل أمه (٨٩ عاماً) التي يصفها بانها "أشبه بالأطهار. لقد عاشت ٥٠ عاماً في عَوَز، وأكبر ثواب لي أني أرحتها من همّ المال."

وصل كاين الى أوكسفورد شاير بعد

---

(٧) The Man Who Would Be King
(٨) Hurry Sundown

أشهر من التنقيب عن منزل مختلٍ في قرية ذات طرق غير نافذة وليس فيها حانات ولا دكاكين تنتشر فيها الأقاويل. بيته هناك يوحي نمطاً انكليزياً للحياة الراقية. وعلى ضفة النهر زرع كاين ١٠٠٠ متر مربع من الأسيجة النباتية، وحفر بحيرتين لتوفير مواضع لاعشاش الطير. وتكثر طيور الماء السابحة هناك. وحين ينهض كاين فجراً يسرّح ناظريه بمرأى مالك الحزين واقفاً على جسر قريب.

لكن هذا الوصف ليس سيناريو للتقاعد. اذ بعد فراغ كاين من فيلم "لا دليل" مثل دور مفتش من اسكوتلنديارد في مسلسل تلفزيوني عن "جاك السفاح." ثم عكف على فيلمه الأخير "أوغاد خبثاء قذرون" (٩) الذي يمثل فيه مع ستيف مارتين دور محتالين في الريفييرا الفرنسية. وقد يحضه نجاح صفه التعليمي على دخول معترَك الاخراج السينمائي، وهو أنشأ شركة انطلاقاً من هذه الفكرة.

كاين، النجم السينمائي، ما زال مفتوناً بالافلام كعهده اذ كان صبياً يقدم الشاي وينظر بعينين واسعتين قبل ٤١ عاماً. يقول: "اني مولع بالتمثيل أمام الكاميرا وتمضية أسابيع مع فريق عمل، فحينئذ نكون أسرة واحدة كبيرة يتساند أفرادها لصنع عمل جميل. لقد كان التمثيل السينمائي حياتي لاكثر من ٣٥ عاماً. وليس في الدنيا شيء أقايضه به."

جون انيس ■

(٩) Dirty Rotten Scoundrels



الصيّاد والشبكة

خلال العطلة التي قضيناها في قرية اسكوتلندية لصيد السمك، لاحظت مع أخي صياداً يصلح شبكة كبيرة ذات حجم غير عادي. وكانت "عيونها" واسعة الى حد لم نستطع معه الاتفاق على نوع السمك الذي يعلق بها. ودفعنا فضولنا الى الاقتراب من الصياد وسؤاله: "لماذا تستعمل هذه الشبكة؟" فأتى ردّه: "لكرة القدم."

س.س.

حديث صيني

بينما كان أخي وزوجته يقومان برحلة في الصين، دخل رجل مقصورتهما في القطار وتجاذب الحديث معهما. وبعد أن تكلموا عن امور بلديهما، سألهما الصيني اذا كانا يحبّان الطعام الصيني مسمّياً أكثر من اثني عشر صنفاً. فاجابا انهما يحبانها كلها.

وبعد بضع ساعات دعيا الى مقصورة الطعام حيث اكتشفا دهشين، أنهما طلبا كل الاصناف التي تكلّما عنها مع زائرهما... النادل.

أ.ك.

لعبة الأرقام

الارقام الاحصائية أشباه وقائع يتقبلها الناس من دون سؤال، لكن كثيراً منها غير صحيح

الاحصاءات هاجس عمومي. فالسياسيون يلوحون بها لتعزيز مراكزهم، والمعلنون لا ينفكون يقصفون بها المستهلكين، والشركات تأخذ في ضوئها قرارات بملايين الدولارات. في الماضي كانت دوائر إحصاء السكان تكتفي بتعداد الناس، أما الآن فهي ترتب كل شيء في جداول: من الكتب والأحذية الى الدمى والقبعات.

يقول بيتر رويتر وهو خبير اقتصادي في شركة "راند": "الارقام توحي الفهم." ويضيف مايكل جاي روبنسون مستشار مؤسسة "غالوب - تايمز ميرور" للاحصاءات: "في الارقام نوع من الامان، فحين يستعملها المرء لا يمكن أن يتهم بالتحيز العقائدي أو السياسي."

ولكن نادراً ما نشك في الحقيقة وراء الارقام، علماً أن التلاعب بها سهل جداً. ومهما يكن موقفك فهناك إحصاءات تدعمه: الجريمة؟ إنها تخفّ إلا إذا كنت مسؤولا أمنياً تطالب بموازنة أكبر، فعندئذ تصبح في ازدياد. التربية والتعليم؟ ان في وسع مديري المدارس في كل مكان أن يثبتوا أن علامات تلاميذهم أعلى من المعدّل العام.

أحياناً كثيرة تلفّق الارقام من أجل دعم المواقف، مع أنها لا تخرج عن كونها تخمينات. لكنها ما ان تجد طريقها الى السجلات العامة حتى تصبح لها صفة راسخة. خذوا مثلا الرقم "١٤٠ مليار دولار" الذي قدرت به تجارة المخدرات غير المشروعة في الولايات المتحدة. ظهر هذا الرقم في الصحف وأبرزه النائب تشارلز راندل عام ١٩٨٨، وهو رئيس "لجنة ضبط المخدرات والحدّ من سوء استعمالها." ان دقّة الرقم الظاهرية - ١٤٠ وليس ١٠٠ أو ١٥٠ مثلا - توحي المعرفة. ولكن من أين أتى هذا الرقم؟



يعود هذا الرقم في الاصل الى العام ١٩٧٨ حينما قدرت "لجنة الاستخبارات الوطنية عن مستهلكي المخدرات" تجارة المخدرات بخمسين مليار دولار. وفي العام ١٩٨٠ قفز الرقم على نحو غامض الى ٨٠ مليار دولار. وما لبثت اللجنة أن تخلّت عنه بعد تعرّضها لجملة انتقادات. وفي وقت لاحق وضعت "لجنة رانغل" يدها على القضية. وحسب جون كوزاك، الرئيس السابق لفريق اللجنة، أن تقدير لجنة الاستخبارات الوطنية ارتفع ٣٠ مليار دولار في ثلاث سنوات، لذلك "فان زيادة ١٠ مليارات دولار في السنة أمر منطقي." وهذا ما درجت عليه اللجنة منذ ذلك التاريخ على رغم اعتراف كوزاك بأن الرقم "غير دقيق علمياً."

أما اعتبار نتائج جميع الامتحانات فوق المعدّل العام فهو مثل تقليدي على التلاعب بالاحصاءات. ففي العام ١٩٨٧ أعلنت جميع الولايات أن تلاميذها نالوا علامات فوق المعدّل العام في امتحانات القراءة والكتابة والحساب. وواضح أنه لو كان المعدّل العام معياراً إحصائياً صحيحاً لجاءت نتائج بعض الولايات أدنى منه حتماً. وقد تبين أن المعدلات العامة لهذه الامتحانات لم تراجع أو تعدل منذ عشر سنين. وبما أن هناك أكثر من عشر مجموعات من الامتحانات، فقد درجت كل مدرسة على اختيار الامتحان الذي يتوافق ومناهجها. وعمد المعلمون الى تفصيل الدروس وفق هذه الامتحانات.

والعبث بالعينات هو من الطرق الشائعة لجعل الاحصاءات تأتي داعمة للنتائج المرجوة. وهي الطريقة التي استخدمها طرفا المناظرة التي تناولت قضية رفع السرعة القصوى الى ٦٥ ميلا (١٠٥ كيلومترات) في الساعة. ولقد استخدم الفريقان المتقابلان البيانات نفسها ليثبت كلّ وجهة نظره. فوفقاً لطريقة ترتيب الولايات في العينة، يمكن المرء أن يثبت أن السرعة التي جاوزت الحد الاقصى تسببت في عدد أكبر، أو أصغر، من حوادث السير القاتلة.

لماذا يتأثر الناس بالارقام الى هذا الحد؟ "لأن أحكام البشر وحدسهم عرضة دائماً للخطأ،" يجيب ايموس تفيرسكي أستاذ علم النفس في جامعة ستانفورد. وهناك أخطاء شائعة نقع فيها لدى

تفسير الاحصاءات. ثمة قاعدة أولى هي النزعة الى تضخيم الخسارة أكثر من الربح. فالناس يصبحون أكثر استعداداً لدعم برنامج للصحة العامة اذا أخبروا كم من السكان سيموتون من دونه، وليس كم منهم سينجون به. ولقد وجد علماء النفس أن الناس قلما يشكون في القرائن المسوقة بالأرقام - فهم يتقبلون اعلاناً أن مسحوقاً للتنظيف هو "أفضل ٣٥ في المئة" من دون أن يسألوا: "أفضل من ماذا؟" وأهم من ذلك أن الارقام أصبحت تؤدي دور الطرفة أو الحكاية التي فرضت وجودها، تلك التي يتناقلها الناس من دون سؤال عن مصدرها.

بعد اختفاء ابنه، نظم جون والش حملة إعلامية عن الاولاد المفقودين. وعلى اثر مقابلات أجراها مع المنظمات المعنية بالاولاد المفقودين في انحاء الولايات المتحدة خرج برقم هو ٥٠ ألف حادث خطف سنوياً. فدبّ الخوف في نفوس الأهل، وظهرت صور الاطفال المفقودين على علب الحليب، وأنشأت وزارة العدل مركزاً خاصاً بالاطفال المفقودين والمستغلّين. ولم يعد المركز ينشر تقديرات. فخلال أربع سنوات من العمل لم يتلقَّ الا ٤٧١ تقريراً مصدَّقاً عن حوادث خطف نفذّها غرباء. وهناك رقم آخر ذو تاريخ غريب هو "ثلاثة ملايين أمريكي من دون مأوى." في العام ١٩٨٠ برز ميتش سنايدر، المدافع عن حقوق المشردين، وطلب من ١٠٠ هيئة ومنظمة تقدير نسبة المشردين في ٢٥ مدينة وولاية. وهو تلقى أرقاماً راوحت بين عُشر في المئة وواحد في المئة. وعندما كرر الاحصاء في العام ١٩٨٢ حصل على الارقام ذاتها. عندئذ راح يعلن أن "واحداً في المئة من السكان، أي مليونين و٢٠٠ ألف نسمة، هم من دون مأوى." ثم أضاف أن الرقم "ربما" وصل الى ثلاثة ملايين في العام ١٩٨٣. وتناقل الناس هذا الرقم.

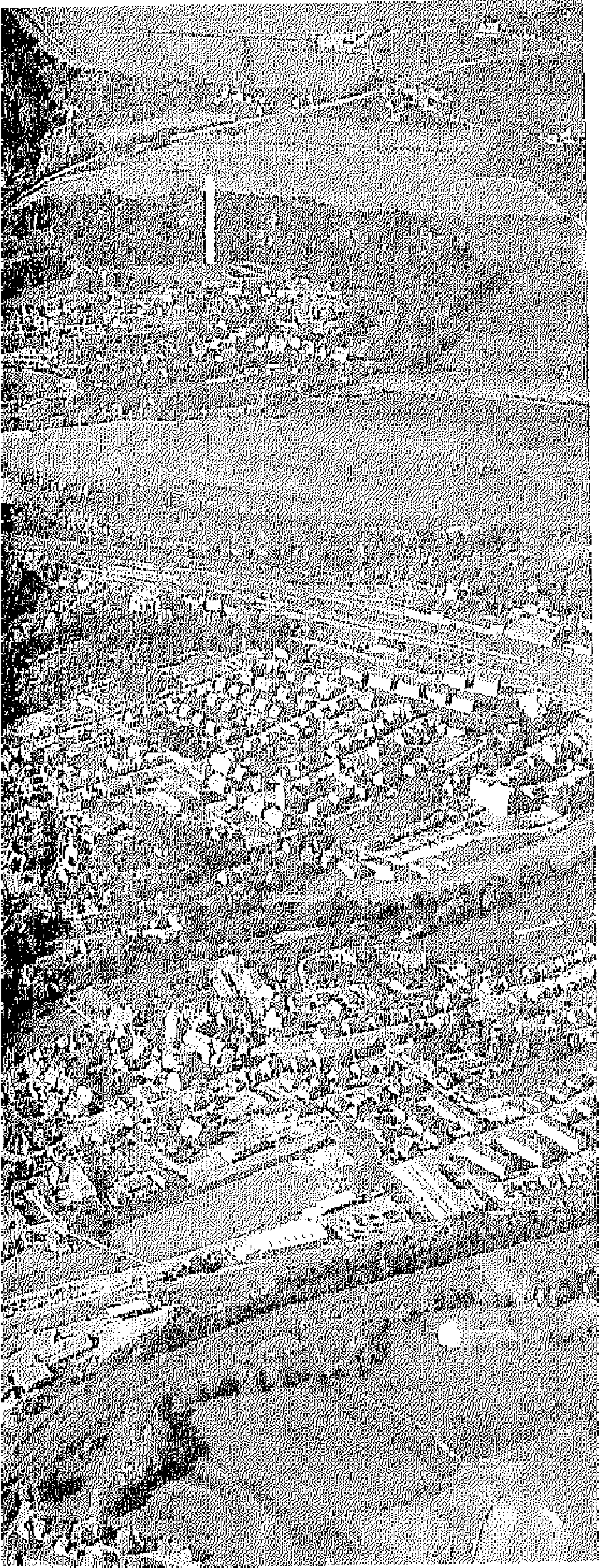
وعمى الارقام يهدد حتى الخبراء. والانهيار المفاجىء في سوق القطع في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧ فجّرته الارقام التي نشرتها الحكومة وأظهرت عجزاً في الميزان التجاري (الامريكي) فاق توقعات وول ستريت(★) بمليار ونصف مليار دولار. صحيح أن الارقام التجارية معروفة بعدم دقتها بسبب صعوبة تعقب الصادرات ورؤوس الاموال، لكن هذا رقم أعلنته الدولة فاكتفى به الخبراء وأخذوا على أساسه قرارات بمليارات الدولارات. وفي وقت لاحق خُفض هذا الرقم الذي سبب انهيار السوق الى ٦٠٠ مليون دولار.

يقول بروس مايرز مدير قسم الابحاث في وكالة BBDO للاعلانات: "اننا نعتمد على الارقام أكثر من اللزوم. الابحاث تساعد في التوصل الى أحكام، الا أنها ليست بديلا منها."

ولكن اليكم هذا الرقم الذي يوضح كيف تتقبل دنيا الاعمال هذه النصيحة: يدرّ قطاع الاحصاء أكثر من ملياري دولار سنوياً، وهو ينمو بمعدل ١٥ في المئة سنوياً.

■ ستيفن بوديانسكي

(★) وول ستريت (Wall Street) هو شارع المال في نيويورك.



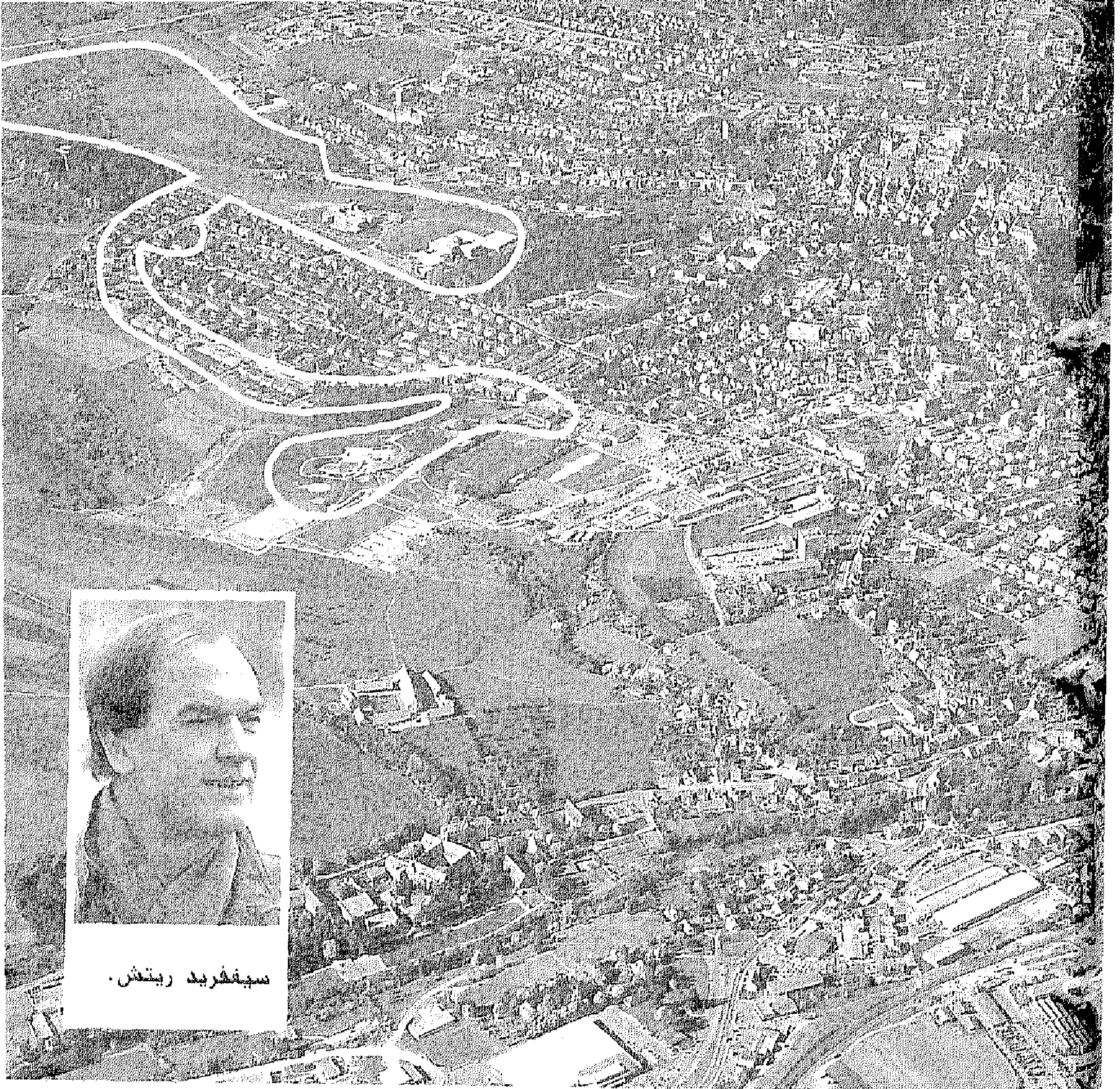
أضحت هذه المدينة الالمانية نموذجاً يُحتذى في مجال الاختراعات التكنولوجية والتخطيط الاقتصادي السليم. وتؤمّن التقنيات الجديدة المُتبعة فيها طرقاً مثالية للحفاظ على البيئة

طاقة «نظيفة» من أصْدقاء الطبيعة

صورة من الجو لروتفيل تُظهر مشاريع الطاقة في أرجاء المدينة.

روتفيل مدينة تحوطها التلال في وادي نهر نيكار. وهي تفتن زوارها بمنظرها الخلاب اذ تبدو كأنها صورة على بطاقة بريدية. شوارعها الضيقة محفوفة ببيوت قرميد ذات واجهات ملونة وشرفات مقفلة ناتئة. وتتسامى قببها العالية فوق متاهة من السطوح.

يعود تاريخ هذه المدينة الى العام ٧٠ الميلادي. وهي غنية بالآثار الرومانية وبروائع فنية من العصور الوسطى. إلا إنها، في المقابل، تُعتبر نموذجاً للتمدن في الطريقة التي تتبعها لتوفير الطاقة والحفاظ على البيئة. وقد تم توفير أكثر من مليون مارك ألماني (نحو ٥٠٠ ألف دولار) سنوياً منذ الشروع في برنامج فذّ للطاقة في منتصف السبعينات. ولا يزال سكانها الذين يبلغ عددهم ٢٣٥٠٠ نسمة، يتنشقون هواء نقياً نسبياً بفضل


سيغفريد ريتش.

مصادر الطاقة التي لا تطلق الا نزراً يسيراً من الغازات السامة التي تقلق المناطق الأخرى.

ولا عجب أن تصبح روتفيل قبلة خبراء الطاقة وعلماء البيئة ومهندسي المدن الذين يؤمونها من أنحاء اوروبا لكي يتعلموا تقنية انتاج الطاقة بطرق أنظف وأقل كلفة. ويهتم هؤلاء أيضاً بحقيقة بلوغ مدينة روتفيل مرحلة شبه استقلال عن محطة التوليد العمومية التي تحتكر كهرباء المنطقة.

طاقة "بلدية." يعود فضل كبير في انطلاقة مشروع المدينة وسيره السليم الى سيغفريد ريتش مدير شركة الخدمات البلدية.

ولد ريتش في شتوتغارت وبدأ حياته المهنية وقّاداً في قطار. ثم تقدم الى

فحص كسائق قاطرة في مصلحة السكك الحديد الالمانية الإتحادية. وكان يتلقى دروساً ليلية بهدف الحصول على شهادة في الهندسة. ثم نال شهادة في العلوم الاقتصادية. وفي العام ١٩٦٩، اختير مديراً لشركة الخدمات البلدية وهو في التاسعة والثلاثين من العمر.

وخلال أزمة النفط عام ١٩٧٣ اشتد طموح ريتش الى استعمال الطاقة التي كانت تشتريها روتفيل من محطة التوليد العمومية، على نحو أكثر فاعلية. فاستعان بخبراء وبأدمغة الكترونية لوضع برنامج لمراقبة الطاقة الكهربائية المرسلة الى سكان المدينة. وعندما كان الاستهلاك يرتفع كثيراً في ذروة ساعات العمل كانت معامل روتفيل الضخمة ومستشفياتها تفصل تلقائياً عن الموزع الرئيسي وتستعمل مولداتها الخاصة بالحالات الطارئة. وقد جهّز ريتش معامل وورشات أخرى بعدادات ذات أضواء أو أجراس للانذار. وكانت هذه الاشارات تنبّه الصناعيين لدى استهلاكهم مقداراً كبيراً من الطاقة، فيعمدون الى توقيف بعض الآلات عن العمل. ونجحت التدابير التي اتخذها ريتش ولم تلبث المدينة أن بدأت توفر نحو مليون مارك سنوياً.

سيارات على الغاز. ظل ريتش يتطلع الى وسائل أخرى لتوفير الطاقة. وسرعان ما أقنع سكان روتفيل باستعمال الغاز الطبيعي للتدفئة عوض النفط والفحم الحجري. قال لهم: "الغاز الطبيعي ليس أقل كلفة فحسب، بل هو أنظف الى حد بعيد جداً. فهو يطلق نسبة أقل كثيراً من ثاني أوكسيد الكبريت، وأوكسيد النتريك وثاني أوكسيد الكربون."

واليوم يعتمد اكثر من ٦٠ في المئة من المنازل الغاز الطبيعي للتدفئة والطبخ.

ولجعل مصدر الطاقة هذا أكثر اغراء لمالكي البيوت، تقدم شركة الخدمات البلدية تسهيلات في تأجير اجهزة التدفئة وصيانتها. وتسجل العدادات في كل بناية ما يستهلك من حرارة للتدفئة ومن مياه ساخنة. وتحصّل الرسوم كل شهرين. وقد فضّل كثيرون نظام الشركة هذا نظراً الى ارتفاع كلفة شراء الاجهزة وصيانتها. وفضلا عن ذلك، فهم يقولون إنهم يدفعون الآن رسوماً أقل ١٨ في المئة مما كانوا يدفعون سابقاً عندما كانوا يستعملون أفرانهم الخاصة.

ويوفر الغاز الطبيعي الطاقة لأربع سيارات تابعة للشركة، تسير كل واحدة منها مئات الكيلومترات قبل أن تعبأ من جديد. ويقول ريتش في هذا المجال: "انها رائعة للقيادة في المدينة. وأداؤها يضاهي أداء السيارات التي تعمل على البنزين.

أما ما تطلقه من غازات فيعادل ما تطلقه السيارات المزودة محولا حفّازاً(١)."

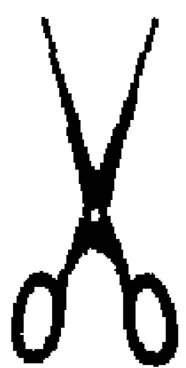
غاز حيوي. بذل ريتش مساعي أكثر ابتكاراً في جعل روتفيل أقل اعتماداً على الطاقة التي يزودها اياها المولد العمومي. ففي العام ١٩٧٨ بدأ يسعى لدى المجلس البلدي كي يوافق على بناء

(١) Catalytic converter

الـرجاء ارســال القسيمة والشيـك بالبـريـد المسجـل (المضمـون)
الى احد العنوانين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.



الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

معملين لانتاج طاقة للتدفئة. ويولد هذان المعملان الكهرباء فيما يؤمنان الطاقة اللازمة للتدفئة.

وهذه التكنولوجيا سهلة نسبياً: هناك محرك يعمل على الغاز موصول بمولد. وهو، كبقية المحركات، يطلق حرارة في الجو وفي الماء الذي يبرد المحرك. وفي حال انتاج طاقة كهربائية وحرارية، في آن، فان فاعلية الطاقة الاولية(٢) التي يدار بها المحرك هي أعلى بضعفين مما في حال توليد الكهرباء فقط. وهذا يعني امكان استعمال ٨٥ في المئة من الطاقة، في مقابل ٣٨ في المئة فقط في المعامل التقليدية لتوليد الطاقة.

عام ١٩٧٨ بني أول معمل من أصل ٤٣. وتدير سلطات المدينة اليوم عشرين معملا من هذا النوع، وهناك ثلاثة تملكها مصانع خاصة تستخدمها. وتنتج هذه المصانع مجتمعة ٣٠٠٠ كيلوواط من الطاقة الكهربائية أي ١٤ في المئة من مجمل حاجة المدينة. وتؤمن المياه الساخنة لنحو ١٥٠٠ بيت ومكتب ومصلحة عبر أنابيب عازلة تمتد حوالى ١٥ كيلومتراً. والمعمل الذي يؤمن الطاقة لمجمّع "أكواسول"، وهو مركز للتسلية والرياضة في المدينة، يوفر سنوياً نحو ٣٠ مليون ليتر من وقود التدفئة ولا يطلق ثاني أوكسيد الكبريت.

وقد بني مصنع لتوليد طاقة للتدفئة بالقرب من مركز تنقية مياه المجاري وتكرير المياه. ويفسر ريتش ذلك: "ما نقوم به هناك هو استخراج البقايا العضوية، وضخها في براميل، وتلويثها بجراثيم الميثان لانتاج غاز حيوي(٣) نستعمله وقوداً لمحرك معمل توليد طاقة التدفئة."

ويحتوي الغاز الذي يتم انتاجه بهذه الطريقة على نحو ٧٠ في المئة من الميثان. الا أنه يطلق أبخرة أكثر من الغاز الطبيعي المكوّن من الميثان الصرف بنسبة تكاد تبلغ ١٠٠ في المئة. الا أن ما يطلقه من ثاني أوكسيد الكبريت، هو جزء يسير مما يطلقه الوقود النفطي (٠،٠٣٣ غرام في كل كيلوواط/ساعة في مقابل ٠،٥٠٤ غرام يطلقه الوقود المنزلي.)

تصنيع النفايات. لما كان موقع روتفيل مثالياً على ضفاف نهر نيكار، فلديها أيضاً معملان لتوليد الكهرباء من الطاقة المائية ينتجان مجتمعين ١٤٠ كيلوواط. وسيبنى معمل ثالث تبلغ طاقته الانتاجية ٢٧٠ كيلوواط. وعندما ينتهي بناؤه ستنتج المدينة ١٥،٥ في المئة من حاجتها الكهربائية. ويقول العمدة مايكل آرنولد: "هدفنا ان نؤمن لسكان المدينة طاقة رخيصة من دون أن نلوث البيئة حولنا. واننا نعتقد أن مشروعنا هذا يستحق توظيفاً ضخماً أكان من ناحية الجهد أم من ناحية التمويل."

ويعكف ريتش على درس تكنولوجيات جديدة. وقد ساهمت وزارة الابحاث والتكنولوجيا في بون في تمويل دراسة رائدة لامكانات تصنيع النفايات المنزلية وتحويلها طاقة مفيدة وفي الوقت نفسه تقليص تكاليف رمي النفايات وطمرها وتخفيف أثرها المؤذي في البيئة. وقد

(٢) Primary energy input

(٣) Biogas

شارك في هذا المشروع خمسة آلاف ملّاك في روتفيل وفي بلدتين مجاورتين.

طوال ١٨ شهراً جمع الورق والزجاج ونفايات الحدائق والمطابخ والفضلات الاخرى في مستوعبات منفصلة. حُوِّلت المواد العضوية غازاً حيوياً جرى اختباره كوقود محتمل لأحد معامل توليد الطاقة الحرارية. أما البقايا المتخمرة فأعطيت للمزارعين كأسمدة وأعيد تصنيع الورق والزجاج وغيرهما. أما ما تبقى من نفايات لا افادة منها فأقل كثيراً مما كان يُنقل سابقاً الى مرمى النفايات.

ومنذ انتهاء الدراسة يشغل ريتش أدمغة الكترونية لمعرفة ما اذا كان مشروع كهذا يحقق ربحاً لروتفيل. وفي هذه استشار تقنيين وفنيين لقياس سرعة الريح ووجهاتها في سهل يرتفع ٧٤٠ متراً على مقربة من المدينة. وأفيد أن محولات الطاقة التي تولدها الرياح ذات السرعة الخفيفة(٤) يمكنها أن تحول الريح كهرباء. وخُطط لبدء تشغيل أول محول من هذا النوع في ربيع ١٩٨٩. ويقرّ ريتش الذي اتخذ شعاراً هو عبارة "استعمل ولا تبدّد"، بأنه يفكر في تحويل الخشب غازاً أيضاً.

يقول ديتر سيفريد من معهد البيئة في فريبورغ: "ما أثبته لنا نموذج روتفيل هو امكان استعمال مصادر الطاقة بفاعلية أكبر وعلى نحو يضمن مصلحة السكان ويراعي البيئة، باتباع التخطيط الاقتصادي والابتكار التقني."

جون دورنبرغ ■

(٤) Low — velocity wind energy converters



الخاتم وحشوة الاسنان

كان جدّي طبيب أسنان وصاحب فكاهة. وبعد أن حصل الطلاق بينه وبين جدتي، زارته جدتي يوماً في عيادته لكي يحشو لها أسنانها. وفي نهاية المعاينة، رافقها الى الباب ثم قال لها: "لم أتوصل ابداً الى فهم سبب اعادتك خاتم الزواج الي بعد افتراقنا. على كل حال، لقد اعدته لك الآن فقد حشوت به اسنانك!"

للوهلة الاولى ذهلت جدتي، ثم ضحك الأثنان حتى فاضت الدموع على وجناتهما.

ج.ل.ب.

اسرار السفر

تذمّر ابي من عدد الحقائب التي كانت أمي تصر على نقلها في رحلتهما. وفي المطار، لاحظ أبي زوجين امامهما في الصف لا ينقلان سوى حقيبتي يد، فسألهما: "عفواً، هل في امكانكما أن تفسّرا لزوجتي سرّ السفر بحمل خفيف؟" فأجابه الزوج مبتسماً: "بالتأكيد، فكل ما عليكما فعله هو أن تدعا شركة الطيران تفقد امتعتكما كما ضيّعت امتعتنا."

د.س.

تأملات معاصرة

نجوم أمريكا

الامريكيون هم في صدد تكريس أبطال زائفين في مجتمعهم. أتخيل أحياناً اجتماعاً لمنظمة امريكية وأسمع أعضاءها يقولون: "من تريدون أن يكون الخطيب في الإجتماع المقبل؟ نحن لا نرغب في مفكّر عميق، اذاً، فلنقصد واحداً من نجوم التلفزيون". فيسأل أحدهم: "حسناً، كم تعتقدون سيبلغ بدل أتعاب المذيع التلفزيوني الفلاني؟" ويجيب آخر: "كذا ألف دولار." ويقترح البعض: "ما قولكم اذا منحناه جائزة أعظم رجل في الكون؟ كم تبلغ تكاليف لوحة الجائزة يا تشارلي؟"
يقلقني ما آل اليه المجتمع الامريكي. لقد عرف العالم حضارات، وربما ما زالت هناك مدنيات قائمة حيث الفلاسفة والشعراء وكبار المعلمين هم نجوم مجتمعاتهم. فانظروا مَن هم الآن نجوم المدنية الامريكية!"

تد كوبل، صحافي تلفزيوني امريكي

دائرة الاسباب

قد تعتقد أن الحصان كان سبب وجود العربة وحملها. ولكن لو لم يكن هناك دواليب لما استطاعت العربة أن تتحرك. والدواليب لم تدر لو لم ترصّ الطرق. وهل يستطيع الحصان أن يتحرك خطوة واحدة لولا العلف الذي يغذّيه؟ وهل كان العلف لينمو لولا عمل الشمس التي ترفع المياه من البحار لتصبّها فوق اليابسة؟ ما أصعب تعداد أسباب حدوث امر واحد. ومع ذلك يدّعي البعض انهم يفقهون لماذا ولأي هدف خلق الكون.

ك.ف.

لسانك حصانك

الحكيم من يضبط لسانه وقت الخطر. فالاسد، كما تعرفون، دعا النعجة ليسألها هل لنَفَسه رائحة كريهة، فاجابت بالموافقة، فالتهم رأس تلك المغفّلة. ثم دعا الذئب وسأله، فاجاب بالنفي، فقطّع ذلك المتملّق ارباً. اخيرا دعا الثعلب وسأله، فكان الجواب: "اعذرني، يا سيد الغاب، فانا مصاب بالزكام وحاسة الشم عندي معطلة."

ج.س.

نحن والآخرون

بالنظر الى تمادينا في مناقشة صفات الآخرين بروح بعيدة عن المحبة، يبدو استبعادنا امكان كلام الآخرين برداءة علينا امراً مستغرباً. وكم نغضب ونتأذى عندما يتأكد لنا انهم فعلوا ذلك.

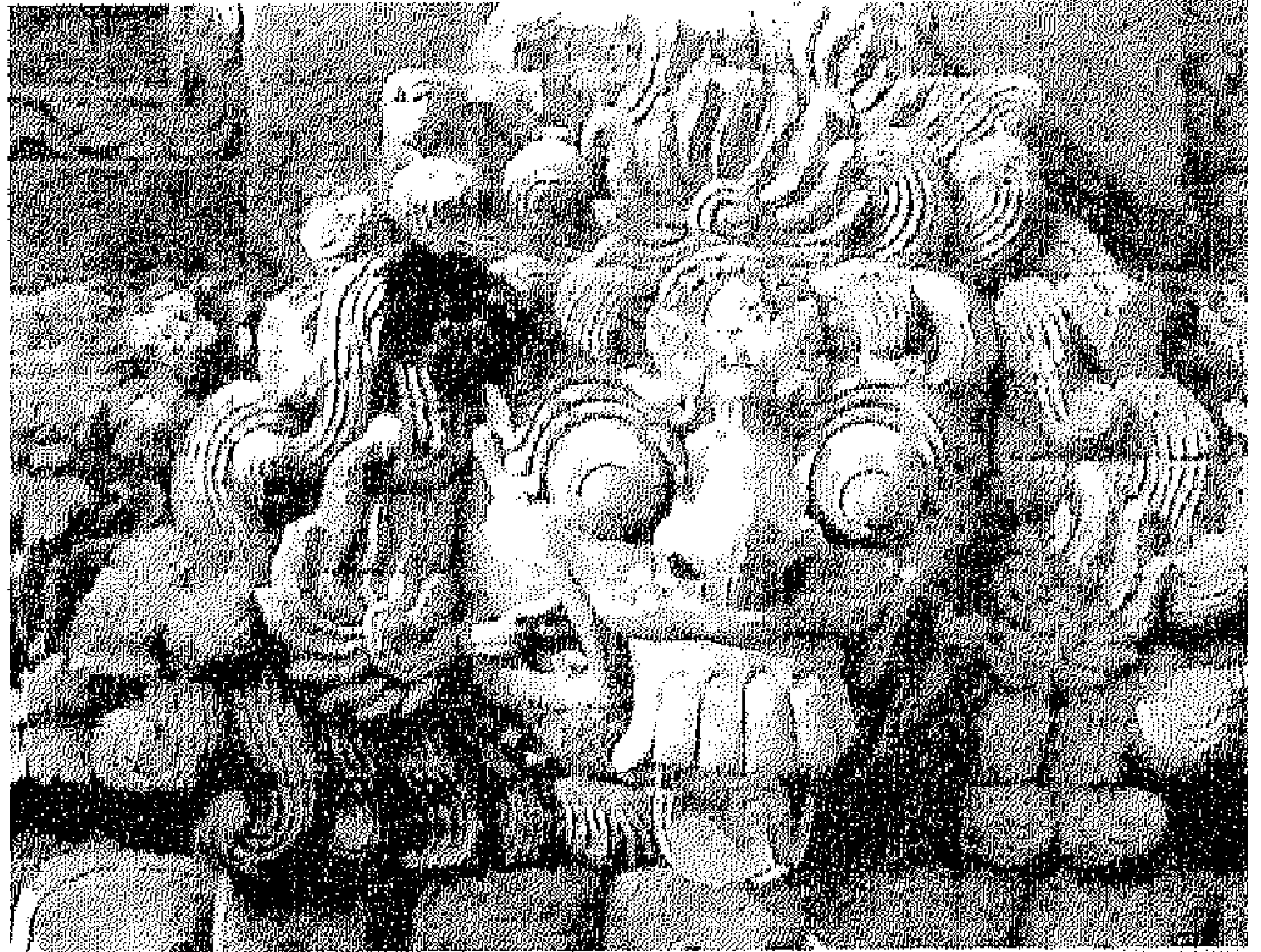
أ.ت.

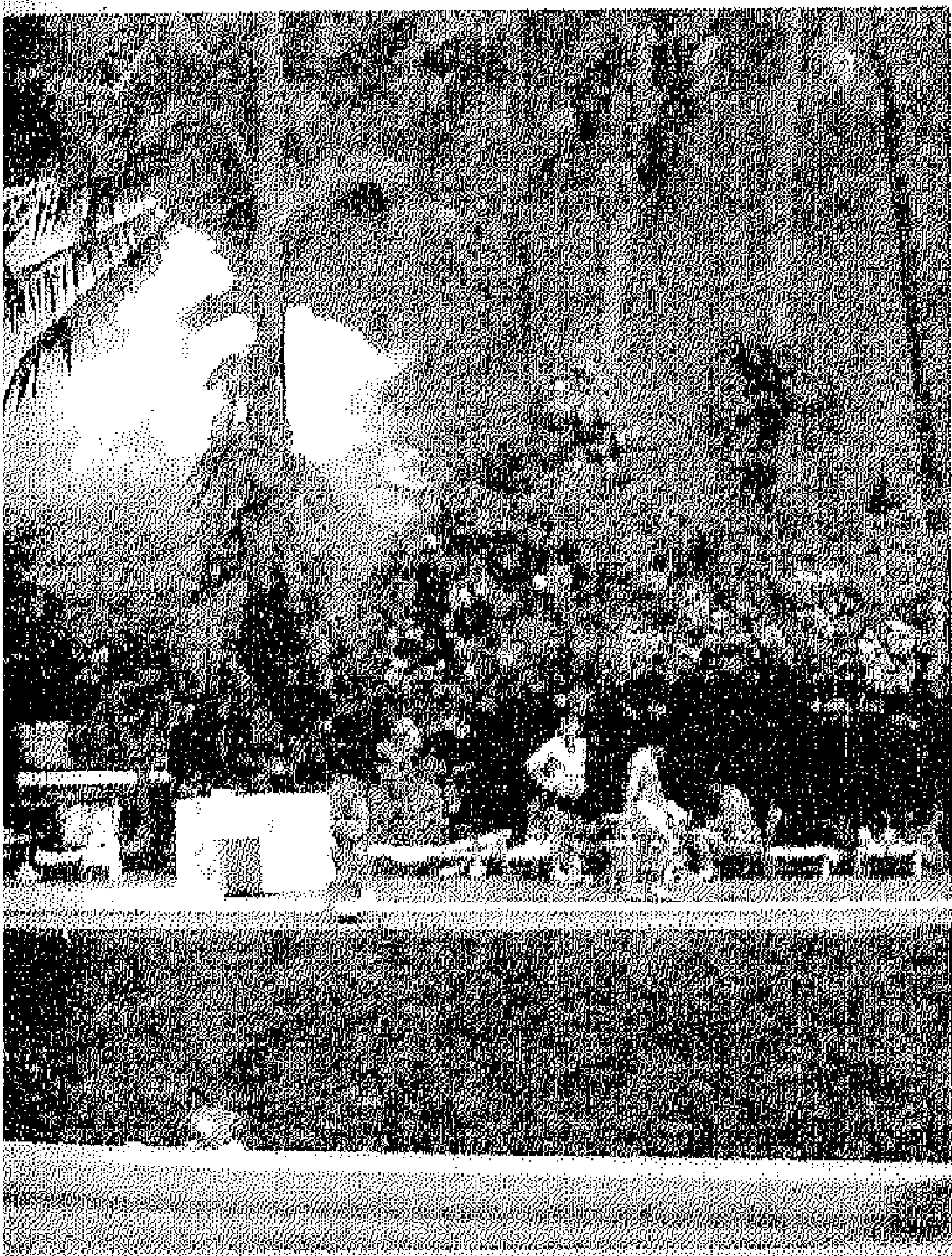
بالي
جَزيرة تُراثيَّة

على طول شارع، في منتجع كوتا البحري في جزيرة بالي الاندونيسية، تعرض محلات بيع الاسطوانات أحدث الأغاني الاجنبية. وتجد السياح السمر البشرة، بسبب تعرّضهم لأشعة الشمس، يتنزهون مرتدين الأزياء الشائعة في كوتا. الا انه سرعان ما يخف تأثير مشهد السياحة المزدهرة هذا عندما تظهر عشرات النسوة من سكان بالي في زيّهن التقليدي المتألق، وهن يحملن على رؤوسهن سلالاً مصنوعة من الخيزران المشبّك وقد ملأنها بالأزهار والرز والفاكهة. وتصدر من محلات بيع الاسطوانات انغام صاخبة ذات ايقاع متنافر تعزف على آلات محلية يمكن حملها والتجول بها.

ويحتفل الباليون بعيد نييبي، وهو بمثابة عيد رأس السنة، ومن أهم الأعياد لدى سكان بالي.

ومع ان هذا الموكب الزاهي الألوان يعبر وسط المركز السياحي في الجزيرة، إلا ان المشاركين فيه قلّما يعيرون اهتمامهم مئات السياح الذين يصادفونهم على طول الطريق التي تفضي





اقصى اليسار: راقصة بالية في زي تقليدي.
في الوسط: تجذب بالي نصف مليون سائح سنوياً.
في الأعلى: نقش لمخلوقات اسطورية على الحجر وهو فن بالي قديم.

لم يؤدِ الغزو السياحي
لهذه الجنة الإستوائية
الصغيرة إلا إلى زيادة
اعتزاز سكان الجزيرة
بهويتهم الثقافية





عوض ان يهدد طريقة العيش التقليدية فيها. وتقول ياني: "قبل قدوم السياح، لم يكن في امكاننا الذهاب الى بيساكيه لتمضية النهار الا مرة او مرتين في السنة. اما الان، وقد اصبحت لدينا سيارة، فيمكننا الذهاب الى بيساكيه متى نشاء."

وادت الحركة السياحية الى تعزيز الفنون في الجزيرة، خصوصاً الرقص الشعبي المشهور عالمياً. وساعدت اموال السياحة سكان كوتا في تصميم ازياء للرقص اجمل واعرق. كما امنت لهم وقت فراغ من اجل التدرب. ولفت النظر اداء الراقصين الجدد من كوتا - وهي في الاساس قرية صيد فقيرة - بالمقارنة مع فرق الرقص المحترفة في مراكز لتعليم اداء الفنون في أبود وبيلياتان التي طاف راقصوها انحاء العالم.

وقد بدأ الازدهار السياحي في جزيرة بالي في اوائل السبعينات مع بناء فنادق فخمة في سانور، واحداث تسهيلات خاصة بالسياح في كوتا المجاورة. وبحلول العام ١٩٨٧ كان قرابة نصف مليون سائح يتقاطرون على الجزيرة الصغيرة التي يقل عدد سكانها عن ثلاثة ملايين نسمة. ونتيجة لهذا الوضع بدت بالي كأنها سائرة وراء الجزر الخلابة الاخرى التي اندثر تراثها الثقافي تحت وطأة الرغبة التجارية لارضاء السياح.

بهم الى شاطىء كوتا الشهير برماله البيضاء. هناك، وبين حشود راكبي الحسكات والسياح المستقلين تحت اشعة الشمس، يُحيي باليو كوتا تقليدا يعود الى مئات السنين.

وبين المشتركين في الاحتفال، شابة رائعة الجمال في السابعة والعشرين من عمرها تدعى مايد كارياني مايزن، وهي معروفة باسم "ياني"، وقد أمضت القسم الأكبر من حياتها بين السياح. ومكنها الدخل الذي جمعته من السياحة من الالتحاق بجامعة يودايانا في دنباسار. وقد سنحت لها، شأنها شأن الكثير من الفتيات اللواتي هن في سنها، كل فرصة ممكنة للتكيف وطريقة العيش الغربية. الا أن ياني، بقيت بالية حتى... العظم.

السياحة والتراث. وقد أغنى سيل الأموال الناتج من السياحة تراث الجزيرة

الا ان بالي ادهشت الجميع. فقد حافظت على طابعها التقليدي. ويعود الفضل في ذلك إلى المرونة الطبيعية لدى سكان بالي وإلى المؤسسات الاجتماعية في الجزيرة واهمها "البانجار" وهو نوع من المجالس المحلية. وتحت خيمة كبيرة مفتوحة نُصِبَت في شارع هادىء في أبود، وهي قرية في بالي الوسطى، تربع عدد من سكان الجزيرة على حصير، يتحدثون وهم يدخنون سجائر كبش القرنفل. وما لبث نيومان سوراتنيا الذي يرئس هذا البانجار، ان افتتح الاجتماع معلناً ان البند الاول في جدول الأعمال هو دفع الغرامات. فتقدم من نيومان شاب حسن الهندام وسلّمه ألفي روبيه (نحو دولار ونصف دولار) والشاب هو رجل اعمال ناجح غرّم مبلغ عشرين ألف روبيه مقسطة على عشر دفعات لأنه تغيّب عن اجتماعات عدة متتالية للبانجار.

وكلمة بانجار، في القاموس الشعبي، مشتقة من كلمتين باليتين هما: "بان" وتعني مؤسسة و"جار" وتعني سعادة وحزناً (كانت احدى الوظائف الاساسية للبانجار مساعدة الأعضاء على التغلب على مآسيهم الشخصية من خلال المساعدة المتبادلة). اما وظيفة البانجار الحالية فهي ترتيب الاحتفالات التي تُجرى خلال حياة الأنسان. الطقوس الدينية المتبعة عند الولادة والبلوغ والزواج والموت: وتنظيم شؤون البيئة كالمحافظة على نظافة الأسواق والطرق ومناطق السباحة. ويُعتبر البانجار مؤسسة ديموقراطية بكل معنى الكلمة. وكل شخص بالغ، أكان شاباً ام فتاةً، مدعو للانضمام الى البانجار التابع لمنطقته. وتؤخذ القرارات بالتوافق عوض الاكثرية.

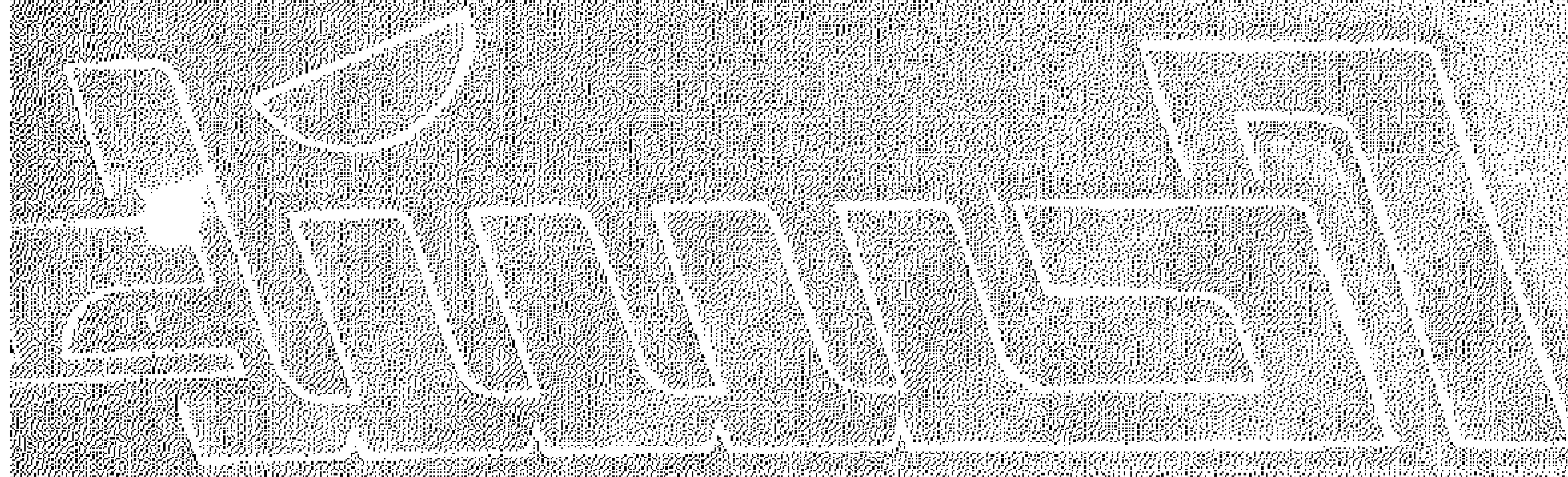
واعضاء البانجار يساعد بعضهم بعضاً، عبر المناقشة، على ادخال عناصر جديدة الى حياة مجتمعهم، يساعدهم في ذلك اطار مرن من التقاليد.

وللبانجار وظيفة جديدة في مناطق الاستجمام السياحية وهي المساهمة في تنظيم "الرقصات التقليدية لجزيرة بالي." ويمكن اعضاء البانجار اداء رقصات في الفنادق أو ضمن التسهيلات التي يقدمها اليهم البانجار. ومع ان البعض يحاول الانتقاص من هذا العمل واصفا إياه بأنه مثال صارخ للإتجار بالتراث، إلا ان سكان الجزيرة لا يبالون بهذا الشأن. ويقول أغونغ اريب بيميكوتان، وهو مدرب فرقة للرقص. "ثلاثة اسباب تدفع سكان بالي الى الرقص. اولاً، نحن نرقص كجزء من طقوسنا الدينية ثم نرقص للمتعة واخيراً لكسب المال."

الاصالة. على نقيض الرقص، عانى الفن في الجزيرة سلبيات الغزو السياحي. فاللوحات الوطنية البالية التقليدية التي نجدها اليوم في عدد كبير من المتاجر وصالات العرض ليست سوى نتاج تجاري يحمله السائح تذكاراً من الجزيرة. وقد اثر هذا الوضع على انتاج عدد من الرسامين الموهوبين فجاء انتاجهم متفاوت الجودة، فهم يعلمون أن السائح مستعد لدفع الثمن نفسه للوحة عادية أو للوحة ذات مستوى فني رفيع.

بحلتها الجديد

مجلة كل بيت



الاسبوعية الفنية الاجتماعية الشاملة

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة، تهتم بشؤون كل بيت



- منوعات
- تحقيقات ومقابلات
- فن
- ثقافة
- تجميل
- اناقة
- مشكلة وحل
- طب
- مطبخ
- طبيعة
- حديث الابراج

بالاضافة الى عدة ابواب اخرى

الا أن الرسام آي مايد بودي يشكل استثناءً في هذا المجال. إذ تبرز لوحاته التفاصيل الصعبة التحليل للفن الكلاسيكي في الجزيرة. ففي رسمه لاحتفال ديني نجد سائحاً يرتدي قميصاً من جزيرة هاواي وهو يصوّر المشاركين في المناسبة. وفي لوحة أخرى نجد هواة رياضة ركوب الأمواج يستمتعون بممارسة هوايتهم في بحر تتردد إليه الاخيلة. ويمثل فن بودي ردة الفعل الحقيقية لسكان جزيرة بالي ازاء السياحة.

ويقول أوكا بيمايون، رئيس مجلس بالي لتعزيز السياحة الذي تشرف عليه الحكومة: "بالي شبيهة بشجرة المنجا التي لا تتوقف عن الانتاج مهما تقادم عهدها وتغيرت ظروف التربة ومنسوب مياه الأمطار، وان اختلف لون قشرتها وتنوع مذاقها الا ان الثمرة التي تنتجها الشجرة تبقى المنجا."

وتبذل الحكومة قصارى جهدها لضمان استمرار بالي في انتاج ثمار المنجا المجازية هذه. ويعمل ممثلون للحكومة في المقاطعات، عبر نظام البانجار، على توعية السكان المحليين على أهمية كلٍ من السياحة والمحافظة على الهوية الثقافية. وتعلم اكاديميتان تديرهما الحكومة سكان بالي الرقص وأشكالاً أخرى من الفنون. بينما يراقب فريق من المفتشين الرقصات المخصصة للسياح بغية التأكد من محافظتها على مستويات لائقة. ويقول بيمايون: "يقصد السياح بالي لتراثها الفريد من نوعه. ونحن لن ندخر جهداً من اجل المحافظة على ما يجذب السياح في تراثنا".

الا أن للسياحة، بالطبع، بعض النواحي السلبية. فغالباً ما يعتلي السياح اماكن العبادة لالتقاط صور تروقهم. أو يشوشون على المصلين بثرثرتهم وبالنور الخاطف والساطع الذي ترسله آلات تصويرهم لدى التقاطهم صوراً فوتوغرافية، أو يرتدون ألبسة غير لائقة في المناسبات الدينية. وفي حال وجود مقيم اجنبي، يطلب منه الباليون، في الغالب، اطلاع السياح على العادات السائدة في الجزيرة ولفت نظرهم الى وجوب احترامها. وقد وجد السكان في منطقة أوبود حلًا من صميم الحياة في بالي، يقضي بانشاء هيئة للاعلام السياحي. وقد احدثت الـ"بينا ويزاتا" لتأمين المساعدة وشرح اصول التصرف اللائق للسياح من جهة، وارشاد السكان المحليين الى اساليب التعامل مع الاجانب الذين يزورون مناطقهم.

وينظر تجوكوردا راكا كيرثايازا، وهو احد مؤسسي البينا ويزاتا، الى هذه المهمة بجدية. ويرى ان أمل بالي هو في الأجيال الصاعدة. وينتهز كل سانحة لتشجيع الشباب في أوبود على التأمل في تراثهم والتراث الاجنبي. الا ان جهوده كانت تتعثر في بعض الاحيان. ففي احدى المرات وبخ راكا مجموعة من المراهقين يرتدون الجينز وقمصاناً قصيرة الأكمام. يتسكعون عند زاوية احد الشوارع وهم يصفّرون. وقال لهم إنهم يضيعون وقتهم. فأجابه احدهم "اننا لا نضيع حياتنا بل نتمتع بها."

ولاحظ راكا ان ما قاله الفتى ينطبق على سكان بالي اذ هم يعيرون دائماً امضاء وقت ممتع أهمية بالغة.

الا ان سنواتهم الخالية من الهموم لن تدوم طويلاً. واوضح راكا ان "تصرفهم هذا ليس سوى ثورة مراهقين."

وفي بعض مناطقِ بالي حيث للسياحة تأثير ضئيل، غالباً ما يحضر السكان اجتماعات البانجار وهم يرتدون ثياباً غربيةً. الا ان الجميع تقريباً في كوتا يرتدون السارُنغ. ويعير السكان الشباب في مجالس البانجار في منطقة كوتا تعلم الرقصَ البالي اهتماماً شديداً. كما يرتادون الصفوف التي تعلّم الكتابة السنسكريتية القديمة التي انتقل بواسطتها فولكلور الجزيرة من جيل الى جيل.

ويُعنى الباليون الذين يحتكون بالاجانب بالمحافظة على تقاليدهم وذلك في محاولةٍ منهم لتأكيد تمسكهم بهويتهم الثقافية.

يقول دارما بالغونا، وهو استاذ محاضر في جامعة يودايانا: "لا اشعر بانتمائي الى جزيرة بالي وحدي. الا انني فجأة أشعرُ بقوة انتمائي هذا لدى وجودي مع أجانب."

ان العيش بين الاجانب بالنسبة الى ياني في كوتا لم يقوِ هويتها الثقافية فحسب، بل دفعها إلى استكشاف ثقافتها الشخصية.

جريمي ألن ■



تحقيق الوجود

حاكم نيويورك ماريو كودمو لا يرغب ابداً في اخذ عطلة اذا استطاع الى ذلك سبيلا. فان هو ذهب في عطلة يقضي معظم وقته على الهاتف مع موظفيه.

ويعتقد كوومو "ان الخطيئة العظمى التي يقترفها المرء هي تبديد وجوده." وهو يفعل اي شيء لملء وقته، حتى وان يكن ذلك تنظيف الفرن. ولقد كتب في دفتر يومياته بعد انتخابه في العام ١٩٨٣: "اتطلع بلهفة الى ملء ايامي بالعمل. اياك ان تدَعَ اويقاتك خالية تماماً. فاذا كنت شديدَ التعب عاجزاً عن القراءة او الكتابة او التفكير قم بعمل لا يتطلب جهداً كبيراً. نظّف البراد، إجمع اوراق الحديقة، أو لَمِّعْ الاحذية."

ر.س.م.

واقعية الفن

يتذكر الرسام الايطالي بياترو انّيغوني احد أفضل انجازاته الفنية:

"عندما قرر مالك المحترَف الذي استأجرته في فلورنسا بيعه، أصبت بخيبة. لكن فكرة خطرت لي. فعدة شقوق في الحائط من شأنها ان تجعل البيع صعباً، وهكذا رسمتها باسلوب واقعي، لاسيما شقاً مخيفاً ينزل مباشرة من السقف حتى اعلى احدى النوافذ.

جاءت النتائج تتخطى كل توقعاتي اذ لم يقدم احد على شرائه خلال ١٨ شهراً. وان كنت انجزت يوماً تحفة فنية فقد كانت تلك الشقوق.

د.ج.

دائرة المعارف

للاعلانات لغتها الخاصة تجذب بها الزبائن. هنا كلمات ترد في الاعلانات. وقد وضع امام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. نادر: ثمين – كريم – قليل – مسلّ.

٢. نظير: حبيب – بصير – قريب – مِثل.

٣. نكهة: طعم – ريح الفم – بخار – ذوق.

٤. دَسَم: جمال – لبن – سمن – لب الثمرة.

٥. رفاه: طيب العيش – خصب – بَطَر – خفة.

٦. صقيل: كثيف – جيد النوعية – أبيض – جليّ أملس.

٧. فوّاح: غاسِل – سامّ – ظاهر – منتشر الرائحة.

٨. ذوّاق: كثير الذوق – وقح سفيه – كريم – مشتهٍ.

٩. استجمام: سفر – استراحة – جمع – استرحام.

١٠. معقّم: ساخن – معبأ – خال من الجراثيم – ضارّ.

١١. رائد: رئيس – عائد – ساكن – رسول الى مكان جديد.

١٢. مهاودة: مساهلة في الثمن – تنويم – غناء – مشي متأنٍ.

١٣. شائع: ذائع – رخيص – وهّاج – مزيّف.

١٤. وُضّاء: منير – حسن نظيف – مضياف – فضي.

١٥. أصيل: قديم – شامخ – شريف الاصل – عزيز.

١٦. يضاهي: يشاكل ويشابه – يباهي – يزيد – يشعّ.

١٧. منمّق: فاسد – غشاش – مغلف – محسّن ومزيّن.

١٨. جودة: كرم – ضد رداءة – حداثة – فروسية.

١٩. صَنْف: زَغَم – نوع – وجه بشوش – نصف.

٢٠. متين: ماهر – نشيط – نتن – شديد قوي.

٢١. أفّاذ: ساحر – سارق – متسوّل – برّاق.

٢٢. منمنَم: مكذّب – صغير ناعم – موشّى – عذب.

٢٣. مأمون: محبوس – بعيد – موثوق به – محروس.

٢٤. متناسق: كامل – منتظم – متعالٍ – متلاصق.

٢٥. باهر: حذق – ناجح – سريع – غالب في الحسن.

الأجوبة الصحيحة

١. النادر: ما شذّ وخالف القياس. أيضاً: ما قلّ وجوده.
٢. النظير: المثل والمساوي.
٣. النكهة: ريح الفم. وتستعمل خطأ بمعنى المذاق.
٤. الدَسَم: الوَدَك (أي السمن) في اللحم أو الشحم.
٥. الرَفاه والرَفاهة والرَفاهِيَة: طيب العيش ولينه.
٦. الصقيل والمصقول: الجلي الأملس. الصَيْقل: شحّاذ السيوف.
٧. فاح المسك: تضوّع وانتشرت رائحته، فهو فوّاح. قالوا ولا يقال فاح الا في الريح الطيبة خاصة، ولا يقال في الخبيثة والمنتنة فاحت بل يقال هبّت ريحها.
٨. الذوّاق والذوّاقة: الكثير الذَوق.
٩. استجمّ استجماماً: استراح. يقال "اني لأستجمّ قلبي بشيء من اللهو" أي اني لأجعل قلبي يتفكّه بشيء من اللهو.
١٠. المعقّم: ما أبيدت جراثيمه المَرَضيَّة. يقال "حليب معقّم."
١١. الرائد: الرسول الذي يرسله القوم لينظر لهم مكاناً ينزلون فيه، فيكون الاول الذي يقصد المكان. والرائد أيضاً الجاسوس.
١٢. المعاودة: المساهلة في الثمن.
١٣. شاع الخبر: ذاع وفشا. الشائع: الذائع أيضاً: المشترك.
١٤. الوُضّاء: الحسن النظيف. وضُؤ: صار نظيفاً حسناً. توضأ بالماء للصلاة: اغتسل وتنظّف.
١٥. الاصيل: الشريف الاصل. أيضاً: من يتصرف عن نفسه من دون وكيل.
١٦. يضاهي: يشاكل ويشابه. الضهِيّ: الشبيه.
١٧. ثوب منمّق: محسّن ومزيّن. مكان منمّق:مزدان بأنواع التحاسين.
١٨. الجودة: حال الشيء الجيّد، وهي ضد الرداءة.
١٩. الصَنْف: النوع والضرب. يقال "عنده أصناف من الامتعة."
٢٠. المتين: الصلب الشديد القوي.
٢١. أخَذه: سحره. الاخّاذ: الساحر. المآخذ: المصايد. يقال "مآخذ اللؤلؤ في الخليج العربي." مآخذ الكتاب: مصادره.
٢٢. ثوب منمنم: مرقوم موشى. والعامة يستعملون المنمنم لما كان وشيُه صغيراً لطيفاً، وربما قالوا "جارية منمنمة" أي لطيفة الاعضاء صغيرتها.
٢٣. المأمون: الموثوق به.
٢٤. المتناسق: المنتظم، وما كان على نسق واحد.
٢٥. الباهر: الغالب في الحسن، والمضيء. أيضاً: ما يقطع النَفَس.

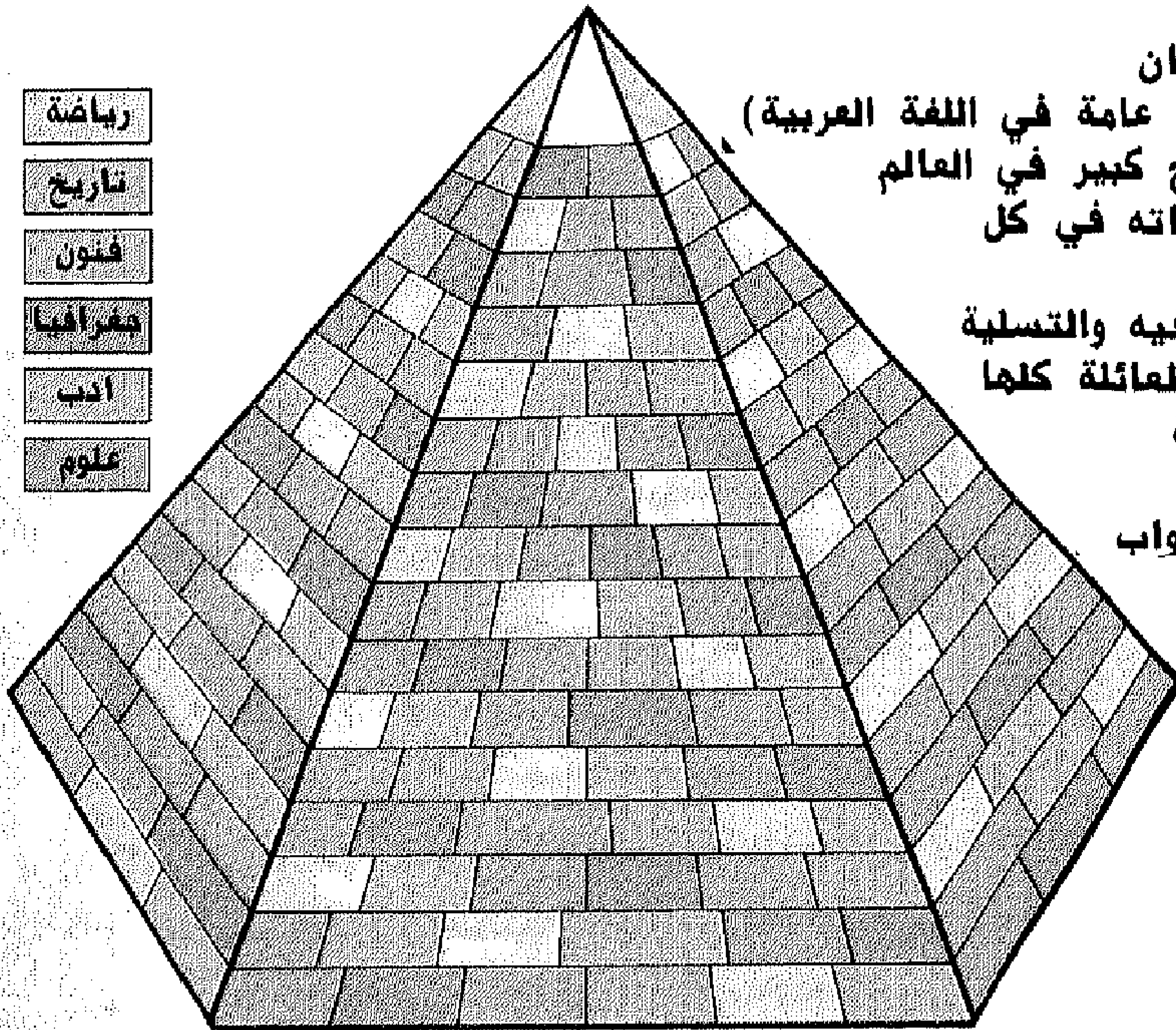
المستوى

٢١ – ٢٥: ممتاز
١٦ – ٢٠: جيد جداً
١١ – ١٥: مقبول

التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مشوقة



هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

ليس الرسم وقفاً على الفنانين الكبار. ان نفاذ البصيرة هو في متناول كل واحد منا

عَالَم على وَرَق

ليس رسم نبات القصعين ما أسميه رسماً جذاباً لافتاً. فهذه الجنبات المشذّبة بفعل الريح لا تستوقف النظر. ونبات القصعين يفتقر الى الزهور والاشواك المزوّقة؛ لكنه كيانٌ في ذاته. وكرسام وعالم طبيعي جمعتُ اغصاناً منه بحافز من شعوري بالواجب، لكني كنت أرسم أشياء أكثر ابهاجاً.

وفي النهاية التقطت غصيناً وشرعت أرسمه. وعندئذ اكتشفت أن هذه النبتة التي تكاد تخلو من أي وصف هي جميلة وفاتنة. فالسداة (العضو الذكر في الزهرة) مجموعة في أزرار صغيرة تتدلى كالمصابيح بين اناث الزهور. والاوراق معقدة التركيب. وقد اكتشفت لدى رؤيتها تحت عدسة مكبّرة نظام النصوص

والعروق الرائع، ولاحظت أن الاوراق رمادية ومغطاة بشعيرات قاسية قصيرة تلمع في وهج الضوء.

وفيما كنت أرسم، رجعت بالذاكرة الى الصحراء حيث ينمو النبات بصعوبة وتكون الوقاية من الشمس الحارقة بواسطة غطاء سطحيّ من الشعيرات الدقيقة. ولو لم أرسم نبات القصعين الابيض لما استوعبت حقيقة الشعور بالنمو في الصحراء.

والحقيقة أن لا أهمية لاتقان الرسم، لأن مجرد تفحص زهرة بدقة وتقليبها بين أصابعك يفتح لك أبواباً جديدة. وفي الخطوة التالية، ما ترسمه من ملاحظات مدوّنة في مفكّرة أو على ظرف أو في دفتر رسوم أو حتى في الرمل ينشىء صلة بين اليد والعين تعزّز الصلة بين العين والذاكرة. الرسم هو اختبار لحقائق وصور وأشكال في عالم مرئي لا يمكن اختبارها بطريقة أخرى.

لا يتسع صدري لاولئك الذين يتأوهون قائلين: "أوه، ليت في استطاعتي أن أرسم!" الرسم حالة عقلية وطريقة للرؤية. فماذا يهم إن أخفقت في ابداع لوحة فنية رائعة معبّرة عن ذاتك؟ هناك أناس يسلّمون بعجـزهم عن تأليف سيمفونية خلال أسبوع، لكنهم يطمحون الى انتاج رسم رائع في تجربتهم الاولى. ان نمو المهارات يتطلب وقتاً وجهداً.

تمتّع بشعورك بالقلم وهو يجري على الورق من دون أن تحدد أهدافاً تعجز عن بلوغها. واذا اخطأت في رسم خط فبادر الى محوه أو أعد المحاولة. إعترف بأنك غير معصوم عن الخطأ.

ان المناظر الطبيعية جميلة بمقدار ما تركز على مشاهد من دون سواها. أما أروع المناظر التي أعرفها فهي تلك التي رسمها رمبرانت (★) بألوان مائية خفيفة وببضع ضربات من الفرشاة، وأضفى عليها حياة بخطوط ريشة حادة واضحة. لكن ذلك استنفد سنين من التمرين ومقداراً كبيراً من العبقرية مما لا يدخل في موضوعنا هنا حيث ننادي بمتعة التعلم من الملاحظة الدقيقة.

حين ارسم نبتة أبدأ بالتفاصيل الصغيرة اذ ان المضي في الرسم لملء الفراغ أسهل من الانحصار في مخطط ضيق. أحياناً أرسم وريقة زهرة ثم أتوسع لاضافة كل ما يتصل بالزهرة الكاملة من تفاصيل.

واني لأتساءل عما اذا كانت هذه طريقة لفهم العالم أيضاً واعادة تشكيله من خلال جمع ملاحظات وتفاصيل من هنا وهناك. ولقد اعتقدت دوماً أنني أعمل بهذه الطريقة لاصابتي بقصر النظر، لكن الأمر أعمق من ذلك: فهو مرتبط بحكمة الرأي وبالتبصّر وبتكشُف بنية النبات عن الفصول التي سبقت وعن الربيع الآتي.

ويبدو لي أن الاشياء الصغيرة التي تُرى بسهولة ويمكن امساكها باليد أو وضعها على الطاولة، هي الموضوع الأسهل للرسام الايضاحي المتبدىء. فلماذا الغوص في رسم أجزاء معقدة اذا لم يكن هناك من داع؟ ان النباتات تسرّ لانها جامدة، أما محاولة رسم حشرة متحركة فجهد يكلّل بالخيبة.

(★) رمبرانت رسام هولندي يعتبر من أساتذة الفن الكبار في العالم (١٦٠٦ - ١٦٦٩).

وإذا كنت من الذين يراقبون الطيور ويتحلّون بالصبر وطول الأناة، فالرسم طريقة حسنة لتتعلم كيف تتحرك الطيور وتوجّه أبدانها وتلويها، ولتعرف الكثير عن تصرّف الحيوانات، لان المراقبة مركزة. والرسم عند الاصيل في حديقة الحيوان قد يذهل من لم يجربه قبلا.

وعلى الشاطىء تتوفر الاصداف وملفوظات البحر امكانات لا حصر لها. فكر في أنك منهمك في رسم عابث لا كأنك عاكف على تخليد صَدَفة للاجيال القادمة. واكتشف داخل الصدفة، باللون ونمط الخطوط، أين التصقت المحارة وكيف عاشت.

اني أفكر في الرسم لا كغاية في ذاتها وانما كوسيلة للتعلّم بعدسة مكبّرة وقلم رصاص بدلا من الكتب. وأرى فيه ما لم أره قبلا، وبه ألمس نبتة وأعرف "من" هي.

من خلال اللمس تنال المعرفة بطريقة فعلية مباشرة. فتكتشف سريعاً أن ورق الصنوبر يخز يدك وأن شجر العرعر شائك وأن ورقة أذن الدب ناعمة. وبذلك تنشىء اتصالا وعلاقة حميمة بين عقلك والنبتة.

في ابريل (نيسان) ١٩٨٨ خرجت الى الصحراء لمدة ثلاثة أيام وملأت صندوقاً عازلا بالنباتات. وعمدت الى رسمها ذات صباح. ابتدأت برسم زنبقة ذات خمسة براعم: واحد لم يتفتح بعد واثنين متفتحين واثنين ذابلين. التقطت الزنبقة وقلبتها بيدي وتفحصتها من جميع جوانبها ثم أعدتها الى الصندوق.

قال لي أحدهم: "دعني أحضر لك اناء تضعها فيه فلا تضطر الى حملها."

فأجبت من دون تفكير: "كلا، شكراً. أريد أن أرى ماذا في الجانب الآخر." فمعرفة ما هو تحت الاشياء ووراءها لها أهميتها، اذ كيف تعرف الى أين أنت ذاهب اذا لم تعرف أين كنت قبلا؟

حين رأيت تلك الزنبقة بعين فكري وقلّبتها بيدي، رأيت زنابق الارض كلها، وعرفت الجفاف في جذوري والانبساط في اوراقي وأشعة الشمس تصقل ساقي. ومن معرفتي لتلك الزنبقة أدركت معنى الانتظار ريثما تدب الحرارة الكافية، والانتعاش بنسمات الفجر، والذبول في قيظ الظهيرة، وهجوع الشتاء، ومقتضيات الصحراء.

تلك الزنبقة محفورة في ذاكرتي، على الورق وفي الصحراء. ومهما يكن الفصل فانها تزهر في خبرتي وادراكي وفي معرفتي التي تعجز الكلمات عن تحديدها. وليس هناك ما يحيي الزنبقة ويزهرها في عقلي مثل تدوين انحنائها واستدارة محيطها، وتلك ذاكرة أبدعتها العين واليد بتدوير قلم رصاص برفق وتؤدة على صفحة من ورَق.

آن زفنغر ■



تدركك الشيخوخة عندما تفقد الشعور بأن امرأً رائعاً هو في انتظارك. ويحدث هذا لدى البعض باكراً بينما لا يدرك آخرين البتة.

د.أ.ش.

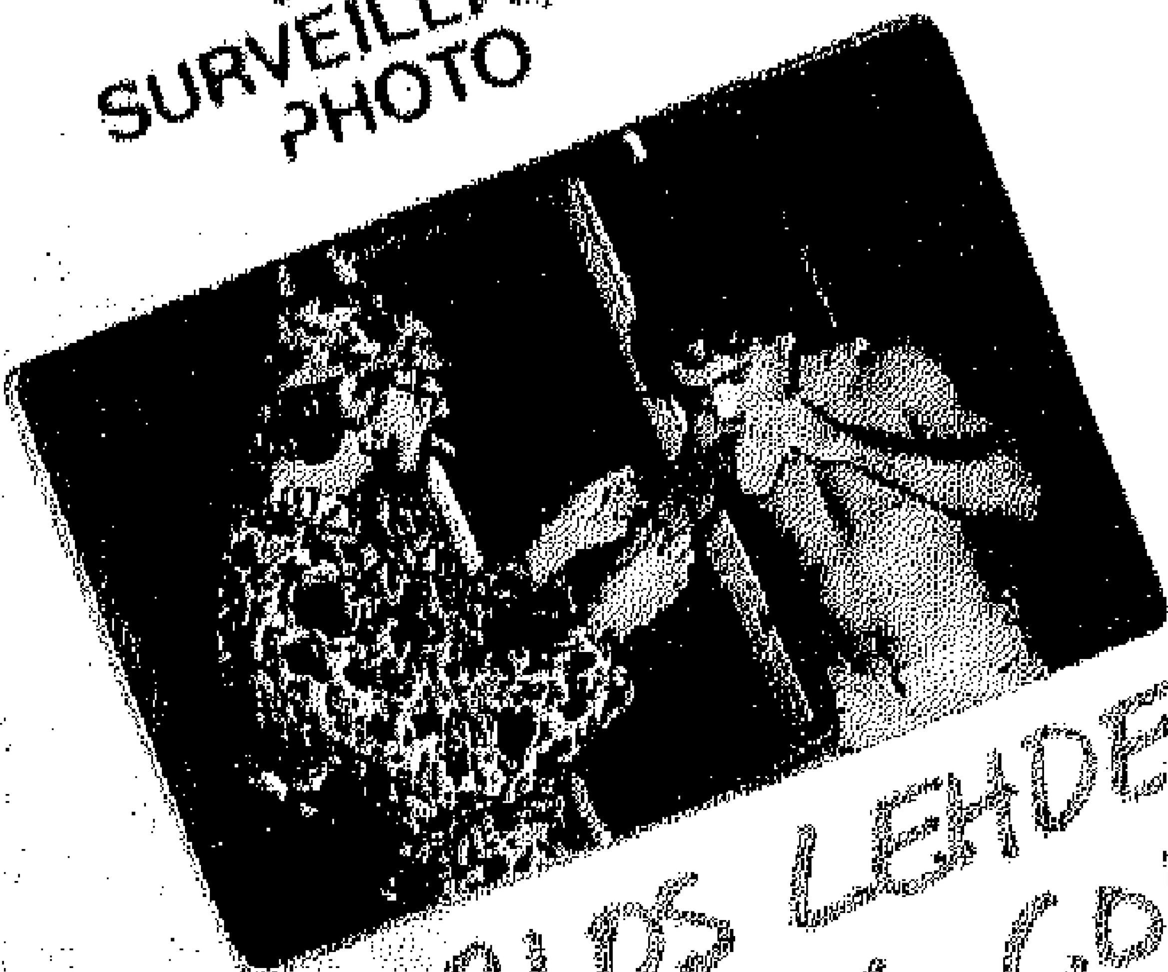
كتاب الشهر

كارلوس

بقلم ناثان أدامس




DEA
SURVEILLANCE
PHOTO
COCAINE SEIZED


DEA
SURVEILLANCE
PHOTO
CARLOS LEHDER
SNORTING COKE


DEA
SURVEILLANCE
PHOTO
PLANE USED TO
TRANSPORT COKE


DEA
SURVEILLANCE
PHOTO
DOWN

كارلوس



لم يعرف تاريخ الجريمة المنظمة مثلها: أكثر من ٢٠ عائلة تمتهن تجارة المخدرات تكتلت في اتحاد اجرامي قوي جعلها، خلال العقد القصير من هيمنتها، شبه حكومة سرّية تفسد مجتمعات كاملة.

تعرف هذه العائلات بالـ"كارتيل" أي الاتحاد. ومن مقرها الرئيسي في مدينة ميدلين بكولومبيا، المستكينة في أحضان واد ظليل وارف في جبال الأندس، تحتكر سوق الكوكايين العالمية التي تطرح فيها مليارات الدولارات.

وتتمخض هذه التجارة عن كوارث حيثما راجت، وخصوصاً في الولايات

Inset photo: Sygma. All other photos:Courtesy

المتحدة حيث يبلغ استهلاك هذا المخدر ١٥٠ طناً في السنة.

وأولئك الذين يتجرأون على معارضة الكارتيل يُقضى عليهم بلا شفقة. وقد دفع الكارتيل كولومبيا الى حافة الفوضى الاجرامية، وقتل مسلحوه أكثر من ٣٠٠٠ شخص بينهم قضاة ومسؤولون كبار في الحكومة. قتلوا المئات في الولايات المتحدة ما بين ميامي (فلوريدا) ولوس انجلس (كاليفورنيا).

ويعود الجانب الاكبر من نجاح الكارتيل الاجرامي الى رجل واحد يعتبر بعبقريته اللوجستية(١) صانع الكارتيل ورأسه المدبر. اسمه: كارلوس ليهدر، وكان في وقت ما سارق سيارات وبائع ماريوانا في الشوارع. مثاله الاعلى: أدولف هتلر. هدفه: تدمير الولايات المتحدة وحكم مملكة الكوكايين.

وهذه قصته.

نورمنز كاي، جزر باهاما. وقف شاب قوي البنية في منتصف العشرينات من العمر على منصة مشرفة على البحر، وراح يحدّق الى الافق متجهم القسمات قلق العينين، منتظراً هبوط الليل.

وكان في فترات منتظمة يلتقط جهاز اتصال لاسلكياً ويتكلم بصوت خفيض. وكانت مكالماته مرمّزة ولم تدم الا بضع ثوان.

بعيد هبوط الظلام أقبلت طائرة من جهة الجنوب محلقة على مستوى الموج وأنوارها مطفأة. لكن الطيارين كانا على معرفة جيدة بالجزيرة، وكانت الشعلات المضاءة التي تحدد المهبط الصغير كافية لارشادهما.

نهض الشاب وتكلم عبر اللاسلكي ثم مشى بسرعة الى سيارة "جيب" وُضع رشاش على مقعدها الامامي.

كانت حمولة الطائرة أفرغت لدى وصوله الى المهبط الذي يبعد بضعة كيلومترات في الطرف المقابل من الجزيرة. تكلم بايجاز مع الطيارين اللذين كانا في انتظاره بجانب المهبط وقد خطّ وجهيهما تعب شديد.

كانت الرحلة طويلة مرهقة تجاوزت ١٦٠٠ كيلومتر قطعاها من داخل كولومبيا ثم شمالا فوق البحر الكاريبي مجتنبين العواصف الرعدية والرادارات ومخترقين "ممر الرياح" الضيق بين كوبا وهاييتي.

بعدما اطمأن الشاب الى أن كل شيء على ما يرام مضى يدقق في الحمولة. كانت

(١) اللوجستية أو السّوْقيات هي فن نقل الجنود وايوائهم وتموينهم.

هناك عشرات من أكياس القماش الناعم المنتفخة التي تساوي أكثر من وزنها ذهباً. فأخذ مشعلا كهربائياً وفتح أحدها وانحنى ليتفحص محتواه.

مرر أصابعه بين طبقات أكياس النايلون المرمّزة كلها بهويات مالكيها. وكان كل كيس يحتوي على كيلوغرام واحد مختوم من أجود أنواع الكوكايين الصرف.

في اليوم التالي سيشحن هذا الكوكايين الذي يثمّن بأكثر من ٢٥ مليون دولار، في طائرات أصفر الى الشمال الغربي عبر "جرف باهاما الكبير" ومضايق فلوريدا الى المطارات السرية داخل فلوريدا وفي عمق ريف جورجيا.

خلال اسبوع يبدأ تسليم الموزعين المنتشرين في الولايات المتحدة. وما هي الا عشرة أيام حتى يكون الكوكايين بيع واستهلك في الاحياء الفقيرة وفي المدارس الثانوية وفي قصور الاغنياء والمشاهير.

لم يلتقوه مرة ولا سمعوا باسمه. لكنهم جميعهم زبائنه: فنانون ورياضيون ووسطاء ماليون وبغايا وعمال وعاطلون عن العمل. كلهم جعلوا من كارلوس ليهدر ملياردير اً وساهموا في تمويل امبراطورية امتدت فشملت نصف العالم.

جاكسونفيل، فلوريدا. جلس عميل المكافحة دوغلاس درايفر ضجراً في سيارته المعتمة مثبتاً على زجاج النافذة المفتوحة منظاراً قوياً مركّزاً على بيت في نهاية شارع يدعى "ممشى الاميرال." كان المساء حاراً في أوائل سبتمبر (أيلول) ١٩٧٧ وقد جثم الهواء فوق المدينة كبساط رطب. وفي أقل من ساعة كان درايفر يتصبب عرقاً، لكنه ظل يراقب وينتظر كما كان يفعل في الاسابيع الطويلة الماضية مغالباً الضجر والحر.

لم يكن على يقين عما يفتش، اللهم الا شكل صاحب المنزل الذي يشبه أشكال تجار المخدرات. فهو يعيش حياة مترفة من دون أن يمارس عملا ظاهراً يؤمن له دخلا مرموقاً. وما عدا ذلك مجرد وحي غريزي.

كان درايفر (٣٠ سنة) أحد ستة مخبرين يعملون في المكتب الاقليمي لمديرية مكافحة المخدرات في جاكسونفيل. ولم يكن انتشار الكوكايين عم الولايات المتحدة بكميات كبيرة، لذلك كان نشاط المخبرين موجهاً الى مهربي الماريوانا المحليين والى السفن غير المشروعة التي تموّنهم في نقاط التقاء بعيدة عن الشاطىء.

بدأ درايفر مراقبة ممشى الأميرال وفي اعتقاده أن ذلك سيقوده الى كشف عصابة من مهربي الماريوانا. لكنه في الواقع فتح الباب لتحقيق استنفد جهده طوال عقد وبات القضية العظمى في تاريخ مديرية مكافحة المخدرات.

بدأت قضية درايفر حين أسرّ اليه صديق يدير وكالة محلية لبيع السيارات: "ربما كلفني ما أخبرك به خسارة أفضل زبون عندي." وراح يصف له رجلا جاء الى صالة العرض واشترى منه عدة سيارات فخمة ودفع ثمنها أوراقاً مالية من فئتي المئة دولار والخمسين دولاراً تناولها من كيس للتسوّق. وقد تباهى بأنه أثرى كمن عثر على كنز، من طريق انماء جزيرة في باهاما تدعى نورمنز كاي.

لم يعنِ اسم نورمنز كاي شيئاً لدرايفر. ولكن لم يكن سراً خافياً أن الفساد المتفشي في حكومة باهاما حوّل هذه الجزر ملعباً لنخبة المتاجرين بالمخدرات.

فاقترح درايفر على صديقه: "اتصل بي حين يأتيك في المرة المقبلة، وحاول أن تؤخره مدة تكفيني للاسراع الى هنا ورؤيته."

ولم تمض عشرة ايام حتى كان لدى درايفر اسم ساكن المنزل في نهاية ممشى الاميرال. وكانت السيارة مسجلة باسم إرنست فون إبرشتاين الذي حفل سجله الطويل بالسرقة والسجن والتشرد، ولكن لم يعرف عنه ولا عن أخيه غريغوري الذي يملك المنزل، أنهما متورطان في المخدرات.

تابع درايفر مراقبة الجوار حيث منزل فون إبرشتاين الفخم. وكان يلاحظ ارقام السيارات التي تؤمه. كان كثير من الزائرين ربابنة طائرات، انما لم يظهر أن أحداً منهم يعمل. وكانوا جميعهم يعيشون كأصحاب ملايين، وقد دفعت أثمان منازلهم نقداً.

ومن المشتبه بهم إدوارد هايس ورد، وهو في منتصف الثلاثينات من عمره، عمل سابقاً بائعاً في أحد المتاجر الكبيرة، واكتشف درايفر أنه يملك طائرتين على الاقل ويشغلهما. كان يشتري ملابس الفرو والمجوهرات بعشرات ألوف الدولارات وبسخاء كمن يروي حديقة. وكان يختفي أياماً من منزله في جاكسونفيل ثم يعود الى الاسراف في فورة مشتريات. ولم يطل الامر حتى اكتشف درايفر أن له عنواناً ثانياً في نورمنز كاي.

شرع درايفر يدقق في اتصالات ورد الهاتفية المسجلة. وكثيراً ما عمل حتى ساعة متقدمة من الليل وفي عطلات نهاية الاسبوع، متحققاً من مئات الاتصالات ومقابلا بينها. وهو لم يعثر على ضالته الا في شهر يونيو (حزيران) بعد مضي ثمانية أشهر، وذلك من خلال مكالمتين الى موزعي كوكايين معروفين في جنوب فلوريدا.

وعيِّن عميل محنك من جاكسونفيل لمساعدة درايفر في التحقيق، وهو يدعى بوبي ستارات وعمره ٣٣ سنة. للوهلة الاولى بدا العميلان كأنهما فريق شاذ. كان درايفر طويل القامة متقلب المزاج يعمل بهدوء ونظام. أما ستارات فكان قصير القامة ناحلا وقوياً كأنه كتلة من الطاقة العصبية. وعلى رغم تباين شخصيتيهما فانهما عملا معاً في السابق وأصبحا صديقين حميمين.

وكانت مصلحة البريد تزود العميلين عناوين الرسائل التي يتسلمها المشبوهان ويرسلانها. وفحص العميلان نفايات ادوارد ورد أملا بالعثور على أدلة. ثم بدءا اعتراض الاتصالات اللاسلكية، لكن المحادثات كانت موجزة ولم تبحث فيها شؤون المخدرات. ولم يلبث درايفر أن اكتشف مخبراً ثبتت علاقته بالمجموعة فاعتقل وفي حوزته ٥٠ غراماً من الكوكايين. وهو أبدى استعداده لمساعدة الشرطة، ولكن حين سمع اسمي المستهدفين تجمّد هلعاً وآثر دخول السجن على البوح بأي شيء.

ظلت علاقة المجموعة بجزيرة نورمانز كاي لغزاً مغلقاً. واستوضح درايفر وستارات وكالات حكومية، لكن التقارير عن الجزيرة ظلت هزيلة.

وكانت هناك شركة بانامية تدعى "انترناشنال دوتش رسورسز" تملك مكتباً في باهاما وتشتري أراضي وأملاكاً تحيط بالميناء الصغير وبمهبط للطائرات طوله ٩٠٠ متر. وقيل ان ملكية الشركة تضم عدة مستثمرين من باهاما وأمريكا الجنوبية، لكن ادوارد ورد لم يكن واحداً منهم. الا أن مكتب مديرية المكافحة في ميامي أفاد أن ورد يشحن حمولات كبيرة من الاثاث الفخم ومعدات البناء وأجهزة الملاحة الجوية الى جزيرة نورمنز كاي.

ثم نقل مكتب التحقيق الاتحادي «FBI» معلومات استخبارية جعلت ستارات ينتصب جالساً في كرسيه.

ونمي الى مصدر في مكتب التحقيق الاتحادي أن مجموعة من المهربين الامريكيين بقيادة إدوارد هايس ورد التقت أخيراً في جزيرة نورمنز كاي مزود كوكايين كولومبياً كبيراً يدعى كارلوس ليهدر.

غرق درايفر في التفكير متسائلا: "ومن هو كارلوس ليهدر؟" ثم تذكر أن ليهدر هو أحد العاضدين الرئيسيين لشركة "إنترناشنال دوتش رسورسز" العاكفة على شراء نورمنز كاي.

لقّم درايفر المعلومات دماغاً الكترونياً لدى مديرية المكافحة للتدقيق في خلفيتها. فهاله ما قرأ، وشعر بوخز في جلدة رأسه. لقد ورد اسم كارلوس ليهدر في أكثر من ١٥ ملفاً لدى مديرية مكافحة المخدرات.

جزيرة محصنة

ولد كارلوس ليهدر عام ١٩٤٩ في مدينة أرمينيا الكولومبية الصغيرة، وهو ابن مهاجر ألماني قدم بعد الحرب العالمية الثانية. انفصل والداه وهو في سن المرهقة فلحق بأمه الى مدينة نيويورك. وفي ١٩٧٣ قبض عليه لسرقته سيارة، ثم أفرج عنه بكفالة ٢٥ ألف دولار. واختفى، ليظهر لاحقاً في ميامي حيث قبض عليه وهو يهرب الماريوانا من كولومبيا. فسجن لمدة عامين جرى بعدها ترحيله من البلاد.

ومن كولومبيا أفاد عملاء مديرية المكافحة الامريكية في مدينتي بوغوتا وميدلين عن علاقة متينة بين ليهدر وتجار الكوكايين الكبار هناك. وقد اعتاد هؤلاء ان يعملوا منفردين، ولكن كانت هناك أدلة واضحة لا لبس فيها على تعاون بين المنظمات ومشاركة في التسهيلات ومصادر التموين والنقل.

عرف عن ليهدر أنه بارع في الشؤون اللوجستية، وكان في ذلك الحين يفاوض لشراء احدى شركات الطيران الكولومبية الداخلية الكبيرة وتدعى "ايرولينياس سنتراليس دي كولومبيا." ولم يخامر أحداً شك في أنه سيستخدمها لتوسيع شبكة نقل المخدرات.

تمكن درايفر وستارات من التعرف الى سكان سابقين في نورمنز كاي. وعلما أن ليهدر شوهد للمرة الاولى في الجزيرة عام ١٩٧٧. ولم يمض عام حتى اشترى دارة منعزلة في طرفها الجنوبي وأخذ يبسط سيطرته بشراء دارة بعد أخرى وقطعة بعد

قطعة من الجزيرة. وما لم يقدر على شرائه استولى عليه عنوة. ونظراً الى التهديد والترهيب اللذين واجههما السكان، فقد هجر كثيرون المنازل التي شادوها لقضاء عطلاتهم.

في ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨ طار ستارات ودرايفر الى باهاما. وتوقفا في ناسو لاجراء المعاملات الجمركية. وكما يقضي البروتوكول، أبلغا الى السلطات الباهامية أنهما ضابطان في حكومة الولايات المتحدة وأنهما في طريقهما الى نورمنز كاي. وكانا يخشيان كشف خططهما لاشتهار رجال الشرطة الباهامية بالفساد.

وفي المرحلة الاخيرة من سفرتهما حلقت طائرتهما فوق سلسلة من الجزر المرصوفة المتقاربة حتى لتبدو كأنها أسطول بحري راس في المياه. وعندما أطلّت جزيرة نورمنز كاي في الأفق ظهرت بشكلها المميز معقوفة كشص صنارة صيد.

وحين رأى ستارات المهبط طلب من الربان أن يطير على علو منخفض ليتمكن من تصوير الطائرات الجاثمة خارج المدرج، وما هي الا دقائق حتى كانت الطائرة تحط بالعميلين.

لم يُرق درايفر الجو الذي طالعه في الجزيرة. فقد بانت كأنها غير حقيقية، كأنها جزيرة أحلام رائعة كاملة، بل كأنها صورة في ملصق سياحي أتمّت فيها الطبيعة ابداعها.

لم يرخّص لاي من العميلين حمل مسدس في باهاما. فاذا تعرضا لمشكلة فلن يتمكنا من الدفاع عن النفس، في حين اشتهر ليهدر بالعنف.

استأجرا دراجتين ناريتين صغيرتين وأخذا يطوفان على امتداد الطريق الساحلية الضيقة مفتشين عن دارة ادوارد ورد. فوجداها جاثمة على هضبة تبعد ثلاثة كيلومترات عن المهبط، وقد نبتت على سطح الدارة غابة فاضحة من هوائيات الاتصال اللاسلكي والملاحة.

التقط ستارات خفية صوراً سريعة للجهاز الالكتروني وأرقام تسجيل سيارة جيب وشاحنة صغيرة ومركب صيد راس على الرصيف. أما فخامة الدارة فكانت أخّاذة كمنزل ورد في جاكسونفيل.

وكان منزل ليهدر الفخم على بعد ستة كيلومترات من دارة ورد، ينتصب شامخاً منفرداً كحصن على رأس "الشصّ" عالياً فوق البحر. فالتقطا صورة للمنزل من بعد بواسطة عدسة قوية. وكانت هناك سيارة "ڤان" واحدة متوقفة خارجاً.

بعد رجوعهما الى الفندق حاول درايفر محادثة عامل باهامي كان يشذب الشجيرات. فعلم منه أن ليهدر لم يكن في الجزيرة، كذلك ورد. وقال الحدائقي انهما يأتيان ثم يغيبان نحو أسبوع ثم يعودان. وعن شركة "انترناشنال دونش رسورسز" قال ان معاملتها حسنة وانها تدفع أعلى الرواتب لمستخدميها.

قبل مغادرة الجزيرة مشى ستارات ودرايفر على طول الشاطىء نحو ساعة وتبادلا التقاط الصور تضليلا لمهمتهما. ومع ذلك شعرا ببروزهما على لوحة الجزيرة كذبابتين سوداوين في صحن أبيض فارغ.

وفيما درجت طائرتهما الـ"سيسنا" استعداداً للاقلاع، اذا بشاحنة صغيرة وسيارة "ڤان" خضراء تظهران فجأة الى جانب الطائرة. وانفتح باب السيارة الخلفي فبان داخلها رجل رابض يحتضن بندقية "إم - ١٦" مستعداً لاطلاق النار.

ومن خبرته كضابط مشاة سابق في فيتنام، عرف ستارات أنهما مهددان جدياً، فصاح بالربان: "لنخرج من هذا الجحيم بأقصى سرعة! أسرع بربك! أسرع! أسرع!"

فدارت الطائرة على ذاتها ثم أطلق لها الربان العنان فاندفعت بأقصى قوتها الى الامام. وواكبتها الشاحنة حتى قاربت الاقلاع. كانت الرسالة واضحة لستارات ودرايفر: ستكون زياراتهما التالية محفوفة بالخطر.

غارة صباحية

لدى عودة العميلين الى جاكسونفيل تمكنا من تحديد مالكي الطائرات التي صوراها، وكان معظمهم مرتبطاً بمهربين أمريكيين وكولومبيين. وكان على رأسهم ربان من كاليفورنيا في أواسط الاربعينات من عمره يدعى جاك كارلتون ريد، يشتبه بأنه يغذي شبكة لتوزيع المخدرات في ولايته. وعلما أيضاً أن ريد يملك دارة في جزيرة نورمنز كاي، وبدا كأنه مدير عمليات ليهدر.

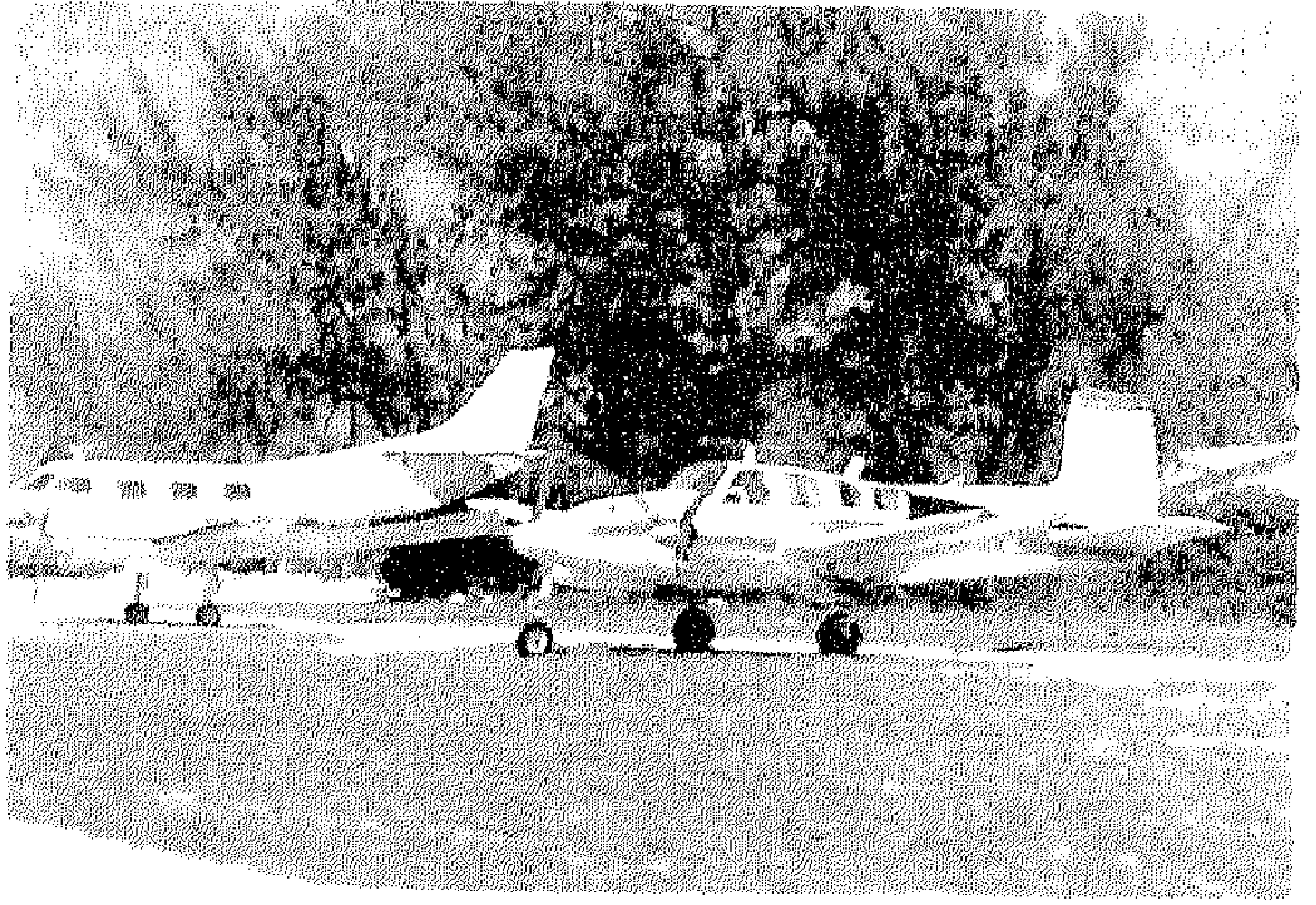
كان ريد يقود طائرة مسجلة باسم شركة "ايرمونتيس" التي تملك عناوين في ناسو وباناما مثل شركة "انترناشنال دوتش رسورسز." وتضم قائمة طائراتها بضع عشرة طائرة بما فيها نفّاثة ليهدر الشخصية وهي من نوع "سابرلاينر" ويفوق ثمنها مليون دولار وهي مجهزة بأحدث المعدات التكنولوجية التي توفر لها مزيداً من الفخامة والسرعة.

كان الاسم "مونتيس" مألوفاً لدى ستارات ودرايفر، اذ كان أحد أسماء ليهدر المستعارة. وأظهر التدقيق في رحلات ربابنة ليهدر أنها شملت مدناً في أنحاء الولايات المتحدة.

في ٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٨ طلب ستارات ودرايفر امدادهما بالرجال. فوافقت مديرية المكافحة على تشكيل قوة ضاربة تستهدف كارلوس ليهدر ومنظمته، سميت "عملية كاريب."

وأُلحق مزيد من العملاء بالتحقيق، فيما تابع المنسقون تقصي الادلة وتعقب المشبوهين في مدينتي لوس انجلس وميامي. وتولت مصلحة ضريبة الدخل التدقيق في الضرائب التي يدفعها أعضاء منظمة ورد. وتابع ستارات ودرايفر جمع تسجيلات الاتصالات الهاتفية وكشف البريد المرسل والوارد. ولم تمض أسابيع حتى حددا هوية أكثر من ٥٠ مشبوهاً من الموزعين المنتشرين في مدن متباعدة مثل بوسطن ومونريال، ودنفر وسان فرنسيسكو.

شُددت الرقابة على جزيرة نورمنز كاي. وكشفت الصور التي التقطتها طائرات مديرية مكافحة المخدرات، طائرات إضافية. وأفاد قائد زورق لخفر السواحل كان راسيا



طائرات لنقل المخدرات والاموال النقدية جاثمة قرب المدرج في نورمنز كاي.

على مقربة من الجزيرة، عن ٤٦ هبوطاً واقلاعاً في فترات آخر الليل خلال أسبوع واحد. وكشفت مقابلات مع أشخاص ما زالوا على اتصال بالسكان القلائل الباقين في الجزيرة أن ليهدر شدّد اجراءاته الأمنية. ويستعين رجاله العاملون بكلاب "دوبرمان" ضخمة ويحملون رشاشات من نوع "ماك - ١٠".

وتنكر عملاء مكافحة مدعين أنهم بحارة تعطلت مراكبهم، فرسوا على رصيف المرفأ بحجة اجراء الاصلاحات اللازمة وتنصتوا الى اتصالات ليهدر اللاسلكية وجمعوا الرموز (الشيفرة) التي يتخاطب بها ربابنته. لكنهم بقوا قيد المراقبة الدائمة لرجال ليهدر، ولم يسمح لاي منهم بالنزول الى الشاطىء.

وقام ستارات برحلات الى ناسو لمتابعة جمع الادلة، لكن جهوّده كانت تنتهي بخيبة مؤلمة. وغالباً ما وقف عاجزاً يشاهد ليهدر نازلا من طائرته الخاصة في مطار ناسو، مرحاً متنقلا كيفما شاء بحرية ولا مبالاة.

مضت أشهر صادق درايفر وستارات خلالها أحد رجال الشرطة الباهامية اللذين اعتقدا أن في الامكان الوثوق به. فنزل هذا خفية في نورمنز كاي مجتنباً دوريات الشاطىء، ورصد تحركات ليهدر مباشرة. لكنه لم يلبث أن كشف خططه لادارة الشرطة، فاقترف بذلك خطأ سيندم عليه.

ففي الساعات الاولى السابقة للفجر في ١٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٩ هاجمت قوة من الشرطة الباهامية جزيرة نورمنز كاي في ما بدا خطة للقبض على رجال ليهدر في غفلة منهم. ولكن ما ان سمع هؤلاء طلقات الانذار الاولى حتى استسلموا للحال.

أما ليهدر فوثب الى يخته ورمى في البحر ٩١ كيلوغراماً من الكوكايين قبل أن يدهمه رجال الشرطة. وحين انتصف الصباح كان ٣٣ من المرتزقة الالمان والكولومبيين والامريكيين - بمن فيهم ورد وفون إبرشتاين - قد رحّلوا بطائرة الى ناسو تحت حراسة مشددة.

لكن ليهدر لم يكن بينهم، ففي الدقيقة الاخيرة عمد مسؤول عال في الشرطة الباهمية الى ابدال "صديق" العميلين بضابط أكثر "انقياداً". وأطلق ليهدر من دون توجيه أي تهمة اليه، بعدما سلّم حقيبة قيل إنها تحتوي على ٢٥٠ ألف دولار نقداً. أما المحتجزون فعادوا الى نورمنز كاي خلال ٤٨ ساعة.

بدت العملية لدرايفر وستارات كأنها تمثيلية أخرجت بحيث توفر حجة للسلطات الباهامية بأنها نفذت عملية وقامت بواجبها، مما يدحض اتهامات مديرية المكافحة.

ولاحظ درايفر بغضب: "ان كارلوس ليهدر لا يملك جزيرة نورمنز كاي فحسب، بل يسيطر على البلاد بأسرها."

اعتقالات أولى

فيما شدد درايفر وستارات الضغط على جزر باهاما، واصل رجال المكافحة الآخرون في منطقة الكاريبي مراقبة شركات ليهدر. وبحلول السنة الجديدة ١٩٨٠ تمت الاعتقالات الاولى.

في لوس انجلس تمكن رجال المكافحة من كسر حلقة أحد موزعي ليهدر وكانت تسوّق ١٨٠ كيلوغراماً من الكوكايين شهرياً. واعترف أحد الموقوفين بأنه حقق ربحاً "يناهز ٣٠ مليون دولار."

بدأت القوة الضاربة تخنق مصادر النقد الذي يجنيه ليهدر من الولايات المتحدة. ففي لوس انجلس صادر رجال المكافحة شحنة بقيمة ثلاثة ملايين دولار فيما كان يجري توضيبها لتسليمها الى "صرّاف" غير قانوني في هياليه بفلوريدا. وفي ٢٣ أغسطس (آب) ١٩٨٠ كشف عميل في الكاريبي شحنة أخرى موضبة داخل صناديق لعبة "مونوبولي" بقيمة مليون ونصف مليون دولار، كانت على وشك أن تسلّم باليد بواسطة ساعٍ خلال رحلة بالطائرة من بوغوتا الى ميامي.

وتحقق انجاز كبير في مايو (أيار) لدى اعتقال ربان ممشوق القامة يبلغ طوله ١٩٨ سنتيمتراً ويدعى جون فنلي روبنسون. وهو اعترف لستارات بأنه كان ينقل الكوكايين بالطائرة لحساب ليهدر وشركائه منذ ١٩٧٧. وقد نفذ رحلات جوية في أنحاء البحر الكاريبي ناقلا في رحلة واحدة اكثر من ٦٨ كيلوغراماً من الكوكايين. وفي رحلة أخرى نقل ليهدر بالطائرة الى ميدلين ومعه ٢،٧ مليون دولار.

وأوقف ربان آخر يدعى ليفريت ميريل فرنسيس، فحدد مع روبنسون مواقع التجميع في كولومبيا التي كان يديرها ليهدر واعوانه.

لم يكن الكوكايين والثروة ما دفع ليهدر الى هذه الاعمال. بل حافزه الرغبة في السلطان.

قال روبنسون لستارات: "أتعلم؟ انه يريد أن يحكم بلداً."

أوقف الربانان في انتظار الادلاء بشهادتهما أمام هيئة محلفين. وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٨٠ أبلغ درايفر وستارات أن "عملية الكاريب" انتزعت انتباه ليهدر،

وتكوّنت لديه قناعة أن أخطاء ورد هي التي أتت برجال مكافحة المخدرات الامريكيين الى نورمنز كاي. لذلك عمد الى طرده ورجاله من الجزيرة.

وللتأكد من أن ورد تبلّغ الرسالة أطلق رجال ليهدر النار على طائرته النفاثة "ميرلين ٣". وخضوعاً لمشيئة ليهدر رفض المسؤولون الباهاميون تجديد اقامة ورد وشركائه. لقد كان ليهدر محترفاً، وحشياً، قاسياً، واقعياً، يعرف متى تتجاوز الشراكة مدة نفعها.

في ٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٨١، بعد ثلاث سنوات ونصف سنة من التحقيقات الطويلة المتواصلة، صدر اتهام غيابي من ٣٩ بنداً في جاكسونفيل في حق ورد وليهدر و١٤ آخرين. اتهم ليهدر بالتآمر لتهريب الكوكايين في "مشروع اجرامي مستمر" قد يؤدي الى حكم بالسجن ٦٠ عاماً أو مدى الحياة. واكتشاف مكان ورد واعتقاله سيكونان المفتاح لادانة ليهدر. وكان درايفر وستارات يأملان أن ينهار ورد بفعل الضغط ويتعاون واياهما ضدّ "معلّمه" السابق.

ولما كانت لديهما قائمة بطائرات ورد فقد تعقباه الى بور - او برنس في هاييتي مروراً بالكاريبي. وهناك أفاد أحد المخبرين أن ورد اشترى اخيراً منزلا كبيراً في التلال المشرفة على المدينة.

لم تكن ثمة معاهدة لتبادل المتهمين بين الولايات المتحدة وهاييتي. ومع ذلك استعد درايفر في ١٩ فبراير (شباط) ليطير الى بور - او برنس، وقال لستارات: "سأعمل حسبما تملي الظروف."

إستدر وهاجم!

حين هبطت الطائرة في هاييتي لاحظ درايفر أربعاً من طائرات ورد جاثمة الى جانب احد المدارج. وكان يعرف ارقامها عن ظهر قلب.

أبلغ درايفر الى سلطات هاييتي الغاية من مهمته. لكن المسؤولين أعلنوا أنهم لم يسمعوا بادوارد هايس ورد. فلفت نظرهم قائلا: "إن طائراته جاثمة الآن في المطار."

كان المسؤولون لطفاء لكنهم لم يساعدوه. وكانوا يعرفون انه لم يملك سلطة للاعتقال في هاييتي. وقال له أحدهم: "أنا أقترح أن تعود الى بيتك وتدعنا نحن نتولى تدبير هذا الأمر."

لكن درايفر كان مصمما على ألا يعود الى جاكسونفيل الا ومعه ورد. لذا ظل يرود موقف السيارات خارج مقر ادارة الشرطة في بور - او برنس فيمسك الضباط ويحييهم قائلا: "صباح الخير أما من أخبار عن السيد ورد الى الآن؟"

عرف درايفر أنه كان يغامر بعمله هذا. فقد يطرده المسؤولون الهاييتيون من البلاد، أو يعلمون ورد بأمره فيهرب.

وفي النهاية أثمرت مضايقاته اذ خرج أحد الضباط وناوله قصاصة ورق من دون ان ينبس بكلمة. وعلى الورقة كُتب عنوان منزل ورد.

في تلك الليلة قصد درايفر منزل ورد للتحقق. فسار في طريق ضيقة متعرجة منارة

بمصابيح قليلة، ونزل من السيارة العمومية التي أقلته على بعد مسافة آمنة من المنزل.

تسلّق درايفر جداراً حجرياً يرتفع ثلاثة أمتار وتطلع حوله، فرأى نورين يسطعان في الطبقة العليا. وكانت الساعة قاربت الثانية صباحاً فندم على عدم ابقائه السيارة الى حين عودته. كانت طريق العودة طويلة مشياً الى الفندق الذي نزل فيه. وبعدما قطع حوالى ٨٠٠ متر رأى حانة مفتوحة فدخلها.

كانت الحانة مزدحمة بالزبائن وقد عبق جوها بالدخان وما ان حاول أن يستقر حتى جمد اذ شاهد ادوارد ورد جالساً الى احدى الطاولات. انه هو من دون شك! وتلاقت نظرتاهما، وعرف ورد درايفر حالا من الصور التي التقطت له خفية حين كان مع ستارات في جزيرة نورمنز كاي.

انحنى درايفر وانسل من الباب وأخذ يعود في اتجاه المدينة، اذ خشي أن يبعث ورد أحد رجاله في اثره فيعود الى جاكسونفيل مسجى في تابوت. او ربما قررت جماعة ورد الفرار سريعاً من طريق المطار.

لم يبق له سوى سبيل واحد وهو أن يسبق ورد الى المطار. فجأة شعر بحركة وراءه فاستدار ورأى جماعة من الشبان الهاييتيين يتبعونه وقد خرجوا لتوهم من أحد الشوارع الجانبية.

ناداه أحدهم: "هاي! أيها الابيض! نريد أن نأخذ دراهمك."

زاد درايفر سرعة عدوه. كان خبيراً في لعبة الكاراتيه، وعرف ان في امكانه شل حركة واحد أو اثنين من مهاجميه. ولكن ماذا بعد؟ فقد تطبق عليه الجماعة كلها. فرأى أن أمله الوحيد هو في المخادعة.

كان كلما أحسّ أنهم اقتربوا كثيراً وقف واستدار وصرخ في وجههم صرخة هجومية فيتراجعون قليلا ثم يعودون الى المطاردة. بدأ داريفر يلهث، وغابَ عنه حس الوقت والوجهة التي يسير فيها، وشعر بالوهن يدب في رجليه، خصوصاً لأن الجماعة أخذت تفوقه سرعة وتزداد جرأة بعد كل توقف.

بلغ منه الاعياء أشده وكادت تخونه طاقته على الاحتمال ومتابعة السير واذا به يشاهد رجلا واقفاً الى جانب سيارته في مدخل أحد الازقة. فرمى له كدسة من الدولارات على المقعد الامامي للسيارة وصعد اليها وهو يلهث وقال: "يجب أن أصل الى المطار بأسرع وقت ممكن. لدي حالة طارئة!"

وصل درايفر الى المطار قبيل بزوغ الفجر، فرأى ورد وشركاءه يحمّلون طائراتهم على عجل. فما السبيل الى منعهم من الاقلاع؟ كانت المخادعة ساعدته الى الآن، فصمم على المضي. وثب الى برج المراقبة وأعلن للضباط هناك: "المطار مقفل حتى اشعار آخر."

سأله أحد المراقبين: "ولكن بأمر من؟"

فكر درايفر سريعاً وذكر لهم اسم رئيس الشرطة العسكرية. عندئذ اعترى المراقب خوف شديد فشحب وجهه وأمر بمنع كل الطائرات من الاقلاع. وتابع درايفر العمل

فاتصل هاتفيا بمديرية الشرطة محذراً: "ان هناك عصابة من المجرمين الخطرين تستعد للهرب من البلاد."

لم تمض نصف ساعة حتى قدم ضابط منفرد وبدأ استجواب ورد. وكان درايفر في برج المراقبة يشاهد ورد وهو يجادل ويلوح بيديه. من ثم اقتاد الضابط ورد والآخرين الى جهة مركز مديرية الشرطة.

عمل درايفر بسرعة، فنادى سيارة أجرة لتنقله الى مركز الشرطة، اذ كان يعرف النتيجة الحتمية. سيشرح ورد لرجال الشرطة حصول سوء تفاهم، ويدس لهم كمية كبيرة من النقد ويغادر البلاد بطائراته خلال ساعة واحدة.

وصل درايفر الى مركز الشرطة بعد ورد بدقائق. أهنئك، لقد قبضت على أخطر مجرم فار مطلوب في الولايات المتحدة."

فشهق القائد وقال: "هل فعلت ذلك حقاً؟"

أشرق وجه درايفر وصافح الرجل هازاً يده بقوة وأضاف: "ان حكومتي تعرب عن أعمق تقديرها لكم. ستكون صحفنا تبلغت الخبر الآن من دون شك."

– الصحف؟

قرأ درايفر علامة ذعر ترتسم على محيا القائد. لم يكن في الامكان معرفة المبلغ الذي دفعه ورد لاطلاق الجماعة، لكن الضجة الاعلامية قد تحمل خطرا لا تحمد عواقبه في حال اطلاق ورد.

أضاف درايفر: "وسيذاع الخبر في التلفزيون أيضاً، وستصبح أنت بطلا عالمياً."

فكر الضابط قليلا ثم اعتذر وخرج. وبعد لحظات سمع درايفر القرار الذي تمّ ابلاغه الى ورد. بعد ذلك عاد الضابط وأعلن لدرايفر أن لا داعي الى معاملات معقدة، فالأمور واضحة وتقضي بطرد ورد من هاييتي في اسرع ما أمكن.

وخلال ساعات أجرى درايفر تنسيقاً بين مكتب مديرية المكافحة في جاكسونفيل والمسؤولين في سفارة الولايات المتحدة في بور – أو برنس، وتم الاتفاق على التفاصيل. وفي تلك الليلة ذاتها وضعت اصفاد في أيدي ورد وإرنست وغريغوري فون إبرشتاين وأربعة متهمين آخرين، ونقلوا الى المطار ثم الى طائرة «DC — 3» أرسلتها مديرية مكافحة المخدرات.

وعلى رغم الانقلاب المفاجىء في حظ ورد فقد ظل يتحدث بهدوء ولطف مع شركائه خلال الرحلة الى فلوريدا. وبعد تعقبه طوال هذه المدة لم يجد فيه درايفر ذلك المغامر الذي تخيل، بل ان ظنه فيه خاب. كان يتوقع أن يرى سجيناً متجهماً، عدائياً، ذا ملامح قاسية، لكنه وجد بدل ذلك رجلا بديناً همه جمع المال بطرق غير شريفة، وقد بدا غير متأثر بما حل به.

وبعدما قرر ورد أن يتعاون مع السلطات، أفضى بمعلومات بما تكفي لادانة كارلوس ليهدر وتحميله أقصى العقوبات.

(★) حكم على ورد أصلا بالسجن ٤٠ عاماً، لكنه أطلق بعد خمسة أعوام لتعاونه مع الحكومة.

حكم الارهاب

ان اعتقال ورد والاخوين إبرشتاين والمعلومات التي أدلى بها روبنسون وفرنسيس دفعت ليهدر الى تقليص عملياته في جزيرة نورمنز كاي. فقد أصبحت الجزيرة عبئاً عليه ولا فائدة تجنى منها. لكنها أدت دورها على أحسن وجه، اذ درَّت مليارات الدولارات عليه وعلى شركائه الكولومبيين.

كانت نورمنز كاي الكور الذي صهر فيه ليهدر أقوى منظمة. اجرام في وقتنا الحاضر. وكان هدفه الرهيب توحيد العائلات المتاجرة بالكوكايين في كولومبيا في مجلس ادارة مشترك. وبرز أربعة من كبار مموّني الكوكايين في البلاد ليتبوأوا قيادة ما كان سيعرف قريباً في العالم بالـ"كارتيل." وكان عقلهم الموجِّه كارلوس ليهدر.

وشملت المقدرات المشتركة النفوذ السياسي، ومصادر "عجينة" الكوكايين التي تسمى "باستا" في البيرو وبوليفيا، وجيشاً من المسلحين غايته تهديد الحكومات. وأي انتهاك لقوانين الكارتيل غير المكتوبة يقابل بالعقاب السريع الصارم. وكانت احدى العقوبات تسمى "ربطة عنق ميدلين"(٢) وتقضي بشق حنجرة الضحية وانتزاع اللسان وتدليته على الصدر. وقد خصّت هذه العقوبة بالمخبرين.

خيّم حكم الكارتيل الارهابي امتداداً من أمريكا الوسطى والجنوبية الى الكاريبي والولايات المتحدة ذاتها. وكان قادته يعززون سيطرتهم. ولم يبد أن أحداً كان بمنأى عن انتقام الكارتيل. وقضي على عائلات بكاملها فيما السلطات القضائية والتنفيذية عاجزة عن التصدي. فلم يكن بد من الاذعان للواقع.

كان داء الفساد المستشري حليف ليهدر الذي لا غنى عنه. فكان رجال الكارتيل يحشون أكياسهم بالمال ويرشون السياسيين البارزين ورؤساء الحكومات، من بوليفيا الى المكسيك ومن هندوراس الى هاييتي.

وفي كولومبيا أصبح تصدير كوكايين الكارتيل مصدراً رئيسياً لادخال النقد النادر الى البلاد، وبات في أهمية تصدير النفط في دول أخرى. فمليارات الدولارات التي دخلت البلاد بفضل المخدرات ساعدت في انعاش الاقتصاد المنهار. وتوظيفات الكارتيل المالية شملت المستشفيات والفنادق وشركات الطيران، وحتى فرق كرة القدم. وكان هناك حوالى ٣٠ ألف شخص يعملون لحساب الكارتيل أو في صناعات تحت سيطرته.

وظل نهم أمريكا للكوكايين يزداد. وكان الكارتيل تواقاً لاشباع هذه الرغبة. وزاد استيراد الكوكايين ثلاثة أضعاف خلال أربع سنوات حتى بلغ ٦٠ ألف كيلوغرام عام ١٩٨١.

وبقي ليهدر يتنقل حراً بين كولومبيا ونورمنز كاي. وعلى رغم ادانته في الولايات المتحدة ظل يتمتع بحماية بعض المسؤولين في الحكومة الباهامية، كما أنه قدر أهمية البلاد الاستراتيجية. وهو أوصى مرة بصوغ حلية "بروش" من الزمرد بقيمة ٣٠٠ ألف

(٢) Medellin cravat

دولار، تنفذ ببراعة فنية بهدف تقديمها هدية مفاجئة الى زوجة مسؤول كبير.

وكانت أشغال ليهدر تفرض عليه تمضية وقت أطول في ميدلين، وفي احدى المناسبات حجز رؤساء الكارتيل طبقة كاملة في فندق "انتركونتيننتال" الفخم لعقد اجتماعات يضعون فيها خططاً استراتيجية ولتسوية خلافاتهم واقتسام امدادات الباستا. وكانوا في حراسة رجال من الشرطة، خارج دوام خدمتهم، استؤجروا للمناسبة.

وشاد ليهدر مجمّعاً للمركز الرئيسي لمنظمته على ملكية واسعة بالقرب من مسقط رأسه أرمينيا، وسمّاه "لا بوسادا أليمانا" (بيت الضيافة الالماني). وكانت تحرس بواباته دوريات على مدى ٢٤ ساعة يومياً، مجهزة بأسلحة أوتوماتيكية. وشملت التجهيزات حديقة حيوان صغيرة، ومدرجاً معبداً للطائرات كاملا مع برج مراقبة، ومرقصاً زين مدخله بتمثال برونزي بالحجم الطبيعي تظهر فيه جروح رصاص مفتوحة، لنجم الروك المقتول جون لينون، وهو أحد "أبطال" ليهدر.

ولكن كان لكارلوس ليهدر أيضاً مثال مختلف يقتدي به: ذلك هو أدولف هتلر. ولكونه نصف ألماني فقد رأى في تطلعاته تطابقاً مع قوة هتلر وأحلامه بالفتح والسيطرة. والى ذلك فان جذوره الآرية جعلته يشعر برفعة على شركائه الكولومبيين الذين كانوا في غالبيتهم من العرق الهندي المختلط. وفي مكتبه الضخم في المجمع تمثال نصفي لهتلر من الذهب الخالص وصليب معقوف لامع شارة الحزب النازي الألماني.

واشترى ليهدر صحيفة في أرمينيا لتكون حقل دعاية لخطته الاكثر جرأة الى ذلك الوقت، الا وهي حزب سياسي كان أسسه عام ١٩٨١ وسماه "الحركة الوطنية اللاتينية." وكان برنامجه مزيجا من "النازية الجديدة" والنقد العنيف المناهض للامبريالية والموجه غالباً الى الولايات المتحدة.

وكان حين يظهر لمخاطبة الجماعات المحلية يحيط نفسه بصور ضخمة لهتلر وموسوليني.

كان قسم من خطة ليهدر الكبيرة يعتمد على تأييد المنظمات الثورية التي كانت تزداد قوة في كولومبيا. وكانت هناك منظمتان رئيسيتان: حركة "م - ١٩" و"قوات الثورة الكولومبية المسلحة." وكلتاهما تعهدتا حماية المختبرات ومهابط الطائرات التي يملكها الكارتيل في مقابل المال. وجند ليهدر بنفسه عدة وحدات أخذت ببرنامجه السياسي المناهض للولايات المتحدة، وكان في نيته دمجها في النهاية لتؤلف جيشاً خاصاً.

وقوع في الفراغ

كان اندفاع درايفر وستارات في التحقيق سريعاً لا هوادة فيه. ولكن بعد ادانة ليهدر واعتقال ورد تضاءلت أهمية "عملية الكاريب" وخبا وهجها. فعين الرجلان لملاحقة قضايا أخرى، منها قضية تهريب ٥٠٠ طن من الماريوانا الى فلوريدا، لكن كارلوس ليهدر لم يكن متورطاً فيها.

وصعب على ستارات أن يتقبل خيبته. فشكا حاله الى درايفر قائلا: "ها اننا نعتقل زمرة من المهربين التافهين فيما يسرح صاحبنا ويمرح حراً طليقاً وهو يهزأ بنا."

وفي فبراير (شباط) ١٩٨٣ سمع درايفر نبأ سقوط احدى الطائرات التي كان ليهدر ينوي استخدامها في نقل الكوكايين قبالة نورمنز كاي. وكانت الجزيرة شبه مهجورة وقد نهب رجال ليهدر معظم داراتها. وهو نفسه لم يزرها منذ أشهر. وكان حطام الطائرة المنكوبة على الشاطىء رمزاً كئيباً صامتاً لمصير الجزيرة.

كانت أنباء مؤتمرات ليهدر الصحافية وتجمعاته السياسية ترسل الى درايفر وستارات من طريق مكتب المكافحة في بوغوتا. وهو تباهى في احدى اذاعات الراديو بأنه ساعد في تهريب ألوف الكيلوغرامات من الكوكايين الكولومبي عبر جزيرة نورمنز كاي الى الولايات المتحدة. وكرّر مباهاته في اليوم التالي متحديا الولايات المتحدة وكولومبيا أن يقوما بأي عمل ضده. لكنه هذه المرة جاوز حده في الصلف.

أمام التحدي المباشر للسلطة الشرعية، وواقع حكومة أفسدتها أموال الكارتيل أو أرهبها مسلحوه، بدأت السلطات القضائية الكولومبية تفكر في طرد ليهدر استناداً الى الادانة التي أصدرتها القوة الضاربة عام ١٩٨١.

ودب النشاط في جاكسونفيل اذ عاد درايفر وستارات الى جمع الادلة والشهادات المحلّفة وادانة هيئة المحلفين الكبرى ضد ليهدر. وفي ٢٦ يوليو (تموز) طار العميلان الى بوغوتا يرافقهما المدعي العام في الولايات المتحدة العام روبرت ميركل ومساعده إرنست مولر، في حراسة أمنية واحتياطات مشددة.

وأبلغت مكاتب مديرية المكافحة في أنحاء أمريكا اللاتينية وأوروبا بالامر ووضعت في أقصى حالات التأهب. وأفادت التقارير أن ليهدر يختبىء في احدى مزارعه النائية في كولومبيا. لكن عزلته لم توهن قدرته على ضخ الكوكايين الى الولايات المتحدة. ففي أكتوبر (تشرين الاول) أظهر تحقيق لمديرية المكافحة، بعد تتبع عدة شحنات ضخمة للكارتيل في أريزونا، أنها شحنت جواً الى الجنوب الغربي من طريق المكسيك. وكانت تلك عملية التفاف وتملّص من جمارك الولايات المتحدة ودفاعات مديرية المكافحة، وقد اتقنها ليهدر وسيعاودها.

"انها لمزحة،" قال ستارات لدرايفر ذات صباح في اوائل ١٩٨٤. "علينا نحن أن نلعب مقيدين بالقوانين، وما عليهم هم ذلك. وها هم مواطنونا ينشقون الكوكايين كما لو أن أنوفهم مكانس كهربائية. قل لي بربك: هل سنغير نحن هذا الوضع؟"

القائد رامبو

في خريف ١٩٨٣ اطلقت مديرية المكافحة عملية تمويهية في شيكاغو بهدف اغراء شاري المواد الكيميائية المستخدمة في تحويل الكوكايين، مثل الأسيتون و"الايثر." وقبيل نهاية السنة باع رجال المكافحة ٢٨ برميلا من مادة الايثر الى اثنين من مموني الكارتيل. وغداة شحنها ثبت فنيو المكافحة جهاز تعقب داخل أحد البراميل.

وتولى قمر اصطناعي أمريكي لخفر السواحل تتبع الاشارات أولا الى نيو أوليتز ثم الى مزرعة كبيرة بالقرب من ميدلين يملكها هورهي أوتشوا وهو أحد قادة الكارتيل. ومن هناك تتابعت الاشارات وصولا الى فسحة في دغل ناء على ضفة نهر ياري تبعد مئات الكيلومترات الى الجنوب الشرقي من بوغوتا. وكانت البقعة معزولة وغابة المطر الاستوائية صعبة الاختراق الى حد أن رجال المكافحة ارتابوا في أن يكون جهاز التعقب اكتشف وأنهم يضللون. لكن الصور الفوقية أكدت وجود عدة اكواخ هناك.

قبيل الفجر في ١٠ مارس (آذار) ١٩٨٤ هبط في فسحة الغابة سرب من الطوافات حمل ٤٠ من رجال الكوماندوس الكولومبيين وفريق مراقبي من مديرية المكافحة. واذ وثب الرجال من الطوافات جُبهوا بنيران أسلحة أتوماتيكية من خلف الأشجار سمّرتهم في أماكنهم. كان القتال شرساً ولم يدم طويلا وانسحب القناصون على أثره. فتقدم الجنود ورجال المكافحة بحذر وفوجئوا بما اكتشفوه. كانت الغابة تخفي مجمعاً صناعياً كاملا لانتاج الكوكايين على نطاق واسع، لا مختبرات بديلة موقتة كانوا يتوقعون وجودها.

وحين أبرقت نتائج الغارة الى مديرية مكافحة المخدرات أذهل الاكتشاف حتى درايفر وستارات. فقد ضبطت كمية من الكوكاين تزيد على ١٥ طناً. وكان اسم المجمّع "ترانكيلانديا" (الارض الهادئة) وفيه قاعات نوم للعمال والكيميائيين ومستوصف وقاعات للطعام ومكتبة في تصرّف العمال خلال ساعات فراغهم. وكانت مخازن التموين تضم ألوف البراميل التي تحتوي على وقود للطائرات ومواد كيميائية للمعالجة. وكانت المختبرات تنتج طنين من الكوكايين كل أسبوع، أي ما يقدر بخمسة مليارات دولار في السنة.

اعتقل عدد كبير من العمال، لكن معظمه انسلّ الى الادغال مع المسلحين الذين عرف أنهم من "قوات الثورة الكولومبية المسلحة."

بعد سبعة أسابيع رد رجال الكارتيل بانتقام وحشي من الرجال الذين اعتقدوا أنهم المسؤولون عن الغارة. ففي السابعة والنصف بعد ظهر ٣٠ ابريل (نيسان) اغتيل وزير عدل كولومبيا رودريغو لارا بونيلا (٣٣ سنة) برصاص مسدس اوتوماتيكي من عيار ٠،٤٥ مزق جسده فيما كان عائداً من مكتبه الى بيته وهو يقود سيارته. فصعق الرئيس بيتانكور لهول الجريمة وأعلن أن كولومبيا هي في "حال حصار." وأذاع أسماء رجال الكارتيل البارزين الذين يستطع الجيش أن يحتجزهم من دون اتهامات رسمية.

وأبلغ الكارتيل الحكومة في بوغوتا استعداده لعقد صفقة هدنة مع الرئيس بيتانكور. وفي مايو (أيار) ١٩٨٤ أصدر قادة الكارتيل بياناً سلّم الى الحكومة يتعهدون فيه وقف عملياتهم في مقابل الغاء جميع مذكرات الاعتقال الصادرة في حقهم والغاء معاهدة تبادل المتهمين الموقعة مع الولايات المتحدة عام ١٩٧٩. وتعهد الكارتيل تقديم تبرعات لبرامج الصحة والتعليم في كولومبيا وتسديد الدين الخارجي على الحكومة الكولومبية بكامله والبالغ ١٠،٥ مليارات دولارا

لم تكن ثمة سابقة مماثلة لعرض الكارتيل، اذ لم تعمد أي منظمة اجرامية الى املاء شروطها على دولة مستقلة بمثل هذه الجسارة الوقحة. فرفض الرئيس بيتانكور العرض، ولم تمضِ مدة وجيزة حتى وقع موافقته على طلب تسليم ليهدر.

في ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني)، بناء على معلومات سرية من مديرية المكافحة، اعتقل رجال الشرطة هورهي أونتشوا في مدريد باسبانيا. وكان فرّ الى هناك مع أحد القادة و١٥ "ملازماً" بعد رفض الحكومة الكولومبية معاهدة الصلح التي تقوم بها الكارتيل.

في واشنطن عمدت وزارة العدل الى التحرك بسرعة لطلب تسليمه رسمياً. لكن الكارتيل عمل بسرعة أيضاً. فأرسل بالبريد الى قضاة المجلس الاعلى للقضاء الكولومبي - الذين سيصدرون أحكامهم في قضايا تسليم أخرى - توابيت مصغّرة مع أكفان وصور لزوجاتهم وأولادهم. وكانت فرق من المسلحين تبحث عن رجال الشرطة والمخبرين المشبوهين وتصرعهم من دون خشية من الملاحقة أو العقاب.

وفي ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني) دفعت اعمال العنف والتهديدات المستمرة سفارة الولايات المتحدة الى خفض عدد موظفيها الى الحد الادنى، وبات الديبلوماسيون يتنقلون في مواكب سيارات مصفحة. وجاءت هذه الترتيبات الأمنية في الوقت المناسب، ففي ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) انفجرت قنبلة في الشارع المجاور للسفارة وتسببت في مصرع امرأة كولومبية.

أبى الرئيس بيتانكور أن يخضع للتهديد. وتحدى الكارتيل فسلّم أربعة من أعضائه ليحاكموا في الولايات المتحدة.

وكانت الحكومة الكولومبية استنفرت جيشها وشرطتها في أنحاء البلاد، ومع ذلك ظل ليهدر يتملص من الاعتقال. وكان في نظر درايفر وستارات وسائر عملاء المكافحة الذين أشرفوا على القاء الشباك لاصطياده كالظل ينتقل من كوخ في الغابة الى آخر، فيظهر ويختفي وليس بينه وبين يد العدالة التي تطارده الا قيد خطوة.

وكانت حياة ليهدر بالهرب والاختباء بعيدة عن حياته المترفة الهانئة في نعيم جزيرة نورمنز كاي. وهو كان في البدء يتعاطى الكوكايين للانتعاش والترفيه، واذا به يصبح مدمناً لا غنى له عن المخدر. واذ كان عاجزاً عن الظهور علنا فقد تداعت حركته الوطنية اللاتينية في أرمينيا. وكان في العام ١٩٨٣ نال ١٢ ألفاً من أصوات الناخبين وكاد يحصل على مقعد في الهيئة التشريعية الكولومبية. أما الآن فما لم يحققه في الانتخابات قرر أن يحصل عليه بالقوة. ودفعته الهلوسة المتأتية من تعاطي الكوكايين الى تصور قيادة جيشه المؤلف من رجال العصابات والخروج به من الادغال لاكتساح دول العالم.

وسد شعره على كتفيه وتمنطق بلباس القتال. وكان حرسه الخاص، وكثير منهم يكاد لا يتعدى سني المراهقة، يهتفون له محيين: "كوماندانتي رامبو" على غرار شخصية مقاتل محنّك تتدلى بندقيته من كتفه في فيلم للممثل سيلفستر ستالون. وقد

استنساغ ليهدر هذه الصورة وبات يشاهد أفلام "رامبو" تكراراً على الفيديو.

وكلما اشتدت عزلته نما كرهه للولايات المتحدة. فجنّد ارهابيين لمعرفة كل الديبلوماسيين والموظفين الامريكيين الباقين في بوغوتا. وهدد بقتل خمسة أمريكيين في مقابل كل مهرب مخدرات كولومبي تكشفه مديرية المكافحة ويسلّم الى الولايات المتحدة. وعرض مكافأة بـ٣٥٠ ألف دولار لمن يقتل رئيس مديرية المكافحة آنذاك فرنسيس مولن، ومبالغ أخرى لقتل أي عميل للمديرية في الولايات المتحدة أو كولومبيا.

وظل ليهدر على اتصال دائم مع قادة آخرين للكارتيل ما زالوا طليقين. وفي واشنطن قدرت مديرية المكافحة كمية الكوكايين التي سلّمت في الولايات المتحدة في الاشهر الاثني عشر الفائتة بـ١٣٧ طناً، منها ٨٠ في المئة للكارتيل.

بيت الوفرة

فيما كان بوبي ستارات يستمع الى نشرة الاخبار المسائية في التلفزيون شاهد كارلوس ليهدر على الشاشة. كان جالساً في كرسي فخم يشبه العرش وسط فسحة في الادغال، يصوره فريق تلفزيوني اسباني.

أعلن ليهدر أن الكوكايين هو القنبلة الذرية التي يملكها العالم الثالث، وسوف تحول أمريكا الى حال مخيفة من العجز والشلل بفعل تأثير المخدرات، وتدمرها في النهاية. كان يؤدي دور "المناضل في سبيل الحرية" المدافع عن المضطهدين.

كاد ستارات يختنق من الغضب. فتناول الهاتف واتصل بدرايفر.

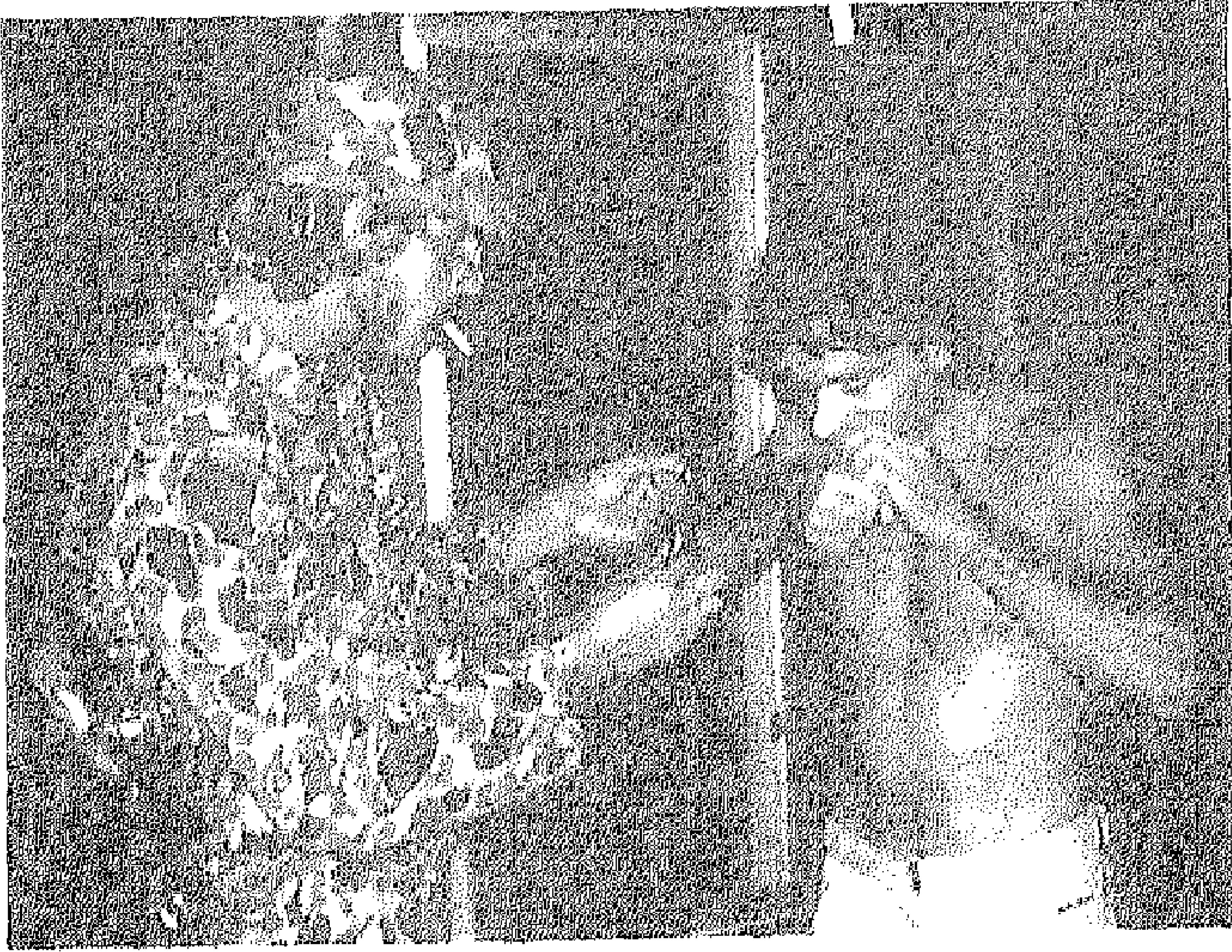
هتف درايفر: "ماذا تقول؟ أنا لا أصدق."

فرد ستارات بحدة: "ها ان الجميع قد أضناهم البحث عن كارلوس في كل اتجاه، واذا به يظهر مع مصوري التلفزيون، أولئك لم يجدوا صعوبة في العثور عليه."

كذلك كان رد الفعل في مقر مديرية مكافحة المخدرات في واشنطن، فكثفت المطاردة بهمة اليائس. وامتنع مراسل التلفزيون الاسباني الذي قابل ليهدر عن البوح بمخبأه. ولم يملك رجال المكافحة لمتابعة بحثهم الا تقارير تفيد أنه كان مختبئاً في "هاسييندا أبوندانسيا" (مزرعة الوفرة) التي يقال انها في ناحية ما بعيدة الى الشرق من بوغوتا.

فهل هذا هو المكان حيث جرى تصوير ليهدر؟ اذا كان ذلك صحيحاً فهناك شعاع أمل ضئيل في العثور عليه. المفتاح هو شريط الفيديو، ولدى وكالة الاستخبارات المركزية «CIA» وحدها المهارة والاجهزة "لقراءة" الشريط وتحديد موقع تلك الفسحة في الادغال.

في مركز وكالة الاستخبارات الرئيسي في لانغلي بولاية فرجينيا التقى عميل من المكافحة وفني من قسم التصوير في الوكالة لمشاهدة الشريط. توسط ليهدر الشاشة وكان تركيز عدسات التصوير عليه. وشوهد رجال مسلحون يعتلون الخيل، وفي الخلفية



كارلوس ليهدر (الى اليمين) أصبح في النهاية مدمناً الكوكايين.

ومضة لخط نهر مجاور. وبعد انتهاء المقابلة تتبعت العدسات ليهدر وهو يتوارى داخل بناء أبيض من الجصّ.

ثم انتهى العرض.

سأل رجل الاستخبارات: "أهذا كل شيء؟"

أجاب رجل المكافحة: "هذا هو، أيمكنك أن تفعل شيئاً؟"

- سنحاول.

بعد عشرة أيام تلقى عميل المكافحة اتصالا في مكتبه من الخبير الفني. قال: "أعتقد أننا حددنا مكان صديقك."

التقى الاثنان في مختبر لوكالة الاستخبارات مغطى بالخرائط. وكانت هناك صور مكبّرة من شريط الفيديو، منضدة على طاولة والى جانبها لوحات بلاستيكية بيانية مرتبة لزيادة الايضاح.

وراح الخبير الفني يشرح معالم المنطقة الريفية الظاهرة في الشريط التلفزيوني: النهر، خط شجر نائياً وما ظهر كأنه أعمدة لأضواء الانارة الغامرة القوية التي ربما أقامها فريق التلفزيون الاسباني.

سأل الفني: "هل ترى الظلال التي تلقيها الاعمدة؟ بهذه نعرف الوقت التقريبي للمقابلة، وبقياس الظلال وزواياها يمكننا تحديد موقع الشمس مما يتيح لنا تخمينا قريباً من الواقع."

واشار باصبعه متتبعاً حدود النهر غير الواضحة تماماً، وقال: "هذه القطعة الطويلة الضيقة هي خط رملي. وبتفحص شكل التأكل الذي أحدثه مجرى الماء نستطيع معرفة اتجاه مجرى النهر."

وتقدم الخبير الفني من خريطة كولومبيا وحدّق الى منطقة طوقت بدائرة الى الجنوب من مدينة تدعى فيلافيسنشيو. وأخذ يقيس الكيلومترات، ثم وضع علامة بقلم رصاص

على الخريطة وأعلن: "يجب أن يكون في مكان ما هنا، لأن أوراق النبات التي تظهر في الفيديو تطابق تلك التي تنمو هناك."

ولكن ما السبيل الى تحديد الموقع بدقة؟ فاستخدام طائرة استطلاع في تلك الانحاء المنفردة ليس سوى كشف فاضح للمهمة. والبديل الوحيد هو "استئجار" قمر اصطناعي من "وكالة الامن القومي." وما هي الا أيام حتى نقل أحد الاقمار الى مدار فوق الجزء الشرقي من كولومبيا.

وفي عمق السكون في الفضاء كانت آلات التصوير تئزّ وتلتقط الصور ثم ترسلها الى محطات استقبال تنقلها الى مركز وكالة الامن القومي. وحين التقطت العدسات الفائقة الدقة منزل ليهدر المبني بالجصّ، برز كبقعة من الطلاء الأبيض الناصع على أرضية قاتمة.

في ساعات الصباح الأولى في ٨ أغسطس (آب) ١٩٨٥ تسلل فريق من الشرطة الاتحادية ورجال المكافحة داخل الغابة، مزودين أسلحة ثقيلة، واتخذوا مواقع لهم بالقرب من الموقع المقصود. ولم يكن يقطع السكون الا همهمة الحشرات.

وانبعث فجأة صوت تكسر زجاج ثم طلقات أسلحة أوتوماتيكية. فرد رجال المكافحة والشرطة على النار. واذا بصوت يرتفع من الداخل معلناً الاستسلام. وبعد لحظات خرج كثير من حرس ليهدر الخاص رافعين أيديهم.

أما ليهدر فلم يكن بينهم، اذ انه في اللحظة الاخيرة وثب من احدى النوافذ وهرب في الغابة لابساً سروالا قصيراً ومدلياً بندقيته من كتفه. فقد أتاحت له فترة القتال الوجيزة وقتاً كافياً للهرب.

داخل المنزل وجد رجال المكافحة ٥٤ كيلوغراماً من الكوكايين وقرابة مليوني دولار نقداً. لم يكن هناك من شك في أن ليهدر استقر في هاسييندا أبوندانسيا وفي نيته الاقامة طويلا. وكانت جدرانها مزينة بصور أدولف هتلر وعشيقته إيفا براون.

ثلاثة عشر قاضياً

كان فرار ليهدر بعد احكام الطوق حوله خيبة مريرة لمديرية مكافحة المخدرات. في هذه الاثناء كان مجلس القضاء الكولومبي الاعلى في بوغوتا يهم بأخذ القرار في شأن طلبات تسليم عدد من شركاء الكارتيل الى الولايات المتحدة.

في ٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٥ أخذ الكارتيل اجراءات تهدف الى منع صدور أوامر بالتسليم. فاقتحمت قوة من رجال العصابات مبنى قصر العدل فيما القضاة يهمون بالاجتماع. وعقب ذلك "حمام دم" طوال النهار اضطر فيه الجيش الكولومبي الى استخدام المدافع ضد الارهابيين المتحصنين في الداخل. فقُتل ٩٥ رجلا وامرأة. وكان بين الضحايا ١١ قاضياً من مجلس القضاء الاعلى. وأتلفت كل الادلة الثبوتية التي تدين أعضاء الكارتيل.

وفيما كانت كولومبيا لا تزال لابسة ثوب الحداد استعد الكارتيل لانزال ضربة في

مكان آخر. ففي ١٩ فبراير (شباط) ١٩٨٦ قتل رجل برصاص رشاشات في باتون روج بولاية لويزيانا. وهو شاهد لدى مديرية المكافحة يدعى باري سيل وكان ربانا للكارتيل أدت شهادته الى سجن ٣٠ مهرباً. واعتقل بضعة مسلحين كولومبيين ودينوا بتهمة القتل. وجاء في ادانة الحكومة الاتحادية أن فابيو شقيق هورهي أوتشوا هو أحد مأموري دفع الاجور للقتلة والتي بلغت ٥٠٠ ألف دولار.

رفضت اسبانيا تسليم المتهمين الى الولايات المتحدة وسلمت أوتشو الى السلطات في كولومبيا. وزعم أن تسليمه الى وطنه مُهِّد بدفع رشوة زادت على ١١ مليون دولار. وفي ١٥ أغسطس (آب) أطلق بحكم من أحد قضاة الجمارك الكولومبية بعد دفع كفالة بـ١١،٥٠٠ دولار بتهمة "استيراد ثيران للمصارعة بطرق غير مشروعة" من مزرعته في اسبانيا.

واستمر الكارتيل في التحدي. ففي ٢٢ أغسطس (آب) كشف تقرير استخباري لمديرية المكافحة ان منظمة الكارتيل تنوي شراء أربع مقاتلات نفاثة من طراز "هارير" لمهاجمة طائرات المكافحة حين تقترب من مختبراتها للمراقبة. ولم يكن ممكناً تجاهل المعلومات، اذ كان معلوماً أن ليهدر وقادة آخرين للكارتيل يملكون الوسائل للحصول على صواريخ أرض - جو من كوبا ومن نيكاراغوا.

واستمرت ذراع الكارتيل الطويل في الاجرام وخطف الارواح.

في ٣٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ اغتيل قاض آخر في كولومبيا رفض التعاون، وهو كان القاضي الثالث عشر يقتل خلال ١٣ شهراً. وخارج بوغوتا، بعد ثلاثة أسابيع، تعقب مسلحون ضابط الشرطة جيمي راميريز الذي قاد الهجوم على "ترانكيلانديا" قبل سنتين فقتلوه أمام زوجته وأولاده.

وفي ١٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٦ اغتال قتلة الكارتيل غييرمو كانو رئيس تحرير الصحيفة الثانية الاكثر نفوذاً في كولومبيا، وكانت "جريمته" نشر سلسلة من المقالات تنتقد المنظمة. فعمد الرئيس الكولومبي الجديد فيرجيليو باركو الى عقد معاهدة تسليم أخرى مع الولايات المتحدة، متجاوزاً مجلس القضاء الاعلى الذي أصبح مروّعاً وخاضعاً كلياً لارهاب الكارتيل.

ومع نهاية العام ١٩٨٦ كان قتلة الكارتيل مسؤولين عن العدد الاكبر من قرابة ٢٥٠٠ حادث قتل سجلت تلك السنة في مدينتي ميدلين وكالي. وقد قتل ١٨٠ شرطياً في انحاء البلاد.

في اكتوبر (تشرين الاول) صادر عملاء المكافحة أضخم شحنة كوكايين فردية الى ذلك التاريخ، وهي أكثر من طنين مخبأة داخل حاويين في باخرة وصلت الى بالم بيتش في فلوريدا. وفي كاليفورنيا بلغ مجموع الكميات المصادرة ستة أطنان ونصف طن. وغمر الكوكايين الولايات المتحدة ولم يبق مكان آمن بمنأى من يد الكارتيل. فكان المجرمون يلاحقون المستهدفين في أماكن نائية مثل بودابست في هنغاريا حيث قتل أحدهم، صباح ١٣ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧ العاصف بالثلج، السفير الكولومبي

إنريكي باريهو غونزاليس. أصيب السفير بخمس رصاصات لكنه نجا بأعجوبة. وكان جرمه أنه وقّع اوراق تسليم بعض أعضاء الكارتيل حين كان وزيراً للعدل.

"نادوه ليخرج!"

في صيف ١٩٨٥ نقل دوغلاس درايفر من جاكسونفيل الى مكتب مديرية المكافحة في بناما. واستمر في التنقيب في قصاصات المعلومات عله يكتشف مفتاحاً لحل القضية التي استنفدت نحو عشر سنين من حياته في المطاردة. وفي أوائل سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ تلقى كتاباً غفلا من التوقيع، ذكر فيه اسم يعود الى الماضي.

كان درايفر أدرك بحدسه أن جاك كارلتون ريد، مساعد ليهدر في جزيرة نورمنز كاي، سيعود الى الظهور، كما حصل فعلا. فقد كشف الكتاب أن ريد، بعدما اختفى مدة أربع سنوات، يعيش في كوخ بالقرب من القرية النائية بورتوبيلو في "برزخ بناما." وموقعها لا يبعد كثيراً عن خليج اورابا في كولومبيا وميناء توربو حيث خطط ليهدر، بحسب آخر التقارير، لانشاء مختبر للكوكايين وكانت كل المعلومات متطابقة.

نقل درايفر الخبر الى ستارات الذي كان رُقّي لتوه الى وظيفة عميل مكلّف في مكتب مديرية المكافحة في برمنغهام بولاية ألاباما. فانتشى ستارات جذلا. وسأل درايفر: "وكيف ستتدبر لعبتك؟"

أجاب درايفر: "سأتحلّى بالهدوء والصبر وطول الأناة، فلا بد من أن يظهر كارلوس يوماً."

جنّد درايفر مخبريه لكي يطلعوه للحال على هوية أي شخص يأتي لزيارة ريد. ولم تمض أسابيع على اكتشاف ريد حتى قدم أحد أقدم شركاء ليهدر لزيارته في الكوخ، وفي رفقته عدد من تجار المخدرات الكولومبيين.

لكن درايفر اضطر الى وقف المراقبة. فصباح ٥ فبراير (شباط) ١٩٨٧ تلقى اتصالا هاتفياً ملحاً من مكتب المكافحة في بوغوتا يعلمه: "اسمع جيداً: لقد اعتقل الكولومبيون ليهدر!"

وأضاف المتكلم في أذن درايفر المذهول: "أمس دخل قروي مركز الشرطة في ميدلين وأفاد أن مجموعة من الرجال المسلحين بأعتدة ثقيلة تركزت في أحد الاكواخ على بعد ٢٥ كيلومتراً خارج المدينة. فاستكشف رجال الشرطة المحلة وأثبتوا صحة قصة القروي. فهاجموا المكان قبيل الخامسة صباحاً. وجرى قتال فسقط أحد المسلحين واستسلم الآخرون. وكان بينهم كارلوس ليهدر."

فسأل درايفر وهو يكتب بسرعة كل ما جاء في المكالمة: "وأين هو الآن؟"

فأخبره المتكلم، وهو أحد رجال المكافحة، أن ليهدر هو على متن طوافة للجيش ذاهبة به الى بوغوتا. وقد وافقت السلطات الكولومبية بسرعة خاطفة على تسليمه الى الولايات المتحدة للحؤول دون تدخل محتمل للكارتيل. وتقرر وضعه في الليلة ذاتها في طائرة خاصة بمديرية المكافحة تنقله الى فلوريدا.

طلب درايفر تبليغه لحظة تحليق الطائرة في الجو. ثم اتصل هاتفياً بستارات في برمنغهام.

قال شريكه السابق: "أنا أعرف ذلك، ولقد وددت لو أن القبض عليه تم على أيدينا."

قال درايفر انه سيبذل قصاراه لادانة ليهدر. فسأله ستارات هل ينوي ملاقاة الطائرة، فأجاب درايفر: "كلا. أنا ذاهب للقبض على جاك ريد قبل أن يبلغه الخبر فيهرب."

في الخامسة صباح ٦ فبراير (شباط) التقى درايفر وحدتين من كوماندوس بناما وانطلق معهما الى بورتوبيلو. فسدّت مجموعة طريق البحر، وقاد درايفر الاخرى براً في طريق متعرجة داخل غابة كثيفة ثم فوق جرف صخري شاهق يعلو الشاطىء المثلّم.

في الاولى بعد الظهر كان الجميع أخذوا مواقعهم. وأمكن درايفر مشاهدة الفريق الذي سدّ مدخل الخليج الصغير. فسحب مسدسه (ماغنوم من عيار ٠،٣٥٧ ملم) وأعطى الاشارة لقائد الوحدة البنامية.

قال له: "أوكي، ناده الآن ليخرج."

اندفع من وراء الكوخ شخص طويل نحيف يعتمر قبعة مزارع مسرعاً الى الغابة. لكنه توقف فجأة لدى مشاهدته البنادق المصوّبة اليه. أكد للرجال أن ثمة خطأ ما، اذ انه يدعى جون وليمس دي لوبيز وهو مزارع عادي يكسب قوته ببيع جوز الهند.

ورأى درايفر أن الرجل يكاد يقنع الجنود بصحة كلامه. لقد تقدم كثيراً في العمر منذ ترك جزيرة نورمنز كاي.

وكان درايفر يعرف أن لدى ريد كلب صيد ذهبي اللون، وأن الكلب كان معه في جزر باهاما، حتى انه كان يعرف اسم الكلب أيضاً. وفيما هم وقوف خلف الكوخ دلف الكلب الى الفسحة وقعد بهدوء وهو في حيرة مما يجري من حركة. فصفر له درايفر وناداه: "الى هنا يا نورمان."

فأطاع الكلب وقفز مبختراً وهو يهزّ ذيله.

عندئذ أسقط في يد ريد.

ادانة صارخة

أرسل ريد الى جاكسونفيل حيث بدأت القصة قبل عشر سنين. فاحتجز هو وليهدر في زنزانتين منفردتين في غمرة احتياطات أمنية مشددة ومن دون القبول بدفع كفالة مالية لاطلاقهما. في هذه الاثناء أعيد تعيين درايفر وستارات في جاكسونفيل، حيث عكفا في أحد المكاتب التحتية لدار المحكمة الاتحادية على جمع الادلة الثبوتية ضد ليهدر وريد.

ولم يكن درايفر أو ستارات التقى ليهدر شخصياً. وفي مارس (آذار) اقتيد ليهدر الى قاعة مؤتمرات في المحكمة لكي يخط نموذجاً من كتابته اليدوية بهدف مقارنتها بالوثائق والرسائل التي اكتشفت خلال "عملية الكاريب."

قال درايفر وهو يدخل: "هالو كارلوس."

جلس ليهدر الى طاولة وهو يكاد يبدو رجلا آخر غير قائد العصابات الذي رآه العميلان في التلفزيون قبل سنتين. لقد غابت عنه صورة مقاتل الادغال بشعره الاشعث وحضوره الصاخب وتبجحه. بدا متأنقاً وشعره حسن الترتيب وأظافير يديه مقلمة.

عرف رجلا المكافحة أن محامي ليهدر - الذين قيل ان ليهدر وكلهم في مقابل مليون دولار - نصحوه أن يتلبس شخصية محافظة أثناء محاكمته. وهو بدا مطمئناً، متزناً، رابط الجأش، حتى ليصعب على المرء ان يصدق انه هو ذاته ذلك الرجل الذي نظم الكارتيل وأمر بقتل المئات واتسمت جرائمه بالوحشية واللامبالاة.

وما ان رفع ليهدر بصره ورأى درايفر وستارات حتى هتف وقد أشرق وجهه بابتسامة عريضة: "هاي! ألستما ذانك البطلان؟ انني أذكركما جيداً من جزر باهاما."

فقال ستارات: "أكتب فقط ما نمليه عليك."

مال ليهدر الى الوراء وصمت لحظة ثم قال: "حسناً، لقد غامرت في اللعبة وخسرت... في الوقت الحاضر."

بدأت محاكمة ليهدر في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٧. وكان رجال الاستخبارات وفريق الادعاء جمعوا ١١٥ شاهداً ضده، بينهم ادوارد ورد وغريغوري فون إبرشتاين وجون فنلي روبنسون وليفريت ميريل فرنسيس.

ظهر ليهدر مرتدياً بذلة تقليدية، واستمع الى الشهادات من غير أن يرف له جفن. وفيما هو يوزع ابتساماته وتحياته على العملاء والمعارف في شرفة النظّارة بدا كأنه رئيس مجلس ادارة يحضر اجتماعاً سنوياً لمالكي الاسهم... باستثناء عينيه اللتين تحولتا بركاناً من الحقد الوحشي القاتل كلما تعقبتا شاهداً أو عضواً في فريق الادعاء.

وفي سياق المحاكمة وردت أخبار طيبة من المكسيك. فاستناداً الى معلومات زودتها مديرية المكافحة، تمكنت السلطات المكسيكية من كسر حلقة تهريب كولومبية جديدة، وقبضت على اكثر من ٢٤ متاجراً بالمخدرات بمن فيهم ستة شركاء للكارتيل، وصودر أكثر من ألفي كيلوغرام من الكوكايين.

بعد أسابيع توجه الناخبون الكولومبيون الى صناديق الاقتراع للادلاء بأصواتهم. وفي بوغوتا انتخب لمنصب العمدة رجل شجاع قاد حرباً شعواء ضد التهريب، وكان خطفه ارهابيو الكارتيل واحتجزوه لمدة أسبوع. وفي ميدلين حيث قاعدة المنظمة انتخب لهذا المنصب محرر شجاع نجا من قنبلة ألقيت عليه قبل الانتخاب بثلاثة أيام.

أما في عمق كولومبيا فقد كان كارلوس ليهدر أحد المرشحين لعضوية المجلس التشريعي. لكنه لم ينل الا ٤١٥ صوتاً.

وفي مايو (أيار) ١٩٨٨، بعد محاكمة دامت ستة أشهر ونصف شهر قدمت خلالها أدلة واستمع الى شهادات، أصدر المحلفون حكمهم. فدين ليهدر وريد وجرّما بكل التهم الموجهة اليهما.

حكم على ريد بالسجن ١٥ سنة. وفي ٢٠ يوليو (تموز) اقتيد ليهدر أمام قاضي

الولايات المتحدة هويل ملتون ليستمع الى تلاوة الحكم. كان وجهه شاحبا منتفخاً بعد أشهر من الاحتجاز، وقد خانته ثقته بنفسه ورأى أحلامه الواسعة تحطمت بسقوط امبراطورية المخدرات التي أنشأها، فغابت عنه تلك العجرفة التي اتسم بها في بدء المحاكمة.

وأصدر ملتون الحكم بسجنه مدى الحياة، مضافاً اليه ١٣٥ سنة وغير قابل لاخلاء مشروط.

أما درايفر الذي أشعل شرارة القضية فجلس هادئاً الى طاولة الادعاء محاولا اخفاء مشاعره العميقة. وراقب ليهدر وهو يخرج مخفوراً من قاعة المحكمة. بعد ذلك نهض وغادر بهدوء كما جاء، وكأنما اختصر عشر سنين من حياته في يوم.

ناثان أدامس ■

ترجمة الياس عقل

على رغم ادانة ليهدر يواصل الكارتيل ادخال كميات ضخمة من الكوكايين الى الولايات المتحدة. وقد تحولت المدن الامريكية، من لوس انجلس الى واشنطن، ميادين معارك دامية تتقاتل فيها العصابات للسيطرة المحلية على تجارة الكوكايين.

أما مكافحة المخدرات فترتكز جزئياً على شرطيين يكرسون أنفسهم لفرض القانون. ولكن على المواطنين أن يتحملوا مسؤولياتهم أيضاً. واذا لم يفعلوا فان كارلوس ليهدر يكون ربح في النهاية.



العلم على الطريق

بينما كنت أقود سيارتي على الطريق العامة، رأيت شاحنة قديمة محملة بالرمل وهي تكاد تعجز عن اكمال سيرها صعوداً الى اعلى التلة الشديدة الانحدار. وإذ اسرعت لاجتيازها، لمحت ملصقاً على مؤخر الشاحنة يقول: "اتحمل كل هذا التعب لأنني لم أتعلم!"

ن.ت.غ.

الترغيب والترهيب

اشترى زوجي اخيراً آلة لجزّ العشب يقودها سائق. وعندما استعملناها للمرة الاولى، امتلأت حديقتنا بالأصدقاء والجيران، يطالب كل منهم بدور لركوبها، بينما وقف ابني المراهق الذي يكره جزّ العشب، يراقب باهتمام. وأخيراً سألته هل يريد أن يجرّب بدوره ركوب الآلة، فأجاب: "لا شكراً، فربما استمتعت واعتدت الامر."

هـ.هـ.

الضحك خير دواء

ميزان الحظ

فيما كان سام ينتظر ركوب طائرته في المطار لاحظ ميزاناً الكترونياً يحدد الوزن ويقرأ الحظ. أسقط ربع دولار في شق الآلة وأخذ يقرأ على الشاشة: "انت تزن ٨٨ كيلوغراماً ومتزوّج وفي طريقك الى مدينة سان دييغو بكاليفورنيا."
فشده سام وتسمّر في مكانه.
وضع رجل آخر قطعة معدنية في الميزان الالكتروني وقرأ: "تزن ٨٣ كيلوغراماً وأنت مطلق وتقصد مدينة شيكاغو في ولاية ايلينوي."

سأل سام الرجل: "هل أنت فعلا مطلّق وفي طريقك الى شيكاغو؟" فجاءه الجواب نعم.
أخذ العجب منه كل مأخذ. فاندفع الى حمام الرجال وبدّل ثيابه وغطى عينيه بنظارتين سوداوين. وعاد الى الآلة، فراحت تقرأ عليه: "لا تزال تزن ٨٨ كيلوغراماً، ولا تزال متزوجاً، لكنك تأخرت عن طائرتك المتجهة الى سان دييغو!"

س.و.

دراجة الاحلام

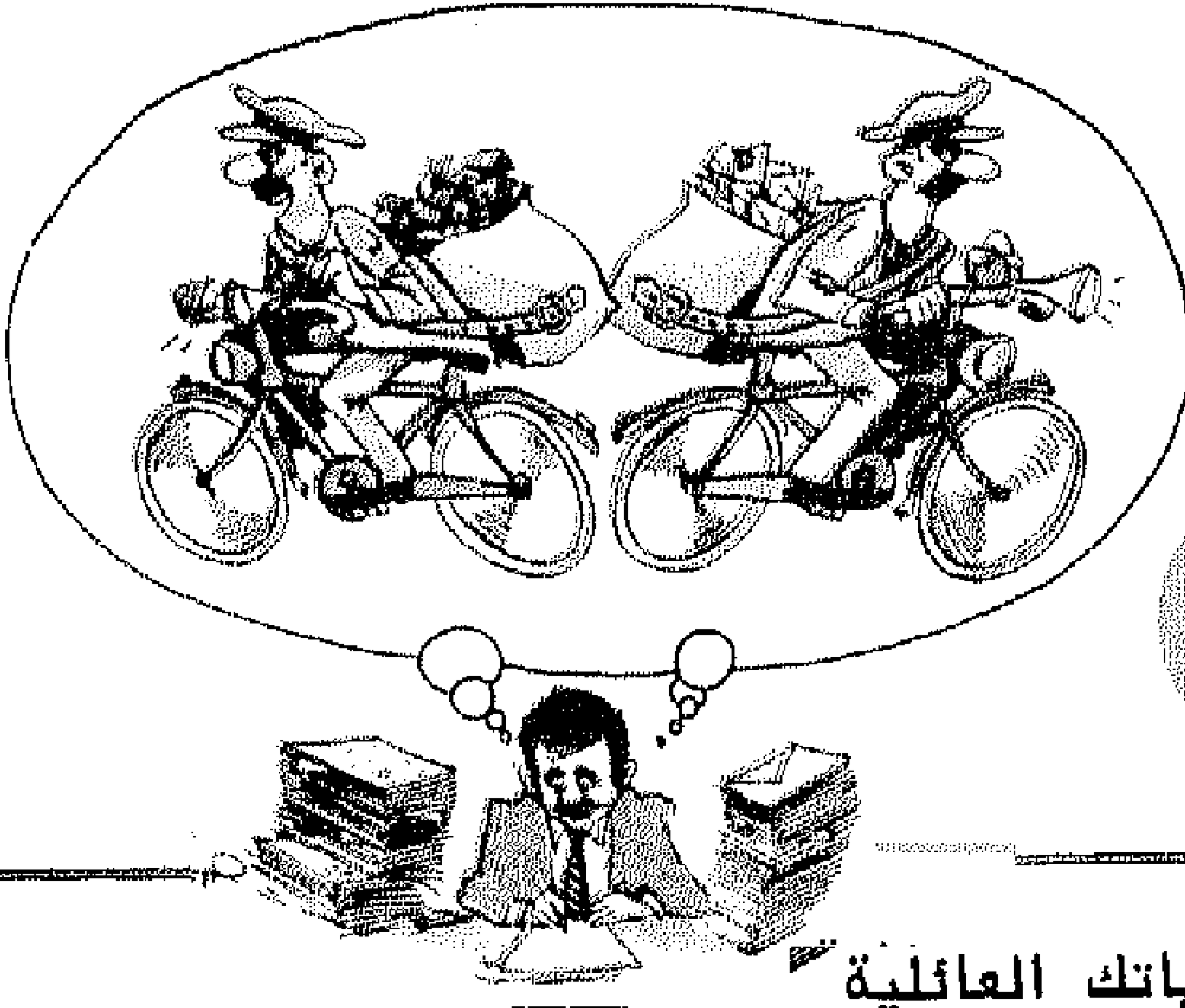
للدراجات النارية قوة السحر على ابننا ذي السنوات الخمس. وكلما رأى واحدة أطلق صيحات من البهجة . أرفقها بتعليق مثل: "أنظر الى هذه يا أبي! أنظر اليها! سوف أقتني واحدة منها يوماً."
وكان والده يجيبه دائماً: "لن تحصل عليها ما دمت على قيد الحياة."
ذات يوم، فيما كان ابننا يتحدث الى صديق صغير، مرت أمامهما دراجة نارية. فأخذته الحماسة كل مأخذ ودل رفيقه باصبعه على الدراجة وهو يصرخ: "أنظر الى هذه! أنظر اليها! سوف أقتني واحدة منها... حالما يموت أبي."

إ.ل.



Illustration: Chris Demarest

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

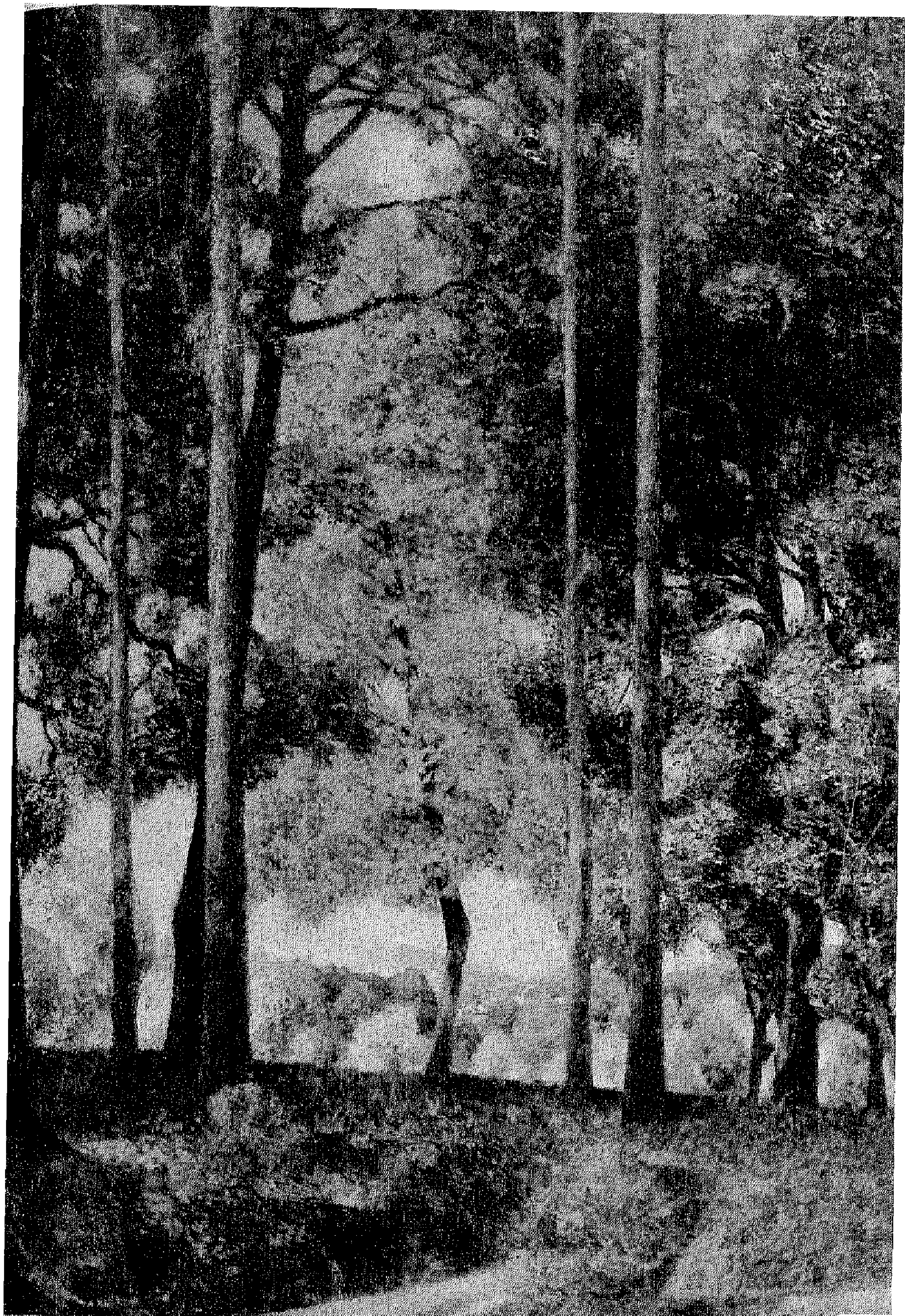
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- ★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- ★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- ★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- ★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص. ب ٥٥٢٤٨، المتن الشمالي، لبنان.



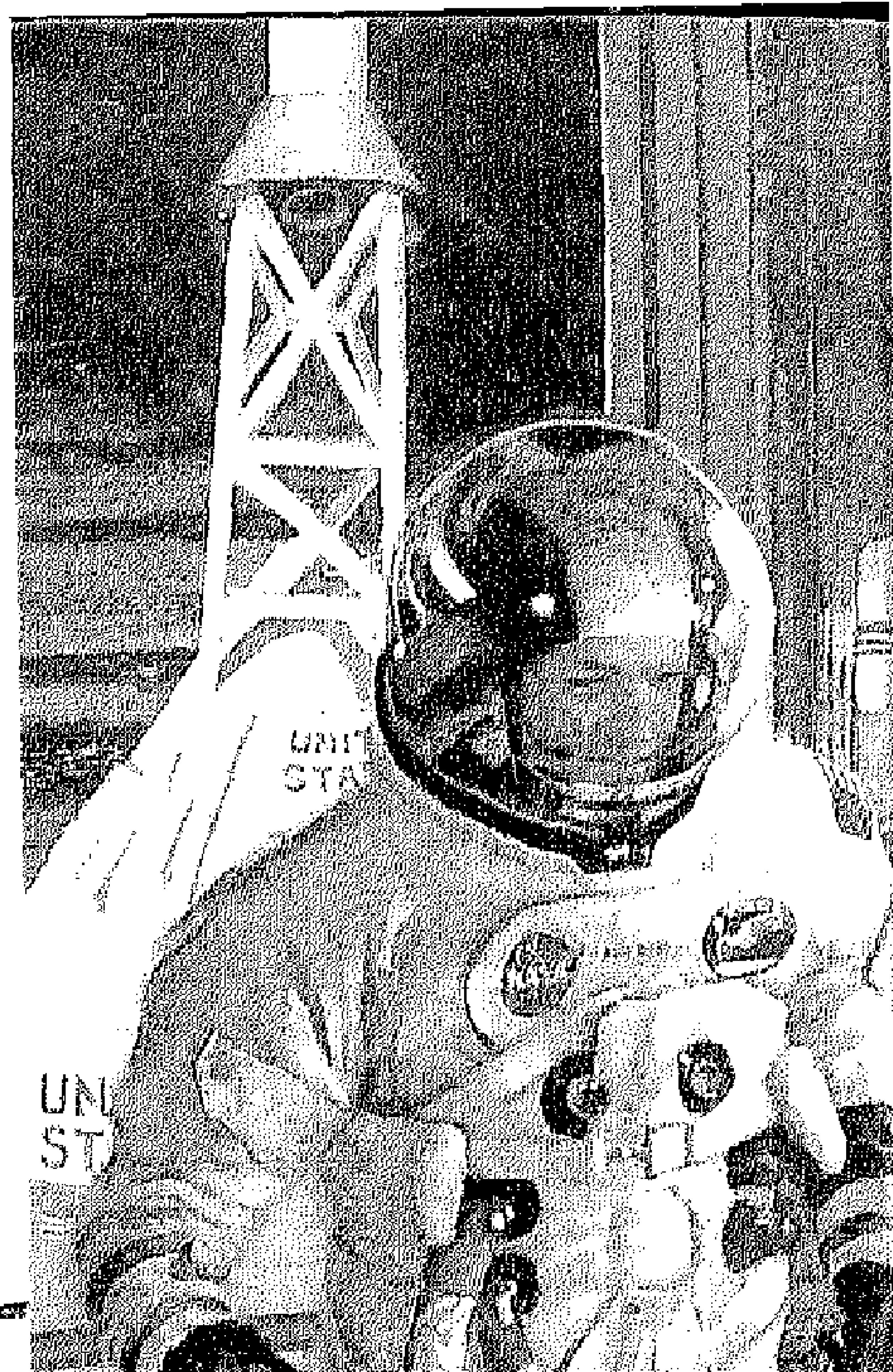
"غابة تريون" زيتية للرسام الامريكي لورنس مازانوفيتش

أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩ - ربيع الاول ١٤١٠

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest October '89 N° 131



الأسطورة

(ص ١١٤)

مخدرات تدوّخ اوروبا

(ص ١٧)

العقم: لا تيأسوا

(ص ٧)

أوسع المجلات انتشارًا في العالم

٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا



المختار
من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

October '89 N° 131 (New Series) Vol. 11

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعات الدولية
رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والاسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

لبنان ٥٠٠ل - سورية ٤٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١،٢٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٧ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

تمر في حياة كل منا
حوادث استثنائية مثيرة
لا نتوقعها في ايام عادية

دهشات

هل حدث لك مرة أن لاحظت نواميس الكون الجوهرية معلقة موقتا وان كل شيء يسير على ما يرام؟

تسقط من يدك كأس في المجلى فتثب وترتد تسع مرات من دون ان تنكسر منها رقاقة صغيرة، وتخرج من عملك فتجد ان انوار سيارتك كانت مضاءة كل النهار وبطاريتها "فارغة"، ولكنها متوقفة فوق هضبة وبمجرد دفعها نزولا ترفع قدمك عن دوّاسة القابض للمرة الاولى فيدور المحرك في الحال. وترسل شيكا الى المصرف للقبض وقد نفد رصيدك من المال فيعود اليك الشيك لانه فاتك ان تاريخ السحب كان يوم عطلة. والنوبة القلبية التي اصابتك لم تكن سوى غازات في المعدة.

انها امور غريبة تحدث لاناس عاديين في ايام عادية.

اهداء اقلام التلوين

بصفة كوني عماً لولد بلغ سنته الثانية عرّفته على اقلام التلوين القصيرة والثخينة والسمينة. ووضعت احدها في يده فأمسك به وتفرّس في وجهي. فأخذت يده ورسمت بالقلم علامة كبيرة حمراء على صفحة ورق. عندها ومَض ضوء في رأسه ولم يعد هناك من سبيل الى ثنيه عن ذلك.

والى مجموعة الاقلام التي اشتريتها للولد اشتريت مجموعة لاستعمالي الخاص تضم ٦٤ قلما. في الوقت ذاته اشتريت مجموعة ثالثة لوالد الصبي وامه. وهكذا نشأت لدي عادة شراء اقلام التلوين.

وسواء اعطيت الاقلام لبالغ سن الرشد او الولد، فاني الاحظ ان رد الفعل هو واحد: الدهشة والغرابة. فالاولاد يبتسمون ثم يبدأون بالعمل على اقرب صفحة ورق وقد

Condensed from «All I Really Need to Know I Learned in Kindergarten», copyright © 1986, 1988 by Robert Fulghum, published by Villard Books, a division of Random House, Inc., New York, N.Y. Photo: Ernest Coppolino

يرسمون أي شيء تطلبه منهم. والبالغون يبدو على وجوههم تعبير قريب من البلاهة يمتزج فيه الحنين بالبهجة فيبدأون بإخبارك عن كل ما مرّ بهم من اختبارات بأقلام التلـوين: عن اول علبة لهم واستعمال كل اقلام التلوين ومحاولة ترتيبها في علبة ووضعها على اشياء ساخنة لتجعلها تذوب وبريها على ورق مشمّع وضغطها بالمكواة على زجاج النوافذ الملوّن وصولا الى... أكلها.

ان اقلام التلوين لمدهشة حقاً. فما هي سوى مجرد شمع نفطي اضيفت اليه مادة ملوّنة ورباط تماسك بينهما - وكلها اشياء ليست بذات شأن، الى أن تزيد عليها ومضة من افق تصورك وخيالك.

نبتة الهندباء الممتازة

كان جاري مولعاً، الى حد الهوس، بمرجة العشب. وكل سنة تنتابه هبة جنون لرش مبيدات الأعشاب الضارّة فيبدأ



بمزج المواد المضرة في دنان في مرأبه.

ففاجأته ذات صباح في فناء منزلي وهو يرش نبات الهندباء الممتازة. فقال لي مبرراً عمله: "لم اعتقد حقاً انك ستهتم لقتل هذه الاعشاب الضارة."

وحدث انني مولع بالهندباء فهي تفترش فنائي في كل ربيع بزهور صفراء بديعة. والزهور تضيف نكهة طيبة ولوناً رائعاً الى المشروبات الكلاسيكية الخفيفة. حمّص الجذور واسحقها وخمّرها فتحصل على قهوة طيبة المذاق. اما النبتات الطريّة فيصنع منها شاي مقو. والنحل تستسيغ الهندباء فتنتج عسلا من الصنف الرفيع.

لو كانت الهندباء نادرة الوجود وسريعة العطب لزرعها الناس في بيوت زجاج مكيّفة وانشأوا جمعيات للعناية بها. ولكنها منتشرة في كل الاماكن تقريبا لذلك نسمّيها اعشابا بريّة ونعمد الى التخلص منها.

اما انا فأقول انها زهور وزهور جميلة وساحرة احياناً. اذ حين تحول الزهور بذوراً وتنفخ فيها بالمقدار الكافي من القوة، تنعتق منها الوف الطوافات الصغيرة الجميلة وتطير بعيدا فتحقق رغبتك.

هدية من غريب

عندما وصل رجل يدعى ف.ب. مينون للمرة الاولى الى نيودلهي في الهند، بحثا عن عمل في الحكومة، حدث ان سُرقت كل حقائبه ومقتنياته الشخصية في محطة السكة الحديد. لذلك كان- لا بد له من العودة الى بيته على قدميه مهزوما. ولما كان في حالة يأس فقد تقدم من رجل من طائفة السيخ طاعن في السن وشرح له متاعبه وطلب ان يقرضه ١٥ روبية الى ان يجد عملا. فأعطاه الرجل المال وامتنع عن اعلامه عن اسمه وعنوانه اللذين اصر عليهما مينون رغبة منه في رد المال.

وقال له ما معناه ان المساعدة اتتك من رجل غريب فعليك ان تردها الى رجل غريب ايضا. ولم ينس مينون ذلك الدين وقد نال شهرة في ما بعد لاعماله الخيرية الكثيرة.

وقبل مدة كنت في مطار بومباي انتظر لدفع الرسم وتسلم حقائبي، ولم يكن لدي عملة هندية ولم يرض الموظف المسؤول بقبض شيك سياحي بالمبلغ. واذا برجل غريب كان يقف الى جانبي يدفع المبلغ عني اي ما يعادل ٨٠ سنتاً امريكياً ثم اخبرني قصة مينون ورفض اي محاولة مني لايجاد سبيل لرد القيمة اليه، وروى لي ان والده كان مساعد مينون.

لم تكن الهبة كبيرة انما كانت مهمة من حيث المبدأ فهي انطلقت برجل مجهول من السيخ، الى موظف حكومي هندي، فإلى مساعده، فإلى ولده ثم الي أنا الغريب في لحظة ارتباك واحباط، وهي تكشف روحاً كريمة سامية وتتركني مديونا مشمولا ببركة العطاء!

روبرت فولغوم ■



اينشتاين عصري

كنا نتناقش في صف الاقتصاد حول موضوع شركة مصاعد تبيع انتاجها في أنحاء العالم. وأدرج الاستاذ على اللوح بعض القوى التي تؤثر في عمل الشركة، ومنها الجو السياسي وشروط تداول العملات وقيود الاستيراد. وسألنا أن نسمّي قوى أخرى تؤثر في شركة عالمية للمصاعد، فأجاب صوت من الخلف: "الجاذبية."

أ.و.

عاصفة في حافلة

ركبت الحافلة في يوم عاصف عائداً الى البيت. كان السير بطيئاً بسبب الازدحام، وعندما توقّفت الحافلة عند أحد المنعطفات، صعدت امرأة وبادرت السائق بحدّة: "أين كنت؟ اني أنتظرك هنا وسط العاصفة منذ ٢٠ دقيقة."

فأجابها السائق على الفور: "ها أنت أخيراً! لقد بحثت عنك في كل مكان!"

ك.ك.

مثالية سبيلبرغ

يقول مخرج الافلام الغرائبية ستيفن سبيلبرغ: "أميل الى اللاواقعي في اختيار مواضيع أفلامي. فهناك عدد كاف من المخرجين الذين يصنعون أفلاماً تعكس الحياة اليومية. أنا مثالي وأعتقد أن الاشياء يجب أن تكون دائماً أفضل مما هي. فإذا تعذّر ذلك في الحياة اليومية، حققته في فيلم سينمائي."

م.ك.

حديقة أفكار

- ليس التقدم في السن مزعجاً، بل المزعج أن نعتبر مسنين.

كيني روجرز، مغنّ أمريكي

- الأمل عاطفة عنيدة جداً.

غ.س.

- الصديق هو من يشعرني بأنني مقبول كلياً.

أ.ر.

- لطالما سحرني أسلوب الذاكرة في نشر الحقيقة.

ديان سوير، صحافية تلفزيونية

- أكثر ما يزعجنا في الناس هو ما نكرهه في نفوسنا.

و.و.

- لدى كل جيل قناعة بأن انهياراً مؤسفاً في الاخلاق قد حصل.

ب.د.

- في اللعب نكشف أي نوع من الناس نحن.

أوفيد، شاعر روماني (٤٣ ق.م. - ١٧ م.)

- يراودني أحياناً أننا وحيدون في الكون، وأحياناً أخرى يراودني خلاف ذلك. وفي الحالين تذهلني الفكرة.

آرثر كلارك، كاتب قصص علمية - خياليه بريطاني المولد

دعي طفلك ينمو مع سيريلاك

سيريلاك

الطعام الأول لطفلك بالملعقة

عندما يبلغ طفلك شهره الرا
لا يعود الحليب وحده يكفي
عليك بوجبة من سيريلا
سيريلاك متوفر بعدة أنواع تلائم
طفلك. سيريلاك يحتوي على ال
الغذائية الأساسية التي
لطفلك نموا متناس
وسليما.

تضمن
نستله

Reader's Digest
المختار
أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٩
ربيع الاول ١٤١٠
السنة الحادية عشرة
(سلسلة جديدة)
مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع

العلم يُحاول قهر العقم

في سبيل انجاب ولد
كثيرون من الازواج العاقرين يبذلون كل شيء تقريبا مهما غلا ثمنه او بعدت فرص نجاحه

منذ تسع سنوات وديبورا غِيريتي (٣٦ عاما) وزوجها، كيفن (٣٩ عاما) يسعيان الى انجاب ولد. وقد جربا كل ما احتوته جعبة الطبيب الاخصائي في شأن العقم: إمناء اصطناعي بواسطة الزوج، معالجة بالهورمونات، الجراحة، الاخصاب في الانبوب، نقل خلية مشيجية ناضجة الى داخل قناتي فالوب، معالجة الأجسام المضادة للمنيّ. وقد تكلفا ٣٥ ألف دولار واهدرا اسابيع من العمل وتحملا آلاما لا حدّ لها اضافة الى الاجهاد والارباك. وهما يقولان إنهما غير نادمين لكنهما يشعران بأسف عميق لان الطب عجز عن اعطائهما ولداً.

لا احد يعرف بالضبط عدد الاشخاص الذين يشكون العقم. حتى في الولايات المتحدة فإن الارقام قليلة وقديمة. واستنادا الى مسح عام ١٩٨٢ يقدر تقرير حديث لمكتب الكونغرس عن تقويم التكنولوجيا (OTA)، ان هناك ٢،٤ مليون من الامريكيين المتزوجين غير مخصبين وهم عاجزون عن الانجاب بعد سنة على الاقل من الجماع الفعليّ. ويزداد عدد الذين يعودون اطباء النساء والاخصائيين

بالبول وعلماء الغدد الصم والجراحين وغيرهم من المهنيين، وقد انفقوا عام ١٩٨٧ وحده ما يفوق المليار دولار على الخدمات المعنية بالعقم.

وفيما يثير التساؤل عن اخلاقية المساعدة الطبية في التناسل، موضوعاً للجدل لا ينتهي فان التساؤلات عن الوسائل ذاتها وفاعليتها واكلافها وسلامتها، تبحث حاليا بدقة في العلن.

ان العقم لدى النساء يرجع عادة الى مشاكل ناتجة من الإباضة وقنوات فالوبية تالفة او مصابة بندوب او بورم بطاني رحمي اي وجود نسيج رحمي في تجويف الحوض. اما لدى الرجال فانه ناتج عموما من انتاج محدود او غير طبيعي للمني. وقد يكون احد الزوجين عاقرا سواء اكان الزوج أم الزوجة. وفي بعض الحالات يكون كلاهما عاقرا. وهناك نحو ٢٠ في المئة من الازواج غير المخصبين من امثال الزوجين غيريتي، لا يعرف الاطباء مصدر علّتهم. ويقدر مكتب الكونغرس لتقويم التكنولوجيا ان نصف اولئك الذين يعالجون يتحولون من غير مخصبين الى مخصبين.

وثبة انطلاق. بعد ستة اشهر من المحاولات الفاشلة لتحقيق الحمل، توجهت دبي وزوجها الى الطبيب الاختصاصي الذي ارشدهما الى استخدام ميزان الحرارة لتخطيط حرارة دبي الاساسية (BBT) وتحديد موعد الإباضة.

ان مراقبة الحرارة هو، عادة، الخطوة الاولى في معالجة عقم الزوجين. وعندما تبين من تخطيط BBT ان إباضة دبي كانت طبيعية" بدأ طبيبها مجموعة فحوص تشخيصية قياسية اشتملت على فحص بعد الجماع (اخذ عينة مخاطية من عنق الرحم لتحليل نشاط المنّي)، فحص بطانة الرحم مجهريا (استئصال نسيج من داخل بطانة الرحم لتحديد مستويات الهورمون)، فحص منوي (لتحليل منيّ الزوج) وتشخيص من طريق تنظير البطن (ادخال منظار جراحيا في السرّة يسمح للطبيب بفحص المبيض والرحم وقناتي فالوب).

ان اجراءات التشخيص تهدف الى معرفة الصدع في عملية التوالد وتحديد امكان رأبه. فاذا تبين، على سبيل المثال، ان منيّ الرجل غير نشيط او غير متحرك بما فيه الكفاية، فقد ينصح الزوجان بتجربة الإمناء الاصطناعي بواسطة الزوج (AIH). واذا ظهر التهاب في بطانة رحم الزوجة كان لها الخيار بين ان تلجأ الى الجراحة او المعالجة بالهورمونات.

ان التشخيص هو الطريقة المثالية والاقصر لتحقيق الحمل، ولكن الفحوص قد تجرى بغير دقة وعناية او تساء ترجمتها او يجري تجاهلها او لا تجرى مطلقاً. ويقول الدكتور جاي غرودن الاستاذ السريري في طب التوليد والنساء في جامعة جورج واشنطن بواشنطن، وهو اختصاصي بالعقم: "اعرف امرأة كانت تتناول عقار الإخصاب "كلوميفين" ومرّت سنة ولم يُجرَ فحص لزوجها."

ويضيف: "ان المرضى هم مستهلكون فلو ارادوا شراء سيارة فانهم يفتشون كثيراً. ولكن بعض الناس يدخل مكتب

الطبيب من دون تفحّص حتى معتمداته". فهذه يجب ان تكون الخطوة الاولى التي على المريض القيام بها.

وتشرح دبي وضعها: "بعد تسعة اشهر من الفحوص، لم تكن هناك اي مشكلة معروفة لمعالجتها." فقد كانت اعضاء الزوجين التناسلية، في الظاهر، في حال جيدة. لذلك اقترح عليهما الطبيب الانتقال الى مستشفى جونز هوبكنز في بلتيمور بماريلاند للمعالجة وفق برنامج للعقم.

عولجت دبي بدواء كلوميفين الذي يفترض فيه ان ينشط الإباضة. ولما لم تحصل على نتيجة بدأت معالجات لمدة ستة اشهر بالامناء الاصطناعي بواسطة منيّ زوجها بالاضافة الى الكلوميفين.

وحين اخفقت عملية الإمناء الاصطناعي من طريق الزوج للزوجين غيريتي، عمد الاطباء الى تجربة الاخصاب في الزجاج أي الانبوب (IVF)، اي اتحاد المنيّ والبيضة في صحفة مسطحة في المختبر قبل زرعها في الرحم. وقد طوّرت هذه العملية لمساعدة النساء اللواتي لديهنّ قنوات فالوب لا تقوم بوظيفتها. اما الآن فان عدداً قليلا من الأزواج يطلبون معالجة العقم بطريقة الأنبوب. فالمرأة التي تعالج بهذه الطريقة يجب ان تكون ملتزمة بها. ففي سبيل تنشيط الإباضة والمساعدة في دعم الحمل في وقت مبكّر، تحقن المرأة يوميا بالهورمونات قبل الإباضة. وتجري مراقبتها بدقة بواسطة فحوص الدم ومقاييس السّمع. وتنقل البيوض بعد ان يتم اخصابها وتمزج بالمنيّ المجموع الذي تكون عزلت منه بالقوة المركزية الطاردة، الخلايا الاكثرها تحركا، في عملية تدعى "غسل المنيّ."

انما، احصائيا، تظل فرصة الحمل من طريق الانبوب قليلة. ويقدر أن دورة تنشيط إباضة واحدة بواسطة الاخصاب في الانبوب توفر للزوجين فرصة ٩ في المئة لانجاب ولد. وفي الواقع فان ٤٠ في المئة من برامج IVF في الولايات المتحدة والبالغة ١٨٠، لا تزال تعوزها سبل الانجاب.

حين خضعت دبي غيريتي للفحص بالمنظار خلال المعالجة بـ IVF، اكتشف اطباؤها شيئا لم يروه قبلا، وهو نمو بطاني رحمي على مبيضها. ففكروا ان هذا يجب ان يكون العلة في المراحل كلها. فاجريت لها جراحة في مارس (آذار) ١٩٨٦ وتعافت خلال ستة اسابيع. ثم بدأت قياس حرارة جسمها مرة ثانية واكتشفت انها عاجزة عن الإباضة فاعيدت الى استعمال كلوميفين ثم صُرفت عنه واعطيت عقاراً اكثر قوة هو HMG (★).

وكما في IVF اقتضت هذه المعالجة زيارات يومية للطبيب لاجراء فحوص الدم وتخطيط حدة السمع. وتغيّبت المرأة كثيراً عن عملها الى حد انها اضطرت الى تركه.

الاجسام المضادة. تركت دبي برنامج جونز هوبكنز عندما بدأت تعمل قسما من الوقت في العاصمة واشنطن وتعاقدت مع طبيب تناسلي للغدد الصم في ارلنغتون، بفرجينيا الذي اصاب نجاحا في عملية

(★) Human Menopausal Gonadotropins or Pergonal

نقل خلية تناسلية حية عبر قناة فالوب. وتعرف هذه التقنية بـGIFT. وعلى غرار IVF تسعى GIFT الى استرداد البيوض، إنما في GIFT تولج البيوض والمنيّ حالا بواسطة قثطار (ميل) الى قناتي فالوب حيث تترك للإخصاب بذاتها. لكن ويا للأسف فان هذه العملية قد اخفقت.

وكاد الزوجان غيريتي ان يقررا الكف عن السعي الى الانجاب من طريق المساعدة الطبية، عندما تلقيا اقتراحاً لاجراء فحص آخر يعتمد الكشف عن اجسام مضادة للمنيّ وقد وجد فحص منيّ الزوج ايجابيا. وعلى الاثر جرب الزوجان طريقة "غسل" معدّلة للمني بغية ازالة الاجسام المضادة القاتلة من منيّ الزوج.

وتوضح دبي الامر: "في الاثني عشر يوما الاولى من دورة الحيض تابعت برنامجا لتنشيط الهورمونات يعتمد كلوميفين وHMG كما في عمليتي IVF وGIFT. وفي اليوم الثالث عشر ذهب كيفن لمعالجة منيّه وأجري لي بعدها الإمناء الإصطناعي."

يقدر ان معدل ثمن انبولة HMG ٢٨ دولاراً (تحتوي محاقن دبي نموذجيا على انبولتين واحيانا ثلاث او اربع). فاذا اضفنا ثمن الكلوميفين وكلفة الفحص الفوق السمعي والمختبر والممرضة وأجر الطبيب، ترتفع فاتورة المعالجة بأدوية الإخصاب الى ٣ آلاف دولار. اما المعالجات بالانبوب فانها اكثر كلفة وتصل الى ٤ آلاف و٥٠٠ دولار وحتى الى ٨ آلاف دولار لدورة الحيض الواحدة. لكن الازواج الذين يتكبدون هذه النفقات الباهظة يكونون ملمّين بكلفة معالجة العقم المرتفعة.

ويقال ان عملية التشخيص الكاملة قد تكلف ٣ آلاف دولار، فيما عملية الإمناء الاصطناعي التي هي اقل كلفة نسبيا وتبلغ ٨٥ دولاراً فقط، قد تسبقها اتعاب استشارة بـ٣٠٠ دولار وهذه تتم عادة لست مرات.

وترافق النفقات الكبيرة عوامل عاطفية لها ثمنها وتكاد لا تحصى: كالانحطاط وانخفاض تقدير الذات وتعطّل الوظائف الجنسية والقلق والهم والغضب. تقول دبي انها كانت تبكي لساعات حين تعاودها دورة الحيض، وتضيف امرأة اخرى حملت في آخر الأمر: "كنت غير قادرة على التعامل مع الناس الذين انعم الله عليهم بالاولاد، وكنت كمن يرى جزءا من ذاته يموت. انك لتحزن من اجل شيء تعتقد انك لن تحصل عليه."

في نهاية المطاف ادركت دبي "انه حان الوقت كي نكف عن المعالجة." انما مهما كانت معالجة العقم شاقة ومضنية فان التوقف عنها يفوقها صعوبة. لقد اقتضى للزوجين غيريتي اكثر من ثماني سنوات ليتخذا ذلك القرار وقد شعرا الآن براحة البال اذ عرفا ان الطب عاجز عن ان ينجب لهما ولداً.

وهي تستخلص: "إن عدم القيام بما قمنا به كان قد جعلني أشعر انني انا المخطئة لانني أحجمت عن المحاولة. ولكننا لا نرغب ان نبقى من دون اولاد، لذلك نسعى الى تبنّي ولد خاص بنا. فأن يكون لك ربيب لأهم من ان يكون لك ولد بيولوجي بفعل المعالجات الاصطناعية."

سو هالبرن ■

ذلك "السبت الأسود" المخيف

"خذني يا ربّ، لكن أنقذ والديّ" صرخت، بينما كان جحيم النار يلتهم الغابة التي نعموا فيها بحياتهم

عاصفة من نار

كانت كاثلين هدجز (١٦ عاماً) لا تزال مستيقظة وقد مضى نحو ساعة وهي تتقلّب في كيس نومها، بينما استسلم والدها بات (٣٥ عاماً) وأخوها كابيت (١٥ عاماً) لسبات عميق. أما ميستي، كلبة العائلة، فالتفّت على ذاتها بالقرب من كاثلين وبدا كأنها تحلم ثانية إذ كانت قائمتاها تنتفضان وذيلها يخبط المشمّع الذي فرشته العائلة على الارض الباردة.

كان ذلك يوم السبت في العشرين من اغسطس (آب) ١٩٨٨ إلا أنه بدا كأحد ايام يناير (كانون الثاني) في منطقة هورس شو كانيون الواقعة على ارتفاع ٢٧٠٠ متر في برية ابروكا - بيرتوث بولاية مونتانا.

مع مغيب الشمس سكتت العصافير المغرّدة ولم يعد يُسمع في المحميّة المحيطة بحديقة يلوستون الوطنية إلا همسات النسيم المتغلغل في أشجار الصنوبر وخرير مياه جدول هورس شو المنساب في سفح المنحدر على بعد ٤٥ متراً من المحميّة.

لم يكن البرد هو الذي منع كاثلين من

Photo: James Woodcock / Billings Gazette



النوم، بل وهج برتقالي مخيف بدا في الافق الشرقي وتسمّرت عيناها عليه. فخلف ذلك الأفق كان حريق يلتهم احدى غابات منطقة يلوستون التي غلب عليها الجفاف فباتت عرضة للكثير من الحرائق.

★ ★ ★

"لا داعي الى القلق، فالحريق يتأجج على بعد ١٥ كيلومتراً ولم يتقدم كثيراً خلال اسابيع." هذا ما جال في فكر بات وهو يستعد للذهاب في رحلة طويلة على الاقدام لصيد السمك في جدول هورس شو النائي. وكان بات ضابطاً في دائرة إطفاء مايلزسيتي في مونتانا وهو خير من ألمّ بأمور الحرائق. في غضون ذلك، بقيت زوجته سوزان في عربة التخييم مع اولادهما الثلاثة الآخرين. وبينما كانت كاثلين تراقب الوهج لفت نظرها أمر آخر: "ابي اني ارى السنة لهب!" جلس بات في فراشه وفرك عينيه اذ بدا له فيض من اللهب الاصفر ينهمر فوق القمة التي تنخفض ٤٥٠ متراً عن مكان التخييم، ثم يتدفق كالزئبق في الوادي الضيق. اتسعت عينا بات دهشة وتساءل كيف تطور الحريق بهذه السرعة. وبعد هنيهة شعر بلفحة حارة تحولت في ثوان ريحاً هوجاء. ومن خلال الدخان، رأى بعينين شبه مغمضتين الرياح تزكي اللهب فتحوله جداراً من نار يرتفع ثلاثين متراً. وتسلّق الجحيم الهادر المنحدر بسرعة البرق فتداعت الاشجار امامه واهتزت



الارض لسقوطها المدويّ. فأدرك بات على الفور انه وعائلته باتوا في مسار عاصفة النار بل قاب قوسين من السنة لهبها. كان بات يعلم ان عاصفة النار تأكل نفسها مولّدة رياحها. وسرعان ما يتحوّل تيار الهواء الصاعد من لهبها شبه اعصار قد تصل حرارته الى ٦٥٠ درجة مئوية، أي ما يكفي لتقريح البشرة على الفور. عاين بات في ما مضى ما يمكن ان يفعله الحريق بالانسان. لذا أجبر نفسه على تمالك أعصابه اذ شعر بالحرارة تلهب خدّيه ثم صرخ: "كاثلين، انتعلي حذاءك، كايث، استيقظ، لقد وصل الحريق الينا."

لم يرَ بات امامه سوى خيارين لا يأمل الخير في اي منهما

فإما أن يتجاوزوا الاشجار بتسلّق المنحدر مسافة ٨٠٠ متر في درب يجهلونها، واما أن يركضوا في اتجاه النار للتمدد في مياه جدول هورس شو القارسة البرودة. لكن اي قدر من الحماية يمكن ان يؤمنه جدول تكاد تنضب فيه المياه؟

بدأت الجذوات تنهمر من السماء مشعلة بؤراً من النار حول العائلة، وزادت سرعة الريح الى ما يقارب ١٣٠ كلم في الساعة.

صرخ بات بصوت علا زمجرة الريح: "احملا اكياس النوم، سننزل الى الجدول."

صرخت كاثلين "ميستي" وهي تمسك

Illustration. Dan Brown



بالكلبة التي لازمتها اكثر من ثماني سنوات. "قلت تحركا" قال بات، وقد أصبح الحريق على بعد مئات الامتار من الجدول.

انحدرت كاثلين نحو الجدول حاملة ميستي بين يديها متعثرة تارة بالصخور وطوراً بجذوع الاشجار المتساقطة، وفجأة وجدت نفسها وسط دخان كثيف يحدق بها ولم تعد ترى احداً فنادت: "ابي!، كايث". فأجابها كايث بصوت يعلو عزيف الريح العاصفة: "أنا هنا."

كان بات أول الواصلين الى الجدول واضطرب قلبه حين رأى مياهه التي لا يتجاوز عمقها رسغ القدم فتساءل: "كيف زججت ولديّ في هذه الورطة؟" وإذ بصوت آخر في داخله يقول: "لكن لا تجزع."

تعلم بات كيف يقهر الخوف خلال السنوات التي امضاها في مكافحة النار. هذا ما كان يعتقده على الأقل لكنه الآن لم يعد واثقاً منه. لحق الولدان ببات، واذ تعثّرا وهما يخرجان من بين اشجار الصنوبر نظر كايث الى الجدول الصغير وقال: "الى اللقاء في الجنة" فنهرته كاثلين: "اصمت،" فهي عقدت العزم على الاّ تموت اياً تكن الاسباب اذ ما زال لديها الكثير تنجزه كأن تذهب الى الجامعة وأن تصبح مصممة أزياء... وتحطمت شجرة بالقرب منهم فهزّت الارض تحتهم وامطرتهم بوابل من ابر الصنوبر المشتعلة. وصرخت كاثلين اذ اصابتها احداها في وجنتها ووقعت أخرى على شعر بات فسارع الاولاد لنزعها. "هيا بنا" قال بات وقفز الى مجرى الجدول الذي تغذيه الثلوج فوجده أكثر برودة مما كان يتوقع، ولهث ولداه اذ خاضا مياهه.

على بعد حوالى اثنتي عشرة خطوة امتد جذع مهترئ كجسر بارتفاع متر واحد فوق الجدول موفّراً حماية ضد الاشجار المتساقطة، أما مياه الجدول الجارية تحته فقد ارتفعت الى اكثر من ثلاثين سنتيمترا بفعل حجرين ضخمين مكورين اعترضا مسارها.

★ ★ ★

وسط وميض النار الحارقة رأى بات ولديه كما لم يرهما من قبل: كايث ذو الوجه الناحل خائف ويتوق بكل جوارحه ان يكون رجلا. وكاثلين قوية لا تنقصها العزيمة. فابتهل: "خذني يا رب لكن احفظ ولديّ حيّين." بذل بات قصارى جهده كي يحافظ على هدوئه وقال لولديه:

"حسنا، اليكما الخطة: نبلّل اكياس النوم ثم نستلقي في الماء ونرفعها فوقنا، ستجدان الماء أكثر برودة مما تتصوران لكن عليكما أن تلبثا مستلقين تحت الاكياس." في هذه الاثناء اشتعلت بؤر نار كثيرة في الوادي الضيق خلفهم وغدا التراجع مستحيلا. لقد علقوا.

"امسكا بيدي" طلب بات من ولديه. وقال: "سنحتاج الى مساعدة لتخطي هذه المرحلة." وبدأ يصلي: "ايها الآب السماوي، نحن اولادك، لقد وعدتنا بالحماية عندما تدعو الحاجة، ونحن نعقد الآمال على هذا الوعد..." وقال الثلاثة معاً: "آمين" وهم يضغطون ايدي بعضهم بعضاً مستقرّين في مياه الجدول.

كادت عاصفة النار أن تلفّهم وإذا بالكلبة ميستي تتحرّر فجأة من بين يدي كاثلين وتركض في اتجاه جدار النار.

ولبثت كاثلين واقفة وصرخت "ميستي،" فرد بات: "ستعود ابقي هنا،" ثم سمع الكلبة تعوي من الالم فأطلقت كاثلين أنيناً خافتاً.

فجأة تذكر بات الجعب، لقد تركوها في مكان التخييم. وعرف انه في حال نجاة ولديه سيضطران الى مسيرة يومين على الاقل من دون طعام وعدّة إسعافات أولية، فقال: "سأعود لآتي بالجعب،" فتوسلت اليه كاثلين: "ابي أرجوك لا تفعل." اذ أنّ النار كانت ازدادت تأججاً في ذلك الاتجاه وطاولت رؤوس الاشجار.

تجاهل بات طلب كاثلين وتسلق المنحدر لكن السنة اللهب أجبرته على العودة. ولما أعاد الكرة تحطمت شجرة امامه وكادت أغصانها المتناثرة أن تصيبه في وجهه. وفي المحاولة الثالثة تمكن من الوصول الى الجعب فوجد أغطيتها الواقية من المطر قد ذابت. وعندما حاول التقاطها، أحرقت إطاراتها المصنوعة من الالمنيوم يديه فأنتزعها من رباطاتها وجرّها منحدراً بأقصى سرعته، وهوى بها الى الجدول في اللحظة المناسبة.

اصبحت عاصفة النار على مسافة دقائق من الجدول وكان بات وكايت وكاثلين جاثمين في الماء الجليدي يرتجفون من البرد والخوف. أنذر بات ولديه: "لا تقفا حتى وان ارتفعت حرارة الاكياس فوقكما، بل حاولا تبليلها من جديد." في هذه اللحظة عوت ميستي، فصرخت كاثلين: "انها على قيد الحياة،" وصفر بات بحدة فظهرت الكلبة من بين الشجيرات. أسرع بات نحوها وجذبها الى الجدول وأوثق حزامه حول عنقها كالطوق.

بعد لحظات غمر لهب مريع مجرى الجدول ورفع بات عينيه في نظرة خاطفة الى أعلى فرأى في السماء كرة نارية برتقالية اللون ذات ذنب مشع من اللهب والدخان، تقذف الحمم المتلألئة بالشرارات الصفراء. وفكّر بات بزوجته كم سيسبب لها موتهم من ألم فقال في سرّه: "سوزان سامحيني."

★ ★ ★

على ضفتي الجدول، تقوست جذوع الاشجار نحو الاعلى، وتشققت وتكسّرت محدثة صخباً وضجيجاً ثم توهجت مرسلة انواراً خاطفة. وتفتتت الصخور وتناثرت قطعاً صغيرة. وأشعلت جمرة متطايرة أحد طرفي جذع الشجرة حيث كان الثلاثة يحتمون فأخذت كاثلين تغرف الماء وتلقي به فوق اللهب.

ومضت اللحظات والحرارة ترتفع والرياح تصفر في آذانهم فتساءل بات: "هل سينتهي الامر؟" وإذا بالعاصفة تتلاشى فجأة وجدار اللهب يبتعد صعوداً نحو الجبل، فهمدت الرياح تاركة بات وكايث وكاثلين وسط الجذوات المحترقة والدخان المتصاعد. كل بقعة في الارض كانت تنفث الدخان الكثيف.

قال بات: "لقد مرّ الاسوأ، انتصرنا يا اولاد. لقد نجونا". ولكن ها هم امام مشكلة اخرى، فالغابات لا تزال ساخنة يلفها الدخان الكثيف، لذا لم يكن في وسعهم مغادرة الجدول الآمن. وبات كان يعلم ان الدخان يقضي على الانسان اكثر من الحريق. لكنه لاحظ أن قدمي كايث شلّهما البرد وأسنان كاثلين تصتك بعنف

مما جعلها تعاني صعوبة في النطق... "انه هبوط الحرارة" (*) قال بات في نفسه وقد تعرّف الى اعراضه وبدأت اسنانه ايضاً تصتكّ وهو دليل على انخفاض حرارة جسمه الداخلية الى ما دون ٣٥ درجة مئوية، اذذاك امر بات ولديه بالخروج من الجدول لكن كايث عجز عن ذلك شاكياً: "لم أعد أشعر بقدمي."

ساعد بات كايث على الخروج من الجدول وسط الدخان وكمم الثلاثة أفواههم كل بياقة سترته لتنقية الهواء. وتجمعوا حول بؤرة ساخنة بالقرب من جذع شجرة يتصاعد منه الدخان. تناوب الثلاثة على الجثوم قرب الجذع الخامد، ولم ينم احد منهم طوال الليل. وفي الصباح بدأوا رحلة العودة الى مخيم العائلة وكان على بعد ١٦ كلم.

"يخالجني شعور أن أباكم عائد اليوم." هذا ما قالته سوزان هدجز لأولادها الثلاثة الصغار - والتر وانجي وجنز - صبيحة نهار الاثنين في ٢٢ اغسطس (آب) ولم تكن عودة بات وكايث وكاثلين مفترضة قبل نهار الأربعاء. واقلق سوزان لون السماء الدخاني فصلّت: "يا الهي احفظهم." وأخبرت اولادها مازحة انها ستعد ضلوع حمل للعشاء وهو طبق بات المفضل.

في وقت متقدم من بعد ظهر ذلك اليوم وبينما كانت سوزان تعد المائدة خارج المخيم سمعت انجي تصرخ: "امي انظري خلفك". فالتفتت سوزان وقد أخرستها المفاجأة، ها زوجها وولداها أمامها سود كالفحم من الرأس حتى أخمص القدمين. تكلم بات أخيراً: "هل كنتم ستتناولون ضلوع الحمل وحدكم؟"

أطلقت وسائل الاعلام اسم "السبت الاسود" على العشرين من اغسطس (آب) ١٩٨٨. فقد أتى الحريق في ليلة واحدة على حوالى ٦٥٠ كيلومتراً مربعاً من منطقة يلوستون الكبرى وعمّ الدمار الانحاء وأنتشر، فاضطرت الحكومة الى تعيين فريق لاعادة النظر في عمليات مكافحة الحريق في الحدائق العامة والمناطق المقفرة. وأوصى الفريق بالتشدد في تحديد الحرائق التي يمكن التغاضي عن مكافحتها.

وحصلت تغيرات اخرى بسبب ذلك السبت، فقد شعر بات ان كايث وكاثلين قد تغيرا من خلال طريقتهما في الكلام وأدرك انهما لم يعودا طفلين.. لقد تغلبا على الخوف وأنقذا انفسهما من موت شبه محتم. وبالمقارنة مع أهوال الحريق شعر بات انهما الآن أكثر استعداداً لجبه الشدائد في المستقبل. ويضيف بات: "بعد جدول هورس شو بت أعلم أن ولدي أصبحا قادرين على جبه الحياة."

جون ل. مور ■

(*) Hypothermia



ليس هناك من هو ميّال الى انتقاد عمل الآخرين مثل شخص لا يقوم بأي عمل.

س.أ.ب.

ثعبان المخدرات يطوق اوروبا

تتدفق كميات ضخمة من حشيشة الكيف والهيروين والكوكايين الى شبه الجزيرة الايبيرية مما يهدد اوروبا كلها

● كانت السيارة ذات الدفع الرباعي العجلات في منتصف الطريق المؤدي إلى فيلا قرب فارو على ساحل البرتغال الجنوبي يبلغ ايجارها الشهري ٢٠٠٠ دولار، عندما برز فجأة من بين الاشجار ستة رجال مصوبين مسدساتهم نحو السيارة. فصرخ السائق وهو يرفع يديه فوق رأسه: "اللعنة. ايها الشرطيون، كيف تمكنتم، من العثور علينا؟"

وفي الفيلا، وجد شرطيو المخدرات ١٤٧ كيلوغراماً من الكوكايين.

● لم يستطع ضباط مكافحة المخدرات الذين اقتحموا المستودع الصغير في بلدة ايرون الواقعة على الحدود الاسبانية الشمالية، تصديق ما رأوا: الف كيلوغرام من الكوكايين موضبة في صناديق من الكرتون واكياس من الخيش واقفاص بلاستيك مموهة. وقدرت قيمة هذه البضاعة بـ٦٠٠ مليون فرنك فرنسي (قرابة ٩٥ مليون دولار امريكي.)

● قاد احد المخبرين الشرطة الاسبانية الى قمة منحدر صخري مطل على البحر الابيض المتوسط، على بعد ٦٠ كيلومتراً

شمال شرق برشلونة. وعثر هناك تحت باب سري على كهف كبير يبلغ حجمه ٣٧ متراً مكعباً، محفور في الصخر وتصله سكة حديد تحت الارض بكهف طبيعي في مستوى سطح البحر. وكان الكهف المحفور في الصخر مليئاً بـ١٧ طناً من الحشيشة المغربية واللبنانية الموضبة باتقان والتي تبلغ قيمها ٨٠ مليون دولار.

ويقدر مسؤولون عن مكافحة المخدرات الكمية المتداولة من المخدرات بعشرة اضعاف الكمية التي تتم مصادرتها. ولذلك جاءت نتائج عمليات الدهم والمصادرة في كل من اسبانيا والبرتغال، السنة الماضية، مذهلة، اذ ان الكميتين المصادرتين اخيراً كانتا من بين كبرى الكميات المصادرة في اوروبا الغربية على الاطلاق. وبذلك أصبح شبه الجزيرة الايبيرية المركز الاوروبي للمخدرات غير المشروعة.

ان تزايد عمليات الدهم سلط الضوء اكثر على ازدهار تجارة المخدرات في ايبيريا. وفي العام ١٩٨٧ صادر الاسبان ٤١٠ كيلوغرامات من الهيروويين و١٢٠٠ كيلوغرام من الكوكايين و٥٤ طنا من الحشيشة. ولكن في العام ١٩٨٨ بلغت كميات المخدرات المصادرة ٤٨٠ كيلوغراماً من الهيروويين و٩٠ طناً من الحشيشة. اما بالنسبة الى الكوكايين فناهزت الكمية المصادرة الـ٣٥٠٠ كيلوغرام - اي ما يفوق كل الكمية المصادرة في اوروبا الغربية في السنة السابقة. ويتحسّر فليكس كالدرون وهو شرطي من قسم مدريد لمكافحة المخدرات قائلا: "ان الرسم البياني لتزايد تهريب الكوكايين يكاد يكون خطأ عموديا."

اما في البرتغال فان الارقام هي اكثر اعتدالا. ففي العام ١٩٨٨ صادرت السلطات البرتغالية ٣٤ كيلوغراماً من الهيروويين و٣٤٣ كيلوغراماً من الحشيشة و٣٥٧ كيلوغراماً من الكوكايين. ويقول جوزيه كارفالهو، نائب مدير الشرطة القضائية هناك: "نعرف أن هناك كمّيات تفوق هذه بكثير لم يعثر عليها بعد."

البداية. ان دخول ايبيريا عالم المخدرات المزدهر يعود على الارجح الى يونيو (حزيران) من العام ١٩٨٣ عندما عدّلت الحكومة الاسبانية الجديدة قانوناً صارماً يعود الى العهد السابق (فرنكو) ويعتبر حيازة اصغر كمية من المخدرات القوية أو الخفيفة جريمة عقابها لا يقلّ سجنا عن ٦ سنوات ويوم واحد. فبالغاء صفة الجرم عن حيازة "كميات صغيرة" مخصصة للاستعمال الشخصي، فتح التشريع الجديد مسارب الفيضان امام دفق المخدرات غير المشروعة التي اغرقت كلا من اسبانيا والبرتغال.

ان الضريبة البشرية كبيرة جداً ومتصاعدة. ففي البرتغال يقدر عدد مدمني الهيروويين بـ٤٠ الفاً يعيثون فسادا في محطات القطار الكهربائي في لشبونة ويترنحون حالمين حول طاولات المطاعم في حي روسيو. وفي اسبانيا تختلف وكالات الاحصاء في تقدير عدد المدمنين، فيراوح عددهم بين ٦٠ الفاً وربع مليون. وفي الحفلات التي تقام على شاطىء "كوستا دل سول" الجميل يقدم النادلون الكوكايين الى جانب الخبز

المحمص المدهون بالجبن والكافيار! وفي مدريد تغلق الحانات شبه الخاصة ابوابها بعد منتصف الليل في وجه الجميع ما عدا زبائنها الدائمين ثم تعيد فتحها في العاشرة صباحاً لتلفظ مجموعات انمكها الكوكايين.

يقول الكولونيل ارسينيو ايوسو، رئيس دائرة مكافحة المخدرات في الحرس المدني الاسباني: "ان السوق المحلية لا تستطيع استهلاك جميع المخدرات المتدفقة الى شبه الجزيرة. ومعظمها يعبر البلاد الى الخارج." فهناك الهيروين الذي يعبر تركيا من ايران وافغانستان وبلدان آسيوية اخرى في طريقه الى الولايات المتحدة الامريكية. وهناك الحشيشة من المغرب ولبنان في طريقها الى فرنسا والمانيا وبريطانيا وهولندا وغيرها من البلدان الاوروبية.

اما الهم الاكبر بالنسبة الى الانتربول، فهو دور شبه الجزيرة الايبيرية الجديد كمعبر رئيسي ومخزن للكوكايين الآتي من امريكا الجنوبية. والانجذاب نحو السوق الاوروبية يسهل فهمه، ففي السنة الماضية بلغ انتاج الكوكايين في امريكا الجنوبية رقماً قياسياً هو ٤٥٢ طناً مما ادى الى اتخام السوق في الولايات المتحدة فانخفض سعر كيلو الكوكايين بالجملة الى ما دون ١٠ آلاف دولار. وعندما وجد التجار ان في امكانهم بيع الكيلوغرام بـ٦٠ الف دولار في اوروبا عمدوا الى البحث عن مدخل أمين اليها.

كلاب مدريد. تحلّق الركاب حول سكة الأمتعة في القاعة الكبرى في مطار باراجاس في مدريد وهم يتذمرون من تأخير وصول حقائبهم. وكان هؤلاء وصلوا على متن طيران "افيانكا" الرحلة الرقم "١٠." من بوغوتا وكاراكاس. قليلون منهم عرفوا سبب التأخير. لقد كانت حقائبهم في الخارج تخضع الواحدة تلو الاخرى لعمليات تفتيش بواسطة كلب لابرادوري اسود مدرب على كشف المخدرات.

في تلك الاثناء كان المسافرون يخضعون لمراقبة دقيقة من رجال الشرطة السرية في الحرس المدني. وكان الرقيب فرناندو راموس يعلم ما عليه أن يبحث عنه: أمتعة كثيرة أمتعة قليلة. جواز سفر يستعمل للمرة الاولى. ثياباً جديدة. وقد لفتت انتباهه امرأة شابة ترتدي الابيض من رأسها الى اخمص قدميها. ففكر ان لباسها قد يكون علامة تدلّ القادم لملاقاتها على انها ناقلة المخدرات.

حملت المرأة حقائبها والتحقت بصف المسافرين امام الممر المخصص للذين "ليس لديهم شيء للاعلان عنه" في قسم الجمارك. وبإيماءة من راموس تقدمت منها امرأتان تابعتان للحرس المدني وطلبتا جواز سفرها وسألتاها عن حقائبها ثمّ اقتادتاها بلطف الى حيث فتشتاها.

وبعد نصف ساعة هرعت احدى المفتشتين الى مكتب الرقيب راموس وهي تلوح بصورة اشعة: "انها وسخة!" فقبل هبوط الطائرة في مدريد ابتلعت المرأة ذات اللباس الابيض ما لا يقل عن ٧٠ كرة مطاط مصنوعة من اصابع القفازات التي تستعمل في العمليات

الجراحية، وكانت تحتوي الواحدة منها على ٨ غرامات من الكوكايين. فأمر راموس بنقلها الى المستشفى لتنظيف معدتها تمهيدا لتوقيفها.

ان ناقلي المخدرات في مقابل نيلهم كمية منها او في مقابل مبلغ من المال، والذين يدعون "جمالاً" أو "بغالاً"، يجندهم التجار الذين لا يخاطرون بأنفسهم. فمن التشيلي يبعث تاجر يعمل خارج بيونس ايريس، خمسين رسولا كل اسبوع الى ايطاليا عبر لشبونة او مدريد يحمل الواحد منهم قرابة ٤ كيلوغرامات من الكوكايين. وإن قبض على عشرة منهم في مكان ما على الطريق، فان ما يبقى للتاجر، اي ١٦٠ كيلوغراماً، يستحق العناء.

ويتابع التجار نقل بضائعهم جوّاً الى المطارات الدولية الثلاثين في اسبانيا والبرتغال. اما التكتلات الكبرى لتجار المخدرات فتتحول بشكل متزايد نحو السفن العابرة للمحيطات والتي تستطيع نقل كميات كبيرة من البضائع. وهناك عشرون مرفأ بحرياً رئيسياً ومئات المرافىء الصغيرة واعداداً لا تحصى من الخلجان السرية حيث يمكن السفن الصغيرة ان ترسو فيها وتسلم البضاعة المهربة الى منتظريها. ويقول الكولونيل ايوسو: "تملك اسبانيا شاطئاً بطول ٨٠٠٠ كيلومتر، ولا يمكننا السيطرة عليها كلها."

ويملك كلا البلدين جزراً - مثل الباليريكس والكناري في اسبانيا. والازور والماديرا في البرتغال. ويتساهل رجال الشرطة في الجزر عادة مع المسافرين فلا يُخضَع الذين يدخلون شبه الجزيرة الايبيرية لتفتيش جمركي دقيق. ويقول احد الديبلوماسيين الاجانب في لشبونة: "نتيجة لهذا الوضع تشكل الجزر محطات رئيسية لتهريب المخدرات."

ان سهولة الدخول واللغات المشتركة تتيح لتجار امريكا اللاتينية مجال تنظيم الشبكات الضرورية لنقل مخدراتهم واخفاء اموالهم. عملياً يمكن جميع مواطني امريكا الجنوبية زيارة اسبانيا والبرتغال من دون تأشيرات. وهم يدخلونهما ويخرجون منهما بحرية تامة.

ويقول الكولونيل ايوسو: "هناك امريكيون لاتينيون كثيرون يعيشون في اسبانيا. ويبدو أن كثيرين منهم لا يقومون بأي عمل ولكنهم يعيشون برفاهية. ونحن نفترض انهم متورطون في تجارة المخدرات ولكننا نجد صعوبة في إثبات ذلك."

وإن تأكد للشرطة تورط هؤلاء، فهي قد لا تستطيع فعل شيء ضدهم. ففي شهر ديسمبر (كانون الاول) الماضي طلبت الحكومة الامريكية من اسبانيا توقيف المتهم اندي اغلاسياس وتسليمها ايّاه، ويعتقد انه عضو في "تكتل مادلين" في كولومبيا، وهو مطلوب لقيامه بعمليات ابتزاز. وكان اغلاسياس الذي اتهم بشحن ما يقارب الطن من الكوكايين من كولومبيا الى الولايات المتحدة الامريكية، يقضي وقته على شاطىء "كوستادل سول" منذ شهر اكتوبر (تشرين الاول) الماضي، وقد بعثت الولايات المتحدة ثلاث رسائل منفصلة تطلب فيها من اسبانيا اعتقاله. ويقول احد ضباط ادارة

مكافحة المخدرات الامريكية: "لقد زودناهم عنوانه ورقم جواز سفره وانواع سياراته وارقام لوحاتها ورقم هاتفه واسماء أقاربه واصدقائه، اضافة الى اسماء المقاهي المفضلة لديه، ولكننا ما زلنا ننتظر النتائج."

الوضع [illegible] وان وجدت الإرادة، تبقى الطاقة البشرية غير متوافرة. فاسبانيا تملك اقل من ألف شرطي وحارس مدني مولجين بمهمات مكافحة المخدرات. أما البرتغال فلديها اقل من ثلث هذا العدد. وكثيرون من الموظفين في هذا الميدان يتولون اعمالا إضافية اخرى. ويشرح احد الحراس المدنيين في برشلونة الوضع كالآتي: "هنالك ٣٥ عنصراً من وحدة الشرطة السرية مسؤولون عن مكافحة المخدرات في مدينة يقرب عدد سكانها من مليوني نسمة، ومهما حاولنا فاننا نبقى عاجزين عن السيطرة على الوضع."

وهناك الرواتب المتدنية التي لا تساعد على اجتذاب عناصر جديدة: فراتب موظف مكافحة المخدرات في قسم الشرطة القضائية في البرتغال لا يتعدى الـ٤٨٥ دولاراً في الشهر. والرواتب في اسبانيا ليست افضل منها بكثير.

والى الراتب المتدني يضاف الفساد في الادارة. ويقول احد الديبلوماسيين المعتمدين في برشلونة: "لقد واجهت البرتغال مشكلة الفساد في الشرطة القضائية قبل سنتين، ولكنها استطاعت ان تتخطاها. أنما اليوم فالمشكلة هي مع الجمارك."

ويلاحظ أحد المراقبين الاسبان انه "كلما ابتعدت عن مدريد، وجدت فساداً اكثر." وفي مالاغا، كان احد متعاطي تجارة الحشيشة يستعمل منزل أحد الحراس المدنيين مستودعاً للمخدرات. وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي اتهم عريفان من شرطة الباسك المستقلة في بيلباو بالمتاجرة بالمخدرات فاتضح انهما من قادة شبكة تستورد الكوكايين من كولومبيا وحدات تزن كل منها ثلاثة كيلوغرامات.

والمحاكم لم تنجُ، هي الاخرى، من الفساد. ففي العام ١٩٨٤ أتهم احد المدعين العامين قاضيين، احدهما عضو في المحكمة العليا، بقبول رشاوى لتبرئة الايطالي انطونيو بارديلينو المتهم بالانتماء الى مافيا نابولي المعروفة ب"كامورا"، والمسجون في اسبانيا في انتظار تسليمه الى الحكومة الايطالية. وهو متهم بتهريب المخدرات وابتزاز الاموال. وبعد تخليته بكفالة بلغت قيمتها ٤٥ الف دولار، اختفى فجأة. وعلى رغم ان التهمة بالرشوة اسقطت عن القاضيين، فقد حوكما بتهمة التآمر والتواطؤ مع المدعى عليه، وأبعد قاضي المحكمة العليا عن وظيفته، إلا ان القاضي الآخر عاد الى منصبه على رغم بقاء بارديلينو طليقاً.

وإن تعذر اثبات وجود الفساد في بعض الحالات، فإن قرارات غريبة صدرت عن المحاكم الاسبانية. مثلا: قضية جورج لويس اوكوا، وهو مربي ثيران وتاجر كوكايين مليونير وأحد قادة "تكتل مادلين." وقد أظهر تعطشاً الى الدم لا مثيل له حتى في كولومبيا. وفي يونيو

(حزيران) ١٩٨٤ سافر الى اسبانيا وتاجر كوكايين آخر مشهوراً يدعى جيلبرتو روديريفيز اوريجوالا. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) اعتقل في مدريد بموجب مذكرة جلب من الولايات المتحدة الامريكية.

وكان اوكوا واروبجوالا استثمرا اموالهما في مشاريع بناء على شاطئ "كوستادل سول"، وفي شراء شقة فخمة ومنزل في مدريد ومزرعة لتربية الثيران على الحدود الاسبانية - البرتغالية التي صادف مرور طريق قديم للتهريب فيها. ووجدت الشرطة في شقة اوريجوالا دفتر حساب يكشف كميات الكوكايين المبيعة في العام ١٩٨٣ والتي بلغ وزنها ٤٠٧٣ كيلوغراماً. ونجح محاموه في انقاذه من عشرين سنة على الأقل في سجون الولايات المتحدة. وفي مارس (آذار) ١٩٨٥ طالبت كولومبيا بتسليمها اوكوا لاستيراده ثيران المصارعة من اسبانيا بطريقة غير مشروعة، وهي تهمة تنطوي على حكم بالسجن لمدة سنتين على الأكثر ودفع غرامة تناهز المليون بيزيتا كولومبية. ثم اضيفت لاحقاً تهمة الاتجار بالمخدرات لدعم الطلب الكولومبي.

وفي يونيو (حزيران) سلم اوكوا الى كولومبيا، ليطلق بعد شهرين نتيجة اسقاط التهم الكولومبية عنه في شأن المخدرات وغرّم في قضية استيراد الثيران.

وهناك قضيتان امام المحاكم الاسبانية تعتبران امتحاناً لجدية اسبانيا في مكافحة المخدرات. ففي مارس (آذار) من السنة الماضية، رفع المشترعون الاسبان مدة الحكم في موضوع الاتجار بالمخدرات من ١٢ سنة الى ٣٠ سنة وفرضوا غرامات قد تصل الى مئة مليون بيزيتا. الى ذلك، خولوا السلطات مصادرة املاك التجار الذين يشترون المخدرات ويجنون ارباحاً غير مشروعة.

أول من سيخضع للمحاكمة بموجب هذا التشريع الجديد هو الكورسيكي جاك انطوان كانافاغيو، المتهم بملكية الحشيشة التي ضبطت الصيف الماضي في الكهف شمال برشلونة. وتقول الشرطة الاسبانية التي قامت بالدهم والمصادرة، أن كانافاغيو كان مزوداً لشبكات الحشيشة في فرنسا وبلجيكا والمانيا وايطاليا. ويعتقد انه تداول الهروبين والكوكايين ايضاً.

المتهم الآخر هو دنيس هوارد ماركس، وهو مغترب بريطاني يُعتقد انه كان يدير اكبر امبراطورية لتهريب الحشيشة والماريوانا من دارته في جزيرة مايوركا، ناقلا اطنان الحشيشة سنوياً من باكستان وتايلند الى الولايات المتحدة وكندا. وبعد تحقيق اجرته خمس عشرة دولة واستغرق ثلاث سنوات، اعتقل في أوائل الصيف الماضي على يد الشرطة الاسبانية بمساعدة موظفي دائرة مكافحة المخدرات. وهو ينتظر الآن قرار المحكمة في شأن تسليمه - او عدم تسليمه - الى الولايات المتحدة.

وبينما تنظر المحاكم الاسبانية في قضايا المخدرات، يخيم شبح هذه المواد على شبه الجزيرة الايبيرية ويتخطاها. وهناك توافق في الرأي بين معظم الحكومات الاوروبية على ان ثمة حاجة

كبرى الى التعاون على المستويين المحلي والدولي اذا أريد وضع حد لانفجار المخدرات الايبيري. وقد عينت النروج وفرنسا وبريطانيا ضباطاً دائمين في سفاراتها في مدريد لملاحقة قضايا المخدرات في اسبانيا والبرتغال.

ويقول الكولونيل ايوسو: "لن نحقق الكثير ما لم يتعلم الاسبانيون والبرتغاليون التعاون بشكل افضل. فالأمر يستدعي انشاء قوة مشتركة تشمل الجمارك وحرس الحدود والحرس المدني والشرطة، ويتطلب مساعدة فعالة من اوروبا وامريكا الشمالية، واشرافاً ممكناً من الانتربول. واذا توافرت الاساليب المناسبة يمكن ملاحقة التجار ومصادرة مخدراتهم واملاكهم وحجز أموالهم في المصارف." وفي حال تعرقل هذه الخطوات، لا يبقى للبلدان الاوروبية سوى توقع ازدياد تدفق المخدرات عبر شبه الجزيرة الايبيرية.

ويوافق على هذا الرأي جان فان دورين مساعد رئيس وحدة التقصي عن المخدرات في هولندا: "ان اسبانيا والبرتغال هما قناة الاتصال ببقية دول اوروبا. ودفاعنا يجب ان يبدأ من هناك."

شارلز بارميتر ■



قلب الأم

في ليلة عاصفة دخلت غرفة ابني الصغير فوجدته مختبئاً تحت حراماته. أخذته بيده المرتجفة وشرحت له أن ما يخيفه هو ظاهرة طبيعية. واقترحت عليه أن يراقب زجاج النافذة ليرى كيف يضيئه البرق، وبعد ذلك يسمع الرعد الذي يليه. وجلسنا نراقب البرق ونصغي الى الرعد. وبعدما غادرت الغرفة سمعت صوته الصغير يناديني: "مامي، الا ترغبين في رؤية البروق معي عبر الزجاج؟"

اليوم صار ابني الصغير شاباً مفعماً بالنشاط. وهو يمارس رياضة القفز بالمظلة. كانت قفزاته الاولى بالنسبة اليّ طعنات من القلق القاتل، الى أن أخذ يدي يوماً وقال: "ألا تريدين أن تشاهدي كيف أقفز وأهبط الى الارض؟" فلمعت في ذهني حادثة طفولته وحدتني الرغبة على القول: "يا بني، ألا تريد أن تأتي الى البيت وتبقى معي كما كنت تفعل عندما كنت صغيراً؟"

ا.ا.

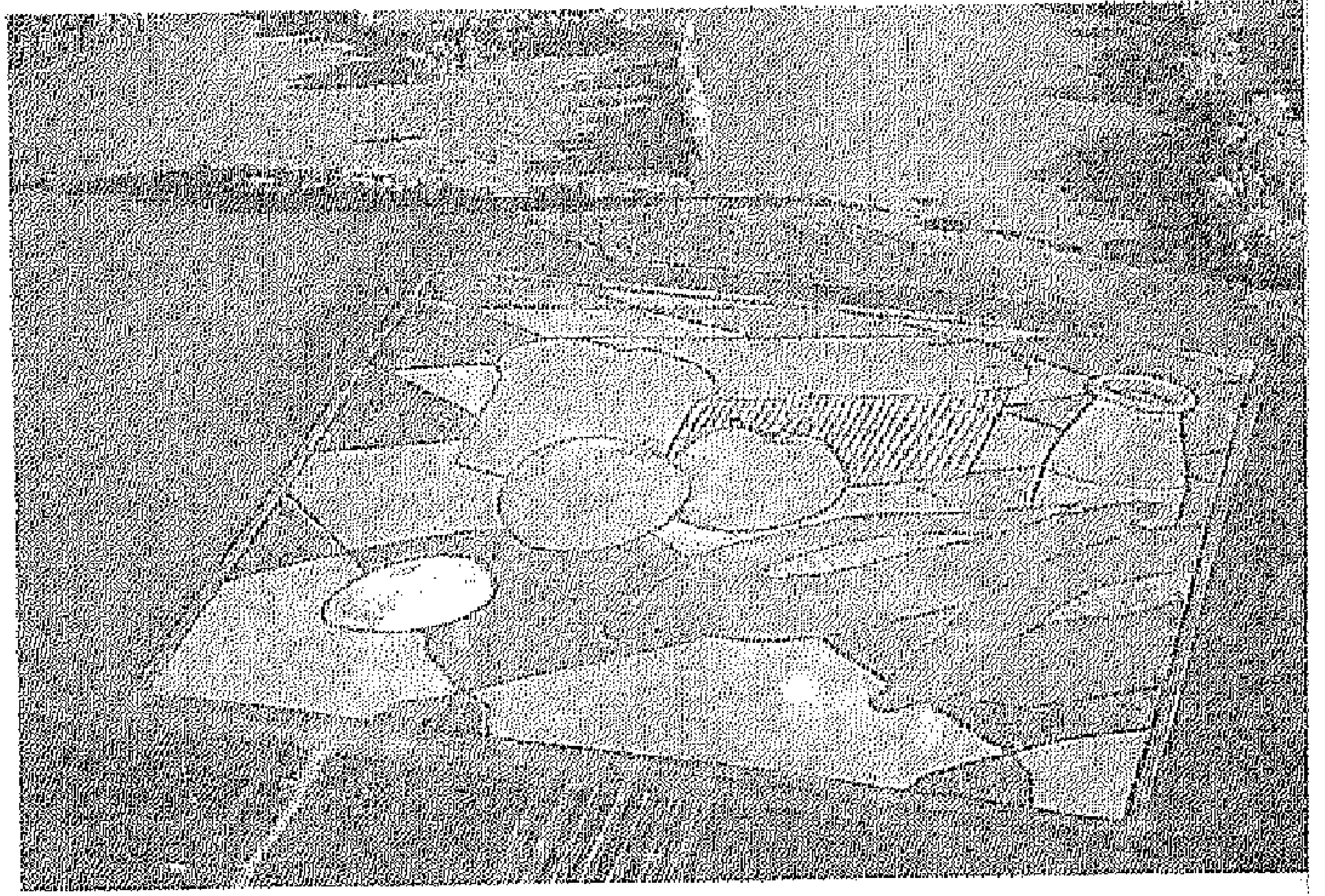
من شابه أباه

انتقلت عائلة نصار للسكن في شارعنا، وعندما اوقف الابن البالغ الرابعة من عمره درّاجته امام حديقتنا الامامية، حيّيته قائلاً: "كيف حالك اليوم يا جارنا العزيز؟" فرد: "بخير، شكراً." ثم سأل وقد اختلط عليه الامر: "... وهل ظننت انني الاب؟"

ن.ت.



لوحات على الأرض

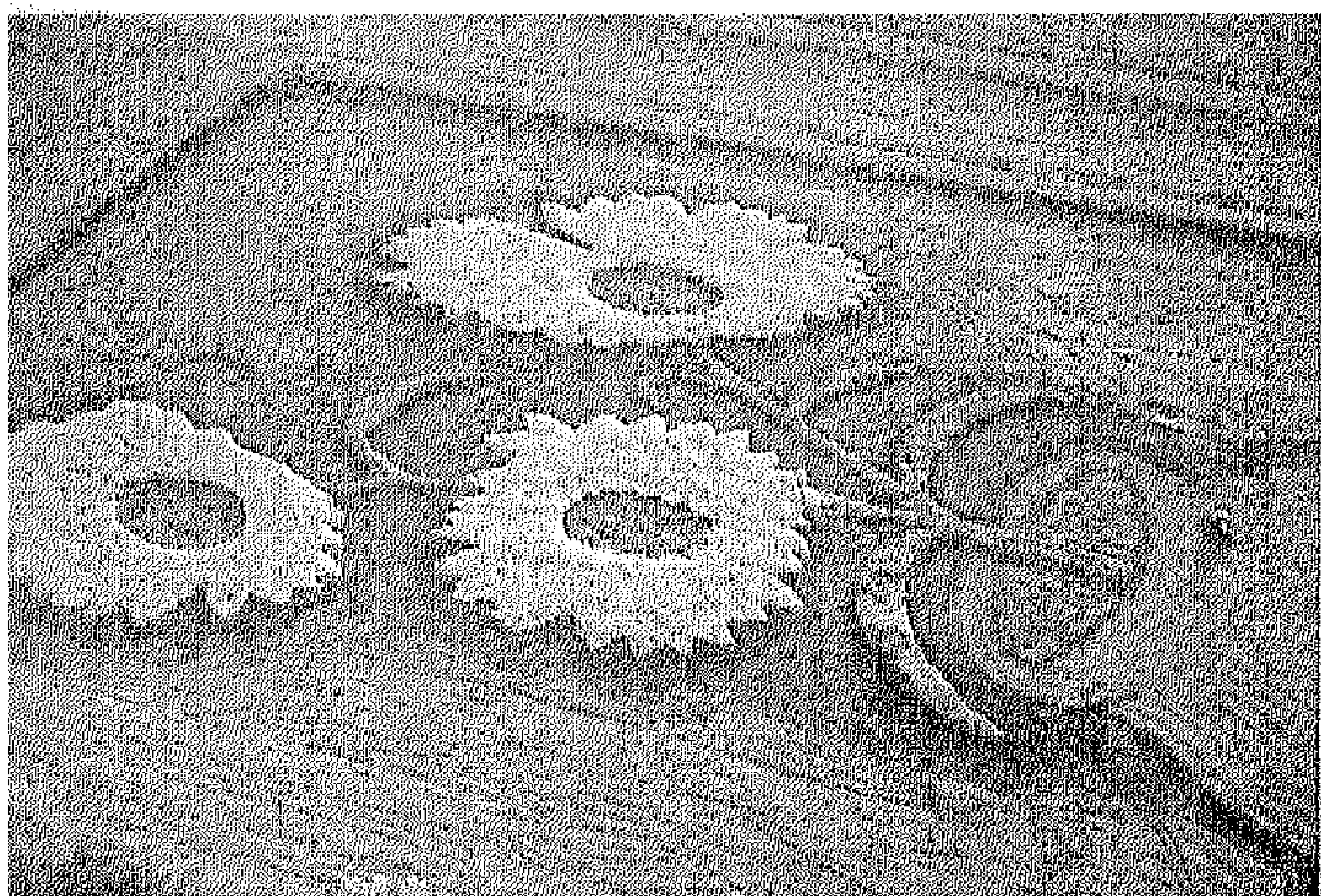


تحلق عاليا في سماء الصيف الملوّنة بالوان الزنبق فوق سهول كنساس الصفراء وتمتد الأراضي الزراعية المرقّعة الى مدى حدود البصر، ثم تشاهد فجأة في الحقول المترامية تحت ناظريك ثلاث زهور دوّار الشمس، زاهية، رائعة مدهشة تبدو كأنها أزهرت في بلاد أوز السحرية وليس في كنساس.

قيل ان الارض هي لوحة المزارع، والفنان ستانلي ج. هيرد اعطى معنى جديدا لهذه العبارة. فحين كان في السنّ الثانية عشرة حلّق بطائرته للمرة الاولى فوق الحقول المجاورة وشاهد كيف "رسمت الزراعة على الارض نماذج

(فوق) رأس ساغينو غرانت المهيب، وهو هندي من قبيلة ساك وفوكس، الذي التقط له الفنان صورة ذات مرة، يشاهد شاخصا من حقل قمح مساحته ١٦٠ الف متر مربع بالقرب من لورنس، كنساس. (الى اليسار) زهور دوّار شمس ضخمة، فول الصويا والبرسيم مزهرة في حقل مساحته ٨٠ الف متر مربع بالقرب من يودورا، كنساس.

Photos: © Daniel Dancer





"الحصاد" بالقرب من لنكولن، نبراسكا تصوّر محصول الارض في لوحة ساكنة بحجم ٤٨ ملعبا لكرة القدم.

المناظر الطبيعية منسجمة باللون والتصميم."

اما عدته الان للرسم فهي جرّار زراعي (تراكتور) ومحراث ذو سكتين وحصّادة ومسلفة قرصية: ومن الفصّة وزهور دوّار الشمس والصويا والشوفان ونباتات غيرها أخذ الألوان للوحته. فبهذه العدّة يرسم على الارض صورا حيّة وصوراً زيتية ساكنة. وهو يرسم تركيباته قياسا على شبكة خطوطها الافقية والعمودية متساوية الابعاد ثم يضبط دقتها من الطائرة.

يسمّي هيرد عمله "فن المحصول" ويشبهه البعض بعمل النازكاس الرؤيوي وهو عمل حضارة ازدهرت قبل ١٥٠٠ عام وخلّفت آثارا غامضة في مناطق الصحراء ببلاد البيرو. فأشكال ستانلي العملاقة كتلك الآثار تحظى بتقدير أفضل لدى مشاهدتها من الجو. وما ان يكمل عملا فنيا حتى يحيط الزبائن حالا بربابنة الطائرات المستأجرة المحلية طالبين نقلهم في الجو لمشاهدتها.

وعلى رغم حجم عمله الفني فانه أقل بقاء من اللوحات الزيتية. وكون محاصيل المزارع ضحية كل العلل التي تنزل بها، ففنّه يتغير مع الفصول، وتكاد تمحو يد الشتاء والصقيع البيضاء الباردة، مجرّد خطوط لوحاته الكفافية.

ويتساءل الناس ويسألونه لماذا اذاً يقوم بهذه الاعمال؟ فيرد هيرد: "نحن كلنا وكلاء زائلون على الارض ونحن ملتزمون الا نفسدها ونتركها لخلفنا كذلك. واود ان اعتقد ان اعمالي الفنية على الارض تثبت ان في امكاننا عمل شيء جميل انسجاما مع كوكبنا وان امّحى بعدها ولم يترك اي اثر. وهذا في نظري هو الفن."

غاري سلدج ■

الضحك خير دواء

المنحوس منحوس !

عندما كنت تلميذة في سن المراهقة شعرت برهبة المدرسين الذين ينادون الطلاب وفق الترتيب الابجدي لاسماء عائلاتهم اذ كان اسمي ناديا اسير. لذلك كنت ممتنة جدا لمعلم اللغة عندما اخبر الصف انه اعتمد خطة تجنب الطلاب الذين تبدأ اسماؤهم بحرفي الف وباء البدء بالتسميع. فهو إما ان ينادي الطلاب باسمائهم وفق الترتيب الابجدي واما ان يناديهم عكس الترتيب الابجدي. واذ تنفست الصعداء راح احد الزملاء يندب حظه.
فسأله المعلم: "ما القصة؟"
فاجاب الطالب: "اسمي امين يمين !"

م. أ. د.

عالمة في افريقيا

ذهبت عالمة اجتماع في بعثة الى احدى الغابات الافريقية، وعندما صوبت آلة التصوير لالتقاط صور للاولاد الافارقة وهم يلعبون، صاح الصغار محتجين. عراها الارتباك فاعتذرت من رئيس القبيلة لقلة احساسها، وقالت له انها نسيت ان بعض القبائل يعتقد بفقد الشخص روحه اذا اخذت صورته. وشرحت له بالتفصيل طريقة عمل آلة التصوير فيما حاول رئيس القبيلة مقاطعتها مرارا ولكن من دون جدوى.
واذ تيقنت انها بشرحها بددت مخاوف الرئيس سمحت له اخيرا بالكلام. فقال مبتسما: "كان الاولاد يحاولون ان يقولوا لك انك نسيت نزع الغطاء عن عدسة التصوير !"

ش. س.

بيت القصيد

كان زوجان يتجادلان بانفعال حول موازنة العائلة عندما انفجرت الزوجة قائلة: "لولا اموالي لما كان هذا التلفاز هنا، ولولا اموالي لما كنت تجلس في هذا الكرسي الوثير، ولولا اموالي لما كان هذا المنزل هنا."
فرد الزوج ساخطا: "طبعا ! ولولا اموالك لما كنت انا ذاتي هنا."

م. ف.

علكة للضغط

خلال رحلة طيران وزعت المضيفة علكة (لبان) على الركاب قائلة لهم انها قد تخفف الضغط في آذانهم خلال الهبوط. وبعد ان حطت الطائرة اقتضى اخراج العلكة من اذني احدى الراكبات ساعة كاملة !

ف. س.

كيف تتغلب

اشباح ووحوش طويلة الارجل تتسلل الى الاحلام وتزرع فينا الرعب

قالت سلمى: "كانوا يخرجون من ارض الحجرة: رجال اليون، عيونهم لولبية وينفثون دخاناً اخضر. هرعت الى المطبخ فرأيتهم يخرجون من الثلاجة. وكانت هناك عصابة مجرمين يرتدون سترات سوداء ويقفزون من عتبات النوافذ حاملين السكاكين. فقلت في نفسي: "انه كابوس وعليّ ان استيقظ."

سلمى متطوعة في مختبر للنوم حيث يعمد التقنيون الى ايقاظها في اللحظات الحاسمة لكي يدونوا احلامها. وجاء الرجال الاليون لزيارتها بعد الرابعة صباحاً، وهو الوقت الذي يفضله الكابوس، العدو القديم للإنسان.

معظم الكوابيس القاسية تشبه كابوس سلمى. إنها احلام يعمّ فيها شعور بالعجز ازاء الخطر المحدق، ويسيطر عليها العنف فتضجّ بقوة الضغينة والحقد.

من السهل ان نعزو وجود رجال الكابوس الاليين الى الافلام التي تهوى سلمى مشاهدتها، والسفاحين الى حادثة سرقة حقيقية كانت تعرّضت لها. لكن جوهر حلم سلمى هو الرعب، ذلك الوحش القوي الطاغي الذي كان ولا يزال يطبق عليها في الليل منذ طفولتها.

Illustration: Cynthia Torp



على الكوابيس؟

الاحلام والكوابيس. طالما افتتن الناس بالأحلام وتكاثرت الدراسات حول معانيها وحقيقة ما يحدث في الدماغ خلال الحلم. ولكن دراسة الكوابيس اهملت على نحو يثير التساؤل. ولم تبدأ هذه الاوضاع بالتغيّر الاّ أخيرا اذ أجريت دراسات حديثة لاكتشاف عدد الذين يعانون الكوابيس. وعلى رغم ان النتائج لا تزال غير حاسمة، فإنه من المنصف القول ان نصف الناس البالغين على الاقل يتعرّض لكوابيس من وقت الى آخر (أكثر من مرة في السنة) وان عددا قليلا لا يتجاوز ٥٪ منهم يتعرض لها على نحو منتظم (اي اكثر من مرة في الاسبوع).

وهنا اعتقاد سائد ببراءة احلام الاطفال، لكن كثيرا من المراجع المختصة يعتقد ان كوابيسنا تعود، في الواقع، الى طفولتنا. وتظهر الابحاث ان حياة الاطفال اثناء النوم فيها من القلق ما يفوق تصورنا، كما ان حياة اليقظة لديهم تنطوي على مخاطر وتحدّيات اكبر بكثير مما يودّ الوالدون اعتقاده. وتهاجم اشكال غريبة وغير واضحة الاطفال في مهودهم باستمرار وهم يفتقرون الى القدرة على التمييز بين ما هو خيّر منها وما هو شرير. وتقول دراسات حديثة ان هذه المخاوف قد تتحوّل كوابيس.

ولكن لدى البالغين، لماذا تصيب



الكوابيس بعض الناس من دون غيرهم؟

هناك بعض التلميحات حول هذا الشأن في دراسات كتلك التي اجرتها جامعة واترلو في اونتاريو، كندا. فمن بين ٣١٤ طالباً شملتهم الدراسة تبين ان طلاّب الآداب يتعرضون للكوابيس الليلية اكثر بثلاث مرات من الطلاب المتخصصين بالتربية البدنية، مما يشير الى أن بعض أنواع الشخصيات قد تكون اكثر عرضة للكوابيس من غيرها.

اما الجهد الأكثر طموحاً لتحديد اوجه التباين بين الشخصيات فقد قام به ارنست هارتمان البروفسور في كلية الطب التابعة لجامعة تافتس ومدير مركز اضطرابات النوم في مستشفى نيوتن - ولسلي في مساتشوستس.

فمنذ العام ١٩٧٧ اجرى هارتمان عدة دراسات حول اكثر من ١٠٠ شخص يعانون كوابيس متكررة وطويلة الامد، فأخضعهم لاختبارات نفسانية بإجراء مقابلات مع ذويهم ومقارنتهم بمجموعات ضابطة. وللحصول على متطوعين، نشر هارتمان إعلاناً في جرائد بوسطن. وتبيّن ان معظم المتطوعين لهذا الغرض كانوا من الموسيقيين والممثلين والفنانين وغيرهم ممّن يقومون بأعمال فنية خلّاقة.

الرعب الليلي. خلال ابحاثه، طرح هارتمان جانباً عدة اعتقادات قديمة عن الكوابيس. وهو يعتقد مع غيره من الباحثين ان الاحلام المخيفة ليست كلها كوابيس. فهناك الكابوس الحقيقي وهو حلم يكون في اكثر الاحيان طويلا ومعقداً وتبقى تفاصيله حية لفترة طويلة بعد الاستيقاظ. وهناك "الرعب الليلي" الذي يستفيق منه النائم فجأة وهو في خوف شديد وكثيرا ما يصرخ. ويجنح بعضهم الى السير وهو نائم. ويتكرر حدوث هذه النوبات في سن الطفولة وخصوصاً بين سنيّ الثالثة والثامنة ويمكن استمرارها بعد بلوغ سن الرشد.

وخلافاً للكوابيس الحقيقية، يحدث "الرعب الليلي" عادة في أول ساعتين من النوم، وعلى نقيض الكوابيس الحافلة بالاحداث، ليست هناك من قصة مرتبطة به ولا وجود ونياب او لدم يتقطّر. ولا يتذكر النائم شيئاً على الاطلاق، واقصى ما يمكن ان يتذكره شعور معين مخيف مثل الاحساس بشيء يضغط عليه.

وعدا التدابير الوقائية البديهية كالزام الاطفال ببرنامج نوم منتظم والتأكد من عدم وضع سرير طفل يسير اثناء النوم قرب نافذة مفتوحة، ليس هناك ما يمكن القيام به لجبه "الرعب الليلي". وفي مرحلة لاحقة من العمر، قد تحدث نوبات "رعب ليلي" مفاجئة نتيجة الإجهاد وتعاطي المخدرات أو الكحول.

الكوابيس الحقيقية. بعد انتهاء هارتمان من البحث في احلام الرعب الليلية انصرف الى دراسة الكوابيس الحقيقية التي اكتشف انها تأتي على شكلين يتصف كلاهما بالرعب، لكن الكابوس القياسي الذي يعود الى الطفولة نادراً ما يتكرر بتفاصيله، إذ يتغير شكل العدو المهدد وحجمه وشخصيته بين ليلة واخرى ومن سنةالى سنة. وكما في حال سلمى فإن اجزاء

متفرقة من تجارب جديدة تدخل في الكابوس، كما تساهم الكتب والتلفاز في تغيير خلفيته.

اما الفئة الثانية من الكوابيس فيتكرر فيها مشهد الرعب بتفاصيله المتطابقة التي لا ترحم. وهي تعقب عادة حوادث مفجعة ومدمّرة تعرّض لها الحالم مثل حادث سيارة أو حريق أو وفاة صديق حميم، وهي تجارب قاسية يصعب على العقل تقبلها. وخلافاً للكوابيس القياسيّة التي يتطلب حدوثها نوماً عميقاً، يمكن الكوابيس التي تعقب حوادث مفجعة ان تحدث في اي مرحلة.

وفي غالب الأحيان يتقبل العقل الرعب الواقعي تدريجاً الى ان يأخذ منحى التجارب الاخرى في نهاية المطاف، مقدماً بذلك مادة للاحلام العادية. ولكن في بعض الاحيان ترفض مثل هذه المخاوف ترك صاحبها مخلفة بذلك لديه شعوراً بالذنب والعجز يشل حركته. ان افضل ما نقوم به لمعالجة الكوابيس التي تعقب حالا مفجعة هو ان نحدّث بها افراد عائلتنا أو أحد الاختصاصيين.

ومع ذلك، فإن الرعب الذي نواجهه في الحياة لا يتحوّل كابوساً عند كل الافراد.

تشير دراسات هارتمان الى ان الذين يعانون كوابيس متكررة (مرة في الاسبوع على الاقل) يميلون الى العزلة. وهو يرى ان هؤلاء يعتبرون انفسهم متمردين وان بعضهم يشعر بأنه منبوذ.

ويشعر معظمهم، منذ الطفولة، بأنه يختلف قليلا عن غيره، فهو يجد صعوبة في التمييز بين الواقع والخيال، وفي ساعات النهار يجد نفسه منساقا في احلام اليقظة. وتظهر دراسات هارتمان ايضاً ان ذاكرة هؤلاء تعود الى الوراء ابعد بكثير من ذاكرة معظم الناس. وكثيرون من ضحايا الكوابيس المتكررة يستطيعون ان يتذكروا حوادث حصلت لهم ما قبل الثانية من عمرهم.

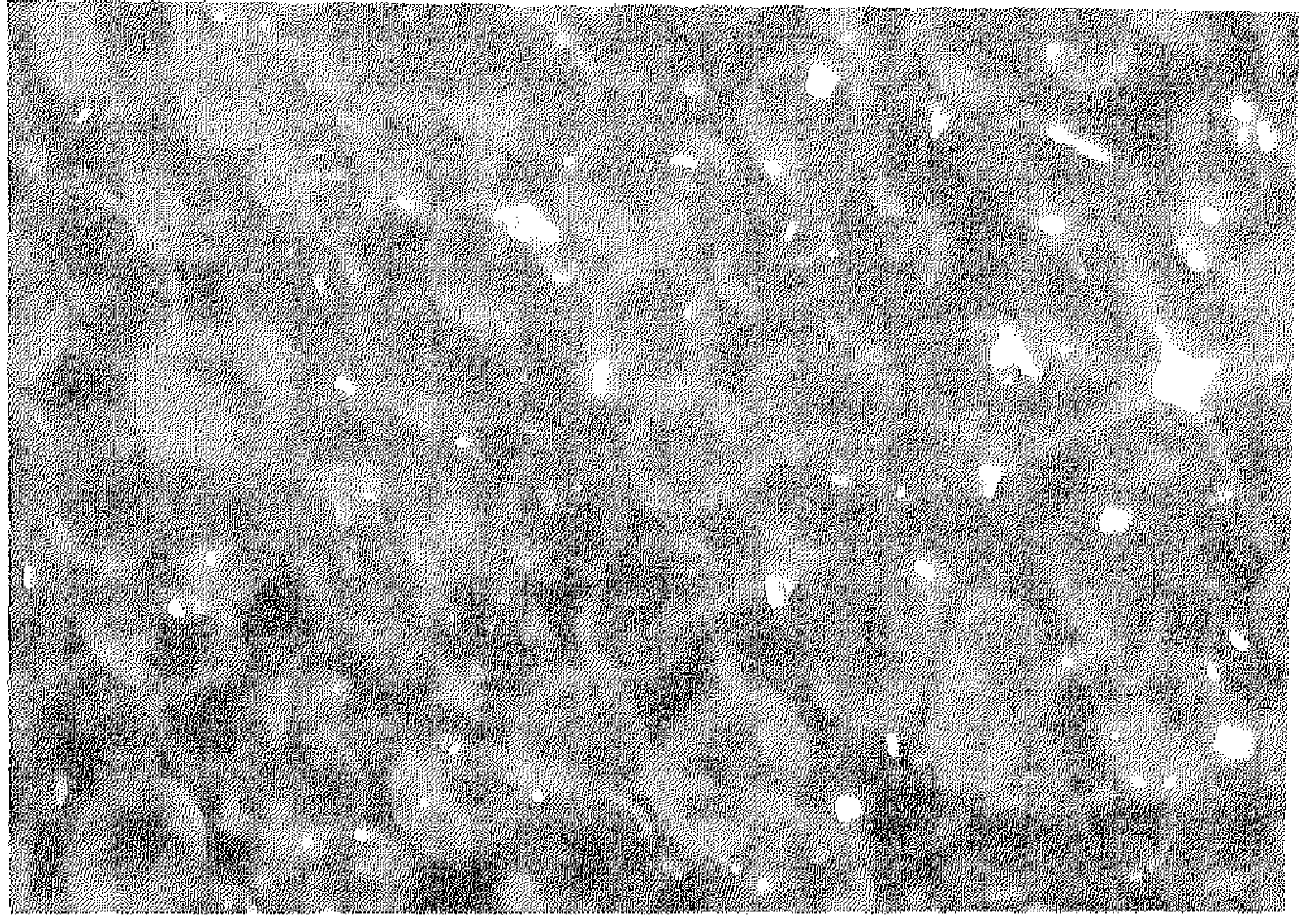
كيف يستطيع هؤلاء حل مشكلة كوابيسهم؟ قد يكون العلاج مفيدا، وبما ان حدوث الكوابيس يكثر إبان فترات الاجهاد فمن المستحسن ايضاً ان يعيشوا حياة هادئة قدر المستطاع. وفي الحالات القصوى هناك أدوية تعيق النوم العميق الذي يتصف بحركة العين السريعة(★) وهي الفترة التي يظهر فيها اكثر الكوابيس. ولكن لسوء الحظ، قد تنجم عن هذه الادوية اعراض جانبية غير مستحبة.

ربما توصّل الاطباء في النهاية الى معرفة ما يكفي للسيطرة على الكوابيس. لكننا في الوقت الحاضر نجد عزاء في معرفة بعض الامور. فالكوابيس تميل الى النقصان مع تقدمنا في السن. وعاجلا ام آجلا، لا بد للعقل أن يصبح قادراً على امتصاص الذكريات التي كانت مواجهتها مؤلمة في يوم من الأيام فيهدأ الكابوس ويتحول حلماً عادياً.

اعتادت احدى مريضات هارتمان ان تحلم بوحوش شبيهة باسماك القرش تخرج من المحيط لتنهشها الى ان تمكنت من حل مشكلتها، فرأت حلماً اخيراً عن هذه الأسماك. هذه المرة كانت الأسماك تخرج من حوض سباحتها وتلتف حول قدميها منتظرة منها ان تحك لها جلدها.

روبرت ويرنك ■

(★) REM (Rapid Eye Movement)





عامل منجم تايلندي يرفع كيساً صغيراً من البلاستيك اودعه حصيلة نوبة عمل صباحية.

حمراء ولامعة، تسلك كنوز الشرق الاقصى النادرة طريقاً شاقاً الى علب المجوهرات في العالم

اليَاقوت أغلى الحجَار

على بعد حوالى ٢٠٠ ميل جنوب شرق بانكوك، بدأت جرارات صفراء ضخمة وحفارات ميكانيكية يومها في العمل على تشويه الريف الأخضر الخصب، تاركة الأرض وراءها جرداء مبقعة. هنا تكمن الثروة تحت الاقدام، بكل معنى الكلمة. اذ تكتنز هذه البقعة المتوحشة من تايلند معظم ياقوت العالم ذي السطح الصغير. وبانكوك، عاصمة البلاد، هي السوق الأولى للشارين في العالم. ويفوق ما تصدره تايلند رسمياً من الياقوت الـ١٣٠ مليوناً سنوياً، الا انه يمكننا، استناداً الى احد تجار المجوهرات، اضافة نصف هذا المبلغ الى الرقم المذكور، لأن عدداً كبيراً من الصفقات يُعقد من دون ان يُسجَّل قط.

وفي منطقة بالكاد تبلغ مساحتها العشرين ميلا مربعاً، تجد ما بين ٢٥ و٣٠ حقلا لاستخراج الحجار الكريمة، تتركز في

Photos: Lindie Lapin

منطقة ترات ذات المجتمع المنجمي القاسي والسريع التغير، كما هي الحال في بوراي ونونغ بون.

ويعود بنا الجو هنا بالذاكرة الى الغرب الامريكي القديم. ففي زيارتي الأولى لبوراي، قُتِل رجل في تبادل للنار لأنه سرق ياقوتة من عامل منجم.

لا احد يعلم على وجه التحديد عدد الذين يعملون في مناجم الياقوت. ويبلغ العدد الرسمي لسكان مدينة بوراي، وهي كبرى مدن المناجم، ٣٦ الفاً. الا ان الرقم الحقيقي يفوق هذا العدد بكثير. ويشارك في عملية اصطياد الثروة هذه، عدد من المهاجرين غير الشرعيين كالمنغوليين وسكان بورما و"الخمير"، تحدوهم قصص تتحدث عن ياقوتة خام من عيار ١٥٠ قيراطاً عُثِر عليها عام ١٩٨٥ وبيعت بـ١،٢ مليون دولار. والياقوت هو من بين أندر الجواهر بين الحجار الكريمة، اذ يمكن العثور على الماسة ضخمة وكاملة، الا انه لم يُسمع قط عن العثور على ياقوتة ضخمة وكاملة. والياقوت أغلى ثمناً من الالماس اذا ما بيع قيراط من كل منهما.

وقبل قرابة ألفي عام قبل الميلاد، سُعِّرَ الياقوت لجماله وندرته. وكانت هذه الجوهرة دائماً رمزاً للغنى المترف ولمكانة الطبقة الاجتماعية. وتزخر تيجان السلالات الاوروبية والآسيوية، على حد سواء، بالياقوت البديع، حتى ان نقشاً لملكة بريطانيا اليزابيت الاولى محفور على ياقوتة كبيرة. وعام ١٩٨٦ أهدى الأمير اندرو الى خطيبته خاتماً من الياقوت.

جوهرة شرقية. الا ان الياقوت على رغم كل ما سبق يبقى جوهرة شرقية. اذ كان مصدرها، ولا يزال، الشرق الأقصى. وكان الياقوت دلالة على الغنى والقوة بالنسبة الى الملوك الآسيويين عبر التاريخ. وقصص الرحالة مليئة بأخبار عن ياقوت لا يُقدَّر بثمن ويفوق كل تصور. ويصف الرحَّالة ماركو بولو في كتابه "رحلات" ياقوتة لأحد ملوك جزيرة سيلان قائلا: "طولها بطول راحة اليد، وثخانتها بثخانة ساعد رجل. انها ألمع ما يمكن حمله في العالم...".

وبلغت الرهبة التي يوحيها لون الياقوت الأحمر درجة جعلت الشرقيين، في العصور القديمة، يعتقدون انه ينبض بالحياة وأنه ينضج داخل الأرض كأي ثمرة أخرى. حتى ان صحف القرون الوسطى وصفت الياقوت كعلاج لعدد من الأمراض المزمنة من طريق تناوله في شكل مسحوق أو بمجرد ابقائه ملامساً للجلد.

وكان الياقوت يُعرف في الهند باسمه السنسكريتي اي "الراتناراج" وهي كلمة تعني "ملكة الحجار النفيسة".

وكان سكان بورما يعتقدون ان الياقوت يجعل الانسان لا يُقهر في المعارك، حتى ان المحاربين كانوا يخبئون حجاراً كريمة داخل ثيابهم. وفي تايلند، تيجان الملوك وصوالجهم والازياء الموسمية لبوذا الزمردي اللون، وهو الشخصية التي يُكَنُّ لها اجلّ احترام في البلاد، مرصَّعة كلها بالياقوت فضلا عن حجار كريمة أخرى.

من التاسع عشر. تعود اعمال التنقيب عن الياقوت في تايلند الى

أواخر القرن التاسع عشر، وهي تقليدياً اعمال خاصة تقوم بها مجموعة من ثلاثة او أربعة حفّارين مزودين أوتاداً صغيرة. وبدأت عمليات التنقيب بالانتشار منذ الستينات. وتدير حالياً الحقول الاكثر انتاجاً للياقوت، شركات خاصة تستخدم مئة عامل او اكثر. وبحلول اواخر الستينات، بلغ انتاج تايلند من الياقوت ما يفوق انتاج أي بلد آخر في العالم. الا ان مناجم هذه البلاد لا تنتج اليوم الا كمية أقل مما كانت تنتجه قبل سنتين أو ثلاث، جاعلة بذلك العثور على جوهرة نادرة، أمراً نادراً اكثر. وهكذا جازف عمال المناجم الفقراء والذين يعملون على حسابهم، بحياتهم للتنقيب بصورة غير شرعية داخل كمبوديا المجاورة.

انها مهنة محفوفة بالمخاطر والأهوال، خصوصاً ان ثوار "الخمير الحمر" ما زالوا ناشطين، كما ان منطقة الحدود الواقعة بين كمبوديا وفيتنام مزروعة بالألغام. ويعبر ما بين خمسة وعشرة آلاف منقب المسافة التي تفصل قرى مثل بوراي ونونغ بون، عن كمبوديا سيراً على الأقدام يحدوهم اعتقاد ان الجوهرة التي سيُعثر عليها ستكون الأضخم الى الآن. وبرقابة "الخمير الحمر"، يعثر المنقبون على الياقوت بعد ان يحفروا حفراً صغيرة ويصفّوا الحجار والأتربة في أوعية صغيرة مستديرة مصنوعة من الخيزران.

وعلى نقيض عمليات التنقيب البدائية في كمبوديا، بوشر استعمال الآلات في التنقيب عن الياقوت في ترات منذ الستينات. وقد أدهشني منظر الجرارات والحفارات الميكانيكية وهي تحدث حفراً ضخمة بطول يراوح بين ٢٠ و٣٠ متراً وعرض ثلاثة امتار وعمق يصل الى عشرة امتار.

وما ان يتم فرش الحصى والاتربة التي تكتنز الياقوت حتى تغسل خراطيم المياه القوية الضغط التربة الغنية بالمعادن. ويعمل منقبان او ثلاثة مزودون خراطيم يدوية في قعر الحفرة، فيوجهون سيل الوحل والحصى الى حوض مجاور. وتُسحَب التربة من الحوض بواسطة مضخات من الحفرة الى آلة اخرى تُعرف "بالخضّاضة." وتقذف الخضاضة الحجار الكبيرة وبقايا الوحل وترسل الطين الحامل الحجار الى أوعية ضيقة، بينما تُقذف المياه والوحل والطين من الطرف الآخر من الخضاضة. وما ان تُملأ الأوعية، حتى تُجمع البقايا التي تحوي الحجار الكريمة تمهيداً للفرز اليدوي.

تجارة دقيقة. ان التنقيب عن الياقوت عمل مضنٍ. الا ان الحماسة التي يثيرها العثور على ياقوتة جميلة تعوِّض العمل المرهق. ومعظم الارباح تُجنى من الإتجار بها. فقد وجد احد المنقبين ياقوتة خاما من عيار ٦٠ قيراطاً قبل سنوات وباعها بثمانية آلاف دولار. وسمع في ما بعد انها بيعت بـ١٤٠ الف دولار.

وتمر تجارة الياقوت بمراحل عدة. وتزيد اسعاره بنسبة تراوح بين ٣٠ و٤٠٪ في المئة لدى انتقالها من يد الى اخرى. يشتري المهربون الياقوت الخام غير المصقول من المنقبين ويبيعونه في الاسواق عند الصباح الباكر. ويُعرض الياقوت في بوراي على طاولات مصفوفة

على الجانب الغربي للشارع الرئيسي المواجه للشمس المشرقة. يلتقط الشاري المُحتمل الجوهرة ويوجهها نحو الشمس لكشف اي شق او عيب فيها. وتجارة الياقوت ناشطة، فأكياس البلاستيك الصغيرة التي تحوي الياقوت الخام في تنقل مستمر من يد الى اخرى. ويراقب رجال الشرطة المزودون ببنادق "م - ١٦" ما يجري في الجهة الأخرى من الشارع. فهُم لا يسمحون بتعريض هذه التجارة للخطر خصوصاً انها قادرة على إثارة خلافات اسرع من اي تجارة أخرى.

وتدور الحلقة التالية لهذه التجارة في شانتابوري العاصمة الاقليمية المجاورة، حيث يأتي قرابة ثلاث مئة تاجر من بانكوك في عطلة نهاية الاسبوع لشراء الياقوت المشذب.

وقد امضيتُ اخيراً يوماً هناك برفقة مينغ ساي تاي وهو تاجر ياقوت من بانكوك، في احدى رحلاته التجارية المنتظمة. ومتجر مينغ هو عبارة عن دكان صغير ذي واجهة مفتوحة يجلس فيه لساعات الى طاولة عليها ادوات تجارته: عدسات مكبرة، موازين، ملاقط صغيرة، مصباح كهربائي بحجم القلم ووعاء صغير مغطى بورق ابيض قديم، بينما يُحضر سيل من المهربين ياقوتات منفردة او مجموعة من الياقوت من كل الاحجام والأنواع لبيعها.

ويفحصها مينغ بعناية، فيتناول كل واحدة منها بملقط ويوجه الضوء الى داخلها باحثاً، بواسطة عدسات، عن شق او عيب فيها. ثم يزين الجوهرة. بعد ذلك يقلّب الحجر الكريم في الوعاء المغطى بالورق الابيض ويعاينه من كل الزوايا.

وتدور محادثة قصيرة تسمع بعدها عبارة "ماي سواي" المقتضبة التي تعني "غير جميلة." او تظهر ايماءة بالرأس دلالة على القبول أو الرفض. وتجري عادة مساومة ودية حول السعر قبل ان تنتقل الجوهرة من يد الى اخرى.

سوق بانكوك. تباع الجواهر في بانكوك، وهي اضخم سوق لبيع الياقوت في العالم، الى تجار دوليين وبعض الصاغة المحليين. وتُحدد اسعار الياقوت وفقاً لأربعة معايير: اللون، الصفاء، الشكل، الوزن (بالقيراط). ونظراً الى ندرة الياقوت الكبير نسبياً، ترتفع اسعاره على نحو غير متجانس ووزنه. اي انه اذا بيعت ياقوتة عيار قيراط واحد بسعر يراوح بين ثماني مئة وثلاثة آلاف دولار فقد يصل ثمن القيراط الواحد في ياقوتة مماثلة يبلغ وزنها قيراطين الى ستة آلاف دولار، كما قد يبلغ ثمن القيراط لياقوتة وزنها ثلاثة قراريط عشرين الف دولار او اكثر.

واللون الأحمر النقي الشبيه بلون اشارة السير هو الأغلى ثمناً. وللياقوت في تايلند ألوان اخرى كالأحمر القاتم المشوب بمسحة زهرية اللون، او البرتقالي او الاسود. وتختلف قيمة هذه الحجار الملونة باختلاف جنسيات الشراة. فالشراة اليابانيون والألمان يفضلون عادة الظل الضارب الى اللون الزهري، بينما يفضل الاوستراليون والبريطانيون اللون الأحمر الأدكن الضارب الى السواد.

ونظراً الى اختلاف الأسعار على نحو

كبير، وفقاً للون الياقوت، تُعالج اليوم هذه الجواهر بالحرارة وهي عملية لا تزال موضع نقاش، قادرة على اضفاء المزيد من الجمال عل اللون او النقاوة. ويعرّض تجار الياقوت في بانكوك الحجار لحرارة قد تصل الى ألفي درجة مئوية، وذلك باستعمالهم الفحم الخام او الغاز ذا التكنولوجيا المتطورة أو الافران الكهربائية. فالحرارة تخفف من عتمة اللون وتفتحه. واذا ما تمت العملية كما يجب امكن الحصول على جوهرة أغلى ثمناً. ولا يمكن عادة الا لخبير ان يعرف هل الياقوتة معالجة أم لا.

والمعالجة بالحرارة عملية مقبول بها اليوم تجارياً. ويقول "هنري هو" المدير التنفيذي لـ"المركز العالمي لتجارة المجوهرات" في بانكوك: "في الواقع كل الياقوت التايلندي معالج ويرى المتعاملون بهذه التجارة، ان المعالجة ليست سوى طريقة لتحسين عمل الطبيعة."

ويعرب ريتشارد هيوز النائب التنفيذي لرئيس "المعهد الآسيوي لعلوم الجواهر" في بانكوك عن اعتقاده ان "المعالجة بالحرارة ليست عملية غش، اذا ما قيل للشاري ان ياقوتته معالجة."

الا انه لا احد ينكر ان هذه العملية محفوفة بالخطر. فخطأ واحد وتتحطم الجوهرة او تنفجر فتصبح من دون قيمة. انها مثل الميسر. كذلك الأمر في تجشم الطريق الى كمبوديا في مهمة للتنقيب.

منذ فجر التاريخ والانسان يركب الاخطار للحصول على الياقوت. يقول ريتشارد هيوز: "عندما تعاين ياقوتة جميلة، ينتابك شعور غريب، فاللون مذهل وكأن لا نهاية له. انها اغلى ما في الطبيعة."

جون هوسكين ■



تستير علمي

شرح رجل لطبيبه أنه لم يعد قادراً على تأدية كل المهمات المنزلية التي كان يتولاها من قبل. وبعد الفحص قال للطبيب: "أنا مستعد لسماع رأيك الصريح، فقل لي بلغة بسيطة ما الذي أشكو منه."

- بلغة بسيطة، أنت كسول.

"حسناً، الآن أعطني التعبير العلمي لكي أخبر زوجتي."

هـ.هـ.

إطباق الفم مفيد في حالين: عندما تكون على وشك الكلام ضد شخص ما، وعندما تقدَّم اليك الحلوى.

أ.ب.

مارغريت تاتشر قائدة مُعاصِرة

ابنة حانوتي اصبحت رئيسة واحدة من كبرى دول العالم

ليس حكم مارغريت تاتشر ظاهرة بريطانية فحسب، بل هو يتعدى بريطانيا الى العالم الأشمل. ومنذ ونستون تشرشل لم ينل زعيم بريطاني اعجاباً عالمياً كالإعجاب الذي تحاط به السيدة تاتشر في كل انحاء العالم. ففي مجال واحد على الاقل ـ اي الطريقة التي تعالج بها البلدان الاخرى شؤونها الاقتصادية ـ كان لها تأثير اكبر مما عرفه تشرشل.

ومنذ تسلمها الحكم عزمت على تقليص التبذير بتشجيع "البادرة الفردية" معيدة الى القطاع الخاص صناعات القطاع العام غير المجدية مثل غاز المنازل والهاتف والخطوط الجوية والصلب والنفط، وهي مصممة على انتهاج السبيل نفسه بالنسبة الى مياه الشفة والكهرباء والفحم الحجري والسكك الحديد.

ونتيجة لذلك لم تعد هذه الصناعات تكلّف دافعي الضرائب شيئاً. فصناعة الصلب البريطانية "بريتش ستيل"، على سبيل المثال، كانت سجلت كمؤسسة تملكها الدولة خسائر هي من افدح الخسائر لشركة في التاريخ، الا انها تصنّف الآن بين الشركات ذات الإنتاج الأدنى كلفة في العالم وهي تغلّ ارباحاً ضخمة. والأهم من ذلك ان عدد الناس العاديين الذين اشتروا اسهماً في الشركات الخاصة قفز من ثلاثة ملايين عام ١٩٧٩ الى تسعة ملايين في هذه الأيام. وهذه الزيادة المضاعفة ثلاث مرات هي خطوة جبارة نحو ما تُطلق عليه رئيسة الوزراء اسم "الرأسمالية الديموقراطية"، وهو مفهوم قد ترغب في محاكاته بلدان اخرى تنوء حكوماتها تحت نفقات عامة ضخمة. ويزور خبراء من انحاء العالم بريطانيا للتعرف الى طريقة أداء المبادرة الخاصة. حتى زعيم الاتحاد السوفييتي ميخائيل غورباتشوف الذي بدأ يجيز للعمال ابتياع اسهم في مؤسسات الدولة الاقتصادية، كان يدرس المناهج البريطانية.

وتسجّل لمارغريت تاتشر مأثرة اخرى في السياسة العالمية. ففي الستينات والسبعينات من هذا القرن، ساد شبه اقتناع بأن الإدارة الإقتصادية السليمة

أمر مستحيل في الدول الديموقراطية بسبب الدورات الانتخابية المنتظمة. فلكي يفوز الزعماء الحكوميون بالإنتخابات كان عليهم التخلّي عن قرارات سياسية غير مستحبّة على الصعيد الشعبي قبل ان يتسنى لها الوقت الكافي لاظهار فاعليتها. فبرهنت رئيسة الوزراء تاتشر خطأ هذه الفرضية.

فعندما تسلمت تاتشر مقاليد السلطة في ١٩٧٩ كانت نقابات العمال القوية قد ادّت الى قيام صناعات هي الاكثر افراطاً في توظيف العمال بين دول البلدان المتقدّمة، مما تسبّب في تضخّم كبير. ولم تبدأ عمليات الصرف القاسية التي نظمتها باظهار نتائج ملموسة قبل النصف الثاني من الثمانينات. وفي اثناء ذلك ارتفعت معدّلات البطالة الى مستويات اسوأ بكثير مما توقعته تاتشر. لكن الخوف لم يساورها مرة، فما وهنت ولا خففت تدابيرها العلاجية المُرّة. ولم تنقلب الامور ضدّها بل على العكس، فازت في انتخابات ١٩٨٣ بغالبية كبيرة وجددت النصر في ١٩٨٧. اما الآن فالبطالة منخفضة والنمو الاقتصادي في بريطانيا هو الاعلى في اوروبا.

ولاحظ رجال الدولة في انحاء العالم ان تصميم تاتشر ومثابرتها اتياها بالمغانم الإنتخابية والإقتصادية على حد سواء، فاستجمعوا شجاعتهم لينسجوا على منوالها. ولعلّ هذه اهمّ امثولة علّمتها تاتشر.

الشخصية القيادية. ما هي الصفات التي اهّلت مارغريت تاتشر للنهوض بوطنها من وهنه وقنوطه لتمثيل دور عالمي؟ فهي شخص عادي من نواح كثيرة، ترعرت، كابنة قوية المراس لصاحب حانوت ثابت الرأي في لينكولنشايري، وعلّمها والداها كما علّما اخواتها العمل المضني ومخافة الرب ومحبة الخير العام. وعندما كانت طالبة كيمياء في جامعة أوكسفورد حصلت على جوائز عدة، توجهت بعد ذلك نحو المحاماة وتخصصت بقانون الضرائب. وفي ١٩٥٩ كان دخولها البرلمان امتحاناً عسيراً آخر نجحت فيه. ثم كان هدفها التالي تسلم حقيبة وزارية، وقد تم لها ذلك في العام ١٩٧٠ عندما عُيّنت وزيرة للتربية، وهو منصب يُعتبر، تقليدياً، قِمة طموحات النساء في الحكم.

ثلاث صفات حملتها الى الدوائر السياسية العليا وهي طاقتها الفائقة وحسّها البسيط بالاستقامة، وأهم من ذلك، شجاعتها النادرة.

ربّما كانت طاقة مارغريت تاتشر في العمل هي اكثر ما يستوقف المراقب. فهي تبدو قادرة على العمل المتواصل لفترات طويلة مكتفية بخمس ساعات من النوم يومياً فقط. وتمضي ساعات يقظتها كلها في العمل الفعلي. وعندما لا تجد ما تعمله تلجأ الى ترتيب رفوف الخزائن - وهو دليل على ولعها بالنظام.

وتدل رغبتها في قراءة كل موجزات ملفاتها بالكامل على امتلاكها معرفة مفصلة لنهج جهاز الحكم، وهو امر نادر للغاية وأحد مصادر سيطرتها على المسرح السياسي البريطاني.

وحدث مرة أنّ اصدقاءها ساورتهم

خشية من ان تصاب بإرهاق. وفي العام ١٩٨١ حثثتها على الاستفادة اكثر من ايام عطلتها. وقلت لها: "عليك ان تتذكري ان ازمة مروّعة قد تنشب على نحو غير متوقّع فتضطرك الى بذل احتياطي الطاقة الي لن يكون متوافراً لديك." فسلمت بمنطقي لكنها قالت: "في الحقيقة لا أحب ايام العطلة، انها تضجرني."

وبالفعل، حصلت الازمة غير المتوقعة في السنة التالية عندما استولى الارجنتينيون على جزر الفوكلاند. ولأسابيع خلال الحملة البحرية والانزالات البريطانية، لم تذق رئيسة الوزراء طعم النوم الحقيقي ولا ريب ان عبْء القلق كان ساحقاً، ومع ذلك تجاوزت هذا الاختبار العنيف بصحة ممتازة ومعنويات مرتفعة. ومنذ ذلك الحين لم يعُدْ أحد يقلق إن هي لم تنعم بالراحة الكاملة.

ومصدر القوة الثاني في شخصية مارغريت تاتشر هو حسها القوّي بالفرق بين الصواب والخطأ. وهي تدرك أهمية تجسيد السياسي بضعة افكار واضحة تضرب على الوتر الخلقي لدى الشعب. وتتمتع تاتشر بالاستقامة وبيقين خلقي محافظ.

تستمد تاتشر هذه السمات من ايمانها الديني ومن والدها. فهو كان ناشطا في السياسة المحلية وعلّمها ان تدخل الى الخدمة العامة مبادىء الاستقامة والصدق.

من هذه الناحية، مارغريت تاتشر هي زعيمة بحسب التقليد السياسي المعاصر: فخلافاً لمعظم السياسيين البريطانيين تراها تساوي بين الحكم الجيد والأخلاق. ولم يمضِ وقت طويل على فوزها بزعامة حزب المحافظين في العام ١٩٧٥ حتى اسرّت اليّ بالآتي: "انوي مصادرة المبادرة الخلقية من حزب العمل." وهذا ما انجزته بالتأكيد. لكنها في وقت مبكر من ١٩٨٨، وعلى اثر امتلاء الخزينة والتخفيضات الضريبية الداعمة للقوة الشرائية لدى المستهلك، احسّت انها في خطر فقدان موقعها الرفيع، لذا انطلقت فوراً في حملة خطابية ملقية سلسلة من الاحاديث التي تؤكد على الجذور الخلقية لفلسفتها السياسية. وقد حاولت بنوع خاص ان تبرهن ان نظاماً قائماً على العمل الحر، حيث مساعدة المعوز خيار خلقي، يتفوق على اي نظام آخر قائم على فرض ضرائب مرتفعة وحيث الاحسان واجب يفرضه القانون. واستشهدت بجون وسلي: "اربح ما استطعت؛ وفّر ما استطعت؛ اعطِ ما استطعت."

اثارت هذه الخطب بعض الملاحظات الساخرة في وسائل الاعلام. لكن هناك دلائل كثيرة على أن ملايين الناس تفضّل ان تعرض عليها السياسة بتعابير خلقية بسيطة. وفي الواقع، تلتقي مارغريت تاتشر الى حد بعيد ومعظم العائلات البريطانية في نفسيّتها ومشاعرها السياسية. وعندما يتهمها اعداؤها بأنها تدغدغ عواطف العامة تجيبهم: "انا سياسية شعبية. وهذا يريحني."

اما في السياسة المالية فمبادئها هي تلك التي تعمل بها كل ربة بيت فطنة: تبضّع بتأنٍ. لا ترفع قيمة الفاتورة. اذا كان عليك الاستدانة فسارع الى وفاء

دينك. احفظ قرشك الابيض ليومك الاسود. وإذ مارست تاتشر هذه المبادىء الاقتصادية البديهية، تدبّرت امر ايفاء مقادير كبيرة من الديون الخارجية، وحولت بريطانيا ثالث بلد دائن في العالم (بعد اليابان والمانيا الغربية) وتولّت الاشراف على فائض متنامٍ في الميزانية.

واذا ما اتخذت مارغريت تاتشر قرارها واقتنعت بأنه الصحيح فليست هناك قوة على الارض تستطيع دفعها الى تبديله. وهذا ناتج من فضيلتها الثالثة: الشجاعة. وليس بين السياسيين الذين شملتهم بدراستي مَن تحلى بهذا المقدار من الشجاعة، حتى تشرشل نفسه.

كانت الشجاعة ما جعل حزب المحافظين يسلمها زعامته في المقام الاول. ففي نهاية ١٩٧٤ افترض الجميع ان السر كايت جوزف الناصح المخلص لتاتشر وزعيم الجناح الايمن للحزب، سوف يتحدى زعيم الحزب ادوارد هيث على المركز. لكنّ هذا كان رجلاً جهماً رهيباً، وفي الدقيقة الاخيرة استولى الذعر على جوزف وقرر الانسحاب. وإذ كانت تاتشر عازمة على عدم خسارة الانتخابات من دون معركة، سدت بعصبية ثغرة انسحابه. لم يكن احتمال الربح في جانبها، وكان من شأن فشلها ان يقضي على مستقبلها السياسي. لكن اعضاء البرلمان الاصغر سنا استجابوا لبسالتها وانتدبوها للمهمة. فكان ذلك امثولة لتاتشر بأن الشجاعة هي قضية محققة لا بدّ ان تؤتي ثمارها.

لم تنسَ تاتشر هذه الامثولة ابداً، وتذكرتها في حرب الفوكلاند - التحدي الذي ما كان ايُ سياسي من جيلها الا ليرفضه - فجبهته وربحته. كذلك تذكرتها خلال اضراب عمال مناجم الفحم الحجري في ١٩٨٣-١٩٨٤ الذي كان بمثابة محاولة عمالية لاسقاط الحكومة بالقوة. فقد تحدت الاتحاد الوطني القوي لعمال المناجم وهزمته.

شاهدتُ شجاعة مارغريت تاتشر على المحك في مؤتمر حزب المحافظين في برايتون عام ١٩٨٤، بعد ان حاول "الجيش الجمهوري الايرلندي" اغتيالها بتفجير فندق "غراند اوتيل". فقد نجت من موت محتم. وعلى رغم الصدمة والحزن لخسارة اصدقاء لها، اصرّت بتحدٍ على البدء بالمؤتمر وفق البرنامج المقرر لذلك الصباح، وكانت حاضرة لتشهد تنفيذ اوامرها. وافاضت بعد الظهر في الخطاب الاكثر إثارة الذي سمعته منها.

الديك والدجاجة ليست عائلة رئيسة الوزراء مصدراً صغيراً للقوة بالنسبة اليها. فابنها مارك وابنتها كارول غاليان جدا على قلبها وهي تحضنهما بقوة. وهي الزوجة الثانية لرجل يكبرها سنا بكثير، دنيس تاتشر رجل الاعمال الناجح. وهو يفخر بانجازات زوجته ويدافع عنها بانفعال. وخلال انتخابات ١٩٨٣ غالباً ما كان يحضر مؤتمراتها الصحافية اليومية معلقاً بتذمّر على ما يوجه اليها من اسئلة عدائية.

ومارغريت تاتشر هي اكثر تعويلاً على زوجها مما يتخيله الكثيرون. فهي تقدِر نصحه (حتى وان لم تأخذ به) وتشجيعه.

خلف قناع السيدة الحديد تملك مارغريت تاتشر ما يعتبر تقليدياً جانباً انثوياً. فهي شديدة الاهتمام بالملابس والمطبخ والحميات الغذائية والستائر وورق الجدران. ويعني لها مظهرها الشيء الكثير فهي تمتلك موهبة خارقة في الظهور بمنتهى الأناقة ان من حيث تصفيفة شعرها أو من حيث ثيابها التي تبدو كأنها لم تلبس من قبل، حتى وان يكن ذلك في فترات الضغوط المرهقة.

وعلى رغم بذلها جهودا كبيرة لاقناع المجتمع بأن النساء جديرات بالسلطة، فهي ليست من دعاة المساواة المطلقة بين الجنسين. وهي تسأل: "ماذا اعطتني الحركة النسائية؟ لقد وصلت الى ما انا عليه بجهودي الخاصة."

مرة فقط سمعتها تطلق ملاحظة ترجِّع صدى الحركة النسائية المناضلة. كان ذلك خلال مأدبة كبيرة حيث كانت الاخيرة في لائحة من الخطباء المملّين، وكلهم من الذكور فقد بدا بوضوح ان حفيظتها اثيرت عندما انهت خطبتها بالقول: "آمل في ان تتذكروا انه اذا كان الديك هو الذي يصيح فان الدجاجة هي التي تبيض."

شجعتها مرة على قراءة سيرة جديدة لحياة اللورد ليفربول رئيس الوزراء في مستهل القرن التاسع عشر. استمتعت بها، لكن اكثر ما لفتها هو ان ليفربول استمر في رئاسة الوزراء خمسة عشر عاما متواصلة. ومارغريت تاتشر تتسنم المركز منذ عقد كامل من السنين، ضاربة كل الارقام القياسية في القرن العشرين. فنموذج ليفربول هو نصب عينيها ولا سبب يمنعها من بلوغ رقمه القياسي. فهي الآن في الثالثة والستين من عمرها ولا تعتبر مسنةً وفق مقاييس رؤساء الوزارات بل تزخر باللياقة البدنية والعزم. يقال ان السلطة تفسد الحكام. وحتى في الدول الديموقراطية عندما يدوم النظام طويلا يعرف الزعماء نهايات غير سعيدة، اذ تلهيهم بهارج السلطة عن الاحتكاك بعامة الشعب. ولكن هذا لا ينطبق على مارغريت تاتشر، فعلى رغم كل شيء، لا تزال اشد نشاطا في احتكاكها بعدد مذهل من افراد الشعب، من يوم تسلمها السلطة للمرة الاولى.

هي تؤمن بأن بريطانيا لا تزال في منتصف الطريق فقط لاستعادة وضعها كقوة اقتصادية من الدرجة الاولى. واذ تتسلح ببرنامج اشتراعي مكتظ مبني على حرية العرض والطلب فهي تؤمن بأن مهمتها تسير حثيثا نحو المستقبل.

بول جونسون ■

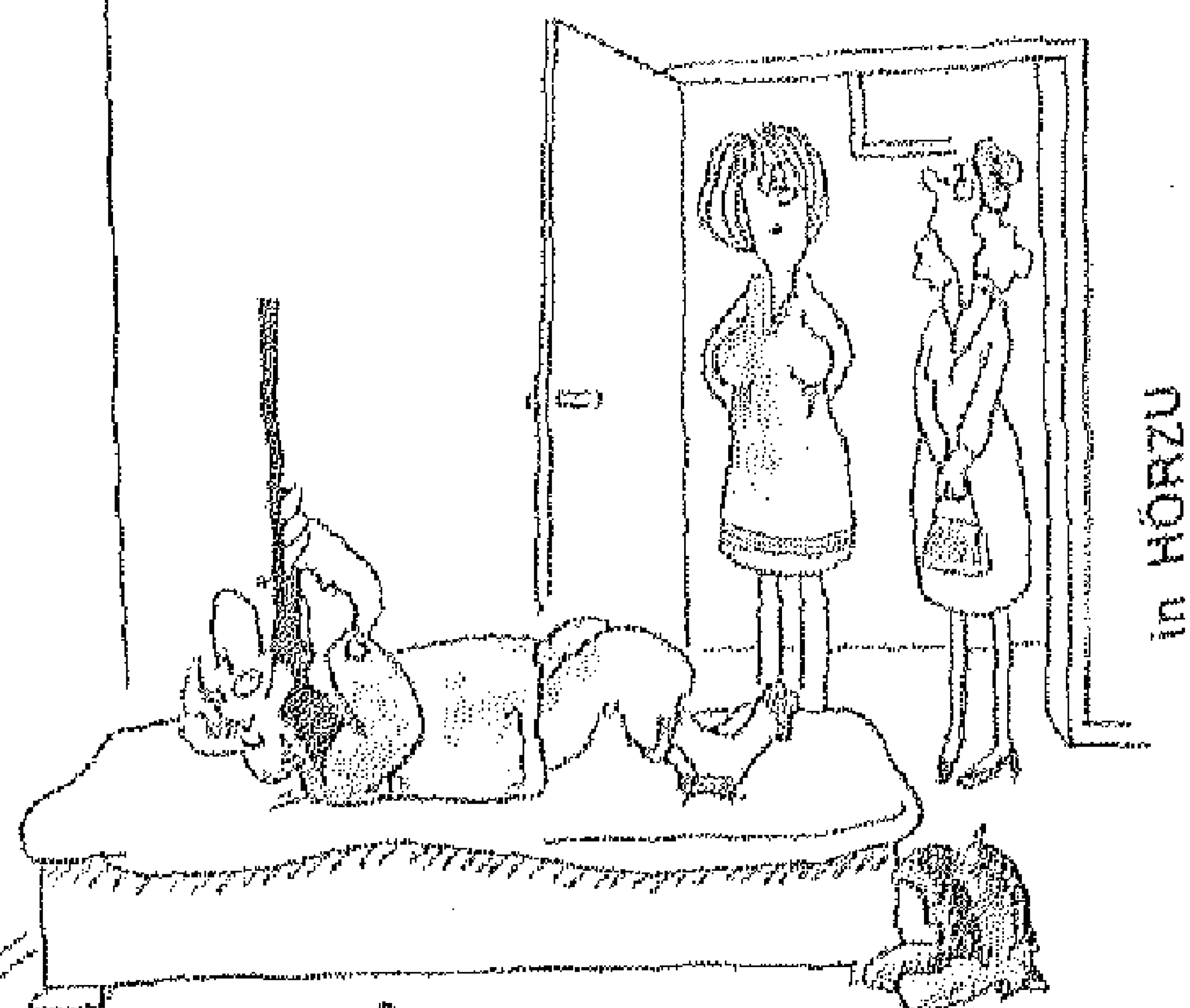
بول جونسون هو مؤلف كتاب "الازمنة الحديثة" الذي يؤرخ نقاط التحوّل في العالم منذ العشرينات وحتى الثمانينات. وقد ظهر له حديثا "المثقفون."



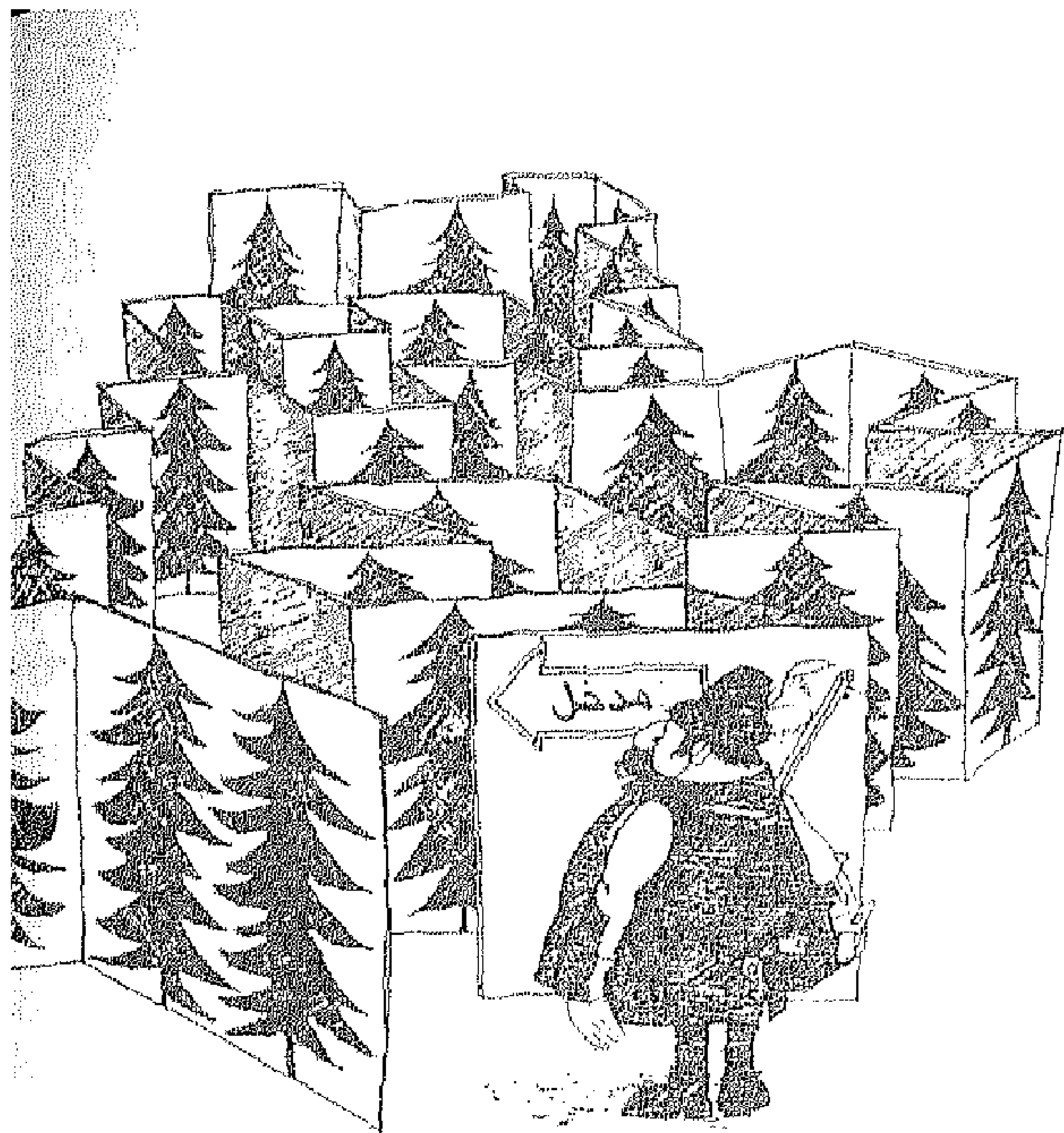
قليل من المعرفة أمر خطير ولكنه بالتأكيد افضل لمباشرة نقاش ما من نظرة لا تعبير فيها.

ب.ب.

"زوجي يتمرن على صيد البط."



in HÖRZU



صيادون



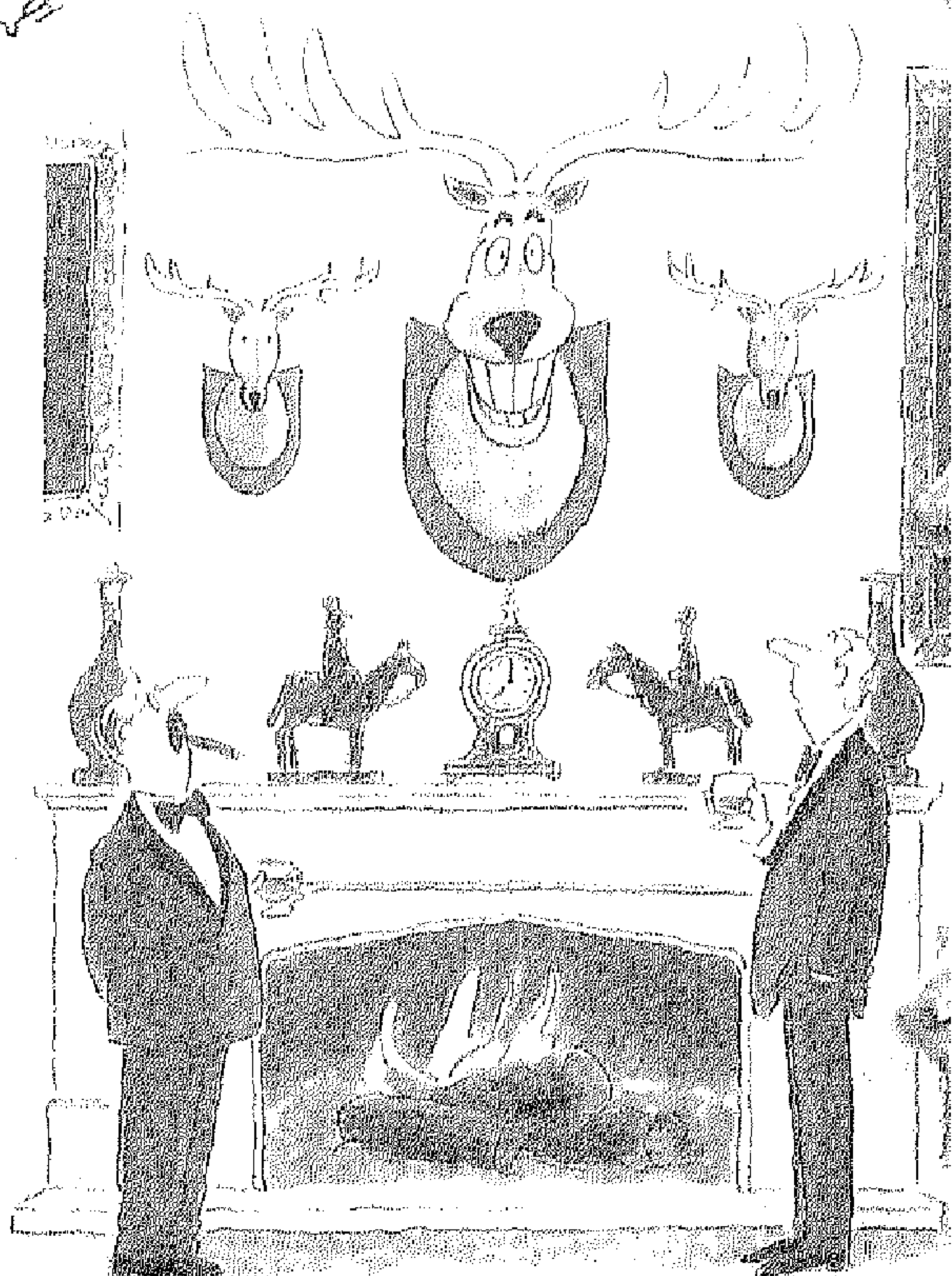
Pierre in DIE WELT

"أنا آسف جداً، لكنه بدا حقيقياً."



Marsden in DIE WELT

بدون تعليق

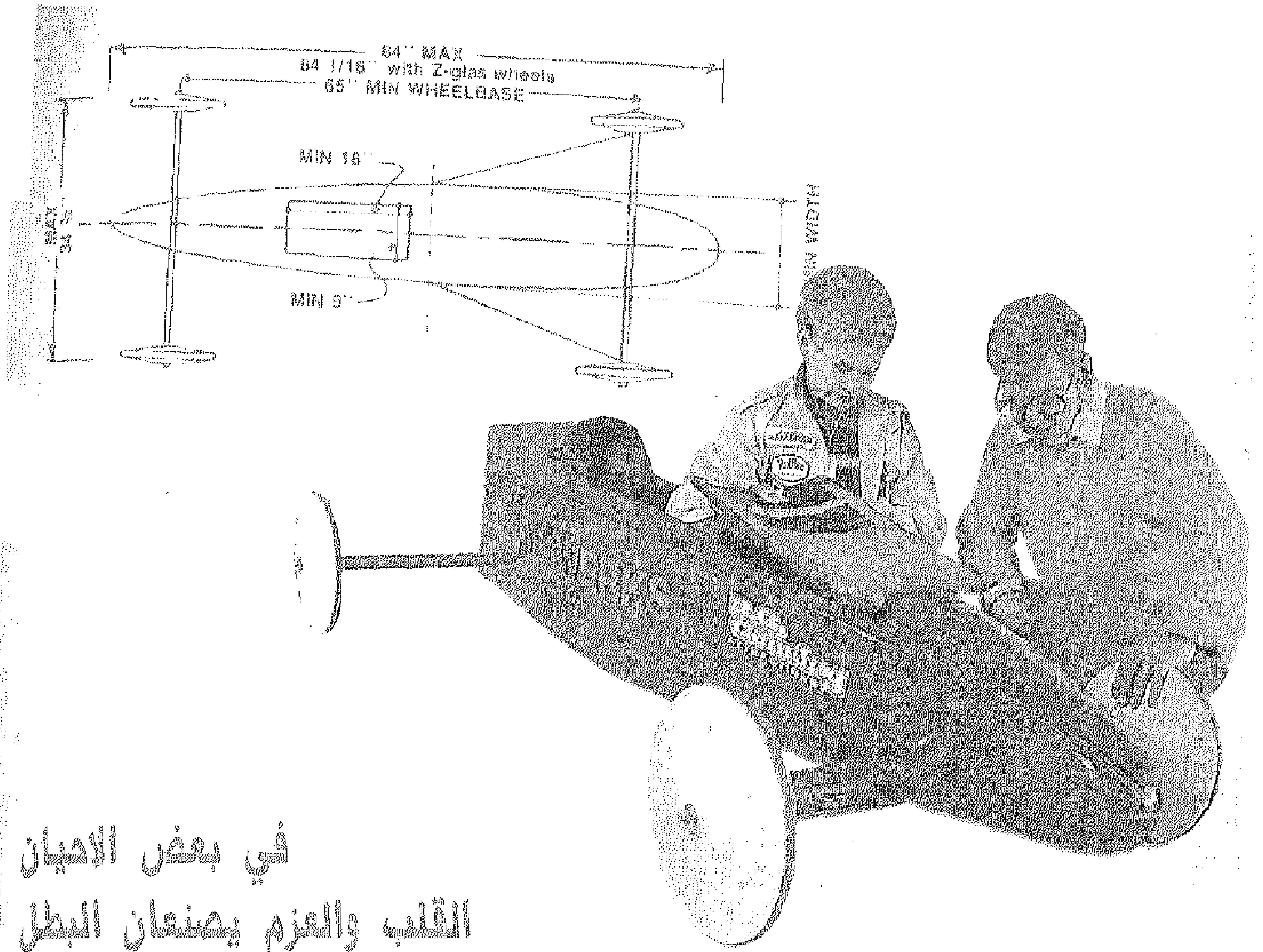


"لا، لست فخوراً به، صدقني.
لا بد أنه ظن أنني أريد أن ألتقط صورة له."



Ernst Ziring

"لقد وفرت صفيحة وقود الى الآن."



في بعض الاحيان
القلب والعزم يصنعان البطل

البطل الصغير

انحنى ماتيو مارغوليس في سيارته "سوب بوكس دربي" فيما غاب جسمه داخل هيكلها المصنوع من الزجاج الليفي ولم يظهر منه سوى رأسه وخوذته. كان ذلك في أول سباق له في منحدر شارع كاسبر في دنبري بكونتيكت. وحاول ان يتذكر تعليمات والده: اضبط السيارة فوق الخط الوسط ولا تهتم للمتسابق الآخر. انما منذ بدء السباق زادت سرعة سيارته حتى انه كان بالكاد قادراً على رؤية الخط الوسط او السير فوقه. وكان يتمايل من جانب الى آخر فخسر السباق. وحين توقف هرع والداه اليه فطمأنهما: "لا تقلقا، فسأحقق نتيجة افضل في المرة المقبلة."

لكن وندي وريتشارد مارغوليس لم يشعرا بالخيبة، فقالت وندي لابنها: "لقد اكملت السباق وهذا هو المهم."

وصارحه والده ريتشارد، وهو جراح ومتحمس لسباق السيارات: "انك في الحقيقة لم تتمرن كثيراً."

ولم يبوحا بما كان يجول في خاطرهما، وهو داء الصرع الذي اصاب مات. فمن دون انذار قد يغيب الشاب عن الوعي

Diagram: Courtesy of All-American Soop Box Derby.
Photo: © Mario Mercado

ويتوقف عن التنفس ويأخذ جسمه بالتشنج الى الحد الذي يتعذر ضبطه، حتى ان الادوية المضادة للتشنج عجزت عن ضبط نوباته تماما، لذلك فان مجرد وصوله الى خط النهاية كان بالنسبة الى والديه فوزاً له.

المعاناة. بدأت معاناة مات يوم أحد من شهر يوليو (تموز) ١٩٨٢. كان والداه ما زالا نائمين فيما مات (كان عمره آنذاك ٦ اعوام) وشقيقته ستايسي (١٠ سنين) يتناولان قليلا من الكعك المحلى. وفجأة انتصب الولد وتصلب ثم سقط ارضاً، فاندفعت شقيقته الى غرفة نوم والديها وصاحت بهما: "اسرعا، ان مات يختنق ويكاد يموت!"

فركض والده وامسكه من الخلف ولجأ الى طريقة "هَيملخ" لاخراج قطعة الطعام التي اعتقد أنها عالقة في حلقه وكانت تسده ولكن من دون جدوى. ثم حاول عبثا انعاشه بالتنفس من الفم الى الفم. وبحركة يائسة أدخل أصابعه في عمق حلقه وانتزع قطعة صغيرة من الطعام فاستعاد مات لتوه التنفس.

لم يتذكّر الصبي اي شيء عما حدث له، مما أقلق والده. وتساءل: لماذا لم يقدر مات ان يتذكّر انسداد حلقه قبل أن يغمى عليه؟

فأتاه الجواب بعد ستة اسابيع حين تصلّب جسم مات ثانية. ولم تكن هناك اي دلائل على التنفس، ولكن التشنجات بدأت حين عاد اليه تنفسه. في هذه المرة شاهد والداه النوبة التي حدثت له.

قال والده مطمئناً والدته: "انه لا يتألم وكل ما في وسعنا عمله هو ان نرخّي ثيابه ونكفأه على جنبه ونبعد عنه كل ما هو حاد وقاس ونلتزم الهدوء."

لم تكن حالة مات نادرة. فداء الصرع هو اضطراب عصبي يعانيه واحد في المئة من سكان العالم. وهو يتميز بحدوث شرارات كهربائية غير عادية في الدماغ وقد يحدث لأي كان في اي وقت. ومع ان هناك حالات كثيرة جرى تشخيصها ولا يعرف سببها، فان داء الصرع قد ينطلق على اثر حادث او داء في الجهاز العصبي المركزي. وفيما هو لا يحول دون تمتع المصاب بحياة طبيعية فان التكيّف معه غالبا ما يعني التغلب على عدة مشاكل طبية واجتماعية متباينة، مثلما اكتشف ذلك مات في الحال. واقتضى الامر الاطباء عدة اشهر قبل ان يكتشفوا ادوية اختصرت نوبات مات الى واحدة في الشهر. لم يكن ذلك الحل هو الكامل ولكن اتاح للصبي ان يحضر، على الاقل، صفوف السنة الابتدائية.

ولد النوبة. كان مات ولداً أشقر الشعر ذا ابتسامة جذابة لا يجد صعوبة في اكتساب الاصدقاء في المدرسة. انما بعد اصابته بنوبة في مشرب القهوة (الكافتيريا) المزدحم سمع زملاء له يدعونه: "ولد النوبة."

الى ذلك فان مات لم يعد قادراً على التركيز في دروسه لأكثر من بضع دقائق. ولم يكن واضحا اذا كان ذلك دليلا على داء الصرع ام ردة فعل للادوية. وكانت النتيجة تقهقراً في دروسه وهبوطاً في ثقته بنفسه.

وقدرة مات المحدودة على التركيز خلقت له مشاكل في الالعاب الرياضية. وكونه عضواً في فريق كرة القدم، كان يفقد الرغبة في اللعب ويستغرق في احلام اليقظة مما لم يرق زملاءه اللاعبين. ثم ما لبث ان توقف عن اللعب كلياً.

كان ذلك منغّصا لولد يستمتع بالتحدي والمنافسة. لذا اصغى والده باهتمام، حين بلغ مات التاسعة من عمره، لأحد زملائه الذي اخبره عن "جمعية دنبري الكبرى لسوب بوكس دربي". فقد رأى هذا السباق مثالياً للولد الذي شارك والده في اهتمامه بالسيارات. وفي استطاعة الاثنين صنع سيارة سباق "سوب بوكس" لا تزيد مدة التركيز فيها على دقيقة. فصمّم مات على ان يقوم بالمحاولة.

وفي الطبقة السفلى من المنزل جمع مات ووالده سيارة سباق من دون محرك اشتريا اجزاءها من مركز "سوب بوكس دربي" الرئيسي في اكرون بأوهايو. وكانت السيارة جاهزة لوقت طويل قبل ان يصبح مات مؤهلا لقيادتها. فبعد عدة اسابيع من التمرّن استمر الصبي عاجزاً عن السير بها في خط مستقيم حتى انه ذات مرة انحرف واندفع بالسيارة في احدى الجنبات. فالتفت الى والده وقال: "لا بأس، فلنحاول مرة ثانية". سحب مات من اول سباق رسمي يخوضه. وفي السباقات التالية لم يكن حظه اوفر من الأول. ولكن والديه هلّلا في كل مرة قطع خط النهاية معتبرين ذلك نصراً له.

ولكن مات تابع التمرّن، وفي المدد الفاصلة بين السباقات كان يفكك السيارة بمعاونة والده ويعيدان توزيع الثقل وتعديل النوابض وصقل النتوءات السطحية التي قد تسبب ابطاء للسرعة.

ولم يلبث جهد مات الاستثنائي ان اثمر في النهاية قرابة نهاية الفصل الثاني. فلم يعد يتمايل بالسيارة الى الوراء والأمام وفاز بالمرتبة الرابعة في احد السباقات الاقليمية المهمة. وربما كان كل ما يحتاج اليه الآن هو سيارة اكثر سرعة.

في ذلك الشتاء رمى فريق سباق "مارغوليس" جانباً هيكل السيارة المصنوع من الزجاج الليفي وأحل مكانه هيكلا جديداً من الخشب. ووزع الثقل في هذا الجسم الجديد بطريقة اكثر تساوياً مما حسّن المتانة والقيادة. وعلى مدى اربعة اشهر كان رينشارد يقطع ويصمم ويغرّي الاجزاء فيما كان مات يحفّها ويصقلها. وتوجّاها في النهاية باسم "توب غان" وهو اسم الفيلم المفضّل لدى مات.

الخطر يكبر. في يوم مشمس من فبراير (شباط) ١٩٨٧ اخرجت السيارة للتمرّن فسارت، كما قدّر لها، في اتجاه مستقيم وصحيح. فقال مات لوالده وهو يرفع قبضته علامة النصر: "اعتقد ان لدينا سيارة مؤهلة للفوز."

غير ان هناك ادلة في المدرسة والبيت على ان ادوية مات كانت تفقد فاعليتها. وفي مارس (آذار) انطلق مع والده للاشتراك في "سباق غروتون" في كونتيكت، وفي احدى محطات الوقود في الطريق في بريدجبورت، سقط مات على الارض وهو يعاني آلام نوبة قويّة. وكان



ذلك اول حادث وقع له قبل موعد السباق بوقت قريب جداً. وتساءل والده عما ستكون آثار هذا الحادث في اليوم التالي.

أثناء الفطور، في الصباح التالي، راح مات يحدّق في الفضاء، وكان في حينه يعاني نوبة خفيفة أولى وهي كناية عن غشية وجيزة يفقد فيها المصاب الاتصال بالحقيقة.

ومنذ بدأ مات الاشتراك في السباق والخوف يسيطر على والديه خشية اصابته بنوبة اثناء القيادة. ويزداد الخطر المحدق به وهو في مستهل اصاباته بالغشية، فاذا حدث واصيب مات بغشية اثناء القيادة فسيكون محمياً من الضرر الى حد كبير، بالخوذة وحشو المطاط الاسفنجي في قمرة القيادة وحواجز تخفيف الصدمات في طريق السباق، انما سيكون ألم مات الداخلي كبيراً ومضنياً.

وحين اقترح والده العودة الى البيت، الح مات قائلا: "انني بخير ولن تطول مدة السباق." لم يكن والده واثقاً بالمقدار ذاته ولكنه ذكّر نفسه بنصيحة طبيب الامراض العصبية الذي يعالج مات: "ليس في امكانك التنبؤ متى تحدث

النوبة التالية إنما على ابنك ان يتابع مسيرة حياته كما قدّر له."

اشترك مات في السباق بسيارته، "توب غان" بحسب البرنامج المقرر ولكنه احتل المرتبة الوسطى اذ كان يتمايل بالسيارة اثناء الانحدار نزولا.

أثر تكرر النوبات اخذ ريتشارد ابنه مات الى عيادة الدكتور ج. كيفن بنري استاذ طب الاعصاب في مدرسة الطب بجامعة وايك فورَست في ونستون – سالم، بكارولينا الشمالية، واحد ثقات العالم البارزين في نوبات الصرع. فأبدل بنري ادوية مات واعطاه الضوء الأخضر للاشتراك في سباق "سوب بوكس." وقال لوالده: "عامله تماماً كولد نشيط، ذكي، في صحة تامة لأن هذه هي، في الحقيقة، حاله."

ست مفاجآت. اما ما تلا ذلك فلم يكن سوى مفاجآت مدهشة. ففي سباق اقليمي كبير في دنبري فاز مات في الدورة الاولى وسط دهشة الجميع. وكرر فوزه في الدورة الثانية وفي اربع دورات بعدها. وقد اهله فوزه في ست دورات للاشتراك في سباق "سوب بوكس دربي الامريكي" لبطولة العالم في اكرون. ورد مات على هتافات التهليل بفوزه بقوله: "كنت اعرف أن في امكاني الفوز."

وكان الوالدان يعلمان جيداً ان السباق الاقليمي لا يقاس بالاثارة والشدة اللتين ترافقان سباق البطولات في اكرون. فهناك سيتبارى مات ضد اولاد فائزين في السباقات لسنين عدة في انحاء الولايات المتحدة، لذا بدت فرص نجاحه ضئيلة. وسيكون هناك غياب إلزامي عن المنزل للمشتركين يدوم اسبوعا قبل السباق في مخيم للاولاد حيث تجري مراقبة نشاطاتهم نهاراً. وذلك يعني لمات أول ابتعاد طويل عن والديه منذ تشخيص اصابته بداء الصرع.

بعد استشارة الدكتور بنري قرر الوالدان ان يدعا مات يخوض السباق ولفتا انتباه المسؤولين في المخيم الى وضعه والى حاجته الى كفاية من النوم. وكان على والدته ان تصطحب شقيقته ستايسي الى مباراة للجياد في القفز فتوجه مات ووالده لوحدهما الى اكرون.

في زيارته الاولى لموقع السباق، رأى ريتشارد ان حلبة "سوب بوكس" الامريكية في حال مخيفة، وهي كناية عن طريق طولها ٢٩١ متراً ودرجة انحدار اول ٦٠ متراً منها كافية لتدفع بالسيارة في ثوانٍ الى سرعتها القصوى اي الى حوالى ٥٠ كيلومتراً في الساعة.

وفي خلال انسكاب المطر لاحظ ايضاً ان جداول الماء تجري في اتجاهات متباينة. كان ذلك تقويماً حاسما اذ ان متسابقي "سوب بوكس" يعرفون ان الاشارات وسط كل خط لا ترسم بالضرورة الطريق الاسرع. فالشذوذيات او النتوءات في الحلبة قد تؤثر في مجرى السباق. ونصح ريتشارد ابنه قائلا: "إذا جاء ترتيبك في الخط الايسر او الوسط فالزم اليمين قليلا من خط الإشارة الوسط وإذا تعين عليك أن تكون في الخط الأيمن فالزم ناحية اليسار من الخط الوسط."

وما يزيد في الأهمية البالغة لتلك النصيحة هو انه في سباقات "سوب

بوكس دربي" الامريكية يحق للفائزين الأوائل في الدورة الأولى ان يشتركوا في مسابقات الدورة الثانية. ويقتضي للمتسابق ان يفوز مرتين على الاقل ليصبح مؤهلا لنيل مدالية. وباشتراك ٨٦ ولداً (اعمارهم ما بين ٩ اعوام و١٢ عاماً) في المباريات النهائية لفئة الصغار، يتحتم الفوز اربع مرات متعاقبة في المرتبة الاولى ليصبح الفائز بطلا عالمياً.

شيء لا يصدق. اقيم السباق يوم السبت في ١٥ أغسطس (آب) وكان النهار مشمساً وحاراً. وما ان ازفت الساعة التاسعة صباحاً حتى كانت المقاعد امتلأت بـ ١٤ ألف مشاهد جاؤوا ليحضروا العرض التقليدي ويروا الفرق الموسيقية والمشاهير والفائزين السابقين في سباق الدربي والمتنافسين الحاليين. وحين مر مات تفحّص والده وجهه ليتبين اذا كانت عليه اي علامات تعب ولكنه رأى ابتسامة عريضة تعلو وجهه فيما كان يلوح له محيياً بعزم.

في دورتها الاولى كان موقع "توب غان" في الممر الوسط. وتركّز تحديق المتبارين الثلاثة على الممرات فيما هم يصغون الى متولي اشارة الانطلاق والعد العكسي وسمعوه يقول: "والآن انتبهوا ايها السائقون" لديكم ثلاث ثوان... ثانيتان... ثانية واحدة... انطلقوا!"

درجت السيارات برفق الى الأمام ثم انحدرت نزولا على التلة وراحت تزداد سرعة حتى بلغت ٤٠ كيلومترا في الساعة في منتصف الحلبة.

وما ان مرت ٢٨ ثانية حتى كان المتسابقون قطعوا خط النهاية. واعلنت ساعة السباق والكاميرا النبأ المهم: "فازت السيارة الرقم ١٢٠ التي يقودها مات مارغوليس متقدمة بربع طول."

وحين رأى مات والده وسط حشد المشاهدين رفع يديه عاليا وهتف منتشيا بفوزه.

بعد هذا السباق سيشترك مات في مباراة الدورة الثانية التي تؤهله، في حال فوزه، لنيل مدالية فضية رائعة. وخطر له في ومضة خاطفة ان يريها لاصدقائه وزملائه في الصف.

في الدورة الثانية اصطفّت سيارة "توب غان" واثنتان اخريان وانطلقت في الحلبة لا يفصل بينها سوى متر واحد تقريباً. واجتازت "توب غان" خط النهاية متجاوزة السيارتين الاخريين. وفاز مات بالمدالية.

اصبح مات في منتصف الطريق الى تحقيق اربعة انتصارات متتالية يحتاج إليها لنيل البطولة. وسيكون عليه بعد الآن أن يجري ضد أفضل المنافسين الذين بدوا له فجأة اكبر جسماً وعمراً وأكثر قوة.

في الدورة الثالثة كان نصيب مات الخط الأيمن وعندما نزلت بوابة الانطلاق مال الى اليسار متذكراً نموذج مجرى ماء المطر. وكان الفوز حليفه كما في الدورات السابقة، ولم يبق له الا الفوز مرة اخرى ليحرز بطولة العالم.

وفيما كان مات ينتظر، وقف والده متكئاً على حاجز الحلبة متوتر الاعصاب. وكلاهما لم يصدق ان ما حدث حقيقي فعلا.

في الساعة الرابعة بعد الظهر اعلن مكبر الصوت أسماء المتبارين الثلاثة في قسم الصغار الذين تأهلوا للاشتراك في المباراة النهائية. وكان الخط الوسط من نصيب مات فتذكر قول والده: انحرف الى الجانب الأيمن من خط الإشارة الوسط.

اصغى مات الى العد العكسي وشعر بتحرك السيارة الى الامام حين انزلت البوابات. فلزم بعجلاته يمين الخط الوسط تماماً.

اجتاز المتبارون الثلاثة المتقدمون خط النهاية بسرعة خاطفة واذا بمتطوع في الحلبة يشير بلا تردد الى احد السائقين الاخرين على انه الفائز. فطفرت عينا مات بالدموع خيبة وأسىً. لكن احدهم صاح: "توقفوا انها ليست النتيجة الرسمية."

همد صوت الجمهور فجأة ثم دوّى مكبر الصوت معلنا فوز السائق نفسه الذي فاز في الدورة السابقة، فساد المكان جو من اللغط والفوضى.

وخرج الصغار من سياراتهم وانتظروا صدور توضيح للاعلان. واخيراً دوّت تلك الكلمات السحرية: "إن الفائز في قسم الصغار هو سائق السيارة الرقم ١٤٠ ماثيو مارغوليس وعمره ١١ عاماً من دنبري، كونتيكت."

فور سماعه النبأ اندفع رينشارد نحو ابنه مات وحمله بين ذراعيه وضمه ضمة قوية. ثم جاء المسؤولون عن السباق وقادوا الصبي الى حيث تسلم المدالية جائزة لانتصاره الرائع وألبس السترة الذهبية التي كتب عليها شعار "بطل العالم في سباق سوب بوكس دربي الامريكي لقسم الصغار ١٩٨٧."

ارتدى مات سترة الفوز الى المدرسة، وكان هناك تلاميذ يشيرون اليه انه "ولد النوبة"، ولكن باحترام واعجاب. ومهما يكن من امر فان ماثيو مارغوليس بطل وقد اظهر بروحه وشجاعته كيف يكون فائزاً حقا.

ستانلي ل. انغلبارت ■



صيد موفق!

كان صديقي وزوجته عائدين في قاربهما بعد رحلة صيد خائبة. فلمحا صندوقاً برتقالياً طافياً على وجه الماء. فتفحصاه عن قرب ووجدا أنه علبة تبريد ربما سقطت من مؤخر أحد القوارب. فرفعاه الى قاربهما ووجدا داخله ثماني سمكات من السلمون يزن كل منها نحو كيلوغرامين، وهي منظفة تماماً. انها الكمية القصوى التي يسمح بها قانون الصيد في المنطقة.

ج.د.

من لا يشكر على القليل لا يشكر على الكثير.

مثل استوني

روائع الفن السابع

عشر روائع سينمائية
تزداد جمالا مع مرور الزمن

عندما شاهدت فيلم "كازابلانكا" للمرة الاولى امسكت بيد زوجتي الشابة وبكينا معا وقد غمرنا الحنان نحو بعضنا بعضا ونحو انغريد برغمان وهامفري بوغارت. ومنذ ذلك الوقت شاهدت هذا الفيلم عشرات المرات وما زال قلبي يطفح حنانا كلما رأيت إلسا (برغمان) تهمس مغمغمة في اذن دولي ويلسون، عازف البيانو: "اعزفها يا سام." وما زلت راغباً في ان اغنّي بصوتي الأجش: "عليك ان تتذكر هذا/ القبلة ما زالت قبلة/ والتنهدة هي مجرد تنهدة/ والاشياء الجوهرية تستمر مع مرور الزمن..."

انني احسد كل شخص لم يتسنّ له بعد مشاهدة "كازابلانكا" والروائع الاخرى للتراث السينمائي. فنحن اليوم نستطيع مشاهدتها بفضلَ اجهزة الفيديو.

سألتني صديقة شابة وقد اقتنت حديثا جهاز فيديو: "ما هي افضل عشرة افلام سينمائية؟ فاني اود ان ابدأ مجموعتي الخاصة بها."

اعتقد انها طرحت علي هذا السؤال لأنها كانت تعلم انني من مهووسي السينما منذ السن الثامنة. وككاتب، اجريت مقابلات مع اكثر الممثلين والمخرجين اثارة في هوليوود. وبعد ان حصرت اختياراتي بالافلام الامريكية اعطيت صديقي اللائحة الآتية:

 Lyric from «As Time Goes By» by Herman Hupfeld © 1931 by Warner Bros INC (Renewed all


كلود رينز وبول هانربد وهامفري بوغارت وانغريد برغمان في "كازابلانكا".

□□ كازابلانكا

يقول فيه (١) جورج كيرغو رئيس "رابطة كتاب امريكا" انه "اضخم ميلودراما رومانسية عرفتها صناعة السينما." عند مشاهدتك له تنسى ذاتك ومكان وجودك، وهذه احدى السمات المميزة للروائع السينمائية. وتجد نفسك منغمساً كلياً في قصة حب جميلة تدور احداثها في احدى مدن مستعمرة فرنسية في شمال افريقيا خلال الحرب العالمية الثانية.

وكلما شاهدت "كازابلانكا" أنغمس فيه الى درجة نسيان كيف ستكون نهايته. واتمنى في كل مرة ان تتمكن برغمان، باعجوبة سينمائية، من الهروب من كازابلانكا برفقة بوغارت، الشاب الذي تحب.

واخبرني الكاتب جوليوس ابشتاين انه قبل الاسبوع الذي سبق تصوير المشهد النهائي لم يكن اي من العاملين في الفيلم يعلم كيف ستكون نهايته. وفي صبيحة احد الايام وعلى الطريق المؤدية الى الاستوديو برفقة توأمه وشريكه في الكتابة فيليب، قال الاثنان في وقت واحد: "حاصروا المشبوهين المعتادين". وهي العبارة التي اصبحت مشهورة في الفيلم. اما الباقي فكان محتوما: تطلق النار على النازي في المطار وتتم محاصرة المشبوهين المعتادين وترحل برغمان مع بول هانريد فتتحطم ملايين القلوب.

□□ الغناء تحت المطر

هو احد أبرع افلام(٢) هوليوود الموسيقية. بدأ تصويره في العام ١٩٥٢ واشترك في

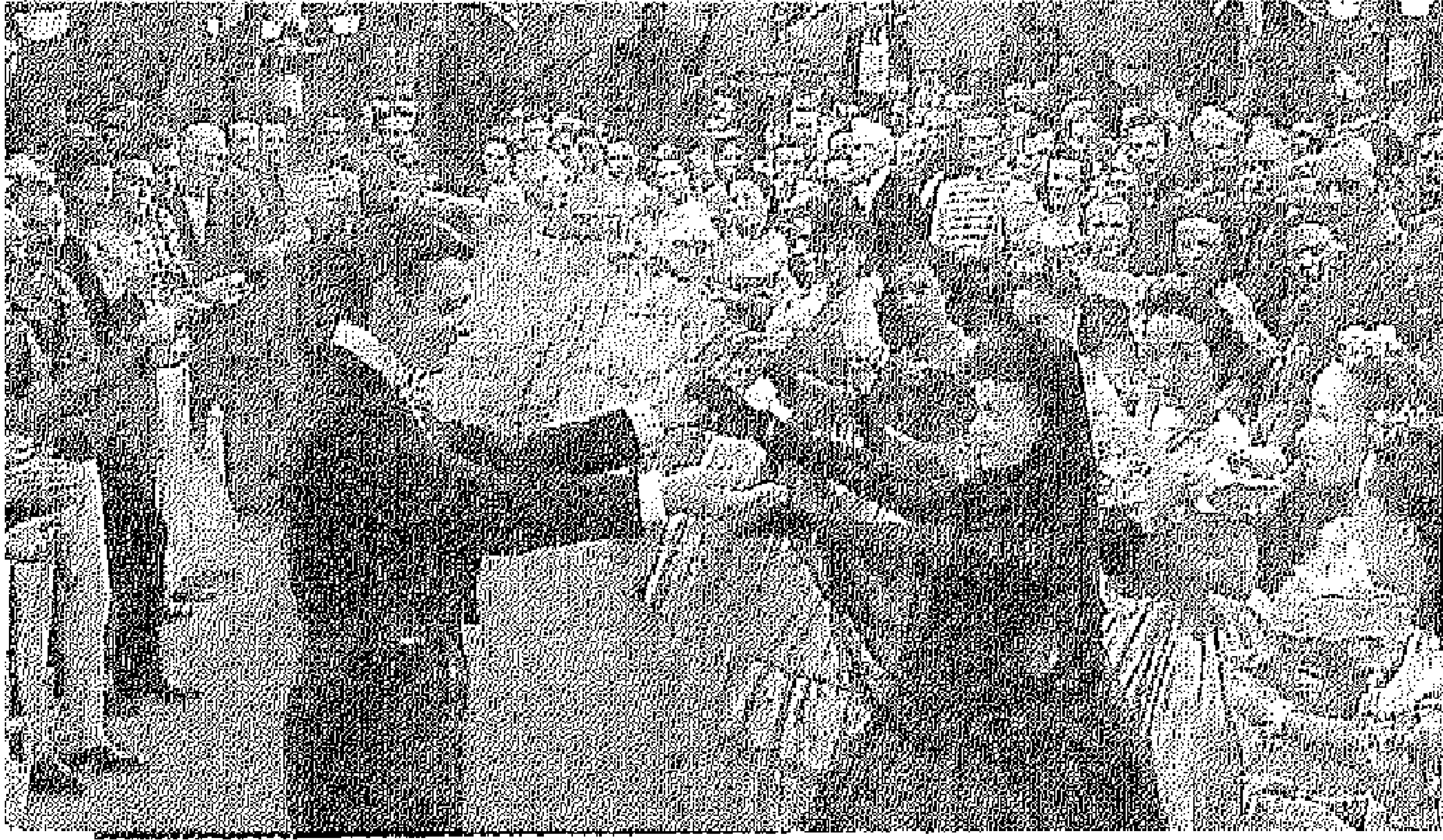

جين كيلي في "الغناء تحت المطر".

(١) Casablanca
(٢) Singing in the Rain

إخراجه كل من الراقص ومصمم الرقص جين كيلي، والمخرج الدرامي ستانلي دونن. وهذا الفيلم متعة خالصة للعين والاذن.

قدم لنا هذا الفيلم لقطتين لا تنسيان. الاولى اغنية كيلي الشهيرة ورقصته تحت المطر المتدفق بعد لحظة دافئة يقضيها مع النجمة ديبي رينولدز التي يقع في حبها حتى الجنون. وعلى رغم انه كان يرقص حاملا مظلته، وهو يشق طريقه في برك الماء ناثراً الماء في كل اتجاه مترجحاً حول اعمدة المصابيح، كانت النتيجة حماسة يتعذر كبتها كما لو كان فريد استير يرقص مع جينجر روجرز.

واللقطة الثانية هي العرض المنفرد الضخم لدونالد اوكونر في مشهد البهلوانيات الحماسي "اجعلهم يضحكون." كان يقفز فوق الارائك ويركض على الجدران ويتشقلب فوق خشبة المسرح من دون أي خطأ، مما حول هذا العرض العفوي الرشيق الذي دام خمس دقائق و١٥ ثانية سعادة خالصة.



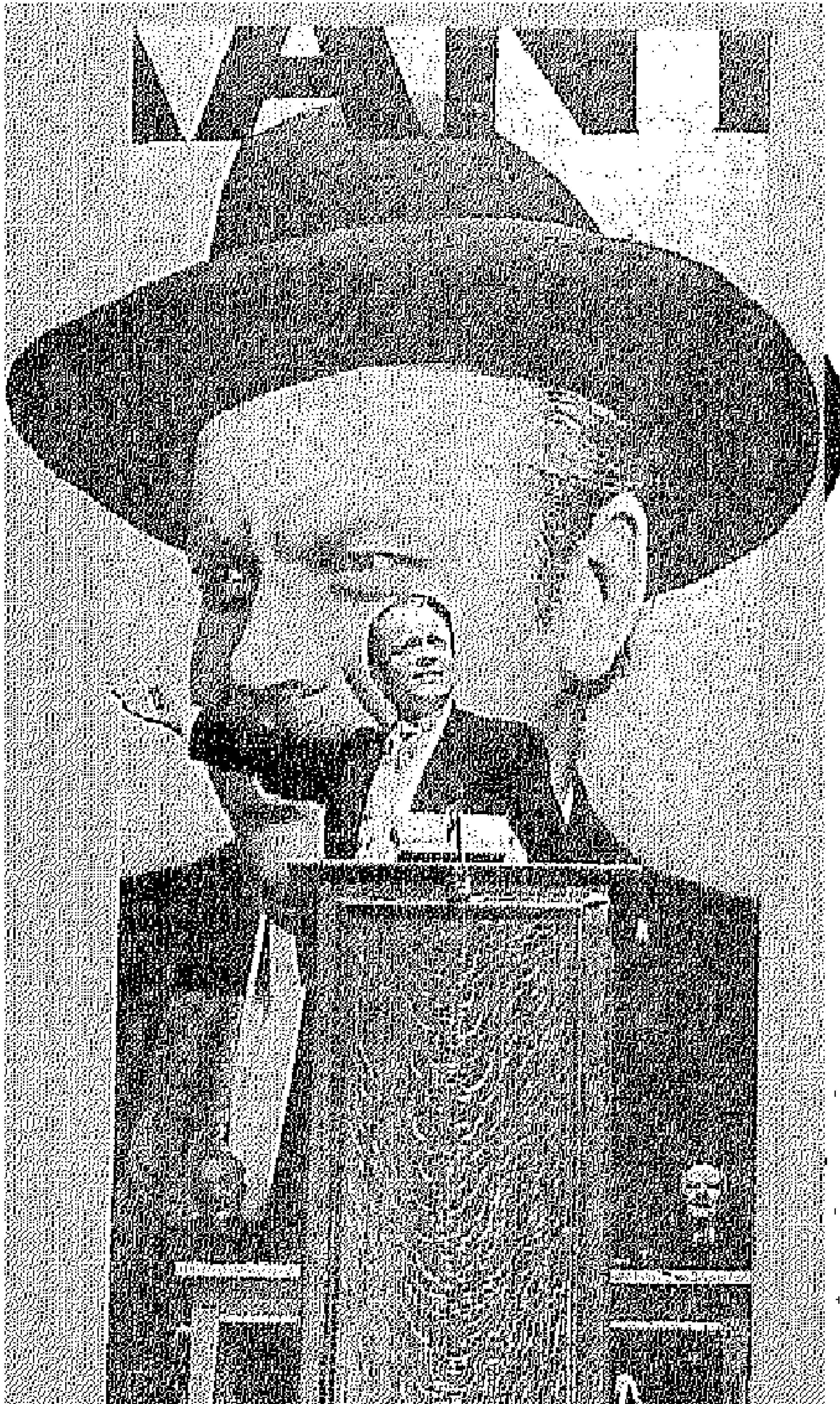
كلارك غيبل وفيفيان لي في "ذهب مع الريح".

▫▫ ذهب مع الريح

فيلم (٣) "تصدر لائحتي". انه احد الافلام التي تستحق أن تدعى "ضخمة" كما تصفها هوليوود. ويقال انه اثناء عرضه الاول في اتلانتا عام ١٩٣٩ همس جون مارش زوج كاتبة قصة الفيلم مارغريت متشل، في اذنها معلقاً على احد المشاهد البالغة الأهمية: "لو كان لدينا نحن الجنوبيين مثل هذا العدد الغفير من الجنود لكنا ربحنا الحرب."

استغرق عرض هذا الفيلم مدة غير عادية بلغت ثلاث ساعات واربعين دقيقة، اعادت إحياء الحرب الأهلية على نحو شامل، وصورت الحب الجارف بين

اورسون ولز في "المواطن كاين".



(٣) Gone With the Wind


همفري بوغارت وبيترلور وماري استور وسدني غرينستريت في "صقر مالطة".

ريت باتلر (كلارك غيبل) المتبجح وسكارليت اوهارا (فيفيان لي) العنيدة.

وبلغت تكاليف الفيلم آنذاك ٤،٥ ملايين دولار، وهو مبلغ لم يسبق له مثيل (لو انتج اليوم لتجاوزت تكاليفه ٥٠ مليون دولار).

كيف تمكنت تلك الفنانة البريطانية الناحلة فيفيان لي من أداء دور الفاتنة الجنوبية؟ سألتها ذلك مرة في العام ١٩٦٠، فأجابت باسمة: "لم امثل دور سيدة جنوبية بل دور فتاة ايرلندية خشنة. فهكذا كنت اراها في "مخيلتي."

اما اسناد هذا الدور اليها فكان اعجوبة. لقد استغرق بحث المنتج دايفد سلزنيك عبر امريكا عن ممثلة تؤدي هذا الدور عدة سنين. واختبر عشرات الممثلات بمن فيهن بيتي دايفيس وكارول لومبارد ولانا ترنر ولوسيل بول. ولكن عندما بدأ التصوير عام ١٩٣٩ لم يكن وجد بعد من يؤدي دور سكارليت.

احد المشاهد من سلسلة اللقطات المتعاقبة كان احتراق اتلانتا. لقد تم بناء شوارع ومنازل وحوانيت على قطعة من الارض تابعة لـ"استوديوهات سلزنيك العالمية" في كالفر (سيتي) بكاليفورنيا واشعل فيها التقنيون اللهب. وعندما بدأت اتلانتا الاصطناعية بالاحتراق اتى مايرون سلزنيك وهو شقيق ديفيد وأحد الوكلاء، بإحدى موكلاته وتدعى لي، وقدمها الى ديفيد: "هذه هي سكارليت التي تريد." وفي غضون ايام قليلة اختيرت لي لأداء هذا الدور.

لم يشأ كلارك غيبل ابداً أن يقوم بدور ريت، ولم يرغب حتى في قراءة قصة الفيلم. ولكن سلزنيك كان مصمماً على الفوز به، وكان غيبل في تلك الاثناء مرتبطاً بعقد عمل مع شركة "مترو غولدوني ماير"، فلم يستطع سلزنيك الحصول على ريت باتلر الا بعد أن وعد شركة مترو بـ٥٠٪ من ارباح توزيع الفيلم.

اما عملية توزيع الادوار الباقية فتمت على اكمل وجه ايضا. ويبقى فيلم "ذهب مع الريح" ممتعاً اليوم كما كان عندما شاهدته للمرة الاولى قبل ٥٠ عاماً.

□□ المواطن كاين

كثير من الذين يدرسون تاريخ السينما بجدية يعتبر هذا الفيلم(٤) مثالا يحتذى

(٤) Citizen Kane

للحكم على الافلام الاخرى كان اورسون ولز عام ١٩٤٠ في الخامسة والعشرين من عمره عندما انتج واخرج ومثل واشترك في كتابة رائعته هذه. وكان ولز بصوته الجهوري وخياله المحلق احد عباقرة السينما الخلاقين. ويعتبر هذا الفيلم بتصويره الآسر لمهووس يحب تدمير ذاته، عملا فنيا رائعاً.

ومنذ بداية الفيلم، حين ينطلق احد المراسلين الصحافيين لمعرفة اسرار احد اصحاب الصحف النافذين الذي نطق لحظة وفاته بكلمة السر "برعم الورد"، وحتى نهايته عندما يكشف المراسل عن معنى هذه الكلمة، يأسرك هذا الفيلم ويجذبك نحو الرؤيا الساحرة لصانعه. وفي العام ١٩٨٧ اطلقت دراسة اجراها نقاد ومثقفون ومؤرخون سينمائيون لقب "افضل فيلم امريكي على الاطلاق" على "المواطن كاين."



هنري فوندا
في "عناقيد الغضب".

□□ عناقيد الغضب

هو(٥) استغاثة مؤثرة لضحايا الركود الاقتصادي الكبير الذي ضرب الولايات المتحدة في الثلاثينات ويروي قصة هجرة عائلة جود من أوكلاهوما الى كاليفورنيا. والفيلم مقتبس عن قصة الكاتب جون شتاينبك الذي حاز جائزة نوبل للآداب. وفي تلك الايام كانت الروايات الادبية العظيمة تحول نصوصاً سينمائية غنية وعميقة. فهل نعجب اذا كانت تلك الافلام مثيرة الى هذا الحد؟

وعلى رغم ان هنري فوندا ادى دوره ففرض ذاته، لم يكن هذا الفيلم حكراً على نجم واحد بل كان عملا جماعياً بفضل مخرجه القدير جون فورد. شاهده الآن لقوة شخصياته وحواره.

كلودبت كولبرت
وكلارك غيبل
في "حدث ذات ليلة".



(٥) *The Grapes of Wrath*


كاري غرانت في
"الشمال نحو الشمال الغربي".

□□ حدث ذات ليلة

كـان(٦) اول وربمـا اكثر الافلام الكوميدية الهزلية إنسانية، وهذا النوع من الافلام كان رائجاً في الثلاثينات والاربعينات. بدأ تصويره في العام ١٩٣٤ وقام بالادوار الرئيسية فيه كل من النجمين كلوديت كولبرت وكلارك غيبل واخرجه فرنك كابرا الذي كان في اوج تألقه. هذا الفيلم نسخة من الثلاثينات عن "الحرب بين الجنسين" التي لا تنتهي ابداً، وقد قدم هذا الفيلم صورة جديدة للمرأة ـ الداهية الذكية التي لا يضاهيها اي رجل.

تقفز الوارثة كولبرت التي افسدتها حياة الترف وجعلت منها فتاة طائشة، من يخت والدها وتحاول الهرب متسترة تحت اسم مستعار فتصادف غيبل وهو صحافي لاذع ساخر وظريف. ويقوم الاثنان معاً برحلة مرحة من فلوريدا الى نيويورك.

وعلى رغم ان البطلين يشعران بارتباط جسدي وعاطفي قوي، تبقى علاقتهما الحميمة مقتصرة على إمساك اليدين وطبع القبلات البريئة على الخدين. وعندما يضطران الى المبيت لليلة واحدة في غرفة فندق يمد غيبل شرشفاً عبر الغرفة فاصلا بين السريرين التوأمين ويسمي هذا الفاصل "جدار جيريكو." صدقوني إذا قلت لكم ان هذا الفاصل ما أزيل الا بعد زواجهما.

□□ صقر مالطة

من تأليف جون هيوستن واخراجه، وهو(٧) مقتبس عن قصة داشيل هامتس المشوقة والتي تحمل الاسم نفسه. قام بدور البطولة في هذا الفيلم الذي صور في العام ١٩٤١ "المشبوهون المعتادون" في "كازابلانكا"، هؤلاء الاوغاد المحببون الذين مثلوا في

(٦) *It Happened One Night*

(٧) *The Maltese Falcon*

الكثير من افلام شركة "ورنر براذرز" على مدى سنوات. عاد سيدني غرينستريت ليمثل دور "الرجل السمين" الذي ينضح بالخيانة والخداع. وادى بيتر لور اهم دور في حياته كمجرم تافه، اما هامفري بوغارت فقام بدور سام سبايد التحري الخاص العملي الخشن. وكانت بريجيت اوشوغنيسي الشريرة التي احبها المشاهدون. كانوا جميعهم يحاولون سرقة تمثال صغير لطائر اسود مليء بالجواهر الثمينة.


جون واين في "عربة السفر".

□□ عُربة السفر

احدث الفيلم(٨) تغييراً في مفهوم هوليوود لافلام رعاة البقر والهنود. ولسنوات عدة كان صانعو السينما يزدرون هذا النوع من افلام "الوسترن" معتبرين انها من الدرجة الثانية ولا تناسب سوى العروض النهارية المخصصة للاولاد. ثم الهمت قصة قصيرة جون فورد فاشترك مع دادلي نيكولز في كتابة "عربة السفر."

ومن بين المسافرين عبر الاراضي الهندية كانت غانية، قامت كلير تريفور بتمثيل دورها، ومقاتل بارع يلقب "رينغو كيد" وقد ادى دوره جون واين. وبين ليلة وضحاها جعل هذا الفيلم من جون واين نجماً ساطعاً في عالم السينما.

"عربة السفر" مشهور بسلسلتين من اللقطات المتعاقبة احداهما الهجوم الذي قام به الهنود على العربة، ويعتبرها مؤرخو السينما اكثر الاعمال صدقاً ومخاطرة واثارة. اما الاخرى فتظهر "رينغو كيد" الخجول الذي يدرك الخير المتأصل في الغانية فيعبر لها عن مشاعره.


طوني كورتيس ومارلين مونرو وجاك ليمون في "البعض يحبه ساخناً".

□□ البعض يحبه ساخناً

هو(٩) كوميديا طائشة وساخطة لا تتخللها لحظة واحدة من الملل، وفي احد المشاهد الرائعة تغني مارلين مونرو التي تؤدي دور مغنية بسيطة وطيبة في

(٨) *Stagecoach*
(٩) *Some Like It Hot*

أواخر العشرينات، وهي تترنح: "اريدك ان تحبني." وعلى خط آخر يلوذ كل من جاك ليمون وتوني كورتيس (الذي يقوم بتقليد مضحك لكاري غرانت) بالفرار من وجه عصابة في شيكاغو، متخفيين بأزياء نسائية، لانهما كانا شاهدين على مذبحة اقترفتها العصابة. اما تهريجهما وهما متنكران يحاولان مناورة الاشرار - فيما كورتيس يغازل مارلين - فيجعل من هذا الفيلم احد افضل الافلام الكوميدية.

□□ الشمال نحو الشمال الغربي

افضل افلام(١٠) هيتشكوك. في هذه المغامرة الاخاذة يطارد جواسيس غرباء كاري غرانت عبر البلاد ظناً منهم انه عميل امريكي، بينما هو في الواقع مدير في شركة اعلانات. وفي احد المشاهد المثيرة يظهر كاري غرانت هارباً من وجه طائرة ترش السم في حقل. اما المطاردة الاخيرة فتجري بين الوجوه الضخمة لرؤساء الولايات المتحدة المحفورة في جبل راشمور بولاية ساوث داكوتا. قال ارنيست لاهمان كاتب سيناريو الفيلم لهيتشكوك انه يستحيل تصوير الممثلين في جبل راشمور نظراً الى انعدام المسطحات فيه. فكان على هيتشكوك وبمساعدة فريق من التقنيين بناء جبل راشمور في استوديوهات شركة "مترو".

ولماذا التعجب؟ فجين كيلي غنى ورقص تحت المطر على مسرح "مترو" واشعل شيرمان اتلانتا في مدينة كالفر على مقربة من جبل راشمور الاصطناعي.

ان السحر السينمائي الناجم عن هذه الاعمال سيدوم الى الابد.

موريس زولوتو ■

(١٠) *North by Northwest*



الدفع أبو الاختراع

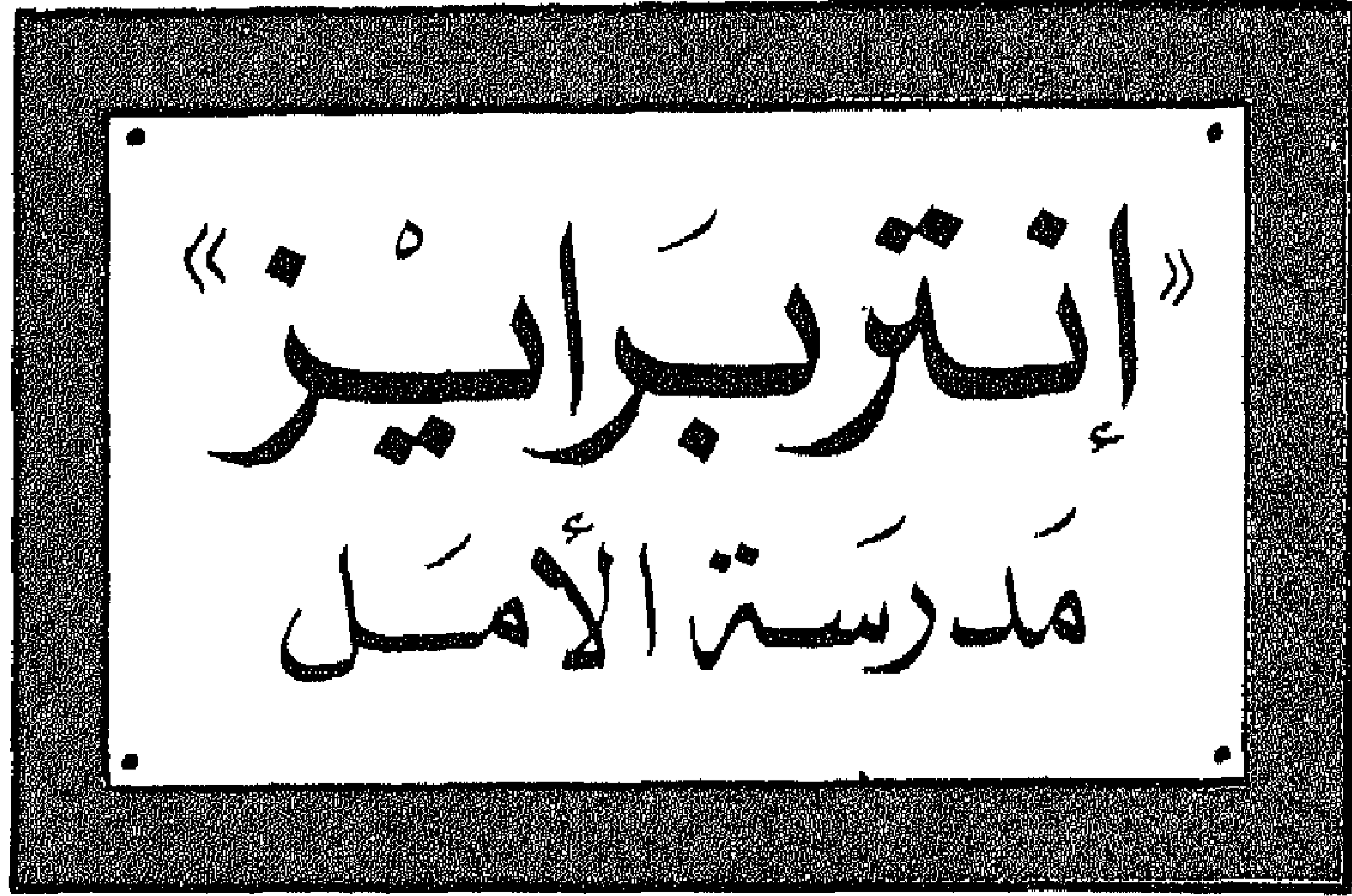
أنا محاسب في مركز طبي وأعرف كل أنواع الأعذار التي يقدمها المرضى المتأخرون عن الدفع، وأفضلها أتاني من سيدة قالت: "أنا آسفة لتأخري، ولكن كل ما لدينا تلف في الاعصار الأخير." فسألتها عما اذا كان الرقم الذي أكلمها عليه هو رقم هاتف منزلها. وبعد لحظة تردد أجابت: "نعم، والهاتف هو كل ما بقي لنا."

ت.م.

مرح صباحي

أخي سائق شاحنة، وكثيراً ما يواجه ازدحام سير خانقاً. وذات صباح توقف السير كلياً، فجلس أخي في المقعد المرتفع لشاحنته الكبيرة وهو يغني ويصفر. فصرخ به أحد السائقين وقد ضايقه تأخره عن موعد عمله: "ما الذي يفرحك هكذا؟" فأجابه أخي بمرح: "لقد بدأت عملي!"

ب.ل.



هنا تسنح فرصة ثانية، ربما اخيرة، للطلاب ذوي المشاكل الذين يتخلون عن الدراسة قبل التخرج

بدت كارول صورة ناطقة لليأس بكتفيها المرتخيتين وعينيها المنخفضتين، وهي داخلة مدرسة "انتربرايز" الثانوية في بوتيكا بولاية ميشيغن. وتساءلت لماذا العناء.

فقبل سنتين تخلت هذه الصبية ابنة التاسعة عشرة عن الدراسة وهي في الصف الثانوي الاخير. وكانت "انتربرايز" بالنسبة اليها فرصتها الثانية. ومع ذلك خامرها شك في مقدرتها على القيام بالعمل المطلوب. وللمرة الثانية في ذلك اليوم من شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٨٦ تساءلت كيف يمكن لهذه المدرسة ان تساعدها. نظرت حولها، باضطراب وقلق وقالت في سريرتها: انني اعرض نفسي لسقوط آخر.

لم تكن مدرّسة الفنون جولي وليمس غريبة عن تلك النظرة التي تميز الطلاب في يومهم الاول في المدرسة والتي قرأتها الآن في وجه كارول، فقالت لها وهي تبتسم: "مرحبا. انني مدرّسة هذا الصف، ويسعدني حقا ان تكوني بيننا اليوم."

فردت عليها كارول بهزة من كتفيها وتمتمت: "انني لا احب المدرسة كثيرا."

فأجابتها جولي: "لكن هذه المدرسة

مختلفة وسوف تفيدين منها كثيرا."
فردت كارول وهي تشيح بوجهها: "ربما، سنرى."

خسارة وطنية. تواجه التربية في أمريكا اليوم مشكلة كبرى تتمثل في توقف الطلاب عن الدراسة قبل التخرج. فنحو مليون طالب - أي واحد من كل أربعة - يتوقفون عن الدراسة كل سنة. ومن يجد منهم عملاً فإنه يكون عادة عملاً ضئيل الأجر لا يتطلب أي مهارة. أما الباقون فإنهم عملياً غير مؤهلين لأي عمل وغير صالحين للاستخدام، فيتجهون الى الإجرام. وان قرابة ٦٠ أو ٧٠ في المئة من نزلاء السجون هم من الذين عجزوا عن انهاء دراستهم الثانوية.

والثمن الذي تدفعه البلاد من جراء هذا الوضع مذهل. ولقد أجرى مركز الأبحاث التربوي في جامعة ستانفورد في كاليفورنيا حسابا للخسارة التي سببها طلاب العام ١٩٨١ الذين انقطعوا عن المدارس قبل انهاء دراستهم. وتبيّن بنتيجة الحساب أنهم أضاعوا فرص كسب ٢٢٨ مليار دولار خلال حياتهم وفوتوا على الدولة عائدات ضريبية تبلغ ٦٨ مليار دولار، عدا الامكانات البشرية المهدورة التي لا تقدّر قيمتها بثمن. مدرسة "انتربرايز" الثانوية كانت الحل الذي قدّمه رينشارد بنديكت للمشكلة. فبعد ثلاث سنوات من تدريس مادة "مهارات حياتية" في مدرسة في بنتون هاربر بولاية ميشيغن تقع في حيّ داخلي مكتظ بالناس ويسوده الفساد، أدرك أن التلاميذ الذين يحتاجون فعلاً الى تلك المادّة لم يكونوا بين الطلاب، فهم تخلوا عن الدراسة وغادروا المدرسة.

وبتمويل من الحكومة الاتحادية ومن الولايات فتحت قبل ست سنوات أول مدرسة ثانوية في مشروع "انتربرايز" في مبنى مدرسة ابتدائية مهجورة في ماكومب شمال مدينة ديترويت. وفي بداية ١٩٨٩ بات هناك ٦٠٠ طالب مسجلون في عشر من مدارس "انتربرايز" في ولاية ميشيغن وفي كليفلاند وشيكاغو. ويسمع الطلاب بالبرنامج إما من المرشدين وإما من أناس يتناقلون أخباره.

تغيير جذري. في كل يوم من أيام الدراسة يخصص وقت لتدريس اللغة الانكليزية والرياضيات والعلوم وسواها من المواد الاساسية. أما في ما تبقى من وقت فيعمل الطلاب في مشاريع تعهدات ومقاولات تجارية ويتقاسمون الأرباح. فهم يديرون المطاعم ويصلحون السيارات والادمغة الألكترونية ويطبعون بطاقات دعوات الى الأعراس. وهناك مجموعة منهم أسس أفرادها شركة تعاونية ساهم كل منهم في تمويل صندوقها المشترك، وهي تمنح قروضا بفائدة متدنية.

لمعظم هؤلاء الطلاب تاريخ طويل حافل بالمشاكل. نصف المتقدمين الى البرنامج من متعاطي المخدرات، وثلثهم أصحاب مشاكل مع الشرطة، وأكثر من ثلثهم أبناء عائلات فقيرة تتلقى اعانات مالية من صندوق الدولة. أما بنديكت فيقول لهم: "لا أحد يولد فاشلاً. انكم هنا لكي تحققوا طاقاتكم الكامنة."

ومعظمهم ينجح فعلاً بفضل جهود بنديكت. فنحو ٧٠ في المئة منهم ينهون البرنامج ويتخرجون. وثلثا المتخرجين يجدون عملاً أو ينطلقون بأعمال تجارية حرة. و"انتربرايز" هي بالنسبة الى عدد كبير منهم الحافز لتغيير جذري في حياتهم. ويقول بنديكت في هذا الصدد: "إننا نعلّمهم أن العمل مهمّ وأن لحياتهم قيمة وأن ما يفعلونه مُجدٍ. و"انتربرايز" تتيح لهم فرصة للنجاح. وهم يعرفون أنهم مسؤولون عن اخفاقهم فلا يلومون أحداً سواهم."

مايكل، مثلاً، تحوّل الى المخدرات والكحول وهو في الثالثة عشرة من عمره، فتخلى عن الدراسة ولم يستطع الثبات في أي عمل. ثم سمع بمدرسة "انتربرايز" من أحد أصدقائه، فانتسب اليها وكان في التاسعة عشرة. لم يكن يتوقّع الكثير، لكنّه قبل انقضاء سنة قطع عهداً لنفسه بالابتعاد عن الكحول والمخدرات ونال الشهادة الثانوية. مايكل اليوم في السادسة والعشرين، ويعمل في تركيب اجهزة منبّهة ضد السرقة في المنازل. حلمه أن يصبح مهندساً. وهو تخرّج حديثاً بعدما درس علم الالكترونيات في معهد ليلي.

طوال ثماني سنوات منذ تخلّت سو عن الدراسة وهي في السادسة عشرة من عمرها، عاشت مع طفلتها الصغيرة في حال من الفقر المدقع واليأس بلغت ذات مرّة حدّ التشرد. وكانت في حاجة الى ٧٠٠ دولار يومياً لسد حاجتها الى الكوكايين الذي ادمنته. وفي السن الرابعة والعشرين قررت أنها اكتفت من تلك الحياة، فانتسبت الى برنامج للمعالجة والتأهيل ثم تسجّلت في مدرسة "انتربرايز" حيث نالت أعلى المعدّلات. ومن كانت بالأمس أماً تعيش على الصدقة وإعانات الدولة أصبحت اليوم مشرفة في مأوى للنساء العجائز.

"ليس في استطاعتي..." أما كارول، الشابة المضطربة التي وقفت في قاعة الصف ذاك اليوم من شهر سبتمبر (أيلول)، فلقد كانت هي الأخرى ذات ماضٍ محزن. فهي كبرت في بيت يعوزه المالُ والحب.

كانت كارول في الخامسة عشرة من عمرها عدائية المزاج نزّاعة الى الجدل. وبدأت تتغيب عن المدرسة، وما لبثت أن تخلت عنها نهائياً. وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٥، في السنة التي كان مفروضا أن تتخرّج، طردتها أمها من البيت. وبعد أسابيع تعرّضت لحادث اصطدام خرجت منه بإصابة بالغة في ساقها اليمنى أقعدتها في المستشفى أسبوعين، فاضطرت الى التخلي عن عملها الوضيع في مصنع للبلاستيك. ومع أنها أملت أن يسمح لها أبواها بالعودة الى المنزل إلا أنهما خيّباها.

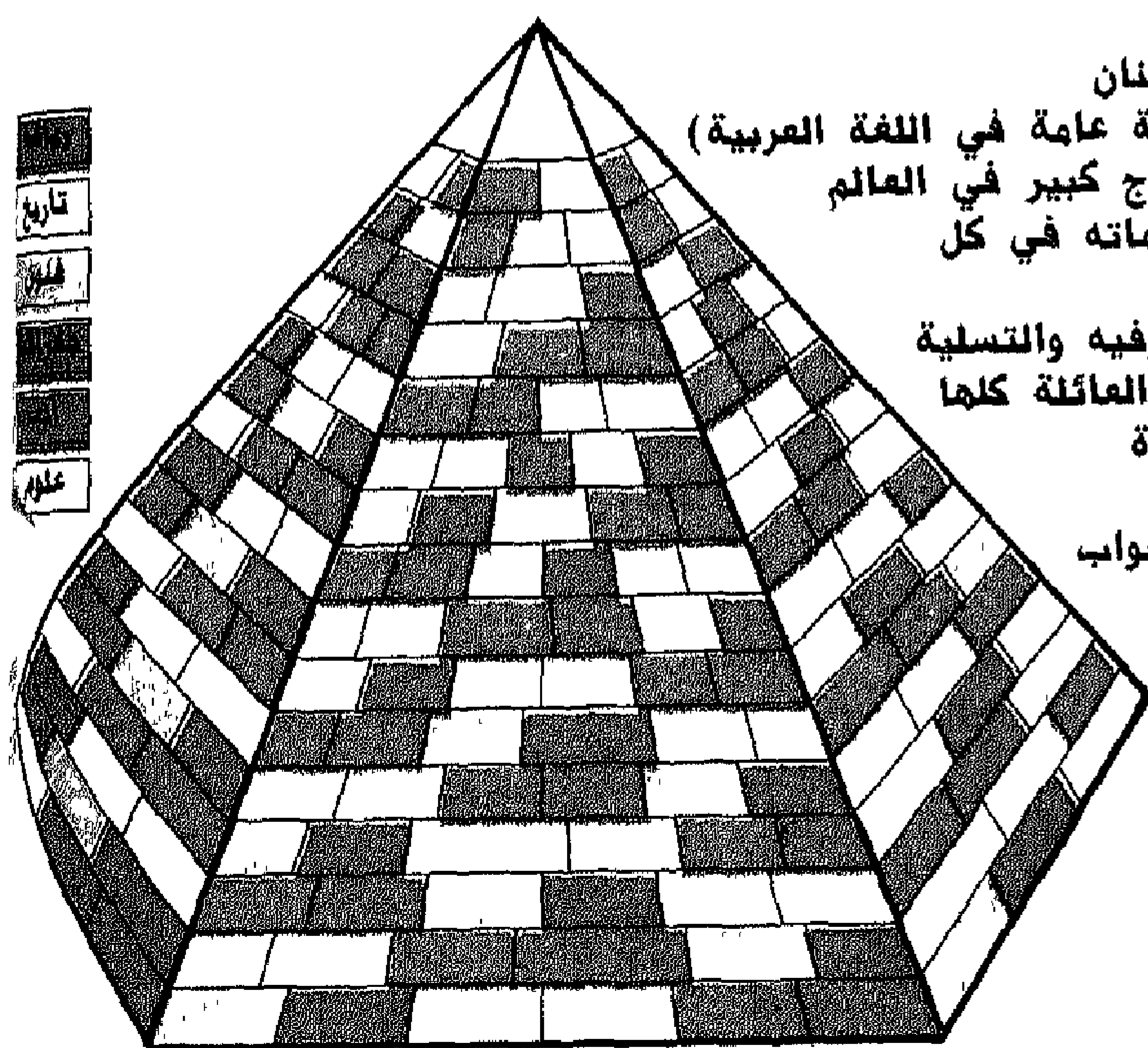
أقامت كارول في البدء مع عائلة احدى صديقاتها ثم مع صديقة عاطلة عن العمل. ونظراً الى انكماشها وقلّة ثقتها بالغرباء أقامت جداراً حولها وكبتت عواطفها وراءه.

ومع أن ذلك لم يكن جديداً على المعلمة جولي وليمس، إلا أن منظر الشبان والشابات - أمثال كارول - المصدومين

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مشو



- ▲ هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- ▲ هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- ▲ هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- ▲ هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- ▲ هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- ▲ هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- ▲ هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- ▲ هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- ▲ هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

هرم المعرفة: تجدونها في جميع محلات الالعاب والمكتبات
انتاج: شركة انتاج وتسويق الالعاب التثقيفية ش.م.م PROMEGA S.A.R.L.
ت: ٩٢٦٧٧٠ (٠٩) - تلكس: AJAKKA LE ٤٥٤٠٠
التوزيع في لبنان: شركة بلايتايم Playtime ت: ٤١٤٤٢٧

والفاقدي الأمل، ما فتىء يهزها وكان عليها أن تعمل جاهدة لكي تكسب ثقتهم وتصبح موضع ائتمانهم. وفي ذلك اليوم خاطبت جولي مجموعة الطلاب أمامها: "ان انتربرايز هي فرصتكم الثانية لمتابعة دراستكم الثانوية. انها فرصتكم لتعملوا أو لتكونوا ما شئتم. الأمر متوقف عليكم، وأنا هنا لأبذل قصارى جهدي لمساعدتكم."

فرماها الطلاب بنظرات مرتابة عدائية.

نظرت جولي الى كارول الجالسة بصمت وإكتئاب، وشعرت للحال أن العمل معها سيكون بمثابة تحد.

تابعت جولي: "هذه المدرسة مبنيّة من أجل الاعمال والمشاريع التي تحمل معنى المغامرة والتحدي. مشروعنا لهذا الصف هو الانتاج الفني. سوف تنتجون أشياء ثم تبيعونها ولدينا مخزن لهذا الغرض هنا في المدرسة."

عبست كارول وقالت: "لا أحد يشتري أي شيء من إنتاجي."

فوجّهت جولي إجابتها الى الصف كلّه: "ليس في هذه القاعة من لا يجيد عملاً ما. أنا نفسي تعلّمت وحدي كل ما أعرفه عن الفن. والناس يدفعون لي ثمن ما أنتجه. ان في وسعكم جميعكم أن تفعلوا الأمر نفسه في المستقبل. وفي استطاعتي أن أريكم كيف تفعلون ذلك إذا ما لاقيتموني في منتصف الطريق."

ثم نظرت الى كارول وسألتها: "لو كان لك أن تختاري أي عمل فني، فماذا يكون؟"

تخلّت كارول لبرهة وجيزة عن حذرها وقالت: "الرسم الزيتي." ثم نظرت حولها بخجل وارتباك واضافت: "لكن ليس في استطاعتي..."

فوعدتها جولي: "بل في استطاعتك!"

ألوان قاتمة. عدد كبير من الشباب في مدارس "انتربرايز" ظلّوا سنوات يسمعون من ذويهم ومدرسيهم أنهم لن ينجحوا في أي شيء. ودأبت جولي كل يوم على اقتطاع جزء صغير من المشاعر السلبية التي تراكمت داخلهم، مرددة عليهم رسالتها المتفائلة من دون كلل. إلا أن كارول كانت تتجنب الإتصال برفقائها الطلاب. ونادراً ما ساهمت في مناقشات الصف. فهي كانت قليلة الكلام وذات مزاج متقلب.

عندما بدأت كارول العمل على مشروعها الفني - وهو رسم عنقود عنب بالحبر والريشة - أمطرتها جولي بعبارات الاستحسان والمديح، وكانت تردد "رائع... جميل..." ممّا شجع الفتاة فانتقلت الى صنع دمية من الخزف.

"التفاصيل جيّدة، هكذا كان تعليق جولي عندما رأت اللعبة، مع أنها لاحظت اللون الازرق الكئيب الذي اختارته كارول. وقالت في نفسها: لا بد من أن الدمية بلونها القاتم تعكس مشاعر الوحدة واليأس عند كارول. لكنها سوف تتخلص منها، أنا متأكدة من ذلك.

مع مرور الاسابيع نمت ثقة كارول بنفسها وما لبثت أن تحوّلت الى صنع أطر للصور وقمصان قطن مصبوغة وفق الزي الشائع. ولم يكن بين القمصان واحد مثل الآخر. ولكي تعتاد كارول التفكير العملي،

كما الغنيّ، كان عليها أن تحدد بنفسها سعر البيع لكل قطعة تنتجها، آخذة في الاعتبار كلفة المواد المستخدمة وربحها المنشود. وفي النهاية تحوّلت كارول الى صناعة الزينة المنزلية لان ذلك يدرّ عليها مالاً أوفر كما قالت.

ظهر كل يوم كانت كارول تغادر غرفة الفنون وتتوجه عبر الرواق الى صف يعلّم "الادارة العملية". وهي سلّمت في ذلك الصف دفتر شيكات صوريّة وكان عليها أن تسدد بموجبه فواتير خيالية. وهكذا تعلّمت أن توازن بين الدخل والمصروف وأن تحسب قيمة الضرائب.

ولم يكن ما تعلمته كارول ليقتصر على ذلك، بل انها بدأت تكتشف الكثير عن نفسها. وذات يوم أسرّت الى جولي بصوت لم يخلُ من الدهشة: "أتعلمين؟ انني أحب هذا المكان وأعتقد أنني تعلمت الكثير."

لكن حضور كارول لم يكن منتظماً. ولما استوضحتها جولي عن السبب قالت: "صديقتي تنقلني بالسيارة الى المدرسة، وأحياناً لا نملك ثمن الوقود."

عندما لاحظت جولي في منتصف شهر أكتوبر (تشرين الاول) أن كارول تعاني سعالاً شديداً، سألتها إن كان هناك من خطب. فأخبرتها كارول أنها وصديقتها تعيشان في بيت متنقل صغير قائم على عجلات وهو كناية عن شاحنة مفتوحة، وأن عليهما كلما أرادتا الذهاب الى الحمّام أن تسيرا مسافة ثلاثة أرباع كيلومتر.

سألتها جولي: "وأين تأكلان؟"

فأجابت بإصرار: "إننا بخير."

ذلك المساء طرقت جولي باب الشاحنة ومعها ثلاثة اكياس من الطعام. كانت الحال في الداخل أسوأ مما توقعت، ولم يكن في الشاحنة من أسباب التدفئة سوى موقد صغير يحدث شعلة زرقاء. أما كارول فقبعت في الزاوية وهي ترتجف كطفل ضائع وقد لفّت نفسها بحرام. ضمّتها جولي الى صدرها وقالت برقة: "كارول، لا يمكنك أن تعيشي هكذا. يجب أن نعيدك الى البيت."

جبال الاحلام. في الاسابيع التالية ظلّت جولي تمدّ كارول بالطعام والفيتامينات. واتصلت بوالدتها وحضتها على المصالحة. وفي شهر نوفمبر (تشرين الثاني)، على أبواب موسم شتاء قاس، لانت الوالدة وعادت كارول الى المنزل.

في تلك الاثناء بدأت كارول تلين وتتصل بالآخرين وتشارك في مناقشات الصف عارضة مشاكلها ومساهمة في تقديم الحلول للطلاب ذوي المشاكل. ورداً على زميلة لها كانت تقيم مع صديقة تسيء معاملتها نصحتها كارول بالعودة الى ذويها قائلة: "كان ذلك حلاً ناجعاً بالنسبة الي."

بدأت كارول تبرز كقائدة في الصف. وأصبحت مديرة مخزن المدرسة. وساهمت في اقامة معرض حرفي خيري درّ على الصف نحو ٧٠٠ دولار.

وفي الفصل الدراسي الثاني سنحت لكارول فرصة للعمل على اللوحة الزيتية التي طالما حلمت بها. وهي قالت لجولي: "أريد جبالاً في لوحتي، كي أتخيّل نفسي جالسة فوق قممها حيث الهدوء والسكينة."

رسمت كارول صورة تخطيطية على

القماش ظهرت فيها قمم وبحيرة جبلية. وكانت تجلس ساعات طويلة يومياً أمام المحمل تعمل على لوحتها بتفصيل مفرط. وأخيراً، بعد ثلاثة أشهر، انتهى العمل وامتلكت كارول جبالها بألوانها المشرقة المفعمة بالحياة. وعندما قدّمتها الى الصف علا الهتاف.

في شهر يونيو (حزيران) ١٩٨٧ أتمت كارول وثمانية تلاميذ آخرون البرنامج المقرر لنيل الشهادة الثانوية. ولشد ما فرحت جولي عندما علمت أن الفتاة المنطوية في الماضي تطوعت لالقاء كلمة المتخرجين.

وبثقة عارمة وابتسامة مشرقة تقدمت كارول من المقرأ وتلت الخطاب الذي استهلته بقولها: "كنت مقتنعة بأنني لن احوز شهادة أبداً. لكننا هنا في انتربرايز عملنا معاً كعائلة واحدة."

وكوالدة فخورة جلست جولي وليمس في الصف الامامي، واغرورقت عيناها وهي تتابع خطاب كارول التي وقفت مرفوعة الرأس تقول: "لقد اتاحت لي هذه المدرسة فرصة لأحقق شيئا مهماً في حياتي. يمكنني الآن أن أحقق أي شيء أعقد العزم عليه."

باتريشيا سكالكا ■



برمجة منزلية

استيقظت ذات صباح لأجد أن الكهرباء انقطعت لساعات خلال الليل. وبينما كنت أعيد ضبط المنبّه اتصلت بي جارتي التي يزخر منزلها بأحدث الادوات الرقمية وسألتني: "هل انقطعت عنا الكهرباء؟"

– نعم لمدة ثلاث ساعات تقريباً.

فتذمرت قائلة: "كانت لدي مخططات كثيرة لهذا اليوم، والآن سأضطر الى صرف الصباح في اعادة برمجة المطبخ."

ك.ل.ب.

بين المهنة والزواج

بدا صراع الأجيال واضحاً عندما حاولت مناقشة موضوع الزواج مع ابنتي ذات التطلعات المهنية. فأشرت عليها بالآتي: "قد لا يتحمل زوجك طموحك الى ما لا نهاية، فيقلقه ألا يتلاءم الولاء الكلي للوظيفة مع علاقة زوجية ناجحة." فأجابت: "أنت لا تفهمني يا أبي، فالذي سيحدث هو عملية دمج وليس عملية استيلاء."

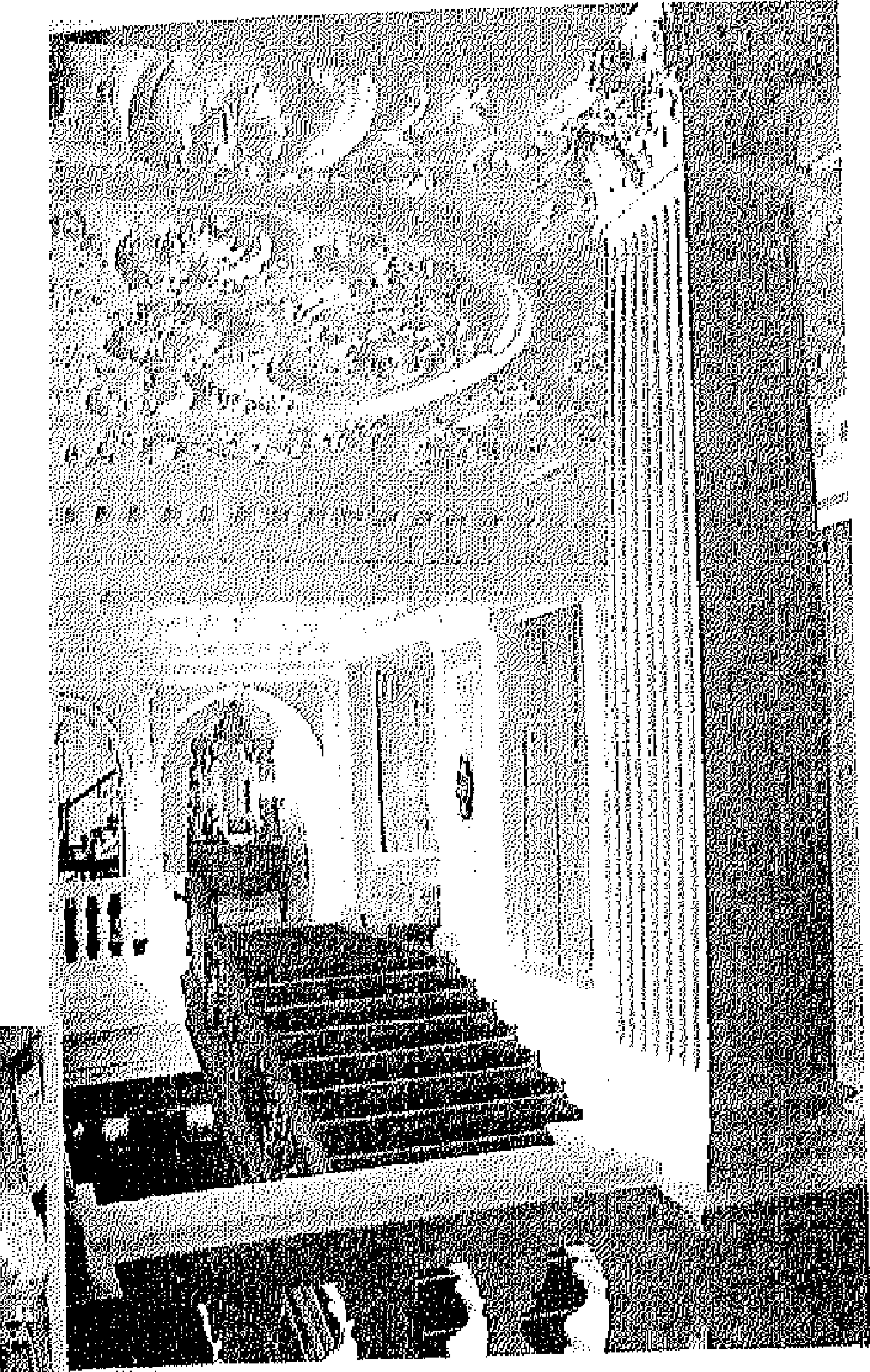
ل.س.أ.

عندما يقع فيل في مأزق، حتى الضفدع يستطيع أن يرفسه.

مثل هندي

كلاريدج سر في فندق

في فندق لندن الفخم بعيداً عن العيون والرقباء والبيت يجد الأغنياء والمشاهير بيتاً خفيا ثانياً





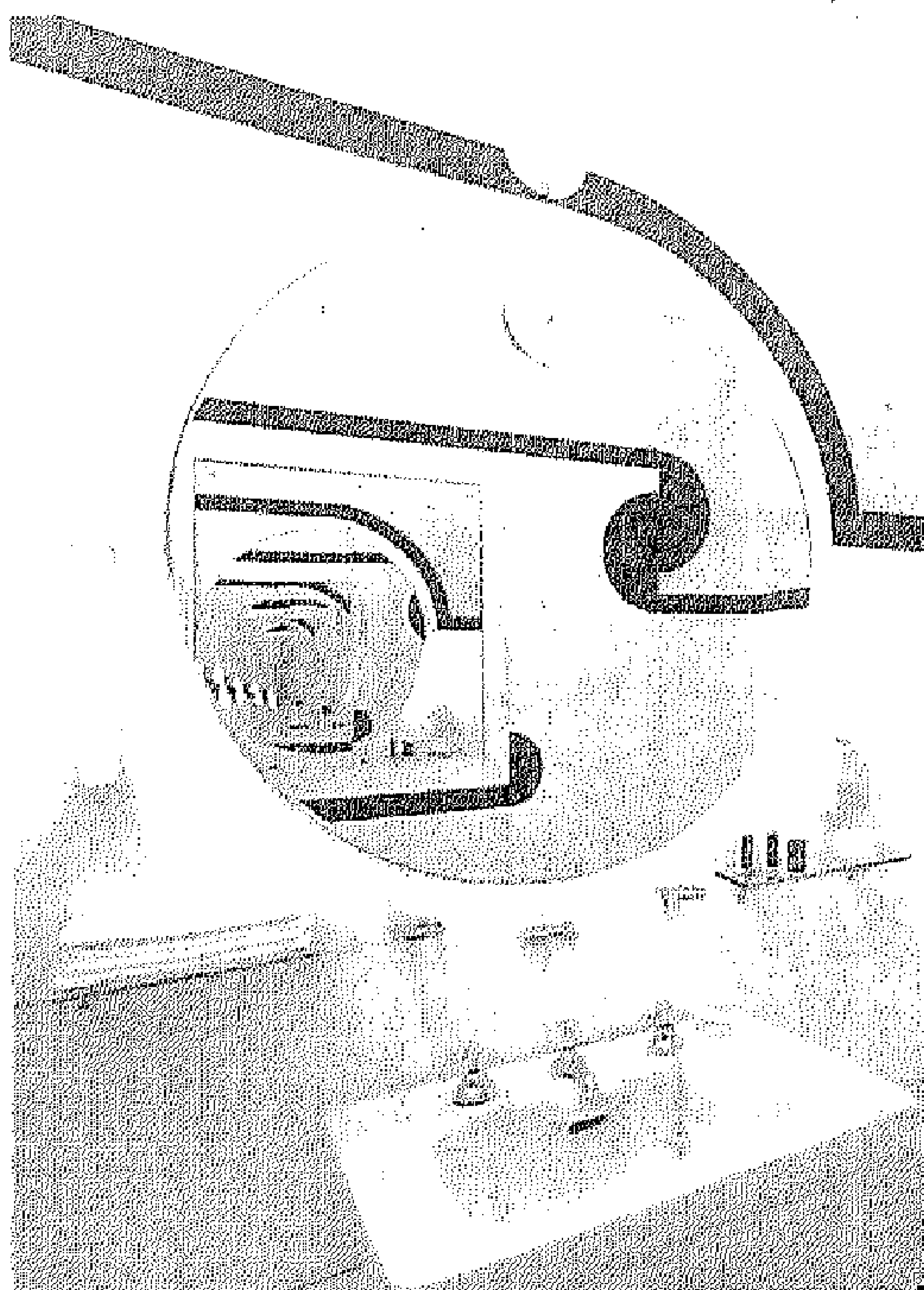
في أصيل احد ايام الصيف في فندق كلاريدج في لندن سمعت انشادا إيقاعيا آتيا من الشارع: "ما - كار - يوس! ما - كار - يوس!" فخرجت الى الشرفة وشاهدت جمعا من القبارصة يهتفون معلنين تأييدهم لرئيس الاساقفة مكاريوس الذي هرب من الجزيرة بعدما اطاحه انقلاب، ولجأ الى الفندق.

وفي الشرفة الواقعة تحت شرفتي وقفت فتاة جميلة سمراء تراقب المشهد الى ان خرجت خادمة واسرت اليها شيئاً فاختفت في الداخل. وفي وقت مبكر من الصباح التالي رأينها تصعد الى سيارة فخمة وتنطلق بسرعة. فسألت الحاجب عمّن تكون. فتوقف لحظة متحفظاً ثم اجاب: "إنها ملكة اليونان المنفية، وهي والملك قسطنطين نزيلان دائمان هنا."

وكنت قرأت ان التغيّرات السياسية قد تعني عودة الملك القريبة الى عرشه. وقد فتنني وجوده في الفندق فبحت بذلك الى أحد الاجانب الذي بدا متميزا وكان معي في المصعد

(فوق من اليمين) السلم الرئيسية، جناح خاص، حمّام غرفة "آرت ديكو." (أسفل اليسار) خدمة الغرف.









فسألته: "هل انت ايضا من اليونان؟"
- انا من باكستان.
"وماذا تعمل هناك؟"
- انا رئيس الدولة.

يفد الى فندق كلاريدج بفخامته المميزة، الملوك والملكات ورؤساء الدول والجميلات ورؤساء الشركات واصحاب الملايين والسياح الاثرياء من اوستراليا والشرق الاوسط. وخلف واجهته الفيكتورية المبنية بالقرميد الاحمر يقوم عالم مصغّر من الثراء والشهرة والعلاقات المشبوبة.

في صميم التقاليد البريطانية، يحتل الفندق الذي يضم ١٨٩ غرفة مكانا فريدا كبناء اضافي ملحق بقصر باكينغهام. فيتبع الملكوك والرؤساء الذين يقومون بزيارات رسمية للملكة، نظاما روتينيا دقيقاً غير مكتوب. فبعد اقامة ٣ ايام في القصر ينتقلون الى فندق كلاريدج حيث يقيمون للملكة مأدبة عشاء رسمية تتعهدها مطابخ الفندق السحرية التي تتحقق من الا تقدم قائمتا طعام بالانواع ذاتها.

حين استضاف الملك الحسن الثاني ملك المغرب الملكة عام ١٩٨٧ كانت هناك حاجة الى كميات كبيرة من الدجاج ولحم الضأن والحمام والرز والتوابل. ولخدمة هذه الوليمة العربية زيد عدد نُدل فندق كلاريدج بآخرين من حاشية الملك، بملابسهم الزاهية: الجلّابيات البيض والطرابيش الحمر والاحذية الصفر.

طابع الفندق المميز. مهما تكن رغبة النزيل او نزوته، فان هيئة ادارة كلاريدج تضم ٥٠٠ مستخدم مدربين لتلبيتها في الحال بكفاية وثقة. وكل ما يحب النزيل ويكره مدوّن بدقة في الفندق. وذُكر ان رئيس الاساقفة القبرصي الراحل مكاريوس بعد هربه من الجزيرة، دوّن طعامه المفضّل: "فاصولياء هاينز، محمصة ومشيّطة." وطوال اقامته في الفندق كانوا يمطرونه بالفاصولياء (مشيّطة قليلا ويحبها كذلك).

فالمقيمون الدائمون يواجهون دقة في انتقاء الغرف، فلأولئك الذين يحنّون الى الثلاثينات من هذا القرن هناك أجنحة "آرت ديكو" الأنيقة فيما يفضل آخرون رفاهية بيت "كوتسولد" الريفي المزّين بالقماش المطبّع والبعيد عن الرسميات. وكان ج. بول غيتي الذي كان يعتبر اغنى رجل في العالم، يستأجر غرفة فردية في أحدى الطبقات العليا.

بدأ تاريخ كلاريدج عام ١٨١٢ عندما استأجر اللورد وليم بوكليرك منزلا في شارع بروك مصحوبا بتفويض لتشغيله فندقا. وعيّن مسؤولا عن الفندق يدعى جيمس مايفارت. ويحكى ان الوصي على العرش كان وراء "مايفارت" الاسم الاول للفندق، واحتفظ لنفسه فيه بشقة خاصة.

وما لبث مايفارت ان اشترى خمسة منازل أخر في شارع بروك ضمّها الى بعضها وتخصص باستضافة الاشراف في رفاهية وسرية. ولدى تقاعد مايفارت في اواسط العام ١٨٥٠ تملك الفندق وليم كلاريدج وزوجته الجميلة ماريان اللذان كانا يديران فندقا خاصا صغيراً وغيرا اسمه لاحقا الى فندق "كلاريدج".

في العام ١٨٦٠ ذاعت شهرة الفندق

حين حضرت اليه الملكة فيكتوريا لزيارة الامبراطورة اوجيني الفرنسية. وتلت ذلك عشر سنين كان الفندق خلالها محجة العظماء. غير انه في العام ١٨٨١ انتكست احواله المالية فبيع من احدى الشركات. وكان بات يعتبر فندقاً من الطراز القديم، وهجره زبائنه المخلصون للاقامة في فنادق جديدة اكثر فخامة. وفي ١٨٩٤ اضطرت الشركة الى بيع الفندق لتسديد ديونها.

مكافأة الصبر. انتقلت ملكية فندق كلاريدج الى شركة يرئسها ريتشارد دويل كارث، مدير "اوبرات غيلبرت وسوليفان" وباني فندق "سافوي" في الستراند. فهُدمت الابنية القديمة وصمم الفندق الجديد بطبقاته السبع، س. و. ستيفنس المهندس المعماري الذي بنى "هارودز." وافتتح في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٩٨.

ولم يلبث ان عاد كلاريدج بيتا ثانيا بعيدا من البيت للملوك والاثرياء.

في الحرب العالمية الاولى كان الضباط المجازون من الجبهة، يغازلون الفتيات الجميلات خلال حفلات الشاي الكثيرة التي كانت تقام في الفندق وفي السنوات التي تلت الحرب اكتشف الامريكيون الاثرياء سحر الفندق. وفيما كانوا يتدفقون من البواخر عابرة الاطلسي، كان مفوّضو كلاريدج في انتظارهم على الارصفة ليساعدوهم في معاملاتهم الجمركية وليتلفنوا بغية التأكد من كون اجنحتهم جاهزة، ولطلب اشعال المدافىء في ايام الشتاء الباردة.

في الحرب العالمية الثانية وفّر الفندق مسكنا لملوك اليونان ويوغوسلافيا وهولندا كما استضاف جمعا من الملوك ورؤساء الدول. وخلال الغارات الجوية كان هؤلاء يقضون الليالي في الملجأ الواقع في اسفل البناء اتقاء للقنابل. وكانت لملكة هولندا زاويتها الخاصة المحجوبة بالستائر.

وما ان انتهت الحرب حتى عاد لكلاريدج بريقه وتألقه واخذ الزائرون من وراء البحار يتوافدون اليه وعادت الاريستوقراطية البريطانية تقيم طقوسها فيه. وفي بداية موسم سباق الجياد الطلِق كانت الملكة تتناول الغداء في الجناح الملوكي في ضيافة اللورد هاليفاكس. وقبل الحفلات في الحدائق الملكية كانت النساء بقبعاتهن يحتشدن في "الكوزيري" اي المطعم الصغير الى جوار القاعة الكبرى والمكان المفضل الذي تتردد اليه دوقة يورك. وتظهر الفتيات للمرة الاولى في الحفلات الاجتماعية في قاعة الرقص ورؤساء الدول الزائرون يقيمون فيه ولائمهم.

وتقام فيه حفلات ابعد قليلا عن الرسميات للشخصيات الملكية، كتلك التي حضرها الملكة والامير فيليب بعد زواج ولي العهد ودوق يورك.

والى الغرف الخاصة الخمس المتصلة ببعضها حيث في الامكان تقديم وجبة لألف شخص مرة واحدة، يضم فندق كلاريدج مطعما رئيسيا يقدم فيه الشراب نُدل مرتدين "الفراك" والسراويل القصيرة حتى الركبتين وتعزف اوركسترا مجرية موسيقى الكوميديات الاسطورية.

وفي المطعم حيث تقوم بوابة على مدخله يضبط المدير برونو (طوله ١،٩٢ متر) بعينه الثاقبة الجلوس على افضل الطاولات. واصول "الأتيكيت" في الفندق هي في غاية الشدة حتى انه في الايام التي كان يُفترض في النساء ارتداء التنورة وقت العشاء، منعت كاثرين هيبورن من الدخول لارتدائها السروال.

ولعل في كل الاحداث التي شهدها كلاريدج على مرّ السنين – من استضافة بولغانين وخروتشيف، واحتشاد الملوك خلال مأتم الملك جورج السادس، والاحتفال باليوبيل الفضي للملكة – ليس هناك ما يوحي ويبعث على التأثر اكثر من خروج السير ونستون تشرشل من مبنى ١٠ داوننغ ستريت، مقر رئاسة الوزارة البريطانية في لندن بعد خسارته في الانتخابات عام ١٩٤٥ (بعدما كان قاد بريطانيا الى النصر)، واكتشافه انه لا يملك منزلا في لندن يقيم فيه. ولم يطل الامر حتى جاءه الحل السريع من اصحاب فندق كلاريدج.

قال له السير هيو وونتنر رئيس "مجموعة سافوي" مالكة كلاريدج آنذاك: "ستقيم عندنا بكل تأكيد، وسنكون مبتهجين اذا اقمت في شقتنا الاضافية للمبنى كضيف."

في تلك الليلة خرج تشرشل، وحنكه مطبق على السيجار، الى شرفة الشقة وجال ببصره فوق سقوف الابنية فشاهد ساعة "بيغ بن" الشهيرة تتوهج فوق مباني البرلمان فقال: "أعتقد انني سأكون سعيدا هنا. لقد كنت دائماً عضوا في مجلس العموم وأرغب في ان تظل عيني عليه واوليه اهتمامي." ثم دخل وتناول شرابا معتقاً ممتازاً خاصا بكلاريدج، مع السير هيو.

جيمس ستيوارت غوردن ■



لغة ميكانيكي

خلال رحلة طويلة في السيارة وصلت الى قرية صغيرة. وكان عطل بسيط طرأ على سيارتي، فبحثت عن مرأب. وهناك دار الحديث التقليدي الآتي بيني وبين الميكانيكي:

"لقد طرأ عطل بسيط على سيارتي."

– آسف، فأنا هنا وحدي ولدي اعمال كثيرة متأخرة.

فرفعت غطاء المحرك قائلا: "ربما أمكنك القاء نظرة خاطفةعلى المحرك."

وعندما انحنى لالقاء نظرة أردفت. "ربما استطعت اصلاحه بنفسي؟"

– لا، لا. أترك هذا العمل لخبير. خذ، احمل لي هذه.

وأصلح العطل مجاناً.

ك.م.

لا تؤدى الاعمال العظيمة بالقوة بل بالمثابرة.

صاموئيل جونسون، كاتب وناقد ومعجمي بريطاني (١٧٠٩ – ١٧٨٤)

عيد طائرات الورق

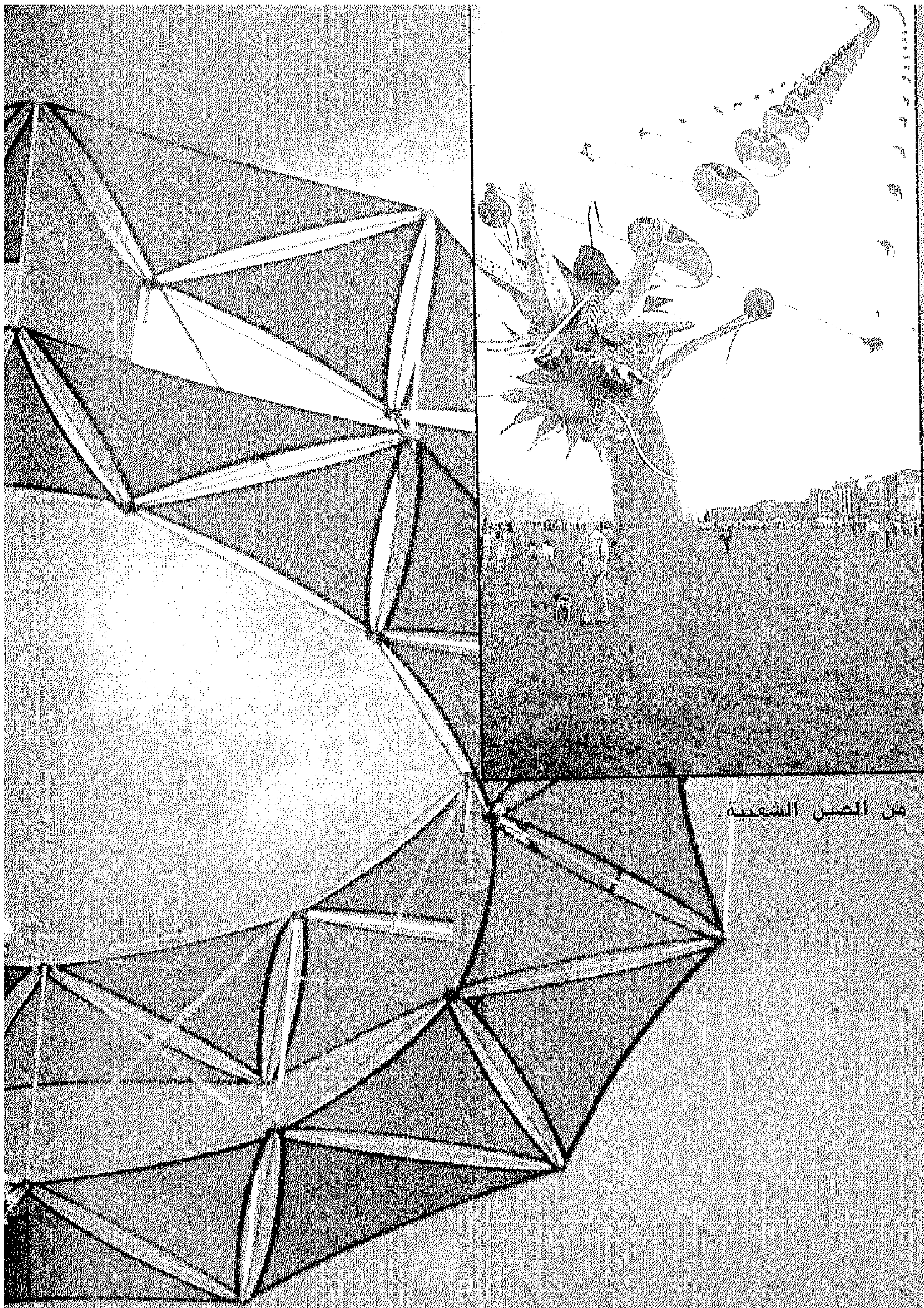
يحلق الشعر معلّقاً بطرف خيط وترفرف طائرات الورق حاملة رسائل من سكان الارض الى السماء

على مدى تسعة ايام من شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٨٨، رقصت السماء فوق بلدة دياب على الشاطىء الفرنسي بشتى الالوان. وكانت المناسبة تنافس الف جسم محلّق في المهرجان الدولي الخامس لطائرات الورق، وهو حدث يجري مرة كل سنتين وقد اطلقه ماكس جيلار مدير المركز الثقافي في دياب. اشترك في المهرجان ٣٧٠ شخصا جاؤوا من ١٨ بلداً (★) بعضها بعيد مثل سنغافورة وكولومبيا، فتعرّفوا الى تقاليد وتقنيات بعضهم بعضاً، بينما كان آلاف الناس يشاهدون العرض باعجاب كبير.

انتشر المطيّرون على طول الشاطىء مسلّمين مبتكراتهم للريح. وحلقت

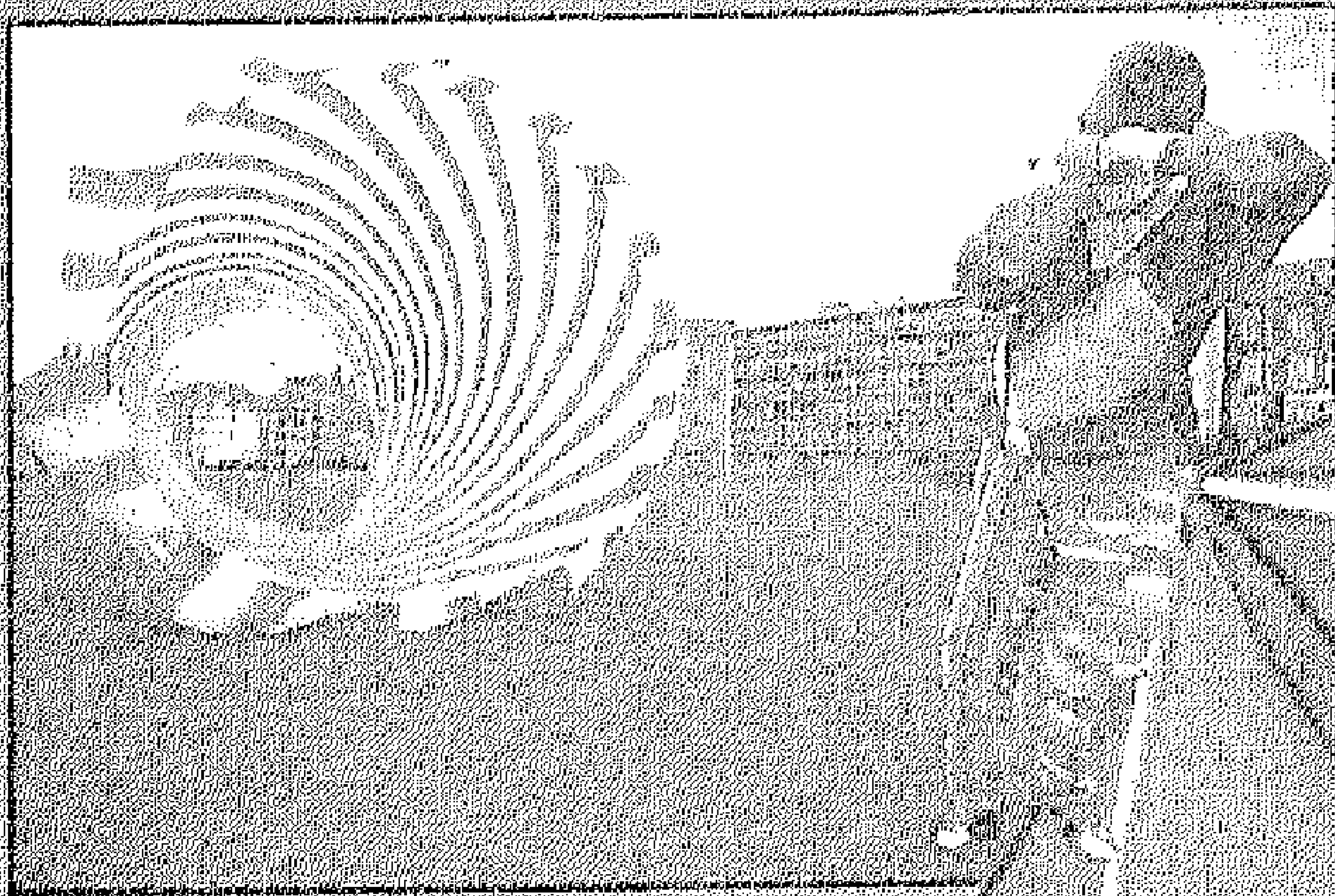
(★) اليابان، الصين، تايلند، ماليزيا، سنغافورة، الهند، نيوزيلندا، كولومبيا، الولايات المتحدة، كندا، البانيا، المجر، ايطاليا، بلجيكا، هولندا، المانيا الغربية، بريطانيا، فرنسا.

Photos: N'Diaye / Imapress



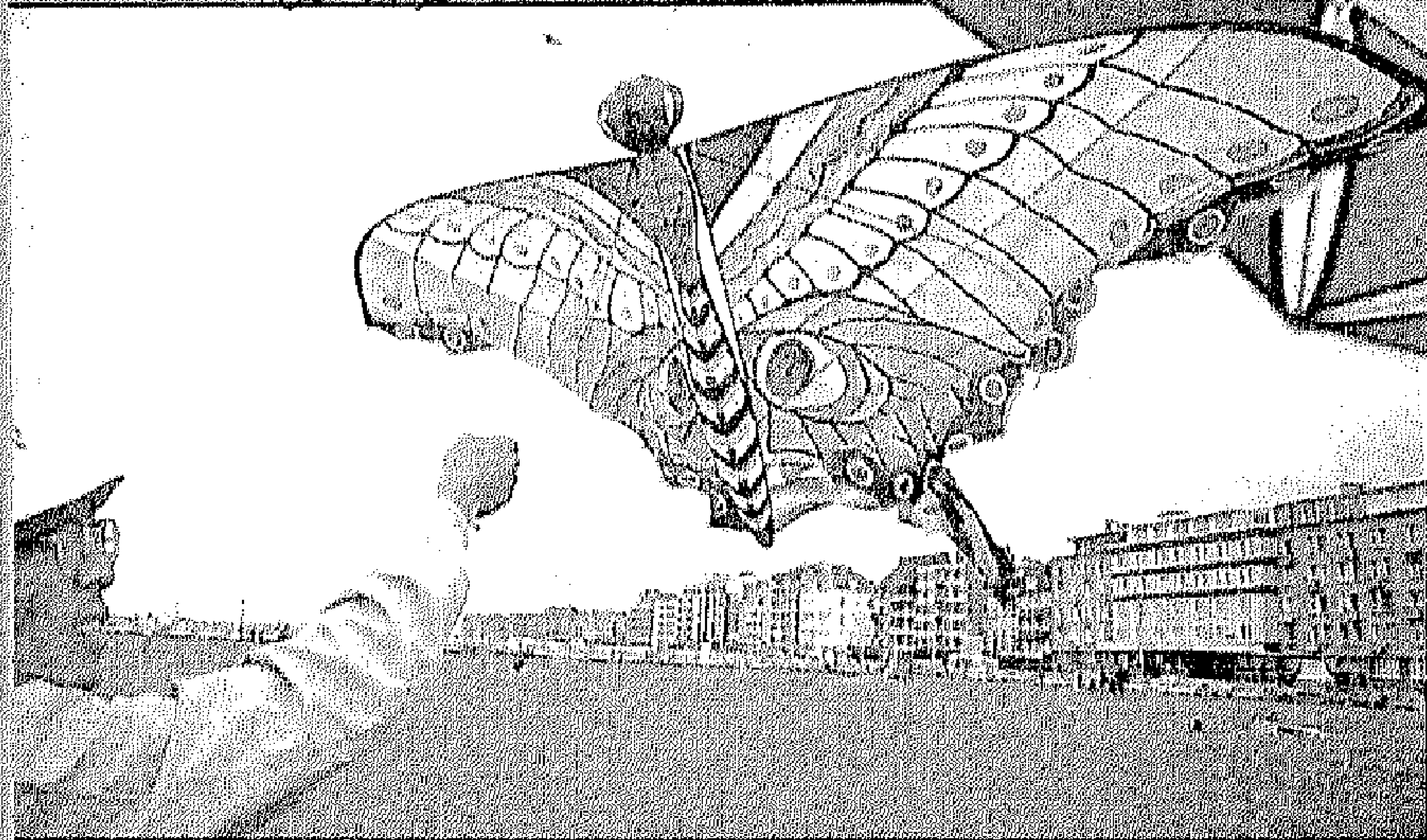
من الصين الشعبية.

فرنسية.



فرنسية على شكل قرص عسل.

فراشة من تايلند.

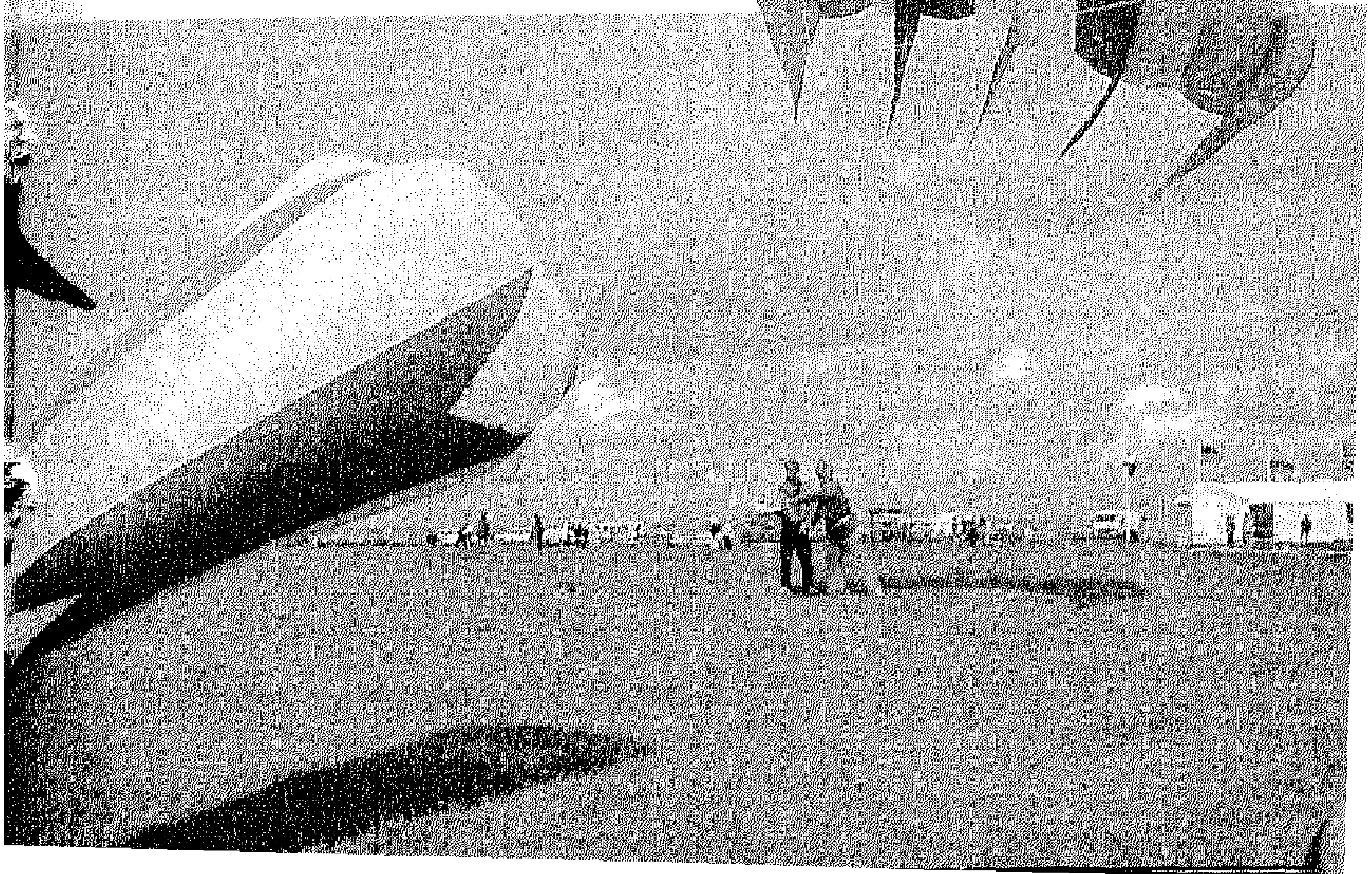


▶ طائرات الورق التايلندية التي صنعت على شكل يعاسيب والفرنسية التي اتخذت شكل اقراص العسل، على اجنحة ريح البحر العاصفة. كما شقّ طائر صيني الفضاء على اجنحة خضراء ضاربة الى الصفرة متخطياً محارباً يابانياً كان يزدريه، بينما كان انبوب مصنوع من النايلون شبيه بعيدان الحلوى المخططة على نحو لولبي، يدوّم مع النسيم. بعض الطائرات كان يتمايل بجلال ورشاقة بينما كان بعضها الآخر يئز ويطن منطلقاً بسرعة تضاهي سرعة الصقور.

وكانت الطائرات الورقية الغربية الانيقة المصنوعة من مواد عصرية تتنافس مع المبتكرات الفخمة الآتية من الشرق المصنوعة من الخيزرا والورق وهي سليلة الطائرات الورقية الاولى التي حلقت حتى الغيوم قبل نحو ألفي سنة.

قالت مارتين شاتيل وهي فرنسية متحمّسة لطائرات الورق اشتركت بمهرجانات دياب الخمسة كلها: "هناك طائرات ورقية من كل شكل وحجم." وكانت هي وزوجها جويل تيزيه يحاولان بصبر تطيير آخر مبتكراتهما، وهو طائرة ورقية "طليقة الشكل" مصنوعة من النايلون تبلغ مساحتها اربعين متراً مربعاً. ولم يكن لها إطار خارجي، مما جعل تطييرها يتطلب حنكة ودهاء. وهي اهتزت وارتجفت، ثم ما لبثت ان انتفخت مرتفعة بجلال.

قال تيزيه: "حتى كبرى الطائرات الورقية تبقى صغيرة، فكلّما كبر حجم الطائرة، ارتفعت اكثر في الجو وهي اذ ترتفع تبدو اصغر حجماً حتى تغدو كأنها ذرة رمل في السماء."



ومن اليابان جاءت طائرة ماساكي مودجي الهائلة الحجم والمصنوعة من ورق الخيزران والرزّ، حاملةً وجه محارب يعود الى الازمنة الغابرة مرسوماً بألوان زاهية. ويشرح مودجي فكرة الطائرة: "نضع الصور على طائراتنا الورقية لنعبر عن أمانينا. فالحيوان المزمجر يرمز الى تمني القوة لمولود جديد." ولاضفاء مزيد من الشراسة، ربط مودجي خيطاً عبر دعائم الطائرة حتى تئز اثناء تحليقها.

وبمقدار ما كان الياباني مودجي تقليدياً، كان الامريكي الجسور بيتر دلفين عصرياً. فهياكل طائراته كانت من الـ"غرافيت" والـ"إبوكسي" وهو مزيج يستعمل في صنع ريش مراوح الطوافات، أما الخيوط فكانت من "السبكترا" الخفيفة الشديدة المتانة، في حين صنعت الاجسام من النايلون الفائق الخفة. وفي احدى مراحل العرض ـ الشد ضد قوة الريح ـ حرك دلفين طائرته المتعددة الالوان والمثلثة الشكل على ايقاع الموسيقى بمهارة فائقة فبدت كأنها نفاثة بهلوانية تنقلب وتدور في طيرانها. وعندما انزلها اخيراً كانت يداه، على رغم القفازين الثخينين، ارجوانيتي اللون ومنتفختين من شد الخيوط المزدوجة التي بلغ طولها ٤٦ متراً.

فن قديم. التنافس بين طائرات الورق قديم قدم الفن ذاته. وفي دياب، اعاد الفريق التايلندي المؤلف من خمسة رجال تمثيل المعركة بين الانثى المغناج "باكبوا" الالماسية الشكل، والذكر المطارد "تشولا" وهو نجمة مخمّسة.

وكان الذكر يحاول ان يجعل فريسته تعلق بنصال الخيزران، أما هي فكانت تطير بعيداً، واحياناً تدور لتمق عدوها



(فوق): بطاريق جون فرهاي الهولندية وهي تحلق.
(الى اليمين): طائرة كندية.

بذنبها الطويل. وعلى الارض كان الرجال التايلنديون الخمسة الذين يرتدون الثياب البيضاء يشدون الخيوط ويفتلونها حانين طائراتهم للحصول على دفع كامل من الريح.

قال رون سبولدينغ وهو موظف اداري امريكي يعيش في بانكوك احضر الفريق التايلندي الى دياب للمساعدة على ابقاء التقليد حياً: "ان هذا الفن هو على طريق الاندثار في تايلند. فقد كان المزارعون يتبارون بتطيير طائرات الورق على ارض البلاط الملكي خلال الفترات التي تفصل مواسم الحصاد. أما اليوم فلم يعد هناك متسع من الوقت لمثل هذه النشاطات وقد شغلت اساليب الزراعة الحديثة المزارعين على مدار ايام السنة ونشطت الاعمال مبدّلة طرق عيش التايلنديين."

ارقام واحجام. هنالك ارقام قياسية عالمية لأطول طائرة ورقية (٧١٤ متراً) ولعدد الحركات البهلوانية المتتالية التي تقوم بها طائرة ورقية على شكل 8 خلال ساعة واحدة (٢٩١١) ولأسرع انطلاق في الهواء (١٧٤ كيلومتراً في الساعة). وأصغر الطائرات الورقية لا يتجاوز حجم كف اليد، أما اكبرها حجماً فيملكه الفريق الهولندي لطائرات الورق الذي ارسل اربعة مشاركين الى دياب. وقال أحدهم ويدعى جون فرهاي: "لم نجلبها معنا. فمساحتها ٥٥٠ متراً مربعاً، ويتطلب اطلاقها مئة رجل!" أما مساهمة فرهاي فكانت سلسلة يبلغ طولها ١٨٠ متراً مؤلفة من ستين بَطريقاً اسود وبرتقاليا أرسلها لتتراقص عبر السماء.

أما كلاوديو كابلّي، مؤسس سيرفيا فولانتي، وهو اقدم نادٍ لطائرات الورق في ايطاليا، فإن ما جذبه الى دياب لم يكن التباري ولا التقاليد، بل الشعر. إنه من المتحمسين لطائرات الورق منذ ١٢ سنة، وقد اطلق هذا الفنان ابن التاسعة والثلاثين طائرته بينما كانت ١٤٠ طائرة زاهية اخرى بألوان قوس قزح تنطلق مع الريح وترتفع في السماء. وقال بكل بساطة: "احب ان اجعل الريح ظاهرة للعيان."

وهنالك آخرون يسافرون على متن مبتكراتهم. فقد استعمل المهندس البريطاني غريغ لوك طائرة ورقية تبلغ مساحتها ثمانية عشر متراً مربعاً، موصولة بسلك يبلغ طوله ثلاثمئة متر، ليجر طوفه الذي يزن ٢٨٠ كيلوغراما ويبلغ طوله خمسة امتار ونصف متر، عبر الشاطىء البريطاني وهو يقول: "طالما كان هدفي عبور القناة بقوة الطائرات الورقية. بعد ذلك سنعبر المحيط الاطلسي!"

في اليوم الاخير من المهرجان منحت الجوائز والمداليات للطائرات الست عشرة الاكثر فناً وظرفاً وابداعاً تقنياً، ولكن ذلك لم يؤثر في المشاركين، اذ ظلوا منتشرين على الشاطىء وهم يتصارعون مع خيوطهم وقطع النايلون والورق الملونة في السماء، وكانت كل واحدة من طائراتهم تجسد خيالاً لا يعرف حدوداً. ولما تفرقوا اخيراً، تواعدوا على الالتقاء مجدداً بعد سنتين تحت سماء النورماندي الفرنسية.

سوزان ساخس ■

أضواء على الطب

الحديد يدفئ النساء

النساء اللواتي يشكين غالبا شعورا بالبرد ربما لا يتناولن ما يكفي من الحديد. هذا ما اكده العلماء في جامعة ولاية بنسلفانيا ووزارة الزراعة الامريكية في غراند فوركس بولاية داكوتا الشمالية.

فقد اجرى كل من هنري لوكاسكي العالم الفيزيولوجي في وزارة الزراعة الامريكية، وجون ل. برد العالم الغذائي في جامعة بنسلفانيا، دراستين منفصلتين عن نساء مرتديات ثوب السباحة ارتعشن في غرفة وبركة باردتين. فوجدا ان اولئك اللواتي احسسن غالبا بارتعاش يشكين نقصا في الحديد وانخفاضا في مستوى هورمونات الغدة الدرقية في المصل. ويقول لوكاسكي ان عددا قليلا من الرجال قد يعاني ايضا هذه الحالة، لكن معظمهم يحصل على حديد اكثر لانه يأكل اكثر. والنساء يخسرن الحديد خلال الطمث.

وعلى النساء اللواتي يشعرن بالبرد في استمرار ان يسألن الطبيب ان يقيس مستوى "الفرّيتين" في دمهن. و"الفرّيتين" هو بروتيين ناقل للحديد، لذا كان قياسه مؤشرا افضل الى نقص الحديد من قياس اليحمور (الهيموغلوبين) الذي هو بروتيين حاو للحديد يضفي على الدم لونه الاحمر. ويقترح لوكاسكي لمعالجة هذه المشكلة تناول اطعمة غنية بالحديد مثل اللحم الهبر الاحمر والسمك والطيور والفاصوليا والشمندر والنباتات ذات الاوراق الخضر. فهذه افضل من جرعات الحديد على شكل ادوية التي ينبغي ان تؤخذ لفترات طويلة باشراف طبيب.

وكالة "اسوشييتدبرس"

ابتسامة الخزف الصيني

سيسهل افترار البسمة على شفاه الاف الناس قريبا بفضل قشور مصفحة من الخزف الصيني (البورسلين)، وهي اخر المستجدات في طب الاسنان التجميلي.

من اجل وضع القشرة ينزع اطباء الاسنان حوالى نصف مليمتر من المينا عن مساحة السن ثم يصنعون قالبا لصنع قشرة مصفحة توازي ما ازاحوه. ويحفر كل من السن وقشرة التلبيس بحمض لطيف جدا لاحداث سطحين مساميين يتشابكان اذا طليا بلصاق الراتنج وضغطا.

تفضل التقنية الجديدة على التلبيس او الترصيص بالنسبة الى بعض مشاكل تلطخ الاسنان او تشظيها. وتدوم الكسوة الخزفية من خمس سنوات الى عشر سنين. وتكلف من ٣٠٠ الى ٦٠٠ دولار للسن الواحدة. وهي اكثر فاعلية عندما تكون الاسنان متباعدة او مكسرة او مبقعة بسبب التتراسيكلين.

أصوات

عندما تكون مستوحشاً في الغربة

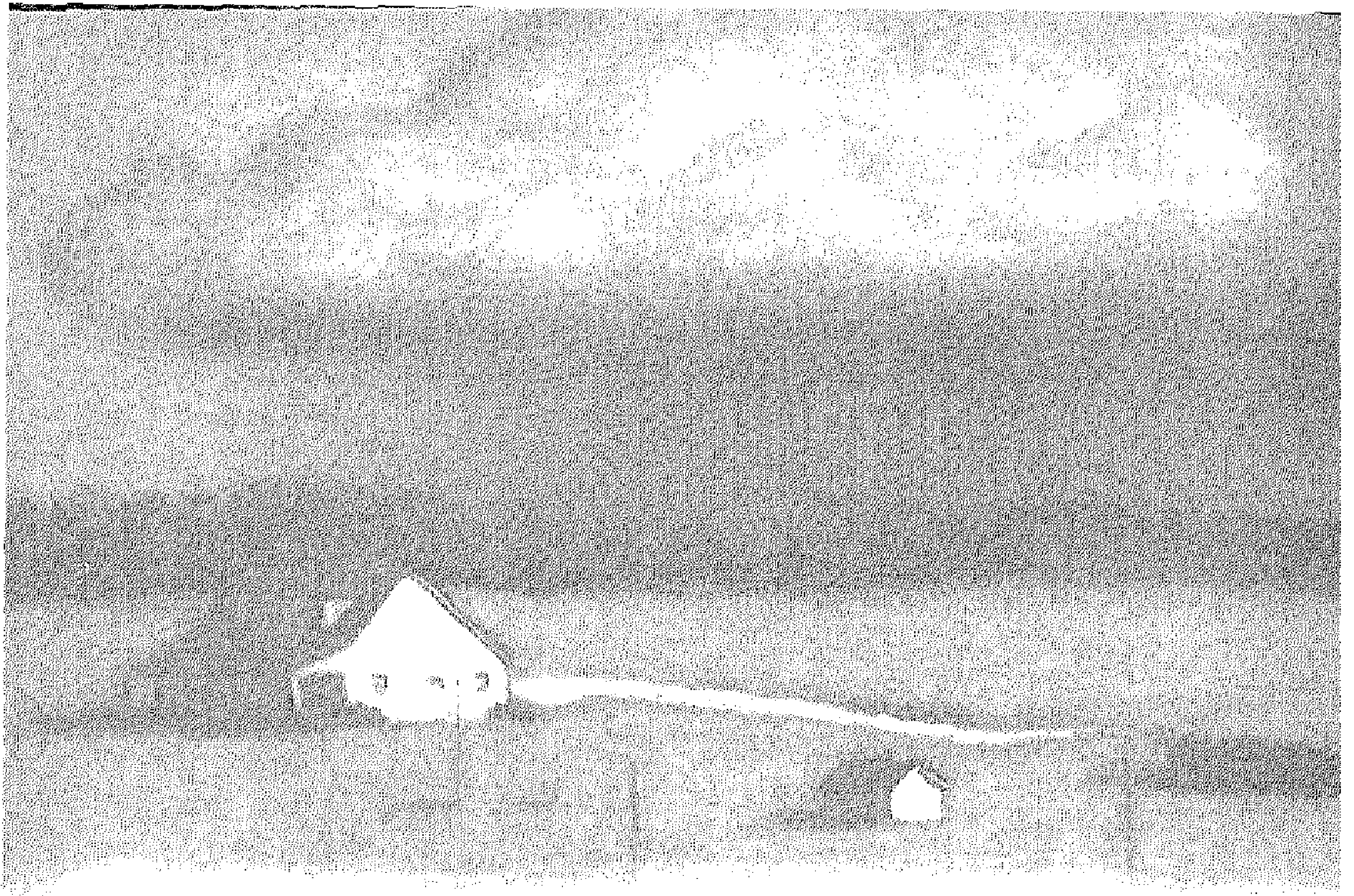
كان الجو في مدينة براندون - ميسيسيبيّ دافئاً على غير عادته في مايو (ايار) فجلست مع زوجتي بات نحتسي قهوة صباح الاحد على شرفتنا الخلفية ونراقب السحب تتسارع متلبّدة في الافق الجنوبي. ندر النسيم في ذلك الصباح وكانت الرطوبة كثيفة بحيث تستطيع طيّها بين راحتين!

ما كدنا ننهي كوبنا الثاني حتى اسودّت السماء وأومَض البرق عبر الافق يرافقه هزيم رعد منخفض. وما أن دفعَنا رذاذ المطر الى داخل المنزل، حتى رن جرس الهاتف، فرفعت بات السماعة وأشرق وجهها مشعاً في ذلك اليوم المظلم.

انه ولدنا ديڤيد، وهو قائد مروحية عسكرية، استحق قبل ثلاثة اشهر شارة الجناحين الفضيين لاعتماده قائد طائرة ثمّ عين في مهمة لمدة سنة في كوريا الجنوبية قرب المنطقة المنزوعة السلاح.

جهد ديڤيد لكي يبدو فرحاً، ولكن رنة صوته اظهرت العكس. فأنا قضيت زمناً اثناء الحرب العالمية الثانية في جزيرة صغيرة جنوب المحيط الهادىء ولذلك استطعت تبيان علامات الحنين الحاد الى الوطن.

شفَتْنا المحادثة الهاتفية تدريجاً من قنوطنا، لكن رعداً مدوّياً هزّ النوافذ التي تبعد سنتيمترات فقط عن جهاز الهاتف الذي كنا نستعمله. فسألنا ديڤيد: "ما



الوطن

يشفيك سوى صوت من الوطن

هذا؟ انه يشبه صوت انفجار." فأجابت بات: "انه رعد فحسب فالمطر يهطل هنا منذ اسبوع."

ورانت ثوان عدة من السكوت ثم سألت: "ديڤيد اما تزال على الخط؟" فأجاب: "كنت افكر في عبارة أمي: "رعد فحسب." أتعلم ما الذي افتقده اكثر من اي شيء آخر باستثنائكما انتما الاثنين، وهو ما يفتقده كثير من الرجال هنا؟ إنه الرعد. فهناك مطر وريح وثلج وبعض العواصف الهوج، لكنها لا ترعد أبداً."

اضاف: "أتتذكّر يا أبي عندما كنتُ صبياً صغيراً كيف كنا نحن الاثنين نتمدد على الارض ونصغي الى الرعد؟ وكيف كنت انت تضحك لكي لا تدعني اخاف؟"

فأجبته محاولاً اخفاء الغصة في حلقي: "نعم أتذكر."

وسمعت صوته الرقيق: "اتمنى لو اني هناك لأصغي معك."

عندما اقفلت الخط اخذت آلة التسجيل ومظلة كبيرة وكرسيا خشبيا وقلت لبات: "سوف اسجل لابننا بعض الرعد."

– يا بوب، سيظن الجيران انك مخبول.

جلست تحت مظلتي فيما المطر ينهمر بغزارة والبرق يومض كأسهم نارية في الفضاء، وسجلت في نصف ساعة اروعَ ما يمكن ان يود سماعه مستوحش في الغربة من رعد الميسيسيبي. وفي اليوم التالي ارسلت التسجيل الى ديڤيد بالبريد مع عبارة واحدة: "هدية مميزة."

حفلة رعد. بعد ثلاثةاسابيع اتصل بنا ديفيد ثانية. وهذه المرة كان في افضل احواله. قال: "يا ابت، لن تصدق ما فعلت البارحة. دعوت بعض اصدقائي الى مسكني لحضور حفلة رعد. وأتت ردات فعلنا متشابهة عندما سمعنا التسجيل: لحظة صمت ثم بضع دقائق من الحزن. ولكن حين ادركنا اننا نصغي الى صوت من الوطن شعرنا بتحسن واستمتعنا بحفلة رائعة كما لو ان حملاً ثقيلاً رفع عنا. لا استطيع ان اصف لك ما عناه لي هذا الشريط." واضاف: "بات في امكاني اجتياز هذه المرحلة. شكراً، يا ابت، انها حقاً هدية مميزة."

وبات الشريط هدية مميزة لي ولزوجتي كذلك. فطوال الاشهر الثمانية التالية التي قضاها ديفيد في كوريا، الفينا انفسنا نتطلّع بشوق الى العواصف الرعديّة. وبدلا من ان نشعر بالكآبة في الأيام المظلمة صارت العواصف عزيزة علينا، وكل هزيم كان يشدنا اكثر الى ابننا البعيد عن الوطن.

وعلى رغم أنها ترعد في مينيسوتا حيث يعلّم ديفيد الآن طياري الجيش، اصبحت هدية الرعد تقليداً لدينا. فهي تجعلنا ندرك اننا حيثما تفرقنا في العالم نبقى عائلة واحدة.

بوب ف. مولدر ■



عقول الصغار

كان ابني الصغير يأكل تفاحة في المقعد الخلفي من السيارة عندما سألني: "بابا، لماذا تفاحتي آخذة في الاسمرار؟" فشرحت وأفضت: "لانك أكلت القشرة الخارجية فتعرض لب التفاحة للهواء الذي أكسده فغيّر بنيته الجزيئية وحوّله الى لون آخر."

فران صمت طويل سألني ابني بعده بنعومة: "بابا، هل كنت تكلمني؟"

س. ك.

موظفات وأمهات

قبل مغادرتي المنزل في اول يوم عمل بعد سنوات من ملازمتي البيت، حضّرت ستة أكياس غذاء. وكتبت لكل من أولادي الخمسة اسمه على كيس، ثم كتبت "ماما" على السادس. وفي المكتب، فتحت الثلاجة المخصصة لطعام الموظفين فوجدت الرف الأعلى مليئاً أكياساً وعلى كل منها كلمة "ماما."

م.م.

لا تقل ان الحياة سيئة اذا فشلت بل قل انها "حياتي". فهناك فرق كبير بين الاثنين.

ل.ف.

اخيراً عرفت لماذا قست علي امي وتشددت معي معلمتي



كِفاح امـرأة

كانت امي تناديني وهي تشد ذقني بقوة مما يعني انها تريد لفت انتباهي. فاستيقظت بسرعة مدركة ان الوقت يجب ان يكون قرابة منتصف الليل. كان تعبيرها قاسيا حين قالت: "يا ماري، اين فروضك المنزلية؟"

عندئذ تذكرت انني لم انهِ فروضي. ولم اترك اوراقي المنجزة على طاولة المطبخ حيث تستطيع ان تراها ساعة تعود الى المنزل من آخر اعمالها. قلت لها بوهن: "آه، يا اماه، لقد غلبني النعاس."

فقالت، وهي ترخي ذقني: "حسناً، الافضل لك ان تنهضي الآن وتنهي عملك. دروسك تأتي اولا."

قفزت من سريري وتناولت كتبي واوراقي وجلست لانجز فروضي. واذ فعلت هذا تملكني شعور بما لحق بي من اجحاف مؤلم. فتساءلت: لماذا انا؟ ولماذا تبدو امي دائماً انها تختارني وتخصني بمثل هذه المعاملة القاسية.

Illustration: Christopher Calle

هذه المشاعر ليست بجديدة ولكنني لم انبس ببنت شفة. فلا جدل مع امي، واطاعتها امر واجب.

انهيت فروضي واعطيتها اياها لمراجعتها والموافقة عليها. في هذا الوقت كانت غافية على كرسي هزاز منهكة القوى نتيجة عمل يومي بدأ قبل شروق الشمس.

والدتي، جوزفين هاتوود، ارادت ان تكون ممرضة ولكنّ والديها توفيا وهي طفلة، فتركت المدرسة من الصف الابتدائي السادس وانطلقت الى العمل.

ذكرياتي الاولى كانت عن البيت الذي كنا نمتلكه في التافستا بفرجينيا. كان جذابا، من طبقة واحدة مع حديقة صغيرة. وكان ابي يعمل في البناء. وكانت تلك الايام اياما سعيدة. اتذكر شقيقتي الكبرى تأخذني الى المدرسة وانا لمّا ابلغ بعد الثالثة من العمر، مما يتيح الفرصة لامي للعمل في بيوت الآخرين. وعندما مرض والدي، بعد ذلك، تعين عليه دخول المستشفى في لينشبرغ الذي يبعد عنا قرابة اربعين كيلومتراً.

اعتدنا ركوب القطار الى لينشبرغ، مع امي، لزيارة ابي. كانت امي تحضر له ثياب نوم مغسولة ومكوية وازهاراً من حديقتنا وكنا نحمل اليه الصور التي التقطناها في المدرسة. اخذت حاله تسوء شيئاً فشيئاً، وفي طريق العودة رأينا امنا تغالب دموعها.

قصة الحذائين. توفي والدي ولم يكن ثمة من تأمين لدفع الفواتير الطبية المتراكمة كجبل، ولم يكن لوالدتي من دخل بعد والدي سوى مبلغ ثمانية عشر دولاراً شهريا تقبضه من الحكومة معاشا تقاعديا لها كأرملة. خسرنا منزلنا وانتقلنا الى لينشبرغ حيث كانت والدتي تعمل في خدمة ثلاث عائلات اضافة الى تنظيف بعض المكاتب وذلك لتأمين الغذاء والكساء لنا. ولم يكن في حسبانها العيش على الصدقات.

اذكر حين سرنا انّا وانا الى المدرسة حافيتين في يوم جميل من ايام سبتمبر (ايلول)، لان حذائيّا كانا ممزقين ولم يكن لدى والدتنا من المال ما يكفي لشراء حذائين جديدين – اذكر كيف نظر الينا مدير المدرسة ورفع حاجبيه ولكنه لم يقل شيئاً. في اليوم التالي فكرنا في انه سيتكلم ولكنه لم يفعل. اما في اليوم الثالث فوافانا الى الباب سائلا: "لماذا لا تنتعلان حذاءيكما؟" فشرحنا له ان امنا عاجزة عن شراء حذاءين لنا.

قال: "حسنا، عليكما ان تعودا الى المنزل فليس في امكاننا قبولكما في المدرسة حافيتين. ارجعا وأخبرا والدتكما بالامر."

امسكت انّا يدي وقفلنا راجعتين. ولما كنت انا اخبث من شقيقتي فقد اقترحت عليها ان نقضي النهار في حقل ذرة مجاور. وفي موعد انتهاء الدراسة توجهنا الى البيت. كانت امنا تنتظرنا على غير عادة منها فخط الثرثرة في بلدة مثل لينشبرغ اسرع من خط البرق.

كانت متجهمة ومنتصبة كعمود خيمة. سألتنا أين كنا. فلفقت قصة بدلا من ان ازعجها. فلم تصدقنا واخذت تصرخ: "انتما لم تكونا اليوم في المدرسة." من

الواضح انها عرفت كل شيء، وراحت تشرح لنا "كم مهم تحصيل العلم." وقالت انه يجب الاّ نخجل ابداً من كوننا فقراء: "لستما ما ترتديان وانما ما انتما، وذلك هو المهم."

بعد ايام قليلة، عندما قبضت اجرها انفقت منه مبلغا لشراء حذاءين جديدين لنا.



الغيرة والقساوة. كانت لوالدتي لحظات قليلة خاصة تقضيها معنا وتدللنا، خصوصاً في تلك الاويقات التي نقرأ فيها بصوت عال. اصعد انا الى سريرها وانتظر دوري في القراءة. ثم اجلس الى جانب امي حتى يأتي دور اختي الاخرى.

ولكن مع كل الدفء الذي كنت اشعر به تركتني قساوة امي معي اشعر دائماً بأنني ارضيها اقل مما ترضيها ابنتاها الاخريان وبأنني لن استطيع ابداً اكتساب تمنياتها الجيدة. ان اختي ماريان التي تبنتها امي بعد وفاة والدتها تبدو ان لها افضلية لم اتمتع انا بها ابداً. اذكر كم كنت غيورة عندما اشترت امي لماريان سترة اضافية بينما كان علي انا ان اتدبر امري بسترتي القديمة. لم استطع استيعاب ذلك، ولكن امي ادركت ان حاجات ماريان اعظم من حاجاتي نظراً الى خسارتها المبكرة لامها.

الآنسة جوردان. مهما يكن من امر، فوالدتي منحتني هدية احلتني في مكان جيد. انا مرحة، في طبعي، حتى اذا لم يكن عالمي الصغير كله مشمساً فلا يكون حزينا. وكنت احب ان اتحدث الى الآخرين، وهذه خلة لم تقدرها دائماً الآنسة جوردان معلمة القواعد والانشاء والادب في الصف الثانوي.

معلمة لا احد يريدها لانها صارمة جداً، طول قامتها قرابة ١٦٥ سنتيمتراً، ناحلة الجسم جداً، تصفف شعرها الى الوراء باسلوب ذنب "فرس." تضع على عينيها نظارتين نصفيتين للقراءة. وعندما تكون منزعجة تخفض رأسها وترمقك من فوق نظارتيها. ومتى ركزت قسمات وجهها هكذا احسست بهبوط الحرارة لديها.

ذات يوم كنت في صفها منشغلة

بالتحدث ولم ادرك انها اوقفت القاء الدرس ونظرت الي عابسة وهي تقول: "ايتها الفتاة، اريد ان اراك بعد انتهاء الدوام."

بعدئذ شرحت لي الآنسة جوردان، بصوت منخفض ولكن حازم، انها تأمل ان تراني مصغية وهي تتكلم، وقالت: "قصاصا لك اريدك ان تكتبي بحثاً من الف كلمة عن التعليم وتأثيره على الاقتصاد، وتسلميني اياه الاربعاء."

حسناً، وفيت بالموعد المحدد وكنت واثقة بنفسي. انه بحث جيد، وتوقعت اشارة استحسان منها. في اليوم التالي في الصف اخذت ترمقني من فوق نظارتيها. دعتني اليها واعادت اليّ البحث وقالت: "اعيدي كتابته وتذكري ان كل مقطع يفترض في ان يبدأ بجملة محورية. وحين اعادت إليّ بحثي في المرة الثانية كانت صححت الاخطاء الصرفية. وفي المرة الثالثة صححت التهجئة. وفي الرابعة صححت وضع علامات الوقف عند مقاطع الكلام. وفي الخامسة لم تكن الورقة نظيفة. اما انا فغدوت مريضة.

في المرة السادسة اعدت بتأن كتابة البحث كاملا بحبر تاركة هوامش فسيحة. وعندما شاهدتها ازاحت نظارتيها وتبسمت. اخيراً قبلت البحث ونزعت انا الامر كله من ذهني.

بعد شهرين او ثلاثة عدت اتحدث ثانية في غرفة الصف. قالت رفيقاتي الصغيرات: "توقفي يا ماري! الآنسة جوردان تحدق اليك." نظرت الى فوق فاذا بوجهها يوحي المنظر ذاته. قالت: "يا ماري، هل سمعت ما قلت؟"

اجبت: "انا آسفة، لم اسمع". وتلفتُّ الى من حولي لعلّي اجد صديقة تهمس لي الجواب ولكن ما من واحدة منهن فعلت.

اما الآنسة جوردان فاكملت: "كنت اتكلّم عن اجراء مباراة انشائية في المدينة. وقد اعلن الفائزون." ثم توقفت. اما انا فارتبكت تماماً. اضافت: "ايتها الطالبات، يسرني ان اخبركنّ ان ماري فازت بالجائزة الثالثة في المباراة الانشائية: "تأثير التعليم على الاقتصاد."

دهشت وارتعشت. انها المرة الاولى افوز فيها بجائزة. بعد سنوات رويت تلك القصة لمخبر صحافي فنشر شرحي في صحيفة مفصلا وصفي غير المداجي لمظهر الآنسة جوردان. لم اكن اعلم ان الآنسة جوردان لا تزال على قيد الحياة. ولكنني وجدت انها لا تزال حية فهي كتبت الي ان مظهرها لم يكن مهما بل المهم هو الامثولة التي تلقنتها.

تأثرت بكتابها. بقيت امي المرأة التي اريد، اكثر ما اريد، ارضاءها في العالم.

في نهاية الصف الثانوي العاشر أجري للصف كله امتحان شامل حول تحصيله المدرسي فحللت في المرتبة الخامسة. وفجأت بدأت جميع المعلمات يحضضنني لانظر في امر الدخول الى الجامعة. ولكن ذلك ظل املا بعيداً، فلا استطيع إطلاقا الذهاب الى الجامعة. على كل حال قدمت طلبا وقُبلت في جامعة فرجينيا في بيترسبرغ.

الى الجامعة. ليلة التخرج كانت امي هناك. وكانت فخورة بي خصوصا لاني

العضوة الاولى في العائلة التي تنهي دراستها الثانوية. (بعد سنة تبعتني شقيقتي انا) جلست امي قرب الصف الامامي فرأيت عينيها تلمعان وانا اتسلم شهادتي. لقد كانت تبتسم من خلال الدموع.

حتى تلك اللحظة لم يكن هذا هو النقطة السامية في تلك الامسية، فما اثار دهشتي هو انهم نادوا اسمي وظلوا ينادون. كل مرة اعلان آخر عن منحة دراسية اخرى لدخول الجامعة. واما المنح فجاءت واحدة تلو الاخرى من نوادي جامعات، ومن مؤسسات تجارية، ومن كنائس. بلغ المجموع ١٥٠٠ دولار في حين كان ثمن السيارة ٣٠٠٠ دولار. بعد كل ذلك استطعت دخول الجامعة.

انهم لم يخبروني ولم يخبروا امي شيئاً. ولكنني اظن ان معلمتي المفضلة الآنسة جوردان قد عرفت لانها كانت تبتسم وتهز برأسها كأنها تقول: "انظري الآن، ماذا تستطيعين ان تفعلي في ظل النظام."

اخترت علم التجارة موضوعا رئيسا في دراستي وظللت اكسب منحا واعمل طوال فصول الصيف. حتى في الجامعة كنت اسمع ملاحظات عن ثيابي البسيطة التي اعطتني امي معظمها او خاطتها لي. ولكني بقيت اتذكر كلماتها: "ليس المهم ما ترتدين بل المهم من انت". مع ذلك كنت ابكي كثيراً عندما لا يستطيع احد ان يراني.

حينذاك عرفت ان لا شيء يقارن بالالم والعذاب اللذين مرت بهما امي من اجلي.

بعض صديقاتي في الجامعة اصبح ساخطا عندما بدأ يدرك اي اجيال من التمييز العنصري قد عانى. ولكن عظات الآنسة جوردان عن التنظيم الذاتي عززت تركيزي على دروسي. ومثال امي وكلماتها حصنتني ضد الغضب والاحباط. كانت تقول لي: "ماري أليس، اذا كنت غير سعيدة بامور معينة حاولي ان تغيريها، واذا كنت منهارة انهضي وانطلقي ثانية."

منذ ذلك الحين عملت القوى والمهارات التي اكتسبتها من والدتي ومن الآنسة جوردان كمشعلين توأمين ارشداني سنوات عدة كمعلمة في الاسكندرية، واخيراً كرئيسة لجمعية التربية الوطنية. وفي كفاحي ضد التمييز العنصري، اصالة عن نفسي ونيابة عن المعلمين، اصبحت اقدر قيمة مطالب والدتي اللاطوعية. ولكن سؤالا واحداً لا يزال ينخرني اكثر من ثلاثين سنة.

بعد ذلك جاءت امي لزيارتي. وبينما كنا واقفتين جنبا الى جنب نغسل بعض الصحون والحلل، اثر تجمع عائلي، اخذت نفسا طويلا وقلت: "يا اماه، لماذا كنت دائماً معي اشد صرامة مما كنت مع اي واحدة غيري؟"

وَضعت منشفة الصحون جانباً ونظرت الي ولم تقل شيئاً وهي تبدو غارقة في التفكير.

وبينما انا انتظر جوابها شعرت بان امي تصارع مشاعر قوية محاولة العثور على جواب. ولكن لم يكن ثمة من جواب ذلك النهار.

في اليوم التالي جلسنا امي وانا حول مائدة الافطار ننظر الى الحديقة في

الخارج. لم نتكلم عن شيء خاص، ثم سكبت لكل منها كوبا ثانيا من القهوة ولم تمض لحظة على جلوسنا صامتتين حتى امسكت امي ذقني بحزم هادىء، وشخصت الي ببصرها وقالت: "طرحت علي امس سؤالا، يا ماري اليس، وكنت افكر في جواب. كانت لديك قوة ولكنك كنت قوية الارادة جداً، فوجب علي ان اكون اقسى عليك لان لك من المواهب اكثر من سواك، وعندك الكثير لتعطي، وكان الاهم لك تحصيل كل العلوم التي تستطيعين لاني ادركت حقا ان الآخرين سيعتمدون عليك لتفعلي كل ما في وسعك. هذا جوابي عن سؤالك يا ماري اليس."

كانت لا تزال تمسك ذقني وانا اسمع دقات ساعة جدي ذات الرقاص في العلبة الطويلة الضيقة في المكتبة. اومأت بهز رأسي وارخت هي قبضتها عن ذقني وقلت: "فهمت يا اماه."

اجل اخيراً فهمت.

ماري هاتوود فوترل ■



حلول نظرية

كان السبت "يوم التنظيف" في منزل الأسرة القديم. وما زالت أمي تحترم هذا التقليد بعد مغادرة أولادها العشر العش العائلي. وذات سبت مررت لزيارتها، فعجبت اذ وجدتها ترتاح في كرسيها المفضل. فسألتها: "أتشعرين بتوعك؟"

– لا، أنا على خير ما يرام.

"لكنك لا تنظفين المنزل."

– بعد كل هذه السنوات وجدت طريقة لانجاز العمل كله في نصف الوقت. وهي، ببساطة، أن أنزع نظارتي.

ب.م.

حلاوة أم

أحبّ صنع الحلوى وأتقاسم عادة ما لذّ منها مع ابنتي المتزوجة. اتصلت بها يوماً وقلت لها ان لدي فائضاً من البيض اذا احتاجت اليه. فقبلت عرضي. وقلت لها انني سآتي اليها حالاً. فأجابت: "مهلاً! هل يزعجك وضعها في قالب حلوى أولاً؟"

أ.م.

يعلّمك الزواج الاخلاص والصبر والوداعة وضبط النفس وأشياء أخرى كثيرة ما كنت لتحتاج اليها ان بقيت عازباً.

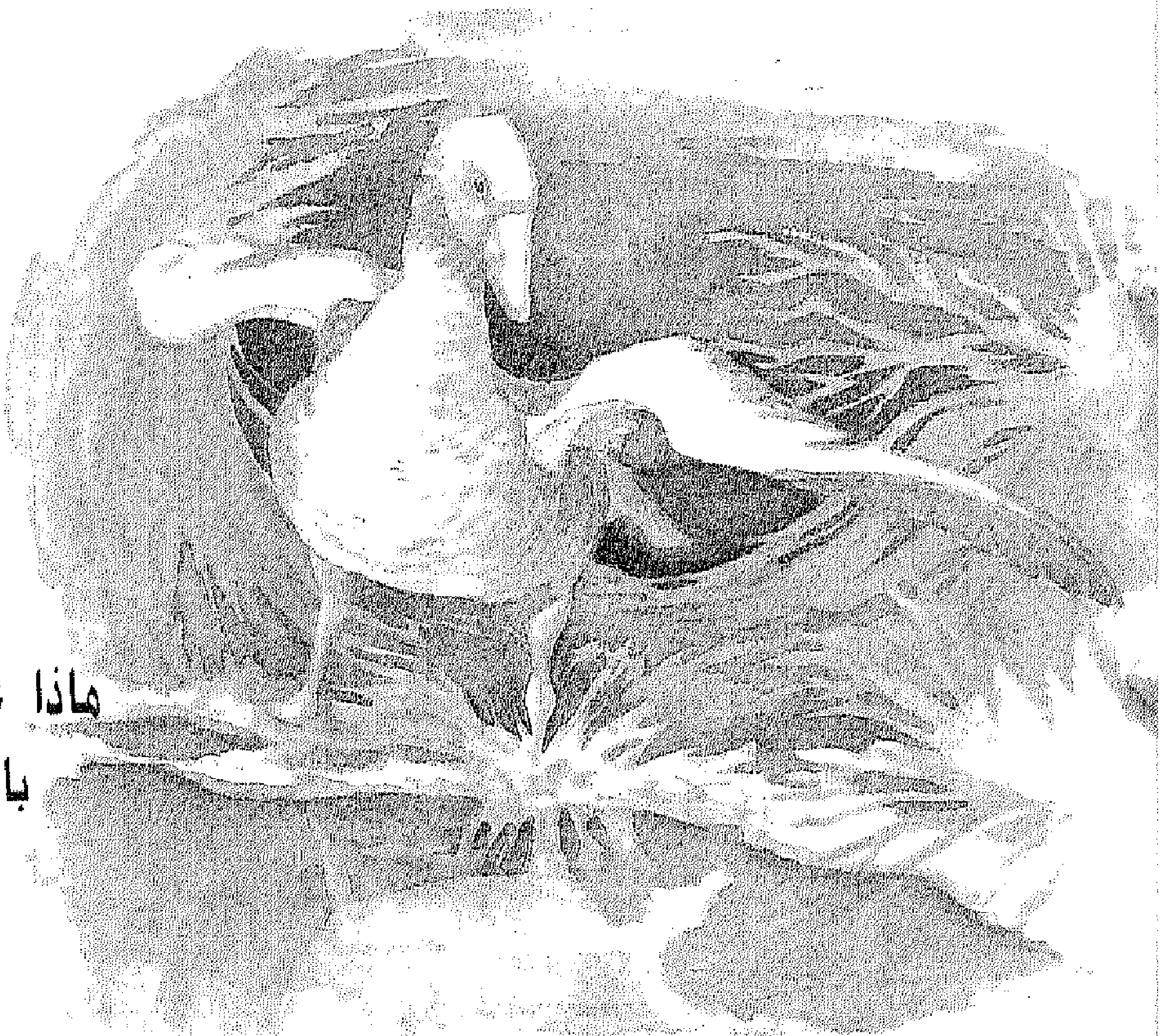
ج.ت.

الاوزّة المعْجزة

كان جين فلمينغ متوجهاً مع زوجة أخيه الى سيارته عندما ابدى لها الملاحظة الآتية: "يبدو ان لديك إوزة مريضة." وكان جين فلمينغ توقف في مزرعة بيلي شاكس في هارفارد، بنبراسكا، لينتقي بطتين صغيرتين لبركته، فلفت نظره ذكر اوز يسقط كلما حاول السير.

أما بيلي فلم تهتم كثيراً، وأجابت لامبالية: "لا، هذا اندي، لقد ولد من دون قدمين."

وبعد ان وضع البطتين الصغيرتين في سيارته، تقدم فلمينغ ليتفحص ذكر الاوز المعاق. وعندما صفّق اندي بجناحيه محاولا الهرب قال فلمينغ: "انك لمخلوق شجاع." فقد بدا ذكر الاوز مثل ولد صغير يحاول الوقوف على ركائزه الخشبية للمرة الاولى. وكانت ساقاه رفيعتين كغصنين، وتنتهيان بعقدتين صلبتين (عاريتين من الريش) يبلغ عرض الواحدة منهما خمسة سنتيمترات. اما الطريقة الوحيدة ليبقى اندي منتصباً فكان الركض بمنتهى السرعة الى ان يقع على صدره. وفي تلك



ماذا عساك تفعل باوزة من دون قدمين؟

Illustrations: Lynn Renee Cutler

اللحظة وقع، فاقترب جين منه ومرر يده على ريشه. ولان الاوز مشاكس بطبعه توقع منه جين ان ينقده، ولكن اندي هدأ بتأثير لمسة يده.

تابع جين التفكير بذكر الاوز الكسيح وهو في طريقه الى منزله في مزرعة مساحتها ٣٧ هكتاراً في هايستنغز. لقد شعر باستغاثة عيني اندي اللماعتين المستديرتين عندما وقع على الارض بائساً وممرغاً صدره بالوحل. وفكر جين بفريق الخدمات الذي ينتمي اليه وتفانيه في خدمة الاولاد الكسيحين. فقال لنفسه: "ذلك الحيوان بائس مثل ولد صغير وعلي ان افعل شيئاً لاجله."

فور وصوله الى المزرعة اتصل جين بزوجة اخيه قائلا: "بيلي، ما رايك لو اخذت ذكر الاوز الكسيح ذاك؟ سيكون افضل حالا وهو يسبح في بركتي من ان يحاول السير على هذين العودين."

رفضت بيلي العرض وقالت: "على رغم انه غير قادر على التزاوج لانه لا يستطيع الوقوف منتصباً، فبولي هي زوجته، وانا لن افرق بينهما."

فاقترح عليها جين اخذ بولي ايضاً. ولكن بيلي اصرت على الرفض. فعرض عليها عندئذ مقايضة زوج من الإوزّ البوميراني الأزرق العينين باندي وزوجته. فلانت بيلي واصفة اياه بالمجنون لمقايضة الاوزتين القيمتين بذكر اوز رمادي من غير قدمين.

احضر جين اندي وبولي الى مزرعته وانزلهما الى بركته. سبحت بولي برشاقة، اما اندي فحرك ركيزتيه المبتورتي القدمين بسرعة كخفاقة البيض ولكنه نجح في ازباد الطمي. رفعه جين خارج البركة قائلا له: "حسناً يا صاح، لنرَ ماذا يمكننا ان نفعل لك."

وبينما كان جين يتفحص ركيزتي اندي لم يلاحظ بولي وهي تخرج من البركة. كانت مصممة على الدفاع عن صديقها فامسكت بسروال جين وسحبته بعنف. فرد عليها: "سأحكم عليك بالنفي،" وراح يهتف ليروعها محاولا ادخالها الى الخمّ. ثم أضاف: "وإن خدمني الحظ قليلا فسأتدبّر لك زوجاً ملائماً."

قرّ رأي جين على ان اندي في حاجة الى حذاء ما. فاشترى لها اصغر الاحذية الجلدية البيضاء المخصصة للاطفال.

بقي اندي هادئاً عندما ألبسه جين الحذاء وشدّ رباطه. ثم انحنى وفكّ الربطتين وسحب ساقيه من الحذاء. عندئذ غرّى جين الربطتين والصقهما بالحذاء. سقط اندي في البركة وقذف احدى فردتي الحذاء من رجله واخذ يسبح دائرياً وهو يجذّف بالفردة الاخرى الى أن التقطه جين من جديد.

بداية النجاح. بدأ جين اختباراته، فوضع مطاطاً اسفنجياً داخل الحذاء مما سمح للنعلين بان ينبسطا. كذلك قطع مؤخر الحذاء الايمن لترتاح ساق الطائر اليمنى الملتوية في داخله. واحدث بعد ذلك ثقوباً صغيرة في النعل لتصريف الماء من الحذاء.

وبينما كان جين منشغلا في مكان آخر، تحوّلت حياة اندي بائسة بسبب زوج إوز صيني ابيض اللون عمد الى نقر ساقيه وجناحيه وتركه يرتعد خوفاً. فاسرع اليه

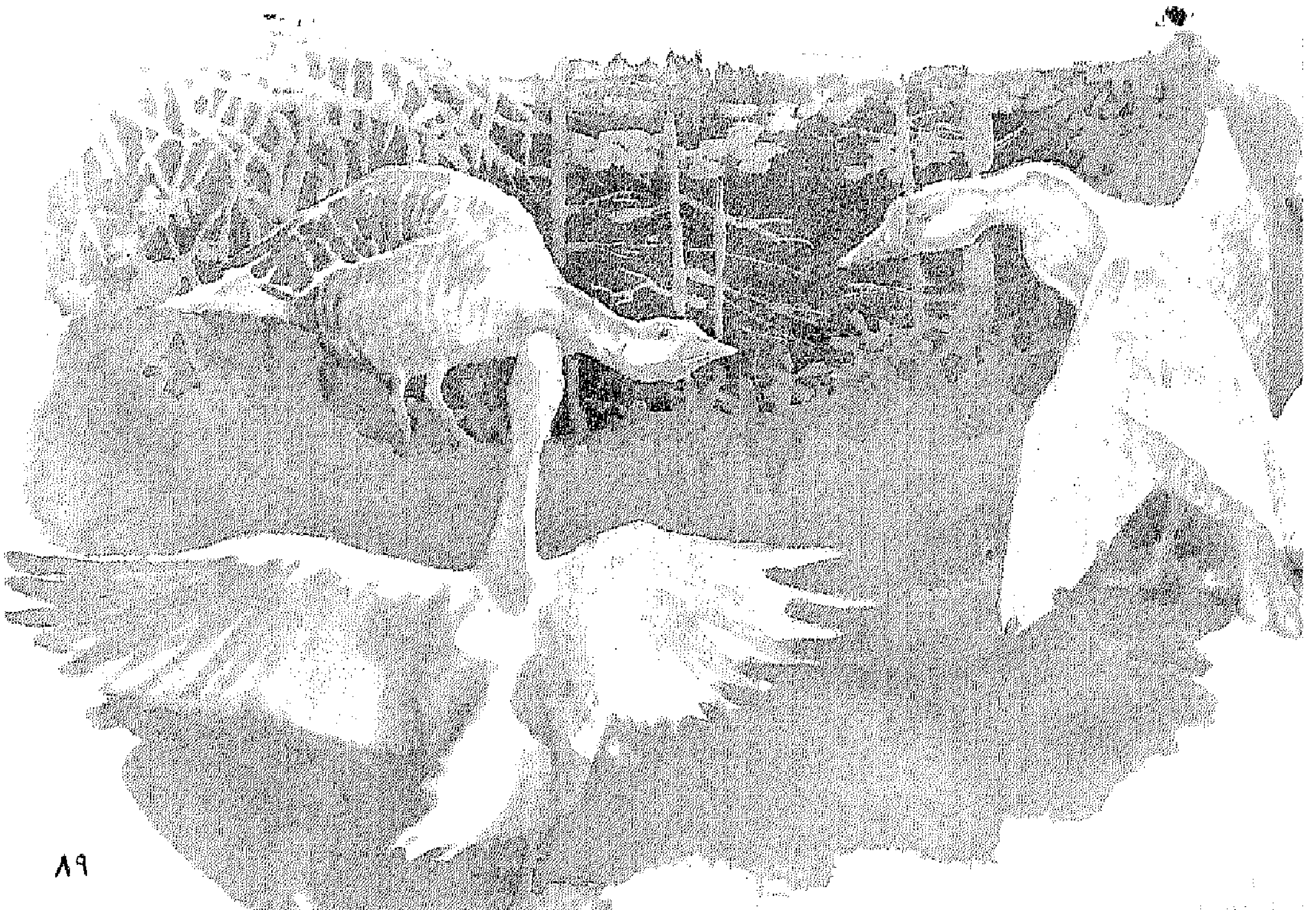
جين مواسياً: "لا تبالِ يا اندي، فستنال منهما في يوم ما."

عندما اصبح الحذاء جاهزاً كسا جين عقدتي اندي بجوربين ابيضين صغيرين وشدّ الحذاء باحكام حول كاحليه وغرى الربطتين ثم اوقف اندي على قدميه، فسقط ذكر الاوز على الارض. ولما عجز عن التخلص من حذائه، ألقى بصدره الى الارض محاولا الزحف مستعيناً برؤوس اطرافه. فكر جين باستخدام مزلاج ولكنه تخلى عن الفكرة. ثم عمد الى تطويق جسد اندي بنير للكلاب وجعله يتدلى مثل الدمى المتحركة. وقال له: "إنك تملك الآن اصابع لقدميك. اتكىء عليهما واخطُ خطوة." ظل جين يؤرجح اندي على قدميه الجديدتين مدة ثلاث ساعات قائلا له: "هيا يا اندي. يمكنك ان تسير إذا آمنت بقدرتك على السير. وكل ما عليك فعله هو ان تصدق انك تستطيع ذلك."

خطا اندي خطوة قصيرة لم تتعدّ عشرة سنتيمترات ولكنها كانت خطوة حقاً. فصرخ به جين: "حسناً يا اندي. لقد نجحت."

مشى اندي متمايلا كطفل سمين "محفّض" وتحرك بحذر حول الفناء. فك جين الرسن فترنح اندي ولكنه بقي منتصباً. مدّ عنقه ورفع رأسه عالياً ثم اخذ يصيح مبتهجاً. انه الآن اطول مما كان بـ١٥ سنتيمتراً.

وبما انه لم يستعمل كاحليه من قبل فقد كانا قاسيين. ولكنه بقي واقفاً على قدميه. وبعد عدة ايام من التمرين بدأ اندي يختال في الفناء. عندئذ اطلق جين بولي من الخمّ فتوجهت للتو نحو اندي وجعلت تحدق الى قدميه الجديدتين، فسألها جين: "ما رأيك فيهما يا بولي؟"



هزت بولي رأسها وابتعدت مسرعة كأنها تقول: "انه أخرق" وفجأة تعالى صياح مخيف. كان زوج الاوز الصيني يقترب من بولي فينبري له اندي مهدداً. هربت بولي الى داخل الحوض ولكن اندي رفض التسليم، فوقف على اطراف قدميه وصفّق بجناحيه مجبراً زوج الاوز على التراجع. وما لبث اندي ان مشى نحو الحوض ورمى بنفسه فيه ثم مدّ ساقيه وراءه واخذ يخبط الماء بقدميه المنسجمتين بحركة تشبه دولاب التغذيف لمركب بخاري؛ وبسرعة فائقة تجاوز بولي واخذ يتبختر سابحاً حولها.

لقد نجح مبدأ الحذاء ولكن الحذاء اهترأ خلال شهر. وبما ان كلفته كانت ١٢،٩٩ دولاراً ومتوسط العمر المتوقع لذكر الاوز هو ٣٠ سنة، فقد تبين لجين ان كلفة الابقاء على "قدمي" اندي ستبلغ ٤٦٨٠ دولاراً تقريباً.

ذهب اندي الى المدينة وعاد هذه المرة بخفين رياضيين مصنوعين من القماش، فاحلّهما مكان الحذاء فاديا عملهما بنجاح تام واثبتا انهما اكثر متانة.

التلميذ اندي. انتشر خبر شراء جين فلمينغ حذاء لذكر الاوز في ارجاء هايستنغز. فنشرت الجريدة المحلية صورة لاندي وهو يقف منتصباً وينتعل حذاء للاطفال. وطلبت احدى المعلمات في مدرسة محلية من جين ان يحضر اندي الى المدرسة لكي يتسنى للاطفال مشاهدته، "الا إذا كنت تعتقد انه سيعضهم." فرد جين بثقة: "كلا، اندي لا يفعل ذلك. انه يحب الناس."

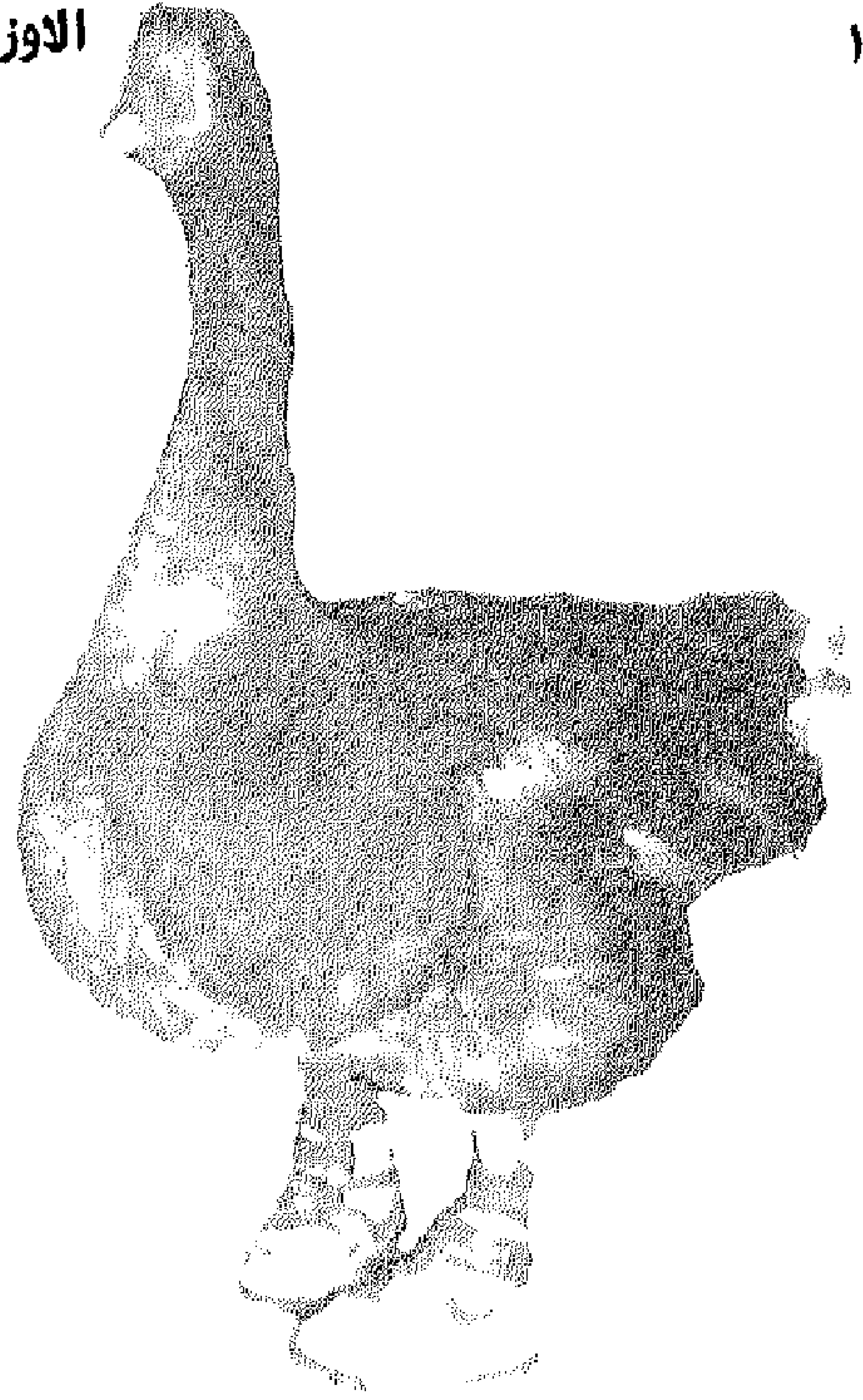
شرع جين يصمّم حاملة لاندي، واشترى له نيراً احمر جديداً ورسناً وسجل شريطاً بصوت بولي وهي تصيح، ثم قصد المدرسة.

تبختر اندي امام التلاميذ مظهراً لهم حسن سيره. وعندما ادار جين شريط التسجيل علا صوت بولي فرفع اندي رأسه وهتف فرحاً. لقد احبه الاطفال، اما هو فلم يظهر اي امتعاض عندما تحلقوا حوله يلاطفونه.

اصطحب جين اندي الى مدرستين ابتدائيتين اخريين في هايستنغز وهو لا يزال يتلقى الدعوات من المدن المجاورة. ويقول جين للاولاد: "نادراً ما نحظى بفرصة للقيام بعمل عظيم لمصلحة اصدقائنا المخلوقات، بشراً كانوا ام حيوانات. ابقوا متيقظين لتروا الاشياء الصغيرة التي يمكنكم القيام بها لأنها ذات تأثير كبير شبيه بتأثير الحذاء على اندي."

الغمزة بغمزة. الرسائل التي يتلقاها جين بعد كل زيارة مدرسية مع اندي تظهر مدى تفهم الاولاد لوضع هذا الطائر. وكتب له احد الصبية: "إذا وقعت على شيء مصاب بأذى فسأحاول ان اعالجه كما عالجت انت اندي." اما اكثر ما يحبه جين فهو بطاقة ارسلتها له احدى الفتيات من الصف الابتدائي الثاني وفيها: "انا احب السيد فلمينغ لانه مكّن اندي من المشي."

وبينما كان جين عائداً بسيارته الى المنزل يرافقه اندي، حدث نفسه: "انه لامر مضحك كيف تحل النعم مقنعة. أليس



كذلك يا اندي؟ فما بدا كأنه اسوأ شيء – اي انك ولدت من غير قدمين – اصبح افضل شيء. فأي ذكر اوز غيرك ينتعل خفين الى المدرسة ويعيّن عضو شرف في سلك العلاقات العامة التابع لغرفة التجارة؟"

مدّ جين يده ليمررها على ريش اندي الذي كان منفوشاً بسبب جلوسه في الحمالة فما كان من الطائر الا ان التقط كم جين بلطف بمنقاده.

هل كانت تلك غمزة ام طرفة من عيني اندي الصغيرتين؟ ايا يكن قصد اندي فان جين يرد دائماً الغمزة بغمزة مماثلة.

جو كودرت ■



الارض المتواضعة

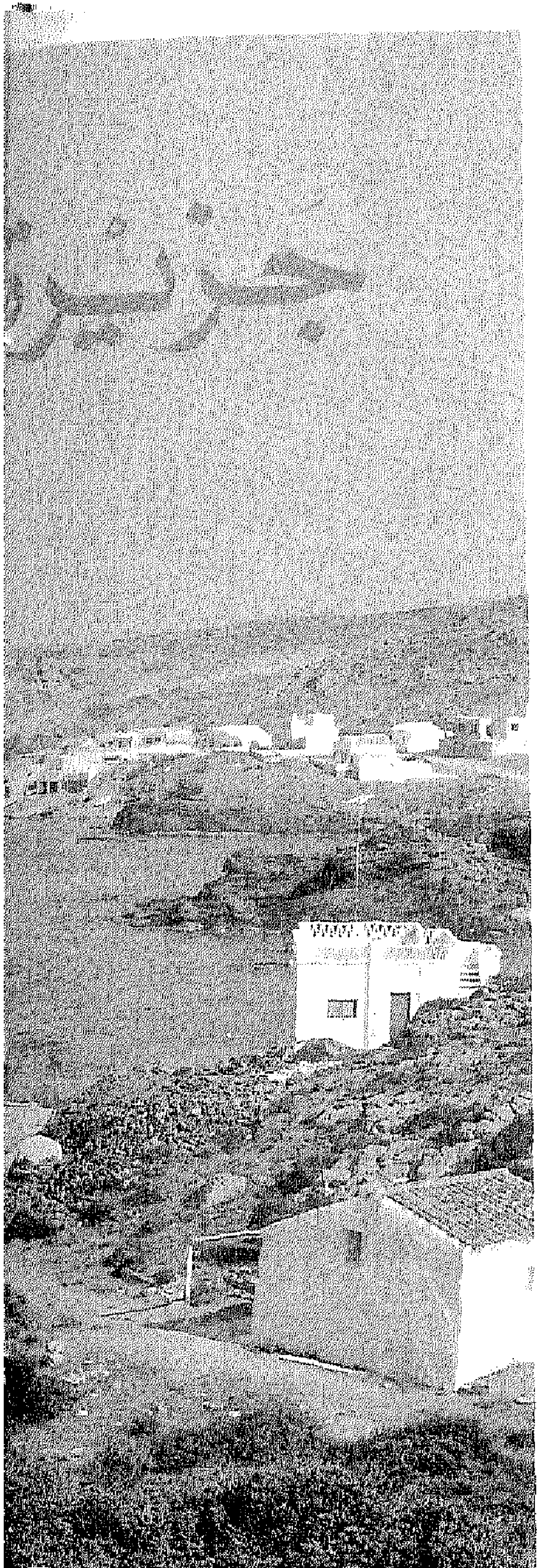
لو كانت لك روح المزارع لما قبلت بأي ثمن أن تعمل وأنت لابس قفازين. فملمس الارض الدافئة المعتدلة الرطوبة والجفاف شعور لا يستطيع أحد أن يصفه لك ما لم تختبره بنفسك. وتملاك رائحة الارض وروعة تواضعها المنتج بايمان مميز. قد لا يراودك التفكير في الأمر، ولكن إن فعلت فالأرجح أنك تصل الى الاستنتاج الآتي: اذا استطاعت الارض البسيطة المتواضعة أن تفعل هذا كله، فان هناك رجاء للانسان مهما صمم على تدمير نفسه.

ر.س.

معنى الحياة

كان لي أم وأب يحبّان بعضهما بعضاً حباً حقيقياً، ولذلك أعرف ما هو الحب. وقد عملت بكد لكي أرى ولدي يجتازان بأمان سنوات المراهقة الصعبة، ولذلك أعرف معنى الرضا. لقد صليت واستجيبت صلواتي، ولذا اعرف معنى الايمان. عشت الى جانب شريك عمر لطيف ويراعي شعور الآخرين، ولذا اعرف ما هي السعادة. ولأنني أعرف كل هذه الاشياء، اعرف معنى الثراء.

أ.ب.



K. Scholz . Zeta

مينوركا التي دكّت بالحديد والنار هي الان واحة من البهجة والراحة

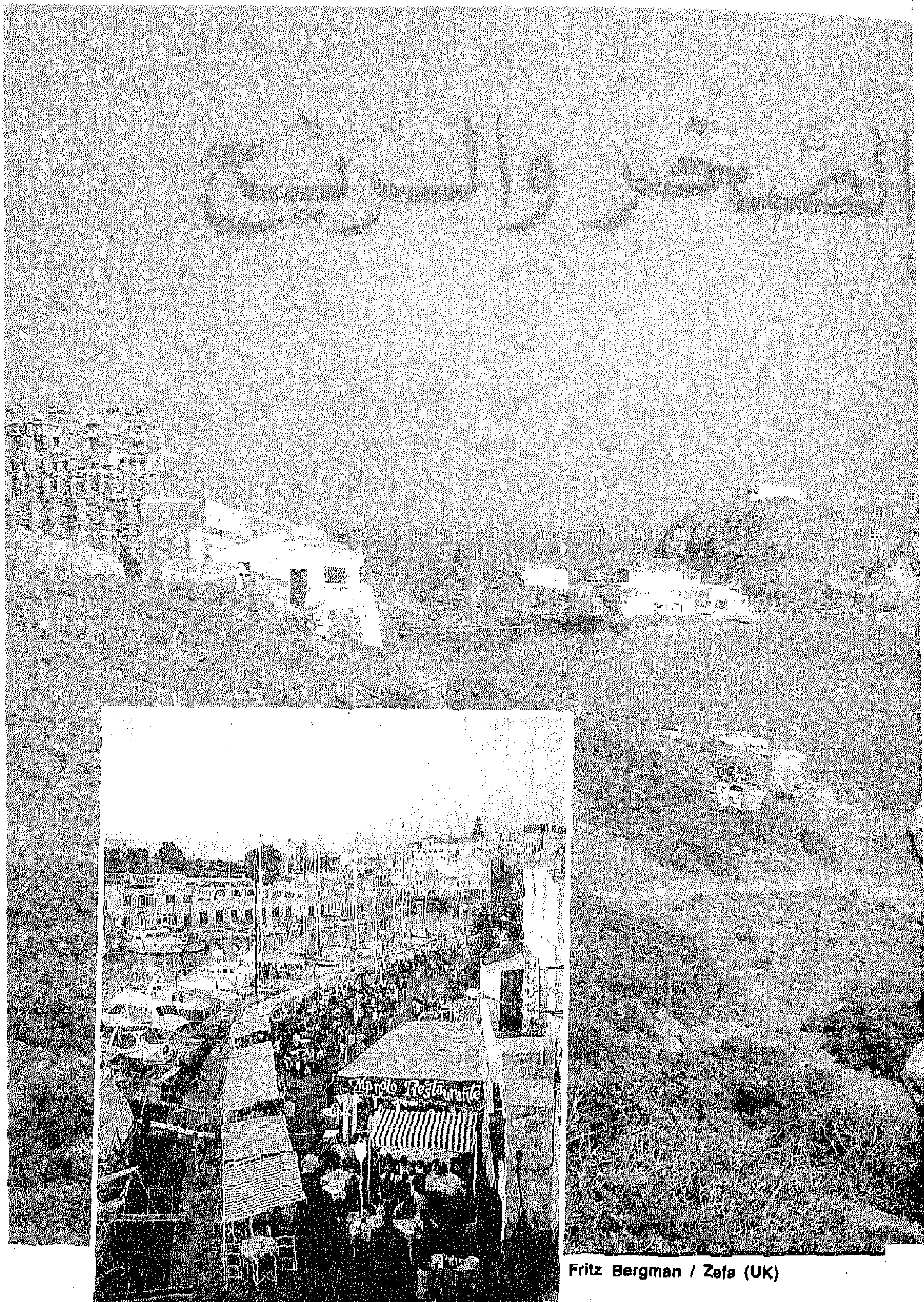
نحن في جزيرة صغيرة مستكينة في وهج الشمس يحوطنا بحر ساكن يعج بالحياة كأنه شعلة غاز زرقاء ملتهبة. انها جزيرة شهد سكانها من حوادث التاريخ فوق ما قدروا ان يستوعبوا، وما لبثوا في النهاية ان زالوا هم من ذاكرة التاريخ.

جزيرة صغيرة لا احداث تذكر تمرّ بها. جزيرة خلجان وشواطىء صغيرة... تلك هي مينوركا.

جلست في الأمسيات الدافئة في ماهون شاخصاً الى الميناء العميقة الرائعة والأجمل في البحر المتوسط، وهي في الحقيقة بحيرة ضحلة مقفلة بمهارة طبيعية، يحوطها جرف من التلال الكلسية والشجيرات الخفيضة. في الخريف والشتاء تتعرض الجزيرة للرياح التي تهب عليها عاصفة عبر جبال الالب فتلوي اشجارها وتكسرها وتبدو صخرية في اكثر من نصفها ولكن مورقة موشحة

مجموعة من الفيلات البيضاء حول احد الخلجان في يوم قائظ.
أسفل الصورة: غياب الشمس في شوداديلا.

الصخر والريح



Fritz Bergman / Zefa (UK)

بالاخضرار. اما ماهون العاصمة فملتفّة على بعضها وهي محمية على رغم كونها شديدة الانحدار.

وتشابك التلال المرصوفة بالحصى والشوارع الضيقة تبرز عظمة الابنية العامة مثل بناية "كازا دو كولتورا" البديعة وقنطرة "سان روك" الضخمة بالقرب من احدى الساحات الكثيرة الحميمة الطابع.

هدوء بعد صخب. تنعم مينوركا اليوم بالهدوء بعد تاريخها الحافل بالضربات العنيفة. وكان قدر جزر البحر المتوسط غزو القراصنة والفتوحات. واول من اجتاح سكان جزر الباليار (يعتقد ان الاسم مشتق من "بالين" اي الرمي بالمقلاع) في العصر البرونزي كان اليونانيون والفينيقيون وجماعة قرطاجة.

والرومان الذين قدموا اليها قرابة العام ١٢٥ ق.م. شقوا مسافات كبيرة من الطرق وجعلوا من الجزيرة متحفا للآثار الرومانية بما فيها الفسيفساء جنوب غرب العاصمة ماهون وعلى "إيسلا دل راي" في الميناء. ثم قدم الفاندال عام ٤٢٦ م. وتبعهم البيزنطيون والمغاربة. وبعد استكمال مراحل الفتح الاسباني عام ١٢٨٧، وكانت الجزيرة اتحدت مع مملكة أراغون، استوطن مينوركا القطالونيون النشيطون الذين أدخلوا اليها صناعة احذية مزدهرة. وقد وضعوا ميثاقا للحقوق، وهو وثيقة مقدّسة يتحدث عنها المينوركيون بفخر واعتزاز.

في مطلع القرن الثامن عشر وجدت الجزيرة نفسها في خضم حرب الوراثة الاسبانية، بين بريطانيا العظمى والنمسا ضد فرنسا واسبانيا. فاستولى الاسطول البريطاني على ماهون واصبح جزء من المدينة مشابها لميناء بليموث الانكليزي، بمنازل منضدة صفوفا فوق بعضها البعض ونوافذ مؤطرة وابواب ومصاريع ذات لون اخضر فاتح وشوارع مرصوفة جيدا. وعقب ذلك استيلاء الفرنسيين على الجزيرة عام ١٧٥٦ الذين بنوا ضاحية "سان لوي" الجميلة خارج ماهون. وكان الانكليز فيها قبل الحروب النابوليونية وبعدها. وفي ١٨٠٢ تخلّوا عنها لاسبانيا.

في عهدهم كان الاسبان، بعد الرومان، البنائين الاكثر ثقة وعظمة في فن العمارة. وهم يتبعون العرف في بناء جدران عالية بسيطة تمتد الشارع بطوله لكي تمتص حرارة الشمس وتحفظ البرودة في الداخل. وقد تبعوا الهندسة المدينية على نطاق واسع. وتنتشر حاليا الفيلات في الضواحي حول الميناء وهي مطليّة باللون الابيض بحسب القانون، ويخطط لها ان تكون في مربعات متقاطعة تعكس الضوء القوي والظل الكثيف.

تقول الكتب ان المينوركيين متكاسلون ويُعنى بذلك انهم ليسوا انفعاليين بل يعملون بجد وهدوء. انهم مطمئنون، متحفظون، لطفاء وربما مشدوهون كما يكون عادة سكان الجزر، واذا صح ذلك القول، فلان الريح تدندن في اذانهم طوال قسم من السنة.

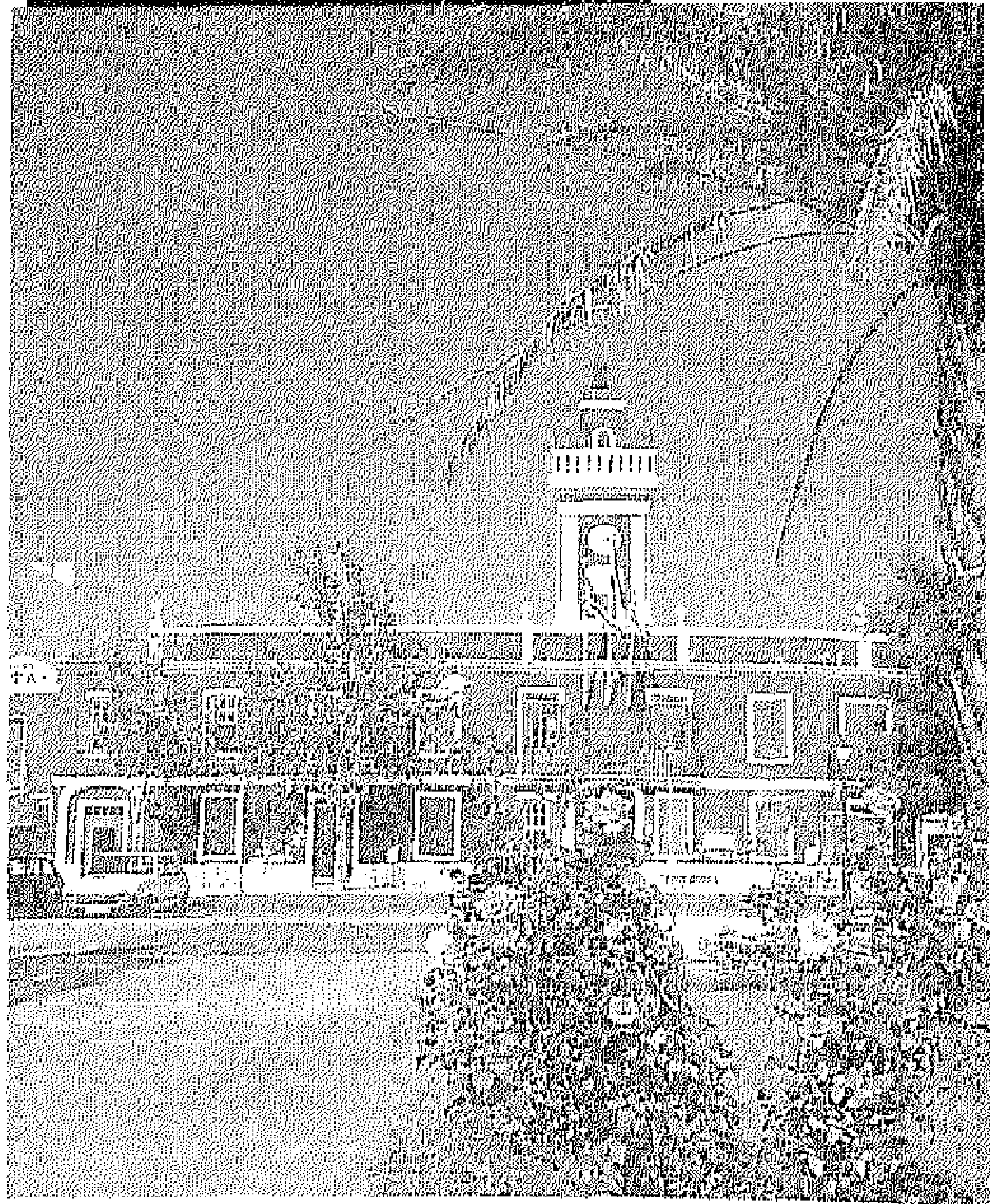
يبلغ طول جزيرة مينوركا الصغيرة ٤٨ كيلومترا وعرضها ١٤ كيلومترا. وتثير الدهشة التغيرات المفاجئة بمناظرها

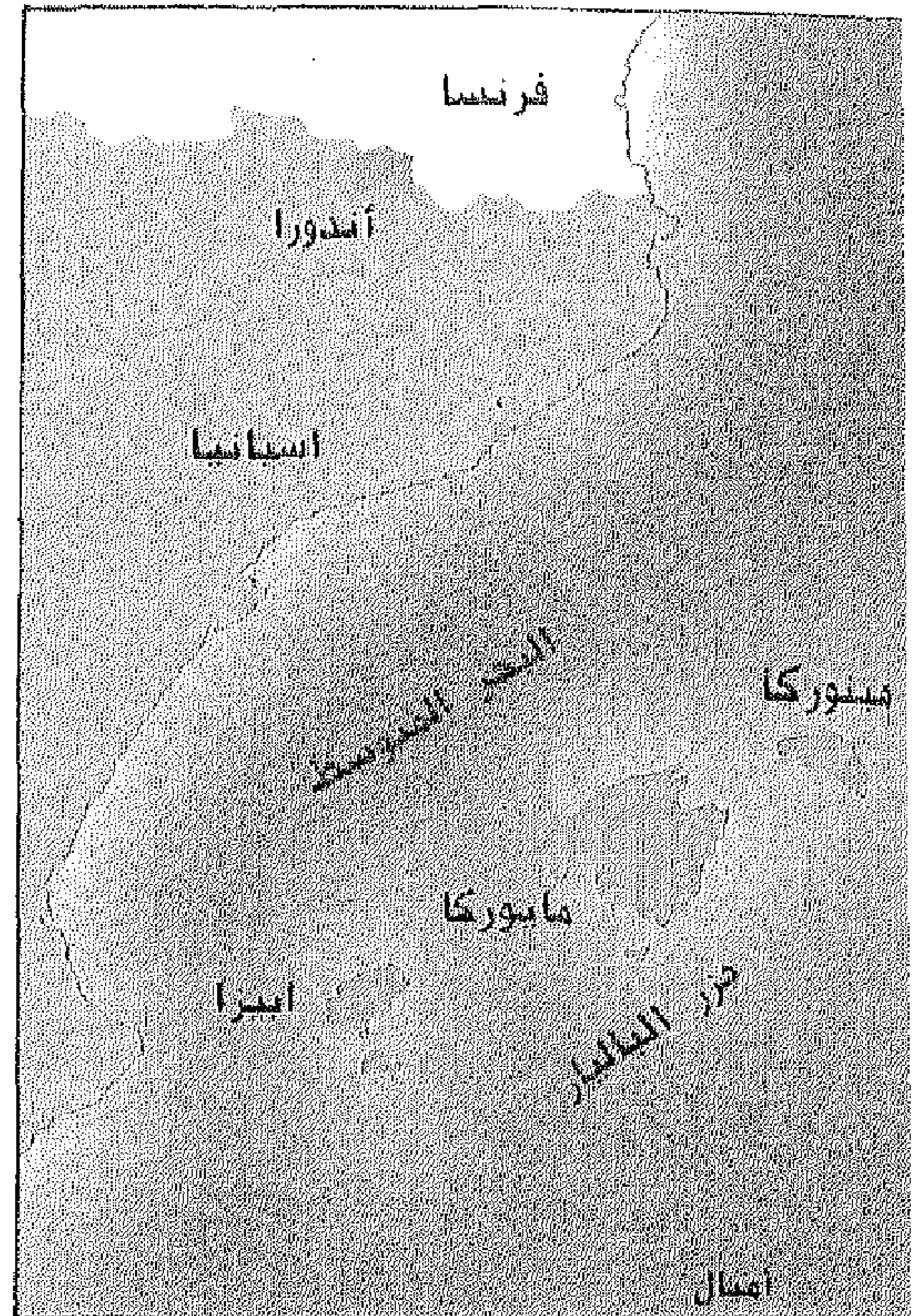
مبنى البلدية
في فيلا - كارلوس قرب ماهون.

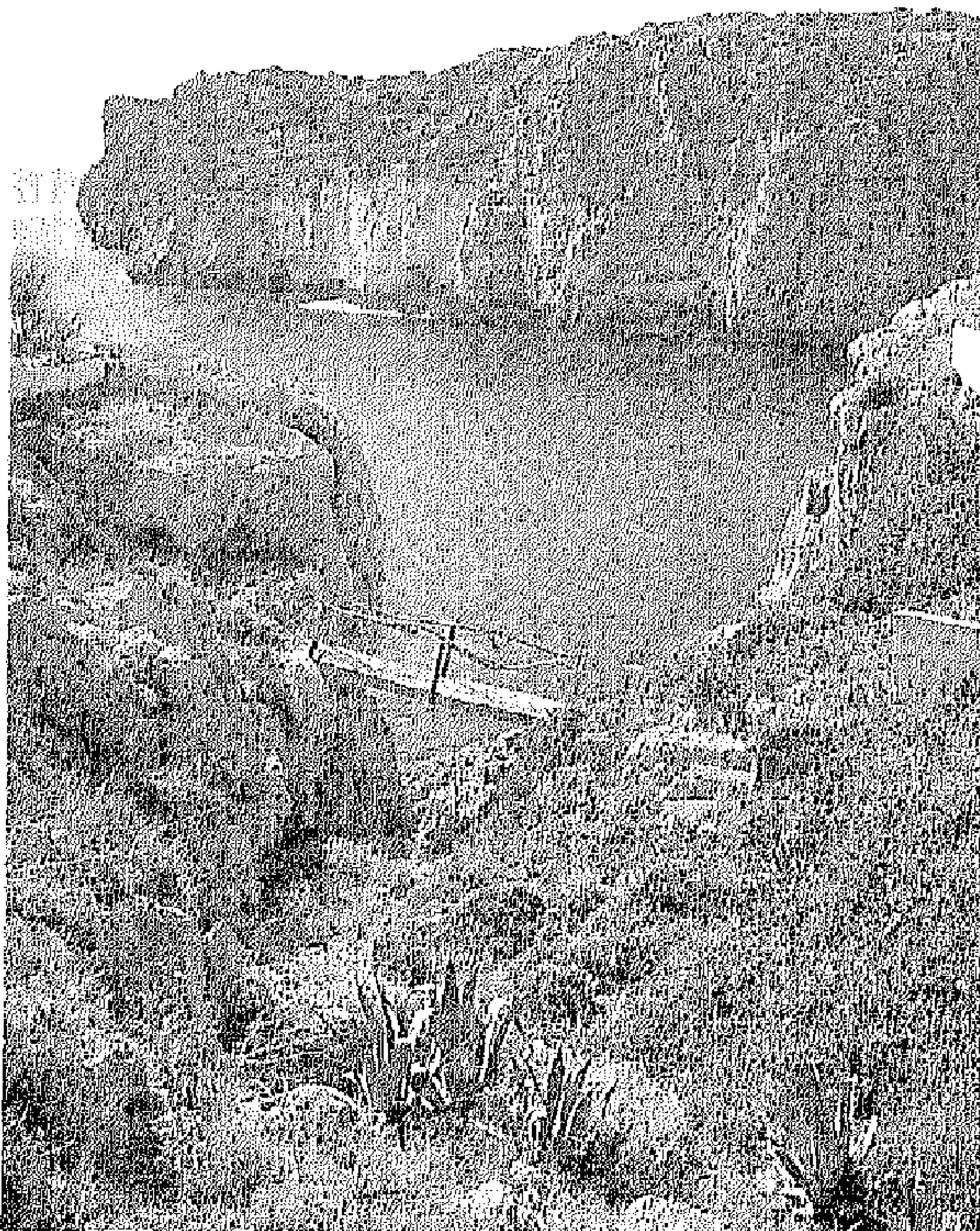
ثمار بحر طازجة.



D. Steen / Telegraph Colour Library







مدخل احد الكهوف الكلسية.

Pictor International

الطبيعية وحتى بمناخها، وذلك خلال الرحلة من الشرق الى الغرب، من ماهون عبر المدن الصغيرة الضيقة: "ألايور"، "ميركادل" و"فيـريريـاس" الشديـدة الانحدار، الى "شوداديلا". وتعني الاخيرة "القلعة" وهي اريستوقراطية، فسيحة، وحامية التقاوى. لقد حـافظت على مهرجانها المدهش الذي يقام في يونيو (حزيران) حيث يمتطي الفرسان الخيول مرتدين ما يشبه سترات وسراويل سفرة قصيرة ويتبخترون دخولا وخروجا من الابواب في الممرات المقنطرة.

الريح والصخر. في مطلع الرحلة من ماهون تنقسم الجزيرة قسمين، جيولوجياً وربما ثراء. فالصخر والتربة الى جنوب الطريق كلسية غبارية والى شمالها تربة خصبة ناعمة حمراء كارض الاندلس.

تنطلق الحافلة من ميناء ماهون متهادية الى منبسط مرتفع مغطّى بالاشجار الخفيضة، وترى اذ ذاك لماذا تسمى الجزيرة "جزيرة ريح وصخر". انها مضلّعة بالوف المتاهات من الجدران الصخرية الخشنة التي تحيط بحقول من كل حجم وشكل. ويبدو الناس كأنهم مأخوذون بهوس الجدران والملكية لما يوفره لها الجدار من حماية. ويذهبون في ذلك الى حد تتويج اعلى الجـدران بالباطون او طلائها باللـون الابيض النشوي.

قد يضع المزارع دائرة رمادية اللون من الحجار كجدار يئر ضخمة حول شجرة من التين في وسط حقل وعر. وفي جميع تلك الحقول من الشعير والشوفان وعشب الجاودار التي تنفخ فيها الريح، تتجمع كومة من الحجار كأن الرجال الساخطين الذين كانوا يقتلعونها لقرون طويلة اقاموها هناك احتجاجا على سلطان غير عادل جعل من مشقة عملهم بأيديهم شهداء الارض.

ليست هناك جزيرة اخرى في المتوسط تضاهي مينوركا بآثار ما قبل التاريخ. فعلى بعد بضعة كيلومترات من ماهون دفعني أثر (بشكل حرف T، "تولا" و"نافيتا") الى ممر وعر مشيت فيه وقد تأكلني البعوض بين اكواخ محاطة بجدران صعودا الى سلسلة من الكهوف الكلسية.

على قمة التلة برز فجأة كحرف T ضخم حجران متوازيان، كأن قَطْعهما تم على يدي هنري مور. انها تولا التي تحيط بها دائرة من الكِسَر الصغيرة التي ربما كانت اعمدة قائمة في سابق عهدها. وعلى مقربة من المكان كومة ضخمة من الحجار كأنها زورق ملقى على الشاطىء: تلك هي نافيتا، وحولها النحل يرسل طنينه.

لا احد يعرف اذا كانت هذه الحجار الضخمة العائدة الى ما قبل التاريخ و"التـالايـوت" التي تشبـه الابـراج المنتشرة في كل انحاء الجزيرة هي آثار دينية، او ان "تولا" كانت مجرد دعامة مركزية لبيت الزعيم.

وسكان الجزيرة كانوا في حاجة الى نقاط عالية وابراج مراقبة، اذ انه ابان حكم ملوك اسبانيا حتى المزارع تحتم عليه تأمين ثلاثة عمال لصد الغزاة الذين كانوا يأتون للنهب والقتل والاحتلال. لذلك يشاهد المرء ابراج مراقبة في بعض المزارع.

نظيفة، لامعة. ان مينوركا خالية من الاحياء القذرة، فهي جزيرة نظيفة لامعة ومزدهرة ولكن بعض الاماكن الهادئة الجميلة مهددة بالخطر. ويتذكر المينوركيون برعب ما اصاب "بالما" وذلك الجزء من جزيرة "مايوركا" المجاورة.

في اواسط القرن التاسع عشر شهدت الجزيرة حقبة طويلة من الفقر في الريف والتخلف في الزراعة حين غادر الوف السكان الى اسبانيا وامريكا الجنوبية وشمال افريقيا. انما فيما تحدّثت الزراعة توقفت الهجرة ببطء وتقوم الجزيرة حاليا بأود سكانها على نحو مرض جداً. ان ازدهار قطالونيا العصرية امتد الى الجزر.

والغرابة في الامر ان الجزر الصغيرة تبدو اكبر واكثر ثراء حين يجول المرء في النواحي الطبيعية الريفية المتغيرة. يصل المرء الى "ميركادل" فيجد هضبات متموّجة واودية طويلة حيث زرعت التربة الحمراء بعناية، تقطعها وهاد شديدة الانحدار مشجّرة وفيها مجازات ضيقة مستطيلة. واذا توجهت الى الشمال لا تلبث ان تجد نفسك في طرق تكتنفها الاشجار. والشوارع البسيطة في "فورنيلز" الواقعة في محاذاة بحيرتها هي بيضاء اللون، نظيفة وانيقة.

في امكاننا التقدم بصعوبة في الطريق الوعرة الى رأس "كاباليريا" المدهش. ان الاقتراب من الشاطىء المخدّد خطر من الشمال والجنوب ويُبعد انحداره الشديد الحشود الكبيرة عنه، خصوصاً لدى الانعطاف عند "فيريرياس" او سوق "سان كريستوبال،" الى الخلجان الصغيرة مثل "أدايا" أو "كالا الكوفار."

ان مينوركا بعيدة كثيراً عن افساد "الفراديس الصغيرة" المتعددة على شاطئها والتي لم تفقد ميزتها وخصوصيتها. وقد ساعد الحس الوطني، كون الجزيرة لحسن الحظ خرجت من التاريخ، في حفظ شعور قوي لصون الاماكن الاثرية التي تعدّ اعمالا فنية عَرَضية، من العبث والتلف.

ودعني اشيّع هنا ان "ليس هناك شيء تعمله" في مينوركا باستثناء الاسترخاء والتكاسل والتلهّي وأكل السمك "النازلي" و"البوري" و"اللانفوستين" و"القريدس" مع "أيولي" (صلصلة الثوم). وتتحادث وتتمتع بساعات القيلولة الطويلة حين يكون كل شيء في المدينة ساكنا، هادئا، مقفلا. ثم تنتظر غياب الشمس وليس ما يعكر صفاءك، فتشاهد المنازل البيضاء التي تشبه الصناديق تتحول الى اللون الاحمر الوردي (القرنفلي) ويتغير لون الميناء فتزداد سكينة الامسيات روعة وجمالا.

ف.س. بريتشيت ■



صاحب المتجر للصياد: "لدينا طعوم حيّة، وطعوم ميتة، وطعوم اصطناعية، وطعوم تستطيع أكلها اذا لم يأكلها السمك."

س.ف.

اختصاصيون في الاحتيال
يوهمون المرضى اليائسين بأن المعالجات الطبيعية هي الاسلم والانجع

□ في مونتانا اقنع احد مدّعي الشفاء بالمعالجة الطبيعية والدي فتاة (عمرها ١٦ عاماً) مصابة بداء السكّري، ان حقنها اليومية من الانسولين غير ضرورية. وقال ان في امكانه تنشيط قدرة الفتاة الذاتية على إنتاج الانسولين بمجرد القرع على صدرها. وبعد ثلاثة ايام ماتت الفتاة، وقدمت فاتورة الى الوالدين بـ٦٣٥٠ دولاراً تمثل كلفة المعالجة.

□ في بلاكفوت بولاية ايداهو، ذهبت روث كونراد (٥٨ عاماً) الى مكتب احد ممتهني المعالجة الطبيعية وهي تشكو من ألم ناتج من إلتهاب المفاصل في كتفها. وفيما كان المعالج يتولى وخزها بالابر اشار الى ورم صغير باد على انفها. فأعلن انه "سرطان الجلد" ووصف لها مرهما أسود لتفركه به. وفي اليوم التالي عادت المرأة شاكية ان المرهم يحرق انفها ويحدث في خدّيها خطوطاً حمراء محرقة، فقال لها المداوي ان هذا يثبت ان الورم سرطاني وان عليها ان تتابع فرك انفها بالمرهم.

وبعد خمسة ايام ادخلت كونراد على عجل الى المستشفى ووجهها منتفخ وقد سلخ عنه الجلد. وقضى اطباء الجراحة التجميلية ٣ سنوات في معالجتها واجروا لها ١٧ عملية لاعادة انفها وخديها الى حالها الطبيعية. وقد تبين ان المرهم لم يكن سوى "كلوريد الزنك" الذي تأكّل وجهها كلهب فرن حارق.

□ في فيلادلفيا اقنع احد المستشارين الغذائيين زوجة رجل مسنّ (٦٧ عاماً) مصاب بسرطان القولون انه قد يشفى اذا اتبع نظام حمية خاص. فوصف له الخضر غير المطبوخة وعصير عشب القمح وعصير قشر البطيخ الاحمر. وما ان مضى شهر على اتباعه هذه الحمية حتى هبط وزن المريض الى ٤٠ كيلوغراما وتوفي في الشهر التالي وهو ما انفك يلتمس تناول وجبة غذاء تامّة.

ان هذه الحالات تشهد على انتشار وبأي للشعوذة الطبية التي تكلف مليارات الدولارات سنوياً. وبعض المال يدفع ثمن اضافات غذائية وفيتامينات وحبوب وجرعات غير ضرورية. وهناك معالجات مشبوهة تدر أرباحاً أكثر وتشمل داء التهاب المفاصل ومرض القلب والسرطان.

يقول وليم جارفيس استاذ علم الصحة في جامعة لوما ليندا الطبية في كاليفورنيا ورئيس "مجلس الولايات المتحدة الوطني المناهض للدّجل الصحي": "انه لأمر مشين". ويحذر من ان هناك بائعين مخادعين متحمّسين، يصرفون ملايين الناس عن تناول الادوية العلمية ويغرونهم بابدالها بمعالجات طبيعية مشبوهة وعلاجات زائفة لكل شيء من حبّ الشباب الى تصلب الانسجة.

ويستند هؤلاء المخادعون الى تقبل العموم استعمال ادوية غير تقليدية. ومنذ أكثر من سنة أفادت "ادارة الغذاء والدواء" في الولايات المتحدة ان ما يزيد على ٢٥ في المئة من الامريكيين الذين جرت معاينتهم، اعترفوا باستخدام مثل هذه العلاجات غير الموثوقة مثل شاي الاعشاب لارتفاع ضغط الدم ومراهم كيميائية لالتهاب المفاصل.

ويروي ريتشارد كليلاند رئيس حماية المستهلك في مكتب المدعي العام في أيوا: "ترد علينا شكاوى قليلة جدا من العموم. ويسود الاعتقاد لدى الناس انه اذا لم ينجح العلاج فالذنب ذنبهم، لا يدركون ان الخداع في المعالجات الصحية هو اكبر استغلال مالي."

في شهري يناير (كانون الثاني) وفبراير (شباط) عام ١٩٨٨ حقق كليلاند في مركز عمليات تستخدمه شركة طلبات بريدية تروّج لحبة "غردية مركّبة" تدعي أنها تؤدي الى انقاص الوزن في الحال. وقد اظهر التحليل ان الحبة لم تكن سوى مزيج من اعضاء حيوانية مسحوقة. وقد اعادت ولاية أيوا الى ٣٢ الف شخص شيكات بمبلغ ١،٦ مليون دولار.

ويدعو المحققون في الدجل الصحي هذه الممارسات مبيعات احتيالية لأدوية خالية من اي فائدة. واكثرهم شؤماً يخدعون الناس بإيهامهم ان في إمكانهم الإستغناء عن الجراحات او الادوية. هنا بعض وسائل المعالجة التي يروجون لها:

عام ١٩٨٣ قيل لبونيه هندريكس هوي (٤٧ عاماً)، وهي مؤلفة موسيقى وعازفة بيانو من بنسلفانيا، انها مصابة بسرطان عنق الرحم. وأفاد اطباؤها انه اذا اجريت لها عملية استئصال الرحم في الحال، فان لها ٩٠ في المئة من الحظ في الشفاء.

وكانت هوي تقرأ عن القوة الشافية لنظام حمية يعرف بـ"ماكروبيوتيك" فزارت احد المراكز حيث اقنعها المتحمسون لهذا النوع من الحمية ان الأغذية الملائمة قد تزيل السرطان.

فأرجأت هوي الجراحة. وفي مارس (آذار) بدأت نظام حمية يعتمد الرز الاسمر والخضرة ذات الجذور. وكان من المفترض ان تقيم هذه الاطعمة توازنا بين قوتين في الجسم متعارضتين هما

"ين" و"يانغ،" وتلك فكرة مأخوذة من فلسفة شرقية قديمة. وفي سبتمبر (ايلول) أعلنت لها جماعة الميكروبيوتيك انها شفيت بنسبة ٧٠ في المئة. ولكنها فارقت الحياة بعد شهرين.

يستخدم هذه الطريقة اطباء ممتهنون متطرفون يسرفون في اطرائها كوسيلة ناجعة لشفاء السرطان والتهاب المفاصل وتصلّب الانسجة المضاعف والأيدز. اما الفكرة الاساسية فهي تنظيف الجسم من السموم وتنشيط جهاز المناعة من طريق استعمال مستحضرات طبية وغير طبية لم تثبت فاعليتها.

كتب كورت دونباخ وهو مقوّم سابق للعمود الفقري: "عندما نتمكّن من اعادة جريان الدم الطبيعي الغني بالاوكسيجين نكون حققنا الخطوة الاولى في ارتداد كل الامراض المسبّبة للانحلال."

وتباع كتيبات دونباخ في الوف متاجر "الاغذية الصحية" في الولايات المتحدة. امام علاجه الشافي فهو محلول "هيدروجين - بيروكسيد" تزيد قوته على عشرة اضعاف القوة العادية - وهذا المستوى يتلف الانسجة. ويطلب من المرضى تخفيف هذا المحلول ومن ثم شربه والاغتسال به واخذه بواسطة الحقن. وكان الهيدروجين - بيروكسيد يسوق بصفة كونه "طعاماً" بواسطة البريد من المكسيك الى ان اقفلت مصلحة البريد الامريكية قسم الاعلان في الطلبات البريدية عام ١٩٨٨.

حين توفي الممثل ستيف ماكوين بسرطان الرئة عام ١٩٨٠ كان قيد المعالجة في احدى عيادات المعالجة الأيضية السبع في تيخوانا بالمكسيك. وتضمنت معالجته حقن قهوة وحقن مستحضرات خلايا حية مصنوعة من أجنحة الغنم والماشية.

وكان الممثل أُقنع بأن يدلي بشهادته من التلفاز ليشكر اطباءه على انقاذ حياته. ولكنه مات بعد ذلك بوقت قصير.

لم تتمكن "جمعية السرطان الامريكية" من تقصّي حالة شفاء واحدة مدعومة بالوثائق، ومع ذلك لا يزال الالوف يجربون المعالجة الأيضية في مقابل كلفة نموذجية مقدارها ٦ الاف دولار (تدفع سلفا) لجلسات معالجة في العيادة مدتها ٣ اسابيع.

يُروّج في الغالب لهذه الطريقة كشفاء المتصلب العصيدي أو تصلب الشرايين. فيحقن المرضى ضمن الوريد حمضاً أمينياً يدعى EDTA، ويزعم انه ينظف صفائح الدم من الشرايين المنسدّة.

لم يقدم احد اثباتا لهذا الادعاء. والحقيقة هي ان استخدام EDTA المصادق عليه يتم حصراً في حالات التسمم بالمعادن الثقيلة كالرصاص والزئبق. لكن المعالجة بالاستخلاب باتت شائعة الى حد انها اصبحت توصف لمعالجة قائمة طويلة من العلل في ٥٠٠ عيادة منتشرة في الولايات المتحدة.

في نيفادا اجرى عياديون فحوصا اختبارية بواسطة الدماغ الالكتروني على امرأة عمرها ٥٥ عاماً، كونها مصابة بداء

الربو واستهدفت الفحوص قياس "توازن طاقتها المغناطيسية الكهربائية." فخيل لها ان اوصابها ناتجة من شدة الحساسية في جسمها وان دمها في حاجة الى تنظيف بواسطة الاستخلاب.

وهي روت انها شاهدت في غرفة الانتظار في العيادة ٤٠ شخصاً بينهم فتاة مشلولة ورجل مصاب بمرض الأيدز وعدد آخر من المرضى في سواعدهم أنابيب تقطير استخلاب.

وقالت: "يبلغ بك اليأس من الشفاء حداً تصبح معه قابلا لان تجرب اي شيء. ولكن كان علي ان اضع حداً فاصلا هنا فقررت ان لا ادع احدا يعبث بدمي."

بالترافق مع معالجاتهم الزائفة، يستخدم الدجّالون فحوصهم التشخيصية الخاصة، واكثرها غرابة فحص "سيوتوكسيك." يقول هؤلاء المخادعون: "اذا شعرت انك مرهق او ان ضغط دمك مرتفع او كنت تشكو من الجيب، فقد تكون معاناتك ناتجة من حساسية ضد الطعام." ففي مقابل ١٢٥ الى ٣٥٠ دولاراً يعرّضون عينة من دمك لمستخرجات مختلفة من الطعام المجفف. ومن المفترض ان تكشف الحساسية حين يقتل احد انواع الطعام خلايا الدم البيضاء.

وذات مرة ارسل مكتب المدعي العام في نيويورك عيّنة من الدم لفحصها في مختبر سيوتوكسيك. فأتاه الرد ان المريض يعاني حساسية ضد الحليب. وكان "المريض" بقرة!

ويستوي في الغرابة، والخلو من اي قيمة، المنهج التشخيصي الذي يرتكز على اساس ان كل مساحة في الجسم لها ما يماثلها في قزحية العين. فأي تغير في لون "جزء الكبد" ونسيجه في القزحية مثلا، يدل على الاصابة بمرض في الكبد.

يخبر رسل وورل وهو مساعد استاذ عيادي في مدرسة قياس البصر في جامعة كاليفورنيا ببركلي، عن محاسب في الاربعين اخضع لفحص على اساس تماثل قزحية العين فظهرت اصابته بالسرطان. فاستبدّ الخوف بالرجل وبعد ان قضى يوما كاملا في عذاب نفسي يحاول عبثاً الاتصال بطبيب عائلته، زار وورل الذي طمأنه الى ان فحص قزحية العين لا قيمة له. وفي الفحص الذي أجري له لاحقاً ظهر ان الرجل خال من مرض السرطان ولكنه يعاني حالا خطيرة في قلبه أغفلها فحص القزحية.

ان مصلحة البريد وادارة الغذاء والدواء ومجلس التجارة الاتحادي، تمنع بيع الادوية والادوات الخادعة الاكثر وضوحا من طريق المصادرة والانذار القضائي وقوانين اخرى.

والى ذلك تتولى ادارة الغذاء والدواء تثقيف العموم في شأن العناية الصحية الاحتيالية. وقد شملت جهودها في السنوات الاخيرة اجراءات فاعلة ضد الشعوذة الصحية منها رسائل تثقيفية توزع على جميع وسائل الاعلام، ومؤتمرات برعاية ادارة الغذاء والدواء.

ما هي الوسيلة الناجعة لمعرفة المشعوذ؟

يقول اطباء اعضاء في "مجلس الولايات المتحدة الوطني المناهض للدجل الصحي" انه يجب الاحتراس من المروّج او الممتهن الذي:

● يستخدم الشهادات او النوادر لدعم ادعائه بدلا من البرهان العلمي الدراسي.

● ينشر الوعود بشفاء عجائبي.

● يدعي ان اكثرية الامراض في الامكان شفاؤها بالطرق الغذائية. وتبين ان ٩٠ في المئة من الاشخاص الذين جرت معاينتهم بطلب من FDA، يؤمنون بالدعاية التي تروّج ان النقص في كميات المعادن والفيتامين في الجسم يتسبب في داء السرطان والتهاب المفاصل. ويقول العلماء الطبيون ان هذا اعتقاد خاطىء.

● يروّج لمعالجة معينة على انها شفاء ناجع لمجموعة متعددة من الامراض مما ينافي المنطق.

● يبرز مستندات غير واضحة. (تمكّن احد المحققين من الحصول على مصادقة على معاملة تثبت ان كلبه هو مستشار غذائي مهني في "جمعية مستشاري الغذاء والحمية الامريكية!")

● يزعم ان الاطباء القانونيين يرفضون الادوية "البديلة" لانها تشكّل تهديدا لموارد رزقهم.

● يستشهد بكتب شائعة بدلا من المجلات الطبية المحترمة كبرهان على ان معالجته صحيحة وسليمة.

قد يكون المشعوذ العصري اكثر حنكة من سلفه البائع المخادع، انما تحت الستار العلمي الزائف تكمن نفسية بائع عدواني ملحاح، لا يزال إغراؤه قائما منذ القدم. فهو يمنّي بالامل حين يكون المرء فقد كل امل ويستغل الخوف والمعلومات الخاطئة والجهل لدى المرضى.

هناك وسيلة موثوقة للشفاء من الشعوذة هي المعرفة، لأن المعرفة قوة.

بيتر مايكلمور ■

زبونة مستحيلة

في اليوم الاول لي كمساعد بائع في متجر للأحذية، سار كل شيء على ما يرام الى أن أتت زبونة صعبة جداً. فبعد أن جرّبت ١٥ زوجاً من الاحذية، لم ترضِ عن اي منها، وجدت اخيراً زوجاً مناسباً. وبينما كانت تحتذي احدى فردتيه، حبست أنفاسي. فقد بدت الفردة مناسبة تماماً، فقالت الزبونة: "لا يمكن أن يكون هذا القياس الصحيح.. فهو يناسب قدمي أكثر من العادة!"

ب.ك.

الذكاء هو أن تكتشف الخطأ في تفكير رئيسك والحكمة هي في الامتناع عن الاشارة اليه.

ك.ف.

المسرحي والجمهور

ينبغي احترام المشاهدين وعدم الاستخفاف بهم. فمن السهل ان تغمز رفاقك وراء الكواليس خفية، هازئا بجمهورك، ولكن في خضم الوجوه وراء اضواء المسرح، لا بد ان يعرف احدهم بذلك. وينطبق الامر على كل انواع التسلية. فإن انت احترمت جمهورك احترمك هذا بالطبع. يمكنك ان تتلاعب بأفكار جمهورك ومشاعره، ولكن هذه مسألة اخرى. فهذا ما يمنع المشاهدين ويأتي بهم اليك. ولكن اياك أن تعاملهم باستهتار ولامبالاة.

لورنس اوليفييه- ممثل ومخرج بريطاني

صلاة

يا رب، إحمني من عادة التفكير في حتمية ان اقول شيئا حول ايّ موضوع وفي كل مناسبة.

حرّرني من التوق الشديد الى تسوية شؤون كل امرىء.

احفظ فكري حرا من سرد تفاصيل لا نهاية لها.

امنحني جناحين يسموان بي نحو اللائق من الامور.

اسألك مزيدا من النعمة حتى اصغي الى اخبار آلام الآخرين. ساعدني على معاناتها بصبر. ولكن اختم شفتي على اوجاعي وآلامي، فهي في ازدياد وشغفي بالتدرب عليها سائر الى مزيد من العذوبة مع مرور السنين.

علمني الامثولة المجيدة. إنه من الممكن احيانا ان اكون على خطأ.

هبني موهبة أن ارى امورا صالحة في امكنة غير متوقعة، ومواهب في اناس لا يبدو عليهم ذلك. وامنحني، يا رب، نعمة ان اخبرهم بما رأيت.

اجعلني كثير الاهتمام بالآخرين، ولكن غير متقلب المزاج، نافعا، ولكن غير نزّاع الى السيطرة. ويبدو من المؤسف الا استعين بكل ما اوتيت من شامل الحكمة، لكنك تعرف، يا رب، أني اريد قليلا من الاصدقاء في النهاية.

هل السعادة سراب؟

يسمم الاستعجال أفراحنا ويحول دون ادراكنا السعادة. وينفد صبرنا اذ يتهيأ لنا أن السعادة هي دائما أبعد قليلا من متناولنا، فنرغب في الاندفاع وسط أوهامنا لنمسك بها. لكن السعادة، كما كتب أحد الفلاسفة، هي كالكرة يتعقبها ولد: ما إن يمسكها حتى يرفسها.

لويجي بارزيني، صحافي ومؤلف ايطالي

رجل السفينة الطويلة

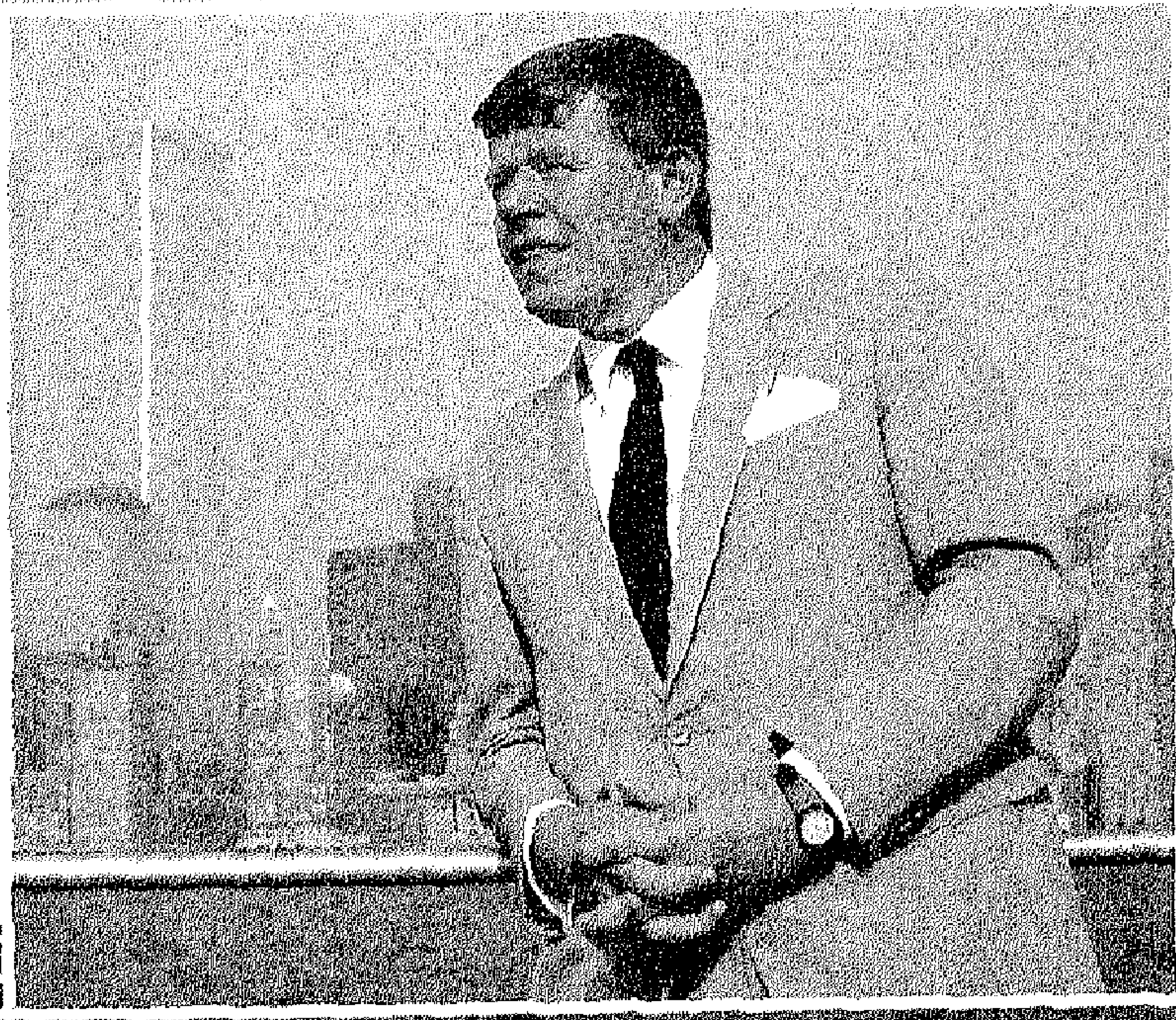
وقع الفتى في هوى البحر، وهو اليوم رجل السياحة العالمي

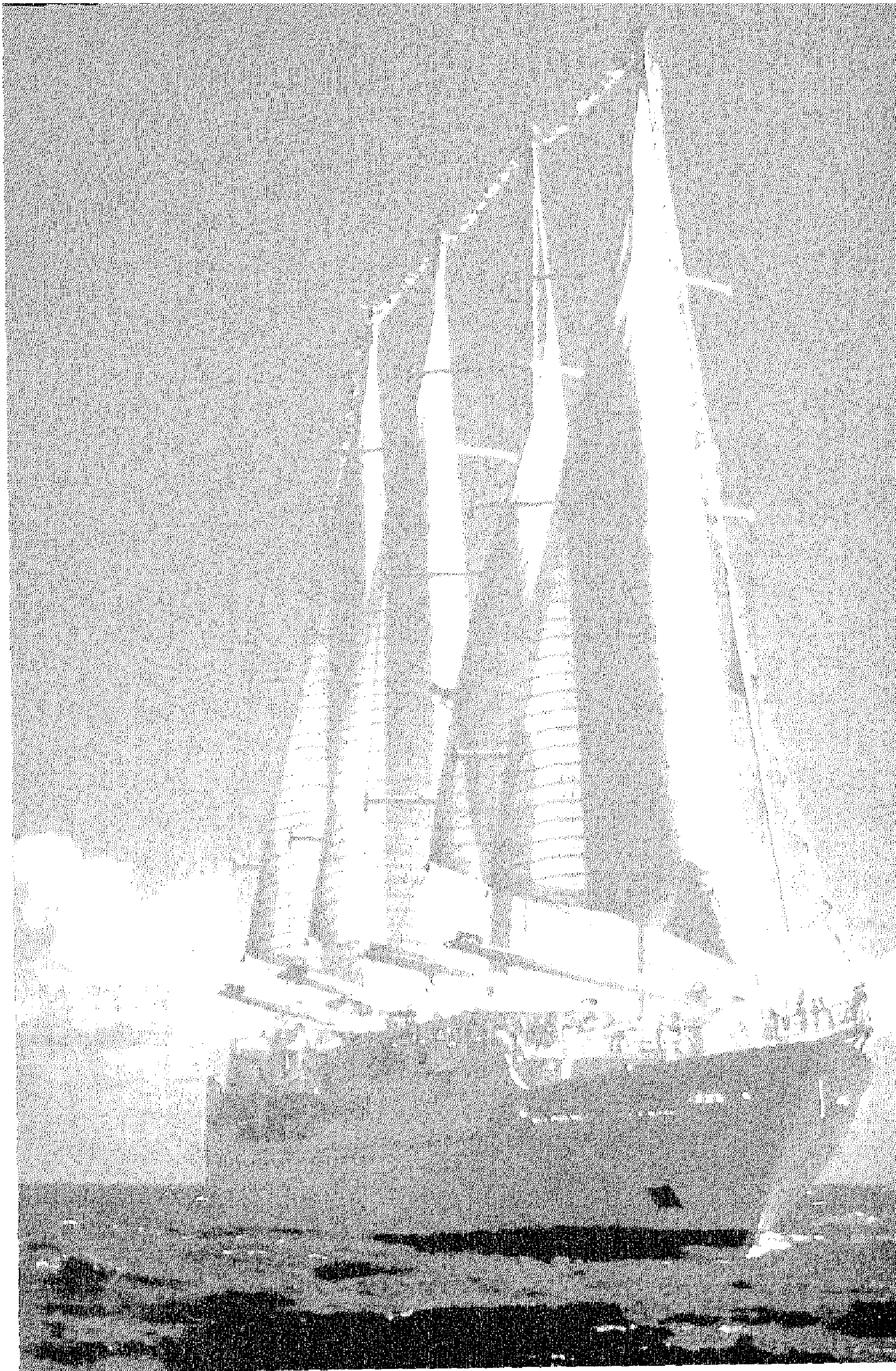
يوسع كارل غوستا اندرن خطاه معتذراً عن تأخره بسبب ازدحام السير. يتكلم لغة انكلو – اميركية محكية سريعة مع لكنة اسوجية تشعرك بطاقة هائلة على السيطرة على النفس.

ربع القامة، يظهر، وهو يرتدي سترة مفصلة جيداً، كأنه يختزن قوة عامل في منصات شحن السفن وتفريغها.

اما وجهه الملفوح فيبدو انه اكبر من سنيّه الاثنتين والاربعين حتى يبتسم فيظهر كأنه فتى يهيم نحو المكتب الخطأ. من مقره المتواضع المقابل للماء على

Spread: Courtesy of Winstar Sail Cruuises Ltd. Inset: Chris Hackett





رصيف ميناء نهر هدسون في مانهاتن يستطيع سماع صراخ طيور النورس وصفير المراكب القاطرة.

كارل اندرن قوة يحسب لها حساب في السياحة البحرية. يكسب من عمله ما يزيد على عشرين مليون دولار سنويا.

سفينتاه "سركل لاين" و"داي لاين" هما الرقم ١ في وسائل نقل السياح والطواف بهم حول مانهاتن.

والاقرب الى قلب اندرن مغامرته الجديدة: "وندستار سيل كروزس" وهو اسطول بحري ظريف يضم اطول ما بني من المراكب ذات الصواري الاربع.

ترعرع كارل، وهو ابن قبطان بحري، في ماريبهامن في جزيرة الاند في خليج بوثنيا. وهو يقول: "اتذكر اني كنت دائماً اعيش على متون السفن. ووالدي كان يعيش في البحر احد عشر شهراً في السنة. وطوال فصل الصيف يأخذ معه العائلة." في مثل هذه الرحلات العائلية زار اندرن رومانيا ومصر والاتحاد السوفييتي.

خيار وحيد. في العام ١٩٦٤، عندما كان كارل في الخامسة عشرة من عمره ترك البيت ليجول طوال الصيف كبحار عادي على متن احدى سفن "وولّينوس لاين ستيمشب". وهذه السفينة كانت تشحن سيارات من همبورغ في المانيا الى نيويورك، وتعود من نورفولك في فرجينيا محملة فحما حجريا الى اسبانيا.

ان الايام الطوال من الدهان المتشقق والصدأ المغطى بالرمل كانت مزعجة. لكن النزول الى الشاطىء في ميناء نيويورك مع من يكبرونه من البحارة جعله ينسى العرق والقذر.

شرح اندرن لفنلندي مولود في الاند ان خيار الفتى الوحيد للعمل في الحياة هو ان يكون مالك باخرة او عاملا مع احد مالكي البواخر. وهو صمم باكراً على امتلاك بواخر بدلا من الابحار بها، ولكنه لم يخبر والده بذلك.

كان ويكار، والد كارل، في الثالثة عشرة من عمره عندما التحق في اوائل العشرينات بطاقم باخرة حبوب ذات اربع صوار كاملة التجهيز تبحر بين اوستراليا ولندن. يتذكر كارل بحماسة قصص والده التي كان يرويها لهم قبل النوم عما حصل معه وهو يدور حول "رأس هورن" وسط عاصفة والاشرعة منشورة و٤٠٠٠ طن من القمح في المركب. ويرتعد الفتى وهو يتخيل نفسه واقفاً على سلك معدني رطب، على علو قرابة مئة متر في الهواء بغية طي الاشرعة والباخرة تتمايل والريح تعصف في اذنيه.

في العام ١٩٥٧ ذهب اندرن الاب للعمل مع شركة "وولينوس لاينز". وفي العام ١٩٦٠ أرسل الى نيويورك كوكيل لشركة الشحن البحري. بعد سنتين تبعه كارل وامه.

توق الى البحر. انهى الفتى المدرسة الثانوية في فورت لي - بنيوجرزي، عبر نهر هدسون من مانهاتن. وعمل في خدمة السفن المبحرة من ميناء نيويورك واليه.

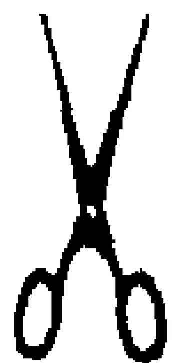
في سنته الثانوية الاخيرة ابلغ الى والده انه لا يريد ان يعمل على باخرة. ويتذكر اندرن تلك الايام: "ارادني والدي

الرجاء ارسال القسيمة والشيك بالبريد المسجل (المضمون)
الى احد العنوانين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان

ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.



الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

ان التحق بمعهد التجارة البحرية. فرفضت ولم اكن مسروراً جداً." بدلا من ذلك التحق كارل بكلية اوبسالا قرب ايست اورانج في نيوجرزي، واختار علم طبقات الارض مادة رئيسية ثم حاز درجة ماجستير في اقتصاديات المعادن من جامعة ولاية بنسلفانيا.

في العام ١٩٦٩ اصبح محللا لسوق السندات المالية في شركة للاستثمار والاعمال المصرفية في "وول ستريت" شارع المال في نيويورك. وقال في تبرير قبوله هذه الوظيفة: "اردت ان اتعلم اكثر عن شؤون التمويل." بدأ التخصص في الاسهم والسندات النفطية، ولكنه عندما كان يتطلع خارج النافذة كان يشاهد تمثال الحرية المنتصب فوق الماء، وعندما كان يتجول في شارع "باتيري بارك"، بعد تناوله الغداء، كان يشتم رائحة المحيط ويراقب طيور النورس تدور ثم تغوص في الماء بحثاً عن النفايات.

بعد مرور سنة، او ما يقاربها، انتقل اندرن الى الدائرة المالية المشتركة في الشركة مركزاً بسرعة على تمويل السفن. وفي العام ١٩٧٤، اي بعد ثلاث سنوات من العمل في الدمج والتملك قال اندرن: "قررت ان الوقت حان لاعمل لحسابي." وترجمت هذا القرار بشراء "مانهاتن اويل ترانسبورتيشن كومباني" وهي شركة تملك قاطر مراكب وثمانية اطواف مخصصة لنقل الزيت النباتي حول ميناء نيويورك.

ان هذه الشركة، وان تكن صغيرة، حققت ربحا صافيا واعطت اندرن بعض المصداقية في الاوساط البحرية المحلية. وارضت ايضاً والده باعطائه الدليل على ما كان يعرفه دائماً، وهو: قطر السفن امر قاس جداً بحيث ان اي فتى في جزيرة الاند يرفضه. عرف كارل هذا ايضاً ولكنه عزم على ان يتصرف على طريقته.

كانت "مانهاتن اويل ترانسبورتيشن" الخطوة الاولى لكارل اندرن في بناء امبراطوريته. فبفضل علاقاته المصرفية استطاع في العام ١٩٧٦ شراء مؤسسة "هفمان توينغ كومباني اوف تكساس" وهي اوسع نشاطاً وتملك قاطرات سفن وأطوافا وبواخر ساحلية ناقلة للسوائل على الشاطىء الشرقي وشاطىء الخليج، وتتاجر بها، وعندما بلغ اندرن عامه السابع والعشرين كان من اراد دائما ان يكون - مالك بواخر.

في العام ١٩٧٦ التقى اندرن فرنسيس ج. برّي، مؤسسة شركة "سركل لاين" وهي مؤسسة سياحية بحرية نشأت بعد الحرب العالمية الثانية مستعملة مخلفات السفن العسكرية الحربية البرمائية والمراكب الشراعية الخاصة بحرس الشواطىء لنقل ما بين ٤٠٠ و٦٠٠ راكب في رحلة طواف بحرية مدتها ثلاث ساعات حول جزيرة مانهاتن. يملك برّي مؤسسة "هدسون ريڤر داي لاين" التي تدير عملية سياحة نهرية مدتها تسع ساعات وصولا الى مدينة بوغكيبسي. ان الشاب المبتدىء في مجال النقل البحري في نيويورك والمحنك الشائب الشعر تغديا معا. وفجأة سأل اندرن برّي هل ينوي بيع شركته. فجاءه الجواب "لا" مهذبة.

اصبح الرجلان صديقين. اما اندرن

فكان لماما يقدم عرضا لشراء "سركل لاين" وبرّي يبتسم ويرده خائبا. غير ان اندرن ابى ان يكف عن مطلبه. وبدأ يخطط لمنافسة "سركل لاين" ببناء اسطوله الخاص بالسفن السياحية. وفي العام ١٩٧٨ وسّع عمله بالقيام بعمليات شحن بحرية عالمية للزيوت النباتية ولاسيما الكيمائية منها. واطلق على المغامرة الجديدة اسم "يونايتد تانك كونتينرز".

حينذاك كان برّي بلغ الثانية والسبعين ولم يقل "لا" عندما طرح عليه اندرن موضوع شراء "سركل لاين". وامتدح بري امام ابنته بفرلي ماير مثابرة اندرن وقال: "بعض الناس يستطيع ان يكون مثابراً فتود رميه في النهر، وبعضهم الآخر يبدو مقبولا فترحب به."

رجل مركب. احب فرنسيس برّي الفكرة القائلة بان اندرن كان "رجل مركب" واكثر. تتذكر ماير حديث والدها: "كان ابي يقول دائماً نحن في وليمة، نحن حقا لا نعمل كأولئك الذين يديرون السفن القاطرة، نحن اشبه بالذاهبين الى دور السينما. أظنه ادرك ان كارل فهم ذلك."

في ١٦ يوليو (تموز) ١٩٨١ بعد مرور خمس سنوات كاملة على عرضه الاول، اشترى اندرن مؤسسة "سركل لاين" ووجد نفسه مع تسع بواخر سياحية تدر ذلك الوقت عشرة ملايين دولار سنويا. في السنة التالية باع "يونايتد تانك" من شركة عالمية يملكها جاكوب ستولت نيلسن الابن، وهو صديق وشريك في "سركل لاين" و"هغمان توينغ" ومشاريع اخرى.

عزم كارل على استثمار الارباح في توسيع نشاطه السياحي وهو يدرس الان اوضاع السياحة المحيطية المتنامية. وهو يقول في هذا الشأن: "وصلت الى قرار بان ثمة سوقا لانتاج سياحي بحري يفوق الانتاج العادي."

كان قراره مبنيا على شعور جريء. سَلْهُ عن تقصي اسعار السوق يلحس اصبعه ويرفعها في الهواء ويضحك: "هذا هو تقصّيّ لاسعار السوق، انني اعد دراسات عن انني السوق لاقنع المصرفيين. عندما يسألونني: لماذا نسلفك المال؟ واذا ما قلت، حسنا، ان الريح تهب اليوم هذا الصوب اجابوا: حسناً، ألديك شيء آخر؟"

يتذكر اندرن: "جاءتني فكرة السياحة المحيطية على نحو طبيعي. فقد بدأت افكر: لماذا لا نسلك البحار؟ سألت من حولي ولكن لم يكن احد يدرك جيداً لماذا هذا الامر لم يحصل قبلا." في البدء نظر هو ومساندوه الماليون في امر امتلاك باخرة قديمة الطراز كاملة التجهيز واعادة ترميمها بعناية خطا بخط وعارضة بعارضة. اما المشكلة فكانت انه يحتاج الى طاقم كبير من البحارة المتمرنين جيدا لتسلق الصواري ونشر الاشرعة بالايدي. لهذا السبب تعدل حلم اندرن الى سفينة ابسط ذات صاريين واشرعة مربعة وفيها تجهيزات اوتوماتيكية.

اراد اندرن التعامل مع افضل بناة السفن السياحية البحرية في العالم، وقرر الاتصال بشركة "ورتسيلا شيبيارد" في هلسنكي. ولكن ورتسيلا جاءت بتصور لاحدث مركب يسلك البحار، احدث مما هو في ذهن اندرن.

بعد عام من التصميم التقني ودراسة السوق في هلسنكي انشأ اندرن شركة جديدة دعيت "وند ستار سيل كروزس ليمتد" وطلبت عروضا لبناء سفينتين كبيرتين يصل طول كل منهما الى ١٥٠ متراً، مزودة قرابة ٦٦ متراً من الصواري المصنوعة من الالمنيوم، يحمل قرابة ٧١٧٠ متراً مربعا من اشرعة النايلون التي تُطوى ذاتيا وتضبط كومبيوتر.

اما السفينتان اللتان ستدعيان "وند ستار" و"وند سونغ" فكان يجب ان تجهز كل منهما بثلاثة محركات ديزل - كهربائية قوة كل منها ١٠٠٠ حصان، وبخمس وسبعين غرفة، تتسع كل منها لشخصين، فيها تلفاز وفيديو وهاتف يصل السفينة بالشاطىء. اما متن السفينة فكان يجب ان يصنع من خشب "التك." واما الداخل فيكون ترجمة حديثة للتقليد البحري.

وفازت بالعرض شركة فرنسية هي "سوسيتيه نوفيل دي زاتيليه اي شانتييه دي هاڤر - فرانس". وتقررت تكاليف السفينة الواحدة بنحو ثلاثة وثلاثين مليون دولار.

اسطول عصري. سُلّمت "وندستار" في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦، وكانت تقوم برحلات سياحية في البحر الكاريبي من قاعدتها في المارتينيك جنوب الغرينادين، وتدوم كل رحلة سبعة ايام. اما "وند سونغ" التي ابحرت من الهاڤر في ٣٠ ابريل (نيسان) ١٩٨٧ فاتخذت من تاهيتي قاعدة لها، وهي تقوم برحلات سياحية في بولينيزيا الفرنسية.

وبنيت سفينة ثالثة دعيت "وند سبيريت" تسلمها اندرن في مارس (آذار) ١٩٨٨، لتبحر صيفا في الريڤييرا الفرنسية والايطالية وشتاء في البحر الكاريبي.

كانت سفن اندرن اطول السفن السياحية التي بُنيت الى الآن، وتستخدم ارقى النظم الضابطة من الناحية التقنية. ان ضبط الدماغ الالكتروني للاشرعة يجعلها تكتفي بطاقم مؤلف من اثنين وعشرين شخصا تاركا الاربعة والستين الآخرين للسهر على راحة ١٥٠ راكبا. هذا التنعم ليس رخيصا، اي يكلف الشخص الواحد في غرفة من سريرين بين ١٩٦٥ و٣٦٣٥ دولاراً.

واقتصاداً في النفقات السياحية، دخل اندرن في شراكة مع "هولند اميركا لاين" وهي مؤسسة سياحية تملك ٥٠ في المئة من "وند ستار سيل كروزس ليمتد". كيف يحل هذان الشريكان المتساويان نزاعاتهما؟ يقول اندرن وهو يضحك هازئاً: "اذا ما احتجنا الى ذلك ننقف قطعة النقود بالاصبع ونحصل على النتيجة."

يقيم كارل مع زوجته لويز وطفليهما باتريك وجنيفر (١٠ اعوام و١٣ عاما) في غرينوتش بكونتكت. وتسافر العائلة عادة الى فنلندا واسوج مرة في السنة على الاقل. يقول اندرن: "انني امت بصلة الى نصف جزيرة الاند مثل اي شخص ولد هناك، وزوجتي اسوجية، ولذلك نسافر غالبا الى اسكنديناڤيا."

تحمل دواعي العمل اندرن الى انحاء العالم بحثاً عن اسواق لرحلات "وند ستار". وهو يقول عن ذلك: "اننا الآن

نقتحم الاسواق الفرنسية والالمانية."
كان أندرن اخبراً على موعد في طوكيو مع رجل يُعرف بـ"مستر هني مون" (السيد شهر العسل) لانه كان ينظم رحلات اسبوعية الى جزيرة هاواي لعدد من العرسان يراوح بين ١٢٠٠ و١٤٠٠ عريس وعروس. ويرى اندرن ان في الامكـان تخصيص سفينـة للسـوق اليابانية، وتوقع جعل اسطول "وند ستار" مؤلفاً من ست سفن.

يعمل كارل اندرن على تحقيق ما كان يحلم به كمراهق في ماريبهامن، ولكن هذا غير كاف ابداً لارضاء طموحه السامي وتسميته القوية للصفقة الكبيرة المقبلة. انه يعترف بذلك: "من الثابت ان كوبي ملآن، الآن نتطلع الى تطوير ملكية "سركل لاين" حتى خمسة ملايين دولار." ثم ابتسم واضاف: "ولكن كل شيء خاضع للتغيير وقد يكون شيء ما مختلفا غدا."

جون تومكينز ■



مضايقات

بدأ كل شيء، عندما سألتني طبيبة الاسنان التي كانت تكشط القلح عن أسناني: "هل تصرفين أربع دقائق يومياً على تنظيف أسنانك؟"

فأجبت وأنبوب الفرغرة يتدلى من شفتي: "بل أقل من ذلك."

فقالت: "عليك ألا تبخلي بالوقت والا فقدتِ أسنانك."

فآليت على نفسي أن أخلّل أسناني يومياً بخيط حرير وأحفها بالفرشاة وأغسلها بالماء. وفي أثناء الفحص العام السنوي سألني الطبيب: "هل تتمرنين غالباً؟" "هل تخففين من استهلاك الملح؟" "هل تتضمن حميتك الغذائية الكثير من الكولسترول؟" حينئذ بدأت برنامجاً مكثفاً للياقة البدنية مضبوطاً على أساس "جدول الصيانة الشخصي" اليومي المعلق على باب الثلاجة.

وسرعان ما تعلمت أن "الصيانة الشخصية" ليست هي كل ما يثير قلق الانسان. ففي محل اصلاح الادوات المنزلية تفحّص الموظف ابريق القهوة وسألني: "هل تمسحينه كل شهر بالخل الابيض؟" وهكذا بدأ "برنامجي لصيانة المنزل" الذي أخذ مكانه الى جانب "برنامج صيانتي الشخصية".

وأخذت عدة أجهزة أخرى تتطلب عنايتي. فعندما اكتشفتُ أن آلة التسجيل في سيارتي وجهاز الفيديو في منزلي والدماغ الالكتروني في مكتبي تتطلب أيضاً تنظيفاً، تساءلتٍ الى أي مدى سأستطيع التزام هذا البرنامج المتشدِّد.

وبت أنام أربع ساعات في الليل، وفقدت معظم اتصالاتي بزوجي وأولادي وأصدقائي. ولم أعد أجد فسحة للبرامج على باب الثلاجة.

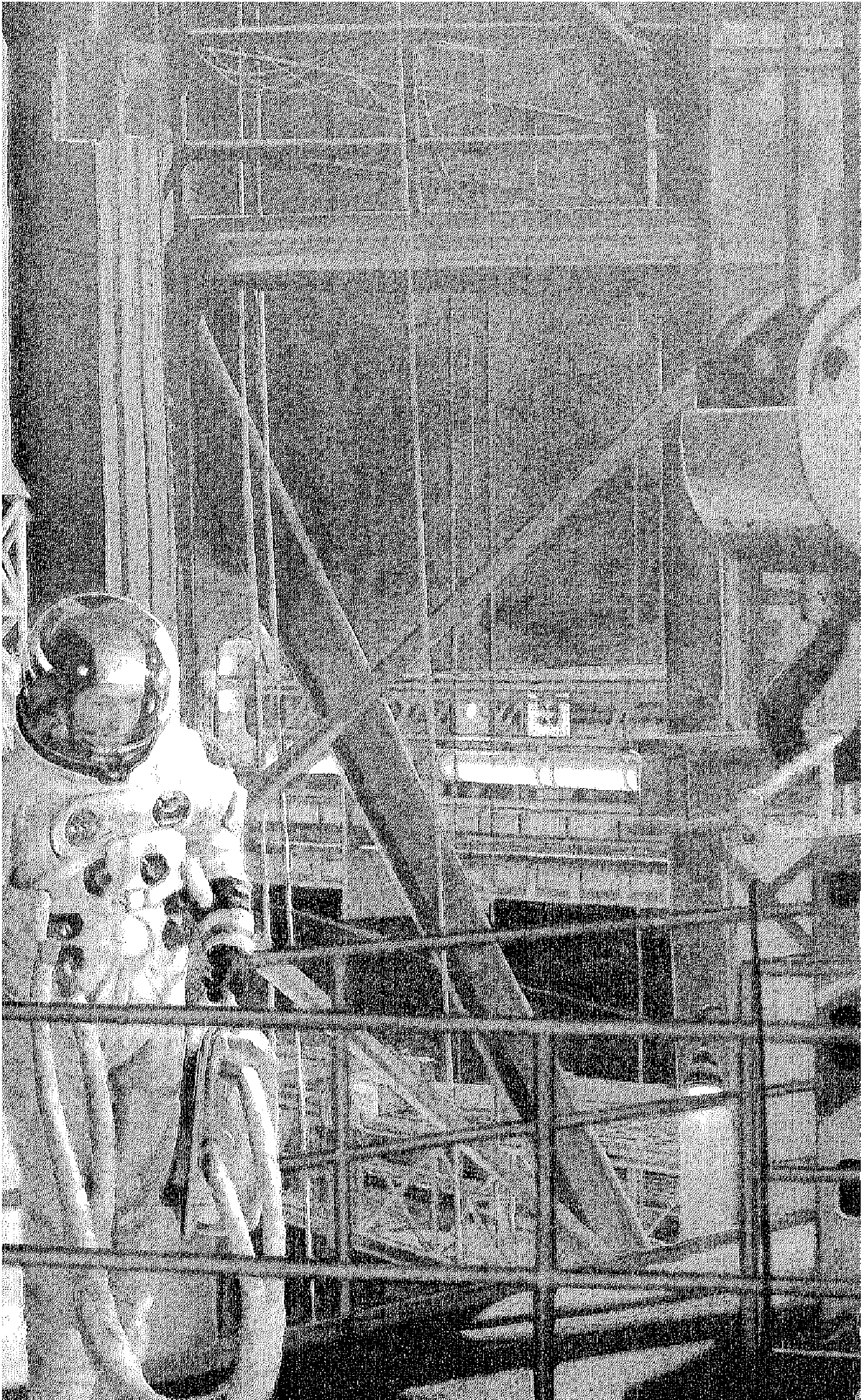
الى أن تهاوى كل شيء ذات ليلة حين قرأت مقالة بعنوان: "هل أنت تعرض حياة أحبائك للخطر باهمالك مسح الغبار عن جهاز الانذار بالحرائق؟"

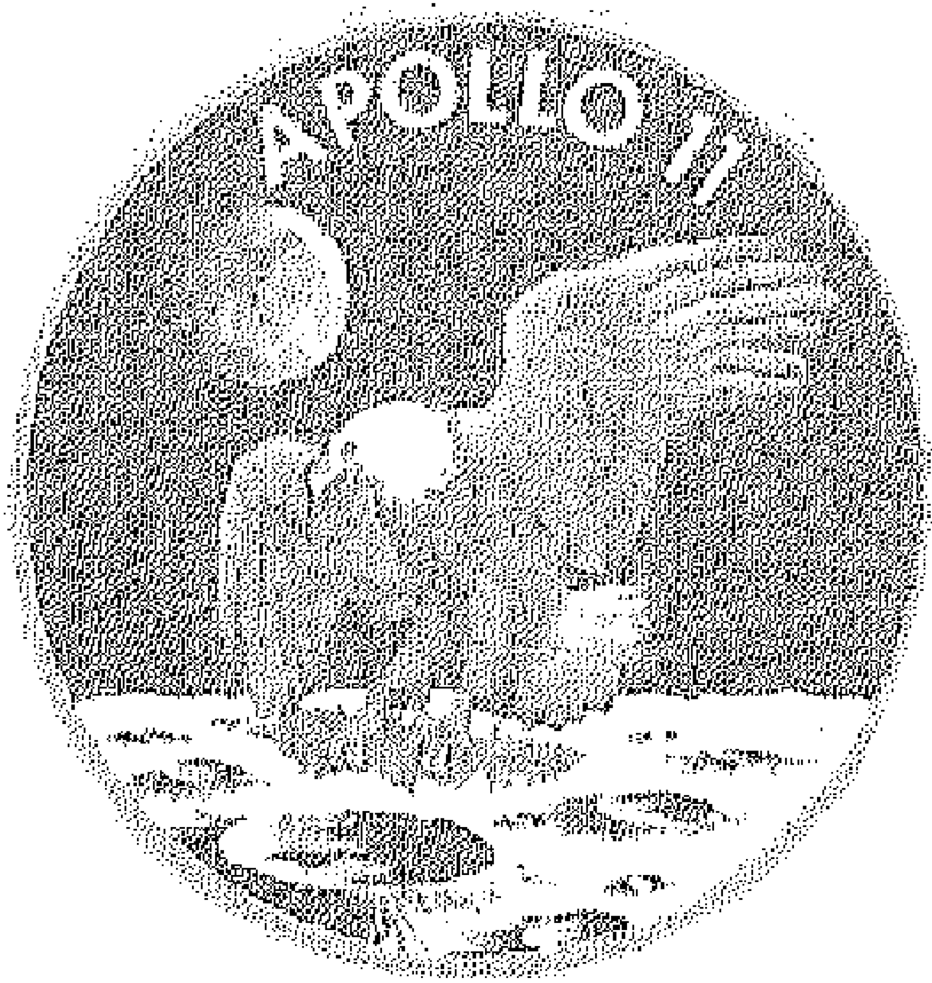
ركضت الى الثلاجة ومزّقت البرامج نُتَفاً. ومنذ ذلك الحين أعتمد سياسة خاصة حيال الاسئلة التي تتناول سلوكي، أرفض بموجبها الرد عليها من منطلق الادانة الذاتية.

صحيفة "واشنطن بوست"



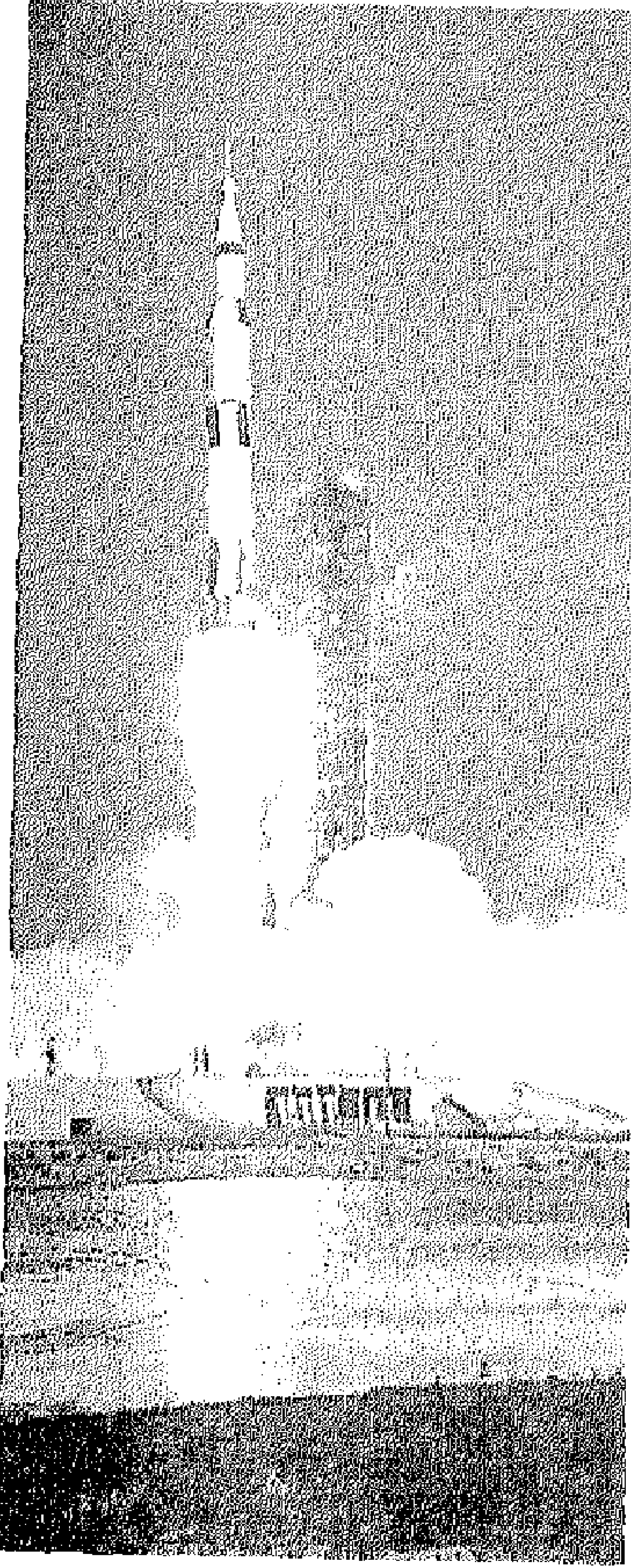
نيدو الحليب الأفضل
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
Full cream powdered milk
حليب مجفف كامل الدسم
نيدو الأفضل طعمًا، الأسرع ذوبانًا، الأضمن نتيجةً والأوسع إنتشارًا.
نيدو السريع الذوبان: ضمانة أكيدة لنمو أولادكم.
Nestlé
تضمنه نستله





الأسطورة

ملخص من كتاب
"رجال من الارض"
بقلم باز ألدرين
ومالكوم ماكونيل



الأسطورة

كان مشروع "أبولو" الخطوة الأكثر جرأة في تاريخ البشرية. ففي الخامس من مايو (أيار) ١٩٦١ أطلق آلن شيبارد من قاعدة كيب كانافرال في فلوريدا ليصبح أول رجل أمريكي يرتاد الفضاء. ولم تدم رحلته التي تحولت اسطورة، سوى خمس عشرة دقيقة. وبعد مضيّ عشرين يوماً فقط ألقى الرئيس الامريكي آنذاك جون كينيدي خطاباً أمام الكونغرس تحدّى فيه أمريكا أن ترسل رجالا الى القمر وتعيدهم الى الارض سالمين قبل نهاية العقد.

وإن قدّر لتلك المغامرة الجريئة أن تنجح فذلك يعني أن رجالا سيغادرون أمان الأرض ويعبرون ٤٠٠ ألف كيلومتر في الفضاء لكي يسيروا على أرض القمر المغبرة. وهنا يروي باز ألدرين، أحد الذين عاشوا تلك المغامرة، قصة الرحلة الاسطورية.

تلألأت نار المخيمات على الشواطىء والطرق القريبة من قاعدة كيب كينيدي(١) فقد أتى نحو مليون شخص لمشاهدة اطلاق "أبولو ١١". وتصبّب العرق من العالقين في زحمة السير التي سدّت الطرق المؤدية الى القاعدة، فحتى في الثالثة صباحاً كانت أنوار المصابيح الامامية لثلاثمئة ألف سيّارة تشق ظلام الليل الرطب الحار الذي سبق نهار الاربعاء ١٦ يوليو (تموز) ١٩٦٩. بعد ست ساعات ونصف ساعة تنطلق وكالة

(١) كيب كانافرال سابقاً، وقد سميت كيب كينيدي بعد اغتيال الرئيس الامريكي جون كينيدي عام ١٩٦٣.

الفضاء الامريكية (ناسا) ثلاثة روّاد في أوّل محاولة بشرية للهبوط على القمر، وهو حدث لا يرغب أحد في تفويته.

في غرفة الاشعال الرقم ١ في مركز توجيه الاطلاق أشرف فريق الاقلاع على التعبئة الخطيرة لـ ٢٢٠٠ طن من الوقود الدافع المؤلّف من الهيدروجين السائل (LH2) والاوكسيجين السائل (LOX) الفائقي البرودة، في العمود الابيض الضخم للصاروخ "ساتورن ٥". وعلى رغم أن معدّل التعبئة بلغ ٣٨ ألف ليتر في الدقيقة فإنّ العملية استغرقت أربع ساعات، وكانت خطرة الى حدّ اخلاء منصّة الاطلاق التي تعجّ عادة بالشاحنات والعمال.

انحنى مئات المهندسين والتقنيين فوق نضد الادمغة الالكترونية لمراقبة ألوف الأجهزة المنفصلة على متن الصاروخ الثلاثي الاجزاء والمركبة الفضائية "أبولو". وكانت المركبة المتعددة الاجزاء أثقل من مدمّرات الحرب العالمية الثانية، وهي حوت ستة ملايين قطعة و٩١ محرّكاً مما جعلها أكثر الآلات المركّبة تعقيداً في العالم. من الناحية النظرية، كان على هذا المجمّع الآلي أن يعمل كلياً على أكمل وجه لكي تنجح مهمتنا.

في الرابعة والربع صباحاً أتى ديكي سلايتون، مدير عمليات طاقم الرحلة، لإيقاظنا أنا ونيل أرمسترونغ ومايك كولنز. ولم يكن بسعنا في مقامنا الخالي من النوافذ تمييز الليل من النهار أو معرفة ما إذا كان الطقس مناسباً للانطلاق. لكن ديكي كان يحمل غلافاً مليئاً بتقارير الاحوال الجوية، وقال: "انه صباح جميل. لقد تمّت الموافقة على اطلاقكم."

تناول ديكي وراد الفضاء بيل أندرز طعام الفطور معنا، وكانا ودودين ومهذارين ولكن باردين قليلا. فنحن الثلاثة متوجهون الى القمر، أما هما فسيظلان على الارض.

رتّب التقني جو شميت معداتنا في غرفة التجهيز الساطعة الانارة، فتدلّت بذلات الفضاء من الرفوف كأنها رجال ثلج بلا رؤوس، وتكدست القفازات والجزمات بترتيب هنا وهناك. فبدا المكان كأنه مختبر لتشريح الرجال الآليين.

تمّ الباسنا وتجهيزنا بسرعة. وُصِلْتُ الى جهاز التهوئة النّقال، وشد جو على رأسي الخوذة البنية والبيضاء المجهّزة مسماعين ومذياعاً والشبيهة بفقاعة. وعندما ثبّتها غرق العالم الخارجي في صمت مطبق.

قبيل الفجر توقفت العربة قرب قاعدة منصّة الاطلاق الرمادية النقالة. وكانت عملية تعبئة الوقود أنجزت. ارتفع بنا المصعد سريعاً الى علو ٩٨ متراً حتى اضطررنا الى تثاؤب لفتح آذاننا. وفي أعلى البرج سلّمنا جو شميت الى غونتر ونت قائد منصة الاطلاق الذي تولى اغلاق أبواب جميع المركبات الفضائية الامريكية الآهلة منذ رحلة "ميركوري" في ١٩٦١.

حيّانا غونتر بابتسامة دافئة وسلّم نيل أرمسترونغ مفتاحاً من البلاستيك الاسفنجي طوله أكثر من متر وقد دونت عليه عبارة "مفتاح القمر." ولكن على رغم هذا الاحتفال البهيج لم نغفل لحظة عن الصاروخ الابيض الهائل الجاثم الى جانب منصتنا وهو يزفر

بخاراً في ذلك الفجر الوردي. لقد كنا واقفين قرب متفجرة تعادل قنبلة نووية صغيرة.

كان ترتيب دخولنا مركبة القيادة منظماً بحسب مقاعدنا المعينة. فقائد البعثة نيل أرمسترونغ سيجلس الى اليسار لوجود مقبض الاجهاض(٢) هناك. ومايك كولنز سيجلس الى اليمين. أمّا أنا ففي الوسط، وكنت مسؤولا عن احكام اغلاق الباب، وهذا يعني أنني آخر من يدخل المركبة.

"... اثنان، واحد، صفر!"

مشى غونتر أمام نيل ومايك الى المركبة، فوجدت نفسي وحيداً على المنصة حاملا جهاز التهوئة النقّال كمسافر يحمل حقيبته. وكانت جموع من الناس محتشدة على الطرق والشواطىء المحيطة بقاعدة كيب كينيدي. وكان نظر الجميع مسمراً على منصة الاطلاق. ومع ذلك وجدتني وحيداً أتنشق الأوكسيجين البارد داخل قوقعتي. وإذ أنعمت النظر في المجمّع المهجور لم أرَ أحداً هناك.

أجلت نظري جنوباً في الشاطىء، فرأيت منصّات الاطلاق القديمة تتضاءل حجماً وتقل تعقيداً كلما اقتربت من المنارة عند انعطاف الرأس البحري. ها هي المنصة الرقم ٣ حيث أطلقت الولايات المتحدة صاروخها الاول من كيب كانافرال، وهو صاروخ «V — 2» الذي غنمته من الحرب وتولى فريق المهندس الامريكي الالماني الاصل فون براون تجميعه بعد الحرب العالمية الثانية. وها هي جسور الرافعات "ردستون" الصدئة العائدة الى المرحلة الباكرة من "سباق الفضاء" ورحلة آلن شيبارد التاريخية غير المداريّة عام ١٩٦١. ووقع نظري على مجمّع "أطلس" حيث أقلع جون غلين في أول رحلة مدارية لمركبة فضائية أمريكية مأهولة.

تفرّست في البرج الرمادي لمنصّة الاطلاق ٣٤ حيث قتل غاس غريسوم وإد وايت وروجر شافي قبل ٣٠ شهراً في جحيم "أبولو ١". في أحد جيوب بذلتي الفضائية كان ملصق عن رحلة "أبولو ١". كذلك حملت معي ميداليتين سوفييتيتين تكرمان رائدي الفضاء فلاديمير كوماروف الذي قضى في رحلة "سويوز ١" في ٢٣ ابريل (نيسان) ١٩٦٧ ويوري غاغارين أول رجل أطلق في الفضاء في ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٦١، وكان قضى في تحطم طائرة قبل سنة. لقد أردت ترك هذه التذكارات على القمر.

التفت فرأيت جو شميت على منصّة الاطلاق. انهم جاهزون لاستقبالي في مركبة القيادة.

قبل الاقلاع بستين ثانية ساد السكون غرفة الاطلاق الرقم ١. كان المهندسون والتقنيون جالسين الى نضدهم المرتبة في صفوف عندما تجاوز عقرب الساعة الثانية الخمسين من العد العكسي.

وفي المقصورة الزجاجية المخصّصة لاستقبال الزائرين الرسميين وقف فرنر فون براون يحمل منظاراً وهو يحدّق من خلال الشبابيك الطويلة المقاومة للانفجار نحو منصّة

(٢) Abort handle

الاطلاق ٣٩ - أ. وبات الدماغ الالكتروني يضبط كلياً تسلسل عملية الاطلاق، ولم يبقَ سوى ١٧ ثانية.

خفض فون براون منظاره وتبسّم وشرع يصلّي.

"عشرة، تسعة..." ترجّع الصوت الآتي من غرفة الاطلاق هادئاً في سماعتيّ. نظرت الى نيل فوجدت يده اليسرى المقفّزة على بعد سنتيمترات من مقبض الاجهاض. اذا طرأ أي خلل فقد تكون لديه ثانية لفتل المقبض الذي يحرّر مركبتنا من الصاروخ ويطلقنا الى ارتفاع آمن لفتح المظلة.

"... أربعة، ثلاثة، اثنان، واحد، صفر. كلّ المحرّكات تعمل." أضاءت الأنوار الكهرمانية لوحة المعدّات. ألقيت نظرة على نيل الى اليسار، ثم التفتّ يمنة وابتسمت لمايك. وسمعنا قعقعة تشبه صوت قطار بعيد في ليلة صيف. "إقلاع! لقد أقلعنا!" كانت الساعة التاسعة والدقيقة الثانية والثلاثين صباحاً. وبدلا من القوى الفجائية لتسارع الجاذبية(٣) التي أذكرها من رحلة "جميني ١٢" عندما أطلقني الصاروخ "تيتان" في الفضاء في "نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٦)، حصل ترجح مترجرج غير متوقّع. وبدت السماء الزرقاء من نافذة الباب كأنها تتحرك قليلا إذ تهيأ الصاروخ الضخم لمغادرة البرج. ثم شعرنا بمزيد من الارتجاج المتمغط. وكنا جميعاً نعلم أنه اذا انقلب الصاروخ جانبياً في برج الاطلاق فقد يصبح جهاز نجاتنا غير ذي نفع. وعلت القرقعة، وبعد اثنتي عشرة ثانية سمعنا الكلمات السارة: "أخلي البرج."

كانت محركات «F — 1» الخمسة تعمل بدفع كامل ملتهمة أطناناً من الوقود في الثانية الواحدة. وأعلن الرائد بروس مكانديليس ضابط الاتصال بمركبتنا في هيوستن، أن الأمور باتت في عهدة مركز التوجيه في غرفة الاطلاق في القاعدة. وبعد دقيقة قاربنا نقطة الضغط الديناميكي القصوى (٤) ففاصت ذراعاي وساقاي في بذلتي مع تسارع قوى الجاذبية، وشعرت بفكي الاسفل يرتخي. ونادى بروس: "أنتم جاهزون للفصل."

أشار نيل بالموافقة وهو يحدّق الى الآلات على لوحته. كانت خصلة من شعره بارزة من مقدّم خوذته فبدا كصبي يركب مزلقة. ثم نادى: "فصل واشعال." واشتعل الجزء الاول الضخم من الصاروخ وانفصل ساقطاً نحو المحيط الذي ينخفض عنّا ٦١ كيلومتراً.

لم تحدث محركات الجزء الثاني ضجيجاً يذكر. وفي الخارج بدا أفق المحيط الاطلسي منحنياً في شكل قوس. وبعد ست دقائق أصبح في امكاننا التمييز بين غلاف الارض الجوي الأزرق المقنطر وسماء الفضاء السوداء. وسقط الجزء الثاني وتابع المحرّك الوحيد للجزء الثالث اشتعاله مدة دقيقتن ونصف دقيقة قبل أن يتوقف. فارتفعت أطرافي داخل ثنايا بذلتي، وارتعشت عروة "فلكرو" لاصقة على ساق البذلة في انعدام الجاذبية. لقد دخلت "أبولو ١١" مدار الارض.

---

(٣) G forces

(٤) Maximum dynamic pressure

قطعنا الخيط الفاصل بين نصف الكرة المنير ونصفها المظلم لنحلق فوق ليل مدغشقر. وبعد ساعتين و٤٥ دقيقة من الاقلاع دخلنا مدارنا الثاني المنحرف قليلا عن هاواي. كان على مركبتنا تحقيق "سرعة الهروب" لمغادرة مدار الارض وبدء المسار الذي سيؤدي بها الى الدوران وبدء المسار المتباطىء بفعل الجاذبية الذي سيؤدي بها الى الدوران في شكل أنشوطة حول القمر، وهذا ما دعاه مصمّمو الرحلة "العبور الى القمر" (٥).

انطوت اعادة تشغيل محرك الجزء الثالث في الفضاء على مخاطر جمة. فحرارة الهيدروجين السائل انخفضت الى الصفر المطلق (٢٧٣ درجة مئوية تحت الصفر) ومع ذلك كانت حرارة المحرّك كافية لاذابة الصلب، فاذا انفجر ثقّب مركبتنا بشاظاياه.

بدأ الاشتعال في عملية "العبور الى القمر"، ومال المحيط الهادىء تحتنا. وبعد ستّ دقائق توقف الاشتعال فجأة كما بدأ. وجاءنا صوت مكاندليس في هيوستن: "يبدو أنكم قطعتم شوطاً بعيداً." إنّ "أبولو ١١" مسافرة في اتجاه القمر.

حفلة "شواء"

حان وقت الانفصال والدوران والرسو بالمركبة القمرية. ولما كان مايك سيتولى قيادة المركبة الام فانه كان مسؤولا عن هذه المناورة الدقيقة. لقد تمرّن عليها مئات المرات في نماذج تجريبية، لكنّ الأمر يختلف الآن، فنحن نخترق الفضاء بسرعة ٣٧ ألف كيلومتر في الساعة ولا نودّ الحاق أذى بأي من المركبتين خلال رسوّنا.

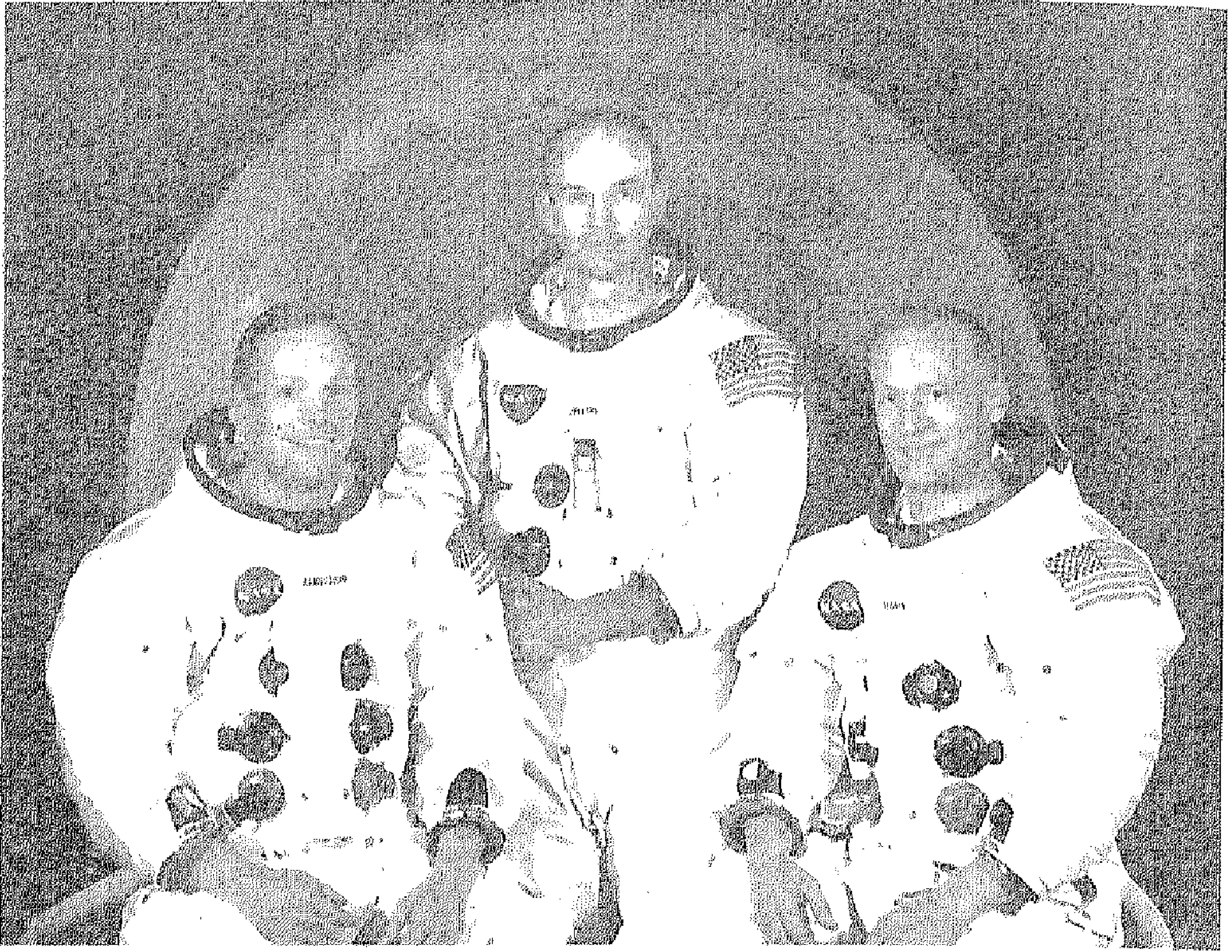
أدار مايك مفتاحاً أشعل الصواعق المتفجرة وفصل مركبتنا عن الجزء الثالث من "ساتورن" الذي يحوي المركبة القمرية. ثم أدارنا ١٨٠ درجة كاملة. وتجمّد الصاروخ الذي تعلوه المركبة القمرية في مكانه تجاه المحيط الهادىء.

ثم حرّك مايك مركبة القيادة الى أن ثبّت "أنفها" في الحلقة على سطح المركبة القمرية. وكان اقتران المركبتين شبيهاً باقتران محركات التحويل على خطوط السكك الحديد. وسمعنا قعقعة مطمئنة وطنين ارتطام اذ ثبتت المزاليج في أماكنها محدثة نفقاً محكم السدّ بين المركبتين. فاتصلتُ بهيوستن معلناً تشابك المزاليج الاثني عشر كلها. ثم أدار مايك المفاتيح لفصل مركبتنا الفضائية عن الجزء الثالث من "ساتورن" الذي سيندفع في محاذاة القمر ثم ينحرف بعيداً في مدار شمسي.

نزع مايك باب النفق وتفحص مجمّعة المسابر والمراسي التي تصل مركبة القيادة بالمركبة القمرية. وذهلنا اذ شممنا الرائحة المميّزة لاسلاك محترقة وهي رائحة ترعب روّاد الفضاء.

تجهم وجه مايك. ومع أننا لم نرَ أي دخان ولم يظهر خطر شبوب نار فقد اضطررنا الى التأكد من سلامة الاجهزة. وكانت نقطة ضعفنا جهاز الرسو، فهو شبكة معقدة من المزاليج والفكوك الكهربائية، ويجب أن يعمل مراراً ومن دون خلل في أثناء رحلتنا.

(٥) Translunar injection



طاقم "أبولو ١١": (من اليسار) نيل أرمسترونغ قائد البعثة، مايكل كولنز طيار مركبة القيادة، باز ألدرين طيار المركبة القمرية.

التقط مايك مزاليج الرسو وهزّها بقوة، فحصلنا على قراءات جيدة للفولطية على اللوحة الكهربائية، ولم يبدُ هناك أي خلل. فاستنتجنا أن حرارة باب الرسو ارتفعت اكثر مما ينبغي خلال عملية الاطلاق.

لدى وصولنا الى القمر ستدعى مركبة القيادة "كولومبيا" والمركبة القمرية "إيغل". وبدا شكل السفينة المؤتلفة غريباً قبل انفصال جزءيها: مركبة القيادة التي تشبه الرصاصة مقحمة في جبّالة الاسمنت القمرية.

نظرت من النافذة فلم أشعر بتضاؤل حجم الأرض على رغم سرعتنا الهائلة. ولكن اذ أزحت عيني عن النافذة ثمّ عدت ونظرت منها تبيّنت جزءاً أكبر من كوكب الارض. وعندما نظرت من جديد فوجئت لرؤيتي قرصاً براقاً مكتملا. كنا على بعد ٤٧ ألف كيلومتر عن كوكبنا، وسرعتنا تنخفض ببطء متأثرة بجاذبية الارض.

سمح لنا طيراننا المستقر برؤية منظر رائع للأرض، لكن ذلك عنى أن جهة واحدة من المركبة تتعرض لأشعة الشمس باستمرار فيما الجهة الاخرى غارقة في الظلام. ولم يسعنا الاستمرار على هذا المنوال وقتاً طويلا، فحرارة الشمس في الفضاء تشوي المعدات الدقيقة وتفجّر خزّانات الوقود الدافع في الجهة الساخنة، أما في الجهة

الظليلة فيتجمّد ناقل الحركة بفعل البرد القارس. لذلك بدأنا عملية "الشواء"، أي الدوران البطيء حول محور المركبة الطويل من أجل توزيع حرارة الشمس بالتساوي. أشعل مايك أجهزة الدفع وأمال المركبة جانبياً. لم تكن "أبولو ١١" منطلقة نحو القمر مثل رصاصة، بل كانت حركتها أشبه ببلبل يغزل.

و"الشواء" يعني أن الأرض تختفي كل ٢٠ دقيقة لتعود فتظهر متنقلة من اليسار الى اليمين ومن نافذة الى أخرى، يتبعها قرص الشمس المتلهب. وأمكننا رؤية هلال القمر عبر اثنتين من النوافذ، لكن قوائم المركبة القمرية ونتوءاتها اعترضت منظره.

كنّا نتسلّق خارجين من البئر العميقة لجاذبية الارض. وبعد ١٨ ساعة نكون قطعنا نصف المسافة الى القمر، ولكن بسرعة تدنّت الى جزء يسير من سرعة الهروب التي انطلقنا بها وهي ٤٠ ألف كيلومتر في الساعة.

حلم طيار

بعد سبع ساعات في الفضاء خلعنا بذلاتنا الثقيلة، فلن نحتاج اليها في الايام الاربعة الآتية أي حتى وصولنا الى القمر. وشعرنا بالراحة في بذلاتنا الرياضية الخفيفة، وبدت الحجرة فجأة أكثر رحابة. لقد كنا شديدي الحذر في تحريك رؤوسنا خلال الساعات القليلة الاولى من الرحلة، ونجحنا في اتقاء غثيان الفضاء. وشعرت بالجوع والتوق الى أول وجبة من القريدس (الجمبري) المجلّد وسلطة الدجاج ومرقة التفاح الحلوة المذاق.

بعد ذلك طلبت منا محطة الاتصال بعمق الفضاء في غولدستون بكاليفورنيا الجنوبية(٦) فحص جهازنا التلفزيوني. فتلا نيل تقرير الطقس في مكسيكو وأمريكا الوسطى فيما التقطت صوراً موفقة لمايك وهو يطفو من نافذة الى أخرى، ثم أمسك مايك بآلة التصوير بينما جلت بمشاهدي التلفزيون في أرجاء مركبتنا.

بعد انتهاء العرض التلفزيوني المرتجل شعرت بالارهاق. فقد كان يومنا حافلا وبتنا في حاجة ماسة الى النوم. وعندما تقوقعت في كيس النوم فكّرت في مدى قابلية الانسان للتكيّف. فها نحن، متنشقي الهواء الثلاثة، نمضي ليلتنا داخل فقّاعة صغيرة من الاوكسيجين. وسفينتنا الفضائية أشبه بكوكب مصغر من صنع الانسان، نعيش داخلها في راحة تامة مع أن بضعة سنتيمترات فقط من البلاستيك والمعدن تفصلنا عن الفراغ الخارجي.

لكنني شعرت بالأمان. كانت أجهزة التهوئة تئز أزيزاً خافتاً، وآلات الدفع تصدر ضجيجاً مخنوقاً بين الحين والآخر. خفضنا صوت الجهاز اللاسلكي، فهيوستن لن تتصل بنا الا في الحالات الطارئة. وسترنا النوافذ فأظلمت الحجرة. وتمددت طافياً في رفاهية انعدام الوزن. لقد حان وقت الراحة والتأمل.

عندما التحقت عام ١٩٤٧ بالمدرسة الحربية في وست بوينت كانت رحلات الفضاء ضرباً من الخيال بالنسبة الى صانعي السياسة الامريكية. فالحرب الباردة بدأت، ولدينا

(٦) كانت هناك محطتان أخريان، واحدة قرب مدريد في اسبانيا وأخرى قرب كانبيرا في أوستراليا.

أمور أكثر جديّة تشغلنا. وحتى في سنتي الاولى بدا لي بديهياً أنني سأحارب الاعداء يوماً، فقررت أن أشترك في الحرب - اذا حصلت - كطيّار.

وعنفت المنافسة في المدرسة الحربية، فعملت بكد وتخرّجت في يونيو (حزيران) ١٩٥١ وحللت ثالثاً بين ٤٧٥ طالباً. وبعد ١٨ شهراً من التمرين القاسي أصبحت مؤهلا لقيادة طائرة "إف - ٨٦ سابر". وذهبت الى كوريا في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٢.

ان بعضاً من أفضل روّاد الفضاء بدأوا طيارين في كوريا: غاس غريسوم ووالي شيرا وجيم ماكديفيت وزميلي في الرحلة نيل أرمسترونغ. فالطيران الحربي يتطلب مهارات لا حاجة اليها في الطيران السلمي. وبعد مرور سنوات كنا، نحن الذين خدموا في كوريا، متحضرين لمخاطر الطيران في الفضاء لأننا ألفنا الخوف وتقبلناه.

بعد عودتي من كوريا قضيت فرصتي في منزل والديّ في مونتكلير بولاية نيوجرزي. وأول ما فعلته هناك البحث عن فتاة سمراء طويلة ورشيقة اسمها جون آرشر تحمل درجة ماجستير من جامعة كولومبيا وبدأت امتهان التمثيل في نيويورك. وبعد فترة من التعارف تطوّرت علاقتنا الى جدية وتزوجنا في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٥٤. رزقنا ولدنا البكر مايك في سبتمبر (ايلول) ١٩٥٥، وفي الخريف التالي أرسلنا الى بتسبورغ في المانيا الغربية حيث تسلّمت مهمات في قوة نووية ضاربة. كان التدريب شاقاً والطقس في المانيا غير مناسب للطيران. ولكن سنحت لي فرصة العمل في فريق واحد، مع ادوارد وايت وهو رفيق عرفته في وست بوينت، فأصبحنا صديقين حميمين.

عندما بلغتني أخبار القمر الاصطناعي السوفييتي "سبوتنك" في ٤ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٥٧، لم أعرها اهتماماً. فقد كنت منهمكاً مع سرب الطائرات الذي أنتمي اليه في بتبورغ بتمرين طويل عن انذار بغارة جوية. وإذا ما أخذنا في الاعتبار أن رد فعل امريكا على تحدي "سبوتنك" كان في نهاية المطاف مشروع "أبولو"، لوجدنا في ذلك سخرية القدر.

ذات أصيل، وبعد تنفيذي ووايت معركة جوية وهمية فوق بحر الشمال، وقفنا معاً على المدرج. وأخبرني ادوارد انه ينوي الحصول على ماجستير في هندسة الطيران آملا أن يلتحق بمدرسة الطيران الاختباري في قاعدة ادواردز لسلاح الطيران في كاليفورنيا الجنوبية. وعندما وسّع سلاح الجو مشاريع الطائرات والصواريخ ذات الارتفاع العالي لتصبح مشاريع فعلية، كان ادوارد مرشحاً مناسباً لملء مقعد في قمرة القيادة.

مع حلول يناير (كانون الثاني) ١٩٥٩ كان لدى وزارة الدفاع الامريكية لائحة من ١١٠ مرشحين لتختار منها وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) المرشحين النهائيين. وكان المرشحون يحملون شهادات في علم الفيزياء أو الهندسة وأكملوا تدريب الطيران الاختباري العسكري و١٥٠٠ ساعة طيراناً بأقل تعديل، ولم تتجاوز اعمارهم الأربعين عاماً.

وفي ابريل (نيسان) ١٩٥٩ قُدّم رواد الفضاء المختارون الى العالم. كان جون غلين أكبرهم سناً (٣٧ عاماً) وهو من "المارينز" وغاس غريسوم وديك سلايتون وغوردون

كوبر من سلاح الطيران والي شيرا وسكوت كاربنتر وآلن شيبارد من سلاح البحرية.

علمت باختيار الرواد، في وقت واحد، من اذاعة القوات المسلحة وادوارد وايت وكتب الي ادوارد أنه ارسل طلباً لدخول مدرسة الطيران الاختباري مهيئاً نفسه للاشتراك في عملية الاختيار التالي لرواد الفضاء. فقررت السير على خطاه والحصول على ثقافة أعلى، وأسرعت في ارسال طلب دخول الى برنامج الملاحة الفضائية في معهد مساتشوستس للعلوم التطبيقية.

سباق الفضاء

بعد حصولي على ماجستير في الملاحة الفضائية في مايو (أيار) ١٩٦١، شاهدت الرئيس كينيدي على التلفاز. كان السوفييت أرسلوا أول رجل الى الفضاء هو غاغارين الذي دار حول الأرض في ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٦١. وفي ٥ مايو (أيار) كان آلن شيبارد اول امريكي يجول في الفضاء. وأطلق كينيدي تحدّياً بنبرة صوته المميزة: "أنا مؤمن بأن على هذه الأمة معاهدة نفسها على تحقيق هدف انزال رجل على سطح القمر واعادته سالماً الى الارض قبل نهاية هذا العقد."

تسلمت رسالة من وايت يقول لي فيها انه قدّم طلب ترشيح لرائد فضاء. وكانت الموجة العارمة لبرنامج الفضاء تكتسح البلاد، فأردت أن أكون جزءاً من هذا البرنامج. وإذ علمت أن الهبوط على سطح القمر يحتاج الى مهارات مختلفة عن تلك التي تلقن في مدرسة الطيران الاختباري، اخترت الحصول على دكتوراه في ميدان اللقاءات المدارية المأهولة (٧).

بعد حصولي على دكتوراه في العلوم عرض علي سلاح الطيران وظيفة في قسم انظمة الفضاء. ونقلت الى هيوستن في الوقت المناسب اذ اعلنت وكالة الفضاء أن الروّاد المرشحين لم يعودوا في حاجة الى مؤهلات الطيران الإختباري.

اختير وايت رائد فضاء في سبتمبر (ايلول) ١٩٦٢ فزوّدني معلومات مفيدة عن المقابلة التي تجرى مع الرواد. وفي صيف ١٩٦٣ نجحت في التصفية الاولى وبتّ مؤهلا لمزيد من الاختبارات. وذات عصر في أوائل سبتمبر (ايلول) تلقيت اتصالاً من ديكي سلايتون، وكان آنذاك رئيس المكتب الموسّع لروّاد الفضاء في "ناسا". وتطرّق ديكي مباشرة الى الموضوع: "نريدك أن تكون رائد فضاء. وأتمنى حقاً أن تقبل بذلك." شعرت بدوار وأجبته من غير تفكير: "هذا من دواعي سروري."

التحقت بـ"ناسا" رسمياً في يناير (كانون الثاني) ١٩٦٤ كعضو في الفريق الثالث للرواد. وكانت عشر رحلات للمركبة "جميني" قد قرّرت، كلّ منها يحمل رجلين. وهكذا استحوذت علينا جميعاً رغبة الفوز بمهمة في هذه الرحلات. وكان الاشتراك في رحلات "جميني" مهماً لأن هذه الخبرة تفسح المجال أمام رائد الفضاء للاشتراك في "أبولو" وغزوة القمر.

(٧) Manned - Orbital Rendezvous

عملت على التخطيط للمهمة وخصوصاً للالتقاء المداري. وقد سحرني البرنامج اذ كان تحقيقاً لكل نظريات الملاحة الفضائية العويصة التي تشرّبتها في معهد مساتشوستس للعلوم التطبيقية. وأحد الاهدافف الرئيسية لمشروع "جميني" كان الاثبات أن طاقماً مؤلفاً من رجلين يستطيع القيام بالرحلات الطويلة الضرورية لرحلة قمرية. كما كان "جميني" ضرورياً لاختبار تطبيق الالتقاء المداري والرسوّ.

ومن أهداف "جميني" المثيرة الاخرى "السير في الفضاء" أو ما يدعى "النشاط خارج العربة." فأحد رجال الطاقم يعوم بحرّية خارج المركبة منجزاً مهمات عدّة خارج الكبسولة، وصلته الوحيدة بـ"جميني" خرطوم لوصل الاوكسجين وحبل متين من النايلون يربطه بالمركبة. وللسير في الفضاء أهداف تفوق مجرد الاظهار للعالم أننا نستطيع القيام بحركات بهلوانية شجاعة. فقد كنا نحتاج الى تعلّم السير في الفضاء الخارجي الخاوي قبل أن يستكشف طاقم "أبولو" سطح القمر.

وبعد تجربتين ناجحتين لنموذجين غير مأهولين عن مركبة الفضاء، أعلنت "ناسا" في ابريل (نيسان) ١٩٦٤ أن "جميني ٣" ستكون أول رحلة فضائية مأهولة في البرنامج الجديد. وحدد موعدها في أوائل ربيع ١٩٦٥. ولكن في ١٨ مارس (آذار) ١٩٦٥، أي قبل خمسة ايام من اقلاع "جميني"، أعلنت موسكو اطلاق "فوسخود ٢"، وفتح رائد الفضاء ألكسي ليونوف باب المركبة وعام في خواء الفضاء، مشدوداً بحبل مدّة اثنتي عشرة دقيقة. ها هم السوفييت يغلبوننا مجددا.

أقلعت "جميني ٣" في ٣ مارس (آذار) ١٩٦٥ من دون خطّة للسير في الفضاء. وتقدّمت المهمة من دون تعثر وبرهنت بنجاح عن قدرة مركبتنا على الطيران والمناورة في مدار الارض. في يونيو (حزيران) كنت في كيب كينيدي لمشاهدة انطلاق "جميني ٤" التي شملت سيراً في الفضاء. وكان ادوارد وايت ملّاحاً في الرحلة وجيم ماكديفيت قائداً.

تمّ الانطلاق على ما يرام. وفتح ادوارد باب المركبة فوق المحيط الهندي ثم وقف في مقعده وأطلق "مسدس الدفع السريع" الذي كان يحمله بيده، فاندفع الى الخارج حتى طرف حبل النايلون الذي يربطه بالمركبة، واستطاع تحريك نفسه بواسطة المسدّس. كان نور الشمس الساطع ينعكس على مقدّم خوذته لكنه استطاع رؤية المحيط الهادىء الازرق الفسيح ينزلق تحته. ولم يفقد أبداً حس المكان والزمان كما لم يعانِ دوار الفضاء. وبعد ١٥ دقيقة أشار ماكديفيت على ادوارد بأن يلفّ خرطوم الاوكسيجين حول جسده لكي يعود الى المركبة ويتهيأ لاغلاق الباب. فقال ادوارد مذعناً: "انها أتعس لحظات حياتي."

لقد تقدّمني بدرجة واحدة ادوارد في جميع المراحل، وعندما أنجزت السير في الفضاء على متن "جميني ١٢" توقعت أن يتابع صديقي تقدّمه. لكن مأساة "ابولو ١" كانت له في المرصاد.

طرت ورائد الفضاء جيم لوفيل الى قاعدة ألينغتون لسلاح الطيران في تكساس في

وقت متقدم من مساء ٢٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٧. وكنا لا نزال في الطائرة عندما سمعنا الخبر المشؤوم. تقدّم منا رئيس الطاقم الفني وقد شحب وجهه قائلا: "سيدي، وقع حادث رهيب في كيب كينيدي."

قتل كل من غاس غريسوم وادوارد وايت وروجر شافي على منصة الاطلاق خلال تجربة تسبق الرحلة قرابة السادسة والنصف مساء. فقد أشعلت شرارة كهربائية المواد القابلة للاحتراق في الحجرة التي يقتصر جوّها على الاوكسيجين الصافي، باعثة غازات سامّة في جو الغرفة. ورفعت الحرارة الضغط الى درجة استحال معها فتح الباب الذي انجذب الى الداخل.

"أبولو" تتعافى

جلست هناك في الظلام أتذكر عصر ذلك اليوم في بيتبورغ قبل عشر سنين عندما جلست وإد نتحدث عن حلمنا أن نصبح رائدي فضاء. كان هو واثقاً بذاته ومثالا للطيّار الحربي المتحلي بالروح الوطنية. لقد رحل الآن. كذلك غاس وروجر.

توصل التحقيق في "ناسا" الى أن السبب المرجّح للحريق هو مس كهربائي في حجرة التجهيزات. وانتشرت ألسنة اللهب سريعاً في الاوكسيجين الصافي، وهو جو داخلي طالما فضّله الخبراء لبساطته وجدارته. ونصحت هيئة المراجعة "ناسا" باستعمال مزيج من غازين اثنين كجو للحجرة في كل حالات الاطلاق المستقبلية، وبتحسين جهاز باب الحجرة.

بعدما خف أثر الصدمة والأسى نظرت في تفاصيل الحادث. لقد انشغل الجميع في توجيه اللوم الى هذا وذاك، ولم يشر أحد الى مدى حسن تصرّف الطاقم خلال اللحظات الأخيرة الرهيبة. فقد اتصل قسم اجراءات الطوارىء بهم طالباً من غاس غريسوم نزع الحزام، ومن إد وايت البقاء مكبّلا في مقعده وتشغيل جهاز الباب، ومن روجر شافي متابعة الاتصال بمركز مراقبة الاطلاق. وعلى رغم النار المستعرة فعل كل منهم تماماً ما طلب منه.

يصعب علي تخيّل الانضباط الذي تحلّى به إد لكي يبقي يديه على مقبض الباب وبعيداً عن الابازيم التي كانت تكبّله. انه يرقد الآن في وست بوينت حيث أراد دائماً أن يكون. ولا أستطيع تصور رمز أفضل للشجاعة تتمثل به أجيال المستقبل من طلاب المدرسة الحربية.

لدى استقرار الامور بعد الحادث المشؤوم حولت "ناسا" طاقتها الكاملة الى متابعة مشروع "أبولو." ومع حلول صيف ١٩٦٧ أنجز العمل على اعادة تصميم باب المركبة الفضائية وأمن لجو الحجرة مزيج جديد من غازين أكثر أماناً على الارض.

درس القيمون على مشروع "أبولو" تفاصيل بعثات متسلسلة تهدف الى انزال انسان على سطح القمر. ولم تدع الخطة مجالا لوقوع حوادث. لقد كان رهاناً تقنياً جريئاً.

ولكي تنفذ "ناسا" هذا المشروع الطموح كان عليها الاعتماد على توافر المعدات: صاروخ الدفع "ساتورن ٥" ومركبة القيادة والمركبة القمرية.

طوّر صاروخ الدفع ومركبة القيادة من سفينتي الفضاء "ميركوري" و"جميني"، أما المركبة القمرية فكانت ذات طراز جديد. وبما أنها ستعمل فقط في الخواء الفضائي حيث الوزن معدوم، وتحت تأثير جاذبية القمر التي تعادل سدس جاذبية الارض، فقد كانت تنقصها الانحناءات الانسيابية والستار الواقي من الحرارة التي تتميز بها سفن الفضاء. وأضفت النتوءات المنحرفة والانتفاخات والانابيب الظاهرة على المركبة القمرية شكلا قبيحاً بالمقارنة مع مركبات الطيران الانيقة. لكنها لم تصمم في الأصل لتبدو حسنة الشكل بل لتكون عملية وفاعلة. اما مرحلة الهبوط فيتعين التحكم بها بواسطة مخنق يدعمه دماغ الكتروني يسمح لروّاد الفضاء بالتحويم فوق سطح القمر من أجل اختيار مكان مناسب للهبوط. أما مرحلة صعود المركبة القمرية فتبدأ بالاندفاع نحو مدار قمري والتقاء مركبة القيادة. ومن المفترض أن تتم على أكمل وجه والّا تاهت السفينة ومات الرواد.

الرفقاء الذين كانوا يتدربون على رحلات مستقبلية الى القمر أبدوا اهتماماً كبيراً برحلة "أبولو ٥" المقررة في ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٨ حيث ستطلق للمرة الاولى مركبة قمرية في الفضاء. وهذه رحلة غير مأهولة في مدار حول الأرض، تختبر خلالها فاعلية نظام الدفع وأجهزة الحفاظ على الحياة ومحركات الصعود والهبوط.

بعد مرور ٤٥ دقيقة على انطلاق المركبة القمرية، بدأ فريق المراقبة في هيوستن امتحان قدراتها. وأتت نتيجة الامتحان الاول لمركبة قمرية ناجحة جداً.

وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٨ كانت رحلة "أبولو ٨" محاولتنا الاولى لوضع أناس في مدار حول القمر، واشتركت في هذه المهمة كملّاح مساعد.

وقفت على منصة الاطلاق في الرابعة صباح ٢١ ديسمبر (كانون الاول) أضبط مفاتيح المركبة الفضائية وأساعد في التحقق من سلامة الأجهزة تمهيداً للاطلاق. وفي تمام السابعة والدقيقة الحادية والخمسين أطلق فرنك بورمن وجيم لوفيل وبيل أندرز في الفضاء. وبعد ثلاث ساعات أطلقوا صاروخهم لبدء عملية "العبور الى القمر." وللمرة الاولى في التاريخ قطع الانسان عرى الجاذبية التي تربطه الى كوكبه الأم.

بعد مرور أيام قليلة على عودة "أبولو ٨" الى الارض في ٢٧ ديسمبر (كانون الاول) أرسل ديكي سلايتون يستدعينا أنا ومايك كولنز ونيل أرمسترونغ الى مكتبه. ولم يكن ديكي يحب الاجتماعات المغلقة، لكنه هذه المرة أقفل باب المكتب. وأخبرنا أن المهمة التالية ستكون اختباراً شاملا لمركبة القيادة والمركبة القمرية معاً في مدار أرضي. ويتبع ذلك اطلاق "أبولو ١٠" في مدار قمري مدة يومين ونصف يوم وارسال المركبة القمرية الى مسافة تبعد ١٤،٥٠٠ متر فقط عن سطح القمر. واضاف ديكي أنه في حال نجاح هاتين المهمتين ستكون "أبولو ١١" أول مركبة ترسو على سطح القمر ونغدو أنا ونيل أول انسانين يحطان على القمر.

قادت زوجتي جون سيارتنا في الخامسة بعد ظهر ذلك اليوم ناقلة سلال الغسيل الى المصبغة، فغسالتنا في البيت كانت معطلة. وداخل المصبغة العابقة بالبخار جلست وزوجتي على مقعد ننتظر انتهاء عملية الغسيل. فسألتني: "كيف كان يومك؟" فأجبتها مغمغماً: "دعانا ديكي الى مكتبه هذا الصباح. المهمة ١١ ستكون الحاسمة."

فحدقت الي جون متسائلة عمّا أعنيه. فقلت: "محاولة الهبوط أوكلت الي والى نيل."

ربّما كانت المصبغة مكاناً غريباً تخبر فيه زوجتك أنك ذاهب الى القمر. ولكن هل ثمة مكان مناسب لزفّ مثل هذا الخبر؟



"للنسر جناحان!"

مرّ يومان على اطلاق "أبولو ١١" وانكمشت الأرض حتى أصبحت كرة مضيئة في حجم طابة الفولف. وكنّا نبعد عنها أكثر من ٢٦٠ ألف كيلومتر وسرعتنا أقل من ٣٩٠٠ كيلومتر في الساعة. أمّا القمر فتفصلنا عنه ٤٧ ساعة وحوالى ١٣٠ ألف كيلومتر.

أخرجنا آلة التصوير التلفزيونية مجدداً، فنحن سندخل المركبة القمرية للمرة الاولى، ومركز المراقبة الارضي أراد معاينة الامر معنا.

طفوت صعوداً في النفق حاملا آلة التصوير التلفزيونية النقالة.

كانَ سطح طيران المركبة القمرية لا ينطوي على أي أناقة. فتحديد الوزن منع استعمال الألواح لاخفاء حزم الاسلاك والأنابيب فكانت كلها ظاهرة. وأينما نظرت وجدت مسامير مبشمة ومفاتيح قطع للدارات الكهربائية. أمّا بَدَن المركبة فكان مرشوشاً بطلاء مقاوم للنار لونه رمادي أدكن.

لقد قيل أن أوّل هبوط على القمر هو ذروة الثورة الصناعية. ولا شك في أن الصفات الصناعية للمركبة القمرية برهنت عن ذلك.

في نهاية اليوم الثالث في الفضاء رأينا منظراً أذهلنا هو واحد من أروع مشاهد الرحلة. فقد دخلت "أبولو ١١" ظلّ القمر الذي كان يبعد عنا ١١ ألف كيلومتر. ومن

موقعنا كسف القمر الشمس لكنه أضيء من الخلف بهالة متألقة من نور الشمس المنكسر. كنّا نتجه بسرعة نحو جرم سماوي ضخم متجهم. فأبلغ نيل هيوستن: "ان منظر القمر رائع حقاً. انه مشهد يستحق تكاليف الرحلة."

بعد مرور ٧٦ ساعة على الاقلاع شددنا أحزمتنا مجدداً وتهيأنا للانعطاف خلف الحافة اليسرى للقمر. عندما نعبر "أفق الراديو"(٨) خلف القمر نفقد الاتصال بهيوستن، وهي حالة تسمى "فقدان الاشارة." وتمضي ٤٨ دقيقة قبل "اكتساب الاشارة" يضغط خلالها مايك زراً يشعل محرك مركبة القيادة لادخالنا مداراً حول القمر. وعلى الاشتعال أن يكون صحيحاً تماماً والّا عزلنا في الفضاء.

أضاءت الأرقام الخضراء للعدّ العكسي على شاشة الدماغ الالكتروني، وعندما ظهرت شارة الانطلاق ضغط كولنز الزر فأشعل محرّك مركبة القيادة وأودعنا مداراً حول القمر. بدأ الاشتعال في الوقت المحدد تماماً محدثاً دمدمة خفيفة، واستمر كذلك ست دقائق خافضاً سرعة المركبة الفضائية الى حوالى ٦٠٠٠ كيلومتر في الساعة، وهي السرعة الضرورية لكي نقع تحت تأثير جاذبية القمر. وعندما توقف المحرك ارتفعنا مجدداً فاقدي الوزن تشدنا أحزمة مقاعدنا. انفرجت أسارير مايك، فغداً أصعد مع نيل الى متن المركبة القمرية وننحدر نحو سطح القمر.

بعد عشرين دقيقة وصلنا في دورتنا الى الجهة الامامية من القمر، فاستعدنا الاتصال اللاسلكي بهيوستن. وتبينت في صوت بروس ماكاندليس نبرة التوتر الذي عانوه وهم ينتظروننا: "أبولو ١١، هنا هيوستن – هل تسمعونني جيداً؟" فلأكثر من ٤٠ دقيقة لم يعرف أحد ما إذا تمّ الاشتعال بسلام.

وأجاب مايك: "هيوستن، نسمعكم بوضوح."

فأتانا الرّد: "هلّا تلوتم علينا تقرير وضع الاشتعال؟"

رحت أتخيل صفوف الوجوه المتلهفة في غرفة المراقبة. تبسّم مايك ابتسامته الشهيرة وقال: "لقد كان... لقد كان رائعاً."

في اليوم التالي وهو الرابع لنا في الفضاء، تهيّأنا لفصل المركبة القمرية عن مركبة القيادة. كنت ونيل نشعر بالاثارة، لكننا أجبرنا أنفسنا على العمل بأسلوب منهجي للتأكد من سلامة الاجهزة بعدما بتنا على متن المركبة الفضائية. وطلب منا مايك التريث بينما راجع هو بتأن قائمة الامور التي يتوجب عليه التأكد منها. كنا جميعاً نعي هشاشة آلية الترصيف والرسو، فبعد ٢٨ ساعة من الانفصال سوف نحتاج الى نفق التوصيل من جديد. وعندما انتهى مايك من عمله الشاق كنا دخلنا يومنا الخامس ومدارنا الثالث عشر في الفضاء.

اتصلنا بهيوستن من الجهة الاكثر قرباً الى القمر لكي يتمكن مركز المراقبة الارضي من استقبال سيل المعلومات من المركبة القمرية ومركبة القيادة وتنظيمها.

أغلقت الابواب وباتت المركبة القمرية تدعى "إيغل" ومركبة القيادة "كولومبيا".

(٨) Radio Horizon

راقب نيل ارقام العد العكسي وهي تومض على شاشة الدماغ الالكتروني في المركبة القمرية تهيؤاً لفصلنا عن مركبة القيادة. تبادلنا مجموعات المعلومات مع مايك وهيوستن، وبدت الأرقام كأنها لن تنتهي. وأخيراً كافأتنا هيوستن بهذه العبارة الموجزة: "أبولو ١١، وافقنا على الانفصال."

تراجع مايك بـ"كولومبيا" فجأة محدثاً صوتاً حاداً. ورأيت وجهه من خلال نافذة التلاقي. وإذ انقلبت المركبة الفضائية على ذاتها بدا سطح القمر كأنه يدور ببطء عبر نافذتي الى أن تدلى فوق رأسي، فصاح نيل: "للنسر جناحان!"(٩).

انذارات فوق القمر

تعاونت مع نيل. وكنا نرتدي بذلتينا الضخمتين ونعتمر خوذتينا الفقاعتين ونحن مشدودان بحبال من مطاط الى السطح المرن للمركبة القمرية. وشعرت بخطورة التفاصيل مع ادارة كل مفتاح والابلاغ عما يجدّ من معلومات.

أبلغت هيوستن مايك أنه بات جاهزاً للانفصال، وعندما ابتعد بـ"كولومبيا" عنّا قال ببساطة: "حسناً أيها الشابان، الزما الحذر."

فرد نيل: "نراك لاحقاً." وكأنهما متجهان الى منزليهما بعد بضع ساعات من التدريب السهل.

قبل أن ننعطف مرة اخرى الى الجهة الخلفية للقمر أنبأنا رائد الفضاء تشارلي ديوك الذي تولى مهمة الاتصال بمركبتنا في هيوستن، بأن "إيغل" باتت جاهزة لعملية "الاقحام المداري الهبوطي"(١٠) وهي تنطوي على اشتعال محرّك الهبوط مدة ٢٩،٨ ثانية مما يخفضنا الى مدار بعلو ١٤ كيلومتراً عن سطح القمر. وإذا تم كل شيء على ما يرام فسوف توافق هيوستن على "بدء الهبوط الآلي"(١١). وبعد ١٢،٥ دقيقة إما أن نرسو أنا ونيل على القمر وإما ان نجهض المحاولة.

طارت مركبتنا القمرية خلفياً وكانت نافذتا حجرتنا متوازيتين مع سطح القمر. وأتى اشتعال عملية الاقحام المداري الهبوطي هادئاً بحيث لم أشعر بأدنى اهتزاز في جزمتي بل بارتخاء بطيء في ركبتيّ. قلب نيل صفحة من خطة الرحلة وتبسّم لي من خلال خوذته اللمّاعة.

دار القمر هادئاً خارج نافذتي. وتدريجاً بدت الحُفَر أكثر وضوحاً بينما كنا نهبط. ثم بدأ لون القمر يتحوّل من بيج الى رمادي فاتح، وعادت طقطقة اشارات هيوستن اللاسلكية تمسّ في مسماعيّ. ثم سمعنا صوت تشارلي ديوك: "إذا كنتما تسمعانني، لقد تمت الموافقة على هبوطكما الآلي." فأشار نيل بالايجاب وقد أدفأت آماله عينيه التعبتين. وتبسمتُ كطفل، فنحن سنحط على القمر.

أومضت الأرقام الخضراء معلنة بدء الهبوط الآلي. وتباطأت المركبة اذ خفف الدماغ

(٩) ايغل (Eagle) تعني النسر.
(١٠) Descent Orbit Insertion
(١١) Powered Descent Initiation

الالكتروني سرعتها باعاقة تدفق الوقود الى المحرّك. واقترب سطح القمر المنقّر من نافذتي فبدأت أشعر بوزن ذراعيّ الذي أحدثه أول تراجع مطوّل للسرعة، وأثره أشبه ما يكون بالجاذبية. وانثنت جزمتي المضغوطة وغارت أطرافي داخل بذلتي. وفي اتصال من هيوستن أعلن تشارلي ديوك الموافقة على متابعتنا مسارنا.

عبَر الأفق نافذتي ليستقر في القعر بينما اكملت المركبة القمرية دورة بطيئة حول ذاتها. وانحرف محورها تدريجاً لكي تثبت في وضع الهبوط النهائي الذي تقابل فيه أقدامنا سطح القمر. في وضعنا هذا استطعنا رؤية الارض وهي دائرة غير مكتملة من أزرق وأبيض وبني معلقة فوق أفق القمر.

ومضت المعلومات على الشاشة في المركبة، فقد عبرنا علوّ ١٠،٧٠٠ متر وبدأنا نشعر بهبوطنا السريع. وفي تلك اللحظة لمع انذار بضوء متقطع في أعلى الشاشة. فصرخت بصوت متوتر: "اثنا عشر – صفر – اثنان، اثنا عشر – صفر – اثنان." وتبادلت ونيل نظرات تساؤل قلقة. فإذ تجاوزنا في هبوطنا ارتفاع ١٠ آلاف كيلومتر أشار الدماغ الالكتروني الى مواجهته صعوبة في معالجة شلّال المعلومات المتدفق من رادار الرسوّ. ثم توقفت شاشته عن عرض المعلومات، ولم يبقَ لنا سوى انتظار مركز المراقبة الارضي ليحلّ لنا رموز هذا الانذار.

والانذار "١٢٠٢" يعني "اغراقاً تنفيذياً" أي أن الدماغ الالكتروني في المركبة القمرية مثقل بالمعطيات. ولم نكن مضطرين بعد الى اجهاض عملية الرسو، فمركز المراقبة الارضي استنتج أن آلات المركبة ما زالت على الأرجح في حال جيدة لأن الدماغ الالكتروني في "إيغل" عاود دورته. لكن المراقبين لم يستطيعوا التأكد من عدم وجود خلل آخر.

اتصل نيل بهيوستن معبّراً عن قلقنا المشترك: "زوّدونا تفسيركم للانذار ١٢٠٢."

ونظرنا معاً الى زر الاجهاض الأحمر الكبير على اللوحة. إن الضغط عليه يدفع على الفور الجزء الاعلى المنتفخ من المركبة القمرية نحو "كولومبيا" منهياً أول محاولة بشرية للهبوط على القمر.

أجاب تشارلي -والتوتر باد في صوته: "حسناً، المجازفة مقبولة."

شعرت بهول الهاوية التي تفصل غرفة المراقبة الساطعة الانارة في هيوستن عن حجرتنا المعتمة في المركبة القمرية. وحيّاني نيل من وراء خوذته، فرأيت عينيه الكئيبتين في وهج لوحة المفاتيح. كان علينا ببساطة ان نثق بهيوستن. وعندما أضاء انذار ثان على شاشة المعلومات لجمت نفسي عن تنبيه نيل. فبعد سنوات من عملي كطيار مقاتل ورائد فضاء شعرت للمرة الاولى بالذعر الحقيقي.

ومرة أخرى صرفت غرفة المراقبة النظر عن الانذار باعتباره غير خطير، ولكن لم يتيسر الوقت لافهامنا السبب. انخفضنا الى ما دون ٦٤٠٠ متر، وكنا نهبط بسرعة ٣٧ متراً في الثانية. وكان علينا في هذه المرحلة التأكد من أننا نتوجه الى نقطة آمنة، لكن كل ما رأيناه كان فوهات براكين رمادية وحقولا تغطيها صخور ضخمة. وأومضت

الانذارات مجدداً ماحية المعلومات عن الشاشة. فاتصل نيل بهيوستن: "اثنا عشر - صفر - واحد، اثنا عشر - صفر - واحد." فأعلمه تشارلي بتلقيه الاتصال.

لحست شفتي الجافتين، فنحن في حاجة ماسة الى الانضباط، لكنّ التوتر يبّسني داخل بذلتي. لم يبق لنا سوى الوثوق بغرفة المراقبة.

وهنا اتصل شارلي قائلا: "تمسكا جيداً. لقد تمت الموافقة على رسوّكما."

لقد حطّ النسر

كنا نعلو ٤٩٠ متراً عن سطح القمر عندما أبلغنا تشارلي الموافقة النهائية. ومن ارتفاع ٢٣٠ متراً بدأت تزويد نيل وغرفة المراقبة معاً سلسلة متواصلة من المعلومات ووصفاً مفصلا لهبوطنا النهائي. واتفقت مع نيل على ان رادار الرسوّ يزودنا معلومات جيدة، فضغط هو زر الرسوّ في لوحة المفاتيح.

لم يتمكن أي منا من دراسة منطقة الرسوّ بينما كنا نقترب منها بسبب الانذارات المسعورة التي أذعرتنا. ولو أن هذا حصل خلال رسوّ وهميّ في كيب كينيدي لكنّا أجهضنا العملية على الأرجح.

أخيراً أبعد نيل نظره عن شاشة الدماغ الالكتروني وتطلّع من نافذته المثلثة. لقد كان بلا ريب غير راض عن السطح تحتنا، اذ اننا انخفضنا الى مستوى لم يسمح لنا بتحديد فوهات البراكين التي درسناها في الصور الفوتوغرافية التي التقطتها "أبولو ١٠". كان علينا ايجاد منبسط غير وعر للهبوط، ولكن بدا أن الدماغ الالكتروني يتوجه بنا الى حقل من صخور يحوط فوهة بركان قطرها ٣٥ متراً.

على ارتفاع ١٨٠ متراً قبض نيل على جهاز القيادة اليدوي وأبطأ هبوطنا من خمسة أمتار وثمانين سنتيمتراً في الثانية الى مترين و٧٥ سنتيمتراً، ومن ثمَّ، على ارتفاع ٩١ متراً، الى متر واحد في الثانية. وحوّمت المركبة القمرية فوق قمع لهبها وهي تهبط ببطء شديد. لم يعجب نيل ما رآه تحته، فمسّد الضابط اليدوي كسائق سيارة محترس يضبط سرعتها الآلية. وانطلقنا أفقياً عبر حقل من الصخور المتكسّرة.

أومض الضوء الكهرماني على لوحة المفاتيح الرئيسية أمامي منذراً بهبوط مستوى الوقود. لقد استهلكنا كل الوقود تقريباً وبتنا على ارتفاع يقل عن ٣٠ متراً، ومع ذلك خفف نيل سرعة الهبوط.

وفي الوقت ذاته، أنذرنا صوت تشارلي: "ستون ثانية."

كانت خزانات وقود محرّك الصعود ملأى لكنها مفصولة تماماً عن محرّك الهبوط الضخم. وما لدينا من الوقود يكفي على أبعد تعديل لستين ثانية من الهبوط. لكن نيل تباطأ مستكشفاً السطح تحته.

صرخت: "... انزل ٧٥ سنتيمتراً. الى الامام. الى الامام."

تحركت المركبة القمرية الى الامام مثل طائرة مروحية تستعد للهبوط. كنا في ما يدعى "منطقة الموت" ولا نستطيع البقاء هناك وقتاً أطول. فإن نفد الوقود منا على

هذا العلو سقطنا وتحطمنا قبل ان يتاح لمحرّك الصعود رفعنا الى مدار حول القمر.
"جيد. اثنا عشر متراً. التقطنا غباراً. تسعة أمتار...".
تسعة أمتار تحت القوائم الطويلة الناحلة للمركبة القمرية. تطاير الغبار الذي لم يعكّر سكونه طوال مليار سنة بفعل محرّكنا.
وأعلن تشارلي متهيباً الوضع: "ثلاثون ثانية." لكنّ نيل استمر في التباطؤ.
اشتعل محرّك الهبوط بصمت ملتهماً آخر ما بقي من مخزون الوقود. فحوّلت نظري الى زر الاجهاض. ثمَّ ناديت وقد رأيت ظل مسبار قاعدة السلّم يلامس السطح: "انحراف الى اليمين." واهتز الافق قليلا ثم ثبت. وتوقف وميض مقياس الارتفاع. لقد هبطنا على سطح القمر.
لقد طار بنا نيل أقصى مدة ممكنة، وما تبقى من الوقود لم يكن يكفي لأكثر من عشرين ثانية. تهيأت لأجراء عملية اجهاض اذا ما ألحق أذى بالمركبة أو في حال لم يكن السطح قوياً كفاية لحمل ثقلها. وقلت لنيل: "لا بأس. توقّف المحرك." وهما عبارتان تلوتهما من اللائحة.
حرّر نيل جهاز القيادة اليدوي من قبضته وكلانا ما نزال نرتجف بتأثير توتر اللحظات الأخيرة التي سبقت ملامستنا سطح القمر.
تابعت التحقق من بقية فقرات اللائحة وكأنني أُنشدها، فقاطعني تشارلي من هيوستن: "إيغل. أشعرانا بهبوطكما."
نظرت الى صخور القمر وظلاله الغريبة فوجدتها مقفرة كما تصورتها دائماً. وانحنى الافق على بعد كيلومتر ونصف كيلومتر غائراً في سواد الظلمة.
اتصل نيل بهيوستن وأشعر المراقبين برسوّ مركبتنا: "هنا قاعدة الهدوء. لقد حطّ النسر."
فقال تشارلي: "حوِّل، قاعدة الهدوء، أشعرنا بهبوطكما. هنا مجموعة من الفتيان يحبسون أنفاسهم. لقد استرددنا أنفاسنا الآن. شكراً جزيلاً."
مددت يدي وصافحت نيل بحرارة. كان ذلك يوم السبت ٢٠ يوليو (تموز) ١٩٦٩. لقد حط أمريكيان على سطح القمر قبل انتهاء العقد بخمسة أشهر و١١ يوماً. لكنّ الجزء الثاني من تحدي كينيدي، أي عودتنا سالمين الى الارض، ما زال نصب أعيننا.

قفر رائع

كان مفترضاً أن ننام أربع ساعات قبل استكشاف سطح القمر. ولكن يبدو أن من وافق على هذه الخطة لم يكن ملمّاً بعلم النفس. لقد هبطنا من فورنا على القمر، وكميات كبيرة من هرمون الادرينالين المهيّج تسري في جسدينا. ومحاولتنا النوم قبل بدء نشاطنا خارج المركبة كمن يطلب من طفل صباح العيد ان ينتظر حتى الظهر لكي يفتح هداياه.
وبدأت نشاطي بالصلاة. فطلبت من كل من يستمع الي، لا فرق من يكون أو في أي

مكان هو، أن يتوقف لحظة ويتأمل احداث الساعات القليلة الماضية ويرفع الشكر الى الله بطريقته الخاصة.

وشكرت ربي من اجل الذكاء والشجاعة اللذين أتيا بطيارين شابين الى "بحر الهدوء."

استغرق ارتداؤنا بذلتي الفضاء المخصصتين للسير على القمر ثلاث ساعات. فحقيبتا الظهر اللتان تبدوان بسيطتين تحويان ما يكفي من الاوكسيجين والماء المبرّد والطاقة الكهربائية ومعدات الاتصال اللاسلكي لابقائنا أحياء وعلى اتصال بهيوستن لمدة لا تتعدى اربع ساعات.

فتح نيل الباب ونزل درجات السلّم بتأن، ثمّ تطاول وسحب شريطاً لكي يجول بآلة التصوير التلفزيوني. فاتصل ماكاندليس قائلا: "التقطنا صورة على التلفزيون."

وقال نيل: "أنا عند قاعدة السلم." ومن نافذتي راقبته يخطو بحذائه القمري من القاعدة المعدنية المستديرة للسلم الى السطح الرمادي المغبرّ.

"انها خطوة صغيرة لرجُل، وقفزة عملاقة للبشرية."

هبطت السلم لألتحق بنيل بعد ٢٠ دقيقة. وقد جعلت جاذبية القمر الخفيفة المهمة ممتعة ودقيقة في آن. قفزت الى جنب نيل فسألني: "أليس هذا رائعاً؟ انه لمنظر مهيب."

استدرت ببطء على نفسي فرأيت الافق ينحدر بحدة في كل الاتجاهات. كنا ننظر في اتجاه الشمس الغاربة، لذلك لم نرّ سوى فراغ أسود خلف حافة القمر.




"خطوة صغيرة لرَجُل،
قفزة عملاقة للبشرية."

وعلى مدّ النظر رأيت الحصى وشظايا الصخور وفوّهات صغيرة تغطي السطح المنبسط. أخذت نفساً عميقاً اذ شعرت بقشعريرة في رقبتي ووجهي. وقلت: "يا للجمال، يا لهذا القفر الرائع!"

وظهر نيل بجانبي كأنه شبح أبيض وربت كتفي بيده المقفزة. وتبسّمت ابتسامة عريضة مع أن مقدّم الخوذة الذهبي حجب وجهي، فها نحن واقفان معاً على القمر.

أحد الاختبارات كان الهرولة بعيداً عن المركبة لمعرفة مدى قابلية رائد الفضاء للتحرك على سطح القمر. وبعد دورات قليلة من العدو الوئيد بت قادراً على التحرك بسهولة. وشعرت بأن الوقت يمرّ بسرعة عندما أشار الي نيل لكي نكشف النقاب عن اللوحة التذكارية. ووقفنا قرب "إيغل" وقرأ نيل الكلمات: "هنا وطأ أول رجلين من كوكب الأرض سطح القمر في يوليو (تموز) ١٩٦٩. أتينا بسلام من أجل البشرية جمعاء."

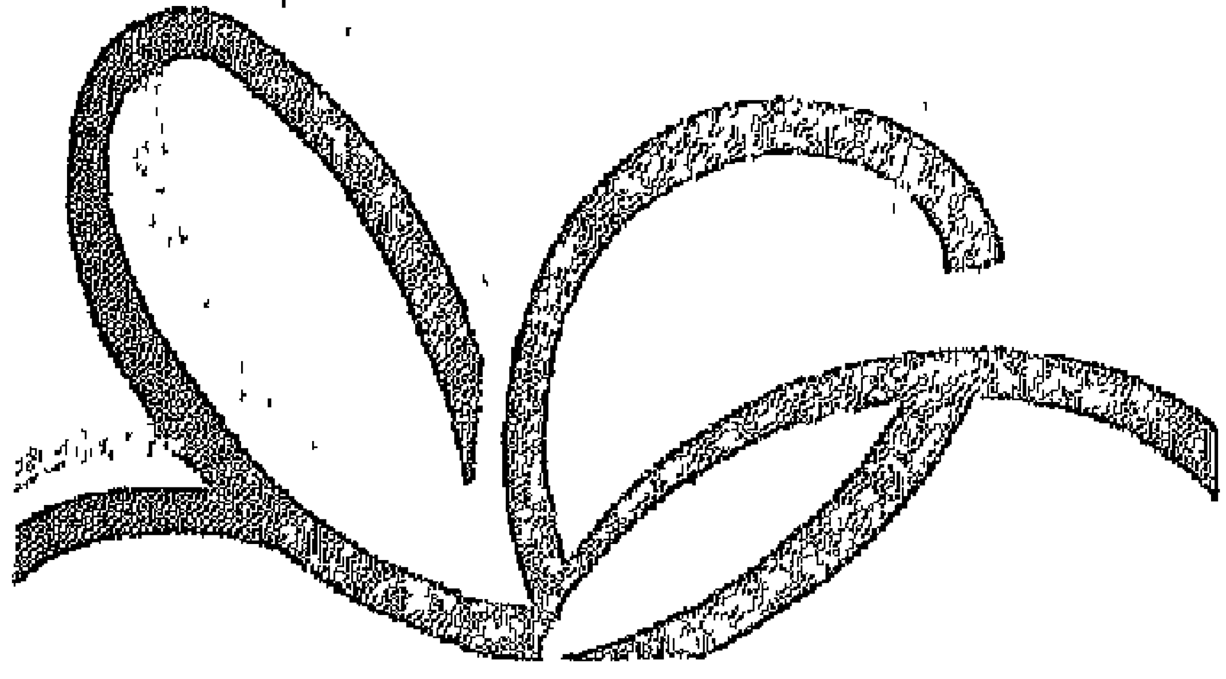
جرف نيل عينات من تربة القمر ووضعها في علبة مخصصة بها، وركّبت أنا ستار الالمنيوم الرقيق للاقطة الريح الشمسية(١٢). فالقمر يمتصّ الريح المتواصلة لجزيئات الغاز المشحون المتدفقة من الشمس، وسيعمل علماء الارض على فحص اللاقطة لمعرفة المزيد عن هذه الظاهرة، ومن خلالها عن تاريخ النظام الشمسي. وشعرت بالرهبة إذ أخرجنا العلَم من حجيرة المعدّات في قاعدة المركبة، فمنذ طفولتي سحرتني مشاهد المستكشفين وهم يغرسون الاعلام على شواطىء غريبة. وها أنا الآن على وشك غرس علم على أغرب شاطىء تطأه قدم انسان. ومن بين كل المهمات الموكلة اليّ أردت ألّا يتعثّر رفع العلم.

على رغم أن سطح القمر تغطيه طبقة من التربة المسحوقة، فتحتها مباشرة تصبح التربة أكثر صلابة. وتناوبنا على غرز سارية العلم لكننا لم ننجح الا في تعميقها بضعة سنتيمترات في التربة، فلم تبدُ ثابتة. وعندما توصلنا الى تقويم العلم أدّيت له التحية العسكرية.

لم أشعر بمرور الوقت. وإذا بروس ينبئني: "لديك ثلاث دقائق للشروع في انهاء نشاطك خارج المركبة." كنت أتسلّق السلم عندما نبهني نيل الى التذكارات. فأخرجت من جيب صغير في كتف بذلتي رزمة صغيرة تحوي الميداليتين السوفييتيتين وملصق بعثة "أبولو ١" وغصن زيتون ذهبياً صغيراً هو واحد من أربعة، وكن أعطينا زوجاتنا ثلاثة

(١٢) Solar - wind collector

فاجئوا من تحبون بهدية لا تنسى



تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او التخرج او عيد الحب...
فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟
فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٨٩/٦/١ و١٩٩٠/٥/٣٠ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٥ دولاراً امريكية باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.

اسم المهدى اليه ____________

____

عنوانه ____________

____

المناسبة وتاريخها ____________

توقيع المهدي ____________



لا تنسوا ان ترسلوا
مع القسيمة والشيك
بطاقة شخصية
موجهة الى المهدى اليه
فنضعها بدورنا ضمن الرسالة
التي نوجهها اليه.

• [illegible]

منها رمزاً لاشراكهن معنا في المهمة. وحوت الرزمة أيضاً قرصاً رقيقاً من السيليكون(١٢) عُلِّم "من كوكب الارض" وفيه رسائل ودية من قادة ٧٣ أمة.

رميت الرزمة على التراب بين آثار أقدامنا المبعثرة. ومرة أخرى فكّرت في إدوارد وايت. فقبل عشر سنين فقط تكلّمنا بحماسة الشباب عن حلمنا.

ليل طويل

داخل المركبة القمرية عبأنا ٢١ كيلوغراماً من الصخور القمرية في صندوقين معدنيين. واحتاجت هيوستن الى تبادل سلسلة لا تنتهي من المعلومات الضرورية لضبط الدماغ الالكتروني الخاص بالملاحة. ثم كان علينا طرح حقيبتي الظهر والحذاءين القمريين وغيرها من النفايات لخفض الوزن من أجل الارتفاع بالمركبة.

وأخيراً حان وقت الطعام والراحة. كان طعم النقانق أشبه بكرتون مالح وعصير الفواكه طبشورياً. وبدأ جوّ المركبة يبرد فتمددت على أرضيتها تحت لوحة التجهيزات واستند نيل الى غطاء المحرّك حاشراً جزمته في علاقة تحت شاشة الدماغ الالكتروني.

كسا الغبار القمري أرضية المركبة والجزء السفلي من بذلتينا. وكان مثل غبار الفحم ورائحته تشبه رائحة البارود المنبعثة من الالعاب النارية. ولم نستطع تفادي تنشق هذا الغبار. فاذا كان فيه أي جراثيم غريبة فأنا ونيل أول من يختبر أثرها.

بعد بضع ساعات تهيأنا للاقلاع. وكان الاتصال اللاسلكي المتواصل الثلاثي الوجهات يصلنا بـ"كولومبيا" وغرفة المراقبة الارضية. وفيما أنا أراجع اللائحة للتأكد من سلامة الاجهزة مددت يدي الى الجهة اليمنى من اللوحة لتهيئة مفتاح قطع الدائرة الكهربائية في محرّك الاقلاع. وجفّ حلقي ذعراً، فمسمار البلاستيك الصغير لم يكن هناك. وهذا التيار يرسل طاقة كهربائية الى المحرك الذي يرفعنا عن القمر. لا بد من أن حقيبة ظهري صدمته بينما كنت أتهيأ للخروج من المركبة.

حدّق كل منا الى صاحبه، فمن دون الطاقة الكهربائية لا يشتعل محرك الاقلاع. كان في امكاننا فتح لوحة المفاتيح ووصل الأسلاك مستعملين عدتنا المتواضعة، لكننا مرهقان ولن نعمل حسناً. وفتشنا حولنا عن شيء نولجه في مفتاح قطع الدائرة الكهربائية، وبعد محاولات عدة وجدنا قلماً رأسه من لِبْد يلائم تماماً الشق الصغير فأقدمناه فيه وحركناه فأومض الضوء على اللوحة. ابتسم نيل فأجبته بابتسامة مماثلة. ها نحن قد تغلبنا على أزمة أخرى.

وأخيراً وافقت هيوسن على اقلاعنا. فراقبتُ أرقام العدّ العكسي على الشاشة وأنشدتها: "ثمانية، سبعة، ستة، خمسة، أربعة... انطلق."

كان الاقلاع قوياً. ولم تهيئنا أيٌّ من تجارب الاقلاع الوهمية لمثل هذا الاندفاع المفاجيء من جاذبية القمر الضعيفة. وخلال ثوان كنا ننطلق بزاوية حادة من خمسين درجة مرتفعين فوق حقول فوهات البراكين.

(١٢) من الاقراص التي تلقّم بها الادمغة الالكترونية.

بعد سبع دقائق من انطلاقنا دخلنا مداراً حول القمر يبعد ١٨ ألف متر عن السطح وبتنا نطير بسرعة ١٥٠٠ متر في الثانية. وسقط الافق وتقوست "كولومبيا" عبر السماء السوداء فوقنا وخلفنا. وشرع رادار الالتقاء والدماغان الالكترونيان على متن المركبتين يفتش بعضها عن بعض، ثم تشابكت وتبادلت الاتصال بلغة رقمية صامتة وبعد مرور أربع ساعات على اقلاعنا من "بحر الهدوء" سمعنا صرير اغلاق المزاليج. لقد نجح مايك في الالتحام بـ"إيغل".

مرت علي أربعون ساعة بلا نوم. وشعرت بثخانة في صوتي وحركتي، لكن هدوءاً داخلياً سيطر عليّ. واشتعلت احدى آلات الدفع في "إيغل" فسرت رعشة في المركبتين.

بعد سبع ساعات دخلنا مدارنا القمري الأخير في محاذاة الخط الفاصل بين الليل والنهار. وكنا ألقينا بجزء "إيغل" المخصص للاقلاع في مدار حول القمر حيث قد يبقى مئات السنين.

كان مايك جاهزاً لبدء عملية "العبور الى الارض." وتستهلك عملية الاشتعال هذه خمسة أطنان من الوقود الدافع في دقيقتين ونصف دقيقة مضيفة ٣٥٠٠ كيلومتر في الساعة الى سرعتنا مما يكفي لخرق جاذبية القمر. وأردنا لهذه العملية نجاحاً أكيداً فراقبنا ثلاثتنا العد العكسي على شاشة الدماغ الالكتروني فيما همس مايك: "ثلاثة، اثنان، واحد..."

حصل الاشتعال كما خطّط له تماماً. وبعد عشر دقائق درنا حول القمر للمرة الأخيرة واتصل بنا تشارلي من الأرض: "لقد وضعناكم في طريق العودة الى الوطن."

انحنى أفق القمر عبر نافذتي، وبدت الأرض في الكون الأسود تنتظرنا بدفئها وترحيبها.

العبور الى الارض

ها نحن نوثق أنفسنا الى المقاعد مجدداً بعد ثمانية أيام من انطلاقنا من كيب كينيدي. ولم يبق من الصاروخ والمركبات التي وزنت ٣٢٠٠ طن لدى اطلاقها الى القمر سوى مركبتنا المخروطية الصغيرة "كولومبيا". وكانت الارض في الساعات الثلاث الماضية تحوّلت من دائرة مشعّة الى كرة ضخمة زرقاء. واتجهنا نحو غلافها الجوي بسرعة ٤٠ ألف كيلومتر في الساعة تحمينا من الامام الدرع الواقية من الحرارة، لنعبر الطوق الوضّاء لغيوم الشروق ونحط في المحيط الهادىء على بعد ١٤٠٠ كيلومتر جنوب غرب هاواي.

على ارتفاع ١٢٠ ألف متر صادفنا الكتل الاولى من الغلاف الجوي، وبعد دقيقتين وجدنا أنفسنا داخل "كرة الرجعة النارية" الهائلة المتوهجة باللونين الأخضر والزهري اذ دخلنا جوّ الارض. وثقلت أطرافنا مع قوى الجاذبية فلم يكن لنا سوى الاسترخاء في مقاعدنا في انتظار أن يخفف الغلاف الجوي سرعة هبوطنا بحيث يمكن فتح المظلّات



فتحت المظلات البرتقالية والبيضاء الثلاث بحركة مفاجئة في الموعد المحدد على ارتفاع ٧٠٠٠ متر. وإذ ترجحنا تحتها راجعنا لائحة التحقق النهائية تحضّراً للهبوط في المحيط. وشممت السديم الدافىء المالح يتصاعد من المحيط الاستوائي لملاقاتنا. انها الرائحة القديمة لكوكب الارض. وما هي الاّ لحظات حتى غطسنا في الماء.

محجرنا الصحي الاول كان قطيرة من الالمنيوم على متن البارجة الامريكية "هورنيت". هناك عرفت أجمل استحمام في حياتي. ثم نظرت من نوافذ الزجاج السميك لأرى الرئيس السابق ريتشارد نيكسون واقفاً وراء مذياع بين الطوّافات والطائرات وهو يلقي كلمة ترحيب بعودتنا. وكان نيكسون معروفاً بتحفّظه وبرودته، لكنه ذلك الصباح في شمال المحيط الهادىء رقص قليلا لدى رؤيتنا. وبدأت أدرك الأهمية التاريخية لرحلتنا.

زارتنا عائلاتنا بين جلسات الاستجواب التقني الطويلة، لكن الجميع اضطروا الى

البقاء خارج المختبر ومحادثتنا هاتفياً عبر نافذة غرفة تشبه حجرة المراقبة في محطة تلفزيونية أو رواق الزيارات في أحد السجون. وكانت زوجتي جون تبتسم لي من خلال عينيها الدامعتين. وأعتقد أننا في تلك اللحظة أدركنا أن حياتنا تبدّلت الى الابد بفعل رحلتي.

أخلينا من الحجر الصحي بعد ١٤ يوماً اذ لم تظهر على أحد منا أعراض مرضية وإن زكاماً بسيطاً بسبب الغبار القمري. وفي ١٣ أغسطس (آب) أرسلتنا "ناسا" في جولة، وذلك الصباح في مدينة نيويورك ركبنا ثلاثتنا سيارة مكشوفة عابرين شارع برودواي الشهير. وضجت الارصفة بالهتاف والتصفيق، وامتلأ الجو بقصاصات الورق الملون التي نثرت ابتهاجاً بالمناسبة. ومررنا بفرق كشفية تحمل أعلاماً أمريكية.

رأيت أن أمريكا ركزت فرحها علينا، نحن الذين غرسنا علمها على القمر. وشعرت بقشعريرة فخر ببلادنا التي أرسلتنا في مهمتنا الجريئة.

باز ألدرين ومالكوم ماكونيل ■

ترجمة نهلا رزق



فضول اختباري

علقت لافتات كبيرة في كلية علم النفس كتب عليها "اختبار في علم النفس"، وأشارت أسهم تحت اللافتات الى باب يحمل اللافتة الآتية: "اختبار في علم النفس اليوم." وبعد مروري مع صديقي غير مرة أمام الباب تساءلنا عما يجري في الداخل. وأخيراً دخلنا لنجد الغرفة خالية الا من امرأة جالسة الى طاولة. فابتسمت لنا شاكرة اشتراكنا في التجربة.

كانت التجربة عن الفضول لدى الانسان.

ج.س.

نفخة سحرية

بينما كنت خارجاً من السوبرماركت حاملا أكياس مشترياتي لاسبوع كامل، لفتني طفل في عربة ينظر اليّ. وإذ دست البساط المطّاطي الذي يشغّل الباب الزجاجي الآلي، نفخت وجنتي وزفرت بقوة. وقد جعلني التعبير الذي ارتسم على وجه الطفل عندما فتح الباب ابتسم طول النهار.

ج.ت.

الأفكار شبيهة بالاولاد الى حد بعيد، فالمرء معجب بأولاده لا محالة.

أ.ب.

أكمل الصحيح

تضم الدائرة في هذا العدد أوصافاً تكملها موصوفاتها لتؤلف أمثالاً شاعت عند العرب. وقد وُضع أمام كل وصف أربعة موصوفات، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار العبارة التي يعتبرها مناسبة، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة.

١. آخر الداء: الكي - الدواء - الموت - الحمى.
٢. تاج المروءة: الكَرَم - الصدق - التواضع - النصر.
٣. أول الغيث: غمام - قَطْر - سيل - خصب.
٤. ضالَّة المؤمن: الكتاب - العدل - السكون - الحكمة.
٥. حيلة من لا حيلة له: الكذب - الهرب - الصبر - الذل.
٦. أخو الرضى: الجبن - السكوت - الرفض - الحب.
٧. خير الكلام: ما كثر - ما سُمع - ما نمّق - ما قل ودل.
٨. قَبْلَ العقاب: العتاب - الصواب - الثواب - الحساب.
٩. شريك العمى: الهوى - الصمم - البكم - الظلم.
١٠. سلاح الضعفاء: الخجل - الحقد - الشكاية - الغدر.
١١. مطيّة الجهل: الشيخوخة - الغنى - السلطة - الشباب.
١٢. شرُّ البليَّة: ما يبكي - ما يضحك - ما يخفى - ما يسقم.
١٣. جليس المرء: أخوه - مِثْلُه - فكره - ضيفه.
١٤. زادُ العَجُول: الخوف - الطمع - الخطأ - الغضب.
١٥. تمّام الربيع: الصيف - الحر - الشتاء - الزرع.
١٦. آفة العلم: الجنون - العزلة - الجهل - النسيان.
١٧. نِعْم المؤدِّب: المعلم - الدهر - الأب - السفر.
١٨. قَيْدُ القلوب: لِيْن الكلام - الحب - الشعر - المال.
١٩. بيت الداء: القلب - الرأس - المعدة - الكبد.
٢٠. مطيّة التعب: الاجتهاد - الحسد - الرضوخ - الكسل.
٢١. شر الاصحاب: الضمير - الجهل - الاقرباء - الفقراء.
٢٢. أخو القاتل: العاذل - الجاهل - الهازل - الخاذل.
٢٣. مفتاح الفرج: الموت - الحظ - الصباح - الصبر.
٢٤. بئس الردف: لا بعْد نعم - نعم بَعْد لا - الشتيمة - الحلفان.
٢٥. خيرٌ من جليس السوء: النوم - الوحدة - الاخرس - المجنون.

١. "آخر الداء الكَيّ." يُضرب لانتهاء الداء الى أقصاه. ومعناه أن المريض يعالَج بكل دواء فلا يوافقه، فاذا عولج بالكي لم يبقَ بعده دواء والا فهو الموت.

٢. "تاج المروءة التواضع." والمروءة هي النخوة وكمال الرجولية.

٣. "أول الغيث قَطْر." وقيل: "أول الشجرة النواة" و"أول الغضب جنون وآخره ندم."

٤. "الحكمة ضالة المؤمن." يعني أن المؤمن يحرص على جمع الحكم من أين يجدها يأخذها.

٥. "حيلة من لا حيلة له الصبرُ."

٦. "السكوت أخو الرضى." وقيل أيضاً: "رُب سكوت أبلغ من كلام."

٧. "خير الكلام ما قلّ ودلّ." وقيل: "خير الأمور أوساطها" و"خير المال ما نفع" و"خير الناس مَنْ فرح للناس بالخير."

٨. "العتاب قبل العقاب." أي أَصلِح الفاسد ما أمكن بالعتاب، فان تعذّر فبالعقاب. وقيل أيضاً: "العتاب خير من مكتوم الحقد."

٩. "إن الهوى شريك العمى." وقيل أيضاً: "إن الهوى الهوان."

١٠. "سلاح الضعفاء الشكاية." وقيل: "سَلْح الحبارى سلاحه" أي ان هذا الطائر يتقي من يسطو عليه بسلحه وذلك أنه يبني عشه في أعالي الشجر فاذا تسلق أحد ألقى ذَرْقه على وجهه فاشتغل المعتدي بنفسه وكف عنه.

١١. "الشباب مطيّة الجهل."

١٢. "شرُّ البليّة ما يضحك." وقيل: "شرّ من الموت ما يُتمنى معه الموت."

١٣. "جليس المرء مثله." وقيل: "وخير جليس في الأنام كتاب."

١٤. "الخطأ زادُ العجول."

١٥. "تمّام الربيع الصيفُ." أي ان آثار الربيع تظهر في الصيف الذي يكمله.

١٦. "آفة العلم النسيانُ." وقيل أيضاً: "آفة الجود الاسرافُ" و"آفة الحديث الكذبُ."

١٧. "نِعْمَ المؤدبُ الدهرُ."

١٨. "ليِّن الكلام قَيْدُ القلوب." وقيل أيضاً: "كلام الليل يمحوه النهار" و"رُبّ كلمة سلبت نعمة" يُضرب في اغتنام الصمت.

١٩. "المعدة بيت الداء."

٢٠. "الحسد مطيّة التعب."

٢١. "الجهل شر الاصحاب." وقيل: "الجهل مطيّةٌ مَن ركبها ذلّ ومن صحبها ضلّ."

٢٢. "الخاذل أخو القاتل." والخاذل هو من ترك نصرة صاحبه.

٢٣. "الصبر مفتاح الفرج." وقيل أيضاً: "حيلة من لا حيلة له الصبرُ."

٢٤. "بئس الردفُ لا بَعْدَ نعم." قال الشاعر:

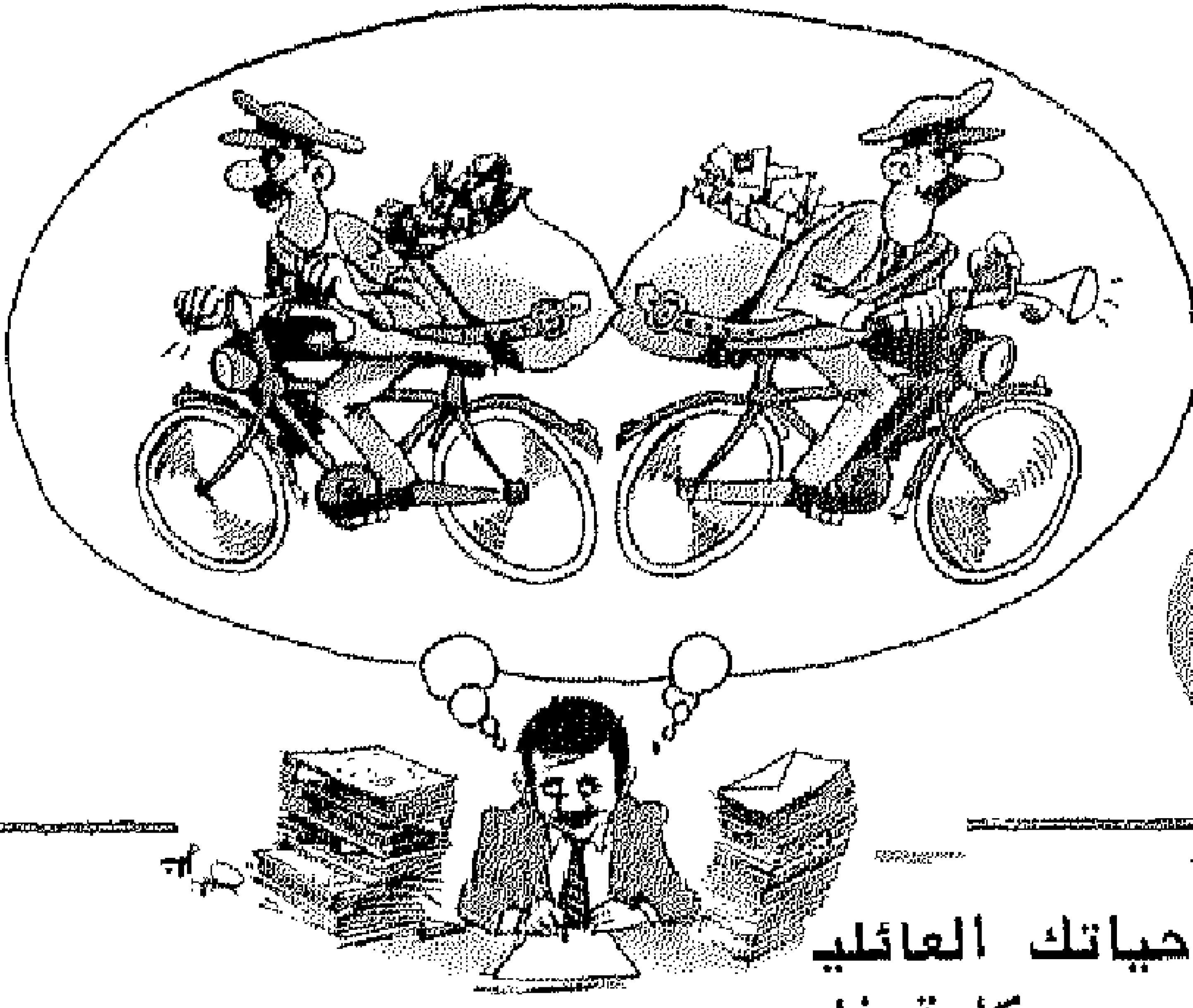
حسنٌ قول نعم من بعد لا
وقبيح قول لا بعد نعم

٢٥. "الوحدة خيرٌ من جليس السوء."

المستوى

٢١ - ٢٥ : ممتاز
١٦ - ٢٠ : جيد جداً
١١ - ١٥ : مقبول

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

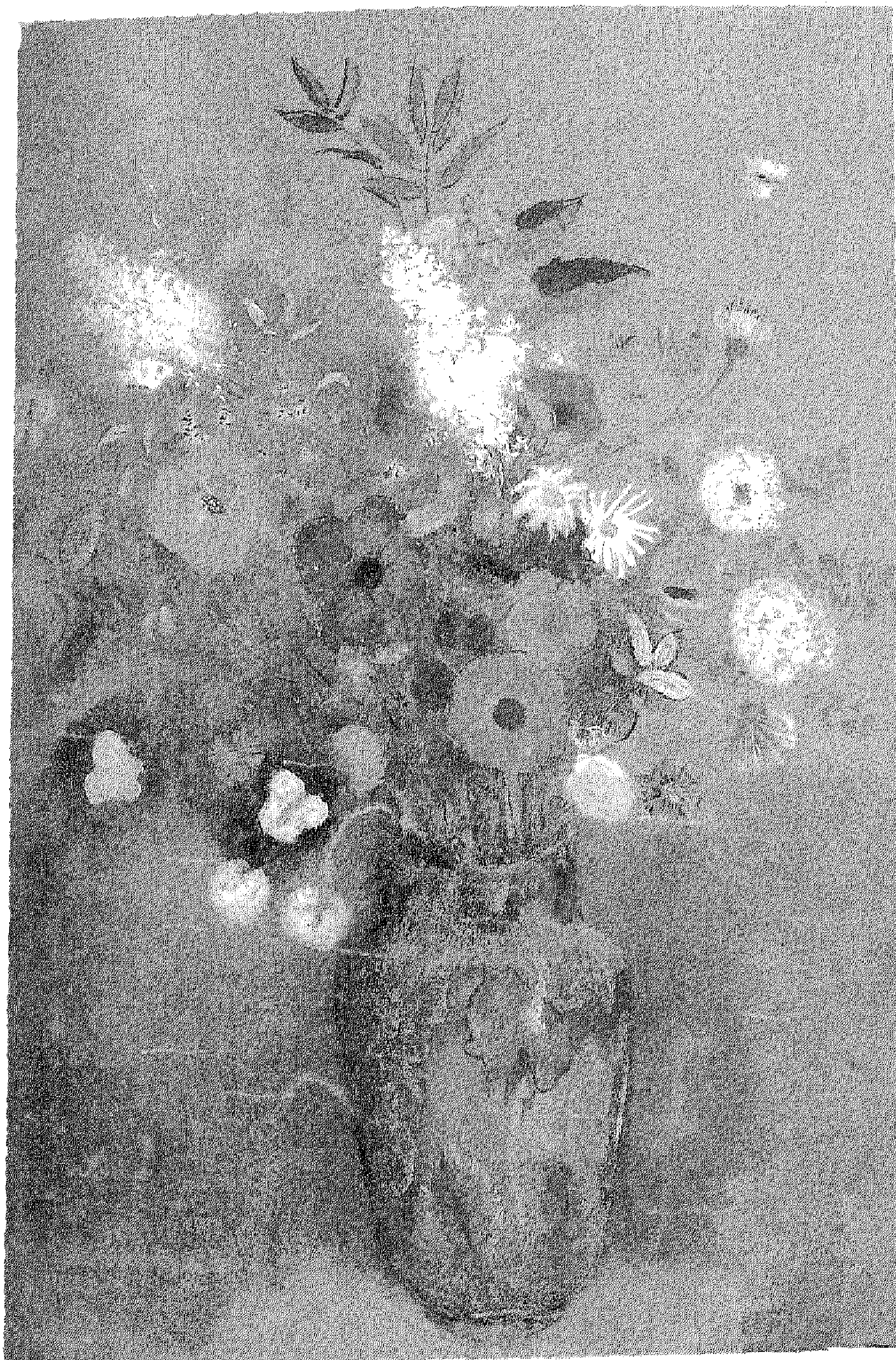
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص. ب ٥٥٢٣٨، المتن الشمالي، لبنان.



Courtesy of The Metropolitan Museum of Art

"باقة زهر" للرسام الفرنسي أوديلون رودون

نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩ - ربيع الثاني ١٤١٠

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest November '89 N° 132

أوسع المجلات انتشارا في العالم



أطفال من العالم

(ص ٦٥)

لب جديد لعمر

(ص ٥٦)

يمس بوند ائع الحليب !

(ص ١١٤)



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

أمانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.

الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.

الهاتف ٣٤٥٧٣١ – ٣٤٩٤٧٧ التلكس، MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

November '89 N° 132 (New Series) Vol. 11

لبنان ٥٠٠ل – سورية ٣٠ل – الأردن ٧٠٠فد – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف –
السعودية ١٠ر – مصر ١،٥ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٧ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب –
تونس ٧٥٠م – المغرب ٧د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٢٥د

يالهَا مِن نكهةٍ غَنيّةٍ ولذيذةٍ!

Carnation®

Coffee-mate®

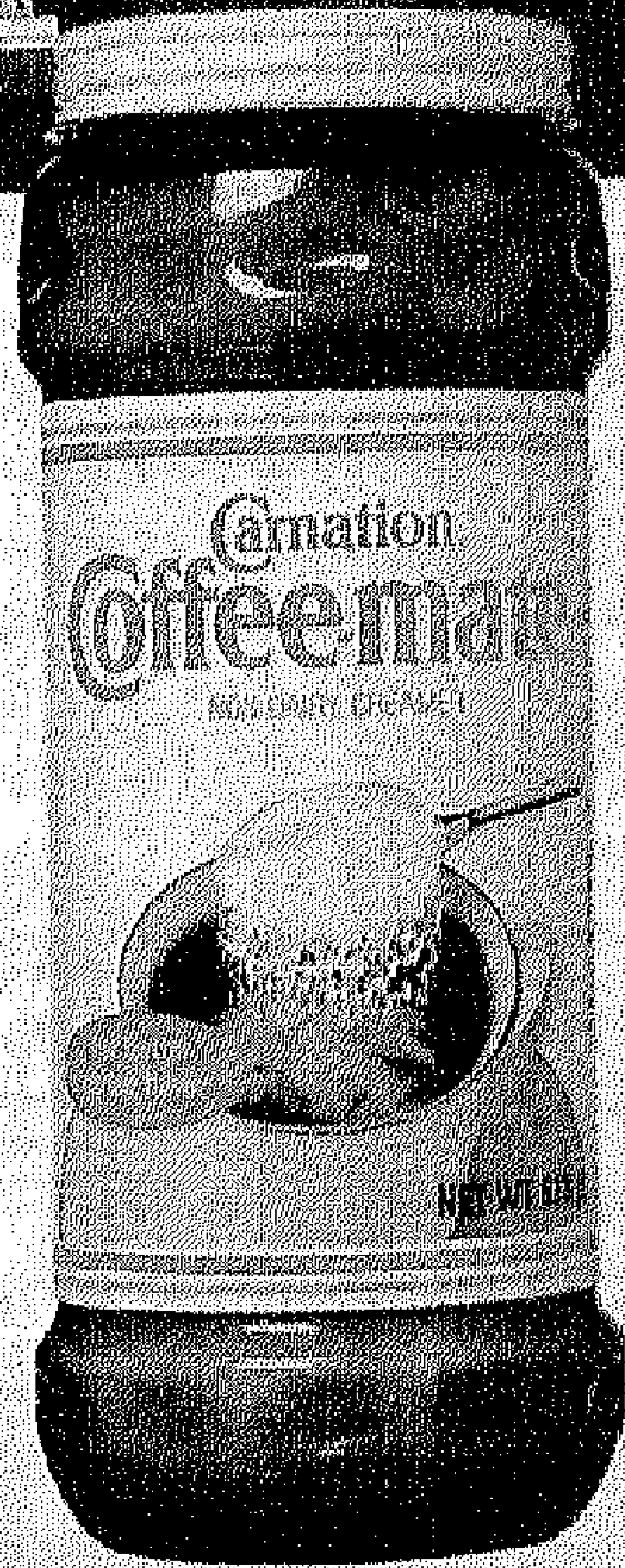
كريمة مُبيضة للقهوة

كوفي-ميت يجعَل طَعم قهوتك سَلِسًا لذيذًا
ويُغنيك عَن المَواد الدسِمَة

كارنيشن
كوفي-ميت

يُضيفي إلى قهوتك نكهة غنيّة

مِن إنتاج Carnation كارنيشن



المحامي والشاب الضالّ

استجوبني المحامي ليرى ما اذا كنت في خطر وقد كان الخطر يتهددني حقاً

حدث ذلك في صيف ١٩٥٧. كنت في الثالثة والعشرين من عمري، وأقولها باعتدال: كنت منجرفاً مع التيار. بعدما تركت كتيبة المظليين تحولت الى الشراب والعراك في الحانات والصدامات الصباحية مع الشرطة. لا عمل ثابتاً لي، ولا آمال.

وكانت والدتي تعمل لدى محام في نيويورك. واذ كان دائماً يظهر اهتماماً بأسرتها أخبرته عن المشاكل التي أسببها. ودهشت عندما اتصل بي جو طومسون لتعيين موعد غداء، فأنا أعلم كم كان هذا المحامي مشغولاً، وكم هو قاس أحياناً.

ألتقينا في مطعم فخم في المدينة حيث أسمطة الطاولات بيضاء والصحون والاطباق من الخزف الصيني النفيس. شعرت بأنني غير مرتاح بالبذلة الرسمية النظيفة التي ارتديتها، فهي لم تكن الزي المعتاد الذي أرتديه عند الشرب.

كان طومسون شخصاً مخيفاً أكثر مما تصورت. مديد القامة، أبيض الشعر، يرتدي بذلة مقلمة مع صدرة وساعة جيب. ولكن أكثر ما أذكره عيناه الزرقاوان الباردتان تخترقان داخلي.

طلبنا الطعام وانطلق هو في الكلام. كان أسلوبه مسرحياً مفرطاً في التمثيل. وكان واضحاً أنه اعتاد بلوغ ما يريد، وله طريقة مربكة في المثابرة على الاستجواب: ماذا أنا فاعل بحياتي؟

لا جواب لدي. لم يسبق لأحد أن كلمني بمثل هذا الهدوء.

كان الرجل غير رحيم. قال بحدة ان علي أن أتصرّف على نحو أفضل كرمى لخاطر والديَّ ومن أجل مصلحتي. احسست بشعري يقفّ. بحق السماء، من تراه يعتقد نفسه، هذا الرجل؟ لكن لهجته لانت بعدئذ. عرض علي أن يتدبر لي عملا في شركة تأمين. واذا ما أردت دخول الجامعة فهو سيساعدني.

فكرت: انه لامر مضحك والله! وللمرة الاولى في لقائنا نطقت: "انتظر دقيقة، ان سجلّي في الدراسة الثانوية لم يكن عظيماً، ولا أظن أنني أستطيع دخول الجامعة."

تجاهل محاولتي الحوار، وأبلغني أنني اذا ما شئت أن أجرب جامعة منهاتن التي تعلم فيها والدي، فهو سيسعفني. وكانت تلك النظرة، ثانية، تلك النظرة النافذة للعينين الزرقاوين التي تطلب الامتثال. كان من الواضح أن لا خيار لي. فوافقت، أو لأكن أكثر دقة، أذعنت.

بعد أسبوع في يوم حار من أغسطس (آب) توجهنا شمالا الى الجامعة. فجأة انحرف طومسون بسيارته الى جانب الطريق وتوقف.

قال: "لنصلِّ كي ننجح."

هل هو جديّ؟ صدمت تماماً وتبعته وجثوت على جانب الطريق العامة. أحسست بذلّ وأنا راكع هناك والسيارات تمر هادرة على بعد أمتار. لكنني ادركت آنذاك أن تحديه لا يجدي. أغمضت عيني، ثم أخذت أسرق النظرات مجانبة، وهناك كان ذاك المحامي في بذلته المقلمة، عيناه مغمضتان، ويداه مشبوكتان، وشفتاه تتحركان بالصلاة.

في الجامعة التقينا الاستاذ غريفوري عميد كلية الآداب والفنون. قال له طومسون: "يا أستاذ، هذا الشاب سيخسر نفسه، انه مشاغب، لا هدف له."

تمنيت لو أستطيع الزحف تحت بلاط الارض. تكلم طومسون عن التقاليد وعن عائلتي وكأنه واقف أمام هيئة محلفين في محكمة يدافع عن قضيتي.

أصغى الاستاذ غريفوري بطول أناة، لكنه أبلغنا أن صف السنة الاولى مكتمل، ووعد بأن ينظر في أمري اذا ما خلا محلّ.

في سبتمبر (أيلول) قبل بدء الدراسة تلقيت اتصالاً هاتفياً من الجامعة.

قال الاستاذ غريفوري: "عندنا محلّ خال، أتريد أن تحضر وتجرّب حظك؟"

أجبت: "أجل، بالتأكيد."

لكنني لم أكن متأكداً فعلا، فلا فكرة لدي عما سأفعل. ونقفت قطعة نقد في الهواء.

في اليوم التالي حضرت بهمة فاترة درسي الاول في الادب العالمي. وهناك حدثت أعجوبة.

بدا أستاذي ألبيان أنطوني كأنه سينفجر حماسة لافكار امرىء يدعى أرسطاطاليس أما أنا فجلست مأخوذاً كأنني تحت تأثير تنويم مغناطيسي. ولم أستطع أن أصدق أن رجلا يمكن أن يكون ذكيا مثل أرسطاطاليس هذا.

كانت الاعجوبة شبه انفجار انطلق في رأسي. كان مثل وميض قنبلة هيدروجينية، وهو غيّر فجأة أسلوب تفكيري في نفسي وفي العالم. أنا لست سكيراً، وأنا لست جنديا سابقاً فحسب. شعرت بالانتماء. وفي تلك اللحظة

الفريدة الرائعة أيقنت أنني أستطيع أن اكون طالباً.

أغرقنا في سيل جارف من الافكار عن تاريخ العالم، والادب واللغة والفلسفة. لكنّ ثمة أمراً أهم، أننا جميعاً كنا مأخوذين بالاثارة التي بهرتنا بها عملية التعلّم. ولا أريد أن أغالي، ولكن كان لدينا ادراك غير معلن أننا في رحلة ممتعة.

هذا لا يعني أنني أصبحت رجلاً باراً. وكثيراً ما أمضيت وقتاً في حرم الكلية أمام نصب تذكاري أناقشه بصوت عال في الشؤون السياسية أو الفلسفية أو في لا شيء. وما زلت أذكر تلك الوجوه الحمر والضحكات المكتومة وغير المكتومة لأناس مرّوا بي.

كانت تلك أياماً سعيدة، خصوصاً منذ عرفت أنني لم أكن مخطئاً. لكن سلاحي الآن هو عقلي وليس قبضتي.

لو قال لي امرؤ، عندما نقفت قطعة النقد باصبعي في الهواء في ذلك اليوم البعيد، انني سأكون قائداً طالبياً لضحكت في وجهه. لكنني في سنتي الثانية انتخبت رئيساً لجمعية الطلاب المتخصصين باللغة الانكليزية، ومراسلا لصحيفة الجامعة، ورئيساً لنادي التمثيل. وفي العام ١٩٦١ جلست أسرتي باعتزاز في قاعة الاحتفالات وصفقت لي وانا أتسلم شهادتي.

وتركت ذلك المكان وحلمي أن أصبح كاتباً.

من وقت الى آخر أسمع عن جو طومسون من والدتي. ثمة دائماً قصص أشبه بالاساطير عن نجاحه، او عن تجريحه رواية شاهد في المحكمة، أو عن اغضابه رجلاً نافذاً. وعلى رغم أسلوبه الخشن كانت له رقة تظهر في عمله الخيري مع أناس بائسين. وربما كان ذلك هو الجانب الآخر لرغبته في ضبط من هم حوله تدفعه الى محاولة تحسين أقدار الناس. انه كان عاطفياً جداً مما حمل زملاءه المحامين على تسميته "الرجل الذي يحمل بصلاً في جيبه" وذلك لنزوعه الى البكاء في المحكمة.

حتى الآن، لا فكرة لدي عما فعله طومسون من أجلي. لكنني أظن أنني تقديراً له وجدتني مرة ثانية أمام الاستاذ غريغوري أناشده لمساعدة صاحب لي كان متضايقاً في جامعة أخرى. بدا العميد متسلياً بالتكرار الظاهر للاحداث، لكنه وافق على تسجيل اروين ولوسكي في الجامعة. وتخرج اروين أيضاً بعدما غاص في دنيا الافكار العظمى. ويراودني أحياناً أن جو طومسون بدأ سلسلة من صغار خائبين يساعد أحدهم الآخر، وهذه السلسلة مستمرة الى اليوم.

قبل سنوات سمعت أن جو، الذي تجاوز السبعين وبات مقعداً نتيجة التهاب المفاصل، يعاني مرض الانوريسما أي تمدد الاوعية الدموية وهو في صحة واهية. وأسوأ من ذلك أنه لم يعد يستطيع ممارسة المحاماة. كان حزيناً جداً. وخطر لي أنني لم أشكره أبداً، هذا الرجل الذي حضني ببادرة طيبة حازمة على تقويم مساري. فأخذت نسخة من كتابي الاول المنشور وكتبت في الصفحة الاولى:

عزيزي جو،

تجد طيّه الكتاب الاول الذي ألفته. فكرت في أنك تود أن تعلم أن الامور تسير حسناً. أنا

أقضي وقتي في الكتابة، وقد ألّفت ستة كتب. وأنا متزوج وسعيد ولي ثلاثة أولاد.

لكنني أريد أن أقول، يا جو، ان شيئاً من ذلك لم يكن ليحصل لولا الحب والايمان اللذان منحتني اياهما في ذلك اليوم من صيف ١٩٥٧. أنا لن أنساك أبداً يا جو.

مع محبتي،
طوم.

بعد اسبوع تلقيت رسالة من جو كتبت بصعوبة واضحة:

عزيزي طوم،
جعلت رجلاً عجوزاً يبكي.
ليباركك الرب.
جو.

بعد أسبوعين توفي جو طومسون. وأثناء الجنازة أخبرتني أرملته دوروثي أن اهدائي أخرجه من الكآبة.

واذ غادرت المأتم فهمت الحقيقة للمرة الاولى. أنا أعطيت جو بضعة أيام من السعادة، أما هو فقد أعطاني حياتي.

طوم فيلبين ■



زوج مرتّب

ما إن عرضنا بيتنا للبيع حتى تلقينا مكالمة تعلمنا بأن زبائن هم في طريقهم الينا. فهرعت وزوجي في محاولة مسعورة لترتيب المكان قبل وصولهم. توجّه هو الى غرفة الضيوف حيث تكوّم الغسيل غير المطوي فوق السرير، وغسلت أنا الصحون المكدسة في المطبخ. وبعد انتهاء مهمتي دخلت غرفة الضيوف، فوجدت نتوءاً متطاولا تحت غطاء السرير. وهمس زوجي في أذني مازحاً: "ششش... العمّة سعاد نائمة."

د.غ.

وجه الشبه

أمضيت وقتاً طويلا أجهّز نفسي لأول حفلة راقصة احضرها. فقد تبرّجت وصفّفت شعري واستعرت فستاناً أزرق.

وفي الحفلة، اغتبطت عندما اقترب مني تلميذ وسيم وسألني: "هل أنت أخت هالة سعيد؟" ولدهشتي، أجبته متلعثمة: "وهل لاحظت الشبه؟" فرد قائلا: "كلا ولكني اعرف الفستان."

هـ.هـ.

اقتصادي صغير

ابني في السابعة من عمره ويتقن قواعد علم الاقتصاد الحديث. ذات يوم كلمني عن حاجته الى المال في رحلة خططت لها العائلة، فقلت له: "يمكنك أن تكسب مالا اذا أنت ساعدت في أعمال المنزل." فأجاب برويّة: "أبي، أنا لم أقل انني أريد كسب المال، بل قلت انني أريد الحصول عليه."

د.ج.

Reader's Digest
المختار
نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩
ربيع الثاني ١٤١٠
السنة الحادية عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع

البصمات الوراثية تكشف المجرمين

كانت الادلة الجرمية واهية ولا بد من برهان علمي قاطع لمعرفة القاتل

هرع روب براين (٣٢ عاماً) خارجاً من بيت المزرعة الذي كان يستأجره، وانطلق بشاحنته الخفيفة في الطريق المؤدية الى منزل جاره دانا غليسون. كانت الساعة تشير الى السادسة والنصف مساء ذلك الاحد في السادس والعشرين من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦. وصرخ براين عندما فتح له غليسون الباب: "استدعِ سيارة اسعاف، لقد حدث أمر رهيب لزوجتي."

تولت زوجة غليسون أمر الاتصال الهاتفي بينما عاد زوجها مع براين الى المزرعة.

كانت شيلي براين ممددة على ظهرها بلا حراك على سجادة مغمسة بالدم في مدخل غرفة الجلوس. كانت ثيابها ممزقة، ونفسها يتقطع في حلقها، ووجهها كتلة من الدم وقد انتفخ اللحم حول عينيها فظهرت نظاراتها كأنها غارقة فيه. وكانت بالقرب منها طاولة

للقهوة ثقيلة الوزن قلبت على جانبها وكسرت اثنتان من قوائمها. قال براين مرتجفاً: "هكذا وجدتها. لا أدري ماذا حصل."

وقف غليسون مشدوهاً ثم عاد مسرعاً الى بيته ليتصل بالشريف(١) وانتظر بعد ذلك على الطريق حاملا مشعلا كهربائياً لارشاد فريق من المسعفين المتطوعين الى منزل براين. وحُملت شيلي الى مستشفى صغير في نيوتن (كنساس) يبعد مسافة ٣٠ كيلومتراً الى الجنوب.

قال أحد الاطباء لروب: "يبدو هذا الجرح كأنه اصابة بطلق ناري. انها في حاجة الى جراحة." ونقلت شيلي مسافة ٤٠ كيلومتراً أخرى الى مركز "سانت فرنسيس الطبي الاقليمي" في ويتشيتا حيث كان في انتظارها فريق مختص بمعالجة الصدمات والجروح. وبعد منتصف الليل اقترب احد الاطباء من براين في غرفة الانتظار قائلا: آسف، لن نستطيع انقاذها. لقد توقف دماغها."

شاهدان. عند منتصف الليل وصل المدعي العام اد ويلر (٣٤ عاماً) الى منزل آل براين حاملا مذكرة تفتيش، ومعه بيل ميولر وهو تحر خاص تابع لمكتب التحقيق في ولاية كنساس. عثرا على غلاف فارغ لرصاصة مسدس من عيار "٢٢" قرب أريكة في غرفة الجلوس، وعلى سروال نسائي من الجينز مصرور ومرمي تحت عربة المشروبات في المطبخ. وأخذت عينات من السجادة بغية اخضاعها لتحاليل مخبرية.

كشف الاطباء في ويتشيتا لاحقاً أن النار اطلقت مرتين على شيلي وأصابتها بين عينيها. وكانت هناك خدوش على ذراعها اليمنى وكدمات على كتفها اليسرى ودلائل تشير الى أنها تعرضت لاغتصاب.

لم يكن أحد من السكان المجاورين لمنزل براين سمع طلقات نارية. وتذكرت فتاة كانت تتنزه خارجاً في ذلك الاحد أنها سمعت هدير انطلاق محرك على الطريق الخاصة المؤدية الى بيت آل براين، ثم رأت دراجة نارية أو عربة بثلاث عجلات على الطريق. ورأى جار آخر دراجة نارية منطلقة من تلك الطريق قرابة الخامسة والنصف عصراً لكنها لم تسترعِ اهتمامه لانه تعود رؤية براين يدخل ويخرج على دراجته.

أما براين فأكد أنه لم يخرج بدراجته ذلك النهار. إذ انه في السادسة صباحاً ذهب لاصطياد البط في منطقة خزان ماريون التي تبعد نصف ساعة عن منزله وبقي هناك الى وقت متقدم بعد الظهر، ولكن لم تكن في حوزته طريدة واحدة تدعم أقواله. وفي طريق عودته بعيد الخامسة توقف في مطعم هادىء حيث تناول قهوة وشطيرة. فلم يستبعده المحققون كمشتبه فيه.

راية خطر. منذ زواجهما في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٤ حدثت بضعة صدامات كلامية بين الزوجين الشابين لكنها لم تكن خلافات خطيرة. كانا يبدوان مكتفيين برفقة واحدهما الآخر، ويقضيان معظم أمسياتهما بهدوء في البيت. وفي

(١) الشريف هو المسؤول الامني في البلدات الامريكية.

عطلات نهاية الاسبوع كانا يحبان التخييم وصيد السمك.

الظل الوحيد الذي خيم على حياتهما كان المال. فالمصاريف الطبية التي ترتبت على خضوع شيلي لجراحة استئصال الحصى من المرارة أدت الى افلاس الزوجين. وساءت حالهما المادية عندما سرّح روب من عمله نهار الجمعة الذي سبق وفاة شيلي.

بدا حزنه وذهوله حقيقيين في عيني التحري بيل ميولر (٤٣ عاماً) وهو عميل سابق في مكتب التحقيق الاتحادي (FBI) فبدأ يميل الى نظرية ان القاتل رجل يعرف عائلة براين.

في محيط روب براين كان أوليفر سميث (٣٤ عاماً) زميله في العمل ورفيقه في الصيد هو الرجل الوحيد الذي يعلم مكان اقامة عائلة براين، وكان يملك دراجة نارية ومسدساً من عيار "٣٢".

في الصيف الذي سبق وقوع الحادث عمل الرجلان جنباً الى جنب مدة ٨٠ ساعة في الاسبوع وهما يحملان أجزاء مبنية من الاسمنت في الشاحنات. كانا صديقين حميمين يزور أحدهما الآخر على الدوام. وفي عطلة ذلك الاسبوع كان سميث على علم برحلة روب لصيد البط.

عندما سئل سميث عن الأسلحة التي يملكها وصف بعضها لكنه أغفل ذكر المسدس. وسأله ميولر: "هل تملك مسدساً من عيار ٣٢؟" فأجابه: "آه، نعم، نسيت أن أطلعك على ذلك."

شك منطقي . بعد مضي تسعة أيام على وقوع الجريمة وافق سميث على اختبار مسدسه في ميدان الرماية التابع للشرطة في نيوتن. وأظهرت غلافات الرصاصات أثراً فريداً حيث ضرب قادح المسدس رأس الغلاف. ولم تترك علامات القذف اي شك بعدما درست مجهرياً، فالغلاف الذي وجد في مكان الجريمة أتى من مسدس سميث. صادر ميولر السلاح وحصل على عينات من دم سميث وشعره.

وفي مقابلة أجريت في ديسمبر (كانون الاول) في حضور محام قال سميث انه احتفظ بالمسدس في شاحنته الخفيفة أو في منزله وانه لم يخرج يوماً عن حوزته، وأضاف أنه لم يستعمل المسدس الا للتمرن على الرماية. وعندما سأله ميولر هل أطلق النار على شيلي براين أجابه بالنفي الشديد.

على رغم أن أصدقاء لسميث حددوا مكان وجوده في نيوتن وحولها خلال فترة بعد الظهر وفي المساء، يوم وقوع الجريمة، وجد ميولر ثغرات زمنية في حجة الغياب. كانت المزرعة في غوسل تبعد أقل من مسافة نصف ساعة في السيارة. وحكم المفتش أن سميث كان يملك الفرصة لارتكاب الجريمة.

وعلى مر الاشهر أخذت كل الدلائل تشير الى سميث. وتمكن المفتشون من تحديد صياد آخر تبادل حديثاً مع براين قرب الخزان في ذلك الاحد. يقول اد ويلر: "كنا متأكدين من أن سميث هو القاتل، لكن ذلك لم يكن كافياً لرفع دعوى."

على رغم أن غلاف الرصاصة انطلق فعلا من مسدس سميث، لم يكن في وسع ويلر أن يثبت، خارج حدود الشك المنطقي، أنه كان سلاح الجريمة. لقد نشطت

الرصاصات القاتلة فلم يعد ممكناً ان تعزى الى مسدس محدد. قد تكون غلافات الرصاصات وقعت من جيب سميث أثناء احدى زياراته.

وجدت آثار دم على ماسورة المسدس مما أدى الى التشكيك في ادعاء سميث أنه لا يستعمل المسدس الا للرماية على هدف ثابت. ومع ذلك يمكن تفسير الامر بغير ذلك.

أظهرت التحاليل التي أجريت على عينات السجادة وجود شعر عائد الى جسد زنجي. وكان سميث زنجياً. ومرة جديدة كان ممكناً ان الشعرات سقطت منه في أي وقت.

وتبين من آثار المني على سروال الضحية أنها لرجل فئة دمه «O» . وكان دم كل من روب براين وسميث من هذه الفئة. وأجري مزيد من تحاليـل البروتيين والانزيم (الخمائر) أبعد براين عن الشبهات وانطبق على سميث. لكن تلك المواصفات كانت تنطبق على أكثر من ٢٠ في المئة من السكان ايضاً.

الشاهدان اللذان رأيا الدراجة النارية لم يستطيعا وصف الراكب ولا دراجته. وفحص التقنيون بصمات الاصابع في منزل آل براين، فلم يعثروا على أثر لبصمات سميث.

ظاهرياً، كان سميث زوجاً ودوداً جذاباً ووالداً لصبي يافع. الا أن التحقيقات العنيدة أظهرت جانباً مظلماً من حياته. فهو في فترة ما كان يشرب كثيراً ويتعاطى المخدرات، ولكن لم يكن ذلك اثباتاً لارتكابه الجريمة.

قرر ميولر وويلر المضي بما لديهما.

زيارة مشؤومة. في منتصف سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧ قبض على سميث واتهم بجريمة الاغتصاب والقتل من الدرجة الاولى وسجن، وحددت كفالة لاطلاقه بمبلغ ١٠٠ ألف دولار. كان هناك ١٥ زنجياً فقط يقطنون في مقاطعة ماريون. وبغية الحصول على عدد أكبر من المحلفين الزنوج نقلت القضية الى مدينة جانكشن في مقاطعة غيري المجاورة. وعُين ستيفن أوبات (٣٩ عاماً) مدعياً خاصاً يساعده ويلر كمستشار.

أوكلت مهمة الدفاع الى رالف دي زاغو رئيس مكتب محامي الحق العام، الذي رأى أن القضية المرفوعة على موكله ضعيفة. وهو يقول: "لم يكن أحد من أعضاء هيئة المحلفين ليحكم على أساس الدليل الذي في حوزة الادعاء."

بدت قضية المدعي العام أوبات عرضية كلياً. لم يكن في وسعه اثبات وجود سميث في مكان حدوث الجريمة. وحتى في اعتقاد أوبات كان لا يزال هناك بعض أمل في براءة سميث.

في أواخر ابريل (نيسان) ١٩٨٨ عند اقتراب موعد المحاكمة زار أوبات وويلر مختبرات مكتب التحقيق في توبيكا لمراجعة دلائل الجريمة، وهناك أخبرهما اختصاصي بعلم المصول "أن السائل المنوي في ذاته لا يشبه بصمات الاصابع، ولا يمكننا في ضوئه تحديد شخص معين. هل فكرتما في اجراء اختبار الحمض النووي DNA؟"

كان أوبات وويلر يعلمان أن «DNA» (٢) جزيء في الخلايا ينقل المركبات

(٢) Deoxyribonucleic acid

الوراثية التي تميز شخصاً عن آخر. أما الامر الذي كانا يجهلانه فهو أن المتخصصين بالبيولوجيا الجزيئية طوروا أساليب لطبع رموز التركيب الوراثي الفريد لكل فرد بدقة متناهية، الى حد أن بعض المحاكم بدأ يقبل اختبار الـ«DNA» كدليل في القضايا الاجرامية. وبما أن الـ«DNA» يظهر على نحو متطابق في كل خلية من خلايا الانسان تحتوي على نواة، يمكن علماء الأحياء أن يستخرجوا نسخة عن تركيبة الـ«DNA» من الانسجة والشعر واللعاب والدم التي يجدونها في مكان الجريمة، ومن ثم يعملون على مقارنتها بعينات مأخوذة من «DNA» المشتبه فيه.

"بصمات حديثة." لم يقتنع أوبات وويلر بجدوى اخضاع سميث لاختبار الـ«DNA» لانهما كانا غير واثقين بعلميته وشرعيته. وبعد فترة بينما كان ويلر يتصفح مجلة "أمريكان بار أسوسييشن" توقف قليلا عند عنوان رئيسي: «DNA» – البصمات الحديثة." استعملت كدليل في ست قضايا اجرامية في الولايات المتحدة، وأنها مرشحة لاحداث ثورة في علم القانون.

اتصل ويلر بأوبات هاتفياً وقال له مهتاجاً: "ستيف، يجب أن تقرأ هذه المقالة عن اختبار الـ «DNA»."

وبعد اجراء عدة مكالمات مع اختصاصي بعلم الوراثة لتأكيد صلاح اختبار الـ«DNA» علمياً، أعلم المدعيان العامان دي زاغو أنهما يريدان عينات «DNA» من سميث. اعترض محامي الدفاع على هذا الطلب، لكن المحكمة أقرته ووافقت على اقتراح تأجيل المحاكمة. ففكر دي زاغو: انهما يقومان بخطوة اخيرة يائسة.

نقلت عينات من دم سميث وبراين والضحية الى مختبر خاص بالـ«DNA». وأرسلت عينة من المادة الممسوحة عن جدار رحم الضحية للمقارنة.

بدأت المحاكمة في التاسع من يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩. وخلال يومين استمع أعضاء هيئة المحلفين الى افادات الشهود والى تقارير الخبراء الشرعيين عن غلافات الرصاصات وفئات الدم. وطلب دي زاغو شروحاً بسيطة لكل حلقة في سلسلة الدلائل. أما بالنسبة الى جوديت ميلر، وهي عضو في هيئة المحلفين كانت مرشحة لتكون رئيسة لهم، فان الدعوى ضد سميث كانت عرضية جداً.

الحلقة الواضحة. في نهاية اليوم الثاني صُرف أعضاء هيئة المحلفين وطلب من قاضي المقاطعة جورج سكوت أن يبت مسألة قبول دلائل الـ «DNA».

قال دونالد روفا أستاذ علم الاحياء في جامعة كنساس للقاضي: "نحن نستعمل اختبار الـ«DNA» في مختبراتنا دائماً. وهناك مئات المختبرات التي تجريه يومياً." وأضاف موضحاً أن هذه التقنية مبنية على مبادىء علمية راسخة ومقبولة في العالم اجمع.

في اليوم التالي، بموافقة القاضي سكوت، شرح روفا عملية اختبار الـ«DNA» لهيئة المحلفين. ثم عرض عليهم اختصاصي آخر فيلماً بالاشعة

السينية مرفقاً بمقارنات لثلاثة نماذج: أحدها من عينة لدم شيلي والثانية من دم سميث والثالثة من سائل جدار الرحم.

ظهرت النماذج على الفيلم مثل خطوط سوداء موزعة على مسطرة، وهي روت حكاية نابضة بالحياة. كانت رموز الـ«DNA» العائدة الى شيلي تختلف بشكل ملحوظ عن تلك العائدة الى سميث. وظهرت رموز شيلي متطابقة في سائل جدار الرحم، كذلك رموز سميث. أما نموذج الـ«DNA» العائد الى براين والظاهر على الفيلم نفسه فكان يختلف كلياً عن النماذج العائدة الى كل من شيلي وسميث، وهو لم يظهر في سائل جدار الرحم على الاطلاق.

في المرافعة الختامية ذلك النهار قال أوبات لهيئة المحلفين: "ليست لدي بصمات أصابع، لكنني أملك بصمات «DNA». وهذه ليست بخدعة، انها علم."

بعد ساعة وعشرين دقيقة من مغادرة قاعة المحكمة أعلنت هيئة المحلفين حكمها: سميث مذنب بالتهمة الموجهة اليه. وحكم عليه بالسجن المؤبد.

بيتر مايكلمور ■



كرامة الالكترون!

قالت الموظفة للزبون ان الدماغ الالكتروني في الشركة سيتصل به فور تحضير السلع التي طلبها. فرجاها الزبون أن تترك خبراً على آلة التسجيل الموصولة بالهاتف لديه اذا لم يكن موجوداً في البيت. فارتبكت الموظفة وأجابت: "آسفة يا سيدي، لكن الدماغ الالكتروني لدينا لن يرضى بالتكلم الى آلة."

ج.و.

مفتوح دائماً

في نهاية مناوبتي كموظف في مخزن يفتح ليل نهار، دخل زبون وسألني: "هل يفتح هذا المخزن اربعاً وعشرين ساعة، سبعة أيام في الاسبوع، ٣٦٥ يوماً في السنة؟"

فأجبته: مستغرباً سؤاله: "نعم."

فسألني: "لماذا اذاً للأبواب أقفال؟"

م.ب.

سرّ المهنة

أتى طبيب عائلتنا بسيارته الى المرأب الذي يملكه ابني. وبينما كان ابني يلقي نظرة فاحصة تحت غطاء المحرك سأله الطبيب: "ماذا ترى في الداخل؟"

فأجابه ابني: "تماماً ما تراه عندما تنظر في حلقي: أعراض دراهم."

ب.غ.

حديقة أفكار

- الاكتشاف الأكبر لجيلي هو أن الانسان يستطيع أن يغيِّر حياته بتبديله موقفه.
  وليم جيمس، فيلسوف وعالم نفساني (١٨٤٢ - ١٩١٠)

- يتطلب الزواج الوقوعَ في الحب مراراً، ودائماً مع الشخص ذاته.
  م.م.

- الصديق الصدوق هو من تراه معك عندما يكون حرياً به أن يكون في مكان آخر.
  ل.و.

- أهم ما في الاتصال البشري هو سماع ما لا يقال.
  ب.ف.د.

- اذا عالجتَ كل وضع كأنه قضية حياة أو موت، فسوف تموت مراراً كثيرة.
  د.س.

- لا يستطيع المرء أن يلمّ كل الاصداف الجميلة من الشاطىء. في وسعه أن يجمع بعضها. وهي تكون أجمل كلما قلّ عددها.
  آن مورو ليندبرغ، كاتبة وزوجة الطيار تشارلز ليندبرغ

- يبدأ التغيير عندما يرى امرؤ الخطوة التالية.
  و.د.

- قد تخدم الهزيمة في تحريك المشاعر واظهار الامجاد، مثلها في ذلك مثل النصر.
  ادوين ماركهام، شاعر أمريكي (١٨٥٢ - ١٩٤٠)

فرنسوا ميتران

طَموح لا يتزحزح وسياسي بارع وصاحب دور رئيسي على مسرح السياسة العالمية



في مايو (أيار) ١٩٨١ عقب انتخاب فرنسوا ميتران رئيساً لفرنسا، شرع هو وجماعته في الحزب الاشتراكي في اضفاء طابع ماركسي على البلاد. كان نصب عيونهم صرف فرنسا عن الرأسمالية الى اقتصاد موجه تسيطر عليه الدولة. وقد ذُعر شركاء فرنسا الغربيون لتعيين أربعة وزراء شيوعيين في الحكومة الفرنسية، ورصدوا باهتمام المسار الجديد للبلاد.

وفي اليوم الاول بعد الانتخابات هبطت أسعار الاسهم في بورصة باريس بنسبة ١٤ في المئة، وما لبثت بقية قطاعات الاقتصاد ان حذت حذوها. فزادت البطالة وأخرجت مئات ملايين الفرنكات من البلاد وتضخم العجز في الميزان التجاري. وخفضت قيمة الفرنك الفرنسي ثلاث مرات.

وكشفت استطلاعات الرأي عام ١٩٨٤ أن ميتران هو الرئيس

الطريق إلى القمّة

الأقل شعبية منذ تأسيس "الجمهورية الخامسة" في ١٩٥٨.

اما اليوم فعملة فرنسا قوية والتضخم مكبوح. والشيوعيون غير مشاركين في الحكومة، وقد جانب الاشتراكيون الاعتدال. وفي مايو (أيار) ١٩٨٨ أعيد انتخاب ميتران، ذلك الرجل المذموم من قبل، بغالبية مذهلة وهو في الحادية والسبعين من العمر. وفي تحوّل لافت عاد ميتران الى حيث عرف دائماً أنه ينتمي: الى القمة.

لقد حفزت فرنسوا موريس آدريان ماري ميتران، منذ طراوة أظفاره، رغبة قاهرة في أن يكون الرقم واحداً. واحتوت جعبته دائماً على أسلحة جبارة: فطنة وثقافة مترامية وذاكرة قوية وملكة خاصة بالزعامة ونزوع الى المناورة والاقناع. لكن ثمة محركاً فاق أياً من هذه الصفات المذكورة ونقله من بلدة جارناك الصغيرة حيث كان أحد ثمانية أبناء لمأمور في محطة للسكك الحديد الى الردهات المذهبة في قصر الاليزيه بباريس. هذا المحرك هو طموح بلا حدود.

صياد سباع. حتى تاريخ تجنيد فرنسوا ميتران عام ١٩٣٨ وهو في الثانية والعشرين من العمر عاش حياة طالب من الطبقة الوسطى، يجدّ في متابعة دراسته في القانون والادب والعلوم السياسية في باريس. ونشبت الحرب العالمية الثانية واندحر الجيش الفرنسي وزج به في معسكر ألماني لأسرى الحرب. فتغيرت حياته جذرياً.

وهو أتى على ذكر تلك الفترة في احد الكتب التي تضمنت مذكراته: "كان الالمان يحضرون لنا عند الظهر أوعية من حساء اللفت أو أرغفة خبز، وهذا طعامنا نتدبره في ما بيننا طوال اليوم. وفي بادىء الامر كانت السيادة للأقوى بين الاسرى." لكنه ما لبث وزملاءه السجناء ان فرضوا أسلوب الحضارة الديموقراطية في الثكنات مما كفل توزيع الطعام بانصاف.

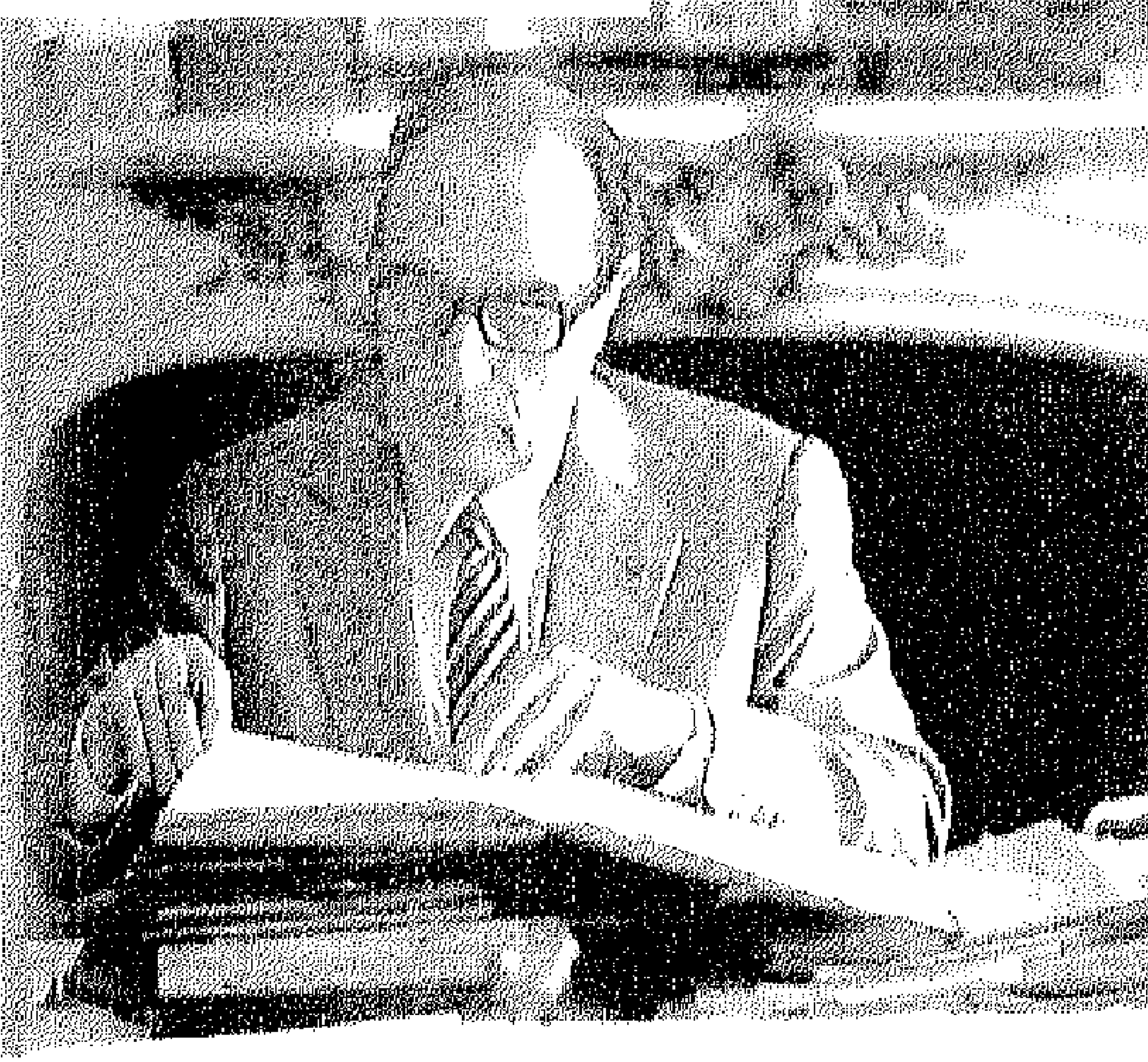
هكذا اكتشف الرقيب ميتران السياسة.

في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤١ نجح في محاولته الثالثة للفرار، وعاد الى فرنسا حيث حصل على وظيفة في المفوضية العسكرية لأسرى الحرب التابعة لحكومة فيشي. وكانت تلك الوظيفة ستاراً ممتازاً لنشاطاته في المقاومة. وفي العام ١٩٤٣ توجه الى مقر قيادة الجنرال ديغول في الجزائر لملاقاة زعيم "فرنسا الحرة.".

شعر ميتران نحو ديغول بالبغض من النظرة الاولى. واذ أمر الجنرال المتسلط الرقيبَ السابق الشاب بأن يضع مجموعته المقاومة تحت سلطته، رفض ميتران ذلك وآب الى فرنسا لمتابعة المقاومة كما يراها. ومنذ ذلك الحين لم تتغير بغضاؤه تجاه ديغول.

بعد تحرير فرنسا من الالمان انغمس ميتران في السياسة، وانتخب عضواً في البرلمان الاول "للجمهورية الرابعة" عام ١٩٤٦ وغدا أصغر وزرائها وهو في الثلاثين من عمره. وعلى رغم انه مفطور على العزلة، فانه تودد بدهاء وحذق الى حلفائه وكان له وزير على الدوام في الحكومات. وخلال هذه السنين الاثنتي عشرة طار صيته بالانتهازية والخداع ولقّب "أمير المواربة"، وقد تلبسته هذه الصفات ردحاً من الزمن. وذكر رنيه بليفن الذي رأس الحكومة الفرنسية مرتين: "كان ميتران رجلا لا تود أن تصحبه وحدك في رحلة لصيد السباع." وكان بليفن يتحدث عن دراية، فهو من أهل البيت ويعرف ميتران حق المعرفة. وفي العام ١٩٥٣ أزاحه ميتران بلباقة وحل محله زعيماً في حزب الوسط.

مرشح اليسار. عام ١٩٥٨ تفككت الجمهورية الرابعة وتسلم ديغول زمام السلطة. فأمضى ميتران ٢٣ سنة منغصة بعيداً من مراكز القرار السياسي. ودأب ككاتب ونائب على التشهير بديغول الطاغية وبالجمهورية الخامسة التي أوجدها، ونعتها بـ"الانقلاب المستمر". لكن كثيرين اعتبروه رجلا أفل نجمه.



فرنسوا ميتران في مايو (أيار) ١٩٨٨.

اثناء فترة الاختبار هذه أصبح ميتران، بقامته القصيرة ولونه الممتقع، مشهداً مألوفاً في الحي اللاتيني بباريس. كان يمشي الى عمله في الجمعية الوطنية (البرلمان) ومجلس الشيوخ منطلقاً من مسكنه قرب حدائق اللوكسمبور حيث يقطن وزوجته دانييل وابنيه. واذ كان يجوس المكتبات ومعارض الفنون متلفعاً بمعطف وقبعة ووشاح أيام البرد، كنت تحسبه مثقفاً من أهل اليسار. لكنه كان مختلفاً، اذ كان يعدّ للعودة الى السلطة.

وهو قال تكراراً: "في الملمات أشعر بالراحة." ولا شك في أن من ازدراه عند سقوطه يدرك مرونته تلك. وتذكر كاترين ناي مؤلفة كتابين من أفضل ما كتب عن ميتران: "انه لا يُغرق. فقوة شخصيته هائلة. وحيث يقتل الرجال ينجو هو."

وإن كان من مستقبل له في السياسة تلك الايام ففي كونه لسان حال المناهضين لديغول. وبما ان السلطة كانت محافظة فلا مناص من أن تكون معارضته يسارية. ولتكن كذلك. اندفع الى

العمل باتصالاته معيداً تنظيم منتديات الحوار ومراكز الابحاث في اليسار غير الشيوعي، مجتازاً أرجاء فرنسا غادياً رائحاً في جدل واقناع وتوسيع بطيء لشبكة أنصاره.

وقد كوفىء عزمه عام ١٩٦٥ حين رشحه اليسار للرئاسة ضد ديغول الذي كان يومذاك في أوج سلطانه. وأمام ذهول الخبراء حمل ميتران الجنرال قسراً على خوض معركة انتخابية ونال ٤٥ في المئة من أصوات الناخبين. وجعله التلفاز الفرنسي شخصية وطنية معروفة.

ها قد تحول النجم الآفل نجماً صاعداً.

وعام ١٩٧١ آتى عمله الدؤوب ثماراً اذ تمكن من دمج مجموعات معارضة غير شيوعية في حزب اشتراكي جديد وانتخب اميناً أول له. وشرع للمرة الأولى في حياته يتحدث كرجل من أهل اليسار.

أصار ميتران اشتراكياً حقاً؟

يشعر معظم المراقبين في محاولة لتعريف مذهبه السياسي ان ولاءه يُختزل الى قناعة مفادها ان في وسعه أن يقود فرنسا أفضل من أي شخص آخر، وأن هذا هو قدره. يقول جيل مارتينيه وهو زعيم أشتراكي سابق: "انه لا يولي القضايا الجوهرية أهمية كبرى. فهو ذرائعي كيِّس حسن الحيلة." أما كاترين ناي فترى أن اشتراكيته ما هي سوى أسلوب للوصول الى السلطة.

وظيفة العمر. في ١٩٧٢ أقحم ميتران الاشتراكيين في خطة بارعة للفوز بالرئاسة تستند الى تحالف انتخابي مع الحزب الشيوعي. وهو لم يكن يثق بالشيوعيين، وقد كتب عام ١٩٥٨ أنه "سيناضل من دون هوادة ليكفي فرنسا فظائع الاستبداد." لكن في حوزة الحزب الشيوعي أكثر من ٢٠ في المئة من الاصوات، ولا يمكن أي مرشح يساري أن يفوز من دونها.

ومع أن ميتران خسر انتخابات ١٩٧٤ بفارق ضئيل الا أن ذلك الاتفاق مع الشيوعيين آتى ثماره بعد سبع سنوات. آنذاك بدا ميتران أكثر طمأنينة ومرشحاً ناضجاً لـ"القوة الصامتة" بعيداً من هياجه في سنواته الأولى. وقد يمم شطر النصر عام ١٩٨١ متقدماً على فاليري جيسكار ديستان. وفي سن يتقاعد عندها الرجال، حصل فرنسوا ميتران أخيراً على الوظيفة التي سعى اليها عمره.

أمضى سنة والوزراء الشيوعيون والعقائديون الاشتراكيون من جماعته يرصدون تصرفاته. فعمد الى تطبيق منهاجهم السياسي اليساري. لكن هذا المنهاج، طبقاً لما توقعه النقاد، مني بالاخفاق. وفي ربيع ١٩٨٢ نبذ ميتران التزمُّت العقائدي وتحوَّل من التبذير الى التقشف.

ومني الحزب الشيوعي بالضربة الكبرى. فقد بدا جلياً أن ميتران اذ أدخل الشيوعيين الى حكومته لم يخمد النقد اليساري فحسب، بل ألقى عليهم عبء التقشف والبطالة. ولدى خروج الحزب الشيوعي من الحكومة عام ١٩٨٤ كان الضرر قد حصل. وتقلصت قوة ذاك الحزب في الانتخابات النيابية عام ١٩٨٦ الى أقل من عشرة في المئة من الاصوات، وهو تطور لافت في السياسة الفرنسية.

وباستبعاد الشيوعيين كقوة رئيسة نجح ميتران للمرة الاولى في التاريخ الفرنسي في تحويل اليسار، ممثلا باشتراكييه، حزباً حاكماً معتدلا يحظى بالاحترام.

على رغم حياة ميتران الموارة بالعمل النشط فانه في صحة ممتازة. وما زال يجد وقتاً للاسترخاء. وهو يجيد رياضة الغولف ويمارسها مرة كل أسبوع. ويتبع نظام حمية لكنه يستمتع بطقوس المائدة كأي فرنسي. وقد تضم موائد الغداء في قصر الاليزيه نحو اثني عشر شخصاً، وهم أخلاط من الساسة والرسامين والمؤلفين والعلماء والبحاثة والموسيقيين والمسرحيين، اذ ان ميتران يرغب في معرفة ما يجري خارج دنيا السياسة.

بين رجالات التاريخ. يرمي ميتران اليوم الى طبع بصماته على التاريخ. وقد حفزته حماسته الدائمة لفكرة أوروبا الى المساهمة شخصياً في صوغ عدة جوانب من "القانون الموحد" لاوروبا وتأسيس سوق أوروبية بلا حدود تخرج الى حيز الوجود في نهاية السنة ١٩٩٢. انه مفاوض مؤثر، يستخدم مزيجاً من الفتنة والحجة المقنعة لحض الجماعة الاوروبية على سلوك درب التكامل، على رغم معارضة بعض زملائه كرئيسة وزراء بريطانيا مارغريت تاتشر. وقد أعرب ديبلوماسي محنك عن رأيه في ذلك: "يبذل ميتران وسعه ليحمل السيدة تاتشر على الموافقة، ولكن من دون جدوى. انه ينظر الى الصورة بأبعادها الشمولية، فيما تكاد هي تفقده صوابه باستفسارات عن تفاصيل لا يملك جواباً عنها." وميتران ذو صلات وثيقة بالمستشار الالماني الغربي هيلموت كول.

أما في شؤون الدفاع فميتران نصير دائم للنزع المتوازن للسلاح، وهو أبقى فرنسا مرتبطة بحلف الأطلسي. وقد وقع أكبر خلاف بينه وبين الولايات المتحدة عام ١٩٨٦ حين أمر الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغن بشن غارة على ليبيا. وقد أذنت له بريطانيا باستعمال قواعدها الجوية للطائرات المقاتلة من طراز "ف - ١١١"، لكن فرنسا رفضت السماح لتلك الطائرات بعبور مجالها الجوي مما أفضى الى تعقيد المهمة. لكن ميتران، استناداً الى ديبلوماسي أمريكي واقف على حقائق الأمور، "لم يكن قط مناهضاً لأمريكا، خلافاً لسواه من السياسيين الفرنسيين. وقد ظهر أنه أسلس الرؤساء الفرنسيين معاملة."

خلال توليه الرئاسة مدة ثماني سنوات سافر بمقدار ضعفي أسفار اسلافه. وهو ذو معرفة بالعالم العربي. كما جاب كلا من قارتي آسيا وافريقيا. وهو معني بمصير "العالم الثالث"، وقد اقترح الغاء ذلك الكم الهائل من الديون التي ترزح الدول النامية تحتها.

لكن اهتمامه بالشجون الدولية لم يذهب بلمسته الحاذقة في السياسة المحلية. ففي اثر استعادة المعارضة الاكثرية البرلمانية عام ١٩٨٦ ناور بدهاء زهاء سنتين معايشاً رئيس الوزراء المحافظ جاك شيراك. وفي ربيع ١٩٨٨ اذ أزفت الانتخابات الرئاسية وملأ منافسوه وسائط الاعلام صخباً ولجاجة، اقتعد ميتران مكتبه وأخذ يسطر الكلمات، مالئاً

صفحة تلو أخرى ملاعباً قلمه العتيق بخطه الظريف وعباراته المنمقة.

وبمرور الاسابيع مزّق اعداؤه بعضهم بعضاً وبقي ميتران بمنأى عن الشجار. ولدى طبع "رسالة الى جميع الفرنسيين" في ٤٧ صفحة، جاءت هذه عرضاً بارعاً لبرنامجه الرئاسي، مشتملا على تحديث اقتصاد فرنسا وبناء أوروبا ونزع السلاح وقضايا الامن وتطوير العالم الثالث.

وكانت الرسالة أيضاً مناورة سياسية لامعة. واذ واكبتها حملة انتخابية منظمة شُنّت في الدقائق الأخيرة، مكنته من التميز على اسلافه بأن غدا أول رئيس للجمهورية الخامسة يعاد انتخابه.

أما اليوم، والاشتراكيون يقاربون الغالبية في مجلس النواب والرأي العام يؤازر ميتران الى حد بعيد وأمامه عهد رئاسي كامل يمضيه، فهو في موقع يؤثر في مسار التاريخ. وما أوصله الى مركزه ذاك اصرار ملحاح واتقان محكم لصنعته. وهو قال مرة لنائب في أول نشأته: "لعلك تحسب السياسة تصارُع أفكار. أنت مخطىء يا فتى، السياسة حرفة."

رودولف شلمنسكي ■



كلب بوليسي

على أثر سماع جرس الانذار في أحد المخازن الكبرى، هرعت مع رفيقي الشرطيين الى مكان الحادث. هناك وجدنا نافذة خلفية مكسورة. وإذ رأينا ان التفتيش اللازم سيستغرق الليل كله، استدعينا وحدة الكلاب البوليسية لمساندتنا. وسرعان ما وصل شرطي مع كلبه وقاده الى النافذة المكسورة مشيراً عليه بالدخول للتفتيش. لكن الكلب لم يستجب للأمر وقعد هناك. فطلب منا الشرطي أن نصفق، ففعلنا. ثم كرّر الامر، فقفز الكلب من النافذة. التفت زميلنا الشرطي نحونا مبتسماً وقال: "لقد أدى عروضاً كثيرة أمام الاولاد في المدارس، لذلك يتوقع التصفيق."

ن.و.ك.

لا سكينة!

عمتي أم لولدين شقيّين. اتصلت بها ذات صباح، لكن حديثنا قوطع باستمرار بسبب الجلبة التي أحدثها الولدان. أخيراً طلبت مني عمتي الانتظار قليلاً على الخط. وما هي الا ثوان حتى شعرت بسكينة تامة، فكلمتني: "ها أنا من جديد." فقلت لها متعجّبة: "لكن السكينة تعم المكان، يبدو أنك تحكمين السيطرة على هذين الشقيين."

فاعترفت عمتي والعياء باد في صوتها: "لا، لا، أنا في الخزانة."

س.ب.

الحماسة والتفاؤل هما قدما الحياة.

ف.م.

دعوا الأزمات تجوهر زواجكم

بعض الازواج يخرجون من الازمات وهم أقوى وغيرهم ينهار تحت وطأة الضغوط

قبل أعوام دمّر إعصار منزل جون واليزابيث. كان رد فعل جون تعاطي الكحول والاستسلام، اما اليزابيث فأصيبت بالرهاب من العواصف وأخذت تلوم جون لغيابه عندما تكون في حاجة اليه. ولم تمض سنة حتى تطلّقا.

في الوقت نفسه شاهد روبرت وآمي منزلهما يحترق وينهار، ثم أمضيا خمسة أشهر مضنية في غرفة في فندق مع أطفالهما الثلاثة. واليوم زواجهما أقوى من أي وقت مضى.

ما الذي سبب هذا الفرق؟

على رغم ان الناس يتزوجون للسراء والضراء فإن "الضراء" وحدها تشكل اختباراً للعلاقة. فالاوقات الصعبة قد تجعل الزوج والزوجة أكثر قرباً من أي وقت مضى، أو تفسخ العلاقة بينهما. فتنبهوا أيها الازواج! في أوقات الشدة يسهل تقويض الزواج وتعريض منبع القوة هذا للخطر.

تجنبوا توجيه الاتهام. عندما يحدث خطب ما يتطلع معظمنا صوب أحد لتحميله المسؤولية. والاحتمال الاكبر هو أن يكون الزوج أو الزوجة أول من يقع عليه النظر. يلاحظ المستشار في أمور الزواج نورمان بول: "عندما تتزوج يصبح لديك كبش فداء جاهز في كل لحظة." ويضيف الطبيب النفساني فرنك بيتمان: "ليس من مجال لأن يفوز أحد الزوجين ضد الآخر فإما أن يفوزا كلاهما واما ان يخسرا."

غالباً يرتاح الازواج الى التفكير في أن المشكلة هي أمر خارج علاقتهما. ويوافق كثير من الخبراء على انه عندما يعاني أحد الزوجين مرضاً خطيراً يكون من الافضل أن يواجها المرض على أنه طرف ثالث يمكن التضامن للقضاء عليه. يقول الاختصاصي بالشؤون العائلية وليم دوهرتي: "عوض أن يقول الزوج المريض "ورمي السرطاني" يتحدث الزوجان عن "السرطان". عندئذ يشعران بأنهما

متحدان ضد عدو مشترك." فالتضامن من أجل غرض مشترك هو من فضلى الوسائل للابقاء على الزواج متيناً خلال أزمة ما."

وعندما يحمل أحد الزوجين حصة أكبر من المسؤولية تجاه مشكلة ما، على الزوجين أن يقرّا بذلك العبء. يقول بيتمان: "في الازمات لا يحتاج احد الزوجين الى من يهلل له. نحن نشعر بالقرب ليس من الذين يقولون لنا باستمرار اننا رائعون بل من أولئك الذين يعرفون أطباعنا البشرية ويحبوننا كيفما كنا." في الاوقات العصيبة يكون ذلك الشعور بأننا محبوبون على رغم أخطائنا هو العامل الحاسم المنقذ.

عبروا عن أنفسكم. يقول دوهرتي: "عندما لا يعبر الازواج عما يشعرون به فكأنما ثمة فيل في الغرفة يتحاشى الجميع ذكره." لكن المشاركة لا تكون بالإكراه. وكثيراً ما تدفع ورطة الازواج الى هوة غير عادية، فتتوهم الزوجة ان زوجها لا يملك أي شعور لأنه لا يعبر عن مشاعره، ويعتقد هو أنها مفرطة في عاطفتها لأنها لا تتحدث عن أي شيء آخر.

قبل أن يمارس احد الزوجين ضغطاً على الآخر ليعبر عن مشاعره – وبدل أن يفسر السكوت على أنه لامبالاة – عليه أن يتذكر ان الكلام مؤلم في بعض الاحيان. في حالات كهذه ينصح الازواج بمخالطة مجموعات من الناس الذين خضعوا لتجارب مشابهة في الماضي. ثمة رجل اغتصبت زوجته فما كان منه الا أن قاطعها وابتعد عنها غاضباً. وبعدما انضم الى مجموعة من الرجال الذين تعرضت زوجاتهم للاغتصاب بدأ يفهم أن رد فعله كان دفاعاً ضد شعوره بالعجز. وعندئذ تمكن من مشاركة زوجته في مشاعره.

غالباً ما تكون لغة الجسد أبلغ من الكلام. بعدما أسقطت احدى النساء جنينها ظل زوجها يتجنب محادثتها في الموضوع، ولكن عندما ضمها أخيراً شعرت بالعطف الذي كانت الكلمات عاجزة عن التعبير عنه.

تقبلوا الفوارق. عندما يتوصل الازواج والزوجات الى التحدث بعضهم مع بعض، قد يصدمون عندما يلاحظون الاختلاف في طريقة رؤيتهم الامور. فالحدث نفسه قد يغضب أحد الاشخاص ويحزن آخر ويخيف شخصاً ثالثاً ويؤذي رابعاً.

وقد يبدو رد الفعل المختلف غير ملائم للشريك. أمضت احدى النساء عدة أسابيع في المستشفى ترعى طفلها المريض، فشعرت بالابتعاد عن زوجها. تقول: "كان يمارس أعماله كالمعتاد بينما كنت أنا محطمة أفكر في امكان خسارتنا طفلنا." في حالات كهذه من الضروري ان يتحدث المرء عن أفكاره وأن يعطي شريكه عذراً يبرئه. اكتشفت المرأة أن زوجها رأى من واجبه أن يبقي الامور طبيعية لأن زوجته كانت مضطربة جداً. وما اعتقدته لا مبالاة كان في الحقيقة أسلوبه في اظهار مساندته.

كونوا مرنين. ان تنبه المرء لوجهة نظر شريكه قد يسهل التعاطي مع المتغيرات التي تفرضها حال طارئة، مثل اعادة

توزيع المسؤوليات اليومية. الجزء الاصعب هو التفكير في هذه المهمات الجديدة كتحديات لا كأعباء.

أصيبت سيدة بالسرطان فأصبحت عاجزة عن الخروج من المنزل، مما اضطر زوجها الى تولي مهمة التبضع من السوق. وبدل أن يشعر بالانزعاج شعر بالاكتفاء من جراء القيام بخدمة ضرورية، وبالتقدير للخدمات التي كانت زوجته تؤديها.

وتمتد المرونة أيضاً الى العواطف. من السهل جداً على الازواج أن يصبحوا صارمين في أدوارهم العاطفية: هو يتذمر دائماً، وهي دائماً رزينة. ان نماذج كهذه قد تكون مدمرة في الازمات. في احدى العائلات التي تعرض ابنها المراهق للاعتقال كان الوالدان على طرفي نقيض: الأب هو المؤدِّب والام هي المؤاسية. يقول العالم النفساني سكوت فريزر: "بدل أن يتعاضد الابوان اتخذا مواقف معاكسة. ولم يكن أي منهما راضياً، فالأم لم تكن تحظى باحترام ابنها والاب لم يحظَ بحبه."

يحتاج الشريكان الى الحرية للتعبير عن مجموعة كبيرة من العواطف، وقد يجدان أنهما يقايضان المواقف ووجهات النظر: ذات يوم يشكو الرجل من الظلم الذي لحقه بسبب اقفال المصنع الذي يعمل فيه، فتعمد الزوجة الى مؤاساته وتشجيعه. وفي الغد قد تكون الزوجة قلقة من أزمة مالية فيعمد الرجل الى طمأنتها. الامر المهم هو أنه، مع الوقت، يكون كل منهما هو المواسَى وهو المواسِي في آن.

كونوا لطفاء مع أزواجكم. في النهاية يعلن الازواج الذين تحملوا الاوقات العصيبة حبهم لبعضهم بعضاً. يقول المستشار في أمور الزواج تشارلز فيغلي: "هذا أسوأ وقت للافتراض أن الآخر يدرك شعورك." وهو يرى أن الشركاء في الزيجات السعيدة يعبرون عن مشاعرهم الايجابية في الظروف الصعبة اكثر مما في الظروف العادية.

وفي حين يشدد هؤلاء الشركاء على مشاعرهم الايجابية، يقللون من شأن مشاعرهم السلبية أيضاً. يقول دوهرتي: "على الازواج أن يدركوا أن المشكلة ليست فيهم بل في الوضع." وعلى رغم أن العراك قد يؤدي الى إلهاء موقت عن المشكلة الحقيقية، فانه يتلف الوداد.

من الواضح أنه لا ينبغي انتظار الوقوع في ورطة لكي نبدأ تطبيق هذه "المهارات". ففي الاوقات السعيدة يغني التسامح والانفتاح والرضى والمرونة واللطف العلاقة الزوجية. وفي الاوقات العصيبة تبقي هذه الصفات الزواج قوياً، تماماً عندما يكون الزوجان في أمس الحاجة الى ذلك.

كارولين جابس ■

خير الامور...

قالت فتاة لصديقتها: "لو أمكنني مزج مزاياهما لكنت أسعد نساء الأرض. رائد غني ووسيم وذكي. وحاتم يريد أن يتزوجني."

ف.و.

حمى الذهب في المحيط الهادئ

الاسعار المرتفعة واشتداد الطلب على المعدن الثمين تحول آسيا مقصداً للمعدّنين الشرعيين وغير الشرعيين



المخاطرة: شق نفق قرب ديولوال في الفيلبين.

إنها السابعة صباحاً وأشعة الشمس الحارة تنصبّ على الغابة السومطرية. في هذه الاثناء يتسلق مئات الاندونيسيين عربات سكة الحديد التي ستحملهم عبر متاهة من الأنفاق المائية والفتحات المظلمة. يشق الرجال طريقهم عبر جداول تحت الارض وينزلون على سلالم.

وفي دقائق يتصببون عرقاً. وترجّع الممرات صدى هدير آلات الحفر الذي يصمّ الآذان. عمال المنجم يئنون وهم يقذفون كتل الصخور في صناديق. الكلام هناك مستحيل، لكن العمال يبتسمون ويحيون بهز رؤوسهم. إنهم المحظوظون لأنهم سافروا من الجزر البعيدة للعمل في

ليبونغ تانداي حيث ينقبون عن الذهب من أجل بضعة دولارات يومياً.

عبر الممرات يأتي جيري سميث من شركة "ب. ت. لوزانغ للتعدين" ويصرخ محيياً عماله بلغتهم الوطنية. يتحلق هؤلاء حول مدير المنجم البريطاني الذي يشير باصبعه الى الوجه الصخري المتقطر. ثمة ترسبات ضاربة الى البياض ناتئة من الصخر الرمادي المخضرّ، انها تحتوي على الذهب "الحراري"(★) المختزن في عرق معدني غني يبلغ عرضه مترين وطوله أربعة كيلومترات. يقول سميث: "نملك احتياطاً أكيداً لثلاث سنوات أخرى من التعدين، وقد نجد المزيد."

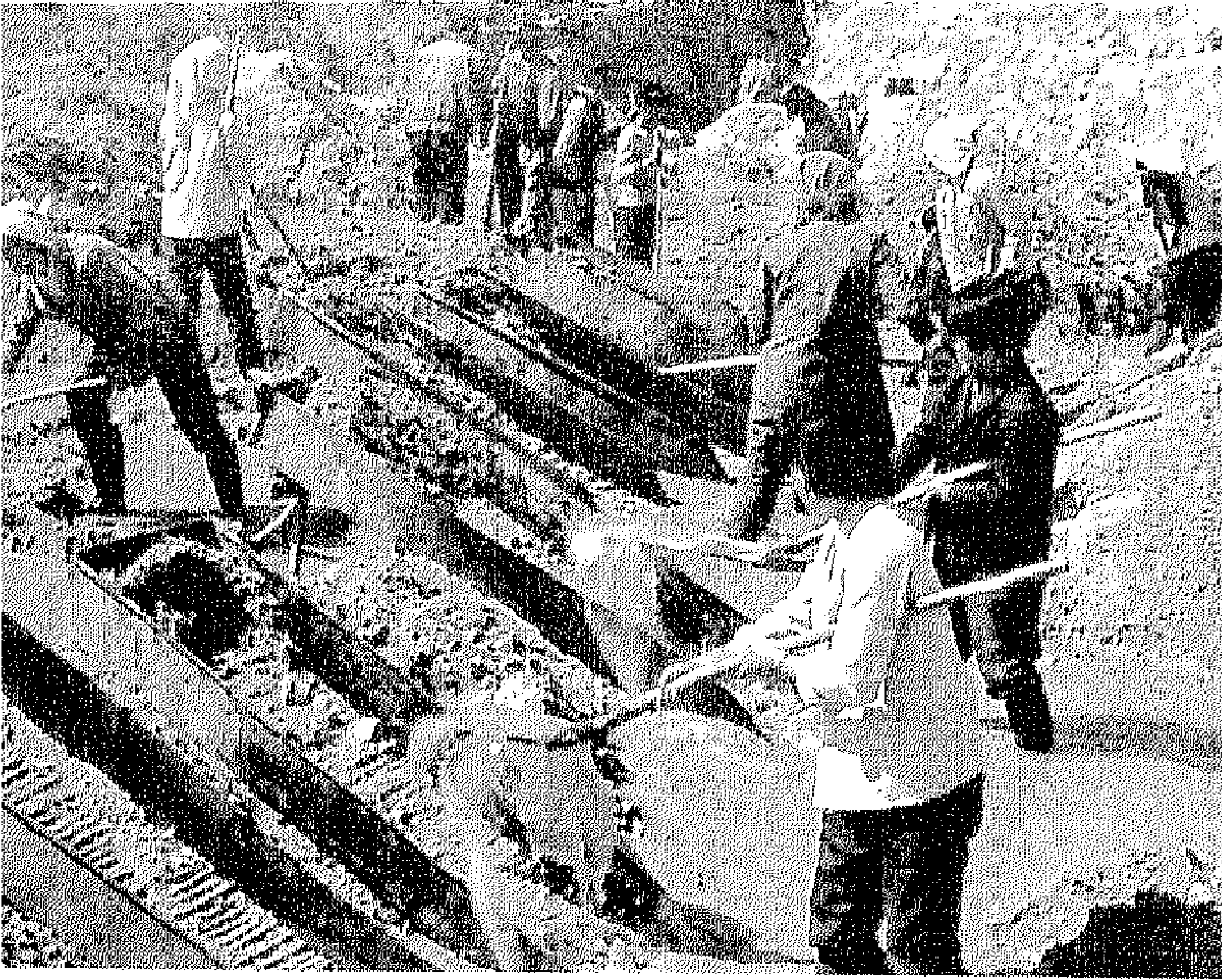
في وضعه الحالي ينتج المنجم قرابة طن من الذهب سنوياً، تبلغ قيمته نحو ١١،٥ مليون دولار بحسب السعر العالمي الحالي أي ٣٦٠ دولاراً للاونصة الواحدة. وبتكاليف انتاج تربو قليلا على نصف هذا المبلغ، فان هدف شركته هو استخراج الذهب بأقصى درجة ممكنة من التوفير والفاعلية.

قوى عظمى. حمّى الذهب تفشت من جديد. فخلال السنوات القليلة الماضية توغلت جمهرة من الشركات المتعددة الجنسية والقادمين الجدد المتحمسين في مجاهل مناطق منعزلة من آسيا وجزر المحيط الهادىء بغية سبر مكتشفات جديدة واعادة تأهيل المكتشفات السابقة. وفي اثر هؤلاء سار منقبون محليون، مشيدين مدن أكواخ وداعمين "سوقاً سوداء" للمعدن الثمين. وفي وقت انتشر التنقيب عن الذهب ليعم العالم، ركزت الشركات العالمية على بلدان المحيط الهادىء، وذلك يعود خصوصاً الى رخص اليد العاملة وتعاون الحكومات والاستقرار السياسي النسبي. وتبقى دولة جنوب افريقيا والاتحاد السوفييتي في طليعة المنتجين. لكن الانتاج في الشرق الاقصى يزداد بسرعة قد تجعله يؤمن أكثر من خمس الانتاج العالمي مع بداية السنة ١٩٩٠.

وهناك تقنيات جديدة لاستخراج المعادن حفزت ايضاً نهضة الذهب في أوستراليا، حيث تم افتتاح ٤٩ منجماً كبيراً على الاقل في العام ١٩٨٧. وفي أمكنة اخرى أدت اكتشافات الذهب الحراري الذي يُرفع من الاعماق بفعل البراكين الى اغراء شركات التنقيب وجذبها الى الجزر الغنية بالبراكين من اندونيسيا الى جنوب المحيط الهادىء فالى نيوزيلندة.

وفورة الذهب الحديثة هذه ألهبتها أسعار الذهب المرتفعة باطراد والتي أثبتت مرونتها في التكيف خلال العقد. وساهمت في هذه النهضة عوامل اقتصادية أخرى. فعندما هبطت أسعار النفط فجأة في مستهل الثمانينات سعت اندونيسيا الى تعزيز مداخيلها غير النفطية، فعدلت قوانينها المتعلقة بالتعدين لتصبح أكثر تسامحاً من اجل اجتذاب المستثمرين الاجانب. وحتى الصين الاشتراكية المتعطشة الى العملات الاجنبية لحقت بالركب وشجعت على استخراج الذهب المحلي. وقد أعلن

(★) «Epithermal» gold



قرويون ينخلون الرمل على سفح جبل في زاوبوان باقليم شاندونغ في الصين.

بيه ميكينغ نائب الامين العام لمجلس الدولة الصيني: "تأمل الصين أن تصبح احدى القوى الذهبية العظمى في العالم."

ذهب وفساد. لطالما اجتذب الذهب ذوي الطموح وطالبي الثروة. ويستطيع المنقب في مقاطعة شاندونغ الصينية الغنية بالمعادن أن يحصّل راتباً شهرياً يصل الى ٨٠ دولاراً، أي ضعفي متوسط دخل العامل العادي. وفي الفيلبين أدى الفقر الى تشييد مدن "سريعة" يسودها التمرد على القانون وتسكنها الامراض وتكثر فيها الحوادث المأسوية.

الذهب والفساد يسيران جنباً الى جنب. مقادير ضخمة تهرّب من اندونيسيا الى اماكن مثل الهند والنيبال حيث يحظّر استيراد الذهب لمنع نزف العملة الصعبة. وفي صيف ١٩٨٨ أعلن شانتيلال سوناوالا رئيس "رابطة السبائك الذهبية" في بومباي، أن الطلب المتنامي رفع أسعار الذهب المحلية بنسبة ٤٠ في المئة فوق السعر العالمي.

لم يتأتَّ عن عوامل مثل هذه سوى تشجيع التعدين غير الشرعي. في الماضي كانت السلطات تصرف النظر عن المنقبين المحليين الذين يعملون على نطاق ضيق ويستعملون المقالي والمعاول والمناخل. لكن اشتداد الطلب رفع الاسعار وصار المعدنون المحليون ينقلون الجرارات عبر الانهار في الغابات وينشئون المصافي غير الشرعية ويستأجرون الحراس المسلحين لحماية الارض التي ينقبون فيها، ومعظمها في مناطق يعود الامتياز فيها الى شركات اجنبية. والحكومات عاجزة عن تحصيل نصيبها العادل من المداخيل الضريبية من هذه المناجم غير المشروعة، بل ان

الشركات المشروعة تشكو أيضاً من أن المنقبين غير الشرعيين قد يفسدون مواقع واعدة من خلال ازالة العِرْق الأعلى من مصدر غني جداً، مما يجعل استخراج المعدن من الاعماق عملية غير مربحة على الاطلاق.

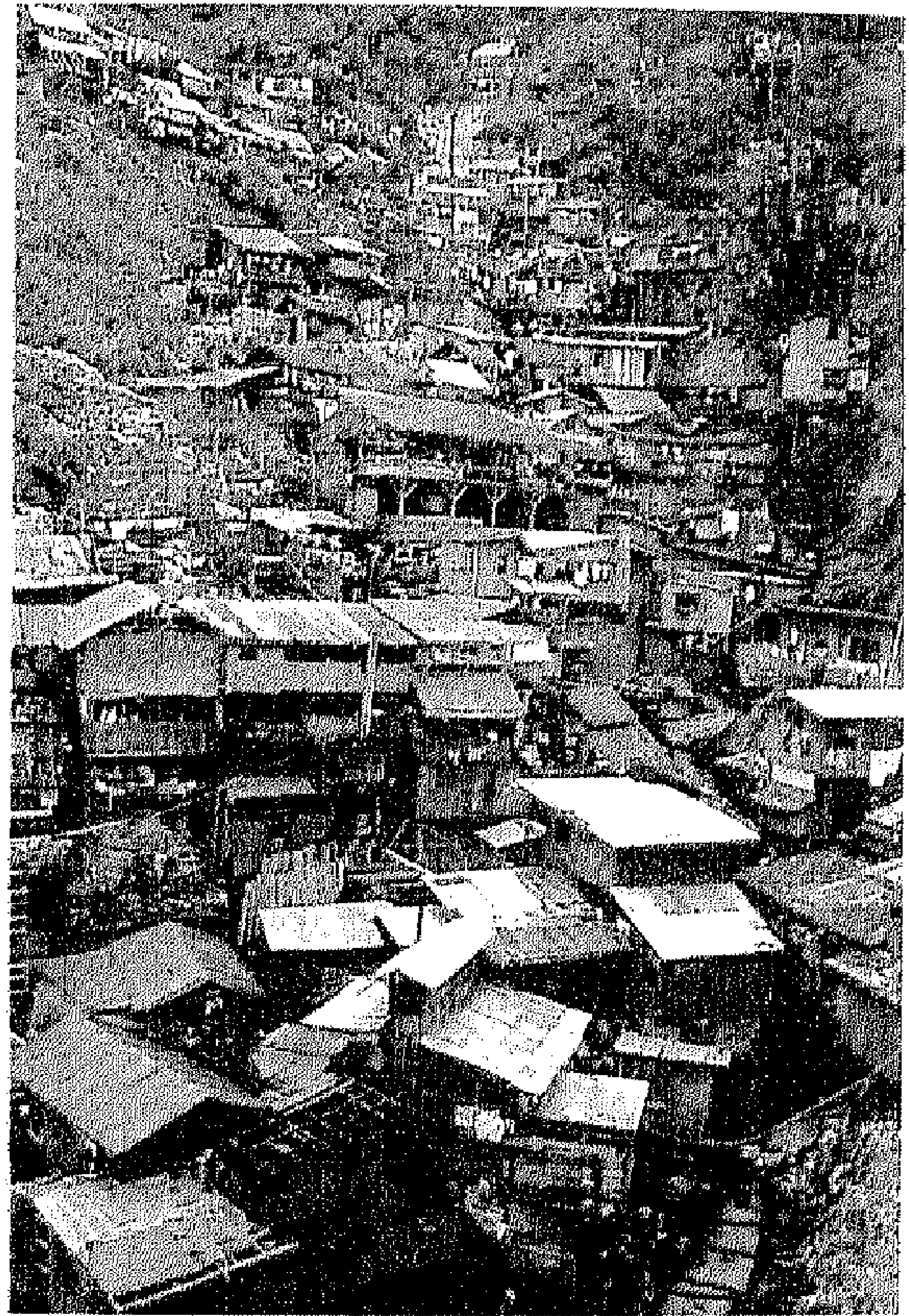
مدن أكواخ. بعض أشد أعمال التنقيب زخماً يجرى في اندونيسيا، التي ظلت الى شهر أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ تحظر تصدير الذهب وتمنع الاجانب من التنقيب. منذ ذلك الوقت وقّعت شركات اجنبية - معظمها أوسترالية - أكثر من مئة عقد لاكتشاف مواقع واعدة وتطويرها. وبسبب عدم وجود مناجم منتجة قبل ذلك الحين، كانت البلاد أرضاً بكراً في الواقع. يقول مارك ميلر رئيس الشركة المتحدة "ب. ت. إندو سورو كنكانا": "حين يكون سعر أونصة الذهب ٣٦٠ دولاراً، يكون الناس مستعدين للذهاب الى أماكن نائية جداً."

ولكن وباء التنقيب غير المشروع يهدد جو التآلف في اندونيسيا، وربما ازدهارها أيضاً. والمشكلة تتغذى بعدم الاتصال بين البيروقراطيات الحكومية المحلية والمركزية، الى جانب معضلة ضبط الجماعات المترحلة غير المشروعة. ويشاع أن عدداً من المصافي غير المشروعة تمولها نقابات نافذة تدفع أجور العمال بطريقة التسليف لابقائهم مدينين على الدوام، بحسب إيفان ساراسيك وهو مستشار سابق في ليبونغ تانداي. ويقدر المدير العام لشؤون التعدين في اندونيسيا سوتاريو سيغيت، أن البلاد تنتج ١٥،٥ طناً من الذهب سنوياً تباع في السوق السوداء، في وقت بلغ الانتاج من المصادر الرسمية المشروعة في العام ١٩٨٧ نحو ٤،٩٥ أطنان فقط، والخسارات ليست مالية فحسب. فمدن الاكواخ المتداعية التي نمت على أراض مؤجرة أو مبيعة أو ممنوحة الى منقبين تفتقر الى الشروط الصحية المطلوبة وتعوق أحياناً مشاريع شركات التنقيب المرخص لها. وأسوأ من ذلك ان كثيراً من مداخل المناجم غير المشروعة هي غير سليمة.

لسان منهك. كل ذلك أعطى قرية ليبونغ تانداي "شخصية" منفصمة. فثلث سكانها البالغ عددهم ١٨٤٤ يعملون لشركة "لوزانغ"، ويعيش الباقون من صناعة الذهب غير المشروعة المنطلقة بسرعة واهتياج. الكل يعترف بأن التنقيب غير المرخص له غير شرعي، ولكن لم تبدأ الحكومة تطبيق بعض الضوابط الا مؤخراً.

لكن ليبونغ تانداي، في عالميها الاثنين، تعيش من أجل الذهب. الجوهريون المتجولون يبيعون السلاسل الذهبية اللامعة ذات الاربعة والعشرين قيراطاً، والخواتم الضخمة المصنوعة من الكتل الذهبية المهرّبة. وتتزين فتيات القرية الصغيرات بالاقراط الذهبية، وتضع طفلة لا تتجاوز الاحد عشر سواراً ذهبياً صغيراً في معصمها. يقول ايفان ساراسيك شارحاً الامر: "الذهب هنا يرمز الى منزلة المرء. وكل من يملك المال يريد شراءه."

حتى بالنسبة الى من يجدون عملا مشروعاً، فان الحياة في ظل ازدهار الذهب ليست آمنة كلياً. فأكثر الناس امانة قد لا يصمدون أمام اغراء الرشاوى من معدنين غير شرعيين لتمويه حمولة من المعدن الخام أو لافساح طريق الى المناطق الوافرة الانتاج. أما "الاوغاد" غير المتعاونين فيطردون من العمل. والموظفون قلقون أيضاً، فهم يخافون أن يتوقف أرباب العمل الاجانب عن عمليات التنقيب عندما تصبح غير مربحة بوجود منقبين غير شرعيين يعملون في محاذاتهم.



الحياة المأسوية لمنجّمي الذهب الفيليبينيين تتجلى في أحلك مظاهرها في مدينة الاكواخ ديولوال بمقاطعة داڤاو دل نورتي.

بالمقارنة مع غيرها من المدن الآسيوية المزدهرة، تتصف ليبونغ تانداي بالرزانة بكل ما في هذه الكلمة من معنى، وخصوصاً من ناحية الاخلاق الشخصية.

في المقابل، حدثت فصول عنف في مناطق الذهب في الفيلبين، حيث اكتشفت ترسبات ذهب حراري أيضاً. وأسوأ مدن الاكواخ سمعة هي ديولوال القريبة من مدينة داڤاو الجنوبية. مئة الف فيلبيني يحفرون هناك ويغسلون التراب والحصى. بحثاً عن الذهب منذ العام ١٩٨٢. وكانت المدينة تشهد خمس عمليات اطلاق نار أو طعن كل أسبوع فيما تسابق المعدنون لتعيين حدود الاراضي التي ادعوا حق التنقيب فيها. وليست المسدسات والقتلة المأجورون كل ما يتعين على طالبي الثروة مواجهته هناك. فقبل بضع سنوات قتل نحو ٣٠٠ شخص عندما تسبب المطر المتون في انهيال كبير جرف الاكواخ الموقتة. وعلى رغم ذلك لا يزال الشباب الطموحون يتوافدون الى ديولوال، ومعنى اسمها الحرفي "لسان يتدلى من الانهاك."

تخمة في الذهب؟ قد تكون حمى الذهب في الصين أفضل ضبطاً، لكنها تشكل تحدياً للنظام في البلاد. فقد سمحت الحكومة للافراد بالتنقيب عن الذهب عام ١٩٧٨. وبعد أربع سنوات رفعت حظراً على مبيعات الحلى الذهبية. ومنذ ذلك الحين هب نحو ٢٠٠ الف شخص يحملون معاول ومقالي لفصل الذهب، فازدهر التعدين بالاسلوب الذي كان متبعاً في القرن التاسع عشر في شمال

شرق الصين وفي شاندونغ الساحلية وفي مقاطعة غوانغدونغ الجنوبية.

وتحتاج بكين الى المعدّنين المستقلين، فهم يساهمون في نحو نصف انتاج الصين من الذهب سنوياً الذي يراوح بين ٥٠ و٦٥ طناً. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٨ أعادت الحكومة تطبيق خطط طموحة لزيادة انتاج الذهب كوسيلة لدعم احتياطها من العملات الاجنبية. ويقول بيه ميكينغ: "نهدف الى مضاعفة انتاجنا بحلول السنة ١٩٩٣."

وثمة فورة ذهب من نوع مختلف جداً ماضية في اوستراليا. ان خفض قيمة العملة والتقدم التكنولوجي السريع اجتمعا ليجعلا من معالجة الترسبات الذهبية الدونية خطوة اقتصادية. وأحد الابتكارات الاكثر أهمية هو التعدين بطريقة "الحفرة المفتوحة" حيث تستعمل الآلات الثقيلة لنقل كميات كبيرة من المعدن الخام ومعالجتها. يقول ك.ج. فيرغسون الذي عمل في اندونيسيا لمدة خمس عشرة سنة: "في العام ١٩٧٨ لم يكن أحد ينظر الى موقع ينتج غراماً من الذهب في الطن، واليوم يركضون وراء هذا الغرام في اوستراليا."

مع ارتفاع فاعلية الانتاج وتطلع عدة دول الى انتاج الكثير، يبرز السؤال: هل يسير العالم الى تخمة في الذهب؟ ربما لا. ويرى مارك ميلر أن احدى الخصائص السحرية للذهب هي أن الوفرة الزائدة تتسرب بسرعة من غير أن تهبط الاسعار على المدى الطويل. وهذه الاسعار تتأثر بمعدلات التضخم وقوة الدولار واغراق السوق بالذهب. ولكن حتى في هذه الحال، قد تهبط أسعار الذهب الى حدود الاربعين في المئة وتظل تسمح بفتح بعض المناجم في منطقة المحيط الهادىء.

في هذه الاثناء يزداد الطلب من اليابان وتايوان وبلدان اخرى. فاندفاع اليابان في قوتها الشرائية أبقاها لسنتين متواليتين اكبر شارٍ للذهب في العالم عامي ١٩٨٦ و١٩٨٧. وفي العام ١٩٨٨ أزاحتها تايوان التي بلغ مجمل وارداتها الرسمية ٣٥١ طناً. وعلى رغم التعقيدات المالية المتنامية في آسيا فإن سكانها لم يفقدوا التصاقهم العاطفي بالذهب، سواء أكان ذلك للمنزلة الاجتماعية أم لمعتقدات خرافية أم للطمأنينة المادية. وما دام الطلب مستمراً فلن يتوقف البحث الدؤوب عن المعدن الاثمن بين كل المعادن.

مليندا ليو ■



كلب ودليل

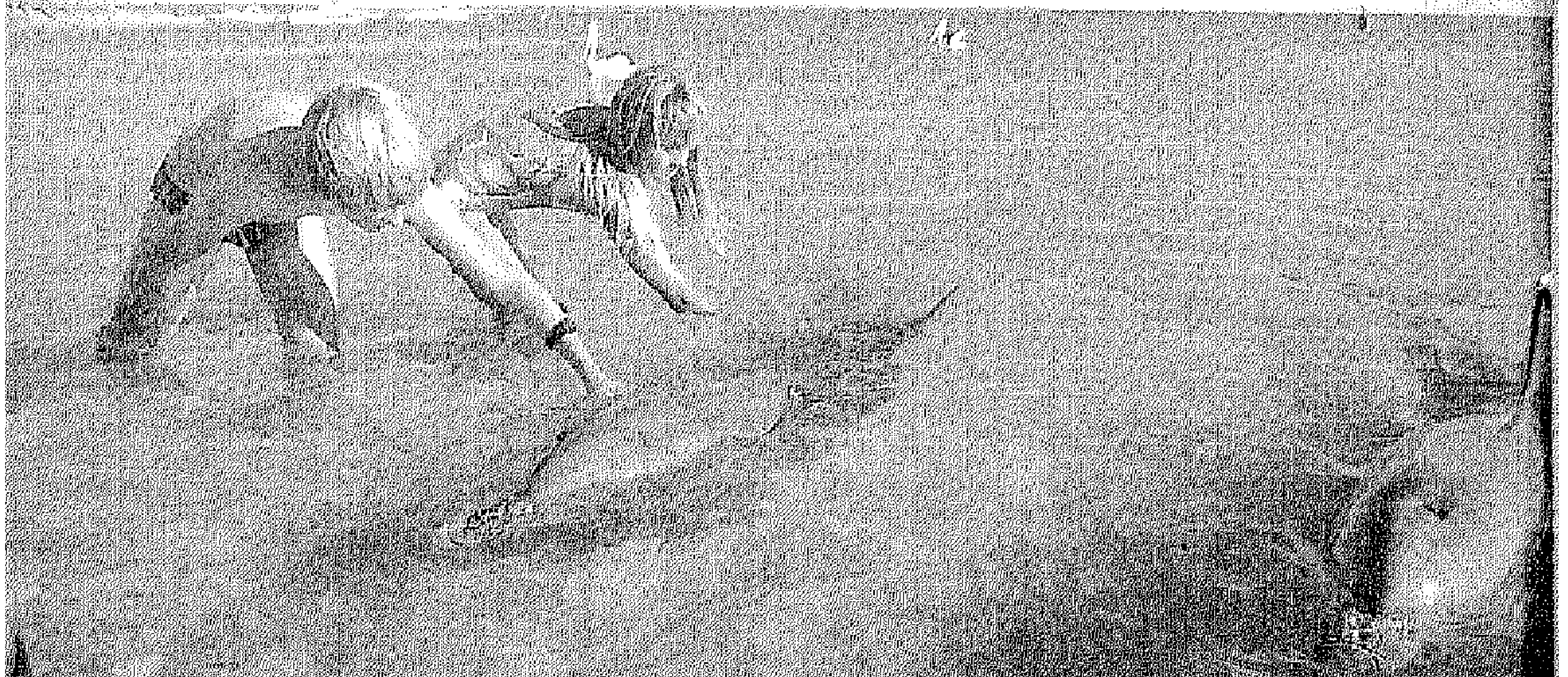
كنت اجتاز الطرق الضيقة لاحدى القرى على دراجتي الهوائية. وتوقفت أمام محل تجاري لاسأل عن وجهة السير. فقال لي صاحبه الكهل: "تابع سيرك ستة كيلومترات ترَ منزل الريّس نصري الابيض الى اليسار. والطريق التي تطلبها تذهب الى اليمين." ثمّ أضاف: "سيساعدك كلب الريّس على اختيار الطريق الصحيحة."

ف.أ.

يتبلج الفجر فوق مونكي ميا (١) وهو شاطئ صغير في أقصى ساحل أوستراليا الغربي. أمواج خفيفة تزبد على ساقيّ العاريتين وأنا أراقب الأفق المشرق. جمهرة من الناس تشاركني في الترقب، وقد اجتذبتها من أصقاع الأرض أقاصيص غريبة عن دلافين وحشية سمعنا أنها اختارت هذا المكان لتمرح مع الناس. من هؤلاء فنانة يابانية في رحلتها الأولى الى الخارج وزوجان متقاعدان من بريطانيا وأربعة أصدقاء يافعون من بريسبين (كاليفورنيا) ورجل أعمال من شيكاغو وطبيب من استوكهولم.

ويصرخ أحدهم فجأة: "هناك! هناك!" وعلى بعد نحو مئة متر داخل البحر تظهر خمس زعانف ظهريّة وهي تشق متزامنة سطح الماء، وتتراءى أشكال قاتمة تندفق منقوسة بلباقة كاشفة وجوهاً طويلة ذات مناقير. إنها الدلافين!

(١) Monkey Mia



وفي ثوان معدودات تنطلق الى وجه الماء مسرعة كقذائف طوربيد. وتسبح من دون خوف متخطية كلاً منا بدوره، وهي تتمايل محاولة رؤيتنا على نحو أفضل بأعينها الداكنة. بسطتُ يداً مترددة نحو ذكر ضخم، فتوقف حين لمست جانبه القوي العضلات واستجاب بوكزة لطيفة. ثم دار كاشفاً بطنه الشاحب داعياً إياي الى حكّه. ولمّا فعلت رد باطلاق سلسلة متقطعة من الصفير والصرير.

غمرني الافتتان. كذلك الفنانة اليابانية الهادئة التي كانت تصرخ بابتهاج كلما مس أحد الدلافين يدها بأنفه. وكانت الإثارة تلتمع في عيني المرأة الانكليزية المتقدمة في السن وهي تمسّد ظهر أحد الدلافين الفتيّة والمياه الدافئة تغمر ركبتيها. وصاحت: "يا للروعة!" وكمن مسّهم السحر، كان الباقون لا يصدقون ما تراه أعينهم.

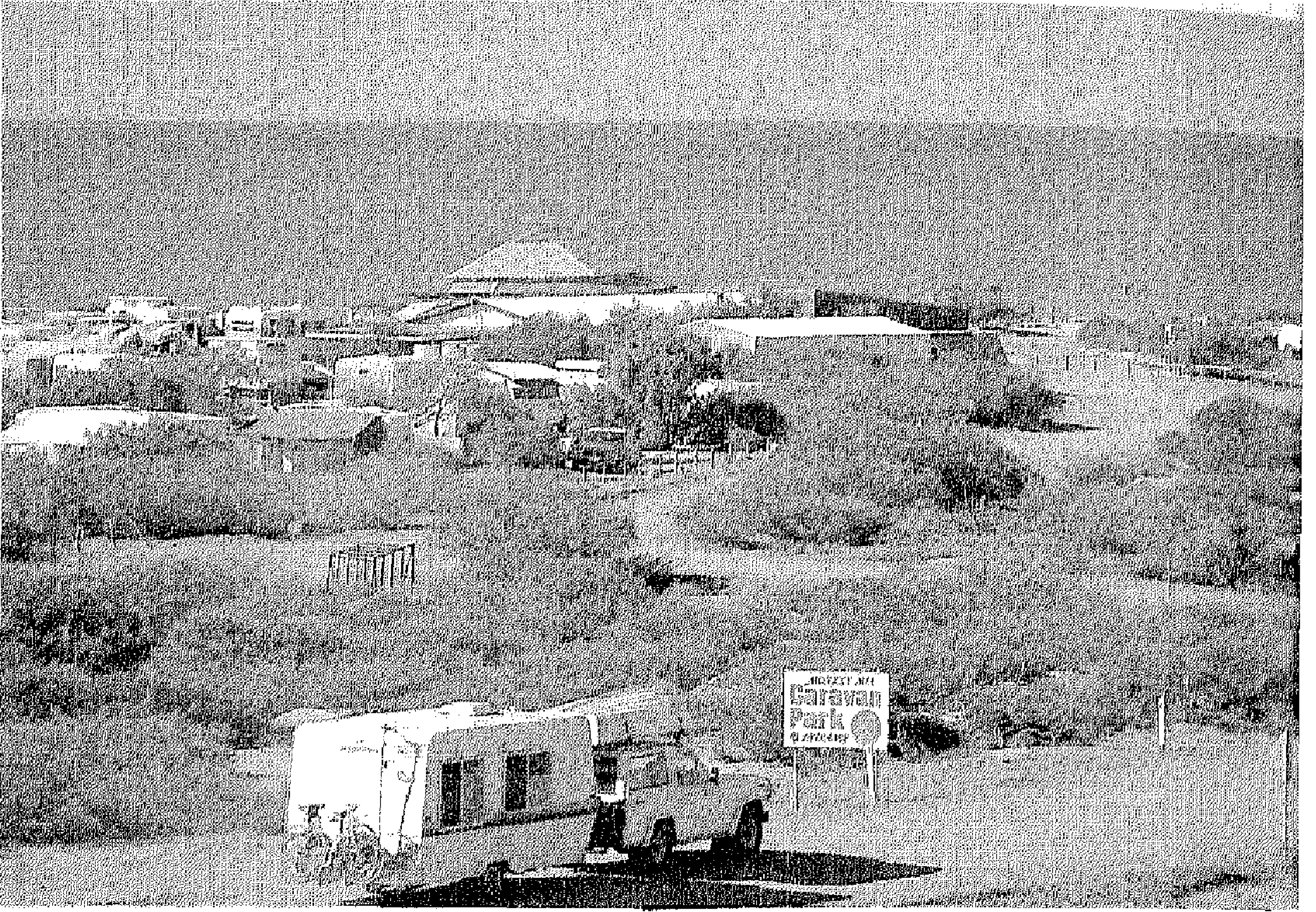
واصلت الدلافين دورانها بيننا لفترة أخرى، ثم انطلقت بدفع نشط من أذيالها الى المياه العميقة. فخوّضت في المياه عائداً الى الشاطىء، وجلست بسكينة مسترسلا الى غمرة من التأثر الغريب، بينما كان الصمت يلف الآخرين وقد صعقتهم حدة التجربة.

تشارلي اللعوب. عُرفتْ في أماكن أخرى من العالم حالات عن دلافين وحيدة تجازف بالاقتراب من الشواطىء الضحلة برهة قصيرة لتتودد الى الناس. أما في مونكي ميا فتأتي مجموعة صغيرة من الدلافين كل يوم. تقول راشل سمولكر وهي عالمة حيوان في جامعة ميشيغين دأبت على المجيء الى مونكي ميا خلال ست سنوات متتالية بهدف إجراء بحوث عن سلوك الدلافين: "ليس في العالم مكان يشبه هذا المكان. إنه الأمثل لمراقبة الدلافين عن كثب وهي في بيئتها الطبيعية."

ويعزو السكان المحليون اكتشاف الدلافين الى أليس واتسر وهي صاحبة قارب صيد. فقد رست أليس ذات ليلة من العام ١٩٦٤ قبالة مونكي ميا مع زوجها إرن وهما على متن قاربهما "مايبي". ولما كان الحر شديداً تمددت أليس على فراشها وراحت تصغي الى رشاش الدلافين وهي تسبح حول القارب. أخيراً نهضت وتناولت من الثلاجة سمكة وألقت بها الى الماء. تقول أليس واتس: "سبح الدلفين في محاذاة القارب وتلقف السمكة." وبعد نحو أسبوع عاد الدلفين مصطحباً زوجته وطفله، إلى أن اعتاد الثلاثة أخيراً تناول الطعام من يد أليس.

أَطْلَقَتْ أليس على الدلفين اسم تشارلي، فغدا جالب حظ لقافلة الصيد في مونكي ميا. وهي تؤكد أن ما اجتذب تشارلي فعلا لم يكن الطعام. تقول: "الطعام متوافر بكثرة في الخليج، والدلافين صيادون مهرة. لكن تشارلي كان غالباً يعيد قذف السمك الى القارب كأنه يبرهن أن اللعب وحده هو القصد."

وحين عادت أليس وزوجها الى قاعدتهما في مندوره، تبنت تشارلي مجموعة من الصيادين المحليين. وكان الصياد جيم بولاند أول من لمس الدلفين فعلا. يقول بولاند: "لمسّ الدلفين برفق جانب قاربنا الصغير، فمددنا أيدينا



يتوافد الزوار للتخييم في مونكي ميا تجذبهم أقاصيص عن الدلافين الودودة.





منذ ٢٥ سنة تقترب الدلافين من الشاطىء لمداعبة الناس. هنا يلهو "سيكل فن" . والى اليسار الجدة "هولي فن" وعلى جلدها ندوب من حروق الشمس.

PHOTOS: PAUL RAFFAELE

لاشعورياً ورفعناه الى متن القارب وأسندناه الى ركبنا. وقد بدا أنه استساغ التجربة." على أثر ذلك بدأ تشارلي ينتظر قارب بولاند على بعد كيلومترين من الشاطىء لملاقاته ومواكبته الى مونكي ميا. يقول بولاند: "كان يقفز وينقلب فوق الماء بقصد تسليتنا."

دلافين ذات أسماء. من المحزن حقاً أن مودَّة تشارلي هي التي قضت عليه. فقد وجده بولاند ذات يوم نافقاً على الشاطىء بطلق ناري في رأسه. وهو يعتقد أن الفاعلين أولاد أعمامهم الفرح ببنادقهم.

لكن عائلة تشارلي تابعت مداعبة الصيادين، كما استقدمت تدريجاً أعداداً أخرى من الدلافين. وعلى مرِّ السنوات القليلة التالية تسرَّبت أخبار الدلافين الى الخارج. فبدأت مجموعات جسورة من الناس تصل الى الشاطىء عبر ممر وعر مليء بالحفر والأخاديد يمتد متلوياً مسافة ٣٤ كيلومتراً وسط كثبان رملية حمراء كالدم، آتين من دنهام وهي قرية صغيرة يتعاطى أهلها صيد السمك وتقع على بعد ٨٥٠ كيلومتراً شمال برث. بين هؤلاء الوافدين كان ويلف وهازل مايسون اللذان افتتنا بالدلافين الى حد أنهما قررا البقاء وإنشاء محطة للقوافل السيارة بقيت الملاذ الوحيد في مونكي ميا.

عُرف كثير من الدلافين بأسماء أطلقها ويلف، وهو رجل طيب السريرة ذو عينين زرقاوين كالبحر. يقول: "يفد الناس الى هنا لقضاء فترة وجيزة، ويودون تمييز الدلافين بحسب أوصافها كي تزداد معرفتهم بها. لذا أطلقتُ عليها أسماء تتناسب وشخصيَّتها أو مظهرها."

في وقت لاحق من النهار، وقفتُ حافي القدمين في المياه اللازوردية، أراقب أجيالاً ثلاثة من إناث الدلافين وهي تلهو في المياه الضحلة. تقلبت الجدة "هولي فن" على الشاطىء صعوداً وهبوطاً، وكانت تتوقف بين الفينة والأخرى لتمرِّغ أنفها بمن يستحوذ على إعجابها، بينما لازمت حفيدتها "نيبر" (الكمّاشة) أمها "نكي" وبقيتا معاً على بعد خمسة أمتار من الشاطىء.

وفيما كنت أراقب تهريج "نيبر" سبح الذكر "سنوبنوز" (الانف الافطس) ولمس ساقي برفق. ثم قوَّس جسده ليرفع رأسه كلياً من الماء، وقدَّم الي خصلة من الطحالب البحرية كان جمعها من مكان ما على الشاطىء. أخذتها وفحصتها بعناية ثم أعدتها اليه بتهذيب. بدا واضحاً أن تلك كانت لعبته المفضلة، إذ قبض بأسنانه على الخصلة وسبح ليقدمها الى زائر آخر.

ظاهرة فريدة. على رغم الاغراءات الكثيرة حرص ويلف على ألا يعلِّم الدلافين أي حيلة، مدركاً أن ذاك يسلبها جاذبيتها الفريدة وقيمتها العلمية كحيوانات غير أليفة. وقد أبهجني حرصه واهتمامه عندما شاهدت "سيكل فن" (الزعنفة المنجلية) و"سنوبنوز" يقفزان من المياه معاً في انسجام تام على بعد ٤٠ متراً من الشاطىء. وبلمحة خاطفة دارا معاً في الهواء ثم سقطا في الخليج. ما من مدرِّب

علمهما هذه الحركة، لقد حصل ذلك بالغريزة المحض.

وغالباً ما كانت راشل سمولكر تصاب بالذهول من جراء تفنن الدلافين في سلوكها. تقول: "أدركنا أن لها مجتمعاً أكثر تعقيداً من مجتمعات الحيوانات الثديية الأرفع مرتبة كقرود الشمبانزي والغوريلا."

كانت سمولكر تخرج يومياً بقاربها، اذا سمح الطقس، لمراقبة سلوك الدلافين وتسجيل ما تنطق به بواسطة مذياع يعمل تحت الماء. تبث الدلافين، بغية تحديد الصدى، مجموعة متنوعة من الأصوات تصدر من جزء منتفخ في قاعدة جبينها، ضمنه شحمات مختصة بالتركيز على الاصوات الصادرة أمام الرأس. وقد خَلُص أحد الباحثين الى الاستنتاج أن في وسع الدلفين إصدار دفق من الأصوات يكفي لصعق سمكة.

وتشبه "محادثات" الدلافين المسجلة على أشرطة راشل صخباً في فناء مزرعة. فمن صياح أوز الى عواء كلاب فالى خوار بقر وانصفاق أبواب وأزيز منشار كهربائي. كل ذاك الضجيج تولده الدلافين. وقد سجلت سمولكر ذات مرة "سنوبنوز" وهو يُصدر أصواتاً ظنتها نوبة غضب بسبب غيرته من دلفين آخر كان يتلقى من زائر كمية أكبر من السمك. وبدا ضجيجه كإرعاد فيل غاضب. تقول: "بَلَغَتْ مشاهداتي حداً رأيت معه دلافين تتناقش بحدة ويصرخ بعضها على بعض ورؤوسها تتجابه في الماء."

تقول سمولكر: "ان الدلافين التي تفد بانتظام الى الشاطىء تنتمي الى مجموعة من نحو ٦٠ دلفيناً، مما يساعد على دراسة حركاتها بالتفصيل." وحتى الدلافين التي لا تأتي الى الشاطىء لا تخاف الناس، "وتسمح لنا بالاقتراب منها بقواربنا وإن كنا على بعد ١٠ كيلومترات من الشاطىء."

ويدرس بول أندرسن، الأستاذ الفخري في البيولوجيا (علم الاحياء) في جامعة كالفاري بكندا، أطومات (٢) المنطقة وهي ثدييات مدارية ضخمة تشبه الحيتان. وهو تنبّه الى تفرد مونكي ميا بهذه الأعجوبة، وشرح ظاهرة عدم خوف الدلافين والأطومات المحلية من الإنسان: "لقد مرَّت عليها ألوف السنين وهي قادرة على التطواف بحرية تامة في مياه الخليج، ذلك لأن السكان المحليين لم يقتنوا قوارب."

"لقد عادت!" مع الفجر كل صباح ينطلق ستة حراس، بينهم شارون غوسبر، لمراقبة الشاطىء وحماية الدلافين من أي أذى أو إزعاج. وقد تم تعيين هؤلاء الحراس عام ١٩٨٦ بعدما قلق مجلس المقاطعة المحلي من جراء تدفق الزوار. بيد أني لاحظت قدرة الدلافين على حماية أنفسها حين كان الناس يسترسلون في صخبهم. وكان "سيكل فن" يسارع الى مواجهة كل سائح يتجاوز حدوده بلطمه أو دفعه أو رشه. وحين أصرت إحدى النساء على شد زعنفته بقوة عاقبها بقضمتين حادتين على أصابعها.

غير أن ما يقلق سمولكر حقاً هو الموجة العارمة من الزوار التي يتوقع أن يصل

(٢) Dugongs

عددها الى مئتي ألف هذا الموسم، مما حدا الدلفينة "كروكد فن" الزعنفة المعقوفة، على الانسحاب وتخفيف زياراتها للشاطىء بعدما كانت من "الاصدقاء" الدائمين. وتقول سمولكر: "سيكون محزناً أن يضع الازدحام حداً لهذا الاتصال الفريد بين الدلافين والبشر."

ويساور القلق أيضاً سكان دنهام القريبة. يقول ديك هولت رئيس جمعية صيادي السمك المحلية: "ان السكان غير راضين عن كثرة الوافدين الى مونكي ميا." ويستبعد هولت امكان لجوء أي منهم الى التعبير حسياً عن استيائه. ويضيف: "ليس بيننا من يقدم على إيذاء دلفين. فلقد ربينا على الاعتقاد أن الدلافين تجلب لنا حسن الطالع."

عاودتني كلمات هولت وأنا جالس على الشاطىء عند الفجر في اليوم الأخير من رحلتي الى مونكي ميا، مترقباً مواجهة أخيرة مع الدلافين. مرّ نصف ساعة، ثم ساعة. لا أثر للدلافين. في التاسعة والنصف تهيأت الحافلة للانطلاق الى دنهام وكان نفيرها النافذ ينخر مسمعي وما ان هممت بالسير نحوها حتى سمعت صرخة عالية: "لقد عادت!" قفز دلفين وحيد الى علو ثلاثة أمتار أو أربعة خارج الماء. وعن يميني شقت ست زعانف سطح الماء واندفعت بقوة نحو الشاطىء.

أطلق سائق الحافلة بوقه تكراراً داعياً الحاجزين للرحلة الصباحية. لكني تجاهلت البوق الملحّ، وسرت بسعادة طفولية مرتدياً بكل جوارحي نحو الماء. سبحت "هولي فن" نحوي، فتقدّمت لأمسد جنبها بلطف بينما راحت تطلق سلسلة من صفيرها وصريرها المعهودين. وراقبت الحافلة وهي تغادر المحطة، ومرة أخرى تكشفت لي أعجوبة مونكي ميا.

بول رافايل ■



الافعى والكوكايين

قليلون من مدربي كرة القدم سجلوا نقاطا في محاربة المخدرات مثلما فعل إرك رَسِل، مدرب فريق كلية ستاتسبورو في ولاية جورجيا. فقد اتفق مع شابين ريفيين على ان يندفعا فجأة داخل النادي في اثناء اجتماع روتيني للفريق ويرميا فوق طاولة امام اعين اللاعبين أفعى مجلجلة متلوية طولها متران.

يستعيد رَسل الحادثة المفتعلة: "ذعر الجميع وتفرّقوا. فقلت لهم: "عندما يدخل الكوكايين الى غرفة ما فأنتم لا تسرعون الى مغادرتها على غرار ما فعلتم الآن. مع أن في الاثنين سمّاً زعافاً. فاذا شاهدتم تلك المادة البيضاء اهربوا كما هربتم من هذه الافعى المجلجلة – لانها مثلها وأشد خطراً منها!"

ج.ب.

الوهم مفيد شرط أن يمسكه الواقع بيده.

ف.م.

الغضبُ القاتل

ان اطلاق العنان لغضبك قد يقضي عليك عاجلاً أم آجلاً
واستناداً الى الابحاث الحديثة
اذا رغبت في ضمان سلامة قلبك فعليك لجم غضبك

كان أحد مرضاي رجلاً ثرياً عصامياً اعتاد أن يحقق ما يصبو اليه وينال مبتغاه. في السن الرابعة والاربعين أنشأ شركته الخاصة التي ضمت ١٠٠ عامل. لكنه كان من المشككين، فلم يثق أبداً بحسن قيام عماله بواجباتهم. فكان يدقق في كل شاردة وواردة، وذلك ادى في كثير من الاحيان الى نوبات غضب عنيفة. لكنه كان مؤمناً بأن طبعه الحاد ساهم في ما حققه من نجاح.

وذات يوم خريف فيما هو يقود سيارته منتقلاً من مكتب له الى آخر، تجاوزه سائق أرعن بسرعة خاطفة. وهو كان عادة يضغط بوق السيارة في مثل هذه الاحوال، لكنه شعر فجأة كأن قضيباً حديداً حامياً غرز في صدره. وتمكن بصعوبة من التوجه

بسيارته الى أقرب مستشفى حيث أدخل وحدة "العناية الفائقة."

في الايام القليلة التالية لم يدل تخطيط القلب على حصول نوبة أو اي شيء غير عادي. واجتاز صاحبنا فحصاً للاجهاد. فامر طبيبه باجراء فحص أخير للدم وحدث أن صعب على الممرضة سحب عينة من الدم من ساعده. وفي المحاولة الثالثة سيطر الغضب على المريض، فشعر بالقضيب المتوهج ذاته يطعن صدره ثانية. وأظهرت الفحوص اللاحقة انسداداً في أحد شرايينه التاجية، فحين يغضب يعجز القلب عن نيل كمية الدم التي يحتاج اليها. وكان ذلك دليلاً على أن طبعه العدواني أضرَّ بقلبه.

قبل أكثر من ألفي سنة تحدث الحكماء عن فضائل القلب الواثق. والى حكمة الاجيال، يدلّ البرهان العلمي على أن ذوي القلوب الواثقة الآمنة يعيشون أطول من سواهم ويتمتعون بصحة أفضل.

وبنتيجة ما نشره في السبعينات طبيبا قلب رائدان هما ماير فريدمان وراي روزنمان، بات معروفاً أن "الفئة أ" تضم أناساً نافدي الصبر سريعين الى الغضب والعدوانية. ويعتقد كثيرون أن أفراد هذه الفئة معرضون لخطر الاصابة بمرض القلب أو للموت بمرض تاجي أكثر كثيراً من سواهم.

واذ اقتنع الناس بأن سلوك "الفئة أ" هو ضمن قائمة العوامل الخطرة على القلب – كالتدخين وارتفاع مستوى الكولستيرول وقلة التمرين الجسدي – بدأت تظهر تقارير تشير الى أن قصة "الفئة أ" ليست بهذه البساطة.

فالدراسات الجديدة عجزت عن اكتشاف ازدياد خطر الاصابة بالنوبة القلبية لدى كل أفراد "الفئة أ." لكن البحث الحديث آخذ في توضيح تفهمنا للمشكلة. والاخبار الطيبة هي أن ليست كل تصرفات "الفئة أ" سامّة بالتساوي. فالبحث الحديث يدل على أن حال العجلة تبدو مضرة فقط لأنها تزيد عدوانية المرء.

أما الاخبار السيئة فهي أن العدوانية والغضب قد يكونان مميتين. فهما يزيدان امكان الاصابة بمرض القلب التاجي، وقد يزيدان أيضاً خطر الاصابة بعلل أخرى تهدد الحياة. فاذا كان قلبك عدوانياً فمن المهم أن تتعلم كيف تخفف غضبك.

ان القوة الدافعة وراء العدوانية هي تشكيك تهكمي في الآخرين، فاذا ترقبنا معاملة سيئة من الآخرين فيندر أن يخيب ترقبنا. وهذا يولد فينا الغضب ويؤدي الى مقابلته بالعدوانية.

والميزة الطاغية للمشكك المتهكم هي ارتيابه بالاشخاص الذين لا يعرفهم. تصوّر أنك تنتظر المصعد، فاذا هو يتوقف وقتاً اطول من المعتاد في الطبقة الثانية. فتفكر في نفسك: يا لقلة الشعور! اذا كان الناس يرغبون في المحادثة فلماذا لا يغادرون المصعد كيما يتمكّن الباقون من الوصول الى حيث يقصدون؟ لا سبيل لك الى معرفة سبب التأخير، ولكن ما هي سوى بضع ثوان الا وقد توصلت الى استنتاجات عدائية بشأن أناس لا معرفة لك بهم ولا بأهدافهم. خلال ذلك كان تشكيكك وعدم ثقتك

يطلقان فيضاً من "الادرينالين" وهورمونات أخرى تسبب الضغط والاجهاد مع ما يرافقها من نتائج جسدية ملموسة. فيتغير صوتك الى نبرة اعلى وتزداد سرعة تنفسك وعمقه وينبض قلبك بسرعة وبجهد أكبر وتشتد عضلات ذراعيك وقدميك وتشعر بأنك مشحون عزماً وقوة ومهيأ للقتال.

فاذا كنت تشعر بهذه الانفعالات أحياناً كثيرة فان حاصل غضبك مرتفع جدا وقد تكون على شفا التعرض لمشاكل صحية خطيرة. وتأثير الهورمونات التي تفرز خلال فترات الغضب قد يزيد خطر التعرض للمرض التاجيّ ولأمراض أخرى.

وللأسف، مع مرور الوقت يصبح تعبير القلب العدواني عن الغضب اكثر سهولة. فهل تبدي انفعالك نحو شخص التقيته للتوّ؟ قد يندرج هذا في نطاق كلام لطيف لين مثل: "أعتقد أن لديك مشتريات كثيرة تثقل عربتك (في السوبرماركت) فالافضل ألا تقف في صف الخدمة السريعة،" أو كلام فظ مثل: "هاي! لا يجوز لك أن تقف في هذا الصف ومعك كل هذه المشتريات!"

والدليل الاول على أن سلوكك عدواني يأتي من اجابتك، في موقف ما، عن السؤال: "ما هو قصدي من هذا العمل؟" فان كان لمعاقبة الشخص الآخر على ما أتاه، فأنت متهم بالعداء.

فهل يمكنك تخفيف عدوانيتك فتتحلّى بثقة أكبر؟ ان الابحاث حول منع الاصابة بالنوبات القلبية، التي يجريها فريق طبيب القلب فاير فريدمان، جاءت بنتائج مشجعة. فقد طوع فريدمان وزملاؤه ١٠١٣ مصاباً بالنوبة القلبية، وجميعهم من "الفئة أ"، للمشاركة في الدراسة. فقدم أطباء القلب الى جماعة من المتطوعين ارشادات غذائية ورياضية. وحظيت جماعة أخرى بالارشادات ذاتها اضافة الى برنامج مدروس لتخفيف حدة السلوك المميز لـ"الفئة أ."

وتبين بعد أربع سنوات ونصف سنة أن المجموعة التي تلقّت نصحاً طبياً وسلوكياً خففت من سلوكها الخطر المميز لـ"الفئة أ." أما أفراد مجموعة المقارنة فخففوا من سلوكهم هذا ولكن في نطاق محدود.

والاكثر أهمية أن معدل الوفيات ومعاودة مشاكل القلب في حالات الذين عدّلوا سلوكهم هبطا ٤٥ في المئة، مما يثبت أن تخفيف الانفعال يساعد في منع حصول النوبة القلبية الاولى.

في سبيل تنمية قلب مفعم بالثقة، على المرء أن يخفف تشكيكه وعدم ثقته بالآخرين وأن يلطف حدة انفعالاته وان يتعلم معاملة الآخرين برعاية ولطف. هنا ثماني خطوات تساعد في هذا السبيل:

١. اعترف بوجود مشكلة. دع زوجتك أو صديقاً حميماً يعرفان أنك تعي غضبك وتعتزم ضبطه. أطلب مساندتهما.

٢. فكر منطقياً. عندما تقف في طابور منتظراً دورك لانهاء معاملة، تراودك أفكار تشاؤمية. ذكر نفسك بأن الشخص المتمهل قدامك، قد لا يقصد إثارة غضبك. وسوف يساعدك تعقلك في استعادة النظرة المنطقية للواقع.

٣. **فكّر كما يفكّر الآخر.** اذا وضعت نفسك في مقام شخص آخر، فسوف تنجلي لك وجهة نظره ودوافعه وسلوكه. وفي معظم الحالات تجد أن حنقك أخذ يتلاشى. فالتقمّص العاطفي، أي اعتناق موقف الآخرين، لا يتمازج مع العدوانية.

٤. **إضحك من ذاتك.** في الطابور كنت تضحك من طبيعتك التشكيكية، ان المرح هو استراتيجية رائعة لطرد الارتياب ولتهدئة الغضب.

٥. **تمرّن على الثقة.** تحيّن الفرص والمناسبات لتولي أحدهم ثقتك. فبدلاً من طلب مقعد معين في الطائرة، مثلاً، اسأل الموظف المسؤول: "أي مقعد تنتقيه يكون مناسباً لي." قد يكون من حظك أن يختار لك مقعداً مفضلاً. واذ تكتشف أن ليس عليك التدقيق في كل شيء، تجد في ذلك مفاجأة مدهشة.

٦. **افرض ارادتك ايجابياً.** ما من شخص طبيعي لا يستبد به الغضب حين يتعرض للاهانة. انما، مهما حدث، لا تدع كلمات الغضب والتقريع تصدر عنك في موقفك العدواني. فاذا كان غريمك شخصاً لن تحتاج الى التعامل معه لاحقاً، فابتعد عنه.

واذا كان ممن لا يمكنك تحاشيهم فحاول بكل هدوء، بعيداً من الحقد والضغينة، أن تبين له ما يضايقك في سلوكه. فهذا المنحى التوجّهي يتيح للشخص الآخر فرصة لتغيير موقفه من غير أن يشعر بالاساءة.

٧. **مارس الغفران.** بتخليك عن الغيظ والاستياء والعقاب قد تجد ثقل الغضب يرتفع عن كاهليك مما يساعدك على تناسي الاساءة.

٨. **ابدأ الآن.** حين أسأل مرضى القلب عن العدوانية وكيف يتدبرون أمرها أسمعهم يقولون: "كان من عادتي أن أغضب كثيراً، إنما على أثر نوبتي القلبية أدركت ان كل تلك الاشياء التافهة التي كانت تثيرني لا تستحق الغضب والانفعال."

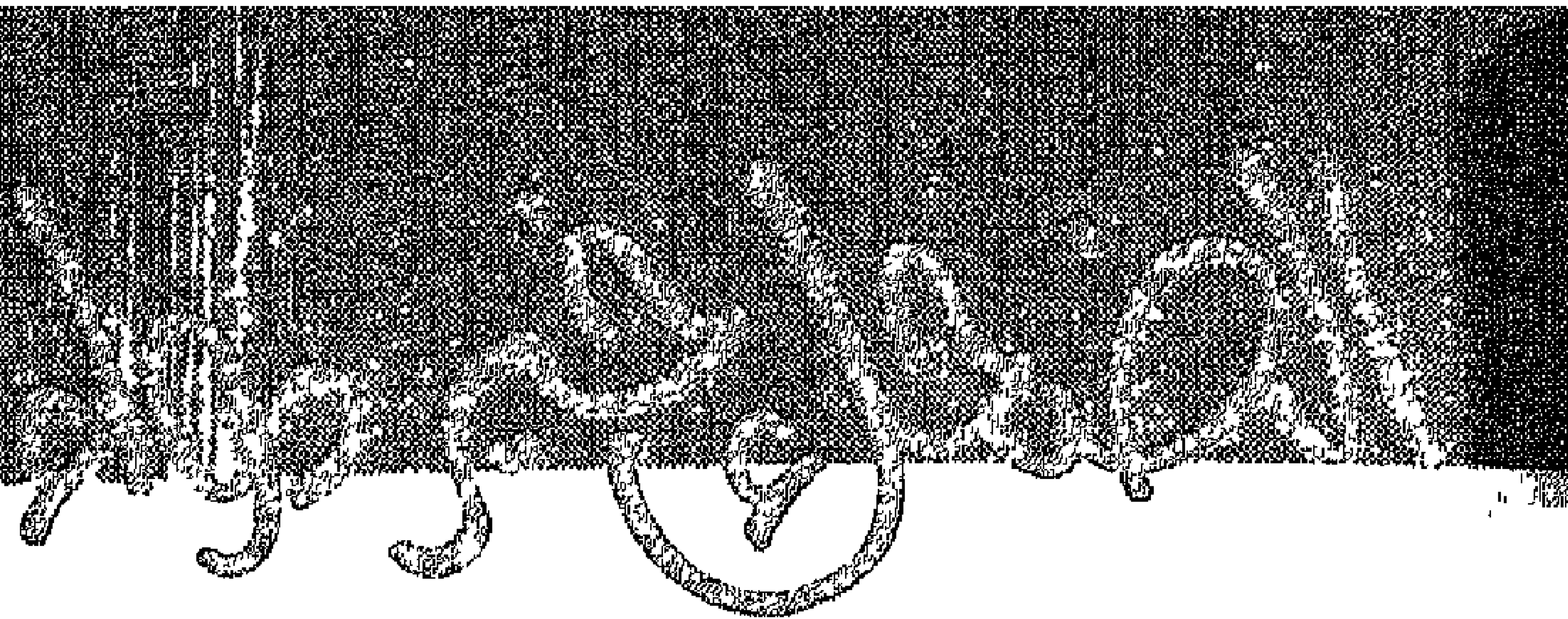
لا تنتظر اصابتك بنوبة قلبية كي تبدأ العمل على تخفيف حدة طبعك.

وعلى رغم ما تبديه من عزم على أن تكون أقل عدوانية، فقد تجد أن طبعك وعدوانيتك ما زالا يتفجران. ولكن استمرّ في محاولات كبحهما، ومع الوقت لا بد أن تؤتي هذه الارشادات ثمارها. ففي تعلّم الثقة بالآخرين ومعاملتهم باللطف والحسنى، تبدأ كسر حدّة الغضب وتأثيراته الضارة في جسمك. وسيجعل منك قلبك الواثق شخصاً محبّباً وأكثر دماثة، يأنس الناس الى عشرته.

د. ردفورد وليمس ■

يربح الظرف والمرح أحياناً المعارك التي يخسرها العقل والقوة.

خ.له.ا.



طبيب سيارات

كانت سيارة صغيرة متوقفة بجانب الطريق. وشاهدت شاباً يرتدي سترة بيضاء، هو على الارجح طالب طب في مستشفى قريب، يقفز الى داخلها وينطلق بسرعة ثالماً حاجز الاصطدام الخلفي لسيارة أمامه. وبعدما تفحص الضرر كتب رسالة قصيرة على بطاقة وعلقها فوق "الجرح" بشريط لاصق. ثم انطلق.
دفعني الفضول الى قراءة البطاقة. وقد جاء فيها: "آسف لهذا الحادث. خذ حبتي أسبيرين واتصل بي في الصباح." وتحت هذه الكلمات دوّن اسمه ورقم هاتفه.

ش.ش.

الببغاء الشاطر

فرح الزبون بطائر ببغاء اشتراه من متجر للحيوانات الأليفة، اذ كان يتلو أشعاراً لشكسبير ويقلد غناء نجوم الاوبرا وينشد قصائد هوميروس الملحمية باليونانية. واعتبر الرجل نفسه محظوظاً إذ لم يدفع سوى ٦٠٠ دولار ثمناً له. ولكن حال وصوله الى البيت صمت الببغاء كلياً. وبعد ثلاثة أسابيع أعاده صاحبه الى المتجر وطلب استرجاع ثمنه، فقال له صاحب المتجر: "عندما كان الطائر لدينا كان يلقي الأشعار ويغني بصوت شجي. والآن تريدني أن أسترجعه بعدما فقد ذاكرته؟ على كل حال، سأنقدك ١٠٠ دولار اظهاراً لحسن نيتي."
قبل الزبون الخسارة على مضض، وبعد خروجه من المحل سمع الببغاء يقول لصاحب المتجر: "لا تنسَ... فحصتي ٢٥٠ دولاراً."

ك.أ.هـ.

أخ حشاش

عاش الاخوان هربرت وجايمس مع امهما وهر يدعى "ادغار". وكان جايمس شديد التعلق بالهر، وعندما غادر المدينة لبضعة ايام، ترك لهربرت تعليمات دقيقة حول العناية بالحيوان المدلل.
وفي نهاية يومه الاول خارج المنزل اتصل بأخيه هاتفيا وسأله: "كيف حال ادغار؟" فاجاب هربرت: "لقد مات." ران بعض الصمت قبل ان يقول جايمس: "هربرت، انت عديم الذوق والاحساس. كان عليك ان تعلمني بالنبأ على مراحل، فانت تعرف كم انا متعلق بادغار. فعندما سألت عن ادغار الليلة كان عليك ان تجيب: "انه على السطح ولكني اتصلت بالاطفائية لانزاله"، وعند اتصالي بك ثانية تقول ان رجال الاطفاء

لاقوا صعوبة في انزال ادغار ولكنك تأمل في ان يتمكنوا من انجاز مهمتهم بنجاح. ثم عندما اتصل بك للمرة الثالثة تخبرني ان رجال الاطفاء بذلوا كل ما في وسعهم، لكن ادغار سقط لسوء الحظ عن السطح واخذ الى الطبيب البيطري. وعندما ادعوك للمرة الاخيرة، تنبئني انه على رغم كل العناية الممكنة التي احيط بها لقي حتفه. هذه هي الطريقة التي كان اعتمدها انسان حساس ليخبرني عن موت ادغار. آه، قبل ان انسى، كيف حال الوالدة؟"

فصمت هربرت ثم اجاب: "انها على السطح."

س. ف. ب.

عليّ وعلى زوجي

كانت امرأة مكتئبة تتمشى على الشاطىء عندما شاهدت زجاجة على الرمال، فالتقطتها وانتزعت فلينتها، فتصاعد منها عمود من الدخان وظهر امامها جني قال لها: "لقد اطلقتني من سجني، وابداء لعرفاني اهبك ثلاث امنيات. ولكن انتبهي: مع كل امنية سيحصل زوجك على ضعفي ماتطلبين." فسألت محتجة: "لماذا وقد هجرني هذا المتبطل السكير من اجل امرأة اخرى؟" فاجاب الجني: "هذا حظك."

فهزت المرأة كتفيها ثم طلبت مليون دولار. فسطع ضوء لامع وظهر عند قدميها مليون دولار. وفي اللحظة نفسها، في مكان بعيد، احنى زوجها الشكس رأسه ليجد ضعفي هذا المبلغ عند قدميه.

"ما رغبتك الثانية؟" سأل الجني.

اريد اغلى عقد من الالماس في العالم. سطع النور من جديد ووجدت المرأة العقد في يدها. وفي ذلك المكان البعيد كان زوجها يبحث عن سمسار جواهر يشتري منه لقيته الثمينة.

هنا سألت المرأة: "هل صحيح، ايها الجني، ان زوجي يملك الان مليوني دولار وجواهر تفوق ما املكه، وانه يحصل فعلا على ضعفي ما اطلبه منك؟"

- هذا صحيح، يا سيدتي.

"حسنا، ايها الجني. اليك امنيتي الاخيرة: افزعني حتى اشارف الموت."

ت. ن.

غذاء الاموات

فيما كان عالما اثار يستكشفان قبرا قديما في مصر وجدا وعاء يحوي طعاما. واذ ساورهما الفضول في شأن بعض النقوش على الوعاء استنجدا باستاذ جامعي متخصص باللغة الهيروغليفية فزودهما هذه الترجمة: "يُفضل استخدامه قبل الالف الثاني قبل الميلاد."

م. س.

المدينة القديمة

هنا أحيا مليونير خجول ١٤ قرناً من تراث بلاده

قال لي دليلي الشاب اذ عبرت حافلتنا الصغيرة بوابات ضخمة من الخشب الصلب: "نحن الآن على عتبة جنوب تايلند." وما ان أنهى كلامه حتى شاهدت "باغودا" (١) بشكل جرس يعلوها برج عال مستدقّ. وعرفت أنها اثر تاريخي من القرن السادس عشر ومن معالم ناكورن سري ثامارات، وهي مقاطعة غير بعيدة عن الحدود التايلندية - الماليزية. وبعد دقائق أطلّت "ستوبا" (٢) من طراز "سريفيجافا" مبنية ما بين القرن السابع والقرن الثاني عشر.

ومثل شخصية في قصة علمية - خيالية، رحت أتنقل بخفة عبر القرون على امتداد تايلند. فرأيتني أولا في قاعة العرش في "القصر الكبير" المتلألىء في بانكوك، ثم في الحاضرات القديمة آيودهيا وسوخوتاي، ولاحقاً في هيكل على قمة جبل يشرف على كمبوديا.

رحلتي عبر تايلند لم تكن في الواقع الا جولة نصف نهار في موانغ بوران، المدينة القديمة، الواقعة على مبعدة ١٠ كيلومترات جنوباً من بانكوك. هنا، على مساحة ٨٠ هكتاراً في شكل خريطة تايلند، جُمع اكثر من ١٥٠ تحفة فنية من هندسة شعب التاي على مدى ١٤ قرناً. وبين الآثار معارض، منها متحف للفن الشعبي وقرى قديمة أصيلة وتماثيل تصوّر أساطير التاي.

ظهرت موانغ بوران قبل عقدين على يدي مليونير تايلندي - صيني خجول يدعى ليك فيريابهون، أو خون ليك كما يدعوه أصدقاؤه. وعلى تعاقب السنين أغدق عليها الرجل ملايين الدولارات من ماله الخاص. ويُستوفى رسم دخول من نحو ٣٠٠ ألف زائر سنوياً، لكن الايراد لا يفي

(١) الباغودا هيكل متعدد الطبقات.

(٢) الستوبا برج في شكل هرم أو قبة.

بالنفقات العملية ولا بالتمويل الأساسي المذهل للمشروع. يقول أحد أصدقاء خون ليك: "انه أعظم عمل خيري غير ملكي في تاريخ تايلند."

ولد خون ليك عام ١٩١٥ لعائلة صينية ثرية في بانكوك. وبعدما درس كل شيء، من الادب الى علم الاقتصاد، أصبح ممثل شركة "مرسيديس - بنز" في تايلند، ونجح في تحويل شركته مشروعاً تجارياً مربحاً.

في هذا الوقت أولع خون ليك بالآثار التاريخية القيمة. وحين رأى سرعة اندثار معالم تايلند التاريخية في حقبة ما بعد الحرب، نتيجة الاندفاع المتعاظم في طريق التحديث العصري، عزم على بناء شيء يعلّم الناس تاريخ تايلند.

بوشر تمهيد الارض لانشاء "المدينة القديمة" عام ١٩٦٣. وكثير من "النسخ" المطابقة لابنية تايلند التاريخية شيّدت وفقاً للمقاييس المرسومة - من ثلاثة أرباع الى ثلث أحجامها الأصلية. وقد حجّمت الارض ونظمت المناظر الطبيعية وفقاً لهذه المقاييس أيضاً لكي تضفي انطباعاً أن تلك هي أحجام الابنية الحقيقية. وفي اعادة بناء "خاو فرا فيهار" في كامبو، وهو مقام أسطوري للخمير شيّد في القرن الحادي عشر، أراد خون ليك أن تبدو النسخة الجديدة مرتفعة بجلال ارتفاع البناء الأصيل. لذا انهمك ما يربو على ألف عامل في بناء "جبل" ارتفاعه ٥٤ متراً، مستخدمين حمولة ٢٤٠٠ شاحنة كبيرة من الصخر واكثر من ٨ هكتارات من التربة الفوقية.

افتتحت "المدينة القديمة" في ١١ فبراير (شباط) ١٩٧٢. وكان مهرجاناً فخماً حضره ملك تايلند وملكتها وملكة بريطانيا اليزابيت الثانية. وكان أبرز الغائبين الرجل الذي حقق كل ذلك. فمع أن خون ليك عمل أياماً للتحضير للافتتاح فانه آثر أن يظل مغموراً وبقي بعيداً عن الانظار، حتى ان اسمه لم يرد في أخبار الصحف التي نقلت الحدث وغاب عن الكتب الموضوعة عن "المدينة القديمة".

لكن اهتمام خون ليك بالمشروع ما زال شديداً. فقد أضيف الى موانع بوران أكثر من ٥٠ معروضة رئيسية. وكان هناك ٠٠ بناء لدى افتتاحها عام ١٩٧٢، وهي تضم اليوم أكثر من ١٥٠ بناء ولا يكتفي خون ليك برسم الخطط ووضع الافكار، بل غالباً ما ينضم الى فرق البناء.

وأحد معارض "المدينة القديمة" الاكثر اثارة هو "سوق الماضي،" وهذه كناية عن دكاكين قديمة ومنصات ومزارات تصور حضارة التاي الريفية في الجيل السابق. وفيما كنت أمشي في الشارع المتعرّج المرصوف بالآجرّ، مررت بكشك عرّاف كامل العدة، وبدكان ادوية شعبية يعرض جذوراً ونباتات شافية، وبمشغل حيث كان يحاك الحرير والقطن على أنوال قديمة. وكان نحو ٢٠٠ شخص من العاملين في "المدينة القديمة" يمارسون أشغالهم اليومية في المسارح أو بيع التذكارات أو يتبادلون الحديث المرح في السرادقات.

"المدينة القديمة" هي أيضاً مختزن لتراث تايلند الشعبي. وفيما كنت أجول بين أكبر مجموعة من مصنوعات التاي الفنية في البلاد، رأيت مصائد سمك

وأشراك حيوانات وسلالاً ضخمة من القش المجدول لتذرية الرز وغربلته في الحقول وجراراً خزفية وقوارب بديعة صنعت بالايدي، كلّاً من جذع شجرة.

في نهاية جولتي زرت البناء المحاكي لمقام "خاو فرا فيهار." وفيما تسلقت السلالم الاربع الطويلة التي تنتهي كل منها بسطيحة وبنسخ مطابقة لأبنية المقام المتهدّم، بدت المناظر أكثر روعة. ولما بلغت قمة "الجبل" طالعني مشهد أخاذ ساحر ترامى بعيداً عبر حقول الرز حتى خليج تايلند.

وأخذتني الدهشة حين سرّحت نظري فوق موانع بوران لسعة رؤيا خون ليك. فقد كانت سقوف القصرين الكبيرين الذاهبة في العلاء تلمع في ضوء الشمس، ومعالم من كل الاحجام والاشكال منتشرة هنا وهناك في السهل الفسيح، وقباب مستدقة مموهة بالذهب، وأبراج مستديرة من الحجر الناعم من طراز الخمير، وسرادقات متلالئة فوق قمة تلة. وتصاعدت ضفيرة رفيعة من الدخان من أحد الاكواخ المسقوفة بالقش. وفي زريبة الفيلة كان زوجان يطلقان رشاش ماء في بركة الابتراد. ومن "سوق الماضي" سمعت وقع موسيقى التاي التقليدية.

وكان بيت مزارع بسيط محجوباً عني وأنا في مجثمي على القمة، وكنت رأيته خلال جولتي. وقد أفدت أن خون ليك يستمتع بالقعود فيه لدى اجتماعه مع البنائين الذين يترجمون أحلامه حقائق واقعية. فتذكرت كلمات أحد مساعدي ليك: "إنه لا يهتم بالناحية التجارية، ويترك ذلك للآخرين. فهذا، بالنسبة اليه، هو عمل محبة – محبته للماضي وللتاريخ بتراثه وأمجاده."

ولم أتمالك عن التفكير في أن هذه هي الهبة التي أودعه إياها الله لاهدائها الى الأجيال الآتية.

وليم وارن ■

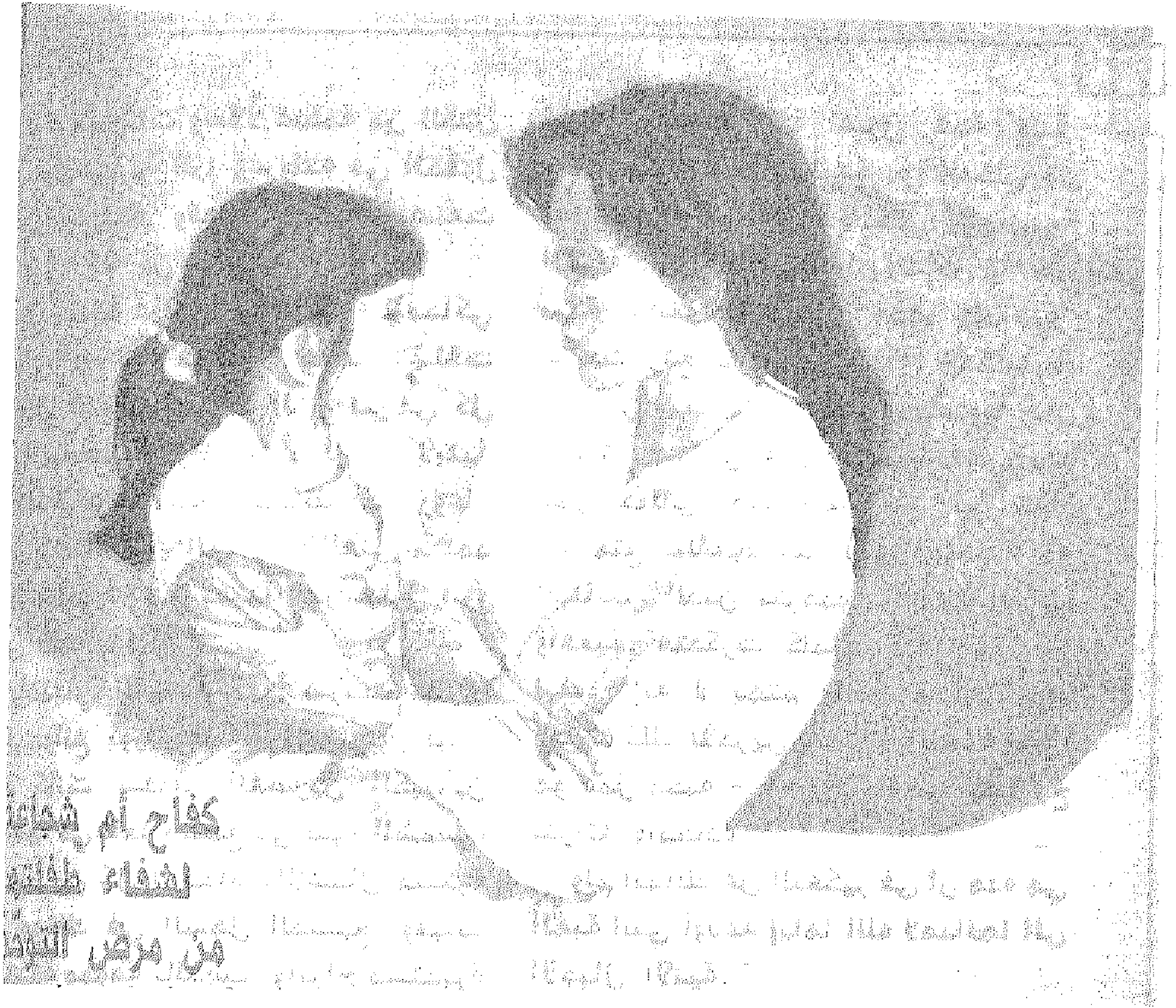
أسرار الكتابة

تفصح الروائية موريل سبارك عن بعض أسرار مهنتها: "أكتبْ سِرّاً لا جهراً، بلا خوف ولا خجل كأن ما تكتبه لن يُنشر أبداً. قبل بدء الكتابة تمرّن في ذهنك على ما سوف تسرده، وليكن شائقاً. ولكن لا تتوغل في التمرن الذهني، فقصتك ستتبلور كلما تقدّمت فيها، وخصوصاً اذا كتبتها الى صديق خاص، رجل أو امرأة، لتجعله يبتسم أو يضحك أو يصرخ. تذكّرْ ألاّ تفكّر في جمهور قرائك، فذلك قد يجفلك."

ك.ل.

سنديانة اليوم هي بلوطة الامس التي تجذّرت في التراب.

ف.ج.



الطفلة العابسة... تبتسم!

جاءت ولادتها خالية من التعقيدات. صرخة واحدة وإذ بطفلة تزن ثلاثة كيلوغرامات توضع بين ذراعيّ. ظلت تبكي حتى لامس خدها خدي. عندئذ توقفت حالا عن البكاء. فقلت لنفسي: انها تعرف أمها. أهلا بك يا آن ماري.

ولدى عودتنا من المستشفى الى البيت بقيت تبكي لفترات طويلة. ولم تكن تهدأ مهما حاولت أنا وزوجي مارك تهدئتها بالحمل أو بالهز أو بالملاطفة. فافترضنا أن المغص هو السبب.

خلال سنتها الاولى كانت تبدو طبيعية وان اختلفت كثيراً عن أخيها دنيال النشط المهذار. في الشهر السادس تمكنت من الجلوس والثرثرة والتطاول للوصول الى الاشياء. وكانت تتجاوب وايانا بهدوء وبهجة.

أما الآن فاني أرى الفوارق بوضوح أشد ايلاماً. عندما كان دنيال طفلا تعين علينا شراء لوازم تملأ مخزناً بغية ابقائه بعيداً عن الخطر. وضعنا أبواباً تقيه السقوط عن السلالم وأقفالا للخزائن والادراج وأغطية

بلاستيكية لمخارج التيار الكهربائي. آن ماري لم تضطرنا الى شيء من ذلك. كانت تجلس هادئة تلعب في موضع واحد. لم تحاول أبداً تسلق درجة أو فتح درج. ولقد اعتقدت دائماً أنها أكثر هدوءاً من أخيها وأقل حباً للمغامرة. وفي شهرها الخامس عشر كانت تنطق نحو عشر كلمات تضمنت "لا" و"ماما" و"هاي" و"دادي" و"بابا" (زجاجة الرضاعة).

في السنة الثانية بدأ القلق يساورني. كانت آن ماري طفلة جميلة ذات عينين زرقاوين وشعر بني وملامح ناعمة. واذ تضع ذراعيها حول ساقي كنت امطرها بالقبلات ثم أجلسها وأراقبها وهي تشرد من جديد. لكنني بقيت أتوقع شيئاً آخر كنت أتلقاه من دنيال: التأكد من حاجته الي عندما يظهر ارادته بالحاح طالباً اهتمامي الدائم به.

مزيد من الهدوء. مع انتهاء فصل الصيف تبين لي أن آن ماري كانت "تتعلق" بشيء، مثل لعبة أو صورة أو شريط رسوم متحركة، حتى يصعب ابعادها عنه ذهنياً. فاعتقدت أن الذنب ذنبي لانني لم أوفر لها ما يكفي لاثارتها. اشتريت ألعاباً اضافية وحاولت حضها على اللعب أو على التمعن في الكتب برفقتي. لكن شيئاً من كل ما فعلت لم يمكنني من استدرار اهتمامها طويلاً.

في أحد الايام بينما كنت أدفعها على أرجوحة في الحديقة العامة قالت لي امرأة عجوز تعودنا مشاهدتها هناك: "انها المرة الاولى أرى هذه الطفلة تبتسم." شعرت بقشعريرة في جسدي. لقد لاحظت هذه المرأة شيئاً حاولت دائماً اخفاءه: ان ابنتي نادراً ما تبتسم.

وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧ بلغت شهرها الثامن عشر وبدأ أمر حسي يقلقني: آن تفقد مفردات اللغة عوض أن تكتسب المزيد منها. وأخذت تميل الى السكون أكثر. وغاب عن ذاكرتها بعض الكلمات التي كانت تتقنها. أخذتها الى طبيب اطفال فاوصاني باخضاعها لاختبار سمعي.

جاءت النتائج طبيعية. لكنني لم أستطع التحرر من مخاوفي. أخبرني الاصدقاء عن أولاد يبكون كثيراً ولا يستوعبون الكلام الموجه اليهم. لكن آن ماري كانت تبكي باستمرار: عندما ألبسها أو اعريها وعندما أحملها أو أجلسها وكلما "تطفلت" عليها الى أدنى حد.

أشار علي الطبيب باخضاعها لفحص للجهاز العصبي. وفي الرابع عشر من ديسمبر (كانون الاول) ولد ابننا الثالث ميشال. ومع ذلك حافظنا على موعدنا في الثامن عشر منه ونحن ننتظر بفارغ الصبر أحداً يطمئننا نهائياً. استجوبتنا طبيبة أعصاب الاطفال ريجينا دي كارلو مدة ساعتين ونصف ساعة، ثم نظرت مباشرة في عيني وقالت ان سجل آن ماري وأعراضها أدلة على اصابتها بتوحد الطفولة(١).

أحسست بالدم يجف في وجهي. كنت أعلم أن التوحد يعتبر عاهة طويلة الامد وغير قابلة للشفاء، وأن كثيراً من الاطفال

(١) Infantile autism . والتوحد، أو الفصام الذاتي التركيز، يتميز بالاسترسال في التخيل هرباً من الواقع.

المتوحدين لا يتعلمـون أبداً النطق الطبيعي. لذلك بقيت مذهولة لا أصدق ما يجري خلال الساعات التي تلت، وكان عالمي كله يدور حول تلك الكلمة المقيتة: التوحد.

كانت نتف من شروح الطبيبة تتملك أفكاري: اضطراب في النمو، اختلال في الاتصـال ومخالطـة الآخرين، فقـدان التقارب مع الناس، تجاهل الواقـع الخارجي.

ولكن حتى عندما بكينا وجاهدنا لرفض هذه الكلمة لم يغب عنا أن حال طفلتنا وضحت وكأن نوراً قوياً سلط على مسلكها.

وعندما تأكد تشخيص عاهتها تثبتنا من أن أعراضها هي أعراض التوحد. كانت طريقتها في اللعب خالية من أي معنى وغريبة جداً. كانت دائماً تستعمل شيئاً واحداً (مثل منقار طائرها الكبير) للاشارة الى شيء آخر ولمسه. كانت تفتتن بالخيوط وبكوم الغبار وبأصابعها. وعلى رغم أنها بلغت الثانية من عمرها فلم تحاول تقليد أي حركة أؤديها. وكان أي تلامس جسدي خاضعاً لشروطها هي، ولم تكن تتقبل قبلاتنا ومعانقتنا اياها.

خوف وصلاة. مر شهرا يناير (كانون الثاني) وفبراير (شباط) من العام ١٩٨٨ كالكابوس. ومع انهماكي بالطفل الجديد وبكائي في ساعات متقدمة من الليل كنت اراقب طفلتي تتأخر يوماً بعد يوم. صارت تجلس في الزاوية وظهرها الى الغرفة وهي تنقر باصابعها قفص مكيف الهواء.

لقد شعرنا بفداحة الذنب اذ تابعنا حياتنا بينما طفلتنا تعاني أمراً مرعباً. حلمت ذات ليلة أنها غرقت وأن يدي تكشطان قاع البحر في محاولة لايجادها. فصرخت: "أين أنت يا طفلتي الحبيبة؟"

لم تعد تنظر الينا عندما ندخل غرفتها. وكانت ترمقنا بين الفينة والاخرى، ولكن بغير النظرات الواضحة الثابتة التي بدأت ألاحظها عند الاطفال الآخرين في كل مكان. كانت غير مبالية بنا على الاطلاق.

وفي لحظة تكشُّف ساحقة أدركت نهائياً لماذا كان مرضها يدعى التوحد: كانت هذه الطفلة منغلقة على ذاتها، لا رغبة لديها في الارتباط بنا. وكلما حاولت مبادلتها عدم الاكتراث غمرني شعور بالحب المشوب بالالم. انها لم تكن سعيدة ولا يسعها الوصول الى الاشخاص التواقين الى مساعدتها.

وفي احدى الليالي همست لزوجي: "مارك، ماذا لو لم تعد تحبنا؟" فأجابني بثقة: "عندئذ سنتعلم أن نحب من دون أن نتلقى حباً في المقابل."

كان مارك مصدر قوتي، أشكو له انكسار قلبي ليلة بعد أخرى.

شعرنا بأننا منبوذان وبائسان. أصبح فقدان طفلتنا غموضاً قوياً لا يرحم. لم يوفق ذكاؤنا الى أي خطة ولم يتمكن مالنا من شراء علاج شاف ولم يستطع حبنا اعادتها الينا.

ولكن ربما الصلاة افادتنا. أردنا أعجوبة ولم نصلْ لغير ذلك: الشفاء الكامل، وآن ماري محبة ضاحكة معافاة طبيعية. كنت أصلي بلا توقف جاعلة من صلواتي نسيج حياتي اليومية.

هذه الثقة وهذا الايمان حفظانا متماسكين كعائلة. وكلما قيل لي ان الاولاد المتوحدين لا يشفون كنت أحني رأسي هامسة: "كل شيء ممكن."

قرأنا الكتب والمقالات التي تتحدث عن التوحد. وجمعنا السطور والمقاطع التي تتحدث عن النقاط الحاسمة الثلاث: المعالجة والامل والشفاء.

الاحتضان بالقوة. كنا قرأنا عن نجاح الدكتور ايفار لوفاس مع الاطفال المتوحدين في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس. وباعتماد مبدأ التعليم المباشر لـ"التعديل السلوكي"(٢) نجح فريق لوفاس مع نصف مجموعة مؤلفة من ١٩ ولداً متوحداً كانوا دون الرابعة عند بدء المعالجة. كانت لدى جميعهم أعراض توحُّد شخصها مراقبون مستقلون. (كانت معرفة ذلك مهمة بالنسبة الينا، اذ كلما شفي ولد متوحد كان الاطباء يزعمون أنه لم يكن يوماً مصاباً بالتوحد.)

وما تبلور لدينا عندما ساءت حال آن ماري كان طريقة في المعالجة جمعت بين التعديل السلوكي ومعالجة النطق و"المعالجة بالاحتضان."

في البدء كرهت فكرة التعديل السلوكي التي عنت لي أطفالا آليين. وسألت مارك: "هل سنمرنها على النطق وعلى تقبيلنا وعلى أن تكون لها أحاسيس؟" كيف يمكن الاكراه ان يؤدي الى شفاء طفل؟ ولكن لم تكن في اليد حيلة. فاما ان نعتاد مشاهدة صغيرتنا تلعب بالخيط دوماً واما أن نجرب وسيلة سبق نجاحها.

عندما تركت آن ماري للمرة الاولى بصحبة بريجيت تايلور، وهي اخصائية مدربة على طريقة لوفاس، رمت ابنتي بنفسها ارضاً وبكت ساعة كما فعلت في كل جلسة في الاسابيع الثلاثة التي تلت. وكانت بريجيت تعيدها الى كرسيها كل مرة. فتضرب آن ماري نفسها وتتصلب فتقع أرضاً وهي تصرخ.

وكانت بريجيت التي لم تعاملها أبداً بخشونة، تتجاهل بكاءها حاثة اياها على انجاز المهمة المعينة. وإذا ما نفذت آن ماري جزءاً بسيطاً من المهمة، كانت بريجيت تعمد الى مكافأتها بالمديح المصحوب بقليل من الحلوى ثم بالالعاب.

في البداية، عندما كنت أشاهد بريجيت تلقن آن ماري كيف تصفق بيديها أو تقف أو تلمس أنفها، صعب علي أن أصدق أن اللغة ستنبثق من كل ذلك. لكن ابنتي تحولت من التقليد الصامت الى التقليد اللفظي ثم الى المقاطع الصوتية المفردة فالكلمات فالعبارات. قالت لي بريجيت شارحة: "في الوقت الحاضر علينا أن نعلمها كل شيء، لكننا نأمل أن تتعلم طريقة التعلم."

سرعان ما أدركت أن ابنتي ترغب كثيراً في الجديد الذي عملت بريجيت على ادخاله الى عالمها المخيف. ذات يوم رأيت آن ماري تهرع الى الباب لحظة وصول بريجيت فتنظر مباشرة اليها وتبتسم.

وعملت روبن روزنتال باركر، الاختصاصية بمعالجة صعوبات النطق

(٢) Behavior modification

واللغة، مع آن ماري فترة ثلاث ساعات أسبوعياً. كانت تكلمها وهي واقفة أمامها مباشرة، وتديرها نحوها كلما حاولت الطفلة ابعاد نظراتها عن عينيها. كانت تجهز لها وسائل اتصال "مغرية" مثل صندوق شفاف مغلق داخله قطعة حلوى وتقول لها: "افتحيه،" مكررة الكلمة مراراً.

وكانت اللغة التي استعملتها روبن سهلة وقابلة للتكرار: "لعبة! نعم. لعبة. أعطيني اللعبة. حسناً." كانت روبن، مثل بريجيت، تجتاز بابنتي مراحل النمو النطقي التي يتعلمها سائر الاولاد تلقائياً.

اعتمدنا أيضاً "المعالجة بالاحتضان" وهي طريقة مثيرة للجدل مفادها أن الاحتضان بالقوة يعيد ارتباط الولد المتوحد بأمه ويضعه على طريق النمو الطبيعي. لم أتقبل النظريات التي تنطوي عليها طريقة الاحتضان بالقوة اذ بدت كأنها تحمل الاهل مسؤولية حالة التوحد. ورفضت أن أصرخ في وجه ابنتي اثناء احتضاني اياها كما نصحني المرشدون. لكنني اكتشفت أنني اذ تابعت التصرف على طريقتي، الى جانب المعالجة السلوكية التي يزدريها المعالجون بالاحتضان، تجاوبت آن ماري. شعرت كأنني أوقظ جزءاً نائماً من دماغها.

احدى جلسات الاحتضان الاولى أرست الاسلوب لذلك. وضعت آن ماري في حضني وهي تواجهني. احتضنتها بقوة وبدأت أخاطبها بنبرة صارمة: "انظري اليّ يا آن ماري. لن أدعك تفلتين!" زعقت وقاومت، فخففت من تطويقي اياها وبدأت أغني لها وأهزها بلطف هامسة كم أنا أحبها. أخذت تهدأ تدريجاً وتصغي ساكنة.

المحارب المحب. بعد أسبوع من بدء خليط المعالجات بدرت من آن ماري اشارة أولى دلت على أنها فهمت شيئاً قلته. فعندما ناديتها: "هيا الى الغداء" قامت ومشت مباشرة الى المطبخ. وتحسن لعبها أيضاً. وبعد وقت قصير أخذت تتظاهر بأنها ترد على مكالمة هاتفية أو تطعم حيواناتها الالعاب.

وتطورت لغتها على نحو متقطع. وخلال أسابيع لم تتقن سوى بضع كلمات، ثم حصل لها بعض "التفجرات" اللغوية اذ تعلمت ١٥ كلمة في أسبوع. وكنت أعتقد أنها لن تتقن الجمع بين مفردتين. وفي احدى الامسيات عندما عاد والدها الى البيت نظرت اليه وقالت بهدوء: "هاي دادي!" (مرحباً يا أبي). فجثا مارك على ركبتيه ولفها بين ذراعيه هامساً: "مرحباً يا آن ماري، يا حبيبتي."

نقلت سريرها الى غرفة أخيها الاكبر كي لا تبقى وحيدة. كنت متيقظة معها في كل لحظة. ولم أكن لاسمح بأي تصرف يشبه، وإن عَرَضاً، التصرف التوحدي. وبينما كنا نهاجم حواجزها الدفاعية حرصت على طمأنتها الى أن محارباً مُحباً يحاول غزو قلعتها واخضاع قلبها وارادتها، لانني كنت في حاجة اليها، كنت أريدها وأحبها.

ولكن من كانت آن ماري بالضبط؟

ظل هذا السؤال يؤرقني فترة. قلقت لاننا كنا، نحن أهلها والقائمين على

معالجتها، نعلمها كل شيء: ماذا تفعل وماذا تقول ومن تكون. كنا نعيد صنع شخص من رفات طفلة ضائعة.

وعندما بدأ ابداعها يظهر وسادت عفويتها وبهجتها أكثر شعرت أن الامور تبدلت. ومثلما تكونت في أحشائي، هكذا تكونت من جديد. انها أعجوبة.

بحثت ومارك عن أجوبة لسر التوحد والشفاء منه. قد لا نعلم أبداً كل ما أبرق في دماغ ابنتنا من ترابط في الافكار أو كل ما أعيد تنشيطه من عمليات عصبية كيميائية. ولن نهتم لذلك ما دمنا نشاهد ابنتنا تنشأ في نور الحب الانساني وترفع عينيها لتلاقي أعيننا.

ما زلت أحياناً ألحظ النظرة الحالمة التي كانت لا تفارقها. ولكن لم يتبقَّ كثير من الامور الاخرى التي تذكرنا بمرضها. انها ابنة ثلاث سنوات، سعيدة، تبتسم وتقص الحكايات وتطرح أسئلة وتفهم ما نقول. تخبرنا معلمتها أنها لا يمكن تمييزها عن سائر الاطفال في صف الحضانة المدرسية. انها تهدي القبلات والمعانقات بشكل عفوي. وقد بدأت تقفز على السرير في الصباح وتسير على قدميها الحافيتين الى غرفتنا وتصعد الى سريرنا التماساً للدفء.

سمعت قبل أيام وقع خطواتها في الممشى، وكانت تفتح الابواب وتسأل: "أين ماما؟" أغمضت عيني وأنصت اليها دقيقة ثم همست لحملي الضائع الذي عاد الى البيت: "أنا هنا يا آن ماري."

كاترين لوغران ■



أم العروس

انتهت حفلة الزفاف وغادرَت ابنتي مع عريسها لقضاء الليلة في منزلهما الزوجي. ورغبتُ أن أستوضحها حول بعض الهدايا، ومن دون أن أفكّر اتصلت بها هاتفياً وتكلمنا باختصار.

بعد قليل اكتشفتُ أن العريس نسي محفظته في قاعة الاحتفال. وإذ كانا سيغادران صباحاً في رحلة شهر العسل اتصلت بهما ثانية، فردّ صهري على الهاتف. وعندما سمع صوتي أطلق تنهدة عميقة وقال: "الآن عرفت ماذا يعني الناس بقولهم انك لا تنام كثيراً في ليلة عرسك!"

ش.ر.ب.

الموسيقى والجلبة

انتابني شعور بالتعب فارتميت على أريكة غرفة الجلوس. وفي غضون ثوانٍ دوّت موسيقى من راديو ابنتي في المطبخ، معكّرة سكينتي وأنا في أمسّ الحاجة اليها. فناديت ابنتي: "سناء، بالله عليك أوقفي هذه الجلبة! انها تكاد تفقدني صوابي!"

فأجابتني من المطبخ: "حسناً يا ماما،" ثم أوقفت جلاّية الصحون.

د.ك.

أخبار الزوانة

قال رئيس التحرير للصحافي: "عشرون كلمة، لا أكثر، إذ لا متسع لخبر أكبر."
وهكذا ظهر الخبر في الصحيفة كالآتي:
"زلّت امرأة على قشرة موز مرمية على رصيف في شارع بانهوف. ونقلت الى مستشفى الجامعة حيث تبين أن ساقها مكسورة."

وجاء الرد الأول على الفور في رسالة بالبريد المضمون من مستورد للموز، جاء فيها: "اننا نحتج بشدة على تشويه سمعة بضاعتنا. فقد نشرت صحيفتكم ١٤ تعليقاً سلبياً حول البلدان المنتجة للموز في الأشهر الأخيرة. وهذا يحملنا على الشك في أن لديكم نية القيام بحملة افتراء عن سابق تصور وتصميم."
وفي الوقت نفسه طرق مدير مستشفى الجامعة باب رئيس التحرير مغضباً وهو



يحتج بأن كلمة "نقلت" قد تعني نقل الكائنات البشرية كأنها بضائع للشحن، مما لا يتماشى وعادات مستشفاه. وتابع متأثراً: "والى ذلك، يمكنني أن أثبت أن الكسر في الساق ناتج من سقوط المرأة وليس من نقلها الى المستشفى، كما يوحي الخبر المدسوس."

وأخيراً اتصل مسؤول في مديرية الهندسة المدنية في المدينة وأعلم الصحيفة أن سقوط المرأة لا يمكن أن يُعزى الى رصيف المشاة. وأضاف أن لجنة الارصفة على وشك الانتهاء من وضع تقريرها بعد سنوات من العمل، فهلا تفضلت الصحيفة بعدم ذكر الارصفة مطلقاً خلال الأشهر المقبلة لئلا تنتج من ذلك ذيول سياسية.

صباح اليوم التالي ورد الخبر مصححاً كالآتي:

"سقطت امرأة في الشارع وكسرت ساقها."

وفي اليوم التالي تلقى رئيس التحرير ردّين فقط.

الأول رسالة استياء من "جمعية حقوق المرأة" وفيها احتجاج صارخ على العبارة التمييزية "سقطت امرأة" مما أثار حفيظة سيدات الجمعية لان فيها لمزاً الى "النساء الساقطات" مما يبرهن نية على "تلطيخ صورة المرأة في هذا العالم الذي يسوده الرجال." وهددت الرسالة بمقاضاة الصحيفة ومقاطعتها وباجراءات أخرى.

أما الرد الثاني فجاء من قارئ ألغى اشتراكه في الصحيفة، شاكياً من "التفاهات المتزايدة" والأخبار "التي لا معنى لها."

برونو جدعون ■



شكوى امريكية

اشتكى الرجل فقال: "عندما ذهبنا قبل سنتين في عطلة اقتحم اللصوص بيتنا عنوة وسرقوا ٣٥٠ دولاراً. لذلك كنت حذقاً في السنة الماضية إذ تركت كل الانوار مضاءة وادرت كل اجهزة الراديو والتلفزيون. فخاف اللصوص من الانفضاح فلم يحصلوا على بارة واحدة - لكن شركة الكهرباء نالت ٥٤٣،٣٥ دولاراً!"

صحيفة "نيويورك بوست"

فاعل خير

سألت الارملة المحامي بعينين دامعتين عن وصية زوجها. فأجابها: "أنا آسف، فالمرحوم أوصى بكل ما يملك لمأوى الأرامل الفقيرات."

- ولكن ماذا عني أنا؟

"أنت كلّ ما يملك."

ه.ش.

حين يتعاون الجيران يحققون انجازات مذهلة

يَد الجمَاعة

الحي المنتشر حول مدرسة هاوثورن الابتدائية في فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا كان في ما مضى مجتمعاً يطيب فيه العيش، لكنه مثل كثير من المناطق الداخلية الاخرى تحوّل حياً مزدحماً بالفقراء. وقد تحدث مسؤولون في المدينة عن مشروع يقضي بهدم البيوت القديمة وانشاء أبنية جديدة أغلى ثمناً، مما يعني "تهجير" عدد كبير من المقيمين. لكنهم لم يُدخلوا في حسابهم موقف أليس ليبسكوم.

وُلدت ليبسكوم في هذا الحي وذهبت الى المدرسة المحلية ثم أنشأت عائلة هناك. وهي لم تخطط لتصبح نصيرة للقضايا الاجتماعية، الا أن كل ذلك تغيّر في احدى الليالي الباردة عندما توفيت ابنة أخيها البالغة من العمر ست سنوات احتراقاً وهي تحاول أن تشعل موقداً عتيقاً من الفولاذ لتدفئة المنزل.

شعرت ليبسكوم بالاحباط حيال ظروف العيش في الحي. فانضمت الى مقيمين آخرين، ونظّموا معاً ترتيبات لاصلاح



منازلهم. وفي آخر الامر أضحت ليبسكوم رئيسة "منظمة تنمية هاوثورن" ورئيسة المجلس المحلي. وهي قالت: "اذا لم تعمد المدينة الى اصلاح الاوضاع فسنتولى الامر بالنيابة عنها."

ملايين المواطنين المحبَطين والغاضبين امثال أليس ليبسكوم تحركوا في أنحاء الولايات المتحدة مطالبين بحقوقهم البلدية. ففي مدينة تاكوما بولاية واشنطن حوّل "فريق التحسين الشرقي" حانة خشبية مهجورة "حاضنة أعمال" حيث تجد المشاريع الصغيرة منطلقاً لها. وفي مدن بالتيمور (ماريلاند) ونيويورك ونيوهافن (كونيتيكت) يبذل السكان مهاراتهم الشخصية وعملهم المضني لاعادة تأهيل المنازل التي عفا عليها الزمن في الاحياء. وفي ساوث بند بولاية انديانا حولت مدرسة مهجورة مركزاً ثقافياً.

هناك الآن ألوف المنظمات النابعة من صميم الشعب في الولايات المتحدة. بعضها يخدم عدة أبنية ضخمة، وغيرها يخدم المدينة بكاملها. مقر بعضها الاحياء الشعبية الفقيرة ومقر البعض الآخر الضواحي التي تقطنها الطبقات المتوسطة. هذه المنظمات قد تشكّل الحركة الاكبر والاهم للمواطنين الامريكيين، وهي في صدد اعادة الشباب الى الاحياء السكنية، مغيّرة الحياة الإقتصادية والاجتماعية والسياسية في المدن وغارسة في النفوس الحس الإجتماعي فيما هي تعطي المواطنين سيطرة أكبر على حياتهم. يقول بابلو أيزنبرغ رئيس "مركز التغيير المحلي" وهو منظمة لا تتوخى الربح تدعم الجماعات المحلية: "لقد احدثوا فرقاً عظيماً في نوعية الحياة لملايين الناس."

صباح يوم سبت اتجه المقيمون في اكثر من ٧٠ عمارة كبيرة نحو مدرسة حكومية محلية في جنوب فيلادلفيا ليختاروا تشكيلة واسعة من الاغراس هبة من شركة بنسلفانيا للبستنة. فعادوا بالاغراس الى أحيائهم وزرعوها في براميل خشبية في الشوارع والحدائق وعلى الشرفات. تقول مامي نيكولز المديرة التنفيذية لـ"اتحاد بوينت بريز" الذي رتّب المشروع: "كانت تلك الايام أكثر الاوقات إثارة لأنها جمعت كل أعضاء المحلة. وما كان جميلا جداً هو أنَّ الجميع عملوا سوية مساعدين بعضهم بعضاً."

يعود التقليد القاضي بان يتعاون الافراد في لقاءات المدينة و"عَوْنة" بناء الاهراء وانشاء التعاونيات الى الايام الاولى من التاريخ الامريكي. لكنَّ الزخم التعاوني الحالي أتى في مدى السنوات العشرين الماضية، مذ خضعت المناطق المدينية في أمريكا لتعديل جذري. فعندما أقفلت المصانع ومحلات البيع بالتجزئة هجر المقيمون القدماء الجوارَ تاركين منازل ومخازن خاوية. وإذ زادت التوترات العنصرية نسبة الهروب الى الضواحي بدأت المؤسسات المالية تشطب على الخرائط مناطق في قلب المدينة حيث ترفض أن تمنح رهوناً عقارية. وهكذا سارت نحو الانحطاط أحياء

كانت تزخر بالحياة. في تلك الاثناء أحدث احتشاد القادمين الجدد الى الضواحي المزدهرة ضغوطاً على التربية والنقل وغيرهما من المرافق العامة.

تطلع المواطنون المعنيون الى الحكومة طلباً للدعم، لكنهم غالباً لم يتلقوا الجواب الذي نشدوه. لذا بدأ المقيمون المحليون ينظمون شؤونهم عمارة اثر عمارة وحياً بعد حي. التقوا حول موائد الطعام وفي النوادي والمكتبات والمراكز. عملياً، كانوا كلهم متطوّعين يجهدون بأموال مجمّعة من هبات صغيرة ومآدب ومعارض في الشوارع.

متطوّعو الاحياء هم قلب الحركة الشعبية اليوم، لكنهم يعترفون بحاجتهم الى المساعدة. ويدعو القادة الى "المشاركة المدنية" التي تثبّت الوشائج بين الاحياء والدعم العام والخاص، بما فيه دعم الحكومة والمؤسسات التجارية والمنظمات الخيرية.

عندما عاد صموئيل سميث من خدمته العسكرية في فيتنام عام ١٩٦٧ الى حيه الذي كان مزدهراً في وسط فيلادلفيا حيث ترعرع، وجده "يبدو كما لو أننا خضنا الحرب فيه." كان التقهقر الذي بدأ يدب في الخمسينات يزداد من جرّاء الاهمال الرسمي.

نظّم سميث بمساعدة هيئة خيرية برنامجاً لتأمين الطعام للمحتاجين ومساعدتهم على دفع ايجاراتهم واشتراكاتهم في الماء والكهرباء وغيرهما من المنافع. واليوم أصبحت "الرابطة الوطنية الخيرية" أكبر جمعية للانماء الاجتماعي في فيلادلفيا، يعمل فيها ٣٠ موظفاً ومئات المتبرعين بموازنة تبلغ ٨،٤ ملايين دولار، تؤمنها مشاريع الرابطة والمساعدات العامة والخاصة. ولقد بنت، أو أعادت تأهيل، أكثر من ٢٢٥ وحدة سكنية، وهي في صدد إحياء جادة سيسيل مور، الشارع الرئيسي في المنطقة التجارية. وتدير الرابطة مخزناً للثياب والاثاث المستعمل، ومصنعاً لاعادة التأهيل المهني يؤمّن وظائف مطلوبة.

ويتذكر سميث، مؤسس الرابطة ورئيسها: "عندما بدأنا أولى خطواتنا قال الناس إننا نحاول المستحيل. والآن تراهم يسألون لماذا لا ننجز المزيد."

والواقع أن منظمات الاحياء تعمل على انجاز المزيد. فعلى غرار فريق صموئيل سميث نظم كثيرون في المناطق المحرومة رابطات لتنمية الاحياء تأخذ على عاتقها بناء المنازل والتنمية الاقتصادية. وقد يكون مشروعها مشغلا لاعادة التأهيل المهني أو مشروعاً سكنياً أو غير ذلك. وهدف هذه الرابطات اعادة الشباب الى حقول الاقتصادات المحلية وتأمين أعمال جديدة داخل المحلة. ويسأل سميث: "ما جدوى التأهيل المهني اذا لم تتوافر الاعمال محلياً؟"

والى هذا الانتشار في المهمات حصل انتشار في الجغرافيا. فالنادي القديم في أحد المباني الضخمة قد يتطور الى جمعية تشمل عدة أحياء أو الى مجلس بلدي لانماء المدينة كلها أو الى اتحاد

نقابات على امتداد الولاية. وعلى سبيل المثال، اشتركت مؤسسة "بيلد" في مدينة بالتيمور مع أحياء وشركات وجمعيات ومواطنين في مساعدة خريجي المدارس الثانوية على ايجاد عمل أو على متابعة دروسهم العالية. كما أن "شبكة التعاهد المتبادل" في تكساس، المؤلفة من ١١ منظمة والممثلة لمعظم مدن الولاية، تضغط لمزيد من النشاط الرسمي في التربية والصحة وغيرهما.

وفي حين ان هذه التحركات الذاتية سائدة في المناطق الداخلية والمعوزة من المدن حيث تعالج مسائل "البقاء"، تزدهر فرق أصغر في أحياء الكادحين وفي الضواحي حيث يسكن ذوو الدخل المتوسط والعالي.

على بعد كيلومترات من قلب مدينة فيلادلفيا، في حي مانايونك الذي يضم خليطاً اثنياً من الطبقة العاملة، يعمل مجلس الحي مع رجال الاعمال ومالكي المنازل على تخفيف التوترات بين المقيمين الجدد والمستوطنين القدامى وعلى منع النمو العشوائي الذي يهدّد الطابع التاريخي لمدينة المصانع الآلية. وقد نظم المواطنون أمورهم بحيث ينسّقون كل شيء، من مواقف السيارات الى النمو التجاري.

تقول دنيز شابلين التي ترئس المنظمة الخاصة لإنماء مانايونك: "يحتاج كل مُتَّحد الى هذه التنظيمات. فمن دونها، بكل بساطة، تكاد معظم الامور تتعثر."

اذا مشيت في فيلادلفيا فستشاهد بيوتاً مرمَّمة ومطلية وأرصفة للمشاة تظللها صفوف شجيرات وحديقة عامة صغيرة وحائطاً مزخرفاً بلوحة جدارية بدلا من الشعارات والكتابات السمجة. وسوف تجد مراكز صغيرة للشرطة، وعسسا لحراسة الحي ومستوصفات صحية. ولسوف تكتشف الناس الذين تغيّر نمط حياتهم.

هناك مثلا بات ريلي التي لم تعد تخشى أن تغادر منزلها بعدما عملت وجيرانها في قطاع وستر في فيلادلفيا بالتعاون مع السلطات لاخلاء ١٨ منزلا كانت مراكز لترويج المخدرات وتعاطيها. وهناك هارولدين تراور القاطنة في بوينت بريز منذ ٤٠ عاماً والتي اعتادت أن تقول: "قبل أن أموت، أود أن أرى شيئاً ينمو بين البيوت والمحلات التجارية." انها الآن تمشي في حي تتخلله الاشجار والأغراس والزهور، وتقول بفخر: "لقد انجزنا بُغيتنا، كنا سوية!"

كارل روان وديفيد مازي ■



اذا انتظرت عامل التصليحات فأنت تبقى طوال النهار في انتظاره. وإذا خرجت لخمس دقائق فانه يصل ويرحل في غيابك.

أ.ب.

قلب جديد لعمر

ما بين ١٩٦٧ و١٩٧٤ نشرت الـ"ريدرز دايجست" ٣٣ مقالة طبية بعنوان "أنا عضو فلان..." و"أنا عضو فلانة..." كتبها ج. د. راتكليف، وفي كل منها دراسة عضو أو جزء من الجسم ودوره في حياتنا. وبهذه القصة عن "عجيبة" الطب الحديث، زرع القلب، تعود الـ"دايجست" الى هذه الكتابات التي لقيت رواجاً واسعاً. وفي المقالات اللاحقة ستعالج نواح مختلفة من صفحة "عمر" و"ياسمين."

ان مظهري في هذه اللحظة لا يشبه كثيراً قلباً بشرياً. فشكلي الاجاصي عادة فقد رونقه. وبدلا من النبض داخل صدر أحدهم تراني ملفوفاً بمناشف معقّمة ومغموراً بمحلول ملحيّ بارد ومحفوظاً باحكام داخل كيسين من النايلون ضمن وعاء مانع للهواء، وجميع هذه محفوظة في صندوق صغير معزول ومملوء بالثلج. وحرارتي التي تبلغ عادة ٣٧ درجة مئوية هبطت الى ٤ درجات.

فتلاحظ من هذا أن ثمة نية لزرعي. والشخص الذي سأنقل اليه يدعى عمر. وللوصول اليه تراني طائراً على متن نفاثة مستأجرة مع فريق طبي من أربعة أعضاء جاء لاخذي. فان لم تكن هناك عوائق فسأصل الى مستشفى عمر في أقل من ساعتين. ويجب أن تتم الاجراءات بسرعة لانني لا أعيش طويلا خارج الجسم.

مضخة جبارة. قبل ٢٦ ساعة كنت أنبض في صدر شاب عمره ٢٠ عاما ممتلىء عافية. واذا بحادث سيارة تسبّب في كسر فظيع في جمجمته. وأظهر تخطيط الدماغ ان الشاب فقد كل نشاط وبات عاجزاً عن التنفس تلقائياً. وأجريت فحوص أخرى اقنعت الاطباء بأن دماغه مائت وبأن الوسائل الميكانيكية وحدها تخول أعضاءه القيام بوظيفتها.

سألت ممرضة من "مكتب وهب الأعضاء" في المستشفى عائلة الشاب اذا كانت تفكر في التبرع بأعضائه. فتباحثت العائلة في ما بينها وأعطت موافقتها، وذلك اقتضى منها شجاعة ومحبة هائلتين. ففي عملية زرع القلب، يبعث ألم احدى العائلات أملا في عائلة اخرى.

واذ أثبتت سلسلة من الفحوص أني وبقية أعضاء الشاب أصحاء نخلو من المرض، هيأ لنا منسقو نقل الاعضاء "بيوتاً" جديدة بواسطة "الشبكة المتحدة للمشاركة في الاعضاء"(١) . ووصلت الفرق الطبية المختصة قرابة السادسة مساء الى المستشفى. وكانت لعمليتي الاولوية فبدأوا بي.

لانتزاعي، بَضع جراحان شقاً طويلا نزولا من وسط الصدر. وقصّا عظم الصدر قسمين بمنشار جراحي آلي وشرّحا النسيج الواقي وأزاحا الضلوع جانباً. في الاحوال العادية أضخ ٦٨٠٠ ليتر من الدم عبر ١٠٠ ألف كيلومتر من الأوعية الدموية كل ٢٤ ساعة. ولم يكن من سبيل لاجراء الجراحة وأنا أضخ. وللتمكن من انتزاعي عمد أحد الجراحين الى ربط شرياني الأورطي بملقط وحقن بيني وبين الرباط محلولا لشلّ القلب يتكون في معظمه من كلوريد البوتاسيوم.

أحسست بالتغير للحال. ففيما سرى البوتاسيوم البارد في شراييني التاجية، أخلّ بالتوازن الالكتروليتي (٢) الدقيق في خلاياي، فقصرت وتوقفت أنا عن النبض.

سجلت الممرضة لحظة التوقف تماماً – الساعة ٨:٠٧ مساء. وبهذا بدأ العد العكسيّ لفترة احتباس الدم عني. فأمامي خمس ساعات قبل أن يسبب لي نقص الاوكسيجين تلفاً عظيماً يجعلني غير صالح للزرع.

مرض غامض. قطع الجراحان الوصلات الرئيسية. فمن الأذين الايسر قطعا الاوردة الرئوية التي تجلب الدم المغذى بالاوكسيجين من الرئتين. وفعلوا الشيء ذاته بالوريدين الأبهرين الأعلى والادنى اللذين يحملان الدم الخالي من الاوكسيجين من الجسم الى الاذين الأيمن.

وفي الخطوة الثالثة، استخدم الجراحان المقصّ لقطع الشريان الرئوي الذي يخرج من البطين الأيمن ويبعث الدم الى الرئتين للتغذية بالاوكسيجين. والخطوة الاخيرة كانت قطع شرياني الأورطي، الرباط الاخير بجسمي القديم. والآن وقد أصبحت حراً كلياً رفعت من الصدر بعناية تامة.

اتصل أحد الجراحين بفريق الزرع الذي كان منتظراً في مستشفى عمر وأبلغه انتزاعي، وقال انني في طريقي اليهم. وفيما كنت محمولا بالطائرة رفع يده مودعاً زوجته واولاده وهو يُجرّ في عربة الى غرفة العمليات.

قبل تسعة أشهر كان عمر، وعمره ٣٨ عاماً، في صحة ممتازة. ثم لاحظ أن الرياضة باتت أكثر صعوبة عليه. وما لبث أن بدأ يلهث لأقل جهد ويشعر بالتعب في كل الاوقات.

(١) United Network for Organ Sharing
(٢) Electrolytic balance . والالكتروليت هو المنحلّ بالكهرباء.

وحين استشار طبيب قلب كانت سرعة نبضه نحو مئة في الدقيقة. وبدت دقات قلبه كعدو جواد. وكان كاحلاه متورمين، وهي حالة تعرف بالاستسقاء. وأظهر تخطيط صوتي للقلب أن قلب عمر تضخم الى ما يقارب مرة ونصف مرة حجمه الطبيعي، وكان يعاني ضيقاً في التنفس حتى وهو مضطجع. وتدعى مشكلة عمر "اعتلالا مجهول السبب في عضل القلب" (٣).

ان سبب المرض غامض. ويرتاب الباحثون بأن فيروسات شائعة هي أصل العلة، ولكن لا أحد يعرف لماذا تصبح هذه الفيروسات مميتة لدى بعض الناس ولا تمس آخرين. ومعظم الضحايا هم تماماً مثل عمر: شباب نسبياً وفي صحة جيدة. والواقع أن نصف الذين تزرع لهم قلوب يعانون أشكالا مختلفة من اعتلال عضل القلب. وثلثهم يعاني مرضاً حاداً في شريان تاجي، والباقون يعانون عللا وراثية أو مشاكل اخرى.

بلغ عمر حداً عجز معه عن العمل ولزم الفراش معظم الوقت. وكان زرع القلب فرصته الوحيدة للبقاء حياً. وأدرج اسم عمر ووزنه وطوله وفئة دمه على لائحة دماغ الكتروني محفوظة لدى "الشبكة المتحدة للمشاركة في الاعضاء." فكل سنة يرشح نحو ١٥ ألف أمريكي لزرع القلب، لكن عدد القلوب الموهوبة سنوياً ألف وخمسمئة. وكان عمر ينتظر دوره حين انتزعتُ.

سباق مع الوقت. بعد لحظات من هبوط الطائرة هُرع بي الى المستشفى، حيث عمر، في عربة اسعاف والى جانبي الفريق الطبي.

في غرفة العمليات كان فريق الجراحة في أعلى درجات التأهب. فُتح صدر عمر وكشف قلبه. ووضعتُ أنا على طاولة، وقيِّدت على لوح أسود لحظة احتباس تدفق الدم عني – الساعة ٨،٠٧ مساء. والساعة الآن هي ١٠،٤٩ وقد مضت ساعتان و٤٢ دقيقة منذ انقطاع الاوكسيجين عني.

ربط عمر الى ماكينة "قلب – رئة" تسمى عادة "المضخة". وهي تقوم بوظيفة هذين العضوين مما يتيح جراحة في القلب بما فيها الزرع. والآن، كل دم عمر الوريدي يمر عبر غشاء اصطناعي يبدل ثاني أوكسيد الكربون بالاوكسيجين. وذلك ما يجري تماماً في رئتي عمر. وهذا الدم المغذى بالاوكسيجين يُضخ بعد ذلك في أنبوب آخر الى شريان عمر الأورطي ومنه خارجاً الى جسمه.

يسد فريق الجراحين الشريان الأورطي تحت الانبوب بملقط وينتزع قلب عمر القديم بالطريقة ذاتها التي انتزعني بها الفريق الواهب. والاجزاء التي يبقون عليها هي الجدران الخلفية للاذينين الايسر والايمن التي سترتبط بي رأساً.

يسجل مرور ساعتين و٣٤ دقيقة منذ احتباس الدم عني. تنزع اللفائف عني وتشذب بعض أوعيتي الدموية الزائدة طولا.

بعد ذلك أنزلق بأيدي الجراحين الى تجويفة صدر عمر حيث أستقر بديلا من قلبه القديم. ويبدأ الجراحون عملهم

(٣) Idiopathic cardiomyopathy

الدقيق الشاق بخياطتي الى جو، فيما يُدفق علي محلول ملحيّ بارد لحفظي بارداً ما أمكن. فيخيطون أولا أذينيَّ الايسر والأيمن الى الجدران الباقية من أذيني قلب عمر القديم.

وينتقلون الى ربط أرومة شرياني الرئوي الى شريان عمر. لذلك يولج الجراحون في أطراف هذين الشريانين ابرة معقوفة كالشصّ ثم يسحبونها بواسطة كلّابات طويلة، ويكررون هذه العملية مراراً وهم يطوقون الشرايين. ويُقتضى اجراء هذه العملية بدقة متناهية لكي لا يحصل أي تسرّب للدم.

ويتطلع الجراحون الى اللوح الاسود فيجدون أن وقت احتباسي تجاوز ثلاث ساعات. ويتحول لوني رمادياً ضارباً الى الارجواني كلما طال افتقاري الى الاوكسيجين.

العودة الى العمل . وصل الجراحون الى المرحلة النهائية ولم يبق من الوصلات الاربع الاخيرة الا الشريان الأورطي. فيقيسون الطول بعناية للتأكد من عدم وجود فتلة في الأورطي لدى خياطة شرياني الى شريان عمر. وحين تحكم خياطة آخر قطبة يُحل ملقط شريان عمر الأورطي فيبدأ دمه بملأني. وتسجل احدى الممرضات الوقت: ١١،٤٦ ليلا. فتكون مدة احتباسي عن الدم طالت ٣ ساعات و٣٩ دقيقة. ويتفحصني الجراحون لكشف أي تسرّب، فيجدون تسرّبات صغيرة لا يلبثون أن يختموها.

في الحالة الطبيعية يحفزني صب الدم عبر الشرايين التاجية على بدء الضخ. لكنني ما زلت شديد البرودة الى حد أنني لم أنبض بل تلوّيت ورجفت بوهن. عندئذ تناول أحد الجراحين لوحين خاصين بكبح الانقباض العضلي ووضعهما على جانبيّ. وسرت فيّ رجة كهربائية خفيفة بقوة ١٠ واط / ثانية أي جزء من أربعين مما يعطى عادة لضحايا النوبات القلبية، فأحدث ذلك رجة دفعتني الى النبض بقوة. وكانت رؤيتي في غرفة العمليات وأنا أستعيد الحياة لحظة عاطفية لكثيرين.

وكلما حمي نشاطي أصبحت ضربات قلبي أكثر قوة. فازال الجراحون الانابيب التي تربطني الى ماكينة "القلب - الرئة" وتحول لوني الرمادي الازرق الى البنيّ الاحمر الصحيّ. وكلما ازداد خفقاني ازداد شعوري بالقوة. انني سعيد بالقيام بواجبي! لقد أصبحت قلب عمر.

وقبيل الاولى صباحاً انتهت الفحوص الحيوية واستعد جراحو عمر لاغلاق صدره. فوُصل عظم الصدر بسلك وختم جلد عمر بقطب ورزّات. وفيما كان الممرضون يجرون عمر في عربة الى غرفة الابلال كان جرّاحه يبلغ زوجته الانباء السارة: ان زوجها في حال ممتازة وأنني أقوم بوظيفتي على الوجه الاكمل.

في الصباح التالي أدرك عمر أنه لن يجاهد للتنفس بعد الآن. وفي غضون ٣ أيام شعر بالقوة فنهض وأخذ يمشي هنا وهناك. وبعد ٦ أيام من الجراحة ركب دراجة تمرين لاكثر من ٥ دقائق.

مشكلة مناعة . أنا لا أعمل بالضبط مثل قلب عمر الأصيل، لأنه أثناء الزرع اقتضى



القلب المزروع

الأذينان الأيسر والأيمن (١ و٢) للقلب الموهوب (٣) يوصلان بالجدران الخلفية لأذيني قلب عمر (٤ و٥). ثم يخيط الجراحون الشرايين الرئوية (٦) وأخيرا الشريانين الاورطيين (٧). ويرفع الملقط (٨) الذي يسد شريان عمر الأورطي أثناء الجراحة، مما يتيح للدم أن يملأ القلب الجديد.

قطع كل الاعصاب الموصلة الى القلب ولا سبيل الى اعادة ربطها. وفي غياب الربط الى الجهاز العصبي اللاإرادي(٤) الذي يساعد في تنظيم أمور مثل ضغط الدم والنبض، فان سرعة نبض عمر وقت الراحة حلّقت من ٧٠ في قلبه القديم الى ٩٠ في الدقيقة، لغياب الدوافع العصبية التي تضبط النبض.

ولحسن الحظ لديّ جهاز مساند. ففي أذيني الأيمن، مباشرة تحت وريدي الابهر الاعلى، عقدة جيْبيّة(٥) هي رزمة صغيرة من الخلايا المتخصصة تعمل كضابط إيقاع(٦). ولها ايقاع عال طبيعي مما يفسر سرعة نبض عمر وهو في حال الراحة.

---

(٤) Autonomic nervous system
(٥) Sinus node
(٦) Pacemaker

ILLUSTRATION: CYNTHIA TURNER

وتختلف استجابتي للتمرين أيضاً لاني لا أتلقى الدوافع العصبية التي تأمرني بالاسراع. وبدلا من ذلك فأن أوعية عمر السطحية تعيد اليّ الدم في وقت أسرع فأمتلىء في وقت أسرع أيضاً مما يزيد حجم الدم الذي أضخه في كل نبضة. وحين يتابع عمر التمرين تعي غدتاه الكظريتان(٧) مبلغ الاجهاد وتستجيبان بفرز هورمونات، فأحصل أنا وعمر على زخة جيدة من الادرينالين. وحين يبلغني هذا المنبه يحرك خلاياي فتزيد سرعة انقباضها.

بعد أسبوعين من زرعي غادر عمر المستشفى. انه في حال حسنة، انما هناك مشكلة بدأت تتفاعل. فجهاز مناعته مرتاب بي، فالبلاعم الكبيرة(٨) وخلايا الدم البيضاء الاخرى التي تقوم بوظيفة الرسل كانت تستكشفني منذ اللحظة التي زُرعت ولم يرُقها ما رأت. وبدلا من أن تجد مولدات مضادة(٩) مماثلة للتي تلتقيها على جميع الخلايا الاخرى في جسم عمر، أدركت هذه الرسل المستكشفة ان المولدات المضادة لدي مختلفة.

ترسل الخلايا - الرسل تقريرها الى "خلايا T " (١٠) التابعة لجهاز المناعة. وبالنسبة الى "خلايا T " فقد أكون مجرد جرثومة عادية، ووظيفتها هي مهاجمة الغرباء - أنا - وقتلهم.

والمشكلة التي يواجهها عمر وأطباؤه وأنا هي موازنة مستوى العقاقير التي تكبح المناعة. فاذا كانت الجرعات قوية جداً فانها تخفض نشاط جهاز مناعته الى حد يصبح معه معرضاً كلياً للعدوى. أما اذا لم يتناول منها كفاية فيزداد خطر نبذ جسمه اياي.

وهناك مشكلة أخرى. فالعقاقير الثلاثة التي تكبح المناعة والتي وصفها طبيب عمر كلها تسبب أعراضاً جانبية.

فالعقار "بريدنيزون" وهو نوع من "ستيرويد" يعطي عمر مظهراً حالماً ويسبب ترجحات مزاجية. و"سيكلوسبورين" قد يتلف الكليتين وبسببه ارتفع ضغط دم عمر. والعقار "أزاثيوبرين" يقمع كل خلايا الدم البيضاء، وليس فقط خلايا المناعة المستهدفة، فالجرعات القوية تعرّض الجسم للاصابة بأمراض شائعة.

ترسانة طبية. يعيد الاطباء عمر الى المستشفى لاجراء فحوص روتينية. واذ لم تتوافر بعد فحوص تثبت عدم نبذ القلب المزروع فقد أرسل الاطباء عمر الى مختبر قثطرة القلب (تمييله) حيث أولجت قثطرة في وريده الوداجي (العنقي). وظل عمر في وعي تام وكان يتكلم مع أحد المساعدين فيما الطبيب يُزلق اداة رفيعة لدنة قابلة للالتواء تسمى "بايوبتوم" نزولا في الوريد الى البطين الايمن. وللبايوبتوم فكّان قاطعان كالموسى وبحجم الملقط يفتحان ويغلقان.

وفوق صدر عمر مباشرة المكشاف الفلوري(١١) الذي يتيح للطبيب أن يوجه

---

(٧) Adrenal glands

(٨) Macrophages

(٩) Antigens

(١٠) T cells

(١١) Fluoroscope . وهو أداة لكشف التكوين الباطني للجسم الحي بواسطة الأشعة السينية (إكس).

الآلة الى بطين عمر الايمن. فيعصر الطبيب الزند ثم يسحب البايوبتوم مستأصلا نسيجاً مني.

في المختبر اختصاصيون بعلم الامراض يحللون نسيجي، فيجدون مجموعات من خلايا الدم البيضاء تحيط بقطع صغيرة من عضل القلب التالف، وذلك دليل لا يدحض على النبذ. عمر وأنا في مأزق. فيزيد أطباء عمر جرعات أدويته. انما بعد أسبوعين يكشف فحص النسيج الحي أني ما زلت في حال غزو.

ولم يبق للاطباء سوى "بندقية" واحدة يطلقونها وهي "موروموناب CD3" (١٢). فبفضل تقنية قطع الجينات ووصلها (١٣) أمكن انتاج «OKT3» الذي يسميه الاطباء جسماً مضاداً وحيد النسيلة (١٤). وبدلا من ابطال تأثير الفيروس أو الجرثومة فان «OKT3» معدّ للتعرف الى "خلايا T" وابطال مفعولها. انما، لسوء الحظ، يبطل «OKT3» مفعول "خلايا T" في كل الجسم، مما يتسبب في فقدان المناعة عموماً ويجعل عمر اكثر تعرضاً للعدوى.

بعد اسبوعين من معالجة عمر بالـ «OKT3» أظهر فحص النسيج أن "جيش" مناعته آخذ في التقهقر. فعاود عمر ممارسة الرياضة واشتاق للرجوع الى عمله. وهو يشعر بأنه ولد من جديد، من نواح كثيرة، لكنه يعلم أن الطريق ستظل صعبة.

(١٢) Muromonab CD3 «OKT3»
(١٣) Gene — splicing techniques
(١٤) Monoclonal antibody
(١٥) Bypass surgery

ان خطر النبذ لا يزول كلياً. ويواجه عمر هماً آخر. فلئن تكن شراييني جاءت من رجل أصغر منه بـ١٨ سنة، إلا اني أواجه خطراً متنامياً من الاصابة بمرض سريع التطوّر في الشريان التاجي. وما زال الباحثون في زرع القلب يجهلون لماذا يحدث ذلك، لكن الانسدادات قد تتكوّن على امتداد "شجرة" الشرايين التاجية. فهي تحدث في نحو نصف حالات زرع القلب. والجراحة المجازية (١٥) لا تجدي هنا والعلاج الوحيد هو اجراء زرع ثان.

حالياً، على عمر أن يعيش يوماً يوماً. ففحوصه الاخيرة وصحته العامة تستمر حسنة، ولديه ٨٠ في المئة من الحظ في البقاء حياً لسنة واحدة و٧٦ في المئة للبقاء خمس سنوات.

بعد ثلاثة أشهر من الزرع عاد عمر الى وظيفته وهو يشعر بامتنان عميق لعائلة الشاب التي أعطته فرصة ثانية للحياة. أما أنا فيغمرني شعور أرتاح اليه ويزداد يوماً بعد يوم وهو أني في منزلي.

جون بيكانن ■

ترغب مجلة "ريدرز دايجست" في التعبير عن شكرها لمعاهد "جونز هوبكنز" الطبية في بلتيمور للمساعدة القيمة التي قدمتها، وللافراد الآتية اسماؤهم على نحو خاص: الدكتور وليم بومغارتنر مدير قسم زرع القلب والقلب – الرئة، الدكتور بروس رايتز مدير قسم جراحة القلب، الدكتور ستيفن آشوف مدير قسم أبحاث القلب العيادية؛ الدكتور كينيث بومان مدير قسم اعتلال عضل القلب، الدكتورة آهفي هير سكوفيتز الاختصاصية بعلم المناعة. ونقدر أيضاً ارشادات ليديا راتكليف ابنة منشىء سلسلة "أنا عضو جو."

قدّم كتاباً هدية، فيمكنك استعارته دائماً. ج.غ.ص

العون يأتي أحياناً
على نحو غير منتظر

أمثولة الصّقر

يقول لك الناس ان تحليق المرء في الجو متعلقاً بمزلقة(١)، رياضة خطرة. لكن الخطر ليس ما تفكر فيه وأنت تقفز من جرف عال الى الفضاء. بل أنت تفكر في الرياضة، في الاثارة غير المغلولة للدوران حراً في الفضاء. انها أقرب شيء الى الطيران المحض يمارسه انسان. هناك أنت، والجناح، والريح، لا غير.

وهكذا كان الخطر أبعد شيء عن ذهني في ذلك اليوم من شهر يوليو (تموز) عندما قدت سيارتي الى جبل واشنطن في شمال ولاية نيويورك. تطلعت من حافة على قمة الجبل فرأيت أن أحوال الطيران كانت مثلى: سماء صافية، ونسيم شمالي غربي لطيف سرعته قرابة خمسة وعشرين كيلومتراً في الساعة. لا أحد حولي. ركبت جهازي ورفعت المزلقة فوقي. ووقفت بضع لحظات في الشمس الدافئة مأخوذاً بالمشهد.

(١) Hang gliding

CONDENSED FROM GUIDEPOSTS (SEPTEMBER '88) © 1988 BY GUIDEPOSTS ASSOCIATES, INC., CARMEL, N.Y. ILLUSTRATION: JEFFREY TERRESON

واذ جثمت قرب حافة الجرف أكد لي الحفيف المألوف لرؤوس الاشجار أن تياراً حرارياً (٢) آت. والتيار الحراري هو دفق صاعد من هواء أكثر سخونة يتكون من تحمية الشمس للارض على نحو غير متساو. في يوم طيران جيد تستطيع أن "تركب" التيار صعداً الى أسفل السحاب.

ركضت بضع خطوات، وقذفت نفسي الى الفضاء. كانت القوة المفاجئة التي واجهتني عنيفة بحيث كاد قضيب التحكم يفلت من يدي. لم يسبق أن ارتفعت بمثل هذه السرعة.

قبل أن ينتهي صعودي دل مقياس الارتفاع على أنني أصبحت على علو ١٣٠٠ متر فوق الجبل، وبدأت أهبط تدريجاً. فجأة ضربتني هبّة قوية دفعتني هذه المرة الى الوراء. تلاعبت بقضيب التحكم لتوجيه "أنف" المزلقة الى اسفل، لكنني لم أتمكن من اختراق الهواء العاصف.

انني الآن أسقط بسرعة تنذر بالخطر. لقد وقعت في مدّ هوائي معاكس وكنت ماضياً الى كارثة. ثم رأيته، صقراً أحمر الذيل. كان على بعد مترين من رأس الجناح الايمن يصارع العاصفة ذاتها. فكرت في نفسي: انه لأحمق! ماذا يفعل؟ الصقر طائر ذكي جداً لا يعلق بريح كهذه.

نظرت الى أسفل: أنا على ارتفاع تسعين متراً عن الارض، وما زلت أهبط والشجر تحتي مثل حراب مصوبة.

نظرت الى الصقر ثانية. فجأة مال على جانبه وطار في اتجاه الريح. في اتجاه الريح! ان السلوك الصحيح هو التحليق في عكس اتجاه الريح! الصقر الاحمق ينتحر.

أصبحت على بعد ستين متراً عن الارض. راودتني فكرة: اتبع الصقر يا رجل! كان ذلك منافياً لكل ما أعرفه عن الطيران. لكن معرفتي كلها باطلة الآن. أنا تحت رحمة الريح.

وتبعت الصقر.

صرت على ارتفاع ثلاثين متراً من اليابسة. فجأة ارتفع الصقر. وللحظة قصيرة بدوت معلقاً في الفضاء بلا حراك، ثم هبّت موجة هواء ساخنة بدأت تدفع المزلقة الى فوق. فذهلت. لا شيء مما أعرفه كطيار يفسر هذه الظاهرة. لكن الامر كان حقيقياً: كنت أرتفع. تطلعت حولي لكنني لم أرَ الصقر في أي مكان. لقد توارى في السماء الصافية.

بعد هبوطي بالمزلقة جلست على العشب وفكرت كم كنت قريباً من الموت. وبعين بصيرتي ظللت أرى الصقر، ذلك المخلوق الجميل غير المنتظر الذي حلق بجانبي على نحو لا يقبله العقل وقادني الى السلامة بطريقة لا يمكن شرحها.

لقد مرت بضع سنوات على ذلك اليوم. وعرفت منذ ذلك الحين أياماً حلوة وأياماً مرة. فاذا ما شعرت يوماً بأنني فقدت سيطرتي على أمور حياتي فانني أتطلع الى السماء، الى ذلك الصقر. انه دائماً هناك.

رونالد بنكرتون ■

(٢) Thermal

العناد قوّة الحمقى.

مثل الماني

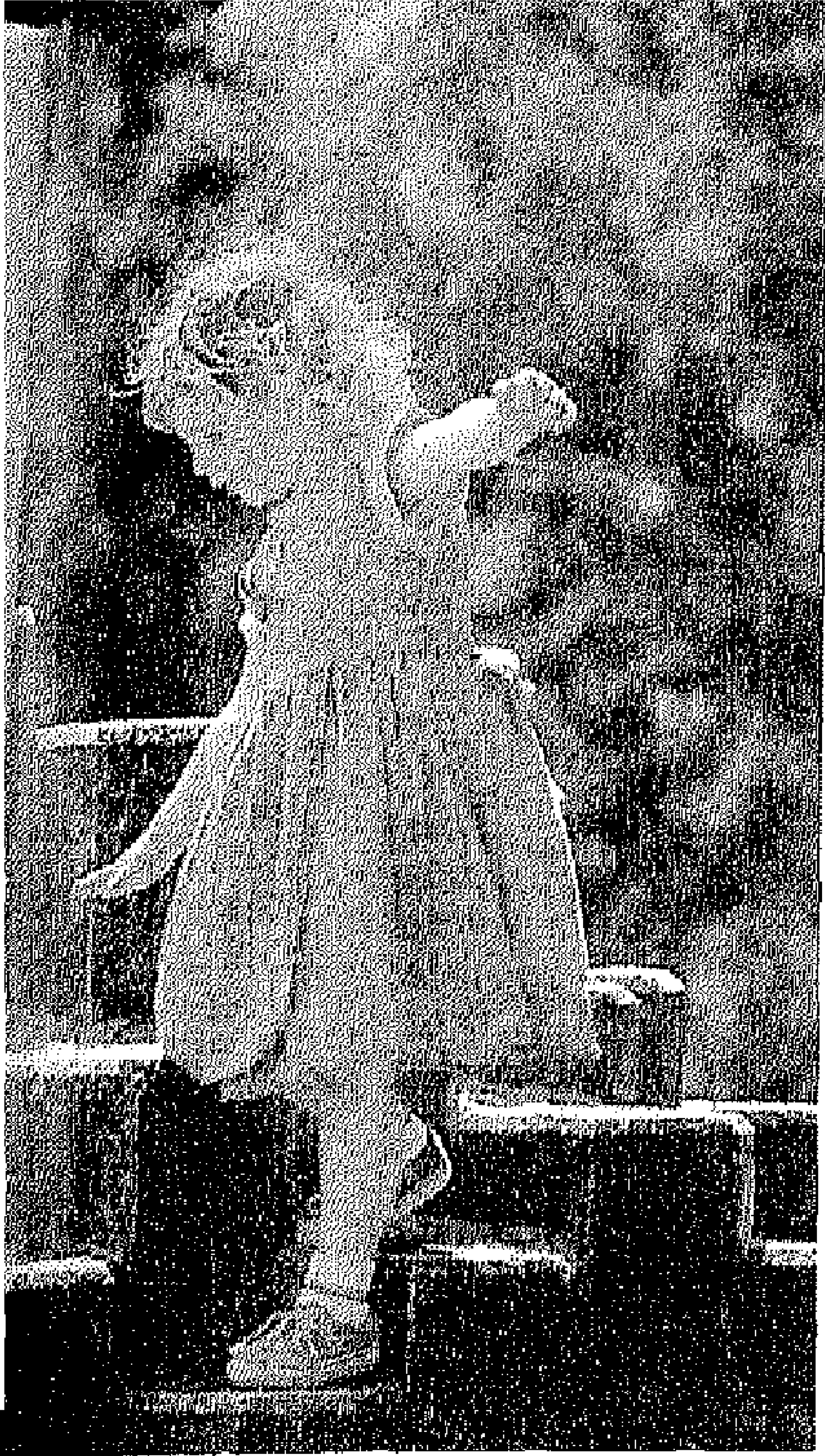
أطفال من العالم



طفل روسي في موسكو.

أينما أذهب أر أطفالا من كل أشكال المجتمعات: من مخيمات اللاجئين وأحياء البؤس الى رخاء البلاطات الملكية. ولطالما أثّرت فيّ صلابتهم وتكيفهم وقدرتهم على الثبات وتدبُّر الطعام وتحمّل الجور والالم. كما فوجئت على نحو خاص بسهولة انخراطهم في اللعب مهما أحاط بهم من شظف العيش.

لقد أمضيت سنين كثيرة أجوب أصقاع العالم فالتقط صور الحروب والمجاعات وحفلات التتويج، وكلها أمور تحظى باهتمام الراشدين. الا أنني ◄

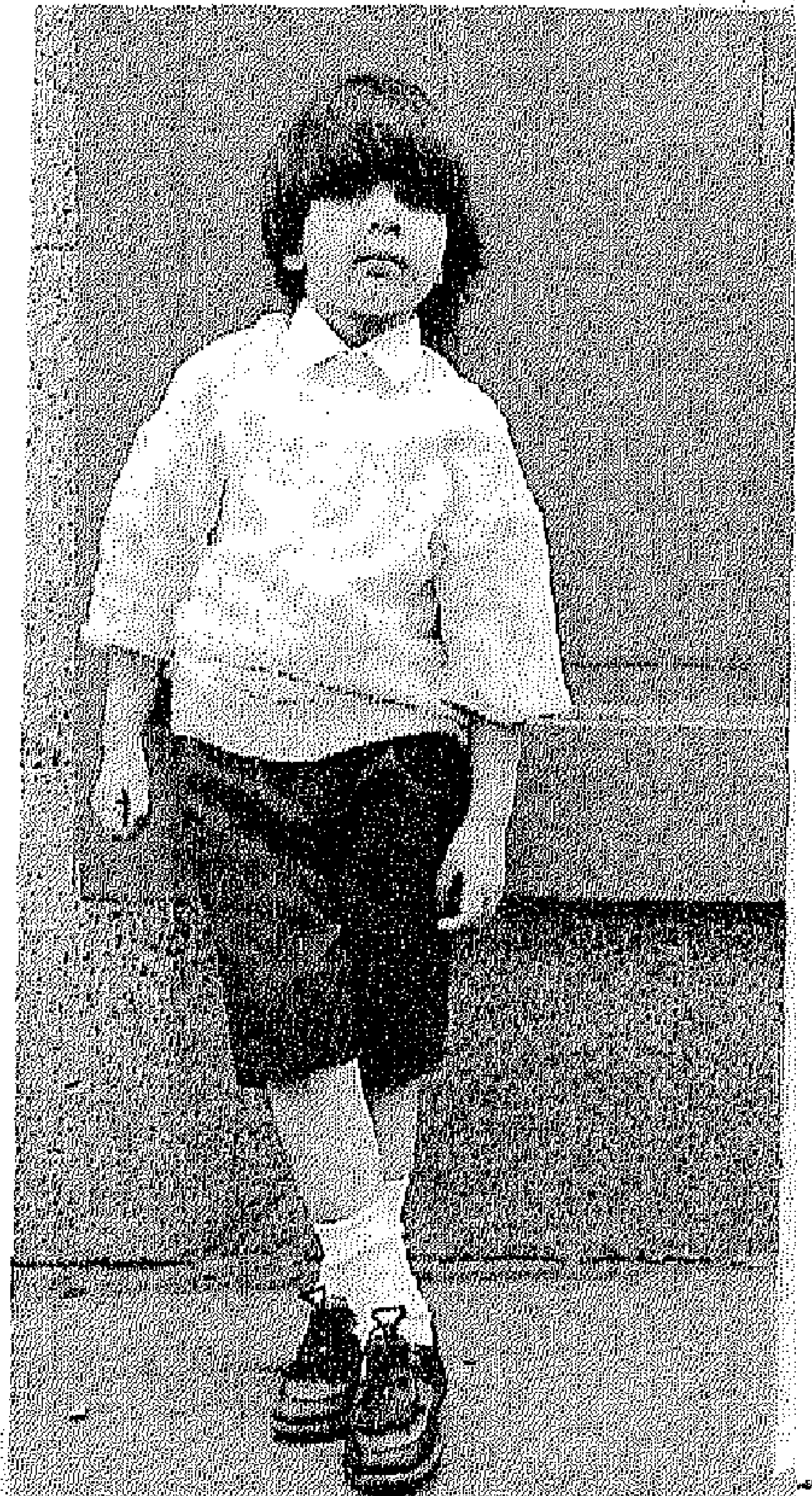




وجوه فرحة لاطفال كمبوديين في تايلند.

صغيرة لم تنتبه للكاميرا تؤدي ر
بهلوانية في احدى حدائق امستردام (هولندا





"سنيور" اسباني صغير في مدريد.

أطفال من العالم

أدركت منذ زمن بعيد أنها مواضيع يتأثر بها الاطفال أيضاً وتهتز لها مشاعرهم. لذا بدأت التقاط صور لهم. وكانت براءتهم وانفتاحهم متعة وباعثاً على التصوير، ولم يغب عن البال أبدا أنهم يعيشون في عالم لا يد لهم في صنعه.

الاطفال يحيطون بنا. انهم يمثلون ربع سكان العالم. وليسوا مجهزين للدفاع عن أنفسهم، لذا هم مضطرون الى الاعتماد على ما تقدمه اليهم. انهم ضحايا الظروف.

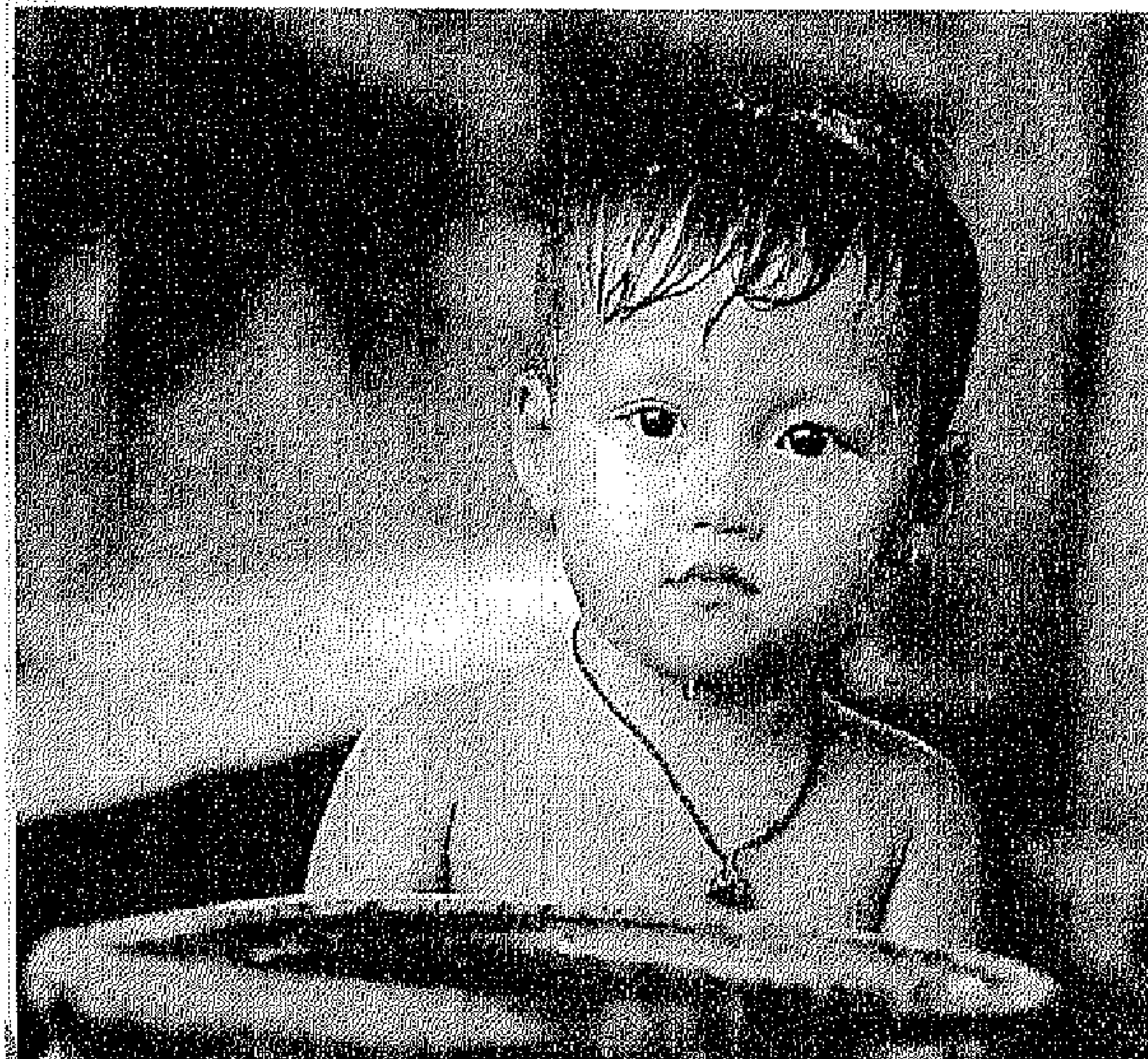
الاطفال مصدر بهجة لنا، ودموع، ومسؤولية. لكنهم قبل كل شيء مصدر أمل. انهم أطفالكم، انهم أطفالي، انهم أطفال العالم.

إدي أدامس ■





آنسة انكليزية أمام الكاميرا في لندن.



طفل فيتنامي "يعيش في عالم لم تكن له يد في صنعه."

يلعبان
ء احدى مدارس لندن.



صبي اثيوبي
في مدرسة.

هذا الصبي الافغاني
وجد ملاذاً في باكستان.



لاجىء صغير من لاوس الى تايلند.



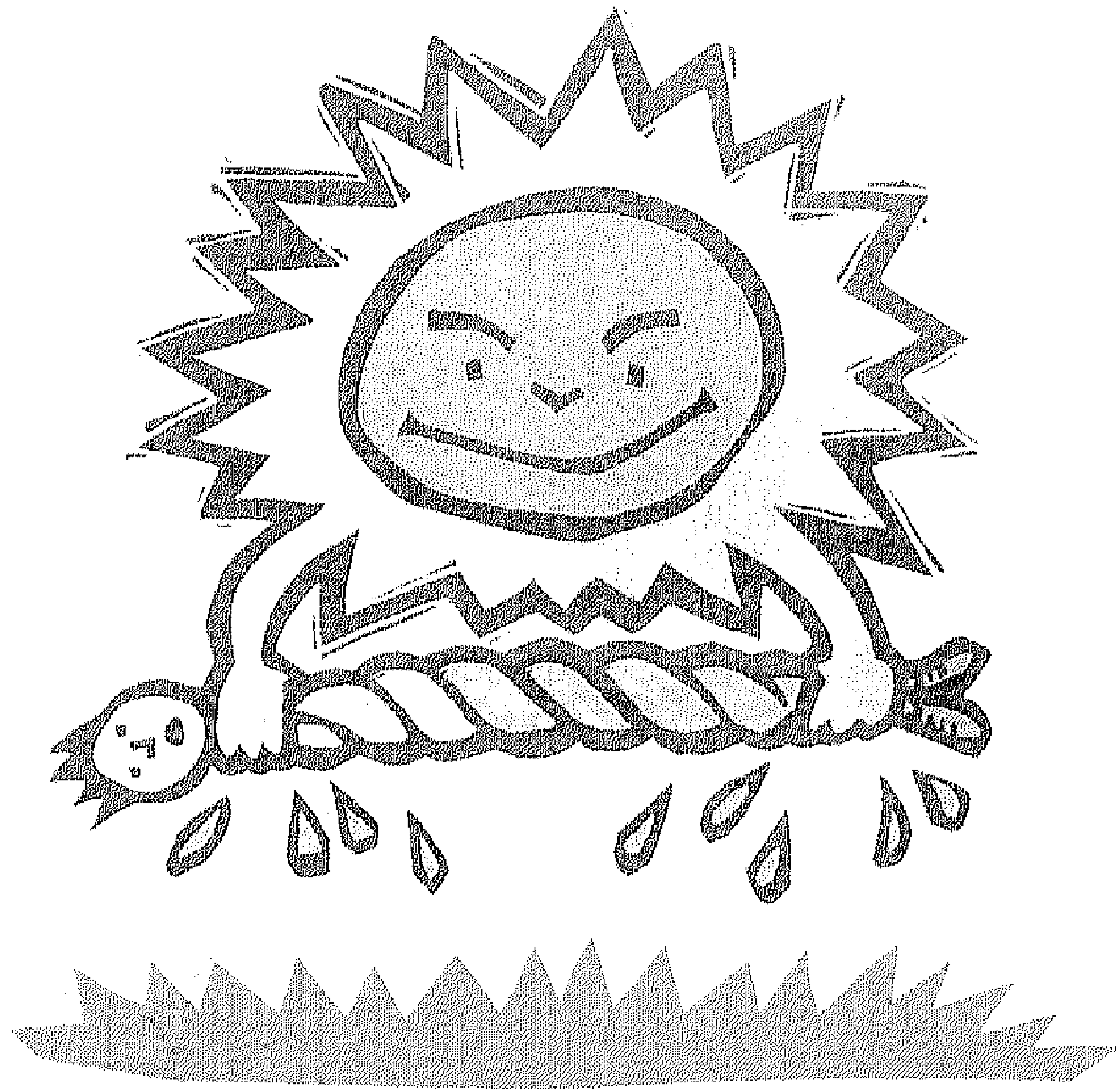


تلميذات مسلمات.





(فوق) طفلان أمريكيان - آسيويان يتعانقان بفرح في كوريا.
(الى اليسار) "منبوذان" في شمال الهند.



الرطوبة مزعجة. ولا فرق اذا اصطفت في الريف أم "تقليت" حراً في المدينة

الرطوبة تضعف النشاط الجنسي!

عندما يتحول الطقس في وسط غرب أمريكا الى الرطوبة يشحّ در الحليب لدى أبقار "هولشتين" الممتازة وتقل مواليدها.

وفي الجنوب تشتد الرطوبة صيفاً. ويتندّر الظرفاء المحليون بأنك في تلك الفترة قد تشاهد كلب صيد يطارد أرنباً وكلاهما ماشيان على مهل.

وفي الايام الحارقة في واشنطن قبل أن يسمح لأفراد حرس الشرف في الجيش الامريكي بارتداء قمصان قصيرة الاكمام، كانوا يقصّون ظهور قمصانهم المنشاة البيضاء وأكمامها ويثبتون أطراف الأكمام بالدبابيس الى ستراتهم الزرقاء. فحافظوا بذلك على أناقتهم الرسمية وظلوا يشعرون ببعض الانتعاش والبرودة.

ILLUSTRATIONS: ROBERT ZIMMERMAN

فما هو هذا الشيء الحار الرطب حولنا الذي يزعجنا ويؤثر في أجسادنا وعقولنا وحتى في محتويات جيوبنا؟ الجواب من دون شك هو الرطوبة. وهذه، ببساطة، مقياس لكمية الماء في الهواء. وتقاس الرطوبة النسبية، وهو التعبير المستعمل عادة للدلالة على كمية الرطوبة في الجو، بمقارنة بخار الماء الفعلي بكمية الماء التي يمكن الهواء أن يمتصّها في درجة معينة من الحرارة. وكلما زادت سخونة الهواء زادت قدرته على استيعاب الماء. فحين تكون الحرارة ٣٢ درجة مئوية يمكن الهواء استيعاب ضعفي كمية الماء التي يقدر على استيعابها في حرارة تبلغ ٢١ درجة مئوية.

المحيطات هي المصدر الرئيسي للرطوبة. انما النباتات تضيف رطوبة الى الهواء أيضاً. ففي يوم واحد قد تطلق غابة مساحتها ٤٠ ألف متر مربع ٧٦ ألف ليتر من الماء في الهواء، أي ما يكفي لملء بركة سباحة عادية. والمجفّف في المصبغة يزيل الماء من الثياب المبلّلة، فيزيد في الرطوبة. وحتى التنفّس يساهم في هذه العملية، ففي كل زفرة ننفث في الجو نحو نصف ليتر من الهواء الرطب.

وباستخدامه أدوات قياس معقّدة نجد العلم آخذاً في التعلّم أكثر عن التأثير العميق والمدهش للرطوبة في كل منا.

في صيف ١٩٨٧ اتصل أشخاص حانقون بمحطة تلفزة في شمال شرق وسكونسن، مشتكين من عدم وضوح الصورة ورداءة الالتقاط. ويذكر المهندس المسؤول: "الذي حدث هو أن الرطوبة كانت تعبث باشاراتنا. انما حين اجتاحت الولاية موجة من الهواء الجاف انخفض عدد الشكاوى بحدة."

والرطوبة تسبب المتاعب أيضاً لعالمنا الميكانيكي. فتتكثف الماء على رؤوس مسجلات الفيديو وأشرطتها يؤدي الى بث صورة مخطّطة. والرطوبة تقصّر عمر المشعل الكهربائي والبطاريات الكاشفات الدخان (للانذار بالحرائق). وحين يكون الطقس لزجاً تبتل الاحزمة المطاطية التي تسيّر المروحة ومكيف



الهواء والمحرك الكهربائي تحت غطاء محرك السيارة، وترسل صريراً.

وتتسبب الرطوبة أيضاً في تفيّر "دوزنة" البيانو بمثل لمح البصر. فخلال حفلات الصيف الموسيقية تدوزن البيانوات في متنزّه "وولف تراب فارم للفنون الأدائية" في فيينا بولاية فرجينيا مرتين يومياً. ويقف المدوزن في جناح المسرح حيث لا يراه النظّارة، جاهزاً لاجراء التعديلات الطارئة أثناء الأداء.

وتعجل الرطوبة تلف صور العائلة وتتلف تحفاً اثرية لا تقدر بثمن. روافد منزلك الخشبية والأبواب وأطر النوافذ تمتص زائداً من الرطوبة فتتمدد، ويداني انتفاخها ٣ في المئة وفقاً لنوع الخشب وتعرّقه وموضعه.

والرطوبة الفائقة تنمي آفات زراعية تصيب البطاطا ومحاصيل اللوبياء والفاصولياء والفول مما يرفع أثمان الغذاء، وتتسبب في "صدأ الحنطة" الذي يؤثر في أسعار منتجات الحبوب.

- وقد أظهر مسح حديث في خمس ولايات شمل ١٥٠٠ موظف في ١١ من الصناعات الرئيسية، أن الحوادث اثناء العمل زادت ٣٣ في المئة حين بلغت مستويات الرطوبة ٨٠ في المئة أو أعلى.

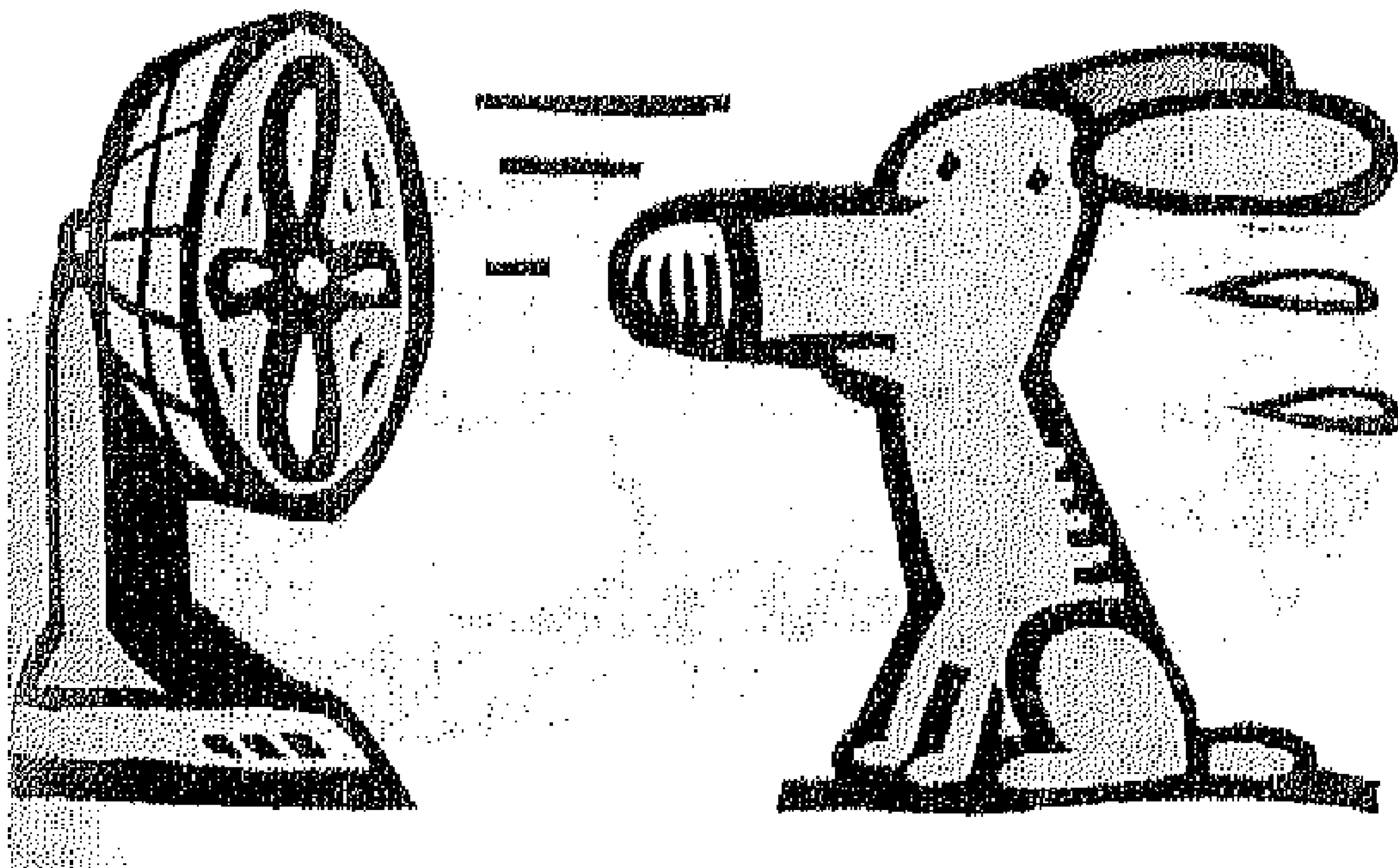
وفي دراسة في شيكاغو تبين أن أغلاط السكرتيرات في الاختزال والطبع على الآلة الكاتبة زادت ألفاً في المئة حين ارتفعت الحرارة والرطوبة.

تدل الابحاث على أن جو الصيف الذي يبدو لطيفاً في حرارة تبلغ ٢٧ درجة مئوية، تحوله الرطوبة النسبية البالغة ٩٠ في المئة الى جو يُشعر بأن ثمة موجة حر قوامها ٣١ درجة مئوية. فالهواء الجاف يمتص العرق بالسرعة التي تفرزه ملايين الغدد في الجسم، وبذلك نحتفظ بالبرودة. أما الهواء المشبع بالرطوبة فيعجز عن امتصاص العرق الذي يتكون على الجلد فترتفع حرارة الجسم ونشعر بالتعاسة.

وتؤثر الرطوبة في صحتنا أيضاً، فتزداد أوجاع الرأس ونوبات القرحة وتخثّر الدم والطفح الجلدي في الطقس الحار الرطب. ومنذ العام ١٩٨٧ أجرت "عيادة الصحة والوزن والاجهاد" في مستشفى جونز هوبكنز في بلتيمور بولاية ميريلاند فحصاً على نحو ١٧٠٠ مريض لمعرفة استجاباتهم للرطوبة المرتفعة. فأفادوا بزيادة في الدوار (الدوخة) وأوجاع المعدة وآلام الصدر والتشنجات والاضطرابات النظرية.

واذ تزداد الرطوبة يزداد العنف في المدن وتكثر الوفيات الطبيعية وتساء معاملة الزوجات. وقد ينخفض النشاط الجنسي.

وتذوي المظاهر الخارجية أيضاً، فيبرز الطفح على الجلد الزيتي. ويمتص الشعر زيادة من الرطوبة فيتمدد نحو ٢،٥ في المئة طولاً، وهذا يجعل الشعر الجعد هشاً



والشعر الاملس "ذابلاً." وقد ولولت صاحبة دار للتجميل خلال احدى موجات الحر الدبقة في أتلنتا بولاية جورجيا: "تجعلني الرطوبة أشعر كأني فراش مبعثر."

والى الشعور بالمهانة، تظهرنا الرطوبة أكثر بدانة. تقول ماريا سيمونسن من "عيادة الصحة والوزن والاجهاد": "حين ترتفع الرطوبة النسبية يتشرب الجسم مزيداً من الماء من القناة المعوية مما يسبب انتفاخاً قد يزيد ٢،٥ سنتيمتر على محيط الخصر والرجلين."

انما ليست كل الاخبار عن الرطوبة سيئة، اذ ان الهواء المكثف بالماء قد يكون منقذاً لحياة المصابين بذات الرئة والتهاب الشعيبات الهوائية وعلل أخرى مرتبطة بالرئتين. كما أن العدسات اللاصقة مريحة أكثر في الطقس الرطب.

ومع ذلك فان قسوة تطبع الايام حين يبدو الصيف كأنه يغلي. وهنا نصائح مفيدة تمكّن الذين لا يقتنون مراوح ومكيفات هواء من قهر الحرّ:

● ادغار فولك أستاذ علم وظائف الاعضاء في جامعة أيوا يؤيد أخذ "دوش" ساخن. وينصح بحفظ الماء دافئاً. والماء الدافىء يجعلكم تعرقون أكثر، لكن ذلك مفيد. فبزيادة حجم الدم وتوسيع الاوعية الدموية تؤقلمون أجسامكم مع الطقس.

● خففوا من الاكل لأن الأيض (٭) يرفع حرارة الجسم. واشربوا ماء كثيراً ولكن قللوا من المشروبات التي تحتوي على الكافايين، فهذا مدرّ للبول ويتسبب في جفاف الجسم. خففوا الكحول والمشروبات المحلاة، لأن الكحول يجفف الجسم والسكّر يؤخر امتصاص الماء.

● ارتدوا ملابس ملائمة. الملابس القطنية الفضفاضة تزيد مجرى الهواء، فتُلتقط الرطوبة من الجسم وتبقي حرارته منخفضة.

انما في بعض الاحيان ليس ثمة ما يفيد في معالجة الرطوبة. تتضاءل الطاقات وتتلاشى أمضى العزائم. ومتى حدث ذلك فانحوا باللوم على راصد الاحوال الجوية، فهو معتاد ذلك.

باتريشا سكالكا ■

(٭) Metabolism. والايض هو مجموع العمليات الكيميائية في الخلايا الحية.

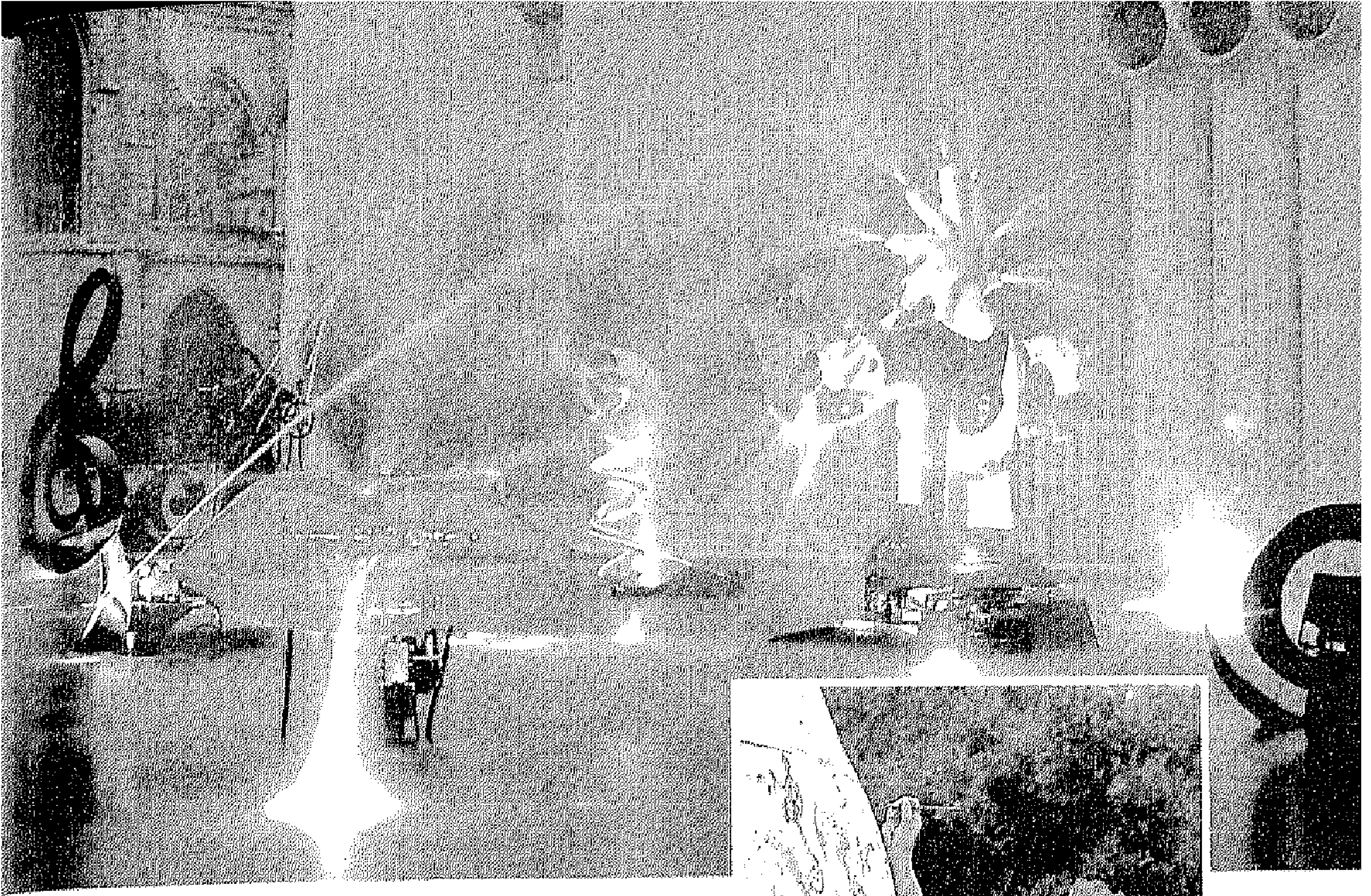
مفاجأة ثانوية

عندما كنت تلميذة في المدرسة الثانوية، دعاني زميل لي لحضور فيلم سينمائي. فاستعرت اجمل ملابس اختي الكبرى، وتبرّجت على أفضل وجه. وعندما التقينا، نظر اليّ مستغرباً ثم قال: "لماذا لم تأتي بلباس المدرسة الموحّد؟ فكنا استطعنا شراء التذاكر بنصف الثمن."

س. ل.

لا شيء يوبّخ الضمير مثل دراجة ثابتة لا تستعملها.

أ. ب.





فنانة الغرائب

على رغم الامراض التي لازمتها ثابرت هذه الفنانة المتفانية على إسعاد جمهورها

تعيش في "ابي هول" مهيب ابيض كالثلج، وهو بناء يرتفع خمسة عشر مترا نصفه امرأة مثيرة ونصفه الاخر اسد مغرور. غرفة الجلوس في بطن الاسد، أما الحمام وفيه حوض له شكل افعى فمخبأ في صدر المرأة. وقد تحقق هذا الابداع على يدي قاطنته نيكي دو سان فال احدى اشهر النحاتين في ايامنا. وتتصدر اعمالها العملاقة الزاهية الالوان

PHOTOS LEONARDO BEZOLA

المعارض والمجموعات الفنية من نيويورك الى طوكيو.

أما "الامبراطورة" الضخمة، وهو الاسم الذي اطلق على بناء ابي الهول هذا، فهي واحدة من اثني عشر تمثالا سيستغرق بناؤها تسع سنوات، تنتصب في حديقة منحوتات مذهلة هي حديقة تارو في توسكانا بايطاليا. وتدعو نيكي المجموعة "تاج عمري". وحين تكتمل سوف تضم اثنين وعشرين تمثالا يصل ارتفاع بعضها الى ٢٥ متراً. ويرمز كل تمثال الى شخصية من مجموعة "بطاقات تارو" التي تمثل القرون الوسطى مثال "الساحر وسيدة الهيكل" و"العاشق" و"القمر" وقد نفذها خيال نيكي الخلاق. وعلى غرار ابي الهول فان عدداً من هذه التماثيل الخلابة صالح للسكن مما يجسد ايمان نيكي بأن الفن والحياة يجب الا ينفصلا.

لاقى مشروع نيكي تجاوبا وحماسة عظيمين. ويقول بونتوس هولتن: "إن حديقة تارو التي تحييها نيكي هي احدى عجائب العالم". وكان هولتن مديراً لـ"مركز بومبيدو" في باريس من العام ١٩٧٣ الى العام (١٩٨١)، واسس لاحقاً "متحف الفن المعاصر" في لوس انجلس بكاليفورنيا، وهو مسؤول اليوم عن مجموعة "بالاتسو غراسي" الفنية في البندقية. ويضيف: "ان منحوتات نيكي غاية في البراءة والحرية والنضارة، حتى ان المرء يدرك ذروة البهجة بمجرد نظره اليها."

الرسم الشافي. مبدعة هذه المنحوتات البهيجة سيدة في التاسعة والخمسين عانت الكثير في سبيل تحقيق شهرتها.

ولدت كاترين ماري - أنييس دو سان فال في نويي - سور - سين بالقرب من باريس في عائلة أريستوقراطية ثرية. وكانت في الثانية من عمرها عندما انتقل ذووها الى نيويورك حيث ادخلت مدرسة محافظة. وهي اخبرتني: "عشت طفولة صعبة". وعندما تستعيد الماضي وتغرق في ذكرياته يتضح لها أنها لم تنسجم مع تقاليد العائلة وكانت تختلف كلياً عن أختيها وأخويها.

في سنها الثامنة عشرة تزوجت شاعراً وروائياً شاباً طموحاً يدعى هاري ماثيوز، ولم يكن أهلها راضين عن زواجها. وولدت ابنتها لورا عام (١٩٥١)، وانتقلت العائلة بعد سنة الى فرنسا. ويتذكر ماثيوز: "في صيف ١٩٥٣ اعترضت زواجنا ازمة خطيرة، فكان أن أصيبت نيكي بانهيار عصبي حاد."

وازدادت حالها سوءاً، فأدخلها هاري مستشفى في نيس حيث خضعت لعلاج بالصدمات الكهربائية. وبعد الجلسة العاشرة حصل امر لم يكن في الحسبان: "بدأت أرسم برغبة قوية لا تقاوم. وكان الامر أشبه بسيل تدفق من نبع غير مرئي. وتنوعت رسومي وتناولت أناساً وصوراً وأشكالا غير واضحة. وكان قلقي يتبخر لحظة امسكاي قلم الرصاص."

ذات يوم أهدى اليها صديق مجموعة من الارياش والصباغ الغواشي(١) فباشرت ترسم على نحو مسعور بالرغبة الجامحة ذاتها التي دفعتها الى الرسم بقلم الرصاص. وسرعان ما بدأت صحة

(١) الغواش طريقة في الرسم بالالوان المائية.

نيكي تتحسن. وبعد مضي ثلاثة اسابيع على دخولها المستشفى سمح لها طبيبها بمغادرته.

أدركت نيكي أن أزمتها النفسية المرعبة الناجمة عن مشاكلها الزوجية تعود الى مخاوف وعدوانية مكبوتة وضياع بين وفائها لذويها وتربيتها الصارمة ورغبتها الجامحة في العيش على طريقتها الخاصة. وبعد مضي نحو سنة على شفائها انتقلت وزوجها الى جزيرة مايوركا الاسبانية حيث ولد ابنهما فيليب عام ١٩٥٥.

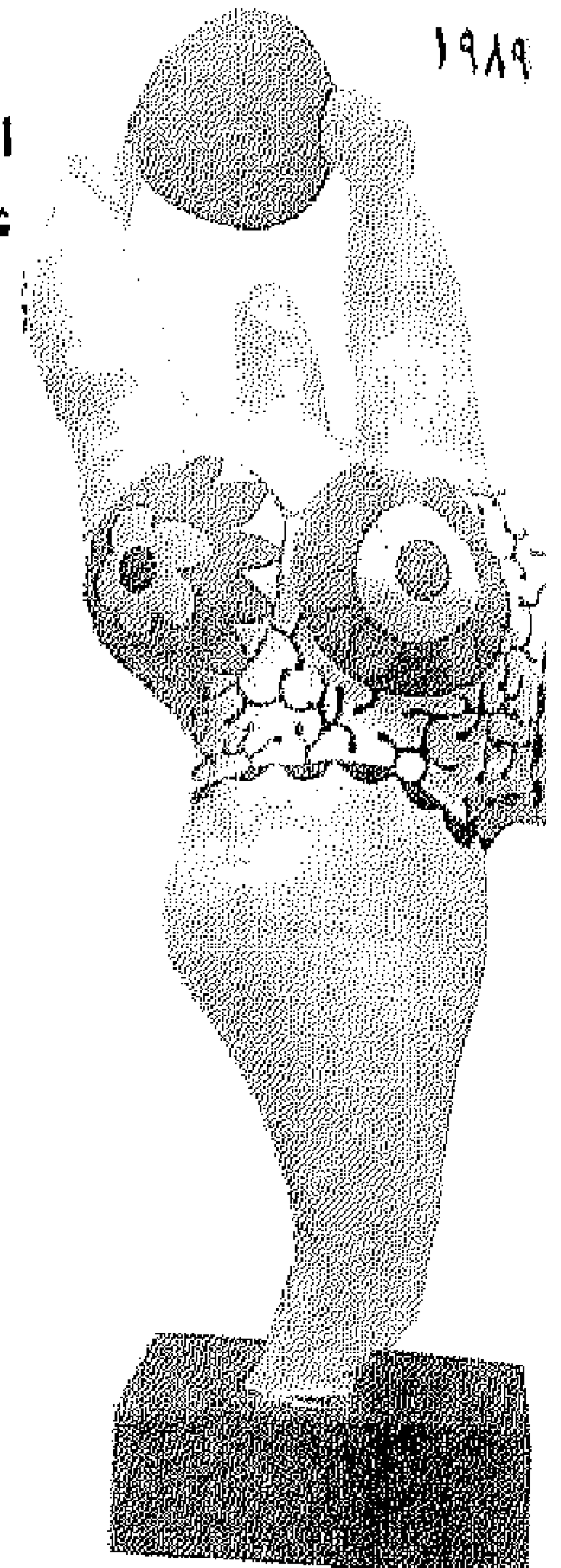
"لوحات" غريبة. في البدء صرفت نيكي النظر عن موهبتها واعتبرت أن رسومها العابثة لا تتمتع الا بقيمة شفائية: "لم يخطر في بالي يوماً أن أصبح رسامة. أردت أن اكون مخرجة مسرحية أو ممثلة". ونيكي دو سان فال هي في الواقع ظاهرة قل مثيلها، فهي فنانة أدركت عالم الشهرة من دون الخضوع لأي تدريب فني احترافي.

في مايوركا لم تكف عن الرسم. وذات يوم شاهد مدير معرض سويسري يمضي اجازاته في الجزيرة بعضاً من لوحاتها واقترح أن يقيم لها معرضاً. فكان لمعرض ١٩٥٦ في سان غالن بسويسرا معنى كبير بالنسبة الى نيكي إذ شعرت بأنها بدأت تصبح فنانة محترفة ناضجة. لكن هذا الشعور اوقعها في مرض مضن آخر. فالنشاط المفرط لغدتها الدرقية سبب لها نقصا كبيراً في الوزن ترافق مع ضعف في الوظائف الهضمية والتنفسية وزادت حدته نوبات متتالية لذات الرئة (بنومونيا). لكنها استطاعت متابعة العمل. وبعد سنتين تماثلت للشفاء على اثر جراحة ناجحة.

ولما استرجعت قوتها أكبت بكل طاقاتها على الرسم. وتوصلت بعد سنة الى قرار بالغ الاهمية، فهي عزمت على أن تستأنف حياتها ولكن بمفردها: "كنت أحب عائلتي كثيراً وقد شارفت الثلاثين، ومع ذلك شعرت بأن ما من وسيلة اخرى للعيش الا بتكريس حياتي لفني."

استأجرت محترفا في باريس وغرقت في العمل. وبعد فترة قصيرة أثارت تقنيتها الجديدة استياء عارماً في

"الساحر وسيدة الهيكل"
احدى منحوتات حديقة تارو.



الـ"نانا" تعبير نموذجي عن مباهج الحياة.

الحلقات الفنية: كانت تلصق اشياء غريبة من علب لبن فارغة وبطاريات مرمية وازهار مجففة على لوح خشبي، وتعمد الى الجص فتصبه فوقها، ثم تعلق فوق هذه "اللوحة" الغريبة اكياس طلاء مختلفة الالوان، وبعدما تثبتها خارج المحترف تطلق نار مسدس على أكياس الطلاء وتقف وقد ملأها الرضى تشاهد جداول من اصفر وازرق وبرتقالي واسود تسيل وتقطر على نتاجها.

الفنانة الإرهابية: اعتبر البعض تصرفات نيكي ضرباً من الدعاية، لكن جان تينغلي وهو نحات معروف وزوج نيكي الثاني كان له تفسير مغاير: "إن رغبة نيكي العارمة في ان تصبح فنانة تكرس وقتها لفنها امدتها بالقوة لتغير حياتها جذريا. ولكن عندما هجرت زوجها واولادها شعرت بأن العالم كله اصبح ضدها وانها عرضة لانتقامه ولا حول لها ولا قوة. لقد التقيتها خلال تلك الفترة، وكانت عدوانية مستوحدة صعبة المراس ومع ذلك مفعمة بالامل على نحو مذهل. وجدتها رائعة فوقعت في حبها."

وسرعان ما عمل الاثنان جنبا الى جنب فأبدعا: "علمني جان ان في امكاننا ترجمة جميع احلامنا واقعاً وأنا لم أنسَ هذا الدرس إطلاقاً."

عام ١٩٦٥ باشرت نيكي ابداع الـ"نانا" (٢) وهو مشروع آخر غريب حظي بشهرة عالمية. والـ"نانا" مجموعة اشكال نسائية عفوية محببة يصل ارتفاعها الى مترين ونصف متر، مصنوعة



مسخ من الحديد والاسمنت والجص.

من اطر اسلاك مشبكة حشيت خِرَقاً وغطيت ببوليستر سائل ثم طليت بألوان صارخة. ومذ لحظة عرضها في باريس وقف الكبار والصغار مشدوهين أمام نسوة ضخام عارمات الصدور والاوراك صغيرات الرؤوس يرقصن أو يقفن على رؤوسهن أو على أهبة الطيران بأجنحة صغيرة.

أثارت الـ"نانا" ضجة في عالم الفن. وحيت الصحافة على جانبي الاطلسي روح

---

(٢) Nanas

نيكي المرحة وبهجتها التي تظهر في ألوانها الصارخة ونفاذ بصيرتها التهكمي في الطبيعة الانسانية. وفوضت الحكومة الفرنسية الى نيكي وتينغلي بناء عمل فني يتضمن "نانا" لعرضه في الجناح الفرنسي من "معرض ٦٧" العالمي الذي أقيم في مونريال. وهذا العمل معروض على نحو دائم في جزيرة سكبشولمن في استوكهولم حيث يجذب حشوداً من الزوار الذين يغادرونه مبتسمين ابداً.

نتاج الالم. كثيراً ما رددت نيكي: "هدفي أن اجلب السعادة". لكنها نادراً ما ذكرت التضحيات التي بذلتها لفنها. فهي مأخوذة بعملها ولم تلاحظ الضرر الذي لحق بصحتها من جراء البوليستر الذي كانت تستعمله لطلاء تماثيلها ﻻحمايتها من العوامل الجوية. فالابخرة لمتصاعدة من هذه المادة الكيميائية السائلة اتلفت رئتيها. وفي العام ١٩٧٦ بدأت تهزل واصيبت بنوبات سعال وعانت صعوبة في التنفس، غير انها لم تأبه لهذه الاعراض الى أن انهارت. فنقلت جواً الى مستشفى في سويسرا حيث شخّص الاطباء التهاباً فيروسياً حاداً ناجماً عن حساسية مفرطة سببها البوليستر وزادت حدته إصابة بذات الرئة.

لم تتوقف نيكي عن استعمال البوليستر، الا أنها عمدت الى وضع نظارات واقية وقناع اوكسيجين لدى تعرضها لبخاره السام. وما ان تكيفت مع حساسيتها حتى بدأت تشعر بالالم في ذراعيها ويديها. انه التهاب المفاصل هذه المرة. ومع حلول العام ١٩٨٢ امتد الالم الى ظهرها ورجليها وباتت عاجزة عن المشي. ويتذكر مساعدها ريكاردو مونون: "كنت أحملها من غرفتها الى محترفها. لكنها لم تكن تفوت ساعة من برنامج عملها اليومي. لقد كانت تتمتع بقوة داخلية لا تصدق."

مئات الالوف من الذين أعجبوا بـ"نافورة سترافنسكي" قرب مركز بومبيدو لم يتبادر الى ذهنهم يوما أن اشكالها الزاهية الالوان ولدت وسط الالم. لقد جاء هذا العمل حصيلة انصهار الابداع عند نيكي وتينغلي، وقد استوحي من موسيقى ايغور سترافنسكي فجاءت التماثيل البلاستيكية المثيرة والاشكال الجديدة المتقنة مشعة بالبهجة ومفعمة بالحياة.

كانت نيكي تتعذب ألماً عندما باشرت صنع النماذج عام ١٩٨٢: "في نهاية الامر خف ألمي لانني وجدت العلاج الناجع". وكان هذا العلاج حدسا مفاده أن ثمة سببا لمعاناتها: "الالم في يدي، إذاً لم يبق الا أن أكثف من استعمال عيني فأتصور تماثيلي كاملة ولا يبقى ليدي الا القليل. وما ان استوعبت الفكرة حتى خف ألمي."

[illegible] المسرحية. يقول جان ـ ايف موك أمين مركز بومبيدو الذي نظم عام ١٩٨٠ معرضاً لاعمال نيكي: "انها أكثر الفنانين الذين أعرفهم قدرة على العمل. وكلما زاد عملها زادت سعادتها. وفضلا عن عملها الناشط على تماثيل تارو تصمم الاساور والاوشحة وتبتكر العطور وتصمم زجاجاتها وتؤلف كتباً وتزينها بالرسوم". وهي تمول بأرباحها مشروع حديقة تارو.

تغادر نيكي توسكانا بين الفينة والفينة للعمل في منزلها في سوزاي - سور - ايكول جنوب باريس حيث كانت تعيش مع تينغلي. لكنها اليوم تقطنه وحيدة، فقد وجد الفنانان أن كلا منهما يحتاج الى منزله الخاص حيث يستطيع العمل بحرية. فاستقر تينغلي في سويسرا في حين ملأت نيكي هذا المسكن القروي بالتماثيل والارياش وغيرها من أدوات حرفتها.

عندما ينصرف مساعدوها بعد عشر ساعات او اثنتي عشرة ساعة عملا تدرك فجأة انها وحيدة وان في امكانها أن تحظى بما تريد من الرفقة، "لكن عملي طاغية غيور لا يحتمل أي منافس". وتحاول نيكي الاسترخاء بالاستماع الى الموسيقى الكلاسيكية "ثم أتناول عصاي السحرية - ريشتي - فتتبدد وحدتي لحظة أبدأ العمل، ويسكنني السلام".

ليلي فولدز ■



جارِ من لا يجاريك

كان آلن سيفيل، نافخ البوق في الاوركسترا السيمفونية لهيئة الاذاعة البريطانية، مسافراً في القطار الى ليدز في بريطانيا. فأزعجه صوت موسيقى صاخبة صادرة عن جهاز ستيريو في المقصورة. ولما سأل صاحبته الشابة الجالسة قبالته أن تخفض الصوت، عمدت نكاية الى رفعه.

وعملا بمبدأ "جارِ مَن لا يجاريك" تناول سيفيل بوقه من الرف وأخذ يعزف لموزار وبنبرة عالية جداً ومليئة بالنشاز. فلم يطل الوقت بالشابة حتى اندفعت بغضب خارج المقصورة. وكوفىء سيفيل بتصفيق حاد من المسافرين الآخرين.

ب.ي.

مصرف الاولاد

تقدمت بريوني ستيفنز، البنت البريطانية ذات الثمانية السنوات والقاطنة في كولشستر، بطلب قرض من مصرف وستمنستر الوطني في مقابل سندات. كان حلمها أن تحصل على ٢٣،٩٥ جنيهاً استرلينياً لشراء "بيت صغير" تلعب فيه، على أن تدفع ١،٣٥ جنيهاً كل شهر من مصروف جيبها. وقد قبل المصرف اعطاء القرض لكنه تناسى، بروح رياضية، ارسال سندات بالدفع.

صحيفة "بيزنس"، بريطانيا

بعد أن تستبعد المستحيل فان ما يبقى، وإن يكن بعيد الاحتمال، هو الحقيقة.

السر آرثر كونان دويل

لماذا تعيش امرأة بدينة أكثر من رجل بدين؟

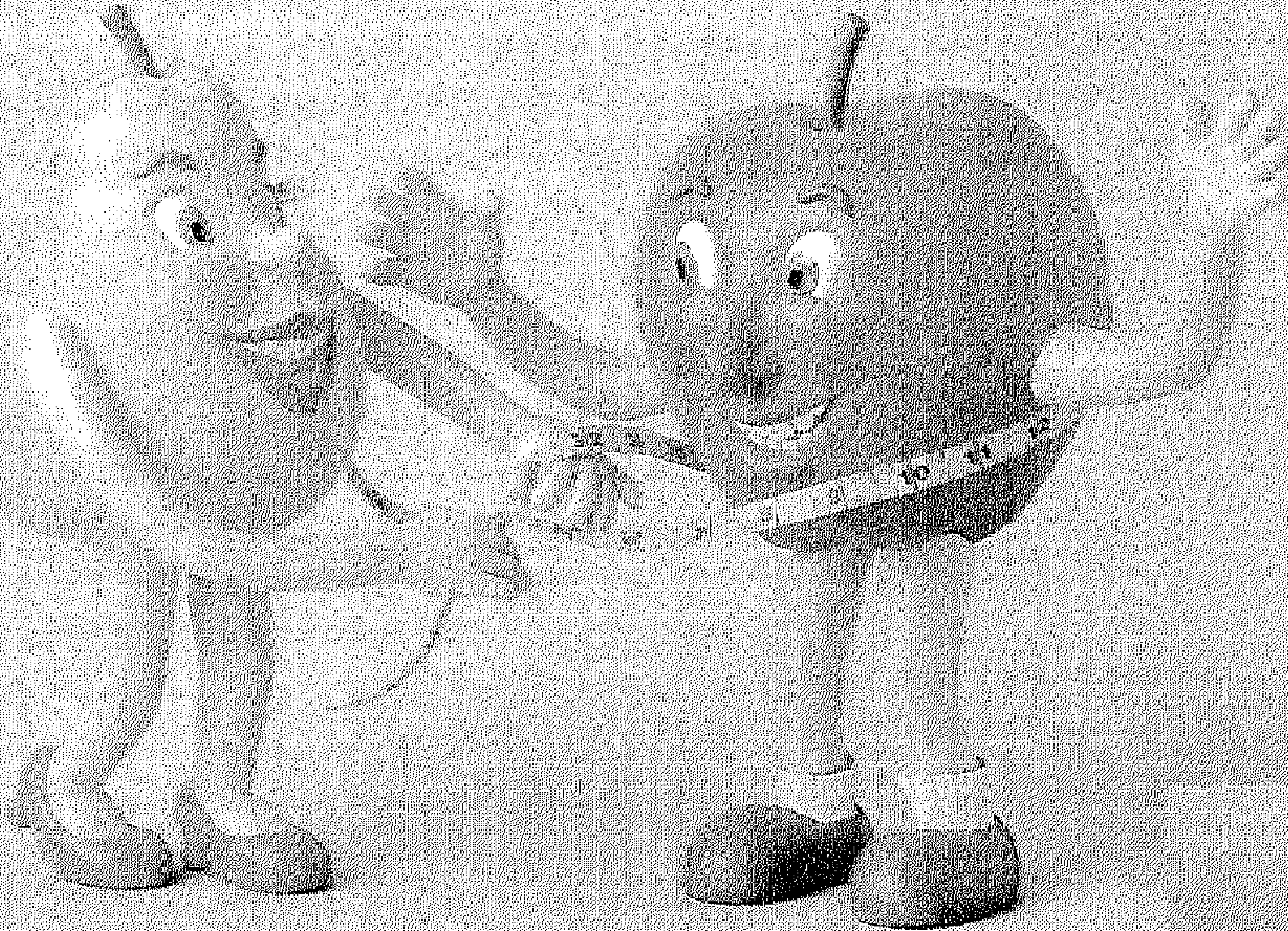
من عادة ريتشارد تيري النظر الى الخصور والاوراك. انه متخرّج في علم وظائف الاعضاء في جامعة ستانفورد بكاليفورنيا، ومنذ ما يقارب خمس سنوات يجمع معلومات عن العلاقة بين الصحة وتوزّع الدهن في الجسم. وقد فتن هو وزملاؤه الباحثون بظاهرة مميزة في تركيبة الجسم تجعل المرأة البدينة أوفر عافية من الرجل البدين.

فهي في شكل اجاصة وهو في شكل تفاحة. هي تختزن الدهن الزائد في ناحية دنيا حول الوركين والفخذين وهو يختزنه فوق، في البطن.

يقول تيري ان "التفاحة" تعيش في خطر.

والدراسات البيوكيميائية لا تثبت هذا الواقع فقط، انما توصي أيضاً بفحص

انتبهوا للخصر والوركين



بسيط لاحتمال اصابتك بمرض القلب والسكتة الدماغية (الفالج) والسكري. فيما أنت واقف، خذ قياس خصرك ثم قياس وركيك في أوسع محيط للردفين. اقسم قياس الخصر على قياس الوركين، ويكون الحاصل هو مقياس نسبة الخصر الى الوركين.

فاذا كان محيط الخصر ٧٩ سنتيمتراً ومحيط الوركين ٩٢ سنتيمتراً، فتكون النسبة ٠،٨٦ الى واحد. ويتحدث الباحثون عن حد أعلى مقبول هو نسبة ٠،٨٥ الى ٠،٩٠ للرجال و٠،٧٥ الى ٠،٨٠ للنساء.

وهذا الفحص موثوق به علمياً ويسهل اجراؤه، وقد يحتل مكانة الى جانب فحص ضغط الدم ومستوى الكولستيرول كمقياس لصحة القلب والاوعية الدموية.

تقول أماندا زوجة تيري، مازحة، ان عمله ذريعة ليحدّق الى النساء. لكنه في الحقيقة أكثر اهتماماً بكل من يعاني "داء دونلابس" (١) وهو اسم غير طبي لترهّل طيات البطن فوق الحزام.

عندما يقع نظر تيري على رجل في محل بقالة ويبدو محيط خصره ١٠٠ سنتيمتر ومحيط وركيه ٩٠ سنتيمتراً تتبادر الي فكرة صور فحوص «CAT» التي يلفظها جهاز التصوير الطبقي الموجه بالدماغ الالكتروني (٢). ويتساءل: هل يعلم هذا الرجل كم من الدهن يحمل داخله؟ والتشديد هنا على كلمة "داخله."

وتمر قرب الرجل امرأة تدفع عربة مشترياتها. ويرى تيري أن محيط وركيها في ضخامة خصر الرجل، لكنه يعتبر أن الاخطار الرئيسية التي تتهددها تكمن في عروق الدوالي (فاريس) وربما في الارتباك. وهي تأخذ شكلها الاجاصي من الدهن المختزن في الردفين والفخذين. وعلى مثال معظم الدهن في جسدها، يُختزن هذا الدهن الزائد تحت جلدها مباشرة.

يبني الرجل شكل التفاحة باختزان معظم الدهن داخل البطن. ويتجمع بعض الدهن تحت الجلد، لكنه حين يقرص طيّة جلد بالقرب من سرّته (وهو فحص قياسي سريع لدهن الجسم) يجد أن ليس فيه من السماكة ما يبرر ضخامة حجمه. ولا يرى مبرراً أيضاً في الطبقة الادنى التالية وهي جدار العضل.

ومن المؤكد أن المرأة تختزن الدهن حول خصرها. لكنها في الوقت ذاته تجمعه حول وركيها أيضاً فلا تتغير نسبتها بحدة. وتظهر فحوص «CAT» لرجل وامرأة متعادلين في البدانة أن الدهن لدى المرأة مختزن خارج جوف البطن بين الجلد وجدار العضل، وهو النوع الذي يظهر في فحص طية الجلد. أما دهن الرجل فخلف جدار عضله، داخل بطنه، يحيط بامعائه وبأعضاء أخرى.

ويكره الجراحون شق بطن كهذا. ولكشف المرارة أو أي عضو داخلي آخر عليهم أن يشقوا طريقهم عبر شرائح من نسيج الدهن الرخامي الاصفر الذي يسدّ رؤيتهم ويعوق كل تحرك. فهو موجود فوق كل الاشياء.

والدهن ينفخ الصفات أي الغشاء الكبير الذي يبطن البطن ويغطي معظم الاحشاء. ويحوي هذا الغشاء خلايا صغيرة

(١) Dunlaps Disease

(٢) Computerized Axial Tomography or CAT scans

تدعى "برياديبوزيت" (٣) قابلة للامتلاء بالـ"تريغليسريد" (٤) والكولستيرول. فاذا امتلأت احداها، تحولت خلية دهن حقيقية، أي قطرة دهنية كبيرة أو ناقلة دهن عملاقة.

وحين تكبر خلية الدهن تسلك داخل البطن على نحو مغاير لسلوكها في أي مكان آخر. وقد أخذ الباحثون خلايا دهنية من أجزاء مختلفة من أجسام المتطوعين ووضعوها في أنابيب للفحص. ورأوا أن دهن الاحشاء هو أكثر نشاطاً من الدهون الاخرى. ومما يزيد الأمر سوءاً هو أن هذه الخلايا الدهنية البطنية، بحكم موقعها، تفرغ دهنها في الدم الذي يجري رأساً الى الكبد.

وعندما تواجه الكبد بمستويات مرتفعة جداً من الاحماض الدهنية الحرة، ترفع انتاجها من البروتيين الدهني المتدني الكثافة (٥) وتشحنه في الدم الذي يتجه الى القلب والرئتين والشرايين. ويصبح قسم من هذا البروتيين الدهني "الكولستيرول الرديء" المرتبط بتلف الشرايين ومرض القلب.

وهذه بعض من المجريات الداخلية التي يظهرها قياس خصرك. فاذا كنت رجلا وتجاوزت نسبة قياسك ٠،٩٠، أو كنت امرأة وتجاوزت ٠،٨٠، فقد تكون لديك مشكلة كولستيرول.

ان الفارق بين ٠،٨٥ و١،٠٠ لا يبدو كبيراً. ولكن حين يكون قياس خصرك معادلا لقياس وركيك فانك تواجه خطراً كبيراً. ربما كنت غير بدين وفق جداول قياسات التأمين على الحياة، وربما كانت سماكة طية الجلد التي تقرصها قرب سرّتك ٢٥ مليمتراً أو أقل مما يشير الى أن مجموع دهن جسمك هو ٢٥ في المئة أو أدنى. لكن مقياس نسبة الخصر الى الوركين يعكس مستويات دهنية عالية على نحو أوضح.

أما الخبر المؤسف لكثيرات من النساء فهو أن لا التمرين ولا الحمية يؤثران في خفض دهن الوركين والفخذين. فخلايا الردفين والفخذين الدهنية في المرأة عنيدة الى حد مدهش. فالخلايا في كل النواحي الاخرى من جسمها تطلق أحماضاً دهنية، لكن هذه لا تحرك ساكناً. وقد اكتشفت الباحثة الفرنسية ماريبل ريبوفه – سكريف أن ثمة نشاطاً واحداً يحمل خلايا الردفين والفخذين على افراز الدهن: الارضاع. وكأن الطبيعة تحتفظ بتلك الخلايا احتياطاً أخيراً للطفل.

وربما كان اكتشاف مقياس نسبة الخصر الى الوركين رسالة أخرى من الطبيعة، اذ ان هذه النسبة تتوقف على التوازن بين العناصر لتأمين مقياس دقيق للصحة. ففحوص ضغط الدم تقيس الضغط الانقباضي بالمقارنة مع الضغط الانبساطي. وفحوص الكولستيرول المعقدة تقيس نسبة الكولستيرول الاجمالي الى البروتيين الدهني العالي الكثافة. والآن هناك مقياس نسبة الخصر الى الوركين، وهو مفتاح يكشف أن العافية الدائمة ليست في الافراط والتطرف بل في نقطة دقيقة من التوازن.

جون بوبي ■

(٣) Preadiposytes
(٤) Triglyceride. وهو مركّب دهني.
(٥) Very low density lipoprotein

دائرة المعارف

حَسَنٌ أن نفيد من قراءاتنا لاغناء لغتنا. هنا كلمات مأخوذة من الاعداد الاربعة السابقة من "المختار." وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. تلابيب: أطواق – مشاعر – أذكياء – أوامر نافذة.
٢. غلواء: نار مستعرة – حسناء – تشدد وتصلب – جوع.
٣. إسار: بَوْح – سوار – سجن – ما يُشَدّ به.
٤. هدأة: فجأة – هدوء – من الطيور – سحنة.
٥. طيِّع: خَيِّر – حديث السن – طائع منقاد – جبان.
٦. مرموق: من يُطال النظر اليه – عالٍ – مهمَل – محسود.
٧. نابه: ظاهر – عظيم الانياب – لئيم – فطن.
٨. استطار: غضب – طيَّر – اصطاد طائراً – جُنَّ.
٩. تسكَّع: عرج – تشكّى – لم يهتدِ لوجهته – قدم أعذاراً.
١٠. أصيص: بريق – فرخ دجاج – وعاء للزرع – قطعة.
١١. مَهُول: كبير – مخيف – منهار – بطيء في سيره.
١٢. سياق: أسلوب ومجرى – أرجل – لجام – نص.
١٣. تناهى: تعب – بلغ – سقط أرضاً – أصغى.
١٤. مهَّد: نام – فلح – هيأ وسهّل – أقنع.
١٥. نشيش: بكاء – رَشْح السائل – تنفس – صوت الغليان.
١٦. مُراءاة: اظهار خلاف ما يضمَر – مجاراة – اغراء – اختباء.
١٧. اغترَّ: خُدع – أطال شعره – ابتسم – اختال غروراً.
١٨. طمس: دهس – محا وغطّى – ضرب – سكت.
١٩. صاغِر: راكع – مصغٍ – صغير – مُهان وراضٍ بالذل.
٢٠. سَداة: ورَقة – برعم – عبير – عضو ذكر في الزهرة.
٢١. استنكف: خاصم – امتنع استكباراً – عاند – رجع.
٢٢. تورَّط: طعن – وقع في أمر مشكل – احتار – دخل.
٢٣. حاق: أحاط – عاق وأخَّر – لحق – نظر حوله.
٢٤. كُوْر: درس – ابريق – ثقب – مجمرة من طين.
٢٥. برزخ: تلة – مجموعة جزر – خليج – أرض بين بحرين.

الأجوبة الصحيحة

١. التلابيب: الاطواق حول العنق، مفردها تلبيب. ويقال "أخذ بتلابيبه" أي أمسكه متمكناً منه.

٢. الغلواء: التشدد والتصلُّب حتى مجاوزة الحد. أيضاً: أول الشباب ونشاطه.

٣. الاسار: ما يُشَدّ به، الحزام. والاسار أيضاً لغة في اليسار.

٤. الهداة: الهدوء. يقال "هداة من الليل" أي هزيع منه أو جزء.

٥. الطيِّع: الطائع. يقال "هو طَوْع يدك" أي منقاد لك.

٦. رَمَقَه: لَحَظَهُ لحظاً خفيفاً. أيضاً: أطال النظر اليه. والمرموق هو من يُطال النظر اليه.

٧. النابه: الفطن ذو النباهة. أيضاً: الشريف. وجمعها نُبَهاء.

٨. استطار: انتشر، تفرّق. أيضاً: طيّر. تطيّر بالشيء ومنه: تشاءم.

٩. تسكّع في أمره أو مسيره: لم يهتدِ لوجهته.

١٠. الأصيص: وعاء تزرع فيه الرياحين. جمعها أُصُص.

١١. المَهُول: المخيف ذو الهَوْل.

١٢. سياق الكلام: أسلوبه ومجراه. والسياق أيضاً مهر المرأة قيل له ذلك لأن العرب كانوا، اذا تزوجوا، ساقوا الابل والغنم مهراً.

١٣. تناهى الخبر الى فلان: بلغه. تناهى الشيء: بلغ نهايته.

١٤. مهَّد الأمرَ: سوّاه وسهّله وأصلحه. مهَّد لنفسه خيراً: هيّأه وقدّمه.

١٥. النشيش: صوت الماء وغيره اذا غلى.

١٦. المراءاة: اظهار خلاف ما يضمر. راءيته: أريته خلاف ما أنا عليه.

١٧. اغترَّ: خُدع. اغترّه: أتاه على غِرّة أي غفلة.

١٨. طَمَسَ الشيء: محاه، غطاه، أهلكه. طمَسَ أيضاً: بَعُدَ.

١٩. الصاغر: المهان، الراضي بالذل والضيم.

٢٠. السَداة: العضو الذَكَر في الزهرة.

٢١. استنكف من كذا: امتنع أنفة واستكباراً.

٢٢. تورّط: وقع في الورطة أو في أمر مشكل. والورطة هي كل أمر تعسرت النجاة منه.

٢٣. حاق به: أحاط. حاق بهم العذاب: نزل وأحاط.

٢٤. الكُور: مجمرة من طين. الكورة: البقعة التي تجتمع فيها المساكن والقرى.

٢٥. البرزخ: الحاجز بين الشيئين. وهو عند الجغرافيين قطعة أرض ضيقة محصورة بين بحرين موصلة براً ببرّ.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز

١٤ - ٢٠: جيد جداً

٩ - ١٣: مقبول

لغة الخرائط

ليتني أستطيع سرد قصة كما تسردها الخريطة. إذ ما من حكاية تبرز تضارب القوى أكثر من شاطىء ألاسكا. وما من رواية محبوكة أكثر من تيارات نهر الأمازون المتداخلة. نحن نشاهد الأمور كلها على الخريطة: التاريخ، والطبيعة، والمستقبل. ما من خرافة تدعم الاساطير أكثر من شهادة النيل الجبار. وما من تاريخ يرمز الى الديمومة الحزينة أكثر من قفار سيبيريا أو من رمال الصحراء التي لا تحصى.

أحببت الخرائط منذ صغري، لجمالها وفائدتها والخيال الكامن فيها وحتى لما فيها من ادعاء. فبالخرائط ندعي نحن البشر تخطيط العالم. وندعي أننا عالمون بالامور.

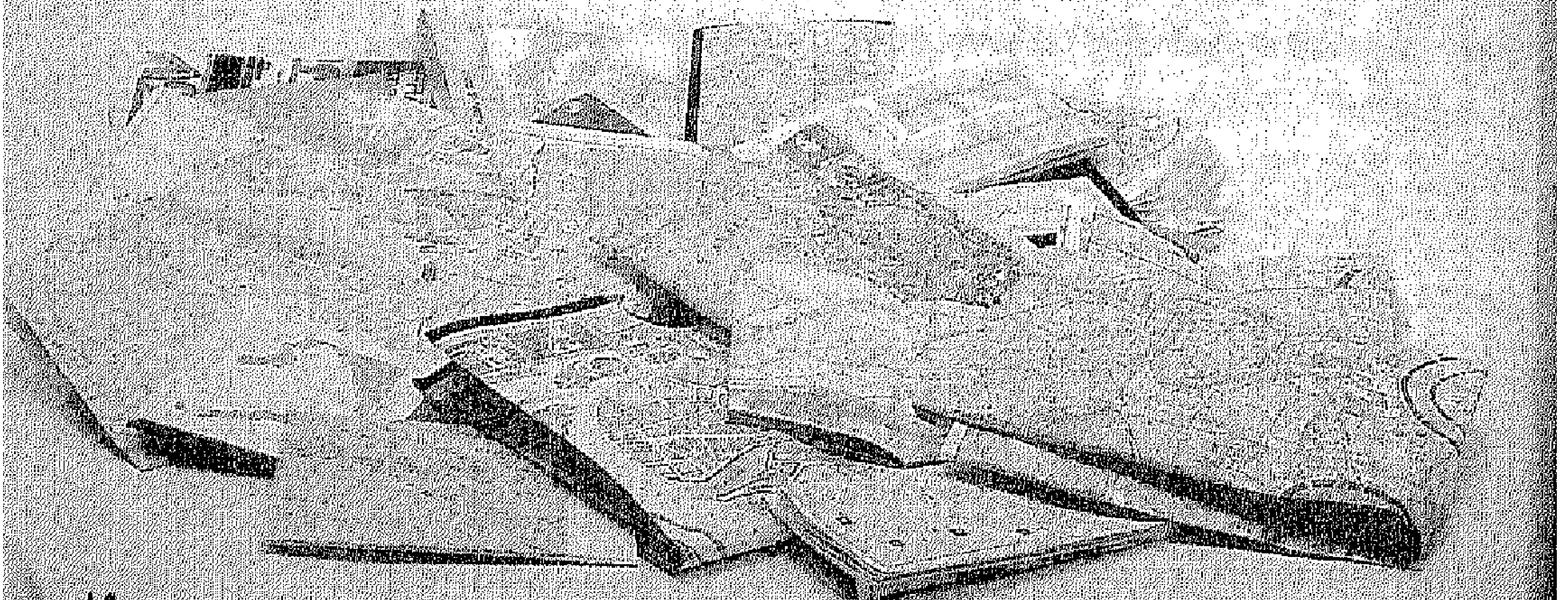
وأحبّ تلك المشاهد من أفلام الأدغال عندما يلتفت المستكشف الى الدليل ويصرخ: "ها هو المكان! هات الخريطة! دعني أرى الآن..."

ويحاول الدليل توضيح الأمور: "يا سيدي..." لقد خرجنا عن الخريطة وسيسمعان الآن قرع طبول منتصف الليل وغيره من أصوات الأدغال المخيفة.

ما من شيء يرمز أكثر من الخرائط الى اتكالنا البشري على المكان، على تبيّن موقعنا ومحل أقامتنا على وجه الأرض. والسؤال التالي الذي يطرحه المستكشف: "أين نحن بحق السماء؟" تعبير طبيعي عن الذعر في تاريخ الاستكشاف.

تخبر الخرائط الكثير عن عالمنا، إنما المزيد عنا. بالنسبة الى المؤرخ اليوناني هيرودوتس كانت اليونان محور العالم. وبالنسبة الى الرومان كانت روما المحور.

هي أدبنا القديم، تخبرنا الكثير عن العالم والمزيد عن البشر



وفي القرون الوسطى كانت القدس هي المحور. وحتى عندما عُمد الى رسم خريطة العالم علمياً، قرر الفلكيون أن أنسب موقع لخطّ الزوال(★) أي وسط العالم هو موقع بالقرب من لندن.

أدرك العلماء منذ أيام الاغريق في القرن الرابع قبل الميلاد أن الأرض كرة، أنما نحن العامّة تجاهلنا دائماً هذا الأمر. وقوّت معتقداتنا هذا المفهوم الخاطىء، فاذا بالعالم مسطح يشبه الخريطة، وله أطراف وحافات قد نقع عنها.

تبدو الأرض في بعض الخرائط القديمة مرتكزة على ظهور فيلة عملاقة. وبقيت فكرة وجوب ارتكاز الأرض على أساس صلب سائدة حتى في العصر الحديث. وذات مرة ألقى فيلسوف محاضرة، فاذا بامرأة تدنو منه لتوضيح الامور. قالت له إن الأرض ترتكز على ظهر سلحفاة عملاقة. فسألها الفيلسوف على ماذا تقف السلحفاة. فأجابته: "على سلحفاة أكبر طبعاً." ولما بدأ سؤاله المنطقي التالي صرخت: "لا جدوى من الاسئلة! ان الطريق على طولها ملأى بالسلاحف!"

الخرائط هي أدبنا الأقدم، انها أقدم من الكتب. وأنا واثق بأن الخريطة هي أول شيء كتبه البشر للاتصال في ما بينهم. وتراني أتخيّل الحادثة الآتية: ذات مساء صاف من شهر يونيو (حزيران) قبل مليون عام في وادي ريفت الكبير في شرق افريقيا، توقف البشر الأولون ليرتاحوا من رحلتهم الطويلة. فتناول أحدهم قضيباً ورسم على وحل بحيرة خطوطاً تمثّل البحيرة والنهر وغابة كثيفة وبعض الأمكنة الصالحة للصيد خلف الغابة. ثم أشار الى الخريطة قائلاً: "أنظروا يا رجال، نحن الآن هنا ونأمل أن نصل الى هناك غداً."

كان ذلك الكلام معقولا جداً الى حد أن أولئك الناس الاولين اعتبروه سحراً. لقد أبرز العالم في صورة، واذا بهذه الصورة التي أطلق عليها اسم "خريطة" تبدو في غاية الواقعية بحيث صدق أولئك المرتحلون أنهم سيبلغون المكان المقصود. ولم تقوِّ الخريطة اعتقادهم بوجود أراضٍ صالحة للزراعة خلف الغابة فحسب، بل أوحت بقوة أن للمستقبل وجوداً، إذ ثمة مكان يستطيعون التوجه اليه وبلوغه غداً. فشعروا بالطمأنينة. إن الطرق على الخرائط تؤدي كلها الى مكان ما.

لقد ثبّتت الخرائط العالم في مكانه. فقبل رسم الخرائط كانت الجزر تطفو على سطح المياه والمدن تختفي عن وجه الأرض. وظلت بعض البقع خالية في الخرائط، تماماً كما النقص في معرفتنا، ألا أننا ملأنا تلك البقع بأسماء من نسج خيالنا. وقد كتب الروائي البريطاني جوناثان سويفت عن الخرائط القديمة الآتي:

رسم علماء الجغرافيا حيوانات وغابات
ليملأوا الفراغ في خرائط افريقيا.
وعلى المرتفعات غير المسكونة
وضعوا فيلة حيث لا قرى.

كثيراً ما ساهمت الخرائط غير الدقيقة في الاكتشافات. فقد اعتقد الجغرافي اليوناني العظيم بطليموس (٩٠ – ١٦٨ ميلادية) أن أوروبا وآسيا

(★) Prime meridian

تنبسطان على أكثر من نصف مساحة الكرة الأرضية، في حين أنهما لا تتجاوزان عشرة في المئة من مساحة الأرض. وصمدت أرقام بطليموس ثلاثة عشر قرناً وساعدت كولومبوس على إقناع ملكي اسبانيا فرديناند وايزابيلا بسهولة ابحاره غرباً لبلوغ الشرق. ولحسن الحظّ أن أمريكا اعترضت طريقه.

لما أبحر فرديناند ماجيلان في رحلة حول العالم، ظنّ الاوروبيون أن أمريكا مجرد جزيرة تختبىء آسيا وراءها. فقد كان سائداً في زمان ماجيلان أن "العالم الجديد" لا تفصله عن "الهند الشرقية" إلّا بقعة مائية صغيرة. وتبيّن في ما بعد أن هذه "البقعة" هي المحيط الهادىء.

في هذه الاثناء، على اليابسة، مكنتنا الخرائط من التفكير في ملكية الارض. فرسمنا الخرائط لنشبع شهيتنا. كان في وسعنا أن نرسم الحدود حول هذه المدينة وهذا النهر و... فنحصل على امبراطورية! لعب الملوك بالخرائط كما نلعب نحن على رقعة شطرنج. وقسّم "العالم الجديد" بخط واحد فحصلت اسبانيا على الأراضي غرب الخط ورضيت البرتغال بما تبقى.

وسهّلت الخرائط رسم الحدود التي برّرت نشوب الحروب. لكن الخرائط الأكثر واقعية قلّما أعجبت الحكام الذين طلبوا رسمها. ففي أواخر القرن السابع عشر تعجّب ملك فرنسا لويس الرابع عشر من خريطة في غاية الواقعية، وهتف قائلا إنها أفقدته من امبراطوريته أكثر مما أربحته حروبه.

حتى اليوم، تعكس الخرائط السياسية صورة العالم كما نريده نحن. فالخريطة الصينية للهند تختلف عن الخريطة الهندية للهند، إذ ان الصين تحفظ لنفسها مساحات أكبر من جبال حملايا. وتبرز الاكوادور على خريطتها الخاصة بمساحة تبلغ ضعفي المساحة الحقيقية التي لها سيادة عليها، إذ لا يزال الخلاف قائماً حول الأراضي التي خسرتها في حربها مع البيرو عام ١٩٤١. وفي الخرائط التي تطبعها دولة غواتيمالا لا وجود لدولة بيليز (هندوراس البريطانية سابقاً).

أنا أضيع في خريطة. فأنا أحب أشكال الأرض وخطوطها. وعندما أقرأ خريطة تبهر الجبال العالية أنفاسي وتثير المحيطات مخيلتي. وعبر الطبيعة الفسيحة أراقب الأنهار المجنونة وهي تصبّ مياهها في البحر.

الجغرافيا تتكلم. تقول لي منغوليا: "لا تستطيع العبور من هنا الى هناك." وتتكهن القمم الثلجية بمستقبل قارس. وتنصحني المناطق الاستوائية: "عش ليومك،" وأراقبها اذ تتحول غاباتها مزارع، ومزارعها صحاري، وصحاريها نهايات حزينة.

الخريطة منبع للخيال. تبدو أوستراليا يتيمة على الخريطة. وترسف الجزر في قيودها. وترفع افريقيا القديمة كتفيها فتشدها أوروبا الى تحت.

كتب الروائي الاسباني سرفانتس: "ارتحلوا حول العالم في خريطة، فتوفروا مصاريف السفر ومشقاته وترتاحوا من عذابات القيظ والبرد والجوع والظمأ."

وأنا أضيف: "ارتحلوا حول العالم في خريطة، فتتجاوزوا قيود الواقع."

كلاي مورغان ■

مأساة واقعية

أطبقت مسنّنات الآلة على ذراع العامل الشاب
وعجز المسعفون عن تخليصه
لكن فكرة غريبة أعادت اليهم بعض الامل

كان عمل كينث رودريغز ابن التاسعة عشرة، أن يفرغ براميل من مسحوق تجميلي واق يزن واحدها نحو ١٠٠ كيلوغرام، في قادوس(*) من الفولاذ الصامد في معمل "ناب" للكيميائيات في لودي بولاية نيوجرزي. وفي أصيل ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٧ كان وحيداً على المنصة العالية فوق الآلات، يقلب حثالة أحد البراميل فوق القادوس الذي تبلغ مساحة قمته ١،٢ متر مربع ثم يستدق لينتهي بحجيرة تحوي بريمتين لولبيتين للطحن.

انتظر كينث حتى مخضت البريمتان كتلة المسحوق في أنبوب المخرج. وكان قطر البريمة الصغرى ٥ سنتيمترات وهي تدور بسرعة ضمن لفات البريمة الكبرى التي يبلغ قطرها ٢٣ سنتيمتراً. وكعادته، مد يده ليكشط الفضالة المتشبثة بجوانب القادوس.

فجأة نهشت الآلة يده.

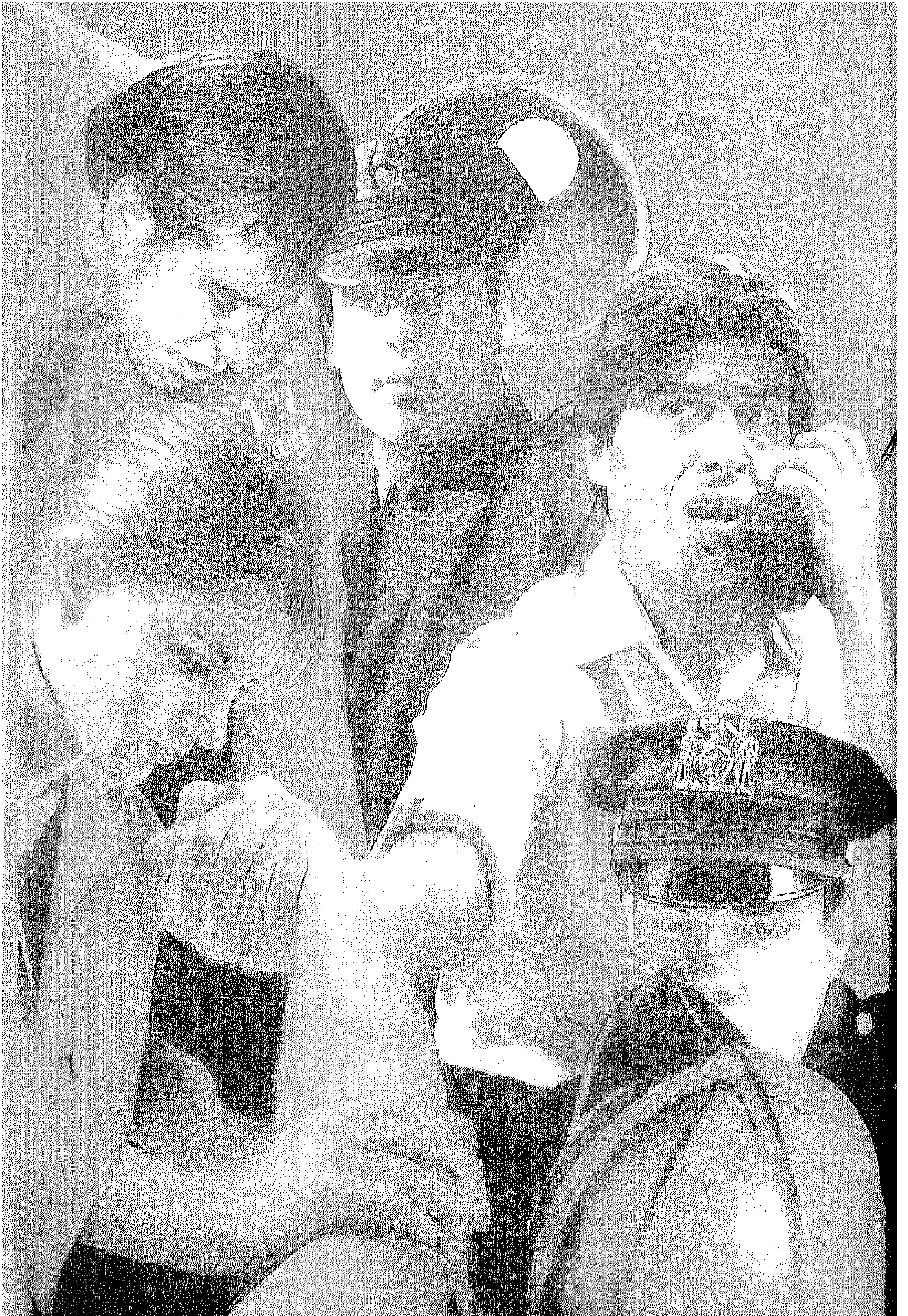
ذلك لأن نتوءاً في البريمة الكبرى حصر راحته اليسرى وعلق بالقفاز الذي يكسوها. ففقدت الاسنان فوق يده، وفي لمح البصر التفت حول ذراعه. فصرخ من أعماقه: "رباه! لا!" وبيده الحرة تمسك بالحاجز وحاول بيأس أن يمنع جسمه من الانجذاب داخل الآلة.

لكن هذه كانت قوية جداً. فراح كينث يغوص في القادوس ورأسه في المقدم وزعيقه يملأ المكان، فيما ذراعه تفتل داخل المسننات. وسمع صوت عظامه وهي تسحن.

كان يتلوى فوق حافة القادوس وذراعه المبتورة تحته عندما نشب الطرف الكلاب للبريمة الكبرى بجذعه. بات مشكوكاً وعنقه مضغوطة الى جدار الآلة.

استعاد كينث وعيه وسمع صوت أقدام راكضة وصياحاً. وكانت البريمتان

(*) القادوس وعاء قمعي لتلقيم الطاحون او الآلة بالقمح او الفحم، أو غير ذلك.



توقفتا عن الدوران من جراء ضغط جسمه. لكنه كان يختنق، وعندما حاول أن يقوِّم عنقه وجد أنها حُشرت بعنف الى المعدن وحُبست على نحو مضاعف بالبريمة التي كبَّلت صدره تحت عظم الترقوة.

كان كينث مشوَّش الذهن بسبب ضحالة تنفُّسه، فاتجهت أفكاره الى دينورا خطيبته والى والديه وشقيقته. وشعر باستسلام: لن أراهم بعد الآن، فأنا مقبل على الموت.

غير أن شيئاً تمرّد داخله. فجأة أغضبته فكرة الاستسلام فقرر أن يتحمل مقدار استطاعته. وصلى.

شاهد فوقه على الممر الضيِّق وجه أحد زملائه. فناشده "اسحبني خارجاً" وهو يناوله يده اليمنى. شد الرجل بقوة، لكن كينث ظل راسخاً في مكانه والالم يسفع صدره. قال له زميله: "استمرَّ في المقاومة، فقد طلبنا مساعدة."

بعد دقيقة اندفع الشرطي بيرن شيورتينو (٤٣ عاما) داخل الغرفة وكوَّن رأياً عن الوضع. كان القادوس مثبتاً فوق منصة تعلو مترين عن أرض الغرفة، وكل ما استطاع شيورتينو تمييزه من خلال فتحة صغيرة في قعره حشوة من اللحم والثياب الممزَّقة. وعندما صعد الى الممر الضيِّق ونظر الى أسفل أصيب بالذعر. كان وجه الرجل المسحوق في الداخل شاحباً فاقد الحياة.

حينئذ بادر شيورتينو الى مراقبة طَرْف عيني الشاب. فاتصل بدائرة الشرطة عبر جهازه اللاسلكي: "أرسلوا كل ما عندكم! أريد اطباء ومساعدين طبيين وسيارة اسعاف وجهاز اطفاء." وخلال ثوان تحركت عربات الانقاذ وتعالت صفارات الانذار في أرجاء المدينة.

هيئة الموت. صعد المساعد الطبي ريتشي بيلفيلد (٢٧ عاما) درجات السلم الضيقة اثنتين اثنتين، وأنعم النظر الى كيني ثم صاح بزميلته مارسي وليمس الواقفة تحت: "نحن أمام مشكلة، فهو آخذ في الازرقاق وقد انقطع تنفسه."

تدلى بيلفيلد داخل القادوس وقد شبك رجليه في جوانبه ووضع يديه على وجه كينث، وبتأن رفع فكه قليلا ليُفتح طريق الهواء الى رئتيه.

لاحظ أن النزف الخارجي لم يكن ذا شأن، لكنّ الشاب قد يكون يعاني نزفاً داخل صدره. ولم يرَ بيلفيلد شيئاً من الذراع المشوَّهة.

أجرت مارسي وليمس اتصالا لاسلكياً تطلب فريقاً جراحياً للصدمات، وصعدت الى جانب زميلها. وتبادلا نظرة تغني عن كل كلام. فهما يعرفان هيئة الموت، وهذه تتبلور في كينث رودريغز.

أما كينث فركز وعيه على تنفسه فحسب. فهو الآن يفرط في ادخال الهواء الى رئتيه، وقد أجبر نفسه على تخفيف ذلك. واستمر يقاوم ألمه الجائش وهلعه. وزيَّن لنفسه أنه سينجح في الخروج من مأزقه. لكنه كان الوحيد في الغرفة الذي يعتقد ذلك.

آمن كينث طوال حياته بالتعويل على نفسه لشق مكان له تحت الشمس. وكان فخوراً لانه مارس بضعة أعمال خلال دراسته ليشتري ثيابه وسيارته الخاصة. بل انه عمل ساعات اضافية وقتّر على

نفسه ليستطيع شراء شقته الخاصة. والآن إذ يطلب مجرد البقاء قيد الحياة لم تتغير مبادئه. فهو يود أن يستحق الحياة.

"ها هو يفقد الوعي!" صرخت وليمس اذ تراخى كينث فجأة الى داخل الراقود. وبمساعدة الشرطي شيورتينو ربطت حبلا حول خصره ولفّته على بعض الانابيب العالية وثبّتت طرفه في الحاجز الواقي.

وكان بيلفيلد لا يزال يسند فك الضحية ويضع فوقه كمامة أوكسيجين. ووجدت مارسي وليمس ضغط الدم منخفضاً ولكن صامداً. وقدرت أن اللفات المعدنية للبريمة كانت تسد الجروح التي أحدثتها. فلقمت الجريح مصلا في أوردة قدمه لتعويض الخسارة في حجم الدم. ثم أخذت يمناه الحرة بيديها.

حتى تلك اللحظة كان ثلاثون شخصاً وصلوا للمساعدة. وتفحص رجال الاطفاء والنجدة القادوس ثم تراجعوا برعب مَنْ فقد الامل. فهم لم يتبينوا طريقة ينقذون بها كينث. فادارة البريمتين عكسياً ستؤدي الى فتح جروحه والتسبب في مزيد من الضرر. حتى "فكّا الحياة" المستخدمان لاستخراج الضحايا من السيارات المسحونة لن يعملا في قادوس مرتفع من الفولاذ الذي لا يصدأ، وقد يقتلان الرجل المسفود داخله. لكنّ كينث، على رغم أن أحداً من منقذيه لم يبدُ عارفاً كيف يحرره، كان شاكراً حضورهم. فما مِن انسان يريد أن يقاوم الموت منفرداً.

بعيداً من شفا الهاوية. بعد مرور ساعة على محنة كينث وصل الدكتور جون لوكورتو رئيس جراحي الصدمات في مركز هاكنساك الطبي. ولم يحتج الى أكثر من ٣٠ ثانية ليقوّم مدى الخطر الجسيم المحدق بكينث. فأي حركة قد تقطع النخاع الشوكي وتخرق الرئة وتسبب نزفاً داخلياً حتى الموت. لكنّ لوكورتو كان تمرّس طويلا بجبه الكوارث فلم تَعُدْ تربكه.

كان هدفه المباشر تأمين تنفُّس مريح لكينث. فأصدر أوامره: "إنزعوا صفيحة القادوس الامامية. علينا ان نحرّر مجرى تنفسه."

فتوجه رجال الاطفاء الى الصفحة بمناشيرهم المعدنية الجبارة وراحوا يقطعون الشقّين الملحومَيْن على جانبيها. وكانت المناشير تُثلم فتبدل، لكنّ الشقين أذعنا لها شيئاً فشيئاً.

وكان كينث يئن من الارتجاج كلما زادت المناشير نزولا، فتشد مارسي وليمس على يديه.

وصرخت مارسي وهي تلاحظ عيني كينث تنقلبان الى الداخل "لا تستسلم يا كينث! افتح عينيك!"

فابتعد كينث من شفا الهاوية طارفاً بعينيه ولاهثاً.

ومرّت ساعة أخرى قبل أن تسقط الصفيحة الامامية مثل قشرة موز ضخمة. وما ان وقعت حتى تهاوى جسد كينث على البريمتين، وأفلت حبل الدعم. فانبرى رجال الاطفاء بحمية وربطوا حزاماً حول حقويه لرفعه مجدداً. وكان الملازم بول بريرا الذي عركه الدهر ٢٥ عاماً في سلك الشرطة وزاده صلابة، يحاول تفكيك محرك البريمتين تحت قاعدة القادوس.

فلقد بدت تلك الطريقة الوحيدة لسحب كينث. لكن مصبّعة السلالم والممشى الضيق كانا في الطريق. كان الامر مستحيلا.

سمع بيريرا كينث يئن ويناشده: "إلامَ، الانتظار؟"

فأجابه: "ثلاث دقائق أو أربع ثم آخذك في الاحضان."

وجد بيريرا نفسه جاهلا ما يتعين عليه عمله. فصلي بصوت أجش: "يا رب، ألا ارشدنا وخلّص هذا الرجل."

لاحظ لوكورتو عبر الغرفة أن أول "ساعتين ذهبيتين" تكادان تنقضيان، وهما الحاسمتان في النجاة من الصدمات. صحيح أن هذا الشاب يتمتع بارادة جبارة لكنه سيموت من دون علاج فوري لجروحه.

"كل شيء الى المستشفى." خطرت في ذهن كينث فكرة يائسة: فلربما استطاع رجال الانقاذ تحريره اذا تخلصوا من الذراع الملوية تحته. قال: "أعطيك ساعة أخرى، يا دكتور. فاذا لم تستطيعوا اخراجي من هنا خلالها اقطع الذراع."

كان لوكورتو مستعداً لبتر الذراع كحل أخير. ولكن، أبقيت الذراع أم لا، لم يكن يستطيع ازاحة البريمة عن الصدر من دون التسهيلات المتاحة في غرفة العمليات.

فاجاب: "كلا، سنحاول تخليص الذراع." والتفت الى فرق الانقاذ كأنه عثر على الحل الوحيد الممكن: "ليذهب كل شيء الى المستشفى. سنأخذه الى غرفة الجراحة وهو داخل القادوس!"

قوّم رجال الاطفاء حجم القادوس ووزنه البالغ ٢٣٠ كيلوغراماً، ورمقوا لوكورتو بنظرة ثانية ثم أخذوا مطارقهم وأزاميلهم وراحوا يعملون تكسيراً في المسامير الثمانية الملولبة الضخمة التي تثبت القادوس في منصته.

بعدما قُطعت المسامير وثبّت المحرك في القادوس انصرف عشرة رجال خلال نصف ساعة الى دفع القادوس من المنصة الى رافعة مشعّبة حُرّكت حتى رصيف التحميل في المصنع. وأرجع الاطباء سيارة الاسعاف الى المدخل. حينئذ سرى في الحشد تأسّف لان السيارة تضيق عن الآلة حوالى ٨ سنتيمترات.

قال بيريرا: "ما نحتاج اليه هو شاحنة مقفلة معدة لنقل الاثاث ذات رافعة هيدروليكية." فأجريت مكالمة هاتفية، وبعد خمس دقائق أوقفت شاحنة نقل قرب الباب.

بعد وضع كينث في الشاحنة توجهت هذه مباشرة الى مركز طبي على بعد خمسة كيلومترات. هناك كان طاقم الطوارىء جهّز غرفة احتشد فيها ستة جراحين.

تطوع اطفائيان، يساعدهما ميكانيكيو الصيانة في المستشفى، لتفكيك محرك البريمتين قطعة قطعة حتى عمود التدوير. وحرر الاطباء كينث من القادوس فيما قِطَعُ البريمتين لا تزال غارزة في لحمه، ونقلوه على عربة الى غرفة العمليات.

أُخضع المصاب لتخدير عمومي، وأزاح الجراحون رأس البريمة الصغرى الفارزة قليلا تحت ابطه، ثم خلّصوا الذراع اليسرى المحطمة من مسننات البريمة الكبرى. وكانت الذراع التي تلولبت لفّة

ونصف لفّة قد هُصِرت فباتت كثافتها خمسة سنتيمترات.

شدَّ الاطباء على مزق عريض في الصدر ونزعوا من الجرح قطعة من الفولاذ استقرت تحت عظم الترقوة على بعد ٤ سنتيمترات من القلب. وقطبوا ثلاثة جروح بالغة في الوريد تحت الترقوة.

كانت شبكة الاعصاب التي تخدم الذراع المشوهة سحنت وتلفت، لكن الاعصاب لم تنسحب من العمود الفقري. فقال لوكورتو: "دعونا لا ننقّب في الجوار، ولنترك الطبيعة لنرى ما في وسعها أن تفعل."

مدَّد جرّاح تجبيري ذراع كينث ووضع صفائح معدنية على امتداد العظام المكسورة. وبعدما سوّى الاجزاء كما في أحجية الصور المقطّعة، ثبتها ببراغيّ الى المعدن.

كان الفجر بزغ عندما انتهى الجراحون من عمليتهم واقتيد كينث الى غرفة "العناية الفائقة." وداوم لوكورتو في المستشفى فزار مرضاه كالمعتاد، ثم عرّج على كينث قرابة التاسعة، فوجده قد أفاق من المخدر، فقال له: "ستمر أيام وربما أسابيع قبل أن نعرف مصير ذراعك، أما ما عداها فيبدو على ما يُرام."

فأجاب كينث: "لا عليك، أنا بخير."

في الايام التي تلت الحادث عمل الجراحون على ترميم ذراع كينث بزرع جلد وعظم. وبدأت الاعصاب تتجدد، وعندما غادر كينث المستشفى بعد ستة أسابيع كان الاحساس بدأ يدب في ذراعه.

تلت ذلك عدة جراحات تجميلية وساعات طويلة من المعالجة بالعمل. ولا تزال الطريق طويلة أمام كينث، فذراعه لا تزال أضعف من أن ترفع فنجان قهوة.

لكن كينث غير هيّاب. يقول: "سأظل أثابر على استخدام ذراعي حتى يتم لي ذلك كاملا. واذا كان من أمثولة استخلصتها من محنتي فهي أن على المرء ألا يستسلم لليأس في أي حال."

بيتر مايكلمور ■

آثار هيّة!

تستهويني برامج التلفزيون الخاصة بالتنقيب عن الآثار، لكن أمي البالغة الثانية والثمانين من العمر لا تشاطر في شغفي هذا. وذات مساء عرض التلفزيون برنامجاً عن اكتشاف جديد لباخرة غارقة على مسافة من الشاطىء التركي منذ قرابة ٣٤٠٠ سنة. فسألت امي: "هل تريدين مشاهدة البرنامج معي؟" فأجابت: "حسناً، ولكن بشرط ان يكون هناك ناجون."

س – ١٨٠

عندما يفعل أحدهم شيئاً "لمصلحتك" فأغلب الظن أنك لن تستمتع به.

د.ل.



انه صراع تواجهه كل عائلة هنا توجيهات تساعد الاهل في اقناع أولادهم بالمشاركة في أعباء البيت

عوّدوا أولادَكم العَمل المنـزلي

وافق ابنك سري (١٤ عاماً) على الاعتناء بالحديقة. وتبين لك بعد ثلاثة أسابيع أنه لم ينجز شيئاً.

كيف يكون رد فعلك ازاء هذا التصرف اللامسؤول؟

ان رد الفعل الاول لدى كثير من الاهل هو انزال العقاب بالولد: "ستلازم البيت لمدة أسبوع." إلا أن هذا التقييد لن يساعد سري على تعلم تنظيم وقته ولن يزيد الحافز لديه للمساعدة والمشاركة.

ان تعليمكم أولادكم المساهمة في الحياة العائلية جزء من التربية الصالحة.

يحتاج الاولاد الى تحمل المسؤولية في البيت. وحتى الاطفال في سنتهم الثانية يمكنهم أن يتعلموا وضع ثياب النوم في مكانها. وعندما يبلغ الولد السن الرابعة عشرة يجب أن يكون قادراً على انجاز معظم الاعمال المنزلية: الاعتناء بحاجاته الشخصية، تحضير الطعام، تنظيف المنزل، تنظيم مصروفه الشخصي.

ولسوء الحظ، يجعل الاهل من الاولاد اتكاليين من خلال تدليلهم المفرط والمغالاة في ارشادهم وعمل الكثير لتسهيل أمورهم. من واجب الاهل أن

يتنحوا جانباً ويساعدوا أولادهم ليصبحوا شباباً منتجين وسعداء ومسؤولين.
وهنا السبيل الى ذلك:

نظموا. يفشل الكثير من الاهل في تطبيق الافكار الجيدة لانهم لا يخططون لها. تترك المهمات المنزلية للمصادفات. يتعثر أفراد العائلة بعضهم ببعض وهم لا يدرون من المسؤول عن هذا العمل أو ذاك.

بعض الاهل يحل هذه المشكلة بعقد اجتماعات عائلية أسبوعية. ويساعد الاولاد في هذه الاجتماعات بابراز حلول للمشاكل العائلية. عندما يشارك الاولاد في سن القوانين وتخطيط المهمات تزداد لديهم ارادة التعاون.

باديء ذي بدء، ضعوا قائمة بالمهمات الضرورية لادارة البيت بسهولة. اجعلوا كل مهمة تستغرق ١٥ دقيقة. بعد ذلك عينوا وظيفة كل فرد في العائلة - كما الاهل كذلك الاولاد، وكل بحسب امكاناته وتفضيلاته. ويمكن توزيع المهمات مداورة أسبوعياً أو شهرياً.

وكما يجب على الاولاد المساعدة في تحديد العمل وتخطيطه، فلهم الحق أيضاً في المشاركة في تقويم الاعمال المنجزة.

فكروا كأولاد. سألت ليلى ولديها اللذين يبلغان الخامسة والثامنة من العمر: "كيف يمكنكما ان تعيشا في هذا المكان القذر؟ ستبقيان في غرفتكما حتى تنهيا تنظيفها." وبعد ساعة وجدت أنهما لم يفعلا شيئاً سوى تكويم الاشياء بغير انتظام قرب الجدران. فوبختهما غاضبة: "ما هذه الفوضى! لا يسعني حتى فتح الباب!" فنظرا اليها متجهمين حائرين.

كثيراً ما يوجه الاهل الى أولادهم أوامر مبهمة أو تنقصها الدقة. فعندما يسمع الاولاد أمهم تأمرهم: "نظفوا غرفتكم،" تتكون لديهم فكرة غير واضحة عما تعني هذه العبارة. تخيلت ليلى الاسرّة مرتبة والاحذية مصففة والالعاب موضبة. أما الولدان فتصوروا غرفة ذات ممرات من غير عوائق تؤدي الى الاسرّة.

إذا اردتم تعليم أولادكم كيف يعملون فعليكم أن تقسموا كل مهمة جديدة أجزاء صغيرة وتظهروا طريقة تطبيقها خطوة خطوة. إذا أوكلت الى ولدك تنظيف الحمام، مثلا، أريه كيف ينظف المغسلة ويحف المغطس ويمسح الارض. ضعي نفسك مكانه. هل جميع لوازم التنظيف في متناوله؟ هل يحتاج الى كرسي يقف عليه؟

لكل وظيفة بداية ونهاية. لا تطلبوا من ولد صغير أن "يجرف أوراق الاشجار،" عوض ذلك اسألوه أن يجرف الاوراق في مساحة صغيرة او حددوا ١٥ دقيقة واحصوا كمية الاوراق التي يكومها خلالها. إذا جعلتم العمل محدداً وسهل التطبيق فسيشعر الولد بالرضى عندما يتوصل الى انجازه.

أثنوا على النجاح. إذا تركتم لدى أولادكم انطباعاً بأنهم لا يستطيعون تأدية عمل جيد على الاطلاق فسيبدون في عيون أنفسهم عاجزين وغير أكفياء. ولن يصبحوا مستقلين تماماً إلا إذا آمنوا بقدرتهم على النجاح.

ابنتي كارلا في الصف الابتدائي الخامس، ومعلمتها أشعرت كل تلميذ في الصف بأنه مميز. عندما كان التلاميذ يحصلون على أقل من علامة الامتحان الكاملة كانت تنوه بما أتقنوه وتؤكد أن في امكانهم تعلم ما فاتهم.

يمكنكم اتباع الطريقة ذاتها عندما تقوّمون عمل ولدكم في المنزل. لا تحللوا ولا تنتقدوا كثيراً، بل أجزلوا المديح: "كم تبدو لماعة هذه الصنابير!" ركزوا على ما أحسن ولدكم صنعه لا على ما أساء.

ان التعلم عملية فيها الفشل وفيها النجاح. ان أنتم علمتم أولادكم ألا يخافوا ارتكاب الاخطاء فسيتعلمون بسرعة وسيشعرون بأنهم احرار في تقبل التحديات الجديدة.

حملوا أولادكم مسؤولية أعمالهم. على الولد أن يدرك أن ثمة نتائج لاعماله. عندما تنسى ابنتك غداءها في البيت وتتصل بك مستنجدة، أشعريها بمحبتك وأنت تجيبينها بهدوء: "آسفة يا عزيزتي، أعلم انك ستشعرين بالجوع." كوني ودودة وعطوفة، ولكن عززي قدرة ابنتك على تحمل نتائج نسيانها. جميعنا ننسى أحياناً، وهذه ليست جريمة ولا عاهة، لكننا نتعلم من أخطائنا عندما لا نجد أحداً ينتشلنا دائماً من الصعوبات.

اذا أهمل ابنك وضع ثيابه المتسخة في سلة الغسيل، اجعليه يدرك أن ذلك يعني ارتداءه ثياباً قذرة. واذا تركت ابنتك ألعابها مكومة في غرفة الجلوس، فأعلميها أن لديها خياراً: اما أن تجمع ألعابها واما أن تقومي أنت بذلك. ولكن ان أنت فعلت فسيكون هناك عقاب: ستحتجز الالعاب في الخزانة وعليها أن تنتظر حتى نهاية الاسبوع للافراج عنها.

دائماً قرروا سلفاً ماذا ستفعلون أنتم وليس ما ستجعلون ولدكم يفعل. اذا كان هناك عمل لم ينجز فيمكنكم القول: "عندما تجهز المائدة سنتناول طعام الغداء." أو: "إن رتبت ثيابك الشتوية بإتقان في الخزانة فسأخرج لك ثيابك الصيفية من العلية." مع الوقت، اذا سمحتم لأولادكم بأن يختبروا نتائج أعمالهم، فسيتعلمون أن يتصرفوا بمسؤولية.

كافئوهم ولا ترشوهم. ينصح الخبراء الأهل بعدم دفع المال في مقابل تأدية الاعمال المنزلية، فتلك المهمات جزء من المسؤوليات العائلية. لكن الحوافز غير المادية تأتي دائماً بنتائج جيدة. اذا أنجز ولدكم عملا صعباً كافئوه بنزهة خاصة الى دكان المثلجات أو بلعب الكرة معه.

أفيدوا من مصروف الجيب الذي تقدمونه الى أولادكم لحضهم على التعاون. عندما يهمل أولادي أعمالهم آخذ منهم "غرامة" بدل تأديتها عنهم. لكنهم نادراً ما "يستأجرون" خدماتي!

عندما يطلب أولادكم مزيداً من المال دعوهم يؤدون أعمالا اضافية قد تستأجرون أشخاصاً آخرين لتأديتها، مثل تنظيف المرأب أو طلي السياج. اشرحوا لهم بوضوح ماذا تريدون منهم أن يفعلوا، وبعد ذلك حملوهم مسؤولية تنفيذ العمل.

غالباً ما يرى الأهل والاولاد في الاعمال المنزلية رتابة وضرورة غير مستحبة، يعيّن الاهل المهمات ويأمرون ويوجهون وينتقدون، فينتهي الأمر والجميع مكبوتون وغاضبون.

أخبرتني أم لولدين: "اعتقدت أن ولديّ لا يزالان صغيرين على مساعدتي في المنزل. وأكببت على اعمال البيت أنجزها في نهاية كل أسبوع وأنا اشعر بالغضب والضيق. أما اليوم فيساعدني ابني الاصغر (٧ سنوات) في غسل الثياب ويساعدني الاكبر (٩ سنوات) في ترتيبها. ونعمل معاً مدة ١٥ دقيقة كل صباح في التنظيف. هذا يؤمن لي وقتاً أكثر أقضيه برفقتهما."

تتيح الاعمال المنزلية فرصة ذهبية لتعليم أولادكم مغزى المساهمة. يمكنكم أن تظهروا لهم أن هناك علاقة مباشرة بين ما يفعلونه وما يكافأون به من حياة منزلية سهلة ومنظمة. واذا بدأتم باكراً تحميل أولادكم المسؤولية، وزدتم المسؤوليات تدريجاً، فستجعلون الحياة أسهل لكم وأغنى لاولادكم.

إلفا آنسون ■

استشارة نسائية

كنت متأهباً للصق ورق الجدران في بيت أحد الزبائن، لكن ربة البيت لم تستطع أن تقرّر أين نلصقه: على النصف السفلي أم النصف العلوي للحائط؟ فقالت لي: "أنت تؤدي هذا العمل لكسب عيشك، ولا بدّ أنك تعرف أكثر مني أين يجب أن تلصقه."

فأجبتها: "الامر يعود اليك وحدك يا سيدتي."

لكنها أصرّت قائلة: "لا بد أنك تعلم ما هو الافضل."

وبعد نقاش عرضت رأيي: "حسناً، أقترح أن نغطي الجزء السفلي اذ..."

فقاطعتني: "آه، لا، ذلك غير مناسب اطلاقاً."

وهكذا ألصقت الورق على النصف الأعلى من الجدران.

ضمان أكيد

في اليوم الاول من عملي مساعدة لمديرة المدرسة التكميلية حيث تتعلم ابنتي طُلب مني أن أعدّ بضعة آلاف من الدولارات هي ريع مباراة رياضية. بعد ذلك أرسلتني المديرة الى المصرف لأودع المبلغ. ولدى عودتي سألتها: "كيف ائتمنتني على مبلغ كبير كهذا؟"

فأجابتني بابتسامة: "لدينا ابنتك."

ر.و.

اخطاء الآخرين تشبه النحل... إن لم نَرَه لم يؤذنا.

ل.ف.

النفايات السامّة تهدّد مستقبل الأرض

متعهدون جشعون فاقدو الضمير لا يتورعون عن رمي ملايين الاطنان من النفايات السامة في بلدان العالم الثالث بهدف الاثراء. والضرورة تقضي عاجلا بوضع حد لمخالفاتهم الخطيرة



كانت السفينة الصغيرة الحاوية "كارين ب" راسية بعيداً عن السفن الاخرى في ميناء ليفورنو المزدحم بايطاليا. قبل وصولها في ١٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨ نظم السكان تظاهرات طالبين عدم السماح لها بدخول الميناء، كما رفض عمال الميناء تفريغها.

والآن، بعد مرور عشرة أسابيع، تطلع القبطان ريتشارد هنتر لايتنر من علياء منصة قيادة السفينة البالغة حمولتها ١٠١٠ اطنان الى الحاويات المنضدة على متنها وقال: "إننا كالمصابين بالطاعون، لا أحد يريد أن يقترب منا." وبدا كأن السفينة محكوم عليها بالبقاء راسية في البحر الى ما لا نهاية.

كانت "كارين ب" وحمولتها السامة محور أزمة تتعلق بالبيئة. فداخل الحاويات على متنها ١٠ آلاف برميل من النفايات السامة، بما فيها بقايا الدهان المشتملة على معادن ثقيلة ومذيبات عضوية مسرطنة(١) ونفايات حمضية. والأشد خطراً من كل هذه مادة "بوليكلورينيتد بايفنيل" أحد مصادر مادة "ديوكسين" الكيميائية القاتلة.

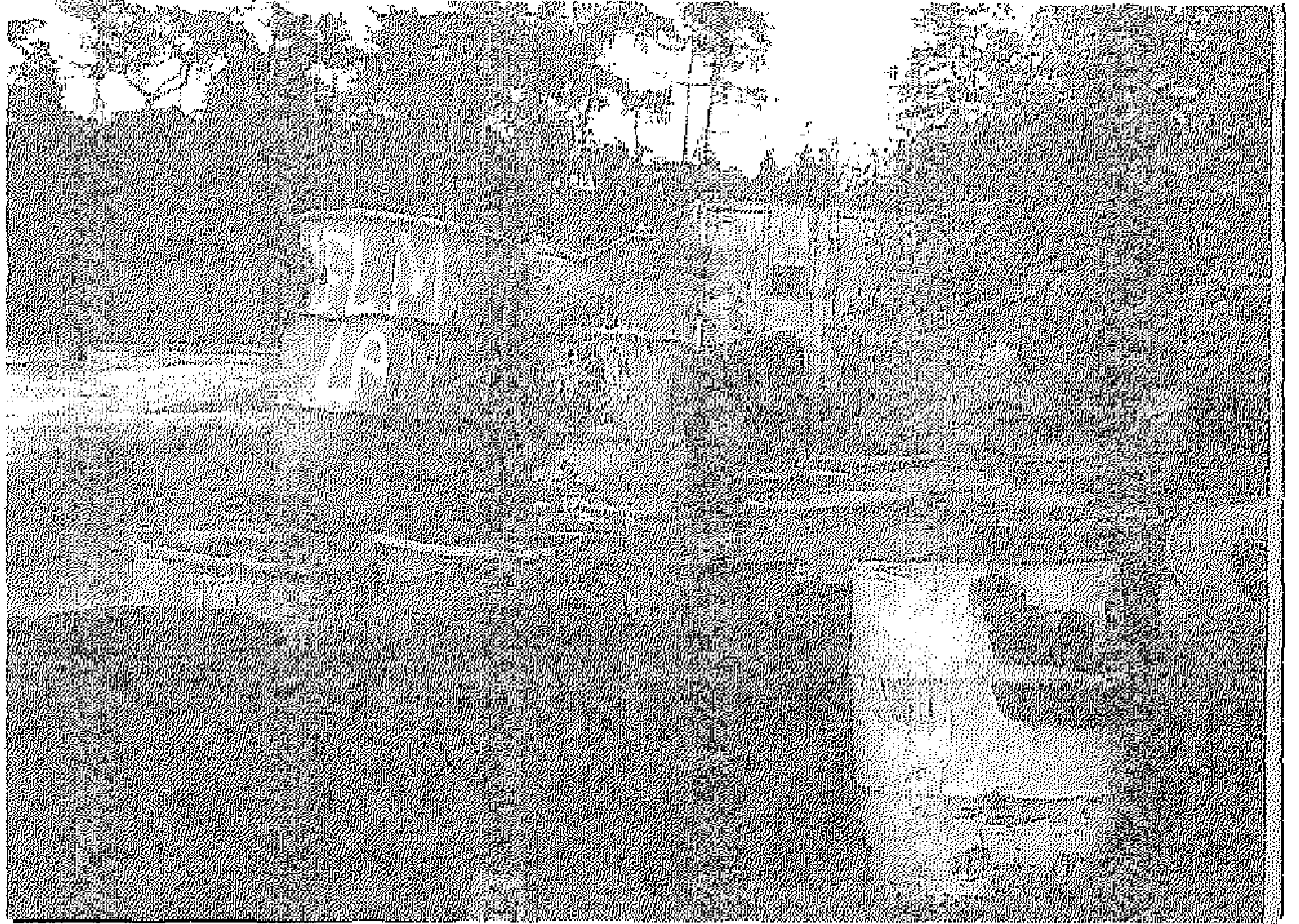
كانت الحمولة شحنت من بيزا وموانىء اخرى في ايطاليا الى كوكو وهي ميناء صغير يبعد ٢٢٥ كيلومتراً الى الشرق من لاغوس في نيجيريا، حيث نضدت البراميل ملاصقة لامدادات مياه الشفة. وبفعل التعرض للشمس الاستوائية الحارة تبخرت المواد الكيميائية فتعاظم الضغط مسبباً شقوقاً في البراميل التي يسع كل منها ٢٠٠ ليتر، فأخذت ترشح. وحين زار أندرو ليس الموقع، وهو خبير بالنفايات السامة في منظمة "أصدقاء الارض" الدولية المناصرة للبيئة وقد جاء في يونيو (حزيران) ١٩٨٨ بطلب من الحكومة النيجيرية، وجد أبخرة لاذعة تتصاعد مهسهسة من البراميل. فقال: "انها لامسؤولية مجرمة. ففضلا عن تلويث البيئة، قد تتسبب هذه المواد الكيميائية في داء السرطان."

في يوليو (تموز) ١٩٨٨ أُجبرت الحكومة الايطالية، بضغط من نيجيريا، على استعادة النفايات. وكلّفت السفينة "كارين ب" المهمة. وفي طريق العودة أصيب عدد من بحارتها العشرة بأوجاع في الرأس وغثيان وآلام حادة متقطعة في صدورهم.

وقامت تظاهرات حين كشف أن "كارين ب" مزمعة على افراغ حمولتها في رافينا بايطاليا. ومن ثم رفضت السلطات في اسبانيا وبريطانيا وفرنسا وهولندا السماح بتفريغها في موانئها. يقول يان ويسمنز مدير "السجل الدولي للمواد الكيميائية المحتملة السمِّية": "ان السفينة "كارين ب" جعلت الناس يدركون مبلغ خطر تلك النفايات. ومن الخطأ ارسالها الى بلاد لا تملك التسهيلات لمعالجتها."

يُقدر رسمياً أن بلدان المجموعة الاوروبية الاثني عشر تنتج سنوياً ما بين ٢٥ و٣٥ طناً من النفايات الخطرة التي تحتوي على مواد سامة. لكن التقديرات غير الرسمية وضعت الرقم الحقيقي في حدود ١٦٠ مليون طن. وعلى رغم تباين تحديد كلمة "سام" من بلد الى آخر فانها

(١) أي مسببة للسرطان.



براميل نفايات سامة عثر عليها في مدينة كوكو بنيجيريا في يونيو (حزيران) ١٩٨٨.

تعني، عموماً، النفايات غير المشعّة التي قد تلحق أذى خطيراً بكل من يبتلعها أو يتنشقها أو يلمسها، أو تضر البيئة من طريق ابادة الحياة النباتية وتسميم الجداول وتلويث الهواء.

يقول إنريكو فالكي استاذ التخطيط البيئي في جامعة فلورنسا: "نظراً الى أن كل منتج مصنّع يخلّف نوعاً من النفايات، فان المشكلة تتعاظم بنمو الاستهلاك." فانتاج سيارة تزن ألف كيلوغرام، مثلاً، سيخلّف نحو ٣٠ كيلوغراماً من الدهان والنفايات الكيميائية. وثلاجة عادية الحجم مرميّة قد تحوي كيلوغرامين من الـ"كلورو فلورو كربون" المتلف الرئيسي لطبقة الاوزون(٢). في العام ١٩٨٨ أدرجت "منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي" نحو ٤٥ نوعاً من النفايات الخطرة تراوح بين أدوية مرمية ومعادن ثقيلة مثل الكادميوم والزئبق ومواد أخرى تستخدم في التصوير والمعالجة الصناعية.

ولجعل النفايات آمنة يقتضي تكريرها أو حرقها أو تحويلها رماداً أو معالجتها كيميائياً أو بيولوجياً أو دفنها مؤبداً في حفر أرضية مراقبة. لكن هذه الاجراءات مكلفة بالمقارنة مع نفقات رميها. ونظراً الى الاهتمام البيئي المتنامي والقوانين الاكثر تشدداً التي تصعّب على الصناعيين الغربيين رمي النفايات غير المعالجة في بلدانهم، أخذوا يصدرونها الى البلدان النامية في العالم الثالث.

يشرح ويسمنز: "ما علينا الا أن نقارن التكاليف لنرى الدوافع المغرية. فالتخلص من مادة "بوليكلورينيتد بايفنيل" على نحو تام في مرمد مرتفع الحرارة، يكلف نحو ٢٥٠٠ دولار للطن الواحد. وحتى الدهان الذي يسهل ترميده يكلف ٣٥٠ دولاراً للطن. فان تمكنت الشركة المتعهدة التخلص من النفايات،

(٢) هي طبقة في الجو تمتص الاشعة ما فوق البنفسجية الحارقة من نور الشمس وتمنعها من الوصول الى الارض.

من فرض الاسعار السائدة ثم رمي النفايات في أحد بلدان العالم الثالث بكلفة ٧٥ دولاراً للطن، مثلا، فانها تحقق أرباحاً ضخمة."

البراميل على متن "كارين ب" كانت معدة في الاصل للشحن الى نيجيريا على مسؤولية عملاء ايطاليين جمعوها من شركات في بلدان مختلفة منها النروج وهولندا وايطاليا وبريطانيا والولايات المتحدة. ويقدر أن العملاء فرضوا على زبائنهم أسعاراً مترجحة بين ٢٧٠ و٥٥٠ دولاراً للطن الواحد، ولكن يعتقد أنهم لم يتكلفوا أكثر من نصف هذه القيمة. ومن المدهش انه، على رغم الطبيعة القاتلة المحتملة للمواد، فالعملاء لم يأتوا عملا مخالفاً للقانون.

واستناداً الى المجموعة الضاغطة البيئية الدولية "السلام الاخضر" شهدت السنوات الاخيرة اتصال ما يزيد على ١٤٠ شركة ومتعهداً لرمي النفايات بسلطات في ٤٤ من الدول النامية، في محاولة لشحن اكثر من ١٧ مليون طن من النفايات سنوياً من المناطق الصناعية الى هذه البلدان. وعلى سبيل المثال:

□ في ابريل (نيسان) ١٩٨٧ تركت على رصيف مرفأ بورتو كابلو في فنزويلا براميل من دون حماية ولا مراقبة تحوي ٤٠٠٠ طن من النفايات الشديدة السمّية مصدرها ايطاليا. فانشقت البراميل وتسرّب السائل الى الشواطىء المجاورة فتوفي طفل بسبب حروق كيميائية وعولجت في المستشفى المحلي اصابات جلدية بمعدل ٣٠ طفلا في اليوم.

□ في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ ابرمت ولاية بينين في افريقيا الغربية عقدا مع شركة "سيسكو ليمتد" ومقرها جبل طارق، لاستقبال نفايات سامة بسعر ٢،٥٠ دولار للطن. وعلى مدى ١٠ سنين ستشحن خمسة ملايين طن سنوياً من النفايات التي تشمل بقايا مبيدات الاعشاب ومذيبات الدهان، ورميها هناك. وقع العقد أربعة من وزراء الحكومة، لكنه فُسخ حين اعترض وزير الصحة أندريه أتشاديه قائلا: "ان مثل هذه المشاريع مضرّة ببلادنا وتشكل تهديداً لمواردنا ولحياة شعبنا."

□ في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ أيضاً باعت شركة ألمانية غربية الى تركيا خليطاً من النشارة وفضلات دهان وزيت على أنها "وقود بديل." وعندما وجد الاتراك أن الوقود لا يحترق جيداً عمدوا الى تحليله، فتبين لهم أنه ممزوج بمعادن ثقيلة وهيدروكربونات ممزوجة بالكلور، فأجبروا الشركة على ازالة النفايات.

وفي محاولة لقطع الطريق على أعمال المتعهدين الفاقدي الاخلاق والضمير، أقرَّ أكثر من ١٠٠ بلد في مدينة بال بسويسرا في مارس (آذار) ١٩٨٩ ميثاق "برنامج الامم المتحدة للبيئة" لتنظيم تجارة النفايات السامة الخطرة عبر الحدود الدولية. ويحدد الميثاق اصناف النفايات وينص على وجوب تطبيق القوانين الدولية الخاصة بالتوضيب والاعلان بالملصقات عن المحتويات ونقل البضائع، واعتبار الاتجار غير المشروع بهذه النفايات جريمة يعاقب عليها. والاكثر أهمية أن الحكومات المصدرة للنفايات تطلب شهادة من الحكومة

المستوردة بأن لديها التسهيلات الضرورية لمعالجتها بالطرق الصحيحة الفاعلة، والميثاق الذي وقعه ٣٥ بلداً يقتضي مصادقة من السلطات الاشتراعية في ٢٠ من البلدان الموقعة قبل أن يصبح نافذاً قانونياً في كل بلدان العالم.

ويرى مصطفى طلبة، المدير التنفيذي لبرنامج الامم المتحدة للبيئة، أن البحث عن اتفاق كهذا ضروري لبيئة اكثر أماناً. ويشدد على ان "المشكلة لا تعني البلدان النامية وحدها، وانما تعني العالم كله. حين تلوّث الـ"بوليكلوربينيتد بايفنيل" والهيدروكربونات الكلورية الأنهار والمحيطات، فلن يكون مهماً أين رميت، اذ ان كل شخص على وجه الارض قد يتأثر بها في النهاية."

ان الحاجة الى تشريع دولي يزيدها غياب هيئة مراقبة لتحركات البواخر التي تنقل النفايات. وتتمثل الحاجة القصوى الى ذلك في قضية باخرة الشحن "خيان سي" التي غادرت فيلادلفيا في ٣١ أغسطس (آب) ١٩٨٦ وعلى متنها ١٤ ألف طن من الرماد الصناعي بهدف رميها في جزر البهاما. فمنعت من تفريغ حمولتها هناك وبقيت ١٧ شهراً في البحر الكاريبي تفتش عن مكان بديل. ثم اتجهت الى جزر "الرأس الاخضر" قبالة ساحل غرب افريقيا، ورفضت هناك أيضاً. فأبحرت الى يوغوسلافيا حيث "أصلحت" وأعيدت تسميتها "فيليسيا." وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ ظهرت الباخرة المنكودة في ميناء سنغافورة حيث رست، وكان عنبرها فارغاً. أما أين رميت حمولتها فسيظل ذلك سراً غامضاً. لقد رفض اكثر من عشرة بلدان في أربع قارات افراغ حمولتها، وقدرت تكاليف تجوالها بخمسة ملايين دولار.

وفيما تزداد تكاليف هذه "البواخر المتجوّلة" يزداد خطر التلوّث كذلك. يقول إريك إلن مدير "المكتب البحري الدولي" في لندن: "اذا لم يكن ثمة ميناء يقبل بالنفايات، فقد يلجأ قبطان غير مسؤول أو بحارة مرتعبون الى طرحها في البحر."

أقام "المكتب البحري الدولي" في لندن "خط اتصال ساخناً"(٣) لبحارة البواخر للادلاء بمعلوماتهم عن التخلص من النفايات بمثل هذه الطرق المخالفة للقانون. ولكن سيظل من الصعب جمع الادلة الثبوتية لتلك الممارسات. ولقد دين اثنان من مستخدمي شركة فنلندية عام ١٩٨٢ لرمي ٤٠ طناً من النفايات السامة في مياه بحر البلطيق القليلة العمق وفي أنحاء اخرى من فنلندا. ولكن في معظم الحالات لا يمكن تحديد هوية مرتكبي المخالفات.

يقول البروفسور انريكو فالكي: "لا يمكن حل المشكلة الا دولياً. على المدى القصير نحتاج الى قوانين دولية في شأن انتاج النفايات ونقلها وتصريفها، وعلى المدى البعيد علينا بالتفكير في ما هو نافع أو مضرّ اجتماعياً أو بيئياً."

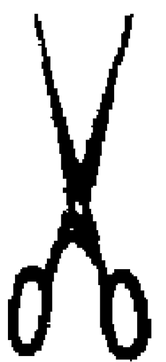
وتبعاً للنتيجة التي تمخّضت عنها قضية الباخرة "كارين ب" وما رافقها من دعاية مخزية مدمرة في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٨، حظرت الحكومة الايطالية تصدير النفايات الى بلدان العالم الثالث، حاذية بذلك حذو هولندا.

(٣) لا حاجة للمتكلم الى التعريف بنفسه.

الـرجاء ارسـال القسيمة والشيـك بالبـريـد المسجـل (المضمـون)
الى احد العنوانين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.



الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

في أحد الاجتماعات في أديس أبابا باثيوبيا في مايو (أيار) ١٩٨٨ أعلنت منظمة الوحدة الافريقية اعتبارها رمي النفايات النووية والصناعية في افريقيا جريمة، ودعت أعضاءها الخمسين الى الاحجام عن عقد اتفاقات من هذا النوع. ويؤكد فرنسوا رولان دو فيفييه وهو بلجيكي عضو في البرلمان الاوروبي وأحد مؤسسي "الاتحاد الاوروبي من أجل البيئة" ورئيسه: "نظراً الى افتقار بلدان العالم الثالث الى التكنولوجيا لمعالجة النفايات السامة، فالحل الوحيد هو حظر شحن هذه النفايات الى تلك البلدان."

ومع ذلك فان "برنامج الامم المتحدة للبيئة" وبلدان "منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي" والعالم الثالث لا تعضد فرض حظر كامل. فكيف سيتمكن العالم الثالث من تطوير التكنولوجيا الضرورية لمعالجة نفاياته الذاتية؟ يقول ستانلي كلنتون ديفيس المفوض الاوروبي السابق لشؤون البيئة: "على الغرب تقع مسؤولية مساعدة الدول النامية على تحقيق هذه الغاية."

في اوروبا الغربية تختلف الطرق المتبعة للتخلص من النفايات. فما بين ٥٠ و٧٠ في المئة من النفايات الخطرة يدفن في الارض اما في مناجم ومقالع حجار مهجورة واما في أراض معدة للطمر. وأقل من ١٥ في المئة يعالج ليعاد استخدامه، ونحو ٨ في المئة يعالج كيميائياً او بيولوجياً، ويرمَّد نحو ٨ في المئة ويطرح نحو ٣ في المئة في البحر.

ان تحويل المواد العضوية الخطرة رماداً هو أسلم طريقة لمعالجتها، كما يقول مايكل برغر وهو محلل للمياه المبتذلة في الشركة الكيميائية الجبارة "باير AG" في المانيا الغربية. ويشرح: "في حرارةٍ تبلغ ٩٠٠ درجة مئوية على الاقل تنحلّ المواد الى أجزائها الأساسية اللاعضوية كالماء وثاني أوكسيد الكربون. وفي حالات كثيرة تكون هذه الطريقة الوحيدة المقبولة بيئياً، انما في الوقت الحاضر هناك نقص في المرمّدات." ويُقدر أن أوروبا الغربية تحتاج الى أكثر من ٤٠ مرمدا أضافياً عالي التقنية تبلغ كلفتها ١،٢ مليار دولار لمعالجة المشكلة."

يقول مصطفى طلبة: "ان أولى أولوياتنا خفض كمية النفايات الخطرة المولدة." ويوافق الصناعيون والبيئيون على ذلك. وقد تمّ تقدّم في هذا المجال، اذ اضافت الشركة السويسرية الكيميائية "ساندوز" وحدة تنظيف الى معملها للصباغ تتيح لها استرداد قرابة ٣ أطنان من النحاس سنوياً واعادة استعمالها عوض رميها في نهر الراين. ونتيجة تطوير مواد كيميائية أكثر أماناً للاستخدام في المولدات والمحولات الكهربائية توقف انتاج الـ"بوليكلورينيتد بايفنيل" في أوروبا الغربية. وفي السنة ١٩٩٠ يرتقب أن تخفض دول المجموعة الاوروبية كميات الـ"كلورو فلورو كربون" المستخدمة في قوارير الرذاذ (سبراي) بنسبة ٩٠ في المئة. ويجهد العلماء في البحث عن بدائل اكثر أمانا. وفي غضون ذلك عمدت مدن في المانيا الغربية، وشركة "بيجام" احدى كبرى شركات التبريد في

بريطانيا، الى اعادة استعمال الـ"كلورو فلورو كربون" المكرر من الأدوات المنزلية المنبوذة.

ويرى رولان دو فيفييه أن "اختيار المستهلك للسلع هو السلاح الاقوى. ومتى أدرك أصحاب المعامل أن الناس يفضّلون المنتجات السليمة و"الصديقة" للبيئة، مثل البطاريات الخالية من الزئبق والرذاذات الخالية من الكلورو فلورو كربون، فسنبدأ استعادة عالم أوفر صحة."

حين أفرغت البراميل المتأكلة الراشحة من "كارين ب" في ليفورنو شتاء ١٩٨٨ - ١٩٨٩ اعتقد كثيرون أن تلك كانت خاتمة المشكلة. لكنها لم تكن الا البداية. فالواضح أن تصريف النفايات الخطرة يواجه العالم الصناعي المتقدم بتحد ملحّ ضاغط. أما الحلول فمتوافرة. ولكن، يصرّ مصطفى طلبة على ان الحاجة ملحة للعمل: "كلنا نعتمد على موارد الارض البيولوجية لاجل خيرنا وسعادتنا. وما لم نبذل جهداً هائلا ودائماً لوقاية بحارنا وأنهارنا وغاباتنا والتربة والهواء من السموم التي يصنعها الانسان، فسنواجه كارثة. علينا أن نقبل التحدي الآن اذا أردنا ان نخلّف للجيل القادم أرضاً صالحة للحياة."

أندرو لينكليتر ■



ثلاثة على ثلاثة

أخبر أحدهم صديقه: "كانت طفولتي شاقة، فأبي يملك ٣٠٠ بقرة في مزرعته، وكل صباح كنت أقتسم حلبها مع أخوتي."

فهتف صديقه متعجباً: "ربّاه! لا بّد أنه كان عملاً مضنياً لثلاثة صبية."

- الحقيقة أنه أودى بنا الى حافة الجنون، الى أن اشترى أبي مئة رأس أخرى.

"لكن كيف يمكن شراء مزيد من الابقار أن يخفف الامر عليكم؟"

- الامر بديهي، فالأحمق يستطيع أن يقسم ٣٠٠ على ثلاثة.

ك.ك.

عاطفة أب

كانت العائلة مجتمعة تشاهد صوراً قديمة من النوع الذي يسلّط على شاشة. فجأة انعكست أمامنا صورة لفتت انتباه الجميع، تظهر والدي مرتدياً قميصه الرياضية المفضلة وهو يحملني وعمري الندي ثلاثة أسابيع. وكانت تعابير وجهه تنمّ عن مشاعره، فعلّق على الصورة قائلاً: "ها هي أفضل جائزة فزت بها." فتأثرت لعاطفته والتفتّ نحوه مبتسمة، فتابع: "لست أدري ماذا حلّ بتلك القميص."

ج.غ.

أخبار العلم

الابقار والشوكولاتة

كل الاطفال "يعرفون" أن الحليب بالشوكولاتة من أبقار بُنية! ولكن قليل من الناس يعرفون ماذا يحدث عندما تأكل الابقار الشوكولاتة: تنخفض فاتورة العلف وترتفع نسبة الزبدة في الحليب وبالتالي يأتي هذا بسعر أرفع. وليم فليكنجر، المتخصص بدراسة تغذية المواشي في دوفر بولاية بنسلفانيا، ينصح زبائنه بأن يخلطوا الشوكولاتة بالعلف الذي تستهلكه قطعانهم. وفي المزارع هناك تأكل البقرة المتوسطة كيلوغرامين ونصف كيلوغرام من الشوكولاتة يومياً، أي نحو عُشر طعامها الاجمالي.

يقول رالف ماغريغور: "الابقار تحب الشوكولاتة." ويحصل رالف مع ٣٠ مزارعاً آخرين على الشوكولاتة من معمل "هيرشي" في بنسلفانيا حيث تفرز قطع الشوكولاتة المعيبة وتكوَّم على الارض. ويباع طن الشوكولاتة بمئة دولار، أي أقل عشرين دولاراً من الذرة، ويؤمن ضعفي الطاقة الغذائية.

صحيفة "وول ستريت جورنال"

الكومبيوتر الواشي

مهرِّب المخدرات البريطاني بول داي رجل منظم. فقد دوَّن صفقاته على "كومبيوتر" للجيب ثمنه ١٥٠ دولاراً بعدما سرَّب ما قيمته ١٥٠ مليون دولار من الهيروين الى لندن عبر مطار هيثرو. عندما اوقف موظفو الجمارك البريطانية داي لم يجدوا معه مخدرات بل الكومبيوتر المسمى "بسيّون اورغنايزر". فتكلف الابتسام وقال: "لن تجنوا منه اي فائدة، فقد محوتُ كل شيء."

هكذا خُيِّل اليه، فظن ان معظم اجهزة الكومبيوتر تعمل بذاكرة تلتقط التسجيلات العشوائية التي تختفي بعد محوها. لكن مصممي "الاورغنايزر"، احترازا من محو تسجيل عن غير قصد، جهزوا الآلة بلفيفة إضافية للمعلومات، وهي ضرب من التشعُّب الالكتروني الذي يصون موقتاً المعلومات الممحوَّة من الذاكرة.

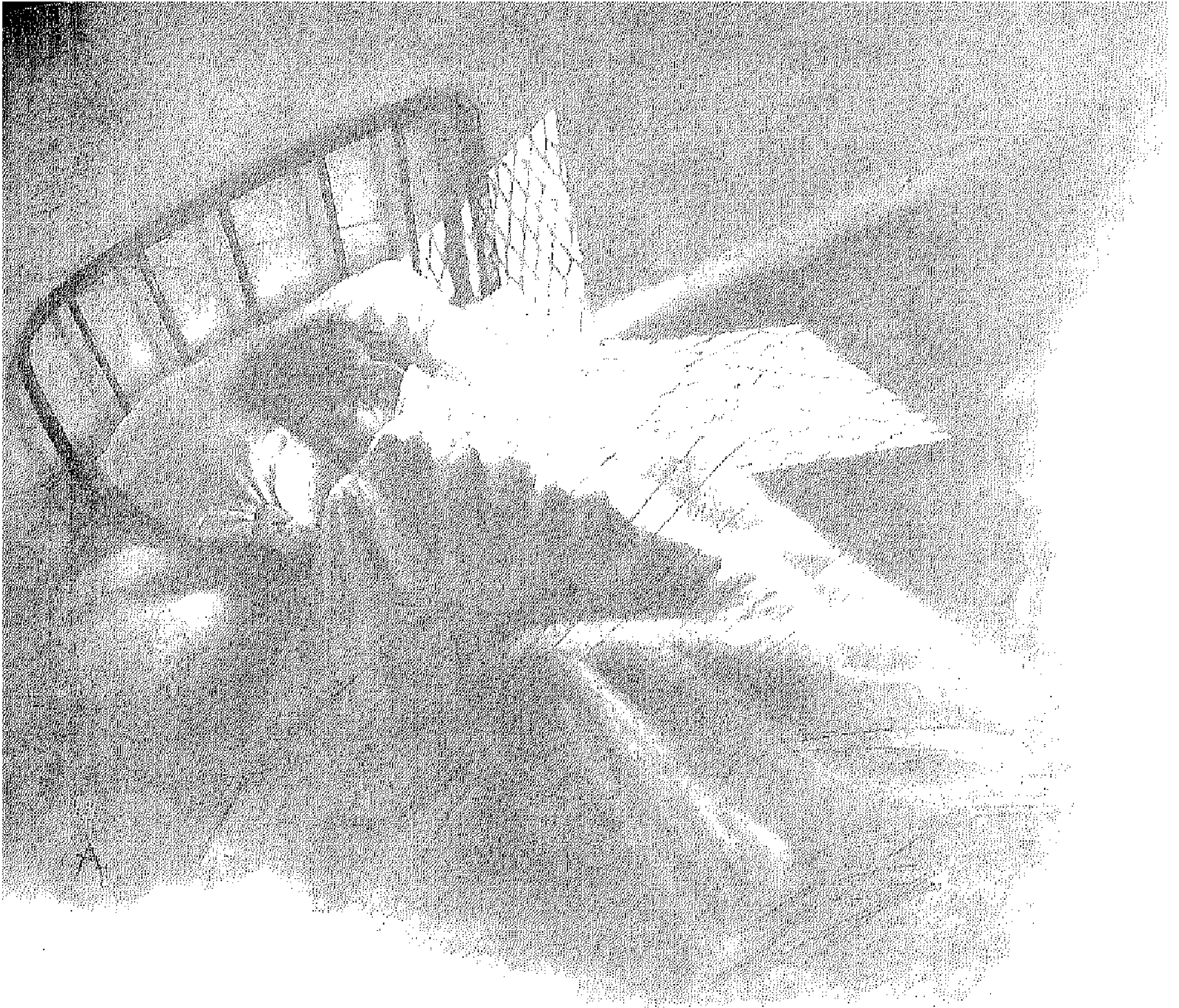
وبكل بساطة اخذ رجال الشرطة اللفيفة الاضافية الى شركة "بسيّون" حيث استرجع التقنيون المعلومات الواشية. فنال الداهية داي حكماً بالسجن ٢٨ عاماً!

ب.ل.

حصاة تسند خابية

اذا استبدلنا القناني الزجاجية بقوارير من البلاستيك الخفيف الوزن على متن طائرة في احد الخطوط الجوية، توفر سنويا وقوداً بقيمة ١٥ الف دولار.

صحيفة "نيو سينتست"



لم تستطع أقوى العقاقير
منع هذه المريضة من تحقيق العهد الذي قطعته على نفسها

الإرادة المنتصرة

"ستمكث هنا حتى مماتها."

استطاعت ماري سماع أصوات الممرضات مع أن الأغطية كانت تحجب رأسها. ومن أعماقها تناهت اليها أصوات اخرى: "موتي يا ماري موتي!" فالتفّت على نفسها كالجنين في أحشاء أمّه وراحت تئن.

خلال سنتين، لازمت ماري فراشها معظم الوقت فهبط وزنها إلى ٣٩ كيلوغراماً وفقدت أسنانها. وسلبتها قواها حقن العقاقير المهدئة القوية المفعول، فصعب عليها الكلام وباتت بالكاد قادرة على اطعام نفسها.

وفي الصباح، عندما يتضاءل مفعول العقاقير، كانت تحاول ان تبلغ الردهة فتحسّ بالأرض تنحدر تحت قدمَيْها. ولكي تحافظ على توازنها، كانت تسير على مؤخر قدميها مادّة ذراعَيْها الصلبَتين في

الهواء فتسمع الممرضات يقلن ساخرات: "ها هي ماري الطيّارة، تعلو وترتفع ثم تحلق."

قاومت ماري بشدة الذعر المسيطر عليها، إلى ان استجمعت يوماً شجاعتها وبإذن من الطبيب، خرجت وحدها من المستشفى ومشت مجهدة نحو كنيسة صغيرة على التلة. كانت الكنيسة فارغة فدخلتها ماري وتمسّكت بأطراف المقاعد الخشبية ثم جثت وصلّت:

"يا ربّ، لست أدري إن كنت سأتعافى لكنني احاول ذلك جاهدة. وأعدك، إنْ ساعدتني على مغادرة هذا المستشفى، انني سأذكر كل ما عانيته فأساعد أمثالي الباقين هناك."

كان ذلك في مارس (آذار) ١٩٦٥ وكانت ماري مريضة عقلياً قضت ١٨ عاماً في مستشفى دانفرز الحكومي في ولاية ماساشوستس، تدخله تارة وتغادره طوراً.

بداية الأحداث. ولدت ماري في بوسطن في (كانون الاول) في ديسمبر من والدة مدمنة الخمرة ووالد لم تعرفه قط. وفي سنها الرابعة، انتهى بها المطاف في دار لرعاية الاطفال. وبعد مرور سنتين، تبنّاها زوجان كهلان وأخذاها إلى منزلهما في غلاوشستر.

كان النظام صارماً في منزل والديها الجديدين إذ لم يكن في مقدورها ان تتحدث عن حياتها السابقة أو أن تخبر أحداً عمّا يجري في المنزل أو ان تذرف الدموع أمام أبيها. فإن هي خرقت قاعدة واحدة، أرسلها والدها إلى القبو وأطفأ النور فيه.

وهكذا، كلّما حاولت أن تحتمي في حضن أمها، أبعدتها هذه عنها. فتحوّلت ماري الى القراءة اشباعاً لحاجاتها العاطفية. وأعجبت بروايات الأطفال بسبب خاتماتها السعيدة. أحبّت ماري قصة "ديفيد كوبرفيلد" (١) للكاتب شارلز ديكنز وقصة "كم كان واديّ نضراً" (٢) للكاتب ريتشارد لويلين. وقد شجّعها والداها بالتبنّي على المطالعة إذ انها تبعدها عن الشبّان، وهو أمر كثيراً ما شغل بال والدتها.

اصرّ والد ماري على انها أينما ذهبت عليها ان تكون في المنزل قبل إنارة الشارع. وذات مساء، وهي في الرابعة عشرة من عمرها، كانت في طريق عودتها الى المنزل عندما أضيئت مصابيح الشارع فأصابها ذعر شديد. وهرعت نحو المنزل متسلقة السلم، ثمّ قرعت الباب الأمامي مناشدة والدها: "أرجوك، دعني أدخل. سأحسّن سلوكي. دعني أدخل فحسب." ففتح والدها الباب قائلا:

"إرحلي، فأنت لا تقطنين هنا بعد اليوم." ثم اغلق الباب بعنف. وعندما دعيت لاحقاً للعودة الى المنزل، رفضت ذلك فتمّ ارسالها إلى مدرسة داخلية تابعة لاحدى جمعيات بوسطن.

ظهور المرض. في بادىء الأمر، حقّقت ماري نجاحاً باهراً وعمّقت المعلمات ولعها بالأدب. وما لبثت أن طالعت آثار شكسبير وشللي واميلي ديكنسون. ولكن قبل أن تنهي دراستها الثانوية، اعترتها

(١) David Copperfield

(٢) How Green Was My valley

موجات من الكآبة أغرقتها في مشاعر الاشفاق على الذات وسلبتها القدرة على القيام بأي عمل فلازمت فراشها وهي تفكّر: "إنني وحيدة، تركني الجميع وما من أحدٍ يأبه لي."

ذعر العامل الاجتماعي من حالة القنوط المسيطرة على ماري فأرسلها فوراً إلى مستشفى مساشوستس الرئيسي، لكنّها رفضت تناول الطعام أو الإجابة عن الأسئلة فنقلت الى مستشفى دانفرز الحكومي.

قرابة العام ١٩٥٨، أجمع الاطباء على أن ماري تعاني داء الفصام، ولم تفدها انواع العلاج بما في ذلك العلاج بالصدمات والمداواة بالانسولين القليل التي تبقي المريض في غيبوبة طويلة.

وبعد اكتشاف عقار ستلازين (٣) لمعالجة الفصام وحالات التشوش النفسي الاخرى اختبره الاطباء على ماري ولكنّه لم يعطِ نتيجة. وإذ لم يكن أوصي بعد بالحدّ الأقصى للجرعات اليومية من هذا العقار، رفعت نسبة الجرعات التي كانت تعطى لماري باستمرار، مما زاد اعراض الفصام سوءاً الى أن تحوّلت سميّة، فبدأت تهذي وتتصبّب عرقاً وهي تتقلّب في فراشها. وأخيراً، نقلها اطبّاؤها بسرعة إلى المبنى الطبّي حيث تجمّع اطباء آخرون لنجدتها.

في اليوم التالي، أوقف برنامج العلاج بالعقاقير وبدأت حالة ماري تتحسّن تدريجاً. ثمّ وجدت عملا في مشغل إعادة التأهيل التابع للمستشفى حيث كانت تصنع رباطات للأحذية. كان العمل صعباً بالنسبة اليها إذ ان الجلد القاسي جرح أصابعها، لكنها برعت فيه. وذات يوم،



ماري بالتر

اقتربت من سكرتيرة وهي تطبع رسالة على الآلة الكاتبة وقالت لها: "علّميني الطباعة."

في العام ١٩٦٦، اي بعد مرور سنة على العهد الذي قطعته على نفسها في الكنيسة، سُمح لها بمغادرة المستشفى. كانت لا تزال تعاني نوبات الحَصَر النفسي (٤) لكن هذه النوبات لم تكن متكررة وشديدة كما في السابق.

الرفيق المنشود. احتفظت ماري بعملها في مشغل المستشفى، وهناك التقت جو بالتر في العام ١٩٦٧ وهو يعاني مرض تناوب المسّ والانقباض، وأصيب بانهيار عصبي بعد تخرّجه في جامعة بوسطن ببضع سنوات. تحسّنت حال جو الى حدّ بعيد بفضل العلاج بالعقاقير وحصل على وظيفة محاسب في المشغل. فُتنت ماري بقوة جو وصدقه

(٣) Stelazine
(٤) Anxiety

وسهولة طباعه وأُعجب هو بها بمقدار ما أعجبت هي به، فانتهى بهما الامر الى الزواج.

في نهاية العام ١٩٦٧، وجدت ماري وظيفة جديدة في "مستشفى هانت التذكاري" في دانفرز حيث عملت في تطهير المعدّات، لكنها أدركت انها اذا ارادت تحقيق وعدها بمساعدة المرضى العقليين تعينت عليها متابعة الدراسة.

فما كان من جو إلّا ان شجّعها بإخلاص. كانت ماري آنذاك في السابعة والثلاثين من العمر، ولم تحضر صفاً دراسياً منذ عشرين سنة، إلا انها تابعت دروساً مسائية في الأدب الانكليزي بكلية "نورث شور" وأحرزت أعلى العلامات، وهذا شجّعها على الالتحاق بالثانوية حيث تفوّقت فاستحقت أن يدرج اسمها على لائحة الشرف، ونالت شهادة في الآداب خولتها الالتحاق بجامعة سالم الحكومية.

للمرة الاولى، أحسّت ماري بالأمل يدخل حياتها. وفي شتاء العام ١٩٧٥، أُدخل جو المستشفى وقال الأطباء انه مصاب بالتهاب وريدي. (٥) وبعد خروج جو من المستشفى في ديسمبر (كانون الاول) أهدى اليها قلمَيْ حبر ورصاص ذهبيين قائلا: "لن انتظر تخرّجك لأقدّم اليك هذه الهدية. لقد بذلت جهداً كبيراً، وأريد أن أعطيك هديتك الآن."

آمال كبيرة. توفي جو يوم رأس السنة لإصابته بانسداد رئوي (٦) فخسرت ماري الرجل الذي بنت معه حياتها، وتساءلت بغضب: "كيف تخلّى عني وأنا أحبّه حباً جماً؟" لكنها أدركت انه مكّنها من تنفيذ الوعد الذي قطعته على نفسها. فإن هي أخفقت الآن تكون قد تخلّت عنه.

درست ماري علم النفس في جامعة سالم الحكومية حيث حازت شهادة بكالوريوس في الآداب. ثمّ عادت الى مستشفى دانفرز (الحكومي) كعاملة اجتماعية مجازة. ووجدت في ما بعد عملاً في "نورث ايسترن فاميلي،" وهو معهد خاص يهتم لشؤون الصحة العقلية والخدمات الاجتماعية، فساعدت في وضع برنامج يمكّن مرضى المستشفيات الحكومية المختصة بالامراض العقلية من الانخراط مجدداً في المجتمع.

ثم أدركت وجوب الحصول على شهادة أعلى ليصبح عملها أكثر فاعلية، فقدّمت طلب انتساب الى جامعة في تكساس، لكن طلبها رد لأن الجامعة علمت بمعاناتها امراضاً عقلية. لم يوهن هذا الأمر عزم ماري فطمحت إلى أعلى، أي جامعة هارفرد.

استهلّت ماري طلب الانتساب بالآتي: "يعتبر معظم الناس قضاء عشرين سنة في مستشفى للأمراض العقلية عنصراً سلبياً في حياتهم، أما بالنسبة اليّ، فقد كان تجربة نمّت شخصيتي."

وفي نيسان (ابريل) ١٩٨١، قبلت جامعة هارفرد طلب ماري، إلا ان رسوم التعليم وكلفة الطعام والمنامة فاقت الـ١١ الف دولار لم تملك ماري منها إلا ٧٨ دولاراً. على رغم ذلك عزمت على الالتحاق بالجامعة. فإن هي تابعت عملها في المعهد دواماً كاملا مع متابعة

---

(٥) Phlebitis
(٦) Pulmonary Embolism

دروسها، استطاعت جمع المبلغ، لذا، طلبت سلفة ثلاثة أشهر على معاشها، فوافق المدير. وهكذا، انطلقت ماري نحو هدفها فحصلت عام ١٩٨٣ على شهادة الماجستر بالإدارة والتخطيط والسياسة الاجتماعية.

انتصار الإرادة. تابعت ماري لسنوات عدة تناول العقاقير التي تخفّف حدة الحَصَر النفسي. وتحت وطأة الضغط، عانت مجدداً صداعات وآلاماً في الصدر وصعوبة في التنفّس. كانت تلك أعراض مرض ظنّت ماري انها قهرته منذ زمن. فاتصلت بالطبيب النفساني هوارد ستون ووصفت له الاعراض وأخبرته انها مصابة بمرض الفصام. ثم سألته هل عليها زيادة الجرعات اليومية فأجابها: "أفضّل معاينتك."

وصدق ظنّ الطبيب: لقد اخطأ الاطباء في تشخيص مرض ماري، فهي لم تعانِ الفصام قطعاً، بل عانت كآبة باطنية تصحبها نوبات ذعر (٧). فالفصام اضطراب فكريّ قد يؤثر على مزاج الشخص فيما الكآبة الباطنية اضطراب مزاجي قد يفسد القدرة على التفكير. لذا، فإن العقاقير التي تناولتها ماري طوال عشرين سنة لم تكن العقاقير الصحيحة.

لم يعترِ ماري اي شعور بالغضب أو المرارة، بل اكتفت بالقول للدكتور ستون انها ستبدّل الادوية وتتابع حياتها العادية. ففكّر الطبيب: "ها هي امرأة في منتصف الخمسينات من عمرها، أخرجت نفسها من مستشفى الامراض العقلية والتحقت بالمدارس والجامعات، وساعدت الآخرين في التغلب على قلقهم. كل هذا، وهي تتناول عقاقير تفسد قدرتها على العمل. إنه حقاً انتصار رائع للارادة."

عندما تناولت ماري العقاقير الجديدة المناسبة، اختفت أعراض مرضها فتجدّد نشاطها وثابرت على العمل. وفي العام ١٩٨٧، أسّست "معهد بالتر" في ايبسويتش، وهو مؤسسة لا تبغي الربح، توفر تسهيلات للمصابين بالامراض العقلية. ونشرت في العام ذاته مذكراتها بعنوان: "لا تغنِّ اغاني حزينة" (٨) وفي العام التالي، كرّمتها "الأكاديمية الوطنية لتحسين أحوال المعاقين."

ماري بالتر هي الآن امرأة ناحلة وخطها الشيب وتستخدم النظارات. وهي في حركة دائمة تتنقّل من جناح إلى آخر في عملها الجديد. فهي تحتل منذ نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي منصب مديرة الشؤون الاجتماعية في المؤسسة التي دخلتها مريضة قبل ٤١ عاماً أي مستشفى دانفرز الحكومي. فتجتمع بالمرضى والممرضات والمشرفين وممثلي المدارس ومختلف المهن. وهي تدعو دائماً إلى الاعتماد على النفس والاهتمام بالغير والحفاظ على الأمل. وباتصال هاتفي واحد منها، يحضر ثلاثون نجاراً طموحاً من مهنية "نورث شور" في بفرلي بولاية مساشوستس لتشييد جدران وقواطع داخلية.

تقول ماري: "لقد حظيت بنعم كثيرة في حياتي وآمل أن اشارك الغير فيها."

تريفور آرمبريستر ■

(٧) Endogenous Depression with Panic Attacks

(٨) Sing No Sad Songs

دعي طفلك ينمو مع سيريلاك

سيريلاك
Cerelac
Wheat-Banana

سيريلاك
Cerelac
Rice بالأرز

سيريلاك
Cerelac
Wheat 4 fruits
Nestlé

Cerelac
Wheat قمح



سيريلاك

الطعامُ الأول لِطفلكِ بالملعقـ

عندمَـا يبْلغ طفلكِ شهرَه الـرّابـ
لايَعودُ الحَليبُ وَحدَهُ يَكفيه .
عَليكِ بوَجبَـةٍ مِن سيريلاك
سيريلاك متوفّرة بعدّة أنواع تُلائم مَذ
طفلك . سيريلاك يحتوي على العنا
الغِذائيّة الأساسيّة التي توّ
لطفلكِ نموًّا متناسِق
وَسَليمًا .



تضمنه
نستلة

شون كونري

"اسمي بوند، جيمس بوند." بهذه الكلمات قدّم شون كونري نفسه عام ١٩٦٣ الى رواد السينما في العالم.

في سبعة من أفلام جيمس بوند أنتجت خلال واحد وعشرين عاماً جسّد هذا الاسكوتلندي الاسمر شخصية العميل السري اللطيف الذي عرف في أنحاء العالم بـ"العميل ٠٠٧"

في أكثر أماكن الارض غرابة حاول الأعداء القضاء على "العميل ٠٠٧" فاستنفدوا جميع الوسائل، من أسماك القرش الجائعة الى أشعة الليزر، لكنه كان ينجو كل مرة، ولم تنل منه نائلة وثقته بنفسه لم تتزعزع. وبين ذراعيه دائماً امرأة جميلة. وقد تساءل الكاتب بوب غرين مرة وهو من المعجبين بهذا البطل: "هل من صبي واحد لم يشأ في سره أن يكبر ويصبح جيمس بوند؟"

ومع ذلك فان سيرة طومي كونري هي أكثر اثارة من قصة أي جاسوس. فهو ابن عامل فقير محدود الثقافة متواضع المعرفة، شبّ ليصبح شون كونري الواسع الاطلاع الذي جال في أنحاء العالم وطبّقت شهرته الآفاق.

ولد شون في ٢٥ أغسطس (آب) ١٩٣٠ في حي حقير من ادنبرة يدعى فونتين بريدج. وكانت العائلة تقيم في مسكن من غرفتين وحمام خارجي بارد المياه. وقد استطاع والده المكافح أن يحافظ على وظيفته في مصنع للمطاط أيام الازمة الاقتصادية العصيبة آنذاك، وأن يخصص بعض الوقت لابنه الوحيد. فعلمه السباحة وساعد زوجته على تعليمه القراءة قبل أن يدخل المدرسة. وعندما تفاقمت الازمة الاقتصادية اضطرت أوفاميا كونري الى العمل كخادمة.

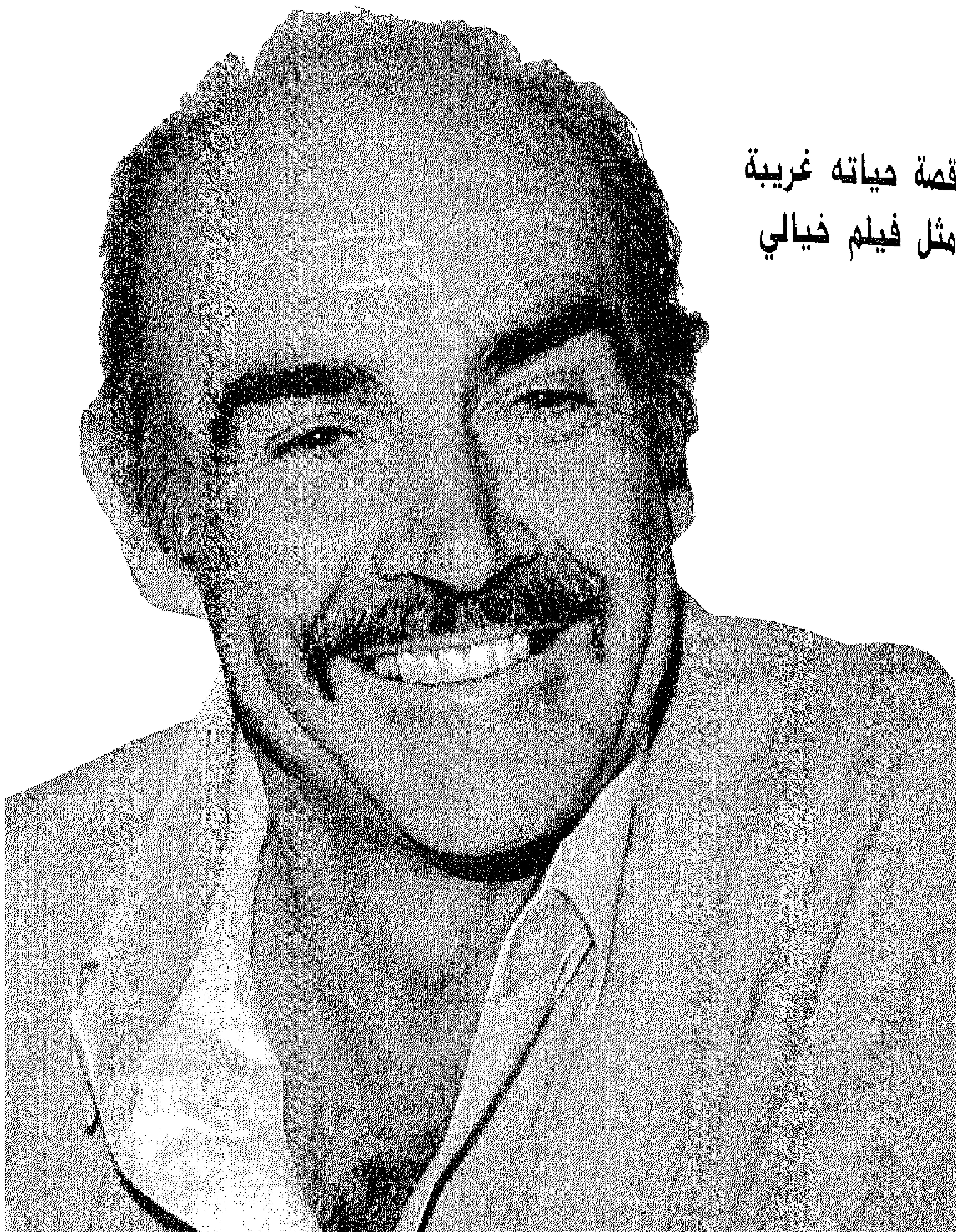
عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية وجد طومي، المغامر بطبعه، عملا كموزع حليب على الابواب في أولى ساعات الصباح قبل موعد المدرسة. وكان في التاسعة من عمره آنذاك.

ترك كونري المدرسة في الثالثة عشرة من عمره لكي يتفرغ لعمله كموزع. وكان يبدأ جولته في الخامسة صباحاً وينهي توزيع الحليب بسرعة لينتقل الى توزيع الفحم أو البطاطا. وفي السن السادسة عشرة عقد العزم على الهروب من عالمه الفقير.

وبدا الاسطول الملكي البريطاني كخشبة خلاص، فانخرط فيه. ولكن ما ان تسلّم عمله حتى أدرك أن البحرية بالنسبة الى شاب عديم الثقافة هي طريق مسدود آخر. وبقي يعمل نوتياً على ساحل انكلترا الجنوبي فلم يشاهد سوى المياه

PHOTO: © ELISA LEONELLI / SHOOTING STAR

من لا يعرف جيمس بوند ؟



الاقليمية البريطانية. ووفرت له بنيته القوية (وقد أصبح طوله ١٨٨ سنتيمتراً) عملا في فريق الملاكمة، لكن نجمه لم يلمع. وخلال سنة شعر المراهق المفعم بالحنين الى الوطن بالقلق على احتمالات نجاحه الضعيفة. وبدأ يشكو من مشاكل صحية في المعدة. وأدخلته البحرية البريطانية المستشفى بعدما اصيب بقرحة ومن ثم سُرّح من الخدمة في السن التاسعة عشرة لاسباب صحية.

تريد أن تصبح ممثلاً؟ عمل طومي في مطبعة جريدة "أخبار المساء" في ادنبرة. وبعدما أصبح سباحاً ماهراً اشتغل كعامل انقاذ في المسبح المحلي. ومكّنه قوامه المتناسق من العمل كـ"موديل" (١) في معهد الفنون في ادنبرة. وشجعه صديق له على الاشتراك في مباراة "ملك جمال العالم" (٢) التي تجرى في لندن. فاحتل طومي كونري المرتبة الثالثة. ولكن أهم من ذلك أنه سمع أن الانتاج الانكليزي لفيلم "جنوب المحيط الهادىء" (٣) يحتاج الى ممثلين بدائل، فتقدم وأنشد مقطعاً من أغنية بصوته اللطيف وأدى بعض الخطوات الراقصة، فحصل على الوظيفة. الا ان لكنته الاسكوتلندية كانت صعبة الفهم فلم تحدّثه الا قلة من الممثلين "ظنوا أني بولوني."

وحده روبرت هندرسون، وهو أمريكي في السابعة والاربعين كان يخرج الفيلم، تكلم ذات يوم مطولا مع المفتول العضلات ذي الطموح الجامح، الذي أخبره أنه كان يود أن يصبح لاعب كرة قدم محترفاً. فأجابه هندرسون: "المشكلة مع لاعب كرة القدم أن حياته العملية تنتهي في الثامنة والعشرين او الثلاثين، فماذا ستفعل بعد ذلك؟ أليس من الافضل أن تصبح ممثلا؟"

"كيف؟" سأله كونري. "لقد تركت المدرسة في الثالثة عشرة من عمري."

هز هندرسون رأسه وقال: "عملياً، أنت لست مثقفاً. لكنك تتمتع بخيال وفطنة وسأعطيك لائحة بعشرة كتب تقرأها."

والكتب "العشرة" التي ذكرها هندرسون كانت في الحقيقة أكثر من مئتين اذ تضمنت جميع أعمال شكسبير وتوماس ولف وأوسكار وايلد. وقد أكب عليها كونري بكل ما أخذ عن والديه من نشاط وعزم. فكان يؤم المكتبة كل صباح ويلازمها حتى موعد فتح الستار.

وكان يبقى الى ساعة متقدمة من الليل برفقة آلة التسجيل، يستمع الى صوت لم يكن بولونياً، بل خسر قليلا من لكنته الاسكوتلندية. وبعد مضي سنة قرر امتهان التمثيل واختار لنفسه اسماً آخر يستهل به حياته الجديدة.

عام ١٩٥٧ أنتجت هيئة الاذاعة البريطانية «BBC» مسرحية "ترتيلة لذي الوزن الثقيل" للكاتب رود سرلينغ. وأدى دور مونتين ماكلينتوك، الملاكم البائس، ممثل شاب لاكم في فريق الاسطول الملكي. وكان أداؤه رائعاً. اسمه؟ شون كونري.

وفي العام نفسه اختير كونري لتأدية دور في "آنا كريستي" (٤). وعهد في الدور

(١) الموديل نموذج مثالي للرسم أو النحت.
(٢) Mr. Universe
(٣) South Pacific
(٤) Anna Christie

النسائي الرئيسي الى ديان سيلنتو الشقراء التي غدت بعد سنوات قليلة زوجة كونري.

ظهر كونري خلال هذه الفترة في خمسة أفلام لم تحصد نجاحاً. لكنه في أحدها لفت نظر والت ديزني الذي استقدمه الى الولايات المتحدة عام ١٩٥٨ وأسند اليه دور مايكل ماكبرايد في فيلم عن اسطورة للجنّ بعنوان "داربي أوغيل والاقزام." وفي اللحظات الاكثر تشويقاً في الفيلم يقع عراك مثير بين ماكبرايد وشقيّ القرية.

ومن بين الذين لاحظوا حضور كونري على الشاشة في هذا الفيلم المنتج هاري سالتزمان وشريكه ألبرت بروكولي اللذان كانا يختاران ممثلين لفيلم "الدكتور نو" المقتبس من رواية ايان فليمنغ التي نشرت عام ١٩٥٨.

استدعي كونري الى مكتب المنتجين في لندن لاجراء مقابلة. وقد قال سالتزمان لاحقاً: "راقبناه وهو يعبر



الشارع قافزاً على غرار سوبرمان. وأدركنا اننا وجدنا بوند الذي نريد."

لكن ايان فليمنغ كاتب روايات جيمس بوند كان يحتفظ بحق الموافقة على الممثلين، وكان من الصعب اقناعه. يقول كونري: "كان أحب على قلب فليمنغ أن يمثل كاري غرانت الدور، لكن المال لم يكن كافياً. لذا اضطر الى القبول بي."

مثل كونري الدور خمس مرات في الستينات وأبدع، بدءاً بـ"الدكتور نو" مروراً بـ"من روسيا مع حبي" و"غولدفنفر" و"ثاندربول" وصولاً الى "المرء يعيش مرتين فقط"(٥). وهو أسر بسحره اللطيف ومحياه الجميل الجذاب جماهير المشاهدين في أرجاء الكرة الارضية.

لقد كان في وسع صبية صغار، من شيكاغو الى روما، اخبارك بالحرف الواحد ما تفوه به "العميل ٠٠٧" عندما هدده غولدفنغر بمسدس ليزر:

"أتتوقع مني أن أتكلم؟"

– كلا يا سيد بوند، أتوقع منك أن تموت.

لكن "العميل ٠٠٧" لم يمت. ونجاح أفلام جيمس بوند مكّن كونري من الانتقال وزوجته وابنهما جايسون وابنة زوجته الى منزل يطل على متنزه أكتون بارك في لندن. وتمكن أيضا من شراء منزل مريح لذويه واقناع والده بالتقاعد.

مع ذلك شعر كونري بأن دور جيمس بوند يقيده كممثل، فطلب فسخ العقد. عام ١٩٧١ أعلن أنه سيمثل فيلم بوند

(٥) From Russia With Love; Goldfinger; Thunderball; You Only Live Twice

آخر في مقابل مليون دولار حوّلها كلها الى "الصندوق التربوي الاسكوتلندي الدولي" الذي أسسه لمساعدة الاسكوتلنديين الفقراء على دخول المدارس.

هدية من والد. بعد الانتهاء من تصوير فيلم "الالماس يبقى الى الابد" (٦) وهو السادس في سلسلة أفلام جيمس بوند، زار كونري والديه في منزلهما الجديد في ادنبرة. وكان والده في تلك الحقبة يصارع السرطان، لكن أحداً في العائلة لم يعرف أنه في خطر داهم. وأمضى شون الليلة عند ذويه، وفي اليوم التالي نقل جو الى المستشفى.

"لدى مغادرتنا، التفتُّ ورأيته واقفاً في مدخل غرفته. فلوح لي بقوة..."

انتصب كونري فجأة وهو يخبرني القصة وردد الحركة التي قام بها والده مرة: رفع ذقنه وعلّى ذراعيه وأطبق كفيه فوق رأسه. وتابع: "اعتقدت أنه يقول: لا تقلق في شأني. فعدت الى لندن. وفي الاولى من صباح اليوم التالي أبلغت أنه توفي. موته هز كياني. ولقد أدهشني هذا الشعور بالخسارة الذي دهمني، اذ كنت أعتقد أن تأثير أمي علي كان أكبر من تأثير أبي."

لكن هذه ليست بهدية صغيرة، أن يرى المرء والده يقف في وجه الموت غير خائف.

بعد فترة قصيرة أسند المخرج الكبير جون هيوستن الى كونري دوراً في فيلم "الرجل الذي أراد أن يكون ملكاً" (٧) وهو مأخوذ من قصة كبلينغ حول جنديين بريطانيين في الهند تمكنا بالحيلة من ارتقاء عرش كفيرستان الجبلية. ووجد هيوستن الثنائي المثالي للقيام بدور دانيال درافوت وبيتشي كارنهان: شون كونري ومايكل كاين وهو صديق كونري اللندني منذ أيام الصبا.

وكان لمشهد موت داني درافوت أثر بالغ أكثر من أي دور آخر مثله كونري: أحاط به رجال القبيلة، فثبّت تاجه على رأسه الاصلع وبدأ يعبر الجسر المعلق فوق هوة عميقة بخطوات كبيرة واثقة. وفيما راح رجال القبيلة يقطعون الحبال أدى كونري حركة اجلال واضحة لابيه: رفع ذقنه وبدأ ينشد: "فرقة مجيدة... قلة مختارة..." وعندما هوى أكمل بيتشي الاغنية.

وجه بطولة. ملايين توجهوا الى دور السينما لمشاهدة كونري في دور داني وفي أدوار اخرى كانت بمثابة تغيير في النهج المتبع، كما في "الريح والاسد" (٨) عام ١٩٧٥ حيث مثل دور راسولي الزعيم العربي الشهم، وشخصية روبن هود في فيلم "روبن وماريان" (٩) عام ١٩٧٦.

مثل كونري دور جيمس بوند مرة أخرى عام ١٩٨٣ في فيلم "لا تقل أبداً ثانية" (١٠). لكنه لم يعد مجرد جيمس

(٦) Diamonds Are Forever
(٧) The Man Who Would Be King
(٨) The Wind and the Lion
(٩) Robin and Marian
(١٠) Never Say Never Again



مع هاريسون فورد في فيلمه الاخير "إنديانا جونز والمهمة الاخيرة."

بوند بل أصبح، حسبما قال نيل سينيارد وهو محاضر حول الافلام البريطانية، "وجه البطولة المقبول في عصر مناهض للبطولة."

وأظهرت الادوار المختلفة التي أداها في الثمانينات مكانته المرموقة. وعن شخصيته في "لصوص الزمان" و"اسم الوردة" (١١) يقول كونري: "انهما قمة الادوار، انهما دوران نموذجيان."

وأفضل أدواره كان في فيلم "القاهرون" (١٢) الذي نال عليه جائزة أوسكار لافضل تمثيل. وهو أدى فيه دور جيمي مالون وهو شرطي متمرس في شيكاغو ومدرب للمبتدئين. وقد ارتكز كونري في تصوره لشخصية مالون الايرلندي الاصل على ذكرياته عن بعض رجال الشرطة الاقوياء الاشداء في ادنبرة. وكان للنصيحة الشهيرة التي وجهها كونري في دور مالون الى اليوت نس بالغ الاثر والوقع: "تريد النيل من كابوني؟ سأقول لك كيف: يشهر عليك سكيناً، تشهر عليه مسدساً. يرسل رجلاً من رجالك الى المستشفى، ترسل رجلا من رجاله الى المشرحة. هذه هي الطريقة في شيكاغو." عندما عرض هذا المشهد الآسر خلال حفلة تقديم جوائز الاوسكار أثار موجة عارمة من التهليل بين الحضور.

الدرب الشاق. بينما كان كونري ينتقل الى هذه الادوار "الابوية" أعلن ابنه جايسون أنه يريد أن يصبح ممثلا.

"تعال معي،" قال له كونري. ووضع له لائحة بأسماء المسرحيات والاعمال الاخرى ليقرأها على غرار ما فعله روبرت هندرسون معه سابقاً. وحضّرا معاً مشهدين وأغنية يؤديها جايسون في تجربة امتحانية، وقُبل الابن في شركة مسرحية في اسكوتلندا.

(١١) Time Badits; The Name of the Rose
(١٢) The Untouchables

وبعد فترة تدرب أمضاها جايسون هناك اشترى سيارة مستعملة وقصد لندن باحثاً عن مجالات أخرى وتجارب جديدة في عالم السينما. وسألت شون: "أتقصد أنك لم تشتر سيارة جديدة لابنك؟" فحدق الي بنظرة صارمة على طريقة أجداده الاسكوتلنديين وقال: "لا، لم أشتر له سيارة. قد تسمي ذلك حرفة أو تربية، ولكن عليه أن يسلك الدرب الشاق، فهذا شرط أساسي لكي يصبح ممثلا."

شون كونري اليوم في التاسعة والخمسين. وهو وزوجته ميشلين روكبرون التي تزوجها قبل أربع عشرة سنة يملكان منازل في قارتين. وهو ما زال يقرأ كثيراً ويرسم بحماسة ويدعم "الصندوق التربوي الاسكوتلندي الدولي" ويتلقى العروض كما حين كان في دور جيمس بوند.

أما الآن، على شاشات السينما في العالم، فيمثل شون كونري في "انديانا جونز والمهمة الاخيرة" (١٣) دور والد انديانا جونز. ويبدو في هذا الدور، بقبعته ونظارتيه ولحيته التي غزاها الشيب، مجسداً تماماً شخصية الاب الذي يشب ابنه ويصبح عالم آثار مغامراً.

وأي مغامرات! في أحد المشاهد يستولي الدكتور هنري جونز وابنه على طائرة ألمانية عدوة، فيتولى الابن قيادتها في حين يجلس الاب في المقعد الخلفي ويطلق النار على مطارديهما. هذه هي الصورة المفضلة لدى كونري: الاب والابن يحاربان جنباً الى جنب وينتصران على الاقدار.

جون كالهان ∎

(١٣) Indiana Jones and the Last Crusade



من كسر الصحون؟

بعد الانتهاء من طعام الغداء انصرفت الام وابنتها لغسل الصحون وبقي الأب والابن في غرفة الجلوس يشاهدان برنامجاً تلفزيونياً. فجأة سُمع صوت تحطم صحون أعقبه صمت مطبق. فنظر الفتى الى أبيه وقال: "هذا فعل ماما."

– وكيف عرفت؟

"لانها لزمت الصمت."

ن.إ.

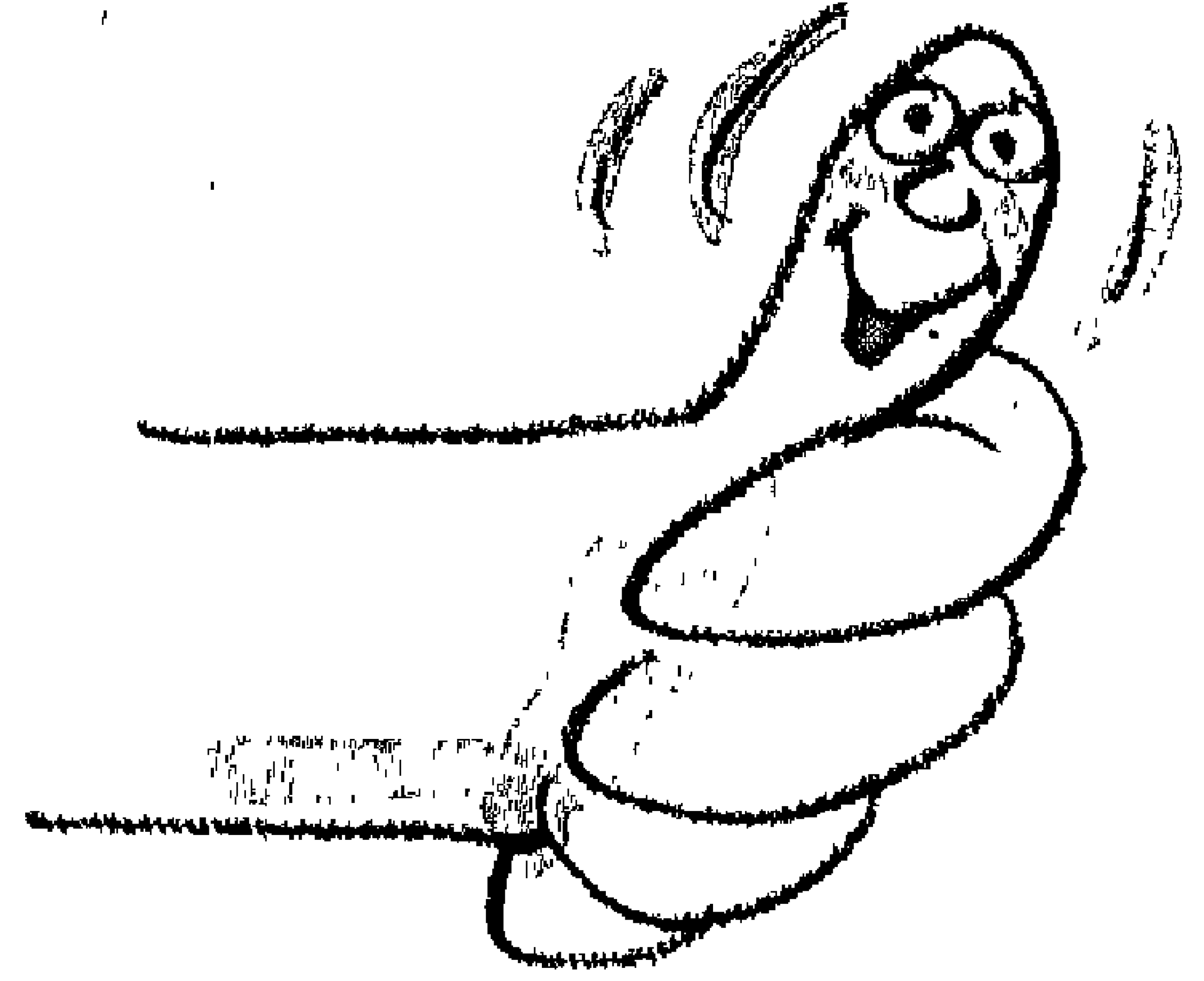
اتفقوا على الاّ يتفقوا

كان المعلمون يناقشون مشاكل العمل الجماعي في صفوفهم، فانتظموا في مجموعات لمعالجتها. وبعد ساعة، اجتمعوا لكي يستمعوا الى التقارير: وبدا واضحاً ان احدى الفرق عانت مشاكل جمّة، فكل ما استطاع أن يقوله الناطق باسمها: "لم نستطع الاتفاق على اي شيء." عندئذ، صاحت احدى الاعضاء غاضبة: "هذا غير صحيح!"

د.ج.

في عصر الالكترون لا يزال معظم الناس يهتدي بالمثل الشعبي "تعلم من كيسك"

حِكَم



الحكمة المبنية على التجربة وصفة منزلية لتخمين الامور. فهي وسيلة يسهل تذكّرها تقع بين القواعد الحسابية والتخمين، وترشدك في مسائل قد تجتاز عوائقها.

أنا أرغب في الافلات من بعض الازعاجات كما يفعل آخرون. لذلك كتبت رسائل الى كل شخص خطر اسمه في بالي طالباً من الجميع ان يكتبوا اليّ حكمة اكتسبوها من تجاربهم الخاصة. وهنا بعض ما تلقيت:

كيف تقدّر الموسيقى؟

اذا كانت القطعة الموسيقية أُلِّفت بعد ولادتك، فلست مضطراً الى تقديرها.

فرنسيس جود كوك، مؤلفة موسيقية (ولدت عام ١٩١٠)، مساتشوستس

متى تسقي العشب؟

يحين أوان سقي العشب في حديقتك عندما تترك قدماك آثاراً عليه مما يدل على الذبول.

نورمن هومل، جامعة كورنيل

كيف تحضرين المعكرونة؟

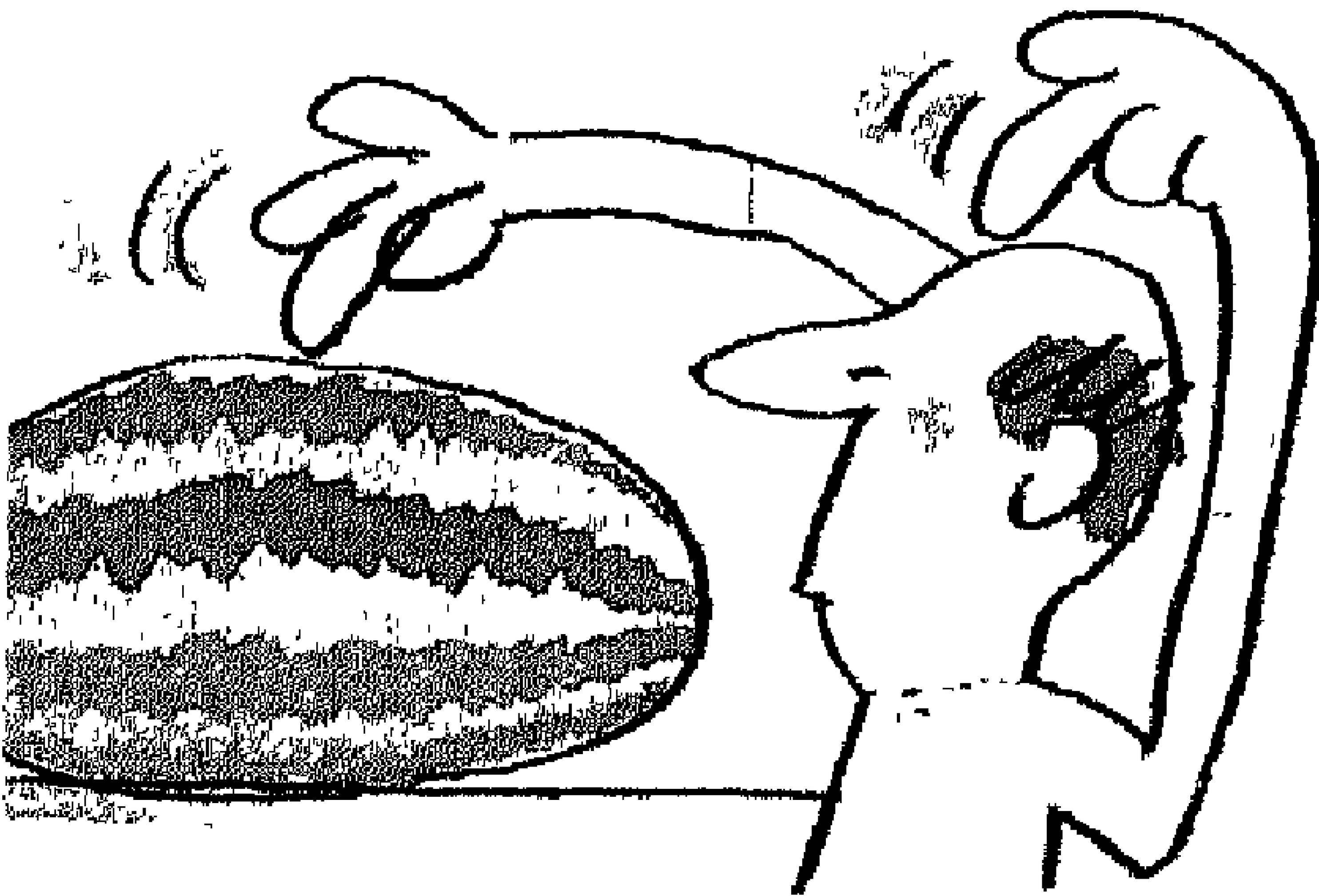
الابهام والسبابة يطوّقان مقدار أربعة أطباق من المعكرونة الجافّة.

جيمس كولبي، مهندس مدني، بوسطن، مساتشوستس

كيف تختار البطيخ الأحمر؟

يكون البطيخ ناضجاً اذا ضربته ضربة خفيفة وسمعت صوت "بانك" بدل "بينك."

بول كاستنر، ناغانو، اليابان





كيف تعثر على مطعم جيد وأنت خارج البلاد؟

اذا كنت في بلدة صغيرة، إسأل الجزار عن مطعم تتناول فيه الغداء. فهو يعرف مَنْ يشتري اللحم الجيد.

نشرة "تقرير المسافر"

كيف تطيل عمر حذائك؟

إذا تناوبت على ثلاثة أحذية فستدوم ثلاثتها الفترة ذاتها التي تخدمك خمسة أحذية تنتعل كلا منها على الدوام.

جو كوسنتيني، صاحب محل أحذية متقاعد، ايثاكا، نيويورك

كيف تنجز عملا؟

أوكل هذا العمل الى شخص دائم الانشغال.

سكوت باركر، بومون، تكساس

كيف تقود سيارتك من دون وقود؟

اذا كان وقود سيارتك ينفد وأنت لم تبلغ المحطة التالية، اخفض سرعتك الى ٥٥ كيلومتراً في الساعة.

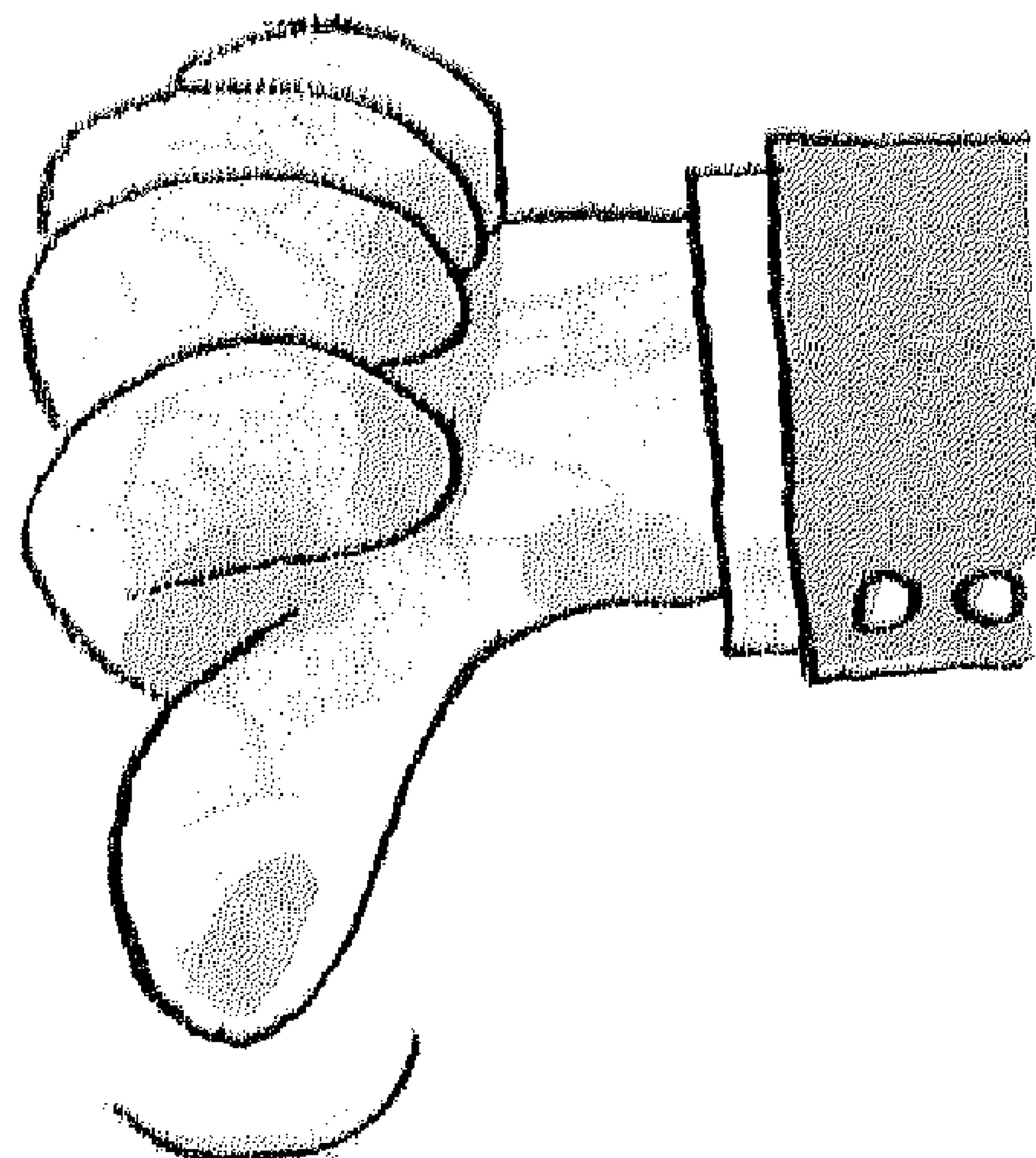
ر.س. وودز، أستاذ متقاعد، ميرندا، كاليفورنيا

كيف تقبض على سارق مصرف؟

(هذه الحكمة صالحة في الدول التي تعتمد الجهة اليمنى قاعدة في قيادة السيارة.)

حين يهرب المشتبه فيه بسيارته من مكان الجريمة، فانه يأخذ المنعطفات اليمنى أكثر من اليسرى. ان لم ترَ أي جهة سلك الهارب، خذ المنعطفات اليمنى.

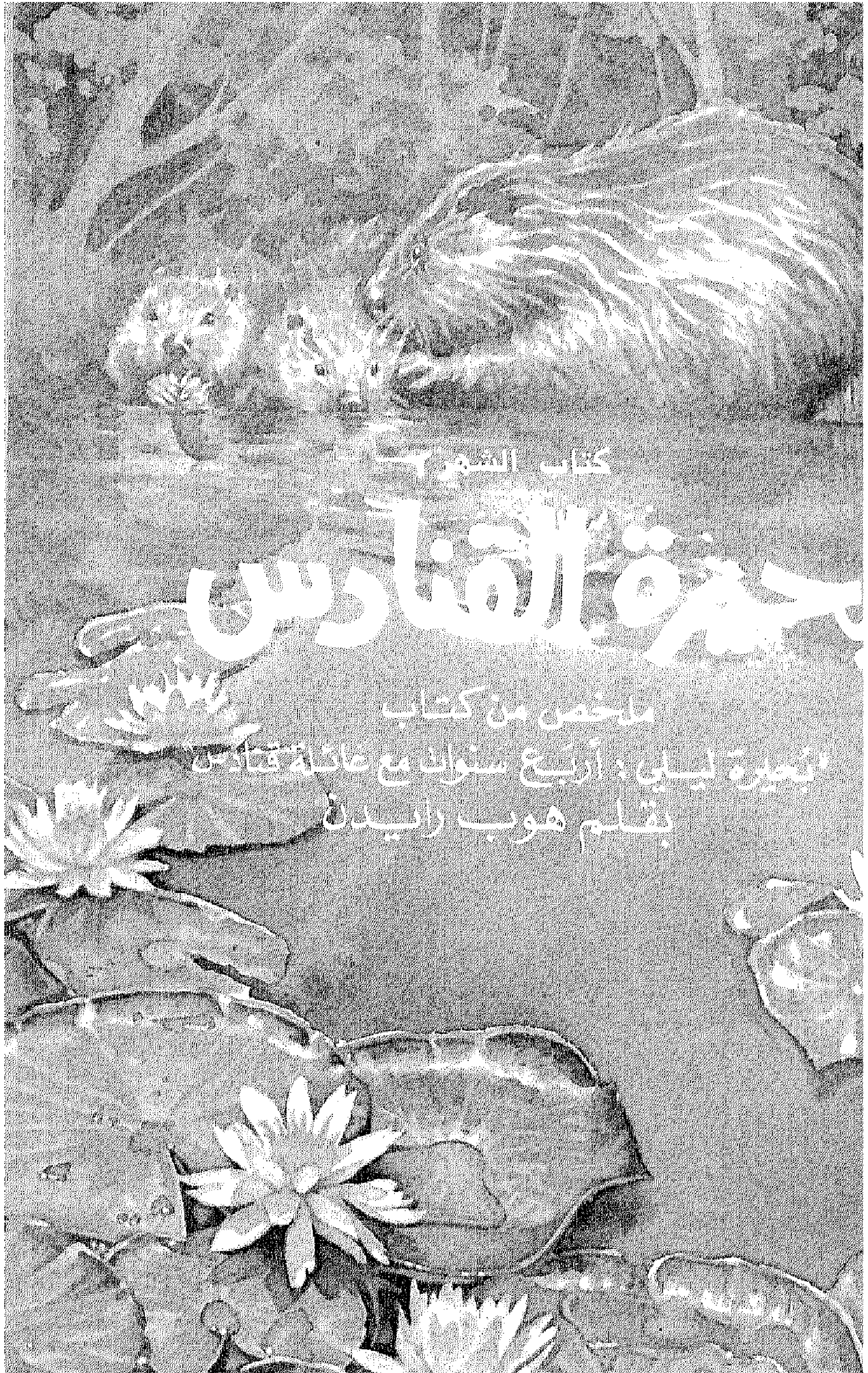
جون هاوسدن، ضابط في الشرطة، فريمونت، كاليفورنيا



حكمة الحِكَم.

كان ر. باكمنستر فولر مخترع القبة الجيوديسية يحبّ الاستشهاد بالمثل الانكليزي "اذا ساورتك الشكوك، فلا تفعل."

■ طوم باركر



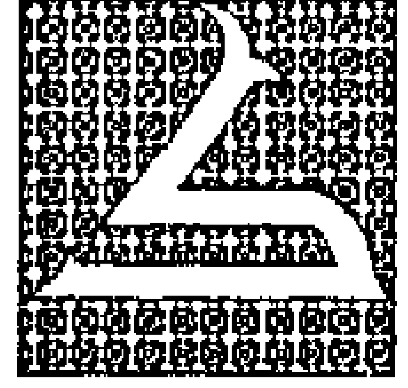
كتاب الشهر
حيرة القنادس
ملخص من كتاب
"بحيرة ليلي: أربع سنوات مع عائلة قنادس"
بقلم هوب رايدن



بحيرة القنادس

لدى وصولها الى البحيرة النائية، كانت عالمة البيئة
هوب رايدن عازمة على البقاء سنة واحدة لوضع دراسة
عن مستوطنة القنادس هناك. الا أنها أمست
أسيرة العالم الغامض الجميل لهذا الكائن البري
بحيث واصلت دراستها

ثلاث سنوات أخرى.
وهي في كتابها هذا تفتح نافذة
على حياة القنادس في كفاحها لانقاذ موطنها
وتأمين غذائها وتربية صغارها
في مواجهة جور الطبيعة وأذى الانسان.


كان انتظاري وحيدة في الظلام أمراً لم أعتده فأحسست في نفسي نزوعاً الى النوم، ذلك لان حواسي لم تكن انتظمت ودورة الحياة الليلية للكائنات التي كنت مصممة على معرفتها.

وكانت القنادس(١) في بحيرة ليلي صامتة بمقدار ما كانت خفية. وفيما أنا على وشك أن أغفو سمعت صوت حيوان ينسل الى الماء. فاستيقظت حواسي كلها ولاحظت أمواجاً تنداح نحو الشاطىء بفعل حركة كائن يسبح تحت صفحة الماء.

ثم نبهني حفيف في العشب الى أن عضواً آخر من مستعمرة القنادس لا بد قريب مني. وتسارع خفق قلبي حين أدركت الصوت الحاد المتقطع لانياب تقرض خشباً وأيقنت أن ثمة قندساً في متناول مني.

وعبثاً حدقت في عتمة تلك الليلة التي احتجب قمرها لتحديد مصدر الصوت. وحاولت أن أنزع من ذهني صورة أنياب القندس الكبيرة البرتقالية، تلك الادوات الحادة القاطعة التي تتيح له نشر شجرة في غضون دقائق.

وأطبق صمت. جلست القرفصاء. ومع علمي أن القندس ليس حيواناً عدائياً اجمالاً، فأن عجزي عن تحديد مكانه جعلني مضطربة. واذ نبهني صوت ذيله المنبسط يجره خلفه الى أنه اتخذ موضعاً له خلفي مباشرة، قبعت في مكاني بلا حراك. وتساءلت: ماذا يبغي هذا الحيوان؟

كان بالتأكيد عالماً بوجودي بمقدار ما كنت عالمة بوجوده. بل ان حاسة الشم لديه تفوق تلك التي لدي الى حد بعيد. هل كان يراقبني؟

بعد لحظات تكرر صوت القرض آتياً هذه المرة من ناحية أبعد صعداً. فحدثت نفسي: حسناً، لم يعد القندس منشغلا بي، مع أنني كنت أرغب في معرفة أين كان يقطع كي أتمكن من الابتعاد تفادياً لما قد يصيبني من جراء سقوط الشجرة.

ومن دون أي انذار خرقت الهدوء صفقة مدوية، صوت مروع كقصف الرعد جعلني أثب منتصبة على قدمي وجعل القندس يعدو منطلقاً في محاذاتي نحو المنحدر فالى البحيرة.

لم يهدأ روعي ولم تتخل ساقاي المرتجفتان عن وضع الحيطة الا بعد مرور بضع دقائق. ولم تكن تلك المرة الاولى أسمع صفع قندس وجه الماء بذيله. لكن كوني مراقبة من حيوان بري تجربة أثارت أعصابي في تلك الليلة من صيف ١٩٨٤.

كنت مدركة منذ البداية أن النوع الذي قررت دراسته سيمثل لي تحدياً صعباً. وقد جئت الى محمية هاريمان الحكومية في جبال رامابو بولاية نيويورك لاراقب النشاط اليومي للقنادس وأطلع على طريقة عيشها وتواصلها وكفاحها للبقاء قيد الحياة. لكن حيوان القندس يمضي قسماً كبيراً من حياته تحت الماء، ويبقى ساعات النهار بعيداً عن الانظار نائماً في وجاره الذي لا نفاذ لغيره اليه.

ومع ذلك كان القندس وحده، بين كل الكائنات، الذي ملك علي مشاعري وأسر

(١) القندس أو السمّور (beaver) حيوان من القواضم ثمين الفرو.

مخيلتي. وعلى رغم الارتباك الذي داخلني نتيجة الاصوات الليلية، من زعيق فراخ البوم الى شجار الراكون بصخبه المخيف، قررت أن أواظب على عملي.
تنفست عميقاً وانتظرت الى أن هدأ روعي. وذكرت نفسي بالمهمة التي جئت لها: أن أبدو جزءاً من بحيرة ليلي مثلما هي القضاعات وفئران المسك والضفادع والسلاحف التي لم يكن وجودها يزعج سكنى القنادس. وتحقيق ذلك يتطلب وقتاً ومقدرة على الاحتمال وصبراً... وثمة أمر آخر: علي أولا أن أصادق الليل.

عائلة قنادس

كانت ورشة القنادس التي استقررت فيها للمراقبة تضم وجاراً مخروطياً عماده أغصان وطين لصوق، وسداً يمتد ٤٥ متراً أحدث بحيرة ناهزت مساحتها هكتاراً ونصف هكتار. وغطى صفحة البحيرة زهر النيلوفر (زنبق الماء) العطر بألوانه الزهري والابيض والاصفر، وظهرت خطوط دقيقة من المياه الرقراقة ترسم أشكالا في سجادة النيلوفر هذه. وغالباً ما تشق القنادس قنوات تنقل عبرها الخشب الذي تقطعه. وكانت هذه الممرات من المياه الصافية تمثل خطوط شحنها.
بعد فترة وجيزة من اكتشافي البحيرة بدأت مراقبتي جدياً. فكنت أبقى ليلياً حتى الساعة الاولى، او الثانية بعد منتصف الليل. وكل مساء كنت أشاهد قندساً ضخماً يمارس الشعائر اياها: في تمام السادسة والدقيقة العاشرة يخرج من وجاره عبر ثقب استحدث تحت الماء، مخلفاً وراءه فقاقيع هواء، ثم يتوجه مباشرة نحو السد ويشرع يتفحصه بعناية فائقة منعماً نظره في أنحائه ومنصتاً الى صوت تسربات محتملة عنه. ودفعني سهره على هذا البناء المدهش الى تسميته "المفتش العام".
كان كائناً ذا مظهر لطيف. فراؤه بلون خشب الماهوغاني البني الضارب الى الحمرة، يعنى به الى حد الكمال. ومع أن ضخامة حجمه - لم يكن لدي شك في أنه كان يزن نحو ثلاثين كيلوغراماً - دلت بوضوح على أنه كان معمراً، فلم يحمل شارباه أي أثر للشيب. وذات مرة، اذ جلس منتصباً على وركيه، لمحت قواطعه الطويلة ذات اللون البرتقالي الوضاء وكانت لا تزال في حال ممتازة.
بدا لي في بعض المناسبات أن المفتش العام كان يحاول التقرب مني. فاذا هو أحياناً يتوقف عن السباحة وتشخص عيناه الى شكلي الساكن، لكنه لا يلبث أن يثور لوجودي. فنفحة من رائحتي أو جلبة أحدثها من غير انتباه كانت تدفعه الى رفع ذيله حتى يلتف حول جسده ثم يضرب به وجه البحيرة بقوة هائلة بحيث ان قائمتيه الخلفيتين كانتا ترتدان خارج الماء وينبثق رشاش غامر يرتفع عالياً في الهواء.
لم يقتض الامر طويلا لأتعرف الى رفيقة المفتش العام، وسميتها ليلي. وأيقنت أن ثمة أربعة قنادس تعيش معاً في مسكن واحد. ولكن وحده المفتش العام كان يدنو مني ويبقى على مسافة قريبة في حين بقيت الثلاثة الاخرى أشكالا غير واضحة الملامح، تلزم أي شاطئ يكون بعيداً من حيث يصادف وجودي. واذ صممت على رؤية العائلة

مجتمعة عن كثب، قررت أخيراً – وبعض الشك يداخلني – أن استخدم غذاء لاستدراجها.

لم يكن الغذاء الشجري الذي تفضله القنادس – الحور والصفصاف والبتولا وجار الماء – متوافراً في محيط بحيرة ليلي، الامر الذي جعلني أتساءل لماذا لا تنتقل هذه الكائنات الى مكان آخر. وسرعان ما تبين لي أن لدى هذه المستعمرة من الغذاء ما يكفي حاجتها. فهي تقتات بزهر النيلوفر من اللحظة التي تترك وجارها مع ساعات المساء الاولى حتى قبل طلوع الفجر. وكثيراً ما كانت اصوات المضغ المرتفعة الاشارة الوحيدة لتحديد مكان قندس.

ومع هذا أملت أن تكون تقدمة من أغصان شجر الحور وليمة مغرية لا يمكن القنادس مقاومتها. وما ان حل الخريف حتى جندت لمساعدتي في هذا الامر صديقي دان بيرسون الذي كانت الاشجار في ممتلكاته تنمو بأعداد وافرة.

اختبأنا نحن الاثنين خلف صخرة كبيرة مستديرة على خطوات من المياه حيث ألقينا الاغصان. وبينما كنا ننتظر روى لي دان كيف كان يراقب القنادس وهو بعد صبي، وأنه رأى ذات مرة قندسين عند سد يتماسان بوجهيهما ويطلقان هممات ناعمة، وأضاف: "بدا الامر كأنهما يتبادلان القبل."

لم افاجأ بتحليله لسلوكهما. فالقندس كائن اجتماعي ويقيم روابط عائلية متينة. تتألف كل مستعمرة، عادة، من زوجين بالغين لا يفترقان مدى الحياة، ومعهما صغارهما المولودة حديثاً، فضلا عن الحوليات وهي الذرية التي تكون ولدت قبل سنة. وتجد أحياناً عائلة يصل عدد أفرادها الى أربعة عشر قندساً تعيش في وجار واحد طوال فصل الشتاء.

بقينا أنا ودان عند البحيرة وقتاً طويلا بعد المغيب، وكل ما استطعنا رؤيته انعكاس القمر على قنوات من المياه الجارية. ثم سمعناه، ذلك الصريف الخشن لاسنان تقطع خشباً. وشيئاً فشيئاً استطعت تمييز أربعة أشكال: زوجين بالغين وحوليين بدا واضحاً أنهما ولدا في ربيع العام السابق، وسميت هذين لوريل وسكيبر. وراقبت الاربعة، مفتونة، وهي تغوص معاً لتعود فتطفو في انسجام مدهش.



تموج سطح البحيرة قليلا. وادركت أن كائناً يسبح تحت الماء فانحنيت فوقه لأتبين أياً من القنادس سيظهر.

وهتفت وقد أخذتني المفاجأة: "ياه، انه مولود جديداً وذاك مولود آخر!"

لم يكن مفترضا حدوث

ذلك. فالقنادس تولد في الربيع وليس في الخريف. ولكن ها هما اثنان طفلان ربما في الاسبوع الرابع من عمرهما.

بدا الصغيران وهما يناوران في بحيرة ليلي مثل حوريتين مائيتين. وبوحي مظهرهما هذا سميتهما "لوتس" (سنط) و"بلوسوم" (زهرة متفتحة).

فاتتني مراقبة نمو الصغيرين في الاسابيع الاولى، ذلك لانهما أبقيا في الوجار حيث تناوب الاعضاء الآخرون اشباع حاجاتها. وأملت أن ينشأ الصغيران صلبي العود ليتمكنا من البقاء قيد الحياة خلال الفصل القاسي المقبل. وأملت كذلك أن تجتاز كل قنادس بحيرة ليلي الشتاء بسلام. ولمساعدتها كان علي أن أعرف أنواع الطعام التي يمكن أن تمدها باسباب البقاء في الاشهر الباردة حين لا تعود نبتة النيلوفر تزهر. ثمة ستة قنادس يجب اطعامها.

هدية خضراء

بعد فترة أحضرت حزمة ثانية من أغصان الحور الى البحيرة لاستدراج القنادس الى مرأى مني، لكن محاولتي أحبطت اذ بدأت ليلي، بدل أن تأكلها، تسحبها غصناً غصناً عبر البحيرة. وراقبتها وهي تثبتها على نحو نظامي تحت الماء أمام الوجار، فتدفن كل غصن على حدة، من رأسه أولا، في بطن التربة الطينية. كانت تدخرها مؤونة للشتاء.

عندما يتجمد وجه البحيرة تنكفىء الحيوانات الى وجارها والى ما تبقى من مياه صالحة للسباحة تحت طبقة الجليد، علماً أن كل مخارج الوجار مفتوحة تحت سطح الماء. وتتحول القنادس، والحال هذه، حبيسة عالم قطبي. ولهذا السبب يتعين على المجموعة أن تخزن ما يكفي من الاغصان في قاع البحيرة قرب الوجار ليفتذي بها أفرادها مدة ثلاثة أشهر.

لكني، وأنا أراقب ليلي، أدركت أن القنادس الاخرى كانت تبري بنهم الاغصان التي كانت هي وحدها تجهد لجمعها. وكأنها أدركت هذا الأمر، فكانت تعود مسرعة بعد كل نقلة لتلتقط غصناً آخر وتعبر به البحيرة.

عملت ليلي بوتيرة غير معهودة في القندس الذي يعتمد عادة أسلوب عمل متمهلا. وهي تخلت تلك الليلة عن وجبتها المسائية ولم تهتم حتى بتذوق أغصان الحور. وتساءلت: ألم يكن أي من القنادس الاخرى شاعراً بالعوامل التي أيقظت في ليلي هذا الاندفاع الغامر لتخبىء طعاماً؟

في نقلتها الاخيرة التقطت ليلي في فمها ثمانية من أطول الاغصان المتبقية وسبحت بها عبر البحيرة. ولو لم أكن نفسي مدركة أن قندساً كان يشحن هذه الضمة لتملكتني الحيرة أمام مشهد دغل يتنقل في المياه مندفعاً بقوة ذاتية.

في صباح اليوم التالي حضرت ومعي صديقي جون ميلر وهو عالم بيئة أيضاً، وتفقدنا محيط البحيرة بحثاً عن دليل على أن القنادس بدأت تقطع أشجاراً لتخزنها في مخبأ المؤونة الشتوي. فلاحظنا أن شجرة قيقب مستنقعي بشرت لمعرفة مذاقها قبل أن

تترك، وأن أخرى قطعت لكنها ظلت عالقة بشجرة بلوط عالية. وبعدما شدها جون بقوة تمكن من انزالها فسقطت جزئياً في الماء. واملنا ان يعثر عليها احد القنادس فتضاف الى مخزون ليلي المزيل من الاغصان.

عاينت بقلق كبير قمة مخبأ مؤونة القنادس القائم تحت الماء. وتساءلت: هل يعقل أن تبقى قيد الحياة وكل ما لديها من غذاء هذه الكمية الحقيرة؟ ولماذا لم تنتقل الى مكان آخر حيث الاشجار أوفر؟ هل مرد ذلك الى أن الصغيرين ولدا متأخرين كثيراً عن موعدهما من السنة؟ ايا يكن السبب، لا يمكن القنادس أن تغادر الآن، اذ لم يتبق لها متسع من الوقت للاهتداء الى موقع جديد وتحويله بحيرة وبناء وجار فيه وخزن كمية من الغذاء تكفيها حاجتها لفصل الشتاء.

اقترح علي دان، بعدما قوم الوضع، أن نمد يد العون الى المستعمرة فنلقي اليها قطعاً من خشب الحور. وأضاف: "لقد عثرت على مجموعة من هذه الاشجار في أرضي."

ترددت حيال هذا الامر، وكانت بدأت تتنازعني أحاسيس متعارضة ازاء تقديمي أغصان الحور الاولى. وحدثتني نفسي أن أترك القنادس لمصيرها، فالطبيعة دائماً على حق حتى عندما تقسو.

الموسم القاتل

ذات مساء قارس وصلت الى البحيرة لأجد أن معظمها تجلد، الا من حوض صغير من الماء الجاري أمام الوجار مباشرة ظل يفي حاجة الصغيرين الى الغطّس واللهو.

قبعت بضع دقائق أراقب الصغيرين يلعبان قبل أن يلمحا المفتش العام يظهر على سطح البحيرة أمام الوجار. وبعدما لامس بخطمه خطميهما تحية، راح يعمل كاسراً الواحاً من الجليد على طول حافة حوض الصغيرين. كان يضغط الجليد بقائمتيه الاماميتين حتى تنكسر قطعة منه. وحيث طبقة الجليد سميكة كان يصعد اليها ويترك لثقل جسده أن يفصل جزءاً آخر. وكان يسبح تحت طبقة الجليد ويلطمها صعداً.

كانت مشاهدته تسلية عظيمة: ضربة قوية ويتفسخ الجليد، وفي الصدمة الثانية أو الثالثة من تحت يتحطم ليطل المفتش العام من خلاله.

بابقاء مجاري المياه مفتوحة كان هذا القندس يرجىء انحباسه في عالم مظلم معزول، ويكسب مزيداً من الوقت لاضافة اغصان أخرى الى مؤونته الضئيلة. وعلى رغم ذلك، في الليالي القليلة التي تلت، كانت طبقة الجليد تزداد سماكة فيما المياه الجارية تنحسر. وذات ليلة وصلت لأجد "حوض السباحة" حيث كان الصغيران يلهوان تجمد. وبذلك باتت قنادسي معزولة تحت الجليد. ودعوت لها بشتاء آمن.

تحولت بحيرة ليلي مشهداً قطبياً يعمي الابصار، مدى من البياض موسوماً بآثار قوائم حيوان هام على صفحته المتلألئة. والاطراف الملتزة لاشجار غار الجبل المصطفة عند الشاطىء الجنوبي انحنت مثقلة بالثلج على وجار القنادس فوارته.

الآن وقد صار في مقدورنا أن نسير على البحيرة المتجمدة عبرنا أنا وجون نحو الوجار

لنتفقده عن كثب. واذ اقتربنا من القلعة ذات القبة الثلجية دهشنا حين رأينا بخاراً يتصاعد من فوهة ثقب أنبوبي عند قمتها. وبدت كأنها مصغر لكوخ إسكيمو أضرم قاطنوه ناراً.

كان "الدخان" ناتجاً من الانفاس الدافئة للقنادس اذ تنبعث الى الخارج فتمتزج بالهواء البارد. وسمعت من الداخل هممهة من "حديث القنادس" حاكت نبراتها أصواتاً بشرية. واذ وقفنا نصغي الى وشوشاتها علق جون: "يبدو أن القنادس في صحة جيدة."

وكان تساقط الثلج قبل ليلة أضاف طبقة عازلة أخرى الى منزل القنادس الكبير. ومع وجود ستة حيوانات تولد حرارة جسدية فلا بد من أن حجراتها كانت دافئة.

شاهدت قنادسي مرة أخرى في ديسمبر (كانون الاول). وكان دان استشار خبيراً من جامعة مساتشوستس أبلغ اليه أن القنادس تواجه خطر المجاعة في فترة تبدأ مع دفء الربيع وذوبان الثلوج وتنتهي قبل أن يتوافر نتاج الطبيعة. وأقنعني بأن نقطع حملا من شجر الحور ونطرحه على الجليد كي يجد أي قندس بقي حياً بعد فصل الشتاء ما يستهل به غذاءه في الربيع.

أمضينا أنا ودان وابنته نينا وجون بعد ظهر يوم نقطع شجيرات جمعنا منها حزمات لنقلها الى البحيرة. وكنا انتهينا من افراغها من الشاحنة الصغيرة حين دوى صوت قوي نتج من انخساف الطبقة الجليدية تحت ثقل حمولة شجر الحور. وبعدما تراجع الصدى تأملنا بذهول ما أفضى اليه الحادث: كانت حزمة الحور المتشابكة طافية في مياه البحيرة. ولم تمر دقيقة واحدة حتى ظهر بجانبها وجه مفرى أخذ يحدق الينا طويلا. كان ذلك وجه ليلي.

بادرتها: "أحضرنا لك عشاء الميلاد."

ولدى سماعها صوتي عادت فغاصت. وبعد لحظة بدأت الاغصان العائمة تهتز في مكانها فيما كانت ليلي تعمل على سحب غصن منها. ثم ظهر الصغيران فحدقا أولا الى المشهد الشتوي ثم تفرسا فينا. وانتفض ذيلاهما في الهواء قبل أن يؤديا غطسة لولبية في انسجام تام. وبعد قليل سمعنا قرضاً آتياً من تحت حزمة الخشب الطافية.

وبدأ غصن طويل يختفي. وانقضى نصف ساعة وأنا أراقب ليلي وصغيريها تسحب أغصاناً الى مخزن المؤونة.

بعد ليال عدة زرت البحيرة القابعة تحت قمر كبير وضاء، واسترقت النظر الى قندس مبتل يتلألأ فراؤه على الضفة. كان ذلك المفتش العام. لمحته يجر احدى شجيراتنا الى شق من المياه الجارية بجانب السد. وبدت الفتحة ضيقة جداً، وعلى رغم ذلك استطاع أن يسحب مؤخر الشجيرة بجهد كبير ويدخله الشق. وبعدما نزل هو نفسه تحت الماء جذب بقية الشجيرة وراءه.

ثم استنتجت ان المفتش العام كان يسحب الشجيرة تحت الجليد نحو مخبأ الطعام على مسافة مئة متر. اقتفيت سبيله متتبعة الطقطقة والخربشة التي كانت تحدثها حمولته حين تصدم سقف الجليد أو تنجر على صخر في القاع. ولم أصدق انه كان قادراً على انجاز مهمته الا بعدما قطع ٧٥ متراً. وتساءلت: من أي نسيج رئتا هذا الحيوان؟ ذلك لانه، وفق تقديري، صرف اكثر من ٢٠ دقيقة من العمل الشاق من غير أن يتنفس.

جاء الربيع!

في مارس (آذار) تكدس نحو ثمانية سنتيمترات من الثلج البليل على المحمية، ثم سقط رذاذ من المطر البارد غلف الارض بقشرة زجاجية زلقة. انتعلت جزمتي العالية وسرت على البحيرة مدركة أن الجليد الرقيق سينكسر تحت خطواتي. وألفيت نفسي مرتين والمياه تغمر ركبتي. واذ وصلت الى الوجار ألقيت على الجليد بضعة أغصان من شجر البتولا آملة أن يظهر قندس. ثم جلست على صخرة رطبة وأنصت.

انقضت عشرة أسابيع مذ رأيت قندساً من مستعمرتي. ترى هل قسمت القنادس غذاءها على نحو كفاها مؤونة ثلاثة أشهر؟ هل الستة كلها لا تزال حية داخل وجارها؟

بدأ يتساقط ثلج خفيف. وبعد برهة سمعت صوتاً مكتوماً. كان ذلك قندساً قفز في فجوة الغطس التي تقود الى داخل البحيرة، وكان على وشك أن يسبح للمرة الاولى في المياه المفتوحة أمامي مباشرة.

ظهر على سطح الماء كائن بدا عليه نعاس شديد وعام بضع ثوان. وبعدما هز رأسه كما يفعل الكلب سحب نفسه الى صخرة تعلوها قشرة ثلجية على بعد مترين من حيث جلست. أغمض عينيه نصف اغماضة ولم يأت حركة. وأنا بدوري لم أحرك ساكناً. وأخيراً قلت له: "لا تخف، فأنت تذكرني."

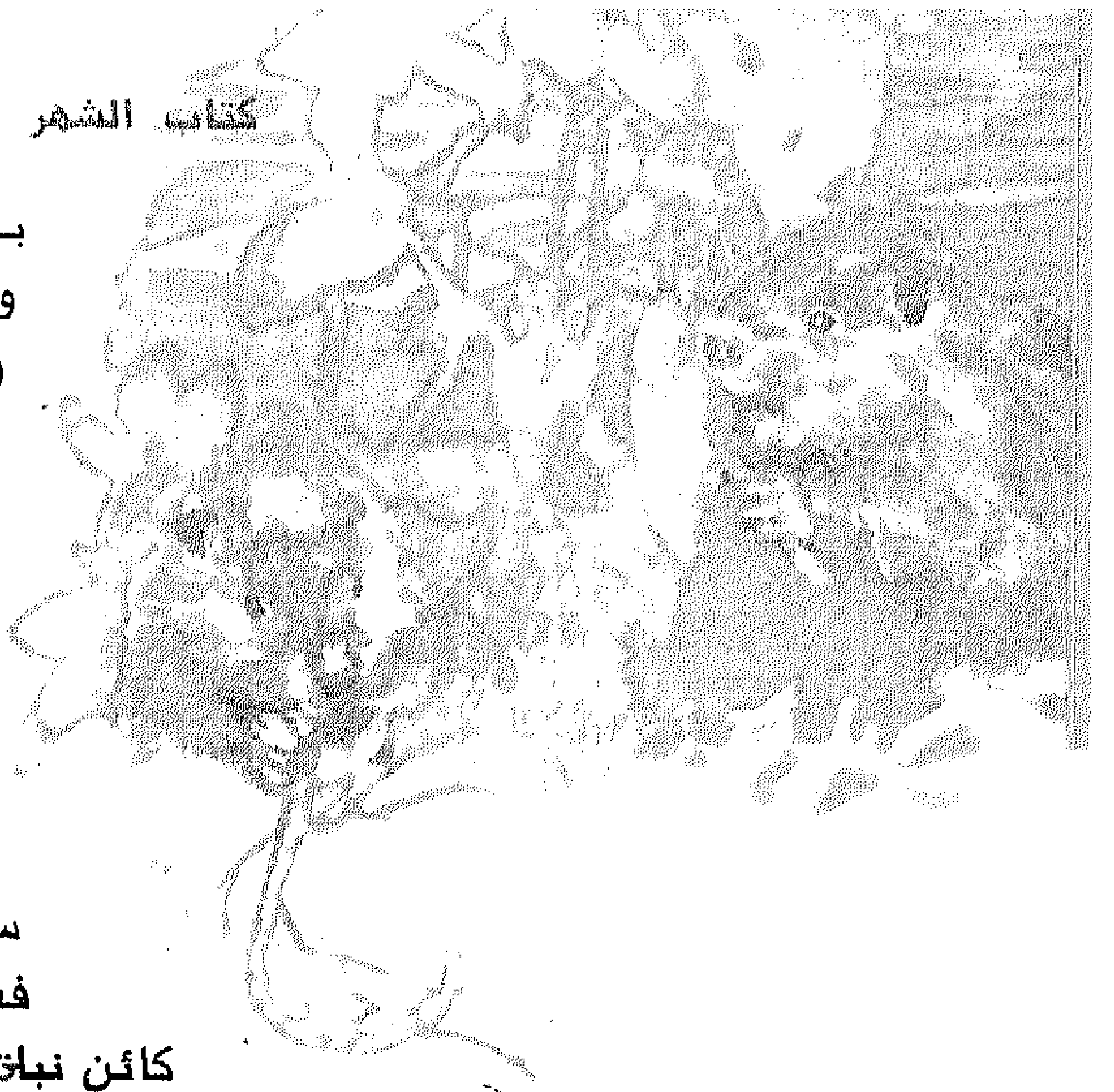
بدا واضحاً أنه عرفني، ذلك لانه بعدما تفرس في لحظة شرع ينظف فراءه ويصففه مستخدماً قائمتيه الاماميتين. وفيما أنا أراقبه يمسح خديه ويفرك أذنيه ظهر بجانبه أحد الصغيرين جاء طلباً للهواء. فعاودت حديثي محيية: "مرحباً يا هذا. تسعدني رؤيتك ثانية." وبدا الحيوانان كلاهما مشدوهين كما لو انهما أصيبا بدوار بفعل هذه الشحنة غير المعتادة من النور والرائحة والصوت.

وظهر قندس صغير ثان اتخذ مكاناً قرب القندس البالغ الناحل. وسرني كثيراً أن

أرى الصغيرين اللذين ولدا متأخرين نجيا من فصل الشتاء وهما في صحة جيدة.
كان الليل خيم تقريباً عندما غادرت البحيرة. وسلكت طريق المحمية المغطاة بعشرة سنتيمترات من الثلج والبهجة تغمرني. فثلاثة على الاقل في مستعمرة القنادس استطاعت ان تنجو من الموسم القاتل. والجليد يكاد يذوب.
بعد بضعة أيام عدت لأجد الجليد اختفى كله وعكست المياه الزرقاء الراكدة قبة الفضاء كما لم تفعل قط عندما كانت أزهار النيلوفر متفتحة. وذهلت أمام هذا الامتداد الواسع للبحيرة، بعدما كنت عرفتها مغطاة بأوراق النبات. لكن وضعها هذا لن يستمر طويلا، فنبتات النيلوفر السريعة النمو تتبرعم تحت الماء وتتطاول الى النور. وفي غضون ذلك تتمتع القنادس بحرية الحركة ويسهل علي تحديد أمكنتها.
كان القندس الحولي لوريل الذي لم أشاهده طوال أربعة أشهر الاول يظهر في المياه الجارية. ومع أن طبقات الدهن كانت ذابت عن جسمه المستدير خلال الشتاء فلم أجد صعوبة في التعرف اليه.
المفتش العام كان القندس التالي يخرج من الوجار. وشرع هو ولوريل يثبان واحدهما على ظهر الآخر منهمكين في ألعاب مائية لا تتوقف: ينقلبان ويغوصان ويقفزان في عرض بهلواني يفيض حيوية ونشاطاً. وكان ذلك بلا شك متعة حيوانية.
حدثت نفسي أنهما لا بد سعيدان. انه الربيع، ويستطيعان الآن تنشق هواء منعش نقي ورؤية الضوء. وأكثر من ذلك أنهما، وان لفترة قصيرة، ليسا مكرهين على التقيد بقنوات شحن محددة بل يمكنهما التنقل حيث يشاءان. ويمكنهما الغوص والعوم واللهو على مساحة هكتار ونصف هكتار من الماء كما لم يعهدا من قبل.
واذ خرجت ليلي من الوجار يرافقها الحولي الثاني سكيبر، أيقنت أن القنادس كلها اجتازت فصل الشتاء، فوازت فرحتي تلك التي كانت القنادس تعبر عنها بمرح. لقد جاء الربيع.
ثم تبينت امراً مفاجئاً. مئات من جذور النيلوفر المسودة انتشرت على امتداد الضفة وكل واحد من هذه الجذور الليفية الطويلة التي لها مكونات البطاطس قضم جزئياً. اذاً هذا هو المورد الذي ساعد القنادس على تحمل الشتاء.

دروس تأديبية

كان القلق ينتابني منذ بعض الوقت من أن يؤدي وجودي المتكرر الى انتفاء الحس الطبيعي لدى القنادس بالخوف من البشر. وثبتت صحة مخاوفي. ذات يوم جاء بحيرة ليلي صياد. فسبح المفتش العام صوب البقعة التي رمى فيها الرجل شباكه وحدق اليه بتمعن من غير أن يظهر عليه أن الطارق الغريب أثاره فيصفع الماء بذيله. بل، على عكس ذلك، شرع يمضغ ورقة نيلوفر وهو على أقل من عشرة أمتار من الغريب.
لمت نفسي على ما اعتبرته خطأي. فهذه الحيوانات باتت تألف وجودي معها بحيث لم تعد تكترث لوجود أناس آخرين. وبواسطة منظار لاحظت أن الصياد كان شاعراً



بوجود القندس، بل كان يراقبه، واكتفيت للحظة بالمراقبة بينما واصل الصياد صيده والمفتش العام يقترب منه وفجأة الفى هذا نفسه في ورطة اذ سبح داخل الشبكة وعلق فيها.

أسرعت الى حيث كان الصياد الذي ما ان رآني حتى أرخى شباكه فتمكن المفتش العام من الافلات.

قال الرجل: "كان يحاول انتزاع سمكتي."

ففالطته: "هذا غير صحيح، فالقندس كائن نباتي. والحقيقة أن هذه بحيرته وهو لم يكن محترساً كما يفترض فيه، وهذا بسببي أنا."

بدا الرجل ودوداً وممن لا يتعمدون ايذاء قندس. وفي أي حال، أثبت الحادث كيف أن نشاطات البشر الطيبين يمكن أن تؤدي أحياناً الى كارثة تطاول الكائنات البرية.

في الاسبوع الذي تلا اخبرت جون بما حصل وأوضحت له مخاوفي مما يمكن أن يحصل اذا ما انتشر نبأ وجود مستعمرة للقنادس هنا. وأضفت: "يبدو أن الوقت حان لاضعاف ثقة القنادس بنا."

استوضحني جون: "وكيف السبيل الى ذلك؟"

– التعاطي معها بلغة تفهمها.

خرجنا أنا وجون تلك الليلة الى البحيرة مزودين مجذافاً ورفشاً. واقتضت خطتنا أن نستخدم هاتين الاداتين كذيلين نخبط بهما صفحة الماء.

أحسست بتوبيخ ضمير عميق حيال ما كنا نعتزمه. فالقنادس باتت توليني ثقتها. وفي عالم مثالي تعتبر العلاقة الوثيقة التي نشأت بيني وبين أعضاء المستعمرة علاقة صحيحة، غير ان هذا العالم ليس مثالياً.

وقف جون على صخرة وانتظر حتى أوشكت ليلي أن تعبر أمامه سباحة وضرب سطح البحيرة بالمجذاف الخشب بقوة أدت الى كسره في الوسط. وحتى قبل أن تسقط قطرات رشاش الماء في البحيرة كانت ليلي غاصت عميقاً بعيدة عن النظر.

قلت له: "صفعة ذيلك هذه كافية،" وتأهبت لاقوم بالعمل نفسه بواسطة الرفش الفولاذ. راقبت المفتش العام وهو يتجه نحونا، واذ صار على أقل من عشرة أمتار مني رفعت الرفش فوق رأسي وخبطته بكل ما أوتيت، فتطاير الماء في كل اتجاه وغطس المفتش العام عمودياً نحو القاع بلمح البصر.

بدا أن الصوت اجتذب الصغيرين، لوتس وبلوسوم، اللذين اندفعا نحونا من الجهة

المقابلة. فقال جون مازحاً: "يبدو أننا عممنا استدعاء عاماً للقنادس."

توقف الصغيران وهما على مسافة ستة أمتار منا، ورمقانا بحشرية ظاهرة. أخذ جون الرفش مني وكان على وشك أن ينفذ ضربة عنيفة أخرى.

حضضته: "هيا!"

وفي اللحظة التي صدم صحن الرفش الماء صفع الصغيران الماء بذيلهما، فاذا برشاشات ثلاثة ترتفع في الهواء في وقت واحد. غاصا ثواني ثم عاما في انتظار أن يعيد جون الكرة. وهو ما فعله. ومرة اخرى صفعا الماء بذيليهما في اللحظة نفسها التي لامس الرفش صفحة البحيرة.

قلت: "انهما يظنان الامر تسلية." ثم انتبهت الى ظهور جسمين آخرين على وجه الماء.

حين عاد المفتش العام وليلي لم يستطيعا تفسير العلاقة بين متعة الصغيرين وبيننا، وبدا أنهما يحاولان دفعهما تحت الماء وهما يطلقان هسيساً عدائياً تجاهنا.

فقلت: "حسناً. استطعنا استعداء الكبيرين على الاقل."

لم يسبق لي أن سمعتهما يهسان أو رأيتهما يتخذان خطوات لحماية صغيريهما. فالمفتش العام وليلي كما عرفتهما صاحبا طبيعة لطيفة، ولكن بعد الذي حدث صارت القنادس كلها تتحاشاني.

في الرابع من يوليو (تموز) الذي يصادف ذكرى استقلال الولايات المتحدة (تطلق في المناسبة العاب نارية) شاهدت مجموعة من المحتفلين يعاكسون القنادس فرموها بعدد من المفرقعات. واذا ما كانت مستعمرتي لم تزل تبدي أي استجابة للجنس البشري، فقد توقعت أن يبدد هذا العمل الأخرق ثقتها الى الابد.

البحيرة الجديدة

ذات ليلة اختفى لوريل وسكيبر. لقد آن أوان مفادرتهما وهما الآن على عتبة السنة الثالثة من عمرهما. تتبعت آثار ذيل سكيبر على الضفة الشمالية حيث اجتاز طريقاً فمنحدراً شديداً. واكتشفت في اسفل المنحدر جدولا كبح سد مجرى مائه فبدأت تتكون فيه بحيرة.

والواقع ان سكيبر ولوريل استقرا في واد ضيق يقطعه غدير صغير. واذ تفقدت الموقع ألفيت نفسي مفتونة به. فهو مليء بأنواع النبات من كل لون. أطلقت على المكان اسم "البحيرة الجديدة."

ساءلت نفسي: هل سيتحول الصغيران زوجين الآن؟ اذ يعرف في الكائنات التي تمارس حياة اجتماعية متطورة أنها تتوالد ضمن نسلها كوسيلة بقاء توفر للمستعمرات المعزولة ذرية متكيفة والحياة في بيئتها الخاصة.

كان الموقع الجديد في حاجة الى أمور كثيرة ليصبح صالحاً للسكن قبل حلول الشتاء. ووجب أولا اعلاء حدود السد. فبدأ سكيبر ولوريل يعملان على نحو متمهل. كانا

يستخرجان مقدار حفنة من الطين من أسفل البحيرة ويضغطانه باحكام على صدريهما ويسبحان ببطء نحو السد ليدسرا الطين على قمته. وفي حين بدوا غير متعجلين، كانا في واقع الامر ينجزان مهمتين في آن: يعمقان قناة ويعليان السد.

وزع لوريل وسكيبر وقتهما طوال شهري مايو ويونيو (أيار وحزيران) بين البحيرة الجديدة وبحيرة ليلي. وفي أحد الايام حلت المأساة. وصلت الى بحيرة ليلي قرابة الظهر ودرت حولها في اتجاه طريق المحمية. وهناك وجدت لوريل.

لم يكن مضى وقت طويل على نفوقها. وظهر اثر من الدم على الاسفلت كان بمثابة شهادة على الجهد الذي بذلته وهي تحاول الوصول الى جانب الطريق اثر تعرضها لصدمة قاتلة. وبدا أنها كانت متوجهة نحو وجارها الجديد بعد زيارة أخيرة لمسقط رأسها عندما صدمتها سيارة مسرعة.

داعبت فراءها بأناملي. نفوق لوريل بالنسبة الي كان خسارة مأسوية. فهي عاشت سنتين وتحدت كل الصعاب التي واجهتها بها الطبيعة وأثبتت أنها كفية بامتياز. لكن الذي أودى بها لا يمت بصلة الى الطبيعة.

جلست ذلك المساء عند البحيرة الجديدة أراقب سكيبر يعمل بمفرده على تدعيم السد. الا أنني ما أحسست نفسي مهتمة للامر. وهو لم يكن يدرك أن رفيقته قضت. غير أنه هجر المكان في الليلة التالية وعاد يقيم في بحيرة ليلي.

غامضة هي الحيوانات.

بقي الآن مكان واحد أراقبه. في هذا الصيف الذي تميز بالجفاف أضافت القنادس خمسة سنتيمترات الى ارتفاع سد بحيرة ليلي. وتركز معظم عملها تحت الماء تزيد وحلا الى القاعدة لتمنع أي تسرب. ونتيجة ذلك حافظت بحيرة ليلي على أعلى منسوب عال للمياه. وتحولت الى ما يشبه منتجعاً للحياة البرية يجتذب مزيداً من الكائنات المتنوعة.

بدا واضحاً أن سكيبر قرر البقاء في بحيرة ليلي. وأيا يكن الاحساس الذي داخله في مارس (آذار) ودفعه الى السعي الى حياة مستقلة، فقد همد الآن. أقام طوال الصيف في وجار والديه يعمل على سدهما ويتغذى بنبتاتهما ويلهو مع وليديهما. وكان في كل هذا كمن قرر البقاء هناك الى الابد.

ولكن اذ بدأ لون اوراق الشجر يتبدل، ذهبت في جولة تفقدية للبحيرة الجديدة. فوجدت، وقد أخذتني الدهشة، أن السد أعيد بناؤه والمياه عادت ترتفع في الوادي الصغير.

انتظرت بصبر نافد ظهور الاقزام الخرافية التي قامت بورشة الاصلاحات هذه. وقبعت على قمة منحدر أترقبها. لم يدم انتظاري طويلا اذ سرعان ما استوى قندس بني كبير - أتراه سكيبر؟ - على اعلى السد وغطس في البحيرة الجديدة. وبعد قليل ظهر قندس بني صغير سبح نحوه لتحيته فتلامسا بأنفيهما ثم راح كل واحد يجمع قضباناً لاضافتها الى السد.

القندس الكبير، كما استنتجت لاحقاً، كان لا بد أن يكون سكيبر، اذ اعتباراً من تلك الليلة لم أعد أشاهده في بحيرة ليلي.

ومن يكون القندس الآخر؟ دعوته "مايت."

راقبت القندسين يعملان حتى طمستهما الظلمة. وأدهشني كم أن مراقبة القنادس مليئة بتحولات غير متوقعة.

حال طارئة

ذات يوم جمعة من شهر يونيو (حزيران) عشية أول أيام الصيف كنا اتفقنا أنا وجون على الذهاب الى بحيرة ليلي بعد الظهر. وحتى قبل أن نطل على البحيرة عرفنا أن ثمة أمراً على غير ما يرام. فعبر الاشجار تناهى الينا صوت منذر، هدير متواصل لمياه تتدفق بسرعة. وكمن مسه تيار كهربائي انطلقنا نركض. وما ان بانت البحيرة حتى وقفنا مذهولين. كانت المياه تندفع بقوى هائلة عبر شق في السد الذي بلغ ارتفاعه متراً ونصف متر. كانت البحيرة تغور أمام أعيننا.

نتيجة الرعب الذي تملكني وقعت مرتين وأنا أهبط التلة مسرعة نحو السد. ثم تقدمت الى حافة المياه المتدفقة ووقفت هناك عاجزة. كانت المياه تصطخب حولي بقوة مذهلة كفيضان جارفة الاخشاب المكونة للسد ومدمرة ثمرة سنوات من العمل المضني للقنادس.

صعقت للكارثة. ثم انتبهت الى جون يتوجه نحو الصدع ويحاول جاهدا ان يرفع جلموداً. توقعت أن يوقف السيل بهذه الوسيلة وارتفعت معنوياتي قليلا. لكن الصخرة الضخمة التي ألقاها بدت ككرة حين جرفها السيل هي أيضاً. وفيما نحن نتابع سقوطها السريع الى اسفل التلة، تناهى الي صوت جون وسط الهدير الصاخب: "ستكون هذه البحيرة ذكرى في غضون ساعتين."

فصحت: "لماذا؟ لماذا حدث هذا؟ وكيف؟"

دفع تفجعي جون الى البحث عن جواب. فوجد آثار أقدام في كل مكان حول الشق، وقال: "هذا عمل مخرب. فالسد صدع بواسطة آلة ما."

قررنا بسرعة أن أذهب في السيارة الى أقرب كشك هاتف وأبلغ عن الحادث الى شرطة المحمية على أن ينتظر جون قدومها. وفي غضون ذلك أراد أن يتوسل أمراً خطر له. فأوضح لي: "سأحاول أن أصل السد بعضه ببعض بواسطة حائط من الحجار تحت الماء. واذا حالفنا الحظ فان قوة اندفاع المياه ستجعل الحجار متراصة على نحو محكم، وبذا نكسب بعض الوقت. اذذاك قد يستطيع حرس المحمية استنباط وسيلة لالقاء كمية كافية من الصخور في مكان الصدع.

حين عدت كان شرطيان سبقاني الى المكان، ورأيتهما واقفين قرب جون على ما تبقى من السد يهزان رأسيهما. بدا أنهما تأثرا جداً لحال القنادس وقر رأيهما على وجوب ملاحقة المسؤول عن الحادث كائناً من كان. لكنهما لم يعربا عن أمل كبير في

قصيرة وسعت قنادس بحيرة ليلي مألفها ليشمل البحيرة العليا المهجورة.

في غضون ذلك لم تكن تصرفات ليلي طبيعية وتهيأ لي أنها حامل. لكن الاعراض التي كانت تنتابها لم تشر الى أنها كذلك. وهي ظلت في بحيرة ليلي قريبة من شاطئها الجنوبي. وفي المناسبات القليلة حين رأيتها تسبح كانت تنحرف يمنة في اتجاه دائري. وحين اقتربت مني اتضح لي أنها في حاجة ماسة الى تنظيف وعناية.

القنادس حيوانات نيقة، تنظف نفسها تكراراً في فترات تمتد أحياناً ساعة كاملة، فتعمل على أجسامها القصيرة بقوائمها الاربع. والتنظيف يجعل الفراء صامداً للماء، اذ متى انتظمت كل شعرة منه في محلها لا يمكن الماء أن يتسرب الى جلد الحيوان.

لكن فراء ليلي كان مشعثاً جداً وبدا أنها لم تكن تعنى به. والى ذلك لفتتني قرادة (٤) كبيرة استقرت في أذنها، وهي جزء من الجسد لا ينفك القندس ينظفه.

وذات ليلة لاحظت أن قائمتها الامامية اليسرى متورمة جدا بحيث باتت كل "أصابعها" مفلطحة وجلد راحتها متشققاً فبرز لحمها الوردي. وبدت القائمة مشلولة اذ انها رفعتها عالياً ولم تكن تستخدمها حتى وهي تأكل.

وتضاءل مصدر غذائها. فالقنادس استهلكت طوال الشتاءات الماضية كميات كبيرة من جذور النيلوفر حتى أمست هذه النبتة عزيزة.

تحولت ليلي الي طلباً للمساعدة. وذات ليلة جرت نفسها خارج الماء وجهدت في صعود الضفة الى حيث كنت جالسة ورمقتني بنظرة حادة. أخذت على حين غرة. فقبل سنتين ثنيت المستعمرة عن الوثوق بي. شخصت الي بعينين متوسلتين و"خاطبتني" بنبرات متواصلة كأنها قندس صغير عاجز.

سألتها: "ماذا تريدين يا مسكينة؟"

استجابت بمزيد من الهمهمات المتملقة. تراجعت بعيداً وتسلقت صخرة حيث تمكنت من رؤية القندسة الهزيلة بوضوح، فاذا بعظمي وركيها ناتئان كعظمي حصان هرم. ولم يكن فراؤها يحجب هزالها. واذ استدارت وهبطت التلة مترنحة سقطت منقلبة على ظهرها وقوائمها الاربع في الهواء. ولزمها جهد عظيم لتستوي ثانية وتبذل قصاراها للوصول الى البحيرة.

وبينا كل هذا يحدث كان جون يتابعنا من مرقبه الخاص على مسافة صعداً. ثم انحدر صوبي وبادرني: "انها جائعة. وأيا يكن الذي حدث لها فانها في حاجة ماسة الى غذاء. ومن الافضل أن تطعميها."

في الليلة التالية أحضرت أغصاناً من شجر الحور الى البحيرة. وتلمست طريقي الى الضفة ووضعت غصناً مورقاً عند حافة المياه. وما ان رأته ليلي حتى سبحت صوبه. وبعدما قضمت منه عوداً جمعت أوراقه بقائمتها السليمة ووضعتها في فمها.

واذ فرغت من تقدمتي الاولى جئتها بأخرى، فثالثة. وفي كل مرة كان علي أن أدب لالقي غصناً في متناول أنفها، فيما ظلت هي هادئة كلياً ووجهها الرمادي يعكس

(٤) القرادة حشرة تمتص دم الحيوان.

اطمئناناً كبيراً جعلني أتساءل كيف يمكن انساناً أن يؤذي حيواناً مثلها.

وفضلا عن اعتلالها كانت ليلي حاملا فعلا. وهي أنجبت لاحقاً قندسين سليمي البنية، ما ان رأتهما القنادس الاخرى يسبحان في البحيرة للمرة الاولى حتى تحلقت حولهما تتناوب الترحيب بهما بملامسات أنفية وتراشق برذاذ الماء. وبين الفينة والاخرى يغوص قندس بالغ تحت أحد الصغيرين ويصدمه رافعاً اياه في الهواء، حتى اذا سقط في الماء تطاير حوله رذاذ كثير. كانت تلك أوقاتاً سعيدة في البحيرة. ولم يحل الالم الذي كانت ليلي تعانيه دون ممارستها أمومتها بحق.

وحين صار في وسع وليديها تدبر أمرهما في البحيرة اطمأنت ليلي الى تركهما وعادت تزورني. فنبهتها: "اني دللتك أكثر مما يجب. ليس مفترضاً فيك أن تأمني جانب الناس على هذا النحو. ان في ذلك خطراً عليك."

لكن تحذيري اياها لم يعد يفيد في شيء الان. فلن يجلب البشر لها الأسى. انها الطبيعة التي ستتكفل بذلك ولما يبق لهذا الحيوان الهرم الواهن في الدنيا سوى القليل. بدت قانعة اذ هي خرجت من الماء وجلست بجانبي تقرض أي عشبة تصادفها. فلم يطاوعني قلبي حرمانها متعة الاشباع هذه. وليلة بعد أخرى حملت أغصان حور الى بحيرة ليلي. وكانت ليلي تهمهم برقة وهي تتغذى بعطياتي.



دعاء بالتوفيق

أنبأت جون هاتفياً: "ان القنادس انتقلت الى البحيرة العليا." وكان جون هجر حياة الريف لمزاولة مهنة التعليم في مدينة نيويورك حيث ما لبث أن حن الى حياة العراء. وسرعان ما قبل دعوتي لزيارة المستعمرة. انتظرت قدومه بصبر نافد لأرى رد فعله على التحول الذي طرأ على المكان.

في أواسط سبتمبر (أيلول) لم تبق زنبقة نيلوفر واحدة في بحيرة ليلي. ولاحظت في ذلك الاسبوع قندساً يتسلق بعكس مجرى الجدول فوق سلسلة من سبعة سدود وعبر مجرور يفضي، من تحت الطريق العامة، الى البحيرة العليا

توقيفه، فعديد الشرطة كان دون ما يكفي لمواجهة كل ما يعترضها من مشاكل في هذه المحمية الواسعة.

لم يأت جون على ذكر الحائط الذي أقامه تحت الماء. لكني لاحظت ان السيل فقد بعضاً من قوة اندفاعه، فأقر لي: "انه يتدفق بسرعة أقل الآن، لكن مياه البحيرة لا تزال تنضب."

تسلقنا صخرة كبيرة وعاينا حدود الضفة. لاحظنا أن مستوى المياه انخفض أكثر من نصف متر. ولن تمضي فترة طويلة حتى يكون وجار القنادس قائماً على أرض جافة وأبوابه مشرعة للضواري.

فجأة تسارعت دقات قلبي اذ ظهر قندس من الوجار وراح يسبح في اتجاه السد بأقصى سرعة. كان ذلك المفتش العام. عاين السد المتصدع بنظرة غاضبة وهو يذرع المكان جيئة وذهوباً. ثم سارع بقطع نبتة غار كبيرة وغرزها في حافة الحائط الذي أقامه جون في محاولة للحد من تدفق المياه.

بدا لنا واضحاً أن ما فعله لم يكن ليفيد في شيء. ولا بد أنه توصل الى الاستنتاج نفسه، اذ سرعان ما حول انتباهه الى التسرب الحاصل تحت سطح الماء.

ولسد الشقوق الصغيرة التي لا تحصى في حائط الحجار عمد الى استئصال نبتات كاملة من النيلوفر وهو في حال من الارتباك الشديد. ثم غطس وبدأ يستخدمها كمادة اسمنتية.

فلاحظ جون: "انه يتوجه مباشرة الى أس المشكلة."

وأعجبت أنا أيضاً بسعة حيلة المفتش العام. فالقنادس عادة لا تستخدم نباتات صالحة للاكل في بناء مساكنها لكن الوقت كان عزيزاً ولا بد من انقاذ البحيرة. كانت نبتات النيلوفر الطويلة الساق مطواعة أتاحت حشو الشقوق بسهولة. وكان المفتش العام يعمل بوتيرة جنونية: يغوص، يقتلع، يغوص، يقتلع. وما ان يختفي تحت الماء حتى يعوم لمزيد من النبات.

ثم لمحنا ثلاثة قنادس أخرى تسرع نحو السد. وفي غضون ثوان اقتدت بالمفتش العام فراحت تقتلع نبتات النيلوفر وتغوص تحت الماء تسد الثغرات في حائط جون.



بدا أن القنادس أدركت أن بقاءها مرهون بعمل متواصل. فكانت تقوم برحلة تلو أخرى لجمع مزيد من المادة "الاسمنتية." واذ راقبتها وهي تعمل على هذا النحو خالجني أنها ستنقذ البحيرة فعلا.

بعدما حجب الظلام القنادس الاربعة

ظللنا حيث نحن نجهد في تتبع أشكالها الممتلئة وهي تتنقل في الماء. وقبل أن نغادر المكان تلك الليلة سلطت ضوء مصباح كهربائي على حاجز الماء المتقوس، فتبين لي، ويا للمفاجأة، أن المفتش العام كان في المقلب الاخر يعمل بكد على سد الثغرات من الخلف (القنادس تبني سدودها عادة من جهة البحيرة). ومع ذلك ظل الحائط يلفظ كميات كبيرة من الماء.

لازمني الارق معظم تلك الليلة. وفي الصباح وجدتني مستعدة لاسوأ الاحتمالات. قد يكون الحائط الصخري انهار. قد لا نجد شيئاً سوى الطين حيث كانت بحيرة ليلي.

واذ اقتربنا من البحيرة تباطأت قليلا وعيناي على جون أستشف من تعابيره ما يمكن أن ينتظرنا. وللحظة، بعد بلوغه أعلى التلة، أبقاني أسيرة ترقب قلق، ثم استدار نحوي وابتسامة عريضة تعلو وجهه. وهتف: "لقد صمدا!"

انطلقنا نعدو جنباً الى جنب. ولاحظنا أن منسوب مياه البحيرة منخفض، لكن حائط الوصل الذي وصفه جون و"كحلته" القنادس كان لا يزال قائماً متماسكاً. فتعانقنا وهللنا للقنادس التي آبت الى وجارها لاستراحة تستحقها فعلا.

ظلت العملية الهشة في حاجة الى تدعيم، فاستعنا بثلاثة صبية كانوا قصدوا الى البحيرة للصيد. وبدأنا جميعاً ننقل أحمالا من القضبان الى الموقع ونرميها في الماء. عملنا على هذا النحو طوال فترة الصباح مستخدمين بعضاً من ركام السد الاصلي.

جلست وجون عند البحيرة بعد ظهر ذلك اليوم ننتظر أن تستيقظ القنادس. قال جون: "أراهن أنها نامت متأخرة بعد تجربة الليلة الفائتة."

في السادسة والدقيقة الخامسة ظهر قندس من الوجار. انه المفتش العام. واذ وصل الاب المؤسس الى السد أخذ يسبح في هذا الاتجاه وذاك عبر الاخشاب المتشابكة التي كنا ألقيناها هناك، يستشمها غصناً غصناً ويطلق أصواتاً عالية تعكس اثارة لا يعرفها سوى القنادس.

همس جون في أذني: "يبدو كأنه يعبر عن بهجته." لجمت في حلقي صيحة فرح. مضى المفتش العام يدوم عبر الاغصان ككلب هائج ويثرثر عن لقيته.

بعد فترة وجيزة انطلق الى العمل متسلقاً الحجار ليدعم الناحية الخلفية للسد. عمل على نحو متواصل ولكن ليس بالاهتياج الذي ميز عمله في الليلة السابقة. فالحال الطارئة زالت.

ليلي في مأزق

في الربيع التالي كانت القنادس تحررت من سجنها الجليدي حين ساط المطر المنطقة مدى أيام حتى باتت التربة مشبعة وغمر السيل العارم ضفاف الانهر والجداول. وكان سكيبر ورفيقته الجديدة مايت انتقلا الى مكان آخر سميته "البحيرة العليا." ونتيجة الامطار الغزيرة ارتفعت المياه داخل الوجار المخروطي حتى غمرت داخله مما اضطر سكيبر ورفيقته وصغيريهما الى اخلائه. ولم أشاهدها ثانية. وبعد مدة

بحيرة القنادس

كان المكان يضج بالنشاط. والموقع نفسه الذي آوى سكيبر ورفيقته وصغيريهما لشتاء الفائت اتسع الآن وأعادت ترميمه أربعة قنادس أخرى من مستعمرة بحيرة ليلي. والنتيجة وجار وسط الماء مثير للاعجاب، ارتفع أكثر من متر ونصف متر عن سطح البحيرة وبلغ طوله ثلاثة أمتار وعرضه أكثر من ثلاثة أمتار ونصف متر. فبات مناسباً جداً لايواء ثمانية قنادس.

في غضون ذلك بقيت ليلي وأصغريها في بحيرة ليلي. وكانت صحة الام المؤسسة تتدهور باطراد. ولأطمئن الى أنها لا تزال حية تفقدت بحيرة ليلي قبل أن أرتقي التلة الى البحيرة العليا.

أخبرت جون ونحن في طريقنا الى البحيرة: "انها في حال سيئة جداً. فاذا عاشت فستضطر هي وصغيراها الى تمضية الشتاء في بحيرة ليلي. لا أعتقد أن في استطاعتها أن تحمل نفسها وتجتاز كل هذه السدود لتنضم الى بقية أعضاء المستعمرة."

واذ وصلنا الى نقطة في طريقنا بانت منها بحيرة ليلي، شاهدنا قندساً يشق المياه نحو الوجار القديم المتهدم. استعنت بمنظاري: "انه المفتش العام."

غاص ثواني ثم عام من الوجار وبجانبيه قندسان صغيران. انطلق الوالد بسرعة فائقة عجز الصغيران عن مجاراتها. لكنهما شرعا يضربان بقوائمهما بعنف، ومن وقت الى آخر يتشبث أحدهما بفروة عنق الذكر البالغ أو يمتطي ذيله كي لا يتخلف عن الركب.

علقت باعجاب: "انه يأخذ القندسين الى البحيرة العليا."

وفيما الثلاثة تجتاز العقبة الاخيرة عدونا لنصل في الوقت المناسب ونراها تظهر على سطح البحيرة العليا.

وهكذا بقيت ليلي وحيدة. وكنت متيقنة أنها افتقدت صغيريها. أخذت تزور نقطة مراقبتي وتحدق الي كأنها تسألني مؤانستها. عزت علي رؤيتها محرومة وبحيرة ليلي مهجورة على هذا النحو. وجئت في الصباح، قبل أن تفيق وتركت للقندسة المسنة ضمة أغصان حور قبل أن أتوجه الى البحيرة العليا.

ذات ليلة، وكان مر أسبوعان ونصف أسبوع على انتقال الصغيرين الى البحيرة العليا، لمحت ليلي هناك. وللحظة اعتقدت أني أتوهم رؤية أشياء. لكن الامر كان حقيقة، فالحيوان العاجز الذي وقع عليه نظري كان ليلي فعلا.

هتفت مبتهجة: "لقد استطعت الوصول!"

أجفلها رد فعلي الظاهر فاختفت بسرعة تحت الماء. ثم عادت فظهرت اذ عرفتني.

لم يسعني أن أتخيل كيف استطاعت حمل جسدها المشلول جزئياً الى أعلى التلة لتنضم الى المستعمرة. ولا يهم ان كانت ستعيش طوال هذا الشتاء، فهي الآن على الاقل ستمضي ما تبقى لها مع رفيقها والصغيرين.

حمل أكتوبر (تشرين الاول) مناخاً معتدلا وطمأنينة لم يعكرها طارىء. لكن

بحيرة القنادس

النهارات أخذت تقصر. ومع مطلع نوفمبر (تشرين الثاني) سقط الثلج بكثافة.

توجهت أنا ودان وجون الى البحيرة. وحدثتهما ونحن في الطريق: "حسنا. ان القنادس مستعدة الآن لتحمل الطقس القاسي. انتظرا حتى تشاهدا مخزن مؤونتها."

وكما توقعت، كانت المستعمرة في قمة نشاطها والقنادس تعمل على ازاحة الجليد وفراؤها الكث مصفف بعناية فيما هي تخوض في الماء.

قال جون: "كل ما آمله أن تبقى ليلي في الوجار هذه الليلة."

فأضفت: "اذا خرجت منه فالى مصيرها المحتوم. سيقضي عليها الطقس القاسي."

حان وقت انهائي دراستي عن القنادس والبحث عن تحد آخر. لكني أحسست غصة الفراق بمجرد التفكير في وداع هذه البحيرات الجميلة والقنادس التي تعيش فيها. ثم لمحت ليلي. كانت، ويا للهول، تكسر الجليد وتغوص كما تفعل الأخر.

وبصوت مخنوق نهرتها: "ايجدر بك البقاء في الوجار اتقاء للطقس الرديء." لم تسمعني. وبدت غير شاعرة بوجودي.

"آه يا ليلي!"

راقبتها وهي تختفي تحت طبقة الجليد. انتظرتها فلم تظهر ثانية. كانت البحيرة هادئة كما رقائق الثلج المتساقط. وتساءلت: ليلي. أبهذه الطريقة تغادريننا؟

وببطء، ومعاناة، عادت فأطلت من خلال الجليد. بدا واضحاً أنها كانت عاجزة عن نفض رقاقات الجليد عن فرائها. لم تعد قادرة على شق ممرات لها أو الحدب على صغيريها أو قطع أشجار أو بناء وجار. اكتفت بالتمدد على طبقة جليدية وجفونها مغمضة. ثم، بجهد جهيد، رفعت جسدها الواهن تحت صفحة البحيرة الجليدية ولم تصعد ثانية.

حدقت الى تلك البقعة حتى غطاها الثلج. وأدركت أني رأيت ليلي للمرة الاخيرة.

في الظلام واصلت القنادس الاخرى تنقلها. ثم سمعت جون يناديني. لقد ساءت حال الطرق وآن أوان الرحيل:

قريباً، سيحتجز الطقس القارس الحيوانات في وجارها. سأتفقدها في الربيع لاطمئن الى أنها، كلها، عاشت الشتاء. سأزور عائلة القنادس لاعرف ما اذا كان المفتش العام وجد رفيقة جديدة وأتحرى عن صغار جدد لهما.

ناداني جون ثانية.

"ها اني قادمة."

لبثت دقيقة أخيرة لاقطع غصناً طرحته عند الشاطىء. وتمتمت: "هذا لك يا ليلي، دعائي لك بالتوفيق أينما كنت."

هوب رايدن ■

ترجمة جورج أبو رزق

الوقت أفضل المعلمين لكن سيئته هي انه يقتل تلاميذه. أ.ك.

إكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

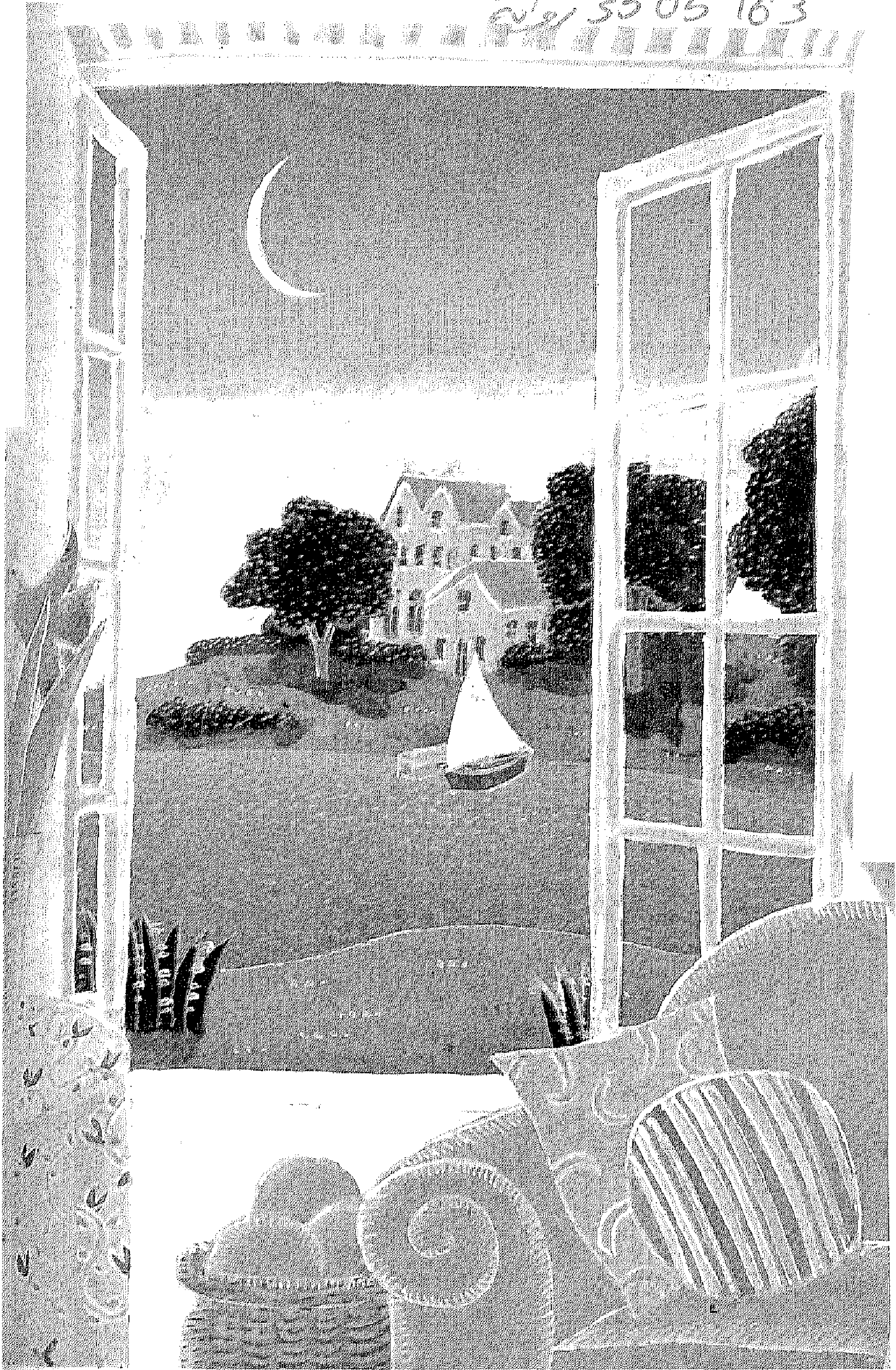
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط المشاركة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص ب ٥٥٢٢٨، المتن الشمالي، لبنان.



"نافذة على القمر" للرسام الامريكي توماس مكنايت

ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٩ - جمادى الاولى ١٤١٠

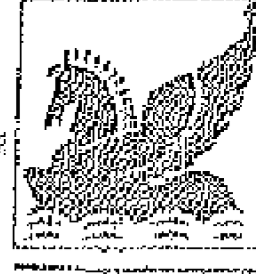
Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest December '89 N° 133



أوسع المجلات انتشارا في العالم



المختار
ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

December '89 N° 133 (New Series) Vol. 12

٥٠٠ل - سورية ٣٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف -
...ية ١٠ر - مصر ١،٢٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٧ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب -
٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٢٥د

من قصر البصر وعدم النظ
الى فلوكس

إن لم يكن نظرك سليمًا ، من المستحسن زيارة فلوكس أحدث مستشفى عائم لعلاج العيون في العالم . الآن في دول مجلس التعاون الخليجي حتى نهاية شهر مارس ١٩٩٠م .

حتى الآن تم علاج أكثر من مليون شخص بنجاح من خلال عملية متطورة تؤمن التصحيح الدائم لقصر النظر" ، "بعد النظر" ، "الاستيغما "(ASTIGMATISM) . و" الغلوكوما "(GLAUCOMA) .

يعتبر هذا العلاج أكثر انواع جراحة العيون تطورًا في العالم ، ويمكن علاج كافة مشاكل وأمراض العيون تقريبًا على متن الباخرة في جو من الراحة و الاسترخاء .

مستشفى فلوكس ، يعمل من المنطقة الحرة بجبل علي في دبي حتى نهاية مارس ١٩٩٠ ، يضيء المستقبل المشرق أمام مستخدمي النظارات الطبية أو كل من يعاني من مشاكل في العيون ..

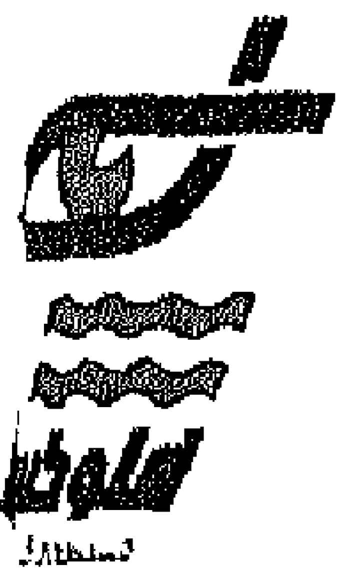
دع فلوكس تمنح عينيك متعة البصر الكامل .

فلوكس رؤيا جديدة

فلوكس ، مستشفى العيون العائم



الآن في مرفأ جبل علي - دبي
الإمارات العربية المتحدة
من اكتوبر ١٩٨٩ وحتى نهاية
مارس ١٩٩٠



للمزيد من المعلومات وللحصول على كتيب مفصل عن مستشفى فلوكس العائم ، إتصل بمندوب فلوكس في منطقتك على العناوين التالية

شرف للسفريات
ص ب ٥٥٦١
دبي - الامارات العربية المتحدة
هاتف ٥٢٦٦٦٣٦/٥٥٥ ٥٢
فاكس ٥٣١ ٥٢
تلكس ٨ ٤٦٦ شرف إي إم

شركة الشرق للتجارة والملاحة المحدودة
ص ب ١٦٠
جدة ٢١٤١١
المملكة العربية السعودية
هاتف ٦٤٨١٥٤٨
فاكس ٦٤٧٦٧٧٥
تلكس ٣ ١٢٠ ٦ بوكاري اس جي

شركة الشرق للتجارة والملاحة المحدودة
ص ب ٢٠٦٣٨
الرياض ١١٤٦٥
المملكه العربية السعودية
هاتف ٤٧٦٨١٠٨
فاكس ٩٨٧ ٤٧٦
تلكس ٤٠٤٤٦١ بوكاري اس جي

شركة الشرق للتجارة والملاحة المحدودة
ص ب ١٠٦
الدمام ٣١٤٣١
المملكة العربية السعودية
هاتف ٨٣٤٦٣٤٢
فاكس ٨٣٣١٥٧١
تلكس ١٣٥٣ ٨ بوكاري اس جي

شركة وكالات الراشد للملاحة
ص ب ١٣٣٢٠
الصفاة ١٣٠٣٤
الكويت
هاتف ٢٤٢٢٠٢٦
فاكس ٢٤١٠٥١٤
تلكس ٢٢٢٢٠

وكالة البحر الاحمر للملاحة
عمان، الاردن
هاتف ٣ ٦٠٣٧
فاكس ٦٧٢١٧٠-٦-٩٦٢
تلكس ٢١٩١٢ ريدشيب جي أو

سفريات البحرين
ص ب ١٠٤٤
المنامة - البحرين
هاتف ٢١٢٢١٥
فاكس ١٧٥ ١١

مركز عبر الشرق للسفر والسياحة
ص ب ٩٣ - دوحة - قطر
هاتف ٤٥٨٤٥٨ / ٤٢٦٠٩
فاكس ٤٣٢٦٩٨ -
تلكس ٤٥٢٨ دي اتش

سفريات الفضاء
ص ب ١٤٩٢٠
دوحة - قطر
هاتف ٤١٢١٠٠ فاكس ٤١١٩٨٢
تلكس ٩ ٤٣٠ سماي دي اتش

سفريات ايهاب ش م م
ص ب ٨٨٩
مسقط - عمان
هاتف ٧٩٦٩٨٩
فاكس ٧٠٣٨٦٢
تلكس ٢٥٧٥ ايهاب اون

وكالات الهيجاء للملاحة
ص ب ٧٣٩٥
موتيه - عمان
هاتف ٧٩٣٤١٥/٧٩٧٠١٠
فاكس ٣٩ ٧٩٨
تلكس ٣٣٨٣ الناي اون

تأملات معاصرة

جذور المجتمع

خلال جولتنا في غابات كاليفورنيا أشار الدليل الى أن جذور شجرة السيكويا العملاقة غير عميقة في الارض. فقلت متعجباً: "هذا مستحيل، فأنا ابن الريف وأعلم أن الريح تقتلع الاشجار اذا لم تنغرز جذورها عميقاً." فأجاب الدليل: "هذا لا ينطبق على شجرة السيكويا، فهي لا تنمو الا في غياض، وتتشابك جذورها تحت سطح الارض، حتى اذا هبّت ريح قوية تماسكت ودعم بعضها بعضاً."

وفي هذا عبرة. فالناس يشبهون أشجار السيكويا العملاقة. فالعائلة والاصدقاء والجيران والجماعات الاخرى يجب أن تكون ملاجىء، حتى اذا ما هبّت رياح الحياة العاصفة عمل هؤلاء الافراد على تعزيز بعضهم بعضاً وكافحوا معاً في سبيل الصمود.

ل.ت.

السينما المذنبة

هناك موضوع يتكرر باستمرار في الافلام المعاصرة وهو أن الصناعيين العمالقة يسيطر عليهم المكر والطمع وحب السلطة. والصناعيون الكبار الذين تصورهم أفلام هوليوود مثيرون للكراهية على نحو متشابه.

إن كراهية من هذا النوع لا يمكن تفسيرها الا بحسب مبدأ "الانعكاس" الفرويدي القائل بأن المرء يرى عيوبه في غيره. فما هو قطاع الاعمال الأقل اخلاقاً والأكثر استعداداً لتقديم الاعتبارات المادية على المصلحة العامة؟ انه بالطبع قطاع الصناعة الترفيهية الذي يفسد أولادنا ويشجع العنف واللامسؤولية والانفلات الاخلاقي في سبيل تحقيق الارباح.

ان مبالغات هوليوود في تصوير عالم الاعمال ليس سوى انعكاس لضميرها المثقل بالذنوب.

د.ف.

اعالة البطالة

الاعالة الحكومية للعاطلين عن العمل مبدأ سيىء، ليس بسبب كلفتها الباهظة ولا لأنها تقوّض أخلاقية العمل، بل لأنها تتعارض والسبل التي اتبعها الانسان لتحقيق العيش الكريم.

"وول ستريت جورنال"

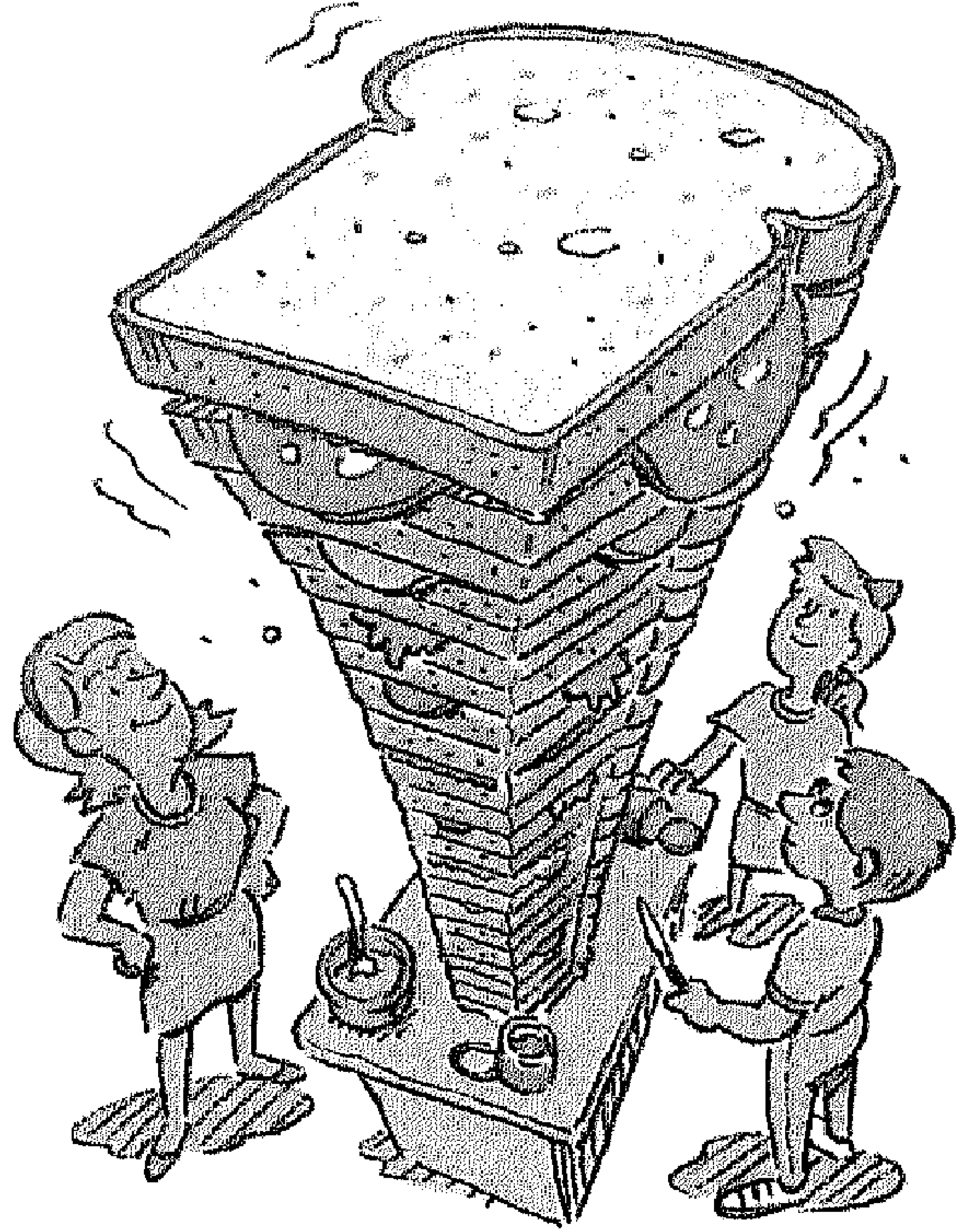
ضباب الحنين

الحنين يشبه المخدّر: فأنت لا تشعر بالألم بل بغموض ذهني جميل. عندما نتقدم في العمر لا تهمنا الاشياء كما كانت بل كما نتذكرها.

ر.ن.و.

كيف يمكن تحضير غداء سنة لخمسة أولاد؟

السندويش الكبير



لا يمكنك اختصار الطريق مع الأطعمة المثلجة

صباح يوم سبت، والسنة الدراسية على وشك أن تبدأ، دعت والدتي خمسة من أولادها السبعة الذين هم في عمر الدراسة. وواكبتنا الى المطبخ. هناك ووجهنا بـ٧٤ رغيفاً كبيراً، وثلاثة دلاء ملأى بالزبدة والمربى والمايونيز، وقدر كبيرة من سلطة البيض، وبرميل من سمك التن، وقصعة عظيمة من الجبن، وطبق من النقانق المشرحة.

كانت والدتي سئمت توضيب الغداء لخمسة أولاد كل مساء على مدى خمسة أيام في الأسبوع وتسعة أشهر من السنة. ومن حظنا أننا وقعنا على ثلاجة تستوعب ٩٢٥ شطيرة او نحوها تكفي الأولاد الخمسة خلال العام الدراسي.

باشرنا العمل في العاشرة صباحاً. مرت عملية التصنيع بهدوء لبعض الوقت. كان كل واحد منا يعمل مستلهماً قناعة أننا نبتكر الشطائر التي سنأكلها نحن. لذلك جاءت النتائج شطائر رطبة سمينة والتوابل معيَّرة بدقة لترضي أذواقنا الشخصية.

نحتنا الشطائر على هذا المنوال لمدة ثلاث ساعات بمعدل أربعة للشخص الواحد في الساعة الواحدة. وبعيد الظهر أدركنا أننا اذا تابعنا على هذه الوتيرة فلن تنتهي قبل أسبوع. فتدخلت الوالدة وأصدرت حكماً نافذاً يقضي بابدال التصور المثالي الرأسمالي للمبادرة الفردية الرامية الى الربح الشخصي، بنظام الحصص النِسبية.

وهكذا أُممت الكدسات الخاصة بكل واحد منا. ستكون الشطائر كلها ملكاً

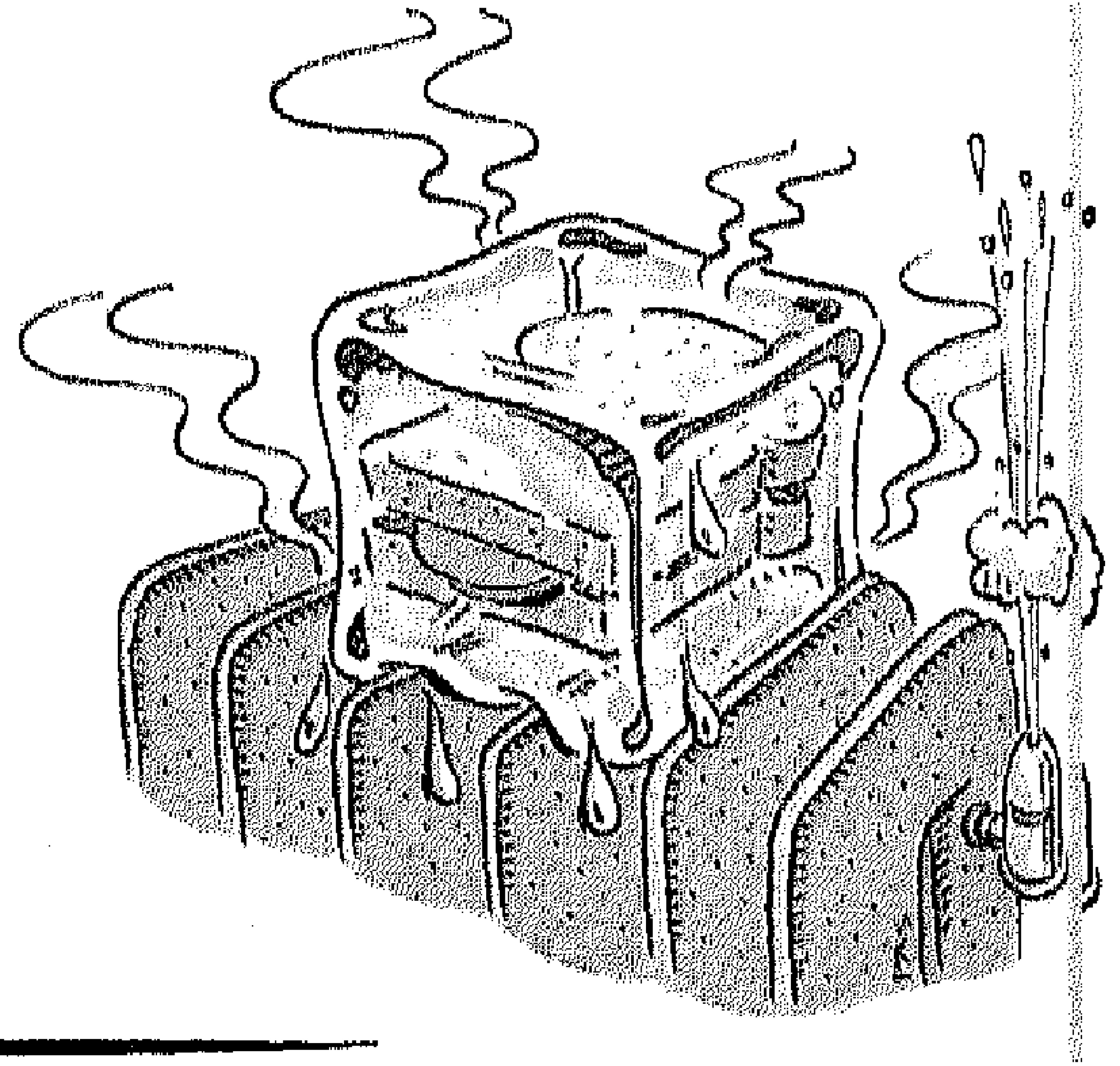
للمجموعة. وتابعنا عملنا بهمم مثبطة.

ضربت نوعية انتاجنا بتراجع حاد مفاجيء. شطائر كثيرة وجدت طريقها الى الثلاجة خالية من المايونيز أو التوابل. وتصاعدت روح الشر على نحو تعذر اجتنابه. أخذ بعض عناصر الفريق يتعمدون مرغ الهلام فوق سمك التن أو مزج الزبدة بسلطة البيض.

وعندما اقترب المساء بدأنا نتجادل حول حصصنا التي وجدناها كبيرة جداً. وبدا محتملا أننا سنمضي بين ٣٥ و٤٠ يوماً مرضى تلك السنة. وكنا متهيئين فعلا لضمان حدوث ذلك.

وعندما اقتربت ساعة العشاء خفضت والدتي كمية العمل الى عدد الشطائر التي أنجزناها والتي تجاوزت الثمانمئة.

في ذكرياتي عن ذلك الخريف وذاك الشتاء صورة الخبز الأبيض في حالاته الثلاث: الجامدة والسائلة والغازية. لقد تعلمنا أنه عندما يذوب الثلج عن شطيرة



فان سمك التن وسلطة البيض يكسبان الخبز طراوة لزجة. كما تبين لنا أن النقانق والجبن تتسبب في اختفاء عناصر المايونيز.

في الاسابيع الاولى من السنة الدراسية كنا ننسى سحب الشطائر من الثلاجة في الوقت المناسب لتذويب الثلج عنها، فنضعها في الفرن في غرفة الغداء بالمدرسة ونقلّبها. وكانت حبال البخار تنبعث من الورق المشمع. وحين ينفد صبرنا كنا نحاول التهام الشطيرة الذائبة، فنقضم الأطراف اللينة حتى نصل الى قلب المنطقة القطبية حيث كان الاستكشاف البشري مستحيلا.

وحلّت النهاية من دون أن نتوقعها في شهر مارس (آذار). فلمدة أيام حاولنا لفت الانتباه الى نوع من البقع على وجه شطائرنا. وبعد فترة وجيزة أظهرت الاختبارات في ملعب المدرسة قدرة التلاميذ المعصوبي الأعين على تحديد مكان شطائرنا الذائبة من مسافة أربعة أمتار.

وذات يوم تبعنا الوالدة الى القبو حيث تفحصت الشطائر وأرسلت تنهدة طويلة ثم قررت ببساطة: "لقد أتلفها الصقيع."

انتظرنا هناك برهة واقفين بذهول أمام الثلاجة الضخمة ننظر الى الكدسات الأنيقة من الغداء الذي انتهت مدة صلاحه. ورقص قلبي بهجة.

كالن مورفي ■

المتشائم يشكو من الريح. والمتفائل ينتظر تغيُّر اتجاهها. والواقعي يضبط الاشرعة.

و.أ.و.

دعي طفلك ينمو مع سيريلا

سيريلاك
Cerelac
Wheat-Banana
بالقمح والموز

سيريلاك
Cerelac
Rice بالأرز

سيريلاك
Cerelac
Wheat 4 fruits
بالقمح مع ٤ فواكه
Nestlé
نستله



Reader's Digest
المختار
ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٩
جمادى الاولى ١٤١٠
السنة الثانية عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب ومقال لكل يوم بأسلوب ممتع

أطلق صرخة في وجه تجار المخدرات وشن حرباً كادت تكلفه حياته

عربي يتحدّى تجّار المُخدّرات

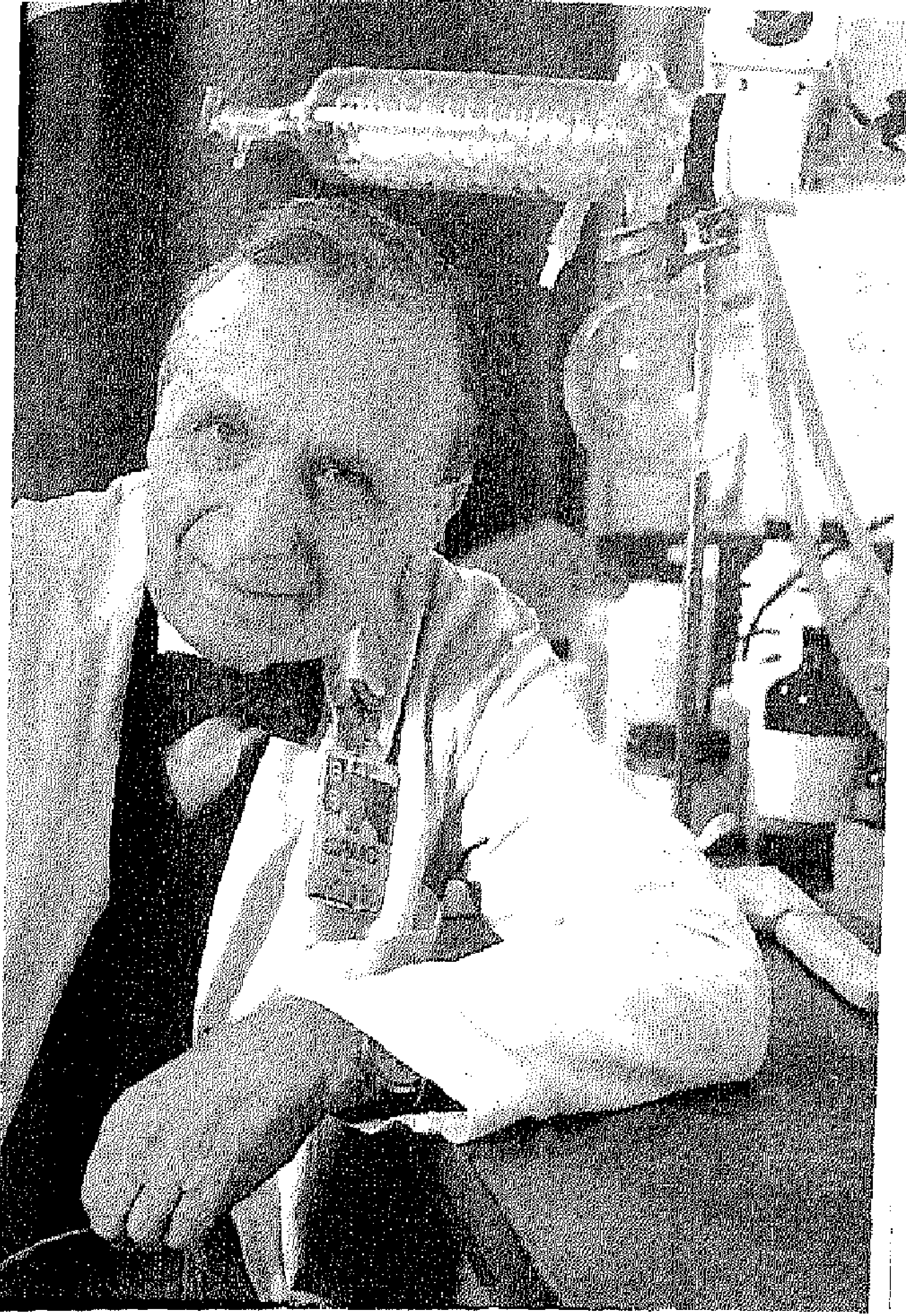
حين رن جرس الهاتف في الثالثة صباحاً رفع الدكتور غبريال نحاس السماعة وأصغى الى صوت يقول: "نحاس، ما لم تتوقف عن العمل لمؤتمر الماريوانا فستجد نفسك غارقاً في قاع نهر الهدسون منتعلا حذاء من إسمنت."

أقفل الدكتور نحاس السماعة بهدوء. وتململت زوجته ماريلين في فراشها ثم سألته بصوت يغالبه النعاس: "من المتكلم؟"

أجابها بلا مبالاة: "الرقم خطأ."

لم يكن من اليسير إفزاع الدكتور نحاس حتى إن كانت المكالمة موجهة الى رقمه غير المدرج في دليل الهاتف. فهو تلقى سابقاً تهديدات بالقتل وغدا معتاداً آنذاك، في العام ١٩٧٨، الكثير من أشكال الازعاج.

وكان منها، على سبيل المثال، تحطيم سيارته الفولكسفاكن الخضراء المتوقفة في أحد شوارع مانهتن بمطرقة ثقيلة، وادراج اسمه على لائحة أعداء مجلة "بلايبوي" للعام ١٩٧٨، وبيع محلات العقاقير المخدرة والمقوية لعباً تشبهه، مع دبابيس معدَّة للغرز في بدن اللعبة،



كي يُطلق مدخنو الماريوانا العنان لمشاعر الكراهية ضد هذا الرجل.

اما لماذا كان هذا العالِم البحاثة هدفاً لمثل هذه الكراهية الحادة، فلأنه الوحيد الذي سمى الماريوانا مخدراً خطراً، وعرّفها بأنها ضارة جسدياً ونفسياً واجتماعياً، الأمر الذي لم تستسغه أسماع كثير من الأمريكيين، كما عمل أكثر من أي شخص آخر على نشر هذه المعلومات في الاوساط العلمية.

إباحة المخدر. باشر الدكتور نحاس حملته وحيداً في العام ١٩٦٩. وشنّ على مدى عقد من الزمن حرباً شعواء ضد جبابرة عملوا بقوة المال والنفوذ على إقناع الامريكيين بأن الماريوانا مخدر غير ضار بتاتاً، بل مفيد لقضاء أوقات ممتعة. وخلصوا الى وجوب إلغاء العقوبات الجنائية المتعلقة بالماريوانا، وابدالها بغرامات مدنية تماثل غرامات مخالفات السير، الى أن يصار الى تشريع استعمال المخدر.

وشاع تعاطي المخدرات في أواسط الستينات مروراً بالسبعينات بفعل موسيقى "الروك" وأفلام التلفزيون والسينما التي صورته متعة جذابة ومقبولة. في تلك الاثناء كان الاتجار بالمخدرات مشروعاً تماماً وبلغت أرقام مبيعاتها ملايين الدولارات.

كما حظي أنصار الماريوانا خلال هذه الفترة بدعم بعض أكثر شخصيات المجتمع الأمريكي احتراماً ونفوذاً، بدءاً بالبيت الابيض ونزولا الى جميع القطاعات الفاعلة. وطاولت الحملة الداعية الى إباحة المخدر جميع شرائح المجتمع الأمريكي وبقيت متغلغلة فيه الى يومنا. وحتى البرامج المدرسية المعدَّة لتوعية الطلاب الى مخاطر المخدر استكانت لهذه الحملة.

وكانت "المنظمة الوطنية لتعديل قوانين الماريوانا" في طليعة العاملين على تشريع هذا المخدر. وقد حظي أعضاء المنظمة في عهد الرئيس كارتر بعلاقات

PHOTO: © SAL DIMARCO, JR.

ممتازة مع البيت الابيض. وفي ٣ اغسطس (آب) ١٩٧٧ ألقى كارتر خطاباً أيد فيه رفع العقوبات الجنائية عن الماريوانا، وليس تشريعها.

أما القوة الأكثر دهاء وفاعلية في الحملة الداعية الى إباحة المخدر فكانت "هيئة سوء استعمال المخدرات" التي أوجدتها مؤسسة "فورد" عام ١٩٧٢ "لتقديم دراسة مستقلة عن الأنظمة العامة المتعلقة بالمخدرات." وبفضل علاقاتها البارزة تمكنت هذه الهيئة من نشر مفهومها الداعي الى استعمال المخدر "بمسؤولية" في الدوائر الحكومية والهيئات الخاصة.

ذكريات أليمة. وسط هذه الحال من القبول والاعلام الموجّه، تصاعدت نسبة تعاطي المخدرات في بداية السبعينات الى درجة أصبح معها الشعب الأمريكي أكثر شعوب الارض استعمالا للمخدرات، وفي طليعتها الماريوانا. وقد كانت نسبة التعاطي هذه لا تتعدى ٤ في المئة في بداية الستينات.

وذات أمسية من شهر أبريل (نيسان) ١٩٦٩ بدأ غبريال نحاس حملته وحيداً. كان في التاسعة والاربعين من عمره أستاذاً لعلم العقاقير في كلية الاطباء والجراحين بجامعة كولومبيا في نيويورك. حضر نحاس وزوجته في هذه الامسية اجتماعاً للأهلين في مدرسة ابنته البالغة ١٤ سنة. وكم كان ذهوله شديداً حين سمع المتكلم، وهو رقيب في مكتب مكافحة المخدرات المحلي، يقول: "قد لا تصدقون أن اولادكم يتعاطون الماريوانا يومياً."

وفيما تابع الرقيب عرض الحقائق والارقام عاد الدكتور نحاس بالذاكرة الى حادثة أليمة صادفته يوم كان يتمشى مع والده في شوارع الاسكندرية، مسقط رأسه. سأل والده آنذاك: "أبي، قل لي ممَّ يشكو هؤلاء الحشاشون؟" وكلمة "حشاش" كانت تُطلق على المتسوِّلين في شوارع المدينة.

أجابه والده: "آفة هؤلاء الحشيشة."

وعاد يسأل: "ولكن، لماذا تجعلهم الحشيشة هكذا؟"

هز والده كتفيه غير مبال وقال: "لا أحد يدري."

تلك الذكريات، وحرص نحاس على مستقبل أولاده الثلاثة، ووفاء لذكرى والده، دفعته لاحقاً الى دراسة الماريوانا. وقد بدأ مساره يتحدد في التاسعة من عمره عندما أصيب والده بشاره بمرض تصلب الشرايين وانتقلت العائلة من القاهرة الى باريس طلباً للعلاج على أيدي أختصاصيين. لكن هؤلاء لم يقدروا على شفاء الوالد الذي توفي بعد عامين. وتقهقرت العائلة من البحبوحة الى الفقر. غير ان الوالدة مضت في تدبير شؤون العائلة بشجاعة وحزم، ودفعت أولادها دوماً الى تحقيق الافضل.

وحين بدأت الحرب العالمية الثانية كان غبريال في منتصف تحصيله العلمي في كلية الطب. اذ ذاك انضم الى صفوف المقاومة واقتصرت مهمته في البداية على توزيع الرسائل والمنشورات. وذات صباح دهمت الشرطة السرية في حكومة "فيشي" غرفته وقبضت عليه بجرم حيازة منشورات. وأخضع لتعذيب قاس اذ أجلس

الى كرسيّ لطب الأسنان، وبدأ ضابط يدق مسماراً في مؤخر رأسه، وكان يسأله مع كل دقة عن مصدر المنشورات. لكنه رفض الادلاء بأي معلومات، ثم غاب عن الوعي تحت وطأة التعذيب. ولما أفاق من الغيبوبة وجد نفسه ملقى في غياهب السجن.

وبعد ثلاثة أشهر ونصف شهر من الاعتقال، أطلق. فما كان منه الا أن عاود الانضمام الى صفوف المقاومة. وفي العام ١٩٤٣ أسندت اليه ادارة شبكة سرية مهمتها تهريب طياري الحلفاء وعملائهم. فنجح بتهريب أكثر من ٢٠٠ شخص، بينهم جنرالان بريطانيان، عبر فرنسا المحتلة وجبال البيرينه الى اسبانيا المحايدة.

وعندما وضعت الحرب أوزارها أنهى نحاس دراسة الطب وانتقل الى الولايات المتحدة على أثر حصوله على منحة. وهو نال ثلاثة أوسمة للبطولة هي الارفع في فرنسا وجُعل عضواً فخرياً في "رتبة الامبراطورية البريطانية"، كما مُنح وسام الحرية من الرئيس الامريكي آنذاك هاري ترومان.

هذا هو باختصار البطل القومي الذي نعته مروِّجو المخدرات في ما بعد بـ"الفاشيّ" على أثر حملته ضدهم.

هراء خداع. حين بدأ الدكتور نحاس أبحاثه في العام ١٩٦٩ أدرك صعوبة الحصول على التمويل اللازم لدراسة أخطار المخدر. والسبب في ذلك حدَّده أحد العلماء لاحقاً في أحدى جلسات التحقيق الاولي في الكونغرس: "أن الطريق الوحيد المضمون للحصول على أي تمويل لأبحاث الماريوانا هو الاعلان أنها مخدر غير ضار نسبياً وأن توقعات البحث ستؤيد هذا المنحى."

واذ تحقق نحاس من أن لا سبيل الى أي مساعدة رجع الى ما تجمع لديه من مال خاص واستحصل على مبلغ آخر من عائلته وزملائه وبدأ تحقيقاته.

وفي العام ١٩٧٣ نشر دراسة تتضمن ملاحظاته حول موضوع اكتساب المقاومة للحشيش (القنّب) معززاً اكتشافات سابقة لباحثين آخرين. وقد قلب هذا الاكتشاف المفهوم السائد ان الاكثار من تدخين الماريوانا يخفف الحاجة اليها. وفي العام نفسه أكمل مُؤلَّفه "الماريوانا – النبتة الخداعة" الذي يضم ٢٣٤ صفحة وفيه عرض شامل للاخطار البيولوجية والاجتماعية التي ينطوي عليها الحشيش والتي لوحظت خلال مئتي عام.

ولم يلقَ نحاس سوى التشهير بشخصه وبكتابه. وكان أول الغيث مراجعة للكتاب أجراها لستر غرينسبون، وهو عالم نفساني بجامعة هارفرد وعضو الهيئة الاستشارية في "المنظمة الوطنية لتعديل قوانين الماريوانا." وقد نشر غرينسبون مراجعته في مجلة "نيو إنغلند" الطبية ووصف ما ورد في الكتاب بأنه "اتهامات بلا أساس هدفها الاثارة." واتهم نحاس بالعمل على تأخير قبول الماريوانا اجتماعياً. كما راجع الكتاب نورمان زنبرغ وهو أيضاً عالم نفساني وعضو في الهيئة ذاتها، ووصفه في مقال الى مجلة "مشاكل المخدرات المعاصرة" بأنه "هراء خدَّاع كتبه رجل يسعى بوسائل

وَصفةٌ قاسيَة

كثيراً ما يُسأل الدكتور نحاس عن أفضل السبل للحد من العرض والطلب للمخدرات غير المشروعة، يقول: أولاً، يجب مقاضاة تجار المخدرات بمثل عقوبة القتل المتعمد، أي العقوبة القصوى. ثانياً، يجب ان تركّز وسائل الاعلام في المدارس وكل مكان آخر على شرح النتائج الضارة لتعاطي المخدرات، وتشدد على "الكف قطعاً عن استعمال المخدرات غير المشروعة." وينبغي ان ترافق الاعلام برامج ارشادية حول ضمان الصحة العقلية والجسدية. لكن الدكتور نحاس يحذر من "صعوبة ارشاد الاولاد الى العادات الصحية الحسنة في غياب الارشاد الأخلاقي." فلقد وصلت بعض البلدان، والولايات المتحدة في طليعتها، الى حد الاعتقاد أنه "من غير الاخلاقي فرض الدروس الاخلاقية." ثالثاً، وأخيراً، يجب خفض عدد الملايين من المدمنين، وإن تطلب ذلك الاحالة الاجبارية على برامج التأهيل والمعالجة.

واللافت ان دولاً، بينها اليابان، نجحت في دحر "أوبئة" المخدرات فيها باتباع هذا البرنامج المثلث.

معيبة الى كسب حفنة من المال باستغلال قلق الناس المتزايد من سوء استعمال المخدر."

ولكن بدلا من "كسب حفنة من المال" راح نحاس ينفق من أمواله الخاصة للسفر الى أنحاء الولايات المتحدة، لافتاً الرأي العام الى أخطار الماريوانا. في تلك الاثناء كانت "الهيئة الوطنية لتعديل قوانين الماريوانا" تمارس الضغوط خلال الفترة الممتدة بين ١٩٧١ و١٩٧٩ لحث المجالس التشريعية في الولايات على "رفع العقوبات الجنائية" عن الماريوانا. وحده نحاس خرج من برج العلم العاجيّ وتجرأ على ان يشهد ضد أخطار المخدر.

وفي ٧ مارس (آذار) ١٩٧٣ تلقى مكالمة هاتفية دعته الى حضور جلسة تحقيق أولي في مدينة بوسطن حول رفع العقوبات عن المخدر. كان الوقت قصيراً والمسافة طويلة، وعليه الحضور الى بوسطن في اليوم نفسه. ترك أعماله وسارع الى المطار ووصل الى مبنى الـ"كابيتول"(١) في الوقت المحدد لشهادته، متحدياً الاضداد.

وفيما كان يدلي بأقواله عن إدمان المخدر، قاطعه رئيس اللجنة بقوله: "علمنا هذا الصباح من الدكتورين غرينسبون وزنبرغ أن ليس ثمة خطر في ادمان المخدر."

هزّ الدكتور نحاس كتفيه بلا مبالاة واستدار مواجهاً الجمهور ويداه ممدودتان وقال: "حسناً، يبدو أن بوسطن هي الوحيدة التي يؤثر فيها المخدر هكذا. ولكن في انحاء العالم يسبب المخدر الادمان." وفي نهاية المطاف استجابت

(١) الكابيتول هو مبنى الكونغرس الامريكي، كذلك مبنى الهيئة التشريعية في كل ولاية.

ولايات مساتشوستس ونيوجرزي وكانساس وتكساس وكونيتيكت لآراء الدكتور نحاس ورفضت رفع العقوبات الجنائية عن الماريوانا.

تابع الدكتور نحاس حربه ونشر في العامين ١٩٧٣ و١٩٧٤ ٣٠ دراسة بينها ٢٣ عن الماريوانا. وقد نشرت مجلة "ساينس" (العلم) المرموقة احدى هذه الدراسات الحاسمة في تبيان المضار الصحية للماريوانا وأثرها في جهاز المناعة. وشجّعت الحملة الاعلامية الدكتور نحاس على مساعدة صديقه ديفيد مارتان، المحلل لدى اللجنة التشريعية في مجلس الشيوخ، في تنظيم جلسات التحقيق حول مخاطر الماريوانا عام ١٩٧٤. وظنَّ الاثنان ان الرأي العام سينبّه أخيراً الى مضار الماريوانا، وسيصار الى وضع حد نهائي لهذا الوباء. لكن الحدث مضى من دون تغطية اعلامية، كما مضت الأيام الستة التي استغرقتها التحقيقات من دون أن يسمع بها أحد."

قاعدة متينة. تابع الدكتور نحاس أبحاثه بعناد وأصدر مجموعة من ٩٩ دراسة عن الماريوانا و١٢ دراسة عن الكوكايين في الفترة الممتدة بين ١٩٧٣ و١٩٨٧. كما كتب أو اشترك في تحرير ١١ كتاباً، ستة منها حول الماريوانا وواحد حول الكوكايين وأربعة حول الإدمان، من هذه "حروب الكوكايين" و"كيف تنقذ طفلك من المخدرات" (٢).

بدأت القرائن والاثباتات التي جمعها الدكتور غبريال نحاس خلال جهاده الطويل تغيِّر الاوضاع والمواقف. وهو وجد حوله أخيراً حلفاء جدداً يساندونه.

وقد وصف الدكتور دونالد ماكدونالد مساعد وزير الصحة الامريكي، زميله الدكتور نحاس بقوله: "غابي بطل حقيقي. ولا شك في أن بصيرته وتصميمه على اتخاذ موقف ثابت، على رغم الاخطار الشخصية، ساهما الى حد بعيد في تغيير مفاهيم الامريكيين ومواقفهم من المخدرات."

وطوال عمله الدؤوب ناصرته جمعيات الآباء المناهضين للمخدرات واعتبرته بطلا. وبفضل أبحاثه ومحاضراته ومقالاته وكتبه تزوّد هؤلاء الآباء قرائن وإثباتات علمية تدعم حسهم الفطري بأن الماريوانا تؤذي أولادهم. وبوضع هذه القاعدة المتينة من المعلومات ساهم هذا الرجل الباسل في منع المخدرات من تحطيم حياة كثيرين.

بيغي مان ■

(٢) Cocaine Wars; How to Save Your Child from Drugs



عجباً!

قال رب العمل للموظف الجديد: "كان يجب أن تكون حاضراً في التاسعة صباحاً."
فرد الشاب: "لماذا؟ ماذا جرى؟"

ب.م.

الصداقة روح الزواج

إذا كانت ثمة أمنية واحدة لأي زوجين فهي أن يكونا رفيقين حميمين مدى الحياة. ومع أن معظم الرجال والنساء يدركون أن الحب أساسي لرباط كهذا يستمر مدى الحياة، فهم عادة لا يعون أن الحب من دون صداقة حميمة ليس سوى "وهم هورموني." لا يستطيع المرء اشتهاء شخص آخر على المدى الطويل من دون أن تربطه به أمتن علاقات الصداقة.



الرومنسية "تحكي" الحب لكن الصداقة تضعه على المحك

ان غياب الصداقة يؤدي الى تضارب في التوقعات مما يولّد الارتياب والارتباك وفي النهاية التباعد.

يقول ميشال الذي مضت على زواجه ١٣ سنة: "كانت زوجتي صديقتي المفضلة. ولكن مع مرور السنين تباعدنا. لم نعد نضحك كما كنا نفعل سابقاً... ونادراً ما نمارس الجنس. أشعر بجوع عاطفي، لكنني لا أعلم كيف أغير واقعي. وقد بدأت أتصور نفسي مع نساء أخريات، وهذا يخيفني."

وتشكو راشيل المتزوجة منذ ١٦ سنة أنها عندما تحاول التقرب من زوجها يستنتج فوراً أنها تحاول أن ترتب "فصلا" رومنسياً. تقول: "انه يعرف أنني رومنطيقية، لكنني أيضاً أريد أن أكون صديقة له. وهو يخلط بين الامرين. يعتقد أنني اذا أردت قضاء عطلة نهاية أسبوع هادئة بعيداً فذلك يعني رغبتي في أن نجلس الى مائدة تنيرها الشموع ويحدق واحدنا في عيني الآخر. وهذا ليس صحيحاً."

ان الصداقات الناجحة بين الازواج تمزج مشاعر الحنان والرفقة مع الجنس والعاطفة، وهذه مهمة شاقة. وفي حقل مهنتنا كعلماء نفس سريريين، توصلنا الى تحديد خمسة عوائق للصداقة في الزواج هي الآتية:

١ الافتراضات الخاطئة. أحد الاسباب التي تضعف حسن المعشر بين الازواج هو أنهم يفترضون، من دون وعي منهم، أن الشريك يختلف عن الصديق. هؤلاء الافراد قد يصفون شريكهم بالعاشق، أو بالمعشوق، او بالشخص الذي يحمونه بشراسة. ويغيب عن بالهم مفهوم الشريك كنظير ورفيق وصديق.

مثل هؤلاء يملكون نظرة عتيقة للزواج ترى فيه تشابكاً للوظائف والحاجات وليس صداقة. ويبحثون خارج نطاق علاقتهم الزوجية عن أمر بسيط وعادي كالصداقة. انهم عادة أكثر كرماً مع الآخرين منهم مع شركائهم.

٢ فقدان المشاركة. خلال الفترة الرومنطيقية للعلاقة تسيطر مشاعر الاثارة والسعادة والنشوة. لكن مشاركة المخاوف والاهتمامات هي التي تجعل الالفة ممكنة. تحكي الرومنسية الحب، لكن الصداقة هي التي تضع الحب في قمة الاختبار. ان الاحساس بأن هناك انساناً يمكنك الاعتماد عليه في السراء والضراء أمر أساسي للصداقة.

جينا المتزوجة منذ ثلاث سنوات قلقة لما أصاب العلاقة بين والديها، وهي تقول: "انني قلقة جداً لأن أبي بدأ يتعاطى الكحول، لكنني لا أقوى على مفاتحة زوجي ريتشي بالموضوع، وهذا ما يشعرني بالغربة عنه."

وهي في الواقع لا يمكنها مناقشة الامور مع زوجها الا إذا توافرت لهما فسحة كبيرة من الوقت، "لكن ذلك هو الوقت الذي يحب أن يكون فيه رومنطيقياً خالياً من الهموم ومن الكلام عن أمر جدي قد يزعجه."

هكذا يعمل ريتشي على ايذاء علاقته

الزوجية. ان انشغاله بالرومنسية يمنع عنه وعن زوجته الالفة الحقيقية والصداقة. وعلى جينا أن تقول له: "أفهم أهمية الاسترخاء بالنسبة اليك عندما نتمكن من الاختلاء معاً. لكنني أرغب أيضاً في التحدث اليك عن أمور تقلقني، وفي هذه اللحظة أخشى أن يكون والدي في ورطة حقيقية."

ان صراحتها وصدقها في ما يختص بمشاعرها، واقرارها في الوقت ذاته بانزعاج ريتشي من المشاعر القلقة، يمكن أن تؤدي الى مزيد من الانفتاح في علاقتهما.

٣ تبادل غير متكافىء. تحصل الصداقة فقط عندما نتقرب من شريكنا على أسس المساواة. وعوض البحث عن الأخذ والعطاء في علاقة متكافئة، قد نفرض آمالاً غير واقعية على شريكنا تمنع تحقيق الصداقة بيننا.

جون المتزوج منذ ١٢ سنة يصر على أن زوجته كاثرين ليست صديقة جيدة كما يريدها أن تكون. أما المشكلة فتكمن في أنه ينتظر من زوجته مقداراً مفرطاً من الاستحسان والاطراء، والسبب في ذلك يعود جزئياً الى ذكائها ودهائها. وهاتان هما الصفتان اللتان جذبتاه اليها بالدرجة الاولى. ولكن عندما تحاول كاثرين انتقاده فانه ينفر منها ويبتعد.

الاصدقاء يقدمون تشجيعاً صادقاً، وينتقدون بصدق أيضاً. وعدم سماح جون لزوجته بذلك يوقف وسائل الاتصال بينهما ويمنع الصداقة من أن تزهر. انه يرغب في صورة أم تمنحه الحب غير المشروط والاطراء الدائم. لكن ما يحتاج اليه هو صديق مخلص.

٤ عدم القبول. نشعر، كأزواج وزوجات، بأن لنا حقاً في أن نطلب من شريكنا أن يغير هذه الصفة أو تلك، وفي الوقت عينه نريده أن يكون صديقنا. وننسى أن الاصدقاء يحتملون الفوارق.

ان التقبل والتفهم الذي نحصل عليهما من خلال الصداقة هما ما يجعل هذه العلاقة حيوية ومريحة. نحن لا نتوقع أن يكون أصدقاؤنا على شاكلتنا وكأنهم مرآة لنا. لكن كثيرين منا يتوقعون أن يكون شركاء حياتهم كذلك.

٥ تغذية الضغائن. للتوصل الى صداقة حقيقية في الزواج يجب ان نطرح الضغائن القديمة والامتعاضات. لاحظوا: لا ذكر هنا لضرورة العمل على ايجاد حلول. فمعظم العقد القديمة لن تحل أبداً، ومحاولات حلها نهائياً هي غالباً محاولات مبطنة لتحقيق انتصار نهائي. يجب أن نصرف مثل هذه العقد عن بالنا ونتابع حياتنا.

ان الازواج الذين يريدون التقرب من شركاء حياتهم ينجحون في ذلك عندما يغيرون تصرفهم لا كلامهم. عندما يتصرفون بطريقة جذابة مفعمة بالحياة تَعِد برفقة دافئة. عندئذ يتجاوب الشريك.

مضى على زواج جايسون وليليان ٢٣ سنة. ومرت عليهما أيام سعيدة وأخرى تعيسة. وشعر جايسون بميل الى امرأة أخرى، وعرفت زوجته بالامر مما ادى الى

سنوات من الالم وفقدان الثقة. والى ذلك كان جايسون نزّاعاً الى انتقاد ليليان مما أبعدها عنه أكثر. وبعدما كبر أولادهما وغادروا المنزل صعب عليهما مواجهة "العش الفارغ." وهذا ما جعلهما قلقين. عند هذه النقطة اتفقا على التسليم بالبقاء معاً .

في البداية لام جايسون ليليان لأنها لم تكن تبدي حماسة عندما كان يعرض عليها نشاطات جديدة تناسب ذوقه. وكانت ليليان تحب السفر في رحلات ترفيهية وكان هو يكره هذه الفكرة. وأخيراً قرر جايسون التوقف عن التصرف بسلبية وأنانية وتدبر رحلة كان يعرف ان زوجته ستحبها. كانت هذه نقطة التحول في حياتهما، فهي التصرف الوحيد غير الاناني الذي عبر عن اهتمامه بزوجته أكثر من أي تأكيد كلامي.

بعض الازواج أنانيون أكثر كثيراً مما يدركون. الناس يهبون أنفسهم للاصدقاء، ويبحثون معهم عن اهتمامات مشتركة، ويتنبهون الى الحوادث التي تحصل في حياتهم. لكن الامور تتبدل مع شريك الحياة.

الصداقة حركة. انها تحدث عندما نفعل شيئاً يشجعها، عندما نخطو خطوة في اتجاه شريكنا، عندما نضع أنفسنا في عالم اهتماماته وحاجاته. كلنا وحيدون أساساً في هذه الحياة، لكن الصداقة تغني الزواج اذ تشعرنا بأننا مقبولون ومفهومون ومحبوبون.

ملفين كندر وكونيل كوان ■



مثله تماماً!

أصرت احدى الامهات على أستاذ موسيقى أن يستمع الى تسجيل لعزف ابنها الموهوب على الكمان. فوافق الرجل أخيراً على الاستماع. فأدارت المرأة شريط المسجلة.

يا لروعة هذه الموسيقى، قال العازف في نفسه. فالقطعة صعبة لكنها عزفت بعبقرية أغرقت عينيه بالدموع. وأصغى مسحوراً الى التسجيل بكامله.

ثم همس: "هل هذا ابنك، يا سيدتي؟"

أجابت: "كلا، لكن ابني يعزف مثله تماماً."

ج.س.

مخطوطة ولد

كنت أعمل بالاجرة ضاربةً على الآلة الكاتبة. ومرة كنت أطبع تقريراً حضّره تلميذ في المرحلة المتوسطة، فتوقّفتُ لدى وصولي الى ١٥ صفحة مصورة من احدى الموسوعات ولا من تعليمات ترافقها. فسألت زبوني الفتى ماذا يريدني أن أفعل بهذه المادة، فأجاب: "اذا كنت تستطيعين صوغها بأسلوبك فيما أنت تطبعين، فسيكون ذلك عوناً كبيراً."

د.ب.

أعتق الكنوز البحرية

طوال ستة وعشرين قرناً احتفظت أعماق البحر المتوسط بسرها الى أن أتاها عالم آثار شاب

ذات يوم من صيف العام ٦٠٠ قبل الميلاد في جزيرة جيغليو التوسكانية الواقعة بين ساحل ايطاليا الغربي وجزيرة كورسيكا، توقف صرار الليل فجأة عن الغناء، ثم هبت ريح عاصفة من البحر. وأحدق خطر حقيقي بالسفينة المحملة الراسية قرب حاجز الماء قبالة جرف صخري عال. "اقطعوا حبال المرساة وأسرعوا الى المجاذيف!" لكن السفينة التي يبلغ طولها عشرين متراً والملأى بحمولة تجارية أصبحت في حكم الهالكة. فقد رمتها الرياح العاتية فوق سلسلة



صخور تبعد ٣٠٠ متر عن الشاطئ، فتمزق قعرها وقفز الرجال الى اللجة بعدما تدفقت المياه الى الداخل. وما هي الا لحظات حتى ابتلعت الامواج السفينة فاختفت في أعماق البحر... ولكن ليس الى الابد.

عام ١٩٨١ كان مانسن باوند في منطقة ساحل بريطانيا الجنوبي في منزل كاتب مولع بالتاريخ البحري. وفيما الرجلان مستغرقان في حديث حول السفن الشراعية القديمة وقع نظر مانسن على قطع فخار قديمة معروضة على أحد الرفوف. لقد جمعت هذه القطع خلال رحلات غوص، وكانت غالبيتها عائدة الى العصور الرومانية. لكن إحداها، وهي أذن جرّة صغيرة، استحوذت على اهتمام عالم الآثار البريطاني البالغ من العمر ٤٨ سنة وجعلته شديد الاهتمام والانفعال.

كان الشكل الانيق لهذه القطعة بمثابة توقيع بالنسبة الى عينيه الخبيرتين. وبات شبه واثق بأنها من صنع أتروريا، تلك الحضارة التي تمركزت في بقعة تدعى توسكانا اليوم وكانت رائدة روما القديمة.

كان الشعب الاتروري موهوباً ومحباً للموسيقى، لكنه بقي مجهولا إذ لم نحصل على أي نتاج أدبي له كما لم يُعثر الا على ثلاثة رسوم تخطيطية للسفن التي كان يستعملها، على رغم أنه ظل قوة بحرية نحو أربعة قرون وحتى قرابة العام ٥٠٠ قبل الميلاد. اما المعلومات حول حياة هذا الشعب وأسفاره في البحار والسلع التي تاجر بها فتكاد تكون معدومة.

قال الكاتب انه وجد أذن الجرة قبل عشرين سنة في قاع البحر في جيغليو. في ذلك الوقت كان يصطاد بالحربة ومعه انكليزي يدعى ريغ فالنتين يعمل مديراً لمدرسة غوص في الجزيرة، فعثرا على بقايا قديمة مبعثرة في سفح جرف تحت الماء.

وذاعت أخبار الاكتشاف. وحين عجز فالنتين عن ردع الغطاسين عن نهب هذه البقايا، على رغم تحذيره اياهم من لا شرعية عملهم، غطس الى القعر وطمر ما تبقى من القطع بعدما التقط صوراً لقسم منها.

قضية مقنعة. عثر مانسن باوند على فالنتين في لندن. وكان هذا في منتهى الدقة، إذ أرَّخ اكتشافه واحتفظ بالصور. ولحظة رأى مانسن الصور أدرك أنه امام اكتشاف عظيم. فقد حملت قطع الفخار سمة كورنثيا (في اليونان اليوم) وفينيقيا وأتروريا وكلها ترقى الى قرابة العام ٦٠٠ قبل الميلاد عندما كان الاتروريون في ذروة نفوذهم. لكن الصور وحدها لا تقدم حجة قاطعة للحصول على تمويل لبعثة غطس. لذلك تعيَّن اقتفاء آثار هذا الاكتشاف الذي سلب قبل عقدين.

مانسن القوي الطويل القامة ذو الشعر الاشقر الاشعث لا تثني عزيمته المصاعب والتحديات. لقد شبّ في جزر فوكلند في جنوب الاطلسي واشتغل كعامل تزييت على سفينة تدور حول كيب هورن، الطرف الاقصى في أمريكا الجنوبية. ثم قصد الولايات المتحدة متنقلا مجاناً من سيارة

PHOTOS: M.A.R.E

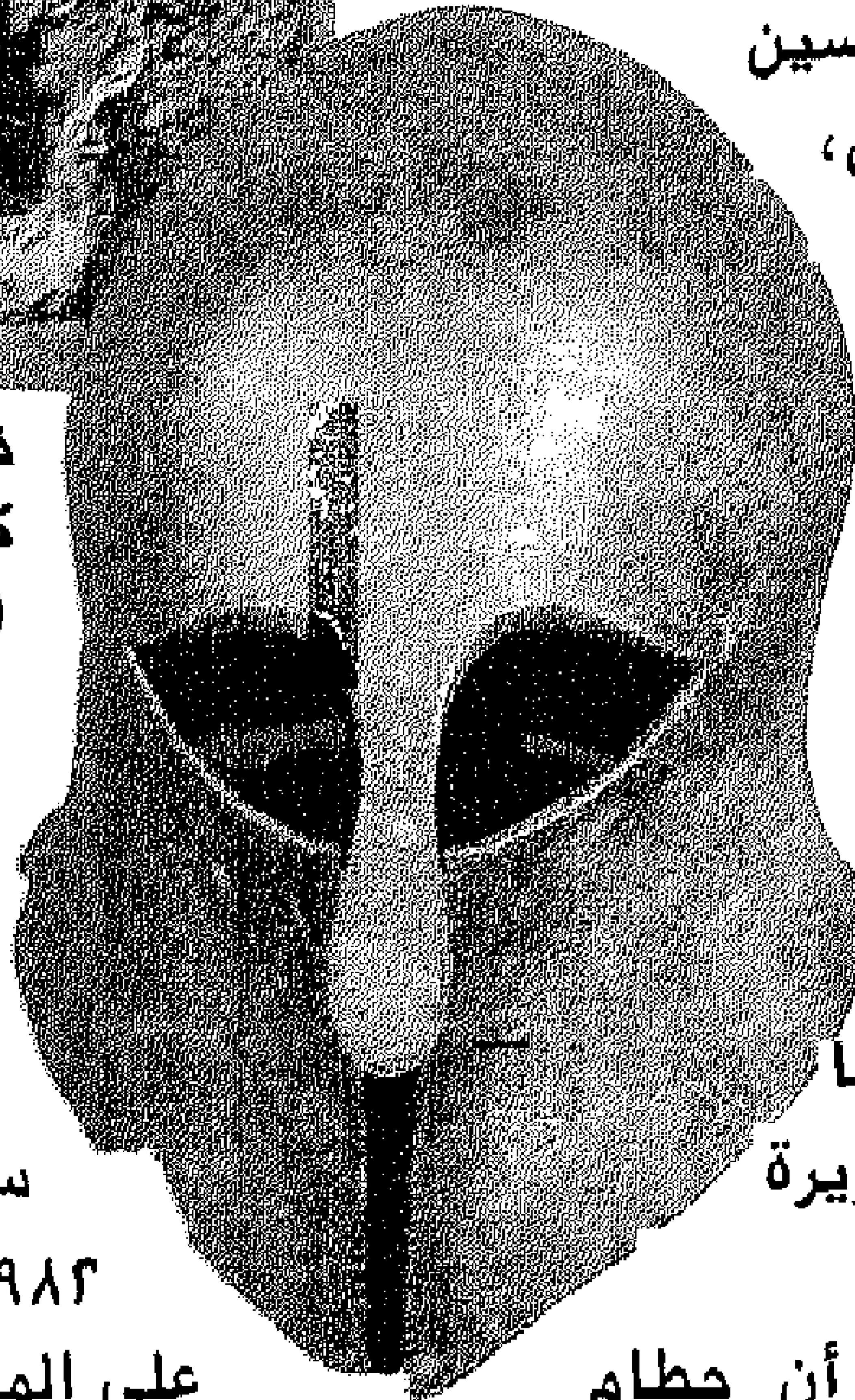
الى أخرى. وحط رحاله في جامعة نيوجرزي والتحق ببعثات غطس بحثاً عن حطام السفن في البحر المتوسط. وها هو الآن يوقف أبحاثه في جامعة أوكسفورد حول تلوين الاواني الاغريقية ويباشر حملة بحث عن حطام سفينة تخص حضارة غير معروفة.

باستثناء أسماء الغطاسين الواردة في مذكرات فالنتين، يمكن القول ان مانسن بدأ من الصفر. وبمساعدة جوانا يلويز، وهي زميلة له تزوجها لاحقاً، لاحق الآثار المنهوبة في أنحاء أوروبا. وبين القطع التي استرجعاها أولا إناء صنع في كورنثيا كانا اقتفياه حتى وصلا الى غرفة جلوس في مونت كارلو بامارة موناكو. كما عثرا على خابية من صنع جزيرة ساموس اليونانية.

ولم يعد هناك شك في أن حطام السفينة سيزيد العلماء معرفة جلى. ولكن هل ستسمح مصلحة الآثار الايطالية بالحفر في موقع قيم كهذا؟ لحسن الحظ، دعمت باولا رنديني الفكرة وهي موظفة في مصلحة علم الآثار الخاصة بتوسكانا في فلورنسا. تقول: "كانت قضية مانسن مقنعة وحجته لا تقاوم. فباستثناء بعض القطع، لم يعثر ابداً على حطام سفينة يعود الى تلك الحقبة الغابرة."

أربع كسر. وصل مانسن وجوانا وفريقهما المؤلف من أربعة عشر غطاساً متطوعاً الى الجزيرة قبل أيام من اصدار





خوذة برونزية اغريقية كما عثر عليها ثم (تحت) بعد معالجتها.

سلطات روما اذناً بالتنقيب. في ذلك اليوم، الثاني من سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣، كان الزوجان يقفان على المنحدر يحدقان الى سلسلة الصخور. فشعرا بالاحباط. لقد كرسا أشهراً من الجهد في سبيل جمع المال. وباعا كل ما يملكان باستثناء بيانو جوانا وكتب مانسن. وها هما الآن يريان عند الصخور خمسة عشر مركباً يقفز منها غطاسون مزودون أجهزة للتنفس. أيعقل أن يبقى شيء من الحطام بعد واحد وعشرين عاماً؟

في اليوم التالي غطس مانسن برفقة ريغ فالنتين الذي اصطحبه الى حيث وجد الآثار سابقاً. وكانت نتيجة المحاولات الثلاث الاولى إخفاقاً ذريعاً. وفي المحاولة الرابعة رأى مانسن أربع

كسر من الفخار مبعثرة على الرمل فوثب قلبه بين ضلوعه. كان واضحاً أن القطع أترورية. وسجل هذا الاكتشاف بدء خمسة مواسم من الحفريات المثيرة، قام بها فريق مانسن الذي سمي رسمياً في ما بعد "وحدة جامعة أوكسفورد للابحاث الاثرية البحرية." وكان أعضاء الفريق "ينخلون" قاع البحر، فينفضون الرمل بأيديهم وبمكانس صغيرة ويقطعون الاعشاب البحرية ويحفرون تحت الصخور.

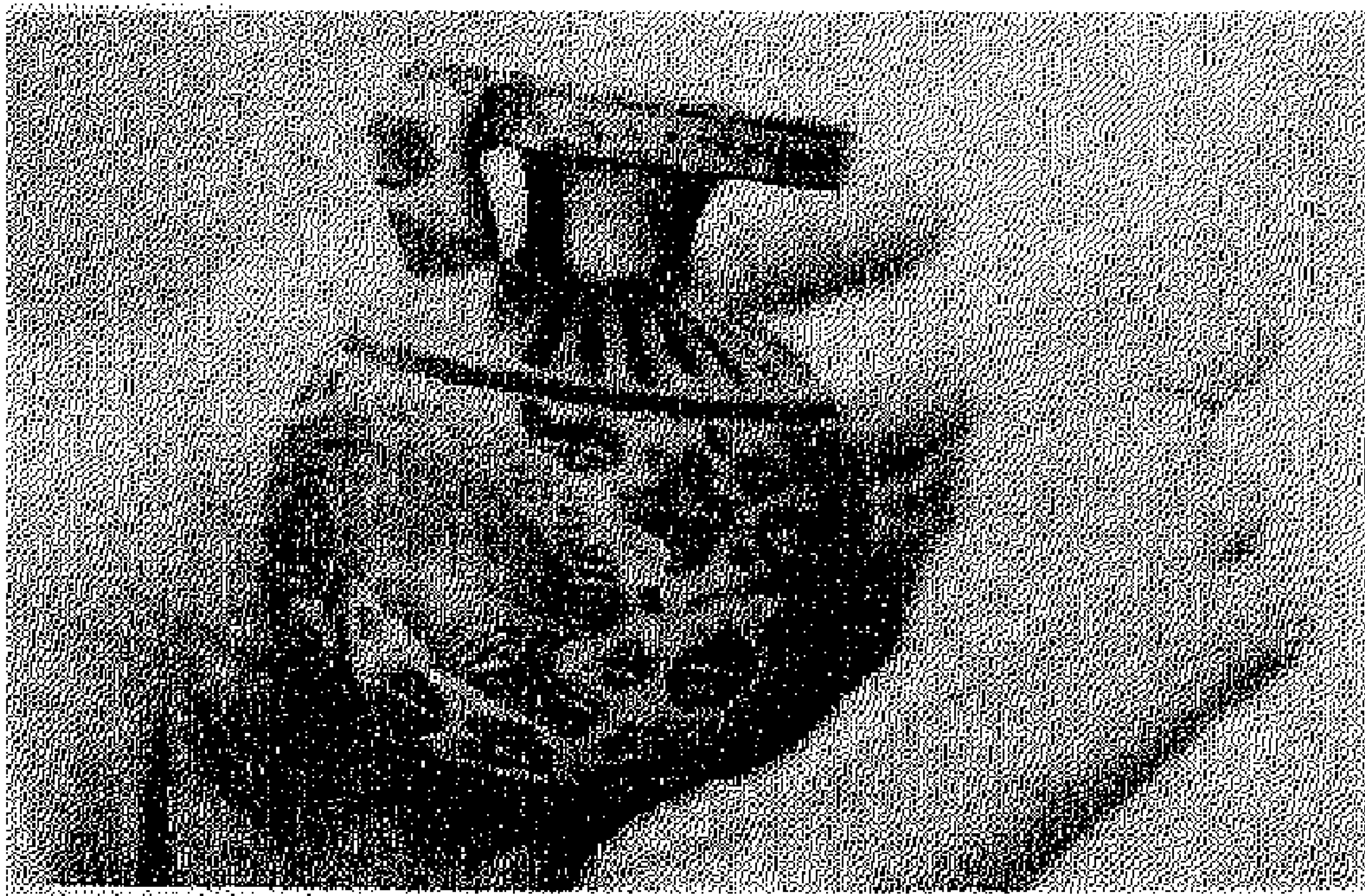
وظهرت الاسباب التي حفظت الحطام من الناهبين. فبعدما اصطدمت السفينة بالصخور انزلقت على سفح الجرف وتبعثرت محتوياتها الى أن همدت في القعر. وفي الاعماق الضحلة لم يبق شيء. لكن هيكل السفينة دفن في الرمل على عمق خمسين متراً، وهو الحد الذي يستطيع الغطاسون بلوغه من دون التعرض للمتاعب.

أقدم سفينة. لم يكن في امكان غطاسي الفريق العمل في الاعماق أكثر من ثماني عشرة دقيقة. وتوجب عليهم وهم عائدون الى سطح الماء التوقف على مراحل، فترات تصل الى ثلاثين دقيقة، لكي "يذوب" النيتروجين الذي امتصته أجسامهم والا كون فقاقيع في الدم وسبب انسدادات قد تؤدي الى الشلل أو الموت.

هذه المخاطر كانت بمثابة تحد للفريق المؤلف من نحو مئة وعشرين غطاساً هاوياً قدموا من بريطانيا وايطاليا والولايات المتحدة وأوستراليا وغيرها. وكانوا يأتون لمدة أسبوعين او ثلاثة أسابيع في كل صيف على نفقتهم الخاصة ويغطسون بحثاً عن الحطام." ما من مغامرة في العالم تقارن بالاثارة الناجمة عن كشف قطعة مدفونة منذ ٢٦٠٠ عام في الاعماق." هكذا قال جيان لويجي ساكو (٥١ عاماً) وهو مهندس نووي من تورينو.

تم تصوير كل قطعة في موضعها الاصلي وفي موقعها المعين على الخريطة قبل نقلها الى مقر الفريق في منزل مهجور. وكانت كل قطعة جديدة - قارورة عطر صغيرة منفوخة من كورنثيا أو كوز للشرب من . اسبرطة أو قنديل زيت استعمله البحارة - تنقع في الماء العذب لازالة الملح عنها ثم تصور ثانية وتقاس بدقة. بعد ذلك يرسم الخطاط صورة تقنية كاملة التفاصيل تدون في ذاكرة الدماغ الالكتروني وأكب مانسون على دراسة المنبوشات.

أثبت الحطام أنه يعود الى عصور غابرة ويخص أقدم سفينة تجارية عبرت المحيط وتم العثور عليها حتى الآن. وحدد مصدر الاواني الفخارية في ستة أماكن على الاقل من شرق المتوسط، ويبدو أنها جمعت على فترات مختلفة. ويشرح مانسن: "يبدو أن السفينة كانت تتبع برنامجاً معيناً في سفرها. وتبين لنا من



قارورة عطر.

رؤوس السهام التي وجدناها في القعر أنها كانت مجهزة لمواجهة القراصنة. وتقفينا خوذة محارب رائعة هربت من المكان الى هامبورغ في ألمانيا الغربية بعيد اكتشاف فالنتين، واستغرق العثور عليها نحو ثلاث سنوات. لقد صنعت هذه الخوذة بتطريق لوح برونزي واحد ومهارة حرفي يوناني. ومما لا شك فيه أنها كانت تخص رجلا وافر الثراء، نافذاً، قد يكون مالك السفينة."

٧٠٠٠ قطعة. سرعان ما برزت الحاجة الى تضليل الناهبين المزودين أكمل التجهيزات. فأزيل اسم البعثة عن الشاحنات لضرورات أمنية. وعمل على "تهريب" التحف المكتشفة عبر حشود المتفرجين الذين زرعوا الشاطىء.

ولاحباط صائد التحف الاثرية وجهت جوانا آثار حبال زائفة الى بقعة من قاع البحر زرعت كسراً من بلاط الحمامات.

لكن التعب لم يجد. فعندما عثرت جوانا في يونيو (حزيران) ١٩٨٣ على ثلاث قوارير عطر ملونة وسليمة أبقت عليها في مكانها ريثما يتم تصويرها. فساءت حال الطقس ولم يتمكن الفريق من العودة الى الموقع الا بعد ثلاثة أيام. وعندما وصل مانسن وجوانا الى القعر لم يجدا سوى حفرة أحدثتها قنبلة بعثرت الموجودات. لقد جاء مركب "قراصنة" الآثار ليلا ومعه أنبوب امتصاص، فشرق في لحظات ما حفره الفريق بأيديه خلال أيام طويلة. واختفت القطع الثمينة. يقول مانسن: "هؤلاء القراصنة هم بالنسبة الى علم الآثار كخنفساء الموت بالنسبة الى التحف الاثرية. انهم أكبر المدمرين."

وشيئاً فشيئاً توضحت التجارة التي تعاطتها السفينة. ومن المنحدر الصخري اكتشفت باولا رنديني حاجز الماء الذي ربطت اليه السفينة، وقد غمرته المياه الآن بعدما ارتفع منسوبها مترين على ما كان في العصور القديمة. وعثر على قطع حجرية طويلة في القعر تبين أنها عوارض مراس صنعت من الصوان الذي ربما اقتلع من الجزيرة. وبات شبه مؤكد أن السفينة كانت محملة بهذه العوارض.

ووجدت جوانا لوح كتابة من جلد لعله ذلك الذي استعمله القيم على سجل السفينة عندما حلت الكارثة. وفي غضون ذلك دب النشاط في مركز الترميم التابع لمتحف الآثار في فلورنسا. فأفرغت الرفوف من محتوياتها وخصصت لعرض سبعة آلاف تحفة أثرية انتشلت من جيغليو.

والقطع الاتروورية المنبوشة من قبل تالفة بفعل الحمض (الأسيد) أو العفن الناجم عن رطوبة القبور. أما القطع المنبوشة في جيغليو فبدت كأنها صنعت بالامس.

بعد نقع الاواني الفخارية في الماء العذب مدة أشهر كانت تجفف ببطء تفادياً لتحطمها. أما القطع الخشبية المشغولة والفريدة من نوعها في علم الآثار الاتروري - بينها قائمة أريكة مرصعة وآلات نفخ موسيقية ومسماكان من خشب الزيتون تعلوهما كتابة يونانية وكان نجار السفينة يستعملهما - فقد تتفتت وتتحول غباراً اذا ما جف الخشب.

لذا ابتكر خبراء الصيانة تقنية جديدة تبدل الماء بشمع يستخرج من صمغ شجرة الدراق.

الانتشال الكبير. في ١٤ يونيو (حزيران) ١٩٨٤ اكتشف غطاس من فريق مانسن قطعة من قعر السفينة يبلغ طولها ثلاثة أمتار وما زالت عالقة فيها ثلاث قطع من ألواح خشبية. وفي السنة التالية جمع فتات الالواح الخشبية المهترئة في صناديق وانتشل بتأن الى سطح الماء. وتبين من رمم الحبال العالقة بها أن هذه الالواح أوثق بعضها ببعض على طريقة شمال المتوسط، مما أثبت أن السفينة أترورية. وقد دعم قعر السفينة الخشبي بصندوق في شكل تابوت طويل.

حدد موعد عملية الانتشال الكبرى في السابع من يوليو (تموز) ١٩٨٥، فتوافد مئات المتفرجين الى الجزيرة. وتم تصوير هذا الانجاز بكاميرات تلفزيونية تعمل تحت الماء. ونفذت العملية بدقة كلية. وبين زورقين مطاطين سحبت أقدم قطعة لسفينة تجارية تم انتشالها، وأدخلت مرفأ كامبيسي في جزيرة جيغليو وسط تهليل الحشود التي ساعدت على حملها الى اليابسة.

بالنسبة الى العلماء في الميادين المختلفة - الاسلحة القديمة والفن



مانسن وجوانا.

والتاريخ الاقتصادي وبناء السفن والعلم الاتروري - حمل وصول قطعة السفينة الى اليابسة آمالا كبيرة.

"كان ذلك بلا شك أحد أعظم الاكتشافات الاثرية التي تحققت تحت الماء،" يقول باتريس بومي مدير الابحاث الاثرية البحرية في فرنسا.

وفيما يعمل الخبراء على صيانة الحطام والآثار المكتشفة في جيغليو، تدرس مشاريع أخرى لترميم قلعة من القرون الوسطى قائمة على أحدى قمم الجزيرة.

هنا، في متحف خاص، ستعرض البقايا الاثرية. وفي هذه الاثناء ما زال مانسن وجوانا متقدمين على قراصنة الآثار ومستمرين في التنقيب عن السفن التاريخية الغريقة.

جون دايسون ■

الحب الحقيقي نادر، والصداقة الحقيقية أندر.

لاروشفوكو، كاتب فرنسي

أضواء من عالم الطب

احزموا اطفالكم جيدا

وَقَتْ مقاعد الامان في السيارات، في العام ١٩٨٧، ٤٨٠٠٠ طفل دون الرابعة من العمر من الاصابة بجروح. لكن الحكومة الامريكية تعتبر انه كان في الامكان مضاعفة هذا الرقم لو ان كل الاهل استخدموا هذه المقاعد على نحو صحيح.

من اهم الاخطاء الشائعة ما يأتي:

● عدم شد الاحزمة حول الطفل او شدها على شكل مهلهل رخو.

● اهمال تثبيت القضبان او التروس او الاطواق وفقا لتعليمات الصانع.

● تمرير حزام مقعد السيارة بشكل خاطىء خلال اطار كرسي الامان، مما يعرض الكرسي الى الاندفاع بقوة نحو الامام.

● توجيه مقاعد الاطفال دون ٩ كيلوغرامات وزنا الى الامام بدل توجيهها نحو مؤخر السيارة.

يقول تقرير كتبه كارن ستروب وزملاؤه في معهد الطب الجامعي بولاية انديانا ان ٧٧ في المئة من مقاعد الامان في الولاية اعدت على نحو خاطىء في العام ١٩٨٤. وفي العام ١٩٨٦ نقصت نسبة سوء الاستعمال الى ٣٨ في المئة.

ويقول ستروب: "ما زال هناك عدد كبير من الناس يرتكبون الاخطاء ذاتها."

ب. ك. ه.

الانفلونزا تؤثر عقلياً

بيّنت دراسات العالم النفساني أندرو سميث من "وحدة الزكام" في مجلس الابحاث الطبية في سالزبوري ببريطانيا، أن الاصابة بالزكام أو الانفلونزا تؤثر في المرء عقلياً وجسدياً.

في احدى دراسات الانفلونزا تدنى وقت الارتكاس(★) لاهداف الفيديو التي تظهر في فترات عشوائية، بمعدل ٥٧ في المئة لدى المصابين بألم في العضلات وبالحمى وبارتفاع معدل نبض القلب. وبالمقارنة، فان تناول كأس أو كأسين من الكحول يضعف هذا الوقت بما يراوح بين ٥ و١٠ في المئة.

وبظهور علامات الزكام يتأذى الترابط بين العين واليد. فالقدرة على تعقب الاهداف المتحركة، كأهداف ألعاب الفيديو، تدنت بصورة ملحوظة في المرضى الذين يعانون الانفلونزا.

وللتخفيف من هذه العوامل المؤثرة، على المرء أن يتجنب النشاطات التي تقتضي التفكير الفوري حين يكون مصاباً بالانفلونزا. وفي ما يختص بالزكام، يجب عدم المراهنة على قدرة المرء على التجاوب بسرعة مع نشاطات كألعاب الفيديو أو ما هو أهم منها كثيراً، كقيادة السيارة.

مجلة "سيلف"

(★) Reaction time

عين أوستراليا

التلسكوب الأوسترالي يكلف ٥٠ مليون دولار ويعيد الى اوستر...

في غرفة ضيقة للمراقبة في بلدة كلغورا الواقعة في عمق مقاطعة نيو ساوث ويلز الاوسترالية، انحنى المهندس الكهربائي ورويك ويلسون والفلكي ريك فورستر فوق شاشة دماغ الكتروني وراحا يلقمان الجهاز سلسلة معقدة من الاحداثيات. وبدا من نافذة المراقبة هوائيّ ضخم مقعّر يرتفع الى علو ست طبقات فوق المكان. وما هي الا لحظات حتى راح يدور ببطء باحثاً عن إشارة لاسلكية بالغة الصغر من الفضاء الخارجي.

حدّق ويلسون وفورستر الى الخط الأخضر المترجرج على الشاشة. ولثوانٍ ظل الخط مستقراً، ثم علا فجأة مكوناً شكلاً سنيلياً مثيراً. "ها هي! لقد حصلنا عليها!" شهقة حماسة أطلقها الاثنان اذ أحدق التلسكوب(١) الاوسترالي بقيمة من الجزيئات في مجرة درب اللبانة(٢) على موجة البث «NGC 6334». وكانت تلك المرة الاولى يتلقى هذا التلسكوب اشارة من الفضاء الخارجي.

يعتبر التلسكوب الأوسترالي من الاكثر تطوراً في العالم، وهو الأفعل في مجالات الفضاء الجنوبي. فلقد استغرق بناؤه زهاء

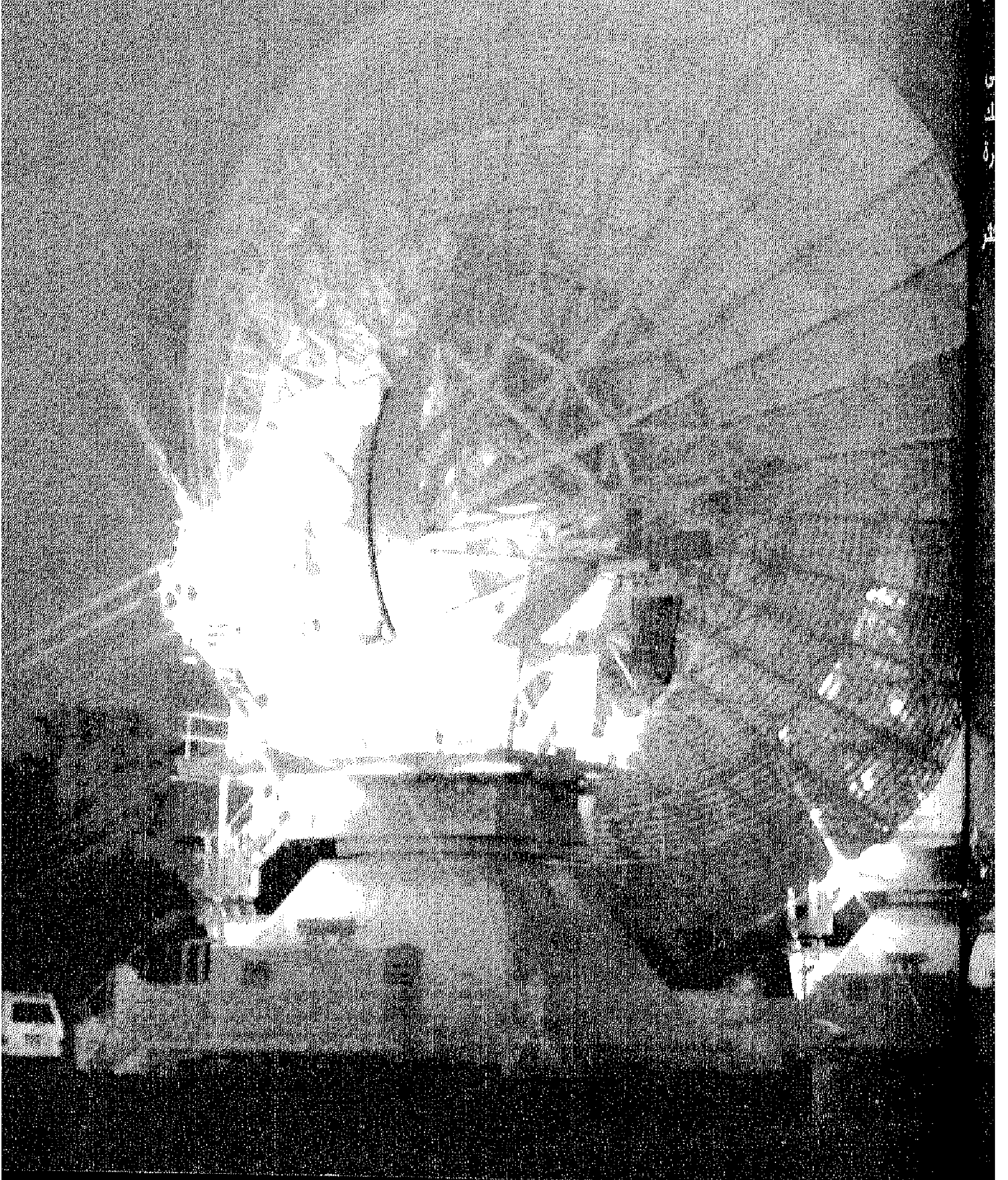
(١) التلسكوب، أو المقراب، آلة تقرّب صورة الاجسام البعيدة.

(٢) Milky Way وهي المجرة التي تضم نظامنا الشمسي.

صورة ليلية للهوائيات في كلغورا.

تسبر الكون

دورها الرائد في الفلكيات اللاسلكية



سبع سنوات وبلغت كلفته ٥٠ مليون دولار. يقول مديره رون إكرز: "من المتوقع أن ينجز هذا التلسكوب اكتشافات هي أبعد من حدود التصور. ولسوف يقود الى حقبة جديدة في علم الفلك."

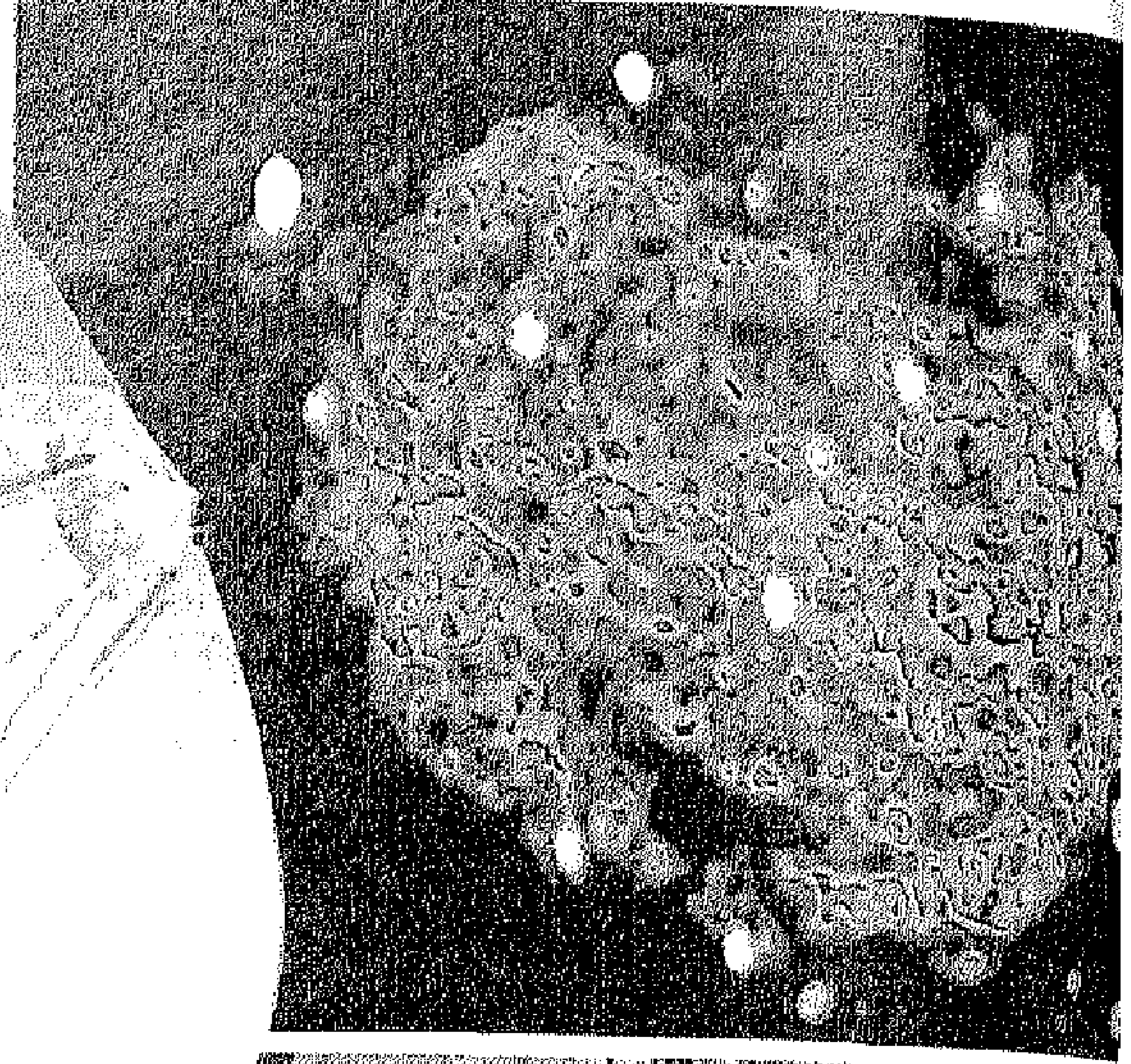
فكرة عظيمة. افتتح مركز التلسكوب رسمياً في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨ وشمل مجموعة من ستة هوائيات شيِّدت في بلدة كلغورا الواقعة على مسافة ٤٠٠ كيلومتر الى الشمال الغربي من مدينة سيدني. ومن المتعارف عليه علمياً أن الهوائيات تزيد من وضوح الصورة حين تتواصل على مسافات بعيدة. لذلك وُصلت هوائيات كلغورا بهوائيّ آخر أُقيم في بلدة موبرا على بعد ١٢٠ كيلومتراً الى الجنوب. كما تم وصل هذه جميعها الى هوائيّ آخر في بلدة باركس يبلغ ارتفاعه ٦٤ متراً وهو أحد أضخم الهوائيات في العالم. وبذلك تكونت عين الكترونية عملاقة تتسع ٣٢٠ كيلومتراً.

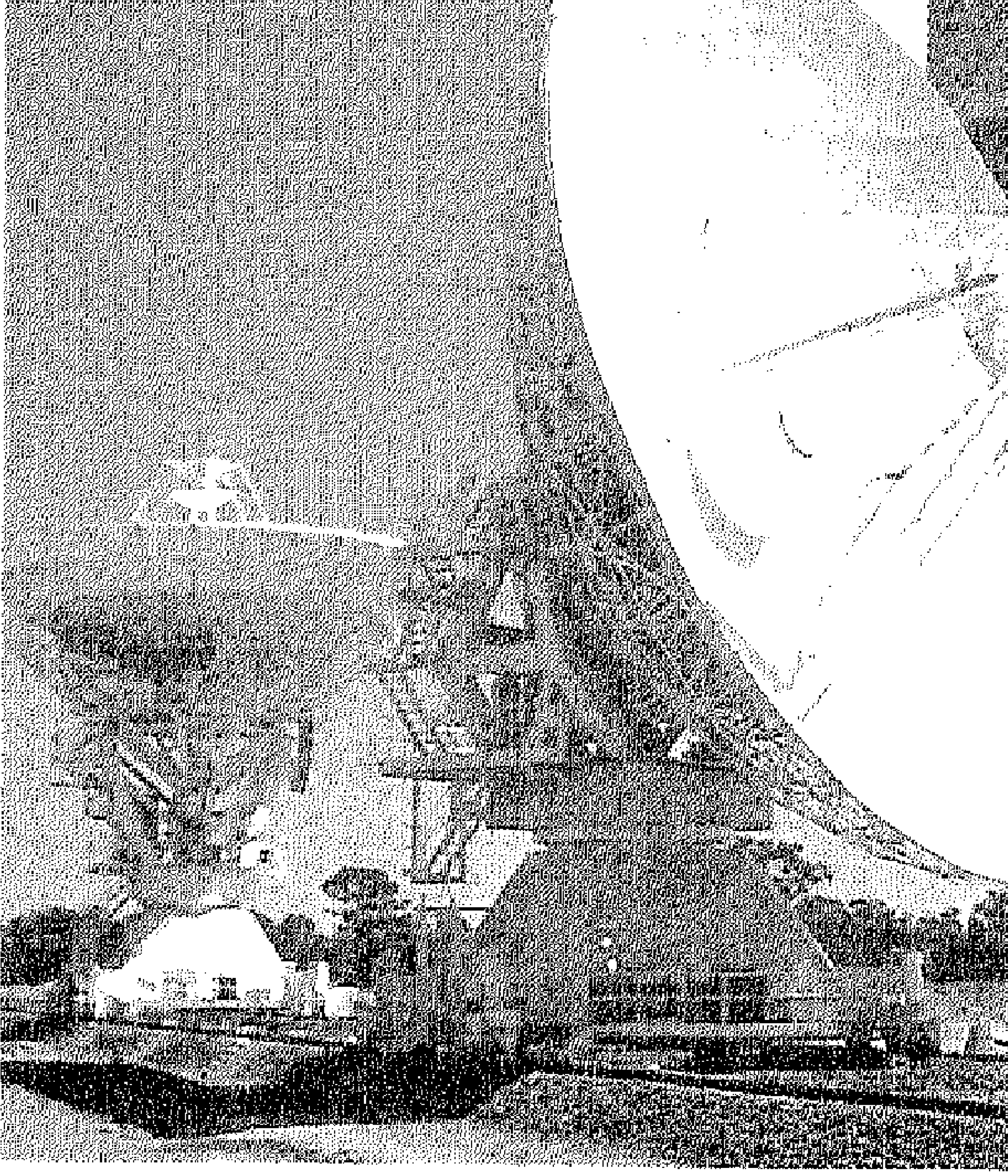
يحتاج الفلكيون، لاستقبال الاشارات الكهربائية البالغة الدقة، الى معدات كبيرة الحجم ودقيقة جداً في آن. فالهوائيات الستة القائمة في كلغورا، مثلا، يزيد كل منها ثلثاً على مساحة ملعب لكرة المضرب، لكن سطوحها مصممة على نحو بالغ الدقة في درجات التقعُّر. وعلى أجهزة المراقبة أن تتمتع بالقدرة على تصويب الهوائي بدقة متناهية تخلّ بأجزاء في الألف من الدرجة. يقول نيكولاس غوث من شركة "ماكدونالد واغنر" المكلفة بالاستشارات الهندسية: "قد يؤدي أدنى خطأ الى تعذر تحديد مصادر الاشارات اللاسلكية وتفسيرها."

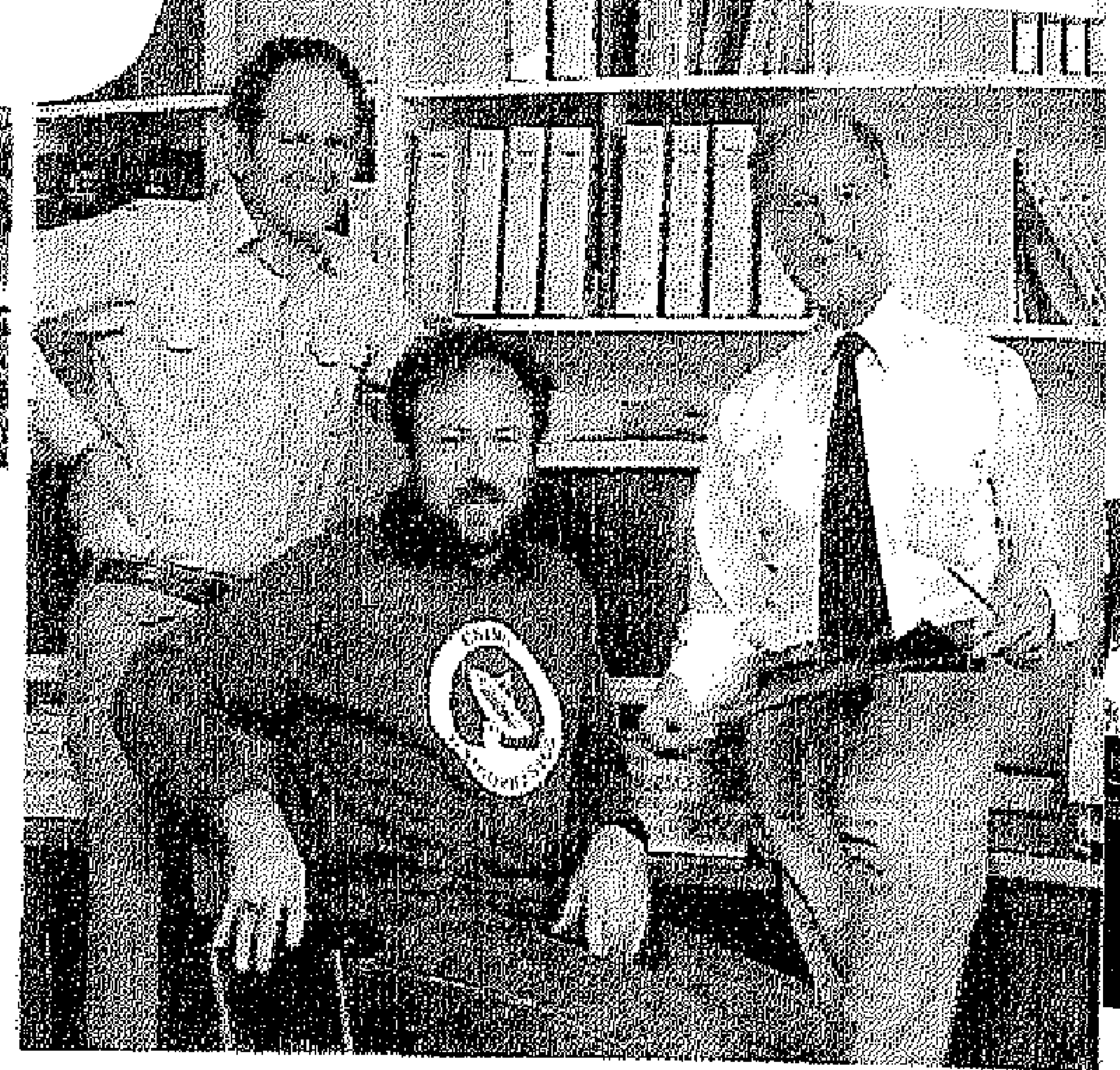
ان إنشاء التلكسوب اللاسلكي في باركس عام ١٩٦٠ وضع أوستراليا في مقدم دول العالم في تقنية الكشف الفضائي. ولكن في منتصف السبعينات كُسفت منشآت باركس باقامة تلسكوبين متطورين في أوروبا ونيومكسيكو، مما أدى الى هجرة الادمغة المختصة بعلم الفلك والفيزياء. اذذاك باشرت "منظمة الكومنولث للأبحاث العلمية والصناعية" بحثها عن مشروع يعيد الأمور الى نصابها. ووجد بريان روبنسون، الباحث الرئيسيّ في فرع الراديوفيزياء(٣) التابع للمنظمة، ان الحصول على المساعدات الحكومية اللازمة يتطلب مخططاً لا يستهدف فقط ايجاد وظائف جديدة وتنشيط الصادرات، بل يستحوذ على مخيلة الناس. وهو قال في أحد الاجتماعات: "تفكرون في صغائر الامور، بينما المطلوب فكرة عظيمة."

أخيراً ولد مشروع التلسكوب الاوسترالي في العام ١٩٨١. وفي العام ١٩٨٢ أنجزت التصاميم النهائية لجهاز يضاهي أفضل ما ابتكره العلم في هذا المضمار. ونال المشروع موافقة الحكومة الاوسترالية في العام ١٩٨٣. غير ان علماء "منظمة الكومنولث للابحاث العلمية والصناعية" بقوا يواجهون طائفة من التحديات الصعبة. اذ كان عليهم تصميم غالبية المعدات الالكترونية والاجهزة الفائقة التعقيد وانتاجها لكون المشروع خاصاً بأوستراليا. والى ذلك رغبت الحكومة الاوسترالية في انجاز

(٣) Radiophysics







(أعلى اليمين) صورة بالراديو لبقايا نجمة كبيرة منفجرة. (الى اليسار) سطح أحد الهوائيات العملاقة الخمسة في كلفورا. (تحت من اليمين) مدير التلسكوب الاوسترالي الدكتور رون إكرز والفلكي غرايم وايت والعالم بالادمغة الالكترونية الدكتور وروبك ويلسون في مقرهم في ايبنغ.

المشروع عام ١٩٨٨ قُبيل الذكرى المئوية الثانية للاستقلال. لذا كان لزاماً على هؤلاء الارتجال، خصوصاً لأن الموازنة لم تتعدَّ مبلغ ٥٠ مليون دولار.

رقائق خارقة. تحتاج اللوحات المئة والستون اللازمة لكل هوائيّ الى ستة قوالب ممكنة تبلغ كلفتها ٣٦٠ ألف دولار. غير أن فريق التطوير اخترع "قاعدة مسامير" مؤلفة من مئات البراغي الفولاذية القابلة للتعديل والملولبة في قاعدة معدنية بحيث يتم تحديد ارتفاع كل منها بواسطة الدماغ الالكتروني. بعد ذلك وُضعت لوحات الألمنيوم فوق القاعدة وقولبت بالشكل المطلوب. وبذلك لم تتجاوز التكاليف ٣٠ ألف دولار.

نجحت هذه الطريقة تماماً. ولكن، أفاد المهندس باري بارسونز، "علينا الآن تثبيت اللوحات الصلبة في أطرها متوخين مزيداً من الدقة مع مراعاة الكلفة كالسابق." إلا أن الخطى تعثّرت لأسابيع، الى أن لمعت في خاطر بارسونز فكرة وهو يستحم ذات صباح: لو تمكن من إحداث

فراغ هوائيّ في الفسحة المقفلة تحت كل لوحة، لأمكن تثبيتها بفعل ضغط الهواء ريثما يجف الغراء. اذذاك سارع الى العمل ونفض الغبار عن مضخة قديمة لتفريغ الهواء، ثم وصلها مع بعض زملائه الى جهاز تجريبي، وأدارها. وكم كان فرحه عظيماً حين نجحت الآلة المبتكرة في العمل.

وصادف المصممون معضلة صعبة أخرى تتعلق بجهاز التنسيق، وهو دماغ الكتروني فعال مختص بدمج الاشارات من جميع منصات الاستقبال ليصار لاحقاً الى تحويلها صوراً ملونة للاجرام الفضائية. وبما ان العالم يفتقر الى رقاقة الكترونية(٤) تنجز منفردة مثل هذه الحسابات المعقدة، عمد مهندسا الكهرباء ورويك ويلسون وديفيد براون من "منظمة الكومنولث للابحاث العلمية والصناعية" الى ابتكار "رقاقة مدمَّجة ذات نطاق كبير، VLSI "(٥) وتركز القسم الأكبر من عملهما على محاكاة عمل الرقائق الالكترونية، وهي عملية معقدة جداً. يقول ويلسون: "المسألة الاساسية هي قدرة الرقاقة على تحقيق السرعة الفائقة البالغة ٦٤٠ مليون عملية في الثانية. لذلك يتوجب تصميمها لتعمل بسرعة تفوق هذا الرقم، كاحتياط للخطأ المحتمل."

استغرق إنجاز المشروع ١٢ شهراً قضى الرجلان ثلثها مكبّين على شاشات الدماغ الالكتروني، الى أن أثمرت مثابرتهما في نهاية المطاف. وتحقق الهدف في ابتكار رقائق في حجم الابهام تتضمن كل منها ٥٠ ألف ترانزيستور وتعمل بسرعة تتجاوز الهدف الاساسي المحدد لها بستة أعشار. أما المنسق، وهو جهاز ينجز مليوني عملية ضرب في الثانية، فيشمل ٤٠٠٠ رقاقة من هذه.

همسات من الفضاء. في هذه الاثناء كانت الحاجة الى تحقيق أقصى درجات الدقة تسبب حالا من الاحباط الحاد لدى عمال البناء في كلغورا. حتى محطات الهوائيات، وعددها خمس وثلاثون، لم تتقدم أكثر من خمسة مليمترات عبر ممرها البالغ ثلاثة كيلومترات. وغالباً ما كان ديك هاغرت، وهو اسكوتلندي صارم، يدفع العمال بقسوة كلّفته شعبيته. وذات مرة تفحص مجموعة من أعمدة الاسمنت بعمق ثمانية أمتار أنجزها العمال لتوهم. ولما لم تعجبه أمرهم وهم يرتعدون: "انبشوا هذه الركائز وابنوها من جديد." لكنه عاد لاحقاً وكسب مودتهم في مقهى البلدة اذ دعاهم الى الشرب على حسابه. وهو يقول: "من الطبيعي أن يتبخر ضغط العمل في ذلك المكان. وكنت واثقاً بأننا سنمتلىء فخراً حين يتكلل عملنا بالنجاح."

تعتبر كلغورا الواقعة في السهول الشمالية الغربية من مقاطعة نيو ساوث ويلز موقعاً مثالياً للتلسكوب اللاسلكي. فهي تقع في واد مسطّح، وهذا شرط اساسيّ تحتمه ضرورة صف الهوائيات في خط مستقيم توخياً للدقة في العمل. كما أنها ضمن وقاء طبيعيّ جيد يحميها من التشويش اللاسلكي الذي قد يعطل أداء

(٤) Microchip
(٥) Very — large — scale integrated chip

التلسكوب. وعلى رغم افتتاح موقع كلغورا رسمياً في العام ١٩٨٨، فلن يبدأ العمل فيه كلياً قبل إنجاز جميع المنشآت الالكترونية في ثلاثة مواقع هي كلغورا وموبرا وباركس، وإتمام ما يسميه الفلكيـون "ترتيب الخط القـاعـدي الطويل" (٦). يقول غرايم وايت العالم والبحاثة لدى "منظمة الكومنولث للأبحاث العلمية والصناعية": "مثل أي جهاز بصري، تزداد قدرة التلسكوب على رؤية التفاصيل مع كل زيادة في حجمه."

ويعمل التلسكوب الاوسترالي كأي جهاز لاسلكي لاقط، باستثناء قدرته الفائقة على التقاط اشارات بثّت قبل ١٠ مليارات سنة من أقاصي الكون القابلة للمـراقبـة. وحين تتحـول الهمسـات الفضائية صوراً على شاشات المراقبة، يستطيع الفلكيون والفيزيائيون تحليل الالوان بالمـرسم الطيفيّ (٧) و"رؤية" أشياء كالغاز والكحول والماء في الفضاء، وهي لو نظرنا اليها بواسطة التلسكوب البصري لبدت سوداء فارغة.

يقول دنيس كوبر رئيس قسم الفيزياء اللاسلكية في "منظمة الكومنولث للأبحاث العلمية والصناعية": "في قدرة هذه الأشياء ان تنبئنا بالكثير عن تكوّن المجرات والنجوم." أمـا المعلومـات المتجمعة على الأشرطة الممغنطة في كلغورا فيجرى فرزها وتحليلها في المقر العام، الكائن في بلدة إيبنغ قرب سيدني، بواسطة دماغ الكتروني خارق محدّب الشكل بلغت كلفته مليوناً ونصف مليون دولار. وهو في حجم خزانة صغيرة ويتـولى "تنظيف المعلـومـات" أي تصحيحها من الشوائب الناتجة من مرور الاشارات اللاسلكية في جو الارض، ثم يحولها صوراً.

ثقب أسود! يضغط غرايم وايت في إيبنغ أزرار لوحة مفاتيح، ثم يقول: "أنظر." فتتشكل صورة تماثل كرة ثلجية ساطعة الألوان. ويضيف: "هذه غيمة ماجيلان الكبرى، المجرة الأقرب الى درب اللبّانة. لقد قطعت هذه الاشارة ١٧٥ ألف سنة ضوئية (٨) لتصل الينا."

وتحدد الألوان قوة البث اللاسلكي. فالازرق الغامق هو الاضعف، ويزداد مع قوة الاشارة متدرجاً الى الازرق الفاتح، فالأخضر، فالأصفر، فالبرتقالي، وأخيراً الأحمر. ويتابع وايت شرحه قائلا: "هل ترى تلك النقطة الساطعة باللونين الأحمر والاصفر الى شمال الشاشة؟ إنه السديم العنكبوتي" (٩). والسديم، كما يقول، بقعة هـائلة من غيـوم غاز الهيدروجين الشديد الحرارة ممتزجة ببقايا النجوم المتفجرة على مر ألف سنة ضوئية. ففي العام ١٩٨٧، مثلا، ظهر في هذه المجرة نجم يتفجر بقوة تكاد تعادل انفجـار مليارات مليـارات القنابـل الهيدروجينية.

ويوحي سيل من غاز الهيدروجين المنبثق من هذه المنطقة ان "غيوم ماجيلان" تتجاذب و"درب اللبانة" في "رقصة الموت." ويعتقد العلماء أنه خلال

(٦) Long Baseline Array

(٧) Spectrographically

(٨) السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في الفراغ في سنة وتبلغ حوالى ٩٤٦٠ مليار مليار كيلومتر.

(٩) Tarantula Nebula

بضعة مليارات من السنين ستبتلع احدى المجرتين الكبريين، أو كلتاهما، الغيمة الصغيرة. ويضيف وايت بابتسامة عريضة: "لا يتمكن فلكيو النصف الشمالي من الكرة الارضية من رؤية غيوم ماجيلان. لذلك سيتجه اليها التلسكوب الأوسترالي كهدف رئيسي."

كذلك سيتولى التلسكوب دراسة البث اللاسلكي المنبعث من مركز مجرتنا الكائن على بعد ٣٠ ألف سنة ضوئية والسهل الرؤية من نصف الكرة الجنوبي، لتبيان مكوّنات نواته. ويعتقد كثير من العلماء بوجود "ثقب أسود" صغير نسبياً هناك، والثقب الاسود نجم منهار ذو كثافة خارقة بحيث أن شيئاً، حتى الضوء، لا يستطيع الهروب من جاذبيته.

على المحك. في بداية التسعينات سيوصل التلسكوب الاوسترالي بهوائيات أخرى في أوستراليا وخارجها، بما في ذلك الاقمار الاصطناعية، بهدف تكوين شبه تلسكوب ينتشر على مساحة عشرات ألوف الكيلومترات. وتعرف هذه التقنية بـ"علم القياس الضوئي القاعدي المديد" (١٠). وسيتسنى لهذه الشبكات أن تتبين تفاصيل في مصادر اللاسلكيات الكونية هي أصغر بمئات ألوف المرات مما يستطيعه كل جهاز بمفرده. وفي العام ١٩٩٤ سيعمل التلسكوب الاوسترالي كجزء من مشروع "راديو أستروم" السوفييتي للقياس الضوئي القاعدي المديد الذي سيشكل شبه تلسكوب تتسع مساحته أكثر من خمسة أضعاف مساحة الارض.

وقد حقق التلسكوب فوائد عملية لاوستراليا. يقول بريان روبنسن: "ان احد العوامل التي أدت الى قبول الحكومة الاوسترالية بفكرة المشروع هو مساهمته في تطوير صناعة الاتصال عبر الاقمار الاصطناعية. ولقد نجحنا في ذلك. وتم بناء عدة هوائيات أرضية في برث وسيدني. وتصدر أوستراليا حالياً هوائيات للمحطات الارضية الى فيتنام وهي تتفاوض وبلدان المحيط الهادئ للغاية ذاتها."

كذلك حظيت صناعة الالكترونيات بفوائد أخرى، اذ أسس كريغ مادج، وهو عالم في حقل الادمغة الالكترونية عمل سابقاً لدى "منظمة الكومنولث للأبحاث العلمية والصناعية"، شركة "أوستيك ميكروسيستمز في مدينة أديلايد لتصميم رقائق مدمّجة للادمغة الالكترونية من نوع «VLSI» . وكان من اول ما أنتجته هذه الشركة رقائق اعتمدت التصميم الذي ابتكره المهندسان ويسلون وبراون. ويقول مادج ان عمل شركته في التلسكوب الاوسترالي ساعدها على تنمية تجارة ناجحة في مضمار الالكترونيات الدقيقة.

غير ان المحك النهائي الذي سيواجهه التلسكوب الأوسترالي هو ما سيكشفه من أسرار الكون المغلقة. يقول بريان روبنسون: "لقد حقق علم الفلك الراديو فيزياء منجزات رائعة في السنوات الخمس والثلاثين المنصرمة، لكن هذا الجهاز المبتكر يعد بما هو أعظم وأكثر تشويقاً."

بروس هايلبوث ■

(١٠) Very Long Baseline Interferometry

أطفالنا يلعبُون فأين حدودُ الأمَان؟

كل سنة يشوه ألوف الأطفال ويموت آخرون بسبب ألعاب غير مأمونة ومنتجات صناعية أخرى. والحاجة ملحّة الى دعم الجهود الرامية الى وضع حد لهذه الكارثة

□ في ليدز ببريطانيا كانت كارولين، وهي طفلة في شهرها العاشر، تلهو قرب والدتها بلعبتها الجديدة، وهي فرس محشوة ذات عرف أبيض لماع من النايلون. وعندما تفقدتها والدتها بعد حين وجدتها ميتة اختناقاً بفعل التقيؤ والشعر من عرف الفرس.

□ في تولوز بفرنسا كانت آن ماري ذات الاعوام الثلاثة تحاول الجلوس في كرسي لعبتها عندما انهار الكرسي القابل للطي والرديء الصنع تحت وطأة وزنها، فحُشرت يدها اليمنى في الطية المعدنية التي تشبه المقص. وعلى الفور بتر خنصرها.

□ في بيزا بايطاليا وقع نظر لوكا، وهو في الخامسة من العمر، على زجاجة زيت

ILLUSTRATION DAVE HENDERSON

للمصابيح تفوح منها رائحة الليمون، وكانت والدته استعملتها لتعبئة قنديل للزينة. حلّ غطاءها بسهولة وشرب منها. ونقل على الفور الى المستشفى حيث فارق الحياة بعد يومين نتيجة اصابته بذات الرئة السمية.

ان الحوادث التي تحصل في المنزل وأثناء اللعب تعتبر القاتل الاول للاطفال الذين تراوح أعمارهم بين عام وأربعة عشر عاماً في بلدان المجموعة الاوروبية، مسببة وفيات أكثر من تلك الناتجة من المرض وحوادث السيارات. وخلال هذه السنة سيحتاج نحو ٢٠ مليون طفل الى معالجات طبية للاذى الذي يلحقهم داخل بيوتهم وحولها. وسيموت منهم عدد يراوح بين ١٠ آلاف و٢٠ ألفاً، وسيبقى نحو ٣٠ ألفاً معاقين دائمين أو ذوي ندب.

أما أسباب هذه "الجزية" الرهيبة فتعود اما الى جهل الاهل واما الى لامبالاتهم. وفي امكان أي طبيب أطفال أن يقص حكايات رهيبة عن أطفال غرقوا في مغاطس الحمامات أو وقعوا من نوافذ مشرعة. الدكتور جان لافو، وهو طبيب أطفال في قسم الطوارىء الناشط بمستشفى جامعة نيكر في باريس بفرنسا، يشاهد حالات احتراق مروعة كل يوم. يتشوه الاطفال طوال حياتهم لانهم يلعبون بعيدان الكبريت أو يسحبون صينية تحتوي على سائل غال من فرن المطبخ. يقول الدكتور لافو متأسفاً: "ان المشكلة تكمن في عدم تقدير الاولاد، والاهل أيضاً، للمخاطر المتأصلة في المنزل."

لكن ٦٠ الى ٧٠ في المئة من الحوادث المنزلية التي يتعرض لها الاطفال مرتبطة مباشرة بالتصاميم السيئة والصناعة الرديئة للمنتجات. ولن ينسى الدكتور خوسيه غارسيا - سيسيليا من مستشفى لاباز في مدريد ذينك الوالدين الشابين اللذين ناشداه بألم انقاذ ابنهما ذي السنتين الذي اختنق عندما أطبق عليه سريره الرخيص القابل للطي. وفي السويد يتذكر الدكتور هربرت إنيل حادثاً حصل لفتاة في الرابعة عشرة أحضرت اليه وهي تجاهد لتتنفس وقد أصيبت بنوبة حساسية كادت تكون قاتلة. كان والدها أعطاها لعبة ذات كساء قطني محشوة بقشور جوز مسحوقة، سببت لها نوبة حساسية عنيفة. وفي بريطانيا وُضع جيك، وعمره ١٨ شهراً في "قفص" للعب محاط بشباك منخلية. فسقط على ساق القفص ذات الشكل "٧" وحشرت رقبته في الزاوية فمات خنقاً.

أدوية وسموم. تقول باربرا سوندرز الخبيرة بسلامة الطفل والتي كتبت تقريراً عام ١٩٨٧ لـ"المكتب الاوروبي لاتحادات المستهلكين" ومقره بروكسل: "الاطفال مستهلكون هم أيضاً، مثل الراشدين، ومثلهم لهم حق الحماية من المنتجات غير المأمونة. وهذا هو عمل لجنة المجموعة الاوروبية وحكومات دولها الاعضاء."

ويشرح فرنسوا لامي، منسق شؤون السلامة في "المكتب الاوروبي" في بروكسل، الخيبات التي تواجهها محاولات الضغط من أجل تعزيز قوانين سلامة

الاطفال والتي يبذلها ثمانية عشر اتحاداً للمستهلكين ينضوون تحت لواء "المكتب الاوروبي." حتى الآن ليست في المجموعة الاوروبية أي منظمة تتولى مهمات الاشراف، مثل "لجنة سلامة السلع المستهلكة في الولايات المتحدة" ذات القدرة على وضع المقاييس والايعاز بسحب المصنوعات غير المأمونة. لقد مضت ١٧ سنة منذ طالبت الولايات المتحدة بأوعية تضمن سلامة الاطفال لاحتواء بعض الادوية والمواد السامة. فخُفضت بذلك حوادث تسمم الاطفال بنسبة ٧٠ في المئة. ولكن ليس من قانون كهذا يشمل بلدان المجموعة الاوروبية "على رغم أننا حاولنا الضغط لوضع قانون من هذا النوع في السنين العشر الماضية،" كما يقول لامي. وهكذا فان قرابة ١٧٥ الف طفل أوروبي دون الخامسة يبتلعون سنوياً مواد سامة أو محتملة السمية.

في يونيو (حزيران) ١٩٨٨، بعد عشر سنين من الجدل والضغوط التي مارسها "المكتب الاوروبي"، أصدرت اللجنة الاوروبية أخيراً تعليمات تتعلق بسلامة العاب الاطفال. يقول لامي: "لكن هذه التوجيهات لم تكن متكاملة، إذ انها لم تأت على ذكر أي شيء عن المواد السامة والادوات الكهربائية." ولم يكن هناك ذكر للمواد الملتهبة أيضاً.

ويضيف ويم روغمنز مدير "معهد سلامة المستهلك" في هولندا: "ان فقرة التوجيهات التي تشترط حصول الصناعيين على شهادات مخبرية هي فقرة جيدة. الا أن كثيراً من الالعاب التي تباع في أوروبا هي من صنع آسيا، والمختبرات التي تتولى فحصها هي أيضاً آسيوية. فكيف للاوروبيين أن يضمنوا نوعية المراقبة المخبرية؟"

الاطفال يعانون. ان سجل السلامة لدى صانعي الالعاب الآسيوية يترك مجالا واسعاً لمخاوف مرعبة. ففي الاسواق حلقات مطاطية يعض عليها الاطفال النامية أسنانهم، وهي معبأة بسوائل تحتوي على جراثيم خطرة. وهناك أقنعة للاولاد مقاومة للنار لكنها تلتهب اذا أدنيت من سيجارة مشتعلة أو عود ثقاب. وهنالك بيض من البلاستيك يتمدد ١٣٠ مرة أكثر من حجمه متى وضع في الماء، فاذا ابتلع طفل بيضة فقد تسد أمعاءه مما قد يتطلب جراحة.

لقد وُضع برنامجان لسلامة الاطفال يدعمهما "المكتب الاوروبي"، لكنهما منيا باخفاق ذريع. كان الاول "المخطط الاوروبي لمراقبة الحوادث المنزلية وحوادث اللعب" وهو برنامج طليعي لخمس سنوات أطلقته "اللجنة الاوروبية" عام ١٩٨٦ ومهمته جمع المعلومات الحالية من ٩٠ مستشفى في بلدان المجموعة الاوروبية والتي قد تكون مفيدة في تحديد أسباب الحوادث المنزلية. يقول لامي: "نحن في حاجة الى معرفة السلع المعنيَّة لنضع أسساً للسلامة. وقدرت تكاليف البرنامج بسبعة ملايين وحدة نقدية أوروبية (ECU) فقط في السنوات الثلاث الاولى، وهي ضئيلة اذا ما قورنت بمبلغ ٦٠ مليون وحدة هي تكاليف المعالجات الطبية لتلك الحوادث."

كان عمر هذا البرنامج سنتين ونصف سنة عندما تحول كارثة. خفض عدد الموظفين، وكان التمويل يتأخر ويجمّد أحياناً، وأخيراً توقف المشروع كله. يقول بيتر برندرغاست المدير الايرلندي في مكتب "خدمات سياسة المستهلك" في "اللجنة الاوروبية" المسؤول عن هذا البرنامج: "كانت هناك صعوبات ادارية قاسية." ويرد لامي عليه قائلا: "كان اجهاض هذا المشروع اجراء وحشياً. كان لدينا كل ما هو ضروري لاطلاق حملة سلامة على الصعيد الاوروبي."

كذلك كان مصير حملة التوعية والتوجيه التي اطلقتها لجنة المجموعة الاوروبية لشؤون سلامة الطفل المعلنة عام ١٩٨٧ والتي هدفت الى تخفيض حوادث الاطفال بين ١٠ و٢٠ في المئة بحلول العام ١٩٩٥. وقد تركزت الحملة في "البيت العملاق" وهو بيت نموذجي صمم أثاثه بأحجام مضخمة جداً بغية تنبيه الراشدين الى المخاطر التي تواجه الاطفال. وقبل بدء "البيت العملاق" رحلته الى البلدان الاثنتي عشرة التي تضمها المجموعة الاوروبية في أواسط ١٩٨٨، انهار وتحول كسارة. أما السبب، كما يقول برندرغاست، فهو أن المصمم الفرنسي رفض توقيع التنازل عن حقوقه لمصلحة اللجنة (وهي تهمة أنكرها المصمم باستهجان). فأعيد القسم الاكبر من المليوني وحدة نقدية أوروبية المرصدة للمشروع الى الصندوق العام للمجموعة الاوروبية.

يقول لامي: "لقد أجهض برنامجان يتعلقان بسلامة الطفل. كيف يحصل هذا الامر؟ السياسيون ماضون في ألعابهم السخيفة والاطفال يعانون."

أصابع مبتورة. ان تراخي المجموعة الاوروبية فرض مسؤولية سلامة الطفل على الدول الاعضاء. فجاءت النتيجة خليطاً من القوانين الجيدة والسيئة، أو لا قوانين البتة. ليس في ايطاليا واليونان والبرتغال تشريع وطني محدد يتعلق بسلامة الطفل. وفي ألمانيا الغربية يكاد يتعذر ارغام صانعي المنتجات الاستهلاكية على أن يسحبوا من السوق أي سلعة يتبين عدم سلامتها. ومسؤولية سلامة الطفل في اسبانيا وزعت بين الحكومة المركزية والاقاليم السبعة عشر ذات الاستقلال الذاتي والتي يستطيع كل منها أن يطبق نظرية تختلف عن الأخرى في معالجة المشاكل.

ولدى كل من بريطانيا وهولندا أنظمة مراقبة للحوادث المنزلية مصممة لتحديد المنتجات الخطرة. وفي بريطانيا حدثت سلسلة متلاحقة من سقطات الاطفال ألقي اللوم بنتيجتها على الأسرة الهزازة الضخمة التي تنزلق عن مناضد المطابخ أو طاولات العمل. كما أحصيت مجموعة من حوادث الاختناق القاتلة ردت أسبابها الى رؤوس الاقلام اللبادية التي تلتصق بالرغامى (القصبة الهوائية) اذا ما ابتلعها طفل. وفي الحالتين أصدرت تنبيهات عامة وأقنع المنتجون بوجوب اعادة تصميم منتجاتهم. وفي هولندا حمل ارتفاع حوادث التسمم السلطات على فرض سدادات واقية لمواد التنظيف المنزلية.

عام ١٩٨٣ سنت فرنسا قانوناً جديداً قاسياً يتعلق بالسلع الاستهلاكية حمّل المنتجين، شرعاً، مسؤولية السلع الخطرة والناقصة وخوّل السلطة سحب المنتجات من السوق أو منع الانتاج. ولكن عندما نُبهت السلطات الفرنسية في مارس (آذار) ١٩٨٦ الى اصابات حدثت بسبب كرسي لعبة تدفع باليد وقد أنزلت الى مخازن الالعاب منذ ثلاثة أشهر، لم تعمل هذه السلطات على سحبها من السوق. الا أن جمعية نسائية فرنسية شنت حملة تحقيقات وتوصلت الى جمع ١٠٨ حوادث خطيرة: بتر ٧٦ اصبعاً وكسر ٣٢ أخرى.

في تلك الاثناء وتحت الضغوط الممارسة وافق المنتج الفرنسي على اضافة ماسكة معدنية واقية قليلة الكلفة، ولكن بعد بيع أكثر من ٤٠ ألف كرسي خارج فرنسا. وخلال العام ١٩٨٧ بترت أصابع مئة طفل بسبب هذا الكرسي في ألمانيا الغربية وحدها.

أبواب الافران. ان قليلا من الحماية من هذه السلع الخطرة يقدمه "الانتربول" التابع لـ"المكتب الاوروبي لاتحادات المستهلكين"، وهو منظمة متطوعة حرة تنتشر في أنحاء أوروبا وتضم مدنيين مهتمين ينبهون المكتب الرئيسي في بروكسيل الى حوادث الاطفال التي تقع في مناطقهم والمتعلقة بالسلع الاستهلاكية. فيصدر المكتب تحذيرات لاعضائه وللجنة المجموعة الاوروبية وللصحافة. واحد تحذيرات "الانتربول" طاول مماحي يابانية لها شكل قطعة حلوى ورائحتها.

يقول لامي ان هذه المماحي "نموذج لمشكلتنا. انها خطرة لان الاطفال يخلطون بينها وبين الحلوى فيبتلعونها ويختنقون. لكن هذه السلع منعت في بعض دول المجموعة الاوروبية وليس في كلها، وهذا عمل سخيف، فاذا ثبت خطر السلعة على الاطفال في أي من دول المجموعة، فهي بالتالي خطرة في جميع الدول الاعضاء، ويجب منعها هناك ايضاً."

وفي انحاء دول المجموعة الاوروبية يصنف نحو ٢٥ سلعة استهلاكية سنوياً على أنها غير مأمونة، ولكن ليس من منظمة في المجموعة لها سلطة سحب هذه السلع في الاسواق.

يقول سوندرز: "أوروبا هي في حاجة ماسة الى معايير الزامية تتعلق بسلامة السلع الاستهلاكية التي تسبب حوادث الاطفال المؤذية والمميتة. وكخطوة أولى، يجب أن يكون الاثاث المنزلي وجميع ألبسة الاطفال مقاومة النار (حالياً ليس من تدبير كهذا في دول المجموعة الاوروبية). كما يجب فرض تعليب واق للاطفال للادوية والمستحضرات الكيميائية المنزلية."

ثم هناك أبواب الافران ومواقد المطبخ. يقول لامي: "طوال عشرين سنة كنا نحاول الحصول على درجة حرارة قياسية موحّدة لابواب الافران تعمّم في دول المجموعة. ولدينا معطيات تثبت أن حرارة ٦٠ درجة مئوية لباب الفرن لا تسبب للطفل حروقاً خطرة. لكن كثيراً من المنتجين لا يصنعون الفرن على أساس هذا المقياس، وخصوصاً في أوروبا

الجنوبية. وكل عام يصاب أكثر من ١٠ آلاف طفل بحروق خطيرة من الدرجة الثالثة نتيجة لمسهم أبواب الافران."

ان الافتقار الى وكالة مراقبة مركزية يعود بفائدة مباشرة الى المنتجين العديمي الضمير. يقول لامي: "انهم يتمنون ان تترك مقاييس السلامة لكل بلد بمفرده فاذا وضع بلد حظراً على سلعة باعتبارها تفتقر الى شروط السلامة، أخذوها ببساطة الى بلد آخر وسوّقوها هناك."

بحلول العام ١٩٩٣ ستزول الحواجز التجارية الداخلية الباقية بين دول المجموعة الاوروبية. ويحذّر ويم روغمنز: "ستتنقل السلع الاستهلاكية التي تفتقر الى شروط السلامة من بلد الى آخر بسرعة، لا نملك سلطة مركزية للتحكم بانتقالها وللتأكد من أن المعلومات المتعلقة بها تنتقل بسرعة أيضاً من بلد الى آخر."

ان الامر الذي نحتاج اليه، يقول روغمنز، هو لجنة لمراقبة سلامة الانتاج الاوروبي، تتمتع بسلطة تشريع مقاييس للسلامة وتطبيقها داخل المجموعة الاوروبية كلها، ومنع بيع البضائع التي تفتقر الى شروط السلامة، وسحب أي من السلع الخطرة المعروضة في السوق. عندئذ فقط سيكون الاطفال في ظل حماية كافية.

تشارلز بارميتر ■



حديقة منزلية

أردت يوماً أن آخذ أولادي الى حديقة الحيوان، فأدرت قرص الهاتف لاستعلم متى تفتح. وبعدما رن الجرس طويلا على الطرف الآخر أجاب صوت نسائي وسط ضوضاء أطفال: "هالو!"

سألت: "هل هنا حديقة الحيوان؟"

وبعد لحظات صمت تلتها ضحكة خافتة قالت المتكلمة: "نعم، لكنها ليست الحديقة التي تبحثين عنها!"

م.ب.

ماذا تسألين مليونيراً؟

خلال أحد المقررات الجامعية حاضر فينا رجل مليونير هو مؤسس شركة صيدلة رائدة. وبعدما احتللنا مقاعدنا انبرى أستاذ المقرّر يسوق ملاحظات تمهيدية ويضيف: "آمل ان تكون عندكم بعض الاسئلة لضيفنا. ولكن ماذا عساكم تسألون مليونيراً؟"

خيّم صمت ثقيل على القاعة ثم علا صوت أنثوي من المقاعد الخلفية: "هل هو متزوج؟"

أ.ب.

تجارب على لقاح ضد الايدز

هناك تقدم يثلج الصدر في الكفاح المستمر ضد هذا الوباء القاتل

في المقر الرئيسي لمنظمة الصحة العالمية في جنيف عُلِّقت خرائط ترسم مسار انتشار مرض الايدز(١) في العالم، وهي تزداد سواداً على نحو مخيف. ففي أوائل ١٩٨٦ كانت معظم المناطق بيضاء تدل على خلوّها من الوباء. واليوم يعم انتشاره بلا هوادة كل منطقة في العالم.

يقول الدكتور جوناثان مان الامريكي الذي يدير "برنامج الايدز" في منظمة الصحة العالمية: "أينما تطلعت تجد ما ينذر بالخطر في ما يتعلق بهذا الوباء." ومع ذلك فهناك أسباب تحمل على التفاؤل. فقد ثبت أن المخاوف السابقة من أن الفيروس قادر على تغيير تركيبته الوراثية فيصبح نقله أكثر سهولة لا أساس لها من الصحة. فالتماس الجنسي والمشاركة في الابر كما يحصل بين مدمني المخدرات والنقل من الأم الى الجنين والعدوى من طريق الدم ومنتجات الدم ما زالت الوسائل الوحيدة لانتشار لانتشار الفيروس.

ولكن هناك الكثير مما لا يزال يقلق خبراء الايدز:

■ بحسب منظمة الصحة العالمية، قد يكون نحو ستة ملايين شخص في العالم أصيبوا بفيروس فقدان المناعة البشرية «HIV» (٢) الذي يسبب الايدز. والتقديرات المتحفظة هي أن بين ١٥ و٢٠ مليون شخص سيكونون مصابين في السنة ٢٠٠٠. وليس من الضروري أن يحمل المرء اعراض الايدز كي يكون معدياً، إنما يكفي أن يكون مصاباً بفيروس «HIV».

■ هناك دليل قوي على أن كل شخص مصاب بفيروس «HIV» سيصاب عاجلا ام

(١) هو داء فقدان المناعة المكتسبة Acquired immune deficiency syndrome «AIDS»

(٢) Human immunodeficiency virus

آجلا بالإيدز. والى الآن ليس ثمة دواء شاف للمرض.

■ تقدّر منظمة الصحة العالمية عدد الناس الذين نكبوا بالإيدز في انحاء العالم بنحو ٦٠٠ ألف. وخلال التسعينات قد يلتقطه ما بين ٥ و٦ ملايين شخص.

■ ما زال الوباء يشتد سوءاً في افريقيا. وفي مدن افريقية رئيسية كثيرة هناك بين ١٠ الى ١٥ في المئة من البالغين مصابون به وهو يصيب الرجال كما يصيب النساء.

■ في تايلاند حالياً وباء جامح. ففي أواخر العام ١٩٨٧ كان واحد في المئة من مدمني المخدرات التي تحقن وريدياً في بانكوك يحمل فيروس «HIV». وحالياً ارتفع الرقم الى أكثر من ٤٠ في المئة. ان التلوث بهذا الفيروس امتد الى معظم أقاليم تايلاند، وفي السنوات الاخيرة ارتفع أكثر من ضعفين لدى متعاطيات البغاء.

■ في الهند اكتُشف فيروس «HIV» بين النساء في بومباي وكلكوتا وجنوب شرق البلاد. ويبدو أنه آخذ في الانتشار.

■ هناك دليل على ازدياد التلوّث بين النساء والرجال غير الشاذين في أمريكا الشمالية وامريكا الجنوبية حيث كان في السابق يصيب غالباً الرجال الشاذين ومتعاطي المخدرات من طريق الحقن.

■ في هندوراس وغيانا الفرنسية وجمهورية الدومينيك وجزر البهاما وترينيداد ما زال الوباء يصيب الرجال غالباً، لكنه ينتقل بسرعة الى أعداد أكبر من النساء. وفي هاييتي، البلد الذي عرف أعنف الاصابات في النصف الغربي من الكرة الارضية، نجد ١٠ في المئة من النساء الحوامل مصابات بالداء، وهي النسبة ذاتها في بعض أنحاء افريقيا.

■ في الولايات المتحدة أفيدت "مراكز ضبط المرض" بنحو ١٠٦ آلاف اصابة بالأيدز مات فيها (٦١ ألفاً). ويتوقع تقرير حديث لمكتب الاحصاءات أنه في نهاية السنة ١٩٩١ سيكون هناك ٤٨٠ الف امريكي التقطوا المرض. وتقدر مصلحة الصحة العامة ان ما بين مليون و١،٥ مليون أمريكي مصابون حالياً بالفيروس. وبحسب منظمة الصحة العالمية يقدر أن هناك ١٠٠ ألف في آسيا وأوقيانيا و٥٠٠ ألف في أوروبا ومليوناً في أمريكا اللاتينية و٢،٥ مليون في افريقيا.

■ يواجه الاولاد الذين هم الضحايا البريئة لهذا الداء مآسي مخيفة. ففي البرازيل اكتشفت اصابات بالإيدز وبفيروس «HIV» بين أولاد الشوارع في ريو دو جانيرو وسان باولو. وبما أن بنوك الدم ظلت حتى العام ١٩٨٨ من دون ادارة منتظمة، فقد تسببت عمليات نقل الدم في عشرة في المئة من الاصابات المعلنة بالمرض. والاولاد المصابون يتوفون بالنسبة ذاتها كما الراشدون.

المرض المستتر. أحد مظاهر الإيدز المرعبة انتقاله من أفراد الجماعات ذات التعرض الشديد للخطر (٣) الى شركائهم في الممارسة الجنسية.

(٣) أي الرجال الشاذين ومتعاطي المخدرات المحقونة عبر الاوردة.

في السويد (اسوج) نقل بحّار العدوى من احدى البغايا في هاييتي الى خمس نساء سويديات، منهن اثنتان نقلتا العدوى الى رجلين واثنتان نقلتاها الى طفليهما الوليدين.

وفي مدينة إليستا السوفييتية نقل رجل فيروس الإيدز الى زوجته التي وضعت طفلا مصاباً. ومرض الطفل فأدخل المستشفى حيث نقل الفيروس الى اكثر من ٥٠ ولداً آخر من طريق اعادة استخدام الإبر والمحاقن.

يقول الدكتور جايمس تشن المسؤول عن مراقبة انتشار فيروس «HIV» عالمياً في منظمة الصحة العالمية: "ان معظم الناس الملوّثين بفيروس «HIV» في العالم هم من غير الشاذين جنسياً. وفي كل مكان يزداد عدد الاشخاص الطبيعيين المصابين بالإيدز." وتضيف ماتيلد كريم، احدى مؤسسي "الوكالة الامريكية لأبحاث الإيدز" الممولة بتوظيفات خاصة: "تنشر وسائل الاعلام أخباراً مفادها أن الممارسة الجنسية الطبيعية العابرة تنطوي على خطر قليل جداً. ان هذه الفكرة خطرة."

منذ ٣١ أغسطس (آب) ١٩٨٩ أفادت مراكز ضبط المرض أن في الولايات المتحدة ٣٣٣٠ اصابة بالإيدز انتقلت بالممارسات الجنسية الطبيعية، باستثناء تلك التي مني بها الاشخاص المولودون في هاييتي أو افريقيا الوسطى حيث يعتقد أن الممارسات الجنسية الطبيعية هي السبيل الرئيسي لنقل المرض. ان هذه الاصابات تعادل ٣ في المئة من كل الاصابات المعلنة حتى ذلك التاريخ في الولايات المتحدة، وقد تضاعف عددها في الاشهر الخمسة عشر الماضية.

احدى المشاكل التي تعسّر الحصول على أرقام صحيحة هي فترة استتار المرض التي قد تطول بين ٨ سنوات و١٠ سنين بعد العدوى الاولية، قبل أن تنشأ اعراض المرض. والى ذلك فان فترة الاستتار تبدو غالباً الاطول حين ينتقل الإيدز جنسياً، خصوصاً من طريق الممارسات الطبيعية، لان هذا السبيل لا ينقل عدداً كبيراً من الفيروسات. والأشخاص الملوّثون بكميات كبيرة من الفيروس، كما يحدث في بعض عمليات نقل الدم، يصابون بالإيدز في وقت أسرع.

تقول ستيفاني ساندرز المديرة المساعدة لمعهد كينسي للابحاث الجنسية والتناسلية في جامعة إنديانا: "من المهم للطبيعيين جنسياً ألا يشعروا أنهم في أمان من الجماعات المعرضة لنسبة عالية من الخطر. وتدل أبحاثنا على مستوى مدهش من التفاعل بين الطبيعيين والشاذين جنسياً."

وفي مراجعة حديثة للكتابات العلمية تشير ساندرز، ومعها باحثو المعهد، الى دراسات بينت أن ٧٠ في المئة من الرجال البيض الشاذين أقاموا علاقات مع رجال متزوجين، وان بين ٦٢ و٧٩ في المئة أقاموا علاقات مع نساء. وقياساً على معلومات أخرى يقدر الباحثون أن ٣٧ في المئة من الازواج و٢٩ في المئة من الزوجات أقاموا علاقات خارج الرباط الزوجي مرة واحدة على الأقل.

تقدم بطيء. جيم عامل بريدي في العشرينات من عمره. وها هو جالس بعصبية على طاولة فحص فيما تقيس احدى الممرضات مؤشراته الحيوية. ثم تسحب دماً من ذراعه. وهذه عملية يخضع لها جيم كل أسبوعين في وحدة التجارب السريرية في المركز الطبي التابع لجامعة كورنيل ومستشفى نيويورك.

ان جيم جزء من "البروتوكول ١٩." وهي دراسة واسعة النطاق للعقار "زيدوفودين"(٤) يرعاها المعهد الوطني للحساسية والامراض المعدية. قال جيم انه طبيعي جنسياً وانه لم يتعاط المخدرات قط، لكنه يقيم علاقات مع عدة نساء. وهو صُعق حين كشفت الفحوص التي أجراها لدى تبرعه بالدم أنه ملوّث بفيروس «HIV» .

وخلافاً للمرضى السابقين الذين تناولوا العقار "زيدوفودين"، فان جيم والمشاركين الآخرين في الدراسة ليسوا مرضى بعد. وفي بداية تجربة العقار لم يعرفوا، لا هم ولا الباحثون، من يُعطى "زيدوفودين" ومن يُعطى دواء مموهاً.

في شهر أغسطس (آب) ١٩٨٩ طرأ تعديل على الدراسة بفضل اكتشاف مذهل مفاده أن العقار يمكنه تأخير الاصابة بالإيدز لدى الاشخاص الخالين من أعراضه ولديهم عدد متدن من خلايا «T4». فالمشاركون الذين يكون احصاء خلايا «T4» لديهم أدنى من ٥٠٠، وهو الحد الذي يكون فيه جهاز المناعة أشد تعرضاً للخطر، باتت تؤمن لهم معالجة بالعقار "زيدوفودين."

والى ذلك هناك خبر سار من "البروتوكول ١٩." مفاده أن السُّمية لدى المرضى الخالين من الاعراض كانت في حدّها الأدنى. والجرعات المخفوضة من "زيدوفودين" تبدو مفيدة مثل الجرعات الأقوى، مما يخفف مفاعيله الجانبية الخطيرة كالغثيان وهبوط عدد خلايا الدم الحمراء والبيضاء.

بدأت أول دراسة أوروبية مماثلة للعقار "زيدوفودين" على نطاق واسع في أواخر ١٩٨٨، وينتظر أن تستمر الى نهاية ١٩٩١. والدراسة بعنوان "كونكورد ١" وترعاها المجالس الوطنية للابحاث الطبية في بريطانيا وفرنسا وتشمل ألف مريض فرنسي وألف مريض بريطاني ملوّثين بفيروس «HIV».

والمرتقب أن العقار "زيدوفودين" يستطيع تأخير بروز أعراض الأيدز وليس منعها. ويجرى الآن تقويم عقاقير أخرى مضادة للـ"رتروفيروس"(٥) – منها «DDI» و«D4T» و «DDC»– لتحديد ما اذا كانت فاعلة مثل "زيدوفودين" ولكن أقل سمّية. ويقول البروفسور جان – بول ليفي مدير "الوكالة الوطنية لابحاث الإيدز" في فرنسا: "يجمع الرأي اليوم على أن هذا المرض لا يكافح بدواء أعجوبة أو بمعالجة واحدة، بل بحشد من المعالجات المختلفة. والتقدم سيكون بطيئاً."

آمال كبيرة. ان التحدي هو في منتهى الصعوبة، لان فيروس «HIV» بالغ التعقيد.

(٤) Zidovudine «AZT»
(٥) Anti — retroviral drugs

انه يخترق خلايا مختلفة، بما فيها خلايا «T4» الاساسية في جهاز مناعة الجسم. وحين يخترق الفيروس خلية «T4» يستخدم "ماكينتها" الخلية الوراثية ليتناسخ. ثم يتفجّر من الخلية باحثاً عن أهداف أخرى وقاضياً على خلية «T4» . وكلما ازداد اتلاف خلايا «T4» انخفضت المناعة ضد المرض. ومنذ بروز أعراض الايدز يتوفى المصاب بعد فترة معدلها سنتان.

بيد أن وباء الإيدز انتشر في وقت توافرت للعلم أدوات لكشف غوامضه. فقبل خمس سنوات رأى الباحثون أملا ضئيلا في إبطائه تمدده. لكن خطوات متقدمة وكبيرة أحرزت في هذا المجال.

كان أولا اكتشاف العقار "زيدوفودين"، ثم "بنتاميدين" وهو عقار ضبابي يساعد في منع التهابات الرئتين التي تصيب ضحايا الإيدز. أما اليوم فالحكومات في الولايات المتحدة وأوروبا ومعظم البلدان الأخرى، ومنظمة الصحة العالمية ومنظمات دولية أخرى، تساهم بما يزيد على مليار دولار في ابحاث الإيدز في السنة ١٩٩٠، تضاف اليها مساهمة كبيرة من القطاع الخاص. وهكذا يصار الى تحقيق اكتشافات أخرى تحمل وعوداً وآمالا.

«CD4» اصطناعي (٦). لاختراق خلية بشرية يحتاج فيروس «HIV» الى "باب" في غشاء الخلية الواقي. وخلايا «T4» لديها هذا الباب الذي يعرف باسم «CD4». وعلى سطح الفيروس بروتيين «gp 120» الذي "يفتح" الباب «CD4» ليدخل الفيروس. ففي حال منع الفيروس بطريقة ما من ولوج تلك الخلايا، فسيبقى عائما في مجرى الدم عاجزاً عن الاذى.

في محاولة لسد الباب على الفيروس عمد باحثون في التكنولوجيا الحيوية في الولايات المتحدة وأوروبا الى ابتكار أشكال اصطناعية من «CD4» . وبتعويم الجسم بهذه الاشراك الخادعة يغرى الفيروس اليها فيلتصق بأعداد أقل من الخلايا الصحيحة.

يقول ديفيد كلاتزمان المدير العلمي لمختبر أبحاث «CD4» في مستشفى لابيتييه - سالبترييير في باريس: "ان «CD4» يعطي نتائج جيدة في المستشفى. لكن حياته في الجسم قصيرة بحيث يتعين تزويد الجسم اياه باستمرار. والسؤال الذي لا يلقى جواباً هو: هل سيكون في قدرة العلماء تطوير جزيئات مولّدة (٧) تكون أطول عمراً وأكثر فاعلية؟ وعلى رغم المشاكل المحتملة يعتقد كلاتزمان وآخرون عاملون في هذا الحقل أن «CD4» يبشر بنجاح كبير.

المركّب «Q» (٨). هذا العقار خلاصة مستخرجة من جذور خيار صيني. وهو يبشر أيضاً بالنجاح. يدعى المركّب «Q» رسمياً "ترايكوسانثن" وقد استخدم حديثاً لمعالجة بعض الاورام السريعة الانتشار. وهناك نوع منه في الولايات المتحدة

(٦) Synthetic CD4
(٧) Hybrid molecules
(٨) Compound Q

يدعى «GLQ223» تجرى عليه تجارب أولية بموافقة مديرية الغذاء والدواء.

في دراسات مخبرية في مستشفى سان فرنسيسكو العمومي اكتشف الدكتور مايكل ماكغراث من جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو أن «GLQ223» يتلف البلاعم(٩) الملوثة بفيروس «HIV» وهي خلايا في جهاز المناعة قد تشكل مخبأ لفيروس الإيدز. ومن اللافت أن البلاعم الخالية من التلوّث لا تبدو عرضة للتلف. ويرى بعض الخبراء رجاء في المركّب «Q» لكنهم يمسكون عن اصدار حكم نهائي على فاعليته حتى استكمال دراسات اضافية.

صادّات البروتييز (١٠). في المختبرات الصيدلانية في الولايات المتحدة وشركات الادوية الاوروبية يجرى التركيز على الـ"بروتييز" وهو خميرة (أنزيم) يحتاج اليه فيروس الإيدز للتناسخ. فاذا اكتشف عقار يسد الطريق على البروتييز أو يجمّد فاعليته، أمكن احباط نشاط الفيروس. والمسؤولون في شركات الادوية متفائلون بامكان تطوير عقار صادّ للبروتييز خلال خمس سنوات.

اللقاح. ان الطريقة الفضلى، نظرياً، لابادة مرض الإيدز هي تفادي العدوى كلياً. وتعمل اللقاحات عموماً عبر تطعيم المرء بجراثيم واهنة أو ميتة. فيستجيب جهاز المناعة بانتاج أجسام مضادة(١١) تهاجم الجسيمات الغازية. فاذا حدثت الاصابة بتلك الجسيمات لاحقاً انبرت لها الاجسام المضادة وفتكت بها، وبذلك تمنع الاصابة بالمرض.

والعقبة الرئيسية هنا هي أن العلماء يجهلون حتى الآن ما اذا كان الجسم يمكن أن يصبح منيعاً ضد عدوى فيروس «HIV». والى ذلك فان الغشاء الخارجي لفيروس الإيدز، الذي يكتشفه جهاز المناعة أولا، يتغير وراثياً باستمرار في جسم المصاب عينه. لذلك يركز كثيرون من الباحثين على نواح من الفيروس يبدو انها تقاوم التغيار الوراثي(١٢) وتختلف قليلا من نسل الى نسل.

وثمة توجّه جديد آخر هو التطعيم بلقاح بعد العدوى، على غرار الطريقة المتبعة في معالجة داء الكَلَب. والحسن في هذا النوع من المعالجة المناعية أنه قد يمنع تطور المرض لدى المصابين حالياً.

وهناك طريقة واعدة اقترحها الدكتور جوناس سالك الذي ابتكر أول لقاح لشلل الاطفال. استخدم الدكتور سالك فيروساً كاملا "مقتولا" لتحضير لقاح للإيدز. ثم عمد زميله الدكتور كلارنس غيبس الاختصاصي بالفيروسات في "معهد الابحاث العصبية" الى اختبار اللقاح على قرود الشمبانزي، وهي الحيوانات الوحيدة التي يعرف انها تصاب في المختبر بفيروس «HIV» . أعطي اللقاح الى اثنين من القرود المصابة، فنتج منه ارتفاع حاد

---

(٩) Macrophages
(١٠) Protease blockers
(١١) Antibodies
(١٢) Mutation

في عدد الاجسام المضادة. وما هي الا أشهر حتى كان الفيروس اختفى من دمهما حتى تعذر اكتشافه. وأعطي اللقاح أيضاً الى شمبانزي غير مصاب فتولدت لديه استجابة قوية للاجسام المضادة.

ومنذ ذلك الوقت أعطى زملاء سالك في جامعة كاليفورنيا الجنوبية اللقاح الى ١٩ شخصاً مصاباً بفيروس «HIV» ، وقد كان جهاز المناعة مستنفداً لدى جميعهم على نحو خطير. ومع أن الفيروس لم يستأصل من أي منهم، فان واحداً منهم فقط ظهرت عليه أعراض الإيدز بعد سنة، وثمانية قويت أجهزة مناعتهم على نحو ملحوظ. ويحذر سالك من الآمال الخاطئة، لكنه يرى أن هذه التطورات وسواها في أبحاث الإيدز تعني أن تشخيص الاصابة بفيروس «HIV» لا يعني بالضرورة حكماً بالموت."

وهناك توجه آخر للمعالجة باللقاح، رائده البروفسور دانيال زاغوري من جامعة بيار وماري كوري في باريس. يأخذ زاغوري خلايا لمفوية(١٣) فيعالجها في المختبر لتوليد استجابة مناعية ضد فيروس «HIV» . ثم يعود فيحقن بها الشخص الذي أخذها منه. وهذه الطريقة اللقاحية اختبرت على مجموعتين: مجموعة خالية من «HIV» وأخرى مصابة بالإيدز أو بالتعقيدات المتعلقة بالإيدز. وقد تبين الى الآن أن هذا اللقاح الاختباري ولّد رد فعل مناعياً ضد سلالات مختلفة من فيروس الإيدز. ويعمل زاغوري وزملاؤه حالياً على اجراء تعديلات على اللقاح لجعله "أسهل استعمالا."

واختبر زاغوري أيضاً طريقة لقاحية تقليدية. أولج جزءاً من فيروس «HIV» (جينة القلب والغلاف البروتييني) في فيروس جدري البقر. فهذا الفيروس الهجين يدخل الجينة الى الخلية حيث تصنع بروتيينات «HIV» التي تحفز انتاج أجسام مضادة للفيروس. ثمّ اختبر هذه الطريقة على نفسه وعلى ١١ متطوعاً أصحاء في فرنسا وزائير عام ١٩٨٦، وكانت تلك أول تجربة بشرية للقاح الإيدز. وامتدت التجارب العيادية فشملت ٥٠ آخرين من المتطوعين الاصحاء. وأظهرت التجربة الى الآن أن اللقاح آمن – أي انه لا يسبب تأثيراً سمّياً ولا نقصاً في المناعة على غرار ما يفعل الإيدز – وانه يولد في المختبر استجابة مناعية ضد فيروس «HIV» . ولكن لاثبات فاعلية اللقاح في الوقاية ضد العدوى بفيروس «HIV» المكتسبة طبيعياً، يقتضي اجراء تجارب سريرية على عدد كبير من الافراد المعرضين أكثر من غيرهم للاصابة.

والباحثون في معهد باستور في باريس، الذي كان أول من أفاد عن وجود "رتروفيروس"(١٤) يحتمل ارتباطه بالإيدز، ركبوا لقاحاً اختبارياً بادخال قطعة من غشاء بروتيين «HIV» في بروتيين فيروس التهاب الكبد(١٥) على أمل انتاج أجسام مضادة للفيروسين معاً. وهناك مجموعة أخرى من باحثي معهد

(١٣) Lymphocytes . وهي خلايا دم بيضاء تؤلف جزءاً من جهاز المناعة.

(١٤) Retrovirus

(١٥) Hepatitis B

باستور، برئاسة موريس هوفنونغ، أولجت قطعاً مختلفة من غشاء «HIV» البروتييني في بروتيين غشاء جرثومي، على أمل أن تنتج هذه التركيبة أجساماً مضادة لفيروس «HIV» . وستكون الخطوة التالية اجراء تجارب على قردة المكّاك الآسيوية.

وهناك حالياً نحو ١٠٠ دواء قد تفيد مرضى الإيدز.

حزام الإيدز. لنفكر في مغزى تجربة الـ"زيدوفودين" التي شارك فيها جيم. قد يفيد من العقار الامريكيون والاوروبيون الملوّثون بفيروس «HIV» والخالون من أعراض الإيدز ولكن لديهم عدد ضئيل من خلايا «T4» . واستناداً الى هذا الدليل يدعو خبراء الصحة ومسؤولون في وزارة الصحة الاشخاص الأكثر تعرضاً للخطر الى التطوع للفحص والاختبار. ولو شملت المعالجة بالـ"زيدوفودين" كل المصابين في هذه المجموعة في أوروبا، فستكلف أنظمة الخدمات الاجتماعية ما لا يقل عن مليار دولار سنوياً. ويضيف جايمس تشن من منظمة الصحة العالمية أن "ذلك لا يشمل حتى تكاليف برنامج طويل الامد للفحوص والاستشارات يقتضي ترتيبه لمعرفة الاشخاص الملوثين بفيروس «HIV» .

إن أفضل السبل الحالية لخفض انتشار الإيدز هي التوعية والوقاية على نطاق عالمي. وهذه الجهود لا تساعد فقط في مكافحة الوباء، بل أيضاً في مكافحة "الوباء الثاني" أي الخوف والارتياب وعدم الثقة التي يولّدها الإيدز غالباً. واليوم، لكل بلد واقع في "حزام الإيدز" الافريقي برنامج لاطلاع الناس على عملية انتشار الفيروس، وفي هذا البرنامج مثلا حملة تدعى "الحب بحذر" تنفذ في أوغندا وتحض على الزواج بامرأة واحدة.

قبل سنتين وقف الدكتور جوناثان مان من منظمة الصحة العالمية بالقرب من "جدار الصين الكبير" يتكلم مع مسؤولين صحيين صينيين. وكانت السلطات أعلنت في حينه اكتشاف أربع اصابات بالإيدز. واعتزم بعض المسؤولين في وزارة الصحة اجراء فحوص لكل الزائرين لتأمين خلوهم من فيروس «HIV» قبل السماح لهم بدخول الصين.

أصغى مان الى ما قالوه ثم أشار الى الجدار الكبير وسألهم: "هل صدّ الجدار الغزاة؟" فقالوا لا. فقال: "اذاً. لا أعتقد أن الفحص الالزامي سيبعد المرض." فاستثنى المسؤولون الصينيون زائري البلاد لمدة قصيرة من الفحص الالزامي.

يقول مان: "ان وباء الإيدز انطلق بجموح. ولكن اذا تابعنا التقدم كما فعلنا في السنوات القليلة الماضية فستتاح لنا فرصة للسيطرة على هذه الآفة المرعبة."

جون بيكانن ■

فقدان الشجاعة هو العلة الانسانية الموهنة الأكثر شيوعاً عبر التاريخ.

ك.ن.

سيماؤهم في وجوههم

ان داخلكم طاقة سحرية اليكم طريقة استخدامها

قبل سنوات كنت أخرج شريطاً وثائقياً للتلفزة حول عصابات الشوارع. فأجريت مقابلة مع جماعة من المجرمين الاحداث، وكان زعيمهم فتى في السابعة عشرة ادعى أنه يكسب ١٥٠٠ دولار في الاسبوع من طريق مهاجمة الناس وسلبهم. سألته كيف ينتقي ضحاياه، فأخبرني أنه يفتش عن أشخاص فرادى منعزلين يجرون أقدامهم، مطأطئي الرأس، يحولون بصرهم ولا يحدقون اليه بثبات ويبدو عليهم الخوف لدى رؤيته.

سألته: "هل تراني ضحية سهلة؟"

- كلا، لن أهاجمك اذا رأيتك في الطريق.

"ولم لا؟"

- أول دخولي الغرفة أخذت تحدق رأساً الى عيني وتقيسني بعينيك من قمة رأسي حتى أخمص قدمي لتحكم، كما يبدو، في ما اذا كان في وسعك التغلب علي في المصارعة. ان هذا النوع من الناس يسبب لي المشاكل.

ان ابن الشارع هذا الذي

بغريزته لغة الجسم التي تنبئه بمهاجمة ناجحة. وهي قراءة تستغرق لحظات قليلة.

تدل الابحاث على أننا نبدأ تكوين فكرتنا عن الآخرين بعد ٧ ثوان من التقائهم. ويجري معظم الاتصال بلغة غير محكية. ونحن نفشي مشاعرنا الحقيقية، بوعي أو بلا وعي، بواسطة عيوننا ووجوهنا وأجسادنا ومواقفنا. وفي الوقت ذاته يثير كل منا في الآخر سلسلة من الردود العاطفية تترجح بين الطمأنة والخوف.

فكّر في بعض لقاءاتك التي حفلت بأبرز الذكريات، كتعريفك الى زوجتك العتيدة أو مقابلة للحصول على وظيفة أو التقاء أحد الغرباء. ركّز على شعورك وفكرك في السبع الثواني الاولى. كيف "قرأت" الشخص الآخر وكيف تعتقد أنه قرأك؟

أنت الرسالة. طوال ٣٥ سنة عملتُ مستشار اتصال مع ألوف السياسيين ورجال الاعمال ومشاهير السينما والمسرح ورجال ونساء غيرهم يريدون أن يكونوا ناجحين، وساعدتهم على تقديم اقتراحات وآراء مقنعة، ويردوا بأجوبة مفحمة عن أسئلة عدوانية، ويُجروا اتصالات اكثر فاعلية. والسر في هذا التدريب هو دائماً كون المرء، بكامله، هو الرسالة.

فاذا استخدمت خصالك الحميدة فستجد أن الناس الآخرين يريدون أن يكونوا معك ويتعاونوا واياك. قوّم ما تمتلكه من مواهب شخصية: المظهر الجسدي، الطاقة، معدل الكلام، قوة الصوت ونبرته، الحيوية والايماء، تعبير العينين والقدرة على ابقاء انتباه الآخرين مشدوداً اليك. فالشخص الآخر سيكوّن انطباعه عنك على أساس كل هذه المعطيات.

والآن تذكر ثلاث مناسبات في حياتك عرفت فيها أنك تركت انطباعاً جيداً. فما الذي جعلك ناجحاً؟ اني على ثقة بالآتي: أنت كنت ملتزماً ما تقوله، وكنت تعرف عما تتكلّم، وكنت مأخوذاً كلياً بتلك اللحظة الى حد أنك فقدت كل وعي لذاتك.

كن ذاتك. تنصحك كتب الارشادات بالدخول على من ينتظرك وبأخذ المبادرة، مؤكداً قوة شخصيتك وقدرتك على أن تكون باهراً وتترك انطباعاً قوياً. وتعلمك كيف تصافح الآخرين فتشدّ أكفّهم كملزمة. وتطلب منك أن تحدق بقوة الى عيني الشخص الآخر كما لو كنت منوّماً مغنطيسياً. لكنك اذا تبعت جميع هذه النصائح فستدفع الجميع الى حافة الجنون، وتدفع ذاتك أيضاً.

ان السر هو أن تكون دائماً ذاتك في أفضل حالاتها. أن أكثر الناس تأثيراً لا يغيّرون شخصيتهم بين ظرف وآخر. إنهم هم ذاتهم، لا فرق اذا كانوا في محادثة حميمة أو يخطبون في مناسبة أو يجرون مقابلة طلباً لوظيفة. انهم يتصلون بكامل ذواتهم، قلباً وقالباً، ونبرة اصواتهم وايماءات أيديهم متناسقة تماماً مع كلامهم.

ان الخطباء غالباً يرسلون اشارات مربكة الى سامعيهم. ومَثلي المفضل على هذا النوع هو ذلك الذي يبدأ خطابه بعبارة "سيداتي، سادتي، انني لسعيد جداً بأن أكون هنا" فيما هو يرنو الى حذائه. فمثل هؤلاء لا يظهرون سعداء، انما يبدون ساخطين أو خائفين أو كئيبين.

أما المستمعون فتطغى لديهم الصور المرئية على الكلامية، فيفكرون: يقول لنا إنه مسرور، لكنه ليس كذلك. انه ليس صادقاً.

استخدم عينيك. اذا كنت تتكلم مع شخص واحد أو مع مئات الاشخاص فتذكر أن تنظر اليهم. فبعض الناس يبدأون الكلام وهم ينظرون اليك، وما ان ينطقوا ثلاث كلمات حتى يقطعوا الاتصال العَيْني وينظروا خارج النافذة.

لدى دخولك غرفة أجِلْ ناظريك بارتياح، ثم تطلع مباشرة الى الموجودين وابتسم.

بعض الناس يعتقد ان ولوج غرفة ملأى بالناس هي بمثابة ولوج عرين أسد. أنا أخالف هذا الاعتقاد. لكني لو وافقته لما رنوت الى قدميّ ولا تطلعت الى السقف، بل لبقيت محدّقاً الى الاسدا

الابتسام مهمّ. لكن بعضهم يتقصّده كحيلة للفوز، فيشبك عينيه بعينيك ويتحفك بابتسامة عريضة تكشف أسناناً نابية، هي أقرب الى تكشيرة مصطنعة منها الى ابتسامة. وهذا مثير ومرهق كالتكلم مع شخص لا ينظر اليك مطلقاً. ان أفضل الابتسام والاتصال العَيْني هو ما كان مريحاً ولطيفاً وصادقاً ومن دون تكلّف.

أصغِ قبل الوثوب. علّمني والدي أن "أمتصّ" الآخرين قبل أن "أبرز" نفسي، قال لي: "يا ولدي، لن تتعلم شيئاً فيما أنت تتكلم."

لدى حضورك اجتماعاً أو حفلة أو مقابلة لا تبدأ رأساً بنثر آرائك. توقف لحظة لكي تستوعب ما يجري وتعرف مزاج الآخرين: هل هم كئيبون؟ سعداء؟ مترقبون؟ هل هم في شوق ليتعلموا منك أم انهم ينضحون مقاومة؟ اذا تمكّنت من معرفة ما يحدث لدى الآخرين، فستكون في موقع أفضل للوصول اليهم.

ركز طاقتك. علّمني جاك بني درساً مهماً. في فترة متقدمة من عمله كان هذا الممثل الفكاهي ضيفاً في "استعراض مايك دوغلاس" التلفزيوني، وكنت أنا المخرج التنفيذي.

حين التقيت بني رأيته رجلا مسناً نحيفاً قصيراً متكوماً على مضجع في احدى الزوايا. فقلت في نفسي لا بدّ انه سيلفظ أنفاسه في أثناء العرض.

وعندما حان دوره حبست أنفاسي. بدأت الفرقة الموسيقية تعزف أغنيته "الحب المتفتح." تنفّس بني بعمق وبدا كأنما كتلة من الطاقة والحيوية تدخن في جسمه. فاستقام في مشيته وغمزني وابتسم لي. ولدى دخوله المسرح راح يرجح يديه وهو يخطو خطوته الشهيرة. واذ جاك بني "الحقيقي" يظهر فجأة أمام أعيننا. لقد ادخر طاقته حتى بدء أدائه.

كيف تحفز طاقتك؟ قبل أن ألتقي أحداً، أجلس وأجمع أفكاري بهدوء. أتنفّس بعمق وأفكر في أهداف اللقاء – هدفي وهدف الشخص الآخر. أحياناً أتمشى لبضعة دقائق لكي أحفز قلبي على الضخ. وحالما أدخل ذلك الباب أنقطع عن التفكير في نفسي وأركّز على الشخص الآخر محاولا استكشاف شيء فيه أحبه.

ان الطاقة المنظمة تنبعث فينا قوة مغناطيسية تبرز في كل منا حين يؤمن بشيء. حين يتكلم الناس ذوو الطاقات فانهم يمتزجون بسامعيهم وبرسالتهم. في امكانك عدم موافقتهم على معتقدهم، ولكن لا يسعك التشكيك في صدق اقتناعهم.

من المهم أن يسود جو من اليقين. فغالباً ما ترى أناساً يبدأون الكلام بقوة ثم يشردون أو يترددون أو يضعون أيديهم على أفواهم. لا أحد يرغب في الاصغاء الى شخص متردد. حسن أن تكون هادئاً وحذراً ومتأنياً، انما لا يجدر بك أن تكون متردداً غير واثق.

ابتهج. كنت مرة في اجتماع مجلس ادارة رأسه أحد أقوى مديري عالم الفن، وكان طاغيا مستبداً يبعث الخوف في الجميع. فراح يصبّ جام غضبه حتى لهفوات بسيطة. وبدا أنه مستمتعاً بقدرته على تخويف الآخرين واخضاعهم. وحين جاء دوري نهرني صائحاً: "وأنت يا أيلس، ماذا تعمل؟"

قلت: "هل تعني الآن، أم هذا المساء، أم في بقية حياتي؟" وتلت لحظة سكوت اتسعت فيها عيون الحاضرين وهم يراقبون مشدوهين. واذا بالمدير يلقي برأسه الى الوراء وينفجر ضاحكاً. وسرت العدوى في الآخرين فأغربوا في الضحك أيضاً: وهكذا كسر الظرف حدة التوتر الذي ساد جواً ضاغطاً.

لو كان لي أن ألخص بكلمتين النصيحة التي أسديتها الى كثير من زبائني لنصحتهم بأن يبتهجوا.

أنظر بجدية قاسية الى ذاتك. هل تقول "أنا" تكراراً؟ هل تركّز تفكيرك على مشاكلك الذاتية؟ هل تتذمر كثيراً؟ حين يعرض الناس فكرة جديدة هل تحاول خنقها أو تنفيسها؟ اذا كانت أجوبتك نعم حتى عن واحد من هذه الاسئلة، فأنت في حاجة الى بعض البهجة والاشراق، لأنك بتذمّرك ترهق أصدقاءك وأهلك وزملاءك.

لكي تجعل الناس يرتاحون اليك حاول أن تبدو أنت مطمئناً ومرتاحاً في داخلك. لا تعمد الى تغييرات جذرية في شخصيتك. لا تصطنع وضعاً زائفاً، بل كن ذاتك في أفضل حالاتك. فالحقيقة أن في داخلك يكمن السحر الذي يتيح لك أن تترك الانطباع الجيد. وما من أحد يقدر أن يكون "أنت" أفضل منك.

روجر ايلس مع جون كروشار ■

الكاتب مستشار اتصال عمل لدى ثلاثة رؤساء أمريكيين.

مهما تذمرت من رداءة الطعام، فحالما يسألك النادل كيف وجدته تجيب على الفور: "جيد."

ر.س.

صور من الحياة

عفوية ولو متأخرة

كان ابني المراهق يمر في تلك الفترة الحرجة التي يُعتبر فيها رأي الاهل عين الخطأ. لذلك سُررت عندما سألني أن أساعده على اختيار قميص يرتديه في حفلة، من بين ثلاثة قمصان: أزرق وأبيض وبني مصفوفة على السرير. فقلت: "افضل القميص الأزرق."

– ما خيارك الثاني؟

"الأبيض."

– شكراً.

قال ذلك، وارتدى البنيّ.

س.ك.

لباقة

اندفعت سيارة الاطفاء التي كنت فيها الى منزل اشتعلت فيه النار واحتجزتْ امرأة في الطبقة الثالثة. فارتقيتُ سلماً ووجدتها جالسة قبالة النافذة، فطلبت منها ان تأتي وتنزل معي. فاجابت: "ايها الشاب، سابقى جالسة حيث انا." حاولت اقناعها لكنها اصرت على الرفض. اذ ذاك قلت لها: "حسناً، اذا بقيت جالسة فسأحذو حذوك." فأخذتْ يدي فوراً وطلبت مني ان انزل امامها.

في ما بعد سألتُ المرأة ماذا جعلها تغيِّر رأيها، فاجابت: "كان ذلك عندما قلت إنك باق، فمنزلي لم يكن مهيأ لاستقبال احد."

ت.م.

عامل أمين

وجد صديقي المتقاعد متعة في مراقبة عملية بناء جناح ملحق بأحد المراكز التجارية. وإذ راح يراقب الورشة بانتظام تأثر بنوع خاص بالضمير المهني الذي ابداه عامل ميكانيكي على احد الاجهزة. واخيراً اتيحت لصديقي الفرصة لاخبار الرجل كم سُرّ بمراقبة عمله المتقن. فنظر اليه هذا فاغراً فاه، واجاب: "ألم تكن انت المراقب؟"

هـ.أ.س.

بالونات عائلية

كان موظّف في مخزن الملبوسات يوزع بالونات على اولاد الزبائن، فسأله صبي صغير اذا كان ممكناً ان يحصل على اثنين. فاجاب الموظف: "آسف، فنحن نعطي بالوناً واحداً لكل ولد. هل عندك اخ في البيت؟"

كان الفتى صادقاً، لكنه اراد متلهّفاً الحصول على بالون ثان فردّ بأسف: "كلا، لكن اختي عندها اخ، واود ان آخذ بالوناً له."

غ.ر.

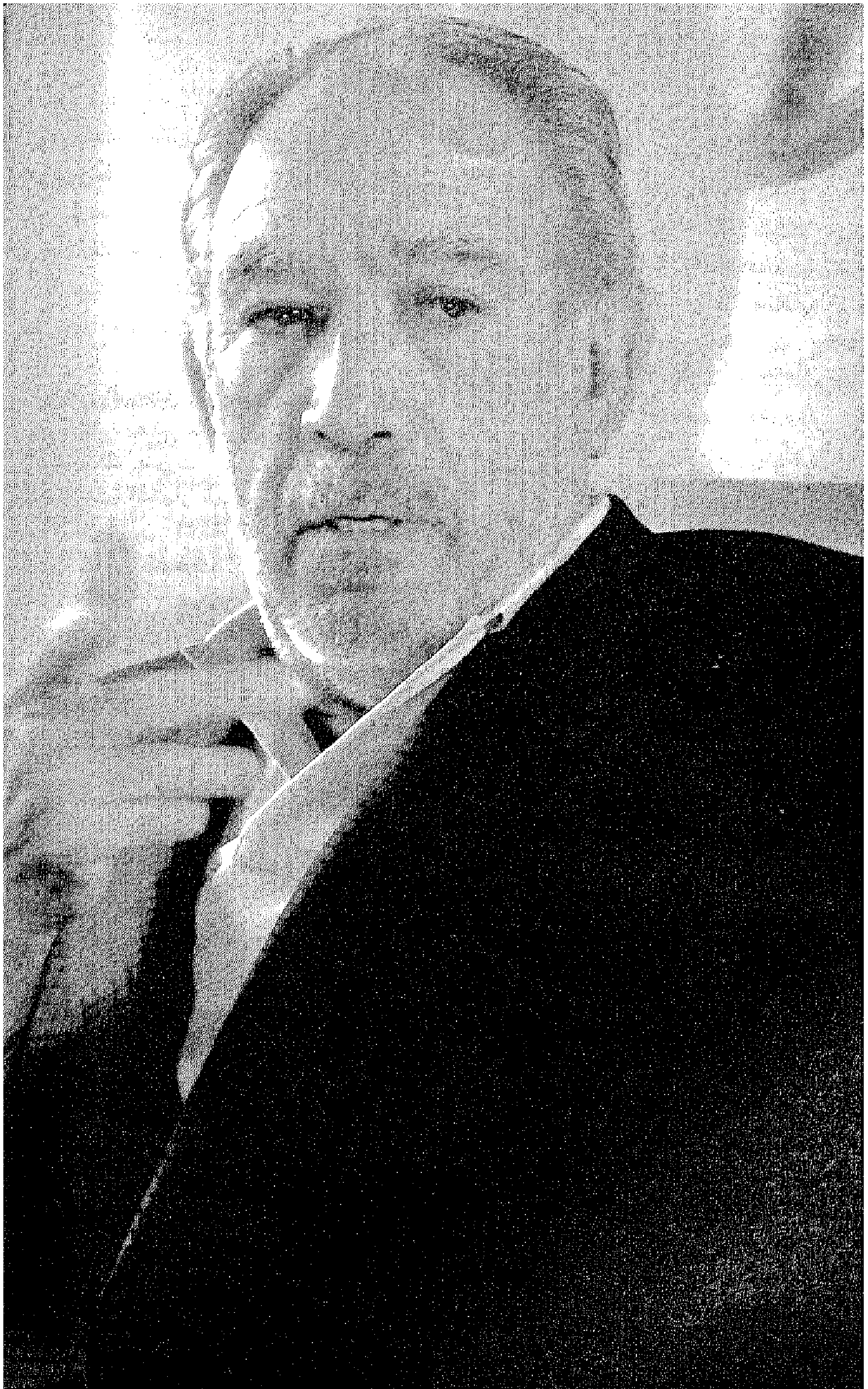


PHOTO: EDUARDO FUSS

أنطوني كوين: من زوربا إلى عمر المختار

اجتاز ابن الغسّالة المكسيكي عتبة الفقر والاجحاف واحتل مركزه اللائق بين كبار النجوم

ليل في جزيرة كريت وعجوز ممتلىء حيوية يلقي بمعطفه جانباً ويدق الطاولة ثلاث مرات ويفرقع بأصابعه، ثم يبدأ الرقص. ويدور الممثل المكسيكي الأصل أنطوني كوين متألقاً في دور "زوربا اليوناني"(١) الذائع الصيت، فيما عيناه السوداوان وخدّاه غير الحليقين تتوهج بنوة الحياة.

ما زال الملايين من رواد السينما يربطون ذهنياً بين أنطوني كوين وشخصية "زوربا" التي حققت له الانتصار الأكبر في حياته المهنية التي امتدت ٥٤ عاماً الى الآن وشملت اكثر من ١٢٥ فيلماً وعملاً مسرحياً. وفي مقابلة أجريتها معه في غرفة الالبسة الخاصة بشخصية "زوربا" قال: "أنا انطوائي جداً في حياتي العادية، لذلك أحب الادوار التي تخرجني من ذاتي كي أشعر بالانعتاق."

مثّل كوين أدواراً لشخصيات من جنسيات عدة: صينية واسكيمو وفيلبينية ورومانية وإيطالية وإسبانية وبنامية وعربية. وهو يعتبر من أشهر الممثلين المسبانيي الاصل(٢) في الولايات المتحدة وأوروبا. وقد غدا وجهه التعب المكتئب من أشهر وجوه الشاشة. وشبهته مجلة "تايم" بوجه "كلب بوليسي أكل سجيناً فاراً."

(١) *Zorba the Greek*

(٢) المسباني «*Hispanic*» هو الآتي من اسبانيا أو البرتغال او أمريكا اللاتينية.

ذات يوم، كان يتمشّى في متنزه "سنترال بارك" في نيويورك فهاجمه من الوراء لصان مسلحان بسكين. وما ان استدار حتى أجفلا واعتذرا: "أوه، سيد كوين، لم نعرفك."

والده فرنسيسكو كوين نصف إيرلندي ونصف مكسيكي. وكان في فتوته جندياً في صفوف الثورة المكسيكية. وكانت والدته مانويلا أواكساكا خادمة فيها عرق هندي، هربت مع فرنسيسكو وهي في الخامسة عشرة من عمرها، وما لبثا ان تزوجا على متن قطار متجه الى خطوط القتال الامامية. وولد ابنهما أنطونيو رودولفو أواكساكا كوين في ٢١ أبريل (نيسان) ١٩١٥ في غرفة صغيرة مستأجرة.

وحين عاد فرنسيسكو من القتال قرر أن الوقت لم يحن بعد للاستقرار، واختفى ميمماً شطر الشمال. وعندما بلغ أنطونيو شهره الثالث عزمت والدته على البحث



(الى اليسار) أنطوني كوين يرتدي أحد أثواب "زوربا" في عرض في بورتلند بولاية أوريغون.
(فوق) كوين يطلي تمثالا برونزياً

عن زوجها، فاختبأت في قطار متجه الى مدينة ثيوداد هواريز الحدودية، ومن هناك قطعت الجسر الى إلباسو في تكساس حيث راحت تعمل في غسل ثياب الأغنياء. غير أنها كانت دائمة القلق من أن يرحّلها مكتب الهجرة. وفي نهاية المطاف وجدت زوجها فرنسيسكو الذي ظل غير راغب في الاستقرار، إذ عاد يغيب عن عائلته فترات تمتد عدة أشهر.

وخلال فترات الغياب هذه تقرّبت مانويلا من حماتها دونيا سابينا التي كانت تحمل حفيدها كوين، وهو في السن الثالثة من عمره، الى السينما لمشاهدة أفلام الممثلين أنطونيو مورينو ورامون نوفارو المفضّلين لديها. وكانت دونيا سابينا تصلّي: "أرجوك يا رب، امنح حفيدي مستقبلا براقاً مثلهما."

مكسيكي قذر. عام ١٩١٩ قرر فرنسيسكو المكوث مع زوجته، وتوجه بالعائلة الى كاليفورنيا حيث شرع كوين، وهو في السن الخامسة، يعمل في حقول الفراولة (الفريز) والخس مع أمثاله من المهاجرين.

وبعد سنة انتقلت العائلة الى حيّ معدم في مدينة لوس انجلس. لكن فرنسيسكو عجز عن تأمين قوتها، مما اضطر انطوني الى العمل في مسح الاحذية وبيع الجرائد.

وحين بلغ العاشرة من عمره كان لا يزال ببيع الجرائد وقد درج على انتظار عودة والده في الشارع. وذات يوم تشاجر مع صبي، وتدحرجا على الارض فاتسخت يداه ووجهه وثيابه وتدلى قميصه عن خصره. ولدى عودة والده ونزوله من الحافلة، سارع اليه أنطوني ملوحاً بجريدة، كما اعتاد ان يفعل كل يوم، وناداه: "جريدة يا سيد؟" لكن فرنسيسكو تخطّاه غير عابىء. وفي تلك الليلة قال الاب لابنه في البيت: "صادفت اليوم صبياً مكسيكياً قذراً حاول بيعي جريدة. وبدا صغيراً مثلك، لكنه لم يكن ابني. قد يكون ابني فقيراً، لكنه لم يكن يوماً قذراً." كلمات ترددت لسنوات في ذهن كوين وآلمته كثيراً: "صبياً مكسيكياً قذراً."

ولم يمض وقت طويل حتى قُتل فرنسيسكو في ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٢٦ وهو يساعد صديقاً في دفع سيارة متوقفة. وفي اليوم التالي بدأ الصبيّ المفجوع أنطوني، وهو بعد في العاشرة من عمره، حواراً مع والده راح يردده في باله طوال حياته ويقيس نفسه بمقياس والده الكماليّ. فقرر ألا يموت نكرة منسيّة.

ودفعته الفاقة الى الكذب، فادعّى أنه أكبر سناً ليحصل على وظيفة. وتنقّل في عدة أعمال بينها تنظيف المراحيض وصقل النوافذ ومسح الأرض وتنظيف بقايا اللحوم في مصنع تعليب وتوزيع البرقيات. وفي السن الثالثة عشرة حاول أن يحترف الرسم. فحصل على صور فوتوغرافية لكبار نجوم هوليوود ورسم عنها لوحات أرسلها اليهم بالبريد، وراح ينتظر وصول الشيكات. لكنه لم يتلقّ سوى جواب واحد من دوغلاس فيربانكس الذي كتب يشكره مرفقاً ورقة مالية من فئة ١٠ دولارات.

كذلك حاول كسب المال من طريق التمثيل الايمائي، فقلّد بنغ كروسبي ولويس آرمسترونغ وموريس شوفالييه. غير أن قلة من الناس في حيّه استطاعت دفع دولارين لمشاهدة عرضه. اذذاك إنكفأ الى العمل خالطاً للاسمنت أو سائق أجرة أو جزاراً أو كهربائياً أو نادلا. ولما بلغ الخامسة عشرة ترك المدرسة ووجد عملا في مصنع للفرش. لكن شرطياً أعاده قسراً الى المدرسة. وفي السادسة عشرة من عمره جرّب مهنة الملاكمة وربح ١٦ منازلة، لكنه تخلّى عن هذه الحرفة بعد خسارته المباراة السابعة عشرة لأنه لم يتحمّل أن يضرب منافسه الأسود.

دم الازتيك. مضى كوين غير هيّاب يبحث عن سُبل تحرره من الفاقة والاجحاف. وكان ايمانه بالله عز جلاله عميقاً منذ طفولته. وقد فكر مراراً في أن يصبح رجل دين. وفكر أيضاً في احتراف التمثيل أو الرسم أو رقص التانغو. وقرأ يوماً أن راقص التانغو الجيد يتحرك كأنه يضع سكيناً بين أسنانه. فراح يتمرن كل ليلة في غرفته طوال اسابيع وسكين جدته الكبير بين أسنانه.

ولما بلغ السابعة عشرة توقف عن الدراسة ووقع في غرام امرأة جميلة وحكيمة اسمها سيلفيا كانت تكبره بعشرين عاماً. فقدمته الى عالم الفن والموسيقى الكلاسيكية. وشجعته على قراءة كتب نيتشه وشوبنهاور ودانتي وتورو وبودلير وتوماس ولف وغيرهم.

وما لبث معلموه أن تنبّهوا الى قدراته، فأسندوا اليه أدوار هواة. وذات يوم من العام ١٩٣٥ بلغه أن الممثلة ماي وست تبحث عن رجل لاتيني لتمثيل دور غاوي نساء في مسرحية من انتاجها. وحين قرأ كوين نصاً من الدور، كتجربة أداء، أسندت اليه وست البطولة بدلا منه. وبعد سنة ظهر في دور ثانوي كسجين في فيلمه الأول "كلمة شرف"(٣). وكانت جدّته دونيا سابينا مشرفة على الموت لاصابتها بمرض السرطان، فحملها الى شرفة الصالة لمشاهدة أدائه. وبعد انتهاء العرض قالت له: "الآن أستطيع الموت بسلام."

وقرأ ذات يوم في صحيفة ان المخرج سيسيل دوميل لم يهتدِ بعد الى هندي أصيل من قبيلة الشايين لاداء دور صغير في فيلم "رجل السهول"(٤) من بطولة غاري كوبر. فأدرك أن دمه الأزتيكي سيحقق له مبتغاه، واتّجه الى استوديوات "بارامونت." ويروي كوين بسعادة كيف ادّعى عدم معرفة الانكليزية واخترع لغة اخرى ادّعى، بلكنة اسبانية اصطنع تكسيرها، أنها لغة الشايين. وعلى الفور أسند اليه دوميل الدور.

وكانت ابنة دوميل الجذابة كاترين تحضر تمارين "رجل السهول." فوقع كوين في حبها من النظرة الأولى، وما لبثا أن تزوجا في عرس هوليوودي فخم. ولم يحضر العرس أي من أصدقاء العريس أو أقربائه بطلب من عائلة العروس.

حلم رسام. بين ١٩٣٨ و١٩٤١ مثل كوين أدواراً ثانوية كرجل عصابات ووغد

(٣) *Parole*

(٤) *Plainsman*

وسفاح في ٥١ فيلماً. وهو تلبَّس دور الرجل الشرير حتى في حياته العادية، فلم يتقبله سكان هوليوود بينهم. وهو تعزى عن ذلك الحرمان بصداقته للممثل جون باريمور وابنه البكر كريستوفر الذي ولد في العام ١٩٣٩.

لكن شهر مارس (آذار) ١٩٤١ حمل الى كوين مصيبة أليمة أثناء زيارة قامت بها العائلة الى منزل أهل زوجته. ففي غفلة عن الأعين خرج كريستوفر الى الشارع ومنه الى الحديقة العامة حيث وقع في غدير، وغرق. وقد أقعد الحزن أباه فلم يقوَ على حضور المأتم.

أغرق كوين نفسه في التمثيل لينسى مأساته. ولم يلبث أن خاطر بمستقبله المهني بدعمه قضية غير مستساغة شعبياً، ألا وهي جمع التبرعات لاستئناف حكم جائر على ٢٢ شاباً من المسبان اتهموا بارتكاب جريمة. ونجحت مساعيه باطلاقهم جميعاً. ولم يطل به المطاف حتى فاز بدور البطولة في فيلم "الذهب الاسود"(٥) عام ١٩٤٧، حيث مثّل دور هندي أمريكي يكتشف بئراً للنفط ويصبح مليونيراً. وفي العام ١٩٥٢ أدى دوراً صغيراً في فيلم "فيفا زاباتا"(٦) من بطولة مارلون براندو، وهو الفيلم الذي منحه فرصة اختبار الثورة وعاش دور والديه خلالها. وقد حاز جائزة "أوسكار أفضل ممثل ثانوي" عن دوره في هذا الفيلم.

وبقي حلمه في أن يصبح رساماً يراوده في أحيان كثيرة. وخلال تصوير فيلم "هبوب عاصف"(٧) صادق الرسام المكسيكي الشهير ديفيد ألفارو سيكيروس الذي حاول اجتذابه الى الرسم قائلا: "أترك التمثيل وابقَ هنا في المكسيك وارسم." أحبَّ كوين بكل جوارحه أن يتبع نصيحة المعلم، لكنه خشي العودة الى أيام الفقر وقرر، متردداً، مواصلة التمثيل.

وما لبث أن أتجه في العام ١٩٥٣ الى ايطاليا حيث مثل في خمسة أفلام ايطالية أهمها "لاسترادا"(٨) الذي ادى فيه دور "زامبانو" رجل السيرك القوي. وفي العام ١٩٥٦ أسند اليه المخرج السينمائي فنشنتي مينللي دور الرسام الفرنسي بول غوغان في فيلم "شهوة الحياة"(٩) من إنتاج "مترو – غولدوين – ماير." وهو الفيلم الذي أناله أوسكاراً ثانياً.

لكن زواجه كان ينهار. ففي العام ١٩٦٢ كان يمثل فيلم "باراباس"(١٠) في روما، فالتقى فتاة جميلة تعمل في قسم الالبسة هي يولاندا أدولوري. فطلق زوجته عام ١٩٦٥ وتزوج يولاندا في العام التالي.

نتاج فني. تابع كوين تمثيل أدوار ذات طابع عرقي: قرصان كاريبي في فيلم "ريح في جامايكا"(١١) وضابط حربي فرنسي في "الوصية الضائعة" (١٢) وفلاح روماني في "الساعة الخامسة

(٥) *Black Gold*
(٦) *Viva Zapata*
(٧) *Blowing Wild*
(٨) *La Strada*
(٩) *Lust for Life*
(١٠) *Barabbas*
(١١) *High Wind in Jamaica*
(١٢) *Lost Command*

والعشرين" (١٣) وصناعي ناجح عن شخصية أرسطو أوناسيس في فيلم "الثري اليوناني" (١٤) . وفي العام ١٩٨٠ كان يمثل دور القائد الوطني الليبي عمر المختار في فيلم "أسد الصحراء" (١٥) فقرر الانصراف جدياً الى الرسم معتبراً أنها فرصته الاخيرة اذ كان في الخامسة والستين من العمر. وبدأ ينتج لوحات وتماثيل بأساليب تراوح بين التجريدي المتحرر والتكعيبي والانطباعي والتعبيري.

وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٢ عرض "مركز صالات الفنون – هاواي" ٤٠ عملا من انتاج كوين، ولم تمضِ نهاية الاسبوع حتى بيعت جميعها. واليوم تباع لوحات كوين بمبالغ تفوق ١٠٠ ألف دولار، بما فيها لوحته المعبرة "زوربا، رسم ذاتي." ولا يكاد ينهي لوحة حتى تباع. أما تماثيل البرونز والرخام القليلة التي نحتها فيفوق ثمن الواحد منها ١٠ آلاف دولار. ومن اللافت ان دخله السنوي من الرسم والنحت فاق في بعض الاحيان دخله في التمثيل.

اما الدور المتطلّب الآخر لأنطوني كوين فهو دور الأب الذي يمارسه غيابياً في بعض الأحيان. وببساطة يقول: "أحب عائلتي حباً جماً." أبناؤه الثلاثة الأصغر سناً، فرنسيسكو ودانييل ولورنزو، اختاروا امتهان التمثيل وهم الآن في العشرينات من العمر. أما أولاده من زوجته الاولى فهم كريستينا وكاتي ودنكان، وهم في الاربعينات، وفالنتينا التي تقترب من الاربعين.

أخذ كوين على نفسه عهداً ألا ينسى ماضيه. يقول: "أكاد أبكي حين أرى كم أصبح مواطنيّ الهسبان أقوياء اليوم." ومصدر فخره الاكبر مربوط بماضيه، فعلى مقربة من المكان الذي قُتل فيه والده مبنى فرع "مكتبة لوس أنجلس العامة" الذي أطلق عليه اسم كوين عام ١٩٨٣.

يوم الاحتفال بتسمية المكتبة وقف كوين أمام جمهور من ٧٠٠ شخص ضم رفقاء له من أيام الدراسة واللعب أتوا مع أولادهم وأحفادهم. وقال بصوت متهدج: "لا أجد الكلمات التي تصف ما تعنيه لي هذه الزاوية، ولا أظنكم تدركون ما يعني لصبيّ مكسيكي أن يأتي من شيواوا ويجد نفسه..."

وتوقف من غير أن يتم جملته. ولكن لم يكن بين الجمهور من لم يكمل الفكرة التي قصدها ابن الغسّالة الذي أصبح نجماً.

سوزان هازن – هاموند ■

(١٣) The 25th Hour

(١٤) The Greek Tycoon

(١٥) Lion of the Desert



ليس في الزّواج الناجح سبل يتفرّد بها أحد الزوجين. فطريق الزواج وعرة مغبّرة وصعبة، لكنها دائماً مشتركة بين اثنين.

ف.م.

تقرير خاص بـ"المختار"

كيف تضمن سلامة سيّارتك

أجوبة خبير عن أسئلة يطرحها كل سائق يرغب في اطالة عمر سيارته

ان ما تعتقد أنك تعرفه عن سيارتك قد يكلفك غالياً. ومعرفة الاجوبة الصحيحة عن الاسئلة العشرة الآتية المنتقاة من ألوف الرسائل التي وردتني، قد توفر عليك سنوياً مئات الدولارات في كلفة الصيانة وألوف الدولارات في كلفة اصلاح شامل للمحرك.

١ أنجزت لتوي ضبطاً كاملا لسيارتي من طراز ١٩٨٨ بعد السير بها مسافة ١٢٦٠٠ كيلومتر. يقول جاري إني أهدرت مالي، فهل هو على حق؟

على الارجح، نعم. فالمبدأ القديم القائل بضبط السيارة بعد قطعها ١٥ الف كيلومتر لا ينطبق على الجيل الجديد من السيارات المزودة أجهزة اشعال الكترونية والتي تسيّر بوقود خال من الرصاص. فأجهزة الاشعال الفاعلة التي تنطوي على درجات أعلى من الحرارة، والوقود الاكثر نظافة، تتيح لشمعات الاشتعال (البوجيات) أن تخدم مسافة ٤٠ الف كيلومتر أو أكثر من دون الحاجة الى تنظيفها أو ابدالها.

في معظم السيارات المصنوعة منذ ١٩٨٥ أبدلت الاجزاء الاساسية في عملية ضبط السيارة واصلاحها - أي الدوّار والمكثّف ومآخذ التيار في الموزع الكهربائي(١) - بوحدة الكترونية مختومة. وغالبية السيارات الجديدة مزودة نظاماً الكترونياً لحقن الوقود أو مكربناً (كربوراتور) لا يحتاج الا الى ضبط ضئيل.

راجع كتيب الارشادات لديك لتكون على بيّنة من الفترات الفاصلة التي يجب فيها ضبط السيارة. تأكد من استخدام وقود يحتوي على مادة منظّفة قوية لانه يحفظ المكربن وصمامات الوقود نظيفة.

(١) Rotor, condenser and distributor points

واذا قدت السيارة حيث يكثر الغبار، أبدل مصفاتي الزيت والهواء تكراراً. وهذا عمل يمكنك انجازه بنفسك.



ينصح كتاب الارشادات لدي باستعمال مزيج ٥٠/٥٠ من الماء ومضاد الجليد في جهاز التبريد. فاذا كانت الخمسون في المئة صالحة، أفلا تكون المئة في المئة من مضاد الجليد أفضل؟

لا. ان فائضاً من مضاد الجليد قد يتلف جهاز التبريد والمحرك. يتجمّد الماء في درجة صفر مئوية، فيما تتجمد المادة المضادة للجليد (إثلين غلايكول) في درجة ١٨ مئوية تحت الصفر. وحين يمتزج الاثنان يعمل الماء كحفّاز، فتتدنى درجة التجمّد بحدة وتؤمن لسيارتك حماية فضلى في الطقس البارد.

ان مزيجاً جيداً من مضاد للجليد مهم للوقاية في الطقس الحار أيضاً. اذ ان مضاد الجليد الصرف هو أقل فاعلية في تبديد الحرارة وحفظ جهاز التبريد نظيفاً، وتقوى فاعليته لدى مزجه بالماء. راجع كتيب الارشادات للتأكد من نسبة المزيج التي يجب اعتمادها. ولا يجوز في أي حال أن تتجاوز نسبة مضاد الجليد ٧٠ في المئة.



قال لي ناظر المحطة ان الزيت العالق على قضيب المقياس ذو لون داكن وقد حان الوقت لكي أغيّره. لكن سيارتي لم تقطع الا ٣٠٠٠ كيلومتر منذ الغيار الاخير. فما الخطب؟

ربما لا شيء. اذ يحتوي زيت المحرك الجديد على منظّفات تزيل الوسخ والسُّخام والرواسب الطينية من زوايا المحرك، وتحتوي أيضاً على مواد "مشتتة" تبقي هذه الملوّثات معلّقة في الزيت لحماية أجزاء المحرك من التلف. فهذه الملوثات المعلّقة تحوّل لون الزيت قاتماً. لوكن لا يعني هذا أنه حان وقت غيار الزيت.

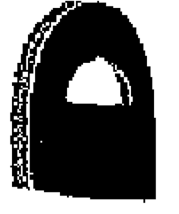
اتبع توصيات كتاب الارشادات التي تنص على تغيير الزيت في فترات أقصر لضمان بقاء المنظّفات والمشتتات والمواد المضافة الاخرى في حال فاعلة. تذكر ابقاء مستوى الزيت أقرب الى علامة الامتلاء على قضيب القياس، لأن الزيت لا يزيّت المحرك فقط بل يساعد على حفظه بارداً بتبديد حرارة الاحتراق.



أوفّر المال في كل مرة اشتري وقوداً عادياً خالياً من مادة الرصاص، بقوة ٧٨ أوكتان. لكن كتيب الارشادات ينصح باستخدام الوقود الممتاز ذي الاوكتان الاعلى. فهل أفعل؟

ان مشترياتك الاقتصادية قد تؤدي بك الى تغيير شامل في المحرك يكلفك غالياً جداً. ان معدل الاوكتان هو مقياس قوة الوقود على مقاومة قرقعة المحرك التي تنتج من احتراق للوقود سابق لاوانه. وقرقعات المحرك المفرطة القوية هي انفجارات تهدر الوقود وقد تتسبب في تلف المحرك. فهناك محركات مختلفة تتطلّب أوكتاناً عالياً أو متدنيا وفقاً لمقتضيات تصاميمها. استعمل الاوكتان

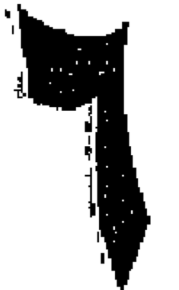
الذي يحدده كتيب الارشادات، وستلاحظ أداء للمحرك أنعم وأهدأ واقتصاداً أفضل في استهلاك الوقود.



ينصحني والدي دائماً بأن أحمّي المحرك ثلاث دقائق على الاقل قبل تحريك السيارة، وان أسرّع المحرك برهة قبل ايقافه. فهل هذه نصيحة حسنة؟

ان تينك الوصيتين لم تكونا صحيحتين في الماضي، وهما اكثر خطأ حالياً. فاذا كانت سيارتك مضبوطة وفي حال جيدة، ففي امكانك الاقلاع في غضون ١٥ ثانية من تدويرها. واذا فعلت خلاف ذلك فانك تستهلك الوقود وتزيد في تلف المحرك. انما احذر الاقلاع بسرعة كبيرة، وأعط المحرك وقتاً لايصال الزيت الى جدران الاسطوانات وممرات المحرك العليا.

أما تسريع المحرك قبل ايقافه فيترك وقوداً غير محترق في غرفة الاحتراق. وحين إيقاف المحرك ينساب هذا الوقود نزولا على جدران الاسطوانات فيزيل بعضاً من غشاء الزيت الرقيق الذي يجب بقاؤه هناك لوقاية محركك من التلف بالاحتكاك حين تديره في المرة التالية.



كم مرة يجب ان أفحص العجلتين الاماميتين على "الميزان"؟

ان ضبط مقدم السيارة على الميزان يهمَل في أكثر الاحيان. فالاقتصاد بالوقود وصيانة الاطارات وسير السيارة تكون في فضلى حالاتها حين يكون خط مسار العجلات مستقيماً. واكثرية السيارات الجديدة ذات الاندفاع الامامي، وبعض السيارات ذات الاندفاع الخلفي، لا يحتاج الى ضبط على الميزان الا حين تكون هناك مشكلة واضحة. مثلا، حين تشرد سيارتك الى اليمين أو الى اليسار لدى نزولك طريقاً مستقيمة. (لكن تأكد من أن إطاراتك منفوخة جيداً لأن اطاراً واحداً غير منفوخ جيداً قد يسبب شرود السيارة.) والتلف غير المتساوي في الأطراف الخارجية للاطارين الاماميين هو دليل آخر على وجود مشكلة تتطلب ضبطاً على الميزان. لذلك تفحص إطاراتك بدقة مرة في الشهر على الاقل.

ان الميزان الصحيح قد يخفض تلف الاطارات فينجم عنه اقتصاد كبير في النفقات. وقد ينقذ حياتك، لان الميزان السيىء يجعل التوقف وقيادة السيارة أكثر صعوبة في حالات الطوارىء. واذا كان لسيارتك تعليق(٢) خلفيّ مستقل فقد تحتاج العجلتان الخلفيتان أيضاً الى ضبط على الميزان.



أصلحت لتوي إطاراً مثقوباً. وقال لي العامل ان عليّ موازنة العجلة قبل تركيبها في السيارة. فهل هذا احتيال؟

ليست هناك عجلة أو إطار مستديران تماماً ومتناسقان. فالاطار المصلح قد يكون غير متوازن حيث وضعت الرقعة أو السدادة، خصوصاً في حال فكّ الاطار من الدولاب الحديد (الجنط). وارتجاف في عجلة القيادة (الديركسيون) قد يشير الى أن إطاراً واحداً أو اكثر في حاجة الى

(٢) Suspension

موازنة، وهذه تتمّ بربط أثقال رصاصية صغيرة الى حافة الدولاب الحديد. فالعجلة غير المتوازنة على نحو خطير قد تتلف بقية العجلات وجهاز التعليق.

٨ لا تمر بضعة أيام حتى يعود غشاء "حليبي" فيغطي حاجب الريح من الداخل في سيارتي الجديدة. يقول وكيل البيع ان هذا طبيعي ويتأتى من داخلية السيارة. فأين الخطأ؟

ان سبب الغشاء هو على الارجح المواد الكيميائية المضافة الى "فينيل" لوحة أجهزة القياس والفرش لتزيد من ليونته ومقاومته للحرارة. ويلاحظ حصول الغشاء في الطقس الحار اذا كانت نوافذ السيارة المتوقفة مقفلة. ويمكن ازالة الغشاء باستخدام منظّف تجاري للزجاج، مركب على أساس الأمونيا. (وبما أن الامونيا تترك بقعاً، تأكد من تغطية لوحة أجهزة القياس بمنشفة.) وتذكر ان هذه المواد الكيميائية تمنع الفينيل من أن يصبح سريع الانكسار ومعرّضاً للتشقق، لذلك من المهم حفظها باستخدام مادة سائلة لمعالجة الفينيل. وينطبق هذا خصوصاً على فينيل الجزء الاعلى من لوحة أجهزة القياس المعرّض لاشعة الشمس القوية. وفي الوقت ذاته يحسن بك أن تمسح السائل على اختام المطاط حول الابواب والنوافذ لحمايتها من الجفاف والتشقق.

٩ احترق أحد المصابيح الامامية فأبدلته بمصباح مذكور في كتاب الارشادات. والمشكلة هي أن المصباح الآخر يبدو ضعيفاً جداً. فما السبب؟

ان المصابيح الأمامية القياسية تخف قوتها بمرور الزمن. واذ تحترق الشعيرة يضعف وهجها. والى ذلك فان أحوال الطرق والطقس تنقّر الجزء الخارجي من المصابيح الامامية وتغشيه. ويحدث ذلك تدريجاً بحيث يفوت أكثر السائقين ملاحظته.

اذا كان المصباح الآخر أضعف على نحو واضح، فأبدله. وأنا أنصح بابدال كل المصابيح الامامية بمصابيح الهالوجين الاقوى من المصابيح العادية وان تكن أغلى ثمناً.

١٠ اني على وشك شراء سيارة. وقد لاحظت أن بعض الطرازات الغالية مجهّزة بنظام كبح (فرملة) مقاوم للتشابك(٣). ولكن في كثير غيرها أجد هذا النظام اختيارياً فهل يستحق ثمنه؟

ان نظام الكبح المقاوم للتشابك يحسّن كثيراً قدرتك على التوقف مباشرة وبدقة في الحالات الطارئة. ويعتقد كثير من الخبراء أنه أهم تقدم في حقل السلامة في السنوات الثلاثين المنصرمة. واليك كيف يعمل: اذا ضغطت دواسة الكابح، فثمة أجهزة استشعار الكترونية تكتشف التباطؤ السريع للعجلات، وفي غضون جزء من ألف من الثانية قبل أن تشبك العجلات تعمل هذه المستشعرات على ضخ الكوابح بسرعة اكبر كثيراً مما يستطاع بشرياً. وهذه العملية تتيح

(٣) Antilock braking system

للعجلات الاستمرار في الدوران وتمنع الانزلاق.

جربت الكوابح المقاومة للتشابك على حلبة اختبار. توقفت فجأة مراراً وتكراراً، تارة على أرض مسطحة جافة وطوراً حين كانت اثنتان من عجلات السيارة تسيران على بقعة زلقة من الزيت وبسرعة راوحت بين ١٠٠ كيلومتر و١٥٠ كيلومتراً في الساعة. فكنت في كل المرات قادراً على ضبط السيارة.

ان ثمن هذا النظام المتطور آخذ في الهبوط. وفي اعتقادي أن استعمال الكوابح المقاومة للتشابك سيعم قريباً. وحتى ذلك الحين فانها تستحق الثمن الزائد. وأنت على الارجح ستفيد منها في أقل من خمسة في المئة من دوساتك للكابح، لكنها قد تعني لك الفرق بين الموت والحياة.

على رغم التعقيدات في بعض اجزاء السيارات الحديثة فانها أكثر فاعلية وأماناً من قبل. وبمعرفة صحيحة للميزات الجديدة ولبعض أساسيات الصيانة الوقائية ستكون قادراً على انفاق مالك بحكمة المدرك الواثق بنفسه.

روبرت سيكورسكي ■



شَبَه في محله

لم تكن النادلة الشابة، الجديدة في عملها، تعرف الزوائد التي تأتي مع الطبق الرئيسي الذي طلبه أخي. فاستشارت المشرفة عليها التي أطلعت أخي على كل الخيارات فيما راحت النادلة تدوّن طلباته. وأخيراً سألت المشرفة النادلة: "هل سجّلت كل شيء؟ هل تذكرت السلطة والبطاطس؟ هل تريدين أن أتحقق منها؟"

وهنا أغرق أخي في الضحك. ثم اعتذر من النادلة قائلا: "آسف، لكني لم أستطع تمالك نفسي. لقد بدت لي تماماً مثل أمي."

فردت النادلة: "في الواقع، هي امي!"

ر.ل.

مدير "محبّوب"

كان مدير معهدنا رجلا طيباً يحترمه الطلاب ويحبونه. وذات يوم أُرسل بعض الفتيان الى مكتبه لمخالفتهم النظام. فشرحوا له ما فعلوا ووقفوا منتظرين عقاباً.

سألهم المدير بقساوة: "هل هذه مخالفتكم الاولى؟" فردوا بالايجاب.

قال: "حسناً، هذه أول هفوة تقترفونها. ولكن اذا كرّرتم فعلتكم... الآن أقول لكم... اذا فعلتم ذلك مجدداً..." توقف قليلا ثم تابع بتكشيرته الفريدة: "حسناً، تكون تلك فعلتكم الثانية!"

م.أ.

بناتي الغاليات

والد لخمس بنات يروي كيف يتحول المرء أباً سمحاً مرناً

كل من يعتقد أن البنات الصغار حلوات كالسكر وطيبات كالعطر لم ينجب يوماً ابنة.

لدي خمس بنات، اثنتان منهن توأمان. وهن دائماً يحاولن امتحان صبري، ولم يخطر لي مرة أنني سأكتب لهن هذا التقدير، الى أن كان ذلك الصباح حين نادتني ابنتي ذات الاشهر الستة. انه حدث مهم، أليس كذلك؟

نعم، كان حدثاً مهماً، لأنها كانت بين ذراعي أمها في تلك الاثناء. وتصرفها جرح كبرياء الامومة لدى زوجتي. ثم تذكرت أن أحد الاختصاصيين كتب أن الطفلة تأتي الى والدها إذا ما أرادت اللعب.



هذا هراء. لقد أدركت الصغيرة أنها ابنة وأنني أبوها، فبدأت عملية تحويل "بابا" شخصاً سمحاً مرناً.

في تلك المرحلة، حين يكون المرء طري العود يقاس بالاشهر بدل السنين، لم تكن صغيرتي حظيت بعد بحياة اجتماعية توحي اليها ضرورة قولبتي كما تشاء. اذاً ربما كان ثمة أمر غريزي في الطفلة الانثى. ويبدو لي أن ثمة اختلافاً بين الجنسين يتخطى المستلزمات الاساسية.

مثلا، للابناء قنوات للدمع في عيونهم، ولكن يظهر أن للبنات قنوات لجر المياه. على الاقل، يبدو أن البنات يحوين كمية أكبر من المياه. دموع، دموع، انهار من الدموع، حتى لتخشى من أن تجفّ ابنتك أمام ناظريك. لكن هذه المياه قد تسيل على الفور وتنقطع على الفور. انه لمدهش حقاً الا تكون هناك نساء سمكريات.

ويبدو أيضاً أن للبنات عيوناً من كُرَات هي في دوران دائم داخل محاجرها. ولهن حركة متناغمة لعضلات الحاجب أفضل من الصبيان.

والبنات، كالفيلة، لا ينسين أبداً، يوهمنك أنهن لا يصغين اليك، لكنهن يتذكرن كل كلمة، فوعدك لابنتك هو اتفاق شفهي ذو شأن كبير. ويا لبؤس أب ينسى وعده.

شببت في الخمسينات أيام كانت الام تضع وزرة وتحمل مكنسة وتوزع علينا الحلوى والحليب بعد عودتنا من المدرسة. كانت الأم تغسل الصحون بعد الغداء. ويخرج الآباء والابناء ليلعبوا بالكرة – رجالا معاً.

كانت أمي "أداة" للمطبخ ترغم جميع أدوات المطبخ الاخرى على العمل. ولم يكن والدي آنذاك يحسن تحضير شطيرة مربى من دون مساعدتها.

ومثل سائر الرجال كنت متهيئاً لتربية الاطفال الذكور لكوني ابناً ذكراً. الصبيان يحبون المفرقعات وقفافيز الملاكمة وصيد الطيور والاسماك. والعَرق، انهم يحبون العرق. فهم لا يعرفون أبداً أن رائحة جواربهم كريهة. اذاً، ماذا يفعل والد مهووس بالرياضة مع بناته؟ هل يشتري لهن أربطة للعضلات؟ لا، بل يعلمهن الغولف والسباحة وألعاباً رياضية أخرى تمارس مدى الحياة.

ماذا ينبغي على الوالد أيضاً تعليم ابنته؟ انه لا يحتاج الى تعليمها عن المرايا والثياب. البنت الصغيرة تلاحظ أن والدها يرتدي جورباً أسود وآخر بنياً، أما الابن فقد يلاحظ أن الوالد فقد احدى قدميه. ولكن أعتقد أن الوالد يجب أن يعلّم بناته أنهن يستطعن أن يكنّ ما يردن.

ان تربية البنات اجتماعياً تبدأ باكراً. قالت لي احداهن مرة عندما كانت في الثانية من عمرها: "انك لا تملك فستاناً. انك صبي يا بابا." كان ذلك صوتاً مسامحاً كأنه يقول: "الامر ليس في يدك يا بابا."

وقالت لي أخرى: البابات يحسنون الممازحة أكثر من الامات، لكنهم لا يحافظون على نظافة أغراضهم كالمامات."

وأضافت شقيقتها التوأم: "ماما تغضب كل يوم، وأنت تغضب مرة كل

أسبوع. ولكن عندما تغضب فانك تغضب حقاً."

لاحد زملائي ابنتان جامعيتان عادتا الى البيت لتمضية عطلة الصيف. وكان زميلي مصاباً بمرض في عينيه تركه عاجزاً عن القيادة والقراءة، فغمرته ابنتاه بعطفهما وأعلنتا أنهما ستكونان له ممرضتين. وبعد فترة أصبح الرجل المستقل مشوشاً بفعل عنايتهما الحسنة النية، وقال لهما انه يتمنى لو أنهما تعتنيان بحسابهما المصرفي مثلما تعتنيان به. فكان رد فعلهما ذرفاً للدموع. قال لي: "ستصبح احداهما طبيبة والثانية محامية، لكنهما لا تزالان تبكيان كلما عبست في وجهيهما."

ولدى زميلي أيضاً ابن شاب قلما يسمع أخباره. وهو يقول: "على المدى الطويل، تستحق البنات كل هذا الجهد. يبدو أنهن يعلمن كيف يحببن من دون أن يحاولن ذلك."

عندما كانت ابنتي الكبرى في سنتها الاولى في المدرسة الثانوية حيث أدرِّس، كانت دائماً تأتي الى مكتبي مع صديقة جديدة لتفاخر بي. أعتقد أن ذلك كان السبب. وأجد من الصعب أن يفعل صبي ذلك مع رفقائه. ان الابناء في سن المراهقة قد يرتبكون لان والدهم يعلّم في مدرستهم.

ولكن لماذا نخاف نحن الآباء من بلوغ بناتنا سن النضج؟ انها الانانية. سيكون هناك رجال أرفع مني شأناً في حياتهن. ان سنوات حمل البنات على الاكتاف ووضعهن في أسرّتهن وهن يقهقهن، قليلة جداً على الاب. والورقة التي رسمت عليها رائعة بقلم ملون ستبهت بعد حين. والنزهات الليلية قصيرة جداً. وكيف للعبة شطرنج مع بابا أن تنافس موعداً مع قائد فريق كرة القدم؟

آمل فقط ألا تصاب بناتي بعقدة سندريلا: أن أمير الاحلام سوف سيأتي وسينعم الجميع بالعيش الرغيد الى الابد. اذا استطعن أن يحببن من دون الاتكال على رجالهن كلياً فسأعتبر نفسي أباً ناجحاً. فليس أجمل من امرأة لطيفة قوية.

ت. و. بلاك ■



خدمة كاملة

جلست المرأة الشابة في سيارتها المتوقفة الى جانب الطريق تنتظر مساعدة. أخيراً اقترب منها رجلان.

قالت بدلال: "لقد نفد الوقود من سيارتي، فهلا دفعتماها الى أقرب محطة؟"

أطبق الرجلان بعضلاتهما القوية على السيارة يدفعانها وبعد برهة رفع أحدهما بصره وقد أرهقه التعب ليرى أنهما تجاوزا محطة لتعبئة الوقود.

فهدر محتجاً: "ماذا دهاكِ فلم تحيِّدي على المحطة؟"

فردت صراخاً بصراخ: "أنا لا أدخل هذه المحطة أبداً، فهي للخدمة الذاتية."

أ.س.



أرض تفقر
فيما الازدهار
فشنّ أحد رجالها
حرباً على الفقر

صَوْت حُرّ يحارب الفقر

عندما أعلن قادة البيرو العسكريون عام ١٩٧٩ أنهم سيعيدون النظام الدستوري بعد اثني عشر عاما من الديكتاتورية قرّر هرناندو دي سوتو العودة الى بلاده.

وهذا الرجل من مواليد أريكيبا في جنوب البيرو، مجاز في علم الاقتصاد وكان في السن الثامنة والثلاثين مديراً في كبرى الشركات السويسرية للاستشارات الهندسية. لكنه الآن سيدير مشروعاً غير مضمون النتائج وسيساهم في تخطيط عودة بلاده الى الديموقراطية.

بعد مضي سنة على عودته وقف دي سوتو على ضفة نهر ريماك الذي يمر في العاصمة ليما وتأمل ملياً التجمعات

ILLUSTRATION: GEORGE ANGELINI

السكنية المنتشرة على ضفتي النهر والتي يغطي كل منها حوالى هكتار وربع هكتار ويضم منازل نحو ٥٠٠ نسمة. لكن التباين بين هذه التجمعات كان مروّعاً.

ففي تجمع "دانييل ألسيدس كاريون" بدت غالبية المنازل أكواخاً حقيرة من الطين أو الكرتون او الالواح الخشبية. غير أن سكانها لم يكونوا بالضرورة فقراء معوزين، إذ لاحظ دي سوتو أن هوائياً للتلفزيون يعلو كل كوخ، كما لمح ثلاجات وأدوات عصرية أخرى من خلال الابواب المشرّعة.

وفي الجهة المقابلة للنهر ظهر تجمع "ماريسكال كاستييا." وبرزت منازل قرميدية مؤلفة من ثلاث طبقات أو أربع تحيط بها جنائن نظيفة مقطعة بممرات مرصوفة. كان تجار كثيرون يسكنون فوق مراكز أعمالهم: صيدلية أو محل بقالة أو وكالة إطارات أو محل أحذية.

أثار هذا الوضع فضول دي سوتو ودفعه الى الحديث مع السكان والشرطة والموظفين الرسميين في الحيّين. وكانت النتيجة التي توصل اليها مثيرة للحزن والقلق. فقد تأسس الحيّان في وقت واحد على أيدي مهاجرين هنود قدموا من منطقة واحدة. وتبين لدي سوتو أن هناك أشقّاء يعيشون على جانبي النهر.

شبح التشرد. هذا التفاوت بين التجمعين دفع دي سوتو الى مزيد من التساؤلات التي أوقعته في حيرة: لماذا تزدهر بعض الشعوب في حين تبقى شعوب أخرى معدمة؟ لماذا نجد في العالم أمماً فقيرة وأخرى غنية؟

وأدرك أن التوضيحات حول فقر العالم الثالث والتي درسها سابقاً غير صحيحة. وتزعم احدى النظريات أن هنود أمريكا هم، تراثياً، شعب اعتاد الملك المشاع، لذا فإن الجهود المبذولة لتعريفهم الى نظام الاقتصاد الحر محكوم عليها بالاخفاق.

سأل دي سوتو: "هل هؤلاء الهنود أنفسهم عاجزون، تراثياً، عن التوفير والاستثمار في منازلهم وأعمالهم، في حين أن هؤلاء الذين يعيشون على بعد مئات الامتار يدخرون ويبنون منازل القرميد ويفتحون صيدليات ومتاجر للبقالة والاحذية؟"

وتدعي نظرية أخرى أن فقر العالم الثالث مرده الى خطأ ارتكبه المستثمرون الاجانب. ويسأل دي سوتو هنا: "هل يستغلّ الاجانب المقيمين على الضفة الشمالية من النهر من دون المقيمين على الضفة الجنوبية؟"

قابل دي سوتو موظفاً متقاعداً في وزارة الاسكان عايش التجمعين طوال عقود. فشرح له الرجل أن تأسيسهما كان نموذجياً. وفي غياب الاجراءات القانونية البسيطة التي تمنح سندات ملكية آنذاك، استقر هؤلاء المهاجرون المزارعون في أملاك عامة بلا إذن من السلطات. وأضاف الرجل: "إن الاختلاف المصيري بين ماريسكال كاستييا وشقيقتها القرية الفقيرة هو أن قائد الاولى المنتخب الحّ طوال ست سنوات على المسؤولين في ليما كي يمنحوا المقيمين سندات ملكية. وهكذا، لما اطمأن هؤلاء الى مصيرهم وأزيح عن كاهلهم شبح الطرد أخذوا على

عاتقهم مهمة التحسين بايرادات هزيلة وبعرق الجبين. وخلال عشر سنين حسنوا منازلهم حتى باتت قيمتها تفوق إحدى واربعين مرة قيمة البيوت غير المحظية بسندات ملكية."

وفي المقابل، ما زال وضع المقيمين في تجمع دانييل ألسيدس كاريون غير شرعي، لذا فهم غير قادرين على بيع أراضيهم أو توسيع منازلهم أو تأجيرها أو حتى الحصول على قروض لتأسيس أعمال لهم. وهم يستثمرون معظم أموالهم في تجارة الادوات المنزلية والشاحنات التي قد يضطرون اليها في حال طردوا الى أمكنة أخرى.

"هذا الوضع منطقي للغاية،" يقول دي سوتو، "فالحماية القانونية لثمار أتعاب المرء، أي حقوق الملكية، هي منطلق مصيري للمشاريع."

اختبار مزدوج. عام ١٩٨٠ أسس دي سوتو "معهد الحرية والديموقراطية" لدراسة المشاكل الاقتصادية والسياسية واقتراح الافكار التي من شأنها توفير الحلول. وسرعان ما ازداد عدد العاملين في المعهد وبلغ ثمانية وثلاثين بدوام كامل اضافة الى مئات المستشارين والمتطوعين.

رسم دي سوتو ومساعدوه صورة مذهلة لأسباب العجز في اقتصاد البيرو. فانطلاقاً من خبرته في مجال التعدين، اطلع دي سوتو على هول العراقيل القانونية التي يواجهها أي مشروع في البيرو. فللحصول على إذن بنقل معدات الى منجم في إحدى الغابات، اضطر هو وشركاؤه الى استخدام أربعة محامين متفرغين لهذه القضية.

قال دي سوتو لزملائه: "فلنرَ أي صعوبات تواجه امرأً يود مباشرة مشروع خاص." ثم أوكل الى محام وأربعة متطوعين جامعيين إنشاء مصنع ملابس قوامه ماكينتا خياطة. تزود الفريق مفكرات وساعات توقيت وشرع في طلب الرخص الحكومية الضرورية لاعطاء المصنع صفة شرعية. ونبههم دي سوتو: "لا تدفعوا رشوة الا في حال الضرورة القصوى."

زار الفريق المكاتب الحكومية ووقف في الصفوف الطويلة وملأ الاستمارات واصطدم بعشرة طلبات رشوة ودفعها مرتين مكرهاً. وبلغ مجموع الكلفة، من نفقات ووقت مهدور، ١٢٣١ دولاراً أي أجرة ٣٢ شهراً بحسب الحد الادنى القانوني للرواتب. أخيراً استنتج الفريق أن على المرء أن يمضي ٢٨٩ يوماً بمعدل ست ساعات يومياً لينال رخصة حكومية.

ثم أرسل دي سوتو باحثاً الى مدينة تامبا في ولاية فلوريدا الامريكية لمعاودة الاختبار، فكان أن نال الرخصة القانونية كاملة خلال ثلاث ساعات ونصف ساعة.

"سوق سوداء." وجد دي سوتو أن كثيرين من مواطني ليما الفقراء أقلعوا عن العمل بالنظام القانوني الرسمي. ومع أنهم يعملون لاهداف مشروعة، كبناء المنازل وتصنيع السلع وبيعها، الا أنهم يمضون في هذه الاعمال من دون أن يلتزموا القوانين الحكومية. وقد أطلق دي سوتو عليهم اسم "القطاع غير الرسمي."

إن عدد المصانع "غير الرسمية" في البيرو وتنوعها مذهلان للغاية. فقد تبين أنها تشكل نسبة ٥٢ في المئة من مجمل شركات التصنيع في البلاد، وتوظف ثلث اليد العاملة الصناعية، وتنتج كل السلع بدءاً بالدراجات وعدة المناجم وصولا الى الثياب والمفروشات. وبلغت قيمة المبيعات التي حققها الباعة في شوارع العاصمة ليما، غير المرخص لهم والبالغ عددهم ٩١ ألفاً، نحو ٣٢٢ مليون دولار، بما فيها ٦٠ في المئة مواد غذائية.

لكن أفراد "القطاع غير الرسمي" يتكبدون خسائر هائلة في الموارد لمجرد الابقاء على عملهم، اذ يدفعون رشاوى تراوح بين ١٠ و١٥ في المئة من دخلهم الاجمالي. كما أنهم يبقون صغاراً عاجزين عن ولوج قطاعات المشاريع الكبيرة. وفي حين يحظى "الشرعيون" بقروض من مصارف الدولة، يضطر "غير الرسميين" الى دفع أربعة أضعاف نسب الفائدة في "السوق السوداء".

وفي رأي "معهد الحرية والديموقراطية" أنه بمجرد إزالة الصعوبات القانونية التي تعيق ازدهار الأعمال سيصبح التجار "غير الرسميين" قادرين على زيادة الناتج القومي الاجمالي في البيرو أكثر من ٥٠ في المئة خلال عقد واحد.

ويستنتج دي سوتو أن البيرو، كغيرها من بلدان العالم الثالث، لم تختبر فعلياً اقتصاد الاسواق الحرة. لا بل إن امتيازات النخبة مصونة ضد مضاربة الجدد. إن كثيراً من رأسماليي البيرو "الشرعيين" لا يمكن اعتبارهم مقاولين حقيقيين إنما يجوز تشبيههم بالمحتكرين أصحاب الامتيازات الذين عرفهم القرن الثامن عشر. ان هذه الاوضاع تشيع اللافاعلية والفساد والركود و... الثورة.

عام ١٩٨٤ أطلق دي سوتو حركة "ثورية" هي حملة شعبية مسالمة هدفها الاصلاح الديموقراطي. وعندما فرض محافظ ليما قوانين صارمة على بائعي الشوارع، حذّر الاقتصاديون في "معهد الحرية والديموقراطية" من عواقب وخيمة تؤدي الى تفاقم مشكلة الرشوة، وخسارة ساعات لا تحصى بسبب التأخير البيروقراطي، وزيادة في أسعار المواد الغذائية تستهدف الجميع.

وقدم دي سوتو عرائض وقعها ١١١ تكتلا للباعة من أصل ١٢٠ مما حدا السلطات التي تملّكها الذهول الى التنازل عن قوانينها الجديدة.

المستهلك الأخير عام ١٩٨٦ كشف "معهد الحرية والديموقراطية" النقاب عن برنامج لرفع شكاوى على موظفي الدولة وتقديم طلبات شعبية الى الحكومة. وكانت القضية الاولى التي خاضها البرنامج إصدار سندات ملكية شرعية لسكان المنازل الذين لا يملكونها. فتجمعت لدى المعهد في غضون شهر واحد ٣٠٠ ألف شكوى. وخلال أسابيع حضّ الرئيس البيروفي آلن غارسيا البرلمان على إقرار قانون المعهد المعدل والمتعلق بسندات الملكية. بعد ذلك راح السياسيون المحليون يتنافسون على الحظوة بشرف منح رخص الملكية لعشرات الآلاف من غير المالكين.

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦ نشر دي سوتو نتائج أبحاث المعهد في كتاب بعنوان "السبيل الآخر" تضمن اتهاماً صارخاً لحكومات العالم الثالث بالتدخل السلبي في اقتصاد بلدانها. فشاع الكتاب ولقي إقبالا شديداً وهز السياسيين ورجال الفكر في أنحاء أمريكا اللاتينية.

واليوم يواصل دي سوتو حملته الكبرى لتقليص البيروقراطية الحكومية.

يقول: "اني أعلم الآن لماذا نجد في العالم دولا فقيرة وأخرى غنية. نحن عالم من ١٦٩ دولة، خمس وعشرون منها فقط حققت نجاحاً على الصعيد الاقتصادي لأنها حدّت من امكانات تجريد المواطنين العاديين من ثمار صناعتهم وابداعهم. الجواب يختصر بكلمة واحدة: الحرية."

يوجين هـ. متفين ■



رب ضارّة نافعة

عملت مساعدة لرئيس شركة نفط كبرى. ومرة سئلت أن أعمل خلال عطلة نهاية الاسبوع كي يتسنى ارسال وثيقة جيولوجية مهمة بالبريد الى مقر الادارة العامة.

وعملت من الثامنة صباحاً الى السادسة بعد الظهر في يومي العطلة، وأرسلت الوثيقة بالبريد السريع.

وصبيحة الاثنين أخذني الذعر عندما وجدت المغلّف على مكتبي وقد أعيد لخطأ في العنوان. وإذ قررت أن أعترف بغلطتي الفادحة وهممت بقرع باب رئيسي، استدعاني عبر الهاتف الداخلي وسألني: "هل تعرفين طريقة لاعتراض البريد قبل توزيعه؟" والظاهر أن خطأ جسيماً في الحسابات اقتُرف في التقرير المرسَل.

ومن دون أن أنبس بكلمة ناولته الظرف. فحدق اليه مذهولا ثم قال: "أعتقد أنها المرة الاولى تتضافر فيها غلطتان لتُنتجا عملا صحيحاً."

ج.ا.

بالونات طبية

مرض سائح كان يزور منطقة نائية في أمريكا الجنوبية. فسأل واحداً من أبناء البلد: "أريد أن أراجع طبيباً، فكيف أقع على واحد جيّد؟"

جاء الجواب: "هذا سهل، إذ كلما تسبب طبيب عندنا في وفاة مريض، يجبره القانون على تطيير بالون فوق عيادته."

فبدأ السائح بحثه. فوجد طبيباً طيّر ٤٠ بالوناً وآخر ٣٠ وهكذا أخيراً وقع على عيادة لا يرتفع فوقها الا خمسة بالونات، فدخل.

قال له الطبيب: "عليك أن تنتظر. فأنا مشغول جداً مع أنني بدأت ممارسة المهنة أمس."

هـ.ك.

المشاعر أفضل دواء!

أصحيح أن مشاعر الحب تحمينا من الزكام وأن التفاؤل يوقف السرطان أحياناً؟

أنت تستغلّين لحظة لتتمتعي بدفء الشمس على وجهك، وطفلتك تمد ذراعيها تريد ان تُحمَل، والثقة في ابتسامتها تدمع عينيك. إنها لحظات سعيدة بالتأكيد. لكن العلماء الآن يعتقدون أن الامزجة الايجابية التي تولّدها هذه اللحظات قد تترك تأثيراً رقيقاً، ولكن ملحوظاً، في صحتك.

ثمة حقل جديد من الابحاث يدعى "علم التحصين النفسي العصبي" (١) يكشف رابطاً بين الدماغ وجهاز المناعة. على سبيل المثال، استنتجت دراسة طويلة الأمد(٢) ان المتزوجين النشطين اجتماعياً يعيشون عمراً أطول من المطلقين أو العزب الأقل نشاطاً.

ويبدو أن الاتصال بالآخرين يساهم في تحسين الصحة وإطالة العمر. وفي الدراسة تبين أن الرجال الذين اشتركوا في نشاطات اجتماعية مرة في الاسبوع على الاقل عاشوا أطول من الذين لم يشاركوا.

إن مشاركتك للآخرين في مشاعرك قد تساعد أيضاً. في العام ١٩٨٦ طلب العالم النفساني جايمس بنبيكر، في جامعة ميثوديست الجنوبية، من مجموعة طلابية أن تمضي بضع دقائق يومياً على مدى أربعة أيام في الكتابة عن أشد

(١) Psychoneuroimmunology

(٢) دامت عشر ستين وشملت ٢٧٥٤ شخصاً في ميشيغن وأجراها عالم الاجتماع جايمس هاوس

الاحداث إيلاماً في حياتها. يقول بنبيكر في تقريره: "كتب أحدهم عن تعليمه أخته الإبحار. لقد غرقت في أول رحلة منفردة لها."

وبالمقارنة مع طلاب سئلوا أن يكتبوا فقط عن أشياء تافهة، تبين أن الذين كشفوا أسباب آلامهم كانوا أكثر سعادة وأحسن صحة في الأشهر الستة التي تلت الدراسة. وفي العام ١٩٨٨ أظهرت دراسة أخرى تضمنت تحاليل دم تحسناً ملحوظاً في عمل جهاز المناعة استمر ستة أسابيع. يقول بنبيكر: "من الواضح أن الإسرار الى شخص آخر قد ينطوي على فوائد جسدية ونفسية طويلة الأمد."[٣]

الحب يمنع الزكام؟ التفاؤل عامل صحي قوي آخر. منذ العام ١٩٣٧ لا يزال عدد من خريجي جامعة هارفارد يجيبون خطياً عن مجموعة أسئلة تتعلق بصحتهم العاطفية والجسدية. وفي العام ١٩٨٨ راجع العالم النفساني كريستوفر بيترسن من جامعة ميشيغن حياة ٩٩ رجلاً من هؤلاء فتبين له أن أولئك الذين كانوا الأكثر تشاؤماً في السن الخامسة والعشرين أصيبوا اكثر من غيرهم بأمراض حادة في سنوات الاربعين والخمسين والستين. ويستنتج بيترسن أن المتشائمين قد يصبحون سلبيين في وجه المرض ويتقاعسون عن الاعتناء بأنفسهم.[٤]

هل يعني ذلك أن الموقف المتفائل ذو قيمة في محاربة الامراض؟

ظلت العالمة النفسانية ساندرا ليفي على مدى سبع سنوات في معهد السرطان بجامعة بيتسبرغ، تراقب ٣٦ أمرأة مصابة بسرطان الثدي في مراحله المتقدمة. ومع حلول العام السابع بقيت اثنتا عشرة امرأة منهن على قيد الحياة. وكان المؤشر الاساسي لحظهن في البقاء هو الفترة التي ظلت فيها كل منهن خالية من المرض بعد المعالجة. لكن العامل الذي احتل المرتبة الثانية في الاهمية فكان نسبة السعادة والفرح التي قيست بنقط حددتها مجموعة من الاسئلة.[٥]

يتابع العلماء في "وحدة الزكام" في ساليسبوري ببريطانيا دراسة هذا المرض الأقل خطورة وإن يكن لا يقل غموضاً. وتشير نتائج أبحاثهم إلى "امكان وجود علاقة بين العوامل النفسانية واصابات الزكام."[٧]

وأشار بعضهم الى ان قليلا من الحب قد يكون علاجاً مثالياً للزكام. يقول العالم النفساني ديفيد ماكليلاند وهو باحث في الطب العقلي - الجسدي: "عندما أشعر ببداية زكام أفكر في علاقات الحب والود. ليس الأمر واضحاً، لكنه يبدو مساعداً في معظم الاحيان."

ويستند ماكليلاند في ممنتة الى نتائج تمهيدية لدراسات أجراها عام ١٩٨٧ وأظهرت أن معدلات "غلوبولين المناعة اللعابي أ"(٢) الذي يحمي الجهاز التنفسي من العدوى ارتفعت لدى بعض الاشخاص الذين يتمتعون بمشاعر الحب.

روابط كيميائية. كيف لفكرة أن تؤثر في مرضك؟

لقد كشف علماء التحصين النفسي

(٢) Salivary immunoglobulin A

العصبي أدلة دامغة تثبت وجود اتصال بين الدماغ وجهاز المناعة. وفي أواخر السبعينات وجدت كارين بولوك، وهي حالياً مديرة برنامج التحصين العصبي في جامعة سان دييغو، الياقاً عصبية في الغدة الصعترية وهي عضو تحت عظم الصدر ينتج خلايا الدم المناعية أو خلايا «T»(٤). وفي عمل مشترك أنجز مؤخراً مع بولوك، حدد الطبيبان النفسانيان دنيس دراكو ومايكل إيروين وجود "لاقطات" على الخلايا تتلقى اشارات من الجهاز العصبي. كذلك عمد ديفيد فلتن من كلية الطب في جامعة رونشستر الى تقفّي خيوط عصبية أوصلته الى الغدة الصعترية والطحال والعقد اللمفية ومخ العظم، وكلها أجزاء من جهاز المناعة. وبما أن كل الاعصاب متصلة بالدماغ، فإن نتائج أبحاث هؤلاء العلماء تثبت وجود ارتباط واضح.

لقد استطاع البحث المستمر تحديد روابط كيميائية بين الدماغ وجهاز المناعة. ويجمع العلماء المعطيات نبذة نبذة، ويشيرون الى أن أجهزة أجسامنا متصلة بعضها ببعض. هنالك مئات من المواد البيوكيمائية القوية تحمل الرسائل ذهاباً وأياباً. هذه المواد، وكثير منها معروف بتأثيره القوي في المزاج والعاطفة، توفر مفهوماً "جزيئياً" للعلاقة المريبة بين الحال النفسية والحال الصحية.

في العام ١٩٨٧ أعلنت الباحثة كانديس برت وزميلها مايكل راف أن الكريات الوحيدة النواة، وهي خلايا مناعية تساعد على شفاء الجروح وتصلح الانسجة وتبتلع الجراثيم، هي حساسة تجاه "الببتيدات العصبية"(٥) وهي مركبات كيميائية تنتج في الدماغ. وهناك وجود كثيف للخلايا المنتجة للببتيدات العصبية في "الجهاز الهامشي"(٦) في الدماغ الذي يتحكم بالعواطف.

التفاؤل الشافي. كل ما توصلت اليه هذه الابحاث هو وجود ما يشبه الخطوط الهاتفية بين الدماغ وجهاز المناعة، تتلقى كريات الدم البيض بواسطتها الرسائل من الدماغ.

وعلى رغم المكتشفات الحديثة يبقى علماء كثيرون مشككين في الدراسات العقلية – الجسدية. في يونيو (حزيران) ١٩٨٥ نشر مقال افتتاحي في مجلة "نيو انغلند" الطبية المرموقة صنف الاعتقاد القائل بأن المرض يعكس مباشرة الحالات العقلية، على أنه "أدب شعبي."

وعلى رغم ذلك تشير الدكتورة ماري آن فلتشر، مديرة مختبر علم التحصين السريري في جامعة ميامي، الى أن "بدأ الموضوع يؤخذ بجدية أكثر بعدما وضعه الباحثون قيد الاختبار."

قبل وقت قريب أجرت العالمة النفسانية في جامعة هارفارد هلن لانغر اختباراً على مجموعة من المرضى الذين خضعوا لعمليات جراحية. علمتهم أن يقوّموا تجربتهم في المستشفى بالتركيز على النواحي الايجابية عوض تقبل الألم

(٤) T — cells
(٥) Neuropeptides
(٦) Limbic system

كشيء لا مفر منه. هؤلاء المرضى استعملوا نصف كمية المسكنات التي استعملها أولئك الذين لم يتلقوا أي تحضير خاص، وخرجوا من المستشفى قبلهم بيومين.[٣]

وثمة برنامج اختباري آخر أداره كل من رونالد هربرمان مدير معهد السرطان في جامعة بيتسبرغ، وساندرا ليفي من المعهد ذاته، وجوديث رودين العالمة النفسانية في جامعة ييل. ركز هذا البرنامج على مصابين بالسرطان كان مرضهم في حال همود. وبما أن الاحتمال قوي في عودة ظهور السرطان، جُرِّب التدريب النفسي لتعزيز مقاومة المرض. أخضع ثمانية عشر مريضاً لبرنامج دام ثمانية أسابيع مارسوا فيه الاسترخاء وتغيير المعتقدات الهدامة للذات.

وأكتشف العلماء أن المرضى الذين اشتركوا في البرنامج نمت لديهم "خلايا قاتلة" طبيعية وناشطة أكثر من المرضى الذين لم يتلقوا سوى العناية الطبية المألوفة. وهذه "الخلايا القاتلة" تحمي الجسم من نمو الاورام.[٧]

ماذا يمكننا أن نتعلم من أولئك الذين يكشفون قيمة الافكار الايجابية؟

يقول العالم النفساني شلدون كوين: "التفاؤل قد يحسن نوعية حياتنا. والتحدي يكمن في اثبات أن الرجاء يؤثر فعلا في جهاز المناعة." وتوافقه العالمة بالاعصاب كارين بولوك قائلة: "ان البحث الدقيق المنظم لتحديد العلاقة بين العوامل النفسية وعمل المناعة قد يستغرق عدة سنوات، لكن الفوائد الكامنة ستكون هائلة."

Acknowledgments: 1. © 1989 by John Poppy. *Esquire* (May '89); 2. «The Healer Within: The New Medicine of Mind and Body,» © 1986 by Steven Locke, M.D., and Douglas Colligan, published by E. P. Dutton, New York; 3. James W. Pennebaker and Joan R. Susman in *Social Science & Medicine* (Vol. 26, N°. 3), © 1988 by Pergamon Press; 4. Steven Locke, M.D., in *Longevity* (November '88), © 1988 by OMNI International, Ltd.; 5. Bruce Bower in *Science News* (July 23, '88), © 1988 by Science Service, Inc.; 6. Daniel Goleman in New York *Times Magazine* (September 27, '87), © by The New York Times Co.; 7. Daniel Goleman in New York *Times* (April 20, '89), ©1989 by The New York Times Co.; 8 © 1989 by Stephen S. Hall. *Smithsonian* (June '89).



في الهواء سواء

في فجر يوم ماطر وضعنا جيادنا في الشاحنة وتوجهنا الى معرض الجياد الاصيلة. وفي الطريق توقفنا أمام محطة وقود. فسألنا رجل كان متوقفاً هناك لتعبئة سيارته: "الى أين أنتم ذاهبون بهذه الجياد؟" فأجبت: "الى المعرض."

فقال مستغرباً: "أنتم معشر مربي الخيل مجانين اذ تذهبون الى مكان كهذا في يوم ماطر!"

فسألته: "وأنت ماذا دعاك الى الخروج باكراً في مثل هذا اليوم البغيض؟"

أجاب: "أنا ذاهب للصيد!"

ج.أ.س.

مُحفظة الأصوات

يضم الارشيف الوطني للاصوات في لندن تسجيلات رائعة من سنين وذكريات عابرة

عندما كانت كلير هول، خبيرة الصوت في محطة تلفزة يوركشير ببريطانيا، تمحّص الاصوات التي تنسجم مع مشاهد ملتقطة في جزيرة شمال صقلية، وجدت أن أفضلها هو عزف زيزان الحصاد في شمس الظهيرة.

وللحصول على أصوات تلك الزيزان الايطالية اتصلت كلير من مكتبها في مدينة ليدز بـ"الارشيف الوطني للاصوات" في لندن. وما عتمت أن تلقت شريطاً مسجلاً. وحين عرضت التمثيلية على التلفزة في احدى أمسيات الشتاء أضفت جوقة زيزان الحصاد جواً مثالياً لحرارة الشمس الحارقة.

كان اتصال كلير واحداً من ألف تقريباً تستجاب كل اسبوع في مركز الارشيف الكائن في بناء جميل وعريق بالقرب من متنزه هايد بارك.

"هل يمكنني الاستماع الى الشاعر البريطاني ألفرد تنيسون يلقي قصيدته: "هجوم فرقة الخيالة؟"

- يمكن تدبر الامر.

"هل لديكم نشيد قتالي لقبائل الزولو في جنوب افريقيا؟"

- تعال واختر ما يعجبك.
"أريد أن أسمع صوت سيارة فورد القديمة من طراز T."
- الامر سهل جداً.
"هل سجل أحد صوت الجنين في الرحم؟"
- طبعاً!

كل صوت مسجل في العالم موجود على الارجح في الارشيف الوطني للاصوات. واذا أردت التفتيش عن شريط مسجّل أو أسطوانة فونوغرافية يصعب الحصول عليها، ففي امكانك الاستعانة بخبرة المسؤولين في مركز الارشيف. وما عليك إلا أن تعلم برغبتك قبل بضعة أيام، فتقصد المركز وتستمع مجاناً الى ما تريده من موسيقى بيتهوفن أو الـ"بيتلز" أو صفير الحوت أو صوت نيل آرمسترونغ من القمر: "خطوة صغيرة لرجل، قفزة عملاقة للبشرية." أو التعليق على السبّاح أدريان مورهاوس الذي ربح ميدالية ذهبية في الألعاب الاولمبية الاخيرة في سيول.

جلست ذات صباح الى طاولة في غرفة الإستماع، فعشت ثانية عطلتي الصيفية لدى سماعي الضجة والهرج المفرح في أحدى الاسواق المزدحمة بايطاليا. وكان نحو عشرة زائرين آخرين مستغرقين في الاستماع الى اختياراتهم الخاصة، منها أوبرا بولونية، وقاطرات بخارية تندفع متثاقلة عبر جبال روكي وخطاب الملك البريطاني ادوارد الثامن لدى تنازله عن العرش. واكتفى احدهم بسماع أصوات الطيور لنصف ساعة فيما أمضى آخر كل النهار يستمع الى مرافعات الدفاع في محاكمات مجرمي الحرب العالمية الثانية في نورمبرغ بألمانيا.

ان الارشيف الوطني للاصوات هو بيت كنوز. ولديه تسجيلات من أنحاء العالم تشمل ٧٥٠ ألف أسطوانة فونوغرافية و٥٠ ألف ساعة من الاشرطة المسجّلة، وهي أكبر مجموعة من نوعها في أوروبا. وفيه أيضاً نسخ طبق الاصل من معظم محفوظات هيئة الاذاعة البريطانية (BBC) الكبيرة الخاصة ترجع الى العام ١٩٤٢. وكثير منها يختاره الامناء التسعة الذين ينفذون تسجيلات لمجموعاتهم المختصة. بينيت برغونزي، مثلاً، المسؤول عن التـأثيـرات الصـوتيـة الصنـاعيـة والميكانيكية، يعمد الى التقاط أصوات تراوح بين صرير طواحين الهواء وشفط محركات الجرّ.

وينمـو الارشيف بسرعـة فائقـة. فتتكـدس الاسطوانـات في الأقبيـة المكيفة بالهواء وعلى رفوف محشوة. ويتلقى المركز نحو ٤٠٠٠ منها كل شهر من شركات التسجيل الكبرى وحدها. وينهال فيض من التبرعات. فقد أوصى هاو أمريكي للارشيف بـ١٥ ألف أسطوانة كلاسيكية، وسلّم راديو نوتنغهام ٥٠٠٠ أسطوانة شعبية حين كانت الطبقة الاولى حيث حفظت هذه الاسطوانات مهددة بالانهيار.

أداءات أسطورية. يعكس الارشيف كل مظاهر المجتمع. فيه فقط تقدر أن تعود عبر السنين وتستمع الى أصوات العظماء في اللحظات التاريخية. فذلك الصوت المتهدج هو صوت توماس إديسون

مخترع الفونوغراف في العام ١٨٧٨ وهو يسجّل أغنية "ماري كان لديها حمل صغير" في فونوغرافه، وكان يوجه إنشاده داخل المذياع فيما يدير أسطوانة مغطاة برقاقة من التنك ترسم عليها إبرة ذبذبات الكلمات.

وهذه فلورنس نايتنغايل بصوتها الذي سُجّل على الشمع في العام ١٨٩٠ تنشد: "ليبارك الله رفقائي في بالكلافا ويرجعهم سالمين الى شواطىء بريطانيا." ويأسف وليم غلادستون العجوز لأن صوته "هو بقية أرغن أنهكه الاستعمال المفرط."

والباحثون من جميع الفئات يقصدون الارشيف، بمن فيهم المؤرخون ومخرجو الاذاعة والتلفزة وعلماء الاجتماع وصانعو الافلام وعلماء الطبيعة. وكان الكاتب فرنسيس سبالدنغ يتردد كثيراً على الارشيف أثناء تأليفه كتاباً عن سيرة ستيفي سميث. ويقول: "إن سماعها تقرأ قصائدها يبعث في النصوص حياة."

ولعشاق الموسيقى يوفر الارشيف مجموعة غنية خاصة. فعازف الفيولونسل جوليان لويد ويبر يستخدمه ليجد قطعاً فريدة يزيدها على ذخيرته من الالحان الموسيقية ولدراسة الاداءات السابقة للاعمال التي يعكف على تسجيلها بنفسه. ويصفه بأنه "منجم ذهب خالص."

بين الكنوز أداءات أسطورية لم تلتقط على أسطوانات بل سجلت مباشرة من الاذاعات. ويأتي قادة الفرق الموسيقية ليقابلوا بين نسخ القطع الكلاسيكية المختلفة. فلدى المركز ١٥٠ تسجيلا للسيمفونية الخامسة لبيتهوفن. وهم يستمعون الى المؤلفين يعزفون قطعهم بأنفسهم، ومن بينهم براهمز الذي سجل عزفه الملهم لاحدى "الرقصات الهنغارية" على أسطوانة سمعية في العام ١٨٨٩ ثم نقلت الى أسطوانة فونوغرافية بعد ٤٥ سنة. والنسخة الأصلية في متحف برلين أتلفت خلال احدى الغارات الجوية.

وفي امكان واضعي موسيقى الافلام المتشوقين لاصوات جديدة أن يستمعوا الى آلات موسيقية غير عادية مثل جمجمة الحيوان المدرَّع (الأرماديلّو) تطلق صفيراً، وناي من عظم جناح البجع تستخدمه قبيلة "كونا" في كولومبيا. كل ما هو موسيقي يصلح للاقتناء في أدراج الارشيف.

"أهذا صوتي؟" ان بحث رجل واحد عن أسطوانة هو الذي أدى الى تأسيس الارشيف الوطني للاصوات. ويتذكر باتريك سول (٧٥ عاماً) كيف أنه، قبل ٥٠ سنة، وجد نفسه عاجزاً عن شراء "سوناتا" على الكمان وعزم على أن يستمع اليها في المتحف البريطاني.

لكنه دهش لدى اكتشافه عدم وجود دائرة التسجيلات الموسيقية في المتحف. فاتصل بمدير المتحف "من كشك للهاتف وناقشه منددآ بالأمر فأجابه المدير بلطافة: لا بأس بفكرتك، ولكن عد الينا حين تكبر وتزداد خبرة."

ولكن خلافا لنصيحة المدير عمل سول خلال العقدين التاليين على نشر فكرته، وكسب مؤيدين من امثال كومبتون ماكنزي ويودي مينوهين في سبيل انشاء

مجموعة مستقلة. وفي العام ١٩٥٥ أسس "معهد الصوت المسجّل" في مركزه الحقيقي الاول، وكان معظم موجوداته من التبرعات الخاصة.

وقدمت الحكومة تشجيعاً بمنحة من الخزينة. وفي العام ١٩٨٣، بعد خمس سنوات من تقاعد باتريك سول كمدير، تم الاعتراف بأهمية المركز من طريق دمجه في "المكتبة البريطانية" واعطائه اسماً جديداً هو "الارشيف الوطني للاصوات."

ومن التسجيلات التي حصل عليها سول قراءة السير هنري إرفينغ قصيدة عن رجل مجنون بعد أسابيع فقط من إكمال توماس إديسون فونوغرافه. وارتاع ارفينغ لدى سماعه تسجيل صوته وهتف: "يا إلهي! أهذا حقاً صوتي؟"

وكما حصل بالاسطوانات الشمعية الكثيرة التي سجّل عليها العظماء في العهد الفكتوري أقوالهم، سُجّلت لقية سول على أسطوانة فونوغرافية قبل أن يدبّ اليها التلف.

وقد حقق مدير الصيانة الحالي في الارشيف بيتر كوبلاند انجازات مدهشة من طريق برنامج الكتروني متطور لتنقية الخدوش والاصوات السطحية. وقد يكون لهذا تأثير دراماتيكي، فقد لقّم الدماغ الالكتروني خطاباً لبرنارد شو سجل عام ١٩٤٦ على أسطوانة مكسورة في ثلاثة أماكن، فأنتج شريطاً لا عيب في تسجيله هو أفضل من التسجيل الأصلي.

صوت الملكة. في بعض الأحيان يثبت أن أحد الكنوز ليس في الحقيقة كما يبدو للعيان. فهناك تسجيل نادر يعتقد أنه رسالة فونوغرافية بعثت بها الملكة فكتوريا الى امبراطور الحبشة مرفقة بتعليمات صارمة لاتلافها بعد الاستماع اليها. لذا تعاظمت الاثارة حين تقدمت احدى السيدات بأسطوانة قالت انها محفوظة منذ أجيال لدى عائلتها وانها من دون شك تسجيل لصوت الملكة.

لكن جوناثان فيكرز القيّم على الآثار الأدبية المسجّلة رأى أن فحوى التسجيل فارغ من أي معنى. فالمتكلمة أشارت الى "أبي الأمة ومليكها" مما يصعب انطباقه على الامير ألبرت. لكن البحث في محفوظات قصر وندسور أثبت أن تلك كانت رسالة الملكة ألكسندرا الى الأمة يوم وفاة زوجها الملك ادوارد السابع عام ١٩١٠، لكن الصوت في الاسطوانة خلا من لكنة ألكسندرا الدانمركية المميزة.

ويبدو أن احدى الممثلات سجّلت الرسالة لسبب لا يعرفه أحد. وتقول احدى النظريات بأن الاسطوانة كانت ستوضع داخل تمثال للملكة ألكسندرا في أحد متاحف الشمع.

ويختص الارشيف بالتسجيلات المسرحية، فتستمع الى صوت سارة برنار عبر قرن والى صوت جون غليغود من العام ١٩٣١. وفي المحفوظات ما يزيد على ألف من التسجيلات المسرحية الحية، وهي تشتمل على أعمال المؤلفين الجدد في مهرجان ادنبرة وعلى كل تمثيلية لمسرح شكسبير الملكي والمسرح الوطني منذ ١٩٦٣، سجلها خبراء الارشيف التقنيون.

وتشتمل المجموعة على انتاج أجنبي أيضاً، منه ١٤ عملا من مسرح موسكو للفن وتمثيليات من مسرح "نوه" في اليابان

يبدو للاذن غير المتدربة أن فيها كثيراً من أصوات النخر.

وفي الارشيف أيضاً دائرة خاصة باللغات وأخرى للهجات المحلية، وذلك نعمة للممثلين الذين يتدربون على أداء لهجة معينة، اذ ان في امكانهم اعادة الشريط والاستماع الى التسجيل مرة بعد مرة. ومن السهل أيضاً ارضاء اللغويين الذين يطلبون أمثلة على بريطانيين يتكلمون لغات أخرى غير الانكليزية. والأرجح أنهم سيسمعون مارغريت تاتشر تتكلم الالمانية أو ونستون تشرشل يكسِّر الفرنسية. وقد لبَّت هيئة ادارة الارشيف طلب أحد الكماليين الذي سأل: "اذا وُلد امرؤ في جزر الهند الغربية وجاء الى الطرف الشرقي من لندن وهو في الثامنة من عمره وأمضى ست سنوات في مانشستر ثم عاد بعدها الى لندن، فكيف تكون نبرته؟"

جميع الحيوانات. ان نطاق الأصوات الصافية التي يقدمها الارشيف الوطني للاصوات يكاد لا يحدّ. ففي امكانك الاستماع الى صوت البوق من قبر توت عنخ آمون، أو الى نقيق الضفدع ذي القوائم الشبيهة بالمجارف وضفدع الـ"بوبلبونك" - وهما اثنان فقط من ٥٠٠ نوع من الضفادع سجّلت أصواتها ضمن مجموعة رائعة من الحياة البرّية تشمل ٦٠٠٠ نوع.

ان نشاط الارشيف يشمل جميع مناطق العالم. وفيه تسجيل لنهيق طائر البطريق في القطب الجنوبي وصياح قردة الغيبون في ماليزيا وضحك طائر بوقير في بورنيو وحتى غناء العندليب مترافقاً مع الفيولونسل في احدى حدائق ساري عام ١٩٢٤ والذي ربما كان أول تسجيل لاصوات الحياة البرية. وهناك أشرطة تسجيل كثيرة بارزة تبرع بها هواة ماهرون، مثل ذلك الرجل من كومبريا الذي نفذ تسجيلا كلاسيكياً لمحادثة بين أنثى الكروان وصوصها وهو داخل البيضة.

وتتكدّس طلبات الاستعلام على مكتب القيّم رون كيتل: يطلب متحف الجنس البشري في لندن صوت غابات المطر الاستوائية في الأمازون لاستخدامها خلفية لمعرض كبير. ولمهرجان حديقة غلاسغو الذي نظمت ادارته امتحاناً للاولاد يؤمن كيتل أشرطة تسجيل لاصوات حيوانات الحديقة مثل الشحرور والنحلة والجُندب والقنفذ والوطواط والذبابة.

يمدّ كيتل يده وينزل عن رف أحد أشرطته المفضّلة، ويدعو زواره لكي يحزروا ما الصوت الذي يسمعونه على الشريط. لكن أحداً منهم لم ينجح الى الآن. فقد تعتقد أنه صوت طائر نقار أو ربما صوت زورق بخاري سريع، لكنه في الواقع أحد تلك التسجيلات الرائعة وغير المتوقعة التي تجعل من الارشيف الوطني للاصوات ذلك المكان الفذ. فأين يمكنك، غير هنا، أن تتنصّت على سمكة قد تنادي زوجاً؟

بيتر براون ■

"الارشيف الوطني للاصوات" مفتوح للعموم من الاثنين الى الجمعة بين التاسعة والنصف صباحاً والرابعة والنصف عصراً (التاسعة مساء أيام الخميس). والتسجيلات خاضعة لاتفاقات حقوق النشر، ولا تعطى الا لمؤسسات.

أخبار العلم

مطاردة القنابل القديمة

كشفت صور فوتوغرافية قديمة بمساعدة الادمغة الالكترونية، النقاب عن آلاف القنابل غير المتفجرة التي لا تزال مطمورة في المانيا.

فخلال الحرب كانت قاذفات القنابل تغير يومياً على المدن الالمانية. ولكن من كل ٢٠ قنبلة تنفجر كانت هناك واحدة تقريبا تُطمر في الارض على عمق ثلاثة امتار، غير انها بعد ان يُتلف مقداحها تنفجر تلقائيا.

وبحث العلماء طويلا عن طريقة سهلة لاستكشاف هذه الاشراك المفخّخة، فوجدوها في صور استكشافية قديمة للحلفاء وفي الكومبيوتر المتطوّر.

عندما يتفحّص الباحثون الصور بالعدسات المكبّرة يستطيعون تعقّب مسار القنابل المقذوفة. فهذه تنصبُّ فوق الهدف على شكل صفّ من النقاط المتفجرة. وكل فراغ في سلسلة القنابل المنفجرة يدل على قنبلة لم تنفجر. وتنحصر المشكلة اذاً في المطابقة بين الصور الفوتوغرافية الجوية والخرائط الحديثة لشوارع المدن. فالصور غالباً ما كانت تؤخذ بزوايا منحرفة، ومعظم المعالم الظاهرة فيها لم تعد موجودة. اتى الحل على يد هانس مول استاذ الهندسة في معهد شتوتغارت للعلوم التقنية. ويحتاج الباحثون الى تحديد ثلاثة اشياء في الصورة لا تزال موجودة مثل الجسور او البيوت، فيتمكن برنامج الكومبيوتر الذي طوره مول من مطابقة كل نقطة اخرى في الصورة مع الخريطة الحديثة. والى الآن توصل الباحثون الى تعيين مكان نحو ٦٥٠ قنبلة جرى اقتلاع اكثر من ١٥٠ منها.

صحيفة "يو إس نيوز اند ورلد ريبورت"

ندفتان توأمتان

اكتشفت نانسي نايت من "المركز الوطني لأبحاث الاحوال الجوية" في بولدر بولاية كولورادو، أول زوج متطابق معروف من ندائف الثلج.

"هذا مستحيل،" قال زوجها وزميلها في البحث، شارل نايت، عندما رأى النديفتين التوأمتين. لكنهما كانتا هناك، أمامهما، جنباً الى جنب، على شريحة زجاجية (سلايد) عرضت خلال طيران مخصص للابحاث فوق ووسو بولاية ويسكونسن.

تبدو نديفتا الثلج، البالغ طول الواحدة منهما عُشري مليمتر، مثل عمودين مجوفين في الوسط كزهريتين. ويقول تشارلز نايت إن بلوغهما شكليهما المتطابقين "ناجم عن تشابه كبير جداً في قصة تكوينهما" في أثناء تراكم المياه الجليدية عليهما وهما تمران في طبقات الهواء البارد.

وكالة "أسوشيتد برس"



صرخة الحياة

الكفاح قوة أبعد من الرجاء عنيدة مثل تدفق ينبوع

□ بدت هلن كأنها تملك كل شيء. كانت امرأة ناشطة اجتماعياً، متزوجة استاذاً جامعياً وأماً لشابين. ثم أصيب زوجها تيد بسكتة دماغية (فالج) خطيرة أثرت في توازنه وتركته عاجزاً عن التكلم بوضوح. واذ كانت هلن غير قادرة على تحمل تكاليف العناية بزوجها في مستشفى فقد عادت به الى البيت.

لقد انهار عالم هلن، لكنها لم تستسلم. وبدل ذلك ابتكرت طرقاً بارعة لمساعدة زوجها على التكيف مع حياته في كرسي المقعدين، وألفت كتاباً عن تجربتهما لتشجيع الآخرين الذين يعانون المصيبة ذاتها. وقبل كل شيء، حرصت على ابقاء زوجها جزءاً من الحياة. فاصطحبته الى الحفلات الموسيقية والمسرحيات وحتى في رحلة بحرية الى جزر البحر الكاريبي. وعلمته أن يمشي قليلا وأن يتكلم بوضوح أكثر. وظل الاثنان يحلمان برحلة طالما تمنياها الى أوستراليا.

□ ترعرع سيدني في جزيرة كات في

ILLUSTRATION: PAUL ROGERS

الباهاما. وفي السادسة عشرة من عمره هاجر الى مدينة نيويورك ومعه ثلاثة دولارات وسنة ونصف سنة من التعليم المدرسي. وهناك كان ينام على سطح احدى البنايات ويعمل في غسل الصحون.

وعلى رغم أنه لم يكن يعرف شيئاً عن مهنة التمثيل فقد استجاب لإعلان "المسرح الزنجي الأمريكي" الذي كان في حاجة الى ممثل. وعندما لم يتمكن سيدني من قراءة جميع كلمات النص المسرحي قاطع المخرج تجربته قائلا: "أنت تهدر وقتي يا فتى."

مشى الشاب خارجاً وهو أكثر تصميماً من أي وقت مضى. اشترى جهاز راديو وأمضى ساعات يستمع الى أصوات الناس محاولا اللّفظ بوضوح كما يفعلون. وفي المطعم حيث كان يعمل تعرّف الى نادل ساعده على القراءة. وبعد فترة وجيزة عاد سيدني الى "المسرح الزنجي الأمريكي" وأقنع مسؤولين هناك بأن يسمحوا له بأخذ دروس في التمثيل. وهو عقد العزم على أن يصبح، ليس فقط أفضل الممثلين الزنوج في العالم، بل أفضل الممثلين قاطبة. إنه سيدني بواتييه، وقد قطع شوطاً بعيداً في تحقيق طموحه(*).

هؤلاء هم الاقوياء المكافحون للبقاء. أشخاص يجدون أنفسهم في ظروف قاسية فيتغلبون عليها بشجاعة. تواجههم الامراض والفواجع، ويمنون بالاحزان والخيبات، ويعاملون بظلم أو يخدعون. ومع ذلك يستمرون، بل يجبهون محنهم وأحزانهم بطرق تغني حياتهم وتضفي عليها معنى أعمق.

اكتشف الباحثون ان لتجارب الحياة شأناً أقل كثيراً من نظرة الانسان اليها وتأثره بها. ان الاقوياء المكافحين يبدأون تعلم البقاء قبل ظهور الأزمات. وإذا ما تبنينا نظرتهم الخاصة الى الحياة امكننا جميعاً أن نتعلّم كيف نتخطى الازمات:

اجعلوا من السعادة عادة. إن المكافح من أجل البقاء يتمتع بالحياة حتى عندما تنبت المصاعب كما الشوك بين الأعشاب. انه يعيش يومه بما يأتيه، سواء أكان مليئاً بالحزن أم بالفرح أم باليأس أم بالمفاجآت. وعندما لا يستطيع تحقيق نصر كبير يتمتع بالأشياء الصغيرة. ويبدو انه يعلم أين يبحث عن ومضة فرح ولحظة جمال وتبصّر.

حتى الناجون من معسكرات الاعتقال تحدثوا عن بعض الملذات القليلة: مغيب متوهّج، شجيرة عليق الى جانب الطريق حيث كانوا يعملون، أمسية ظلوا فيها ساهرين لمشاهدة نور القمر منبعثاً من بين الاشجار بعد نهار شاق. ان هذه لقوة أبعد من الرجاء، عنيدة مثل تدفق ينبوع.

أعرف امرأة مسنة أخبرها طبيبها أنها مصابة بسرطان في العظم. فعوض الاستسلام للمرض مضت تسافر من بلد الى آخر. حضرت كل ما تسنى لها من مسرحيات واشتركت في مجلات كثيرة. وفي الثمانين من عمرها تزوجت من جديد. وقد تخطت توقعات طبيبها بأشواط. وهي تقول أن ليس هناك ساعات كافية في اليوم لتفعل كل ما ترغب فيه.

(*) نال جائزة "أوسكار افضل ممثل" عام ١٩٦٣.

يملك المكافحون نوعاً من القدرة على الحياة وجموحاً للافادة منها حتى الثمالة. لكل لحظة قيمة عندهم. وهم يجدون في كل يوم فرحاً مهما يكن ضئيلاً.

يقول العالم النفساني نتانيل براندن: "ان العذاب أسهل النشاطات الانسانية. أما الفرح فهو أصعبها." وهذا صحيح. ليس من إنسان يولد سعيداً. كل فرد يصنع سعادته الخاصة.

تقبّلوا التغيير. معظمنا يحب القاء اللوم على شخص آخر عندما تأتيه المصاعب. لكن المكافح لا يفعل شيئاً من ذلك. ان التغيرات والمصاعب ستحدث لا محالة، شئنا أم أبينا. في حياتي الخاصة يريحني أن أتذكّر أنني كلما اقتربت سابقاً من كارثة "غير معقولة" أصبحت هذه الكارثة "معقولة." إذاً، تقبّلوا التغيير من دون تذمر، ولكن بشوق قويّ للتعلم منه. عندما تتمزق حياتنا تعود فتلتئم بأنماط جديدة والأمر الذي بدا مصيبة قد يتحول أفضل شيء حدث لنا.

لا تستسلموا. على رغم خوف المكافح والعوائق التي تقف في طريقه، فانه يفعل ما يجب فعله.

كان صوت بيل غارغان الأداة الرئيسية لمهنته كممثل. ثم أصيب بالسرطان وفقد حنجرته. في البدء كان يائساً، "ولكن لا يمكنك ان تهدر حياتك بالاسف على نفسك" كما كان يقول. وهو جاهد سنوات ليتعلم الكلام ثانية حتى بات في امكانه إلقاء الخطب. بعد ذلك أمضى بقية حياته وهو يساعد الآخرين أمثاله.

ان المحاولة لا تنجح دائماً في إبعاد الكارثة، لكنها تخفف من وطأتها وتعطي شعوراً هائلا بالرضى. لا تسألوا: "هل أخفقت؟" بل إسألوا: "ماذا أفعل بعد؟"

إتصلوا بالآخرين. قبل مدة ركبت سيارة أجرة. كان السائق لطيفاً وودوداً وساعدني في حمل الكتب والرزم. شكرته وسألته عما اذا كان يتمتع بعمله. فأجابني: "حالياً لا." وشرح لي كيف أن زوجته توفيت قبل أسبوع بحادث سيارة. دهشت لكياسته على رغم ألمه العميق. فقال ببساطة: "أنت لست مسؤولا عن وفاة زوجتي، فلماذا أحمّلك آلامي؟"

يحرص المكافح على الاحاطة بالآخرين. وهو يطلب المساعدة فوراً عند الحاجة الماسة، الا أنه لا ينثر آلامه على الآخرين. هو يؤمن بأن متاعبه تساعده في إدراك صعوبات الآخرين.

المكافح معطاء. كتب الشاعر الفرنسي بول فاليري: "إن قيمة الحب الحقيقية هي في الحيوية الزائدة التي يولدها." وقد وجد باحثو جامعة ديوك (كارولينا الشمالية) ان أحد أفضل مؤشرات الصحة والسعادة والعمر المديد هو النزعة الى الاتصال بأشخاص أبعد من حدود العائلة. عندما تهددكم أحزانكم بالقهر فكروا في طريقة لمساعدة الآخرين.

عيشوا في الحاضر. أعرف امرأة في الستين من عمرها عاشت طفولة بائسة وما زالت غارقة في التأسف على نفسها. لم يسعها البقاء في وظيفة ولا المحافظة

على صديقة حميمة. تقول ميلدريد نيومن وبرنارد بركوفتز في كتابهما "كيف تكون أفضل صديق لنفسك": "تكمن الحياة في التمويه عن الذهن والكف عن الشكوى." وهما يحذران من اننا اذا صرفنا طاقاتنا على الغضب من أشخاص خيّبونا في ما مضى فلن تبقى لدينا طاقة لتخطي ما نعانيه اليوم.

ويضيف فريدريك بوتشنر في كتابه "الظلام الجائع": ليس في مقدور أي منا أن يعيد الماضي أو يقولب المستقبل. اليوم وحده ملكنا، ولن يكون لمدة طويلة. ومتى مضى فلن يكون ملكنا ثانية أبداً."

لا تخشوا أن تحلموا. أصيب تيري كينغ بالعمى نتيجة قذيفة انفجرت في وجهه عندما كان في الخدمة العسكرية. كان بيته قريباً من الشاطىء، وطالما حلم باقتناء زورق آلي. ولكن كيف يبني ضرير زورقاً؟ وجد كينغ متطوعاً في "رابطة خدمة الضرير" قبل ان يقرأ له كتاباً عن بناء المراكب ويسجل القراءة على اشرطة.

وبعد استماع تيري الى الأشرطة المسجلة تمكن من بناء زورق بلغ طوله عشرة أمتار في فناء منزله. وعلى رغم انه ظل في حاجة دائمة الى من يقوده فقد كان سعيداً لأن بناء الزورق كان "التحدي الأكبر الذي يمكن أن يواجهني."

في كتاب "ارادة الحياة" يقول الدكتور آرنولد هاتشنكر: "يسعى الناس الى القيام بواجباتهم من دون ملل متى كانوا يصبون الى هدف ويؤمنون بما هم فاعلون." ان "سترة نجاة" المكافح محوكة بأشياء خالدة يحيط بها نفسه، كالكتب والموسيقى والايمان والاهداف والاحلام. قبل سنين كثيرة قرأت عبارة ساحرة لم أعد اذكر كاتبها: "حاولت أن أمشي من دون حلم، فتعثرت ووقعت."

ليس سهلا أن يكون المرء مكافحاً، لكن الكفاح يستحق المحاولة. اذا استطعنا ان نعيش حياتنا حسناً في الآلام والمصاعب والخيبات، واذا تمكنا من استخدام جميع مواهبنا وكل شجاعتنا، فسينبثق انجاز ذو شأن كبير يضاف الى الخير العام.

هذا التوق الى قهر المصاعب وتخطي الضعف الشخصي قاد الانسانية عبر تاريخها الطويل. انه صرخة البطولة داخلنا جميعاً.

أرديس ويتمن ■



رسالة شكر

بعد مشاهدة مسرحيتنا الجامعية المخصصة للاولاد تلقينا مئات من رسائل الشكر. واتت رسالتي المفضلة من ناقد فني واعد في الصف الابتدائي الثالث، كتب: "لقد أحببت المسرحية. كانت أفضل مسرحية شاهدتها على الاطلاق. انها المرة الاولى أحضر مسرحية."

م.س.ك.

المملكة المنسية

تحت سماء رحبة تهجع الحياة البرية مع الابرار والابطال

كان والد زوجتي رجلا اسكوتلندياً نموذجياً حريصاً، وكان لا يصحح لدى غير الاسكوتلنديين اعتقادهم أن مسقط رأسه نورثمبرلند ليس الا كومة ركام. كان يقول لي ضاحكاً: "ان ريفنا سرّ محفوظ جيداً، ونريد أن نبقيه كذلك."

حتى في وقتنا الحاضر يعتقد السياح المتوجهون الى اسكوتلندا ان نورثمبرلند هي رقعة من الطرق المحفرة في منطقة نيو كاسل على نهر التاين. فيسرعون بسياراتهم عبر أقصى مقاطعة شمال في انكلترا، مفوتين على أنفسهم مشاهدة أرض عجيبة من التاريخ الرومنطيقي والمناظر الخلابة. تمتد هذه المقاطعة من مستنقعات التداين وأوديتها شمالا الى "كيلدر ووتر" وهي أكبر بحيرة من صنع الانسان في أوروبا الشمالية، فالى تلال تشافيوت التي تعلو ٨٠٠ متر على الحدود الاسكوتلندية.



قلعة بامبورغ

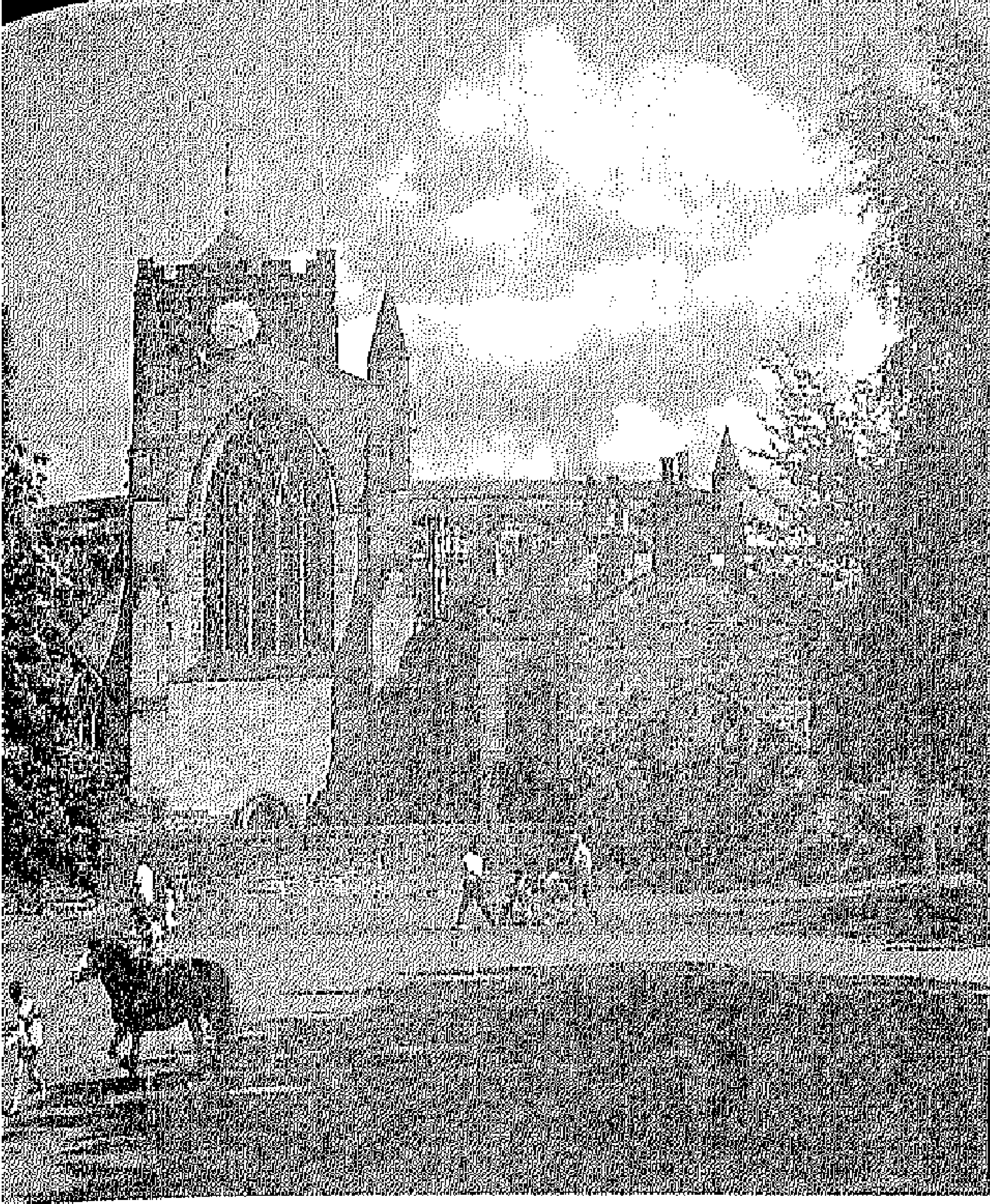
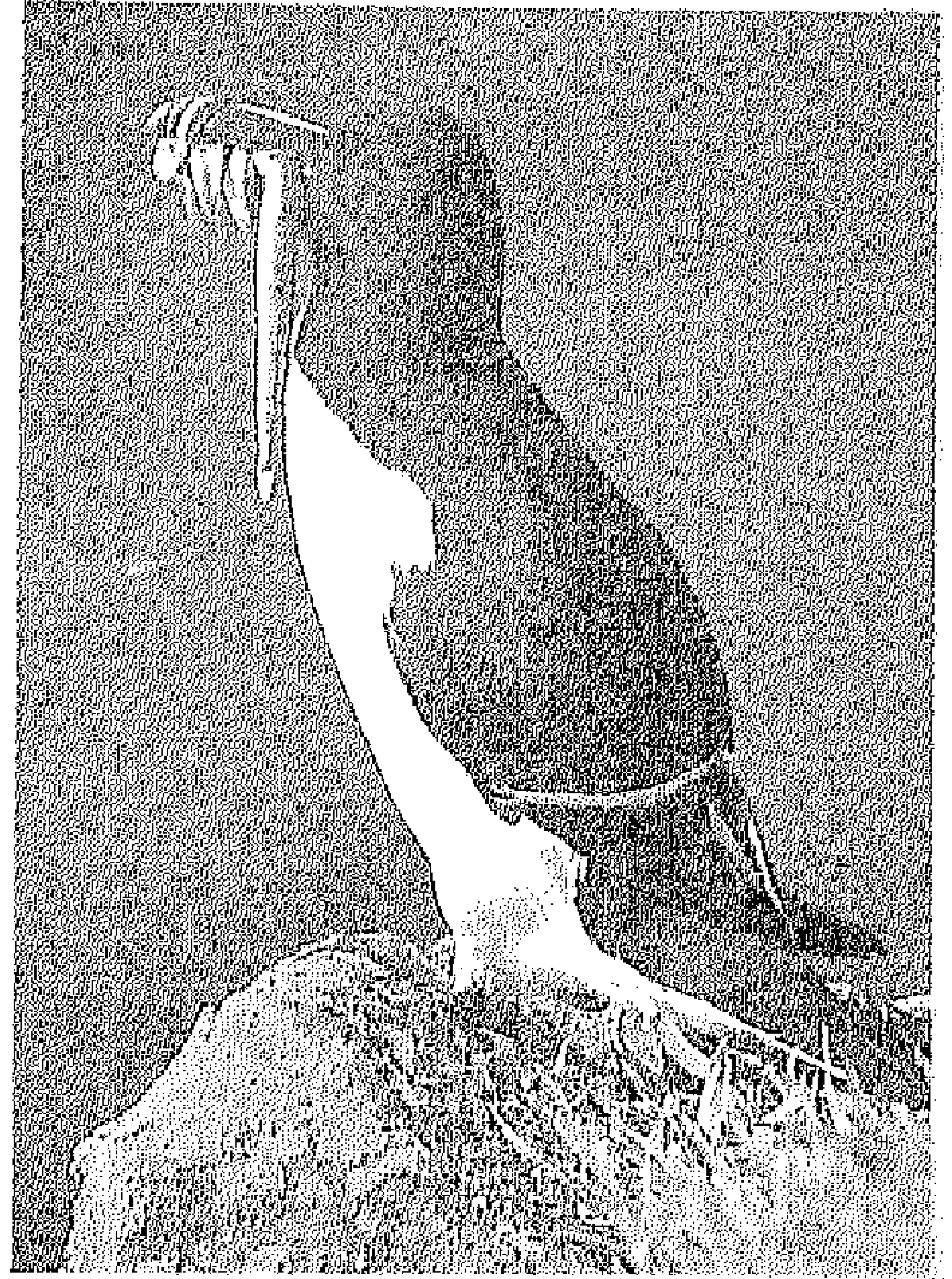
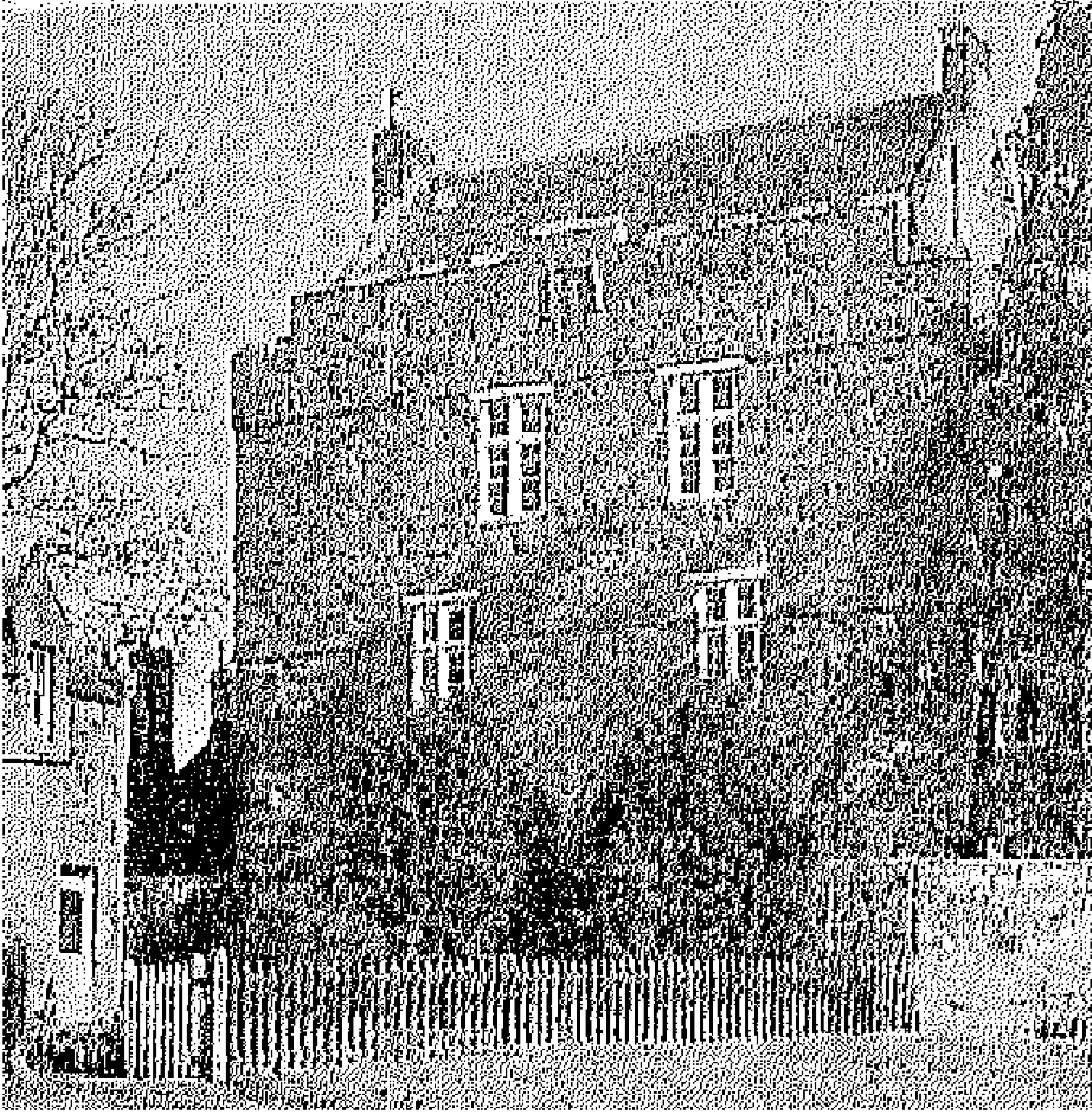
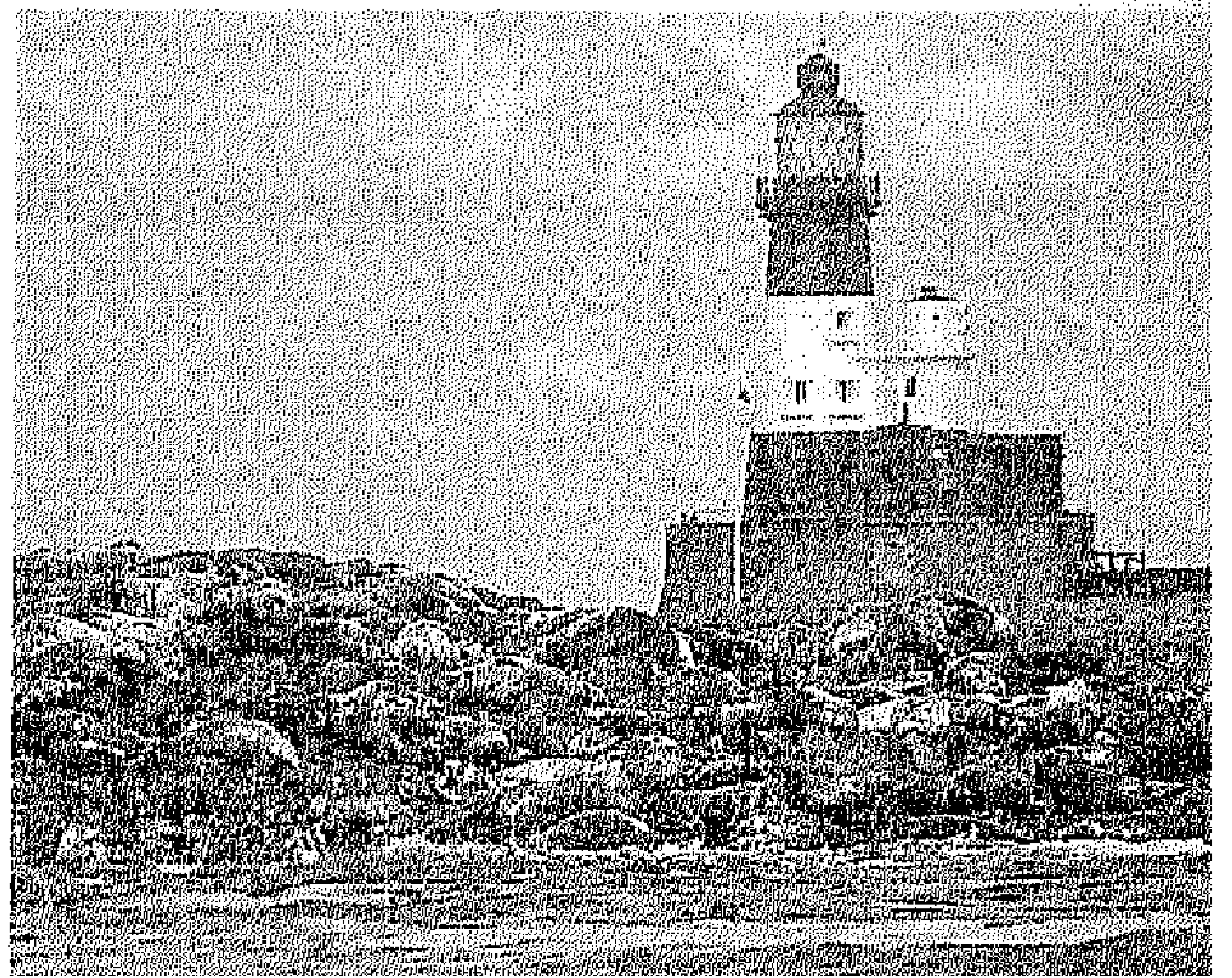
والذين يجسرون على دخول نورثمبرلند يجدون مملكة غير مكتشفة تقريباً. في رحلة استغرقت أسبوعاً ورافقتني فيها زوجتي هيلاري، تمتعنا بمشاهدة القلاع القديمة والمنحدرات المكسوة بالثلج والشواطىء البيضاء الباقية على هدوئها الذي تتذكره شيئاً من أيام الطفولة. وبسبب العزلة المثيرة فإن قلة من الأماكن في بريطانيا تمكن مقارنتها بتلال سيفيوتسايد في متنزه نورثمبرلند الوطني حيث تتكسر الرياح الصافرة على جدران من الحجر الرملي تحت السماء الواسعة.

ليس في نورثمبرلند الريفية مدينة تضم أكثر من [illegible] نسمة. والطرق المفتوحة عجيبة في رحابتها. قال أحد الرعاة الحدوديين لشيلا: لن تجدي زحمة سير هنا. فعدد الأغنام يفوق عدد الناس في هذه المنطقة".

لا مقاطعة انكليزية أخرى تضاهي بجمالها الريفي هذه الأبهة التاريخية المتألقة. بدأنا جولتنا من بامبورغ بقلعتها المثيرة الرابضة على صخرة محلقة شديدة الانحدار. فكرت ملياً كيف أن الأرض لم تتغير إلا قليلاً منذ حكم أوزولد في القرن السابع. ففي وقت كان الجنوب لا يزال في حال فوضى اشتهرت مملكته في نورثمبرلند في أوروبا على أنها منارة للتعليم.

بطلة بحرية. قصدنا ليندسفارن، التي عرفت، على مدى قرون بـ"الجزيرة المكرّمة"، عبر ممر لا يسلك إلا في حال الجزر.



وجزر فارن القريبة التي يملكها "الصندوق الوطني" هي اليوم ملاذ لطيور البحر، تماماً كما كانت عندما جعلها الراعي سان كوثبرت موطنه. "لقد قال إن بط العيدر يجب ان يكون له مكان حيث لا يطاله أذى الانسان. كان أول حماة الطبيعة." هذا ما قاله القيّم بيتر هوكي بينما كنا ننطلق بزورق آلي من سيهاوسز التي تبعد ثلاثة كيلومترات الى الجنوب من بامبورغ.

شرح لنا هوكي أن "الصندوق الوطني" حدد عدد السياح بعدما وجد أن الزوار يزعجون الطيور أثناء تفقيسها ويهددون بقاءها. وعلى جزيرة سان كوثبرت الخاصة، فارن الداخلية، شاهدنا طيور النورس والبفن والغلموث وأبي موسى

PHOTOGRAPHS: SIMON WARNER; BRITAIN ON VIEW; ADRIAN DAVIES / BRUCE COLEMAN; ROBERT GILLMOR /

فوق، من اليمين) طائر أبي موسى جائع في جزر فارن التي يحميها "الصندوق الوطني"؛ برج هكزهام. (تحت، من اليمين) منارة لونغستون مجموعة من الفقمات الرمادية؛ برج ايلسدون الذي يعود الى القرن الرابع عشر.

وهي تبني أعشاشها. قال هوكي: "قبل عشر سنين كان نصف هذا العدد من الطيور يعشش هنا. اما اليوم فإن هذا المكان مدينة للطيور البحرية."

لقد شهدت جزر فارن بعض حوادث تحطم السفن في زمانها. فقبل مئة وخمسين عاماً ساعدت غرايس دارلينغ أباها القيّم على منارة لونغستون في التجذيف بمركب ذي كوثل (مؤخر) أبتر على غرار مراكب الصيد التي ما زالت شائعة في نورثمبريا، مسافة كيلومترين عبر أمواج متلاطمة كالجبال للوصول الى الباخرة "فورفارشاير" التي انشطرت على صخرة "بيغ هاركار."

قال لنا ديريك كالدروود أمين متحف غرايس دارلينغ في بامبورغ: "اعتقدت غرايس ووالدها أن ليس من زورق انقاذ يستطيع الابحار في تلك العاصفة الهوجاء. والحقيقة ان زورقاً وحيداً تمكن من الوصول الى الحطام، ولكن بعدما كان آل دارلينغ انتشلا الناجين التسعة جميعهم."

الرسوم المعروضة في المتحف تروي مأثرة غرايس التي جعلت منها بطلة وطنية. فقد كتب الشاعر البريطاني وليم واردزوارث قصيدة تكريماً لها، ومنحت خمسين جنيهاً وظهرت على مسرح "ادلفي" في لندن، كما تلقت عشرات العروض للزواج.

أرض القلاع. لدى توغلنا في المنطقة بدأنا نكتشف تاريخ نورثمبرلند المضطرب الحافل بالغزوات ونزاعات الحدود. في كل قرية قلعة مهدمة، وبعض القلاع أبراج تجمع الحيوانات في طبقاتها السفلى عند اقتراب المغيرين الحدوديين ويقفل السكان الابواب ويمكثون في الطبقة الاولى. وأخبرنا الرائد طوم بايكر - كرسويل صاحب برج "بريستون" المبني في العام ١٣٩٢: "أظهرت دراسة حدودية أجريت في العام ١٤١٥ وجود ٣٧ قلعة و٧٨ برجاً."

أرانا الغرفة التي أعيد بناؤها في القسم العلوي من البرج والتي يكسو أرضها بنات السمّار. قال: "هنا كانت العائلة تقفل على نفسها وتمكث عدة أيام أحياناً. وكان المغيرون يشعلون ناراً في نبات السرخس الرطب ليجبروا سكان البرج على الخروج هرباً من الدخان. واذا ما تم الامساك بالمغيرين كانوا يشنقون غالباً أو يُفرض على عشيرتهم دفع فدية."

أقوى الحصون في نورثمبرلند قلعة آنيك التي تلقب "وندسور الشمال." وهي حمت آل برسي، المعروفين اليوم بأدواق نورثمبرلند، منذ انتقلت الى اللورد برسي الاول في العام ١٣٠٩ وجدرانها ذات الفتحات منقطة بتماثيل حجرية لرجال مسلحين كأنهم جنود يقومون بالحراسة.

سرنا في طرق آنيك الهادئة، فوصلنا الى المبنى حيث صنع شقيقان أولى صنانير صيد السمك الشهيرة عالمياً والمعروفة باسم "هاوس أوف هاردي." أخبرنا مديرِ التسويق جايمس هاردي

كيف ابتكر جده وليم صنارة "هاردي" المصنوعة من خيزران تونكن: "في زمانه كان الامريكيون يصنعون أفضل الصنانير. لكن وليم وشقيقه جون جايمس طلبا من نجار محلي ماهر أن يصمم صنارة تبز الصنانير الامريكية جودة. شق النجار قضيب خيزران عمودياً ستة أقسام وسحجها بعناية لاكسابها قوة أكبر، ثم جمعها بالغراء من جديد. وعندما تحدى جون جايمس الامريكيين في مباراة لرمي الصنانير، فاز عليهم بفارق كبير."

بين آنيك والبحر توقفنا لنتمشى في حدائق هوويك هول الظليلة، حيث حدثتنا الليدي ماري هوويك عن جدّ شهير. كان الايرل غراي مهندس "وثيقة الاصلاح" للعام ١٨٣٢. قالت لنا: "سمي شاي ايرل غراي على اسمه. كان مزيجاً خاصاً طلبه له السفير الصيني ليلائم ماء هوويك."

كرسي السلام. تذكرت شيلا طبقاً شهياً كانت تتناوله في صباها وهو سمك كراستر المدخن. لذلك قصدنا قرية كراستر الصغيرة القريبة من أطلال قلعة دانستانبرغ التي كان يملكها جون أوف غونت، وقد رسمها الفنان البريطاني جوزف ترنر سبع مرات. وهي تربض على منحدر صخري شاهق كأنها فك عملاق.

وجدنا الشقيقين آلن وكين روبسون يوقدان ناراً في نشارة خشب السنديان وقشارة الخشب الابيض في اثنين من بيوتهما الثلاثة المشادة قرب المرفأ والمخصصة لتدخين السمك. قال لي آلن: "نستطيع تدخين ٢٥٠٠ سمكة رنكة في اليوم في بيت واحد. لكن تدخين سمكة سلمون واحدة يستغرق يومين اذ علينا أن نترك النار تخمد. اننا نلوّن بالدخان وليس بالاصباغ."

تحولنا صوب البر وقصدنا كراغسايد بالقرب من روثبري، ضيعة أحد صناعيي القرن التاسع عشر اللورد أرمسترونغ سيد الاعمال الهندسية العظيمة والتحصينات العسكرية وأحواض بناء السفن في تاينسايد. كان أرمسترونغ رائداً في حقل التقنية الهيدروليكية، فملأ كراغسايد بعجائب العهد الفيكتوري مثل مصعد وسفّود للشواء يعملان بقوة الماء من بحيرة تقع فوق مستوى المنزل. كذلك كانت الكهرباء المولدة بالطاقة المائية تضيء المصابيح المتوهجة التي سبقت المصابيح (اللمبات) المستعملة في يومنا والتي اخترعها رجل آخر من تاينسايد هو السير جوزف سوان.

أُهمل جهاز أرمسترونغ المولد للطاقة عندما وُصل المنزل بخط الكهرباء الرئيسي عام ١٩٤٥. لكن الآلات حفظت بفضل "الصندوق الوطني" ويستطيع الزوار ان يتجولوا في حجرات الضخ وتوليد الطاقة.

عبرنا وادي وانزبك ووقفنا ننظر بدهشة الى الجدار الروماني الذي بناه الامبراطور هادريان في القرن الثاني والذي لا يقارن به أي شيء آخر. ثم نزلنا الى منطقة وادي تاين الاكثر لطافة. على ضفة النهر في وايلام تفحصنا درب السكة الحديد التي اختفت الآن والتي كانت عربات الاحصنة تسلكها لنقل الفحم الحجري من المناجم في وايلام الى نيوكاسل. هنا ولد في العام ١٧٨١ أحد

أعظم أبناء نورثمبرلند، وهو جورج ستيفنسون رائد القاطرة البخارية.

يقول القاطن الحالي في الكوخ ويدعى غراهام برويس: "أتخيله وهو يراقب العربات ويفكر - حتى عندما كان صبياً صغيراً - في أنه لا بد من وجود طريقة لنقل الفحم أفضل من متون الجياد."

كنا أبقينا آخر صباح لنا في المنطقة للبلدة التجارية الصغيرة هكزهام بصرحها العظيم. قال لنا الدليل جورج جونسون: "ان اجزاء من هذا المبنى تعود الى ما قبل قدوم وليم الفاتح."

أراني السرداب الذي يعود الى القرن السابع والمبني بحجار مأخوذة من مستوطنة كورستوبيتوم الرومانية (كوربريدج اليوم) والكرسي الحجري المعروف بـ"كرسي السلام" وقد كان ملجأ للهاربين. شرح لنا جونسون: "كان على الهارب أن يجلس في الكرسي ليعطى الامان. وبعد ذلك يصبح في مأمن من ملاحقيه."

هاكزهام أعادتنا الى زمان كوثبرت وتعليمه اللطيف في زمن كانت نورثمبرلند شمعة في الظلام. قلت في نفسي: لعل هذه الارض، أرض الابرار والابطال، لديها رسالة لنا اليوم في مداها الرحب وتلالها الهادئة وسمائها الواسعة.

أنطوني براون ■



مسمار أكيد

كنتُ أجمع أغراضاً من القبو لبيعها في السوق السنوية للادوات المستعملة عندما فاجأتُ زوجي وهو يرمي قدوماً قديماً في سلة المهملات. ولما استرجعت القدوم قال لي: "لن يشتريه أحد، فالجزء المشقوق الخاص بنزع المسامير مكسور."

فتحديته قائلة: "هل تريد أن تراهن؟"

وتصديقاً لقولي كان القدوم أول ما بيع من الاغراض.

ولم يستطع زوجي ضبط نفسه فسأل المرأة التي اشترته: "لماذا ترغبين في شراء قدوم بلا رأس لنزع المسامير؟"

فحدجته بنظرة صارمة وأجابت: "عندما أغرز مسماراً، لا أنوي أبداً انتزاعه من مكانه!"

ك.ج.ب.

عريس مشتاق

في نهاية حفلة زواج مترفة بقي المصوّر وقتاً طويلاً وهو يحاول جمع العائلات لأخذ الصور مع العروسين. وأخيراً قال: "الان أود أن أرى العروس وحدها."

فهتف العريس وقد عيل صبره: "وأنا كذلك."

أ.و.



لاذ الرياضي الجريح بشجرة صنوبر وقبع الكلبان المفترسان تحتها مكشرين بأنياب جائعة

مأساة واقعية

أسرى الكلاب البرّيّة

وسط أجمة من الأغصان المتشابكة على قمة التلة كان الكلبان البريان نائمين. فجأة انتصبت الآذان الأربع الصغيرة على وقع أقدام ثقيلة. كان الكلبان جائعين وقد مضى وقتٌ طويل منذ أكلا أخيراً. انهما شرسان ومدربان على القتل على يدي أحد تجار المخدرات الذي كان يستخدمهما لحراسة ممتلكاته. وبعد هروبهما من صاحبهما قبل شهرين راحا يجوبان المنطقة وفق هواهما، وكانا أجربين جائعين وجاهزين للانقضاض على أي شيء يتحرك.

وكان لديهما العتاد اللازم: عينان لوزيتان باردتان ورأس كالاسفين وفكان قادران على الاطباق بقوة هائلة.

وقبل يومين فقط كان سكان الجوار أبدوا تذمرهم من كلاب برية تفتك بحيواناتهم الأليفة وتهددهم أحياناً.

ها هي الخطوات تقترب. وثب الكلبان وانتصبا متحفزين على قوائمهما القصيرة القوية وأخذا يتشممان الهواء.

ILLUSTRATIONS: DAVID BECK

أشرقت الشمس في ذلك الصباح الذهبي الدافئ في التاسع عشر من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٨. كان جوني فورد، عمدة مدينة توسكيجي (ألاباما) ذو الشعبية الواسعة، يمارس رياضة الجري. والرجل في السادسة والأربعين من العمر، رياضي مديد القامة. وكان يلبس سترة زرقاء فضفاضة أنيقة ويعدو مستمتعاً وهو يتنشق الهواء النقي عميقاً. انه يعز هذه اللحظات القصيرة التي يعدو فيها وحيداً لأنه، يستطيع خلالها أن يفكر ويخطط ويصلي ويقوي نفسه لمواجهة المشاكل التي تنتظره دائماً في مكتبه.

في ذلك الصباح سلك فورد درب التلة المرتفعة فوق الجانب الشرقي لبحيرة توسكيجي حيث يسكن هو في حي راق. وفيما هو يتجه صعوداً على الطريق المشجرة الشديدة الانحدار كانت الغابات الظليلة تحيق به من كل صوب.

وفي منتصف الطريق تمنى فورد لو أنه سلك درباً أسهل. لكنه اعتاد أن يقسو على نفسه. فقد كان أبوه يردد دائماً على مسمعه: "يا بني، إذا أحسست بسهولة أمر ما فهذا يعني أنك لا تبذل جهداً كافياً."

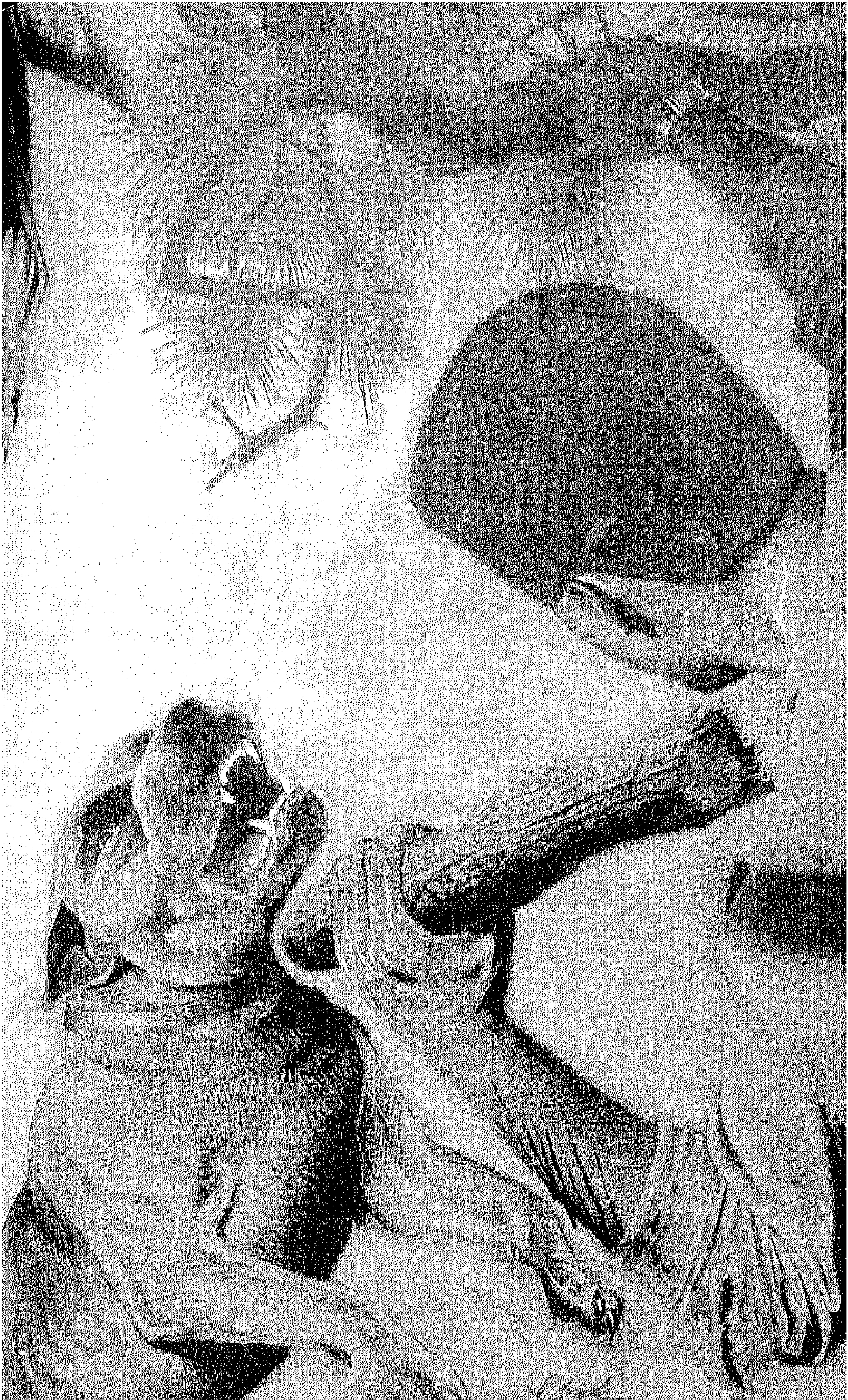
والحقيقة أن "أباه" كان عمه تشارلي، و"أمه" كانت العمة تنيسي. لقد تبنياه كابنهما الوحيد وهو طفل. كان تشارلي يعمل ممرضاً في مستشفى وكانت تنيسي تعمل خادمة وطاهية. وعلى رغم أنهما أميان ومنزلهما وضيع وذو غرفتين، فقد أمنا له فرصاً لم تسنح لهما أبداً. حرصا على أن يصبح أول ولد في الحي يتعلم الأبجدية، وأن يكون صاحب ألمع الأحذية وأرتب السراويل. وألحقاه بفوج الكشافة وأرسلاه الى مخيمات صيفية.

كان جوني في السن الثالثة عشرة عندما قرأ كلمة "عمدة" على نصب برونزي في مدخل حديقة توسكيجي العامة. كان محظراً على الاولاد الزنوج دخول الحديقة آنذاك. فقال محدثاً نفسه: "لا بد أن العمدة شخصية مهمة جداً ليستطيع ابقاء جميع ابناء شعبنا خارج هذه الحديقة. سأصبح عمدة عندما أكبر لكي أسمح للجميع بالدخول." هكذا بدأ الحلم. وقد شجعه أبواه على بذل كل جهده للوصول.

وأصبح فورد العمدة الزنجي الاول لهذه المدينة المزدهرة التي يبلغ عدد سكانها ١٥ ألفاً وهي مركز جامعة توسكيجي التي بقيت لأجيال محوراً لتقدم أبناء عرقه. وبجهد اضافي أصبح الرئيس المؤسس لـ"مؤتمر العمدات العالمي" وهو منظمة تضم ١١٠٠ عمدة من ٣٣ بلداً.

فيلم مرعب! وصل فورد الى قمة التلة وهو يتنفس بجهد. وفي تلك اللحظة خرج الكلبان عن يمينه هاجمين من بين الشجيرات. البلتريرا لم يكن ثمة وقت أكثر من لمحة بصر رأى فيها جسمين قويين، واحداً بنياً وآخر رمادياً، يندفعان صوبه بسرعة البرق وهما يزمجران. وثب الكلبان كنمرين وكادا يطرحانه أرضاً، لكنه تنحى متجنباً الهجمة العنيفة.

على الفور وثب الكلبان ثانية. لاقاهما فورد مباعداً بين قدميه، وهذه وقفة متتالية تعلمها في الكاراتيه. خطا جانباً ولكم رأس الكلب البني وهو يثب عليه،



ثم رفس الكلب الرمادي وهو يقفز عليه وطرحه أرضاً.

هجم الكلبان تكراراً وهما يحاولان النيل من عنق فورد. ولم يكن لضرباته أي تأثير. إنهما بلا إحساس، مثل كلبين آليين.

كان فورد سمع ان هذه الكلاب تقاتل لساعات من دون أن تصدر أنّة ألم حتى عندما تتشوه الى حد يتعذر معه التمييز بينها. ولم تكن مرت دقيقة واحدة بعد. وكلما وجه ضربة الى أحدهما وثب الآخر وأنشب فيه أسنانه. وراح الدم ينز من سرواله، وكان طعمه يدفع الكلبين الى اهتياج أعنف

صد فورد هجوماً مسعوراً آخر وهو يتمايل على ساقيه الواهنتين. فجأة، بدأ الكلبان يتقاتلان بوحشية.

أسرع فورد الى أقرب شجرة كبيرة وكانت على مسافة ستة أمتار، لكنه لم يكن سريعاً كفاية فتمكن منه الكلبان وأطبقا على عقبي قدميه. قفز يائساً الى شجرة صنوبر يابسة وأخذ يتسلقها، فانكسرت الشجرة وسقط هو داخل صنوبرة أخرى نحيفة أخذت تميل ببطء نحو الكلبين المنتظرين. ففكر فورد: مستحيل أن يحدث هذا. انه مشهد من فيلم مرعب.

تابعت الشجرة انحناءها حتى تدلت قدما فورد مترين فوق الأرض. وثب الكلب البني وغرز أسنانه عميقاً في رجله اليمنى قرب الركبة. فشهق فورد عندما تدفق الدم من جرحه.

عندئذ أدرك تماماً ما ينتظره: ان هذين الوحشين يريدان هلاكي حتماً. وهذا الادراك ملأه غضباً عارما وألهب جسده. هبط الى الأرض وأخذ يهر ويخور مثل الكلبين، ومضى يرفسهما ويضربهما صارخاً: "اذا أردتما أن تقتلاني فسوف اموت وأنا أقاتل."

"النجدة! النجدة!" حال العشب النامي دون ونوب الكلبين بحرية للتمكن من ضحيتهما ولشدة استيائهما انبريا يتعاركان مجددا هذه المرة تمكن فورد من الهروب الى صنوبرة كبيرة. وعلى رغم عرجه حاول تسلق جذعها الضخم. لكن وثبة من الخلف مكنت الكلب الرمادي من الإطباق على رسغه الأيمن. أطبقت الأسنان على العظم وتعلق الكلب بقدم فورد وهو يدور ويثب في الفضاء محاولا تمزيقها. كان الألم شديداً.

كافح فورد للتخلص من الكلب. وأخيراً، بفضل جوربيه الصوفيين الثقيلين، أفلت الوحش وسقط. ونجح فورد في الوصول الى غصن كبير يعلو عن الأرض بضعة أمتار هناك تلاشى على جذع الشجرة. وتبعه الكلبان متسلقين بجهد شجيرة الى جانب شجرة الصنوبر. ومن هناك هجما مراراً وكادا ينالان منه.

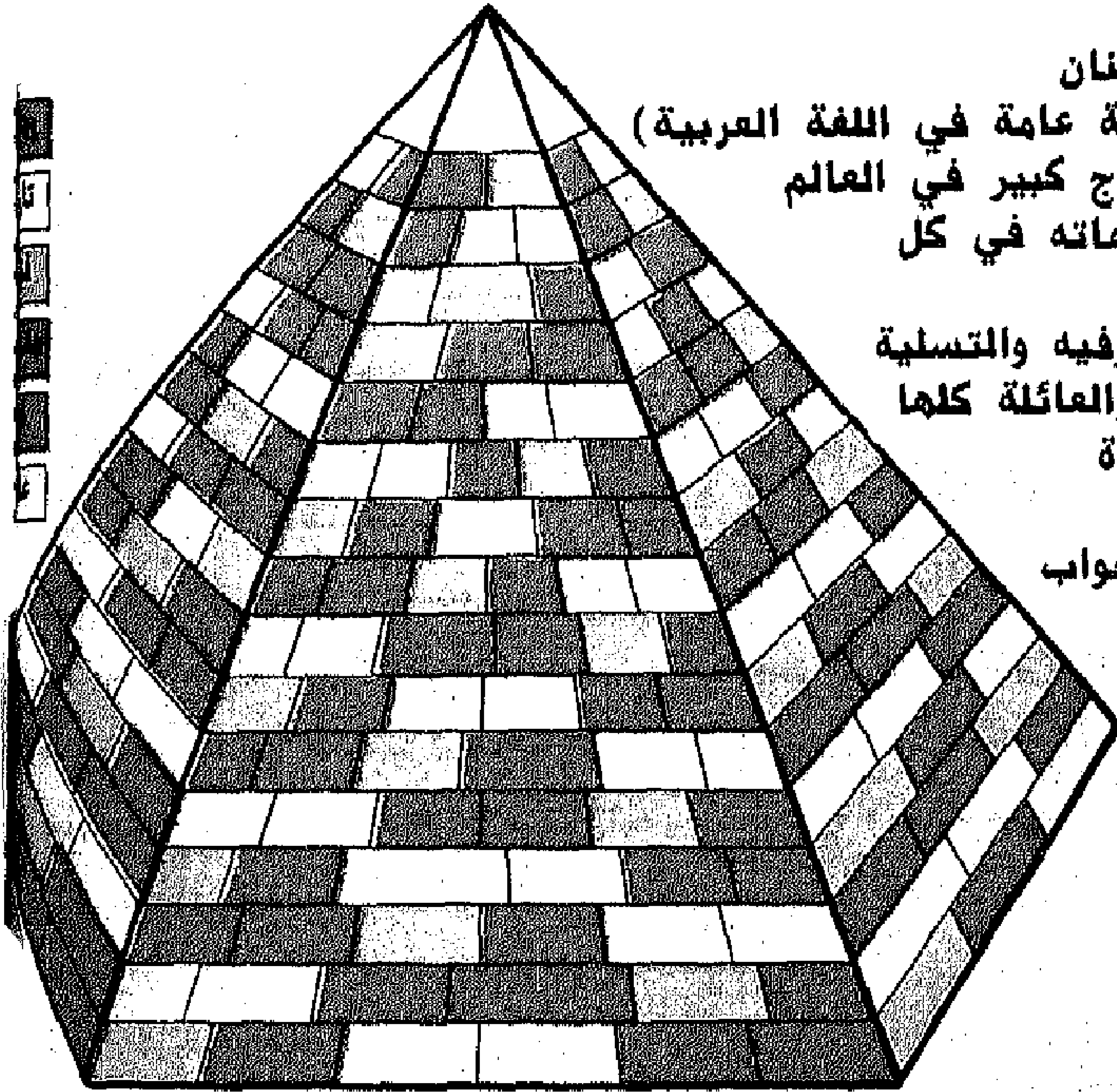
وبعد فترة عاد فورد الى رشده وانتقل الى الغصن التالي بعيداً عن مرمى الكلبين. هدأ مطارداه، لكنهما اتخذا لهما نقطة حراسة في أسفل الشجرة. أحس فورد دواراً في رأسه نتيجة النزف في رجله. وكان سرواله منقعاً بالدم. ففكر: لا يمكنني أن أجلس هنا حتى أغيب عن

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية

- هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة



هرم المعرفة: تجدونها في جميع محلات الالعاب والمكتبات

انتاج: شركة انتاج وتسويق الالعاب التثقيفية ش.م.م. PROMEGA S.A.R.L.
ت: ٩٢٦٧٧٠ (٠٩) - تلكس: AJAKKA ٤٥٤٠٠ LE
التوزيع في لبنان: شركة بلايتايم Playtime ت: ٤١٤٤٢٧

الوعي وأسقط. يجب أن أفعل شيئاً.

باجتهاد وكد تسلق الى قمة الصنوبرة المهترئة وأخذ يصرخ. "النجدة! النجدة! كلاب برية!" في البدء راح يصرخ في اتجاه منزله حيث زوجته تاس على بعد كيلومتر ونصف كيلومتر، ثم تحول بصوته في اتجاه الريح نحو حي مارابيل الذي يبعد ٤٠٠ متر.

فجأة تملكه خوف جديد. ماذ لو هوجم أحدهم وهو يحاول انقاذي؟ نظر الى ساعته وكانت تشير الى التاسعة والدقيقة العاشرة. ماذا لو بقيت هنا حتى الثالثة، موعد انتهاء المدرسة، فيأتي الاولاد الى هنا للعب؟ لنفترض أن زوجتي تاس وأولادي علموا أنني لم أصل الى المكتب وخرجوا للبحث عني؟ أخذ يرتجف. كان جوني (١٧ عاماً) وكريستوفر (١٣ عاماً) فتيين شجاعين لكنهما وادعان. أما ابنته تيفاني فلا تتجاوز السادسة.

في تلك الاثناء قرر أن يتابع الصراخ طلباً للنجدة وأن يتابع قتال الكلبين. ربما استطاع إتعابهما.

نزل ببطء على الشجرة وقطع منها قضيباً ثم انحنى من غصن متدن وأخذ يهز القضيب أمام الكلبين ويضرب به في اتجاه أعينهما كلما حاولا الوثوب عليه. ومع كل ضربة كانت الفكوك القوية تطبق على القضيب فيهزه بعنف للتخلص منهما. وكاد يقع من الشجرة غير مرة.

"هل معك سلاح؟" قرابة العاشرة والربع وصل نتانيل لونغ، وهو مزارع في التاسعة والستين من عمره، الى منزل جودي كرايتون في مارابيل لاعادة خرطوم مياه سبق أن استعاره منها. وكانا يتحدثان عندما سمع لونغ نداء استغاثة ضعيفاً حملته هبة ريح آتية من التلة.

قال: "هناك شخص في ورطة." وركض نحو سيارته. وعلى رغم أنه كان نيقاً في ما يختص بسيارته الـ"بويك" المدللة فقد قادها وهي تتخبط في السهل الوعر وصعد التلة متوجهاً نحو الغابات.

مرت على فورد ساعتان ونصف ساعة وهو يصارع آسريه، وبات متعباً جداً. وعلى رغم أنه ضربهما بشدة على رأسيهما وأكتافهما فلم يبن على الكلبين أي انزعاج. كانا واقفين ونظرهما مسمر عليه وهما جاهزان لتقطيعه هو أو أي كائن آخر يصادفهما.

فجأة رأى فورد سيارة زرقاء تثب في السهل وتتجه نحوه. وتوقفت على بعد نحو ٧٠ متراً منه وترجل منها رجل أخذ يلوح بيده.

صرخ فورد: "كلاب متوحشة! عد الى سيارتك. هل معك سلاح؟"

صاح الرجل متراجعاً: "نعم، لدي مسدس."

ولالهاء الكلبين شن فورد أصعب هجوم على الاطلاق. هبط الى أسفل الشجرة. فبدأ الكلبان على الفور يثبان عليه ويعضانه.

تحركت السيارة بتثاقل واقتربت أكثر. وتناول لونغ مسدسه من تحت المقعد واستند الى النافذة وأطلق عدة رصاصات. خر الكلب البني على الارض نافقاً، أما الرمادي الذي جرح فهم بالهرب داخل الأشجار.

همهم فورد: "لا، لن تهرب." كان يخشى أن يهاجم الكلب الجريح شخصاً آخر يلتقيه. فأخذ المسدس من لونغ ومضى يترنح داخل الأشجار الصغيرة متعقباً الكلب. وصرعه بطلقة كانت الأخيرة.

ارتمى فورد على جذع شجيرة وهو يتنشق بعمق وقال لمخلصه: "لن أستطيع أبداً أن أشكرك كفاية. أنني لمحظوظ بالبقاء حياً."

لكنه كان يعلم أن بقاءه كان أبعد من الحظ. ربما أذعن شخص غيره للخوف واستسلم ببساطة. وراح يفكر: كان أبي محقاً عندما قال لي: "أبذل مزيداً من الجهد وستنجز أفضل مما اعتقدت أن في وسعك انجازه."

عولج جوني فورد من جروح بالغة في ساقه ومن خدوش في أنحاء جسده. وأرسل الكلبان الى مختبر بيطري حيث تبين خلوهما من داء الكلب. وبعد بضعة أشهر عاد فورد يمارس رياضة الجري.

آلن رانكن ■

أخت الرجال!

رقِّيت امرأة في شركة الى وظيفة مشرفة عامة، فصعب على العمال القدامى من الذكور قبول سلطتها. وفيما كانت تعطي أحد هؤلاء المرؤوسين تعليماتها قاطعها قائلا: "يا ابنتي، أنا كبير كفاية لكي أكون والداً لك."

فردت: "وأنا كبيرة بما فيه الكفاية لكي أكون مشرفة عليك!"

ج.د.

بسيطة!

بصفتي طبيباً، كلفتني احدى شركات التأمين فحص طالبي التأمين على حياتهم لديها. ويتعين علي أيضاً أن أستقصي سبب كل وفاة في محيطهم العائلي المباشر. وذات يوم لم يتذكر أحد الزبائن سبب موت والده، فأكد لي بهدوء: "أنا واثق بأن السبب لم يكن خطيراً أبداً."

م.م.

من أعراض المراهقة

شعرت باحباط وخيبة إثر أحد خصاماتي اليومية مع ابنتي المراهقة، فتنهّدتُ وقلتُ لها: "يا عزيزتي، بالامس كنا نتضاحك ونسَرّ بالرفقة التي بيننا، فماذا دهانا يا ترى؟"

فجاء جواب ابنتي مباشراً من القلب: "لقد تغيرتِ يا ماما!"

م.أ.

تعمل السلطات الصحية في الفيلبين
على احياء التطبيب الشعبي باشراف علمي حديث

عودة طبّ الأعشاب

تحت جدران صرح "كيابو" العملاق في احد الاحياء التجارية القديمة في مانيلا عاصمة الفيلبين، سوق فريدة يحتشد فيها الباعة حول عربات صغيرة ملأى بأوراق خضراء وقشور لحاء شجر وجذور ذات عقد وغير ذلك من مواد علم الصيدلة الطبيعي. فاذا كان المارّ رجلا ناداه البائع: "سيدي، اليك دواء لحصى الكلية." أما الامهات فيسمعن: "سيدتي، هذا علاج للمولِّدات." وتنال الشابات نصيبهن إذ يفاجأن بهمسات عالية تروّج لمادة مستخلصة تعالج مشاكل عدم انتظام الدورة الشهرية. وهذه المنتجات مستخرجة من شعيرات أكواز الذرة ومن الفشاغ (نبتة معترشة) ومن المكابوهاي (كرمة مرّة) وهي اكثر المواد بيعاً.

خلال موسم الاعاصير بين يوليو (تموز) وسبتمبر (أيلول) يروج بيع عقاقير الـ"سامبونغ" والـ"لاغوندي" لمعالجة السعال والزكام، والـ"بيربا بوينا" للحمى والقشعريرة والزكام أيضاً. أما أوراق الـ"سابيلا" العصارية فتعالج الحروق وتساقط الشعر، وتتكفل نبتة الـ"أتيس" بطرد الشر. والباعة لا يجمعون هذه النبتات، بل يشترونها من الموزعين القادمين الى مانيلا من القرى ومن أماكن نائية كمدينة باغيو التي تبعد ٢٤٠ كيلومتراً شمالا.

السيدة روزا هيلاريو (٦١ عاماً) هي من أكثر باعة كيابو خبرة. وهي تزود كل شار ارشادات لاستعمال العلاج العشبي. سألتها سيدة مسنة عن علاج لالتهاب المفاصل، فهتفت هيلاريو: "آه، سبعة سبعة!" وناولتها رزمة أوراق ملفوفة شارحة لها طريقة الاستعمال: "هذه سبعة أنواع من الاوراق. أضيفيها الى سبعة أكواب ماء واغليها بضع دقائق واشربي منها أربع مرات أو خمساً في اليوم." أما الثمن فسبعة بيزوس (٣٣ سنتاً).

مصنع رائد. على بعد ثمانية كيلومترات جنوباً، قريباً من طريق حديث في بيكوتان، يقع مجمَّع "دائرة العلوم والتكنولوجيا." هناك، في مصنع من طبقة

واحدة، يجلس عمال يرتدون بزات موحدة وأقنعة واقية، يصنفون الاعشاب الطبية بأيديهم ويطحنونها ويقرصونها لتتحول حبوباً بنية ضاربة الى الخضرة توضع في زجاجات معقمة. وهذه الحبوب أدوية معيَّرة ومحددة الجرعات تم اختبارها طبياً.

هذا المصنع الرائد في بيكوتان تشغّله دائرة الصيدلة الصناعية في جامعة الفيلبين وتشرف عليه ناتيفيداد دي كاسترو ومديرة المشاريع الاستاذة ليتيسيا بانييز - غوتييريز. وتؤمّن النباتات من طريق جامعة سنترال لوزون الرسمية وكلية الزراعة التابعة لجامعة الفيلبين في لوس بانيوس. ويعمل المصنع كنموذج لمعملي التصنيع العشبي التابعين لدائرة الصحة ولمعملين آخرين يشيدان في ليتي وكاغايان. ولكل معمل مزرعة خاصة به تزرع فيها النبتات الطبية والشجيرات والشتول التي تؤمنها كلية الزراعة في جامعة الفيلبين. يقول الدكتور كينتين كينتانار الامين المساعد لدائرة الصحة: "اننا نرسي استعمال العقاقير التقليدية على أسس علمية."

ويعتبر تصنيع الادوية العشبية جزءاً من السياسة الجديدة التي رسمها عام ١٩٨٧ وزير الصحة الدكتور ألفريدو بنغزون. وقبل العمل بهذه السياسة كانت الخدمات الصحية في الفيلبين محصورة في المدن. وكانت العقاقير التجارية المستوردة محدودة جداً وباهظة الثمن بالنسبة الى الطبقة الفقيرة.

وقد وجد الدكتور بنغزون أن ٤٣ في المئة من المدفوعات السنوية على الادوية المستوردة للرعاية الصحية الاولية والبالغة ٨،٦ ملايين دولار تصرف على أدوية لأمراض عادية، كالاسهال والانفلونزا والزكام والحمى يسهل علاجها بواسطة اعشاب طبية تنبت في الفيلبين.

أعشاب شافية. الفيلبين غنية بالاعشاب الطبية. وقد بذلت جهود كثيرة طوال سنين لانتاج الادوية العشبية على نطاق وطني. وقرر الدكتور بنغزون تعجيل البرنامج، فحضّ المصانع الاقليمية على الانتاج. وها قد بدأ مصنع كوتاباتو ينتج أقراص "لاغوندي" لمعالجة السعال والربو.

الـ"تسانغ غوبا" (١) شجيرة خضراء داكنة اللون هي في الواقع نبتة "الشاي البري" وتنمو في أنحاء آسيا. استعملت طوال قرون في الصين لمعالجة الاضطرابات المعوية. ويمكن استعمال أوراقها الصغيرة المتفتحة لتحضير الشاي. أما الاوراق الكبيرة فتصنع أقراصاً. ولم يكتشف العلماء بعد العنصر الفاعل في هذه النبتة الشافية من الاسهال، مع أنهم يشتبهون باحتوائها على مركّب شبه قلوي (ألكالويد).

الـ"لاغوندي" (٢) شجيرة بسيطة ذات أوراق خماسية عطرة رمحيّة الشكل. وهي تضاهي الاسبيرين ويمكن استعمالها كمسكن وضابط للحرارة ومخفف للسعال.

كذلك وافق "مجلس التنمية والابحاث الصحية" في الفيلبين على انتاج

(١) Ehretia microphylla
(٢) Vitex negundo

الـ"يبربا بوينا" (٣) وهي عشبة زاحفة عطرة تعرف بالنعناع وتضاهي الادوية التجارية المسكنة للالم.

كما وافق المجلس على انتاج الـ"سامبونغ" (٤) وهي عشبة خشبية تستعمل كمدرّ للبول. وأوصى المجلس، اجمالا، بثمانين نبتة للاستعمال الطبي متوافرة في الفيلبين، لكن أربعاً منها فقط قيد الانتاج الآن.

ولطالما عرفت الفيلبين "مطببين" قرويين يعالجون الامراض بواسطة الاعشاب. وتقول عالمة الانتروبولوجيا لاندا جوكانو: "يعتقد بعضهم أن في الطب الشعبي كثيراً من الخرافة. لكن المرء لا يصبح مطبباً شعبياً من دون تمرين. ففي مسقط رأسي في جزيرة باناي يتعين على المطبب الشعبي دراسة أكثر من مئتي نبتة من حيث أوراقها وأزهارها وموسم قطفها ووظائفها ووسائل استعمالها."

قبل خمس وعشرين سنة كان طبيب عصري في الريف يحاول خفض حرارة طفلة مريضة باعطائها أدوية صيدلانية. فقدمت اليه امرأة عجوز حزمة من جذوع الموز المقطعة والناضحة بالماء كبديل من الثلج الذي لم يكن متوافراً. فهبطت حرارة الطفلة وتم انقاذها. وفي وقت لاحق أعطى الطبيب الحزمة لاستاذة في مادة الفيزيولوجيا، فحلل جذع الموز ووجد أنه يحتوي على ثقوب كثيرة تسمح للماء بالانتشار على مساحة كبيرة حتى اذا تبخر ترك تأثيراً مبرداً منعشاً.

إن الاطباء عموماً يتجاهلون المطببين الشعبيين أو يسخرون منهم ومن طرقهم البدائية وغير الصحية أحياناً، علماً أن ليست ثمة رقابة على مواصفات عقاقيرهم فلا يتسنى للمرء أن يتأكد من مدى فاعليتها. كما أن السوائل التي يستخرجونها بالغلي تصبح عرضة للتغير بعد ثمان وأربعين ساعة، في حين أن الاقراص المصنّعة يمكن حفظها سنة على الاقل.

من ناحية ثانية، وجد الاختصاصيون بعلم العقاقير في جامعة الفيلبين أن الوسائل التقليدية ناجعة في حالات عدة. مثلا، تنزع بذرة الـ"نيوغنيوغان" (٥) وتجفف وتؤكل كما هي للقضاء على الديدان والطفيليات الامعائية. ويستعمل المطببون نبتة الـ"أكابولكو" لمعالجة الالتهاب الفطري كالقوباء الحلقية و"قدم الرياضي" والجرب.

"صحة للجميع." بدأ الاهتمام العلمي بالعقاقير العشبية في القرن السابع عشر بعد تأليف الكتب الاولى حول الاعشاب الطبية. وفي أوائل القرن العشرين بدأت دراسات علمية عدة، لكن "السلطة العلمية والتكنولوجية الوطنية" (دائرة العلوم والتكنولوجيا حالياً) لم تعترف بالفاعلية الطبية لهذه الاعشاب الا في السبعينات من هذا القرن.

عام ١٩٨٢ تم تأسيس أول مصنع ومزرعة تجاريين للاعشاب الطبية في الفيلبين في دافاو، وهي كبرى مدن

---

(٣) Mentha cordifolia

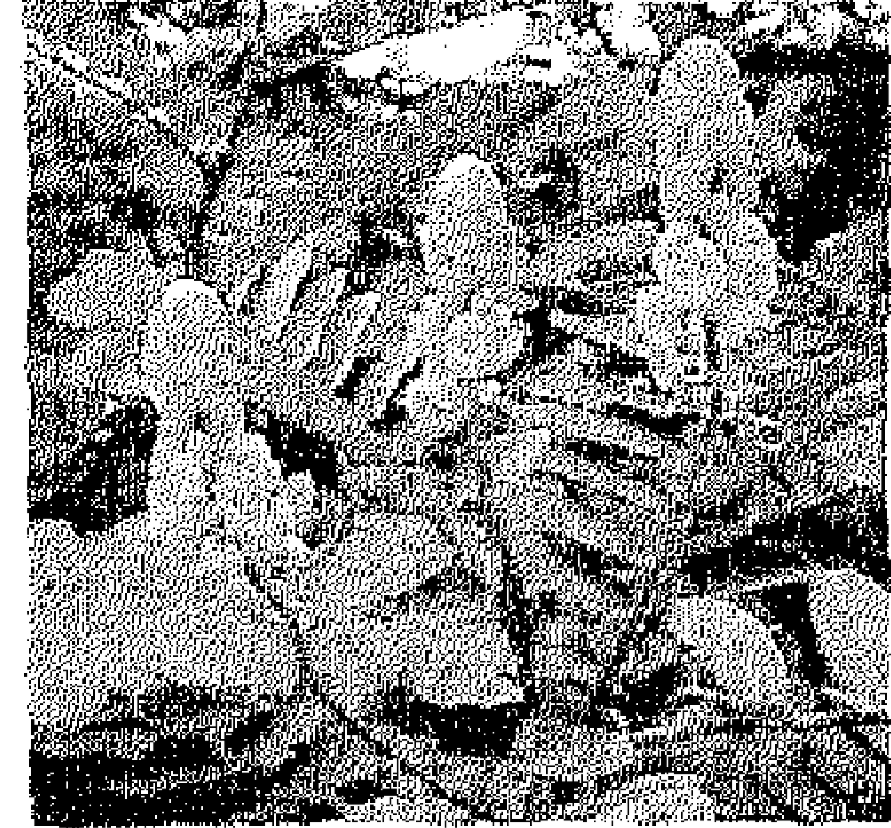
(٤) Blumea balsamifera

(٥) Quisqualis indica

(٦) Cassia alata

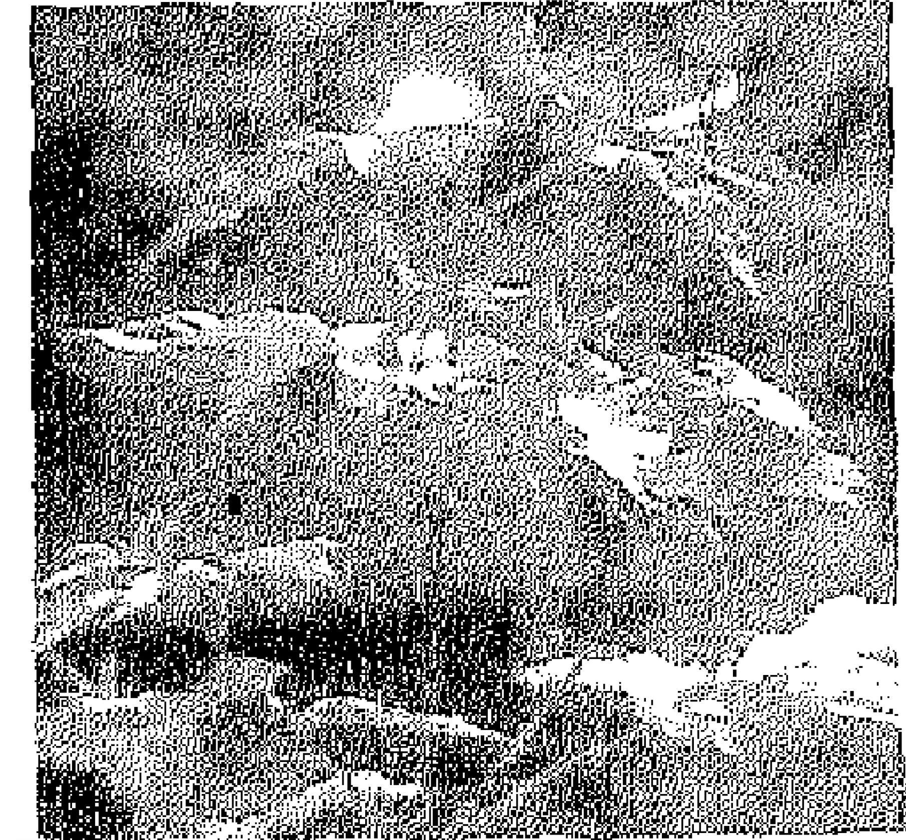
العشـ

وضعت "دائرة العلوم والتكنولوجيا" لائحة بأسماء النب



١. "أكابولكو" (شجيرة القوباء) تستعمل لعلاج الامراض الفطرية والجلدية كالقوباء الحلقية و"قدم الرياضي" والجرب. تنبت في المناطق الاستوائية.

٢. "لاغوندي" (الفلفل البري الهندي) تستعمل كدواء للسعال والزكام والربو والانفلونزا والصداع. تنبت في انحاء آسيا وفي غالبية المناطق الاستوائية.



٣. "داموئغ ماريا" (الافسنتين) تستعمل ضد البكتيريا والحمى وتنبت في أوروبا والولايات المتحدة.

٤. "أولاسيمانغ باتو" (بيبيروميا) تصلح لمعالجة الروماتيزم وداء المفاصل. تنبت في جميع المناطق الاستوائية.

٥. "أمبالايا" (الشمّام المر) تستعمل لمعالجة السكري وتنبت في أنحاء آسيا.



٣. داموئغ ماريا



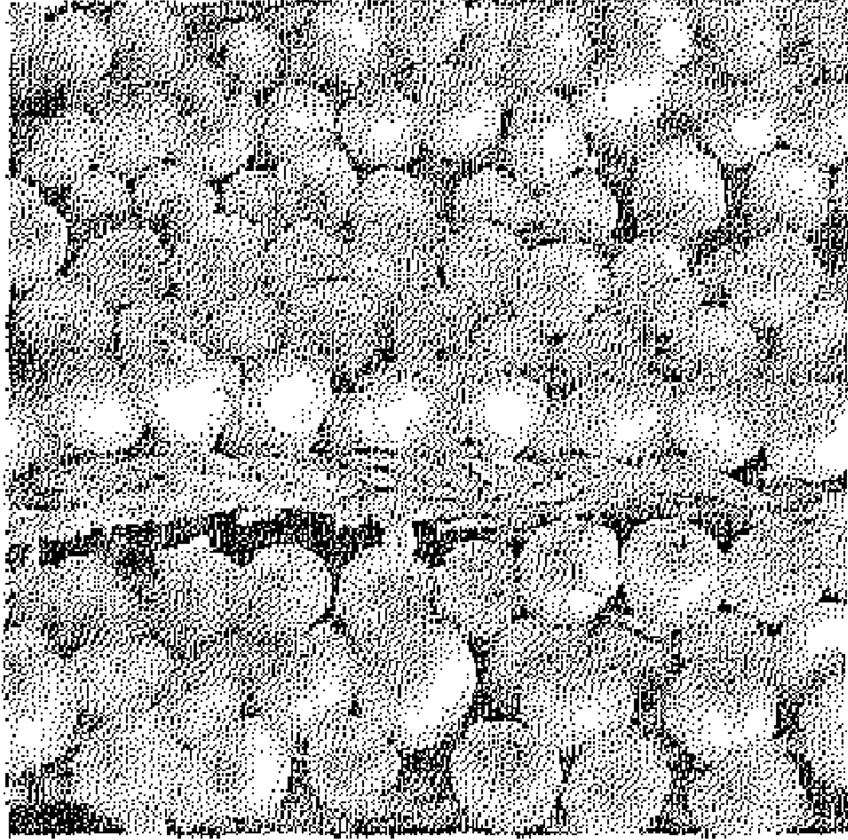
٤. أولاسيمانغ باتو



٥. أمبالايا

لأولى

ر الاساسية المستعملة كعقاقير عشبية في الفيلبين.


٦.


٧.

٦. "باوانغ" (الثوم) تستعمل لمعالجة ضغط الدم وتنبت في معظم أنحاء العالم.

٧. "تسانغ غوبات" (الشاي البري) تحارب الاسهال وآلام المعدة وتنبت في الهند وجنوب الصين وتايوان وماليزيا واندونيسيا.

٨. "ييربا بوينا" (النعناع) تستعمل كمزيل للالم أو كمضاد للغازات. تنبت هذه العشبة في غالبية المناطق الاستوائية وفي الولايات المتحدة.

٩. "سامبونغ" (الكافور) تستعمل لدر البول وتنبت في أنحاء آسيا.

١٠. "ايبيليبيل" تستعمل كطارد للديدان والطفيليات المعوية. تنبت في جميع المناطق الاستوائية في العالم.


١٠. ايبيليبيل


٩. سامبونغ


٨. ييربا بوينا

PHOTOS COURTESY NELIA CORTES-MARAMBA AND JERRY SALUDEZ

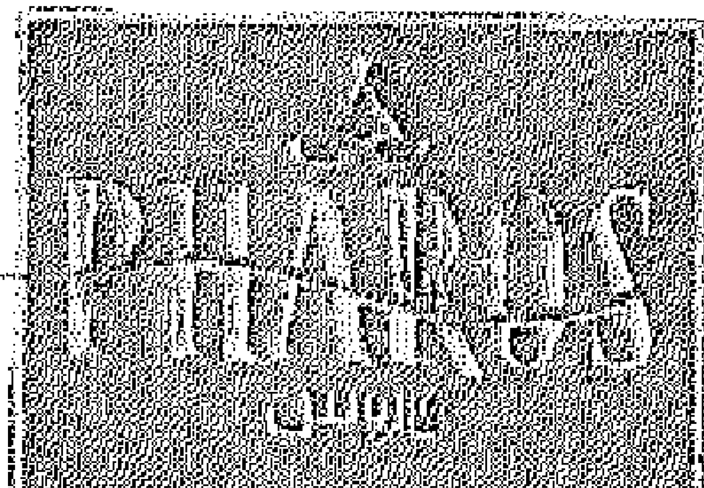
أسلوب للحياة...

الق نظرة الى المستقبل.
مجموعة فاروس.
تصميمات ديناميكية.
أنيقة تعمل بالكوارتز.
رقيقة للغاية.
ومقاومة للماء.
مجموعة فاروس - من سيتيزن
أناقة ورونق المستقبل...
باتت متاحة لك اليوم.

فاروس

اسلوب للحياة من سيتيزن ...

أسلوب للحياة...



سيتيزن

CITIZEN

ميندناو، بجهد مشترك بين "مجلس الفيلبين للتنمية والابحاث الصحية" ووزارة الصحة. في تلك الحقبة كان ٨ و١٠ في المئة فقط من العقاقير المستوردة يصل الى ميندناو، كبرى جزر الارخبيل.

كانت جامعة الفيلبين في لوس بانيوس تؤمن النبتات الصغيرة للمزرعة الممتدة على مساحة عشرة هكتارات. لكن المشروع أوقف. ثم تم احياؤه عام ١٩٨٨.

اعترضت انتاج العقاقير العشبية عوائق جمة. فقد اجتاح الثوار المزرعة الاولى في جبل ماتوتوم في كوتاباتو مما أوجب تغيير المكان. واحترقت في مستودع في مانيلا عام ١٩٨٧ معدات حديثة لانتاج الاقراص كانت معدة للشحن الى المقاطعات مما أخّر الانتاج في مصنعين لاكثر من سنة.

لكن هذه الصعوبات لم تفل من عزم العاملين في هذا القطاع. وأقرت دائرة الصحة انشاء مصنع جديد بالقرب من غابة لاشجار الكينا في ميندناو، بقصد انتاج الكينين المستخدم في معالجة الملاريا ومشتقات الكينين (بما فيها الكينيدين) لمعالجة مرض القلب وهو ثاني الامراض القاتلة في الفيلبين.

والمصنع الرائد في بيكوتان، اضافة الى دورة كمصنع نموذجي، يدرب عمال دائرة الصحة المحليين على انتاج العقاقير وتحديد مقاديرها. وتبلغ القدرة الانتاجية الاولية لكل مصنع مليوني قرص شهرياً. وحين يبلغ الانتاج طاقته الكاملة سيتضاعف المحصول. وتباع الاقراص في صيدليات قروية بنصف سعر الدواء التجاري.

تبدي غالبية سكان الفيلبين ميلا الى السلع المستوردة. لذا بدأت حملات لتعريف الشعب الى فاعلية العقاقير المستخرجة من أعشاب فيلبينية، من خلال "شبكة مراكز الصحة القروية" التابعة لدائرة الصحة حيث يباع دليل يحتوي على صور وشروحات لثمانين نبتة محلية ولاستعمالها الشافي.

ومع الحصول على الدعم السياسي والمالي من "منظمة التنمية الصناعية" التابعة للامم المتحدة، يمكن أن يصبح انتاج الفيلبين للعقاقير التقليدية صناعة جديدة.

في خريف ١٩٨٨ قَدِم الدكتور د.ل. سيازون، المدير العام لمنظمة التنمية الصناعية، الى مانيلا لدعم "دراسة التنمية الصناعية العقارية" في الفيلبين التي بدأت في أوائل ١٩٨٨. ويقول سيازون: "ان احياء الاهتمام بالادوية العشبية، التي تشتق منها على نحو مباشر أو غير مباشر قرابة ٢٥ في المئة من المكونات الفاعلة المعتمدة في الطب الحديث، من شأنه - اذا توافرت التنمية الصناعية الملائمة - ان يمهد الطريق في اتجاه الهدف الذي حددته منظمة الصحة العالمية للسنة ٢٠٠٠ والمتمثل بشعار "الصحة للجميع."

بيت داي رومولو ■

لعل أكبر خطأ تقترفه هو اعتقادك انك تعمل لشخص آخر.

ك.م.

أحدثت الكوابح صريراً يصمّ الآذان وسقطت تسع عربات عن الجسر الى المياه القاتمة

بعد ظهر يوم جمعة بارد ماطر من يوليو (تموز) ١٩٨٨ كان قطار الحدود الجنوبية "آيلاند اكسبرس" المؤلف من أربع عشرة عربة مسافراً من بنغالور الى تريفاندروم في ولاية كيرالا الهندية. كان مسرعاً نحو كيلون، المحطة التالية. وفيما هو يقترب من تلك المحطة الاخيرة في مسيرته البالغة سبع عشرة ساعة بدا كل شيء حسناً بالنسبة الى المسافرين الذين قارب عددهم أربعمئة.

ILLUSTRATION: WILLIAM HOSNER



قطارُ البحَيرة الهنديّة

في احدى مقصورات الدرجة الثانية المحجوزة للمنامة جلست جايا نارندران تمشط شعرها. وكانت هي وزوجها موروغش (٣١ عاما) وهو صاحب مصنع مطاط، عائدين من بنغالور الى بلدتهما كيلون، فقد غابا أسبوعاً، وجايا تعلل النفس بالعودة الى أطفالهما الثلاثة.

وفي عربة أمامية تفصلها عنهما بضع عربات كان راجان ثامبان (٥٧ عاماً) استاذ اللغة الانكليزية غارقاً في مطالعة أشعار وردثورث، ومعظم المسافرين حوله في سبات. ونظراً الى الرذاذ المتساقط أقفل أحدهم النافذة القريبة من الاستاذ.

في قسم آخر من القطار جلس جاكوب كوشي (١٥ عاماً) وهو جاء من المدرسة في أبو ظبي ليقضي عطلة الصيف في كيرالا. وكانت ترافقه امه سوما وابنة عمه آشا الطالبة في احدى الجامعات. لم يكن سفرهم مقرراً ذلك الصباح في القطار لان سوما شعرت بتوعك في صحتها وكادت تؤجل الرحلة. لكن جاكوب كان يتابع دروساً خصوصية في تريفاندروم فأصرت أمه على ألاّ يفوِّتها. ساعتئذ كان جاكوب يتطلع من النافذة والقطار يسرع ماراً ببساتين جوز الهند الفضة الخضراء في جزيرة مونرو.

وتقع جزيرة مونرو في بحيرة اشتامودي، وهي بحيرة كبيرة مالحة المياه ومتصلة بالبحر العربي. وجنوباً ترتبط بقرية بيرومون على اليابسة بجسر يقطعه خط سكة حديد واحد متفرع من الخط الرئيسي. وان يكن هذا الجسر الذي يبلغ طوله ١٧٩ متراً غير مبني للمشاة، فالقرويون المحليون يسلكونه لعبور البحيرة بدلا من انتظار زورق تجذيف لنقلهم. وعلى هذا الجسر ثلاثة حواجز حديد يبعد الواحد منها عن الآخر خمسين متراً لحماية الناس لدى عبور القطار.

في البحيرة. فيما القطار يقترب من الجسر في الثانية عشرة والدقيقة الثامنة والخمسين بعيد الظهر كان الشخص الوحيد الذي يسير على الجسر راجو بوروشوتامان (٢٤ عاماً) عائداً الى منزله في مونرو بعد زيارة طبيبه اثر اصابته بزكام شديد صاحبته حمى.

اجتاز راجو الحاجز الاول. وما كاد يقطع ربع مسافة الجسر حتى سمع صياحاً من قارب في البحيرة. كان صيادان يصرخان: "القطار آت!" واذ رآه يقترب من طرف الجسر عاد مسرعاً الى الحاجز الاول.

فجأة سمع راجو صرير كوابح وصوت تحطم يصم الآذان. وارتجَّت أعمدة الهاتف وتقصفت الاسلاك المعدنية. واذا بمحرك القطار واحدى العربات يمران به هادرين ويتوقفان سالمين على الجسر في جهة بيرومون. وفي الوقت ذاته، امام عيني راجو المرتعب، انفصلت تسع عربات عند منتصف الجسر وسقطت في البحيرة.

أحنى راجو رأسه غريزياً. وعندما تطلع ثانية كان نصف الجسر المتصل بجزيرة مونرو في وضع تشابكت فيه قضبان الحديد الملوية والعوارض الخشبية المتقطعة. وتضرر بعض قوائم الجسر المبنية بالاسمنت وتهدم الحاجزان الآخران. اما العربات الاربع الخلفية من القطار فتوقفت صحيحة على الجسر الى جهة مونرو.

وبانت تحت راجو عربتان مغمورتان كليا بالماء، وأربع أخريات غائصات جزئياً وقد استقرت عربة فوق احداها. هذه العربات كانت جميعها مائلة على جوانبها ونوافذها الى فوق. وكانت ثمة عربتان متدليتان من الجسر. وعلا صراخ يشق عنان السماء وبدت أيد تلوح باهتياج عبر قضبان النوافذ. أما راجو فوقف مصعوقاً غير مصدق، ثم ركض عائداً الى بيرومون يصرخ مستغيثاً.

وفي البحيرة كان د. بيتر وصهره سيمون وعشرون صياداً آخرون. ولما شاهدوا القطار يتحطم حدقوا اليه فاغرين أفواههم وتركوا شباكهم وجذفوا باحتدام نحو الجسر يصارعون الامواج التي أحدثها سقوط العربات. لكنهم عندما حاولوا نزع القضبان الحديد عن النوافذ بمجاذيفهم انكسرت المجاذيف في ايديهم.

"يا الهي!" عندما اهتزت مقطورة موروكش وجايا ارتجّ هو في سريره وارتمت هي على الارض. وما لبثت العربة أن غاصت في برودة البحيرة وظلمتها. وبعد لحظات سقطت عليها عربة أخرى وتحطمت. نهض موروكش يتفّ ماء مالحاً ويمسك بسلم السرير وصراخ الناس ملء أذنيه. وبين الامتعة والثياب والاحذية الطافية على وجه الماء في المقصورة رأى جايا متشبثة بمقعد مقلوب ومستوى الماء يرتفع وهي تصرخ: "موروكش، موروكش!" حاول ان يضبط خوفه وأخذ يلاطفها: "تعالي الى هنا يا جايا." لكنها كانت مذعورة فلم تجرؤ على التحرك.

فتوجه اليها وأمسكها. ووصل ارتفاع مستوى الماء الى صدريهما ثم توقف فجأة.

اما ثامبان، فقبل أن يسقط القطار سمع صرير الكوابح "كزعيق آلاف صفارات الانذار." ثم اهتزت مقطورته وارتفع أحد جانبيها في الهواء وسقطت في البحيرة واستقرت على جانبها. و"تطاير" المسافرون في المقصورة. وكان من حسن حظ الاستاذ أن حملته موجة من الماء الى نافذة مفتوحة فتشبث بها وجسمه مكدّم وزجّ وجهه بين القضبان الحديد طلباً للهواء. وكان الموج من وقت الى آخر يسد أنفه وفاه. وكان قربه راكب ظل يولول صارخاً: "يا الهي!"

وأما جاكوب كوشي فحين سقطت العربات انقلب مرة في الفضاء ثم ثلاث مرات في الماء قبل أن يستعيد توازنه. كان رأسه ووجهه ينزفان، وطفا في جيب هوائي يعلو ثلاثين سنتيمتراً فوق سطح الماء في العربة. لم يرَ آشا ولا أمه، فأخذ ينادي: "أمي! آشا!" وشرع يسبح في العربة باهتياج باحثاً عنهما.

الصيادون المنقذون. بعد دقائق من وقوع الحادث بدأ قرويون من جزيرة مونرو ومن بيرومون يعملون على انقاذ المسافرين. وبينهم ف. ساسي (١٩ عاماً) وهو عامل كان يحفر قرب الجسر، فغطس في البحيرة وبيده قضيب من حديد، وما ان وصل الى احدى المقصورات حتى بدأ يطرق قضبان النوافذ.

وكان تقني كهربائي يدعى ا.ر. سوريش كومار (٣٦ عاماً) جالساً في

يالها من نكهة غنية ولذيذة!

Carnation®
Coffee-mate®

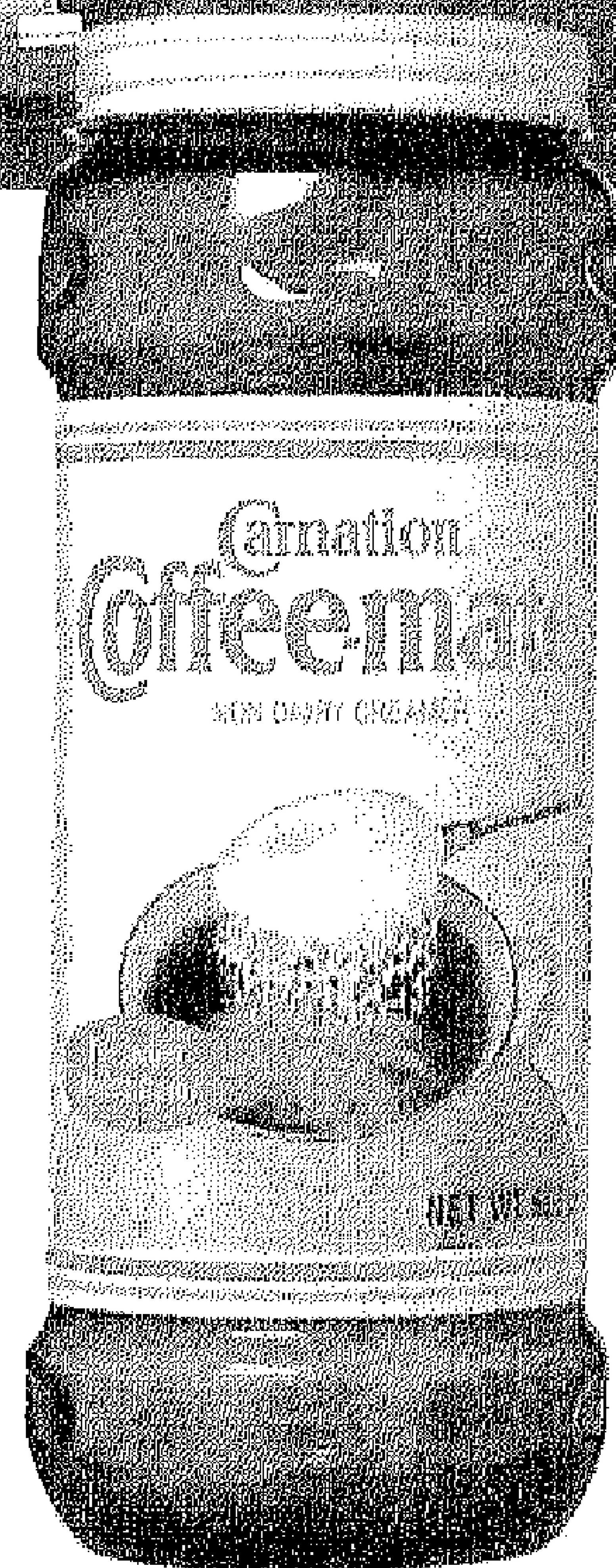
كريمة مبيضة للقهوة

كوفي-ميت يجعل طعم قهوتك سلساً لذيذاً ويغنيك عن المواد الدسمة

كارنيشن
كوفي-ميت

يضفي إلى قهوتك نكهة غنية

من إنتاج Carnation كارنيشن



منزله عندما سمع صوت التحطم المريع. واذ علم أنه القطار قفز الى سيارته الخضراء، وهي السيارة الخصوصية الوحيدة في المنطقة، واسرع نحو الجسر.

وكان موراليداران بيلاي، وهو سائق احدى المعدّيات الحكومية التي تعبر البحيرة، سلّم مركبه الى صديقه بالاشاندران وذهب الى بيته في بيرومون لتناول طعام الغداء. وكان عائداً من هناك عندما سقط القطار. اقترب من البحيرة فشاهد صديقه واقفاً على عربة في الماء يحاول كسر قضبان نافذة بمجذاف خشبي، فصاح به هذا: "اذهب وأحضر مُخولا وقضبان حديد وأي شيء آخر قد ينفع." فأسرع الى حانوت حداد في بيرومون واختطف ثلاث مطارق وأنبوباً وقضيباً حديداً وعاد الى البحيرة.

في تلك الاثناء كان الصياد بيتر مضطجعاً على نافذة عربة وصدره مضغوط الى القضبان الحديد، فداخل العربة رجلان يمسكان يده ولا يفلتانها. وتوسل اليهما: "من فضلكما اتركاني، انني أحتاج الى شيء أحطم به هذه القضبان." ولما تركاه جذف الى الضفة حيث أعطاه أحدهم مطرقة فعاد بها الى العربة وحطم القضبان. وبمساعدة سيمون أخرج الرجلين وأحدهما مدمّى الوجه. أخذهما سيمون الى الضفة. اما بيتر فدخل العربة ليبحث عن مزيد من المسافرين العالقين.

في هذا الوقت كان بلاي وراجو بوروشوتامان وقرويون آخرون انضموا الى ساسي والصيادين في تحطيم قضبان النوافذ واخراج المسافرين. اما سوريش كومار فحشر في سيارته ثلاثة عشر مصاباً وأسرع الى مستشفى كيلون الذي يقع على بعد أربعة عشر كيلومتراً.

"أنقذوا ابنتي!" مشت جايا ومورووكش بحذر على المقاعد التي باتت في وضع عمودي. وشقا طريقهما بعناية نحو باب الجانب الآخر من العربة حيث مستوى الماء أدنى نظراً الى وجود نتوء صخري في قاع البحيرة تحته. وهنا اخذ مورووكش يواسي زوجته الدامعة قائلا: "مهما يكن من أمر فسنخرج."

وفكرت جايا: ماذا سيحدث لأطفالنا اذا لم نتمكن من الخروج؟ كانت ابنتهما البكر كوزاليا (٨ سنوات) تود الذهاب معهما الى بنغالور، لكن جايا رفضت أن تأخذها، وهي الآن تقول لذاتها: الحمد لله، انها ليست هنا. حينذاك عاين الزوجان امرأة تصارع الماء. فجذبها مورووكش الى فوق وتحرك الثلاثة معاً الى الامام.

عندما وصلوا الى طرف مقصورتهما المغمورة جزئياً بالماء جلس مورووكش وجايا على الباب المنزلق الخاص بمقصورة النساء فشعرا بطرقات تحتهما. فبذل مورووكش طاقته ليفتح الباب، واذا بثلاث نساء في الداخل واحداهن تحمل طفلة وتتوسل: "أنقذوا ابنتي." واذ رفع مورووكش الفتاة الصغيرة اندفع قروبون عبر الباب الآخر وأخرجوا الجميع من هناك.

أسرع سوريش الى كيلون متجاوزاً المشاة والدراجين على الطريق الضيق المتعرج. وكان بعض الركاب الجرحى معه يئنون ألماً في حين مضى آخرون يرددون عناوين أقرب أقربائهم. وكلما مر بسيارة

صرخ طالباً من السائق أن يذهب الى بيرومون.

وما كاد يصل الى المستشفى حتى كان مسافران توفيا. الساعة الآن ١،٣٥ بعد الظهر وقد استيقظت كيلون على الفاجعة. فصفارات الانذار في محطة السكة الحديد لم تتوقف، وعناصر الشرطة والاطفاء يتحركون نحو مكان الحادث.

عناية محلية. كانت النافذتان الاوليان اللتان وصل اليهما جاكوب كوشي مقفلتين. وراح يسبح في المقصورة باحثاً عن امه وابنة عمه. اخيراً بلغ نافذة مفتوحة ولاحظ أن قضبانها محطمة. واذا بيدين تمتدان الى الداخل وترفعانه وتضعانه في قارب. وهناك تملكه الابتهاج اذ رأى آشيا التي كانت أنقذت قبله وفي رجلها جرح بالغ. سألها: "أين أمي؟" فأجابت انها لا تعرف. فصرخ جاكوب: "أمي في الداخل، انها ما زالت هناك!"

فطمأنه رجل قائلا: "سنجدها."

في الاولى والنصف بعد الظهر كان خمسون قارباً على الاقل ينقلون الموتى والمصابين الى ضفتي البحيرة. ومن هناك نقل القرويون الجرحى الى أقرب المنازل لتأمين الاسعاف الاولي قبل أن يضعوهم في سيارات تنقلهم الى المستشفى.

في جزيرة مونرو كان المشهد نموذجياً في منزل المزارع الكهل ج. شانموغان. كل غرفة فيه مملوءة مسافرين مصابين يصرخون ألماً. وقد مزقت زوجته وبناته الثلاث ساريهن(*) وجعلنها ضمادات. وطفقن يقدمن القهوة الساخنة الى المصابين ويدفئن المرتجفين برداً بقشور جوز الهند المحروقة والمدفونة في الرمل والملفوفة بقطع قماش. وهذه وسيلة محلية تستعمل بدل قوارير الماء الساخن.

في هذه الاثناء كان بعض المنقذين يحتاج أيضاً الى عناية طبية. مثال ذلك ف. ساسي الذي، بعدما حطم قضبان النوافذ بقضيبه الحديد وأخرج خمسة ركاب من عربة مغمورة بالماء، دخلها فوجد رجلا علقت ساقاه تحت مقعد مكسور. فمضى يشده من قميصه الى أن أصبح طليقاً. أما هو فسقط على قضيب نافذة مكسور اخترق معدته ومزقها فأغمي عليه.

المحامي الشرطي. لاخراج المسافرين من احدى العربتين الجانحتين على الجسر وضع القرويون على الباب سلماً طوله ستة أمتار. ولكن اذ لم يكن هناك ممسك على الجانبين فقد عجز بعض المسافرين عن النزول. فصرخ أحد القرويين: "آتونا بحبل طويل." فركض ك. ارا فنداكشان جار شانموغان الى زريبة ماشيته وفك رسن بقرة وعاد به ليربطه على طول جانب السلم. وهكذا نزل المسافرون واحداً اثر واحد.

داخل العربات الاخرى كان المسافرون، في غمرة الهلع والفوضى والالم، يساعد أحدهم الآخر. تعلّق رجل عجوز بقضبان نافذة بيده اليسرى المكسورة، وأمسك باليد الاخرى شيلا موهانان (٢٠ عاماً). وأحست شيلا بجسم عند قدميها في الماء، فمدت يدها وانتشلت أمها التي كانت في شبه غيبوبة. وظلت شيلا تشد

(*) الساري لباس المرأة الهندية.

أمها لتبقي رأسها فوق الماء فيما العجوز يمسكها هي ويشجعها قائلا: "لا تتركيها يا بنية." وأخيراً تم انقاذ الثلاثة.

تدفقت عشرات السيارات والحافلات والشاحنات والدراجات النارية تذرع الطريق جيئة وذهاباً مما جعل السير فوضى. فحلّ المتطوعون محل رجال الشرطة. وعندما تعرقل السير على طريق المستشفى استدعى المحامي م.أ. سلام (٤٢ عاماً) طلاباً ومواطنين وجعل بعضهم يمسك أيدي بعض بحيث سدوا كل الطرق عند تقاطع رئيسي ما عدا تلك المؤدية الى بيرومون والى المستشفى. وبدأ يوجه العربات كشرطي سير.

١٥٠ ضحية. حدق الاستاذ ثامبان من نافذة المقصورة التي علق فيها الى بقعة في السماء الملبدة بالغيوم وفكّر: جميل هذا المنظر، ولكن الى متى سيدوم هذا الجمال؟" ومع أن التيار المتقهقر خفض مستوى الماء قليلا فلم يظهر للاستاذ أي سبيل للنجاة. وتذكر قولا مأثوراً: "كل من يولد مكتوب له أن يموت."

لم يدر ثامبان ما يجري حوله. ولكن كان فتيان من أبناء بيرومون هما ك.ن. سريكومار وصديقه أوماناكتان يجدّان في انقاذ الناس من العربة التي هو فيها. وفي الثانية الا ربعاً عاد سريكومار ليلقي نظرة أخيرة داخل العربة، فصرخ مناديا أوماناكتان: "في الزاوية شخص ما."

كان ذلك الاستاذ ثامبان.

في تلك الأثناء كان بيتر، الصياد التعب، يحمل فتاة صغيرة لاهثة الى الشاطىء حيث تملكتها فجأة قشعريرة وسكنت. فحدق اليها بيتر غير مصدق. انها ميتة، حتى تلك اللحظة ضبط بيتر شعوره، أما الآن فأخذ ينشج ولم يعد قادراً على الرجوع الى الماء.

أنقذ القرويون قرابة ثلاثمئة مسافر بينهم ٢٢١ كانوا في حاجة الى مستشفى. كذلك نقل ساسي وأربعة منقذين آخرين الى المستشفى. ووصل رجال الشرطة والاطفاء في السادسة الا عشر دقائق. لكن معظم الضحايا التي انتشلت لاحقاً كانت متوفاة. وقد ظل الغطاسون يعثرون على جثث طوال أربعة أيام أخرى. أما عدد الهالكين في هذه الفاجعة فكان مئة وخمسين، بينهم سوما والدة الفتى جاكوب.

الناس فعلوا. ظل المحامي سلام حتى الرابعة والنصف يضبط حركة السير. واذ سمع أن زوجة زميل له قضت في الحادث فأسرع الى المستشفى فوجد أروقة الطبقة الارضية محشورة بالمصابين الاحياء. أما الموتى فأخذوا الى موقف السيارات. وكان ألوف من الناس مزدحمين في المكان يمطرون الموظفين والمسعفين المنهكين بأسئلتهم. فأبلغ سلام الى ضابط شرطة ان الموظفين يحتاجون الى مساعدة.

استعار سلام طاولة صغيرة وثلاثة كراسي من مطعم قريب وهيأ مكتبا موقتاً للاستعلامات. وكلما تحقق رجال الشرطة من هويات الجثث دوّن هو التفاصيل في كتيب ووضع بطاقة بالاسم على كل جثة. وسرعان ما اصطف امام "المكتب" طابور طويل من الناس.

في المساء جهّز المكتب بخط هاتفي بحيث يستطيع سلام وسواه من المتطوعين الاتصال بأقرباء الضحايا. ومع هبوط الظلام أحضر له أصدقاؤه مصابيح غاز لكي يتابع العمل. وهو لم يترك المكتب يومين كاملين ليل نهار.

فتحت مدينة كيلون قلبها لضحايا الحادث. تبرع المواطنون بالدم، وأبى سائقو سيارات الاجرة ان يتقاضوا نقوداً، وقدم الصيادلة الادوية مجاناً، وتعاون الحمالون الذين ينتمون الى اتحادين متنافسين حاملين الموتى والمصابين. قال الجابي في كيلون راجيف ساداننداد: "ليست الادارة الرسمية هي التي أجرت عملية الانقاذ ذلك النهار، وانما الناس هم الذين فعلوا."

وأرسل رئيس الوزراء مبلغاً مقطوعاً من صندوق الاغاثة، وُزع قسم منه على المنقذين كمكافآت وأنفق القسم الآخر على تحسين التسهيلات الطبية في بيرومون. وشيدت ادارة السكة الحديد جسراً للمشاة يربط جزيرة مونرو بقرية بيرومون.

لكن يوم سقوط القطار "آيلاند اكسبرس" سيظل أبداً في أذهان القرويين، حتى لو لم ينالوا تلك المكافآت. يقول ف. ساسي الذي خرج من المستشفى بعد سبعة أيام: "كانت لنا مهمة شاقة."

أما الصياد بيتر فيضيف: "الله منحنا القوة ذلك اليوم."

قصور الموظفين! بعدما أمضى جاكوب كوشي أربعة عشر يوماً في المستشفى وثلاثة أسابيع نقاهة في منزل جدته في تريفاندروم مع ابنة عمه آشا، عاد الى مدرسته في أبو ظبي حيث استقبله اساتذته وأصدقاؤه بحرارة. اما الاستاذ ثامبان فعاد الى التدريس بعد ستة أسابيع من الراحة. وأما جايا وموروكش فرجعا بعد ثلاثة أسابيع الى جزيرة مونرو ليشكرا القرويين.

ويبقى سبب الكارثة لغزاً مغلقاً. وقد لمّح تحقيق أولي الى "قصور من الموظفين" لكن التقرير الختامي عزا الحادث الى إعصار. الا أن تقنيي الارصاد الجوية في تريفاندروم عاصمة ولاية كيرالا نفوا هبوب أي اعصار في المنطقة ذلك اليوم. وبعد حملة انتقادية لاذعة لنظرية الاعصار أعلن وزير الدولة لشؤون السكك الحديد هادافراو سينديا عزم الحكومة على مراجعة التقرير.

موهان سيفاناند ■



كذب المنجمون...

في موقف سيارات مصلحة الارصاد الجوية كان خبيران يهمان بالعودة الى البيت. فهتف أحدهما لزميله: "مهلا! هل تنبّهتَ الى اقفال نوافذ المكتب؟ فمن يدري متى تمطر؟"

إ.ب.

دائرة المعارف

الاسم المقصور هو الاسم المعرب المختوم بألف لازمة ليس بعدها همزة. هنا أسماء ثلاثية مقصورة، وقد وضع أمام كل منها أربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارئ أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. شجا: غناء - هم وحزن - جرح - صوت البوم.

٢. كَرى: نعاس - مشي الطفل - كرم - صدى.

٣. ضوى: بريق - ألم - شدة العشق - هزال.

٤. سُرى: فرح - سير الليل - همس - أعالي الجبال.

٥. عُلى: معرفة - ثراء - رفعة وشرف - آمال.

٦. قذى: ما يقع في العين - لوم - جمر - حر شديد.

٧. عَشا: ليل - مائدة - ضباب - سوء البصر.

٨. سَلى: نسيان - مرض عضال - عزاء - غشاء الجنين.

٩. قِرى: ضغينة - عطف - ضيافة - قشعريرة.

١٠. نَقا: صفاء - رمل - غزال صغير - بياض العين.

١١. شرى: طفح جلدي - جدول - جذر نبتة - غضب.

١٢. ضَنى: غنم - بخل مقيت - قدرة - مرض وهزال.

١٣. نوى: فائدة - صوت الهر - بُعد - إكرام.

١٤. ردى: فساد - فضاء - هلاك - ظهر الفرس.

١٥. مِعى: ليونة - رفقة - ضخامة الشفتين - مصران.

١٦. جَدا: عطية - ولد الشاة - قحط - قبر.

١٧. وَنى: هبوط - فتور وضعف - تذمّر - نيّة.

١٨. ثرى: موت - نجوم - تراب ندي - غنى.

١٩. نَسا: حريم - عرق في الساق - غفلة - غفران.

٢٠ - جَنى: قلب - ذهاب العقل - عُمْر - ما يُجنى من ثمر.

٢١. حَشى: ما في البطن - خدم - ثرثرة - دار.

٢٢. جَوى: حرقة ووجد - ظلم - جفاء - هواء.

٢٣. حِجى: برهان - عقل وفطنة - شِعر - لثام.

٢٤. طَوى: فقر - قناعة وتواضع - جوع - تستر.

٢٥. ضحى: مساء - عصر - ظهر - حين تشرق الشمس.

الأجوبة الصحيحة

١. الشجا: الهم والحزن. أيضاً: ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه.

٢. الكرى: النعاس. أكرى فلان: سهر في طاعة الله.

٣. الضوى: الهُزال، وخصوصاً دقة العظم. الضاوي: النحيف الدقيق.

٤. السُرى: سير الليل. الساري: الاسد. السَريّ: السيد الشريف السخي.

٥. العُلى والعَلاء: الرفعة، الشرف. العَلياء: كل مكان مُشرف.

٦. القذى: ما يقع في العين أو في الشراب من قش ونحوه.

٧. العَشا: سوء البصر وخصوصاً في الليل.

٨. السَلى: غشاء يكون الجنين ضمنه في بطن أمه.

٩. القِرى: الضيافة. القَرا: الظَهْر.

١٠. النقا: الرمل.

١١. الشَرى: طفح جلدي يسبب حكاكاً. أيضاً: الجبل، الطريق، الناحية.

١٢. الضَنى: المرض والهزال. أيضاً: سوء الحال. الضَنى: الاولاد.

١٣. النَوى: البعد. أيضاً: الدار. والنَوى جمع نَواة وهي عجمة التمر ونحوه أي حبه أو بزره.

١٤. الرَدى: الهلاك. أرداه: أهلكه، وفي البئر: أسقطه فيها.

١٥. المِعى والمَعْي: مصران البطن. جمعها أمعاء.

١٦. الجَدا: العطية. أيضاً: المطر العام.

١٧. الوَنى: الفتور والضعف والكلل. ويقال "فلان لا يني يفعل كذا" أي لا يزال.

١٨. الثرى: التراب الندي. يقال "يبس الثرى بينهم" أي صاروا أعداء بعدما كانوا أصدقاء.

١٩. النَسا: عِرَق في الساق.

٢٠. الجَنى: ما يجنى من ثمر أو عسل أو مال. جنى الارض: الكلأ والكمأة.

٢١. الحَشى: ما دون الحجاب مما في البطن من كبد وطحال وكرش وسواها. جمعها أحشاء.

٢٢. الجَوى: حرقة وشدة وَجْد من عشق أو حزن. أيضاً: داء في الجوف.

٢٣. الحِجى: العقل والفطنة.

٢٤. الطَوى: الجوع. يقال "هو طاوي البطن" أي ضامره.

٢٥. الضُحى: حين تشرق الشمس.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز

١٤ - ٢٠: جيد جداً

٩ - ١٣: مقبول

كتاب الشهر

أيام من عهد هتلر

ملخص من كتاب "الماضي هو أنا" بقلم [illegible]



أيـام من عهد هتلر

فيما العروس الشابة تبدل جواز سفرها البريطاني بآخر يزينه نسر أسود، في سفارة المانيا بلندن عام ١٩٣٤، قال لها المسؤول في السفارة كلاماً مستغرباً: "أخشى ألا تكوني أحسنت بهذه المقايضة." ثم نظر الى زوجها وأضاف: "... الا في ما يتعلق بهذا الشاب الوسيم الذي تضمه الصفقة."

وفي السنوات الاحدى عشرة التالية أنجبت كريستابل ثلاثة أبناء وكانت سعيدة بزواجها. ثم انتهى بها الأمر الى مواجهة "الفستابو" في محاولة لاطلاق زوجها بعد كشف مؤامرة لاغتيال هتلر.

هنا قصة هذه المرأة البريطانية والكابوس الذي عاشته كمواطنة في ألمانيا النازية زمان الحرب.

في صيف ١٩٤٣، السنة التي ولد فيها ابننا كريستوفر، قرّ رأينا على أن لا قبل للاولاد بتحمل شتاء آخر في برلين. كان الوضع التمويني يزداد سوءاً شهراً بعد شهر. وحين طالت الليالي كنا على علم بوجوب التحسب مرة ثانية للغارات الجوية البريطانية. وكانت الاضرار التي يلحقها "قراصنة الليل"، كما دعاهم وزير الدعاية جوزف غوبلز، لا تزال غير جسيمة. وكانت الطائرات تشن غاراتها في الليالي الظلماء الملبّدة بالغيوم، لكن البريطانيين درجوا على عادة قاسية هي الاغارة المتواصلة، طائرة بعد طائرة وقذيفة في اثر قذيفة طوال ساعات.

وكان زوجي بيتر ألحق بمصنع للطائرات في غرودنز بغرب بروسيا. وبتقدم الجيوش الروسية في اتجاه الحدود الألمانية الشرقية رغب بيتر في ان أكون والاولاد في مكان قصي في الغرب هو أنأى ما أمكن عن خط القتال. ومع أنني صممت على البقاء في منزلنا في برلين أطول مدة تمكنني منها جرأتي، فلم يكن لنا بد من الرحيل عندما قررنا الانتقال الى روهرباخ في الغابة السوداء.

وصلنا في سبتمبر (أيلول) في قطار صغير لاهث توقف في محطة صفراء تعاقبت عليها عوادي الطبيعة. وقرأت على اللافتة الباهتة: "شونينباخ – الغابة السوداء." وجدنا أنفسنا على رصيف المحطة وحولنا أكداس من الحقائب والرزم. وتلفتنا حولنا

متسائلين أين تقع روهرباخ وهل نصل اليها قبل أن تغيب الشمس وراء التلال.
بدأ أن وصول القطار قطع على ناظر المحطة عمله في تكديس التبن لأن البذور كانت تغطي قلنسوته وسترته الحمراوين، وقرب شباك قطع التذاكر أسندت مدقة خشبية طويلة لجمع التبن والقش. وجواباً عن سؤالنا قال لنا: "أوه، نعم، روهرباخ تبعد خمسة كيلومترات فقط على طريق الوادي، انما عليكم انتظار عربة الحليب. هانس بوش يجمع الحليب من المزارع ويأتي به الى المحطة. ولا شك في ان لديه متسعاً لكم في عربته. اذاً أنتم قادمون من برلين؟ لا بد ان الحال هناك قاسية جداً."

وما لبثت أن وصلت الى الرصيف عربة صغيرة خشبية مقعقعة يجرها جواد هرم سمين، ووثب منها رجل ممتلىء البنية يلتمع السرور في عينيه الزرقاوين، وشرع بمعاونة ناظر المحطة في تفريغ حمولة العربة من أوعية الحليب. وتمهل الرجلان في عملهما لتتاح لهما فرصة تبادل الاحاديث الطويلة اذ لم تكن الاوعية كثيرة العدد. وكانا يبتسمان لنا بين الفينة والاخرى. ولما فرغا من ترتيب الاوعية نضّدا حوائجنا في العربة مفسحين مقعداً لنك الى جانب السائق، فيما قعدت أنا وجون وكريستوفر في مؤخر العربة وأرجلنا مدلاّة الى الخارج.

ولم يلبث هانس بوش ان سلّم نك العنان. وكان الجواد يعدو الهوينا في طريق متعرجة وعرة. وما عتمنا أن دخلنا القرية التي بدت لا تشمل الا نزلا صغيراً يسمى نزل "أدلر" ودكانين صغيرين وكنيسة وبناء كبيراً أبيض متداعياً مزخرفاً بالجصّ. فهتف جون فجأة: "هل سأذهب الى هذه المدرسة؟" كانت عيناه يقظتين لكل الدقائق، ومن الواضح أنه لمح لوحاً أسود عبر احدى النوافذ المفتوحة.

أجبته: "نعم، أرجو ذلك."

فسألني: "لماذا؟"

كان ذلك سؤالا جديراً بأن ينال مني أشد الاهتمام، اذ كنت أزداد يأساً كلما توغلنا صعوداً في الوادي. وقد كان حرياً بي أن أكون ممتنة لقسمتنا وما نحن فيه، اذ كان أفضل كثيراً من غيرنا. لكني سئمت حياة البداوة وفقدت كل متعة في التنقل خلال جلائنا المتكرر هرباً من مناطق الحرب الخطرة. وتعبت من النوم في غرف عارية الا من الاثاث الضروري، ومن التقتير والبحث عما يقوم بأود الاولاد، ومن مقاومة اغراء العودة الى بيتنا في برلين، ومن مجاراة ذلك الاغراء أحياناً لأستيقظ وأعي واقعي المرير وهو أن منزلنا صائر الى حصن غير حصين في خطوط القتال الامامية.

ألمانيا الجديدة

صرت مواطنة ألمانية في ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٣٤ في السفارة الالمانية بلندن، حيث أبدلت جواز سفري البريطاني الموسوم بأسد جذل ووحيد قرن بجواز أخضر ضارب الى الرمادي عليه نسر أسود متسم بالشموخ والازدراء.

يُومذاك بادرني الموظف المسؤول في السفارة الالمانية بكلام لم أتوقعه: أخشى ألا تكوني أحسنت بهذه المقايضة." ثم نظر الى مرافقي وأضاف مبتسماً: "الا في ما يتعلق بهذا الشاب الوسيم الذي تضمه الصفقة."

كانت حفلة زفافي ذلك الصباح الى بيتر بيلنبرغ تمت على ما يرام. فوالده، وهو محام مرموق، ألقى خطاباً كان حفظه عن ظهر قلب. فرحب بي بكل محبة لانضمامي الى العائلة ولم يذكر أبداً أن ابنه الوحيد الذي لم يتجاوز الثانية والعشرين ولم يتأهل بعد للعمل في المحاماة وما زال غير قادر على تأمين حاجات عائلة، خرج على تقاليد موروثة. ورد أبي بخطاب اتبع فيه نهجاً مماثلا، فلم يذكر انه في طريقنا الى حفلة الزواج أوقف السيارة وقال لي ان الوقت لم يفت بعد اذا أردت تغيير رأيي.

أما بيتر وأنا فلم نأبه كثيراً لهذه التحذيرات التي طبعت تآلفنا على امتداد سنتين. وكانت فيّ مميزات غير مألوفة لم تنطبق على صورة الزوجة الشابة كما يتصورها مواطنو هامبورغ. فهل لدي خبرة في الطهو ورتق الثياب؟ وهل لدي فكرة عما يُنتظر أن أتحلّى به من التواضع والاقتصاد لأتبوأ عن حق مقام ربة بيت؟ من الواضح أن ذلك لم يكن لينطبق علي. فقد نشأت في كنف الرفاهية، وكنت مستقلة مالياً باعتمادي على ذاتي، مما أضاف عنصراً آخر للتشكيك في قدرتي على الاستقرار، لأن الاستقلال الذاتي لم يكن بالشأن الذي يحسن تشجيعه في المرأة الالمانية.

في السنتين اللتين سبقتا زواجنا كانت ألمانيا أصبحت دولة ديكتاتورية، لكننا كنا أقل السكان اهتماماً بالشؤون السياسية. مرة وحيدة، في خريف ١٩٣٢، أقنعت بيتر بأخذي الى اجتماع حاشد للحزب الوطني الاشتراكي حيث كان هتلر سيخطب في الهواء الطلق. وضرب نطاق أمني حول مساحة واسعة. ووقفت صفوف من فرق "الصاعقة" بين الحشود تدفعها للانتظام في مستطيلات مرتبة. فاستمعنا الى الجماهير تنشد الاناشيد الحماسية والى قرع الطبول المدوّي. ولكن ما ان بدأت أعتاد لكنة الفوهرر النمسوية حتى قادني بيتر خارج الحلقة وأتحفني بأحد آرائه السياسية التي نادراً ما عبّر عنها. قال بصوت عال: "ربما اعتقدت أن الالمان بلهاء سياسياً يا كريس، لكني أؤكد لك ان الحماقة لن تبلغ بهم حد أن يؤخذوا بذلك المهرّج."

لكن الاحداث تسارعت بعدما تولى هتلر منصب المستشار في يناير (كانون الثاني) ١٩٣٣. وبحلول شهر يوليو (تموز) انتهت الانتخابات الحرة وحُلت النقابات وجميع الاحزاب السياسية. وللحال أنذر بيتر بما يُنتظر حدوثه. ففي العام ١٩٣٢، في نطاق تبادل المنح الدراسية، كان مُنح دراسة سنة في الولايات المتحدة، لكنه أعلم في ١٩٣٣ أن لجنة الاختيار الامريكية تفضل أن يكون صاحب المنحة ممثلا لـ"ألمانيا الجديدة." فهل بيتر عضو في الحزب النازي؟ كلا. اذاً، بكل أسف، يجب انتقاء شخص آخر ينتمي الى الحزب.

كان لبيتر عدد من الاصدقاء اليهود، وأكثرهم مقيم في ألمانيا. فلم يسعهم التصديق أن الدولة الوحيدة في أوروبا حيث كانوا يشعرون بالارتياح والطمأنينة كانت

على وشك الانقلاب ضدهم. وحصل عدد من الحوادث البغيضة أثارت فينا تخوفاً غامضاً من المستقبل.

انما ما صدمني وأثار حفيظتي هو ادارة المواطنين الشرفاء ظهورهم لما يحدث وتعاميهم عن التجاوزات الكثيرة، وذاك الاستسلام والخنوع للطغيان. وأدركت فجأة أن أمراً قذراً وخطيراً حل بألمانيا فعلا وأنه سيدوم.

"تحرير" النمسا

كانت السنوات الخمس التالية حافلة بعناوين صحافية مثيرة وأشرطة سينمائية تظهر الجماهير الهاتفة الهادرة وهي تحيي الفوهرر متموّجة كسنابل القمح أمام هبات النسيم.

ولاجتناب الانخراط في الحزب أو ضم أصواتنا الى هتافات التأييد قرر بيتر العمل في السفارة الالمانية في لندن كجزء من تدربه القانوني في متطلبات الادارة المدنية. كان هذا الترتيب غاية ما نرجوه. وفي أواخر صيف ١٩٣٥ ولد ابننا الاكبر نيكولاس. ولدى رجوعنا الى ألمانيا في السنة التالية لم أر ما يستدعي قلقي. فقد أنعم الله علي بزوج وسيم وابن وافر الصحة بريطاني المولد. وكنت مليئة بالثقة بمقدار جهلي فنون ربات البيوت الالمانيات.

لكن هامبورغ كانت تغيرت كثيراً. فقتالات الشوارع والبطالة والخوف من التضخم كانت مشاكل ساخنة لدى مغادرتي. أما الآن فبدا أنها غير موجودة. وغشي الاسواق جو من الازدهار المتواضع. ففي جعبة هتلر السياسية شيء لكل فرد. كانت هناك وظائف للعاطلين عن العمل، وجيش للجنرالات، ومنبر لاسماع الصوت عالياً في الشؤون الدولية للذين ما زالوا يكتوون بذل الهزيمة في الحرب السابقة. وكانت هناك أيضاً معسكرات اعتقال وتلميحات منسقة في الاذاعات عما يخبأ لكل من تزين له نفسه الاستعلام عن خطط الفوهرر ونياته.

في ربيع ١٩٣٨ شهدت وبيتر انتشار رسالة الفوهرر في النمسا المجاورة، هذا الانتشار الذي سمي في بريطانيا "اغتصاب النمسا." وكنا في عداد الالمان المدنيين الاوائل الذين اجتازوا الحدود بعد الجيوش الالمانية، اذ صادف أن كنا ذاهبين لقضاء عطلة في آرلبرغ النمسوية. وأيقظتنا أصوات باعة الصحف على ارصفة المحطة في مدينة أوغسبرغ البافارية. وتحرك القطار قبل أن يتاح لنا ارتداء ثيابنا والنزول منه. وكانت السكة الحديد من الحدود النمسوية الى الجنوب مكتظة بالحشود التي اصطفت على الجانبين تهتف وتضحك وترقص وتلوّح بالاعلام الالمانية. هكذا بدا "اغتصاب النمسا." كان الجميع يحتفلون! بادلنا الناس الذين كانوا يبتسمون لنا بالابتسام الفارغ وعدنا الى مقاعدنا واليأس جاثم على صدورنا. وودنا لو أعفينا من دور المحررين النازيين الذي لبسناه لوجودنا مصادفة في القطار لحظة "التحرير."

في هذا الوقت كنا ننتظر مولوداً ثانياً وكان بيتر على وشك تقديم الامتحانات النهائية. وأدركنا أننا نعيش مشكلة مريبة. كان في وسعنا التكلم مع أصدقاء يفكرون مثلنا وابداء حيرتنا واشمئزازنا. لكننا بمقاطعتنا شيئاً لا نفهمه ولا نقرّه انحرفنا الى حياة منعزلة عن المجرى الرئيسي السائد.

ووافت ساعة الحقيقة عندما رجع بيتر ذات مساء بعد نهار أمضاه في قاعة المحكمة في هامبورغ يدافع عن عضو سابق في الحزب الاشتراكي الديموقراطي قبض عليه بتهمة توزيع مناشير غير قانونية. وكان نجح في اخلاء موكله وتصافحا خارج قاعة المحكمة. وبعدما مشى بيتر قليلا استدار ليلوح مودعاً، فرأى رجلين ببزات رسمية يدفعان موكله داخل حافلة خضراء ما لبثت أن اختفت في زحمة السير. ولم ينل هذا الحادث سوى لامبالاة في المحاكم وفي دوائر الشرطة. ألم يتبلغ بيتر أن هناك الآن، في سبيل حماية الامن، شيئاً يسمونه الحجز الاحتياطي؟ وكيفما كان الامر فان موكل بيتر اختفى من دون أن يعرف ماذا حلّ به. وباختفائه فقد بيتر كل رغبة في ممارسة مهنة المحاماة. وقال لي: "اذا كانت هذه هي ألمانيا الجديدة يا كريس فلا مكان فيها لنا ولاولادنا."

ان العالم واسع. وكنا في مقتبل العمر. وما لبثنا أن غرقنا في التخطيط للاقامة في أوستراليا ثم في كينيا ثم قر رأينا على ايرلندا. كنا غارقين في أحلامنا الى حد اننا لم نعِ الازمة التي أخذت تعصف بتشيكوسلوفاكيا. انما في أغسطس (آب) دعي بيتر الى الاستعداد للالتحاق بسلاح الجو خلال ٢٤ ساعة.

ثم حدث أمر مذهل غير متوقع. فقد نجح نيفيل تشمبرلين، وهو رجل فكتوري نحيف البنية كان في رأيي أبلد رؤساء الوزراء البريطانيين، في عقد اتفاق للسلام خلال اجتماعه بهتلر في ميونيخ مما أبعد شبح الحرب. تنفس الناس في ألمانيا الصعداء، لكن ارتياحهم لم يدم أكثر من أربعة أسابيع. فعلى أثر مقتل أحد موظفي السفارة الالمان في باريس على يد يهودي، تبدد الوهم لدى كل من اعتقد أن هتلر دُفع الى تغيير خططه في ميونيخ. وقامت أعمال عنف ضد اليهود فأحرقت معابدهم ودمرت متاجرهم ولم يقبض على أحد من مفتعلي الحوادث. ولم أرَ أياً من المارة يسرق شيئاً من المحلات المهدمة، بل تجمع الناس واجمين، قلقين، مذهولين، مشمئزين، حول أكشاك باعة الصحف. ولم يكن أحد من الذين تكلمت معهم راضياً عن العنف والتدمير.

ما لبث والد بيتر أن توفي، وكنت أكن له محبة كبيرة. وآساني أنه لم يعش ليرى كل القيم العزيزة لديه تتحطم وتتناثر هباء. ولو بقي على قيد الحياة لما رضي مطلقاً أن نذكر له عزمنا على الهجرة من البلاد.

وقبيل آخر السنة التقينا صديقاً راجعاً من الصين ولم نكن رأيناه منذ سنتين، وبعدما حدثه بيتر ألغى كل تفكير في مغادرة ألمانيا.

كان ذلك الصديق يدعى آدم فون ثروت زو سولتز. وكنت دائماً اعتبره مميزاً، ليس لحسن طلعته، ولا لنهجه في حمل كل من التقاهم على تصور أنهم أناس محترفون يلذ

التحدث اليهم، ولا لكفاحه على غرار بيتر لنيل شهادة المحاماة على رغم تقارير بعدم امكان الوثوق به سياسياً. لقد اعتبرته مميزاً لأنني لم ألتق رجلا نظيره قبلا.

كان آدم من عائلة تملك أراضي كثيرة، ومن تقاليدها امداد الدولة بموظفين حكوميين من درجة رفيعة.

وأمضى آدم سنتين في جامعة أوكسفورد بمنحة دراسية، وعاد الى المانيا عام ١٩٣٦. وهو اعتبر "الاشتراكية الوطنية" الالمانية داء عارضاً، وسلامة الحس في جوهر الناس كفيلة بالقضاء عليها. وبدا واثقاً بأن في كل أنحاء المانيا، كما في برلين، مجموعات من الناس – ومنهم في مراكز مهمة – مصممة على انهاء دور هتلر في وقت قريب. لهذا غادر "رابخ" هتلر في رحلة طويلة الى أمريكا والصين.

وغالبا ما تساءلنا ماذا عساه يكون رد فعله على الاحداث المتزاحمة علينا. وها هو قد عاد وفي كلامه من الثقة والانتشاء ما أقنع بيتر بخطأ التفكير في مغادرة المانيا. كان المد في انحسار، والأمور تتحول، اذ صارت أصوات المنشقين جوقة كبيرة، والجنرالات الذين يملكون السلاح الوحيد القادر على قلب النظام بدوا مستعدين للعمل، وتشكلت نواة حكومة مدنية قادرة على تسلم الحكم بعد القبض على هتلر.

كانت تلك أموراً مثيرة أوقدت فينا نشوة، فعدلنا عن كل قراراتنا السابقة وصممنا على الانتقال الى قلب الاحداث، الى برلين.

سجن مقلوب

لم تكن برلين مدينة جميلة، لكنها كانت مثيرة. انها العاصمة. وقد أخذنا بسحرها وبمناخها المنشط البهيج، ولكن سرعان ما تبين لنا أن خللا مخيفاً طرأ على السياسة، فقد غدت برلين هتلر مثل سجن انقلب داخله خارجه وتسلم المجرمون مراكز القيادة.

حين وصلنا الى برلين في فبراير (شباط) ١٩٣٩ كانت الاشاعات تتحدث عن استعداد هتلر للحرب في الخريف. فبعد اتفاق ميونيخ جرى احتلال تشيكوسلوفاكيا، وستتبعها بولونيا وأراضي أوكرانيا الزراعية الغنية. وكان شعاع الامل الوحيد النشاط المتنامي بين الجنرالات وقادة المعارضة المدنيين. وكان بيتر يعمل في وزارة الاقتصاد، وآدم في وزارة الخارجية. وهما انغمسا في هذه الحلبة بهمة لا تعرف الكلل. وأديت في هذا المجال دوراً صغيراً اذ سافرت الى بريطانيا حيث كان عمي اللورد روذرمير مالك صحيفة "ديلي مايل" وحاولت نشر الحدث.

وكان آدم يسافر الى بريطانيا، لكن سفراته كانت أكثر خطورة واثارة. كان يتعين منح المعارضة في ألمانيا دعماً واهتماماً كبيرين قبل أن يشن هتلر الحرب فيغيب هدفها في ضباب الاحداث المتعاظمة. تكلم آدم عن القضية مع وزير الخارجية اللورد هاليفاكس، كذلك مع تشمبرلين ومع أصدقاء وزملاء في أوكسفورد. لكنه كان على علم بالطبع الانكليزي. فقد أبدوا لامبالاة صامتة مصحوبة بالكياسة والحيرة.

وفي صيف ١٩٣٩ وجدت منزلا مع حديقة في منطقة داهلم في برلين. وكانت أبواق الدعاية تكيل الشتائم والاهانات لبولونيا. وأجريت تعبئة عسكرية جزئية ونشط المبعوثون غير الرسميين في السفر بين بريطانيا وألمانيا. واذا بآخر أمل لنا يتلاشى في ٣ سبتمبر (أيلول).

غرفة ضيقة

كادت الغرفة التي تكلم منها نيفيل تشمبرلين تضيق بصوته اذ راح يعلن: "أتكلم اليكم من مقر رئاسة الوزارة في ١٠ شارع داوننغ. في هذا الصباح سلّم السفير البريطاني في برلين الحكومة الالمانية انذاراً نهائياً بأنه ما لم نتبلغ منهم قبل الساعة الحادية عشرة أنهم مستعدون لسحب جيوشهم فوراً من بولونيا فستكون بيننا حال حرب. ويقتضي اعلامكم اننا لم نتسلم تعهداً بذلك. ولذا تكون هذه البلاد في حال حرب مع ألمانيا."

في الخارج قرع جرس داهلم الضعيف، فتنهد آدم وجلست وبيتر من دون حراك على الاريكة شابكي اليدين. قبل يومين فقط اتصلت بوالدي في بريطانيا، وكنا فرحين في حديثنا، وقال بيتر لأمي انه سيكون في مطار تمبلهوف لملاقاتها في نهاية الاسبوع التالي.

فجأة انتابني شعور بأن الغرفة تضيق بنا؛ فخرجت. وكانت رائحة أشجار الصنوبر من الغابة الخضراء عابقة في جو الحديقة وكان الظلام شديداً. وانبعث ضوء كهربائي أزرق من احد القطارات أضاء الجو المعتم والستائر المتموّجة في الغرفة العليا حيث ينام نكي وجون. ومن خلال شق في الستائر شاهدت بيتر وآدم على الاريكة منحنيين الى الأمام يحدقان الى الموقد، وترتسم على وجهيهما أخيلة النار المضطرمة فتضيئهما. جفاني النوم في تلك الليلة، وخلتني أشبه بمن يعتلي سياجاً. كانت الحياة تطيب لي، ونعمت باقتناع راسخ بانتصار الخير على الشرّ في النهاية. (كان شعوري أن "الخير" يتمثل في الاشياء البريطانية و"الشرّ" في كل من خالفني هذا الرأي.) وعلى رغم اقتناعي وايماني أحسست أن الطريق أمامنا قد تكون موحشة قاسية.

في هذه الليلة من أكتوبر (تشرين الاول) كان الهواء منعشاً شديد البرودة. وكان شجر الزعرور البري مدهشاً بثمراته الحمر اللامعة التي ناء بها لوفرتها. وقيل ان هذه هي علامة شتاء بارد.

مضى من الحرب ستة أسابيع ولم يحدث شيء مما ارتقبناه. فقد تمزق الجيش البولوني، وقبع الفرنسيون وراء استحكاماتهم، وكان الجو على الجبهة الالمانية - الفرنسية يوحي تزاملا بين المتحاربين اكثر منه مواجهة أو قتالا.

وكان آدم ذاهباً الى أمريكا استجابة لبرقية تطلب السماح له بحضور مؤتمر "معهد العلاقات السلمية" السنوي في فيرجينيا بيتش. وكان على يقين أن البرقية أتت من

أصدقاء على قناعة بأن هناك ألمانيا أخرى خلف السياسة النازية الرسمية التي تدين لارادة رجل واحد. ورأى في ذلك مناسبة لشرح الوضع الالماني في الخارج. وغلب عليه الابتهاج تشوقاً الى هذه الفرصة المتاحة وانتقلت عدوى الابتهاج الينا جميعاً.

كان آدم على ثقة بأنه في حال تصميم هتلر فعلا على اشعال حرب شاملة لا يرى الجنرالات أملا بربحها، فان أشد المترددين بينهم قد ينقلبون عليه ويشاركون في الجهود لاسقاطه. وجل ما يحتاج اليه نجاح انقلاب يقوم به الجنرالات هو اعلان صريح من الحلفاء عن أهدافهم من الحرب، مما يمحو الى الابد شبح معاهدة فرساي ثانية وربما وضع أساساً عادلا لسلام أوروبي.

قبل مغادرته سألني آدم هل أرى احتمالا أن تعقد بريطانيا صلحاً مع هتلر نظراً الى انتهاء الحملة على بولونيا. فأجبته: "كلا، وحق حياتك الغالية!"

لكني بعد رحيله تساءلت عن الدليل الذي أملكه والذي جعلني أتفوه بتلك العبارة المفعمة بالثقة. لم أكن بالتأكيد متأثرة بمسلك بريطانيا الذي اقتصر على إلقاء منشورات دعائية من الطائرات، ولا بالبيانات السياسية الرسمية المبهمة التي تركت انطباعاً ان لدى بريطانيا متسعاً من الوقت لتسوية نزاعاتها مع هتلر.

رجع آدم في فبراير (شباط) مريضاً باليرقان، محطّم النفس مكتئباً. ففي واشنطن استقبله السفير البريطاني، كذلك استقبل في وزارة الخارجية. وكان واثقاً بأن الرئيس روزفلت نفسه لن يرفض تمثيل دور صانع السلام بين المانيا والحلفاء حين تتخلص المانيا من هتلر. وتوالت الايام ولم يتلق أي جواب عن مذكرته الى الرئيس، مما دفعه الى الاعتقاد أنها اصطدمت بعراقيل في طريقها اليه أو أن رد فعل روزفلت كان سلبياً.

في ١٠ مايو (أيار) ١٩٤٠ عبرت جيوش هتلر حدود ألمانيا الغربية. وكانت تلك هي اللحظة المرتقبة التي انتظرناها، حين تتوقف تلك الجيوش الغازية امام خط "ماجينو" الفرنسي المنيع ويتلقى هتلر صفعة لهيبته لن يقوم له بعدها قائم. لكن هولندا وبلجيكا سقطتا في يده، وتراجعت القوة البريطانية عبر القنال، واستسلمت فرنسا في غضون ستة اسابيع، وأصبح الفوهرر سيد الموقف المنتصر الذي لا يقهر.

في عيد ميلادي في ١٨ يونيو (حزيران) كنت أستمع الى اذاعة "عدوة" فاذا بي أسمع ونستون تشرشل يتكلم عن أروع ساعات بريطانيا. فانهمرت الدموع من عينيّ.

في صيف ١٩٤٠ تزوج آدم. وفي برلين، حتى في أيام الحرب، احتفلنا بزواجه بمأدبة زينها القريدس (الجمبري).

وكنت عاكفة على تحضير الشطائر حين اتصلت احدى الصديقات وقالت لي انها كانت راجعة الى المدينة في قطار ريفي من دوبل - كليناماخنوف فشاهدت جنوداً يعملون على الخط بالقرب من المحطة، وفي امكانها التأكيد أنهم بريطانيون وأن الامر قد يهمني. تركت الشطائر واعتمرت قبعتي وأحسن ملابسي وخرجت. ولم ألبث أن نزلت من القطار في دوبل - كليناماخنوف كأني أنتظر لقاء الابن الضال.

كان الرجال يلبسون الكاكي في الجانب المقابل عبر خط السكة الحديد. وكانوا جنوداً

بريطانيين فعلا. وفي طريقي اليهم توقفت وساءلت نفسي لماذا أتيت. وقفت في أسفل درج الرصيف وغلب علي شعور بحماقتي. كان الجنود يعملون وهم أدنى مني قليلا، بقبعاتهم الكاكية وقلنسواتهم السوداء الصوفية الانيقة. وكان وراءهم حارسان يروحان ويجيئان وهما غارقان في الحديث.

رحت أخطر على رصيف المحطة تلاحقني غمزات الجنود وابتساماتهم فتزيد في ارتباكي. ولم يعد في وسعي تحمل المزيد، فعندما ابتعد الحارسان الى أقصى مدى ممكن خاطبت الجنود بما أتاني عفوياً، فقلت. "لم ننهزم بعد." فحدجني الجنود بنظراتهم. وكان عددهم بين ٣٠ و٤٠. وانبرى أحدهم، وهو قصير القامة أسمر اللون يلبس معطفاً ضخماً على رغم الحر وسألني: "وهل خطر لك مرة أننا هزمنا؟"

قلت: "كلا، كلا، أبداً، معاذ الله." ولم اكن أتعمد الكذب.

فأتاني الجواب: "حسنا، يا فتاتي العزيزة، انك على حق في هذا."

جيران طيبون

مضى وقت طويل قبل أن يتسنى لنا التعرف الى الجيران في الشقة الملاصقة. في الرايخ الثالث اقتضى اعتبار الجيران خطراً محتملا. ولم يتعمق تعارفنا الا لدى اكتشاف بيتر أن جارنا لم يكن سوى محام كان يستشيره من حين الى آخر. وفي ربيع ١٩٤١ دعينا الى العشاء عندهم، وعلمنا أن جارنا كارل لانغبيهن كان كشف مواقفه السياسية عام ١٩٣٣ بدفاعه الجريء عن أحد البرلمانيين الذي عيّن في وزارة هتلر الاولى وثبت أنه مصدر ازعاج، واذا به يواجه تهماً جنائية ملفقة.

مع ذلك ساد محادثاتنا تحفظ وعدم التزام للمواقف. لم يكن أحد منا ينتمي الى النازيين، ومع ذلك لزمنا جانب الحيطة والحذر.

وفي النهاية نقي الجو بيننا وبتنا قادرين على الجلوس مطمئنين وارتكاب "الخيانة العظمى." كنت أوزع سمعي بين ارمغارد زوجة كارل وبيتر الذي سمعته يخبر كارل عزمه ترك المحاماة وسبب مجيئنا الى برلين. وما لبثت ارمغارد أن توقفت عن محادثتي والاصغاء الى كارل في آن. وقالت لي معتذرة: "أنا أعيش في خوف دائم من تجاوز كارل الحد. ففي كل مرة يذهب الى مقر الغستابو (*) أتساءل هل سيعود الى البيت. ان هاتفنا مراقب ولأن كارل نجح في تعامله مع الغستابو، بات كل من رأى نفسه في مأزق...".

الى الجانب الآخر من المدفأة جلس كارل في كرسيه يتكلم عن هينريك هملر وفرق "الصاعقة" التي في امرته. لم يكن كبار النازيين هم الذين حكموا البلاد، بل فرق "صاعقة" هملر القادرون على تصفية كل من يعترض سبيلهم. مع ذلك كان هتلر هو الشخصية الرئيسية في نظر كارل لانغبيهن. وهو أخبرنا ان هتلر خال من نقاط الضعف

(*) الغستابو هي الشرطة السرية النازية.

الطبيعية. وكان الاعتقاد السائد انه متواضع ولا يهتم للجنس وليس نهماً ولا سكيراً. ولم يكن من سبيل الى التأثير فيه. كان مهووساً ماكراً نزّاعاً الى القتل، وقد أبقى جهاز الدولة كله متماسكاً بقوة شخصيته وسحره الغامض. وقال كارل وهو ينحني الى الامام وينقر ركبة بيتر: "تخلص منه فينهار البناء ويمسك الباقون بعضهم بخناق بعض."

اعترتني الرجفة من كلام لانغبيهن. فقد لمست فيه توتراً حيوياً كما في نمر متحفز للوثوب. لذا بت أدرك سبب مخاوف زوجته وتوتر أعصابها.

قال لانغبيهن وهو يبتسم لها: "يخامر امرأتي شعور بأنني أستمتع باللعبة. قد تكون على حق، فربما أصبح ذلك نوعاً من التحدي. وقد يكون كسباً آخر لحقوق الفرد. ولكن لا تنسَ يا بيتر أنها لعبة خطرة حقاً، ليس علينا فقط وانما على زوجتينا وأولادنا ايضاً. والوقت ينفد."

عزمت وبيتر على القيام بنزهة قبل العودة الى البيت. وكان الشارع مقفراً مظلماً وفي امكاننا التكلم وحدنا بحرية. لقد مضت سنوات عايشت فيها "الاشتراكية الوطنية" لكني لم أتمكن من سبر أبعاد شرها. وعلى رغم كل شيء بدت الحياة عادية، فما فتىء الناس يحبون ويطبخون. ولكن في لحظة يسفر الحجاب عما يخبىء ذلك النظام الجائر الآثم القذر، فترى رغبة الانسان الوحشية القاسية في التسلّط على أخيه الانسان.

حين صرنا الى بوابتنا تنهّد بيتر قائلا: "حسناً، اذا وقعت في مأزق فالذي أتطلع اليه ليساعدني هو كارل لانغبيهن." وتنهدت بدوري. لقد سرّنا أن نرى مملكتنا الصغيرة تجاوز حدود بيتنا وتمتد الى حدود جيراننا في الشقة المجاورة.

في أوائل ١٩٤٣ على أثر هزيمة ستالينغراد كانت الصحف تصدر منقطة بصلبان صغيرة سود تنبىء بموت الجنود في أبعاد روسيا. وأُصدرت قسائم للامهات والأرامل لشراء ثياب حداد، فيما كان الاعلام الرسمي يطمئننا الى أنه على رغم كل شيء، تحقق الانتصار وحسم على الفولغا، وبعد ألف سنة سيتكلم الالمان عن المعركة برهبة واحترام. وكان أصدقاؤنا، آدم وكارل وغيرهم، يزوروننا بانتظام لا لتناول القهوة وانما لكون بيتنا ملجأ آنياً. كان الهدف التكلم بحرية، وكنا احدى الجماعات الصغيرة الكثيرة التي تلتقي في انحاء المانيا، يشد كلا منها الى الاخرى عضو يثق به الجميع. وكان يجذبنا تشوقنا الى سماع "أحدث" الاخبار السياسية، لان العقبة كانت دائماً قلة نشر "أحدث" المستجدات.

بعد هزيمة فرنسا بقليل ترك بيتر الخدمة المدنية وانخرط في الصناعات الخاصة. كان يعتقد أن الحرب ستنتهي بالهزيمة لكنها ستدوم طويلا. لم يكن قادراً على تخريب جهود الحرب الالمانية، لذلك قرر أن ينأى عن القتال أطول فترة ممكنة.

كان حرياً بي أن اكون سعيدة، على الاقل لبقاء بيتر خارج الجيش، لولا تعيينه لمهمة جديدة في شمال النروج. فعشت والاولاد حياة بداوة بين فترات كنا نقضيها في برلين حيث كان التوتر يزداد وغارات الطائرات البريطانية تكاد لا تنقطع كل ليلة. ذهبنا أولا

الى منتجع على شاطىء البلطيق حيث كان النازيون الموالون وألمان الفولفا، يحتلون الفنادق. وألمان الفولفا هم أولئك الذين أعيدوا الى وطنهم من روسيا بعد توقيع الاتفاق الروسي - الالماني عام ١٩٣٩، مع ما رافق اعادتهم من ابتهاج ومظاهر عاطفية لم تلبث أن تحطمت على واقعهم. فقد بدوا في حالهم الحاضرة لاجئين من روسيا، كئيبين، يعتمرون قبعات الفرو السميكة وتتأكل الحسرة قلوبهم وهم يعيشون حياة كسل وينفّرون منهم السكان المحليين. ثم غادرنا الى النمسا حيث رحت أقوّم بعض آرائي القديمة. وبت لا أرى النمسويين أكثر تمدناً أو أقل تقبلا للايديولوجيا النازية من البروسيين التقليديين المخيفين. ربما كانوا أكثر جاذبية، لكن ذلك لم يغير واقع أن هتلر كان نمسوياً أو انه جند بعض أقذر أتباعه من جيران ألمانيا الضاحكين والمتهافتين على تقبيل الأيدي. انما خامرني شعور بأن النمسويين كانوا عاكفين على صوغ أسطورة هزيلة يدعون فيها أن "الأنشلوس" - أي الوحدة مع ألمانيا النازية - فرضت عليهم خلافاً لارادتهم. وأخيراً أقمنا في قلعة قديمة في سوابيا حيث كانت التسلية الوحيدة الاستماع الى نشرة الاخبار.

وعندما رجعنا الى برلين من سوابيا كنت والاولاد أتخمنا بحياة البداوة والتنقل. وبعد ولادة كريستوفر ونقل بيتر الى غرودنتز أدركت أن علينا التفتيش عن اقامة ثابتة.

لا شباب!

قضينا أول ليلة لنا في الغابة السوداء في مزرعة. وفي اليوم التالي اقتادنا هانس بوش الى نزل "آدلر" في روهرباخ. أعطتنا الآنسة موكلي، صاحبة الفندق الصغير، غرفة مجاورة للردهة لتكون لنا غرفة جلوس. وانتقلت من غرفة نومها فوقها وهيأت للاولاد غرفتي نوم صغيرتين عبر الممر. كان لغرفة الجلوس باب يفضي الى الشارع ويطل على عمق الوادي. وكان في احدي الزوايا، بجانب سلم ضيقة تقود الى غرفة نومي، موقد مكسو بالقرميد الاخضر. فأخذت به وأحببته للحال.

كان الشراب الذي يقدم في النزل من النوع الخفيف. ومع ذلك كان القرويون يجتمعون في الردهة كل يوم أحد وأحياناً في المساء. وعلمت أن أحد الخبازين هو العمدة وهو رجل يخاف الله ويقود قريته في أيام عصيبة. أما الكاتب فكان سيب كيرن الاسكاف، وهو رجل طيب القلب ذو قوة جسدية عظيمة. وطوال النهار، الا حين يساعد في توليد العجول أو جمع التبن قبل هبوب عاصفة، كان سيب يجلس في غرفة صغيرة يخيط الاحذية ويحرس جهاز الهاتف اليتيم في القرية. وفي المساء ينضم الى العمدة في مكتبه حيث يروح، تحت صورة زيتية للفوهرر، يطبع على آلة كاتبة ضخمة قديمة بطاقات اعاشة ووثائق ولادة ووفاة وأذوناً لقطع الحطب. وحين زادت معرفتي به سألته عن رأيه في الحرب. فقال وهو يرمقني بلطافة من فوق نظارتيه: "مهما تكن الحال يا دكتورة، فلن تنقص كومة أحذيتي، أياً يكن الرابح."

والى ذلك كانت هناك السيدة موكلي وهي أرملة قوية صغيرة كانت تطعمنا وتعتني بنا. وما لبثت أن أصبحت صديقتي المخلصة. وحالما رجع ابنها الرّبيب إرنست من الحرب وتزوج، عزمت على الرجوع الى موطنها في هولندا. وفي غضون ذلك حكمت نزل "آدلر" باقتصاد وقلب دافىء، وكانت تارة تقسو على خادمتها الصغيرة مارتينا وتارة تعاملها كابنتها.

كانت مارتينا تعمل من السادسة صباحاً حتى العاشرة ليلا بلا انقطاع، ما خلا حين تجلسها السيدة موكلي الى طاولة المطبخ وتطعمها حساء البطاطا مع اللحم أو تسقيها ابريقاً من مخيض الحليب. وكانت مارتينا أيضاً تنتظر عودة إرنست، وحتى ذلك الموعد ستعمل باخلاص للسيدة موكلي وتريد بعد ذلك أن تنقطع عن الدنيا.

تلك كانت قرية روهرباخ، عالم صغير غير ذي شأن في الدولة ولكن محكوم عليه بأن يحمل ثقل أحلام فتوحات هتلر وعواقبها. لم يكن هناك شبان في ذلك الوادي. وكل يوم كانت الصحيفة المحلية تغطي صفحتها الاولى بانباء الانتصارات، وتنشر في الصفحة الخلفية الاخبار التي تهم القرويين ومعظمها عن وفيات الجنود في جبهات القتال.

سقط الثلج في نوفمبر (تشرين الثاني). وفي كل صباح كانت تمرّ تحت نوافذنا جرّافة ثلج يجرها ثمانية ثيران. وكان القرويون الراكبون الجرافة يلوّحون بأيديهم للأولاد.

وقفت في النافذة ذات يوم أبادل القرويين تحيتهم وأدركت، على اثر زيارة قصيرة لبرلين، مبلغ حماقتي حين أتذمّر مما أنا فيه. ففي تلك الزيارة لُقنّت درساً أستحقه. اذ علمت بنبأ القبض على كارل لانغبيهن. وكان بيتر مرهقاً ومتوتراً ومنزلنا في داهليم أصبح مأوى للاصدقاء واللاجئين. وحدثت ثلاث غارات جوية خلال الليالي الثلاث التي قضيتها في برلين، بقنابل جديدة أشد تدميراً، قنابل ضخمة شديدة الانفجار تدك التحصينات وقنابل محرقة وفوسفورية تنفجر وتجري أنهراً من النيران المشتعلة التي يصعب اخمادها والتي تنساب الى الاقبية عبر السلالم فتسد مخارج الملاجىء. وعلمت وأنا في برلين أن هذا القتل الجوي المجرد من أي شعور انساني لم يولد الخوف بمقدار ما ولد في نفوس الذين تنهمر عليهم القنابل ايماناً راسخاً بالقدر وتصميماً عنيداً على البقاء قيد الحياة.

ليلة رجعت الى روهرباخ كانت جدران النزل تئن تحت وطأة الريح. فاستقبلتني السيدة موكلي قائلة: "ليلة سعيدة يا دكتورة، عسى ان تنامي براحة."

فقلت: "وأنت أيضاً يا سيدة موكلي."

ثم انصرفت في دورتها الأخيرة على مملكتها. وخففت نور سراج الزيت في زاوية بعيدة في الردهة. فالتقنين شمل كل شيء.

شكراً، شكراً يا سيدة موكلي. لن تعرفي أبداً مبلغ امتناني لك.

حين حلّ الربيع بعد الشتاء ازداد قلقي. كانت الليالي هادئة والطعام جيداً. كان جديراً بي أن أكون سعيدة لعلمي أن بيتر لم يكن في روسيا وأن الاولاد في أمان وبصحة

جيدة في هذه القرية النائية الغارقة في الوادي. لكني كنت أشعر بوحدة قاتلة، وقر رأيي على الرحيل. فاتصلت ببيتر الذي أجاب نداء استغاثتي على الفور وحجز لي مقصورة في القطار المتوجه الى غرودنتز. وكان ينتظرني في المحطة في سيارة للشركة، وقضينا معاً ثلاثة أيام جميلة حتى اننا رسمنا خططاً للمستقبل. لم يكن من فائدة في الادعاء أن الأخبار حسنة. فكارل لا يزال في السجن، وقد اعتقل أصدقاء آخرون. وأخبرني بيتر عن عملية افرادية للمعارضة، لكنها منيت بسوء الحظ وبحسن طالع هتلر وحظه الذي لا يصدق في البقاء حياً. لم يعرف أحد نوع العملية ولم يحاول أحد معرفته، لأنه في حال الاعتقال كان من الأفضل معرفة أقل ما يمكن.

أنف وذنب

حين ركبت القطار الى الجنوب في نهاية الايام الثلاثة عرفت أنني لم أعد أبالي بما قد يحدث على الجبهة السياسية. لننتظر انتهاء الحرب ولنرَ ما يحدث آنذاك. ذلك كان نمط تفكيري. وامتنعت عن التساؤل عما اذا كنت وبيتر سنبقى أحياء حتى ذلك اليوم.

في رحلة العودة توقفت في برلين وذهبت الى شقة آدام الذي لم أره منذ سنة. كان ناحلا جداً وعلى وجهه تعبير غامض لم أستطع سبره. جلسنا للغداء، لكنه لم يمد يده الى الطعام. وتكلمنا عن النظريات الثاقبة التي توصل اليها في أوكسفورد. وفي الصين حول التوقعات المحتملة لالمانيا ما بعد الحرب. كان فقد كل أمل في اقناع الذين خارج ألمانيا بوجود ألمانيا اخرى. وقال: "هذا الفصل حُسم وانتهى يا كريس."

فتنهدت: "وهل يأتي يوم تنتهي فيه هذه الحرب يا آدم؟"

– نعم يا كريس. سينزل الحلفاء في وقت ما، وربما لن يتأخر ذلك النزول. وددت لو أقدر أن أزيدك علماً، ولكن ستعرفين قريباً ما فيه الكفاية. نحن لم نتقاعس عن العمل.

أخرج آدم دراجته من القبو ليرافقني الى دالهيم. وخارج بوابتنا استدار في الطريق وتقدم الى جانبي.

قال: "كريس، عليك أن تؤلفي يوماً كتاب عن الحياة بين البرابرة. ما رأيك؟"

أجبت: "اذا تسنى لي ذلك فسأجعل منك بطلا شجاعاً." ولم يسعني الا الضحك لمنظره وهو يعتلي دراجته ضاحكاً وقبعته الى الوراء وكأنه فتى صغير وسيم.

قال: "حسناً، انه رهان. اذا جعلت مني بطلا شجاعاً فسأقرأ كتابك النتن. ولكن لا، قد لا يكون نتناً الى هذا الحد يا كريس لاني بدأت أعتقد أنك تفهمين." وغابت عنه الابتسامة العريضة.

عندئذ فقط أدركت معنى التعبير الجديد في عيني آدم، فقد بدا انه يشعر بألم عميق.

وقبل أن يغيب عن نظري في المنعطف التفت الى الوراء ولوّح لي مبتهجاً ومودعاً. وكان ذلك آخر لقاء بيننا. فأنا لم أره بعد ذلك أبداً.

قال هانس بوش بعينيه الزرقاوين ونظرته الدافئة وفي بهجته إلحاح وهو يجيل نظره في الطريق صعوداً ونزولا: "دكتورة، عندي أمريكي!"

حاولت أن أظهر اهتماماً فقلت: "أمريكي يا هانس؟ رائع. هل هو طويل القامة؟"

نعم.

"أسمر اللون؟"

نعم.

"هل يلبس نظارة باطار عظمي ويدخن سيجاراً ثخيناً؟"

فاكمدّ وجه هانس: "كلا، انه يرتدي سروالا ذا جيوب على ركبتيه وجزمة مبطنة بالفرو. ومعه ساعة أيضاً، وأي ساعة! فيها ساعات صغيرة على مدار مينائها."

تطلعت الى هانس مفكرة: "أين وجدت هذا الامريكي يا هانس؟"

– وجدته مستلقياً على كومة الحطب. وهو الآن نائم في مطبخي.

رافقت هانس صعوداً في الطريق الى بيته الصغير في الجانب الآخر من الوادي. في المطبخ كان شاب ممدداً على مقعد خشبي، طويل القامة يرتدي لباس طيار ورأسه مسند على حذائه. وحالما نظرت اليه أدركت فجأة أن المانيا خسرت الحرب. والباعث لهذا الشعور كان صحته الوافرة وحسن العيش الذي بان عليه ونوعية قماشة بذلته وجزمته واللفاع الحريري المربوط الى خصره. واذا بي أرى نفسي هرمة رثة الثياب زرية محطمة. كان كل شيء يمت اليه أصيلا حقيقياً: صوف اصلي، جلد أصلي، حرير أصلي. والى ذاك بدا في مقتبل العمر. وبالمقارنة، بدوت أنا زائفة اصطناعية من قمة رأسي الى أخمص قدميّ، من الجلد الاصطناعي في حذائي الى القشّ الاصطناعي في قبعتي.

قلت وأنا أهز كتفه: "هاي!"

سألني: "من أنت؟"

قلت: "اسمي كريس بيلنبرغ. رآك بائع الحليب مستنداً الى كومة حطبه.".

اجاب بابتسامة ضعيفة وقد سرّني أن أسمع تشدّقه وهو يتكلم: "اظن أن هذا هو كل ما في الأمر. انني مسرور برؤيتك. لقد مشيت يومين ليلا ونهاراً. قفزنا من الطائرة فوق بلدة صغيرة وهبطنا في حقل."

قلت: "هل لديك فكرة من أين أتيت؟"

– لا يا سيدتي، نحن نطير، وطائراتنا تتبع بعضها بعضاً، كل واحدة منها يتبع رأسها ذنب الاخرى. ولست من الذين يعرفون الى أين نحن متجهون."

"حسناً، لا أظن أن لذلك أهمية كبرى الآن. انما ما يشغل بالي هو ماذا نعمل بك."

قال: "ان الحرب انتهت بالنسبة الي يا سيدتي." فعلمت انه مرهق وقد شارف الانهاك فقلت: "ابق جالساً حيث أنت وسأتصل بالعمدة."

كان العمدة الخباز فرغ من دوراته في توزيع الخبز واندفع نزولا يحث جواده بسرعة لم تُعهد به من قبل. انسحبنا الى غرفة مجلس القرية، فسألني العمدة: "ماذا ترين أن نفعل يا دكتورة؟" وتطلع بقلق الى صورة هتلر المعلقة خلف مكتبه.

فنظرت اليه والى الصورة مظهرة اكبر مقدار من الجدية والوقار: "لو كنت مكانك لاتصلت بالشرطة."

فبان الانفراج على وجه العمدة وقال: "سيب، الدكتورة مصيبة في رأيها. هيا، لنتصل بالشرطة."

اخترقنا الحشد المنتظر في دكان سيب الى الغرفة الصغيرة حيث يصلح سيب الاحذية ويحرس جهاز الهاتف. تكلم العمدة مع دائرة الشرطة النائية ثم استدار نحونا ونظّف حلقه وقال: "ليس في امكان الشرطة والعسكريين المجيء حالا. علينا أن نتكفل موقتاً أمر الاميركي. يجب أن نقفل عليه في القبو."

كان هناك قبو في كل قرية في الغابة السوداء في الايام الطيبة القديمة، يطرح فيه السكارى الى أن ينتعشوا ويستعيدوا وعيهم. ودهشت لاكتشافي ان الباب الصدىء المرصع بالحديد الى جانب بناء المدرسة يقود الى حظيرة مغلقة تملأها خيوط العنكبوت والقش العفن. فأصدر العمدة أوامره الى الجميع. بنات سيب لتنظيف القبو، ومدبرة منزل الكاهن لجلب الفراش والوسادات والشراشف، والسيدة موكلي لتحضير الطعام، وأنا للترجمة. ثم تقدمنا بكل تؤدة من منزل هانس بوش. فعرّفت الامريكي الى العمدة وأضفت أنه يريد أن يطرح عليه بعض الاسئلة.

قال الامريكي: "تفضل، لكني لن أجيب."

قلت: "حسناً، ولكن لن يحصل أي ضرر اذا أعطيت اسمك ورقمك." ولم أضف ان السؤال الاكثر الحاحاً الذي يرغب العمدة في طرحه هو ماذا يحب ان يتناول غداء. ورأيتني فجأة ممتعضة من هذا الصبي الطويل القامة، الجاهل، الذي يطير بمقدم طائرته وراء ذيل الطائرة التي تتقدمه ويجهل في أي بلدة خلّف قوافل من القتلى والمحتضرين. وبدا عمدتنا الساذج البسيط بحذائه المربّع وملابسه الخشنة اليدوية الصنع وهو يلقي أسئلته على غير طائل وينتظر بثقة أن أعطيه جواباً، أفضل من الامريكي الى أبعد الحدود.

تجمع سكان القرية خارج منزل هانس ليشاهدوا موكبنا ينحدر الى نزل "آدلر." وكانت طاولة العمدة وسط الردهة مفروشة بغطاء ناصع البياض. وكانت السيدة موكلي تجاوزت طاقاتها فقدمت قطعة مشوية شهية من اللحم مع بطاطا مهروسة وفراولة (فريز) وزلابية متوجة بالسكر المحروق.

كان الامريكي في جوع شديد وقد رأيناه يلتهم حصص اعاشة لأسبوع كامل في جلسة واحدة قبل أن يحين اقتياده الى القبو الذي جرى فيه تغيير لافت. فقد نظف وكنس وفرشت قطعة سجادة على أرضه. ووضع فراش ضيق على مقعد في الداخل وغطاء أبيض مخرّم فوق الوسادة المنتفخة. قالت مدبرة منزل الكاهن وهي تنظر بفخر واعتزاز الى عمل يديها: "انه يليق بملك." فتركنا الطيار هناك وأقفلنا الباب، ثم اختلسنا النظر فاذا به غرق لتوه في نوم عميق.

صباح اليوم التالي قدم رجلان متوسطا العمر ببزات رسمية لا تناسب مقياس

جسميهما، لتسلّم السجين. وانطلق الثلاثة الى المحطة فيما راح الامريكي يمشي متخطراً بخطوات كبيرة وحارساه ينسّقان خطواتهما ويندفعان بركضات قصيرة للحاق به.

رسالة من صديقة

كان ذلك في يوم صاف من خريف ١٩٤٤ وقد مضى شهران منذ ٢٠ يوليو (تموز) حين اندفعت زوجة سيب من كوخها صائحة: "لقد ألقوا قنبلة على هتلر!"

استمعت الى ذلك الصوت العذب المتزن على الراديو يعلن محاولة لاغتيال هتلر نفذتها مجموعة من الضباط، وأدركت للحال ان المحاولة فشلت. وفي وقت متقدم من تلك الليلة أعلن هتلر بصوت أجش أن العناية الالهية أنقذته لكي يكمّل عمله. ومنذ تلك اللحظة عشت كأني في حلم، اذ اتضح لي عمق الاحداث وما قد تتمخض عنه.

بعد ثلاثة أسابيع تلقيت بطاقة بريدية غير موقّعة من بيتر جاء فيها: "اعتقل آدم في ٢٥ يوليو (تموز). محبتي لكم جميعاً."

بعد ذلك لم يطرأ جديد لاربعة أسابيع كاملة. والآن قبل يومين فقط، نشرت أسماء المتآمرين المدنيين وكان آدم بينهم وهم يواجهون عقوبة الاعدام شنقاً.

تحول عصر النهار بارداً وأخذت ارتجف في طريق عودتي في الوادي الى النزل. كان نكي مكباً على دروسه حين فتحت باب الغرفة ورأيت الرسالة. كانت من احدى صديقاتي القدامى، مايبل، التي التجأت مع زوجها المحامي آنولد الى منزلنا في داهليم. وما جاء في الرسالة على غير ما توقعت: "عزيزتي كريس، اعتقل بيتر في غرودنتز في ٦ اغسطس (آب). سنعلمك بما يجد من أخبار حالما نتبلغها."

توقف نكي عن الكتابة وشخص الي وأمارات الارتياع على وجهه الذي بدا صغيراً وذاوياً.

وهمس: "هل مات أبي؟"

قلت: "لا، انه في السجن."

فانتصب فجأة وهتف: أبي في السجن؟ ولماذا؟"

ترددت لحظة في الاجابة مدركة أن علي التمسّك لاحقاً بالكذبة التي سأرويها له الآن. قلت: "حسناً، لوالدك عدو في غرودنتز لفق عنه أنواعاً من الاتهامات الباطلة وزجه في السجن."

– إذاً لماذا لم توقفه الشرطة؟ كانت ومضة من الشك تلتمع في عمق نظرة نكي الثابتة كأنها نظرة رجل بالغ. فقلت: "حسناً، عندما تكتشف الشرطة أن الاتهامات باطلة ستخلي سبيل والدك."

استدار نكي وانصرف غير مصدّق روايتي. مشيته واستقامة ظهره أوحيا لي ذلك. فقلت متصنعة بالخفة: "هذه هي روايتي يا نك، ولن أحيد عنها،" جاهدة في النفاذ وان

قليلا الى عمق ذلك الصغير المستوحش الواقف في النافذة. ومن غير أن يستدير انفجر صائحاً: "حالما تنتهي هذه الحرب أريد الرجوع الى بريطانيا. فهناك لا يقاد المرء الى السجن لذنب لم يرتكبه." وارتجف صوته وهو يتابع: "في بريطانيا تختلف الامور عن هنا."

فتقدمت الى جانبه، واذا بيده الصغيرة تمسك بيدي. ووقفنا شاخصين الى التلال المكسوة بالاشجار في الجانب الآخر من الوادي.

في تلك الليلة استمعت الى أخبار الراديو، فعلمت أن الحلفاء أخذوا في التحرك فعلا. فها هي دباباتهم تندفع الى بروكسيل وأنفير وفردان ولن يطول بهم الوقت حتى يقطعوا نهر الراين. وكم تمنيت أن أبلّغهم: "لا شيء يقف في طريقكم. نكاد لا نرى نازياً في هذه الايام. قد تحوّل أعداؤكم رجالا مسنين وأولاد مدارس. ثابروا على تقدمكم، انما أتيحوا لي فرصة أسبوعين للذهاب الى برلين والعودة منها!"

كانت الرسالة أيقظت همتي وحفزتني على العمل الجاد. ورأيتني فجأة أتّقد حيوية وتراودني خطط غامضة لم تكتمل لدي.

خطة قد تنجح

في ٢٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٤ توجهت الى برلين. وكان آرنولد اتصل بي وقال ان الغستابو رخصوا لي بزيارة بيتر في رافنزبروك وهو مخيم اعتقال بالقرب من برلين.

أيقظني منبّه السيدة موكلي في الثالثة صباحاً. فارتديت ملابسي الدافئة والتقطت حقيبتي وسترتي وجزمتي وتسللت الى البيت على رؤوس أصابعي. في غرفة الاولاد كان نك وجون ممددين وشعرهما كهالة حول رأسيهما. ولم يظهر من كريستوفر سوى خصلة من الشعر فوق وسادته الحمراء والبيضاء المحشوة بالزغب.

وقفت السيدة موكلي قرب الموقد في المطبخ وهي في ثياب النوم وقد ألقت شالا على كتفيها.

قلت: "لا يجوز أن تفعلي ذلك يا سيدة موكلي، لأن الوقوف في البرد مضرّ لمفاصلك الملتهبة."

قالت: "لن تذهبي في هذه الرحلة الطويلة من غير أن تأكلي شيئاً!"

ثم أخذت تكسر البيضة تلو البيضة وتلقيها في المقلاة، وتروح وتجيء وهي تعد المائدة وتتكلم فيما كنت أشد رباط جزمتي. كانت تحاول أن تظهر كأن المناسبة عادية، انما كانت كلتانا تعلم أننا قد لا نلتقي ثانية.

قلت: "هل تحتفظين برسالتي الى والديّ يا سيدة موكلي؟"

"نعم، بكل تأكيد، يا دكتورة، وهي في مخبأ أمين. واليك هذه الرزمة الصغيرة لتأخذيها معك. هي نقانق إرنست المفضلة، قد يتسنى لك اعطاء الدكتور شيئاً منها."

ورمقتني بنظرة وادعة بعينيها الذكيتين التعبتين وتابعت: "أنقلي اليه تحياتي

وأخبريه أنني امرأة عجوز وخجولة بهديتي التافهة."

وارتجف ذقنها وطفرت الدموع من عينيها. فنهضت وقبلتها قائلة: "أرجوك، لا تبكي يا عزيزتي، سأعود باذن الله. لا يسعني أن اشكرك كفاية لقبولك أن اترك الاولاد هنا لكي تعتني بهم."

عند المنعطف استدرت لألوح لها، فرأيتها في إطار الباب المضاء ويدها مرفوعة في ايماءة كأنها تستلهم بركة من الله.

كان الثلج يصرّ تحت قدميّ فيما تابعت الخطى نزولا في اتجاه المحطة. وشعرت في ذلك فرجاً لي اذ وجدت ما أعمله بعد أسابيع من القلق المضني الذي بددته رسالة موجزة بخط بيتر خضعت للرقابة في أحد سجون برلين ثم في رافينز بروك، يعلمني فيها أنه لا يزال قيد الحياة.

ولدى وصولي الى برلين عزمت على طلب مقابلة المستنطق لانغ صاحب النفوذ. كانت خطتي أن أقنع لانغ بأن الحرب مشرفة على الانتهاء. ونظراً الى اعتقاد الغستابو أن لدي أنسباء ذوي نفوذ في بريطانيا، فقد أعقد معه صفقة تتضمن مساعدته بعد الحرب في مقابل اسقاط التهم عن بيتر أو اتلاف ملفه. كان الأمل ضئيلا، لكنه يستحق المحاولة.

كان الظلام مخيما لدى وصولي الى منزلنا في داهليم. فنبشت من حقيبتي هداياي الفقيرة وناولتها الى مايبل وآرنولد. وكانت رغيف خبز من صنع البيت ونصف كيلوغرام من الزبدة وقطعة من اللحم المدخّن.

بعد التهام كل كسرة تطلعت الى آرنولد الذي قال: "أعلم، يا كريس. تكادين لا تقوين على الانتظار. حسناً، لم يحصل شيء حاسم. بيتر لم تكن له علاقة بمؤامرة ٢٠ يوليو (تموز) ولكن له أصدقاء غارقون حتى الاذنين. ليس للشرطة أي اثبات ضده، لكني أراهن على أنهم يكرهونه شخصياً. بحق السماء يا كريس، ان بيتر متعجرف ولن يسترحمهم. أتخيله وهو يعاملهم كقذرين. أليس هذا ما ترينه أيضاً؟ لكن ما يجعل الاستجوابات شاقة هو أنه على الارجح لا يدري أن تروت ولانغبيهن ماتا، وقد يحاول تغطيتهما."

لم أكن سمعت بموت كارل. ولم أعلم أن آدم ورفقاءه المتآمرين شنقوا ببطء معلقين بكلابات الجزارين وصوّرا في فيلم وهم ينازعون. أحس أرنولد بالضيق الذي أطبق علي فقال معتذراً: "لم أكن لاروي لك هذه الاشياء يا كريس لو لم اكن على يقين منها. ولكن كما قلت لك، ربما كان بيتر يحاول حمايتهما. وهنا تورك. يمكنك التكلم معه لعشر دقائق فقط. وفي هذا الوقت عليك ابلاغه أن صديقيه توفيا ولن يقدرا على التكلم ضده، وأنهما أصبحا في ذمة الله وليسا في حاجة الى حمايته."

كانت محطة رافنزبروك الخشبية الصغيرة تئن تحت وطأة ريح باردة جليدية هبت من الشرق. أحنيت رأسي اتقاء للريح وسرت نحو المخيم مسافة طويلة الى أن بان سياج

تعلوه أسلاك شائكة وسط الثلج المتجمد. وانتهت الى حاجز مطلي بالاحمر والابيض والاسود، فأدخلت كوخاً خشبياً علق فيه الصليب المعقوف، شارة الحزب النازي. ثم قادني حارس الى كوخ خشبي ثان عبر ساحة في الجانب الآخر من المجمع الجليدي حيث تُركت لوحدي. كان الكوخ مزداناً بصور هملر وآخرين ببزات "الصاعقة" ذات اللونين الاسود والفضيّ. فجلت على تلك الصور أرفع الواحدة بعد الاخرى وهي لا تزال عالقة بكلابتها، متظاهرة بأنني أرغب في قراءة اسم الرسام الذي رسمها. وكنت في الحقيقة استكشف وجود ميكروفونات تحتها. فلم أجد شيئاً. ثم أفرغت حافظة نقودي على الطاولة فسقطت منها بضع قطع على الارض. فجثوت على ركبتي لالتقاطها، واذا بي أرى الميكروفونات تحت المقعد مثبتة الى الجدار.

فتح الباب ودخل منه شاب أنيق عرّف بنفسه، انه مفوض التحقيق الجنائي. سألني عن الكتاب الذي في يدي، فقلت له انه كتاب صور فوتوغرافية. فسأل بأدب أن يطلع عليه، فناولته اياه مع رزمة نقانق السيدة موكلي. وبدأ يقلّب صفحات الكتاب وكأننا في غرفة الانتظار في عيادة طبيب أسنان.

فُتح الباب ثانية. فدخل أولا حارس بدين وبعده شخص طويل القامة منتصب هو كل أملي وكل ما رغبت في رؤيته تلك اللحظة. وثبت على قدمي فيما تقدم مني بيتر ويداه ممدودتان. وقفنا متماسكين ولمحت في وجهه نظرة ملحة وأحسست انه يدفع بشيء صغير مربع في راحتي. أدرت ظهري للمفوض والحارس وذهبت الى الطاولة لألتقط كيس نقودي. وبذريعة التفتيش عن محرمتي لمسح عيني أسقطت ذلك الشيء في جيبي. كان علبة ثقاب.

أشار الحارس الى بيتر بالجلوس على المقعد المسند الى الجدار. فجلست الى جانبه وأمسكت بيده. الى الآن سار كل شيء على ما يرام. كان بيتر ناحلا جداً وكان وجهه منتفخاً مرمداً وقد فقد تلك النظرة الصبيانية الثابتة. فقد كانت عيناه حذرتين غامضتين لا يدرك مغزاهما.

كان علي ابلاغه رسالتي للحال. ولم أجد صعوبة في التكلم على أي شيء وكل شيء، شأني حين أكون متوترة الاعصاب: "هناك أشياء كثيرة أخبرك اياها، وأنا في حيرة بماذا أبدأ." قلت هذا وأنا أفك أزرار معطفي، واذ غطّت حاشيته يدينا المتشابكتين أخذت احدى أصابعه وضغطت موجهة اياها الى أسفل المقعد. فحدّق الي فجأة بعينيه الحذرتين المتوثبتين.

أدركت انه فهم قصدي بشأن الميكروفون المزروع تحت المقعد. فغمرتني موجة من الارتياح لعلمي أنه سيفهم رسالتي على حقيقتها. قال: "هناك أشياء كثيرة أيضاً أود أن أعرفها يا كريس، ولكن أخبريني أولا كيف حال الاولاد."

قلت: "انهم في حال ممتازة، وكريستوفر اكتسب لكنة الغابة السوداء." أمكنني عندئذ الاحساس بتيقظه وتفهمه لمناورتنا الكلامية.

قال: "والسيدة موكلي، هل هي بخير؟"

أجبت: "أوه، نعم،" اذ اتضح لي المسار الذي يجب أن أنتهجه. "هي وحدها لديها أنباء محزنة. أتذكر شقيقها؟ تلك التي لها ثلاثة أولاد في الجيش وآخر في سلاح الطيران؟ حسناً، الابن الاكبر كارل، والثالث أرنولد... أدولف... ماذا كان اسمه يا ترى؟" لم أجرؤ على القول: "آدم" لأنه اسم غير مألوف في المانيا. لكن بيتر ضغط يدي ففهمت أنه فهم قصدي.

قال: "أعتقد أن اسمه كان أدولف. ماذا حصل؟"

تابعت بعجلة: "حسناً، لقد قتلا على الجبهة الروسية."

– قتلا؟ أم أفيد أنهما مفقودان؟

"كلا، لقد قتلا حتماً؟"

تبعت ذلك لحظة صمت ثم تنهد بيتر وقال: "مسكينة والدتهما."

بعد دقائق أزاح المفوض كرسيه وانتصب على قدميه وقال: "آسف، لقد طالت مقابلتكما على ما هو مسموح به قانوناً." فتبسم لي بيتر وقال: "ليباركك الله يا عزيزتي." واتجه نحو الباب. ولاحظت أن حذاءه كان مربوطاً بخيطين قصيرين من القنب. فأكبرت فيه حيلته وارتجاله لرباط الحذاء هذا مما عزز فيَّ الشجاعة، فلا قوة على الارض تقدر أن تجعل بيتر يجرّ قدميه!

حين خلوت بنفسي في القطار فتحت علبة عود الثقاب، فاذا فيها ورقة صغيرة ملفوفة كتب عليها بخط رفيع صف من الكلمات بدت للوهلة الاولى بلا معنى: "ذاتي غير سياسي لم أدل بشيء آدم صديق حميم أيام هامبورغ لانغبيهن جار فقط كريس ايرلندية..." معلومات نتفة بعد نتفة. طويت الورقة وكدت أبتسم. كانت هذه رسالة بيتر الي في حال أخضعت أنا أيضاً للاستجواب.

ولم أكن طلبت للاستجواب، انما لا يزال هناك احتمال بذلك. وبومضة خاطفة أدركت أن خطتي قد تنجح اذا طلبت من الرجل المكلّف قضية بيتر أن يستجوبني.

هايل هتلر!

وافق المحقق الجنائي لانغ على مقابلتي في الحادية عشرة صباحاً في ٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٥. فانتقيت ملابسي بعناية لانه عُرف عن مسؤولي الغستابو أنهم من الطبقة المتوسطة وهم تقليديون يفضلون النظافة وحسن الهندام في نسائهم على الاناقة. فارتديت معطفي الاسود وقبعة سوداء عادية وثوبي الازرق الرمادي الذي بدا نظيفاً وأنيقاً على رغم كثرة ارتدائه، وآخر زوجين من الجوارب الخالية من اللفق، وحذائي الاسود الواطئ. كنت أنضح جدارة بالاحترام وبعداً عن التعامل في السوق السوداء. كان وجهي آرياً لا شك فيه، وغاب عني المظهر الصحي الصارخ.

كان المقر الرئيسي للغستابو في برلين بناء ضخماً قاتماً مدمراً جزئياً بفعل القنابل. ولدى وصولي الى مكتب لانغ في الطبقة الرابعة كانت ركبتاي تصطكان ويدي

ترتجف على الدرابزون الرخامي. قرعت الباب ففتحه أحد جنود "الصاعقة" وقال: "هايل هتلر! هل لديك موعد للمقابلة؟"

– نعم لدي موعد.

"ادخلي واجلسي من فضلك."

توجهت الى غرفة بثلاث نوافذ تشرف على بحر من الخراب. وحين نودي باسمي أدخلت عبر باب عالٍ الى غرفة صُعقت داخلها، اذ وجدتني عمياء كلياً لان أضواء قوية متوهجة كانت مسلّطة عليّ.

قلت: "هايل هتلر، سيدي المفوض. يسرّني لو سمحت لي بالجلوس في كرسي، لكني لا أجد واحداً. هل تتفضل باطفاء هذه الأضواء؟"

عقبت ذلك لحظة سكون سمعت بعدها طقة فانطفأت الاضواء.

دخل رجل قصير القامة ممتلىء البنية ورأسه شبيه بالاجاصة. كانت عيناه الزرقاوان متقاربتين جداً، باردتين، قاسيتين، تحدقان الي بفضول جامد من دون أن يرف لهما جفن. قلت: "سيدي المفوض، انني مدينة لك. لقد كانت لفتة كريمة منكم أن تسمحوا لي بمقابلة زوجي وتخصصوا لي جزءاً من وقتكم الثمين." واذ بدرت من رأسه حركة خفيفة أمسكت نفسي قائلة في داخلي: الحذر ثم الحذر. كانت لهجتي قوية النبرات الى حد العدوانية والصلف. فتابعت بلهجة استرضائية معربة عن سروري البالغ لكون قضية زوجي في يده لما يتمتع به من خبرة وحنكة.

– أنّى لك أن تعرفي قدراتي؟

"عرفت ذلك من اثنين من أصدقاء زوجي (ذكرت اسميهما) قالا لي لن تجدي افضل منه ولا أكثر معرفة لمعالجة قضية زوجك." وكأني استشففت استرخاء طفيفاً في موقفه فعللت نفسي بأمل ضئيل أن يكون فارغاً مزهواً بنفسه يتأثر بالاطراء.

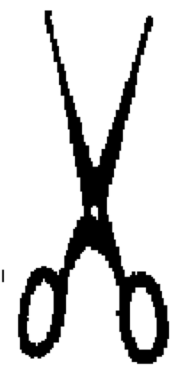
تابعت: "سيدي المفوض، هناك شيء واحد ما زال يضايقني حيثما توجهت، وهو كوني أجنبية. هل يعقل أن يكون زواجه بي دليلا ضده؟ فلو حدث هذا في بريطانيا وكنت أنا ألمانية فقد يكون هذا هو الوضع..." وعلى رغم تحديقه الجامد الذي خلا من أي طرفة قدرت أن تلك هي اللحظة التي يجب أن أسلّط فيها من السحر ما تسمح به مؤهلاتي ورصانتي: "... سيكون ذلك عبئاً لا قدرة لي على تحمله. يا سيدي المفتش، اني أشعر دوماً بأن اتحادي بزوجي يتخطى الاعراف القومية والوطنية. فألمانيا هي الآن وطني، وقد تعلمت اللغة، وهنا أريد أن أربي أولادي. وحين أعلنت الحرب أصبنا بخيبة قاتلة. كنت أتتبع خطب الفوهرر، كل كلمة منها، حين كان مرة بعد مرة يحمل غصن الزيتون عارضاً السلام على شعبي فيقابل بالرفض. انني أؤكد لكم لو كان المسؤولون مثلي لكان بلدانا اليوم متحدين."

قال بالانكليزية: "كان ذلك كلاماً رائعاً يا سيدة بيلنبرغ، ومؤثراً جداً، انما أود أن أرى رجلا بريطانياً او امرأة بريطانية لا يشعران في أعماق قلبهما بخطأ بلادي." وكانت انكليزيته محطمة تكاد لا تفهم.

الـرجاء ارسـال القسيمة والشيـك بالبـريـد المسجـل (المضمـون)
الى احد العنوانين الآتيين:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR
C/O Mrs. Annick Meadows
P.O.BOX 4271, NICOSIA 163, CYPRUS.



الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

قلت وقد علت وجهي ابتسامة مفعمة بالاعجاب: "انه تعبير رائع يا سيدي المفوض، لم أكن أعرف أنك ملم بالانكليزية." واذا بي أرى تغييرا غريباً يطرأ على وجهه المترهل. ربما كان هو أيضاً يحاول الابتسام.

قال: "أعلم أنك ابنة شقيق اللورد بايارفربروك."

لم أدر في بادىء الأمر من يعني هنا. كان اللورد بيفربروك أحد أعضاء وزارة تشرشل، واذا عرضت على لانغ مساعدته بعد انتهاء الحرب في مقابل إتلاف ملف بيتر فان اللورد يشكل رهاناً حسناً. من ناحية أخرى كان الرهان على عمي اللورد روذرمير جديراً بالاعتبار. ففي أوائل الثلاثينات كان متأثراً الى حد كبير بهتلر، وقاد صحيفة "ديلي مايل" في حملة حماسية خاطئة. قررت الرهان على روذرمير وسردت ملخصاً لانزلاق عمي في خطأ سياسي يتفق وصالح ألمانيا.



"ولكن يا سيدي المفوض، لا تدع هذا الامر يقلقك. أنا أعلم أنك تسعى الى كشف الحقيقة. لم يكن هناك من أسرار بين زوجي وبيني، وقضيته في غاية الوضوح. انه لم يكترث يوماً للسياسة، وشخصيته ليست معقدة الى حد الدخول في متاهاتها. ولكن تريث أرجوك. لقد خطرت لي فكرة، واني أتساءل... ما رأيك؟ لماذا لا تستجوبني أنا؟ ربما كان في ذلك فائدة."

رمقني بنظرة طويلة فاحصة متمعناً، ثم أخرج من أحد الأدراج ملفاً ضخماً وقال: "حسن جداً يا سيدة بيلنبرغ، انما في حال لم تكن أجوبتك صادقة فانك تجازفين في لعبة خطرة."

واذ بعينيه تتحولان فجأة الى الازرق القاسي. قال: "ان زوجك شخص أحمق مغفل أبله، فضح نفسه في كل خطوة. وليست هناك صفحة في هذا الملف لم

يرد فيها اثبات يدل على بلاهته وجرمه. في يدي هنا قائمة بأصدقائكما، وكل واحد منهم خائن: تروت، لانغبيهن..." وتعاقبت الاسماء. "لا أخالك مزمعة على ان تخبريني أنه لم يجر بينكما وبينهم مباحثات سياسية من أي نوع."

اجبته: "لكن هذا تماماً ما أردت أن أخبرك اياه. انا امرأة بسيطة ساذجة لا أستسيغ السياسة، والرجال والنساء الذين يتباحثون فيها يثيرون في الملل والتعب. ولزوجي الشعور ذاته. سألتني عن آدم فون تروت، حسناً، كان زوجي يعتبره أفضل صديق له، لكن هذا لا يمت بشيء الى السياسة. ربما وجد الرجال الاذكياء المثقفون ارتياحاً في الاجتماع بأناس بسطاء مثلنا."

– هل تعتقدين ان تروت كان ذكياً؟

"أوه، نعم، أعتقد ذلك."

– تروت كان خائناً يا سيدة بيلنبرغ.

أجبته بحزن: "هكذا يبدو. لم يخطر لي ذلك قط. ولكن عن أي غيره أردت أن تسألني؟ الدكتور كارل لانغبيهن؟ حسناً، بالطبع. آل لانغبيهن كانوا جيراننا في داهليم..."

وطالت المبارزة وامتدت الى أن خيم الليل وأضيئت أنوار الشارع التي أخذت تومض عبر الخراب. وفي النهاية انتصب لانغ واقفاً.

قال: "كانت افادتك ممتعة. لقد تطوعت في الجيش، لكني أعدك بأني سأعالج قضية زوجك قبل أن أذهب. لا يسعني إعلامك بالنتيجة، لكني سأعمل على اغلاق القضية نهائياً."

أكدت له أن هذا هو كل ما أطلبه، فأومأ برأسه وأدار ظهره. فتوجهت الى الباب. نظرت الى ساعتي في أسفل السلم فبان لي أني قضيت في ذلك البناء تسع ساعات كاملة. ولدى وصولي الى منزلنا كانت المدافع المضادة للطائرات في الجوار تمزق حجب الليل وتصم الآذان.



"دكتورة! دكتورة!"

كان الليل لا يزال مخيما حين انطلق صوت سيب من تحت نافذتي وتبعته كتلة من الثلج أصابت زجاجها: "تعالي انزلي! لدي أخبار سارة!" فهرولت خارجاً حيث الثلج.

أنار ضوء المطبخ وجه سيب الذي قال: "الدكتور اتصل في الليل. انه حر." سادت لحظة صمت. فاذا بنا نتعانق بجذل. وراح سيب يدق ظهري كما لو كنت ابتلعت حسكة.

خرجت مارتينا من الباب مطقطقة بحذائها ومعها رائحة حادة من زريبة البقر. ولم تندهش لرؤيتي خارجاً في مثل هذا الوقت الباكر.

قلت وكأني مصابة بدوار: "مارتينا، ان زوجي حر."

فأجابت عابسة، وتلك كانت علامة دالة على تأثرها: "لقد سمعت بذلك، وقد حان الوقت."

في اليومين التاليين تركزت كل أفكاري على قطار بين برلين وروهرباخ يقلّ بيتر. وفي مساء اليوم الثاني لم ترد أي اشارة من بيتر. فاستبد بي القلق وتملكني اهتياج عصبي. فماذا قال سيب يا ترى عن أن الرجال الاقوياء لا يقدرون على مغادرة برلين؟ الوقفة الاخيرة، وماذا بعد؟ كنت عاكفة على لفلفة الاولاد في الفراش حين جمدت، واندفعت ففتحت النافذة مصغية بكل جوارحي. ها هي الاغنية تنطلق من عمق الوادي، أغنية بيتر! وكم من مرة سمعت "ياهوو" صيحته البعيدة الجامحة وهو يندفع بسرعة خاطفة على منحدرات التزلج طافحاً فرحا بسرعته. أقفلت النافذة وعدت الى الغرفة.

قلت بأهدأ ما أمكنني: "يا أولاد، يخيل الي أني سمعت صيحة في الوادي، واعتقد أن والدكم هو الذي أطلقها."

في الساعة صباح اليوم التالي كنت وبيتر والاولاد لا نزال في غرفة النوم. واذا بالسيدة موكلي تأتي بركوة القهوة الكبيرة ومقلاة مهسهسة ألقت فيها عشر بيضات عائمة في كومة ضخمة من اللحم وابريق شراب لذيذ. لم يكن هذا الطعام ما يصفه طبيب لرجل أمضى أشهراً وهو نصف مائت جوعاً. لكن بيتر التهم معظم البيض واللحم. وكان أمضى بقية الليل يذرع الغرفة وهو يعرج قليلا ويتكلم من دون توقف. وكانت قصصه المتفرقة تنتهي الى قصة متماسكة واضحة.

حين علم أن آدم اعتقل واقتيد الى مقر الغستابو كل صباح لاستجوابه، بدا له ان هناك شيئاً واحداً واضحاً للعمل. كان مستودع الاسلحة في غرودنتز مليئاً بالرشاشات، ولدى بيتر خطة لتخليص آدم بهجوم مسلح من أيدي الغستابو، وأخذه الى توكلر هايدي وهو مستنقع كبير يعج بالأنصار البولونيين. حسب بيتر أن آدم سيتمكن من الصمود هناك لبضعة اسابيع على الأقل. فلا أحد كان يعتقد ان الحرب ستستمر أكثر من ذلك. لكنه قال لي: "لم يقدّر للعملية ان تتم كما خططتها."

لم يمض على رجوعه الى غرودنتز ربع ساعة حتى جاء الغستابو واقتادوه الى زنزانة بقي فيها لوحده عدة أسابيع.

قال: "ما لبثت أن اكتشفت أنهم يعرفون القليل جداً. سألوني عن آدم فأخبرتهم أنه

أحد أعز أصدقائي. فالى قول الحقيقة كانت هناك فرصة لشراء الوقت. كل شيء يهون في سبيل شراء الوقت."

وحدث أن بيتر نقل الى رافنزبروك. وأخبرني: "لانغ لم يكن حديث العهد بالاستنطاق، وقد أفدت كثيراً من دراستي للقانون، فصرفت ساعات أستعيد في ذاكرتي اسئلته وأجوبتي، لان أجوبتي كان يجب أن تكون ذاتها يوماً بعد يوم. لقد لجأوا الى التكتيك المعتاد: يوم ملاطفة وحصص طعام استثنائية يتبعه يوم معاملة قاسية مع خبز وماء فقط. اذا التقيت لانغ هذه الايام فسأقتله كما قتل الآخرين. اذ ان أولئك الذين أمكنهم الوقوف على أقدامهم بعد الخضوع لاستنطاقه كانوا يمشون عائدين الى زنزاناتهم. اما الآخرون فكانوا يُحملون ملفوفين بسجادات ويرمون كالجثث. على الاقل، في ما خصني، كنت أحظى بزيارات بعض الاصدقاء. زارني أرنولد أولا، ثم أمي. وبعد عيد الميلاد أتيت انت يا عزيزتي، وكنت اعتقدت أنك اعتقلت ايضاً. كنت أسعى دائماً الى الاحتفاظ بتلك القصاصة في حوزتي. كانت تلك مجازفة، لكنها أقل خطراً من رواية قصة مختلفة عن روايتي. يا الهي، لم يمر في خاطري أن تطلبي الخضوع للاستنطاق، لكن ذلك كان مفيداً. نعم، كان استنطاقك مفيداً جداً. وأظنه رجح كفة الميزان لمصلحتي. لقد كان تأثيرك هائلا على لانغ، فهو ذكر لي لاحقاً أنه يعجز عن التصور كيف أن شخصاً تافهاً مغفلا مثلي استطاع الاقتران بتلك الزوجة الذكية. وكان يعني كل كلمة قالها، لأنه كان يكره شخصي وكياني أشد الكره."

وبعد أسابيع قليلة حدثت المعجزة. أبلغ لانغ بيتر أنه يعتزم اطلاقه، ولكن لتسليمه الى "فرقة القصاص" في الجيش للعمل في تنظيف حقول الالغام وأعمال شاقة خطرة اخرى. لكنه بدلا من ذلك أطلق مزوداً حفنة من بطاقات الاعاشة واذنا بالسفر الى بيته. قال بيتر: "لست أعلم لماذا يا عزيزتي، ربما كان هذا مجرد خطأ ارتكبته الادارة." ثم توقف عن الخطو جيئة وذهاباً وفتح النافذة متيحاً دخول هبة باردة وقال: "وها أنا هنا الآن يا كريس."

فتوة ضائعة

خلال شهري مارس وابريل (آذار ونيسان) كانت الحرب تزداد اقتراباً كل يوم من روهرباخ. وكانت الصحيفة المحلية توقفت عن الصدور، لكن اذاعات الراديو ظلت تذكرنا بأن الحكومة الالمانية ما زالت تؤدي وظيفتها. وأبى المزارعون أن يسمحوا لدوامة القتال المتوجهة اليهم بأن تغير نمط حياتهم الثابت. فظلوا يحرثون الحقول ويحلبون البقر ويطعمون الماشية. فانتهى بهم الامر الى بقائهم العنصر الوحيد السليم العقل في عالم مجنون. وكانت قعقعة الجنود الراحلين بمعداتهم كأنها مسرحيات عابرة.

كان الجنود يرتمون يومياً في غرفة جلوسنا وينامون على الارض: أولاد منهكون في بزات فضفاضة تتجاوز قياسهم، مزودون أسلحة فتاكة لا يعرفون أن عليهم حملها

وامساكها بحذر. ذات ليلة انحنى ضابط رمادي الوجه أحمر العينين ليغطي أحد هؤلاء المحاربين النائمين بمعاطفهم الخارجية الكبيرة، وهمس لي فجأة: "ان هؤلاء الوحوش في المراتب العالية ارتكبوا جرائم كثيرة، انما ما من واحدة توازي بفظاعتها جريمة ارسال هؤلاء الاطفال الى ساحات القتال."

كان نزل "آدلر" حتى اللحظات الاخيرة مقراً لفرقة كاملة من الجيش مع جنرالاتها ودراجاتها النارية، يأتون مقعقعين بها ويرتحلون ثانية في مهمات مجهولة. وفي احدى الليالي بدأ التحرك. وفي الصباح كان سيل من الجنود بلباس القتال الرمادي يتجه في الطريق الى شونيناخ مصحوباً بالثيران والمدفعية الثقيلة والدراجات الهوائية والمزالج. وكانت كل سيارات النقل مقلوبة ومتروكة في الحقل لفقدان الوقود. وفي اللحظة الاخيرة دخل ضابط شاب ليودعني.

قال: "حظاً سعيداً يا سيدتي، ستكونين قريباً في بيتك."

فقلت: "أرجو لك أن تكون أنت أيضاً في بيتك."

تبسم لي الضابط بوجهه الفتيّ ابتسامة البالغين الذين عركهم الدهر وقال: "لا أظن ذلك، بعد هذه المهمة." ثم انصرف.

بعد أمسيتين، في ٢ مايو (أيار) ١٩٤٥، ذهبت الى غرفة المجلس لمقابلة سيب والعمدة اللذين اعتبراني واحدة من أهل القرية ولم يكونا أقل احتراماً لي من ذي قبل. وكانت على الجدار خلفهما رقعة مربعة فارغة، فلاحظ سيب والعمدة أنني احدق اليها فتظاهرا بانهماكهما بالاوراق الملقاة أمامهما.

سألتهما بعد صمت طويل: "أين هو؟"

لم يرفع سيب رأسه، لكنه أومأ برأسه نحو موقد حديد ضخم يهدر في الزاوية.

قلت: "أليس الوقت باكراً على هذه النار القوية؟"

فرد سيب: "كلا، اعتقدنا أنه غير باكر."

وتابع: "اوه، بالمناسبة، أخبرني أحدهم أنه سمع بالراديو أنه مات الليلة الفائتة وهو يقاتل، كما قالوا، حتى النفس الاخير. لقد كنت منشغلا جداً ففاتني الاستماع الى النبأ."

منشغلا جداً! لا شك في أنه كان منشغلا. فمثل سائر سكان القرية أمضى الثعلب العجوز ساعات يفكك شاحنات الجيش المتروكة في الحقول وينقل قطعها في عربة يد.

غلب علينا الضحك، وكأن داخلنا رفاصاً ظل مشدوداً سنوات ثم أرخي فجأة، فانطلقنا متهللين في تشنجات عاصفة من الضحك بلغت حد الهستيريا. وكنت لا أزال أمسح عيني وأنفي وأنا أنزل السلم المتداعية وأتوجه الى نزل "آدلر". ولكن في أعماق نفسي كنت أعرف أن في ذلك الضحك شيئاً أقرب الى ذرف الدموع.

كريستابل بيلنبرغ ■

ترجمة الياس عقل

تعيش كريستابل وبيتر بيلنبرغ في مقاطعة كارلو بايرلندا في مزرعة اشترياها بعد الحرب.

حديقة أفكار

- يفوّت الناس ما يمكنهم الحصول عليه، بتشديدهم على الكمال الذي يعجزون عن بلوغه، وبالبحث عن المبتغى حيث لن يجدوه أبداً.

إ.س.

- أطول رحلات الحياة، عند كثيرين، هي فترة الانتقال من التبعية الى الاستقلال.

ك.ج.

- ما تعلمت شيئاً قطّ وأنا أتكلم. أنا أتعلم فقط عندما أطرح أسئلة.

ل.هـ.

- الحب مثل الكمان. فالموسيقى قد تتوقف بين حين وآخر، لكنّ الاوتار تبقى الى الابد.

ج.م.

- الحظ الحسن يشبه شيئاً تستحقه.

ف.ك.

- الافكار الجيدة تحمل ثماراً طيبة، والافكار الرديئة تحمل ثماراً فاسدة. والانسان هو البستاني في حديقة أفكاره.

جايمس آلن

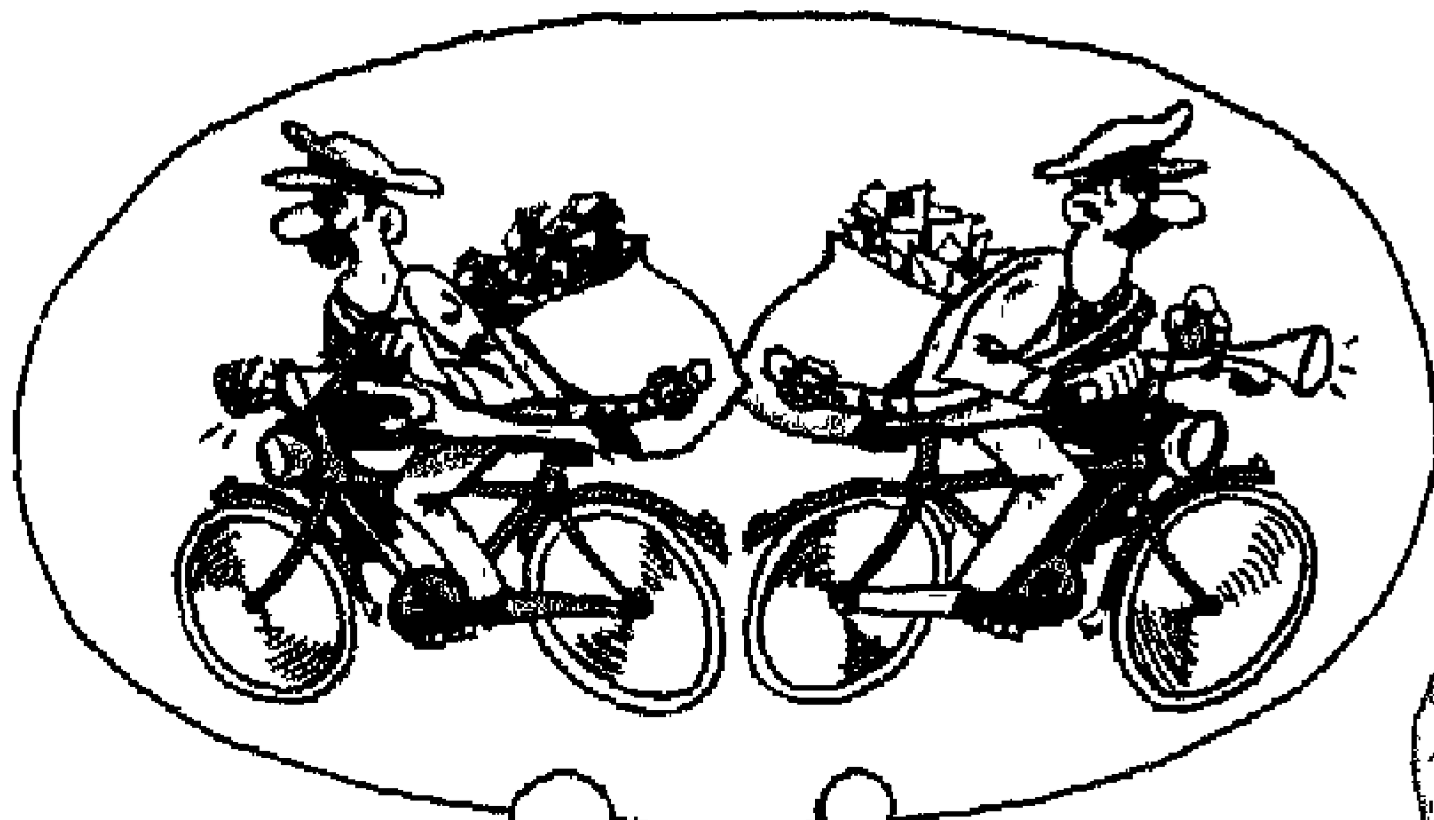
- يلزمنا وقت طويل لاكتساب صديق قديم.

ج.ل.

- الشعب الذي يضع امتيازاته فوق مبادئه سرعان ما يخسر الامرين.

دوايت ايزنهاور، رئيس أمريكي راحل

اكتب واربح





هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- نحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

